11me Année No. 496 | Lundi - 4 - 1 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٩٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٧ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ٤ يناير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة

١ الرسالة في عامها الحادي عشر : أحمد حسن الزيات . . ..
٣ خولطر ليلة الميلاد ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٦ أيها الأصحاء ... ... : الأستاذ راشد رستم ...
٧ ليلة عيد الميلاد [قصيدة] : الأستاذ علي محمود طه ...
٨ كلمة عن التلباثي .... : الدكتور رمزي مفتاح ...
٩ معجزة الحديد .... : للشاعر « تشارلس ماكاي » بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة
١١ علاقة شوقي باللبنانيين . . في نظر الدكتور مبارك .... : الأستـاذ نجيب شاهين ...
١٢ المصباح الأحمر ... ... : الأستاذ محمود الشرقاوي ...
١٤ لا تثوروا على المدنية الحاضرة : الأستاذ محمد الشحات أيوب ...
١٧ ذكرى وفاة أمين الرافعي : الأستاذ علي عبد الله .. ..
١٨ أدباء ... ! ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر
٢١ تجارب على التلبـاثي . . : الأديب أحمد أبو زيد . .

الرسالة

في عامها الحادي عشر

أقبل العام الميلادي تسعى بين يديه الشمس ، ومن ورائه يقبل العام الهجري يسعى بين يديه القمر ؛ وبين هذين النيِّرين الإلٰهيين تبلغ « الرسالة » مرحلتها الحادية عشرة في سبيلها الشاقة ، إلى غايتها الحاقة ، ومنهما معرفتها ورشادها ، وفيهما تضحيتها وجهادها ؛ ومن نور القمرين نور الدنيا ، ومن هدى التاريخين هدى الناس ؛ فإذا تعسر الخطو وتعثر الخطاة فذلك لأن النور الإلٰهي احتجب ، والبصر الإنساني كلَّ . على أن نور الله تدركه البصائر لا الأبصار ؛ فإذا عميت القلوب تخبط الناس في ظلام جهنمي تموج فيه تهاويل الشر ، فأفسدوا كل صالح ، وبددوا كل منتظم ، وهددوا كل حي . وما محنة العالم اليوم إلا ضلال عن الطريق . والضال إذا لم يهتد هالك لا محالة . ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدا

كلما عاد عيد الهجرة أو عيد الميلاد صاح بالضالين المتفانين شيخ الإسلام أو حبر النصرانية : أن تعالوا إلى الطريق ! ولكن كلا الدليلين — وا أسفاه ! — يقف على رأس الجادَّة المهجورة داعيًا ولا سميع ، وراعيًا ولا قطيع !

فمتى يا إلٰه الناس تنحسر عن العيون السادرة أغشية الضلالة فيعود الجائر إلى القصد ، ويرجع الشارد إلى الحظيرة ؟

لقد طغى الفناء على الكون ، وأرسل على ملكوت الله سحائبه السود تعصف فى كل مكان بالخوف والجوع والدمار والموت لا تكف ولا تخف حتى لا يدرى الممسى كيف يصبح ، ولا الغادى كيف يروح !

هذا هو الشتاء الرابع يقبل على هذه الرجفة الآدمية العالمية وهى راعدة لا ينقطع لها دوى ولا حم ولا نار ولا ضحايا ؛ وبنو آدم المتمدنون لا يفتأون يسخّرون العلم الذليل الخاضع فى تأريث براكينها المزمجرة ، فتقذف الردى شهباً فى السماء ، وتصبه حمماً فى الماء ، وتشعله جحيماً فى الأرض ، وأولادهم هم أشلاء هذه المقتلة ، وحضاراتهم هى أنقاض هذه الزلزلة . وكل أولئك فى سبيل الرغيف . ورزق الله موفور ميسور ما دامت السماء تمطر والأرض تنبت ؛ ولكن الإنسان مهما تعلم وتقدم لا يزال فى سياسة معدته على الفطرة الأولى من حب الاستئثار والاحتكار ، فلا يعرف القناعة فى الرزق ، ولا يقبل العدالة فى القسمة ، ولا يحسم الخلاف على القوت إلا بالقوة إذا تأسّد ، وبالمراوغة إذا تثعلب . وقد تتفانى الدول وتبقى الأرض ، كما يتفانى الأسود وتبقى الفريسة

والخاسرون فى معركة الحياة هم عبيد الطمع من الأفراد والأمم . يبذلون دماءهم فى سبيل الحياة لا لينعموا بها ، ولكن ليحافظوا عليها . وهم مادة الغذاء فى يد الطبيعة : ترعاهم ليأمنوا ، وتدر عليهم ليسمنوا ؛ فإذا ما تكاثروا وامتلأوا قدمتهم إلى الحياة العامة فكانوا سماد الزرع ليخصب ، وقلامة الشجر ليغلظ !

***

كان الشأن فى الحرب القديمة أن يخرس اللسان والقلم إذا نطق السيف والرمح . وكانت نيرانها المحصورة لا يصلاها إلا المتحاربون ، رجلاً لرجل ، أو فئة لفئة ؛ ولكن هذه الحرب الجديدة فى خططها وعُددها ، قد جندت كل قوة وأوعدت كل حياة : جندت العلم والأدب والفن والصحافة والإذاعة والتمثيل والسينما ، وعبأت الزراع والصناع والتجار والمدنيين والعسكريين والمحايدين والمحاربين والأطفال والشيوخ ، فلم تدع أحداً فى العالم كله يفكر إلا فيها ، ولا يشتغل إلا بها ، ولا يعمل إلا لها ، ولا يألم إلا منها ؛ فكأنها أصبحت المحرك الأول لآلة العيش ، استولت عليه الشياطين فأنتجوا به من أداة الشر ما لم يقع فى سماع التاريخ ولم يخطر ببال الناس ليهلكوا ما ادخرته القرون ، ويهدموا ما شاده الله ! لذلك نما وطما كل ما يمت إلى هذه الحرب بسبب من الإنتاج المادى والفكرى ، وذبل وضؤل منهما ما لا يحارب ولا يدعو .

والأدب فى الحرب القديمة كان تشجيعاً ، ولكنه فى هذه الحرب أصبح دعاية . وقد نفق هذا النوع من الأدب نفوقاً عجيباً فى كل أمة ، لأن الحكومات على اختلافها وائتلافها تتملقه وتتعهده وتنفق عليه . والأدب كالحرب عصبه المال : بفضله يخصب ويزدهر ، وبحوله يتسع وينتشر . أما الأدب الذى لا يحارب ولا يدعو ، فقد ظل كالشعب المحايد ، يعانى الحرمان ولا يد له فيه ، ويقاسى الغلاء ولا ربح له منه

والصحافة الأدبية من هذا النوع ، ألحّ عليها فحش الغلاء وحرمان العوز حتى نحل بدنها وشحب لونها ، وكادت تنبتُّ من فرط الضنى فى وسط الطريق

أصبحت لا تجد الورق إذا وجدت المال ، ولا تملك زيادة العرض إذا ملكت زيادة الطلب ، ولا تضمن بقاء الغد إذا اطمأنت على بقاء اليوم . فإذا قدر الله لها أن تخرج من محنة هذه الحرب وفيها حُشاشة نفس ، كانت حرية بعد ذلك أن تستهين بكل صعب ، وتثبت على كل خطب . ورجاء الرسالة فى الله أن يرزقها من الجلد ما تتماسك به على عَرْك هذه الشدائد . وحسبها من صدق الأمانى أن تعيش حتى ترى الطريق قد استبصر ، والسلام قد استقر ، والأمر قد استقام . ويومئذ يتسع لها المجال فتشارك جاهدة مخلصة فى رأب ما تصدع وتجديد ما تهدم

وإذا كان للرسالة فى مستهلّ هذا العام ما تغتبط به من فوز جهادها ونجاح دعوتها ، فذلك توفيقها فى معالجة الإصلاح الاجتماعى توفيقاً لمست أثره فى منهاج وزارة الشؤون الاجتماعية فى عهد وزيرها القائم بأمرها اليوم . فلقد آتاه الله حزم الحكماء وعزم المصلحين فطوى فؤاده الشهم على نية الإصلاح بالفعل لا بالقول ، فرفع شأن العربية فى دواوين الحكومة ، ومهد السبل المؤدية إلى تنظيم الإحسان وجباية الزكاة ومحاربة الأمية ومطاردة الفقر على نحو يشبه ما نحته الرسالة فى معالجة هذه الشؤون

وأمنية أخرى طالما تمنتها ورددتها الرسالة توشك أن تكون من مقاصد الحكم فى هذا العهد : تلك الأمنية هى الاتحاد العربى على أى صورة يكون . وفى كلام الزعماء ومنطق الحوادث ما يعزز الرجاء فى تحقيق هذا الأمل ؛ وفى توفيق الله وجهاد الصادقين ما يحقق النفع المرجو من هذا العمل

أحمد حسن الزيات

خواطر ليلة الميلاد

للدكتور زكي مبارك

كان لى مع هذه الليلة تواريخ فى القاهرة وباريس ، تواريخ أبدعها الجوّ الطروب أو الجوّ العَبُوس ، فقد كان يتفق فى أحيان كثيرة أن تحمل ليلة الميلاد أكداراً ومنغصات ، لأن الغالب فى البيوت الفرنسية أن يكون الزوجان عاشقين ، وأن تكون نيران النيرة مما يُشَبّ فى ليلة العيد حول « شجرة الميلاد » ، وما أسعدَ من يعيش وهو معذّب بلواذع الوجدان !

ما أذكر مرةً أن تلك الليلة مضت بدون عواصف ، إلا أن تكون فى بيوت فرغ أهلها من مصارعة الأهواء ، وهى فيما عدا ذلك ليلة متاعب وكروب

وهذه الظاهرة هى سرّ جمال هذه الليلة ، فاصطراع العواطف ميلادٌ جديد ، وقد يفعل فعل السِّحر فى إحياء المشاعر والقلوب

كنت أقضى هذه الليلة فى بيوت أعرف من أحوالها أشياء ، فكنت أفهم الرموز والتلاميح ، وكنت أجد التفاسير لبعض دقائق الأدب الفرنسى ، وهو أدبٌ قام على أساس الفهم للسريرة الإنسانية ، وسيعيش إلى أزمان وأزمان ، ما دام فى الدنيا ناسٌ يحبون الأدب الصادق الصريح

ثم جاءت هذه الحرب فقضت فى مصير فرنسا بما قضت ، ولم يبق لأصدقائى الفرنسيين من زاد غير الحزن الوجيع ، فأنا لا أزورهم فى ليلة الميلاد كما كنت أصنع ، ولا ألقاهم إلا فى الحين بعد الحين ، فهناك أحزان تؤرّثها المؤاساة وتزيدها اشتعالاً إلى اشتعال

وهنا أذكر أنى عرفت أخيراً أن سقوط باريس لم يُحزن أهل باريس بقدر ما نتصور ، ولم يشعرهم بمعانى الامتهان . وتفسير ذلك عند الأستاذ توفيق وهبة أنهم قومٌ تعودوا الهزائم والانتصارات ، ولم تكن الدنيا فى أنظارهم غير مواسم للانخفاض والارتفاع

ولكنى مع هذا أقرر أن حال الفرنسيين المقيمين بمصر يختلف عن حال مواطنيهم هناك ، لأن المغترب يتعلق بوطنه تعلقاً لا يحسّه المقيم ، وقد تأكد عندى هذا المعنى فى الأعوام التى قضيتها فى باريس وفى بغداد ، فقد كان الخبر السيء يؤرق نومى مهما صَغُر وهان ، وكان أيّ حرف يُكتب ضد مصر يؤذينى ، فأردّ عليه فى الحال

أكتب هذه السطور فى ليلة الميلاد ، وفى خيالى بيوتٌ عزيزة كنت أحب أن أراها وكانت تحب أن ترانى . وسيقول قومٌ كلاماً كالذى قالوه يوم نشرت « الرسالة » مقالى فى التفجع لسقوط باريس !

كانت فرنسا أمةً استعمارية فشمِت بانهزامها من يؤذيهم بنيُ المستعمرين ، وفاتهم أن فرنسا أعطت جميع الشعوب درساً سينتفعون به حامدين أو جاحدين

كانت فرنسا ترى أن اللغة هى عنوان الأمة ، وكانت ترى أن الوطن الذى لا يسيطر بالفكر على خصومه ومنافسيه وطنٌ ضعيف . ومن أجل هذا أنفقت فرنسا ما أنفقت من الأموال ليكون لها مدارس فى جميع البلاد ، وبفضل هذه العناية صارت اللغة الفرنسية لغةً دولية ، وصار من حق الفرنسى أن يعفى نفسه من العناء فى تعلم اللغات ، لأنه سيجد من يتفاهم معهم بلغته فى أى بلد يتوجه إليه ، ولو فى الصين !

اقترحتُ فى سنة ١٩٣٨ أن نُنشئ مدرسة مصرية تنافس المدرسة الفرنسية فى طهران ، فلم أجد من يسمع كلامى . وأين من يعرف أن فى طهران جريدة إيرانية لغتها الفرنسية ؟

فوجئت يوماً وأنا بدار المعلمين العالية فى بغداد بمجموعات فخمة ضخمة من المؤلفات الفرنسية ، وحين سألت عن مصدرها عرفت أنها هدية مرسلة من باريس

وقد استوحيت هذا الشاهد فاقترحت فيما بعد أن ترسل وزارة المعارف المصرية هدايا من الكتب المكدسة فى المخازن إلى المدارس الأجنبية ، فترددت الوزارة عامين ، ثم تلطفتْ فأهدت مجموعات هزيلة ، مع أن فى مخازنها مجلدات مهجورة ستباع يوماً بلا ميزان ، لأن حراستها وصيانتها تجشمان الوزارة ضروباً من التكاليف .

كانت فرنسا تقول بمبادلة الأساتذة والتلاميذ ، لتعطى وتأخذ ، ولتفيد وتستفيد ، وقد أقامت فى إحدى ضواحى باريس مدينة تبنى فيها أية أمة لأبنائها ما تشاء ، ولقد استفادت أممٌ كثيرة من هذه المزية ، إلا مصر ، ولهذا تفصيلٌ قد يتأذى الشمسى باشا من تسجيله فى هذا الحديث

ونحن اليوم فى أوج صلاتنا مع الشرق ، فعند الشرق مدرسون مصريون يعدّون بالمئات ، ومع هذا لم تفكر مصر فى ردّ الجميل

ما الذى يمنع من أن تستقدم مصر بعض الأساتذة من الشرق ليدرّسوا فى معاهدها العالية بأساليبهم الخواصّ : فهذا فى كلية الآداب ، وذاك فى دار العلوم ، وذلك فى كلية اللغة العربية ، إلى آخر ما يصلح له علماء الشرق ؟

ليس معنى هذا أن مصر فى احتياج إلى مدرسين ، وكيف وفى خريجى المعاهد العالية شبان أكفاء لا يجدون ما أعدوا له من المناصب التعليمية ؟

إن لهذه المسألة وضعاً غير هذا الوضع ، والمراد هو أن تفكر مصر فى إتاحة الفرصة لبعض أساتذة الشرق ، الفرصة التى تمكنهم من الوقوف على التيارات العلمية والأدبية فى الديار المصرية ؛ فمصر اليوم فى ازدهار علمى وأدبى لم تشهد مثله من قبل ، وهو ازدهار يوحى إلى الأساتذة أكثر مما يوحى إلى الطلاب ، وقد يكون فى وجود أولئك الأساتذة فرص لمنافسات علمية وأدبية تعود علينا بأجزل النفع ، وقد يكون فى وجودهم خير للطلبة الذين حضروا إلينا من بلادهم ، فأنا ألاحظ أن أكثر الطلبة الشرقيين لا يجدون من يعاونهم على الاستفادة الصحيحة من الإقامة بهذه البلاد

خطر فى بالى مرة أن أقترح على مشيخة الأزهر الشريف أن تنشئ كرسياً للفقه الجعفرى ، وكان هذا الخاطر لأنى لاحظت أن النضال بين المذاهب الفقهية قد انعدم فى مصر أو كاد ، مع أن لمصر فى التشريع الإسلامى تاريخاً من أمجد التواريخ

إن مناصب « شيوخ المذاهب » صارت مناصب شكلية بسبب السلام الذى ساد بين المذاهب ، وهل نسمع اليوم خبراً عن شيخ الشافعية أو شيخ المالكية ؟

إن النضال بين المذاهب أدى للتفكير الإسلامى خدمات تفوق الإحصاء ، وله فضلٌ عظيم فى مرونة اللغة العربية ، وأكاد أجزم بأن الفقهاء خدموا اللغة أكثر مما خدمها الشعراء

لو استقدمنا عالماً شرقياً لتدريس الفقه الجعفرى بالأزهر لأثرنا النضال بين المذاهب من جديد ، وأعطينا مصر فرصة عظيمة ليقظة فكرية نادرة المثال

إن مصر فى عهدها الحاضر تنشئ تاريخاً جديداً فى الشرق ، وهى فى طريق الوصول إلى عقد معاهدات ثقافية مع أكثر أمم الشرق ، وهذا يوجب عليها أن تعرف الشرق أكثر مما تعرف ، فيكون لها فيه سفراء روحيون ، ويكون عندها منه سفراء روحيون

لو دعونا جماعة من أساتذة الشرق ليحدثونا عما فى بلادهم من تقاليد وآراء وآداب لحمدوا لنا هذا الصنيع ، وعدوه تلطفاً يستحق الثناء

ويظهر أنه لا بد من إنشاء قلم بوزارة الخارجية لمراجعة ما يكتب عن مصر فى جرائد الشرق ، وتكون مهمته المبادرة إلى تصحيح ما يستوجب التصحيح ، وتكون مهمته أيضاً أن يستصدر أعداداً خاصة من بعض جرائد الشرق للتعريف بمصر كالذى تصنع وزارة الخارجية فى استصدار أعداد خاصة من بعض الجرائد الإنجليزية والأمريكية

وهنا أشير إلى حادث ما ذكرته إلا شعرت بالحزن يعصر قلبى فى سنة ١٩٣٩ أصدرت مجلة « الحديث » ومجلة « العرفان » ومجلة « المكشوف » أعداداً خاصة بمصر ، أعداداً نفيسة جدًّا ، ومع هذا لم أستطع إقناع وزارة المعارف بأن تشترى من تلك الأعداد مجموعات لمكتبات المدارس ، ليعرف الذين فكروا فى التنويه بمصر أن كرمهم لا يضيع

وفى تلك الأيام كنت أقترح على الأستاذ الزيات أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن الأمم العربية فرحَّب بالاقتراح وأجَّل تنفيذه إلى انقضاء الصيف ، ثم بدا له بعد ذلك أن يواجه المشروع من جديد ، فصدته أزمة الورق عما يريد

مالى ولهذا الكلام ؟

هذه ليلة الميلاد ، والأثير ينقل إلى سمعى بعض ما يثور فى شوارع مصر الجديدة من عجيج وضجيج ، فكيف آثرتُ الاعتكاف فى هذه الليلة ، وقد تفضل شهر ذى الحجة فجملها قمراء ؟

لعلنى أردت الخلوة إلى قلمي ، وهو الأنس الأنيس عند اعتكار الظلمات فى دياجى الزمان

لعلنى أردت بهذه الخطرات القومية أن أتجنب الخلوة إلى قلبى ، وهو عدوٌّ صديق

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوًّا لهُ ما من صداقته بُدُّ

قضيت ما قضيت من حياتى فى دراسة الجمال ، حيثما كان الجمال ، فأنا لا أضيف حرفاً إلى حرف إلا بميزان ، وأنا أصادق وأعادى بوحى الذوق لا بوحى النفع ، وما الموجب لأن أكون نفعيًّا وقد أغنانى الله عن جميع الخلائق ، ولم أعرف ما الظمأ والجوع فى أى يوم ، ولا جاز فى وهمي أن أتصور أن الله قد يتخلى عنى ؟ لى صداقات كثيرة مع أرواح تنطق بالأوراق لا بالألفاظ ،

وأقسم جهد اليمين أن بحديقة دارى فى سنتريس أشجاراً يعتريها الذبول إن صدفتُ عنها أسابيع

لى صديق هو اليوم أحد مدرسى الفلسفة بكلية الآداب ، وهو الأستاذ محمود الخضيرى ، وكان لى معه حديث فى « ايسكوار مونج » فى نوفبر سنة ١٩٣٠ ، فما ذلك الحديث ؟[1]

كنت أجلس فى بعض الضحوات « بذلك الإيسكوار » ، وهو حديقة الحيّ فى الاصطلاح الفرنسى ، كنت أجلس تحت شجرة يؤنسها أن ترى رجلاً بيده كتاب ، وكان أصدقائى من بعثة الجامعة المصرية يعرفون كيف يلقوننى هناك . وفى ذات يوم حضر الأستاذ محمود الخضيرى فوجدنى أجادل رجلاً يحاول تشذيب تلك الشجرة بعنف ، فأنكر علىّ ما أصنع ، فقلت إن الشجرة تصرخ ، ومن واجب من استظل بظلها أن يدفع عنها العدوان . فقال : وهل يحس الشجر والنبات ؟ فقلت : نعم ، ويتألم الشجر والنبات كما يتألم الحيوان !

وبعد شهور حدّثتنا جرائد باريس أن جلالة الملك فؤاد قد استقدم عالماً هنديًا اسمه « بوز » ليلقى فى الجمعية الجغرافية محاضرات عن نظريته فى إحساس النبات !

إحساسى بالوجود هو سبب عنائى ، ولو عرف الناس هـذا العناء لقاتلونى عليه ، فهو أطيب الأطايب فى ثمرات الحياة

لم أدخل بلداً إلا أحببته أصدق الحب ، لأنى أرى بضميرى وجه الله فى كل مكان . وما صادقت إنساناً وغدرت به أبداً ، لأنى أرى الصداقة من أظهر الدلائل على صحة القول بوحدة الوجود

وأنا أترحم وأتحسّر وأتفجع كلما رأيت إنساناً يكذب أو ينافق في سبيل العيش ، فالموت الذى يخافه الناس لن يصل يوماً عن طريق الجوع . ولو نظر الناس فى أسباب أمراضهم لوجدوها ترجع إلى الإفراط فى الطعام والشراب ولو كانوا من الفقراء

ثم ماذا ؟ ثم يبقى جواب الخطاب الوارد من « الأرمان » فـماذا يريد ذلك الخطاب ؟

هو يريد أن تكون مقالاتى كلها على غرار « دار الهوى فى عيد القمر » ، فأين أنا مما يريد ؟ وأين الأعصاب التى تستطيع تدبيج تلك الأحاسيس فى كل أسبوع ؟

أمام عينىّ وبين يدىّ أرواحٌ موقودة هى المقالات التى سطرتها بدمي ، ولا أستطيع نشرها بأى حال ، لأنها تخالف المألوف من تقاليد هذا الزمان

ثم يحاسبنى ذلك الخطاب على هفوات قلمى ، كأنه يجهل أنى أمتشق القلم فى كل مساء ، وأنى أراود أبكار المعانى فى يقظتى ومنامى

أما بعـد فهذه ليلة الميلاد ، وقد قضيتُها وحيداً فريداً لأتقى الله فى نفسى فلا أعرضها لشواجر الأرواح وعواطف القلوب

وقد بقيتْ ليلة ستأتى بعد ليال ، وهى ليلة العام الجديد ، وأغلب الظن أنى سأحرّم نعيمها على نفسى ، لأنى نذرت التبتل بعد فراق من تلقيت عنهم وحى الروح فى اللحظة التى تفصِل بين العام الذاهب والعام الوليد

ما جزَعى على ما مضى من أيامى ، ولم يعش أحد كما عشت ، ولا استجاب الوجود لنداء شاعر كما استجاب لندائى ؟

ماذا صنع الدهر بهم ؟ ماذا صنع ؟

إن دنياى بعدهم وهمٌ فى وهم ، وخيالٌ فى خيال ، ولن أتذوّق طِيب الحياة إلا بعد أن يصفحوا عنى

إن ذنبى عندهم أنى صيرت حياتهم أفانين من الارتياع والانزعاج ... فهل يجهلون ما صنعوا بحياتى ؟ وهل يجهلون أن الجروح قِصاص ؟

قد كان لى قبلكم حبٌّ وكنت فـتى
لظل سلطانهِ أهلُ الهوى تَبَـعُ
فـكيف أشقيتمونى كيف لا رَضِيَتْ
ولا أرتنى الليـالى كيف أرتدعُ
هَبُوا فؤادى سـلا واجتاز محنتهُ
فمن بسلوة قلب الصب ينتفع
يا غاضبين تمالوْا تشهدوا كبداً رجاؤها فى خيال البرء منقطع
هوًى تهاوت أمانيه فليس لهُ فيما تجود به الأوهام مُنتفَع
هوًى خلقتم وأفنيتم ، ولا عجبٌ
بعض الأحباء فى قتل الهوى صَنَعُ
لا تحسبوا هجركم خطباً يروّعنى إنى بوأد بنات الدهر مضطلعُ

زكى مبارك

(١) فى حى السيدة زينب درب صغير اسمه « حارة منجى » ، ومنجى الذى سميت باسمه تلك الحارة هو « Monge » أحد الأساتذة الذين قدموا مصر مع حملة بونابرت

أيها الأصحاء...

للأستاذ راشد رستم

ها أنتم أولاء تمرحون وتلعبون ، تستنشقون عبير الأزاهير والرياحين من الرياض وبين الغياض ، وتستبدلون كما تشاؤون مكاناً بمكان ، وتستلذون طيب العيش ، وتسكنون بيوتاً جملتموها كما تريدون ، وتستطيبون ألوان الراحة ومباهج الحياة ، وترقبون شؤون دنياكم في رغبة ونشاط ونظام ، وقد تصعدون إلى السماء فتطيرون تقضون مآربكم مجالاً - وهكذا تروحون وتغدون ، أحراراً صحاحاً خفافاً كراما ...

جعل الله أيامكم كلها هكذا دواما

* * *

والآن . ألا تقفون قليلاً !

نعم قليلاً . سائلوا ذلك الذي يناديكم ، فإنه لا يبغي منكم تغييراً وتبديلاً ، وإنما يطلب لكم صحة وسلاما ، ثم يهمس في صوت خافت لين صريح ساذج ...

* * *

أيها الأصحاء ! زوروا عيادات الأطباء ...

زوروها واجلسوا في ركن منها هادئين

اذهبوا إليها في ساعة تختارونها ، ولتكن هي الساعة التي تحارون كيف تقضونها .. تلك الساعة التي تتكرر كثيراً وكثيراً لذوي الوفرة في الجاه ، والوفرة في الفراغ ، والوفرة في المال

* * *

هنالك في تلك الساعة تعلمون أن المرض شيء من الحياة ، وأن في العالم مرضى ، وأنكم أنتم الأصحاء ...

فإذا جاءكم الطبيب يسألكم عما تشكون وما تريدون ، فقولوا له القول الصريح ، القول الصحيح - « إنما نحن أصحاء ، جئنا إلى هنا لكي نبقى أصحاء ، وإنا لا نشكو مرضاً ولا نريد شيئاً كما لا نريد أن نشكو شيئاً أبداً »

* * *

ثم تحولوا قليلاً ، وزوروا المستشفيات والمصحات ، لا تسألوا المرضى عن أمراضهم ، ولا الأطباء عن مرضاهم ، ولا الممرضات عن أعمالهن ، ولكن انظروا إلى المرضى في حالاتهم ، ولاحظوا يقظاتهم ورقداتهم ، واسمعوا في صبر آهاتهم وأناتهم . راقبوا في عطف أهلهم وزوارهم . انظروا إلى طعامهم وشرابهم ولباسهم ، ولا تنزعجوا خائفين ، ولا تسرعوا هاربين ، إذ هناك تعلمون وتعلمون حقاً أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء ، وأنها هي الحياة ، وأنكم أنتم الأصحاء ...

* * *

ثم اخرجوا آمنين ، واهدأوا مطمئنين ، وجانبوا الناس قليلاً سالمين . ثم اسكنوا إلى أنفسكم خاشعين . كل ذلك وأنتم في يقظة عالية وإحساس رفيع . اجلسوا ساعة أو بعض ساعة في النجوى صامتين : ساعة صلاة وحمد وتسبيح ، ثم اجعلوها كذلك ساعة ذكرى دائمة الذكرى ، فإن نعمة الصحة قد لا تدوم ، وهي كالشباب لا يعرف فضلها إلا من فقدها . فأحيوا تلك الساعة بمظهر من مظاهر العطف والعاطفة ، إحساناً بإحسان ، وزكاة عن الصحة والعافية

ثم عودوا إلى لهو الحياة إن شاء الله آمنين أصحاء دائمين ...

* * *

إن العواطف لا يدركها إلا المنكوبون

والرحمة لا تدخل القلب إلا إذا كان القلب يرى

وإن أبصر الناس من يرى بقلبه

وأرحمهم من يبكي بقلبه

وأصحهم من سلم في قلبه

(لوكاندة بحيرة قارون) راشد رستم

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٤٢ في القضية رقم ١٧٥٢ سنة ١٩٤١ بتغريم عبد الرحمن محمد الموجي الخفير بشركة شل بيردين جنيه لبيعه غاز بأزيد من التسعيره

حكمت محكمة الغرقية العسكرية بتاريخ ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٢ في القضية رقم ٤٩٢ . سنة ٩٤٢ بتغريم محمد اسماعيل حسن التاجر بالسنيطة جنيهين لبيعه ادرة بأزيد من التسعيره

خطرات شاعر

ليلة عيد الميلاد

للأستاذ على محمود طه

إسمعى أيتها الروحُ ! أفى الكون غِناء
وانظرى ... هل فى نواحى الأرض بالليل ضياء ؟
لا تُراعِى إنْ يكنْ قصَّر عنكِ البشراء
فالنواقيس التى حيَّتْكِ أشجاها القضاء
الشَّجى رَجْعُ صداها والأسى والبُرَحاء
والتراتيلُ من البِيعةِ نوحٌ وبكاء
رددتْهنَّ الثكالى واليتامى الشهداء
والمصابيحُ التى كان بها يُزْهى السماء
خنقتها قبضةُ الشرِّ فما فيها ذَماء
صبغوها بسوادٍ فهىَ والليلُ سواء
مأتمٌ للنور قام الويلُ فيه والشقاء
تحت ليلٍ ما له بدء ، ولا منهُ انتهاء
أيها المبعوث ، لا ضَنَّتْ بِرُجعاكَ السماء
إنظرِ الأرضَ ... فهل فى الأرض حبٌّ وإخاء ؟
نسىَ القوم وصاياك وضلوا وأساءوا !
وكما باعوك يا منقذُ بِيعَ الأبرياء ! !

***

ليلةَ الميلاد ، والدنيا دموعٌ ودماء
فى ربوعٍ كان فيها لك بالسلم ازدهاء
باسمه يشدو الفنون ويشدو الشعراء
أين ولت هذه الفرحة ؟ أم أين الصفاء ؟
لم تصافحك من الأطفال أحلامٌ وِضاء
رقدوا غيرَ عيونٍ رِيعَ منهن الفضاء
ترقب الآباء ، هل عادوا ؟ وهل حان اللقاء ؟
بين أيدى أمهات ، بِتنَ ، والليل جفاء
فى طوايا النفس يبكين وقد عز الرجاء !
ويحهم أين تُراهم ، هؤلاء التعساء ؟
هم وراء الليل أجسادٌ وأرواح هباء
ووجوهٌ رسم الرعبُ عليها ما يشاء .

خندقوا في مأزقِ الموتِ وما منه نجاء
بين موج من سعير يتوقَّاه الفناء
وجبالٍ من رُكام الثلج يُرسيها الشتاء
وحديدٍ طائرٍ يحذر مسراه الهواء
وعجيبٌ ! فيمَ للموت يساق الأشقياء ؟
فى سبيل الحقِّ ؟ والحق لدى القوم طلاء !
فى سبيل المجد ؟ والمجد من البغى بَراء !
أوَ فى الجزرة الكبرى تنال المجدَ شاء ؟
كذب الباغى وللسيف بكفَّيه مَضاء
وخداعٌ كل ما قال ، وزورٌ وافتراء ! !

***

أيها الشرق الذى خصَّته بالرُّوح السماء
هذه الروح التى شِيدَ بكفيها البناء
والتى من نورها العالم يُجلى ويُضاء
يا أبا الحكمة ، لا هان عليك الحكماء !
ناد « أوربا » فقد ينفعها منك النداء :
دِنْتِ بالقوة حتى صَرَعَتْكِ الكبرياء
حانتِ الساعةُ يا أختاه أم حقَّ الجزاء ؟
أرقصى فى النار ، أنتِ اليوم للنار غذاء
واشربى فى حانة الشيطان ما فاض الإناء
حانة للموت فيها من دم القتلى انتشاء
نادمى من شئت فيها ، فالمنايا الندماء
فارفعى الكأس وغنّى وعلى الدنيا العفاء !

***

يا قويا لم يَهُنْ يوماً عليه الضعفاء
وضعيفاً واسمه يُصرع منه الأقوياء
وأنا المسلم لا يُجحد عندى الأنبياء
أنت فى القرآن حب وجمالٌ ونقاء
عجبٌ يفديك الشقى ! وفى القول عزاء !
ألهذا العالم الشرِّير ؟ قد ضاع الفداء !

كلمــة عن التلباثي

للدكتور رمزي مفتاح

كتب الأستاذ العقاد مقالاً عن التلباثى ؛ وليس قصدنا أن نناقشه فيما كتب أو نوضح من هذا العلم الغامض . ولكننا نلخص الموضوع باختصار شديد فنقول :

١ – ليس معنى التلباثى هو Vision أو الرؤية عن بعد ، وليس هو من المكاشفة ، ولكنه : (ا) انتقال إحساس قوى ، أو انتقال فكرة واحدة مجردة ؛ فقد تشعر الأم بوقوع ابنها فى حريق وهى بعيدة عنه . وقد يحس الابن ضيقاً وكرباً وأبوه يناديه وهو على فراش الموت وبينهما بحار وأقطار .

(ب) تبادل الأفكار الذى يكون بين اثنين من المشتغلين بهذا العلم ، ويتم بعد تدريب طويل بالطرق العلمية

(ج) إرسال فكرة أو أمر من فرد إلى آخر ؛ وتقتضى أن يكون الأول عالماً بعلم النفس الحديث ومتدرباً على التأثير من بُعد

٢ – يمكن الوسيط المغنطيسى أن يرى أو يسمع أو يقرأ عن بعد ، وقد نجح وسيطنا فى هـذه التجارب . أما الحاصلون على هذه الموهبة وهم فى حالتهم العادية فعددهم فرد واحد فى كل أربعة ملايين

فلو كان المقاتلون قد سمعوا صوت عمر وهم مئات ، ولو كان ذلك قد تم بواسطة التلباثى ، لاقتضى الأمر أن يكونوا كلهم موهوبين أو وسطاء وهو ما لا يعقل . والحقيقة أنه هو الموهوب وحده ، وأن هذه الظاهرة ليست تلباثى . أما فى المثالين المذكورين في (ا) وما يشبهها فلا تسمع فيها الأصوات . ويلزم أن يكون بين الفردين صلة أبوة أو زواج ويكون مرسل الرسالة وقد انطلق عقله الباطن من عقاله فى سكرة الموت أو فى توقعه

٣ – أما الرؤية من بعد فنقسمها قسمين :

الأول : أن يراك غيرك وهو بعيد

والثانى : أن تنظر غيرك

فالأول كان يسمى قديماً إرسال المثال الكوكبى The Astral Person ، وهو من أعقد المباحث العلمية . وخلاصته أنه يمكن أحد الموهوبين – وهم بنسبة فرد فى كل ١٠٠ مليون فى المدن ، وفرد فى كل مليون فى البدو – أن يرسل طيفه المثالى إلى أى مكان حيث لا يرى فى ضوء النهار ، ولكن قد يسمع صوته ؛ ويرى فى الغبش أو الليل على صورة المرسل ضباباً متجمعاً . والهنود يسمون هذا الضباب Prana ويسميه العلماء الأقدمون أطياف الأثير ، وهم جميعاً يعتقدون أنها ذرات كونية تتجمع وتكوّن شكلا خاصاً بتأثير قوة خاصة ليست مجهولة منا الآن . وقليل من علماء النفس الحديثين من يعرف أن هذا الضباب مكون من ذرات الأشعة الكونية Milika's Cosmic Rays وهى التى كان العالم مسمر Mesmer الشهير يسميها السيال المغنطيسى الكوكبى . وإنه لمطلب عجيب نمسك الآن عن البحث فيه . وبالقدرة على إظهار الطيف الكوكبى يمكن أن ترى رجلاً تعرفه يمشى على الماء وتسمع صوته

القسم الثانى يختص بالوسطاء المغنطيسيين أو الموهوبين كما بينا . والوسيط أو الموهوب يرى ولكن الآخر لا يراه ولا يشعر به . وتسمى هذه الظاهرة Clairvoyance وهو موضوع آخر بالمرة غير التلباثى الذى ذكره الأستاذ . ومن أمثلته عند العرب زرقاء اليمامة

٤ – سماع الأصوات عن بُعد ويسمي Clairaudience وهو موضوع آخر غير التلباثى وهو الذى يقال فيه إن فلاناً يسمع الهاتف . وكل هذه الظاهرات من قوى الوسيط المغنطيسى أو الروحانى الموهوب – وكذلك لا يسمعه الطرف الآخر

٥ – كل مقال الأستاذ العقاد منصب على إثبات وجود التلباثى بأدلة منطقية قياسية . وقد فرغ العلماء من إثباته منذ أكثر من ٨٥ سنة . وتدرس هذه العلوم كدراسات عليا فى جامعات انجلترا الكبرى . ومحاولة الأستاذ إثباتها كمن يحاول إثبات وجود أشعة إكس بالاستنتاج . وقد صدر فى أمريكا وأوربا فى السنوات العشر الأخيرة نحو ألف كتاب فيها مباحث عن التلباثى والعقل الباطن

(مصر الجديدة) **رمزى مفتاح**

حكم فى القضية ١٨٣٨٥ سنة ٩٤٢ الأزبكية ضد سوزان مافرا بغرامة ٥٠ قرش ونشر الحكم وتعليقه لأنها باعتبارها مديرة محل عمومى بنسيون لم تعلق عن الأسعار وعن النسبة المئوية التى تضف إليها

« توبال قايين » أو :

معجزة الحـــديد

للشاعر الانجليزى تشارلس ماكاى

للأستاذ محمود عزت عرفة

[وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس]
سورة الحديد : الآية ٢٥

[وصلة أيضاً ولدت توبال قايين الضارب كل آلة
من نحاس وحديد] سفر التكوين ٤ : ٢٢

تقدمة

كانت قصص الكِتاب المقدس — وما تزال — مصدر وحى عميق لكُتّاب الغرب وشعرائه ؛ فهى قد تركت بسهولة تعبيرها وبلاغة حكمتها ودقة تصورها ، أثراً بالغاً وسِمَةً واضحة الظهور فى تفكير القوم وفى أسلوبهم ؛ كما ترك القرآن الكريم أثره البالغ الخالد فى مختلف علوم اللغة العربية وآدابها ...

وهذه حقائق لا يتسع المقام هنا لشرحها . على أن فى قصائد : مَهْلِك جند سَنْحاريب ، ورؤيا الملك بَيْلْشاصّر ، ومرثية داوُد لابنه أَبْشالُوم[1] وغيرها وغيرها من نفائس الأدب الإنجليزى ، ما يعتبر دليلاً واضحاً على صحة ما أشرنا إليه آنفاً ... والقصيدة التى نترجمها اليوم مما يدخل فى هذا الباب .

وهى من نظم الشاعر الإنجليزى تشارلز ماكاى Charles Mackay الذى عاش بين عامى ١٨١٤ ، ١٨٨٩م ؛ وقد اشتهر بمقطوعاته الغنائية الرائعة ، كما أنه ساهم فى تحرير كثير من الصحف الصادرة على عهده ، فى انجلترا واسكتلندا . وقد ورد فى (معجم السِّيَر القومى : D. N. B.) البريطانى أن هذه القصيدة نشرت لأول مرة فى صحيفة « لندن المصورة » عام ١٨٥١م . ولكن

(١) القصيدتان الأولى والثانية للشاعر الانجليزى لورد بيرون (١٧٨٨ — ١٨٢٤م) والثالثة من نظم الشاعر الأميركى ن . ب . ويليس (١٨٠٦ — ١٨٦٧م) . ويجد القارئ قصة سنحاريب ملك آشور فى سفر الملوك الثانى ، ووليمة يلشاصر وما حدث فيها فى سفر دَانيال ، أما حديث داود وابنه أبشالوم ففى سفر صموئيل الثانى ؛ وكلها من العهد القديم

المحقق الإنجليزى س . ب . هويلر يقول إنه لم يعثر عليها فى هذا المصدر ، وإنها نشرت لأول مرة عام ١٨٥٦م ضمن ديوان للشاعر عنوانه : أغانى وأناشيد شعرية .

ترجمة القصيدة

عاش توبال قايين[1] فى بدء الحياة والكون طفل يحبو ؛ وكان قيناً صَناعاً ذا أيدٍ وقوة ، لا ينفك لمطرقته دوىٌ ولأتُونه لهيب ولظى ... كان يرفع مطرقته بساعده القوى المفتول ويهوى بها على الحديد الأحمر الوهاج ، فيترامى من حوله الشرر كأنه شآبيب المطر الأرجوانى . وما يزال حتى يستوى الحديد أمامه سيفاً قاطعاً أو سناناً لامعاً ، وإذ ذاك يصيح من قلب جذلان : ألا بورك فى هــذه من صنعة بورك فى تلك الظُّبا وهاتيك الشّبا ! بورك لمن هزَّ مشرفياً أو اعتقل ردينيا فبهذين تمتلك النواصى ، وتُستدنَى الآمال القواصى !

وكانت الرجال ما تنفك تَهوى من كل فج إلى توبال قايين وهو على عمله عاكف يلتمس كلٌ لنفسه سيفاً جُرازاً أو نصلاً قاطعاً ، ليحقق فى الحياة مأرباً أو يحتاز رغبة . فكان يمدُّهم من السلاح بأنفذه ومن العُدة بأقواها ، حتى ليهتفون باسمه فى نشوة من السرور ، ويغمرونه بعطاياهم من نفائس النضار وكرائم الجوهر ، وهم يقولون : ألا بورك فيك يا توبال قايين ؛ يا من تسبغ علينا من القوة لَبُوساً ، ومن البأس سرابيل ودروعاً

بورك فى القين وبورك فى النار ! بورك فى الحديد ذى البأس الشديد !

على أن خاطراً لجائياً احتل موطنه — فى إحدى الليالى — من قلب توبال قايين ، لجاشت نفسه بالألم الممض ، وامتلأ صدره من الكمد الموجع والهم القمد المقيم على ما قدم من الشر وأسلف من سوء الصنيع !

رأى الناس قد أذكوا فيما بينهم نار حرب عوان ، بدافع من نزوات الغضب ونفثات الحقد ؛ وخضبوا وجه الأرض بمسفوح الدم ، فى لحظات من جنونهم ونشوات نفوسهم العوارم ، فصاح من قلب مفجَّع منكوء :

وا أسفاه على ما قدمت يداى ! وتعساً لتلك المهارة التى

(١) توبال بن لامك (من زوجته صلة) بن متوشائيل بن محويائيل ابن عيراد بن حنوك بن قايين بن آدم — أنظر الاصحاح الرابع من سفر التكوين . وقايين هو المسمى عند العرب بقابيل الذى طوعت له نفسه قتل أخيه هابيل فقتله . وقد وردت قصة الأخوين فى أوائل سورة المائدة

علاقة شوقي باللبنانيين في نظر الدكتور مبارك

للأســتاذ نجيب شاهين

قال شـوقي في يوبيله إنه يهتدى بهدى المتنبى فى أدبه واعترف له بالسبق اعتراف أبي العلاء به قبله

وشوق فى ملتى واعتقادى — كلتى أبى العلاء — أعظم شاعر بعد أبى الطيب بغير استثناء ، ولا يخرج من هذا الاستثناء أبو العلاء . وله مواقف لم يقفها المتنبى نفسه بل سائر من سبقه

هذا هو رأيي وقد أكون مغالياً ، ويكون سبب هذه المغالاة لوثة باطنية ممـا اصطلحوا عليه بلفظة ذاتية ، وأكون مخالفاً فيها لجهرة غالبة من أهل الرأى في الأدب والشعر وما يشتق عنهما . وقد أكون مصيباً ، وفوق كل ذى علم عليم

جالست حافظاً حقبة من العمر فى القهوة المناوحة « لدار الـكتب الملكية » فى باب الخلق كنت أوافيه فيها أياماً من الأسبوع وكلانا يدخن فيها نارجيلته ، وكان حافظ هو المتكلم فى الغالب ، وكنت أنا السامع كعادته مع أصحابه ، وكان أثناء بساطته (مباسطته) يمزح دائماً للمتنبى مفضلاً عليه البحترى ناسباً انتصار الشاميين له إلى كونه شامياً مثلهم . ولم يكن كذلك تماماً لأنه ولد فى بادية الشام وطوف فى الشام ومصر وعاد إلى الشمال فمدح سيف الدولة الحمدانى هناك ، ثم هبط إلى طرابلس (الشام طبعاً) فى أواسط الشام وأنشد فيها بعض مدائحه ، ورحل إلى دمشق فأنشد فيها قصيدته الشينية على ثقلها ، وانتقل إلى فلسطين فمدح بدر بن عمار وقال فيه قصائده ومنها القصيدة المشهورة التى وصف فيهـا قنصه للأسود على ضفاف الأردن وبحيرة طبرية . ومنها يستدل على وجود الأسود هناك حينئذ مع أنها انقرضت الآن . وتنقله الـكثير هذا بين الشام ومصر جاء مصدقاً لبيته الذى يقول فيه :

بأى بلاد لم أجرّ ذؤابتى   وأىّ مكان لم تطأهُ ركائبى

فإن كان الشام وطناً له فقد كان وطناً ثانياً ، وهل أقول إنه كان دخيلاً فيه !

وكان يعرض لنـا فى مجلسنا ذكر شوق طبعاً ، فإذا ذكره بعض حساده بسوء وولغوا فى ذمه تصريحاً أو تعريضاً لم يشاركهم حافظ ولم يردهم ، بل كان يلقى لهم الحبل على الغارب تساهلاً

هيأت لهؤلاء القوم من آلات التخريب ومعدات الدمار ما تمادوا به فى تقتيل أنفسهم ؛ حتى اقتضبوا طويل أعمارهم ، وخربوا معمور ديارهم !

وقضى توبال قايين أياماً طوالاً يقض مضجعه التفـكير فى محنته ، وقد أمسكتا[1] يداه عن العمل ، فما إن تطرقان قضيباً أو تضرمان لهيباً

وإنه لـكذلك ، إذ نهض ذات يوم بوجه متهلل ضحوك ، وعينين ملتمعتين ببريق الرجاء والأمل ، وشمر عن ساعده المفتول ليستأنف عمله من جديد ؛ بينا ارتفع لهيب أتونه المضطرم فى الجو عالياً ، وترامى الهواء من حوله بشرر كالقصر[2]

وراح توبال قايين يغنى وهو يعمل قائلاً : ألا بورك فى هذه من صنعة ... فما للسيوف دون غيرها نصقل الحديد أو نطرق المعدن . وأنتم فى هذه اللحظة عمل أول سكة لمحراث !

وكان الناس قد لقنوا الحـكمة من ماضيهم ، فتصالحت أيمانهم على عهد من المودة وثيق ؛ ثم أغمدوا سيوفهم وركزوا رماحهم وأقبلوا على الأرض المدرّة المعطاء يفلحونها ويجنون يانع ثمراتها وهم يغنون :

لنشكر جميعاً صديقنا الطيب توبال قايين ، هـذا الذى حقن دماءنا وحفظ ذماءنا ؛ ولنتقدم إليه من الحمد بأبلغه ومن الثناء بأجزله على ما أولانا من صنعة هذا المحراث النافع

على أنه إن ترفع الفتنة يوماً رأسها ، أو يطمع فى السيطرة علينا طاغية متجبر ؛ فلنـكن مع شكرنا له على الانتفاع بمحراثه ، غير جاحدين له مزية الدفاع بسيفه .

(جرجا)   محمود عزت عرفة

---

(١) قد يحمل إبراز ضمير الفاعل قبل الاسم الظاهر هنا ، على الرغبة فى إحكام نغمة التركيب . كما يعد من أسباب ذلك أيضاً زيادة (إن) بين ما النافية والفعل المضارع بعدها (تطرقان)

(٢) أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها ؛ أو كالقصر جمع قصرة — كجمر وجمرة — وهى الشجرة الغليظة . وقرىء كالقصر بفتحتين ، وهى أعناق الابل أو أعناق النخل واحدتها قصرة كشجرة . وقرىء بأوجه أخرى انظرها فى تفسير الـكشاف للامام الزمخشرى : سورة المرسلات

وتهويناً لا تشجيعاً لأنه كان من أشد المعجبين بشوقى حقاً

أجىء الآن إلى تعليل قول الدكتور مبارك إن شوقى تغنى بالمسيح إيفاء لمتأخرات دين عليه للسوريين؛ وهو تعليل واه، لأن أعظم إشادة لشوقى بالسيد المسيح احتوتها قصيدته الهمزية التى نظمها فى أواخر القرن الماضى وألقاها فى مؤتمر جنيف سنة ١٨٩٤ أى منذ نحو نصف قرن، وفيها:

ولد الرفق يوم مولد عيسى — والمروءات والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت — بسناه من الثرى الأرجاء
وسرت آية المسيح كما يسرى — من البحر فى الوجود الضياء
تملأ الأرض والعوالم نوراً — فالثرى مائج بها وضاء
لا وعيد، لا صولة، لا انتقام — لا حسام، لا غزوة، لا دماء

لم يكن شوقى حينئذ قد اشتهر ولا عرف الشام أو عرفه أهله وسمع به أدباؤه وشعراؤه. وكانت بضاعته قليلة على سمو نوعها، ورأس ماله صغيراً، ولا دين له أو عليه يوفى به دائنيه. فليس تعليل الدكتور بحاو شيئاً من حسن التعليل. وكنت قد عللت مدائحه للمسيح بقراءته للتوراة والإنجيل قراءة دارس لها شأن كل أديب شاعر بلغ من الأدب شأواً رفيعاً ولا سيما أن الأدباء الغربيين متفقون على القول أن سفر النبىّ أشعياء فى التوراة قطعة راقية من النثر الشعرى بالعبرية، فرأى شوقى من الغضاضة عليه كشاعر فحل ألا يلم بذلك السفر. ويعرف ما يحويه كأدباء الغرب وكما يناسب مقامه كشاعر شرقى من الطراز المعلم

والظاهر أنه قرأ سفر أشعياء، وما ورد فى قصيدته الأندلسية الميمية مقتبس منه. فقد جاء فيها قوله:

عيسى سبيلك رحمة ومحبة — فى العالمين وعصمة وسلام
ما كنت سفاك الدماء ولا امرأ — هان الضعاف عليه والأيتام
يا حامل الآلام عن هذا الورى — كثرت عليه باسمك الآلام

فهذا البيت الأخير مقتبس من قول أشعياء فى نبوءته عن المسيح: « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها . . . وعبدى البار يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها . . . ولقد حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين »

ولست أذكر: أقال شوقى « يا حامل الآلام » أم « يا حامل الآثام » وكلا القولين واحد لأنه كُنّى بالآلام على الصليب فى اعتقاد المسيحيين عن آثامهم الموروثة عن آدم الأول. ويقول علماء المسيحية إن أشعياء تكلم عن المسيح بروح النبوة قبل مجىء المسيح بما يقرب من ألف سنة

بهذا الاتفاق فى قول أشعياء وشوقى يبعد أن يكون توارد خواطر بينهما

وإذا تغنى لبنانى بشعر شوقى فللسبب الذى يتغنى بشعر المتنبى اللبنانى وشوقى، لا لجامعة جنسية أو دينية بين الثلاثة، بل بجامعة الأدب التى لا تميز بين الأديان والأوطان والتى من أجلها قدم امرؤ القيس النصرانى على غيره من شعراء الجاهلية، وسوى بين الفرزدق وجرير المسلمين والأخطل النصرانى فى الدولة الأموية. وفتح لبنان أبوابه مرحباً بشوقى، وفتح أدباء مصر صدورهم لشبلى الملاط والأخطل الصغير

نجيب شاهين

وحى العام الجديد

المصباح الأحمر

للأستاذ محمود الشرقاوى

هأنذا أعود إليك . أيها المصباح الأحمر !

أعود إليك يا مصباحى الأحمر ولكنى إنسان جديد .

ها أنت ذا كما كنت . يسطع نورك على قرطاسى ويغمر وجهى وأشعر بدفئك الرقيق يلمس جبينى فى برد هذا الليل . هذا هو الليل الساكن والدهر يحبو إلى عام جديد . وهذا نورك فى غرفتى وبهجة لونك ، هذا كل شىء كما كان ، ولكنى أنا إنسان جديد .

إنى أكاد أشعر منك بالحياة يا مصباحى الأحمر ويخيل لى أنك تهمس وأنك تناجى وتذكر ، لا بل إنك تنبض وتخفق أو تكاد تنطق .

إنى أحس ما تريد أن تهمس وأن تقول ، وإنى أناجيك به وحدك وقد سكن الليل كأنما الليل وظلامه قد سكنا إلى النوم كما نام السعداء من الناس ؛ لم يبق سواك وسواى يقظان .

لا تسلنى أيها المصباح الأحمر فسأحدثك ، وحديثى لك وحدك . لم يبق من يستمع حديثى ويصغى . لقد كنت منذ سنين شاهدى وسميرى حين أكتب إلى من أعزهم ، وكنت تبهج مكاني ويغمر جبينى دفئك فى برد هذا الليل ، كما يغمر قلبى ويشمل كيانى الفرح الشامل السعيد حين أكتب لمن أحب . وحين يغمر قلبي ويغمر كيانى ذلك الفرح الهادىء البهيج والنشوة التى تكاد تحملنى فأخف معها وأنا أتلو رسائل من أحب، أسترجعها وأتلوها وأقف عند كل حرف فيها أستوحيه وأشعر منه بالسعادة وباللذة لا تساوى عندى الدنيا كلها رسالةً منها .

كنتَ شاهدى وسميرى أكاد أحسّ فرحتك معى وبهجة نورك من بهجتى ومن نور قلبى ، والآن أنت وحدك الذى أخاطب وأنت الشاهد والغائب ، فقد ذهب العزيزان ولم يبق لى سواك مَن يصغى .

لا تسلنى أيها المصباح الأحمر عن رسائل الثلاثاء من كل أسبوع ، ولا عن رسائل الأحد من كل أسبوعين ، ولا عن رسائل الغائب البعيد من وراء البحار

إنك تعرف وتذكر من أمسياتى ومن ليالىَّ هذه الساعات الطويلة يتبع بعضها بعضاً وأنت تفيض بالدفء على جبينى وبالنور على وجهى وقرطاسى وأنا مستغرق كما يستغرق الصوفى غيبوبة السعادة والمناجاة والتوجه ، وهذه السطور والكلمات تلتوى وتنحدر ولا أشعر كيف تكتب ولا كيف يجرى بها قلمى ، ولكنى أعرف كيف يمتلىء بها كيانى وكيف يفيض بها قلبي وكيف يتحرق بها دمى . والليل ساج وليس من ساهر سواك وسواى ، وأنا بالغيبوبة سعيد وبالليل سعيد

لقد ذهب العزيزان أيها المصباح فماذا أبقيا لقلبى ؟

فرحت بهما حيناً من الدهر وأحببتهما الدهر كله وأقمت منهما وبهما القصور الشوامخ من الرجاء ومن بهيج الأمل ، وكنت شاهدى وسميرى حين أكتب إليهما فى سكون الليل فأشد من عزم أحدهما وأهون له الأمور الصعاب أمنية بالرجاء والأمل ، وأضع حياتى وقوتى وكدح نهارى وسهد ليلى له وحده ، إنه أخى

وكنت شاهدى وسميرى حين أكتب إلى أحدهما أقوّيه وأحييه وأبثه ، وأرقب معه الحياة والصفو ، وأجمل ما بقى من قوتى ، وأجمل شبابى ومنامى ومقبل أيامى وهنىء عيشى بعد الكفاح المبذول والجهد الموصول ، أجمل هذا كله منه وله ؛ إنه حبيبى

كان سندى وكان محرابى وكان الواحة الهنيئة الحلوة المظلة فى جدب أيامي ، فانهار منه سندى وانهدم المحراب على العابد ، وما خلته الواحة الهنيئة الحلوة كان السراب ، وكان بَرْدُ مائها العلْقم ...

قال لى وقلت : إصبر . فصبرت ، حتى أفنانى الصبر . وما صبر هو

أنت تعرف أيها المصباح الأحمر ، إنهما كانا أخى وحبيبى .

أما أحدهما فقد خبطه الموت عشواء ، وأما الآخر فقد خبطته الحياة ، وللحياة خبط أشد مما يخبط الموت

لم أعد أكتب على ضوئك ودفئك أيها المصباح الأحمر رسائل الثلاثاء ، ولا رسائل الأحد ، ولا أكتب للغائب البعيد .

الذين أحببتهم ورجوتهم ، والذين أناجيهم وأريدهم ، وأناديهم وأفتقدهم ، والذين قضيت عمرى كله أرتقب قربهم ذهبوا لا يعودون ، أحدهما بين التراب ، والآخر أبعد من رفيع السحاب والذين لا أريدهم ولا أرجوهم ولا أفتقد بعدهم يعودون

لا تثوروا على المدنية الحاضرة

للأستاذ محمد أيوب

مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب

إذا عجبت فإنما أعجب لكل من يفكر فى التمرد أو الثورة على المدنية الحاضرة . وإنى أنظر حولى فأجد أناساً كثيرين يحملون حملة شديدة على هذه المدنية ويودون إلغاءها بجرة قلم حتى تعود الإنسانية إلى الحياة البدائية الأولى ، حياة البساطة والسذاجة لأنها فى نظرهم خالية من التعقيد ، قريبة من الطبيعة ، وكل شىء قريب من الطبيعة جميل . وإنى أسائل نفسى لماذا يريد هؤلاء الناس العودة بنا إلى الوراء حتى نعيش تلك الحياة التى يسمونها حياة بسيطة وما هى إلا حياة بدائية تقرب الإنسان من الحيوان ، فقد كان الإنسان فى القرون الخوالى كالحيوان يهيم على وجهه فى القفار لا يعرف إذا كان يعيش أو لا يعيش .

فالمدنية الحاضرة أسمى ما وصل إليه العقل البشرى ، وهى عبارة عن تطور العقل البشرى فى مختلف القرون الماضية ، بل هى التراث المجيد الذى تركه لنا العقل منذ حياة الإنسان الأولى ، فكل المدنيات متصلة بل ومتمم بعضها للبعض الآخر ، بحيث لا نستطيع أن نقيم حاجزاً بين مدنية ومدنية . فنقول إن هنا حدود المدنية المصرية ، وأن تلك حدود المدنية اليونانية ، بل ونحن لا نستطيع أن نوجد حلقة فاصلة بين المدنية الحاضرة وبين مدنية أخرى أجنبية عنها ، إذ لا بد من التطور . وليس هناك من شك فى أن هذه المدنية ستتطور فى الأجيال القادمة كما سبق لها أن تطورت فى الأجيال الماضية ، فالمدنية الحاضرة وهى التى ابتدأت بإحياء العلوم ونهضة الآداب ، متممة للحضارات القديمة ، حضارات اليونان والرومان . وليس منا من يستطيع أن ينكر فضل تلك العقول الجبارة ، عقول اليونان والرومان فيما أنتجته لنا فى ميادين الفلسفة والعلم والآداب والقانون

ويخطئ من يظن أن المدنية الحاضرة عبارة عن الناحية المادية فحسب ، وهى التى نتج عنها ما نراه اليوم من تحسين فى أمورنا العامة وفى أمورنا الخاصة . كلا ! هى لا تقتصر على هذه المخترعات العظيمة كالسكك الحديدية ، والطيارات والسيارات التى قربت المسافات بين الأمم ، وكالتليفون والتلغراف والراديو ، وهى التى جعلت أنحاء العالم كلها تشعر بأنها عالم واحد ، تربط بين أجزائها رابطة قوية ؛ أقول ليست تقتصر هذه المدنية على هذه النواحى التى جعلت الإنسان يتحكم إلى حد كبير ،

فأذكر بهم من لا يعودون فهم لقلبى حُرقة

والذين أجدهم وقد أرجوهم ... أيها المصباح الأحمر ... إنك فى زعمى تحس وتعرف فلن أبوح إليك

* * *

ماذ أقول يا مصباحى الأحمر ؟ هـذا لونك البهيج فيه الحياة والدم والفتوة ؛ وهذا هو الزمن يحبو إلى عام جديد ، وهذا دفئك يلمس جبينى ويغمر وجهى وقرطاسى ... أكاد أسمع وقع إشعاعك وأسمع لمس دفئك فى سكون الليل وأنا أكتب

أكتب عن عزيزىَّ لا لهما ، ويا بعد ما أكتب وما كنت أكتب ! وما كل طلٍّ طلٌّ ، أكتب على ضوئك أبكيهم لا أناديهم وهيهات ... ! ما مضى لن يعود

هذا عام جديد كنت عند سوالفه أكتب لهما بالأمل والنجوى عن مقبل الأيام

والآن كلما حل عام جديد كتبت وقد أغلقت قلبي وأغمضت عن مقبل أيامى ، أنطوى على سالف الذى كان

هذا ضوءك أيها المصباح وهذه غرفتى ، غرفة باردة ، طقسها بارد ، ولكنها حارة الذكريات[1]

كل شىء كما كان ، لم يتغير سواى . هل تقول أيها المصباح إنى ما تغيرت ، بل تلاشيت وانتهيت ؟ لعلنى أيها المصباح الأحمر ! لقد ذهب العزيزان فماذا أبقيا لقلبى ؟ إنها الحسرات

وقد أحسست من قلبى أيها المصباح كيف كان قلبى يعرف السعادة ، ويشعر بالحب ، ويبتهج بالرجاء ، ويرتقب الأمل ، ويصبر على الأيام . أحسست من قلبى حبه الصارم العارم الفاتك قوياً كالأعصار ، راسخاً كالجبل ، نابتاً كسواد هذا الليل ، بهيجاً كصبحه أحسست من قلبى أيها المصباح الأحمر حبَّه عزيزيه كيف كان ، فاعرف الآن أيها المصباح كيف يحسّ هذا القلب ما أبقيا من الحسرات !

محمود الشرقاوى

---

(١) الرسالة عدد ٣٩٢ فى ٦ يناير سنة ١٩٤١ [إنسان وجد فى العبد]

فى نظام هذا العالم الذى نعيش فيه ، إنما المدنية الحاضرة تشمل أيضاً الناحية المعنوية التى من شأنها أن حررت الفكر وأبطلت الرق وضمنت حقوق الإنسان . تشمل ناحية العلوم التى كشفت عن أسرار الطبيعة ، وناحية الآداب التى سمت بالعالم إلى جو من الخيال جعله يبهج مشاعر النفس ، وناحية الفنون التى أخذت بالذوق إلى أسمى درجة من درجات الرقى

على أن المدنية الحاضرة ، وهى التى ظهرت فى أوربا ، تختلف عن غيرها من المدنيات القديمة التى ظهرت فى الشرق عامة وفى حوض البحر الأبيض المتوسط خاصة ؛ فالمدنية فى الشرق خاضعة للدين متأثرة بالطبيعة ، بينما هى فى الغرب خاضعة للعقل مؤثرة فى الطبيعة . ففى الشرق الجو حار والشمس ساطعة تغذى الجسم بأشعتها ، والأرض خصبة تنتج المحصول الكثير والخير الوفير ، مما جعلنا نحن الشرقيين نميل إلى التراخى والكسل لكثرة ما نرى أمامنا من المحاصيل التى تكفى لغذائنا دون مشقة كبيرة . وكان من أثر هذا الفتور والتراخى أن ركن الإنسان إلى الطبيعة وأخذ ينظر إليها ويتأمل فيها ، فرآها تجود عليه بالمياه لرى أراضيه ، وبالشمس لإنضاج محصوله ، فأكبرها ومجدها وأخذ يعبدها ويعبد مظاهرها كالشمس والقمر وخلافهما . من هذا كان خيال الشرقيين خصباً ، فتخيلوا أدياناً مختلفة ، وتصوروا مظاهر مختلفة للعبادات وهذا آت من الفراغ وقلة النشاط الذى يسد هذا الفراغ . فالشرقى بوجه عام ، عابد للطبيعة متأمل فيها خاضع للدين ناظر فيه ، فأثر الخيال عليه عظيم ، وأثر الدين عليه عظيم ، وكذلك أثر الطبيعة عليه عظيم . أما فى أوربا فإن الجو بارد لا تظهر الشمس إلا فى أحوال نادرة ؛ لذلك احتاج الفرد إلى الكد والجهد لاستغلال الأرض حتى تنتج أكثر ما يمكنها إنتاجاً ، ولاستغلال مظاهر الطبيعة ما يفيد منها أكبر إفادة ، فهو مضطر لأن يأكل كثيراً ليتقى بذلك برودة الجو ، وهو مضطر لأن يتدثر بالملابس الثقيلة لكى تبعد عنه أثر البرد القارس ؛ من أجل هذا كان عقله كثير الاختراع وافر الإنتاج ، وقد وجه هذا العقل نشاطه لتسخير قوى الطبيعة ، ونجح فى هذا الميدان إلى حد بعيد إذ أصبح هو المسيطر على هذه الطبيعة بدل أن تكون هى المسيطرة عليه

فكيف يجوز لنا إذن أن نثور على المدنية الحاضرة وهى التى حكمت العقل فى أمور كثيرة ، أخذت ما يأخذ به ورفضت ما يرفضه ، وقد غلبت الناحية العقلية على هذه المدنية ، حتى كان لهذا أثر عظيم فى تاريخ التطور البشرى ، فأول نتائج تحكيم العقل فى كل شىء أن قل تعصب الناس للدين ، فأصحاب المدنية الحاضرة لا يشنون الحرب على غيرهم بسبب اختلاف فى الدين كما كان يحدث فى القرون الوسطى مثلاً . ضعف إذن التعصب الدينى إلى حد كبير ، وليس معنى ذلك أن هذا التعصب القديم لم يصبح له أثر ، كلا ! بل أقول إن الدين لم يعد له تأثير كبير فى سياسة الدول وتوجيه الحكومات حتى تشن الحروب على غيرها بسببه ، فهذا التعصب أصبح ضعيفاً جداً ، وهو إن وجد فإنما يوجد بين الطبقات الجاهلة من الشعب وهى التى لا تحكم العقل فى قليل ولا كثير وإنما تخضع للعاطفة والوجدان والخيال أكثر من أن تخضع للعقل

ونحن لا نستطيع أن نبين مزايا المدنية الحاضرة إلا إذا وازنا بين الشعوب المتمدينة والشعوب غير المتمدينة ، أما الأولى فيحكمها القانون وتسيطر عليها هيئة منظمة تحقق فيها التوازن بين مختلف الفرق والطوائف والطبقات ، ويسود مجتمعها الهدوء والسكينة ، فإذا طغت سلطة على سلطة فإنما الهيئة العليا هى التى تحد من هذا الطغيان . وهى فضلاً عن هذا النظام الذى نتمتع به لها جميع وسائل الراحة التى أنتجها العقل البشرى . والثانية فى فوضى لا ضابط لها ، لا تخضع إلا للغريزة ، وفيها يحاول الإنسان أن يأكل أخاه الإنسان ، وفيها يعيش الإنسان وكأنه لا يعيش ، لا يعرف من أحوال هذا العالم شيئاً . ينتقل من مكان إلى مكان كالحيوان حينما ينتقل من شجرة إلى شجرة ، لا يدرى ما أحدث العلم من تقدم ولا يعرف ما قدمه العقل من وسائل الرفاهية والسعادة . فالفرق عظيم بين الشعوب الأولى والشعوب الأخرى ، كالفرق بين الإنسان المثقف والغير مثقف ، الأول يحاول أن ينفذ ببصره إلى أعماق الأشياء فيعمل على تفهم أسرار الطبيعة ، أما الآخر فإن العالم مغلق فى وجهه ، أسراره محجوبة عليه لا يستطيع لها كشفاً

فالمدنية الحاضرة تعمل أن يسود النظام المجتمع ، وعلى أن

يطيع الإنسان القانون ، وعلى أن تكون العلاقة بين الأفراد علاقة منظمة أساسها الاحترام والود ، ورائدها المنفعة العامة للدولة وللناس جميعاً . وتعمل أيضاً على تنظيم العلاقات بين الدول بحيث تكون خاضعة لعادات وتقاليد وقوانين ، وبحيث تشرف على هذا هيئة عليا كجمعية أو عصبة عامة أو محكمة عليا . وليس منا من يفضل الفوضى على النظام أو التمرد على الطاعة

وكيف يجوز لنا إذن أن نثور على المدنية الحاضرة وهى التى أشعرت الفرد بكرامته وقوة شخصيته وجعلته يعرف حقوقه وواجباته ، بل وذهبت إلى أبعد من هذا فحققت المساواة بين أفراد البشر جميعاً . وقديماً كانت المدنيات القديمة تعمل على تحقيق المساواة بين أفرادها الخاضعين لها : أى أن المدنية اليونانية مثلاً تنظر بعين المساواة إلى اليونان فقط ، أما غيرهم من الشعوب الأجنبية فهى تلفظها وتحتقرها وتبعدها عن ميدانها . تحققت إذن المساواة بين أفراد الدولة فى الداخل ، فالكل سواء أمام القانون ، لا عبد هناك ولا سيد ، ولا فرق بين الصغير والكبير أو الغنى والفقير أو المواطن ورئيس الدولة ، فالكل متساوون أمام القانون . وهى لم تقتصر على تحقيق المساواة فقط ، بل عملت على تحقيق الحرية لبنى الإنسان ، فألغت الرق وحررت العبيد ، وقد كان الرق شيئاً عادياً طبيعياً تقول وتأخذ به المدنيات القديمة . ونحن نعجب كيف أن عقولاً جبارة كعقول سقراط وأفلاطون وأرسطو كانت توافق على استخدام فرد لفرد آخر ، وإخضاع هذا الفرد لاستغلال فرد آخر يكبره من حيث الثروة أو الجنس أو المولد

بل وتعدت المدنية الحاضرة حدود الفرد وذهبت إلى ميدان الشعوب فعملت على رفع الظلم عن كاهله . حررت الشعب وضمنت له حقوقه وحددت له واجباته بهذه النظم الديمقراطية التى تعتبر أرقى ما وصل إليه العقل البشرى من تصور لتنظيم الجماعة وحكمها فقضت على النظم الطاغية ، نظم الظلم والاستعباد ؛ فقد كان الفرد فيما مضى يخشى السلطان ، وكان السلطان إذا تكلم كان هذا الكلام قانوناً مقدساً وإرادة لا نقض لها . كانت سلطة السلطان مطلقة مستبدة ، ورغبته هى النافذة ، وإرادته هى القانون والقانون هو إرادته . فجاءت المدنية الحاضرة وقضت على هذا كله ، وأصبحت الهيئة الحاكمة تعترف بأنها تحكم لا لتستبد بل لتخدم الشعب ولتقوم على مصالحه . وقد سرت هذه المبادئ الحديثة بين الأمم سريان الكهرباء وانتشرت انتشار الهواء ، لما عرف القوم من مزايا هذه الديمقراطية التى ترتكز على المبادئ الشعبية الخالدة ، وهى التى تقدس الحقوق والحريات العامة . فالديمقراطية أثر من آثار هذه المدنية ، وهى التى جعلت الإنسان يشعر بشخصيته ويحافظ على حقوقه ، ويقوم بواجباته بدافع من نفسه . ولهذه الديمقراطية مزايا ومنافع ، فهى التى تعمل على تساوى الحظوظ بين أفراد المجتمع فلا تقصر الفوائد كنشر الثقافة والتعليم على طبقة دون طبقة . إنما الجميع فى نظرها سواء ، لكل فرد الحق فى أن يتعلم ، ولكل فرد الحق فى أن يشترك فى إدارة شؤون الدولة

وللمدنية الحاضرة فضل آخر هو الخاص بتحرير المرأة من عقالها ، إذ جعلتها تشعر بأنها عضو نافع من أعضاء المجتمع ، فقد سوت بين المرأة والرجل ، وقضت على هوة الخلاف بين النوعين وأصبح للمرأة ما للرجل من حقوق وعليها ما عليه من واجبات ، وأشعرت المرأة أنها تستطيع أن تعطى رأيها فى المسائل ، وأن تشارك الرجل فى إدارة شؤون بيته وأعماله ، بل وتعاونه معاونة تامة سواء أكان ذلك فى الحياة الخاصة أو الحياة العامة . وهى التى أعطتها هذا الغذاء العقلى غذاء العلم والثقافة ، فأصبحت تتعلم فى المدارس على قدم المساواة مع النوع الآخر ، وبذلك أصبحت تحس بأنها تعيش حقاً ، تهنأ لسعادة المجموع وتبأس لشقائه

وقد يقول بعض المكابرين إن هذا صحيح ، ولكن أنظر إلى هذا الاستعمار الأوربى وليد الحضارة الحالية ، ألم يعتد هذا الاستعمار على مصير الشعوب وحريات الأمم ؟ وقد يكون هذا صحيحاً إذا كان الاستعمار ظهر فى عهد هذه المدنية ولم يظهر فى عهد غيرها من المدنيات الأخرى ؛ فالاستعمار عرفه قدماء المصريين واليونان والرومان وكذلك العرب ، فهو يرجع إلى طبيعة الإنسان لا إلى طبيعة المدنية ، والإنسان بطبعه تواق إلى التحكم والسيطرة ، فإذا وجد أمامه إنساناً ضعيفاً فرض عليه سلطانه وسيادته ، وكذلك الدولة الضعيفة ، وهذا من طبيعة

الناموس البشرى ، فلا بد للضعيف من أن يخضع للقوى ، ولا بد للقوى من أن يسود الضعيف ؛ فللقوى البقاء ، وللضعيف الفناء

وقد يقول هذا النفر أيضاً : أنظر إلى هذه الحرب التى تفتك بالناس فتكا ذريعاً ، والتى تأتى على اليابس فتأكله ، وعلى العامر فتخربه ؛ وانظر إلى هذه المخترعات الفتاكة ، وهذه القنابل التى لا تفرق بين المحارب وغير المحارب ؛ وانظر إلى هذه الوحشية التى تتطاير من أبراج الطائرات ، أفبعد هذا تقول إنه خير لنا أن نؤيد المدنية الحاضرة وهى التى أنتجت كل هذه الأشياء الفتاكة ؟ أما عن الحرب فإنها قد وجدت في كل زمان وفى كل مكان . والحرب لا تتصف بالوداعة ولا الهدوء ، وإنما تصحبها الوحشية ؛ فالمحارب يبغى من الحرب القضاء على قوة خصمه بأى وسيلة ، سواء أكانت هذه الوسيلة مشروعة أم غير مشروعة . ففى كل حرب وقعت كانت الجيوش لا ترتدع عن إتيان كل أعمال الوحشية والهمجية من قتل وتدمير وتخريب ، بل نستطيع أن نذهب إلى أبعد من هذا فنقول إن هذه المدنية نفسها اخترعت وسائل أخرى تتق بها شر الوسائل الفتاكة ، وهذبت من طباع البشر فجعلت الدول ترعى فى الحرب بعض القواعد الإنسانية والمبادىء السمحة الكريمة التى لم تكن تتبع فى عهد المدنيات السابقة .

وبعد هذا نستطيع أن نقول إن الحرب لازمة لرقى المجتمع الإنسانى ، فهى موافقة للطبيعة البشرية ولهذا القانون الخالد : البقاء للأصلح ؛ فالسمكة الكبيرة تأكل السمكة الصغيرة ، والفرد القوى يستغل الفرد الضعيف . وكذلك الحال بين الأمم ، فالصراع بين الأمم القوية والأمم الضعيفة قديم قدم الإنسان . الصراع قديم بين القوة والضعف ، فالقوى يسود الضعيف ، وخليق بالأمم القوية أن تتزعم الأمم الضعيفة ، وللأمم الضعيفة بعد ذلك أن تعمل ، إذا أرادت أن تعيش ، على تنظيم أمرها وتحسين حالها . فالحرب تحفز الأمم الضعيفة التى تخاف على نفسها فتدفعها إلى أن تتقوى وتشتد فتستيقظ من نومها وإلا طال عليها الرقاد ، وخيم عليها حكم الاستعباد . فالنزاع إذن سيظل ما دام فى الإنسان الضعيف والقوى . سيظل دائماً بين عامل الخير وعامل الشر . وما الحرب إلا عامل من عوامل الشر ولكنها عامل مطهر كالنار ، فهى تقضى على العناصر الفاسدة . وما الحرب إلا محنة من المحن لا بد منها فى أطوار التاريخ ، لأن الشعوب تخرج منها نقية طاهرة كأقوى ما تكون . والشعوب التى لا تحارب تخلد إلى الراحة وتقبل على الترف وترتوى من المتعة واللذة ، فيدركها الضعف والوهن ، وهى بعد ذلك تفقد أسس النضال وعوامل الكفاح ، ويكون مصيرها آخر الأمر إلى الفناء .

فالحرب وإن كانت عاملاً من عوامل التدمير ، تعمل على إذاعة الأخلاق المتينة بين الأفراد وإشاعة الصفات القوية بين الأمم ، فهى تمجد البطولة والشجاعة والصبر والاعتماد على النفس ، فهى مفيدة إذن للانسان والإنسانية .

ونحن نرى من تطور التاريخ فى مختلف عصوره أن الحرب يعقبها طور رقى وتقدم ، فالإنسانية سائرة أبداً فى طريقها نحو التقدم . من أجل هذا يجدر بنا أن ننظر إلى المستقبل نظرة آمنة مطمئنة معتقدين أن النصر سيكون دائماً فى جانب الخير . يجب علينا أن ننظر إلى المستقبل لا إلى الماضى ، وأن نطمئن إلى أن هذه المدنية ستتطور لا شك إلى مدنية أرقى . أما النظر إلى الماضى والتمسك به فهـذا شأن الطاعنين فى السن الذين فى عروقهم فتقل حيويتهم ويفتر نشاطهم ، وهم لهذا السبب لا يستطيعون إلا البكاء على الماضى .

لذلك أومن بالمدنية الحاضرة إيماناً شديداً ، لاعتقادى فى الإنسان وفى قدرته على التطور . ونحن بدلاً من أن نحاول الرجوع إلى الماضى ونتعلل به ، يجب أن ننظر إلى المستقبل وكلنا تفاؤل واطمئنان إلى قدرة الإنسانية على السير بالمدنية فى طريق التطور حتى تصل إلى أسمى ما يعرف العقل البشرى من تقدم ورقى . فيجب ألا نثور على المدنية الحاضرة ، وألا نقيم العراقيل والصعاب فى طريقها ، بل نؤيدها بكل ما نملك فلا ندخر وسعاً إلا بذلناه حتى تسير هـذه المدنية فى طريقها الطبيعى ، وهو طريق التطور والرقى .

محمد أيوب

(الرسالة) : يحزننا أشد الحزن أن تنعى الأستاذ أيوب كاتب هذا المقال . وهو لا يزال فى ميعة شبابه وعنفوان جهاده . أدركته المنية فى يوم الخميس الماضي فشق نعيه الفاجىء على أصدقائه وزملائه وتلاميذه . رحمه الله أطيب الرحمة ، وعزى أهله عن فقده الأليم أجمل العزاء .

ذكرى المغفور له

أمين الرافعى بك

للأستاذ على عبد الله

كان اليوم التاسع والعشرون من ديسمبر الماضى موعد الذكرى الخامسة عشرة لوفاة فقيد الوطن المغفور له أمين الرافعى بك

وليس أحق بالتكريم ولا أولى بالوفاء من ذكرى هـذا الرجل الذى عاش حياته كلها يدافع عن الحق ويدعو إلى الله على بصيرة ، ويبذل من ماله ومن دمه فى سبيل أمته ما ليس وراءه غاية لمريد ، ولا زيادة لمستزيد . ولو عرفنا أقدار الرجال بالمعنى الذى تعرفه الأمم الأخرى ، لجعلنا ذكرى وفاة هذا المجاهد الصادق يوماً من أيام القومية المصرية ، ولاتخذنا حياته الحافلة بالعظائم والجلائل نموذجاً لكمال الأخلاق ، وشرف التضحية ، والنزاهة المطلقة ، وجعلنا من سيرته العاطرة كتاباً فى الوطنية يدرسه الناشئون ، ويسير على قواعده العاملون !

ولكنا من سوء الحظ نؤمن بالمظاهر دون الحقائق ، ولا نعرف قِيَم الرجال إلا بمقدار ما لهم من الحول والطول ، وما حولهم من المتاع والحطام ! ولست أدرى كيف ترجو الخير أمة تنسى حقوق أبنائها الذين استشهدوا فى ميدان التضحية ، وكتبوا صحائف جهادها الوطنى بمداد من دمائهم ، وقطرات من ذوب نفوسهم ! ومن المؤلم حقاً أن يوجد فى الأمة المصرية من يجهل فضل أمين الرافعى عليها ، وهو رجل يعتبر تاريخه تاريخاً للحركة الوطنية فى جميع أدوارها ؛ إذ كان له فى كل ميدان جولة ، وفى كل معترك صولة ؛ وكان قلمه سيفاً فى يد الحق ، إذا تصدى للباطل زهق ، وإذا انبرى للطغيان مرق ؛ كأنما كانت تؤيده السماء بالتوفيق ، وتمده القدرة بالإلهام ، ويوجهه الإيمان إلى السداد . ما عالج موضوعاً إلا أصاب الهدف ، ونفذ إلى الصميم ، وانتهى منه إلى الغاية المرجوة ، لا سلاح له غير الحجة البالغة ، والدليل الواضح ، وقواعد البحث الدقيق ، وقضايا المنطق السليم !

ولقد كان أمين عليه رحمة الله الكاتب الوحيد الذى حفظ الله قلمه من العثار ، وعصم لسانه من الفحش ؛ فما جارت الخصومة فى يوم من الأيام على أخلاقه ولا ورطته العداوة فى الكتابة إلى كلمة نابية أو عبارة مؤذية لا يرضى عنها الخلق ، ولا يطمئن إليها الضمير . على أنه لم يكن يخاصم إلا فى الله والوطن والحق . ولم تعرف له فى حياته خصومة شخصية ، لأنه كان ينظر إلى زخارف هذه الدنيا بعين الزهد والاحتقار . ولقد حاول الكثيرون أن يشتروا قلمه أو يخففوا من حدته بالكثير من المال والجاه فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً . وعرضت عليه وظائف الدولة الكبرى ، فكان جوابه : (لا تفسدوا علىّ إيمانى ؛ فأنا لم أخلق لهذه الوظائف !) وكان نعم العون للمرحوم سعد باشا زغلول ؛ وكان سعد يؤثره برسائله وهو مع الوفد فى باريس ويبدأ كتبه إليه بقوله : أخى أمين ! . . .

وحينما اختلف معه فى مبدأ المفاوضات ، كان سعد مع ذلك يثق به ويلقبه بالخصم الشريف ، والرجل النزيه . وكان يستمير منه الوثائق الخاصة بتسجيل أعمال الوزارات . ولما نفى إلى سيشل كان أمين أول المدافعين عنه مع اختلافه معه فى الرأى ، كما كان أول من نقد طريقة وضع الدستور . وفى ذلك يقول سعد باشا : إن أميناً كأنما كان يستمليني ما يكتبه . . . ومن مفاخر أمين التى تدل على التضحية والشجاعة أنه فى سنة ١٩١٤ حينما أعلنت انجلترا الحماية على مصر وقضت الأحكام العرفية على الصحف بنشر البلاغات الرسمية ومنها بلاغ الحماية ، لم يشأ أمين أن ينشر فى جريدة الشعب — الذى كان يتولى تحريرها فى ذلك الحين — بلاغ الحماية ، وقرر تعطيلها من تلقاء نفسه لكيلا ينشر فيها هذا البلاغ ، ورضى بما ترتب على ذلك من السجن والاعتقال ، وقضى مدة السجن صابراً راضياً وخرج منه مؤمناً قوى النفس والقلب . ونستطيع أن ندرك مبلغ التضحية إذا عرفنا أن جريدة الشعب كانت كل شىء فى البلد لأنها كانت جريدة الحركة الوطنية ، وكان الشعب يتلقف أعدادها بشوق وشغف . ثم تستطيع أن تؤمن بالرجولة الكاملة حين تعرف أن أمين الرافعى كان الرجل الوحيد الذى احتج على بلاغ الحماية البريطانية بعدم نشره ! !

ومن أعظم الأمثلة الدالة على عبقريته وسعة علمه بالشئون الدستورية — أنه الصحفى الوحيد الذى نبَّه الأمة والزعماء والأحزاب إلى أن قرار حل مجلس النواب يعتبر باطلاً لأنه لم يحدد فيه موعد الانتخاب والتاريخ الذى يجتمع فيه المجلس . وما دام البرلمان لم يدع فإن من حقه أن يستأنف وجوده ؛ لأن قرار الحل يعتبر ملغى . وأخذ الزعماء بهذا الرأى واجتمع البرلمان فى فندق الكونتننتال فى يوم السبت الثالث من نوفمبر سنة ١٩٢٥ واتحدت الأمة والأحزاب ، وعادت الحياة النيابية إلى البلاد ، وانتفع الجميع بفضل هذا الرأى ما عدا أمين الرافعى فقد كان الشخص الوحيد الذى لم ينتفع بشىء من هذا ، واكتفى من كل ذلك بقوله : « لقد سررت بإنقاذ الدستور وفوز الأمة وارتاح ضميرى ارتياح من يشعر بأن الله قد وفقه إلى دعوة صالحة كتب لها التحقيق والنجاح ! »

وفى وسعنا أن نعرف مبلغ إيمان أمين وثباته من قوله : « يرى المؤمن الثابت العقيدة أن عقيدته مقدسة لا تحتمل تفريطاً ولا زعزعة ، وأن لها من ضميره حارساً قوياً ، فإذا وسوس له الشيطان أن يهمل هذه العقيدة على أية صورة من الصور ، كان صوت الضمير وحده كافياً لأن يقطع على الشيطان وسوسته ويرده مدحوراً . وإذا ما تقدّم خصوم العقيدة الثابتة بأموالهم الوفيرة ، وهباتهم العظيمة ، ووعودهم الخلابة ؛ كى يلعبوا بالعقول ويزعزعوا الإيمان ، وجدوا من يقظة ضمير المؤمن أكبر مخيب لآمالهم ؛ لأن هذا الضمير الخالص الذى لا يخضع للماديات ولا يتأثر بآثرها المفسد لا يلبث أن يصيح بصاحبه : إياك والانخداع بما يعرضون عليك مهما عظم شأنه ، فإن كنوز الأرض لا تعدل شرف الإنسان . ومتى استطاع المرء أن يحتفظ بشرفه فكل ما يفقده بعد ذلك لا يقام له وزن . لأن الحياة الشريفة يمكن احتمالها مهما بلغت مرارتها ، أما الحياة المجردة من الشرف فإنها لا تساوى قلامة ظفر . وليست أيام الجهود والتعب والألم أسوأ أيام الإنسان . ويكفى صاحب المبدأ تشجيعاً أن ينال شيئاً من المكافأة المعنوية بأن يرى مبدأه يصيب بعض الفوز ...

ومن المقرر أن المرء لا يجوز أن يشغل نفسه بمستقبل نفسه متى كان ضميره مرتاحاً وروحه مطمئنة وشعاره القيام بالواجب ، وفعل ما يأمر به الضمير . وما عدا ذلك فليدعه لله تعالى لأنه من خصائصه وشئونه . وإذا كان فى تأدية الواجب ما يورث الألم ، فيجب أن يتحمل الإنسان الألم بغير مضض . لأن الآلام موجودة في هذا العالم ولكل مخلوق نصيبه منها »

وكان أمين عليه رضوان الله يستفتح يومه بتلاوة القرآن ويدعو بدعاء الرسول عليه السلام : « اللهم أجعلنا هادين مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، سلما لأوليائك ، حرباً لأعدائك . نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بعداوتك من خالفك . اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة . وهذا الجهد ، وعليك التكلان » ثم يتلو هذه الآية الكريمة (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

وبعد ، فهذا قليل مما أعرفه عن هذا الرجل العظيم أكتبه فى مناسبة ذكراه الكريمة ، وأبعث إلى روحه فى مقاعد الصديقين والأبرار بأعطر التحيات وأطيب السلام

(المنصورة) على عبد الله



أوباء ... !

قرأت فى مجلة الثقافة العدد « ٢٠٩ » كلمة تحت عنوان « الصحافة والأدب فى أسبوع » ، فرأيت كتاباً من صديقي الشاعر الأستاذ محمود حسن اسماعيل إلى صديقي أيضاً ... الأستاذ « ق » . وفى هذا الكتاب ذكْرٌ بعض أصحابنا وذكرى ، ويصفنا الصديق الأستاذ الشاعر بصفات جميلة محببة كاللجاج ، والتهاتر ، والكسل ، والجبن ، والغفلة ، والتخلف عن سير الزمان ، ويدعونا إلى ملازمة الصمت على رفوفنا الجامدة حتى يتحرك بنا أو ينسانا الزمان !... وهو كذلك

لا أدرى ! فقد سمعت أن الأوائل قالوا : « عقل المرء مخبوء تحت لسانه » ، وأنهم قالوا :

إذا لم يكن للمرء عقلٌ يكفُّه
عن الجهل ، لم يستحي وانهتكَ السِّتر

وللصديقين منّى تحية المخلص المعجب بأدبهما وبيانهما

محمود محمد شاكر

تجارب على التلباثى

كان لظاهرة التلباثى التى أثارها الكاتب العظيم الأستاذ العقاد فى « عبقرية عمر » وعلى صفحات الرسالة نصيب كبير من الدراسة ، ومن عناية علماء النفس فى أوربا بها ؛ ولكنها بالرغم من ذلك ظلت مستغلقة عليهم فلم تتضح تماماً . ومن أكبر الأوساط العلمية الأوربية التي تبحث في هذه الظاهرة جمعية فى انكلترا تسمى: Society for Psychical Research شغلت بهذه الظاهرة منذ زمن طويل ، وكتبت الكثير من النتائج التى وصل إليها أعضاؤها فى مجلتها الخاصة . ولعل من الطريف أن نذكر أن هذه الجمعية لم تكتف بدراسة هذه الظاهرة دراسة نظرية فحسب ، بل أجرت تجارب عديدة لتأييد هذه الظاهرة ، وقد توصلت فعلاً إلى نتائج مدهشة وطريفة ، وقد ذكر الأستاذ باريت Sir W F. Barratt الأستاذ بكلية العلوم الملكية بإرلندة بعض هذه التجارب فى كتابه : Psychical Research

ومن أهم هذه التجارب ، ما قامت به سيدتان من أعضاء الجمعية إحداهما تدعى المس هـ. رامسدن ، والأخرى المس ك . ميلز فكانت المس ميلز فى وقت كل تجربة تسجل فى مذكرة خاصة ما تريد نقله إلى المس رامسدن من أفكار أو صور ، بينما تكتب المس رامسدن التأثيرات التى يستقبلها مخها ، وترسل تقريرها إلى ميلز قبل أن تعرف ما كتبته هذه الأخيرة من ناحيتها . قد نجح الكثير من تجاربهما وإن فشل البعض الآخر . ولنذكر الآن بعض هذه التجارب الناجحة التى ذكرها الأستاذ باريت فى كتابه :

كانت المس ميلز تنتظر فى عصر يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٠٥ اجتماع الجمعية فى لندن ، فاسترعى انتباهها نظارة غريبة الشكل يضعها على أنفه رجل يجلس بجانبها ، فرأت أن هذه الملاحظة قد تصلح موضوعا لتجاربها مع مس رامسدن . وحين رجعت إلى منزلها كتبت فى مذكرتها : « ٢٧ أكتوبر — نظارات — ك . م » وكانت المس رامسدن فى ذلك الوقت فى بكنجهامشير على بعد حوالى عشرين ميلاً من لندن ، ولكنها كتبت هذا المساء : ٢٧ أكتوبر — ٧ — مساء . — نظارات هذه هى الفكرة الوحيدة التى جاءتنى بعد انتظار وقت طويل . — هـ . ر »

ويقول باريت إن الأمر لا يمكن أن يكون مجرد تخمين لأن المس ميلز لا تضع نظارات

وتجربة ثانية ... كتبت المس ميلز فى كراستها الفكرة التى تريد إرسالها إلى المس رامسدن : « ٢ نوفبر . ـ يد ـ ل . م » وكتبت المس رامسدن فى نفس الوقت : « ٢ نوفبر ، ٧ مساء ، ابتدأت أن أرى يداً صغيرة سوداء ... » وتفسير ذلك ، كما يقول باريت ، أن المس ميلز كانت فى ذلك الوقت ترسم يدى صورة بالفحم ، وكانت والدة المس رامسدن حاضرة عند ميلز فى ذلك الوقت فذكرت أن ذلك صحيح

وقد أجريت بينهما تجارب عديدة ، وكان البعد بينهما حوالى ٤٠٠ ميل ، وكانت الخطة المتبعة فى تجاربهما أن رامسدن تبعد نفسها عن التفكير فى أى شىء كان ، وتحصر تفكيرها فى ميلز كل يوم فى وقت معين ، ثم تكتب ما تستقبله من تأثيرات وترسل ذلك إلى ميلز ، وتكتب ميلز فى نفس الوقت ما كانت تفكر فيه وترسله إلى رامسدن بالبريد . ويذكر باريت أنه اطلع على الرسائل المتبادلة فوجد حالات كثيرة تتفق فيها النتائج اتفاقاً كبيراً جداً أو اتفاقاً كلياً

وفى ذات مرة كانت ميلز مع والدة رامسدن فى إحدى الرحلات ، وكانت رامسدن فى اسكتلندة ، وفى أثناء عودتهما من رحلتهما ذهبتا بنوبرى فى مقاطعة بركشير ونزلتا فى فندق هناك ، وكان لصاحبة الفندق فتاة صغيرة لطيفة أعجبت ميلز بها كثيراً . وأصبحت ميلز ، وإذا بها تستلم من رامسدن خطاباً جاء فيه : « ٣١ اكتوبر ١٩٠٧ ، أظن أنك تريدين منى أن أرى فتاة صغيرة لها شعر كستنائى مسترسل وراءها ، ومربوط بشريط على الطريقة المعتادة . وهى تجلس على منضدة وقد أدارت ظهرها ، ويظهر أنها مشغولة ... بقطع قصاصات بالمقص . وهى ترتدى (مريلة) بيضاء ، وأظن أن عمرها بين الثامنة والثانية عشرة . ـ هـ . ر » ، وقد وصفت صاحبة الفندق الفتاة بقولها : « عندى فتاة صغيرة فى الحادية عشرة من عمرها ، ذات شعر كستنائى مربوط بشريط وترتدى (مريلة) . ولما كانت مريضة فإنها تستلى نفسها بقطع القصاصات . وقد تكلمتُ طويلاً [عنها ؟] مع المس ميلز يوم ٣١ اكتوبر . ـ ل . لفجروف . »

هذه بعض التجارب على التلباثى . ويذكر باريت إلى جانبها حالات أخرى وحوادث جاءت عفواً ، أى دون أن يقصد بها إلى التجربة ، وهو تؤيد ظاهرة التلباثى ، وقد استقاها من مصادر ثقة لا يمكن الشك فيها ، ويذكر أن معظم هذه الحالات تحدث أثناء النوم .

من هذه الحوادث حادثة وقعت لسيدة تدعى لويزا . ا . هاريسون ، فأرسلت يوم حدوثها تقريراً إلى الجمعية المذكورة آنفاً ، ومع تقريرها خطاب من زوجها يؤمن على ما تقوله الزوجة التى تذكر أنها بينما كانت مستغرقة فى النوم استيقظت فجأة على صوت زوجها وهو يتأوه من الألم ، فنظرت حولها ولكنها لم تجده فى الحجرة ، فنظرت فى الساعة فألفتها الثالثة والنصف مساء . وعاد زوجها من الخارج فى الساعة السادسة وقد ظهرت بعض الكدمات على جبهته ، نتجت عن وقوعه أثناء وجوده فى (حمام تركى) واصطدام جبهته بدرجاته الحجرية فقالت له زوجه : « إننى أعرف متى حدث ذلك كان ذلك فى الثالثة والنصف لأننى سمعتك تتأوه من الألم فى ذلك الوقت » فأجابها : « نعم ، ذلك هو الوقت بالضبط ، لأننى أذكر أننى نظرت إلى الساعة بعد ذلك مباشرة . » وقد حضر هذه المناقشة بين الزوجين شاهد شهد بذلك !

كذلك أرسلت سيدة تدعى آرثر سيفرن كتاباً إلى الجمعية تقرر فيه أنها استيقظت يوماً من نومها فجأة إثر إحساسها بلطمة عنيفة تنزل على فمها وتجرح شفتها العليا جرحاً بليغاً ، ولكنها حين رفعت منديلها إلى فمها لتوقف الدم لم تجد شيئاً ، ونظرت إلى الساعة فوجدتها السابعة صباحاً . وكان زوجها فى الخارج ، فعاد فى التاسعة والنصف وقد وضع منديله على شفته ، فأخبرها أنه بينما كان يتنزه فى قاربه ، هبت ريح عنيفة أزاحت (الدفة) فأصابته فى شفته العليا ؛ وسألته زوجه متى كان ذلك ؟ فأجابها : حوالى الساعة السابعة !

وحادثة أخرى ... استيقظت آنسة تدعى مس كينج من نومها فى أحد أيام الأحد فى الساعة الرابعة على صوت يناديها : « تعالى إلى يا تريكس ، إننى مريضة جداً » . وأرسلت الآنسة كينج إلى الجمعية كتاباً تذكر فيه أنها عرفت صاحبة الصوت وهى إحدى صديقاتها وتدعى المس ريد ، وهى الوحيدة التى تناديها باسم (تريكس) . فكتبت فى نفس اليوم إلى المس ريد — على مبعدة مائتى ميل من صديقتها — تخبرها بما سمعت ، فردت عليها المس ريد تخبرها بأنها فى ذلك اليوم وفى تلك الساعة أحست بألم شديد ، وظنت أنها سوف تموت ، فمدت يدها إلى صورتها (صورة المس كينج) وقالت لها : « تعالى إلى يا تريكس إننى مريضة جداً ، تعالى إلى » !

هذه التجارب والوقائع وغيرها تثبت ظاهرة التلباثى . ولكن كيف ينتقل التلباثى وينتشر ؟ ذلك سؤال لم يجب عليه العلم جواباً شافياً . ويقول الأستاذ باريت : إنه ليس عندنا عنه أى فكرة ، ولكنه يرى أنه لا ينتقل خلال أى وسط مادى أو أى عامل فيزيقى معروف ، وقد يقربنا وجود اللاسلكى بأن نظن بأن الفكر ينتقل بنفس طريقة الرسائل اللاسلكية ، أى بواسطة موجات أثيرية يمكن تسميتها « بالموجات المخية » . ولا شك فى أن حقيقة اللاسلكى تقرب إلى الأذهان ظاهرة التلباثى ، ولكن ذلك لا يكفى .

أحمد أبو زيد
كلية الآداب — جامعة فاروق الأول

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 497 — Lundi - 11 - 1 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
١٠٠ فى سائر المالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٩٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٥ محرم سنة ١٣٦٢ — الموافق ١١ يناير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
٢١	مستدركات	: الأستاذ عباس محمود العقاد
٢٤	ديوان حافظ إبراهيم ...	: الدكتور زكى مبارك ... ...
٢٧	كزينوقراط الفيلسوف ...	: الأستاذ صلاح الدين المنجد
٢٨	رفيق الصبا	: الأستاذ محمد مندور ...
٣٠	عيد الهجرة [قصيدة] ...	: الأستاذ على محمود طه ...
٣١	إلى الأستاذ البشبيشى ...	: الأب أنستاس مارى الكرملى
٣٤	المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم	المستشرق « إدورد وليم لين » بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
٣٦	دفنتها بيدى	للشاعر التركى عبد الحق حامد بك بقلم الأستاذ محمد أمين نور الدين
٣٧	ياربع الشتاء ... [قصيدة]	: الأستاذ محمود الخفيف ...
٣٧	تحية « الرسالة »	: الأديب محمد حافظ شريف ...
٣٨	التوأمات	: الدكتور محمد حسنى ولاية ...
٣٨	قصيدة حافظ النونية ...	: الأستاذ حبيب الزحلاوى ...
٣٩	إجابة	: الأستاذ الكبير « وحيد »
٣٩	أصدقاء ...!	: الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٣٩	إلى الأستاذ عبد المتعال الصعيدى	: الأستاذ محمود عزت عرفة ..
٣٩	تاريخ وفاة ياقوت ...	: الأستاذ محمد غسان ... ...
٤٠	غلطة تاريخية	: الأديب وهبى الحاج إسماعيل حقى
٤٠	مجلة الأنصار	: ... ...
٤٠	المفضليات	: الأستاذ محمود أبو رية ...

مستدركات

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب الأديب « خالد عبد المنعم » فى عدد ماض من الرسالة كلمة طيبة عن كتابى « عبقرية عمر » ختمها بقوله :

« على أننا فى قراءتنا لعبقرية عمر بالصفحة ٣١٩ استوقف نظرنا قول المؤلف فى صدد النزاع الذى نجم عن الخلاف عقب موت الرسول ما نصه :

« ... فالأنصار يقولون إنهم أحق بالخلافة من المهاجرين لأنهم كثرة والمهاجرون قلة ، ولأنهم فى ديارهم والمهاجرون طارئون عليهم ، ولأنهم جميعاً من قريش ولهم فضل التأييد والإيواء »

« والعبارة على هذه الصورة توهم أن الأنصار من قريش وهم بالطبع ليسوا كذلك »

* * *

وقد أصاب الأديب فى قوله إن العبارة توهم أن الأنصار من قريش ، وليسوا منها

ولكن المسألة — كما هو ظاهر — مسألة سهو لا أكثر ولا أقل ، إذ لا يطلع أحد على ما جرى فى سقيفة بنى ساعدة ثم يفوته أن الأنصار كانوا ينازعون قريشاً الخلافة ، وأن قريشاً

قبيلة والأنصار قبائل أخرى ، وقد كان المتكلمون فى السقيفة يجرون كلامهم على حق قريش فى الخلافة وهل هم الأمراء دون غيرهم أو يجوز لغيرهم أن يشاركهم فيها . فتكلم فى ذلك أبو بكر وعمر وتكلم فيه كل متكلم من الأنصار ، من نقل عن زعيمهم ومن استقل يومئذ بالمقال

فليس بجائز أن يطلع أحد على كلام عمر يومئذ أو كلام أبى بكر أو كلام من خالفوهما ثم يفوته أن الأنصار من غير قريش وأنهم كانوا يقفون منها موقف المنازع الذى يطلب الاستبداد بالأمر دونها أو لا يقنع بما دون مشاركتها فى الإمارة

وليس بجائز أن يعرف أحد ما هى مكة وما هى المدينة ومن هم الذين هاجروا ومن هم الذين نصروا ثم يفوته أن يفرق بين قريش وبين الأوس والخزرج ومن عاش معهم من أهل المدينة

فالسهو هنا ظاهر — بالطبع — كما قال الأديب المستدرك ، لأن الأنصار — بالطبع — لم يكونوا قرشيين

والذى يخطر ببالى الآن أننى أردت أن أكتب « من المسلمين » فسبق القلم بكتابة قريش لغلبة ذكرها والخلاف عليها فى الذهن وقيام الخلاف حولها فى ذلك اليوم ، وهو سهو يقع فيه القلم كما يقع فيه اللسان

فللأديب الشكر على تنبيهه ، فإن ما توهم العبارة التى نقلها يحتاج إلى تصحيح وإن بدرت صحتها إلى البداهة بغير عناء

* * *

ذلك استدراك على كتاب

وهناك استدراك آخر على كتاب آخر ، أو على كلمة فى مقدمة ذلك الكتاب ، وهو «أعاصير مغرب» ديوان شعرى الجديد

والكلمة المستدرك عليها هى قولى فى مقدمة الأعاصير :

« يصح على هذا أن يكون الشباب عهد ابتداء العاطفة وافتتاحها على صورتها الأولى ، أو هو العهد الذى تفاجأ فيه البنية بشعور جديد لم تكن لها خبرة من قبل ، فيشاهد عليها ما يشاهد على كل بنية تفاجئها حالة طارئة . فإن المفاجأة إذا عرضت لإنسان بدا لك فى حالة كحالة الشاب فى أول عشقه : وجه ساهم ، وفم مفغور ، وطرف ذاهل ، ولسان معقود ، ونفس مطرود ... وهذه هى الحالة التى يخيل إلى من يراها أنها العشق دون غيره . مع أنها أحرى أن تدل على أن العشق مفاجأة لم تمهدها البنية ولم تألفها النفس ، فلم تزل بها حاجة إلى التثبت منها والرياضة عليها . ثم تأتى هذه الرياضة شيئاً فشيئاً مع تعاقب الأيام وتعاقب ألوان الشعور ... »

يقول الأديب المستدرك « حسن رياض » إننى قلت غريباً لم يسمع به من قبل ، وهو أن الحب والنزل مستغربان فى الشباب ولكنهما لا يستغربان فيما بعد الشباب فى سن الشيخوخة ... إلى آخر ما قال

وأنا أشهد الله والقراء أننى لم أقل ذلك ، ولم أقل ما يوهم ذلك ، ولو من بعيد

فإن القول بأن الحب مفاجأة فى سن الشباب شىء ، والقول بأنه غريب فى تلك السن شىء آخر

لأن المفاجأة قد تتكرر ملايين المرات فلا تكون غريبة بعد هذا التكرار ، وإن سميت مفاجأة فى كل مرة من هذه المرات

فهذا الشاب تفاجئه العاطفة الغرامية فى مطلع شبابه بعارض جديد فى حياته ، فهى مفاجأة لا ريب فيها

ولكن هكذا كل شاب تعرض للعاطفة الغرامية منذ كان الإنسان كما نعرفه الآن إلى آخر الزمان

كل شاب يفاجأ هذه المفاجأة ، فلا غرابة إذن في وقوعها ولا فى ملازمتها لمطلع الشبيبة فى ريعانها لأن هذا هو الواقع المتكرر الذى لا يصدمنا بغير ما عهدناه

إلا أننى لا أريد أن أكتفى بدفع هذا اللبس الذى لا يحتاج إلى مناقشة طويلة ، فقد يغنى فى دفعه نقل الكلمة التى وقع عليها الاستدراك ثم الوقوف عند نقلها بغير تعقيب

وإنما أردت أن أتجاوز هذا اللبس العارض إلى الأساس الذى يقوم على كل لبس من هذا القبيل ، وهو من جنايات اللغة أو من جنايات « التسمية » حيث كانت فيما أراه

تطلق اللغة كلمة واحدة على عاطفة أو شعور أو حالة نفسية تلم بجميع الناس ، فيسبق إلى الوهم أننا أمام شىء واحد لأننا نعبر عنه بكلمة واحدة ، ويطرأ التناقض واللبس والاستغراب من هذا الوهم الذى يصعب التنبه إليه فى كثير من الأحيان

« فالحب » مثلاً كلمة واحدة بل كلمة واحدة مختصرة فى حروف ثلاثة خفيفة على كل لسان

فهل هى شىء واحد مختصر هذا الاختصار ، مجموع فى هذه الحروف ، سريع إلى الفهم كسرعة اللسان فى النطق بحروف اسمه الصغير ؟

أجهل الناس بالشعور الإنساني لا يقول « نعم » في جواب هذا السؤال

فالحب يتناول مئات من الأشياء التي لا تحدها أسماؤها لاختلافها هي أيضاً في الصفات والعوارض والعلاقات والمناسبات

الحب يتناول الغريزة النوعية ، ويتناول ذوق الجمال ، ويتناول الشعور الاجتماعي الذي يدعو إلى التآلف ويقال في تعليله إن الإنسان مدني بطبعه ، ويتناول فهم الميول الإنسانية والإيمان بأخلاق الوفاء والصدق والمجاملة ، ويتناول التقارب بالعقول والمدارك والنزعات ، ولا توجد في الإنسان واشجة من وشائج النفس والجسد لا تتناولها هذه الكلمة ذات الثلاثة الحروف

ثم ما هي الغريزة النوعية التي هي جزء مما تنتظم في الحب من بعض نواحيه ؟

هي أيضاً شيء كثير الشعب كثير الأطوار كثير الأوصاف على حسب الأمزجة والأعمار والعقول

وما هو ذوق الجمال ؟ وما هو شعور الدنية الطبيعية ؟ وما هي الأخلاق التي تفرض الصدق والوفاء ؟ وما مبلغ سلطانها على أناس وانقطاعها عن آخرين ؟

وما هو العقل ؟ وكيف يتقارب ويتباعد ؟ وإذا تقارب بين إنسانين فهل يتقارب بينهما في جميع الأمور ؟ وإذا تقارب بينهما في جميع الأمور فهل يتقارب في جميع الأوقات ؟ وإذا تقارب حيناً بين إنسانين ألا يجوز في ذلك الحين أن يتقارب بين إنسانين آخرين ؟

ثم ما هو الشعور نفسه إذا وصفنا الحب إجمالاً بأنه ضرب من الشعور ؟

ما سلطانه على الإرادة أو ما سلطان الإرادة عليه ؟ وما هي الإرادة بعد هذا وذاك ؟ ولماذا تضعف في ساعة وتقوى في ساعة أخرى ؟ ولماذا تكون في ساعة واحدة ضعيفة أمام أحد الناس وقوية أمام غيره !

كل أولئك حالات تقبل التنويع والتلوين والتقلب والتدريج وكل أولئك تجمعه كلمة واحدة في ثلاثة حروف

فإذا حصرناه بمقدار حروفه فهو إذن محدود يكون على حالة واحدة ولا يكون على غيرها . ويسهل أن نستغربه كلما رأيناه على غير ما تصورناه

وإذا نظرنا إلى شعابه وفروعه وألوانه ودرجاته جاز أن نراه في ألف حالة متناقضة ولا نستغربه في جميع هذه الحالات أقل استغراب .

جاز أن تسيطر عليه الغريزة النوعية ، وجاز أن يسيطر عليه ذوق الجمال وفنون الجمال ، وجاز أن يسيطر عليه التفاهم ورعاية الأخلاق ، وجاز أن تسيطر عليه هذه البواعث مختلفات في المقادير والمظاهر والدرجات

كل أولئك جائز ، وكل أولئك حب ، وكل أولئك عارض من عوارض النفس الإنسانية في جميع الأعمار

ولكننا وضعنا اللغة فحبسنا تلك المردة أو تلك الأرواح أو تلك الأشباح في قمقم صغير من ثلاثة حروف خفاف على اللسان

قل « حب » فقد قلت كل شيء ولفظت بالطلسم الذي يحبس المردة في « القمقم » الصغير

ولكنك إذا جاوزت القول إلى الدخول في أعماقها والتفرقة بين شياطينها واللعب بأسرارها ثارت بك والتوت عليك ، وكسرت القمقم شر كسرة ، فإذا هو يتطاير شعاعاً هنا وهناك ولا تجتمع منه هباءة على هباءة ، ولو سلطت عليها ألف حرف وألف كلمة وألف لغة تضيق بها المعجمات

فما هو الحب الذي تستغربه ولا ترى أنه يكون في إبان الشباب ؟ وما هو الحب الذي تستغربه ولا ترى أنه يكون بعد الشباب ؟

هو على كل حال كلمة واحدة ولكنه ليس بشيء واحد . وعليك قبل استغرابه أن تميزه في جميع حالاته ، فإذا ميزته فقد عددته وفرقته وجاز — بل وجب — أن تراه في جملة حالات ولا تقصره على حالة واحدة تستغربه فيما عداها

من فضائل اللغة أنها قيدت المردة في القماقم ، ومن جناياتها أنها قليلة القماقم فوضعت في قمقم واحد ما من حقه أن يوضع في ألوف !! وعلينا نحن أن نحترس من جناياتها بحساب ، ونستفيد من فضائلها بحساب

***

ونلحق بما تقدم استدراكاً قرأناه في العدد الأخير من الرسالة جاء فيه تعقيباً على مقالنا في التلبائي :

« لو كان القاتلون قد سمعوا صوت عمروهم مئات ، ولو كان ذلك قد تم بواسطة التلبائي لاقتضى الأمر أن يكونوا كلهم

مسابقة الأدب العربي

٢ – ديوان حافظ إبراهيم

للدكتور زكي مبارك

مواساة طرابلس — مواساة بيروت — آمال مصرية

مواساة طرابلس

في شهر سبتمبر من سنة ١٩١١ أغارت إيطاليا على طرابلس – وهي يومئذ ولاية تركية – فنهض المصريون لمعاونة طرابلس بالطب والشعر والمال والرجال ، فمضى إلى الميدان أطباء مصريون لمعالجة الجرحى الطرابلسيين ، منهم الدكاترة حافظ عفيفي وسيد شكري ونصر فريد ؛ ومضى إلى الميدان مجاهدون مصريون أشهرهم عزيز باشا المصري ، ومحمد بك القناشي ؛ وجمعت أموال كثيرة لتموين الجيش الطرابلسي . وبفضل تلك الحرب أنشئت جمعية الهلال الأحمر المصري ، وكان لقلم الشيخ علي يوسف تأثير في إنشاء تلك الجمعية ، وهي لا تزال من كبريات جمعياتنا الخيرية .

وانطلق الشعراء فقالوا في تشجيع الطرابلسيين وتخذيل الإيطاليين عشرات القصائد الجياد

في تلك الحرب قال حافظ قصيدته الميمية :

طمع ألقى عن الغرب اللثاما   فاستفق ياشرق واحذر أن تناما

وفيها قال عبد المطلب قصيدته البائية :

بني أمنا ، أين الخميس المدرَّبُ   وأين العوالي والحسام المذرَّب

و « بنو أمنا » في قصيدة عبد المطلب هم الأتراك ، وكانوا كذلك بحكم الأخوة الإسلامية ، وهو معنًى فسّره شوقي أحسن تفسير حين قال في التوجع لسقوط « أدِرْنَةَ » في الحرب البلقانية :

مقدونيا – والمسلمون عشيرة –   كيف الخئولة فيك والأعمام

وبمناسبة قصيدة عبد المطلب أذكر أنه قال في التمهيد إن

موهوبين أو وسطاء ، وهو ما لا يعقل ... »

ثم جاء فيه : « كل مقال الأستاذ العقاد منصب على إثبات وجود التلباثي بأدلة منطقية قياسية ، وقد فرغ العلماء من إثباته منذ ٨٥ سنة ، وتدرس هذه العلوم كدراسات عليا في جامعات انجلترا الكبرى . ومحاولة الأستاذ إثباتها كمن يحاول إثبات وجود أشعة إكس بالاستنتاج الخ »

أما أن مقالي منصب على إثبات وجود التلباثي فغير صحيح ، لأنني لم أتجاوز تخطئة الذين يجزمون بنفيه . وقلت : « يجوز أن يأتي غداً من يثبت — هذه الملكة – ثبوتاً قاطعاً لا شك فيه ، ويجوز أن يأتي غداً من ينفيها نفياً قاطعاً لا شك فيه » .

وأما أن وجود التلباثي ثابت كوجود أشعة إكس فذلك قول يدعيه المدعي وعليه إثباته . وقد نقنع منه بتقرير ثلاثة من المشتغلين بالعلم عندنا يؤيدونه فيما قال . وأول ما يقتضيه هذا الرأي أنه يبطل القول بالملكة النفسية ويجعلها خاصة من الخواص التي تتكرر في كل جسم وفي كل معمل من معامل الطبيعة ، وهذا كلام لا يقره النفسيون ولا الطبيعيون ولا المنطقيون

وأما ما قاله صاحب الاستدراك عن سماع الأصوات على البعد فما زاد فيه على ما رأيناه حيث قلنا في مقالنا السابق : « إن التقاء نفسين أيسر قبولاً من التقاء نفس واحدة من جانب وألوف النفوس من جانب آخر »

أو حيث قلنا : « إن انتقال الصوت المادي مئات الأميال يقتضي أن يكون صوت سارية قد سُمع في الجيش الذي معه وهو يستغيث وقد سمع في المسجد الذي كان عمر يخطب فيه ، وقد سمع الصوتان : صوت الاستغاثة وصوت الاستجابة على طول الطريق ، ولم يذكر لنا رواة القصة شيئاً من ذلك »

هذا ما نجيب به عن استدراك المستدرك ولا نجيب عن غيره من كلامه الذي لا نرى فيه ما يناقش أو يجاب .

عباس محمود العقاد

نفسه جاشت حزناً حين لاحظ أن القوة الدافعة من الطرابلسيين وأن الأتراك لم يكونوا إلا مديرين

وقد فكرت فى مراجعة الجرائد المصرية لذلك العهد عساني أعرف السبب فى تخلف الجيش التركي عن معاونة الجيش الطرابلسى ، ثم اتفق أن لقيت الأستاذ عبد الرحمن بك عزام فى قصر الزعفران يوم مضيت للتسليم على حضرة صاحب السموّ الأمير عبد الإله ، فسألته عن سبب ذلك التخلف ، فأفهمنى أن انجلترا اعترضت على مرور الجيش التركى بالأرض المصرية بحجة أن مصر على الحياد ، فلم تستطع تركيا إنجاد طرابلس بغير القواد من أمثال أنور وفتحى ومصطفى كمال

كانت تلك الحرب مثاراً لحركة فكرية وأدبية ، ففيها اختصم المصريون حول الوجب لمعاونة الأمم الإسلامية ، وكان ذلك الاختصام بمناسبة مقالة نشرها لطفى باشا السيد عن الأموال التى تجمع لمواساة الجرحى من المجاهدين المسلمين . فقد أعلن أن الأفضل أن تجمع تلك الأموال باسم الإنسانية لا باسم الدين ، فثار الجدل هنا وهناك ، لأن مثل هذا الرأى فى ذلك الوقت كان يثير الجدال

وفى غمرة الكروب التى أثارتها تلك الحرب أعلن الشام أنه يريد الاستقلال ، بتوجيهات خفية من خصوم الأتراك ، فثارت الجرائد المصرية وعدت ذلك تأييداً لعدوان الطليان

نكبة بيروت

ولم تنتظر إيطاليا حتى تنجح الدسائس الخفية فى تحريض البلاد الشامية على الدول التركية ، فأرسلت أسطولها لضرب ميناء بيروت بالمدافع الثقال ، انتقاماً من الأتراك ، والأحمق يؤذى نفسه من حيث لا يريد

كان من السهل فى تلك الأيام أن يميل نصارى لبنان إلى تأييد الطليان — فقد كانت بينهم وبين الأتراك عداوات — ولكن ضرب بيروت بمدافع الأسطول الإيطالى أغضبت نصارى لبنان وملأت قلوبهم بالغيظ فقلبوها بما يملكون من أسلحة الهجاء فى الجرائد والمجلات

وفى تلك النكبة ثار الشعراء المصريون على الطليان ، ثاروا انتصاراً للأتراك وانتصاراً لأهل لبنان

وفى نكبة بيروت نظم شوقي قصيده الرائع :

يا ربُّ أمرُك فى الممالك نافذٌ
والحكم حكمك في الدم المسفوك

إن شئت أهرقه وإن شئت أحمه
هو لم يكن لسواك بالمملوك

واحكم بعدلك إن عدلك لم يكن   بالممترَى فيه ولا المشكوك

ألأجل آجالٍ دنت وتهيأت   قدّرت ضرب الشاطئ المتروك

بيروتُ مات الأُسد حتف أنوفهم
لم يشهروا سيفاً ولم يحموك

كلٌّ بصيد الليث وهو مقيدٌ   ويعزُّ صيدُ الضَّيغم الفكوك

يا مَضربَ الخِيَم المنيفة للقِرى
ما أنصف العُجمُ الأُلى ضربوك

ما كنتِ يوماً للقنابل موضعاً   ولو أنها من عسجدٍ مسبوك

بيروتُ ياراحَ النزيل وأُنسهُ   يمضى الزمان علىَّ لا أسلوك

الحسنُ لفظٌ فى المدائن كلها   ووجدته لفظاً ومعنًى فيك

وفى نكبة بيروت نظم حافظ « رواية تمثيلية » جديرة بالإعجاب ، وفيها أدار الحوار بين جريح من أهل بيروت وزوجة له اسمها « ليلى » وطبيب ورجل بدوى

وترجع أهمية هذه المنظومة إلى ما اشتملت عليه من الصدق فى تصوير العاطفة الإنسانية ، العاطفة التى تجمع بين قسوة الرجولة ورقة الوجدان ؛ فالجريح فتًى لبنانى عجز عن مقاومة النار بالنار ، فما كان لبلده أسطول يقاوم به أسطول الطليان ، ولا أتيحت له فرصة يلتقى فيها سيفاً لسيف مع أحد جنود الأعداء ، وإنما رُمى وهو عاجزٌ عن أن يَرمى ، فهو وقيذ الاغتيال . وفى تلك المحنة يتذكر مهد غرامه وهو بيروت ، بيروت التى جمعت بينه وبين ليلاه فى فجر الشباب

ولنترك حافظاً يصور آلام هذا الجريح بشعره الرقيق :

لِبِــلاىَ ما أنا حىٌّ يُرجَى ولا أنا مَيتُ

لم أقضِ حقَّ بلادى وها أنا قد قضيت
شفيت نفسى لو أنى لما رُميت رَميت
بيروت لو أن خصماً مَشى إلىَّ مشيت
أو داسَ أرضَك باغٍ لدُسته وبغيتُ
أو حلّ فيك عدوٌ منازلٌ ما اتقيتُ
لكنْ رماك جبانٌ لو بان لى لاشتفيتُ
ليلاى لا تحسبينى علىَّ الحياة بكيتُ
ولا تظنى شكاتى من مصرعى إن شكوتُ
ولا يُخيفنْك ذِكرى بيروتَ أنى سلوتُ
بيروت عهد غرامى فيها وفيك صَبوْتُ
جررت ذيل شبابى لهواً وفيها جريتُ
فيها عرفتُك طفلاً ومن هواك انتشيتُ
ومن عيون رُباها وعذب فيك ارتويتُ
فيها لليلى كِناسٌ ولى من العز بيتُ
فيها بَنَى لىَ مجدًا أوائلى وبنيتُ
ليلَى، سراج حياتى خبَا فما فيه زيتُ
قد أطفأته كُراتٌ ما من لظاهنّ فوت
دَمَى بهنّ بُغاةٌ أصبننى فثويت

ثم يمضى الحوار بين الجريح وليلاه، ثم يتدخل البدوى والطبيب، فلا تنتهى المنظومة إلا بعد أن يستوفى حافظ تصوير ذلك المشهد الحزين

ونرجع إلى القصيد الميمية فنقول:

فى تلك القصيد صوّر حافظ عدة مشاهد، صور انتفاع الطرابلسيين بالذخائر التى تركها الجيش الإيطالى عند انهزامه بإحدى المواقع فقال:

حاتِمَ الطليان قد قلدتنا مِنةً نذكرها عاماً فعاما
أنت أهديت إلينا عُدةً ولباساً وشرابا وطعاما
وسلاحاً كان فى أيديكمُ ذا كَلالٍ فغدا يَفرى العظاما
أكثروا النزهة فى أحيائنا ورُبانا إنها تشفى السقاما
وأقيموا كل عام موسما يُشبع الأيتام منا والأيامى

وصوّر استخفاف الإيطاليين بالمعاهدات وبالدين فقال:

أحرقوا الدور، استحلوا كل ما حرّمت «لاهاى» فى العهد احتراما
بارك المطران فى أعمالهم فسلُوه: بارك القوم علاما
أبهذا جاءهم إنجيلهم آمراً يلقى على الأرض السلاما
كشفوا عن نية الغرب لنا وجَلوا عن أفق الشرق الظلاما
فقرأناها سطوراً من دمٍ أقسمت تلهم الشرق التهاما

وخلاصة القول أن حافظاً صوّر عواطف المصريين فى الثورة على الأمة الباغية التى عدت على إحدى البقاع الإسلامية، بحيث استطاع أن يسبق شوقى فى هذا الميدان

آمال مصرية

وهنالك تاريخ مجهول هو تاريخ جهاد المصريين لتحرير طرابلس من نير الطليان فى أعوام الحرب الماضية، وذلك الجهاد يرجع إلى نزعة أصيلة هى شوق مصر إلى التلاقى مع جميع الولايات التى تشرف على شواطىء البحر الأحمر وشواطىء البحر الأبيض، فقد كانت مصر فى أكثر عهود التاريخ متصلة بتلك البلاد اتصال وداد وإخاء، وبلادنا كانت الملتقى لآمال الرجال فى تلك البلاد، فأكابر الأغنياء من اليمن والحجاز وفلسطين والشام ولبنان ولوبيا والجزائر وتونس ومراكش قد انتفعوا جميعاً بمركز مصر مفتاح الشرق

وكبار الوطنيين فى مصر لهم أصول فى تلك البلاد، فقد عُير عبد الرحمن الرافعى بأنه شامىُّ الأصل، وعير عبد العزيز جاويش بأنه مغربى، ونحن مع هذا نرى هذين الرجلين غاية فى شرف الوطنية المصرية

ما معنى ذلك؟ معناه أن الوطن المصرى هو الوطن الذى ينتظم شواطىء البحر الأحمر وشواطىء البحر الأبيض، وقد حفظ التاريخ أن جنودنا استنزلوا فى المعارك التى انتهت بفتح

الأندلس وشهد التاريخ أيضاً أن عرب الأندلس لم يجدوا فى محنتهم مأوًى غير وادى النيل

متاعب الدنيا فى هذه الأيام لن تنسينا ما يجب أن يحفظ، ولن ننسى أبداً أن لنا إخواناً هواهم من هوانا فى جميع الشئون .

الحرب الحاضرة موجة عابرة، وميزان الوجود لا تزلزله قلقلةٌ وقتية سيزول صداها بعد حين

مصر هى مصر، والشرق هو الشرق، ورجاؤه فيها هو رجاؤها فيه، ولن ينفصم ما بينها وبينه من مواثيق

ستكون فيما بعد أصدق مما كنا فيما قبل « ولله العزةُ ولرسوله وللمؤمنين »

زكى مبارك

من أظرف ما قرأت

كزينوقراط الفيلسوف

للأستاذ صلاح الدين المنجد

كان فى أثينا، أيام أرسطوفان، مائة وخمس وثلاثون حظية، كن زهوراً فوّاحة فيها، ونجوماً رفّافة فى سمائها؛ وقد أوتين الخلابة والظرافة والجمال. وكانت لايس Laïs أخلبهن جمالاً وأبرعهن حسناً وأكثرهن دلاً وظرفاً

ويقولون إن ڤينوس، ربة الجمال والحب، تجلت لها فى الحلم فأرتها ما ستحظها به من حظ، وما ستنعم به من نعميات . . . ومسحت بكفها الصغيرة جسمها الغض، فجعلته مثار غوايات وينبوع شهوات

ولم يخلب الملوك، ولم يشرّد نوم الكهّان، ولم يُذهل أحلام الفلاسفة، غير لايس؛ لايس الطروب المدلة، ذات العين الضحوك والجسم الريان. فكان أهل أثينا يجتمعون فى « الكورنث » مسرح اللهو واللذاذات، يتمتعون منها بمحاسن تتجدّد وملاحات ليس تنفد، فإذا مضت إلى معبد ڤينوس، فيالسحر الجمال! هنالك ترى الشعب يتبعها كالخِراف لا يدعون ڤيتوس، ولا يبتهلون إلى آلهة الأولمب، ولكنهم ينظرون إلى لايس

وفَلّك ثدياها فكانا شركاً وفتنة : غضوضة تأسر اللبّ ونعومة تشل الحس، واهتزاز يفتن الناظر . فكان المثالون يمطون ڤينوس، إذا نحتوا لها التماثيل، نَديِّ لايس الحظية أو فرينه phryné اللعوب

وكانت الدنانير تنثر تحت أقدامها كما تنثر الأزاهير لنظرة حنون منها أو بسمة خلوب

ودوّخت لايس أثينا كلها، واشتد سلطان جمالها، وتيمت الأرواح وأذهلت الأحلام، إلا رجلاً واحداً، كان يتجلد ويصبر ولا يذعن لسلطانها . هو كزينوقراط الفيلسوف .

لقد طلبت منه مالاً من ماله ... « فإذا أعطيتنيه، سكبت فى فمك لذة الدنيا، وأذقتك هناءة العمر، فى ليلة واحدة ! »

ورفض الفيلسوف طِلْبة لايس، فأقسمت لتغوينّه، ولتجعلنّه من عباد جمالها المخلصين، وتخاطرت على الهزء به مع أناس كثيرين .

وطرَقتْ باب مأواه، وقد عبس الليل، مذعورة الجنان دامعة العينين . فقال لها : « ماذَعرَكِ يا لايس ... وما أصابك فى هذا الليل البهيم ... ؟ » قالت : « لقد تبعنى قُطّاع الطريق ورعبنى سُفاك الدماء، يريدون اختطافى ... فآونى فى دارك حتى يبرق لى النور ... ! »

وأدخلها الفيلسوف غرفته، وقدم إليها سريره .

يا عجباً ! لقـد اختفتْ تلك الدموع الغِزار التى كانت تساقطها، منذ لحظات، كحبات المطر، فتنحدر على خدودها كالدُّرَر .

وابتسمت لايس ... وابتدأت الفتنة !

لقـد وقفت أمامه، فرأى ما يسحر وما يغرى : فهذه البسمة الفاتنة كأنها وعد بلذّة صخوب، وهاته الشفاه المفترّة التى تقطر الشهد والرحيق، وهاتان العينان اللتان ترسلان لهباً فاتراً يوهن القوى، وينظران نظرات حالمة فيهن ظمأ وعتب وأسى . وهذان الذراعان البضان اللذان يمتدان للعناق . وهذه الحركة الرشيقة التى تثير الوجد، والضحكة البارعة التى تفلق الكبد، والغمزة الساحرة التى ينخلع لهـا الفؤاد ... ثم هذا الغضب الجميل، والنفور اللطيف، وذاك الدلال الحلو والإقبال

رفيق الصبا (*)

للأستاذ محمد مندور

ها أنا اليوم أتماسك فأستطيع أن أذكر رفيق صباى الدكتور محمد الشحات أيوب الذى نقلت إلى الصحف خبر وفاته. ولقد بكاه قلبى فكان البكاء رحمة من الله وقد أوشكت حياتى أن تختنق ضيقاً بوفاته.

أيوب رفيق صباى منذ مدرسة الألفي الابتدائية بمنيا القمح سنة ١٩١٧ إلى آخر عهدنا بتحصيل العلم سنة ١٩٣٩ بباريس. وهو زميلى فى دراستى ، كان يحب كما أحب حضارة اليونان لأنها تسمو بالروح إلى أفق لا يمكن أن يدركه إلا من يصل إليه بنفسه بعد جهد طويل. ولقد علقت روحه بمثل اليونان : الخير والحق والجمال ، فأبغض الظلم والشر والقبح. من لى اليوم برفيق سواه ؟ كنت ألقاه فنرفع من قلوبنا بذكر من نحب من كتاب تلك الحضارة المشرقة. ولقد عرف أيوب كما عرفنا مرارة الظلم الذى ينزله الجهل بالنفوس الخيرة. ولقد تعزى أيوب كما تعزينا بالقيم الروحية. ولقد جاهد أيوب معنا لأننا عقدنا العزم على أن نكسب النفوس بأيماننا. وها هو أيوب يغادرنا ونحن لم نكد نبدأ الشوط. أيها الأخ الراحل : لقد كنا بحاجة إليك. ها أشعة الأمل تشرق فى الأفق البعيد. عزيز على نفسى أن نستأثر بنصيبك فيها. اللهم املأ قبره ضوءاً. اللهم اهد إليه ضوء قلوبنا.

قد يجهل الناس أيوباً ، فهل لى أن يصدقونى إن قلت إنه أمل خبا ، أمل قوى لا أعرف أملاً يساويه. لقد كان أيوب «مدرس» التاريخ القديم بجامعة فؤاد الأول «أستاذاً» منقطع النظير. كانت له قدرة عجيبة على البناء التاريخى. كنت تراه يجمع مواده لا من ملخصات التاريخ بل من مصادر التاريخ. وكان رحمه الله

(*) أرسل هذه الكلمة لمجلة الرسالة الغراء لأن الدكتور أيوب له بها عهد ، والكل يذكر بلا ريب السلسلة التى ابتدأها بها عن « الشخصيات التاريخية » ، ونفذ منها « تيموستكل ». وقد كانت فكرته رحمه الله أن يحاول في التاريخ ما أحاوله فى الأدب ، فينشر « شخصيات تاريخية » فى الرسالة كما أنشر أنا « نماذج بشرية » فى الثقافة ؛ وبذلك حسب وحسبت أننا نساهم فى الحركة الفكرية بنصيب ما. ثم إن اشتغال الزميل العزيز بالانتهاء من رسالته للدكتوراه صرفه عن الاستمرار فى الموضوع فتركه مؤقتاً على أن يعود إليه فيما بعد. وها هو الموت يسبقه إلى ما أراد. اللهم آنس وحشته.

الظريف ... ثم ما شئت من مراح ومزاح ، ورقص وشدو ، وبكاء وأنين. كل أولئك ما هزّ الفيلسوف وما أثر فيه.

لقد قطعت الليل تحاول إغراء كزينوقراط ، فما خلبته فتنتها ، ولا هاجه سحرها ؛ لكنه لبث أمامها ينظر متجلدا ، كأنه قطعة من حجر أو قِدّة من جليد..

ولَمْلَمَتْ لاييس أثوابها ، وخرجت من دار الفيلسوف مع الفجر وفى عينيها الحلوتين دموع الخيبة والفشل

وانتشر الخبر مع النور ، فجاء صواحبها مسرعات ، فابتسمت لاييس ، وقالت : « لقد راهنت على إغواء إنسان. أما كزينوقراط فتمثال من جليد ...! »

ونظر لِداتُها بعضهن إلى بعض دهشات ، وقلن : « لك عذرك يا لاييس ! »

هذا حديث أرسطوفان ، ما أدرى مبلغ التزويق أو التهويل فيه ، ولكنى ذكرت ، وقد تمثلت فى خاطرى صورة الفيلسوف حديثاً طريفاً للجاحظ ، عن نديم اسمه أبو المبارك الصابىء ، كان أحلى خلق الله حلاوة وظرافة وفكراً ، وأبرعهن حديثاً ونادرة وعلماً ، وألطفهن مذهباً وطريقة وفهماً. وكان قد خصى نفسه وأربى على المائة. وكان ينادم الخلفاء والوزراء ويغشى بيوت حرمهن ، ويقضى الأوقات الطوال عندهن. وكان قلبه علوقاً بالجمال يتتيمه ويهيم فى أثره. فسئل عن ميله إلى النساء ، وقد تخطى المائة ؛ فزفر زفرة كادت تقصف ضلوعه وقال : « إنى لأسمع نغمة المرأة ، فأظن مرة أن كبدى قد ذابت ، وأظن مرة أنها قد انصدعت ، وأظن مرة أن عقلى قد اختلس ، وربما اضطرب فؤادى عند ضحك إحداهن ، حتى أظن أنه خرج من فمى ... فكيف ألوم غيرى عليهن ؟ »

فما أشد اختلاف الطباع !

(دمشق) صلاح الدين المنجد

* * *

حاشية : « جاء فى مقالنا عن « الندوات الأدبية الخاصة فى الغرب » المنشور فى العدد (٤٩٣) : « وصالون اللادى هولاند فى القرن الثالث عشر » وصوابه « القرن الثامن عشر »

ورسم اسم النقاد اللاذع والمصور دليكوز Delecluz ، وصوابه Delecluze

يعلم ويحس أن التاريخ قصة نفاذ الروح البشرية إلى العالم والكائنات ، ولهذا كان يتتبع مسارب تلك الروح فى مظانها . مصادر التاريخ عنده كانت تماثيل فدياس وبراكستيل ، خطب بركليس وديموستين ، مسرحيات سوفكليس وأوربيدس ، ملاحم هوميروس ، وأغانى بنداروس ، قصص هيرودوت ، وتحليل توكيديدس . التاريخ عنده كان شيئاً واحداً : الروح البشرية فى مظاهرها المتعددة . جاءنى يوماً يطلب إلى رواية الفرس لأيسكيلوس ليتخذها مصدراً من مصادر المعرفة الحقة . المعرفة الإنسانية بمعركة سلامين .

درس أيوب التاريخ بمصر فكان الأول بين أقرانه ؛ وأرسل أيوب في بعثة إلى باريس ثمانى سنوات حيث أخذ العلم عن جلوتز وجنبير وسينوبوس وأمثالهم ممن تتطأطأ لهم الهامات فى العالم أجمع . ولم يكتف بتحصيل المعرفة من بطون الكتب وأفواه الأساتذة بل ذهب عاماً كاملاً إلى بلاد اليونان يقلب آثار الماضى المجيد ويستنطق الحجارة . وعاد أيوب إلى مصر بعد أن طوف بدلف وديلوس وفيليب وأولمبي وقد انصهرت المعرفة بنفسه فإذا بالتاريخ القديم عنده كذكريات حياته الخاصة يحدثك عنه فى طلاقة وحرارة وقوة فيكسبك .

عجيب أن يموت أيوب ! عجيب أن يجف هذا النبع قبل أن يتدفق ! لقد حاضر أيوب بالجامعة ثلاث سنوات فقط . لكن سل زملاءه ، سل تلاميذه وهم موضع أمله ، سلهم يخبروك عن هذا العالم الثبت الذكي الفؤاد الفصيح اللسان . لقد أخصب أيوب نفوساً ستذكره بالرحمة .

لم يتوان أيوب عن أداء رسالته . ولقد عقد العزم ونحن معه على أن نؤديها ، تنكر الناس أو رضوا ، ظلموا أو أنصفوا . ولقد أحس بالظلم تكوينا ناره فصمد له وشمر عن ساعده فترجم جزءاً هاماً من « تاريخ مصر » لهانوتو ، ذلك الكتاب الضخم الذى وضعته جماعة من علماء فرنسا بتكليف من مليكنا العظيم فؤاد الأول رحمه الله ، ورأت وزارة المعارف أن تنقله إلى لغتنا ، فأدرك بعض رجالها أن أيوباً فى طليعة من ينهضون بهذا العمل الجليل الشاق

وقالوا إن المرء لا يثبت علمه إلا إذا كان « دكتوراً » ، وكان أيوب يعد رسالة أصيلة باللغة الفرنسية عن تاريخ طيبة اليونانية . وقسوا على أيوب فلم يرد أن ينتظر حتى تسكن الحرب ، فيقدم رسالته إلى السوربون بل قدمها إلى جامعة فؤاد الأول ، فإذا به يمنح أعلى درجة تعرفها جامعتنا . وهذا ليس موضع فخارنا بأيوب ، وإنما نفخر بأنه استطاع أن يتمتع بصداقة أستاذنا جميعاً البروفسير جوجيه أستاذ التاريخ القديم بجامعات فرنسا سابقاً ومدير المعهد الفرنسى بالقاهرة فى السنين الأخيرة ، والذى كان من حظ جامعة فؤاد الأول أن تنتدبه للتدريس بها . لقد كان البروفسير جوجيه ولا يزال يعز أيوباً بل يحبه حب تقدير لعلمه وإخلاصه وتفتح نفسه ، وكان يخصه دائماً بالثناء . وكانت محبة البروفسير لتلميذه وزميله محبة فعالة لأنها قامت على أساس شريف : أساس العلم . فكنت تراه يعين أيوبا على كل أموره . صغيرها وكبيرها . عامها وخاصها . كم اهتزت نفسى لنبل هذا الأستاذ الكريم إذ حدثنى أحد أصدقاء القاهرة أن البروفسير جوجيه لم يتخل عن أيوب أثناء مرضه ولا نسيه بل تردد عليه فى كل حين وأعانه على تلقى الموت بروح مطمئنة

وأحس أيوب أن ضعف المؤلفات العلمية من أكبر أسباب انحطاط التعليم ببلادنا انحطاطاً لا شك فيه ، فأخذ نفسه بوضع مؤلفين أحدهما عن النظم اليونانية والآخر عن النظم الرومانية . ولقد افترقنا منذ أشهر ، فلم أدر إلى أى مرحلة وصل فى كتابيه ، ولكننى على ثقة من أنه قد خطا بهما خطوات واسعة ، لأن أيوبا كان عقلاً نشطاً ، وكان إذا قال نفذ وإذا وعد صدق . ترى ما مصير هذه الكتب ؟! إن كاتب هذه الأسطر يعتبرها نعمة من الله أن يستطيع ترتيب المواد وإتمام التفاصيل وإيضاح الغامض والإشراف على نشر تلك الأبحاث القيمة التى خلفها رفيق صباه ؛ وكلى أمل أن الجامعة والوزارة ستقدران قيمة هذه الأشياء فترصد المال اللازم لإذاعتها بين الناس

يجب أن تنشر رسالة الدكتوراه لأيوب ، والجزء الذى ترجمه أيوب من هانوتو ، ومذكرات أيوب ومقالاته . هذه كنوز . وقد ذاق أيوب المر فى حياته ، فهل لنا أن نكفر عن ذلك بالإحسان إلى ذكراه ؟

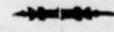
أما حزنى على هذا الصديق فأعز من أن يحتويه لفظ . اللهم ارحمه !

أيها الصديق الراحل ! سنجاهد كما جاهدت حتى نلحق بك . سنظل كما عهدتنا جنداً فى خدمة الروح . إلى اللقاء .

(الأسكندرية) **محمد مندور**

عيـــد الهجرة

للأستاذ على محمود طه



غنِّ بالهجرة عاماً بعد عامِ   واذْعُ للحقِّ وبشِّرْ بالسلامِ
وترسَّلْ يا قصيــدى نغماً   وتنقَّلْ بين موج وغمـام
صوتُكَ الحقُّ فلا يأخـذكَ ما   فى نواحى الأرض من بغْيٍ وذأم
كنْ بشير الحبِّ والنورِ إلى   مُهَجٍ كلْمَى وأكبادٍ دوامى
هجرتْ أوطانهـا واغتربتْ   فى مِثالىٍّ من المبدإ سامى
أَنِفَتْ عيش الرقيق المُجتبَى   وأَبَتْ ذُلَّ الضمير المستضام
يا دُعاةَ الحقِّ هـذى محنةٌ   تُشعلُ الرُّوح بمسعور الضرام
هذه حرب خياة أو حمام   وصراعُ الخير والشرِّ العقام
خاضَها الإسلامُ فرداً ، وهدَى   بيراعٍ ، وتحـدَّى بحسام
هجرةً كانت إلى الله وفى   خطوها مولدُ أحداث جسام
أخطأ الشيطانُ مسراها ، فيا   ضَلَّةَ الشيطانِ فى تلك الموامى
آبَ بالخيبةِ من غايتــهِ   وهو فوق الأرض ملعونُ المقام
صفحاتٌ من صراع خالدٍ   ضُمِّنتْ كلَّ فخارٍ ووَسـام
لم تُتَحْ يوماً لجبَّارٍ طغَى   أو لباغٍ فاتك السيفِ عُرام
بل لداعٍ أعزلٍ فى قومهِ   مستباح الدَّمِ مهدورِ الذمام
زلزلَ العـالَم من أقطاره   بقُوَى الرُّوح على القوم الطغام
وبنى أوَّلَ دنيـــا حُرَّةٍ   بَرِئَتْ من كلِّ ظلم وأثام
تسعُ النـاسَ على ألوانهم   لم تفرِّقْ بين آرىٍّ وسامى

***

حاطمَ الأصنامِ هل منكَ يدٌ   تَذَرُ الظلمَ صديعاً من حُطام ؟
لم تُطقْها حجراً أو خشبـاً   ويُطاقُ اليومَ أصنامُ الأنام !
وعجيبٌ صُنْعُهم فى زمنٍ   أبصرَ الأعمى به والمتعامى
آدميُّون قزَامي انتحـلوا   منطقَ الآلهةِ الشمِّ العظام
وتراهم مثلمـــا تسمعهم   صُوَرَ الوهم وأحـلامَ النيام
بَشَّروا الناس بدنيا ، ويحهم !   أىُّ دُنيا من دَمارٍ وَحِمام ؟
تسلُبُ العــالم حُرِّياتِهِ   وترى الناسَ قطيعاً من سَوام
قيل للحق ، وما أعجبـه   فى مجال حيـوى ونظام !
قيل للخبز ، فهل أطعمهم   حلمَ الحرب سوى الموت الزؤام ؟
أنت يا أيَّتُها الشمسُ اطلُعى   من وراء الليل والغيم الرُّكامِ
سَدِّدِى بالنار قوساً واصرعى   ماردَ الشرِّ بمشبوب السهام
ضَلَّتِ الأرضُ بليلٍ داهمٍ   يحذَرُ النجمُ دُجَاهُ المترامى
دَمِيَتْ أعينُنا فى جنحـه   واشتكت حتى خفافيشُ الظلام

***

يا شعوباً جَمَعَتْهــا أمةٌ   بين مصرٍ وعراقٍ وشآمِ
وبطوناً من بقايا « طارقٍ »   فى الجبال الجُرْدِ والخُضْر النوامى
صاغَها الإسلام فى إقليـدهِ   خرزاتٍ من فريد وتؤام
ما شدا شعرى بها إلا هفَتْ   بالقباب البيض أو حُمْر الخيام
كلُّ روحٍ بهدىً من حُبِّها   كلُّ قلبٍ بشعاع من غرام
تذكر القُرْبَى وتستدنى بها   مشرقَ الآمال فى مطلعِ عامِ
وتُرَجِّى عودةَ المجد الذى   أعجز البانى وأعيـا المتسامى
فى بيوتٍ هاشميات البِنَى   وعروش أمويَّاتِ الدَّعام
ونتاجٍ من نُهىً جبَّـارةٍ   وتراث من حضارات ضخام
قُلْ لها يا عامُ لا هُنْتِ ولا   كنتِ إلا مهد أحرار كرام
ذاك مجد لم ينلـــه أهله   بالتمنى والتغـنى والـكلام
بل بآلام وصـــبر وضنى   ودموعٍ ودم حُرٍّ سِجَام
قُلْ لهـا إنَّ الرحى دائرة   والليالى بين كرٍّ وصـدام
فاستعدِّى لغـدٍ إن غداً   نُهْزَةُ السبَّاق فى هذا الزحام
واجمعى أمركِ لليوم الذى   يحمل البشرى لمشّاق السلام

على محمود طه

إلى الأستاذ البشبيشي

للأب أنستاس مارى الكرملى

(تأخرت فى البريد)

١ — تمهيد

أشكرك ، يا سيدى الشكر الجزيل الصادق ، على مطالعتك لمقالتى التى نشرتها لى (الرسالة) ، بخصوص كتاب (الإمتاع والمؤانسة) ، وأشكرك شكراً أعظم ، على أنك تنازلت فأبديت بعض ملاحظات تتعلق بكلمتى تلك . والآن أستأذنك فى إبداء ما عندى من النظرات . وأول كل شيء ، أود أن أقول كلمة فى تاريخ رسم الحروف فى مصر ، وهى :

٢ — تاريخ رسم الحروف فى ديار النيل

كان كتبة وادى النيل ، قبل سنة ١٢٧٥ للهجرة ، يختلف بعضهم عن بعض ، فى رسم بعض الأحرف ، ككتابة الأعلام المؤنثة المنهية بالياء والهاء كأفريقية ، أو بالياء والألف كبادورايا ، أو بالألف القائمة كبخارا ، أو بالألف الجالسة ، وهى الألف المصورة بصورة الياء كبخارى أيضاً (على رأى من يكتبها بهذا الرسم) ، وكالمهموز الآخر الوارد على وزن التفاعل كالتخاجؤ والتخاجئ ، وكان أغلب اختلافهم فى رسم الهمزة الواقعة فى قلب الكلمة كرؤوس ، وبدأوا ، ومشؤوم

وسبب ذلك جميعه ، أن كل واحد من أولئك الكتبة المصريين ، اتخذ له إماماً نحويًّا أو لغويًّا ، وحاول اقتفاء آثاره . ولما كان الأئمة الأقدمون كثيرين ، ويختلف بعضهم عن بعض فى هذه الأمور ، اختلف أيضاً متتبعوهم ومقلدوهم فى هذه الأزمان الأخيرة

أما بعد سنة ١٢٧٥ ، فقد أخذ الاختلاف يزول شيئاً بعد شيء من بين ظهرانى أبناء النيل ، أو كاد يزول . وذلك لأن الشيخ العلامة نصر الهورينى وضع رسالة فى ذلك العام (المطالع النصرية ، للمطابع المصرية) ، ووشاها بقواعد لم يتبع فيها إماماً واحداً من أئمة العربية ولغوييها ، بل جمع بينهم ؛ لأن اختياره لم يكن موفقاً ولا دائماً حسناً ، فقد خالف أحياناً سيبويه والحريرى والخفاجى وغيرهم من أولئك الأساطين العظام الأقدمين ، بل خالف أيضاً ثقات المتأخرين كجماعة الألوسيين : شهاب الدين ونعمان ومحمود شكرى ، فجاء تأليفه كفلك نوح ، الذى كان يحوى زوجين من أطايب الحيوان وخبائثه ، أى أن كتابه حوى أطايب القواعد وخبائثها . ومع ذلك راج كتابه أى رواج ولا سيما لأنه تولى تصحيح كثير من أسفار مشاهير الأقدمين ، وكانت تطبع فى مطبعة بولاق للحكومة المصرية ، منذ أن تولى تصحيح ما يصدر فيها ، حتى شاع رسم الهمزة فى تلك المطبوعات على ما أراد لا على ما كان رسمها المؤلف الأصيل فى كتابه

ومما زاد الطين بلة ، أن جماعة ممن جاء بعده من المؤلفين أصدروا كتباً للمدارس ، فأشاعوا وأذاعوا تلك القواعد التى سوّرها الشيخ الهورينى بأسوار من فولاذ ، بل أقوى وأصلب ، فكانت الطامة الكبرى ولا سيما جاء الشيخ العلامة حسين والى وكان ينتظر أن يصلح ما أفسده سلفه ، لكنه تابعه فى جُلّ قواعده ، إلّم نقل فى كلها ، وسمى تأليفه (كتاب الإملاء) (كذا) ، مع أنه كتاب الرسم ، إذ الإملاء بهذا المعنى من كلام الترك واصطلاحهم . لا من كلام العرب ، كما كتب لى بذلك المؤلف نفسه فى كتاب أحفظه ، وكان جواباً على ما بينته له . فسارت تلك القواعد سير النار فى هشيم التبن بين جميع المعلمين والمتعلمين ، وهى لا تزال سائرة إلى هذا اليوم الذى نكتب فيه هذه الكلمة

إلا أنه — والحمد لله — قام مُناوِئاً للعالمين أعظم لغوى يخالفهما ، وهو الشيخ محمد محمود بن أحمد بن محمد التركزى الشهور بابن التلاميد (بدال مهملة فى الآخر) ؛ الشنقيطى : المغربى الأصل ، فإنه تولى طبع (المخصص) لابن سيده (بهاء محضة فى الآخر) ، وعلق عليه حواشى هى درر بل درارى ، فزاد قدر المخصص فى عيون الناس زيادة لا تضاهى فى شيء ، وقد رسم الهمزات فى مواطنها ، كما يجب أن ترسم على مذهب السادة الأئمة الفصحاء كسيبويه وابن الأنبارى وابن جنى والحريرى

والخفاجي وأضرابهم في هذا الأوان كأبناء الألوسي والزهاوي والرصافي

وقد اتفق للشنقيطي أن فنَّد بعض الأحيان تفنيداً فلسفياً وبصريح العبارة ، كلام الشيخ الهوريني وزيف أقواله ، وبذات الوقت لم يوافق على رأي الشيخ العلامة حسين والي ، ونحن نورد لك هنا نموذجاً مما قال ، وقد عثرنا عليه نبهاً ، وقد جاء ذلك في المخصص ٨ : ١٧٨

٣ — الآئب لا الآيب

« آئب ، الصواب أن يكتب بالهمز بعد المد على قاعدة إبدال عين فاعل ، لمعتل فعله همزة ، وهي قاعدة مطردة لم يستثن منها حرف واحد بالإجماع . وقد عد في المغني من اللحن قول الفقهاء : « بايع » بالياء غير مهموز . ولا عبرة بما كتبه الشيخ نصر الهوريني في مطالعه ، حيث ذكر في صحيفة ٤٨ [من الطبعة الأولى وص ٧١ من الطبعة الثانية] حكم الهمزة المكسورة المصورة ياء ، وقال هناك : « نعم ، إذا كان قبلها ألف نحو آيل وآيس وآيب ، تبدل ياء حقيقية بمقتضى القياس الصرفي نظير ما قالوه في جمع ذؤابة على ذوائب ، حيث لم يجمعوه على أصله ذائب . وقد ورد من حديث الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم : آيبون تائبون عابدون . ولم يروه أحد بالهمز » انتهى لفظه بحروفه وهذا كله خطأ مخالف للقياس والرواية ، فلا يجوز التعويل عليه . ونحو ذوائب في جمع ذؤابة مما شذ عن القياس ، والشاذ لا يقاس عليه . والدليل على صحة ما قلته من إثبات همزة آئب وتحقيقها قول النابغة :

تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بآئب

وقول ابن زيابة :

يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآئب

وقول تأبط شراً :

فأبت إلى فهم وما كدتُ آئباً

وقول الأخنس بن شهاب :

تطير على أعجاز حوشٍ كأنها جهام هراق ماءهُ فهو آئب

ونحو هذا كثير مما أجمعوا على روايته بالهمز فقط . وكتبه محققه محمد محمود لطف الله تعالى به . آمين

إلى « آمين » هو كلام الشيخ الشنقيطي العلامة الأكبر ، وهو في الوقت نفسه يرد على الشيخ حسين والي . وقد ورد كلامه مثل كلام الشيخ الهوريني في ص ١٩٢ من الطبعة الثانية من كتاب الإملاء فلا حاجة لنا إلى نقله على غير جدوى .

٤ — رؤوس . بيدأوا . مشؤوم . شؤم . شأم

قال الحريري في درة الغوّاص ، طبعة الجوائب في سنة ١٢٩٩ في قسطنطينية في ص ١٢٨

« فأما سؤول ، ويؤوس ، وشؤون ، ومؤونة ، وموؤودة ، فالأحسن أن يكتبن بواوين ، ومنهم من كتبها بواو واحدة » اهـ ولم يقل وترسم مفردة أو على نبرة إذا لم يكن فصل ما بعدها عما قبلها كما في مشئوم ، وكما قال حضرة أستاذي المحترم محمود البشبيشي

ومثل كلام الحريري ، قال الشيخ الأجل الآلوسي في كتابه (كشف الطرة من الغرّة في ص ٤٦٨)

فيؤخذ من كلام الحريري والآلوسي أن الهمزة إذا وقعت في قلب الكلمة ، فإن كانت متحركة ، كتبت على حرف علة يجانس حركة ما قبلها كما في رؤوس . وعليه تكتب (بيدأوا) على الألف لهذا السبب نفسه لأن حركة الدال فتحة .

أما مشؤوم فقد قال في التاج في مادة (ش أم) : وشؤم عليهم ككرم ويَمُن ... ورجل مشؤوم ، بالهمزة على مفعول ، وكذلك يَمُنَ عليهم فهو ميمون . ومشوم ، كمقول والجمع مشائيم ، نادر وحكمه السلامة ... » والذي ورد مطبوعاً « مشؤم » وهي — ولا شك في النادر — من الناشر لا من المؤلف ، لأن هذا يقول : بالهمز على مفعول ، وفي مفعول خمسة أحرف ، فإذا كتبناها (مشؤم) كانت الأحرف أربعة ، فظهر الخطأ من الطابع أو من الناشر ، ولم يكتبها أحد من العلماء الثقات الأثبات (مشؤم على وزن مَفْعُل بضم العين ، لأن هذا الوزن نادر في كلامهم وليس مشؤم منه .

فتكون القاعدة : إذا وقعت الهمزة متحركة في الوسط وسكن

ما قبلها كتبت على حرف علة يجانس حركتها . ولما كانت حركة مشؤوم ضمة كتبت على الواو ، وهى غير واو مفعول اللازمة له

أما إذا كانت الهمزة الواقعة فى الوسط ساكنة فترسم على حرف علة يجانس حركة ما قبلها . فتكتب شؤم على الواو ، وشأم على الألف ، وبئس على الياء . وهذا كل ما يقال فى رسم الهمزة الواقعة فى الوسط

وقد تكلم الشيخ نصر الهوريني على الهمزة فى كتابه المطالع النصرية فى ٤٤ صفحة ، وبعد أن يتم القارئ الوقوف عليها ، يقول فى نفسه : هل عرفت كيفية رسم الهمزة ؟ أما الشيخ أحمد فارس الشدياق ، فقد تكلم عليها وعلى مواطنها من الكلم فى كتابه (غنية الطالب) المطبوع فى قسطنطينية سنة ١٢٨٩ فى ١٣ سطراً لا غير . ونحن ننقل هنا نصه ليطلع عليه من لا يملك الكتاب . وهذه هي وقد جاءت فى آخر ص ٣١ وبدء ٣٢ :

« إن كانت الهمزة فى الابتداء كتبت بصورة الألف دائماً نحو أنصر وأضرب وأكرم . وإن كانت متوسطة ساكنة كتبت بحرف يجانس حركة ما قبلها ، نحو : يأس وبؤس وبئس . وإن كانت متحركة وماقبلها ساكن نحو : يسأل ويلؤم ويَيئِس ، لغة فى ييأس بمعنى يقنط ، أو كانت متحركة وما قبلها متحرك نحو سأل ولَؤُم ويَئِس

وإذا كانت متطرفة ، فإن كان ما قبلها متحركا كتبت بحرف حركته نحو : قرأ وقرئ وقؤ . وإلا فتكتب من دون حرف ، نحو شىء وبدء وجزء

وإذا وقعت همزتان ثانيتهما ساكنة قلبت ألفاً لينة وكتبتا بصورة المد نحو : آمن أصله أأمن على وزن أفعل . وأهل الغرب يكتبون الهمزة منقطعة وبعدها ألف نحو ءامن . وكذلك إذا وقع بعد الهمزة ألف نحو : المآكل جمع مأكل

وإذا اجتمع همزتان متحركتان ، جاز لك أن تفصل بينهما بألف نحو آأنت أمْ أمْ سالم . أما ماضى مهموز اللام المثنى فيبق كتبهُ بألفين نحو قرَآا

وللهمزة أحكام كثيرة قد اختلف فيها أهل الرسم ؛ ولو أنها رسمت من الأصل بصورة معلومة خاصة بها ، لما نشأ شىء من هذا الخلاف » انتهى كلام الشدياق

والسوريون المعاصرون ، والعراقيون واللبنانيون جروا ويجرون على هذه القواعد المذكورة هنا ، وهى أيضاً قواعد الحريرى والخفاجى والآلوسى والشدياق ، ولا يخالفونهم فى شىء

وإذا كان ثَمَّ من يجارى كتاب وادى النيل ، فهو لأنه تعلم فى مدارس أبناء مُضَرَ من المصريين ، وطالع أشعارهم نخالف بذلك أهالى وطنه وعلماءه ، من عهد غير بعيد

والآن ، وقد بسطنا كل ما يهم القارىء فى هذا الموضوع فهل يستطيع الأستاذ البشبيشى أو غيره من العلماء أن يأتى لنا بنص صريح يرتقى إلى أربعمائة سنة أو دونها وفيه نُأتى رسم الهمزة وحدها فى حشو الكلمة فى أى حال من الأحوال ، ويكون النص لعالم ثبت ثقة يعتمد عليه . فإننا نتحداهم حقَّ التحدى !

يا سيدى الأستاذ البشبيشى ، إننا نعلم العلم اليقين ، أن أسلافنا العرب كانوا فلاسفة أجلاء فى سليقتهم ، حتى فى قواعدهم الصرفية ، والنحوية واللغوية ، فهى تتدفق منطقاً ، وفلسفة ، وحكمة ؛ ونظن أن الذى حملهم على أن يرسموا الهمزة الواقعة فى قلب الكلمة على حرف ، هو أنهم شبهوها بحشو البطن ، أو بقلب الإنسان . فكما أن الأحشاء لا تكون وحدها ، بل تقع بين الصدر والطرفين ، أى الرجلين ، كذلك الهمزة لا تكون وحدها ، بل تقع على ما يسندها بصدرها وطرفها

أفبعد هذه الفلسفة أو الحكمة العميقة ، والواضحة لكل ذى عينين نيرتين من يذم أحكام العربية وقواعدها ؟ — فإذا كان هناك من يفعل ذلك ، فهو من الشعوبية وأعدى أعداء العرب كهتلر ومصولينى !

ونظن أن فى هذا القدر فى هذا الموضوع ، مجزأة ، بل مكرهة لكل قارئ . فالعفو يا سادتى الكرام ، والمغفرة من شيم العرب الفخام !

(البقية فى العدد القادم)

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

٤٧ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الرابع عشر — الصناعة

ليتبين القارئ قيمة النقود في القاهرة أثناء السنوات الأخيرة أقدم فيما يلي قائمة أسعار بعض الأطعمة العادية أثناء زيارتي الثانية. ومنذ أن أصبحت مصر مرة ثانية طريق الهند ومجمع السائحين الذين زاد عددهم على السنوات السابقة، زادت أسعار السلع المختلفة زيادة عظيمة. وتقل الأسعار في مدن الأرياف وقراها عنها في العاصمة، فيكون سعر اللحم والطيور والحمام نصف الأسعار المذكورة هنا تقريباً، وسعر القمح والخبز يكون ثلثها أو نصفها:

	فضة	قرش
القمح: الأردب من ٥٠ إلى	٠٠	٦٣
الأرز: « حوالي	٠٠	٢٤٠
الضأن: الرطل	٠٠	١
لحم البقر: «	٣٥	٠٠
الطيور: الواحد من قرش وعشر فضة إلى	٢٠	١
الحمام: الزوج « « « « «	٢٠	١
البيض: الثلاث بيضات	٥	٠٠
الزبد: الرطل	٠٠	٢
السمن: « من قرشين إلى	١٠	٢
البن: « من ستة قروش إلى	٠٠	٧
التبغ الجبلي: الأقة من ١٥ قرشاً إلى	٠٠	١٨
« السوري: « من خمسة قروش إلى	٠٠	١٠
السكر المصري المخروط: الرطل	٠٠	٢
السكر الأوربي: «	١٠	٢
العنب في موسمه: «	١٠	٠٠
العنب المتأخر: الرطل من ٢٠ فضة إلى	٣٠	٠٠
البسكويت: القنطار	٠٠	١٦٠
الماء: القربة من ١٠ فضة إلى	٢٠	٠٠
خشب الوقود: حمل الحمار	٠٠	١١
الفحم: الأقة من ٢٠ فضة إلى	٣٠	٠٠
الصابون: الرطل	٣٠	١
الشمع المصنوع من الشحم: الأقة	٢٠	٨
الشمع الجيد: «	٠٠	٢٥

وفي القاهرة أبنية عديدة تسمى الواحدة منها «وكالة»[1] تخصص لإيواء التجار وخزن بضائعهم. والوكالة بناء يحيط بساحة مربعة أو مستطيلة، وتتكون طبقتها السفلى من مخازن مقبّبة للبضائع تواجه الساحة، وتستعمل أحياناً حوانيت. ويعلو هذه المخازن مساكن يدخل إليها من رواق يمتد على طول جوانب الساحة الأربعة. وقد يعلو هذه المخازن بدلاً من المساكن مخازن أخرى. وتستعمل الغرف المعدة للسكنى في أكثر الوكالات مخازن ولا يكون للوكالة غير باب عام واحد يقفل ليلاً ويحرسه بواب، وفي القاهرة من هذا النوع حوالي مائتي وكالة. ويقع ثلاثة أرباعها في نطاق المدينة الأصلية.



(شكل ٥٥)

دكاكين في إحدى شوارع القاهرة

وموضوع هذا الشكل دكان العطار ويبيع العقاقير والعطور والشمع الخ. ويرى على الدرفة جملة (يا فتاح) أنظر الفصل الحادي عشر

ذكرت قبلاً في مقدمة هذا الكتاب أن شوارع القاهرة الكبرى يقوم على جانبيها صفان من الدكاكين لا تتصل بالبناء الأعلى (شكل رقم ٥٥) ويلاحظ ذلك في أكثر الشوارع

(١) ويقال « الوكالة » ، وينطقها الفرنج occaleh ، occal ، بدلا من دار الوكالة وتعني دار وكلاء التجار

الفرعية أيضاً . وتخصص الدكاكين عادة فى الشارع الواحد بعضه أو كله لتجارة واحدة[١] فيسمى السوق باسم هذه التجارة أو باسم المسجد المقام هناك . ويطلقون على أقسام الشارع الرئيسى فى هذه المدينة : « سوق النحاسين » أو « النحاسين » فقط لأنهم يسقطون عادة لفظة (سوق) و « الجوهرية » و « الخردجية » و « الغورية » وهذا القسم الأخير باسم المسجد المقام فيه ؛ وهذه هى بعض أسواق المدينة المهمة . ويطلقون على السوق التركى الرئيسى : « خان الخليلى » . ويغطون بعض الأسواق بحصر أو ألواح تحملها عوارض تمتد فى الشارع أعلى الدكاكين قليلاً أو فوق المنازل[٢]



(شكل ٥٦)
دكان تاجر تركى فى سوق « خان الخليلى »

يتكون الدكان من كوة مربعة الشكل، أوحجرة صغيرة (شكل ٥٦) ارتفاعها ست أقدام أو سبع تقريباً، وعرضها بين ثلاث أقدام وأربع . وقد يتألف الدكان من حجرتين تتقدم الواحدة الأخـــرى ، وتستعمل الأخيرة مخزناً[٣] ويقام أمام الدكان مصطبة[١] بالحجر أو الآجر يستوى سطحها بأرضية الدكان . وترتفع المصطبة عادة حوالى قدمين ونصف أو ثلاث أقدام ، ويكون عرضها كارتفاعها . وتجهز واجهة الدكان بمصاريع ثلاثة سهلة الطى يعلو بعضها بعضاً ، فيثنى أعلاها إلى فوق ويطوى الآخران إلى أسفل فوق المصطبة ، فتكون مقعداً مستوياً يفرش بالحصر أو بالبسط وبالوسائد أحياناً . وتستبدل بعض الدكاكين بالمصاريع السابق ذكرها أبواب منثنية . ويجلس التاجر غالباً على المصطبة ما لم يضطر إلى الانسحاب قليلاً داخل الدكان ليخلى المكان لمن يصعد إليه من حرفائه الذين يخلعون أحذيتهم قبل أن يطأوا الحصيرة أو البساط بأقدامهم . ويقدم التاجر الشبك إلى حرفائه الدائمين أو من يشترى بضاعة كثيرة إلا إذا كان هؤلاء يحملون شبكهم . ثم يرسل إلى أقرب مقهى فى طلب القهوة التى تقدم فى فناجين صغيرة من الخزف الصينى داخـل ظروف من النحاس الأحمر . ولا يستطيع أكثر من شخصين أن يجلسوا براحة على مصطبة الدكان ما لم تكن هـذه أوسع من المعتاد . غير أن بعض المصاطب تمتد إلى ثلاث أقدام أو أربع ، فيكون عرض الدكان حينئذ خمس أقدام أو ستا ، فيفسح المجال لأربعة أشخاص أو أكثر يجلسون الجلسة الشرقية . ويقيم التاجر صلاته على مصطبة على مرأى من المـارة . وقد يترك التاجر دكانه وقتاً فيطلب من جاره أن يخفره له أو يعلق شبكة على بابه . ويندر أن يفكر التاجر فى ضرورة إغلاق دكانه قبل الإنصراف إلى منزله ليلاً أو الذهاب إلى المسجد لصلاة الجمعة . أما الغرف التى تعلو الدكاكين فقد وصفتها فى مقدمة الكتاب

(يتبع)

عدلى طاهر نور

(١) وقد ظل الأمر كذلك طويلا فى البلدان الشرقية الأخرى . أنظر أرميا ٣٧ / ٢١ : « فأمر الملك صدقيا أن يضعوا إرميا فى دار السجن وأن يعطى رغيف خبز كل يوم من سوق الخبازين حتى ينفذ كل الخبز من المدينة »

(٢) وقد علمت عند ما تركت مصر نهائياً أن أغلب هذه الأغطية يوشك أن يزال .

(٣) يحتفظ التاجر ببضائعه الزائدة فى هذا المخزن أو فى مسكنه أو فى وكالته

(١) أزالت الحكومة المصاطب من أغلب الشوارع

حكم فى الجنحة ٤١٤ سنة ١٩٤٣ عسكرية روض الفرج بحبس نجيب بولس ابراهيم ثلاثة شهور شغل واغلاق محله والمصادرة والتعليق على نفقته لبيعه ارزاً بأزيد من السعر المحدد

دفنتها بيدى!... (*)

للشاعر التركى عبد الحق حامد بك

أيتها العيون التى أمست ثقوباً ! أيتها العظام الدائرة النخرة ، أنظرى ... أنظرى إلى جلال هذا التابوت الجميل المزهر ... أنظرى ثم ارقدى بسكون حتى البعث ... تحت لحافٍ من الترب فى ظلمة القبر ، وعُدّى هـذا اليوم قيامةً صغرى !

***

الناس والدواب والطيور والأشجار والأحجار ... كلها وشيكة البكاء من فرط الألم ، والسحب القاتمة فى حزنها العميق ، تبكى تارة ، وأخرى تُنْثر النظر الواله إلىّ فى سكون موحش . إنها جميعاً تشاطرنى لواعج الحزن بصمتٍ ناطقٍ مشوب بالذهول ... !

***

يا ناشداً العِبْرة ، كفكف العَبْرة ، وانظر فى هذه الحفرة ، تجد ثَمّ جمال الوجود منظوماً فى قصيدٍ من الحسن ، تجده ممثلاً فى صاحبة التابوت ... لقد كانت أجمل من السماء الحالية بأملاكها . كانت أحلى من رحيق الأزاهر ورضابها ، كانت أجمل من الطفولة فى براءتها ونضارتها ، ومن الملائكة فى علائها وجلالها . كانت أجمل من الحور الكاسية بنور الإله فى جنات النعيم .

***

يا لشعرها ! كان أجمل من الشمس فى شروقها ، وهى ترسل شعاعها اللألاء من الورود والرياحين .

يا لعيونها ! كانت مرآة مجلوة للخيال الحالم .

يا لنظراتها الوادعة ! كانت ينبوعاً للرحمة يتدفق منه ماء سائغ سلسبيل ...

ولكنها الآن يابسة كأمواجٍ من جَمَد !

وبستان دلالها ؟ لقد كان يموج بِحَلال من السحر والفتنة ، ولكنه ذوى وتغشاه سكون رهيب ساحر ! ...

***

كان وجهها المزدان بهالة شعرها أجمل من البدر يتلمس السفور من فُرَج السحاب ...

والأحزان التى تراءت على وجهها قبل أن تزهق نفسها إلى الموت ، لكالشمس ساعة رؤيتنا لها تحتضر ، فى غروبها وراء أثباج من الموج ...

***

كفى ... ... !

أرى القلم يئن من لذع الألم التأثر ، وأحس المداد يبكيها وهو متشح بثوب الحداد ...

مَهْلاً أيها القبر ، هلا صنتها بين أحضانك وأطبقت إطباق البحر المظلم على لؤلؤة بين أصدافه ؟

وأنت يا أحجار القبر ويا أتربته ، هل تَرَيْن الناس عليكِ بُكاة كما بكوها ؟ ...

ترى لمن كانت آمالٌ مندثرة بين القبور ، وآلام جدت على صفحات الرموس ...

حدثنى بربك ياقبر ، هل بكوا عليك بكاءهم عليها حين المات ؟...

ألا خبروني كيف انقلبَ البكاء الواله إلى سُكون وصمت ، ثم إلى قبر مهجور ، فأحجار بعثرها البلى وسط القبور ... كم مكثت شريداً أيها القبر ، يتراوح عليك صباح ومساء ، بين هديل للحمام ونعيب للبوم ؟ !

احفظ العهد بإحسان ورفق

ألا فاشهدوا يا سكان القبور ...

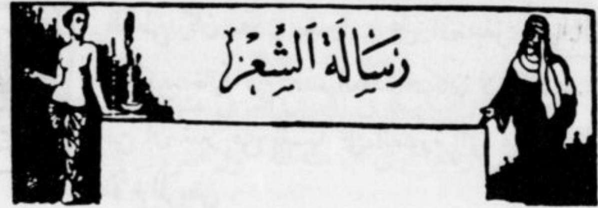
(حلوان)

ترجمة

محمد أمين نور الدين

المحامي

(*) مقتطفات من حديقة الشاعر التركى « عبد الحق حامد بك » عن ديوانه « أولو » : أى الميت الذى شطره بالتركية أيضاً المرحوم « نور الدين بك مصطفى » والد المترجم.



يا ريح الشـتاء !

[إلى الصديق الدكتور المبارك أهدى هذه العاصفة]

للأستاذ محمود الخفيف

إعصِفِى يا رِيحَ الشِّتَاءِ اعصِفِى مِلْءَ سَمْعِى وَنَاظِرِى
إصفِرِى يارِيحُ اصفِرِى وَاعنُفِى مَثِّــلِى مَا بِخَاطِرِى
صَرْصِرِى، ثم صَرْصِرِى وَصِفِى بَيْنَ جَنْبَىَّ ثَوْرَةَ الثَّائِرِ !

* * *

إعصِفِى يَا رِيَاحُ لَا تَسكُنِى أَزعِجِى كلَّ جَانِبِ
إغضَبِى يَا رِيحُ اغضَبِى إِنَّنِى عَاشِقٌ كلَّ غَاضِبِ
أمعِنِى... هيه... أمعِنِى، أمعِنِى عَلِّمِينِى مِنْ لَحنِكِ الصَّاخِبِ

* * *

عَفِّرِى، عَفِّرِى هُنَا، عَفِّرِى وَعَلَى البُعْـدِ عَفِّرِى
غَبِّرِى الجَوَّ غَبِّرِى غَبِّرِى رَاقَ لِى أَنْ تُغَبِّرِى
كلَّ صَفوٍ ذَكَرْتُهُ عَـكَرِى كلَّ ضَعفٍ أَودِى بِهِ أَقبِرِى

* * *

يَا رِيَاحَ الشِّتَاءِ لَا تَهْدَئِى إِيهِ يَا رِيحُ دَمْدِمِى
عَجِّلِى بالصَّفِيرِ لَا تُبْطِئِى يَا لَهُ مِنْ مُعَــلِّمِ !
الأَهَازِيجُ عِفْتُهَــا فَاذْرَإِى سَأَمًا بَاتَ طُولُهُ مُسْقِمِى

* * *

أَقبِــلِى يَا رِيَاحَ ذَارِيَةً أَيْنَمَا مِرْتِ عَاصِفَــهْ
أُنسُ رُوحِى إِنْ نُحْتِ آتِيَةً أَنْ أَرَى الأَرضَ رَاجِفَهْ
لَيتَ رُوحًا لِى مِنكِ عَاتِيَةً لَيتَ صَوتًا كالرَّعْدَةِ القَاصِفَهْ

* * *

زَلْزِلِى كلَّ سَاكِنٍ نَاعِسٍ وَاحْطِمِى كلَّ جَامِدِ
وَاكْنُسِى كلَّ يَابِسٍ دَارِسٍ عَاقِرِ العُودِ فَاسِدِ
وَاسْلُكِى بَعْدُ مَسْلَكَ الفَارِسِ لا يُبَالِى أَىَّ امْرِئٍ حَاصِدِ

* * *

دَوِّخِى الدَّوْحَ دَوِّخِى وَابعَثِى بالأَعَاصِيرِ عَاتِيَــهْ
يَتَرَاقَصْنَ خِيفَــةً فَاعْبَثِى بِعَمَالِيقَ رَاسِــيَهْ
حَدِّثِينِى فِيمَا أَرَى حَــدِّثِى عَنْ مَعَانٍ فِى مُهْجَتِى ثَاوِيَهْ

* * *

كلَّ لَاهٍ أَوْ مُبْصِرٍ ذَكِّرِى كَمْ لَهُ فِيكِ تَذْكِرَهْ
سَيْطِرِى لَا تُغَادِرِى سَيْطِرِى لَكِ رَوحٌ مُسَيْطِرَهْ
أَلْهَمَتْنِى فِى عَصْفِهَا أَسْطُرِى غَيْرَ مَعْنًى أَمْسَكْتُ أَنْ أَذْكُرَهْ

الخفيف

تحية « الرســالة »

للأديب عمر حافظ شريف

أشاهد من نور السنا ما أشاهدُ فأسال خلى ما عسى أنت واجد
أذاك شعاع للرسالة أم ترى بدا للورى صرح من النور خالد
تمر بها الأيام يسمو مكانها وتسمى إلى غاياتها وتجاهد
كحلم ابن يعقوب لها النصر مرشد تطالعها الأعوام عشرٌ وواحد
كواكب سعد حالفتها وأقبلت تناصرها والكل للنور ساجد
أضاءت محاريب البيان بسحرها فحازت مكاناً تبتغيه الفراقد
هى السحر والنبراس تبدى لنا الهدى
بآياتهــا للقلب والعقل قائد
فسيرى يواليك الكمال إلى العلا
لك الشعر وشىٌ والمعانى قلائد

عمر حافظ شريف



التوأماله

قيض لي أن أزور توأمين ذكرين في العشرين من العمر متماثلين من جهة الصورة والأخلاق والوجدان والذكاء .

ومن طريف ما يذكر أن الأم تعرف أول من رأي منهما النور ، وقد أخبرتني أن ولادتهما كانت يسيرة وأن الفرق بين عمريهما خمس دقائق .

ملت أبوهما منذ بضع سنوات وقامت بأودهما أختهما التي تكبرهما بنحو خمس سنوات . وتحدب أمهما عليهما وتعاملهما على قدم المساواة . وقد علمت أنهما نشآ في بيئة واحدة وعاشا في ظل ظروف واحدة . ومازالا يتعلمان حرفة واحدة هي البرادة . والعجيب أنهما يخطئان في نفس المسائل التي يطلب إليهما حلها . وقد اتفق أن رسب أحدهما في الامتحان لمرضه بينما نجح الآخر ، ولعدم معرفة تمييز أحدهما من الآخر في المدرسة أعيد امتحان الناجح منهما على اعتبار أنه الراسب فنجح للمرة الثانية في نفس السنة .

قالت لي أمهما : إنهما عند ما كانا رضيعين كانا يستيقظان في نفس الوقت تقريباً أثناء الليل فترضعهما معاً .

ومما ذكرته لي أختهما : أن أحدهما حضر على عجل إلى المنزل فلم يجد أخاه فترك المنزل حالاً بحثاً عن أخيه ، وفي هذه الأثناء حضر أخوه باحثاً عنه فلم يجده فترك المنزل على الفور ، وتكرر هذا الأمر مرات عديدة إذ لم يملك أحدهما الصبر لينتظر أخاه ريثما يحضر .

وعلى الرغم من أن هذين التوأمين يحب أحدهما الآخر حباً جما ، فقد انتابت أحدهما نوبة هستيرية دلت على ما يخالج عقله الباطن من الغيرة الشديدة من أخيه . وفي هذه النوبة فقد قوة معرفته لأفراد العائلة ، ولكن أول عمل قام به أثناء هذه النوبة ضربه أخاه ضرباً مبرحاً وهو لا يدري أنه أخوه ، ولكن عقله الباطن كان بذلك بصيراً ، على أن عقل أخيه الباطن لم يكن خالياً من هذه العقدة فكان لا بد لهذه العقدة من أن تعبر عن نفسها على الصورة التي عبرت بها عقدة الأخ المريض .

وقد أمكن بالتحليل النفسي شفاء المريض وإنقاذ الأخ من الاستسلام لنوبة هستيرية مماثلة .

محمد حسني ولاية
طبيب بصحة بلدية الأسكندرية

قصيدة حافظ النونية

. . . قال صديقنا الدكتور زكي مبارك في العدد السابق من الرسالة : « ونحن في مقام التاريخ وهو مقام يوجب الصدق . فلينظر المتسابقون في ص ٨٧ بالجزء الثاني من ديوان حافظ ، ليروا أن قصيدته التي نظمها عن مظاهرة السيدات في سنة ١٩١٩ لم تنشر إلا في سنة ١٩٢٩ ، ومعنى ذلك أنها كتمت نحو عشر سنوات » ثم قال مخاطباً الطلبة : « أتريدون الحق ؟ لقد نسبت تلك القصيدة في ذلك الوقت إلى جماعة من الشعراء منهم الأستاذ محمد الهراوي ، ولم ير حافظ أن يصحح النسب لئلا يقال أو يقال ! »

والحقيقة التي أعرفها عن هذه القصيدة بالذات هي ما يأتي :

كنت في مجلس من مجالس السياسة والأدب ، ولم تكن المجالس على أنواعها في ذلك العام السعيد سوى مجالس للثورة والحياة ، وإذا بالمرحوم سليم سركيس مقبل علينا بوجه مشرق ولهفة بادية المعاني وقال : أخبار اليوم هي أخبار حافظ ، ومد يده إلى جيبه فأخرج منها ورقات وأخذ يتلو علينا القصيدة النونية التي نحن في صددها ، ومطلعها :

خرج النواني يحتججن ورحت أرقب جمعهن

نسخت القصيدة ، وهي بخط المرحوم حافظ ابراهيم وبعثت بها إلى الصحف السورية التي كنت أراسلها آنذاك ، وقد نشرها المرحوم سركيس بمجلته المعروفة باسمه

فلا يعقل والحالة كما ذكرت أن تنسب تلك القصيدة إلى غير ناظمها ، وقد سمعته ينشدها في أحد المجالس ، ولا أن يقال إنها كتمت عشر سنوات .

حبيب الزحلاوي

إجابة

الكيك والكيكة فى اللسان العربىّ مثل البيض والبيضة وزناً ومعنًى ، ولهذا أرى أن منه المأكول المعروف الذى يقال له « كيك »

الملاء — بالضمّ — الزكام

(وهيب)

أصدقاء ... !

قيل إننى كتبت كلمة فى مجلة الثقافة أحدثُ بها من استطراد الباحثين فى « لغويَّة » شغلت أذهان رهط من فضلاء الباحثين عدة أسابيع ، متعلِّياً بهم أن يجرّهم التحمس لآرائهم فى هذه الهاجسة إلى المنابذة . وقيل إن الكلمة كانت غذاء متخماً لشهوة الخلاف ، حين التهمها الاستغلال الصحفى « لقاف الثقافة » الأستاذ محمد سعيد العريان ، نخدش أمانة القلم فيها ... وعرضها بالطريقة التى كان من آثارها أن يُرْمد شعور الصداقة بينى وبين صديق الكاتب البليغ الأستاذ « محمود شاكر » حتى خدرته شائمة الألم ؛ فقال فى كلمته بالعدد الماضى من الرسالة « عقل المرء مخبوء تحت لسانه » وأورد بيتاً من الشعر خانه ترويض غضبه به ... وما لى بهذا شأن فهو انتقال من موضوع واضح إلى غبار مجرد لا أجيد التطارح به ولا سيما مع من له فى رأيى ونفسى ما لمحمود شاكر

وأنا أقول إنى عند رأيى فى فكرة الموضوع ، على غير قصد شائك لحضرات الأدباء الذين ورد ذكرهم . أما صداقتى بالأستاذ شاكر فهى أعتى من أن يوهنها نمل الصحافة ، أو يسكر بصدعها « قاف الثقافة » ... !

محمود اسماعيل

الى الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

تعجبنى أفكارك يا سيدى ، ويسرنى منهاجك المستقيم فى البحث والنقاش ؛ ولكنى لم أستسغْ أن تتهمنى فى كلمتك الأخيرة على غير أساس ، بتهمة وجهتها إليك على أساس ...

كنت قد قلتُ إنك تشايع بعض المستشرقين القائلين بنزول القرآن بمعانيه دون ألفاظه ، حين تزعم أن الرسول عليه الصلوات كان ممن يبدلون لفظاً بلفظ آخر يغايره فى معناه ، لمجرد التشابه بين حروف اللفظين والتباسهما على القارئ بطريق ما . وقد جعلت هذا دون غيره أساساً لتهمتى ؛ ولم أضف إليه وقتذاك ما زعمته أيضاً فى كلمتك من أن هذا التبديل كان من حق كل مسلم عربى دون رجوع فيه إلى الرسول حين « يكون بعيداً عنه فيتعذر رجوعه إليه ... ثقة بملكة العربى فى ذلك الوقت » ! وهذا نص تعبيرٍ لك لم أرد أن ألح عليك بالإشارة إليه ثقة منى بأن صدوره لم يكن إلا نتيجة سرعة تحريرك ، وسبق قلمك لمجرى تفكيرك . ولكنك تأبى يا سيدى وقد تبرأت من تهمة الأخذ برأى أولئك المستشرقين — فى غير حجاج مقنع — إلا أن تعود فتنسبها إلىّ ، لأنى كما تزعم « حملت كل ما لا يدخل من القراءات فى باب اختلاف اللهجات على التصحيف ، ولم أفرق فى ذلك بين قراءات شاذة ومتواترة » . وأنت تعرف أنى لم أزد فى كلامى عن هذا التصحيف على ما أورده السيوطى ؛ بل لقد أتيت بما يشكك فى قوله حين ذكرت أن صاحب الكشاف مع أكثر المفسرين يعتبرون هذا النوع من الكلام قراءة صحيحة لا تصحيفاً

فما كان أحراك يا سيدى وقد نفيت التهمة عن نفسك ألا تعود فتلصقها بمن لوَّح إليك بها فى تأدب مع إقناع ، لأن من دأب الفضلاء وأنت أحدهم ، أن يميطوا الأذى عن طريقهم — إذا شاءوا — لا ليطرحوه مرة أخرى فى طريق الناس .

ولك أزكى تحياتى واحترامى

(جرجا) محمود عزت عرفة

تاريخ وفاة ياقوت

أورد الأستاذ البحّاث محمود عزت عرفة فى العدد ٤٩٤ من مجلة « الرسالة » شبهة فى تاريخ وفاة ياقوت الرومى الحموى . والذى يبدو أن وفاته كانت سنة ٦٢٦ كما أجمع عليه المترجمون له ؛ وأما الجملة المقحمة فى النسخ المطبوعة من معجمه أثناء كلامه عن الحسن بن الباقلانى ، وهى (لقيته ببغداد سنة ٦٣٧ ...) فالراجح أنها كانت مزيدة فى الهامش من صاحب النسخة الأصلية المخطوطة ، أو من أحد المطالعين فيها ، ثم أدرجها النساخ فى الكتاب ، كما يقع كذلك كثيراً ولا سيما فى كتب التاريخ ، فترى نظائره فى تاريخ بغداد للخطيب ووفيات الأعيان

وفوات الوفيات وحسن المحاضرة وغيرها ، فإن فيها وفيات أناس ماتوا بعد المؤلف . وقد أصاب الأستاذ عرفة فى الإشارة إلى ما يؤيد أن يكون ذلك مقحماً فى المعجم بعد وفاة ياقوت فرجو الدكتور أحمد فريد بك رفاعى ناشر المعجم أن يكون محققاً فيما ينشره من آثار السلف .

محمد غسانه

غلطة تاريخية

قال الدكتور زكى مبارك فى مقالته عن الشوقيات أثناء الكلام عن قصيدة « النيل » ما نصه :

... ولم يفته أن ينص على عدالة عمرو بن العاص الذى ضرب ابنه بالسوط حين سمع أنه أهان أحد الأقباط وقال فى ذلك كلمته التاريخية : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا

فعزا هذا الضرب إلى عمرو بن العاص مع أن الضارب هو مصرى ضرب ابن عمرو بأمر الخليفة عمر ، وأسند الكلمة التاريخية إليه مع أن المعروف أن القائل هو عمر الفاروق . أنظر الصفحة الثانية من الجزء الثانى من كتاب « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة »

وهبى الحاج اسماعيل حقى

مجلة الأنصار

استقبلت زميلتنا « الأنصار » عامها الهجرى الثالث فصدرت فى أول المحرم حافلة بالأبحاث القيمة والموضوعات الجديدة ، متقدمة إلى القراء بأسلوبها الخاص فى خدمة الفكرة العربية والثقافة الإسلامية ، معتمدة فى تناول الثقافة المصرية على أساس البحث العلمى . والعدد الجديد الذى قرأناه من الأنصار يدل على تقدمها خطوة واسعة فى سبيل فكرتها فنتمنى لها النجاح والتوفيق .

المفضليات

تناولت كتاب المفضليات للرضى الذى خرج أخيراً للناس بتحقيق وشرح الأستاذين الشيخ أحمد محمد شاكر والسيد عبد السلام محمد هارون ، وكنت أظن أنى سأجده لا يمتاز عن طبعته الأولى إلا ببعض شروح وتحقيقات ، ولكن ما كدت أقرأ فاتحته حتى رأيتنى أمام عمل جليل يستأهل النظر فيه ، ويستوجب الإقبال عليه ، ذلك أنى وجدت الشارحين قد صحت نيتهما على نشر نفائس الشعر العربى فى العصور الأولى وما بعدها ، وذلك لأن هذا الشعر « ديوان العرب وترجمان أفكارهم وعنوان مفاخرهم ورافع ألوية عظمتهم ، ثم هو المرآة الصادقة لحياتهم » ورأيا أن يبدأ بنشر كتب الأئمة المتقدمين التى اختاروا فيها عيون الشعر ومحاسنه

فهذه المفضليات التي ظهرت اليوم إن هى إلا حلقة من تلك السلسلة الذهبية التى سينشرونها من نفيس الشعر ؛ وهذا ولا ريب عمل جليل طالما تمنيناه وعدنا إليه . ولو أنك قرأت هذا الكتاب لوجدت فيه بحثاً قيما عن أصل المفضليات وتاريخها لا تجد مثله فى كتاب آخر

ومما انفرد به شرح هذا الكتاب أنه قد اشتمل على أمرين لم نجدهما في شروح كتب الأدب قبل اليوم أولهما (التخريج) وثانيهما (جو القصيدة) وهذان الأمران قد جاءا من طريقة المحدثين إذ التخريج عندهم هو بيان الكتب التى تخرج الحديث الدينى يبين ما فيه من معنى وما كان له من سبب

ولا نطل الكلام عن هذا الشرح وما فيه من الفوائد الجزيلة فى اللغة والصرف والنحو والبلاغة وما إلى ذلك ، وبحسبنا أن نقول إنه يمثل هذا الشرح الذى أخذ نصيبه من التمحيص والتحقيق والاستيعاب يجب أن ينشر تراثنا القديم ، حتى يؤدى فى هذا العصر ما كان يؤديه شيوخ الرواية من قبل بعد أن أصبحنا ولا سبيل لأخذ اللغة وآدابها إلا من الكتب

وإنا نرجو أن يوفق الله الشارحين فى عملهما حتى يخرجاه فى أجل صورة وأكمل وجه .

(المنصورة) محمود أبو ريه

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٧ — ١٠ — ١٩٤٢ فى القضية رقم ٣٦٦٣ سنة ١٩٤٢ جنح ضد فنيم عبد الرؤوف عسر ش ٢٤ بقال شارع الصحة دمنهور بحبسه ثلاثة شهور شغل والمصادرة والغلق والعلق والنشر على مصاريفه لبيعه سكرا بسعر أزيد من التسعيرة

11me Année No. 498

Lundi - 18 - 1 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ عن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٩٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ محرم سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٨ يناير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهــرس

صفحة		
٤١	دفاع عن البلاغة	: أحمد حسن الزيات . . . ...
٤٣	الثالوث الجـامعى	: الدكتور زكى مبارك ... ...
٤٦	المفاوضات بين العرب والحلفاء	: الأستاذ نسيب سعيد ... ...
٤٨	إلى الأستاذ البشبيشى	: الأب أنستاس مارى الكرملى
٥١	الحضارات القديمة فى القرآن	: الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٥٢	عندما فاض النيـل	للشاعر التركى إبراهيم صبرى بقلم الأستاذ عثمان على عسل
٥٤	المنطق المنظور والمنطق المستور	: الأستاذ عبد الله حسين ...
٥٥	ذكرى [قصيدة] ...	: الدكتور عزيز فهمى ...
٥٦	الطيران بين أسلحة الحرب	: الأستاذ حسين ذو الفقار صبرى
٥٨	أول احتفـال بالعام الهجرى	: الأستاذ على عبد الله ... ...
٥٨	تاريخ وفاة ياقوت	: الأستاذ عبد الله مخلص ...
٥٨	تجديد اللغة	: الأديب زكريا إبراهيم ...
٥٩	إلى الأستاذ محمود عزت عرفة	: الأستـاذ عبد المتعال الصعيدى
٦٠	حديث الجهاد الأصغر والأكبر	: الأستاذ محمود أبو رية ...
٦٠	من عجائب البريد	: الأستاذ أمين خير الله ...
	المسرح والسينما	: الأديب عبد الفتاح متولى غبن

٥ - دفاع عن البلاغة

آلة البلاغة

آفة الفن الكتابى أن يتعاطاه من لم يتهيأ له بطبعه ولم يستعن عليه بأداته. وأكثر المزاولين اليوم لصناعة القلم متطفلون عليها، أغراهم بها رخص المداد وسهولة النشر وإغضاء النقد، فأقبلوا يتملقون بها الشهرة، أو يُزجون بها الفراغ، أو يطلبون من ورائها العيش، وكل جَهازهم لها ثقافة ضحلة وقريحة مَحْلة ومحاكاة رقيعة؛ ومن هنا شاع المبتذل وندر الحر، ونفق الرخيص وكسد الغالى، وكثر الكتّاب وقلت الكتابة

وادعاء الكتابة داء لا ينتشر إلا حين تضعف السلائق وتفسد الأذواق وتطغى العامية، فيصبح التفيهق علماً، والشعوذة فنًّا، والثرثرة بلاغة، واللحن تجديداً، والركاكة رقة. وفى مثل هذه الحال قال صاحب المثل السائر: « ومن أعجب الأشياء أنى لا أرى إلا طامعاً فى هذا الفن مدعياً له على خلوه من تحصيل آلاته وأسبابه.. ولا أرى أحداً يطمع فى فن من الفنون غيره ولا يدعيه. هذا وهو بحر لا ساحل له، يحتاج صاحبه إلى تحصيل علوم كثيرة حتى ينتهى إليه ويحتوى عليه. فسبحان الله! هل يدعى بعض هؤلاء أنه فقيه أو طبيب أو حاسب أو غير ذلك من غير أن يحصل آلات ذلك ويتقن معرفتها؟ فإذا كان العلم الواحد من هذه العلوم الذى يمكن تحصيله فى سنة أو سنتين

من الزمان لا يدعيه أحد من هؤلاء ، فكيف يجيء إلى فن الكتابة وهو ما لا تحصل معرفته إلا فى سنين كثيرة فيدعيه وهو جاهل ؟ »

وعجبُ ابن الأثير لن ينقضى حتى يعتدل الزمان بأهل العربية فتتضح الحدود ، وتستقيم الموازين ، وتصح الأقيسة ، فلا يتدخل أعجمى فى نسب آل البيت ، ولا يجرى حمارٌ فى حلبة الكميت !

***

أما بعد فإن آلة البلاغة الطبع الموهوب والعلم المكتسب . والمراد بالطبع ملكات النفس الأربع التى لا بد من وجودها فى البليغ ، ولا حيلة فى إيجادها لغير الخالق . وهى الذهن الثاقب ، والخيال الخصب ، والعاطفة القوية ، والأذن الموسيقية . فإن كنت على يقين جازم من وجود هذه الملكات فى نفسك فامض على ضوئها فى طلب هذا الفن فإنك لا محالة واصل .

وسألقى عليك بعض الأسئلة لتعلم من أجوبتك عنها إن كنت موهوباً أو غير موهوب :

هل يتأثر خيالك فى يسر ويتحرك فؤادك فى سهولة ، ثم يكون بين الخيال والقلب تجاوب سريع ؟ هل تجد لأذنك الحساسية الرهيفة لانسجام الألفاظ وازدواج الفِقر وإيقاع التراكيب ؟ هل يملك مشاعرك جمال البلاغة فى روائع الشعر والنثر ؟ هل تحس فى نفسك السمو إذا حمَّسها الاطلاع على النماذج الرفيعة من البلاغة فتتحرك للمنافسة والمباراة ؟ هل تشعر حين يتجه فكرك إلى موضوعٍ ما أن فكرته الجوهرية الأولية لا تلبث فى ذهنك أن تحيا وتنمو ، ثم تتشكل وتتلون ، ثم تتوالد وتنتشر ؟ هل تشعر بالحاجة الملحة والتوقان الشديد إلى الإنتاج الناشئ عن فيض القريحة وحرارة الفكر ؟ هل يسهل عليك إدراك العلاقة بين الأفكار المجردة والموضوعات المحسّة فتخرجها فى الصور المقبولة والألوان المناسبة ؟ هل تتمثل المعانى فى ذهنك من تلقاء نفسها على أفضل الوجوه الصالحة للتعبير والتصوير ؟ هل تحس حين تفكر فى موضوع شعرى أن العواطف تنثال على نفسك ثم تتزاحم وتتدافع طالبة الانبثاق والتدفق ؟

إن كانت أجوبتك عن هذه الأسئلة بنعم ، فتعال ننظر معاً فى الآلة الأخرى للبلاغة فإنه لا مندوحة لك عنها إذا شئت أن تستغل ما وهبك الله من قريحة خصبة وملكة مواتية

آلة البلاغة الأخرى هى العلم بمعناه الأعم ، أو المعرفة بمدلولها الأشمل . فالكاتب ، إذا كان ناقص العلم أو قليل الاطلاع ، يدركه الجفاف والنضوب فلا يكون فى آخر أمره إلا سارد ألفاظ ومقطّع جمل . ذلك أن معارف الكاتب هى منابع إنتاجه . وألوان المعرفة له كألوان التصوير للمصور يجب أن تكون كلها على اللوحة قبل أن يقبض على الريشة . والمعارف لا تستفاد إلا بمواصلة الدرس وإدمان القراءة .

وأقل ما يجب على طالب البلاغة درسه ، هو اللغة ، والطبيعة ، والنفس

أما اللغة فلأنها أداة القول والكتابة . وللثقافة العامة منها قدر مشترك يجب تحصيله على كل مثقف ؛ ولكن الكاتب أو الشاعر محتوم عليه أن يدرسها دراسة خاصة : يتضلع من مادتها ، ويتعمق فى فقهها ، ويتبسط فى أدبها ، ويحيط بعلومها ، ويوغل ما استطاع فى استبطان أسرارها ، واستقراء أطوارها ، حتى تكون للسانه وقلمه أطوع من الشمع ليد التمثال الماهر . ومن زعم أن النحو والعروض وسائر علوم اللسان لا ينبغى حذقها لغير الأزهريين فهو هازل لا يريد أن يكون شيئاً مذكوراً فى هذا الفن

ولكل لغة من اللغات المتمدنة عبقرية تستكنّ فى طرق الأداء وتنوع الصور وتلاؤم الألفاظ ؛ وهذه العبقرية لا تدرك إلا بالذوق ؛ والذوق لا يُعلَّم ، وإنما يكتسب بمخالطة الصفوة المختارة من رجال الأدب ، ومطالعة الروائع العالمية لعباقرة الفن . واطلاع الكاتب على النماذج الرفيعة من البيان الخالد يرهف ذوقه ، ويوسع أفقه ، ويريه كيف تؤدى المعانى الدقيقة ، وتحيى الكلمات الميتة

ولقد علمتَ أن الجاحظ والبديع والخوارزمى فى الكتّاب ، وأبا نواس وأبا تمام وأبا العلاء فى الشعراء ، كانوا مضرب المثل فى كثرة القراءة وسعة الحفظ . وكان فلوبير لا يقع فى يده كتاب إلا استوعبه . ولم يعالج روسو الكتابة إلا بعد أن حفظ مونتيني وبلوتارك . وبوسويه كان يحمل على ظهر قلبه التوراة وأحاديث الرسل ومواعظ الأحبار . وقد اعترف شاتوبريان بأنه كان يدمن قراءة برنار دى سان بيير . فإذا كان هؤلاء العباقرة قد رأوا أن الاستمرار على دراسة الروائع الأدبية ضرورى لضمان الخلود ، فإنه ولا ريب يكون لذوى القرائح الناشئة ضروريا لاستكمال الوجود

(الكلام بقية) احمد حسن الزيات

الثالوث الجامعى !

للدكتور زكى مبارك

هذا العنوان من ابتداع الأديب حسين فهمى صادق ، وقد نَصّ فى خطابه على أنه يَعنى به الأزهر وجامعتى فؤاد وفاروق ، وهو يسأل عن جوهر الحياة العلمية والأدبية فى هذه الجامعات الثلاث ، ويطلب أن « تُظهِر شيئاً يعلن عن نفسه على رءوس الأشهاد »

ومن قبل هذا الخطاب قرأت فى مجلة الصباح مقالاً يسألنى فيه الأستاذ عبد الحليم عبد البر عما صنع الأزهر وما صنعت دار العلوم فى تخريج الأدباء ، وكان من رأيه أن دار العلوم لم تخرج فى ستين سنة ستين أديباً وأن الأزهر لم يخرج فى ألف سنة ألف أديب (؟ !)

وأقول إن الفكرة الجامعية لم تُشرح فى مصر على الوجه الصحيح ، ففى مصر أقوامٌ يتوهمون أن محصول الجامعة هو محصول مدرسيها فى النواحى العلمية والأدبية ، وهذا خطأ ، لأن أساتذة الجامعات لهم صفةٌ غير صفة التأليف ، هم يوجّهون ولا يُبدعون ، إلا أن يكون فيهم رجالٌ مفطورون على الإبداع

الأستاذ فى الجامعة لا يطالَب بالمساهمة العلنية فى نشر الثقافة العلمية والأدبية ، وإنما يُسأل عن الصدق فى توجيه الطلاب إلى فهم دقائق العلم الذى تخصص فيه ، ومن حقه أن يتّسم بالخمول على أنه تشريف ، ومن واجب الدولة أن تثيبه عليه ، حين يصح عندها أنه خمول لا خمود

الأستاذ فى الجامعة مسئول عن رعاية الأستاذية ، والأستاذية نشأت فى جوّ الرهبانية ، فما يجوز له ما يجوز لسائر الرجال من مسايرة المجتمع فى جميع الأحوال ، إلا أن يكون فيلسوفاً يأخذ مادته الفلسفية من درس الأحلام والأهواء والأضاليل ، وهذا نموذج لا يوجد فى كل يوم ، وإنما تُبدعه الأقدار من حين إلى أحايين

لأساتذة الجامعة واجبات نرجو أن يعرفها تلاميذهم على النحو الذى نريد ، وتلك الواجبات ترجع فى جملتها إلى خصيصة أساسية ، هى الفناء المطلق فى الدرس والبحث والتنقيب ، ولو انتهى الأمر إلى أن يعيشوا مجهولين

فإن لم يكن بدٌّ من أن تتعرف الجامعة إلى الجمهور فذلك واجب الخِرّيجين ، لا واجب المدرسين . وإليكم الشواهد الآتية :

١ — نشاط كلية الحقوق لا يتمثل فى دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من القضاة والمحامين ، وهؤلاء هم البرهان على قوتها الذاتية

٢ — نشاط كلية الآداب لا يتمثل فى دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من المؤلفين والمترجمين والمدرسين والمفكرين ، وهؤلاء هم البرهان على قوتها الذاتية

٣ — نشاط كلية الهندسة لا يتمثل فى دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من كبار المهندسين ، وإليهم يرجع الفضل فى شؤون تفوق الإحصاء

٤ — نشاط كلية الطب لا يتمثل فى دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فيمن أخرجت من أطباء لهم مركز ممتاز فى مصر والشرق

٥ — نشاط كلية الزراعة لا يتمثل فى دار تلك الكلية ، وإنما يتمثل فى خريجيها النوابغ ، وقد أدوا خدمات جديرة بالثناء

٦ — نشاط الأزهر لا يمثله أساتذة الأزهر ، وإنما تمثله تلك الجيوش التى أخرجها الأزهر من وعّاظ وأساتذة وقضاة وباحثين

٧ — نشاط دار العلوم لا يمثله أساتذة دار العلوم ، وإنما يمثله المدرسون الذين أنجبتهم دار العلوم ، ولهم فى كل بلدة مصرية صوت

وعلى هذا يُقاس ، فالأساتذة يوجّهون ولا يُبدعون ، وأنا أرى أن المعاهد المصرية أدّت واجبها خير الأداء ، فهى جديرة بالتبجيل .

***

هذا هو الرأى فى تقدير الذاتية الجامعية من ناحية الصلة الخارجية ، ولكنى مع ذلك أرى من الواجب أن أرجع إلى هذا الرأى بشىء من التعديل فأقول :

يبدو لى أن ابتعاد الأساتذة عن المشاركة فى الجانب العلنى من الحياة العلمية والأدبية يعرّضهم لخطرين ، فهو أولاً يهوّن أقدارهم فى أنفس الطلاب ، وهو ثانياً يضيع عليهم فوائد كثيرة ،

فوائد تخلقها مواجهة المجتمع فى موجاته النفسانية والروحانية

والذى يعرف شيئاً من أحوال الشبان يلاحظ أن استفادتهم مما يقرأون تفوق استفادتهم مما يسمعون ، فهم تلاميذ للكتاب والمؤلفين قبل أن يكونوا تلاميذ لأساتذة الكليات . وهذه الظاهرة لا تحتاج إلى توضيح

وإذن يجب على أساتذة الجامعة أن يخلقوا لأنفسهم جوًّا خارجيًّا يساعد على تجديد الهواء فى جو الكليات ، ويشعر الطلبة بأن لأساتذتهم قدرة على فهم ما فى المجتمع من آلام وآمال ، ويبدد الشبهة التى تزعم أن الأساتذة يعيشون فى زمانهم غرباء

والحق أن الأدب الذى يقف عند درس الكتب وتحقيق الأسانيد هو « أدب الجماجم » لا أدب الأرواح

والنصوص القديمة لا تفهم جيداً إلا إذا عولجت بالروح الجديد ، وقد كان أستاذنا برونو يوصينا بأن نتسمّع لما يدور من المحاورات فى قهوات باريس ، عسانا نستفيد شيئاً من المرونة التى يبدعها الحوار الخالى من شوائب التكلف والافتعال

والحق أيضاً أن الرهبانية التى حاصرت حياة الأستاذية لم يبق لها فى هذا العصر مكان ، فهى تزمتٌ موروثٌ عن عصور الرياء ، وهى الثوب الذى يدارى الهزال عند بعض الهازيل

هل تعرفون السبب فى ضعف الفكرة التشريعية عند مدرسى القوانين فى هذا الجيل ؟

يرجع السبب إلى أن أكثر أولئك المدرسين لم تكتو أيديهم بنيران المعاملات ، فلم يعرفوا احتياج التشريع إلى التجديد الموصول

وسيأتى يومٌ نعرف فيه أن تدريس القوانين يجب أن يوكل إلى قدماء المحامين ، لأن ضلتهم بما فى المجتمع من متاعب ومصاعب تبصّرهم بما يعتور الفكرة التشريعية من عقابيل

وما يقال فى أساتذة الحقوق يقال فى أساتذة الآداب

فأستاذ الأدب يجب أن يكون أديباً بالقول والفعل ، أديباً مبدعاً لا أديباً مدرساً ، أديباً من رجال الصناعتين : صناعة الشعر وصناعة الكتابة

بين الكلمة والكلمة صلات لايدركها إلا من عانى المكاره التى يوجبها ضم كلمة إلى كلمة فى الحدود التى يوجبها روح البيان

الكلمة فى المعجم غير الكلمة فى الجملة ؛ هى فى المعجم سمكة محنَّطة ، وهى فى الجملة سمكة حية ، وبين موت الكلمة وحياتها برزخٌ لا يَعبُره إلا من يملك إنقاذها من الموت ، وهو الأديب الفنّان

ومن مقاتل الأستاذية فى الأدب لهذا العهد أن بعض الأساتذة لا يلتفتون إلى الوشائج الأصيلة بين الأدب وسائر العلوم والفنون ، مع أن أسلافنا نصوا على هذه الوشائج منذ أجيال وأجيال

كل ما فى الوجود مواد أساسية لعقل الأديب ، وروح الأديب . هو مسئول عن فهم جميع الحقائق بقدر ما يستطيع ، وفى حدود ما يطيق

فهل ترون أستاذ الأدب يقل فى المسئولية عن الأديب ؟

آفة الأستاذية فى هذا العصر أنها صارت وظيفة ، وجوّ الوظائف عجيبٌ غريب . ألم تسمعوا أن رجالاً تركوا كراسيّهم فى الجامعة ليظفروا بوظائف ضخمة الرواتب ؟

الغرض من هذا الكلام هو توجيه أساتذة الأدب إلى فهم واجباتهم الحقيقية ، وأنا أحذِّرهم عواقب ما اطمأنوا إليه من الرضا بزخرف الحياة الجامعية ، فزمام التوجيه الأدبى كاد يضيع من أيديهم ، إن لم يكن ضاع

كان فى مصر قتال بين الأفندية والمشايخ ، وكان المفهوم أن الأفندية رجال الدنيا وأن المشايخ رجال الدين

ثم دار الزمن دورته فأصبح كتاب المباحث الإسلامية رجالاً مطربشين ، أشهرهم فريد وجدى ومحمد هيكل وعباس العقاد

وإن طال سبات رجال الأدب من أهل « الثالوث الجامعى » فستكون لهم مصاير لا يعلمها غير علام الغيوب

أذهان الطلاب فى الجامعات الثلاث محتلة بأفكار وآراء لم تصدر عن تلك الجامعات ، فمن يمنّ على هؤلاء الطلاب بنعمة الاستقلال ؟

من يدرى ؟

لعل الخيرة فيما اختاره الله ! ولعل الله أراد أن تكون وظيفة الأدب وظيفة روحية لا رسمية ! ولعل الله أراد لطلبة الجامعات

خيراً مما نريد ، فأباحهم ما فى الحدائق الخصوصية والعمومية من أزهار وثمرات

• من يدرى ؟ من يدرى ؟

الهواء الطلق هو الأصل ، وهل تنفّس سقراط وأفلاطون فى كلية لها جدران وأبواب ؟

الحرية الروحية والعقلية هى أساس العبقرية ، ولا حياة لأدب لا يتمتع بحرية العقل والروح

لم تقبل جامعة باريس أن يكون جوستاف لوبون أستاذاً للفلسفة بالسوربون ، لأنه دكتور فى الطب لا فى الآداب ، فهل أنصفت جامعة باريس ؟

وهل كان أستاذنا فلان الذى أضحكنى مضغه للألفاظ اليونانية الميتة أعرف بدقائق الفلسفة من جوستاف لوبون ؟

كان أستاذنا ذاك مقبول الرأى فى أكثر ما يقول ، إلا حين يمضغ الألفاظ اليونانية ، وعند الدكتور مصطفى زيور نوادر لذلك الأستاذ الجليل !

كنا ندخل عليه فيهولنا أن نراه يترجم ويبرجم بأسلوب فظيع ، وهو يعرف أن اليونانية القديمة لن تبعث أبداً ، وهل بعثها اليونان حتى يبعثها الفرنسيس ؟

ألآن فهمت كيف احتلت برلين باريس ؟

كان الأساتذة الذين يراجعون رسالتى المقدمة إلى السوربون يكرهون أن يقع فيها بيت من الشعر ، لأن موضوعها هو النثر الفنى

وشكوت هذا التحكم إلى المسيو ديبويه فقال : إن جامعة باريس محتلة بالفكر الألمانى منذ انتصار الألمان فى حرب السبعين ، والألمان غاية فى التدقيق والاستقصاء

ثم ماذا ؟

ثم عرفت بعد لأى أن الألمان خدعوا الفرنسيس بزخرف الوسوسة البحثية ، ليصرفوهم عن التفكير فى إعداد وسائل الموت لمن يعادون

كانت فرنسا بعد انتصارها فى الحرب الماضية تتوهم أن غاية المجد أن يكون لها معهد مثل السوربون ، وكانت تصرّح بأن الشهادات التى تعطيها الجامعات الألمانية شهادات تجارية ، وأنها بذلك تتودد إلى الأغنياء من الطلبة الغرباء

وكان الأمر كذلك بالفعل ، وكانت النتيجة أن لا تقيم الحكومة المصرية وزناً للشهادات الألمانية ، لأنها شهادات مبذولة بلا تعب ولا عناء ، كالشهادات التى تعطيها أمة الطليان

ثم ظهر أن لألمانيا سريرة غير سريرة السوربون ، وهى النية المستورة لأكابر الفلاسفة من الألمان

وهنا أشهد أنى قرأت بالفرنسية نحو خمسين كتاباً تصور انحلال الألمان من الناحية المعنوية بسبب طغيان الشهوة الجنسية

فهل التفت الألمان إلى هذا الاتهام الخسيس ؟

مضوا يعملون في السراديب الخفية ليلقوا خصومهم بعد حين أو أحايين

أما بعد فالأدب عندى هو أن تسبق زمانك ، وأن تقتل خصومك . الأدب عندى أن تكون قوة تزلزل الزمان ، ولا تقنع بشهادة التاريخ

لأساتذة الجامعات شواغل من العلاوات والترقيات والدرجات، فدعهم فى غيهم يعمهون ، واجعل همك الأول والأخير أن ترفع راية القلم البليغ

زكى مبارك

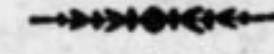
حكم فى الجنحة ٩٠٤ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٣٠-١١-٩٤٢ بتغريم محمد عقيلى بقال بنهدال خمسة جنيهات وغلق المحل أسبوع لبيعه سكرا بأزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة العسكرية ن ١٣٦٠ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٢ - ١٢ - سنة ٩٤٢ بتغريم محمود محمد أبو بكر خمسون جنيها وغلق المحل أربعة أيام لبيعه لحم بأزيد من التسعيرة .

أطوار الوحدة العربية

المفاوضات بين العرب والحلفاء

للأستاذ نسيب سعيد



قلت لك فى حديثى الماضى أن الحالة بلغت أشدها من التوتر والجفاء بين العرب والترك ، مما ينذر بشر مستطير ، بل بثورة عربية كبرى ، وغضبة مضرية جبارة ... وأقول لك اليوم إن البريطانيين ما كانوا غافلين عن كل ذلك ، وعما هنالك أيضاً من نضال داخلى ، ومشادة سرية بين « الحسين » و « الاتحاديين » ذاع خبرها واشتهر أمرها

وكان اللورد « كتشنر » معتمد بريطانيا العظمى فى مصر قبيل الحرب الماضية ، ووزير حربيتها في إبانها ، أول سياسى بريطانى عمل للتقرب بين العرب والحلفاء ، وخاصة بين « آل الحسين » والانجليز ، وسعى لإنشاء صلات ودية منهم وبين حكومته ، أملا فى اجتذابهم واكتسابهم بعد ما اكتسب الألمان الترك

ففى أواخر شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩١٤ وصل إلى مكة تاجر مصرى من حى الجمالية اسمه على أفندى أصفر يحمل إلى الشريف عبد الله (أمير شرق الأردن اليوم) من المستر « ستورس » السكرتير الشرقى لدار الحماية كتابا خاصا عن الصداقة العربية — البريطانية ، فلم يطلع الأمير عبد الله والده « الحسين » على الكتاب بل أكرم الضيف المصرى وصرفه بسلام . غير أن الرسول عاد بعد أسبوعين يحمل كتابا آخر من المستر «ستورس» نفسه كله ود وصداقة وإخلاص ، فأطلع الأمير حينئذ والده على الكتابين ، وبحثا فى الأمر مليا

وفى شهر نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩١٤ عاد السيد على المصرى إلى الحجاز يحمل كتابا ثالثا من المستر « ستورس » كان السبب فى ابتداء المفاوضات والمكاتبات بين العرب والحلفاء بصورة عامة ، وبين الحسين والانجليز بصورة خاصة

وفى شهر أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩١٥ عقد « مؤتمر الطائف » بين الحسين وأنجاله ، وفيه قرروا إعلان الثورة العربية بالاتفاق مع البريطانيين على أساس استقلال العرب وتحريرهم ووحدتهم . ومما قرروه فى هذا المؤتمر أيضاً أن يعود الأمير فيصل (ملك العراق بعد ذلك رحمه الله) إلى الشام فيتصل برجال العرب فيها ، وكانوا يفكرون فى أن تبدأ الثورة هنا فى ديار الشام فيدرس التدابير ويضع الخطط لتكون عامة تشمل الحجاز والشام والعراق ، وأن يسافر الأمير على إلى المدينة ويقيم فيها تحت ستار قيادة المتطوعين ، فيتفق مع شيوخ القبائل وينظم أمرهم استعداداً ليوم الثورة ، وأن يتولى الأمير عبد الله تنظيم قبائل الطائف والقبائل المجاورة لمكة ، ويعد معدات العمل ، وأن يشترك كذلك مع والده فى المكاتبات والمفاوضات التى تدور مع البريطانيين . ولما رجعوا من الطائف انصرف كل منهم إلى إتمام ما اختص به من المهمات

وبينما كانت المفاوضات والمكاتبات السرية تدور بين دار الحماية البريطانية بمصر وشريف مكة بالحجاز ، كان المستر (ستورس) يتصل بأقطاب حزب اللامركزية العربى فى القاهرة ، ويباحثهم فى « القضية العربية » ، ويدعوهم إلى زيارته فى قصر الدوبارة ويسألهم عن خططهم وبرامجهم فيما لو دخلت تركيا الحرب ، وماذا يكون موقفهم لو عمل الحلفاء على استقلال بلاد العرب ، وهل يستطيع أبناء العروبة مؤازرتهم والنهوض بأعباء استقلالهم ، فأجابوه :

« إن العرب يتمنون استقلال وطنهم وإعادة غابر مجدهم وعزهم إذا كان لا بد من انهيار دولة الترك . وهم على استعداد تام لتأييد كل سانحة وبارقة ترمى إلى استقلال العربي مهما كان شأنها ... »

ولقد دارت مكاتبات سرية يومئذ بين الشريف حسين باسم العرب ، والسر هنرى مكماهون نائب جلالة الملك بمصر باسم بريطانيا العظمى لأجل إعلان الثورة أدت إلى الاتفاق على البنود الخمسة التالية التى تمت الموافقة عليها فى الشهر الأول من عام ١٩١٦ وهى :

أولا : تتعهـد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معانى الاستقلال فى داخليتها وخارجيتها ، حدودها شرقاً : خليج فارس ، وغرباً : بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الأبيض ، وشمالاً حدود ولاية حلب والموصل الشمالية إلى نهر الفرات ومجتمعه مع الدجلة إلى مصبهما فى خليج فارس ما عدا مستعمرة عدن فإنها خارجة عن هذه الحدود . وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التى أجرتهـا بريطانيا العظمى مع أى شخص كان من العرب فى داخل هذه الحدود بأنها تحل محلها فى رعاية وصيانة حقوق تلك الاتفاقيات مع أربابها أمراء كانوا أو من الأفراد

ثانياً : تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هـذه الحكومة وصيانتها من أى تدخل كان وبأى صورة كانت فى داخليتها ، وبسلامة حدودها البرية والبحرية من كل تعد كان أياً كان الشكل ، حتى ولو وقعت فتنة داخلية من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الأمراء ، تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع تلك الفتنة ، وهذه المساعدة فى الفتن والثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أى إلى حين تم للحكومة العربية تنظيماتها المادية

ثالثاً : تكون ولاية البصرة تحت مشارفة بريطانيا العظمى إلى أن تم للحكومة الجديدة المذكورة تنظيماتها المادية . ويعين من جانب بريطانيا العظمى فى مقابل تلك المشارفة مبلغ من المال يراعى فيه حالة الحكومة العربية

رابعاً : تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاج إليه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة والذخائر والمال مدة الحرب

خامساً : تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو من نقطة مناسبة فى تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن بلاد ليست مستعدة لها »

وظل الشريف حسين حتى بعد هذا الاتفاق الذى تم فى شهر يناير (كانون الثانى) من سنة ١٩١٦ يعد ويسوف البريطانيين ، ويعد العدة سراً للعمل الخطير ، ويتأهب للوثوب ...

وكان قد كتب إلى المندوب السامى فى مصر كتاباً يعلمه بذلك فأجابه السر (أرثور مكماهون) فى كتاب مؤرخ فى ١٠ مارس (أذار) عام ١٩١٦ (٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤) يقول فيه : « قد تلقينا رقيمكم المؤرخ فى ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٤ عن يد رسولكم الأمين . وسررنا لوقوفنا على التدابير الفعلية التى تنوون اتخاذها وترونها موافقة للأحوال الحاضرة . إن حكومة جلالة ملك بريطانية العظمى تجيزها . ويسرنى أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك وافقت على جميع مطالبكم ، وإن كل شىء رغبتم بالإسراع فيه وفى إرساله هو مرسل مع رسولكم حامل هذا . وستحضر الأشياء الباقية بكل سرعة ممكنة . فتبقى فى بور سودان تحت أمركم إلى حين ابتداء الحركة وإعلامنا رسمياً بها . وقد انتهت إلينا إشاعات مؤداها أن أعداءنا باذلون الجهد فى أعمال السفن ليبثوا بواسطتها الألغام فى البحر الأحمر ، لإلحاق الضرر بمصالحنا هناك . فنرجوكم أن تسرعوا بإخبارنا إذا تحقق ذلك لديكم »

ومرت أربعة أشهر على هـذا الاتفاق العربى ـ البريطانى قبل أن يطلق الشريف حسين بندقية من قصر الأمارة بمكة . وكان الحجاز كما قلنا يعانى من شدة الحرب وأهوالها أكثر من سواه من الأقطار العربية . فسدت أبواب البحر ، وانقطع الحجيج ، ونفد القليل مما كان فى البلاد من زاد ، فضجت الناس ، وهلك مئات من الجوع ، وقد قال « الحسين » إنه ظل هو وأهل منزله سنتين يأكلون الدخن

مرت الأربعة أشهر وكان قد أصبح الأمير فيصل فى مأمن من الأعداء ، ولديه فوق ذلك من مالهم وسلاحهم ما لا يستهان به . وكانت الذخائر والسلاح والمال بدأت ترد عن طريق (بور سودان) من المصدر الذى أشار إليه المندوب السامى البريطانى فى كتابه

فتوكل الشريف حسين على الله ، ونهض فى صباح اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ ٢ يونيو (حزيران) عام ١٩١٦ قبل الفجر وبيده بندقية أطلقها طلقة واحدة كان لدويها صدى فى جدة والطائف والمدينة ، بل فى سائر أنحاء العالم العربى

فأعلنت الثورة فى مكة وجدة فى اليوم الأول ، وفى الطائف والمدينة فى اليوم الثانى ، وكان ما لدى العرب من القوات العسكرية موزعة متأهبة كلها ، فحاصر الأمير زيد بجنوده قلعة « اجياد » بمكة وهجم الأمير عبد الله على الطائف ، وكان الشريف محسن قائداً فى جدة ، والأميران على وفيصل ، وقد خرجا من المدينة يجمعان العربان ليحاصروا الترك فيها

إلى الأستاذ البشبيشي

للأب أنستاس مارى الكرملي

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

٥ — نعم وكرامة

يا سيدى البشبيشى ، إننا نستشهد دائماً بأقوال الفصحاء حينما نرد على أحد الأدباء . وقد بينا للقراء صحة قول أبناء مضر « حبا وكرامة » أما حضرتك فلم تذكر لنا اسم من قال : « نعم وكرامة » فننتظر استشهادك لنسلم لك بما تقوله ، وإلى أن تفعل ، نقول : إن قولهم : « حبا وكرامة » أصح من قولهم : « نعم وكرامة لكثرة ورود الأول فى أقوالهم ، وقلة ورود الثانى فيها

٦ — المسكن والمسكن

الذى قلناه فى الرسالة (١٠ : ٧٨٢) : مَسكن . مَسكِن بكسر الكاف هو الأفصح ، ولم نخطئ الأول إذ قلنا الأفصح ، فيذا معناه أن مسكناً بالفتح فصيح لكن الأفصح بالكسر . ففى غنية الطالب فى ص ٢٤ من الطبعة الأولى : « وإذا كانت العين مكسورة ، فابقها على كسرتها نحو : مجلِس ، ومضرِب . وشذّ المسجد والمغرب ، والمطلع ، والمجزِر ، والمرفق ، والمفرِق و « المسكِن » والنسك والمنبت ، والمسقط ، فانها جاءت بكسر العين ، مع أن مضارعها مضموم . و « أجيز » استعمالها على الأصل » اه

٧ — الجُدُدُ أفصح من الجُدَد

نعم ، إن الجُدَد بفتح العين واردة فى كلام « بعضهم » ، لكن أنسير على كلام « بعضهم » ونترك جمهورهم ، أليس اتباع الجماعة أحسن وأسلم لنا من اتباع البعض ؟ قال صاحب التاج فى ترجمة آخر هذه اللفظة : « والأكثرون على الضم »

٨ — رواية الأشعار القديمة

من المشهور عند الأدباء المحققين ، إن رواية الأشعار القديمة ، يجب أن تنقل عن الأقدمين ، لا عن المحدثين ، ولا سيما المتأخرون منهم ، لأنهم عبثوا بكل شيء قديم ، ولهذا يجب أن ننبذ نبذ النواة ، ولو صحت روايتهم ، أو وجهت توجيهاً حسناً ، أو أولت تأويلاً بديعاً ، بل أبدع من رواية الأقدمين . والذى رويناه نحن نقلناه عن أصح كتاب رويت فيه أبيات أعشى باهلة ، أى عن الديوان المروى عن أبى العباس ثعلب وشرحِه له ، (المطبوع فى مطبعة) دلف هلزهوسن فى بيانة سنة ١٩٢٧

وقد برهن أبناء الشريف على بسالة فيهم أظهرها القتال والصراع ، وعززها الجلد فى النضال والكفاح . ولم يمر شهر على حصار قلعة « أجياد » التى كانت تصب نارها على مكة ، وخصوصاً على قصر الأمارة فيها ، والشريف حسين فى غرفته الخاصة فى ذلك القصر يدير الحركة ولا يبالى بشظايا القنابل التى كانت تخترق السقوف والجدران ؛ فلم يمر شهر كما قلنا حتى كلل الحصار بالنصر ؛ فسلمت اجياد فى ٤ رمضان ثم استولى الأمير عبد الله على الطائف فى ٢٦ ذى الحجة من تلك السنة

وفى ٢ محرم عام ١٣٣٥ الموافق يوم ١٦ نوفبر (تشرين الثانى) سنة ١٩١٦ بويع الشريف حسين بالملك . وفى الشهر التالى اعترفت به دول الحلفاء الكبرى أى بريطانيا وفرنسا ملكا على الحجاز ، وجاء الأسطولان الإنجليزى والفرنسى إلى جدة يحملان إلى جلالة الملك تهانى تلك الدول ، فخطب فى حضرته أميرال الأسطول الفرنسى ودعاه بأعظم أمراء العرب

ونختم حديثنا اليوم بكتاب صغير وجهه إلى الشريف « حسين » خلف السر (أرثور مكماهون) فى مصر المندوب السامى السر (ردجنلد ونجت) مؤرخ فى ١٩ إبريل (نيسان عام ١٩٢٧ و ٢٧ جادى الثانية سنة ١٣٣٥ وفيه ما يلى :

« فأؤمل ألا يبرح من بال جلالتكم أن الحكومة البريطانية هى التى تحترم المعاهدات ، وهى حامية زمام الحق والعدل ، والحليفة الوفية التى لا تخون العهود »

(دمشق) نسيب سعيد المحاسنى

بعناية رودلف جير Rudolf Geyr ص ٢٦٦ وما يليها

وأما رواية الشيخ حمزة فتح الله فليست بشىء بالنسبة إلى قدم ثعلب وقد توفى سنة ٢٩٧ للهجرة ، وأما الشيخ حمزة ففى سنة ١٣٣٦ . فأين الثرى من الثريا ؟ وقد قيل فى ثعلب إنه « كان راوية للشعر ، مشهوراً بالحفظ ، وصدق اللهجة ، ثقة حجة » .

وأما الشيخ حمزة — رحمه الله — فما كان يعرف أن يوقع اسمه حينما كان مفتشاً بوزارة المعارف المصرية فقد كان يكتب « حمزة فتح الله مفتش أول اللغة العربية بنظارة المعارف العمومية » فكأن للعربية أولاً وآخراً ، وكان هو مفتش أول اللغة تاركا لغيره أن يكون مفتشاً لآخرها !

فإذا كان الشيخ حمزة فتح الله لا يحسن النطق بثلاث كلمات صغار فكيف نعتمد عليه وعلى روايته للشعر القديم ؟ — فأين الطمطمانية من العربية المبينة ؟ وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟

فانصفنا ياسيدى البشبيشى ، ولا تحد عن الصراط المستقيم ، ذباً عن الصديق الحميم

٩ — جمع أفعل وفعلاء على فعل

ليس لنا رأى خاص فى جمع أفعل فعلاء على فُعْل ، وإنما نحن تابعون لرأى الفصحاء الصميم من الأئمة الأعلام . فقد قال سيبويه فى كتابه (٢ : ٢١١ من طبعة بولاق) : « وأما أفعل ، إذا كان صفة فإنه يكسر على فُعل ، كما كسروا فعولاً على فُعل ، لأن أفعل من الثلاثة وفيه زائدة ، كما أن فى فعول زيادة ، وعدة حروفه كعدة حروف فعول ، إلا أنهم لا يثقلون فى أفعل فى الجمع العين ، إلا أن يضطر شاعر ، وذلك : أحمر وحمر ، وأخضر وخضر ، وأبيض وبيض ، وأسود وسود ؛ وهو مما يكسر على فُعلان . وذلك حُمران ، وسودان ، وبيضان ، وشمطان ، وأدمان

« والمؤنث من هذا يجمع على فُعل . وذلك : حمراء وحُمر ، وصفراء وصفر . وأما الأصغر والأكبر فإنه يكسر على أفاعل . ألا ترى أنك لا تصف به كما تصف بأحمر ونحوه . لا تقول رجل أصغر ولا رجل أكبر . سمعنا العرب تقول الأصاغر كما تقول : القشاعمة والصيارفة حيث خرج على هذا المثال . فلما لم يتمكن هذا فى الصفة كتمكن أحمر ، أجرى مجرى أجدل وأفكل ، كما قالوا : الأباطح والأساود ، حيث استعمل استعمال الأسماء . وإن شئت قلت : الأصغرون والأكبرون . فاجتمع الواو والنون والتكسير ههنا ، كما اجتمع هنا الفعل والفعلان . وقالوا الآخرون ولم يقولوا غيره كراهية أن يلتبس بجماع آخر ؛ ولأنه خالف إخوانه فى الصفة فلم يتمكن تمكنها ؛ كما لم يصرف فى النكرة . ونظير الأصغرين قوله تعالى : بالأخسرين أعمالاً » اه

وفى مختار الصحاح : « الأسود : العظيم من الحيات ، وفيه سواد والجمع الأساود ، لأنه اسم ، ولو كان صفة لجمع على فُعْل » اه

وفى لسان العرب فى مادة (ج ح م) : « الأجحم : الشديد حمرة العينين مع سعتهما . والأنثى جحماء ، من نسوة جحم وجحمى » . قلنا : وهو الصواب بخلاف ما جاء فى القاموس ، إذ قال : الأجحم ... وهى جحماء والجمع جُحم ككتب وسكرى » اه

وكلام أئمة البصريين والكوفيين من صرفيين ونحاة ولغويين مبنى كله على الآيات القرآنية . ففى سورة الملائكة ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » . ولم يقل بيضاء ولا حمراء ولا سوداء

وفى سورة الإنسان : « عاليهم ثياب سندس خضر »

وفى سورة يوسف : « وسبع سنبلات خضر »

وفى سورة الرحمن : « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان »

وفى سورة الكهف : « ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق » . ولم يقل مرة واحدة خضراء

والآيات كثيرة ولم ترد فعلاء مرة واحدة صفة لجمع ، أيا كان

وأما ما قاله سيدى وأستاذى البشبيشى : « نستطيع أن نحكم بجواز استعمال الوصف بهما مفرداً قياساً على قولهم : إن الجمع بمعنى الجماعة ، فيجوز وصفه بالمفرد : ولذلك شواهد لا تحصى...» ومن هذه الشواهد التى لا تحصى كنا نود أن نرى واحداً ،

لنرى أهى من باب أفعل فعلاء ، أم من غيره — ثم إن هذا الباب الذى يذكره يسمى باب التخريج ، وهو باب واسع يلجه الحيوان الأكبر والأصغر من الهوام والحشرات وأنواع العجماوات . أما الحيوان فيعدل عنه ولا يلجه ، نظراً إلى شرفه وإجلالاً لقدره ، وإعزازاً لشرفه وحبه ، وخشية أن يقال عنه : « ولج العاقل باباً لا يلجه إلا الحيوان الأعجم » أعاذنا الله من أن نكون منه !

١٠ — الأربعة الاستقصات لا الأربع

فى جميع ما نكتب نتوخى الفصيح والأفصح من كلام السلف الصالح بقدر الطاقة . وأفصح كلام العرب يرى فى الآيات القرآنية . وقد جاء فى سورة النساء : « ولا تقولوا ثلثة » أى ثلاثة آلهة . ولم يقل ثلاثاً

وفى سورة الطلاق : « فعدتهن ثلاثة أشهر

وفى سورة الكهف : « سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم » إلى غيرها من الآيات وهى كثيرة لا حاجة لنا إلى ذكرها كلها فاجتزأنا ما ذكر منها

وجميع ما ورد فى تلك الآيات ، مختوم بخاتم الإحكام المتقن ، ومطبوع بطابع الصحة المنيعة ، وفيه أقصى التحقيق والتدقيق إذ « لا ترى بينها عوجاً ولا أمتا » ، ولا يهمنا بعد الكلام خرفشة النحاة ولا حذلقة الصرفيين ، إذ يسمع لها جمجمة ولا طِمن !

فالاستقص (بصاد مشددة فى الآخر) والاصطقسّ بصاد وطاء وقاف وسين ، مذكرة ، ولا يقول الفصحاء والحذاق والبصراء من السلف إلا الاستقصات الأربعة لا الأربع . ونحن نتبع الآيات المحكمات وكتاب سيبويه وجماعة علماء البصرة والكوفة ، وليتبع غيرنا ما شاء من المجوزين ، والمخرجين ، والمفسرين . وعلمه فوق كل ذى علم

١١ — الخلاصة

إننا نتبع الفصيح من كلام الناطقين بالضاد ، ونترك الغير يتبع ما شاء من لغات العرب ولغياتهم ، أولئك الذين جاوروا الأعاجم فركت عباراتهم ، وفسدت تراكيبهم وغمضت ألفاظهم وغلظت كلمهم ، فوقعوا فى أوهام لا تعد

وهذا آخر ما نكتب فى هذا الموضوع وقد أوصدنا بابه علينا ، فلا نريد سماع ما يخالف أحكام اللغة المتينة ولا قواعدها المبينة ، وإن فاض التنور وقامت القيامة ، وكان اليوم الأخير .

الاب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

الحضارات القديمة
فى القرآن الكريم
للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

ظهر الإسلام بين أمة وصلت فى البداوة إلى أبعد حدودها ، وكانت طبيعة بلادها تجعلها بداوة قاسية ، يشتد فيها النزاع والخصام بين الأفراد والقبائل ، ويكون السلب والنهب أظهر عمل فيها لكسب العيش ، وفى هذا تنتصر القوة الغاشمة ، ويظفر الباطل بالحق

وكان يحيط بهذه البداوة الغاشمة حضارتان مختلتان ، حضارة الفرس بالمشرق ، وحضارة الروم بالمغرب ، قد سرى الفساد فيهما حتى أنهكهما ، فلم يكونا أقل ضلالاً من تلك البداوة ، ولم يكن أهلهما أقل شقاء من أهل تلك الصحراء

فكان من أهم أغراض الإسلام القضاء على تلك البداوة وآثارها فى بلاد العرب ، وإنشاء حضارة جديدة صالحة للبشر عامة ، يرتفع فيها لواء العدل ، وينتصر الحق على الباطل ، وتنتشر المساواة بين الشعوب والأفراد ، فلا يظلم قوى ضعيفاً ، ولا يأكل غنى فقيراً ، وبذلك يسود السلام بين الشعوب بالمساواة بينهم ، ويجعلهم جميعاً عناصر لأمة واحدة لا يمتاز فيها شعب على شعب ، ولا تفرق بينهم الفوارق أيا كان أمرها

ولا غرو فى أن يكون مثل هذا من أغراض الإسلام ، بل لا غرو فى أن يكون هذا من أهم أغراضه ، لأن الإسلام يمتاز على غيره من الأديان بأنه لم يشرع للآخرة وحدها ، ولم يعمل لسعادة البشر فيها فقط ، بل شرع لسعادة الدنيا والآخرة ، وعمل على أن يكون البشر سعداء فى دنياهم ، قبل أن يكونوا سعداء فى أخراهم

وقد صرح القرآن الكريم بذلك الغرض العظيم فى بعض آياته ، فقال تعالى فى الآية (٥٥) من سورة النور « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » وقد بين فى آية أخرى أهم شىء تمتاز به هذه الأمة فى حضارتها الجديدة ، فقال فى الآية (١١٠) من سورة آل عمران : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون »

ومما يتفق مع هذا كل الاتفاق ما جاء فى القرآن الكريم عن البداوة العربية وأهلها ، وما جاء فيه عن الحضارات القديمة وآثارها ، فهو إذا ذكر الأعراب ــ وهم سكان البادية ــ يكون شديداً عليهم ، ويجعل بداوتهم هى السبب فى جهلهم وانحرافهم . وقد وصفهم الله بقلة الإيمان فى الآية ١٤ من سورة الحجرات : قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم ، وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ، إن الله غفور رحيم » . وإنما سميت هذه السورة بذلك الإسم لأنها نزلت فى نفر من الأعراب أتوا النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائل فى أهله ، فجعلوا ينادون من وراء الحجرات : يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه من نومه ، فأنزل الله فيهم من هذه السورة : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم » وقد قيل إن هؤلاء الأعراب كانوا من بنى تميم ، وكان فيهم الأقرع بن حابس ، وعُيَيْنة بن حصن ، والزبرقان بن بدر ، فنادوا على باب الحجرات قالوا : يا محمد ، اخرج إلينا ، فإن مدحنا زين ، وذمنا شين . فخرج رسول الله صلى الله عليه وهو يقول : إنما ذلكم الله الذى مدحه زين ، وذمه شين . فقالوا : نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا ، جئنا نشاعرك ونفاخرك . فقال رسول الله صلى الله عليه : ما بالشعر بعثت ، ولا بالفخر أمرت ، ولكن هاتوا . فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل قومه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس ، وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قم فأجبه ، فقام فأجابه . ثم قام الزبرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البِيَع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم ... عند النهاب وفضل العز يتَّبع
ونحن نطعم عند القحط مُطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس القزَع

عندما فاض النيل . . .

للشاعر التركى إبراهيم صبرى

بقلم الأستاذ عثمان على عسل

بحثت عن شاطئ حصباؤه تلمع ، شاطئ منحدر رحب . وقد غطيت حصباؤه برمل ناعم كريش الطيور . إن اشتياقى إليه كالحنين إلى الوطن . فما وقع بصرى على شاطئ إلا تعلق به . هناك أنعم النظر فى الشمس . فما أجمل نزولها في اليم . حينما يحجب نصف قرصها سحاب أسود . تغيب عن الأنظار كأنما تخلع رداء أشعتها . فيخيل إلى الناظر أن السحاب يستر وراءه قواماً جميلاً . وإذا بألوان الأفق تمتد وتعانق سطح البحر . وعلى هذا الجيد الفضى ترتجف أمواج هادئة تخالها رعشات . وبينما الألوان الوردية والبنفسجية والحمراء . تنشئ فى السماء قوساً شبيهاً بعالم خرافى ، يبدو البحر كأنما ارتفعت أعماقه . فيتراءى كسماء مقلوبة غاصت فى قراره . سماء تتجلى فيها الأفلاك . ولكى تصعد الأنظار إلى هذه القبة العميقة ، تهبط كأنها تنزلق على سطح زجاجى . ومن احتضان البحر للسموات يتجلى فى روع الناظر عالم آخر فيرى فى ضفافه حدود الأبدية . إن اتساع البحر يجعل الأنظار التى ترى اللانهائى تبحث عن عالم مجهول . أما الآفاق فهى ستار أزرق أسدل على الأفكار ، يحول بين المتأمل وبين النفاذ فى محيط الكون . إن الثرى إزاء الماء فانٍ . ففى كل قطرة من الماء قوة كامنة خالقة لا تحد .

* * *

وحكم التراب كالعدم فهو نهاية . عجباً لهذا التراب إنه من أسباب الفناء ، وإنه لمن أسباب الحياة !

فننحر الكوم عبطاً فى أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حىٍّ نفاخرهم ... إلا استقادوا فكانوا الرأس يُقتطع
فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والأخبار تُستمع
إنا أبينا ولا يأبَى لنا أحدٌ ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : قم فأجبه . فقام فقال :

إن الذوائب من فِهرٍ وإخوتهم ... قد بينوا سُنة للناس تُتبع
يرضى بهم كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الخير يُصطنع
قوم إذا حاربوا ضَرُّوا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثةٍ ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع
أعِفةٌ ذكرت فى الوحى عفتهم ... لا يَطبعون ولا يرديهم طمعُ
لا يبخلون على جار بفضلهم ... ولا يمسهم من مَطمع طَبَعُ
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولا هلعُ
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفاوتت الأهواء والشيع

وقد جاء ذكر أهل البادية أيضاً فى سورة التوبة ، فوصموا فيها هذه الوصمة التى جاءت فى قوله تعالى (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم)

ولكن الله تعالى بعد أن أطلقها كلمة فيهم ، لأن ذلك شأنهم وديدنهم ، وهو الطبع الغالب ، والحال الظاهر ، عاد فذكر أن قليلاً منهم يخالفهم فى هذه الطباع ؛ فقال : (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألاَ إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم)

فهذا ما جاء فى القرآن الكريم عن البادية وأهلها ، وهو حرب ظاهر عليها ، وقد جاهد الإسلام حتى قضى على آثارها بين العرب ، وجعل منهم أمة عالمة متحضرة متآلفة متحابة ، وموعدنا بما جاء فى القرآن الكريم عن الحضارات القديمة الأعداد الآتية .

عبد المتعال الصعيدى

ومصير المخلوقات إليه . وكأنما الأمواج حينما تتبخر تهرب من الفناء . وهذا الإنسان اليائس الذى يلقى بنفسه فى اليم ، يشتاق إلى حيـاة أبدية فى عبابه ، ليعيش بعيداً عن التراب .

***

لا شك أن الشمس قد ذابت اليـوم فى أفق مصر . ها هى أشعتها مادة سائلة ، تنحدر من السماء كأنها حمم تذيب الأرض معها . بحثت كسائر الناس عن نخيلة أتفيأ ظلهـا ، فذهبت إلى شاطئ النيل ، وإذا بالنيل قد فاض وغمر . فأين منى الآن قوافل الجمال ذات اللون الأغبر التى ترسم على الشاطئ صورة الخمائل ؟ أين تلك الأشرعة التى ترفرف بين الأشجار كأجنحة فراشة فضية ؟ وأين هاتيك الـكواعب الريفيات اللائى يحملن على رءوسهن جرات ذات قوام له دلال العرائس يباهى دلال من يحملنها ، وقـد عكست ظلالها على سطح النيل ... يا للعجب ! إن هذا المـاء كلما تدفق أسرع جريانه . أين هذا النيل الذى رصع جِيد (أم الدنيا[1]) بعقد من الياقوت بمجراه الذى تسرى فى أمواجه ثمار النخيل الحمراء ؟ أين تلك المياه التى تفيض بالأسرار كقبلة خضراء تزخر أعماقها بألوان متباينة ؟ أين هـذا النيل الذى يتجلى فى لونه الزمردى إشراق الفجر . هذا النيل الذى تمس أعماقـهُ الأهرامَ والسماءَ والـكواكبَ . هيهات ! ليس أمامى الساعة غير نهر من اللهيب . بحثت عن ضفافه فألفيتها قد سالت معه ، وبدا لى أن هـذا الفيضان يندفع كالـكارثة . لم يكن هناك فى هذا المحيط اللجى موطئ لقدم ، كأن الطوفان قد ابتلع الغبراء . ها هو النيل يجرى كنهر من الطين انطلق إلى الشمس ، كأن من أجراه يريد أن يبنى أجراماً فى السماء ، وهو يجيش بأمواج فوارة تـكاد الشمس وهى فى مغربها تغرق فى تيارها . كأن هناك عاصفة هوجاء تـكتسح هـذه الأمواج ، فلا يسمع إلا زمجرة صاخبة . ربمـا كان فى هذا الطين أسرار ، فهو لا يخرِّب بل يعمِّر . أما حقول بلادى الظامئة فإنها تتلهف إلى قطرات تتساقط من سماء الحظ ، كأنما النيل سحر قد انساب ماء ، فهو يجعل الرمال أخصب من أى تراب آخر . هو يتدفق إلى الحقول وإلى القرى وإلى المساكن ، فالنيل هو مصر ، ومصر هى النيل .

ما أعجب هذا السيل ! إنه قوام الحياة . ما أعجب هذا السيل فهو أينما جرى وأينما طغى انبثق النبات واستحال القفار عمارا . قد منح أهلَ بلاده قدرة فوق طاقتهم . هل السحر جاء إلى مصر مع النيل ، فهو كبحر مطلسم غمر أرضاً وجرى نحو محيط فى أغوار الأساطير ، وكأنما الأهرام أحجار رسبت من مجراه فى وادى الشياطين . وإنه ليرد من أرض حزينة ؛ فهو يسيل أحياناً كالدم وأحياناً كدموع تنحـدر من عيون تلك الأرض التى حرموها نعمة الأبصار . إنهم يروون أن غادة كانت فى الزمان الغابر تلقى فى عبابه . إننى أعتقد أنها أسطورة ، غير أن هذا الفيضان الذى يدعو إلى الحيرة ، لا بد له من سرّ خارق كهـذه الأسطورة .

ترجـة

عثمان على عسل

[1] مصر

حكم فى الجنحة العسكرية ١٣٥٢ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٢-١٢-٩٤٢ بحبس محمد خلف بهنساوى بقال بالمنيا أربعة شهور شغل والغلق أربعة أيام لامتناعه عن بيع سكر عندما طلب منه

المنطق المنظور والمنطق المستور

للأستاذ عبد الله حسين

ألف الناس أن يطلقوا على ما يقع لهم أفراداً أو جماعات ، من الأحداث ، اسم الغرابة والمفاجأة والشذوذ ، وأن يبدئوا ويعيدوا فى وصف كل حدث من الأحداث ، كأنه شىء لا يقع إلا فى الخيال ولا مثيل له في حوادث التاريخ ، أو كأنه قد وقع من غير مقدمات ولغير علل وأسباب !

ولعل مرجع هذا عندهم إلى أنهم يحرصون على حياة السلامة والدعة التى ألفوها قبل أن يتأوّد مجرى حياتهم ، ويزور مستقر شأنهم وقبل أن يشهدوا انحرافاً فى ميزان حياتهم

ذلك ، أن الناس كانوا ولا يزالون حريصين على ما يدعونه « الحقوق المكتسبة » يتنعمون بثمارها . فإذا اعتاص عليهم أمر من الأمور ، لعقبة أو نازلة أو عرض من أعراض الحياة وأطوارها المتناقضة ظاهراً ، نادوا بالويل والثبور ، وحسبوا ما واجههم من عظائم الأمور ، ومن المنطق المستور !

قال أحد فلاسفة فرنسا : « وليس يقع فى الدنيا غير الشاذ »

أو لم يقولوا فى الحرب إنها حالة شاذة ، كأن السلم هى الحال الدائمة الطويلة ؟

أو لم يتطير الناس من الحروب والثورات وما إليها من الفتن والاضطرابات وألوان الانقلابات حتى الاقتصادية منها ؟

يذهب الناس إلى هذا مع أنهم لو عمدوا إلى الاستقراء وفتحوا عيونهم على العالم كله قديماً وحديثاً ، لفقهوا أن الحياة الاعتيادية ليست دعةً وسكوناً وأمناً وسلاماً إلا فى حيز محدود وزمان غير طويل ؛ فإن الدنيا لا تعرف السكون الطويل ، والحياة ليست بالمستقرة المطمئنة إلى قواعد ثابتة ، وأسس لا يعفى عليها تقلب الحدثان

وقد تأثر الكتاب والأدباء بحسبان الحياة سلماً واطمئناناً وأمناً إلا فى النادر وعند المفاجأة وشواهد الغرابة ، فبالغوا فى تصوير الأحداث التى تقع على غير ما كان يتوقع أصحاب « المنطق المنظور » ونعنى به منطق الحوادث اليومية الاعتيادية المألوفة التى تكاد تجرى على صورة واحدة ، فإن الاستمساك بهذا المنطق السطحى الضيق ، هو آفة النظر الفاحص البعيد ، الذى يزن الأشياء بميزان « المنطق المستور » الذى يستطيع أن يبلغ حقائق ، ويكشف عن مقدماتها وعللها ، ويتنبأ بنتائجها وآثارها ؛ وأصحاب هـذا المنطق هم أولئك الذين لم يخدعهم « المنطق المنظور » الضيق

كم من تقلبات شهـدنا فى خلال العشرين عاماً الأخيرة أو منذ شبت نار حرب ١٩١٤ أو منذ وضعت أوزارها وأعلنت الهدنة ووقعت شروط الصلح وبادت دول وظهرت أخرى . وكم عجبنا وأغربنا فى الدهش والحيرة لأحداث وقعت بين ظهرانينا لأننا كنا ننظر إلى شئوننا بعين « المنطق المنظور » ، فلما خلونا إلى أنفسنا قهرنا على مقابلة الخطوب ، ورضنا أنفسنا على متابعة التقلبات ، عرفنا بعين « المنطق المستور » أن ما وقع إنما جاء نتيجة منطقية لحوادث سابقة وأخطاء قائمة واستسلام « للمنطق المنظور »

وليس الأمر بمقصور على الشئون العامة ، بل إن شئوننا الخاصة يجرى عليها هذا المقياس ، فالأمراض المستعصية ونكبات الأسرة والصداقة من طلاق وأزمات مالية وخصومات وانتقامات ، كلها ترجع إلى مقدمات وحوادث وعلل ، لا يقرأها ولا يدركها « المنطق المنظور » المنطق السطحى المستسلم ، ولكن عين « المنطق المستور » يجلوها لنا سافرة طبيعية لا غرابة فيها ولا مفاجأة ولا شذوذ

عبد الله حسين
المحامى

ذكرى...

للدكتور عزيز فهمى

الدكتور عزيز فهمى نجل صاحب السعادة الأستاذ عبد السلام فهمى جمعة باشا فى طليعة الشباب الجامعى المثقف ، ومن شعراء الشباب الموهوبين الذين أذكوا بأدبهم الذكى المشبوب النهضة المصرية . وهذه من بواكير شعره بعد عودته من باريس إلى وطنه منذ شهور قلائل :

يا ليالىَّ طال فيكنَّ سهدى مَن مُجيرِى من الليالى ووجدى
قدَرٌ صاح بالمنى فتداعتْ وقضاء ، وما له من مردٍّ
أيها الليل يا نجيِّ وحسبى أنت يا ليلُ، كم يَدِ لك عندى
حال طعمُ الحياة بعد هناء وشربتُ الحميمَ من كل وِردِ
إيه يا ليلُ كم كتمتَ هوانا يومَ كان الزمان طوعى وجندى
فانشر اليوم من زفيرى نشيداً يطرب الدهر بعد طول التحدى

* * *

كان ما كان ، لا مردَّ لعهدٍ غاله الدهر بعد سعيٍ وكدٍّ
كان ما كان ، كل حُلم لصحوٍ وانتباهٍ ، وكل سيفٍ لغمد
أيها الحِبُّ ليس لى منك إلا ذكريات تُلحُّ فى غير قصد
ذكرياتٌ أعيش فيها ومنها ليتها ليتها تُلحُّ وتجدى
طائف كالفَراش حول شعاع محرق يبعثُ الحياةَ ويُردِى
ذكرياتٌ تمرُّ حيناً وتحلو بعد حين ، وأول الخمر يُصدى

* * *

يوم كنَّا فى ميعة العمر نلهو لهوَ طفلين جاوزا سنَّ رشد
نتلاقى على صفاء قلوبٍ لم تُدَنَّسْ على الزمان بحقد
وأناجيك فى خشوع وصمت وبودِّى لو استجبت بودى
وأناغيك يا حبيبى وتصغى وأعيد الحديث فيك وأُبدى
وعلى وجهك المضىء تباشـ ـير كوشى الندى على دوح وَرْد
ويدى فى يديك ترعَش حتى تهدأ النفس بعد لمث وجَهد
وذراعاىَ حول خصرك فى عنـ ـفٍ ورفق ما بين جَزْرٍ ومدٍّ
وعلى صدرك الحنون همومى غارقات ما بين نحر ونهد
والنسيمُ العليل يُذكى عبيراً من ثناياك شاع فى كل برد
جَنَّةٌ أنتَ كنت فيها ملاكى كيف منها جَزَيتُ نفسى بطرد
أنتَ رَحَّبْتَ بى مُضيفاً وضيفاً كيف لم أجْزك الوداد بودى
يعلم الله ما جحدتُ ولكن ذادنى عنك طالع جِدُّ نكد
ما أنا إلا آدمى وهل آثر إلا المبوطَ آدمُ جَدى ؟
نحن فيها مسيرون وكلٌّ مُجْبَرٌ لا خيار للمرء عندى

* * *

أيها الغائب المقيم بأرض عهدت مولدَ الغرام وسعدى
بالجنين الوليد ينمو ويقوى فى رفيف من الأمانىِّ رغد
كل شىء كما عهدت مقيم وأنا النازح الوفى بعهدى
فالتفت يَمْنةً وأخرى يساراً واستمع عامداً وفى غير عمد

عزيز فهمى

الطيران بين أسلحة الحرب

للملازم الأول حسين ذو الفقار صبرى

لم تعد الحرب فى مختلف نواحيها بقادرة على الاستغناء عن سلاحها الجديد : « الطيران » ، الذى لم يكن بالأمس إلا بدعة طارئة ، وأصبح اليوم ضرورة أُقحمت على كل فكر وكل رأى ، حتى ذهب الكثيرون ، ممن قنعوا بعابر الملاحظة دون عميق البحث ، إلى القطع بأن أهميته تفوق غيره من الأسلحة ، فهو منها المحورُ والدولاب ، وله عليها العرش والسلطان ؛ وتمادوا فى إغضاء الطرف عن نقائصه ، مُعْلين من شأنه ، رافعين من ذكره ، حتى وُصف بما لا قدرة عليه ، ونعت بما لا طاقة له به .

جاب الإنسان الأرض شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ، وسبح فى الماء وارتقى الجبال ، وحاول ثم حاول محاكاة الطيور بالتحليق فى الفضاء ، ولكنه هنا فشل مراراً ، وارتد عن أحلامه تكراراً ، حتى ظن أن التصاقه بالأرض قانون لا يُخرق ، وأن تحليقه فى الهواء أمنية لن تُحقق . فلما حلّق أول من حلق ، انبهر البشر وتلمسوا طريق التأويل والتعليل ، فرموا الطائرة بصفات تخيلوها ، وحبوها بأحوال ليست لها . وقد انساقوا فى ذلك السبيل وراء ما أحرزه الطيران من تقدم حثيث ملموس ، نتيجة طبيعية لما زامل زمانه من اطراد مستمر فى شؤون الآلات والكهرباء وصناعة المعادن ، مما خف وزنه واشتدت صلابته . كل تلك الأشياء وغيرها تضافرت فأغدقت على الطيران من عندها ، ودفعت به إلى الأمام عدة مرات ؛ ولكننا إذا تأملنا الأمر قليلاً وجدنا الطائرة جسماً كسائر الأجسام ، يخضع لقوانين الطبيعة كل الخضوع . هى جسم ساير تلك القوانين ، وتحايل عليها واسترضاها فانقادت له تساعده وتحابيه وتزينه للناظرين

سرُّ الطائرة فى استخدامها فراغاً لا نراه ولا نلمسه ، سرُّها فى استمدادها القوة من انضغاط هواء تحت سطح جناح انطلق انطلاق الشهاب[1] ، سرها فى التفاتها إلى عنصر أحاط بنا منذ الأزل فألفناه ، حتى انقلبت الألفة إلى عدم اهتمام بل إلى إهمال

استمدت الطائرة قدرتها على الارتفاع من الهواء المضغوط تحت الجناح ، فغالبت جاذبية الأرض وقهرتها ، قهرت تلك القوة التى ألصقتنا بالأرض دواماً ، والتى لم نتفهمها جيداً حتى ترجم العلم مفعولها إلى لغة قريبة من مداركنا ، لغة الكتل والأثقال والأوزان . الجاذبية مقدارها ثابت لا يتغير ، أما جسم الطائرة — أو بالأحرى ثقلها — فهو العامل المتقلب ، المتزايد أو المتناقص . هو الخصم الذى يهاجمه المهندس على أوراقه أولاً ، وفى المصانع ثانياً ، ليستخلص من عنصر الهواء أكبر غنم ، ويستخلص لطائراته أنْفَذَ الخواص ، ولصفاتها أعلى منسوب .

تتباين خواص الطائرات المختلفة تبعاً لتباين طرق توزيع وزنها على مختلف أجزائها . وطائرات الحرب أغراضها كثيرة متنافرة : هذه تحتاج لسرعة فائقة ، وتلك لسعة فى النقل عظيمة ، وهذا يطالب بطائرة مدافعها فتاكة ، وذلك بأخرى قنابلها كثيرة . هذه الأمور وغيرها تعرض للمهندس فيوازن بينها ، ويقارن ويعادل ، حتى يصل آخر الأمر — بعد مجهود طويل وتجارب عديدة — إلى أحسن الحلول ، أو على الأقل إلى أقرب من الغرض المطلوب

يتكون ثقل الطائرة من وزن أشياء شتى : أهمها المحرك . والهيكل بما فيه الأجنحة ، والوقود ، والمدافع ، وذخيرتها ، والقنابل وصفائح الفولاذ الواقية . يختص المحرك منها بأكبر نصيب ، كيف لا وهو القوة الدافعة ، تزيد سرعة الطائرة زيادته ، وتنمو مقدرتها التسلقية بنموه

ولكن هذه المهارة فى المناورة ، يلزمها علاوة على القوة الدافعة أجنحة سميكة ، معدنها متين ، أقدر من غيرها على احتمال الضغط العنيف ، الطارىء من حركات انقلاب حادة فجائية . ومدى التسلق[1] يحتاج ، علاوة على المحرك القوى ، إلى أجنحة طويلة عريضة تغترف من الهواء كثيراً . أما السرعة ، فهى وحدها التى تقنع بتركيز الوزن كله فى المحرك

ويا ليت الأمر يقف بالمحرك عند هذا الحد ، فهو لا يكتفى باستحواذه على نصيب الأسد ، بل يتطاول أيضاً إلى ما بقى من

(١) لقد أحجمت هنا لضيق المجال ، عن تفصيل كيفية تكوين تلك « القوة الرافعة » التى تحمل الطائرة على متن الهواء ، وهى تنشأ عن حصول فارق كبير بين ضغط الهواء تحت الجناح وتخلخله فوق سطحه الأعلى

(١) مدى التسلق هو أقصى ارتفاع تصل إليه الطائرة ولا يمكنها تخطيه

ثقل يحتجز منه لمحقاته . الزيت والوقود ؛ تلك السوائل الثقيلة الوزن التي لا غنى له عنها ، تغذيه بحيويتها ، وتخلق منه قلباً نابضاً لجسم كان هامداً . لم يبق إذن من ثقل الطائرة إلا جزء ضئيل تتنازعه المدافع وذخيرتها ، والقنابل وأدوات تصويبها ، والدروع الواقية لأرواح الطيارين . تنازع عظيم لا يفصل فيه المهندسون ولا يبتون فيه بقرار ، إلا على ضوء نسب مخصوصة ترتفع وتنخفض تبعاً لما تقوم به الطائرة من واجبات سواء أكانت متعددة النوع أم محدودة

فإذا تأملنا المقاتلات مثلاً وجدناها تحتاج إلى سرعة فائقة تلاحق بها ما تتخطى الحدود من قاذفات ، أي أنها — بلغة النسب — تحتاج لضآلة في الجسم إزاء قوة في المحرك ؛ ولكنها ضآلة تقف عند حده ، إذ ما قيمة تلك الطائرة دون مدافع عديدة وكمية من الذخيرة كبير : مدافع قد تبلغ الثمانية عداً ، وذخيرة قد يتعدى معدل إطلاقها الخمسة آلاف رصاصة في الدقيقة الواحدة . هذه الضآلة إذن يجب أن تتسع لتلك المدافع وهذا الرصاص ، ولمقدار ضخم من الوقود فرضه علينا محرك قوى ، مقدرته على الالتهام عظيمة

هذه أخيراً طائراتنا ، توصلنا إلى اصطناعها سريعة ما وسعنا الاصطناع ، وأوجزنا من طول أجنحتها ما أوجزنا ، وضمّرنا من خصرها حتى ضمرت ما وسعها الضمور . ولكن تلك السرعة اللعينة تعلق بها علوقاً حتى عند الهبوط ، فترى الطائرة تنهب الأرض نهباً ، ولا تستطيع الوقوف إلا إذا انفسح لها المجال في المطارات . والمطارات الفسيحة لا تتسع لها كل أرض ، ولا تتسع لتكاليفها حتى الميزانيات ، فنضطر إلى إلحاق بعض القلابات[1] بسطوح الأجنحة السفلى لتحد من سرعة الطائرة عند الهبوط . وهذه القلابات تعني زيادة في الحجم ، وزيادة في الوزن

وأحياناً لا نشعر بالقاذفات إلا وهي قريبة منا على أهبة الهجوم ، فنطلق المقاتلات من معاقلها . ولكن هذه الطائرات القصيرة الأجنحة ، السريعة كل السرعة في الاتجاه الأفقي ، تعجز عن الارتفاع إليها في مدى الزمن المطلوب ، فنعود إلى المهندسين يطيلون أجنحتها ، ويزيدون من مساحتها ، ليعينوها على التسلق العاجل ، مضطرين إلى التنازل عن قليل من سرعة الانطلاق ، مقابل بعض الربح في سرعة التصاعد

وإذا انتقلنا إلى القاذفات ، وهي أداة التحطيم الاستراتيكي[1] وجدناها في حاجة إلى كثير من الوقود ، وكثير من القنابل ، وبعض الرشاشات تذود عنها فتك المقاتلات ، كما هي طائرات كبيرة الحجم ضخمة الجسم ، وهذا يحد من سرعتها كثيراً ، ورشاشاتها تلك لا تحميها كل الحماية ، فتعمد إلى تغليف مواطنها الحساسة بالصفائح السميكة ، وهذا أيضاً عبء كبير يزيد تباطؤها إن لم نعوضه بالتقتير عليها في إحدى وديعتيها الاساسيتين : أو القنابل . فإن شح وقودها عجزت القاذفة عن إدراك بعيد الأهداف ولزمت دائرة القريب منها ، وإن ضُنّ عليها بالقنابل قنعت بإغارة ضعيفة عجفاء على الأهداف القاصية . وقد تتدرج الحالات من هذه إلى تلك . على أن يظل مجموع ما حمّلت به الطائرة من أثقال داخل النطاق المسموح . ولكننا أحياناً نواجه ضرورات قاسية تحتم علينا تحطيم بعض مرافق العدو النائية تحطيما فعالاً . فنود لو تمكنا من الارتفاع بالزاخر من الوقود والوافر من القنابل ، فلا تسعفنا عندئذ إلا « القلاع الطائرة » البطيئة الحركة ، المعرضة كل التعرض لهجمات المقاتلات ، نراوغ هذه إما بالتسلل تحت جنح الظلام ، وإما بالتصاعد إلى طبقات عليا : هبط فيها ضغط الهواء إلى ما تحت الحدود اللازمة لاستيفاء أسباب الحياة . نتحايل على تلك الحال بإحكام منافذ غلاف الطائرة على جوف اصطنع فيه ضغط جوى يقارب الضغط العادي ، بواسطة آلات ضخمة تعجز طائرات المطاردة الخفيفة الوزن عن حملها والصعود بها إلى هذه السموات البعاد .

(البقية في العدد القادم)

صبحي ذو الفقار صبري

(١) « القلابة » سطح ملاصق للجناح يحركه الطيار بالضغط على زر مخصوص ، فيدور على أحد أجنابه — كمصراع الباب — حتى يصير عمودياً على الجناح ، ويقابل الهواء بسطحه ، فيحد من انطلاق الطائرة كثيراً

(١) الأهداف الاستراتيكية هي ما يوجد خلف خطوط العدو بمسافة بعيدة أو قصيرة .

حكم في القضية العسكرية ١٢٦٨ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٢٥-١١-١٩٤٢ بتغريم علي امبابي درويش نحاس بالمنيا خمسين جنيها والغلق أربعة أيام لبيعه قصديراً بسعر أزيد من التسعيرة



أول احتفال بالعام الهجرى

ذكرتُ بحسن احتفال الأمة والحكومة بالعام الهجرى في هذه السنة حقيقة تاريخية قد لا يعرفها الكثيرون : وهى أن الحكومة المصرية إلى سنة ١٣٢٧ هـ لم تكن تعترف به كعيد من الأعياد ، حتى نبهها إلى ذلك قادة الحركة القومية ، برآسة المرحوم محمد بك فريد ، فأصدرت وزارة المرحوم بطرس غالى باشا قراراً بجعله يوم عيد رسمى تعطل فيه مصالح الحكومة . وقد صدر هذا القرار فى ملحق لعدد ٢٠ يناير سنة ١٩٠٩ من الوقائع المصرية وهذا نصه .

(بمناسبة أول السنة الهجرية الجديدة ستقفل نظارات الحكومة ومصالحها فى يوم السبت أول محرم سنة ١٣٢٧هـ — ٢٣ يناير ١٩٠٩م)

وقد كان أروع احتفال أقيم فى هذه السنة ، هو الذى أقامه رجال الحزب الوطنى فى دار التمثيل العربى برآسة المرحوم أحمد بك لطفى المحامى ، وكان من خطبائه الأساتذة : أحمد وجدى المحامى ، ومحمد توفيق العطار ، ومحمد راضى ، وإمام واكد ، وعبد المجيد ابراهيم صالح (باشا) الطالب بمدرسة الحقوق ، وألقى حافظ قصيدته المشهورة :

أطلّ على الأكوان والخلق تنظر هـلال رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم فى صورة زاد حسنها على الدهر حسناً أنها تتكرر

وقد أشار إلى هذا الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك ، مؤرخ الحركة الوطنية ، فى كتابه عن المرحوم فريد بك ، فليراجعه من أراد التفصيل .

(المنصورة) على عبد الله

تاريخ وفاة ياقوت

وبعد فقد قرأت الملاحظة الدقيقة التي أوردها الأستاذ الفاضل محمود عزت عرفة فى الصفحة ١١٧٠ من مجلة (الرسالة) الغراء لسنة ١٩٤٢ عن الشبهة التى تولدت لديه فى تاريخ وفاة ياقوت الحموى بسبب ما جاء فى الجزء (٩) والصفحة (١٩٨) من معجم الأدباء طبعة دار المأمون فى ترجمة الحسن بن أبى المعالى من أن ياقوت الحموى لقيه ببغداد سنة ٦٣٧ وهو يخالف المعروف عن وفاة الثانى التى كانت فى سنة ٦٢٦

وقد رجعت إلى كتاب معجم الأدباء طبعة مرجليوث على نفقة لجنة ذكرى جبّ فوجدته يذكر فى الصفحة الأولى من الجزء الرابع فى ترجمة الحسن المذكور ولقيته ببغداد سنة ٦٠٣ . ولذلك فإن نقل التاريخ المذكور إلى طبعة دار المأمون بزيادة ٣٤ سنة وجعله ٦٣٧ جدير بالاهتمام الذى أثارته فى نفسى تلك الغلطة الغريبة

إلا أنه قد يكون الدكتور أحمد فريد رفاعى — كما قال فى كلمة الإهداء التى بدأ بها الجزء الأول من طبعة دار المأمون — قد استفاد من نصيحة ناشر الكتاب الأول له أو من الصور الشمسية للصفحات التى تركت فى الطبعة الأولى ووصلت إليه ، وأدرك وقوع الخطأ فى تاريخ لقاء ياقوت بالحسن بن أبى المعالى المذكور فصححها على الصورة المتقدمة ، وهذا يعرفه هو ، وعليه إن شاء أن يثبته بالبرهان ؛ وإلا فإن تاريخ وفاة ياقوت ستظل كما هى مدونة في كتب التراجم سنة ٦٢٦ ولا عبرة لتاريخ وفاة الحسن المذكور الواردة فى كتاب السيوطى لأنها ليست حجة على وفاة ياقوت

عبد الله مخلص

تجديد اللغة

لغتنا العربية لغة عميقة تتميز بسعة ومرونة وحسن انقياد ؛ ومن هذه الصفات استقامت لها قابلية المطاوعة ، فكانت أكثر اللغات كفاية . وليس أدل على ذلك من كثرة مشتقاتها ووفرة تعبيراتها ، مما لا يكاد المرء يعثر على نظير له فى غيرها من اللغات . وحسبك أن ترجع إلى ما خلفه لنا أعلام الأدب العربى فى ثنايا كتبهم وتضاعيف مصنفاتهم . من تعبيرات تترقرق فيها المعانى ، وتركيبات تتألق خلالها الأفكار ، لكى تتحقق من غناء هذه اللغة التى وصمت بالفقر وهى على قدر من الثراء كبير .

أجل إن لغتنا زاخرة بالمفردات والتعبيرات ؛ ولكنها فى حاجة إلى من يستخرج من تضاعيفها تلك الكنوز التى غبَّرها الزمن فانقطعت بنا صلتها ، مع أنها إذا ما أزيح ما عليها من غبار ، عادت إليها جدتها ، فانفتح لنا مغلقها ، واتضح لنا غامضها . وليست هذه بمهمة هينة ، لأن القدرة على تصيد مثل هذه الألفاظ الشاردة ، وردها إلى حظيرة الاستعمال اللغوى بعد أن طال عهدها ، لا تتوافر لكل باحث لغوى ، ولا تتهيأ لكل منقطع إلى المطالعة . وإنما هناك نفوس طبعت على تذوق المعانى ، فلا تكاد تبدهها الجمل منثورة هنا وهناك ، حتى تضع يدها على الألفاظ السهلة التى صيغت فيها المعانى الكبيرة ؛ فإذا ما قصدت إلى الكتابة بادرت إليها تلك الألفاظ طائعة مختارة ، فترد على قلمها وكأنها جديدة ما عرفت النور من قبل !

من ذلك ما ورد فى مقال أستاذنا الأب أنستاس مارى الكرملى الأخير (الرسالة ١١ : ٤٩٧) فى العبارة التالية : « ونحن نورد لك نموذجاً مما قال ، وقد عثرنا عليه نَبَهاً » إذ نجد فى هذه العبارة كلمة سهلة سلسة ، قلما تدور على أقلام كتابنا ، على الرغم من أنها تعبر عن معنًى زعم قوم أنه لا سبيل إلى التعبير عنه إلا بالخروج على اللغة ! ومعنى كلمة « نَبَه » — كما جاء فى المخصص لابن سيده ، ج ١٣ ص ٧٣ — « الضالة توجد عن غفلة ؛ وجدته نبهاً أى من غير طلب ، وأضللته نبهاً أى لم أدر متى ضَلّ ... » وقد وردت هذه الكلمة فى بيت لذى الرُمة ، يصف فيه ظبياً قد انحنى فى نومه ، وهو قوله :

كأنه دُمْلُج من فضة نَبَه
فى مَلْعب من عَذارى الحىّ مفصوم

وجاء فى لسان العرب : « النَبَهُ الضالة توجد عن غفلة لا عن طلب ، يقال وجدت الضالة نبهاً من غير طلب ، وأضللته نبهاً لم تعلم متى ضل . وقول ذى الرمة كأنه دملج من فضة نبه وضعه فى غير موضعه ، كان ينبغى له أن يقول كأنه دملج فُقِدَ نَبَهاً ... »

والذى عندى أن قولنا : عثرت على الشىء نبهاً ، قول يؤدى معنى الوقوف على الشىء من غير طلب ، خاصته وقد جاءت كلمة « نَبَه » فأكدت معنى الالتقاء الذى يفيده « العثور على الشىء »[1] . فعسى أن يلقى هذا التعبير موافقة وقبولاً .

(مصر الجديدة)

زكريا ابراهيم

إلى الأستاذ محمود عزت عرفة

نسبت إلىَّ أيها الأستاذ أنى زعمت أن الرسول عليه الصلوات كان ممن يبدلون فى القرآن لفظاً بلفظ آخر يغايره فى معناه . ومثل هذا لا يصح منى أن أقوله أو أزعمه ، ولكن كثيراً من الناس يقرؤون ما كتبت فيصدقونه ، ولا يكلفون أنفسهم أن يرجعوا إلى ما كتبت أنا ، ليعلموا أنى لم أقصد إلا توجيه قراءات منزلة بسبب هدانى الله إليه ، وهو جدير بالتقدير من كل منصف . وقد قلت فى ذلك — فقضت رأفة الله أن يقرأ القرآن بما يحتمله من ذلك تيسيراً على المسلمين فى عصر الوحى الخ — فجعلت مرجع ذلك إلى الله تعالى ، لا إلى النبى ولا إلى أحد من خلقه ، ثم ذكرت أن النبى كان يعين أمثال تلك المواضع ابتداء أو بعد رجوع أصحابه إليه ، فقطعت بهذا كل لبس فى رأيى ، ولكن الناس يأبون إلا أن يحملوا كل جديد على خلاف ظاهره ، وعلى أسوأ ما يمكن أن يحتمله ولو بتكلف ، لأنهم يكرهون التجديد ويسيئون الظن بمن يدعو إليه . وإنه لغريب أن تثير كلمتى فى اختلاف القراءات ما أثارته ، مع أنى أردت فيها بخصوصها أن أعرضها قبل نشرها على أخ لى من العلماء لا يتهم بالتجديد مثلى ، فأقرنى على نشرها ولم ير شيئاً فيها . أما أنك أيها الأستاذ لم ترد فى كلامك فيما رأيته من التصحيف على ما أورده السيوطى فهو التراجع بعينه ، ولعلك تذكر أيضاً أنك أضفت إلى ذلك قراءة — فتثبتوا — وهى قراءة سبعية متواترة .

عبد المتعال الصعيدى

(١) ورد فى « تاج العروس » : « العثور بالفم الاطلاع على أمر من غير طلب »

حديث الجهاد الأصغر والأكبر

جاء بالكلمة الثانية التي نشرها الأستاذ الفاضل محمد عرفه عن العيد في العدد ٤٩٥ « أن رسول الله (ص) قال وقد رجع من غزوه ، رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يعني جهاد النفس »

وهذا الحديث قال عنه الحافظ بن حجر : « إنه مشهور على الألسنة ولكنه من كلام ابراهيم بن عيلة » اهـ

وقد رواه الغزالي في كتاب الأحياء ولكن كم في هذا الكتاب من ضعيف وموضوع .

(المنصورة) محمود أبو ريه

من عجائب البريد

جناب السيد الجليل الأفخم صاحب مجلة « الرسالة » البهية طال بقاؤه :

أحمد الله إليكم . وبعد فإنكم في العدد ٤٨٦ من السنة العاشرة لمجلتكم نشرتم مقالاً عنوانه (إلى المعترضين علينا) للأب أنستاس ماري الكرملي ، وأنا المقصود في قوله « المعترضين علينا » أو أنا أحدهم ، ولم ترسلوا إليّ عدداً لأقف عليه . وعدم إرسالكم عدداً يفسح لي أن أرفع عليكم دعوى في محاكم مصر الجزائية وأطالبكم بما يعدُّه القضاء السوري « عطلاً وضرراً » والآن أرسل إليكم ردًّا بالبريد المسجل وأصبر شهراً عليكم لنشره ، فإذا لم يكن منكم رضى بنشره سأقصد مصر وأداعيكم لدى قضائه العادل . إني أعمل بمقتضى الشرع السوري وأحسب أنه شرع مصر أيضاً . وأنتظر شهراً لجوابكم على كتابي هذا وقد أعذر من أنذر .

الداعي

دمشق / ٢٤ كانون الأول سنة ١٩٤٢ أمين طاهر خير الله

(الرسالة) : ألقى إلينا البريد هذا الكتاب فأحببنا أن يطلع قراؤنا عليه ليتفقهوا أو يتفكهوا ، فان للأساتذة اللغويين في بعض الأحيان جداً يشبه الهزل . أما الرد المسجل فكله على هذا النحو من المنطق ؛ وأربعة أخماسه في شرح (النقطة القانونية) التي سيبني عليها الأستاذ رفع دعواه . فرأينا من التكرمة لرجال الأدب ألا ننشره .

11me Année No. 499

Lundi - 25 - 1 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٤٩٩ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ محرم سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٥ يناير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهرس

صفحة

٦١	ضحك كالبكى	الأستاذ عباس محمود العقاد
٦٤	ديوان حافظ إبراهيم ...	الدكتور زكي مبارك ... ...
٦٧	الفنانون والمال	الأستاذ صلاح الدين المنجد ...
٦٩	أهمية دراسة التاريخ ...	الدكتور محمد مصطفى صفوت
٧١	العرب في ميادين الكفاح	الأستاذ نسيب سعيد ... ...
٧٣	الحضارات القديمة في القرآن	الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
٧٥	الطيران بين أسلحة الحرب	الأستاذ حسين ذو الفقار صبري
٧٧	أشواق [قصيدة] ...	الأستاذ محمود السيد شعبان ...
٧٨	الرقص الخليع	الأديب زكريا إبراهيم ...
٧٨	خط المصاحف وقواعد الاملاء	الأستاذ علي عبد الله ... ...
٧٨	كلمة للتاريخ	الأستاذ عطية شلبي ... ...
٧٩	إجابة	الأستاذ الكبير « وحيد »
٧٩	القراءات والتصحيف ...	« أبي أمية » ... ...
٧٩	في رسالة عمر	الأستاذ المتولي قاسم ... ...
٨٠	التهمة	الأديب عبد الفتاح متولي غبن

ضحك كالبكى

للأستاذ عباس محمود العقاد

الضحك في صورته الجسدية تنفيس عن الجسد المكظوم

ذلك معناه الحرفي كما تراه رأى العين. فالضحك في صورته الجسدية حركة متتابعة في الصدر والحلق والفم يكثر بها تجدد الهواء في الجسم المكظوم، فيشعر على أثر هذه الحركة بطلاقة بعد حبس، وفرج بعد ضيق

وخليق بهذه الحقيقة المحسوسة أن تقودنا إلى عرفان معنى الضحك من الوجهة النفسية، أو من الوجهة الفكرية

فهو أيضاً تنفيس عن النفس المكظومة، أو الفكر المكظوم، وهو تعويض للحرية الضائعة، والطلاقة المحدودة ولهذا تكثر الحاجة إليه في أيام الاستبداد

ولهذا تشتهر الأمم التي طالت فيها عهود الاستبداد بكثرة التنكيت، وشيوع النوادر المضحكة بين أبنائها

وربما كان هذا مرجع الشهرة التي اشتهر بها المصريون في طوال العصور الغابرة، حين كانوا يُبتلون بالدولة الطاغية بعد الدولة الطاغية، تنالهم بالعسف والجور، وينالونها بالنكات والنوادر، فإذا هم يلوذون من الضحك بدرع تعينهم على الصبر وسلاح يعينهم على الانتقام.

***

وللاستبداد موقفان متناقضان من الضحك والضاحكين

فالمستبد المسيطر على الناس بالجبروت والطغيان يريد أن يهولهم ويتزل منهم فى منزلة القداسة والتنزيه ، فلا يحب أن يصبح بينهم عرضة للضحك ، ولا أن يجترئوا عليه بالعبث والاستهزاء ، ولو من وراء ظهره

ولكنه يعلم أنه يضيّق عليهم الخناق ، وأنه يلجئهم إلى التنفيس عن صدرهم بوسيلة من الوسائل ، ولو على حسابه كما يقولون إن لم تكن ثمة وسيلة أخرى . ولهذا قيل إن الزعماء النازيين — وفي مقدمتهم هتلر — يقربون إليهم فئة من المضحكين والمتندرين يسمعون منهم نكات الجاهير وفكاهات العامة والخاصة ، ويجتهدون مع هذا فى تحويل النكات والفكاهات عنهم ما استطاعوا ، ليضحك الشعب ويحتفظ الحكام المستبدون بهالة الرهبة والوقار فى وقت واحد

ولست أذكر أن أصحاب الدعوة النازية غضبوا لشيء قبل الحرب كغضبهم لقول الخصوم عن الشعب الألمانى إنه شعب محروم من ملكة الفكاهة ، وأنه لا يعرف الضحك والسخرية ، وإلا لما طال صبره على المظاهر الحكومية التى هى أدعى الأشياء إلى الضحك والسخرية !

فقد أثارت هذه التهمة غضب جوبلز وتلاميذه فأوعزوا إلى الصحف الناقدة عندهم أن تقيم الدليل على بطلانها ، وراحت هذه الصحف تعقد المباريات لأصحاب النوادر والتعليقات الفكاهية وتغريهم على الظهور تارة بالتنويه والثناء ، وتارة بالجوائز والمكافآت .

وكانت البدعة الشائعة فى تلك الأيام بدعة تقصير الملابس والإفراط فى التجرد بين النساء الأوربيات ومنهن الألمانيات ، فانهال المتندرون على هذه البدعة بالتنكيت والتسخيف واتخذوها هدفاً للمباريات والمسابقات . وأذكر من نوادرهم فى ذلك نادرة لا بأس بها فاز صاحبها بإحدى الجوائز الأولى ، وهى أن رجلاً دخل المنزل فرأى امرأته فى كساء جديد يشبه أكسية الحمام فى القصر والخفة ، فبادرته قائلة : ألا تعلم يا فلان أننى ظفرت بخائط يبيعنى الكسوة التى أحتاج إليها بالتقسيط ؟

فنظر إليها حانقاً وقال : « وأظن هذا هو القسط الأول من الكسوة ؟ ... »

واعتقد الدعاة النازيون أنهم أبطلوا تهمة خصومهم بجملة هذه النكات ، وأثبتوا للشعب الألمانى ملكة الفكاهة التى ينكرها عليه المنكرون

على أن الواقع — بنجوة من المفاخرات القومية والخصومات السياسية — أن أبناء الحواضر فى ألمانيا لا تفوتهم النكتة اللاذعة ، ولا تخلو تعليقاتهم على الحكام والنظم الحكومية من الفكاهة الصادقة ، وإن لم يبلغوا فيها شأو أبناء العواصم الأخرى كفينا وموسكو ولندن وباريس

ويغلب على اعتقادنا أن الصرامة النازية قد شحذت هذه الملكة ولم تقتلها ، لأن هذه الصرامة تلجئ الناس إلى التنفيس عن صدورهم بالنكات والفكاهات ، وكل ما هنالك أنها لا تنطلق على الألسنة ولا فى الصحف كما تنطلق فى البلدان التى تملك القول والنشر ولا تبتلى فيهما بالحجر الشديد

وقلما خرج من برلين — أو من ألمانيا على العموم — صحفى أو ناشر أو مذيع من الذين أقاموا فيها أيام الحرب إلا جاء معه بجعبة حافلة بالنوادر والفكاهات التى يتهامس بها أبناء برلين وميونيخ وغيرهما من الحواضر الكبرى

أحد هؤلاء وليام شيرر William Chirer الذى كان يذيع من ألمانيا لمحطات الإذاعة الأمريكية المعروفة باسم «اتحاد كولمبيا» وقضى فى أواسط أوربا سبع سنوات ثم غادرها بعد أن ضاقت به الحال وتعذر عليه أن يبلغ سامعيه شيئاً يستحق عناء التبليغ

ضاقت به أسباب الإذاعة لأنهم كانوا يحذفون معظم كلامه أو يحذفون كلامه كله فى بعض الأيام ، وكانوا إذا حذفوا كلامه كله خشوا أن يعزو السامعون ذلك إلى شدة الرقابة على الأنباء فاعتذروا عنه بغير علمه قائلين : إنه لا يذيع الليلة لأنه تأخر عن الموعد ! ولم يقولوا إنه لا يذيع لأن الكلام الذى أعده للاذاعة قد حذف كله ، أو لم يبق منه ما يستغرق الوقت المقدور لأنبائه

وحاول فى بداية الأمر أن يعالج ذلك بما فى وسعه فأقلع عن الصراحة ما استطاع وتعرّض منها بالتلميحات والإشارات وتحميل اللهجة شيئاً من معانى السخر أو التوكيد أو الإيحاء . فما راعه ذات يوم إلا رقيب يلازمه ويشير على بعض الكلمات بالمداد الأحمر ، ويقيس الفواصل بين جملة وجملة فى أثناء الإلقاء حذراً من أن يكون المتكلم قد أراد بطول السكوت أن يلفت السامعين إلى أطواء كلامه السابق أو المقبل . فلما استحال عليه أن يقول كل ما يريد ، وأن يقول بعض ما يريد ، وأن يقول بالإشارة والسكوت ما يستحق أن يقال ، لم يجد بداً من الرحيل ، فرحل وفى ذاكرته وأوراقه جعبة من الخواطر والحواشى والتعقيبات

تنبيء العالم بأضعاف ما كان ينبئهم به فى أحاديثه ورسائله ، وضمنها جيماً كتاباً من الكتب النادرة فى تاريخ الحرب الحاضرة ، فما انقضى على صدوره عام واحد حتى كان قد أعيد طبعه ثمانى مرات

فى هذا الكتاب طرف من فكاهات أهل برلين وفكاهات الموقف هنالك على الإجمال ، تدل على أن الإنسان فى إبان الخطر يحتاج إلى منفس الفكاهة — إلى الضحك — حاجة لا يبالى معها بالموت أو العذاب، لأنها حاجة فردية شعبية لا حيلة فيها للحرب وضروراتها ولا للسطوة وطغيانها . فلا بد من التنفيس أو الانفجار

قال فيما رواه من تلك النوادر إن مدير مصلحة الوقاية نصح إلى الناس أن يبكروا بالنوم أول الليل قبل موعد الطائرات المغيرة . فكان أناس منهم يستمعون نصحه وأناس يؤثرون السهر وانتظار الموعد وهم أيقاظ

فإذا انطلقت زمارات الإنذار أقبل اللاجئون إلى المخابىء يحيي بعضهم بعضاً بمختلف التحيات

أسعد الله صباحكم ! ... تلك تحية الذين بكروا بالنوم فلما استيقظوا تبادلوا التحية التى تعودوا أن يتبادلوها عند اليقظة

أسعد الله مساءكم ! ... تلك تحية الذين لم يناموا بعد ، فهم يتبادلون تحيات السامرين فى المساء

هيل هتلر ! ... تلك تحية الذين ناموا من أول الحرب ، ولا يزالون نائمين ...

وقال إن أهل برلين يزعمون أن هتلر وجورنج وجوبلز ركبوا طيارة فسقطت وهلكوا ... ومن الذى نجا ؟ ... الشعب الألمانى

وربما كانت فكاهة الموقف أدعى إلى السخر من الفكاهة التى يخترعها المخترعون

فمن ذلك ما سمعه المراسل من بعض أهل « كولون » وأكد صدقه ، وهو عجيب لولا أن الحروب لا تخلو من عجيب

قال : إن الكساوى الرسمية قد كثرت فى البلاد الألمانية أثناء الحرب حتى تعذر التمييز بينها

فمن ذلك أن ضابطاً من سلاح الطيران البريطانى تلكأت به طيارته على مقربة من كولون فهبط على الأرض ودخل إلى المدينة يائساً من النجاة لتسليم نفسه ، وتوقع أن يقبض عليه الشرطة أو من يصادفه من رجال الحكومة فلم يقبض عليه أحد ممن رأوه ، بل كانوا يقفون له ويتلقونه بالتحية ويخلون له الطريق فاطمأن بعض الاطمئنان

وكانت معه ورقات من عملة النقد الألمانية يحملها الضباط الطيارون عادة كلما حلقوا فوق ألمانيا ، فخطر له أن يمضى بعض الوقت فى دار للصور المتحركة ريثما يتفق له ما هو مقدور له من الاعتقال أو النجاة

فطلبت منه العاملة نصف الأجر المكتوب على التذكرة ، لأنه يلبس الكسوة العسكرية

ثم خرج من دار الصور إلى حيث سلم نفسه إلى ديوان الحكومة ، وذكر لهم أنه أمضى بعض الوقت فى المدينة ولم يقبض عليه أحد . فلما سألوا عاملة التذاكر فيمن سألوه : هل بعتِ هذا الرجل تذكرة لحضور الصور المتحركة هذا المساء ؟

قالت نعم . وبنصف الأجرة مع السرور ، لأننا لا نظفر فى كل ليلة برجل من سلاح هتلر الممتاز !

ذلك أن الضابط كان يحمل على كتفه هذه الحروف الثلاثة : « س . هـ . م » أى سلاح هوائى ملكى ... ففهمت العاملة وفهم السابلة معها أن الحروف اختصار لسلاح هتلر الممتاز ، وهو أحق الأسلحة عندهم بالتوقير ، وأندرها فى أطراف البلاد !

إن صحت هذه القصة فهى من فكاهات القدر ، وعندما تجب الفكاهة على الناس لا تندر بينهم فكاهة الأقدار ولكنه ضحك كالبكى

وصدق ابن الرومى حيث قال :

إن من نابه الزمان بخطب لأحق امرىء بأن يتسلى
ومن كان فى وسمه تسلية الفكاهة ، ففى وسمه من التسلية كثير .

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي

٣ - ديوان حافظ إبراهيم

للدكتور زكي مبارك

فن جديد ابتكره حافظ — هجريات حافظ — الشعر السياسي قبل الاستقلال — عبقرية حافظ في مقاومة الاحتلال — الشاعر المظلوم — بقية القول

فن جديد ابتكره حافظ

لم تكن المواسم الدينية ملحوظة في الشعر العربي على نحو ما نرى في هذا العهد ؛ فقد كان يتفق أن يهنئ الشعراء ممدوحيهم بقدوم شهر الصيام وحلول العيدين . وتفرد الشيعة بإقامة المآتم يوم عاشوراء بكاء على الحسين

وما أذكر أن الشعراء كانوا يهتمون بالعام الهجري فينظمون القصائد في استقباله ، كما كانوا يصنعون في استقبال النيروز ، وإنما هي سنة حسنة نشأت في مصر منذ نحو ثلاثين عاماً . سنةٌ دعا إليها فريق من شباب الحزب الوطني وعلى رأسهم « إمام واكد » ، وقد استطاع أولئك الشباب أن يحملوا الحكومة على جعل اليوم الأول عطلة رسمية ، وهي الفرصة التي أتاحت لحافظ أن يبتكر هذا الفن الجديد

وإنما أعد هذا ابتكاراً من ناحية الالتزام ، وأعني أن حافظاً جعل هذا الفن من الفنون الموسمية ، فكان يستقبل هلال المحرم بقصيد جديد . ثم عصفت الحوادث فشغلت مصر عن الاحتفال بعيد الهجرة عدداً من السنين ، وتناسى حافظ واجبه فلم يقل في عيد الهجرة شيئاً يذكر بالعهد الذي انتفع به في صباه يوم كان قيثارة الحزب الوطني

ثم كان التوجيه الجميل الذي صدر من قلب الملك الشاب فاروق ابن فؤاد ، التوجيه الذي يوجب أن تحتفل الحكومة المصرية احتفالاً عاماً تظهر آثاره في جميع البلاد ، وتُطلَق فيه المدافع ، وترن أصوات الموسيقا في الحدائق والبساتين ، وتمد فيه دفاتر التشريف بقصر جلالة الملك ، ويتبادل فيه الناس التهاني بأسلوب لم يألفوه قبل هذا العهد

المهم هو النص على هذه الظاهرة الجديدة في الحياة المصرية لنعرف متى ابتدأ الشعراء هذا الفن الجديد ، راجين أن تكون لهم تحليقات يفوقون بها مبتكر هذا الفن الجديد

هجريات حافظ

ولكن ما طريقة حافظ في تلك الهجريات ؟

لا تظنوها قصائد دينية يبين فيها الحكمة من هجرة الرسول — وإن ألمّ إلى شيء من ذلك — وإنما هي قصائد يسجل بها حوادث العام الماضي ويسطر فيها ما يرجو في العام الجديد ، ومن أجل هذا يستبيح الهجوم على هلال العام السابق إن أخلف الرجاء ، كان يقول في هلال سنة ١٣٢٧

هللت حين لمحت نور جبينه ... ورجوت فيه الخير حين تألقا
وهززته بقصيدة لو أنها ... تُليت على الصخر الأصم لأغدقا
فنأى بجانبه وخص بنحسه ... مصراً وأسرف في النحوس وأغرقا
لو كنت أعلم ما يخبّئه لنا ... لسألت ربي ضارعاً أن يُمحقا

وبهذا تجرد هلال المحرم عند حافظ من حليته الدينية ، واحتفظ بصبغته الزمانية ، فهو بدء مرحلة جديدة من مراحل التاريخ يسعد بها قوم ويشقى بها أقوام

وهجريات حافظ تمثل اتجاهات الرأي العام المصري في الوقت التي قيلت فيه ، وتدلنا على أن المصريين كانوا يسايرون الحوادث في الأقطار العربية والإسلامية ، فهم يعرفون أشياء من أحوال الترك ، وأشياء من أحوال الفرس ، وأشياء من أحوال الأفغان ، وعندهم أخبار عن الجزائر ومراكش وجاوة والهند ، ويتأثرون بما يقع في تلك الأقطار من حوادث وخطوب . ومراجعة الرائية والقافية تؤيد ما نقول . ولنقرأ معاً هذه الأبيات في الموازنة بين حال الترك وحال الفرس عام ١٩٠٨

سلوا الترك عما أدركوا فيه من منًى ... وما بدّلوا في المشرقين وغيّروا
وإن لم يقم إلا نيازي وأنورٌ ... فقد ملأ الدنيا نيازي وأنور
تواصوا بصبرٍ ثم سلوا من الحجا ... سيوفاً وجدّوا جدهم وتدبروا
سلوا الفرس عن ماضي أياديه عندهم ... فقد كان فيه الفرس عمياً فأبصروا
جلا لهم وجهَ الحياة فشاقهم ... فباتوا على أبوابها وتجمهروا
ينادون أن مُنّي علينا بنظرةٍ ... وأحيي قلوباً أوشكت تتفطر

والشاعر يطيل القول في فوز الترك بالدستور ، وحرمان

الفرس من الدستور . فإذا حال الحول وجاءت تحية العام الجديد كانت الفرس ظفرت بالدستور ، وكان على الشاعر أن يقول :

أولى الأعاجم منّةً مذكورةً ... وأعاد للأتراك ذاك الرونقا

وتغيرت فيه الخطوب بفارسٍ ... حتى رأيت الشاه يخشى البيدقا

ثم يلتفت الشاعر فيرى مصر لم تظفر بشيء ، لا بالدستور ولا بالاستقلال ، وفي ذلك العام نُفِّذ قانون المطبوعات فقُصَّت أجنحة الجرائد المصرية ، وجاز للشاعر أن يقول :

فتقيدت فيه الصحافة عنوةً ... ومشى الهوى بين الرعية مطلقا

كانت تواسينا على آلامنا ... صُحُفٌ إذا نزل البلاء وأطبقا

كانت لنا يوم الشدائد أسهماً ... نرمي بها وسوابغاً يوم اللقا

كانت صِماماً للنفوس إذا غلت ... فيها الهموم وأوشكت أن تزهقا

كم نفَّست عن صدر حرٍّ واجدٍ ... لولا الصمام من الأذى لتمزّقا

مالي أنوح على الصحافة جازعاً ... ماذا ألمّ بها وماذا أحدقا

قصّوا حواشيها وظنوا أنهم ... أمنوا صواعقها فكانت أصعقا

ثم يتكلم عما وقع في ذلك العام من محاولة تجديد امتياز قناة السويس ، وهي محاولة أثارت الجمهور المصري في سنة ١٩١٠ ، ثم يوجه القول إلى الشبان :

لا تيأسوا أن تستردّوا مجدكم ... فلربّ مغلوبٍ هوى ثم ارتقى

مدّت له الآمال من أفلاكها ... خيط الرجاء إلى العُلا فتسلقا

فتجشّموا للمجد كل عظيمة ... إني رأيت المجد صعب المرتقى

من رام وصل الشمس حاك خيوطها ... سبباً إلى آماله وتعلقا

عارٌ على ابن النيل سبّاق الورى ... مهما تقلب دهره أن يُسبقا

أوَ كلما قالوا تجمّع شملهم ... لعب الشقاق بجمعنا فتفرقا

إلى آخر ما قال من هذا النصح الثمين .

الشعر السياسي قبل الاستقلال

سياسيات حافظ وقعت في عهد الاحتلال ، السياسيات التي جعلته شاعر النيل ، أما سياسياته بعد إعلان الاستقلال فهي مشوبة بالضعف ، لأنه كان تعب من النضال ، ولأنه كان استراح إلى مطارحة الأحاديث في الأندية والبيوت والقهوات

فما سياسيات حافظ في عهده الأول ؟

كان يشارك الجمهور المصري في مقاومة الاحتلال بعبارات هي الغاية في صدق الوطنية ، ولكنه كان يقول كلاماً نعدّه اليوم من الكفر بالوطنية ، فقد كان يطالب المحتلين بإصلاح البلاد ، ويدعوهم إلى التحرز في اختيار الوزراء ... أليس هو الذي يقول في مخاطبة السير جورست :

إذا ما شئت فاستوزر علينا ... فتىً كالفضل أو كابن العميد

ولا تُثقِل مطاه بمستشارٍ ... يحيد به عن القصد الحميد

ولم يفت حافظاً أن يدعو جورست إلى إنشاء الجامعة المصرية فيقول :

وأسعِدْنا بجامعةٍ وشيّدْ ... لنا من مجد دولتك المشيد

وإن أنعمتَ بالإصلاح فابدأ ... بتلك فإنها بيت القصيد

وقد أخطأ شارحو الديوان حين قالوا إن الجامعة المصرية لم تكن أُنشِئت بعدُ ، فقصيدة حافظ في استقبال جورست نُشرت في وقت كانت فيه الأمة استعدت بقوتها الذاتية إلى إنشاء الجامعة المصرية ، كما يشهد التاريخ الذي سنسطره بعد حين .

عبقرية حافظ في مقاومة الاحتلال

لن نغفر لحافظ أنه استنصر بجورست فقال :

تدارَكْ أمةً بالشرق أمست ... على الأيام عاثرة الجدودِ

وأيِّدْ مصر والسودان واغنمْ ... ثناء القوم من بيضٍ وسود

فهذا كلامٌ لا نقوله اليوم ، ولن نقوله بعد اليوم ، لأنه كلامٌ لا يقام له ميزان

ولكنّ حافظاً له عبقرية في مقاومة الاحتلال لم نجدها عند غيره شوقي ، فما تلك العبقرية ؟

إنها تتمثل في هذا البيت الطريف :

لقد كان فينا الظلم فوضى فهُذِّبتْ ... حواشيه حتى بات ظُلماً منظّما

وتتمثل في الأبيات التي نص فيها على تدريس العلوم باللغة الإنجليزية في المدارس الثانوية إضراراً باللغة العربية ، وتتمثل في قصائده في وصف مأساة دنشواي ، وهي مأساة لم تغب فجائعها عن الإنجليز أنفسهم ، فسمعوا صوت الزعيم الوطني « مصطفى كامل » ، ونقلوا لورد كرومر إلى حيث لا يريد . وسيقول التاريخ إن أول صوت قَرَع سمع الاحتلال هو صوت المنوفية روضة البحرَين وزينة الوجود .

الشاعر المظلوم

هو حافظ إبراهيم الذي نحاكمه ظالمين ، الشاعر الذي صرّح فقال :

إلى من نشتكى عنت الليالى إلى (العباس) أم (عبد الحميد)
ودون حماهما قامت رجالٌ تهددنا بأصناف الوعيد

وكان هذا الاتهام ينشر بطريقة علنية فى الجرائد المصرية ، فكان شاهداً على خمود حاسة العدل هنا وهناك

ومما يُشرِّف الجيل الحديث أن نصرِّح بأنه استطاع فى عهد الشدة مالم يستطع أسلافه فى عهد الرخاء ، فمصر التى كانت تقاوم الاحتلال وهى مؤيدة بالدولة العلية ، لم تكن أقوى من مصر التى تقاوم جميع المكاره وهى مؤيدة بقوتها الذاتية

بقية القول

سياسيات حافظ ليس فيها كذبٌ ولا رياء ، فقد عرفتُ من مسالك حافظ أنه لم يكن ينشر قصيداً إلا بعد أن يعرضه على جميع من يصادف من رجال السياسة والبيان ، فشعره صورة صحيحة لزمانه ، وهو زمان جمع بين الغرائب فى الأفهام والأذواق ، وكذلك تكون الأزمان التى تمهدُ الأمم للنهوض والتحليق

مداراة حافظ للاحتلال لون من السياسية الوقتية ، أما ضمير حافظ فهو ضمير الوطنى الصادق ، ضمير الشاعر الذى يدرك فى سريرة وطنه ما يدرك سائر الناس . أليس هو الذى أنبأنا أن مصر قالت :

وقف الخلقُ ينظرون جميعاً كيف أبنى قواعد المجد وحدى
وبناة الأهرام فى سالف الدهـــر كفونى الكلام عند التحدى
أنا تاج العلاء فى مفرق الشر ق ودرَّاته فرائد عقدى
أى شىء فى الغرب قد بهر النا س جمالاً ولم يكنْ من عندى
فترابى تبرٌ ، ونهرى فراتٌ وسمائى مصقولة كالفرندِ
أينما سرت جدول عند كرم ، عند زهر مدنَّر ، عند رند
ورجالى لو أنصفوهم لسادوا من كهول ملء العيون ومُرْدِ
لو أصابوا لهم مجالاً لأبدوا معجزات الذكاء فى كل قصد
إنهم كالظُّبا ألحَّ عليها صدأ الدهر من ثواء وغمد
فإذا صيقل القضاء جلاها كن كالموت ما له من مردِّ
أنا إن قدر الإله مماتى لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى

ما رمانى رامٍ وراح سليماً من قديمٍ عناية الله جُندى
كم بغت دولةٌ علىَّ وجارت ثم زالت وتلك عُقبى التعدى

وتلك قصيدة نفيسة أحب أن يلتفت إليها من يستعدون لمسابقة الأدب العربى ، فقد يسألون عنها يوم الامتحان

فى تلك القصيدة قال حافظ أبياتاً فى تصوير الأخلاق التى ترفع الشعوب ، وفيها أبياتٌ صوَّر بها حافظ ما بيننا وبين الغرب من صلات ، فقد أنبأنا أن مصر أوصت أبناءها فقالت :

إن فى الغرب أعيناً راصداتٍ كحلتها الأطماع فيكم بسهد
فوقها مِجهرٌ يُريها خفايا كمْ ويطوى شعاعه كل بُعد
فاتقوها بجُنَّةٍ من وئامٍ غير رثِّ العُرا وسعىٍ وكدِّ

وهذا القصيد موصول المعانى بالقصيد الذى قال فيه :

ـ أبناؤنا وهمُ أحاديث الندى ـ ليسوا على أوطانهم بشِحاح
صبروا على مُرِّ الخطوب فأدركوا
حُلو المُنَى معسولة الأقداح
شاكى سلاح الصبر ليس بأعزل
يغزوه ربُّ عوامل وصِفاح
الصبر إن فكرت أعظم عُدةٍ
والحق لو يدرون خير سلاح

هذا العدد

هذا العدد لا يقع إلا فى أيدى المشتركين . أما سائر القراء والمتعهدين فى مصر وفى غير مصر فعذرنا لحضراتهم أننا لم نجد فى وزارة التموين ولا فى السوق ورقاً للرسالة بأى وسيلة . وقد وعدتنا الوزارة أن هذا العسر لن يطول . فاذا حقق الله هذا الوعد فسنعيد طبع هذا العدد لنكفى جميع القراء . والله وحده المسئول أن يرفع عن الصحافة والأدب هذا البلاء .

وفى القصيد السالف حدثنا حافظ أن الصبر هو عُدَّة من نطالبهم بالجلاء .

خُلُق الصبر وحده نصرَ القو
مَ وأغنَى عن اختراع وعَدّ
شهدوا حومة الوغى بنفوس صابراتٍ وأوجهٍ غير رُبد
فمحا الصبرُ آيةَ العلم فى الحر ب وأنحى على القوىِّ الأشد

وهذا أعظم ما قيل فى الإنجليز ، فما كانوا أذكى من الفرنسيس ولا أعلم من الألمان ، وإنما اعتصموا بالصبر الجميل فظفروا بما ظفر به العرب القدماء

ثم ماذا ؟ ثم بقى القول عما نظم حافظ فى المراثى وفى شكوى الزمان ، وأهمية هذين البابين أهمية ثانوية بالقياس إلى باب السياسيات .

إدرسوا سياسيات حافظ بعناية لتفوزوا ، جعلكم الله جميعاً فائزين .

زكى مبارك

مطالعات حول المرفأة

الفنانون والمـــال

للأستاذ صلاح الدين المنجد *

يذهب دافنيل D'Avenel فى كتابه عن « تاريخ الملكية الاقتصادى ... » أن العمل الفنى الذى أخرجه أناس مجهولون أوتى ، منذ القرن السابع عشر ، ربحاً يعادل ثلاثة أضعاف الربح الذى قدر للآثار الفنية الرائعة التى أبدعها فنانون عباقرة عرفهم الناس فسار اسمهم ، وشردت روائعهم فى كل مكان أفيكون للمال الذى يربحه الفنان ، والرواج الذى يُقَدَّر لآثاره وروائعه ، أثر فى قريحته ونبوغه ؟ أيدب اليأس فى نفسه عند رؤيته الغث يروج وينفق ، والحسن يكسد ويهمل ؟

هذا الأثر ، كما أعتقد ، يظهر فى عدد المؤلفات ، وفى شكل الآثار عند من يبتغى المال ، ويتخذ الفن سبيلاً له ، ويبدع ، إن أبدع للسوقة لا للخواص

لا جرم أن هناك فنانين ذوى اقتصاد أو بخل أو تقتير ، وأن هناك آخرين ذوى سرف وترف وتبذير ، وأن فيهم جميعاً من يحب المال ويسعى إليه ؛ ولكن ذلك كله لا يؤثر فى عبقرية الفنان فيشلها أو يعلها . لقد كان من المقترين الموسيقى الإيطالى « باليسترينا Palestrina » ، وفيكتور هوغو ، وميكيل آنج ... وكان من المبذرين موزار ، ولامرتين ، ورامبراند ... ولكن لم نر أن حبهم للمال أو تقتيرهم فيه أو حرصهم عليه ، كان سبباً فى خصب قرائحهم أو جدبها ؛ لأن الحقيقة هى أن هؤلاء ، ونعنى الفنانين الموهوبين ، سواء أمبذرين كانوا أم مقترين ، يجدون فى الفن حاجة لا يتحولون عنها ، لأن فيها متعة ولذة . فهم لا يعملون ، كل فى فنه ، ابتغاء المال ، لكن إرضاء لأنفسهم . إذ ليس لهم سبيل إلى الصدوف عن الفن ؛ فهم يعملون للفن ، كما يعملون ، بقدر ، للحياة . ينظمون كما يبصرون ، ويشعرون كما يأكلون ؛ ويصورون كما ينامون ... فإذا أشبعوا نفوسهم الجياع ورووا أرواحهم الظمآء بإبداع متع الفن الخالدات ... تطلعوا إلى المال . فخاسة الفن ، هى غير الرغبة فى المال ، لأن الرغبة فى المال حاسة تساعد الفن ، فما هى بالتى تبدع وتخلق ، ولكنها تدفع وتهيج

وقد يكون من النزوع عن جدد العقل أن نقدر قيمة مؤلف من التواليف ، أو أثر من الآثار ، بما يقدم لصاحبه من الأموال . فقد يخرج الفنان آية من آيات الفن تتجلى فيها العبقرية والنبوغ والسمو ، فلا يقدَّر لها النجاح ، ولا يقدِّم لصاحبها إلا فلوس غير كثار ؛ وقد يخرج متأدب ، من الأدب السوقى ، ما يوافق عقل العامى ويطابق هواه ... فينال النَّفاق والرواج . ولقد ربح كورنيل الكبير من مسرحيتيه « آتيلا Attila » و « تيت وبيرينيس Tite et Bérènice » ما لم يربحه من « السيد Cid » أو « هوراس Horace » فقد نال فى كل منهما ما كان يعادل فى القرن الخالى سبعة آلاف من الفرنكات . وهذا مبلغ فى القرن السابع عشر ، عظيم . رغم أن هاتين المسرحيتين لم تبلغا ذروة الفن . ونال « توماس كورنيل » من مسرحيته « تيموقراط Timocrate » ما يفوق هذا المبلغ ، من أن توماس كان لا يجارى أخاه كورنيل الكبير فى البراعة . وكانت الآثار التى جلبت لرسُّو الأموال ، هى آثاره التى نسيها الناس فى هذه الأيام . فلقد مهد معجمه الموسيقى Dictionnaire de Musique السبيل للمال ليصل إلى جيبه . وربح هوغو من البائسين Miserables أربعمائة ألف فرنك ؛ وما كانت بأروع آثاره . وقد أوتى الروائى الفرنسى « أوجين سو E. Sue » هذا المبلغ من كتابيه « خفايا باريس » و « اليهودى التائه Le Juif Errant » وتخطاه ربح « بونسون دتيراى Ponson de Terrail » من كتابه « روكومبول Rocombole »

فمن أراد الفن لا يحفل المال . ويقول الدكتور لالو Lalo إذا أردت أن تعيش عيشة طيبة فاكتب وريقات ، وميلدرامات

وضع للتمثيل الموضوعات ... أما إذا أردت أن تخدم الفن ، وتخرج رائعات فاتنات، فاعزف عن العيش الناعم، والمال الكثير . فإذا كان عيشك الساذج آنئذ مترعا بالفن والجمال ، فإنه لعيش لا يقدر عليه من البشر غير أفراد قلال .

وقد يخشى أن يسفل الفن إذا سعى وراء المال . ويقول « برودون Proudhon » فى كتابه « Majorats Litteraires » « ليس لدينا فى مكان الأدب والفن ، غير صناعة مقدَّرة لخدمة الترف العامل على الفساد والخراب » ولقد احتج على الملكية الفنية وحقوق الفنانين فى القرن الخالى ، وقال إنه ليس من يكتب للفن ، وليس من يبدع للفن ، فهم جميعاً يبتغون التجارة ؛ ويساعدون بما يكتبون على فساد البلاغة ... وخراب الروح . وكان « شارل نودير Ch. Nodier » الروائى المعروف ، يحسب عند ما يكتب ، أن كل ثمانى كلمات تؤلف سطراً ، وأن السطر ثمنه فرنك واحد... وقد عللوا وفرة حروف الاستفهام والتعجب عند أبطال « دوماس الكبير » فى رواياته كقولهم « أوه ! » أو « آه !... » أو « آيه ! » بأن ثمن السطر كان فرنكاً ونصف فرنك ؛ وهذه الحروف كانت تحسب فى السطر من الكلمات التسع .

وقد لاحظ النقادة الفرنسى « سانت بوف » هذا فقال : « إذا كنت تجد عند مؤلف بارع كهذا (يعنى دوماس الأب) جملاً فارغة جوفاً ، فذلك لأنه قد اعتاد منذ الصبا ، أن يشوه جمله ، فيضع أقلّ ما يكون من الفِكَر فى أكثر ما يكون من الكلمات ... » وما ذلك الإسهاب إلا لإكثار عدد السطور ، وإكثار عدد الفرنكات .

فبرودون يغضب ويثور ، لأن الفن لا ينبغي أن يصبح سلعة يلتمس من ورائها المال فتبتذل ، ولكن يجب أن يبقى متعة يلتمس فيها الجمال والخلود .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

أهمية دراســــة التاريخ

للدكتور محمد مصطفى صفوت
مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

« أنشودة الزمن خلدت فى ذاكرة الناس » هذا ما ألفاه شاعر فى التاريخ . وما يجده الشاعر فى قراءة التاريخ لا يختلف كثيراً عما يجده الفيلسوف أو المؤرخ . فالفيلسوف يجد فى التاريخ طرائق متعددة للحياة الإنسانية ، ويسمع فيه صوتاً خالداً يردد قوانين الحق وأصداء الباطل ، ويدرس فيه الفلسفة دراسة الواقع . وأما المؤرخ فيجد متعته فى الوصول إلى الحقيقة ، وذلك بدراسة الآثار والوثائق التى خلفتها الإنسانية فى مناحيها المادية والروحية .

ويتساءل المؤرخون فيما بينهم عن موضوع علم التاريخ . هل التاريخ سيرة الملوك والأمراء ، أم هو سيرة الشخصيات الكبيرة والأبطال الذين قادوا الأمم وغيروا مجرى حياة الشعوب ؟ هل التاريخ قصة لحياة طبقة دون سواها ؟ هل التاريخ دراسة للناحية السياسية فحسب ، أم هو شامل للنواحى الاقتصادية والاجتماعية والعقلية والفنية للحياة الإنسانية ؟ ولعل الرأى الذى يقول بأن التاريخ يبحث فى حياة الإنسان فى الماضى من كل نواحيها وفى تطورها ونموها أقرب إلى الحقيقة . ولكننا نرجع فنجدد دراستنا للحياة الإنسانية بالمدة التاريخية ، وهى المدة التى وجدنا لها آثاراً ومخلفات نستطيع الاعتماد عليها والوثوق بها . فالتاريخ يعرض أمامنا ثمرات العقل الإنسانى والعاطفة الإنسانية من أدب وعلم وقوة ودين ، يرينا ما مرت به الدول والشعوب والطبقات والأفراد من محن ومصاعب وما سمت إليه من مجد وعظمة : هو يوضح لنا التطور السياسى والاجتماعى والفنى .

شعر الناس منذ القدم بما للتاريخ من قيمة ، فعنوا بدراسته وسارعوا إلى تدوين أخبار الإنسانية على صفحات الذاكرة ، ثم على مبانيهم ومنشآتهم ، ثم سجلوها فى كتبهم ، وهم يحسون بضرورة صيانة تراث الآباء والأجداد . على أن قيمة هذه الأخبار تتباين فى أنظارهم بتباين الزمان والمكان ، فحيثما كان التاريخ قصصاً يختار الرواة من حوادثه ما يبهرهم ويثير إعجاب الجمهور كانت قيمته فى التسلية وكسب الرزق . وحيثما تغلبت فكرة السياسة أو الأخلاق، أو الدين أو الاقتصاد أصبح التاريخ يخدم غرضاً سياسياً ، دينياً أو اجتماعياً . ثم لما اهتم المؤرخون بتنظيم حقائقه وترتيب وقائعه ، ونقدها ، كانت قيمة التاريخ فى ذاته ، فى السعى إلى الوصول إلى الحقيقة

ولننظر إلى أهمية التاريخ فى تربية الدارسين وتثقيف عقولهم . ما قيمة التاريخ فى ذلك النوع من التربية الذى يرمى إلى إعداد الأفراد للقيام بحرفة بنجاح وكفاية ؟ رمى التعليم فى القديم إلى غرض مهنى ، فكان مرمى من توافروا على معرفة التاريخ كسب العيش . فمنذ أزمنة سحيقة من عهد هوميروس ، وجد قوم انهمكوا فى دراسة القصص القومي وما يحويه من سير الأبطال ، وساروا به خلال الديار اليونانية ينشدونه أمام الناس ويتقبلون ما يمنحونهم من هبات . وفى التاريخ الإسلامي كانت طائفة من الناس تعمل على حفظ أخبار العرب وأيامها وآدابها للتقرب من الخلفاء ونيل عطاياهم . ولم تكن طريقة الدراسة تعتمد على الأخذ من أفواه الرواة فحسب ، بل كثيراً ما كانت تلجأ هذه الطائفة إلى الرحلة إلى الأقاليم التى يراد دراستها والوقوف على عجائبها وطبقات أهلها . ومثل هذه الطائفة كان يطوف فى أوربا فى العصور الوسطى

عرف المسلمون للتاريخ فوائد أخلاقية « دنيوية وأخروية » فكان عند الدول الإسلامية مادة حرفية تعد لمهنة الكتابة والإنشاء . وفى أوربا فى العصور الحديثة كان التاريخ يدرس لأولاد النبلاء والأمراء كوسيلة من وسائل تدريبهم على ممارسة أمور الحكم . وهو الآن يدرس فى بعض المعاهد العليا والجامعات لإعداد مُدرسى التاريخ والخبراء السياسيين . أما فى المدارس الثانوية والابتدائية فتتغلب الفكرة الثقافية التى ترمى إلى تكوين الدارس عقلاً وروحاً وإعداده لتذوق الفن والجمال

مركز التاريخ مهم بين العلوم الثقافية ، فالاهتمام به إنما هو اهتمام بتركة الإنسان وآثار الجهد الإنسانى . قد يشك بعض الناس فى قيمة تثقيف الطلبة بمعلومات عن أشخاص أو حضارات أصبحت الآن طى الفناء كما يحاولون . هؤلاء الأشخاص وهذه الحضارات لم تعف آثارها فما زالت مقيمة بيننا مؤثرة فينا ملهمة لنا ؛ وما قيمة المعلومات الأخرى للانسان إذا لم يعرف نفسه وماضى حياته وتفكيره فى أطواره المختلفة ؟ فدراسة الإنسان ينبغى أن يكون محور كل دراسة ومركز كل بحث

أما مركز التاريخ فى التربية الخلقية الاجتماعية فلا يقل أهمية . يرمى ذلك النوع من التربية إلى تكوين الأخلاق الشخصية . ولقد ولد الإنسان فى مجتمع يمد أفراده للحياة فيه

وفق عاداته ونظمه ومثله العليا . ولا ريب فى أن التاريخ يكاد يكون من ألزم العلوم لهذا النوع من التربية ، لأن التاريخ يدرس ماضى الإنسانية وتراثها الاجتماعى

وهناك اعتراضات قد تثور فى ذهن بعض المفكرين ؛ فيرى فريق أن التاريخ لا يعرض أمامنا أمثلة حسنة للسلوك المرضى فحسب ، بل كثيراً ما يضرب أمثلة للقسوة والغدر والأنانية . ولو أن المؤرخ أو المعلم أراد استبعاد ذلك الجانب من التاريخ لجعل من شخصياته أبطالاً خياليين لا يدأبون وراء شىء غير الفضيلة ، وهذا فى ذاته مخالف للأمانة العلمية . ويقول فريق آخر « لقد أصبحنا لا نرجع للتاريخ لنجد دروساً فى الأخلاق أو مثلاً عليا للسلوك أو مواقف باهرة . نحن نفهم أن القصة الخيالية لتحقيق ذلك الغرض مفضلة على التاريخ لأنه فيها تظهر الأسباب والنتائج المتفقة مع آرائنا فى العدالة » . ويرى فريق ثالث أن ليس ثمة فائدة أخلاقية نافعة من دراسة التاريخ ، فهل دراستنا لتاريخ روما التى هوى بها الانهماك فى اللذات والترف منذرة لعصرنا الحاضر بالاضمحلال ؟ ويؤيد ذلك الفريق فكرته بأنه لم توجد فترتان متشابهتين من كل الوجوه فى حياة الأفراد ، فكيف فى حياة الشعوب . وفريق رابع يندد بأن الماضى قد سيطر على عقولنا وتفكيرنا ، فنحن نفكر بتفكير الماضى ، ونحن منغمسون دائماً فى الماضى ، مع أن ظروف الحياة قد تغيرت وتبدلت ، ولا بد من زيادة الاهتمام بالحاضر والنظر إلى المستقبل

ويرد على هذه الآراء بالقول إن التاريخ مفسر للحياة الإنسانية الماضية ، فهو موضح لناحيتى الخير والشر . والتربية الاجتماعية لا ترمى إلا لأعداد الفرد للحياة بما فيها من مفارقات . وهى تعمل دائماً على إيجاد التوازن بين الغرائز الاجتماعية للانسان وغريزة حب الذات . لا ننكر أننا نرمى بمثلنا التاريخية إلى رفع مستوى الحياة وتطهيرها من أدرانها ، ولكننا نعمل فى نفس الوقت على إعداد شخصية حقيقية لا خيالية . ومن ناحية أخرى ، كثير من الشرور التاريخية لا تستقر فى أذهاننا ، فقليل من الناس من إذا ذكر اسم شكسبير أو خالد بن الوليد يذكر هناتهما الشخصية . ولا جدال فى أن التاريخ ممتلئ بالشخصيات التى تتمثل فيها البطولة وبالمواقف الخلابة ، وإذا وجد الأطفال فى القصة الخيالية ما يشفى غليلهم ، فلا يجد الدارسون ممن ارتقى بهم العمر فى غير قصص التاريخ الحقيقية ما يهيج كوامن نفوسهم . وهل هناك ما يمنع من أن نضع لصغار التلاميذ قصصاً تاريخية فى شكل جذاب تتجلى فيها الحقيقة ، لهذه الأعمال أعمال حقيقية قام بها أناس حقيقيون عاشوا على وجه الأرض . ثم هل من التعليم فى شىء الإكثار من ملء عقول صغار الدارسين بخرافات وأوهام فى مرحلة من العمر هم محتاجون فيها لضبط خيالهم ، وفى وقت تتأثر عقولهم بكل شىء ، وأن هذه المعلومات المملوءة بالأوهام سوف تشكل ما يتلقونه من معلومات فى المستقبل ؟ وأخيراً لا نستطيع إنكار استفادة الإنسان من تجارب آبائه ، واستفادة الأمم من تجارب من سبقها ، فحياة الإنسان والأمم قصيرة ومعظم تجارب الإنسان ومعلوماته مستقى من الآخرين . ويمتاز الإنسان عن الحيوان بذكائه وقدرته الكبيرة على التعلم . وما نظم الحياة الحاضرة إلا تعديل لنظم الحياة الماضية . على أنه فى دراستنا للماضى لا ينبغى نسيان الحاضر أو إهماله ؛ فيجب دائماً ربط الماضى بالحاضر وتبين أثر الماضى فى النظم الموجودة ، كما يجب ألا تكون دراسة الماضى دراسة إعجاب فحسب ، بل دراسة تفكير فيه ونقد له . ويلزم العناية بانتقاء الأمثلة التاريخية لأنها خير أثراً من كثير من النظريات الأخلاقية . وكلما كان المثل مأخوذاً من الحياة كان أكثر بقاء فى النفس وأعمق قراراً فيها . وليست قيمة هذه الأمثلة مقصورة على عملها على استقرار الحياة وإنما فى توجيهها لها . وفائدة هذه الأمثلة ليست فى المبادئ التى تمثلها فحسب بل فى الشعور والعواطف التى تستثيرها فى نفس القارئ أو المتعلم . والتاريخ قصة لمحاولات الناس فى سبيل الحياة ، ولذا فدراسته ذات قيمة وفائدة لمن يتأهب للسير فى هذا السبيل .

(البقية فى العدد القادم)

محمد مصطفى صفوت

أطوار الوحدة العربية

العرب فى ميادين الكفاح

للأستاذ نسيب سعيد

سأحدثك اليوم عن نزول العرب فعلاً إلى ميادين الصراع والنضال ، وعن تأليف الجيش العربى واشتراكه بالمعارك والمواقع الحربية إلى جيوش الحلفاء فأقول :

لقد كان سفر الأميرين « على » و « فيصل » من أبناء « الحسين » مع المتطوعين العرب ، من معسكر « حمزة » فى فجر أول يونيو (حزيران) عام ١٩١٦ ، أول نذير أنذر به الترك بخروج العرب عليهم ، وانفضاضهم من حولهم . فاتجه الأميران العربيان بعد مغادرتهما الثكنة العسكرية إلى (الخانق) سالكين الطريق الشرقي ، ثم عادا إلى (بيار على) وهو موقع بقرب المدينة فخيّما هنالك ، وكاتبا القبائل العربية ، وأخذا يجمعان القوى والجنود والأنصار

وفى صباح الثامن منه هاجما بستة آلاف مقاتل محطة (المحيط) مع حاميتها ، فدارت أول معركة بين الترك والعرب ؛ واستأنفا الغارة صباح ٩ منه فهاجما الحسا ، ودارت معركة عنيفة امتدت من الصباح حتى الظهر . وعلى هـذا المنوال بدأت المعارك حول المدينة المنورة بين العرب والترك قبل أن تعلن الثورة رسمياً لأن الثورة الكبرى — كما قلت لك فى حديثى السابق — بدأت فى مكة صباح يوم السبت ٩ شعبان سنة ١٣٣٤ الموافق ١٠ يونيو (حزيران) عام ١٩١٦ . وذلك أن الحسين أوعز إلى رجاله — وكان قد أعدهم من قبل — بأن يهاجموا الثكنة العسكرية فى (جردل) — كما حصل فى المدينة والطائف — وكان الترك غافلين عما يدبر لهم فى الخفاء ، وكان قادتهم وكبار ضباطهم فى الطائف ؛ ويتولى القيادة على الجيش التركى وقتئذ بكباشى اسمه « درويش » بك

وفى ذلك الصباح الأغر بدأ « الحسين » نفسه الثورة الدامية بأن أطلق رصاصة من قصره على ثكنة الترك فكانت الإعلان الرسمى للثورة العربية الكبرى ، كما كانت الإشارة التى اتفق عليها بينه وبين رجاله فشرعوا بالهجوم على أثرها . وكانوا قد احتشدوا فى مكان مجاور قبيل الفجر

وأدرك درويش بك قائد الجند التركى حراج الموقف ، وعرف أن مصير جنده إلى الفناء لأنهم كانوا يقومون بالتمرينات الرياضية المعتادة فى خارج الثكنة ، بلا سلاح ولا عتاد ، فعمد إلى الحيلة لإنقاذهم ، فخاطب الشريف تليفونياً وسأله عن السبب فيما وقع فأجابه :

« إن العرب لا يرضونكم حكاماً عليهم بعد ما قتلتموهم ، وأهنتموهم وعاديتموهم »

فقال له : « ما دام الأمر كذلك فأرسل من قبلك من تعتمد عليه لنسلمه السلاح والجند ، فنحن لا نريد إراقة الدماء عبثاً »

فقصد الشريف عبد المحسن البركانى على الفور لمقابلة درويش بك وأمر الثوار بالتفرق . فدخل الجند الثكنة فوراً وا[illegible]وا السلاح وأخذوا أهبة النضال والقتال ، ونبه أحد الضباط العرب الشريف إلى الحيلة والمكيدة ، فنجا بنفسه

وهاجم الشريف محسن بن أحمد منصور جدة صباح الأحد فى ١١ يونيو (حزيران) على رأس أربعة آلاف مقاتل ، فتحصنت حاميتها التركية فى شمالها وجنوبها ، وصمدت للكفاح . وقد اشتركت — لأول مرة — ثلاث بوارج بريطانية . فى هذا الهجوم يوم ١٣ منه وأصلت أماكن الترك نيراناً حامية . وكذلك طارت الطائرات البحرية البريطانية فى سماء جدة يوم ١٤ منه وألقت على معسكر الترك منشوراً يعلن ثورة العرب على أحفاد جنكيز . وفى يوم ١٦ يونيو (حزيران) رفعت حامية جدة راية التسليم ، فأنذرت بعدم إتلاف مدافعها وأسلحتها . وبلغ عدد الجنود الترك الذين استسلموا للعرب يومئذ (١٣٤٦) جندياً يقودهم (٤٧) ضابطاً مع غنائم كثيرة جداً

وفى يوم ٢٧ وصل إلى جدة (ولسن) باشا حاكم بور سودان يحمل كتاباً إلى الشريف « حسين » يتضمن تهنئة العرب بالنصر والاستقلال ويعرب فيه عن الإعجاب والإكبار لهذه الأعمال المجيدة التى يقوم بها العرب ، وقال إنه من البريطانيين

الذين يحبون الشرق ولا سيما العرب منذ نعومة أظفاره . وجاء فى الكتاب أيضاً أن الحكومة البريطانية أرسلت مع هذه التهنئة والتحية قوة بسيطة من قبلها لمساعدة العرب فى جهادهم الجبار ...

وفى يوم ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٤ و ٢٦ يونيو (حزيران) تم طبع منشور الثورة ، وقد وضعه الشريف « حسين » بنفسه وبسط فيه الأسباب التى أهابت به إلى مقاتلة الترك بسطاً وافياً

ولا ريب أن أقطاب العثمانيين ريعوا لإعلان الثورة العربية فى الحجاز ، وكان جمال باشا أشدهم حسرة وألماً ، لأنه أدرك أنه كان مخدوعاً ، وعرف أنه لم يحسن التصرف مع « الحسين » وأبنائه الذين أفلتوا من يده بعد ما أخذوا المال والسلاح . ولقد كان فخرى باشا محافظ المدينة المنورة أول من تنبه إلى هذه الحقيقة ، وكان يدعو إلى الفتك بالشريف وأبنائه ، ويشير باتباع سياسة الشدة والحزم فى الحجاز فقال كلمته المأثورة : « لقد انتصر الذكاء العربى فى هذه المرة على الذكاء التركى وفاز عليه » .

وقبض فخرى باشا على ناصية الحال فى المدينة على الأثر ، وأخذ يستعد لمنازلة العرب الذين نزلوا إلى ميدان النضال والصراع ، وشرعوا يقاتلون الترك بلا هوادة ولا توقف ولا رحمة ...

***

وكذلك نزل العرب إلى ميادين الكفاح لأول مرة بعد نزولهم الحرب أيام الجيش المصرى ، بقيادة البطل الخالد إبراهيم باشا من القاهرة إلى فلسطين عام ١٨٣١ لمقاتلة الجيش التركى ففتحها بدون صعوبة ولا عناء بفضل تأييد عرب فلسطين إياه وانضمامهم إليه، وأكثر من ذلك بفضل شجاعة الجندى المصرى وقوة بأسه وشدة فراسته ، وواصل التقدم إلى دمشق وإلى حلب فاحتلهما ، وكان العرب يقابلونه فى كل مكان بالهتاف والتصفيق والاستبشار وينضمون إليه ويرون فيه محرراً ومنقذاً مما سنفصله تفصيلاً حين الحديث على فضل مصر على القضية العربية

على أن إقدام « الحسين » وأولاده على إعلان الثورة وهم مجردون من كل قوة منظمة ، ولا يملكون سوى مقادير قليلة من البنادق ، وهى التى أخذوها من الترك للمتطوعة ، ولا يجهلون أنهم سيستهدفون لقتال قوات كبيرة تنزل فى ديارهم ، وتحيطبهم ، وتسد عليهم المسالك ، ومن ورائها جيوش جرارة ، تسرع لنجدتها ؛ وأن هذا الإقدام ينطوى ولاشك على كثير من الجرأة ، وصدق العزيمة . ولو تسنى لفخرى باشا بلوغ مكة كما تصور جمال باشا لقضى على الثورة وأبادها فى مهدها ، بيد أن ثبات رجال العرب فى وجهه واستماتتهم فى المقاومة والكفاح ، جعله يعدل عن خطة الهجوم ، ويكتفى بالدفاع ، فاستصفى العرب بذلك مدن الحجاز الواحدة بعد الأخرى بعد أن نزل « الجيش العربى » إلى القتال ، ثم اتجهوا نحو الشمال ، لتحرير سورية وإنقاذ بلاد الشام

ولقد أظهر الجيش العربى فى خلال الأدوار التى اجتازها أثناء الحرب الماضية من الشجاعة والإقدام ــ على حداثة عهده ــ ما نال إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء ، وجعل قادة الحلفاء وفى مقدمتهم اللورد (اللنبى) يعترفون بما أسداه من خدمات جلى . أما أهم المعارك التى خاضها الجيش العربى فهى معركة جدة وهى أول معركة ربحها العرب فى الحجاز ، ثم معركة مكة والليثى وأوملج ، والطائف ، والمدينة ، ورابغ ، والوجه ، والوبلح ، وخيبا ، وحروب المحطات ، والعقبة ، ووادى موسى ، والطفيلة ، ومعان ، والأزرق، وحوران، ومعركة الشام الكبرى، وغير ذلك من الحروب التى أظهر بها الجيش العربى الباسل كل ضروب القوة والشجاعة والعبر رغم حداثته وقلة أفراده ، مما لا يتسع المقام لتفصيلها . ولقد انتصر هذا الجيش الفتى فى جميع هذه المعارك والحروب انتصاراً مبيناً ، وسجل آيات الظفر بأحرف من نور . وكذلك انتهت الحرب التى افتتحت بمعارك الحجاز واختتمت بحروب الشام بفوز العرب وكانت قوة الترك لا تقل عن عشرين ألف محارب مجهزة بأفضل الأسلحة الحديثة . وقد قطع العرب خط الرجعة على الجيش التركى المتقهقر من فلسطين ووادى الأردن ، ومنطقتى معانه وعمان ، وما كان يقل عن ثلاثين ألف محارب ، فقد ارتد على جناح السرعة من دون أن يشتبك مع البريطانيين فى قتال بسبب ظهور العرب وراء خطوطه،

الحضارات القديمة

في القرآن الكريم

للأســتاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٢ —

الحضارة المصرية القديمة

كان لقدماء المصريين حضارة رائعة يعتز بها الآن أبناء مصر ، ويفد السائحون من سائر الأقطار لمشاهدة آثارها الباقية ، والتمتع برؤية عجائبها التى تملأ النفس روعة ، وتفعم القلب إعجاباً . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحضارة العظيمة فيما قصه من أخبار فرعون وموسى عليه السلام ، ولكنه لم يمدح منها إلا ما يستحق المدح ، ولم يطر منها إلا ما يستحق الإطراء ، وذلك ما كان منها متجهاً إلى مصلحة الرعية ، من شق الأنهار وتعمير الأرض ، والعناية بتوفير خيراتها للناس ، حتى تنمو بذلك ثروتهم ، وتسعد به حياتهم ، فلا يتمتع الملك وحده بالحياة السعيدة ، بينما تعيش الرعية بجانبه فى الذل والشقاء . وقد كان للحضارة المصرية عيوب بجانب هذه المحاسن فأشار القرآن الكريم إليها ، وندد أشد تنديد بها ، وذكر أنها هى التى قوضت بنيان هذه الحضارة ، وجعلتها تنتقل إلى قوم آخرين ، ساروا فى الأرض سيرة صالحة ، وأقاموا فيها موازين العدل ، وتلك سنة الله فى الخلق ، كما قال تعالى فى الآية — ١٠٥ — من سورة الأنبياء : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) فالمراد بذلك الصالحون لعمارتها ، وإقامة بنيان الحضارة فيها ، وهذا هو الذى يشهد به التاريخ القديم والحديث ، فإنا نرى فيه أن الحضارة الإنسانية لم تكن وقفاً على أمة من الأمم ، ولم يستأثر بها شعب من الشعوب ، وكم من شعوب ظهرت بهم الحضارة فأبطرتهم ، وأخذوا ينظرون إلى أنفسهم نظرة إعجاب وإكبار ، وينظرون إلى غيرهم نظرة استهزاء واحتقار ، ويرون أنهم أوثروا بالتقدم على غيرهم إيثاراً ، وقد بلغ من بعضهم أن زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فلم تكن إلا عشية وضحاها حتى سلبهم الله عزهم ، وأورثه قوماً آخرين صالحين متواضعين ، ديدنهم العمل ، ولا يأخذهم شيء من الغرور والكسل

وهذه هى الآيات التى وردت فيما يستحق المدح والإطراء من الحضارة المصرية القديمة ، وهى تصف ما تركه فرعون من آثار هذه الحضارة فى مصر ، حين غرق هو وجنوده فى البحر ، فنى هذا يقول الله تعالى فى الآيات : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ — من سورة الدخان : « واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون ، كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين ، فما بكت عليهم السماء وما كانوا منظرين »

فانسحب بسرعة لكيلا يقع بين نارين ، ولولا جهود العرب فى الصحراء ، وقطعهم الطريق على الجيش العثمانى ، وحاجتهم للمحطات على طول الطريق ، لما وقع ما وقع ولارتد الجيش سالماً ولأنشأ خطوط دفاع جديدة فى حوران وحول دمشق . ولقد سلم الترك والألمان بهذه الحقيقة الرائعة قبل الحلفاء ، فقال المارشال « ليمان فون ساندرس » القائد العام للجيوش التركية فى بلاد العرب فى مذكراته التى نشرها بعد الحرب الماضية ما نصه : « لقد اتفق شريف مكة وأميرها مع الحلفاء فى صيف عام ١٩١٦ على الاشتراك فى الحرب ، وأعلن استقلال العرب ، فنشطت بذلك حركاتهم الثورية فى بلاد الشام ، وكان الحلفاء يحمونها ، واتسع نطاقها ، وخصوصاً بعد إفلاس سياسة الشدة التى سار عليها جمال باشا ، فى معاملة الشعب العربى . ولقد أراد أنور باشا إعداد حملة عسكرية كبيرة تزحف على مكة ، وتنصب أميراً جديداً عليها ، بيد أن عدم ملاءة الظروف الحربية ، وعدم جواز اشتراك جنود مسيحيين فى الحرب ، حال دون إتمام ذلك فعدل عنه . ولقد أدت الثورة العربية خدمات جلى للجيش البريطانى ، خلال تقدمه فى شبه جزيرة سينا فكان الإنجليز آمنين مطمئنين يفعلون ما يشاءون كأنهم فى داخل بلادهم ، بعكس الترك الذين مقتهم أهل البلاد ، ولموهم فكانوا يسوقون جيوشهم وكأنهم فى بلاد معادية لهم » . . .

(دمشق) نسيب سعيد

المحامى

ويقول أيضاً فى الآيات — ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ — من سورة الشعراء « فأخرجناهم من جنات وعيون ، وكنوز ومقام كريم ، كذلك وأورثناها بنى إسرائيل ، فأتبعوهم مشرقين »

ولا شك أن القرآن بهذا المدح والإطراء لما كان فى مصر على ذلك العهد ، يتفق مع الغاية التى قلنا إن الإسلام جاء من أجلها ، وينادى بأنه ليس ديناً يدعو إلى إقامة نساك وعباد فى الأرض لا غير ، ويزهد الناس فى تعميرها بشق الأنهار ، وإقامة الزروع والبساتين ، وغير ذلك من معالم الحضارة ، ووسائل السعادة فى هذه الحياة ، بل يدعو مع العبادة والنسك إلى ذلك كله ، ويرى أنه لا تتم سعادة الآخرة ، إلا بسعادة الدنيا

وقد ذكر المفسرون فى تلك الجنات والعيون أن البساتين كانت ممتدة فى حافتى النيل فيها عيون وأنهار جارية ، وذكروا فى ذلك المقام الكريم أنه أراد به مجالس الأمراء والرؤساء التى كانت لهم ، وقيل إن فرعون كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسى من ذهب ، يجلس عليها الأمراء والأشراف من قومه ، وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب

ولا يفوتنا هنا أن ننبه إلى خطأ المفسرين فيما ذكر الله من إرث بنى إسرائيل فى تلك الآيات ، فقد ذكروا أن الله عز وجل رد بنى إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والأماكن الحسنة . ولا شك أن من يدرس تاريخ بنى إسرائيل من عهد موسى إلى ظهور الإسلام ، وكذلك تاريخ مصر فى ذلك العهد ، لا يجد شيئاً فيهما يثبت أن بنى إسرائيل قام لهم فيه ملك فى مصر ، أو أنهم ردوا إليها فأعطوا ما كان لفرعون وقومه من الأموال والأماكن الحسنة . والحق أن الله تعالى يشير بذلك إلى بساتين وعيون كانت لبنى إسرائيل فى فلسطين ، وذلك بعد أن قامت لهم فيها تلك الدولة العظيمة ، وبلغت أوج عظمتها فى عهد داود وسليمان عليهما السلام . فالضمير فى (أورثناها) يعود إلى مطلق الجنات والعيون وما ذكر معها ، ولا يعود إلى خصوص ما كان منها فى مصر على ذلك العهد ، وهذا من أسلوب الاستخدام المألوف فى لغة العرب ، ويعتمد فى بيان المراد منه على السياق وقرائن الأحوال

وأما الآيات الواردة فيما يستحق الذم من الحضارة المصرية القديمة ، فهى التى وردت فى قيام الحكم فيها على التفريق بين الشعوب ، واستخدام الشعوب الضعيفة فى مصلحة الشعوب القوية ، وذلك قوله تعالى فى الآيات — ٤ ، ٥ ، ٦ — من سورة القصص ، (إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) ، وقد ذم القرآن الكريم من ذلك ما يستحق الذم ، لأن الحكم الصالح يجب أن يقوم على التسوية بين الشعوب ، وعلى الأخذ بيد الشعب الضعيف حتى يصل إلى ما وصل إليه الشعب القوى ، فلا يرهق شعب فى العمل لسعادة شعب أقوى منه ، ولا يرى شعب أن يستأثر بأسباب السعادة لنفسه ، لأن هذا مما يثير الأحقاد بين الشعوب ويعوقها عن التعاون فى العمل لسعادة البشر فى هذه الحياة ، بما يقوم بينها من المنازعات والحروب ، ولا سعادة لها إلا بالسلام ، ولا سلام لها إلا بالعدل والمساواة .

(يتبع) عبد المتعال الصعيدى

الطيران بين أسلحة الحرب

للملازم الأول حسين ذو الفقار صبري

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

سنجد إذا نظرنا في أمر « الناقلات » أن ما ذكرناه عن القاذفات ينطبق عليها تماماً ، إذ أنهما نوعان متماثلان ، لا يختلفان في شيء اللهم إلا في تصنيف الأحمال ، وليس في تقدير الأحجام والأثقال ؛ هذه ارتحلت بالقنابل والمقذوفات ، وتلك نقلت الرجال والعتاد أو ربما نقلت جنود الهابطات

أما « المنقضات » ، أدوات التحطيم التكتيكي[1] ، فهي طائرات تعمل ضد أهداف ضاقت مساحتها وإن عظمت أهميتها كمدافع الميدان ، أو معاقل المقاومة ، أهداف لا تميز إلا من ارتفاع بسيط ، إصابتها عسيرة إلا إذا هوت عليها الطائرات كالعقبان . فهذه إذن طائرات مقدرتها على الاحتمال عظيمة : هيا كلها متينة ، تغالب ضغوطاً نشأت عن حركات اعتدال عنيفة إثر سقطات هاوية ، وطائرات كهذه يجب أن يكون ثقلها محدوداً حتى لا تؤثر جاذبية الأرض عليها تأثيراً كبيراً ، فياحبذا لو تمكنا من احتجاز ما تبقى من ثقلها هذا المحدود . لحساب محرك قوى يساعدها على الانطلاق سريعاً . ولكن هل ترانا نسينا أنه يجب عليه اقتسام ذلك الثقل تناقض مع قنابل ضخمة لولاها لما أنشئت تلك الطائرات ولا كان لها وجود ؟ فلتقنع « المنقضات » إذن بمحرك ضعيف يتركها فريسة سهلة لطائرات الأعداء ، إلا إذا أحطناها بالقاتلات تحرسها وتحمي ظهرها ، فتعينها ولو قليلاً على القيام بواجبها وتنفيذ مآربها

تلك هي أنواع الطائرات الرئيسية ، وياليتها كانت مقسمة ذلك التقسيم البسيط ! إن واجبات الطيران أصبحت عديدة متفرقة ، لا تؤديها على الوجه الصحيح إلا أنواع من الطائرات تعددت بتعددها ، وتخصص كل نوع منها كل التخصص ، كل منها يخالف الآخر في خواصه بل يناقضه أحياناً وإن تضافروا جميعاً نحو الغاية وتكاتفوا على الهدف

وتعدد أنواع الطائرات هنا هو بالمثلث للسبب الرئيسي الذي وقف في سبيل سيطرة الطيران سيطرة تامة على ميادين القتال ؛ فإن السلاح الذي كتب له التحكم والسيطرة يجب أن يكون سلاحاً مرناً متعدد النواحي لا الأنواع ، يقابل كل حالة طارئة بأسلوب جديد يناسبها ، أو بحل مبتدع يعالجها . وما الحرب إلا ظاهرة اجتماعية لبشر يعيشون على وجه الأرض ، ولذا سيظل سلاحها الأساسي جيوشاً تعمل مثلهم على وجه الأرض

* * *

بعد الحرب الماضية بقليل ، غمرنا الجنرال الإيطالي « دوهيه » بمقالات عديدة ومؤلفات كثيرة ما قرأها قارىء إلا انقاد لآرائه وسلم بصحتها . فوثق من أن حروب المستقبل القريب هي حروب الفناء ، حين تبسط الطائرات أجنحتها من شرق السماء إلى غربها ، وتنقض على البلاد تمحوها ، وعلى معالمها تدرسها

ولم يكتف « دوهيه » بالوصف والتصوير ، بل قدم برنامجاً مفصلاً شاملاً ، لم يترك فيه صغيرة إلا ذكرها ، ولم يمنعه الإمعان الطويل في الزوايا والأركان ، من الابتعاد بين الحين والحين ليرنو إلى هيكل بنائه كاملاً ، فيضع قواعده ، ويرسم خطوطه ، بحيث تتسق بداخله التفاصيل ، وتتماسك لتكون وحدة لا تنفصم

ولكن ذاك البرنامج عسير التنفيذ إلا على دولة ملكت من الطائرات عدداً عديداً ، وكان لها منها وفرة وفيرة . فيقوم الإيطالي يدعو بعدم « تبذير » الميزانيات على الجيوش والأساطيل ، فهي في نظره أشياء لا نفع فيها ، ويتشبث بوجوب إنفاق أموال الدولة كلها في سبيل بناء الطائرات ، بل يذهب إلى أن يخص منها بالذكر القاذفات ، ويهمل القاتلات وطائرات الاستطلاع . ويجب علينا هنا الانتباه إلى إحساس « دوهيه » العميق : باستحالة ضمان السيطرة للطيران إلا إذا تمكنا من تركيز قوتنا في نوع واحد من الطائرات ، ظنه قادراً على مجابهة جميع الطوارىء . وهذه لم تكن طوارىء بمعنى الكلمة ، بل تيارات مرسومة يسيرها المهاجم كيفما شاء ، (وهيهات أن تنعدم في هذا العالم المفاجئات) ، فهو إذن مشروع جامد تنقصه المرونة اللازمة لكل أداة يريدها الإنسان لمجابهة مشاكل الكفاح في سبيل الحياة ، تلك المشاكل التي لا تبرز مجسمة كل التجسم إلا أثناء الحروب التي هي أشد مظاهر كفاح الحياة تركيزاً وأعنفها صورة

(١) الأهداف التكتيكية هي الداخلة في نطاق ميدان المعركة

ومع ذلك فقد ارتكن مشروع « دوهيه » هذا على كثير من الأسس الواهية(١)

قسم « دوهيه » مراحل الهجوم إلى ثلاث ؛ أولاها : مرحلة تحطيم مطارات الأعداء، وتدمير قوتهم الجوية ، فما يكاد يجهز عليها حتى ينتقل إلى مناطق الصناعة يدك أركانها ويقوض أساسها ؛ ثم يلتفت أخيراً إلى مساكن المدنيين يصدّع أجنابها ويهدّم سُقفها . هى « الحرب الكلية » لا تبقى على شىء ولا تذر ؛ هى حرب سلاحها القاذفات تحمل أسباب الهلاك والفناء على دفعات ثلاث ، دفعات متعاقبة متلاحقة ؛ السابقة منها تمهد السبيل للاحقة ، واللاحقة منها تبارى السابقة فى افتنان وسائل الدمار ، أولاها قذائفها ثقيلة ضخمة ، والأخيرة سلاحها أرق من النسيم ، وأفتك من ألف قنبلة تدافعت نحو الهدف . هذه هى جراثيم أمراض وبائية حشرت فى أنابيب صغيرة ، ولكنها سلاح يعجز عن إلحاق الضرر الشامل إلا إذا سبقتها حالة عم فيها الفزع ، واختلط خلالها الحابل بالنابل ، وانقلب أثناءها العالى على السافل ؛ حالة شُلت فيها وسائل الوقاية ، وانعدمت أثناءها أسباب العلاج . حالة تخلقها القاذفات بإشعال الحرائق الكبيرة تستعر وتمتد حتى لا يعود إنسان يفكر فى رفيق ، ولا أخ فى شقيق ، ولا أم فى وليد . ولكن هل يتسنى إشعال تلك الحرائق ما دام هناك على الأرض أفراد لها مترقبون . وبكامل الوسائل مستعدون ؟ لا مناص إذن من إقصائهم عن مراكزهم أو تحويل رقابهم بقنابل قاصفة شديدة الإنفجار ، تهز أعصابهم إن لم تنثر أشلاءهم .

تلك هى المراحل الثلاث ، وهى كما ترى مرتبطة ببعضها ، متسلسلة الترتيب ، ممهدة لأخيرتها التى هي أصدقها إصابة ، وأمضاها نتيجة

طبق الألمان نظريات « دوهيه » على عمليات بولندا فنجحت نجاحاً لا بأس به : فَقَدَ البولنديون سلاحهم الجوى إثر هجوم خاطف شنته قاذفات الألمان على المطارات ، ووقفت جيوشهم مشلولة حيرى لا تدرى عما يدور حولها شيئاً . كيف لا ؟ وقد فقدت طائراتها وأصبحت كالسارى فى ظلام دامس ، يتحسس الطريق فيتعثر ، ويتنسم الاتجاه فيتخبط ! أما المصانع فلم تدمر تدميراً تاماً كما أمل الألمان ؛ وأمام المدن عجز برنامج « دوهيه » عن شق طريقه إلى سُبُل التنفيذ والتحقيق . ولا داعى لتذكير القارئ أن ألمانيا أحجمت عن استعمال الجراثيم الوبائية حرصاً على موقفها إزاء الدول ، وخوفاً من استفزاز الرأى العام

وفى صيف ١٩٤٠ حاول الألمان معاودة تطبيق تلك النظريات على مطارات بريطانيا ففشلوا فشلاً تاماً ، إذ هبت المقاتلات فى وجه القاذفات المغيرة تردها وتقصيها ، حتى فاه تشرشل بكلمته المشهورة فى الإشادة بأعمال رجال الطيران البريطانى : « لم يسبق قط فى تاريخ الحروب أن علقت فئة قليلة كهذه على أعناق شعب مثلنا ، جموعه زاخرة بالأفراد ، مائجة بالأعداد ، دَيْناً كهذا ، قيمته تفوق كل قيمة » ؛ وهكذا أصبح القسم الأول نفسه من برنامج « دوهيه » عسير التحقيق ، إلا فى تلك الأحوال الخاصة التى انقضّت فيها دول كبرى على دول صغرى ضعيفة لا تملك من تلك المقاتلات كثيراً

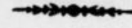
انهار إذن صرح «دوهيه» وهو أحسن ما شيد فى سبيل تحقيق سيادة الطيران على ميادين القتال . فدعونا إذن من تخيلات المتخيلين ، ولنخضع لما لا محيد عنه وهو أن الجيوش الزاحفة على الأرض ستظل العامل المسيطر ما عاش الإنسان مثلها على سطح الأرض ، وأن الأساطيل البحرية ستظل أقوى ما يؤثر على نشاط الصناعة والاقتصاد ما شقت السفن التجارية عباب الماء بشحناتها الغذائية أو مواد الصناعة الأولية . أما الطيران فستحتل ولا شك مكاناً تزيد أهميته بمر السنين ، ولكنه سيظل دائماً أبداً السلاح المعاون لا الركن والأساس

أظهر الطيران تفوقه على غيره من وسائل الحرب فى شئون الاستطلاع ، فعم استعماله هناك ، وفضل المدفعية فى المقدرة على المسارعة بنيران تساعد قوات شقت طريقها للأمام سريعاً ، بواسطة منقضات بنيت لهذا الغرض خصيصاً . وتمكن من التوغل بالقاذفات داخل بلاد الأعداء، وهذا ما لم يتوصل إليه أحد من قبل ، وقدم المقاتلات تمد من فتك القاذفات ، بل تشتتها

---

(١) من أهم أخطاء « دوهيه » هو اعتماده أكبر الاعتماد على افتراض واه ، وهو اعتقاده أن المقاتلات لن يمكنها اعتراض القاذفات فى طريقها إلى الأهداف ، حيث الفضاء فسيح متسع ، وعملية البحث شاقة عسيرة ، ولكنى أتساءل كيف لم يفترض أن الانسان سيجد لتلك الحال حلا ومنها مخرجا ، بل ربما وجد حلولا كثيرة ومخارج عديدة ، كما دأب منذ الأزل ؟ فمتى استعصى على البشر معالجة حال خلقها بشر من قبلهم ؟ !

أشـــواق...!



إِلَيكِ تَسَامَى هَائِماً رُوحُ شَاعِرٍ وَفِيكِ تَغَنَّى ضَارِعاً لَحْنُ سَاحِرِ !
عَلَى لَهَوَاتِ الطَّيْرِ مِنِّى تَحِيَّةٌ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بِالصَّبَابَاتِ عَامِرِ
وَفِى صَبَوَاتِ الغِيدِ عَنِّى رِوَايَةٌ تُرَدِّدُهَا الأَنْسَامُ فِى كُلِّ سَامِرِ !
ضَرَاعَةَ مُشْتَاقٍ إِلَى رُوحِ فَاتِنٍ وَدَعْوَةَ مَهْجُورٍ إِلَى قَلْبِ هَاجِرِ !

دَعِينِى أَرَى الدُّنْيَا كَمَا يُبْصِرُ الوَرَى
فَقَدْ كَادَ نُورُ الحُبِّ يُعْشِى نَوَاظِرِى !
أَرَاكِ فَمَا أَدْرِى إِلَى أَىِّ سِدْرَةٍ مِنَ المَلَإِ الأَعْلَى تَنَاهَتْ خَوَاطِرِى
صَبَابَةُ وَلْهَانٍ وَأَلْحَانُ ضَارِعٍ وَأَوْهَامُ مُشْتَاقٍ وَأَحْلَامُ شَاعِرِ
فَلَا تَتْرُكِينِى لِلأَسَى ... أَنْتِ فَرْحَةٌ
مِنَ الحُسْنِ تَهْدِى بِالهَوَى كُلَّ حَائِرِ
وَلَا تَجْحَدِينِى ... إِنَّ لِى قَلْبَ مُؤْمِنٍ
وَلِى رُوحُ صَدَّاحٍ وَلِى نَفْسُ طَاهِرِ !
لِعَيْنَيْكِ أَحْيَا فِكْرَةً لَا يَحُدُّهَا زَمَانٌ وَلَا يَرْقَى لَهَا وَهْمُ خَاطِرِ
إِذَا كَانَ لِى فِى الحُبِّ طَاعَةَ عَاجِزٍ فَقَدْ كَانَ لِى بِالحُبِّ صَوْلَةُ قَادِرِ

نَسِيتُ بِكِ المَاضِى ... وَلَوْ لَا بَقِيَّةٌ
مِنَ الرُّشْدِ تَهْدِينِى لَأُنْسِيتُ حَاضِرِى
إِذَا سَئِمَتْ رُوحِى مِنَ العُمْرِ وَحْدَتِى
فَطَيْفُكِ أُنْسِى فِى حَيَاتِى وَسَامِرِى !
فَيَا أَيُّهَا الطَّيْفُ الحَبِيبُ بَعَثْتَنِى فَغَنَّتْ بِأَلْحَانِ الأَمَانِى مَزَاهِرِى
وَأَنْسَيْتَنِى مَا كَانَ مِنْ طُولِ شِقْوَتِى
كَأَنَّ الأَسَى مَا طَافَ يَوْماً بِخَاطِرِى !
فَهَبْنِى مَعَ الأَطْيَارِ بُلْبُلَ أَيْكَةٍ يُلَقِّنُ أَسْرَارَ الهَوَى كُلَّ عَابِرِ
وَخُذْ كَبِدِى لِلنَّارِ زَاداً فَرُبَّمَا هَدَى نُورُهَا حَيْرَانَ بَيْنَ الدَّيَاجِرِ
طَوَيْتُ عَلَى نَجْوَاكِ نَشْوَانَ أَضْلُعِى
فَكُنْ عِنْدَهَا يَا طَيْفُ بِالحُبِّ ذَاكِرِى
تَرُومُ لِىَ السُّلْوَانَ ... يَا مَنْ لِطَائِرٍ
جَرِيحٍ غَرِيبِ الرُّوحِ فِى كَفِّ آسِرِ !
هَجِيرُ الصَّحَارَى لَمْ يَزَلْ فِى جَوَانِحِى
وَصَمْتُ الحَيَارَى لَمْ يَزَلْ فِى نَوَاظِرِى
عَلَى شَفَتِى سِحْرٌ مِنَ اللهِ فَاطْرَبِى فَمَا كُلُّ مَنْ غَنَّاكِ لَحْناً بِسَاحِرِ
بَدَأْتُ وُجُودِى مِنْكِ لَحْناً مِنَ الهَوَى
لَهُ أَوَّلٌ يَسْعَى إِلَى غَيْرِ آخِرِ !
خُلُودٌ عَلَى رَغْمِ البِلَى لَا تَمَسُّهُ مَعَ الزَّمَنِ الفَانِى حُتُوفُ المَقَادِرِ

طَوَيْتُ عَلَى الصَّبْرِ الجَمِيلِ جَوَانِحِى
وَمَا كُنْتُ عَنْ نَجْوَاكِ يَوْماً بِصَابِرِ
وَكِدْتُ أَرَى حُبِّى وَأَسْمَعُ هَمْسَهُ
هُنَا فِى دَمِى . فِى مَسْمَعِى . فِى خَوَاطِرِى !
وَقُلْتُ : وَدَاعاً ! ... فِى غَدٍ سَوْفَ نَلْتَقِى
فَكَانَ الغَدُ المَأْمُولُ أَوْهَامَ شَاعِرٍ ... !

محمود السيد شعبان «القاهرة»

أحياناً قبل وصولها إلى الأهداف ، وهذا ما لم تقو عليه المدافع المضادة للطائرات .

وهكذا أصبح الطيران من أهم الأسلحة المعاونة ، لا يجوز الاستغناء عنه بأية حال ، خصوصاً إذا ارتد جيش منهزم أمام عدو يلاحقه ، أو ارتحلت فوق البحر قوات حوصرت من البر ، أو انتقلت جنود أثقلها العتاد من سفن حملتها إلى شواطئ الأعداء ؛ أحوال تكون فيها الجيوش أو السفن متعرضة أشد التعرض لهجمات الجو ، وتكون طائرات الأعداء فيها متهالكة على الأهداف ، لا يزدعها إلا سلاح من نوعها أقدر على محاربتها فى نفس ميدانها ، ومنازلتها بنفس وسائلها .

صبحى عبد الفتاح صبرة



الرقص الخليع

أكتب هذه الكلمة على أثر مشاهدتى لفلم جديد من أفلامنا المصرية ، أجمع النقاد الفنيون على استحسانه ، وفاتهم جميعاً أن يشيروا إلى ما أُقحِم فيه من الرقصات الخليعة التى انتقصت من قدره ، وما كان أغناه عنها . وإننى لأعلم إذ أكتب هذه الكلمة ، أنّ وزارة الشئون الاجتماعية تحاول أن تطهّر الفنّ من الخلاعة التى تسىء إليه ، ولكننى أريد أن أسجّل ظاهرة مؤلمة ، لشدّ ما ترمِض قلب كل وطنى مخلص : تلك هى مجاراة أرباب الفنّ لشهوات سِفْلة القوم . وما يجب على الفنّان أن ينزل بفنّه إلى هذا المستوى الوضيع ، فيقدّم للعامة ما تتطلّب ولو كان فى ذلك ما ينتقص من قيمته ؛ وإنما يجب عليه أن يرفع العامة إلى المستوى الرفيع ، فيسمو بهم إلى قمة الفن ، ولو كان فى ذلك تضحية منه ببعض الشهرة العاجلة والربح الوفير

... إنهم يسيئون إلى الفنّ بهذه الرقصات الفاضحة التى لا يصحبها غير فورة الشهوة وطغيان الجسد ، إذ ما كان الرقص أداةً لإرضاء الشهوة ، وما كانت الراقصة أمتوعةً لكل حيوانىّ مهتك . فهلاّ عمل أهل الفنّ - دون تدخّل من رجال الحكم - على القضاء التام على الرقص الخليع الذى لا أثر فيه لمعنى الفن ؟

زكريا ابراهيم (مصر الجديدة)

خط المصاحف وقواعد الإملاء

من العقبات التى تعترض المعلمين فى مدارس التعليم الأولى - حين يقومون بتعليم القرآن الكريم لتلاميذهم - اختلاف خط المصاحف التى بأيدى هؤلاء التلاميذ ، مع ما تعلموه من قواعد القراءة والكتابة ، ويؤدى هذا الاختلاف دائماً إلى اللحن والتحريف فى الآيات القرآنية ، بالرغم من الجهد الكبير الذى ينفقه المعلم فى الإرشاد والتصحيح ، ولكن هذا الجهد يذهب عبثاً ، حين يقرأ التلميذ لنفسه ، وحين يستذكر دروسه ، وهو بعيد عن معلمه . ولا شك أن عقلية الطفل لا تتسع لإدراك اصطلاحات الضبط التى تختلف عما انطبع فى ذهنه من قواعد الإملاء . وتظهر الصعوبة فى صورة أوضح حين نعرف أن تحفيظ القرآن فى الأيام الخوالى كان بطريقة التلقين ، وكان التلاميذ ينقطعون لدراسته واستذكاره ، فلا يشتغلون بغيره من العلوم ، إلا بعد إتمام حفظه وتجويده . أما اليوم فالقرآن يدرس فى المدارس الأولية مع كثير من مبادىء العلوم الحديثة ، وزمنه محدود ، والتلاميذ يحفظون بالقراءة فى المصاحف لا بالتلقين ، والزمن المخصص لا يكفى للمراجعة ودراسة مواضع الاختلاف بين خط المصاحف والكتب

ولا أستطيع أن أفهم السبب فى سكوت وزارة المعارف على هذا ، وعدم قيامها بطبع مصاحف تتفق فى الرسم مع قواعد الكتابة المعروفة . ولو فعلت ليسرت للناشئين الحفظ مع القصد فى الزمن والجهد . على أنى لا أدرى سر جمودنا وتعصبنا للخط الذى كتبت به المصاحف ، وهو لم ينزل مع القرآن من السماء ! اللهم إلا إذا كان القدم يكسب الخطأ صفة الخلود !

وبعد ، فهل لمعالى وزير المعارف أن يضع هذه المسألة مع ما اعتزم أن يعالجه من مشكلات العلم ، وشئون التعليم ؟

ليته يفعل ، فيكسب ثواب العاملين ، وحسن ثواب المخلصين

على عبد الله (المنصورة)

كلمة : حرة للتاريخ

ذكر الدكتور زكى مبارك فى مقاله المنشور فى العدد ن ٤٩٧ تحت عنوان « حافظ ابراهيم » أنه :

« فى شهر سبتمبر سنة ١٩١١ أغارت إيطاليا على طرابلس - وهى يومئذ ولاية تركية - فنهض المصريون لمعاونة طرابلس بالطب والشعر والمال والرجال ... وبفضل تلك الحرب أنشئت جمية الهلال الأحمر المصرى ، وكان لقلم الشيخ على يوسف تأثير فى إنشاء تلك الجمعية ، وهى لا تزال من كبريات جمعياتنا الخيرية

والحقيقة أن الشيخ على يوسف هو مؤسسها الأول . وكنت أتمنى أن أذكر أشياء كثيرة عن هذه الجمعية لولا أن هذا لم يحن وقته . وفى ١٥ فبراير سنة ١٩٤٠ افتتح رسمياً مستشفى هذه الجمعية بشارع الملكة نازلى بحضور صاحب الجلالة الملك ووقف صاحب السعادة على باشا ابراهيم وقال :

« مولاى ! يرجع تاريخ إنشاء جمعية الهلال الأحمر إلى الحرب الطرابلسية عام ١٩١١ وقد أسسها المرحوم السيد على يوسف باشا ونخبة من كرماء الأمة المصرية لإسداء المعونة الطبية والمادية لجرحى الطرابلسيين ومنكوبى الحرب منهم ... » الخ

فطينة شاهين
بحكمدارية بوليس مصر

إجابة

السليط بالفتح : الزيت أو الزيت الجيِّد ، أرى أنَّ منه ما يقال له « سلطة » بفتحتين salade

يستعمل الفعل « صمد » فى بعض الصحف وفى أنباء الحرب بغير معناه ، وأظن أن المراد « صمل » أى اشتد وثبت . صمد وصمد له وإليه : قصد ، والصمد — بفتحتين — الذى يُصمد إليه فى الحوائج أى يُقصد ، والله الصمد (عن الحسن) الذى أُصمدت إليه الأمور فلا يقضى فيها غيره ولا يقضى دونه

ألمها — فى عبارة السائل الفاضل — الثغر النقى ، قال الأعشى :

ومهاً ترفُّ غروبُهُ يسقى المتيَّم ذا الحراره

وأنشد الجوهرى للأعشى :

وتبسم عن مهاً شبم غرىّ إذا تعطى المقبَّل يستزيد

(وهيد)

القراءات والتصحيف

اطلعت على ما دار حول القراءات فى الأعداد الأخيرة من مجلة الرسالة ، فرأيت ما يتعلق بالتصحيف لم يوف حقه من التمحيص ، فأقول بإيجاز : إن ما عزاه الحافظ السيوطى فى المزهر (٢ — ٢٣٠) إلى بعض المجامع من أن حماد بن الزبرقان صحف (إياه) إلى (أباه) و (فى عزة) إلى (فى غرة) و (شأن يغنيه) إلى (شأن يعنيه) هو غير الصواب ، لأن الأولى هى قراءة الحسن البصرى وابن السميفع ، والثانية قراءة الكسائى ، والثالثة قراءة ابن محيصن والزهرى

وحماد بن الزبرقان ظنين لا قيمة لما ينفرد به ، وشواذه مدونة فى كتاب ابن خالويه ، بل يستقصيها أبو حيان فى البحر . وما صح سنده من الشواذ يصلح لتفسير القراءات المشهورة ، وما لم يصح سنده منها يكون من قبيل وهم الراوى وكذبه ، وهؤلاء ما كانوا ينفون القراءة المتواترة فى تلك الألفاظ حتى يظن بهم التصحيف

والحافظ السيوطى رحمه الله على كثرة مؤلفاته كثيراً ما يشط قلمه عن الصواب . وقد ألف شرح الشاطبية فى القراءات السبع مع اعترافه بأنه لم يتلق علم القراءات عن شيخ . فمثله إذا نقل عن مجموعة مجهولة ما يتعلق بالقراءة سقط نقله من رتبة الاعتداد به .

(أبو أمية)

فى رسالة عمر

للأستاذ زكى غانم كلمة بعدد الرسالة (٤٩١) يرى فيها أن رسالة عمر فى القضاء قد أصابها تحريف فى كتاب المنتخب للسنة الرابعة الثانوية ، وفى كتاب شرح النصوص الذى اعتمد على المنتخب . وهو وضع كلمة (غير) مكان كلمة (عند) فى العبارة الآتية : « فما ظنك بثواب غير الله — عز وجل — فى عاجل رزقه وخزائن رحمته ؟ » وقال الأستاذ : « ولا وجه للنص محرفاً ، وقوله : « فى عاجل رزقه وخزائن رحمته » وصف لثواب الله لا ثواب غيره »

ولا أوافق الأستاذ على هذا الرأى ؛ بل أرى أن كلمة (غير) هى المناسبة هنا ، ولا يؤدى المعنى المراد بغيرها .

ومما يوضح رأيى أن عمر يقول قبل ذلك : « فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله . فما ظنك ...الخ »

فعمر يدعو إلى مراقبة الله ، وموافقة السر للعلن ؛ وينفر من الرياء ، والتظاهر للناس بغير ما تنطوى عليه النفس تقرباً إليهم ، وطمعاً فى ثنائهم ، ورغبة فى ثوابهم . فالمعنى الذى يرمى إليه عمر : أن ثواب غير الله حقير إذا قيس إلى ثوابه ؛ فلا يجدر بمؤمن أن يؤثره عليه . ولذلك صح ارتباط الفقرتين ، فكانت اللاحقة تعليلاً لمعنى السابقة ، وموازنة بين ثواب الناس وثواب الله ، وتحقيراً لما يرجوه المرائى عند الخلق بجانب ما يأمله المحسن عند الخالق ، وبالقياس إلى رزق الله الذى يفيضه على من يراقبه ، وخيره الذى يدخره لمن صحت نيته وأقبل على نفسه .

ومما يوضح ذلك أن الحرف (فى) هنا (فى عاجل ...) إنما جاء للموازنة والمقارنة ؛ كما فى قوله تعالى : « فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل » بعد قوله : « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » (سورة التوبة : ٣٨)

ولما قرأت هذه الرسالة قديماً التوى على معنى هذه الفقرة ، إذ لم أتبين موقع هذا الحرف (فى) من العبارة ؛ ولعل هذا هو السبب فى اعتراض الأستاذ ؛ ولكنى رأيت فى الكتب التى تعنى

بحروف المعانى أن (فى) يستعمل للمفاضلة ، فاستقر المعنى عندى .

قال ابن هشام فى باب حروف الجر من التوضيح إن المقايسة من معانى (فى) وقال فى المغنى : « الثامن (أى من معانى فى) المقايسة ، وهى الداخلة بين مفضول سابق ، وفاضل لاحق ، وقد استشهد فى كلا الكتابين بالآية الكريمة : « فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل »

وبهذا يزول اللبس الذى حدا بالأستاذ أن يجعل الظرف (فى عاجل) وصفاً لصواب الله لا ثواب غيره . فإنه فى موضع الحال من (ثواب غير الله) أى : فما ظنك بثواب غير الله مقيساً إلى ثواب الله . ومرجع الضمير فى (رزقه ، رحمته) هو الله

المتولى قاسم

المنهزم

هـذا هو عنوان الفلم الجديد الذى أنتجته شركة لوتس فلم ووضع قصته الأستاذ حسن عبد الوهاب وقام بعمل حواره الأستاذ يوسف جوهر ، وهو من إخراج الأستاذ بركات . وقد قامت بالدور الأول فيه الممثلة السينمائية المعروفة آسيا بالاشتراك مع مجموعة كبيرة من الممثلين والممثلات . وموضوع الرواية يدور حول امرأة كانت تعيش مع زوجها وابنها عيشة سعيدة هادئة ، ولكن الأيام سخرت منها وانتزعتها من حياتها إلى حياة أخرى شقية تعسة . وقد استطاع المخرج بركات أن يظهر الموضوع فى صورة واضحة قوية . وبالرغم من أن هذا الفلم من النوع الدرامى العنيف فإنه لا يخلو من طرائف تبعث الضحك فى وسط هذه العاصفة الهوجاء . وقد استطاع كل ممثل أن يؤدى دوره على خير وجه

نكتفى الآن بهذه الكلمة ونتمنى للسيدة آسيا كل تقدم ونجاح .

عبد الفتاح متولى غبن

حكم فى القضية رقم ١٥٥٨ سنة ١٩٤٢ عابدين ضد خليل محمود خميس بتغريمه خمسة جنيهات ونشر الحكم وتعليقه وإغلاق المحل يومين والمصادرة لبيعه زيتاً بأكثر من السعر .

11me Année No. 500 — Lundi - 1 - 2 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٠٠ — « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ محرم سنة ١٣٦٢ — الموافق أول فبراير سنة ١٩٤٣ » — السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة		
٨١	دفاع عن البلاغة	: أحمد حسن الزيات . . ..
٨٣	رسالة وجدانية ... ... / ألوان وألوان	« للكاتب المجهول » ...
٨٤	الحديث ذو شجون ...	: الدكتور زكي مبارك ... ...
٨٦	أهمية دراسة التاريخ ...	: الدكتور محمد مصطفى صفوت
٨٨	الحضارات القديمة فى القرآن	: الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٩٠	جى دى موباسان	: الأستاذ حسن فتحى خليل ...
٩٣	الفنون الجميلة	: الأديب أحمد أبو زيد ... ...
٩٤	المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم	المستشرق « إدورد وليم لين » بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
٩٧	الوظيفة [قصيدة] ...	: الأستاذ على شرف الدين ...
٩٧	من أزهار الشر	للشاعر « شارل بودلير » . . بقلم الأستاذ عثمان على عسل
٩٨	الدكتور أمين المعلوف باشا	: ... ...
٩٨ / ٩٩	(١) الأوامر بين الطاعة والعصيان (٢) أين السلط من « السالاد »	الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٩٩	الرجولة والرجولية ...	: الأديب على محمود الشيخ ...
١٠٠	« إشراقة » ديوان التيجانى بشير	الأديب أحمد الشرباصى ..
١٠٠	البكاء بعين واحدة ...	: الأديب إبراهيم محمد نجا ...
١٠٠	الشعر وجامعة فاروق ...	: الأديب عبد العزيز البيسى ...
	المسرح والسينما	: الأديب عبد الفتاح متولى غبن

٢٠٠٦

٦ - دفاع عن البلاغة

٢ — آلة البلاغة

أشرنا فى كلام سبق إلى أن طالب البلاغة الموهوبَ لا بد له من درس اللغة ، والطبيعة ، والنفس ، على الأخص ؛ ثم أجملنا المراد بدرس اللغة ، وألمنا فى صدد ذلك إلى منهاج يبتدئ بتقويم السليقة وينتهى باكتساب الذوق

وكان الأشبه بطبيعة الموضوع أن نفصل الكلام فى تحصيل علوم اللسان ووضع الخطة لها وبيان الفائدة منها ؛ ولكننا فى مقام من يدافع ولا يعلِّم ، ويوجه ولا يقود . وقديماً شكا عبد القاهر ما نشكو من زهادة الكتاب فى اللغة ، وانصرافهم عن النحو ، واستخفافهم بالبيان، وتنكرهم للشعر ، وجريهم فى الصياغة علي الاحتذاء ، وظنهم أن الكاتب متى « عرف أوضاع لغة من اللغات ... وعرف المغزى من كل لفظة ، ثم ساعده اللسان على النطق بها ، وعلى تأدية أجراسها وحروفها ، فهو بيّن فى تلك اللغة كامل الأداة ... » على أن[1] « هٰهنا دقائق وأسراراً طريق العلم بها الروية والفكر ، ولطائف مستقاها العقل ، وخصائص معانٍ ينفرد بها قوم هُدوا إليها ، ودُلُّوا عليها ، وكشف لهم عنها ... وأنها السبب فى أن عرضت المزية فى الكلام ، ووجب أن يفضُل بعضه بعضاً ، وأن يبعد الشأو فى ذلك وتمتد الغاية ، ويعلو المرتقى ويعز المطلب حتى ينتهى الأمر إلى الإعجاز . . . »

(١) ما بين الأقواس من كلام عبد القاهر فى كتابه « دلائل الاعجاز »

ولقد حاول عبد القاهر أن يطبّ لهذا الداء فوضع كتابيه القيمين (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) ؛ ولكن الداء كان قد استشرى فلم يصحّ عليهما إلا أفذاذ رُزقوا شدة الأسر وقوة الفطرة . ثم عقم الدهر بمثل عبد القاهر ، وانقطعت الأسباب بين كتابيه وبين الزمن ، فتجددت معانٍ وصور ، وتولدت أغراض وأساليب ، وأصبح هذان الكتابان فى أول الطريق مناراً لا ترى بعده إلا أغفالاً ومجاهل ! فهل فى البيانيين من أساتذة جامعاتنا الثلاث من يحاول فى البلاغة الحديثة ما حاول عبد القاهر فى البلاغة القديمة ، فيجددوا ما درس ، ويكملوا ما نقص ، ويقيموا أدب الكتابة وأدب النقد على قواعد ثابتة من الفن الصحيح والعلم الحديث ؟

***

ذلك ، وأما درس طالب البلاغة للطبيعة فلأنها كتاب الفنان الجامع ومصوَّره العجيب . منها موضوعه ومادته ، وعنها اقتباسه ووحيه ، وفيها دليله ونموذجه ، وبها أخيلته وصوره ، فيجب أن يطيل فيها النظر ، ويشغل بها الفكر ، ويرجع فى كل ما يعمل لأصولها الثابتة وقواعدها المقررة ، ليتقى الضلال والخطأ ، ويأمن الإغراق والتكلف .

هذا الكتاب المحيط المعجز الذى ألفته يد القدرة قد تجمعت على هوامش متنه الهائل عقول بنى آدم منذ استبصروا ، يحاولون كشف أسراره وفهم حقائقه ؛ فوفّقوا بالاستقراء والاستنباط إلى ابتكار علوم ، وابتداع فنون ، تخصص فى هذه أقوام ، وفى تلك أقوام ، كالجيولوجيين والجغرافيين والطبيعيين والكيميائيين والفلكيين والمهندسين وسائر من يتصل علمهم أو عملهم بالأرض والسماء ، واليبس والماء ، والجماد والحى . والأديب وحده هو الذى يجب عليه أن يشارك فى كل علم ويلم بكل فن ؛ لأنه عرضة لأن يكتب فى كل أولئك ولو على سبيل التصوير والتشبيه . فإذا لم يكن واقفاً على مصطلحات الفنون والعلوم ، عارفاً بمختلف الحدود والرسوم ، قدح ذلك فى ثقافته وغض من كفايته . ولقد عبرنا بالمشاركة والإلمام لأن دراسة الأديب للطبيعة تختلف عن دراسة الفيلسوف لها : الفيلسوف يدرسها ليعرف ، والأديب يدرسها ليحتذى . الفيلسوف يشرح ويحلل ، والأديب يصور ويمثل . فحظ الأديب من درس الطبيعة هو حظ المصور من درس التشريح : لا يزيد على القدر الذى يضيف إلى جمال التخيل جمال الحقيقة ، ويجمع إلى دقة المثال براعة الطريقة

إن الأسباب لا تعنى الأديب وإنما تعنيه النتائج . فالفلكى يرقب فعل الجاذبية ، ويرصد حركة الأفلاك ؛ ولكن الشاعر يصور نظامها الدقيق وتلاؤمها العجيب وتطورها الدائم . والطبيعى يحلل الضوء والصوت ؛ ولكن الشاعر يُسمعك فى شعره هزيم الرعد من جبل إلى جبل ، وزفيف الريح من واد إلى واد ، فيقذف فى قلبك الرهبة . ويريك وميض البروق الزُّهر تتكسر فى الأفق صفائح وهاجة تشق رُكام السحائب الجون ، فتبعث فى نفسك الروعة . والكيميائى يشرح سطوع الروائح على طريقته الخاصة ؛ ولكن الشاعر يصورها لذهنك فى النسيم الرفاف يصفق فى الهواء بأجنحته المخضلة بأنداء الفجر ، المضمخة بعطور الصباح

***

وأما دراسته للطبيعة فلأنها الينبوع الثرُّ لما يزخر به الشعر والنثر من مختلف الغرائز والعواطف والأفكار والأحاسيس ؛ ومعرفة الينبوع فى مصدره وجوهره ومداه ، شرط فى معرفة ما يصدر عنه على حقيقته وطبيعته وأثره . وإذا كان من خصائص فن الكاتب أن يخلق أشخاصاً للقصص ، ويمثل أهواء على المسرح ، ويعالج أخلاقاً فى المجتمع ، ويحلل عقَداً فى الناس ، فمن غير المعقول أن يحسن شيئاً من أولئك إذا لم يكن عليما بأسرار القلوب وأهواء النفوس وما ينشأ من التعارض والتصادم بين الغرائز والأخلاق ، وبين العواطف والمنافع . وإذا كان مدار البلاغة على مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال ، فإن إدراك الفروق الدقيقة بين الحالات المختلفة للمخاطب ، وصياغةَ الكلام على قوالب المقتضيات المناسبة للخطاب ، وتصويرَ الأخلاق على نحو يغرى بالخير أو يحذر من الشر ، والقدرةَ على خلق الجمال فى الأسلوب ، أو التعبير عما يخلقه الجمال فينا من العواطف ؛ كل أولئك يستلزم دراسة خاصة لعلم النفس وعلم الأخلاق وعلم الجمال

هذا كلام أشبه بالمتن فى تعميمه وإيجازه . والعذر المسوغ لهذا الأسلوب أننا نخاطب الكتّاب ونبين الحدود ونبرز الخصائص ؛ ومن أجل ذلك قصرنا الكلام على اللغة والطبيعة والنفس من جملة ما يجب على طالب البلاغة درسه ؛ لأنها فى رأينا أشبه بعلوم التخصص له . والمفروض أن يخصها بطول النظر بعد أن يأخذ قسطه الأوفى من ضروب الثقافة

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

رســالة وجدانية

ألوان وألوان

« للكاتب المجهول »

مولاتى !

كان الظن أن ينتهى ما بيننا بعد الجدال الذى ثار فى الليلة الماضية ، أو السنة الماضية ، فما أدرى متى التقينا آخر مرة . وكيف أدرى واللحظة القصيرة من الفراق تتمثل لقلبى وكأنها أجيال وتواريخ ؟

كان الظن أن ينتهى ما بيننا فلا تعود أحلامه ولا أهواله ، ولا ترجع أيامه ولا لياليه ، ولا يمر بالخاطر فى لحظة من زمان

كان الظن أن نفترق ، بعد أن تشهينا أن نفترق ، ومعاقرة الكأس توحى بصدع الكأس ، فكيف أراجع هواك ياظلوم ، بعد أن نويت المتاب ، على أعظم حال من الشوق إلى المتاب ؟ ! قد تشهينا أن نفترق ، فتى نفترق ؟ ومتى نذوق طعم الأمان من عدوان الأشجان ؟

كان اللقاء الأخير بلية من البلايا المواحق ، فقد تناظرنا بشراهة تفوق الوصف ، وكأننا نريد أن نلتهم ما بقى من زاد الحب ، وأن نتزود للأعوام البواق ، وأن نقول إننا لا نواجه بيداء الصدود بغير زاد

لقد أخطأنا فيما صنعنا ، والمحبون أطفال كبار لا يدرون عواقب ما يصنعون من مرارة الافتراق ، وهو غير الفراق !

لن ينقضى ما بيننا أبداً ، ولن تبيد تلك الألوان ، ألوان الأثواب وألوان القلوب

كنت تلقينى فى كل مرة بثوب جديد ، وكنت ألقاك فى كل مرة بقلب جديد . وما أبعد الفروق بين ألوان الأثواب وألوان القلوب !

لن ينقضى ما بيننا أبداً . وبالرغم منى أن يكون ما بيننا أوثق مما بين العين والضياء ، فلك بدوات تجعل الإيمان بحنانك أضعف من الإيمان بأمانة المحتالين

لم تكن لى يدٌ فيما صرنا إليه ، فقد فررت من هواك ألف مرة ، وانتقلت من محلة إلى محلة ومن إقليم إلى إقليم ، لأنجو بنفسى ، فهل نجوت ؟

إن الشمس تلاحقنى حيثما توجهت ، فأين الفرار من وَهَج الشمس ؟

لا المتاعب الشخصية تشغلنى ، ولا الحوادث الدولية تشغلنى ، ولا شىء فى الدنيا يصرفنى عن التفكير فيما صرتِ إليه بعد الافتراق ، يا أجمل ريحانة فى روض الوجود

ألوان أثوابك لا تفوق ألوان قلبى ، إلا أن يقال إن المصنوع أجمل من المطبوع

ألوان ثوبك لها أمثال ، وليس لقلبى أمثال ، وأنت تعرفين ثم تعرفين

إذهبى إلى أبعد الآفاق ، واعرفى جميع الخلائق ، فلن تكونى لغيرى أبداً ، ولن يكون للغواية سبيل إلى المليحة التى وسمت جبينها بغرامى

لن أجود عليك يوماً بنعمة الحرية ، وستظلين فى إسارى إلى آخر الزمان

جرّبى التحرر ، جربيه ، إن كانت لك بالتحرر من وثاق يدان دنياك بعدى بئْر مسمومة ، فانظرى ما تصنعين

لن ينقضى ما بيننا أبداً ، ولن يكون لنا غير ما خُطَّ فى صحيفة الخلود ، وهيهات ثم هيهات أن يمحى سطرٌ خطّته الأقدار فى صحيفة الخلود !

ما فى كل يوم ، ولا كل عام ولا كل جيل ، ينعطف قلب إلى قلب كما ينعطف قلبك إلى قلبى ، فنحن الغاية المنشودة من الوفاق الصحيح بين الأرواح والقلوب

دنيانا التى أعرف وتعرفين أصبحت قفراء ، فتى نلتقى لتعود زهراء ؟

خبرينى متى نلتقى ؟ ومتى نعلن الانتصار على عوادى الزمان ؟ لطف الله بك ياظلوم ، وحفظ عليك نعمة الوجه الوهاج !

متى نلتقى ؟ وهل افترقنا ؟ أنت بين يدىّ وإن حجبتك عنى فيافٍ وسهوب .

« الكاتب المجهول »

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٤٧٦٨ سنة ٩٤٢ بتغريم فتحية محمد ماجد من الدجا خمسين جنيها والمصادرة لبيعها أذرة بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٨ يوليه سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٨٢ سنة ٩٤٢ بحبس فتحى عطيه الفلاح بالتلين أسبوعين بشغل لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٨ يوليه سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٧٩ سنة ٩٤٢ بحبس محمد مصطفى نفله الفلاح بالتلين أسبوعين بشغل لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

مقاومة التدخين — أين « الرسالة » ؟ سنعرف الأدب فى أيام الشدة كما عرفنا فى أيام الرخاء

مقاومة التدخين

فى العام الماضى قام الدكتور شخاخيرى بتأليف رابطة لمقاومة التدخين ، ومضى يستهدى المفكرين والمؤلفين والوزراء كلمات فى استنكار التدخين . ولم يكتف بذلك ، وإنما اندفع فنظم سلسلة محاضرات فى « دار الحكمة » دعا إليها أشهر المحاضرين ليقاوم آفة التدخين

والدكتور شخاخيرى رجلٌ مخلص ، ودعوته هذه تستحق التأييد ، ولكنها معرّضة لأخطار سأنص عليها فى هذا الحديث لأهدم الأساس الذى قامت عليه ، ولعل الله يتفضل فيكتب لى النفع مما تعلمت ، لأننى مع الأسف من المسرفين على أنفسهم بالتدخين

شاع وذاع أن الدخان يشحذ الفكر ، ويوقظ الذهن ، ومن أجل هذا كثر المدخنون من الشعراء والكتّاب والسياسيين ، حتى صار من المألوف أن نرى صور الساسة والوزراء وفى أفواههم السجائرُ النحاف أو السمان ، وحتى صار من العسير أن نتصور شاعراً أو زعيماً خلت حياته من عبق الدخان

لن أقف موقف الواعظ فى دفع هذه الآفة ، ولكنى سأقف موقف المؤرخ ، ثم أترك الحكم للقراء فيما سأسوقه من البينات

أول أمة عريقة فى التدخين هى أمريكا القديمة ، أمريكا الأمريكية ، لا أمريكا الأوربية ، أعنى أمريكا التى سبقت عهد كولمبوس ، وسبقت عهد الاتصال بالأوربيين والأسيويين

فما الذى استفادت أمريكا القديمة من التدخين ؟ هل فتق أذهان أهليها إلى ألوان من الفكر والعقل والبيان ؟ هل جعل لأهليها ماضياً فى رفع دعائم الحضارة الإنسانية ؟

كلا ، وإنما تركها التدخين أمةً بلا تاريخ

وأقدم الأمم فى رفع راية العقل هم المصريون والبابليون واليونانيون ، فهل عرف هؤلاء التدخين حتى ننسب رقيهم إلى هذا المرض الفظيع ؟

وهل عرف العرب التدخين حتى نرد السبب فى تفوقهم إلى الدخان ؟

هل دخن الجاحظ والغزالى وابن رشد والبحترى والمتنبى وأبو فراس ؟

أترك التاريخ القديم وأذكر شواهد قريبة جداً من تاريخ مصر الحديث :

أعظم كاتب سياسى بإجماع الآراء هو المرحوم عبد القادر باشا حمزة ، ولم يكن يدخن أبداً ، وما أذكر أنى رأيته طلب فنجان قهوة فى أى وقت وهو يكتب أصعب المقالات

ومن عظماء كتابنا الأستاذ الزيات والأستاذ العقاد ، وهما لا يعرفان التدخين . وهذا كلام لا يكاد يصدقه القارئ ، ولكنه الواقع ، ولا حيلة فى إنكار الواقع (1)

ولو أن الله أراد أن أنتفع بما تعلمت لتذكرت أنى ألفت كتاب « الأخلاق عند الغزالى » وكتاب « النثر الفنى » قبل أن أعرف التدخين ، فمتى أنتفع بما تعلمت ؟

أما بعد فقد دعانى إلى كتابة هذه الكلمة حوادث أغضبتنى ، لأن فيها دعاية إلى التدخين ، وهو مرض يفتك بشبان هذا الجيل

الحادث الأول : فى الأسبوع الماضى وقف الأستاذ زهير صبرى يستجوب الحكومة فى مجلس النواب عن تسعير الحاجيات الضرورية ، فلما وصل إلى السجائر قال : إن السجائر قد غلت مع أن « كيف » القهوة والشاى لا يحلو إلا بسجارة (؟!) فهل فاته أن فى هذا الكلام إيحاء بأهمية السجائر فى الحياة اليومية

الحادث الثانى : فى الأسبوع الماضى أيضاً « تفضلت » الإذاعة اللاسلكية فأذاعت أغنية تنطق بفضائل السجائر ، أغنية منقولة عن أحد الأفلام السينمائية

وأنا سأثبت هذه الأغنية فى هذا الحديث لغرض واحد : هو تأريخ الحياة الأدبية ، فما يجوز لمؤرخ الأدب أن يترك شيئاً بلا تقييد ، ولو كان فى الدعوة إلى الدخان . وسأدعو الإذاعة اللاسلكية بعد ذلك إلى التفرقة بين جو الرواية وجو الغناء

عنوان الأغنية « خذ سجارة وهات سجارة » وهى من الشعر الملحون :

السجارة فى الحياه زيّى أنا
تتحرق وتضحى روحها لأجل غيرها

(1) عرفت أخيراً أن الزعيم الوطنى مصطفى باشا كامل لم يعرف التدخين

عمرها فى الدنيا ما شـافت هنا
تحيا بين النار عشان يرتاح ضميرها
خد سجاره ، وهات سجاره
السجاره إن كنت يوم حتدوق حنانها
تلقى نفسك فى حيـاه غير الحياه
تلقى طيف اللى تحبه بين دخانها لما فكرك يبقى سارح فى هواه
خد سجارة ، وهات سجاره
أنت زعلان ؟ خد سجارة ، خدها منى
يا للـه ولـمها واطفى الشوق بنارها
أنت تبقى فى جوها عايش مهنى والسجارة تبقى زيى فى مرارها
خد سجاره ، وهات سجارة
السجارة لما تيجى وتواسـيك
تشكوى بنارك ومن شوقك تبوسها
هى بتصون الجميل حرام عليك بعد ما تحرقها بالأقدام تدوسها
خد سجاره ، وهات سجاره

وهذه القطعة قوية جداً فى الإبانة عن الغرض الذى نُظمَت فيه ، ولكن محطة الإذاعة تنسى أن ما يبيحه جو الرواية لتصور إحدى الحالات النفسية لا يباح عرضه على جماهير بريئة يؤذيها الإيحاء بجمال الدخان

جو الرواية المسرحية أو السينمائية قد يدعو إلى تجميل إحدى الرذائل ولكنه قد يسوق بعد ذلك عبرة تقتل السم الذى بثه المنظر الأول ، وبهذا يتعادل النضال بين السم والترياق

فما عذرُ محطة الإذاعة فى أن تبثّ داء بلا دواء ؟

الحادث الثالث : رأيت فى أحد الأفلام ممثلاً يدخن بإسراف مع أنه صديق أعرفه منذ سنين ، وهو يبغض الدخان ، فلما سألته عن السبب أجابنى بأن الأفلام المصرية تجعل الناس جميعاً مدخنين

فما هذا الذى نرى ؟

أنُزوِر الحياة المصرية لتشابه الحياة الأمريكية ؟

أنكذب على الواقع فى سبيل الفن ، مع أن غاية الفن هى أن يجسم المحاسن والعيوب ، حين يراد به تهذيب الأخلاق ؟

اللهم حوالَـينا ولا علينا !!

أين الرسالة ؟

حدثت قرائى مرة أنى رفضت أن تُهدى إلىّ الرسالة ، لأنى أجد أنساً فى اشترائها من السوق ، كأنى أوجه تحية إلى صاحبها الصديق . وبالأمس انقبض صدرى حين حدثنى باعة الجرائد أنها احتجبت لعدم وجود الورق ، ثم لطف الله فعرفت بعد ذلك أنهـا اكتفت بطبع كمية بقدر عدد المشتركين ، إلى أن يأذن الله بالورق الذى يساعد على أن تغمر السوق من جديد .

ليتنى اشتركت فى الرسالة !

هل خطر فى بال من تهمهم سمعة مصر الأدبية فى الشرق خاطر احتجاب الرسالة عن الأسواق ؟

هل آذاهم أن يقال إن مجلة مثل الرسالة لا تجد قوتها من الورق مع أنه قوت مبذول لمنافع قد تضر بسمعة مصر فى أنظار من لا يعرفون غير الجد الصريح ؟

ليست الأزمة أزمة الورق ، فهو موجود ، وإنما الأزمة تنحصر فى انعدام التعاون والتساند ، هى أزمة الأدب اليتيم الذى لا يسأل عنه أحد حين يغيب !

هل صلصل الهتّاف فى بيت الأستاذ الزيات من إحدى الجهات للسؤال عن الأسباب التى حجبت الرسالة عن الأسواق ؟

أ كان يجب ألا تقتصر الرسالة على الأدب الصرف لتجد من يسأل عنها حين تحتجب ؟

سنعرف طاقة الأدب فى اجتياز هـذه المحنة العاتية . وإن اقتضى الأمر أن نرجو الحكومة أن تسمح بإذاعة محصول الرسالة عن طريق المذياع فسنفعل

أيها الأدب

أنا غير خائف على مصيرك ، وهل كانت هـذه أول محنة صارعتَـها وصارعتْك حتى أخاف عليك ؟

لا تصدّق أيها الأدب أننا سنفرّط فى استقلالك بأى ثمن ، ولا تتوهم أننا سنتخلى عنك بما يسمونه الظروف أو الصروف سنعرفك فى أيام الشدة ، كما عرفتنا فى أيام الرخاء ، والله ولىّ الصابرين .

زكى مبارك

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٨ يوليه سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٧٤ سـنة ٩٤٢ بحبس عبد الله محمد سيد أحمد الفلاح بالتلين أسبوعين بشغل لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته لجهة الحكومة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٧ مايو سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٧٢ سنة ٩٤٢ بحبس فريد سيد أحمد الجزار بالاخيوه أسبوعين بشغل وتغريمه ٣ جنيه وإغلاق المحل ثلاثة أيام لبيعه لحوم بأزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة العسكرية ١٤٤٦ المنيا سنة ١٩٤٢ بحبس محمد رشوان ثلاثة شهور مع الشغل وجلده ١٥ جلدة لبيعه لحم بسعر أزيد من التسعيرة

أهمية دراســـة التاريخ

للدكتور محمد مصطفى صفوت

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

مركز التاريخ فى التربية العقلية والجمالية كبير . فالتاريخ يزيد معلومات الدارس عن الحياة ، ويوسع أفق تفكيره ، ويرق بقدرته على الحكم . وفى التاريخ يستطيع الإنسان البحث فى أسباب الحركات العظيمة ونتائجها ، وفى اتجاهات العالم لو أن حوادث هامة لم تقع . لا ريب فى أن طريقة البحث الذاتى وقراءة المصادر الأصلية وتفسيرها ونقدها تثير همة الباحث وتبعث فيه حب الحقيقة والبعد عن التحيز . وفى التاريخ مادة تساعد على تقوية أنواع الذاكرة التى لدى الطالب ، ففى رؤية الآثار والصور التاريخية ما يقوى بعض الأنواع البصرية من الذاكراة ، والتاريخ يقوى التذكر السمعى إذا كان عند الدارس استعداد طبيعى لتذكر ما يسمع ولتذكر نوع خاص مما يسمع . أما من حيث الخيال فللتاريخ قيمة كبيرة فى تدريبه وتوسيع مجاله . فالتاريخ القصصى يشبع رغبات صغار القارئين فى التخيل والبعد عن عالم الحقيقة الراهنة فيرون فيه أعمال البطولة ، ويتلو الحوادث بعضها بعضاً فيذهب بهم الخيال كل مذهب ولكن فى جدود الحقيقة . أما فى حالة المراهق الذى يشرد به الخيال نتيجة لثورة قوية يهتز لها جسمه وعقله ويرجع الفكر به إلى الماضى البعيد للانسانية أو يمتد به إلى المستقبل ثم ينقلب به إلى الحياة الحقيقية وهو كليل — يشفى التاريخ فيه هذه الرغبة فى الرجوع إلى الماضى ويفسر له النظم الموجودة ويخفف من حدة شرود الفكر . ويجد الباحث والدارس لذة عظيمة فى قراءته للتاريخ وتخيله للحوادث . فزيارة للأهرام والآثار حولها، وتخيل فرعون يأمر وينهى وقد عنت له الوجوه ... كل هذا يستوقف النظر ويثير ذكريات لأيام رفلت فى حلاها مصر ... وفى التاريخ مجال واسع لتمرين الخيال، يمده بالمادة التى هى أساس له ، ثم هو يدرب المقدرة على التخيل ويسمو به . ويساعد التاريخ على تذوق الفن والجمال . فهو معرض لنواحى الحياة الإنسانية : فهذا جانب السياسة ، وهذا جانب الاجتماع ، وهذا جانب العلم والأدب . هذه ناحية إرضاء الشهوات ، وهذه ناحية إرضاء الروح . هذه هى آثار المصرى ، هذه مسلاته ومعابده . هذه هى آثار الفن على حياة الإغريق ... هذا هو الأدب الذى فاضت به النفس البشرية . ما الشعور الذى يغلب على النفس حينما يزور الإنسان هيكلاً من الهيا كل أو معبداً من المعابد أو مسجداً من المساجد أو قصراً من القصور القديمة ، أو عند ما يقرأ وصفاً لهذه الآثار! ما الإحساس الذى تحسه النفس حين تقرأ وصف البحترى إيوان كسرى أو وصف ابن حمديس لقصور أمراء تونس !

وأخيراً ننتقل إلى قيمة التاريخ العظيمة فى التربية الوطنية والإنسانية . يولد الإنسان فى مجتمع تربط أفراده علاقات متعددة ، لا يدرى شيئاً عن نظم ذلك المجتمع وقوانينه التى هى كنز خلفه الماضى ، ماضى بلدته وماضى وطنه وماضى الإنسان ؛ فالنظم والمثل العليا التى عينت سير الإنسانية فى الماضى لا زالت هى التى تعين وتحدد السير فى الحاضر ، ولا مناص للانسان من تلقى هذه التركة بما فيها من أعباء ومسئوليات . وكيف يقوم بواجبه نحو ذلك التراث ونحو الوطن والمجتمع الإنسانى إذا لم يدرس هذه التركة وقيمتها ؟ وقد لاحظ حزب من المفكرين هذه القيمة ، فقالوا بتدريس التاريخ القومى والاهتمام به اهتماماً خاصاً . ظهرت هذه الفكرة بشكل واضح فى بروسيا عقب كارثة سينيا ، وانتشرت فى أوربا بين الشعوب التى تتحفز للظهور والوحدة . رأت هذه الشعوب أن الوطنية الحق لا تقوم إلا على أساس الفهم لنظم الوطن ، وتقدير التركة التى خلفها ، وتحمل المسئولية التى تركها ، ومعرفة أيام عظمته وأيام محنته والعمل على نشر الرسالة التى خلق من أجلها . والتاريخ حينما يذكر بمجد الوطن ومحنته هو فى نفس الوقت يدعو إلى المحافظة على تراث الوطن سليماً للمستقبل ، إن لم يكن زائداً فغير منقوص ، لأنه يخلق العاطفة والشعور الذى يدفع الفرد إلى القيام بواجبه وتنير السبيل أمامه . على أن الغرض القومى لا يجوز أن ينسينا الأمانة العلمية وحب الحقيقة .

والتاريخ ليس سجلاً لماضى الوطن فحسب ، فهو سجل لماضى الإنسانية كلها . والنفس ميالة بطبيعتها إلى معرفة ما خلفه الإنسان فى كل مكان ، ذلك الإنسان الذى تربطها به وشائج القرابة والنسب . ولن ينكر مثقف قيمة ماضى الإنسانيـة لحاضرها . ويدلل المفكر الإنجليزى جراهام ولاس على هذه القيمة بأنه لو فرض وأصيبت الأرض بصاعقة لنسى كل فرد

العادات والمعلومات التى أخذها من الأجيال الماضية فتسعة أعشار سكان لندن ونيويورك سيموتون فى مدى شهر ، وتسعة وتسعون فى المائة من الباقى سيموتون فى خلال ستة أشهر إذ لا يكون لديهم لغة ولا أفكار ولا معرفة بالقراءة والكتابة ... والإنسان محتاج إلى إنسانيته القديمة ليحيا حياة طيبة ، وكلما ارتقت به الحضارة زاد احتياجه إليها . التاريخ يشرح لنا الفكرة التى تسيطر على العالم ، فكرة التطور . قد يرى البعض أن العلوم الطبيعية والأدب يفسران ناحية منها ، والتاريخ يفسر النواحى السياسية والاجتماعية ، ولكن إنعام النظر يرينا أن العلم الطبيعى والأدب يدخل فيهما عنصر التطور نفسه ولذا لا يمكن فهمهما دون الرجوع إلى التاريخ

التاريخ يضرب لنا أمثلة حسية على الحياة ، فهذه حياة أناس عاشوا فى ذلك العالم وأحسوا إحساسات خاصة ، تحاربوا وتصالحوا وطالبوا بحقوقهم وذادوا عنها أو انصرفوا إلى التمتع بالحياة وأحبوا الترف ، ماذا كانت نتائج أعمالهم ، ما بواعث فعالهم ؟ يبين لنا التاريخ اختلاف الناس وأثر ذلك الاختلاف ، وأن لكل فرد نحو بلدته ونحو وطنه ونحو العالم مهمة خاصة يؤديها فى الوجود . وهو لا يبين لنا اختلاف الأفراد أو الطبقات فحسب ، بل اختلاف الأمم والشعوب أيضاً ، فلكل أمة رسالة قد أدتها أو هى فى سبيل تأديتها للحياة . ثم هو يبين لنا اختلاف العصور ، فكل عصر يختلف عن سابقه له طابعه الخاص فى طرائق تفكيره ومنتجاته . فعصرنا الحاضر يختلف اختلافاً ظاهراً عن العصور الماضية ومشاكلنا والموازين التى نحكم بها على الأشياء مختلفة عن مثيلاتها فى الماضى ، ولكن الماضى ضرورى لفهم مشاكلنا الحالية ، فالحياة كما يوضح لنا التاريخ فى تغير دائم ، فى تطور

يرينا التاريخ تعاون الإنسانية فى ارتقاء سلم الحضارة ، كما يرينا أنها سائرة فى طريق النمو والتحسن ، فالأفراد يحيون ثم يموتون ، والأمم تقوم وتسقط ، والحضارة تتقدم حيناً وحيناً تتأخر ، ولكن النمو مطرد . فالانسان كفرد تزداد حقوقه وأصبح أمامه مجال كبير لخدمة مستقبله وعائلته ووطنه والعالم . وينكر بعض المفكرين النمو فى نواحى الروح والدين والأخلاق ؛ فالعصور الماضية عصور الأنبياء . ولم تتقدم الأخلاق خطوة ، فالقانون بين الدول لا زال قانون القوة . حتى فى الناحية العقلية يشير البعض إلى مثل ذلك الجمود ، فلا دليل فى نظرهم على أن عقل الإنسان الحاضر أرقى من عقل أفلاطون . ويقول هكسلى إنه لا يعرف دراسة محزنة لتفسير تطور الإنسانية مثل دراسة التاريخ . فالإنسان لا زال وحشاً ولكنه خير من الوحوش الأخرى . وأحسن الحضارات الحديثة لم تظهر لنا مثلاً أعلى أو شيئاً جديراً بالبقاء

ويرد على ذلك بأن التاريخ يرى لكل عصر مساوئه ، وأن الإنسانية لم تبلغ بعد حد الكمال ، وأن الطبيعة الإنسانية ذاتها لم تتغير إلا بمقدار ضئيل ، وإنما الذى يتغير تغيراً محسوساً هو تكيفها لظروفها الطبيعية والاجتماعية . ونمو محصول الإنسان من حيث المعلومات ومن الناحية المادية واضح ، فكشف العالم الجديد وكشف كثير من قوى الطبيعة واستغلالها لمصلحته ، وتكييف الإنسان للبيئة من إصلاح الأراضى وإزالة الغابات واختراق البحار والجبال والصحارى والهواء شواهد على النمو العقلى وعلى ارتفاع مستوى المعيشة . ولا ريب فى أن زيادة القدرة على التعليم والتعلم ، وتقدم العلم وسهولة الانتقال هى فى مصلحة الرقى العقلى والأخلاق والروحى

التاريخ يصف التطور الاجتماعى لا العضوى والبدنى ، فإذا شعر الدارس بأنه يعيش فى جو كله تطور ونمو فهو لا ينسى الماضى . سيقدر الحاضر ويزداد أمله فى المستقبل . يعرف الدارس خلال التاريخ سر الإنسانية ويجد فيه أكبر خادم للفكرة الإنسانية ذاتها ؛ لأنه يقلل من حدة التعصب لقومية أو لدين وعادات . فالتاريخ يبين أن العالم لم يقم على حضارة واحدة أو لغة واحدة أو دين واحد أو عصر واحد — فلكل حضارة نصيبها يغبنها التاريخ إياه — يرينا أن الأمم تبادلت ولا تزال تتبادل أنواع الحضارة . ولئن كان العالم قد أفاد فن الحضارة المصرية القديمة فهو مدين للفلسفة اليونانية والفن اليونانى والقانون الرومانى . ولا ريب فى أن مدنية العصور الوسطى فى الشرق والغرب كانت أساساً عملياً لحضارة العصور الحديثة .

محمد مصطفى صفوت

الحضارات القـــديمة
فى القرآن الكريم
للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

- ٣ -

الحضارة الكلدانية

الكلدان من الشعوب السامية القديمة ، وقد قامت لهم دول بالعراق ، وكان لهم فيه حضارة تضارع الحضارة المصرية فى القدم . ولكنها سارت فى طريق معوج أضعف من شأنها ، وجعلها أقل نتاجاً من غيرها من الحضارات القديمة ؛ وقد نشأ هذا من أنهم كانوا يتجهون بعقولهم نحو الكواكب والنجوم ، فاتخذوها آلهة يعبدونها ، ويهتمون بمعرفة ما يتصل بها ، حتى جرهم هذا إلى الاشتغال بعلم الفلك ، وإلى أن يجعلوا جل اهتمامهم فى حضارتهم بهذا العلم ، وبكل ما يتصل به من العلوم كالسحر والتنجيم ، ولا شك أن مثل هذه العلوم لا تصلح أساساً لحضارة تنفع الناس فى دنياهم ، وتهيئ لهم فيها أسباب الهناءة والسعادة ، فلم يُعْنَ الكلدان بالعلوم التى تنظر إلى الأرض كما عنُوا بالعلوم التى تنظر إلى السماء ، ولم يهتموا بالزراعة والصناعة والتجارة كما اهتم بها إخوانهم الفينيقيون فى الشام ، مع أن هذه الأمور هى الأسس التى يقوم عليها بنيان الحضارة ، وترفل بها الشعوب فى حلل الرفاهية ، ولهذا ذهبت الحضارة الكلدانية ولم تترك وراءها إلا شهرة بابل عاصمتها بالسحر ، وهى شهرة لا ترفع من شأنها ، ولا تجعل لها منزلة عالية بين الحضارات القديمة

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك الاعوجاج فى الحضارة الكلدانية فى الآية (١٠٢) من سورة البقرة : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون »

فالقرآن الكريم يشير بهذا إلى أن السحر كان قد انتشر فى تلك المدينة حتى عم ضرره كل الناس ، وتفاقم خطبه بينهم ، وصار أربابه هم الآمرين الناهين فيهم ، لأنهم أوهموهم أن لهم قوة غيبية وراء الأسباب التى ربط الله بها المسببات فى هذه الدنيا ، فهم يفعلون ما يوهمون الناس أنه فوق استعداد البشر ، وفوق ما منحوا من القوى والقدر ، وأنهم يستعينون عليه بالشياطين وأرواح الكواكب ، إلى غير ذلك من ضلالاتهم وكفرياتهم ، فأرسل الله هاروت وماروت يعلمانهم حقيقة السحر ، ويبينان لهم أن السحرة بشر مثلهم لا قدرة لهم على النفع والضر ، وأن السحر إما حيلة وشعوذة لا أصل لها ، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ، وبهذا يكون علماً يؤخذ بالتعليم ويتكرر بالعمل ، وفى استطاعة كثير من الناس أن يتعلمه ويفعل ما يفعله أربابه ، ولا يرجع كما يزعمون إلى قوة غيبية فيهم ، ولا أثر فيه لتأثير الشياطين وأرواح الكواكب ، وهو مع هذا ليس من العلوم التى يليق بذوى الأخلاق الكريمة الاشتغال بها ، لأنه من العلوم التى تضر ولا تنفع ، ولا يشتغل به إلا كل دجال أو مشعوذ .

الحضارة الحميرية

وينسب الحميريون إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، وكان لهم ملك عريق باليمن ، وحضارة يشهد بفضلها ما بقى من آثارها . ومن أشهر دولهم فيه دولة سبأ ، وكانت دولة تجارية خلفت دولة معين فى نقل التجارة بين الهند والحبشة والعراق والشام ومصر ، وقد زهت حضارة اليمنيين فى عهد هذه الدولة ، وعظم غناؤها وثراؤها ، لأنها كانت تعنى بشق الأنهار وبناء السدود التى تحفظ المياه بين الجبال لتصرفها على الأرض بقدر ، ولا تذهب سدى فى الفلوات والبحار ، فعمرت بذلك بلاد اليمن أعظم عمارة ، وامتلأت نواحيها بالزروع والحدائق وناطحت قصورها وحصونها السحب

وقد نوه القرآن الكريم بحضارة سبأ أعظم تنويه ، وجعلها لعظمها ونخامتها آية من آيات الله ، فقال تعالى فى الآيات : — ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ — من سورة سبأ (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم

واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ؛ وهل نجازى إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ؛ إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

وقد ذكر المفسرون من عظمة تلك الجنات أن المرأة كانت تحمل مكتلها على رأسها وتمر بها ، فيمتلئ المكتل من أنواع الفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً . وذكروا من طيب تلك البلدة أنه لم يكن يرى فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب ، وأن الرجل كان يمر بها وفى ثيابه القمل فيموت من طيب الهواء . وذكروا أن تلك القرى الظاهرة كانت تتواصل من اليمن إلى الشام ، فإذا سافروا فيها لمتاجرهم يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى ، وكلما وصلوا إلى قرية وجدوا فيها المياه والزروع والأشجار ، فلا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام . والقرآن الكريم يشير بهذا إلى أن عظمة هذه الدولة كانت قائمة على أساس التجارة ونقلها بين تلك البلاد ، كما يشير بقوله : (باعد بين أسفارنا) إلى أن زوال عظمتها كان بسبب انتقال زمام هذه التجارة من أيدى أبنائها ، وكل هذا يتفق مع ما وصل إليه علماء التاريخ فى عصرنا ، وهم لم يصلوا إليه إلا بعد الكد والتعب فى كشف ما تركته هذه الدولة من آثار ، وفى محاولة قراءة ما دون فيها من حوادث وأخبار ، وكم للقرآن من أمثال هذه المعجزات العلمية !

وكان سبب انتقال التجارة من أيدى أبناء هذه الدولة تحول طريقها من البر إلى البحر ، فأحدث ذلك أثراً كبيراً فيها ، وجعلها تعجز عن حفظ تلك السدود وتهمل شأنها ، وكانت خاتمتها بانهيار ذلك السد العظيم ، سد مأرب الذى أشار إليه القرآن الكريم .

عبد المتعال الصعيدى

(يتبع)

جى دى موبســـان

١٨٤٠ - ١٨٩٣

للأستاذ حسن فتحى خليل

١ – نشأته وتكوينه وأسلوبه

ولد موبسان فى قصر ميرو مسنيل فى ٥ أغسطس سنة ١٨٤٠ وتلقى دروسه ببلدة ييفتو أولاً ثم ببلدة روان . وأمضى فى ربوع مقاطعة نورماندى أسعد سنى صباه وشبابه ، حرا طليقاً بعد دراسته اليومية ، كطائر سعيد . وكان يهيم بالطبيعة الساحرة فى تلك المقاطعة حتى انطبعت فى ذهنه صور كثيرة من حياة الفلاحين المحيطين به

وفى عام ١٨٧٠ التحق بالجيش المحارب وانغمر فى ميدان الحرب كغيره من الشباب حينئذ ، وعاش فى محيطها وتشبعت بها نفسه ، حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها ذهب إلى باريس والتحق بوزارة البحرية أولاً كموظف صغير ، ثم انتقل منها إلى وزارة المعارف . وكان فى أشد الاحتياج إلى مرتبه الحكومى ليقتات منه حتى تسمح له الظروف الحسنة التى تؤهله لأن يبدأ حياته الأدبية التى عاهد نفسه على بدئها منذ زمن بعيد

وقد هيأت له تلك الوظيفة أن يختلط بطبقة الموظفين ، وأن يطلع على خفايا حياتهم وكل أحوالهم ، ولكن تلك النظرة التى كان ينظر بها إليهم كانت بشعور مزيج من العبث والسخرية . وانتقشت تلك الصور فى ذهنه حتى انسابت من قلمه ، وظهرت واضحة جلية فى قصصه

وقد صرفته قوة بنيته وحبه للهو والعبث المغرقين فى بداءة حياته عن مطالعة الأدب ، فلم يجهد نفسه فى ذلك المضمار الإجهاد الكافى لأديب ناشئ يحاول أن يكون نفسه . غير أن تلك الحياة التى كان يحياها قد أضافت صوراً جديدة إلى تجاربه إذ اختلط بالمجتمع الصاخب وانغمر فى ملاهيه . وأول ما يتبادر إلى الذهن أنه كان مندفعاً نحو تلك الحياة اللاهية ليكمل منها صوراً لأدبه ؛ ولكن الحقيقة أنه إنما كان مندفعاً نحوها لكى يشعر نفسه بأنه يعيش المعيشة التى ترضى جسده وتشبع رغباته الجامحة . فقد كان قوى البنية ، مفتول العضلات ، محباً للرياضة وخاصة التجديف ، جريئاً لا يهاب إنساناً

كان فلوبير أباه الفكرى ؛ إذ هو الذى أخذ على عاتقه أن يدخله إلى دنيا الأدب . وتحت سيطرته بذل موبسان كل جهده لأن يرتفع بأسلوبه إلى المرتبة التى تؤهله لأن يكون شاعراً مجيداً ؛ وكانت هذه هى منتهى آماله . كان فلوبير يحدثه دائماً عن كرامة الفن وواجبات الفنان ؛ كما أنه غرس فى نفسه كراهته للبرجوازيين والسخرية منهم ومن اعتقاداتهم المادية فى كتبه . كما أخبره عن أهل الأدب فى عصره وحدثه عنهم حديثاً مستفيضاً ؛ وطبعه على الاستخفاف بكل أدب تجارى رخيص ، ونصحه بالجد والاهتمام بتجويد كتابته ، وجعل نفسه مثلاً له يسير على منواله ؛ حتى أنه أشركه معه فى تأليف كتابه « بوفار وبيكوشييه » فكان يرسله إلى بعض بقع الساحل النورماندى ليعود فيقص عليه ما رآه وما استولى عليه من إحساسات وشعور ، فيرسم الطبيعة كما يراها دائماً وليتحرر من آراء زولا شبه العلمية التى كانت سائدة يومئذ ، وأن تكون كل اتصالاته بالطبيعة فحسب[1]

وبذلك أحيا موبسان كل الصور المنطبعة فى مخيلته منذ طفولته وصباه ، وجعل ينظر إلى الطبيعة بمنظار صريح مستقيم سهل ، وبذل قصارى جهده لأن يكون أسلوبه طبيعياً كمشاهداته ، فخلا أسلوبه من المبالغات الرومانتيكية المشاهدة فى أسلوب زولا والمحسنات اللفظية كأسلوب جونكور

وكان يطلع أستاذه فلوبير على كل ما يكتبه فيصححه له ويرشده إلى طريق الصواب . وأهم مؤلفاته فى ذلك الوقت ، وقت الاجتهاد والتحضير هى قصة « الدكتور هيراكلوس جلوس » وأهم ما يميزها وضوح نظرية التشاؤم التى بدأ يأخذ بها موبسان . كما كتب فى تلك الفترة عدة مسرحيات وقصص وأشعار على الخصوص . وقد جمع ما أعجبه من شعره فى كتاب صغير اسمه : « مجموعة شعر »

وكانت تلك القطع التى نشرها إنما هى فى الحقيقة أقاصيص شعرية ويلاحظ أنها بداءة طيبة لما جاء بعدها . وأهم تلك القطع

(١) انظر : Le Naturalisme Français par Pierre Martino

« على ضفاف النهر » وقد رسم فيها ذكريات غرامه وألبسها ثوباً رومانتيكياً متحدثاً عن الغرائز الحرة واللذات الجسدية .

ثم نشر قصته المشهورة Boule de Suife فنجحت نجاحاً عظيما وتنبه الكل له وصعد درجات المجد وعاهد نفسه منذ ذلك اليوم أن يكون قصصياً بدلاً من أن يكون شاعرا رغماً عن إرادة أستاذه فلوبير . ومع أنه كان قد أخفى تلك القصة عن أستاذه إلا أنه حين قرأها أعجب بها أشد الإعجاب وهنأه عليها .

ومات فلوبير فتحرر موبسان من سيطرته الأدبية التى كان يفرضها عليه ، وأصبح حراً فى معتقداته وسار فى الطريق التى رسمها لنفسه .

٢ – أفكاره وآراؤه

كانت لموبسان عين ثاقبة تلاحظ الصور وحركاتها بسرعة فائقة ودقة آلة فوتوغرافية ، فسرعان ما تنطبع تلك المرئيات فى ذهنه فيتعمق فى فهمها جيداً حتى يهضمها تمام الهضم . فمن صباحه إلى مسائه كان يجمع ويلاحظ كل ما يفيده فى مهمته الأدبية ، ولذلك نلاحظ أن كتاباته لم تكن تظهر بمظهر الكتاب النفسيين (السيكولوجيين) بل هى مقتطعة من الحياة إذ فيها ألوانها وأشكالها وحركاتها .

وتدور قصصه على ناحيتين : أولاهما الناحية المرحة والحياة الاجتماعية الصاخبة التى كانت تشتهر بها فرنسا ، والأخرى قصصه عن الريف النورماندى وذكريات حياته التى قضاها فيه وحديثه اللذيذ عن الأرض والطبيعة والفلاح .

وتترجم كل مؤلفاته فى مختلف أطوار حياته ونظرياته عن المجتمع . ففى مؤلفاته الأولى نلاحظ السخرية اللاذعة . ففى قصة Boule de suife لم يترك فرصة سواء فى العربة أو الحانة دون أن يهزأ بالأشراف والطبقة المتوسطة والراهبات . ثم ظهرت فى الحقبة التى تلى ذلك من حياته إحساسات الرحمة والشفقة . أما فى نهايته فكان التشاؤم ومشاغله ومتاعبه النفسية أوضح ما فى كتبه فى ذلك الحين . فأفكاره فى ارتفاعها وانخفاضها إنما كانت تتبع ميزان صحته الجسدية فى قوتها وهزالها .

كان أستاذه فلوبير يعتقد أن الفن يخفف من عبء الحياة ويجعلها سهلة لينة ، ولم ييأس من تقدم العلوم ولم ينكر بلوغ النجاح ، إلا أن موبسان الذى كان يستمع لتلك الآراء لم تكن لديه الثقة الكافية فى الحياة . فمن مبدأ حياته كانت فلسفته اليائسة المتشائمة فوق العادة . فلم يجذبه فكرة فلوبير السليمة بقدر ما جذبته حكمة شوبنهور القائلة : « إنه لا سعادة على الأرض » وبالرغم من تكرار موبسان لنظريته المتشائمة فى قصصه كثيراً لم تكن لتستند على براهين قوية . بل كل ما فى الأمر أنه كتبها بشعور صادق قوى . وكان يبعث ذلك التشاؤم نظرته المجردة إلى الحياة الواقعية . فكان يعتقد أن الكون مجموعة متضاربة متطاحنة من القوى ، وأن العلم لا يعطينا سوى فكرة متمثلة عن هذه القوى بواسطة آلات أولية ناقصة فى بعض الحالات فقط . وأنه ليس هناك أمل فى التقدم أو النجاح ، إذ أن نظرية التقدم ما هى إلا نظرية فاشلة ، وأن الإنسان حيوان أرقى قليلاً من الحيوان الأعجم . ولعل هذه النظريات قد تبادلها غيره من قبل إلا أنها كانت شديدة التأثير على شعوره . وإنما يعود ذلك إلى مرضه الذى أصيب به ، حتى أنه أصبح يخاف الرسائل التى تصله كما كان يفزع من علامات الود والمحبة التى يظهرها أصدقاؤه ، إذ خيل إليه أنها محاولات اعتداء على حريته . فهو يفسر نظريته هذه بأن هؤلاء الأصدقاء إنما يشعرون بفراغ كبير فى حياتهم ، فيحاولون أن يتعلقوا بأهداب إنسان آخر يملأون به ذلك الفراغ . وبذلك أصبح موبسان يعتقد أن الصداقة والحب إنما هما نفاق وسراب ، وأن الصلة بين كل رجل وآخر معدومة ، إذ لا يمكن لأحدهما أن يفهم الآخر تمام الفهم . وعلى ذلك يجب على كل فرد أن يكون وحيداً ، وبذلك امتزجت رغبته فى الوحدة بخوفه من المجتمع . ألا أنه فى وحدته كانت تهيأ له خيالات يتوهم معها أن هناك شبحاً آخر يشاركه مجلسه فيبعث الخوف إلى نفسه ويدفعه دفعاً نحو الاختلاط بالأحياء الذين لم يعد يفهمهم جيداً . وقد زاد ذلك التعذيب خوفه من الشيخوخة والموت . فكانت فلسفة التشاؤم التى يسير على هديها تدفعه إلى الثورة دائماً . وأخيراً لم يجد منفذاً لهذه الخواطر والأفكار التى تعج بها رأسه حتى كان يرفض أى مناقشات أدبية ، وأصبح يعتقد أنه ليست هناك أية قيمة للأدب ، وأنه إنما يكتب تلك الأسطر لكى يكتسب منها بعض المال

وفى عام ١٨٨٩ بدأ يفكر فى الانتحار كما يتضح لنا من قصة l'endormeuse إذ تخيل فيها انتحاراً قانونياً يسمح لليائسين أن يناموا إلى الأبد باسمين مرتاحى الضمير . وقد طرقت هذه الفكرة مخيلته كثيراً فى أيامه الأخيرة حتى هم بتنفيذها ، وكان حينئذ فى طريقه إلى الجنون الذى أراحه من عناء هذه الدنيا وتفكيره الأسود فى كل أحوالها

وعلى ذلك فإذا تدبرنا حال هذا الشاب الموفور الصحة فى مبدأ حياته ، والذى هده المرض فى أخريات أيامه حتى ساقه إلى الجنون فبدأ يسمع نداءات الموت ترن فى أذنيه ، أمكننا أن نتتبع النغمات الصادرة من مؤلفاته فى هذه الأطوار

٣ — نهايته

سبق أن قلنا إنه بالرغم من مظهره القوى فإن صحته بدأت تتهدم منذ عام ١٨٨٤ ؛ ثم ظهرت عليه بوادر الجنون فى عام ١٨٩١ . وفى أول يناير سنة ١٨٩٢ حاول الانتحار فى بلدة (كان) ولكنه فشل . وأدخل مصحة الدكتور بلانش حتى توفى فى ٦ يوليو سنة ١٨٩٣ وهو على حاله من الجنون

٤ — مؤلفاته

يعتبر موبسان من أشهر كتاب الأقصوصة ؛ ويمكننا أن نضمه الآن إلى زمرة الكتاب الكلاسيك ؛ إذ أن أعماله تدرس بالمدارس لأنها غذاء طيب للعقول . ففى أمريكا وألمانيا تعتبر مؤلفاته من أهم مختارات الدراسة بمدارسها . كما وضعت أعماله فى برامج الامتحانات العليا بفرنسا ؛ وقدمت عنه بعض الرسالات كما جمعت أعماله وطبعت كلها فى مجلد كامل كأعمال فلوبير وبلزاك . فمن عام ١٨٨٠ إلى عام ١٨٩٠ نشر موبسان حوالى ثلثمائة أقصوصة جمعت فى مجلدات هى :

سنة ١٨٨١	La Maison Tellier
	Clair de Lune
سنة ١٨٨٣	Contes de la Becasse Mlle. Fifi
سنة ١٨٨٤	Miss Harriell
	Yvette
سنة ١٨٨٥	Les Sœurs Rondoli
	La Petite Rogue
	Contes du jour et de la nuit
سنة ١٨٨٨	M. Parent
سنة ١٨٨٧	Le Rosier de Mme Husson
سنة ١٨٨٦	La Horla
سنة ١٨٩٠	Toine
سنة ١٨٨٩	L'Inutile Beauté
سنة ١٨٨٩	La Main Gauche

كما نشر ست قصص طويلة وثلاثة كتب عن الرحلات وأربع مسرحيات .

حسين فهمى خليل

الفنون الجميـــلة

الفن ترتيب أجزاء متفرقة ترتيباً اختيارياً حسب فكرة معينة لتؤدى إلى غاية معلومة ، هى أن يُخلق من تلك الأجزاء كلاً واحداً ، أو خلقاً جديداً يثير فى النفس عاطفة الجمال .

فهو إذن إنتاج حر للجمال ، لا الجمال الواقعى فحسب ، بل مزيج من الجمال الواقعي والجمال المثالى . فلا بد من أن توجد فكرة مثالية عند الفنان يحققها ويعبر عنها بمساعدة الواقع . ويتخذ الفن فى تعبيراته عن تلك الفكرة أشكالاً مختلفة هى ما نسميه بالفنون الجميلة Les beaux-arts . فالفنون الجميلة إذن ، هى مختلف حالات الانفعالات الجمالية التى ينفعل بها الفنان إزاء أشياء معينة ، فيحاول أن يعكسها ويعبر عنها ، لكى يتذوقها غيره ، فينفعل بها كما انفعل هو

والفن فى تعبيره عن هذه الفكرة يخاطب الحواس ، لا الحواس كلها ، بل هو فى الواقع يخاطب حاستين منها فقط هما : السمع والبصر ؛ وعلى ذلك تنقسم الفنون الجميلة إلى مجموعتين :

(ا) ما يخاطب السمع وهى : الموسيقى : (سواء أكانت موسيقى صامتة ، أم يصاحبها غناء مفرداً وجوقة) والشعر

(ب) ما يخاطب البصر وهي : النحت والعمارة والنقش (١)

ولكن ، هل الفنون جميعها على درجة واحدة من السمو والرفعة ؟ أو بمعنى آخر : هل هناك فنون أرقى وأرفع من غيرها ؟ وإن كان الأمر كذلك، فعلى أى أساس يمكن تصنيفها وترتيبها إلى فنون راقية رفيعة ، وأخرى أقل منها ؟

لقد رأينا أن الفن هو الإنتاج الحر للجمال ، ورأينا أيضاً أنه لا بد من التعبير عن فكرةٍ ما فى الفن ؛ فقانون التعبير هو أهم قانون عام مشترك بين كل الفنون ، وعليه يجب أن يقوم التصنيف . فالفن الذى يكون أكثر تعبيراً وأغنى فى وسائل تعبيره من غيره يكون هو الأرقى . وليست الفنون على درجة واحدة من تلك الحرية فى التعبير ، فنحن نجد مثلاً أن حرية التعبير أقل ما تكون فى فن العمارة ، والفنان المعمارى مقيد إلى أبعد حد ؛ بينما تتمتع الفنون الأخرى بحرية فى التعبير أوسع من ذلك ، مع تفاوت فيما بينها . كذلك تختلف قوة تعبير كل فن عن الآخر إزاء شىء واحد بالذات ؛ فالموسيقى مثلاً يمكنها أن تصور لنا منظر عاصفة عنيفة تصويراً أبلغ وأعمق مما يصوره لنا النقش مثلاً ، فهى تعبر عنها أحسن تعبير منه ، وتثير فينا من العواطف والوجدانات ما لا يثيره هو فينا إن تعرض للتعبير عن ذلك المنظر . كذلك يعجز النقش عن أن يساوى الشعر فى قوة تعبيره وعمق تصويره ، فهناك آثار شعرية عظيمة نعجب بها كل الإعجاب ، وتثير فينا العاطفة الجمالية كأقوى ما تكون ، ولكن النقش - أو غيره - يعجز عن تصويرها فى مثل روعة تصوير الشعر لها . فمثلاً صور لنا فرجيل فى قصيدته le renommé «صورة رمزية لمسخ عظيم هائل ، له مائة عين ومائة فم ؛ تمس قدماه الأرض ، ويبلغ رأسه عنان السماء » فأبدع فى تصويره كل الإبداع ، وأثار إعجاب كل من قرأها . هذه الصورة الرمزية ما ذا تثير فينا لو فرض أن حاول النقش أن يحققها ويعبر عنها ؟ وأغلب الظن أنه سيخرجها لنا صورة غريبة تثير فينا الضحك وتبعث على الهزؤ والسخرية(١) .

وقد أجمعت الآراء على القول بأن الشعر هو أرقى الفنون الجميلة ، فهو يحتل المكان الأول بين سلسلة الفنون لأنه أقواها على إلهاب النفس ، وتحرير المخيلة ، والصعود بالإنسان إلى أرقى الأفكار وأسماها . ولا يكتفى الشعر بالتعبير عن الصور الحسية وعن العواطف الجياشة وتصويرها كما تفعل سائر الفنون الأخرى ، بل يمتاز عنها جميعاً بميزة أخرى هى أنه يمكن أن يعبر عن المعانى

(١) هناك رأي آخر يقول بوجود مجموعة ثالثة من الفنون تخاطب الحاستين معا « السمع والبصر » مثل الرقص والخطابة . ولكن الواقع أن الرقص والخطابة ليسا في ذاتهما فنين بمعنى الكلمة . فالرقص لم يعتبر فنا إلا لمصاحبة الموسيقى له ، والموسيقى من أرفع الفنون الجميلة ، وهى فى الحقيقة الجزء الفنى فى الرقص . أما حركات الرقص المنسقة المتزنة نفسها فليست فنا . ويشترط فى الفن أن يكون نزيها بمعنى ألا تكون له غاية أخرى غير التأثير الجمالى . وقانون الفن هو « الفن للفن » . وذلك ما لا نجده فى الخطابة . فليس المقصود من الخطابة إيجاد ذلك التأثير الجمالى أو توليد عاطفة الجمال فقط ، بل إن لها غاية أخرى هى إقناع المستمعين بما يعرض له الخطيب فى خطبته ، ومن هنا لا تعتبر الخطابة فنا . وما يصدق على الخطابة يصدق على البلاغة ، وقد قيل إنها فن . والبلاغة فن لو أريد بها مجرد القول الحسن — كما يقول كنت — ولكن ليست هذه غايتها . نعم ، إنها تولد فى الانسان العاطفة الجمالية ؛ ولكن ذلك لا يهم لأنها غرضها الأساسى هو استخدامها للاقناع وغير ذلك فهى ليست فنا .

أنظر فى ذلك :

(1) Kant : Critique du jugement. trad. Barmi. P. 287
(2) V. Cousin : Du vrai, du beau et du bien. P. 191 et suiv.
(3) H. Marion : Leçon de psychologie. P. 429.

(١) فيكتور كوزان : الحق والجمال والخير ص ١٩٥ — ١٩٦

المجردة ، مثل فكرة « الله » وفكرة « الوطن » وغيرها مما يعجز عنه باقى الفنون ، وذلك لأن أداة الشعر الكلام ، ويمكن أن يؤدى الإنسان بالكلام ما لا يؤديه بغيره[1] . فكلمة « الله » أو « الوطن » وحدها تحمل من المعانى ، وتثير من العواطف والانفعالات والخواطر ما يقصر عن حمله وإثارته أى أداة أخرى من أدوات التعبير فى الفن

ويأخذ « هجل » على الشعر أنه لا يعرض علينا الشيء المراد تصويره مرة واحدة ، أى أنه لا يعرض علينا كل الخطوط والملامح الجمالية المختلفة التى يصفها بحيث نراها كلها لأول وهلة بعضها بجانب بعض مثلما نرى فى النقش مثلاً ، إذ يكفى أن ننظر إلى لوحة من اللوحات فنرى كل الملامح المعبر عنها دفعة واحدة . فالشعر يعرض علينا الشيء الذى يصوره شيئاً فشيئاً على دفعات ، وهذا ناتج من طبيعة أداة الكلام . ففى كل بيت مثلاً يعرض علينا جزءاً من تلك الملامح ، ولا تكمل الصورة إلا بكمال القصيدة . فهو من هذه الناحية إذن أقل منزلة من النقش . ولئن كان هذا عيباً فى الشعر فإنه من جهة أخرى ميزة يمتاز بها على غيره ، وذلك حين يعرض لبعض المشاهد التى لا بد فيها من التسلسل والتتابع حتى تستكمل ظهورها . فالنقش فى الحقيقة يمثل حالة معينة وفى وقت بالذات ولا يمكن أن يعرض للحالات التى تتغير وتتابع . فمثلاً يمكن للشعر أن يعرض لوصف عاصفة هوجاء عنيفة فيصور أولاً منظر البحر قبل العاصفة وقد هدأت المياه وصفا الجو وسطعت الشمس ، وقد أخذت سفينة صغيرة تتهادى فى رفق على صفحة الماء ، ثم إذا بالجو يتلبد بالغيوم فجأة وتهيج الأمواج وتضطرب وتصفر الرياح وتتقاذف السفينة حتى تغلبها على أمرها وتدفع بها إلى صخرة عظيمة فتنفتح فى جانب السفينة ثغرة كبيرة تدخل منها المياه ، وتأخذ السفينة فى الغوص والركاب يصرخون ويجرون هنا وهناك وقد تملكهم اليأس والفزع ، ثم طغى البحر على السفينة فابتلعها بمن عليها . كل ذلك يصوره لنا الشعر بسهولة فى قصيدة واحدة ولكن يعجز عنه النقش فى لوحة واحدة ، فهو لا يمكنه إلا أن يعبر عن حالة واحدة فقط من تلك الحالات المتباينة

وهناك فن آخر لا يقل عن الشعر رفعة وسمواً وهو الموسيقى فهى من أقوى الفنون تأثيراً فى النفوس وإيقاظاً للعواطف وإلهاباً للوجدان ، ويمكنها أن تحمل الروح وتتجاوز بها العالم الواقعى إلى اللانهاية . فعنصر اللانهاية واضح جداً فيها ، ولعلها فى ذلك تسبق الشعر ، وقد كادت تفوقه لولا ما فيها من غموض وإبهام ؛ فتعبيراتها غير محددة تمام التحديد ، كما نرى فى النحت مثلاً ، فهو على العكس منها تماما يحدد موضوع تعبيره بخطوط واضحة لا يمكن أن نخطئها ، مما جعله لا يبعث على الخيال ولا يحمل الروح إلى اللانهاية . فجمال الموسيقى ، وميزتها الكبرى تتجلى فى قدرتها على العبور بالروح إلى اللانهاية ، مما جعل بعض الناس يقرنها بالدين لأنهما يخاطبان القلب والعواطف ويسموان بالروح عن عالم الواقع . ولعل هذا هو السر فى أن المسيحيين يصحبون صلواتهم الكنيسية بالموسيقى . وتأثير الموسيقى فى الحقيقة أقوى من تأثير الشعر ، فهناك صلة وثيقة بين أنغام الموسيقى والقلب ، بحيث يمكن للموسيقى البارع أن يلعب بأفئدة الناس كيفما شاء ، إن شاء أضحكهم وإن شاء أبكاهم[1] . وعلى العموم فهناك صلة كبيرة بين الشعر والموسيقى . فالشعر يدخل فى الموسيقى على صورة غناء ، فيحدد من تعبيراتها وتصوراتها ، وهو بذلك يقتل ما فيها من لانهاية . كذلك الشعر موسيقى الألفاظ ، يحس الإنسان فيه بأنغام موسيقية غير خافية ، قد تتولد على الأكثر من تكرار بعض حروف معينة وتلازمها[2]

والخلاصة من كل ما سبق أنه ما دامت حرية التعبير وقوته وعمقه وغناؤه هى أساس ترتيب درجات سمو الفنون ورقيها ، فإنه يمكن تبعاً لذلك ، اعتبار الشعر أرقى أنواع الفنون الجميلة ، وتليه فى ذلك الموسيقى ، وهى خليقة بأن تسمو عليه لولا غموضها وإبهامها ، وإن كان ذلك يجعلها تمتاز عن غيرها باللانهاية . ويلى الموسيقى النقش ، فهو يكاد يجمع بين قوة تأثير الموسيقى من ناحية وبين تحديد النحت من ناحية أخرى ، فهو أكثر تحديداً وإيضاحاً من الموسيقى ، وأكثر تأثيراً من النحت . ويلى ذلك النحت وهو لا يكاد يبعث على التخيل بشدة ما فيه من التحديد ؛ وأخيراً العمارة وهى أقل الفنون جميعاً فى حرية التعبير وعمقه

أحمد أبو زيد
كلية الآداب — جامعة فاروق الأول

(١) نفس المصدر ص ٢٠٣

(١) كما ذكر عن أحد فلاسفة الاسلام وهو الفارابي . أنه عزف على آلة موسيقية صنعها هو نفسه فأضحك السامعين ، ثم عزف فأبكاهم ، ثم عزف فأنامهم (٢) من ذلك قول بشار :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ... ونفى عنى الكرى طيف ألم

فهناك موسيقى تولدت من تكرار اللام والميم والنون

٤٨ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي إدورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الرابع عشر — الصناعة

إن طرق المساومة التي يتبعها المصريون في معاملاتهم تضايق كثيراً من لم يتعودها . فعند ما يستفهم العميل عن ثمن سلعة ، يطلب منه التاجر أكثر مما يرجو كسبه . فيستكثر المشتري السعر ويعرض على البائع نصف المبلغ أو ثلاثة أرباعه فيرفض التاجر ؛ غير أنه يخفض سعره ، فيعرض العميل بدوره مبلغاً زائداً نوعاً . وتستمر المساومة هكذا حتى يصلا إلى سعر وسط فتتم المبايعة . وأعتقد أن السائحين الأوربيين يذمون التجار المصريين بغير حق ، وذلك بعد أن تحققت أن أكثرهم لا يكسبون أكثر من واحد في المائة . ويعمد من يجد سلعة توافقه ويبغي اقتناءها بثمن زهيد إلى المساومة مع التاجر طويلاً . فيصعد إلى مصطبة الدكان ويستريح ، ثم يحشو شبكه ويشعله ثم يبدأ النقاش الذي يستمر طويلاً . وقد يقطع التاجر أو العميل المبايعة بأحاديث غير مناسبة كأنه عزم على ألا يناقش في الأمر أكثر من ذلك . ولا تلبث المساومة أن تعود . ويتناول خادم العميل من التاجر بعد إتمام الصفقة وانصراف سيده ، نفحة صغيرة من المال . ولا يتردد الخادم في طلب هذه النفحة إذا لم يقدمها التاجر من تلقاء نفسه . ويقام في أغلب أسواق القاهرة مزايدات في أيام محددة مرة أو مرتين في كل أسبوع . ويتولى هذه المزايدات دلالون يستأجرهم أصحاب الشأن من الأفراد أو التجار . ويرفع الدلال البضاعة في يده معلناً الأسعار ويصيح : « حراج »

وكثيراً ما يعمد أفراد الطبقة السفلى عند إتمام صفقات بأبخس الأثمان إلى الصياح والإشارات ، فيظن من يجهل اللغة العربية أن طرفي المساومة يتشاجران وأن الغضب قد بلغ منهما أشده . وقد يستفهم المرء عن ثمن ما يبيعه الفلاحون فيقولون تقبله « هدية »(١) واثقين أن المستفهم لن يستفيد من قولهم هذا الذي أصبح من لغو الحديث . ويكرر الفلاحون قولهم هذا عند الاستفهام مرة أخرى ، غير أنهم يطلبون على العموم أسعاراً باهظة

من الممل أن أذكر جميع الحرف الشائعة هنا . وأصحاب أهم هذه الحرف : بائع الأجواخ وهو يبيع أقمشة الملابس أو الملابس الجاهزة ، والأسلحة ؛ ويطلق عليه في كلتا الحالتين اسم (التاجر) فقط . والجوهري والصائغ وهو لا يشتغل إلا حسب طلب عملائه . وبائع الخردوات (الخردوجي) والنحاس والخياط والصباغ والرفاء والحباك والعقاد وبائع الشبك (الشبكشي) والعطار وهو يبيع الشمع أيضاً ، وبائع التبغ (الدخاخني) وبائع الفاكهة (الفاكهاني) والنقلي وبائع الشراب (الشربتلي) ، والزيات ويبيع مع الزيت الزبد والجبن والعسل الخ ... والخضري والجزار والفران ، ويرسل إليه الخبز واللحم للشي . ويوجد في القاهرة مطاعم عديدة يطهى فيها الكباب وأصناف مختلفة أخرى ، ولكن قلما يتناول الناس طعامهم في هذه المطاعم وإنما يرسلون في طلب ما يلزمهم حين لا يستطيعون إعداد الطعام في منازلهم . وكثيراً ما يتناول التجار غداءهم وعشاءهم من هذه المطاعم . ويوجد أيضاً عدة دكاكين لصنع الفطير وغيره وبيع الفول المدمس . وقد وصفت هذين الطعامين في فصل سابق . ويتناول أفراد الطبقة السفلى طعامهم عند (الفطاطري) أو « الفوال »

---

(١) كما فعل عفرون مع ابراهيم عند ما صرح الأخير برغبته في شراء مغارة المكفيلة وحقله . أنظر سفر التكوين ٢٣ — ١١ : لا يا سيدي اسمعني ، الحقل وهبتك إياه . والمغارة التي فيه لك وهبتها . لدى عيون بني شعبي وهبتك إياها ادفن ميتك ، وقال هذا عادة منعاً للحسد

يباع الخبز والخضر وغير ذلك من الأطعمة فى الشوارع .
وينادى الباعة المتجولون نداءات غريبة تستحق الذكر .
فيصيح بائع الترمس . « مدد يا امبابى » ، ويعنى بهذا القول
إما الاستعانة بالشيخ الامبابى وهو ولي مشهور مدفون فى بلدة
امبابة على الشاطىء الغربى من النيل تجاه القاهرة ، وينبت
بجوار هذه البلدة أجود الترمس ؛ وإما الإشارة إلى أن ترمس
امبابة لذيذ الطعم بفضل مدد الامبابى . ويصيح بائع الترمس
أيضاً : « ترمس امبابه يغلب اللوز » أو يقول : « يا ما حلى
بنيّ البحر » ، ويشير هذا النداء الذى قلما يسمع فى غير
الأرياف إلى طريقة إعداد الترمس للأكل . إذ أنه ينقع فى الماء
يومين أو ثلاثة لتزول مرارته ، ثم يغلى ويوضع بعد ذلك
فى قفة من الخوص تسمى : (فرد) يخاط عليه ويقذف به
فى النيل ، حيث يترك يومين آخرين أو ثلاثة ينقع مرة ثانية .
وبعد ذلك يجفف ويؤكل بارداً بعد أن يضاف إليه بعض الملح .
ويصيح بائع الليمون : « الله يهونها يا ليمون » وكثيراً ما ينادى
على اللب لب «عبد اللاوى» ، وبذر البطيخ : « يا مسلى الغلبان
يا لب » أو عادة : « اللب المحمص » ، وينادى بائع « الحلاوة »
وتصنع من تفل السكر الممزوج ببعض عقاقير نداء غريباً :
« بمسمار يا حلاوة » . ويقال إن بائع الحلاوة يكاد يكون لصاً ،
إذ أن الأطفال والخدم يمدون إلى سرقة الأدوات الحديدية من
المساكن التى يسكنونها ليستبدلون بها الحلوى . ويصيح بائع
البرتقال : «عسل يا برتقال عسل» ويستعمل بائع الخضر والفاكهة
نداء مشابهاً ، ويصعب على المرء أحياناً معرفة ما يباع ما لم يتبع
قاعدة أن ما يباع هو الأقل جودة ؛ فقولهم جميز يا عنب إنما يشير
إلى بيع الجميز الذى يقل عن العنب جودة . ويستعمل بائع الورد
نداء فريداً : « الورد كان شوك من عرق النبى فتح » ، ويشير
هذا إلى معجزة تنسب إلى الرسول . وتباع زهور الحناء الزكية
بقولهم : « روايح الجنة يا تمر حنة » . وهناك نوع من الأنسجة
القطنية تصنع على آلة يحركها ثور . وتباع بقولهم : « شغل
الثور يا بنات »

عدلي طاهر نور

مقبرة الأحياء

الوظيفـــــة ...

[حين كنت مدرساً]

للأستاذ على شرف الدين

عُلالَةُ العَاجزِ الضَّعيفِ ... وَحِيلَةُ السَّائِلِ الكَفيفِ
تُميتُ فِي القَلْبِ كلَّ نبلٍ ... وَكلَّ معنًى بهِ لطِيفِ
وَتحبسُ الرُّوحَ وَهيَ طَيرٌ ... تصبُو إلى غُصنِها الوَريفِ
وَتُرهِقُ النَّفسَ وهيَ طيْفٌ ... بقَيْـدِها المُثقِلِ العَنيفِ
وَتدفِنُ المرءَ وَهوَ حَيٌّ ... فِي قبرِهَا الأسْوَدِ المُخيفِ
وَتبهَرُ العَيْنَ وَهْيَ زَيفٌ ... كأنَّهـا زهْرةُ الخَرِيفِ
وَكَمْ نِفاقٍ تراهُ حَتْماً ... يَحْميكَ مِنْ طعْنَةِ الأليفِ
تَفِيضُ بالجَهـلِ صَفحَتاهُ ... وَزَادَ فِي الجَهْلِ عَنْ (عَريفِ)
وَيدَّعِي العِلْمَ — وَهوَ خِلْوٌ — ... بالتَّالِدِ الجَزْلِ وَالطَّريفِ
وَأَنْتَ تجْرِي عَلَى هَوَاهُ ... بمَدْحِكَ الكَاذِبِ الصَّرِيفِ
لا يَعرِفُ الصِّدْقَ مِنكَ قوْلاً ... وَالكِذْبُ مِنْ شِيمَةِ الضَّعيفِ

***

وَيلٌ لِذِي حُرَّةٍ أَبِيَّةٍ ... فِيها وَذِي جَبْهَةٍ عَيُوفِ
أَجْرَوْا عَلَيْـهِ دُرَيْهِمَاتٍ ... تَضِيقُ بالمِلْحِ وَالرَّغيفِ
حَتَّى الضَّرُورِيُّ — وَهْوَ حَتْمٌ — ... يَضِجُّ مِنْ جَيْبِهِ النَّظيفِ
وَإنْ شَكا لم يَجِدْ سَميعاً ... يا وَيْحَ ذِي الرَّاتِبِ الطَّفيفِ
مَا دَامَ لَم يَلتَمِسْ وَسِيطاً ... فإنَّ شَكْوَاهُ فِي الرُّفُوفِ
وَالعَيْشُ كَالحَرْبِ فِيهِ أَمْضَتْ ... هَذِي الوَسَاطَاتِ كَالسُّيُوفِ
يا (جَارَةٌ) ضِقتُ مِنْ عَمَاهَا ... وَضِقْتُ بالمُبْصِرِ الكَفِيفِ
تَعْمَى عَنِ الضَّامِرِ المُجَلِّى ... وَتَجْعَلُ السَّبْقَ لِلرَّدِيفِ

علي شرف الدين

من أزهار الشر

لشارل بودلير

منظر

إننى أود أن أرقد على مقربة من السماء كعلماء الفلك ، لكى أنظم قصائدى الروحية فى جو من الطهارة وأن أكون راقداً بجوار أجراس أصغى إلى أناشيدها المهيبة التى تحملها الرياح ، سابحاً فى أحلامى .

حين أطل من علّيتى ، وقد ذقنت على راحتى ، سأشاهد العمال فى مصنعهم ينشدون الأغانى ويلغطون ، وسأرى المداخن والأجراس ، وصوارى المدينة ، والسماء المترامية الأطراف التى تجعلنا نفكر فى الأبدية .

***

إنه لبديع أن ترى ، خلال الضباب ، النجمَ حين يتهلل فى زرقة السماء ، والمصباحَ فى النافذة .

وأن ترى أنهار الدخان ، وهى تتصاعد إلى قبة الجوزاء ، والقمر ينثر إشراقه الشاحب .

سأرى الربيع والصيف والخريف ، وعند ما يُقبل الشتاء ، بصقيعه الممل ، سأغلق الأبواب والشبابيك لكى أشيد قصورى الخيالية الرائعة ، تحت جنح الظلام .

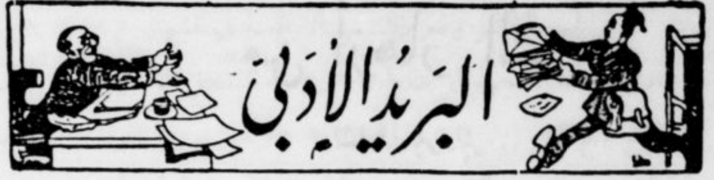
***

حينئذ أهفو بأحلامى إلى الآفاق الزرق ، وإلى الرياض ، والينابيع التى تذرف دموعها على المرمر ، وإلى القبلات ، والطيور التى تغرد صباحاً ومساء ، وإلى كل ما فى الهوى من براءة الطفولة .

ولن تستطيع الرياح ، مهما ثارت وعصفت بنوافذى أن ترفع جبينى من فوق مكتبى ،

لأننى سأكون ذاهلاً فى تلك النشوة التى أجدها حين أبعث الربيع بمشيئتى ، وحين أنتزع شمساً من فؤادى ، وحين أخلق جواً دافئاً من خواطرى الملتهبة .

ترجمة عثمانه على عسل



الدكتور أمين المعلوف باشا

فى ليلة الخميس ٢١ يناير لفظ العالم الجليل الدكتور أمين المعلوف باشا نفسه بعد مرض طويل حجبه عن الناس ومنعه عن العمل ، فشق نعيه على جمهرة العلماء والأدباء ، ممن عرفوا فضله على العلم واللغة ، وعلموا مكانه فى الأدب والخلق ، وصادقوا فيه الرجل الذى لا يتغير ، والعالم الذى لا يدّعى ، والعامل الذى لا يكل . كانت حياته رحمه الله كحياة النبع الصافى يرسل حوالبه النماء والخصب من غير هدير ولا كدورة . ثم توفاه الله أمجد ما يكون ماضياً وأطيب ما يكون سمعة . كان ضابطاً ممتازاً فى القسم الطبى بالجيش المصرى ، ثم قضى بضع سنوات فى الخرطوم . ولما قامت الحركة العربية فى الحرب الماضية انضم إليها ، وكان من العاملين الصادقين فيها . ثم اختاره المغفور له الملك فيصل الأول كبيراً لأطباء جيش العراق ، فأدى واجبه العلمى والعسكرى على أفضل وجه حتى ارتقى بفضل كفاءته وحسن بلائه إلى رتبة فريق . ثم بلغ سن التقاعد فرجع إلى القاهرة واشتغل بالبحث والتأليف فنشر مقالات ممتعة فى الحيوان والنبات والمصطلحات العلمية والشوارد اللغوية ، ووضع فى الحيوان قاموساً يعتبر مرجعاً فى بابه . وقد اتصف الفقيد بالوفاء والمروءة والإباء ، فأحلته جميع هذه الصفات منزلة رفيعة بين جميع من اتصلوا به .

رحمه الله رحمة واسعة وعزى عنه أسرته وأمته خير العزاء

١ — الأوامر بين الطاعة والعصيان

فى العدد ٢١٢ من مجلة « الثقافة » مقال للأستاذ أحمد أمين بك عنوانه (فى الطريق) . وهو مقال ينطوى على فكرة دقيقة تستحق الإشارة وتستوجب التعقيب . فالأستاذ يظهر فى كلمته العجب البالغ من هذه الطاعة التى يحظى بها « عسكرى المرور » ويذهب فى تعليل ذلك إلى احتمالات شتى ينتهى برفضها جميعاً : فليس لشخصية عسكرى المرور عنده أثر فى إيجاد هذه الطاعة ، لأن هناك « من هم ضعاف الشخصية ويسمع لقولهم فى الطريق كأقوياء الشخصية سواء بسواء ... » وليس لـ « قوة القانون » ، ولا للخوف من « العقوبة الحتمية السريعة » التى يستتبعها الإخلال به ، أثر أيضاً فى تحقيق ذلك الخضوع العجيب . ولهذا يحار الأستاذ -- كما يقول — فى بيان السبب فيتركه لقرائه . وهو يستعرض عقب هذا أوامر الأطباء التى تخالف ، وأوامر الواعظين التى ترد وترفض ، ثم أوامر المعلمين ، وأوامر العسكرى نفسه ـ إذا جاوز المرور إلى البائمين والبائمات ـ وأوامر التسعيرة ؛ تلك الأوامر التى تهمل جميعاً ويجملها كل مأمور بها تحت قدمه ودبر أذنه ؛ أو يحتال على التخلص منها بألطف الحيل وأعجب المحاولات ... ويخلص الأستاذ من هذا إلى تقرير الحقيقة التالية وهى أن « فعل الأمر وحده لا يكفى فى التنفيذ ، وإنما يحمل على التنفيذ أمران ممتزجان أتم الامتزاج ، فعل الأمر ونفسية الآمر . فإذا كانت نفسية قوية وجدت السامع تتخاذل نفسه أمام الأمر ، وأحس أنه أمام قوة كهربائية هائلة ، فاضطر إلى تنفيذ فعل الأمر رغم أنفه » إلى آخر ما ورد فى المقال

ولقد فات الأستاذ فى هذا الموضع الإشارة إلى نقطة دقيقة كان ينبغى أن يوطد عليها نظريته فى الطاعة ؛ تلك هى (شعور المأمور ونفسيته) لا حيال الآمر فى قوة شخصيته وضعفها ، بل حيال الأمر نفسه فى نفعه له أو ضرره ، وفى مبلغ إدراكه لهذا النفع أو الضرر

فالمريض لا يقرن أمر طبيبه بقوة شخصيته أو ضعفها ، فينفذه أو يخل به بحسب ذلك . وإنما يقرنه بمبلغ شعوره الخاص إزاءه .

ولتوضيح هذا نقول إن أكثر المخالفة إنما تقع فى دور النقاهة والإبلال من المرض ، حين يستروح المريض نسيم العافية ، ويرى أنه جاوز غمرة الداء وسلم من مضاعفاته . فقد يدخل فى وهمه إذ ذاك أن أوامر الطبيب إنما هى من قبيل الاحتياط والتوقى ، فلا عليه من مخالفتها أو إهمال الدقة فى تنفيذها ، إذ الضرر فى ذلك يسير محتمل ، إن لم يكن وهماً متخيلاً قد لا يتحقق له وجود . ولو عرف المريض ما يجر عليه هذه المخالفة وتيقن سوء مغبتها ، لما أقدم على خلاف الطبيب فى أمر له ، جل أو حقر .

ومثل هذا نقوله فيما يُرى من مخالفة أوامر الوعاظ والمعلمين ،

وأوامر التسعيرة ، وأوامر العسكرى نفسه « حين يجاوز المرور إلى البائتين والبائمات » ...

ويؤدى بنا تقرير هذه الحقيقة إلى إدراك السبب الذى حار الأستاذ فى بيانه فتركه لقرائه ... إذ أن مخالفة « عسكرى المرور » فى إشارته معناها الموت المحقق تحت عجلات سيارة قادمة ، أو قاطرة ترام مندفعة ؛ وطاعة أمره هى النجاة بعينها من موت محتوم والسلامة من خطر ماثل يستشعره القلب وتراه العين . وهل يتردد العاقل لحظةً فى الاختيار بين سبيلين : أحدهما مُفض إلى الموت والثانى موصول بالسلامة محفوف بالنجاة والعافية ؟ ...

٢ — أين السليط من « السالاد »

يقول العلامة الكبير الأستاذ وحيد الأيوبى فى إجابة له عن معنى السليط ـ الزيت ـ : « أرى أن منه ما يقال له « سلطة » بفتحتين Salade » . . . وقد يوهم هـذا الكلام أن ثمة علاقة لفظية أو معنوية بين الأصلين العربى والإفرنجى ؛ وتسجيلاً لرأيى فى هذا الموضوع أقول :

جاء فى قاموس القرن العشرين ـ الإنجليزى ـ فى شرح مادة Salad ما خلاصته أن هذه اللفظة تطلق على مركّب غذائى يتألف من عدة نباتات غير مطبوخة كالخس والهندباء والخردل والجرجير والبصل والطماطم وغيرها ... تقطع جميعاً وتعالج بالملح والخل وأصناف التوابل ...

وثمة نوع من الزيت ـ زيت الزيتون خاصة ـ وعصارة لبعض الأفاويه المعروفة ، يستعملان فى « تهيئة » هـذا الإدام المشار إليه، ولذا يطلق عليهما اسم Salad-Oil أو Salad-Dressing فهذا كل ما وجدناه من علاقة بين الزيت المعروف ومدلول كلمة Salad . أما السليط فى اللغة العربية فهو ـ كما ورد فى القاموس ـ « الزيت ، وكل دهن عُصِر من حَبّ » ولا يخرج إلى معنى غير هذا ...

ومن ثم يتضح انقطاع العلاقة فى المعنى بين الأصلين العربى والأجنبى ، كما يتضح لنا انقطاع العلاقة اللفظية بينهما أيضاً ، إذا عرفنا أن كلمة Salad الإنجليزية ، و Salade الفرنسية ، و Salata الإيطالية بمعنى ملح . وواضح أن كلمة (سَلَطة) فى لهجتنا العامية تحريف لأحد هذه الألفاظ الأعجمية تسرب إلينا بحكم المخالطة ؛ فهى لا تمت إلى الأصل العربى بأدنى سبب

ومن الغريب أن الاستعمال المجازى لهـذه الكلمة جرى فى اللغة العربية وفى غيرها مجرى متقارباً ؛ فمن معانى السليط عندنا : الشديد ، والحادّ من كل شىء ، والرجل الصخّاب (والمرأة سليطة) ... ويسمى الإنجليز أيام الشباب الموجاء التى ينقصها الحنكة والتجارب Saladdays

على أن هذا التشابه الذى أوجدته الصدفة المحض بين الأصلين — فى لفظهما وفى معناهما الحقيقى أو المجازى — لا يحول بيننا وبين أن نقرر تمامَ انقطاع الصلة بينهما ؛ إلا أن يُثبت لنا أحد الأدباء بدليل قاطع وجود علاقة بين الأصلين العربى واللاتينى، وهذا ما لا نستطيع الجزم به ...

بقى أن نشير إلى أننا حاولنا تتبُّع اللفظ العربى إلى أصوله — إن كانت توجد — فى اللغتين العبرية والسريانية ؛ ولكن لم تُسعد المصادر التى بين أيدينا الآن على تحقيق هذه الرغبة ؛ فهذا باب آخر للبحث نتركه مفتوحاً لمن يحسن وُلوجَه ... والله يهدينا جميعاً إلى الحق .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

الرجولة والرجولية

يذهب بعض علماء اللغة فى كتبهم إلى التفرقة بين « الرجولة والرجولية » فيقولون : إن « الرجولة » مصدر يدل على مجرد الحدث وأما « الرجولية » فمصدر صناعى يدل على الحدث مع الدلالة على معنى المروءة والإقدام وحماية الذمار الخ . ويعللون لذلك بأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى

ويذهب بعضهم الآخر إلى أنه لا فارق بينهما ، فكلاهما مصدر لا يدل إلا على مجرد الحدث ، كما أنه لا فارق بين الطفولة والطفولية ، ويستدلون لذلك بأن معاجم اللغة تذكرها دون أن تفصح عن فرق بينهما ولو كان لنبهت عليه .

وأما قولهم (إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى) فذلك لبيان الغالب وليس بمطرد ...

فأى الرأيين أجدر بالصواب وأحق بالإتباع ؟ هذا ما أسأل قراء الرسالة عنه ولهم جزيل الثناء . **على محمود الشيخ**

« إشراقة » ديوان التيجاني بشير

في سنة ١٩٣٥ حملت « الرسالة » الغراء لواء دعوة من أكرم الدعوات ، إذ بدأت تنشر على صفحاتها فصولاً تعرّف القراء فيها بالنهضة الأدبية الحديثة في الأقطار العربية ، وكان من وراء ذلك أن رأينا أقلاماً عربية قوية تسمعنا أصوات أصحابها من الأقطار الشقيقة في ميداني النثر والشعر ؛ وكان من بين هذه الأصوات التي انبعثت من فوق منبر « الرسالة » صوت شاعر الشباب السوداني التيجاني يوسف بشير الذي لم يمهله القدر فاستأثر به في عام ١٩٣٧ عن خمسة وعشرين عاماً استطاع في أثنائها على قلتها أن يسمعنا أغاريد مشجية من الشعر السوداني الحديث !

وقد قام الوجيه السوداني المعروف الأستاذ علي البرير بطبع ديوان المرحوم التيجاني « إشراقة » على نفقته الخاصة وأهداه إلى روح ناظمه ، وصدره بكلمة للأستاذ الكبير محمد محمود جلال عن قصته مع الشاعر ، وكلمة للدكتور زكي مبارك عن الروحانية السودانية ، وسيوزع ريع الديوان على ذوي الشاعر ومواطنيه .

وقد ظهر فيما يقرب من ١٠٠ صفحة ، ويحوي قصائد جيدة للشاعر في الوجدانيات والإخوانيات والوطنيات والتصوف والرثاء والوصف وغير ذلك . وشعر التيجاني يمتاز بعمق الفكرة ورصانة الأسلوب والإحاطة بالموضوع والافتنان في المعاني ، ولا تتسع كلمة عابرة كهذه لتفصيل القول في ذلك ...

ونحن ننتظر أن يلقى الديوان ما هو جدير به من الإقبال ، وأن يعنى بدراسته والكتابة عنه أدباؤنا ، فهو أصدق صورة للشعر الحديث في القطر الشقيق !

أحمد الشرباصي

البكاء بعين واحدة

كنت وما زلت معجباً بأبيات الصِّمَّة بن عبد الله القشيري التي يقول في مطلعها :

حننت إلى ريا ، ونفسك باعدت ... مزارك من ريا وشعبا كما معا

وكنت أقف عند هذا البيت الذي يقول فيه :

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

فأعجب كيف اتفق لهذا الشاعر أن يبكي بعين واحدة ، ثم يعود فيبكي بكلتا عينيه ؟! وكنت أتساءل : هل يتفق هذا لكل الناس أم أنها حال خاصة لا تخضع لقانون ثابت ، ولا تجري على سنة مطردة ؟... وأخذت أفكر فخطر لي أن هذا الشاعر قد يكون أعور ، فيتصور منه البكاء بعين واحدة ، وبدا لي هذا الخاطر معقولاً لولا اعتراض قام بالذهن ، هو أن كون الشاعر أعور إنما هو محض افتراض لا يقوم على أساس ، ولا ينهض على دليل . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هل يمكن أن تدمع العين العوراء حتى يتصور بكاء الأعور بكلتا عينيه ؟ وأخذت أبحث عما يدفع هذا الاعتراض ، ويصحح ذلك الافتراض ، وأخيراً وفقت إلى ذلك – وما توفيقي إلا بالله – فقد قرأت في « عبقرية عمر » للأستاذ الكبير العقاد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل متمم بن نويرة ، وكان هذا شديد الحزن لقتل أخيه مالك : – ما أشد ما لقيت على أخيك من الحزن ؟ فقال : كانت عيني هذه قد ذهبت فبكيت بالصحيحة فأكثرت البكاء ، حتى أسعدتها العين الذاهبة وجرت بالدمع . ثم قرأت هذه الأبيات في الجزء الثالث من شرح ديوان الحماسة فوجدت التبريزي الشارح رحمه الله يعلق على البيت السالف بقوله : وإنما قال : « بكت عيني اليسرى » لأنه كان أعور

وبذلك سقط الاعتراض وصح الافتراض . والله أعلم .

ابراهيم محمد نجا

الشعر وجامعة فاروق

نهضت الحركة الأدبية بالثغر الحبيب نهضة مباركة منذ بزغت شمس جامعة فاروق . ولا غرو فإن حيوية الأدب لا تنتشر وتكتسب كما قال أستاذنا الكبير الزيات ، إلا « بمخالطة الصفوة من رجال الأدب ... وأنه إذا كان الاستمرار على دراسة الروائع الأدبية ضروري لضمان الخلود ، فإنه ولاريب يكون لذوي القرائح الناشئة ضرورياً لاستكمال الوجود »

وإن أصدق شاهد على صدق هذه القولة الحكيمة من صاحب « الرسالة » الغراء ، أن روح الأدب قد تألقت مع إنشاء الجامعة الجديدة ؛ فكان من مظاهر هذه النهضة تكوين جماعة للشعر لأول مرة في كلية الحقوق يشرف عليها مدرس الشريعة الأستاذ عبد الفتاح البانوبي ، ويرأسها الشاعر حسين محمود البشبيشي

ولقد أقامت الجماعة مهرجانها الأول بدار الجامعة في الأسبوع الماضي ، ألقيت فيه بعض القصائد الجياد . وستوالي الجماعة إقامة مهرجاناتها الشعرية شهرياً ، وستختمها بمهرجان كبير يشترك فيه شعراء الإسكندرية المبرزون

عبد العزيز البسي

11me Année No. 501

Lundi - 7 - 2 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ عن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٠١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢ صفر سنة ١٣٦٢ — الموافق ٧ فبراير سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهــرس

صفحة

١٠١ بين الأخوة . . ... : أحمد حسن الزيات . . ..
١٠٣ هل أدت الجامعة رسالتها ؟ : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٠٧ الحكم الذاتى فى المدرســة : الأستاذ السيد يعقوب بكر ...
١٠٩ من أزهار الشر ... ... { للشاعر « شارل بودلير » . . بقلم الأســتاذ عثمان على عسل
١١٠ الحضارات القديمة فى القرآن : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١١٢ ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربيــة ... . { الأستاذ عيسى محمود ناصر ...
١١٥ السيطرة على الجو ... ... : الأديب عبد المنعم محمد الزيادى
١١٧ عاطفــة الأبوة فى « أعاصير مغرب » ... ... { الأستاذ إدوارد حنا سعد ...
١١٨ على الشاطئ [قصيدة] ... : الأديب إبراهيم محمد نجا ...
١١٩ أين « الرســالة » ؟ ... : الأديب عبــد المعطى المسيرى
١١٩ حول رسالة الجامعة ... : الأديب أحمد الشرباصى . .
١١٩ جامعــة الأسكندرية ... : الأستاذ أبو الفتوح عطيفة ...
١٢٠ إجابة ... ... : الأستاذ الكبير « وحيد »
١٢٠ أين السليط من السلاد . . : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
المسرح والسينما ... ... : الأديب عبد الفتاح متولى غبن

فى السياسة القومية

بين الاخـــــوة . . .

أسرتان أختان ورثتا أمجاد الدهر ، ورفعتا أركان الحضارة ، وعاشتا على النعماء والبأساء ثلاثة عشر قرناً يظلهما وطن كريم ، ويغذوهما نهر فياض ، وترعاهما شريعة سمحة ، وتربط بينهما أواصر خالدة من صلة القربى ، وحرمة الجوار ، ووحدة المنفعة ، لا يجوز أن يعبث بوحدتهما المقدسة عابث لنزوة غضب أو شهوة خلاف .

تلك كانت كلمتى لصديق ف . ب ، وهو من سراة الأقباط الذين اعتقدوا مبادئ الوفد منذ وضعها الزعيم العظيم سعد ؛ قلتها له حين أنكرت فى بعض حديثه معنى من معانى العصبية المفرّقة التي ماتت ألفاظها فى لغتنا المصرية منذ طويل . وكان صديق هذا إلى يوم قريب لساناً من ألسنة الوفد ، يؤمن برسالته ، ويخلص لسياسته ، ويخضع لزعامته ، ويعتقد أن مبادئه هى الدّين المشترك الذى تصلح عليه الأمة ، وتتحقق به المساواة ، وتشرق فيه العدالة ، ويطَّهر به الدم المصرى من جراثيم الفرقة فلا يكون لابن النيل إلا وصف واحد يُشتق من مصريته ، لا من عقيدته ولا من عنصريته . فما هو إلا أن غضب من رجال الوفد غاضب ينتمى إليه حتى أصبحت مبادئ الوفد كفراً ، وسياسته غدراً ،

وزعامته فجراً، وحكمه محاباة؛ وحتى صار الخلاف بين رجل ورجل، خلافاً بين عنصر وعنصر، وبين دين ودين، وبين كثرة وقلة سوى بينهما الفضل لا العدل، فلم يعد هناك كثرة ولا قلة، ولا عزة ولا ذلة، ولا قرابة ولا بعد

أهكذا يا صديقى نُحكِّم الهوى فى الرأى، وننصر العصبية على الوطنية، ونصدع ما أراد سعد أن يُرْأب، ونقطع ما أمر الله أن يوصَل؟ إن كان لم يقنعك ما قلت، فإنى لأرجو أن يقنعك ما أكتب:

إن توحيد الأمة معنى من توحيد الله لا يوسوس بتوهينه فى الصدور إلا شيطان. وإن هذا الشعب المفطور على السماحة والوداعة والألفة، لم يسجل عليه تاريخه الطويل أن بعضه تعصب على بعضه إلا بمكر الدخيل أو غدر الخائن. وإن الإسلام الذى رتع فى ظلاله اليهودى المضطهد، والأرمنى المبعَد، والروسى المهاجر، والأوربى المستعمر، لا يمكن أن يكون مصدر شقاق بين عنصرين شقيقين خلقا من طينة واحدة، ونبتا فى مغرس واحد. وإذا جاز للأجنبى أن يعكر الماء ليصيد، ويفرق الأهواء ليستفيد، فلا يجوز للوطنى البر أن يمزق الوحدة لينتقم، ويوقظ العصبية ليغلب!

لقد كان التمييز بين المصرى وأخيه بالإسلامية والقبطية، أو « بالأكثرية والأقلية »، أثراً من آثار الحكم الجاهل، أو أداة من أدوات الاستعمار اللئيم. ومصداق ذلك أن الأمر لم يكد يصير فى أهله حتى امّحت الفروق، وشاعت الحقوق، وتعانق الهلال والصليب، وتآخى الشيخ والقس، وماتت الصحافة الطائفية، وأصبح المصريون أمة واحدة تجد فيها المسلم والقبطى، كما تجد الوفدى والدستورى، ولكنك لا تجد للعقيدة الدينية أو النحلة السياسية أثراً سيئاً فى علاقة خاصة أو معاملة عامة. وبهذه الوحدة المقدسة تميزت مصر على أمم الشرق، وقدمت إليهن مثلاً عالياً فى الوطنية الصادقة والسياسة الحكيمة

إن تقسيم الناس على عدد الأديان والألوان خلق من أخلاق الجاهلية لا تزال الإنسانية تقاسى ما ورثت من عقابيله. وإن استغلال هذه المعانى اليوم فى تحقيق غرض من أغراض السياسة وسيلة مكيافيلية لا يطمئن عليها ضميرحى. وإن زعمك يا صديقى أن غضب الأسرة لغضب واحد منها نزعة فى أصل الطبع لا حيلة فيها، يكون له مساغٌ فى العقل إذا كان الغضب لها والخلاف من أجلها، أما إذا كان الشقاق والانشقاق لخلاف فى السياسة العامة، فإن فى مغالبة فريق بفريق، ومواثبة عنصر بعنصر، دليلاً على نية سوء لا يصلح صاحبها أن يكون زعيماً يطاع ولا إماماً يتّبع.

* * *

لا يا صديقى! لم تكن فكرة التميز والتحيز فى عهد من العهود سبيلاً إلى مصلحة الوطن؛ فإن تقسيم الحقوق والواجبات على مقتضى النسبة العددية شديد على الفريق الأقل. وإن انقسام الأمة إلى فريقين متعارضين، خليق بما يحمل من معانى الأثرة والتعصب أن يوقع الوحشة بين الإخوة فلا يجمعهم ظل ولا تدنيهم مودة

لك يا صديقى ولجميع الناس أن تختلفوا وتختصموا؛ ولكن عليك وعلى جميع الناس أن تراعوا جانب الحق فى الخلاف، وتؤثروا سلاح الحق فى الخصومة. وما دمتَ من رجال السياسة وطلاب الحكم فيجب أن يكون رأيك للجماعة وسعيك للجميع. أما أن تفرق لتسود، وتقسم لتقود، فذلك جرم وطنى لا تسعه مغفرة

إتقوا الله فى الوطن يا صديقى، ولا تفتحوا عليه باب الفرقة فإنه باب ظاهره فيه الخراب، وباطنه من قِبَله العذاب

لا تقولوا نحن وأنتم، ولا فعلنا وفعلتم؛ فإنها من بقايا الجمل التى كان يلقيها علينا الأجنبى فنمضغها مضغ الجيف، ثم لا يأمن بها عيش ولا يسمن عليها بدن

نحن وأنتم إخوة توشّج ما بيننا من صلات النسب على طول القرون. فإذا قيل لكم إنكم طائفة فى أمة، وذمة فى دين، وعصبية فى حزب، فادفعوا هذا القول الظنين بمنطق الوطنى المؤمن، واربأوا بأنفسكم أن تكونوا مطايا ذُللاً لأصحاب المطامع يتقحمون بكم مزالق السياسة. واذكروا أن أثمن ما غنمناه من جهادنا الطويل هو توحيد الأمة، وأن توحيد الأمة كما قلت معنى من توحيد الله لا يوسوس بتوهينه فى الصدور إلا شيطان

احمد حسن الزيات

هل أدت الجامعة رسالتها ؟

للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات

في عصرية السبت الماضي أقيمت مناظرة في كلية الآداب أريد بها تحديد المدى الذي وصلت إليه الجامعة في تأدية رسالتها العلمية والأدبية والاجتماعية ، واشترك في المناظرة طالب وطالبة ، واثنان من الخريجين ، واثنان من المدرسين ، وقد دامت المناظرة نحو ثلاث ساعات ، وحضرها جماهير من بيئات مختلفات ، ولم يقع فيها ما يسوء برغم العنف الذي ثار تصريحاً أو تلميحاً بين المؤيدين والمعارضين . ومع أني كنت أؤيد الرأي فقد راعتني الحجج التي قدمها من عارضوني ، لأن أحدهم وهو الأستاذ حسين دياب حضر ومعه عددان من مجلة (الرسالة) فيهما كلمات تشهد بأني قلت مرتين بأن الجامعة لم تؤد رسالتها على الوجه المنشود

كانت كلمتي مكتوبة ، ولكني اختصرتها لضيق الوقت ، فتجمع الحاضرون حولي عند الانصراف ، ورجوني أن أنشرها في « الرسالة » كاملة ليقرأوا ما فاتهم أن يسمعوه ، فأنا أقدمها إلى « الرسالة » تحقيقاً لذلك الرجاء النبيل

وتكميلاً للغرض أسوق الملاحظات الآتية :

١ — أجمع المعارضون أن الصلة بين الجامعة وخريجيها منقطعة تمام الانقطاع ، وأن الجامعة لا تعرف غير من تراهم من الطلبة والمدرسين . ولو كانت الجامعة أدت رسالتها لكان من الواجب أن تهيئ لأبنائها القدماء فرصة التلاقي في رحابها في كل عام مرة أو مرتين

٢ — كان اللحن الفظيع يغلب على بعض المعارضين ، وكان الجمهور يقابل اللحن بالضجيج ، وقد اعتذر أحد المعارضين بأن لحنه من الشواهد على أن الجامعة لم تؤد رسالتها ، فكان ألطف اعتذار في التاريخ الحديث !

٣ — وردت في خطبتي كلمة موجهة إلى العميد ، فأسرع بعض المدرسين ليسر في أذني كلاماً يرجوني فيه ألا أحرج العميد وكان الظن أن يدركوا أن العميد أقوى مما يظنون ؟

٤ — كان اثنان من المدرسين المشتركين في المناظرة يقلدان الدكتور طه حسين في التعابير وفي مخارج الحروف ، وهذا دليل على ضعف الشخصية ، فأنا أحب أن يكون لكل خطيب وجودٌ خاص

٥ — المنطق قد انعدم في بعض أقوال المعارضين ، فقد توهم أحدهم أن الجامعة لا تؤدي رسالتها إلا إذا عمل خريجوها بالمجان في جميع الميادين ، ونص بالحرف على أن الأطباء في المستشفيات يتناولون مرتبات ، وهذا في رأيه ينافي الروح الجامعية

٦ — الألفاظ كانت فضفاضة عند بعض الخطباء حتى كدت أحس أن المناظرة لا تدور في المدرج الأكبر بكلية الآداب !

٧ — كان أحد الخطباء يوهمنا أنه يرتجل مع أنه حفظ خطبته عن ظهر قلب !

٨ — حدثنا أحد المعارضين عن تقاليد الجامعات الأوربية بكلام هو غاية العجب ، مع أن عينه لم تكتحل برؤية جامعة أوربية ، كما قال أحد المؤيدين ، فمن أين استقى هذا المدرس الفضال معلوماته المبعثرة عن تقاليد الجامعات الاوربية ؟

٩ — الأديب سعيد محروس كان يقلد الخطيب محمد شكري في الإشارات والنبرات ، وهذا دليل على أن الروح لا يموت ، فقد كان محمد شكري أظهر خطباء الثورة ، ثم انهزم لأنه عجز عن مسايرة الأحزاب

١٠ — الآنسة كوثر عبد السلام أجادت في المعاني ، ولكنها عقت النحو عقوقاً لا يطاق . فذكرتنا بقول أحد الشعراء :

منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيا ... نا وأحلى الحديث ما كان لحنا

١١ — حضر الأميرالاي علي حلمي لشهود المناظرة ، وفي الطريق إلى المدرج لقينا الدكتور محمود عزمي ، فقال له سعادة الأميرالاي : لعلك حضرت لنفس الغرض ! فقال الأستاذ محمود عزمي : إن عندي حصتين في معهد الصحافة . فقلت : هات تلاميذك ليشهدوا المناظرة ، فقد يختزنون مناظر تنفع في حياتهم الصحفية ، فاعتذر بلطف وانصرف

هذه هي الصحافة التي تعرفها كلية الآداب ، صحافة نظرية لا عملية ، صحافة تأخذ وقودها من التاريخ لا من الحياة ، صحافة

تنكر الرحلات من حجرة إلى حجرة فى مكان محدود ، مع أن من واجب الصحفى أن يرتحل من قطب الشمال إلى قطب الجنوب

أما بعد فأنا آسف على ما أثبت فى خطبتى من أن كلية الآداب خدمت الصحافة بانشاء معهد الصحافة ، ولن أمحو ما أثبت ، لأنى لا أريد التسجيل ، وإنما أريد الإيحاء

ولم يبق إلا أن يتفضل أخى الاستاذ الزيات فينشر خطبتى بالحرف ، مع الرجاء فى أن يتذكر أنى لم أثن على الجامعة المصرية بغير الحق ، رفع الله دعائمها إلى الأبد ، وجعلها منارة باقية إلى آخر الزمان .

***

أيهـا السادة (١)

حين دُعيت للمناظرة فى هذا الموضوع الطريف قلت لنفسى: إن لجنة المناظرات بكلية الآداب هبط عليها الوحى من حيث لا تحتسب ولا تعرف ، فإن هذا الوقت هو أنسب الأوقات لوزن أعمال جامعة فؤاد الأول . ألم تسمعوا بأن الاحتفال الرسمى بافتتاح جامعة فاروق الأول سيكون فى الأسبوع المقبل ؟

إن فى ذلك لفرصة لوزن ما لجامعة القاهرة وما عليها بالعدل والقسطاس ، وهو أيضاً توجيه لجامعة الاسكندرية ، فما أظنها تكره أن تمدّ إليها يد الرفق ، لنعاونها على مصارعة الأمواج ، وهى فى بلد الأثباج

وكان المنتظر أن أكون فى الصف الذى ينكر أن تكون الجامعة قد أدت رسالتها ، ولكن لجنة المناظرات رأت أن قوتى فى الهجوم ، فبخلت بإعطائى فرصة جديدة أرفع فيها العَلَم لقلمى وبيانى ، فى المكان الذى صاولت فيه كبار الرجال ، بغير تهيب لعواقب الصيال

أو لعلها أرادت أن أشهد علانية بتمجيد الجامعة بعد أن حاربت من حاربت من رجالها الأبطال . إن كان ذلك ما أرادت فلن تنال ما تريد ، لأن من رسالة الجامعة أن تروض أبناءها على الخلاف ، ونحن نختلف أقل مما يجب ، ويا ويلنا إذا لم نختلف !

فلا تحسبونى أغمدت القلم الذى أعددته لمصاولة زملائى ، ولا تتوهموا أنى سأعفى الجامعة من النقد الصريح ، يوم أراها تقع فيما يوجب الانتقاد ، فأنا أومن بأن الحرب حياة وبأن الصلح موت ، وأنا الذى قال حين تنادى رجال الأقلام إلى الوفاق :

دعوتم إلى وأد الخلاف فحاذروا   عواقب حِلفٍ خيرُ آثاره الختل

دُعوا الصلح للأموات فهو غذاؤهم   هنيئاً لهم ذاك المكان الذى حلّوا

ألاَ هل سمعتم أن قبراً تحركتْ   حجارته فانزاح من فوق الثِّقْلُ

يجوز لقومٍ غيرنا أن يؤلفوا   عصائب يحميها من النكثة الفتل

ونحن رجالٌ سرُّنا فى خلافنا   وقوّتنا العليا هىَ الفتك والصول

تآخى الظباء الرُّود رمزٌ لضعفها   وهل تعرف الآساد ما الجمع والشمل

أيهـا السادة :

أتذكرون المناظرة التى اشتركت فيها بهذا المكان منذ سنتين أو ثلاث ؟

لقد جئت وبيمينى صحائف مكتوبة ، لآمن التزيد الذى يستبيحه بعض المتناظرين ، رغبة فى كسب الأصوات ، أو طمعاً فى التغلب على مفكر لا يعتزّ بغير العقل والبيان

وقد رأيت أن ألقاكم بصحائف مكتوبة ، مع أن مقامى هذا لا يحتاج إلى احتراس ، بعد أن أعفتنى لجنة المناظرات من النضال حين خصّتنى بالجانب الأقوى فى مناظرة هـذا المساء ، فاعرفوا أنى قيدت كلامى ، لأنى سألقيه فى أحد مدرجات الجامعة ، والجامعة لا ترضى لأبنائها أن يتركوا الأوابد بلا قيود

ولكن كيف أخاف الإسراف فى إبراز محامد الجامعة ، وليس فى الخير إسراف ؟

الجامعة هى كل ما غنمنا من جهاد الأعوام التى أربت على الستين فى مقاومة الاحتلال

الجـامعة هى صوت مصر فى الشرق ، وقد اختارت الضفة الغربية من النيل رمزاً لما تسمو إليه من نقل عقل الغرب إلى روح الشرق

إن الجانب الذى سأتحدث عنه هو الجانب الأقوى ، ولكنه مزعج ، لأنه سيقهرنى على مواجهة مشكلة من أصعب المشكلات ، وهى توضيح الواضحات ، وهل ينكر أحدٌ أن الجامعة أدت

(١) من هنا تبتدئ الخطبة التى ألقى جزء منها فى المناظرة ، بلا تبديل ولا تعديل

رسالتها قبل أن يولد بعض مناظرىّ فى هذا المساء ؟

لم تكن للجامعة رسالة واحدة ، وإنما كانت لها رسالات ، وإليكم يساق الحديث :

كانت رسالتها الأولى أن تختبر العزائم والقلوب ، لتعرف استعداد الأمة للتحليق فى الجواء العالية ، يوم كان جماعة من خلق الله يقولون : إن السياسة الحكيمة للتعليم هى إعداد موظفين مصقولين . ونحن نعرف المراد من ذلك الصقل ، فقد كان الغرض أن يكون عندنا موظفون لا يقولون « لا » ولو فى التشهد !!

وقد كان المظنون أن تخفق الجامعة فى تأدية تلك الرسالة ، فقد كان الأمر يومئذ إلى حكومة مصقولة ، حكومة تستهدى الاحتلال فى حل بعض المعضلات ، وكان الاحتلال يرى أن مصر تحتاج إلى كتاتيب لا إلى جامعات

فهل أفلحت الجامعة فى إيقاظ الروح القوى لتشعر المحتلين بأن مصر شبّتْ عن الطوق ، وانتهت من أبجديات الكتاتيب ؟

هو ذلك ، فقد أقبلت الأمة على تأييد الجامعة إقبالاً منقطع النظير ، إقبالاً يشهد بأن فى الجسم الوهين عروقاً نابضات ، وأن مصر علّمت فلاسفة الإغريق والرومان فى العصر القديم ستكون موئلاً علمياً لليونان والطليان فى العصر الحديث

تلك الرسالة الأولى ، فما الرسالة الثانية ؟

كانت الرسالة الثانية أن تجد الجامعة طلاباً يسمون للظفر بإجازات علمية ، لا تعترف بها الحكومة المصرية ، طلاباً لا أمل لهم فى الوظائف والمناصب ، ولا حظ لهم غير التشرف بخدمة الدراسات العالية ، فى زمن كان فيه تراب الوظيفة أثمن من التبر المسبوك ، وأروع من خيوط الضياء

وذلك عهدٌ عرفته بدمى وروحى ، وعرفه معى زملاء من أبناء الجامعة فى عهدها الأول ... كنا يتامى ، وكان اليُتم المضطهد بعض ما ورثنا عن الأنبياء

لم يكن للجامعة ماضٍ تستند إليه ، فقد سبقتها المدارس العالية بعشرات السنين ، وسبقها الأزهر بعشرات القرون ، ولم يكن لنا إخوان فى أى ديوان ، فقد عشنا حيناً غرباء ، وكان من حق أى مخلوق أن يسخر منا كيف شاء ، والحر فى وطنه غريب

لقد حملنا أعباءنا الثقيلة بلا ظهير ولا معين ، ورحبنا بالمكاره السود ، لنقنع الأمة بأن عندنا رسالة لم يحملها أحد من قبل ، وهى رفع راية الفكر الصادق والقلم البليغ

فى ذلك العهد كنا نسمع أن علوى باشا يطوف على الوزارات عساه يجد أمكنة للعائدين الفائزين من بعثات الجامعة المصرية ، وكنا نسمع أنه يجاب بأن « الحكومة ستنظر فى الأمر » وهى عبارة ديوانية معناها أن الحكومة السنية لا تعرف من أعضاء البعثات إلا من تنفق عليهم من مالها الخاص ، كأن الجامعة كفرت حين عاونت الحكومة على تثقيف بعض أبناء الجيل الجديد !!

وحكومة مصر كما تعرفون تجهل أقدار الذين يعفونها من النفقات عند الرغبة فى التزود من الجامعات الأوربية والأمريكية لأغراض مردُّها حب السيطرة على العلم والعلماء

فهل جزعنا فيئسنا ؟

هيهات ، ثم هيهات ، فقد رحبنا بالجهاد فى مناصب الجامعة بعنفوان أقوى من عنفوان الزمان ، وقد انتصرنا على الحكومة ، وعلى الزمان

تلك الرسالة الثانية ، فما الرسالة الثالثة ؟

كان للجامعة وحىٌ يغزو القلوب والعقول ، وقد تسامى إلى غرض أعجب وأغرب ، وهو إنطاق الصخر الجلمود ، فقد أقنع الحكومة بأنْ لا بد من إنشاء جامعة فى الوطن الذى سبق جميع الأوطان إلى إنشاء الجامعات ، فتألفت لجنة حكومية عقدت فى أربع سنين جلسات تفوق الثمانين ، لتقول فى النهاية بتسمية المدارس العالية كليات ، وبعض أنصار الحكومة فى ذلك العهد كانوا يعرفون الأسماء ويجهلون المسميات

وحى الجامعة كان الوحى الصادق ، فقد انسحبت الحكومة من الميدان بعد اليأس ، وبقيت الجامعة تصنع بأحلام الشباب وقلوبهم وعقولهم ما تريد

فى تلكم الأيام كان أبناء الجامعة يقتحمون الميادين العلمية والأدبية ، وكانوا يقيمون البراهين الصوادق على أن فكرة الجامعة لن تموت ، ولو قامت فى طريقها ملايين العقبات

تلك الرسالة الثالثة

أيها السادة :

قبل أن أواجه العهد الثانى من عهود الجامعة المصرية ، العهد الذى ابتدأ فى سنة ١٩٢٥، وهو العهد الأرحب والأخصب ، أرى من الواجب أن أجمل القول فى العهد الأول ، بصورة تشعركم بقيمة الرسالات التى أدتها فى ذلك العهد

كان للجامعة مبعوثون إلى الجامعات الأوروبية من أمثال منصور فهمي ، ومحمود عزمى ، وصادق جوهر ، وأحمد ضيف . ولا ينكر أحدٌ أن مبعوثى الجامعة كانوا أقوى من مبعوثى الحكومة . وكانوا أقدر على النضال فى الميادين العلمية والأدبية والاجتماعية ، وأنا فى هذا المقام أضرب الأمثال ، ولا أحاول الاستقصاء

وكان للجامعة فى ذلك العهد أبناء تثقفهم فى دارها من أمثال : طه حسين وكمال حلمى وفريد رفاعى وتوفيق الرعشلى وأحمد البيلى وحسن إبراهيم وعبد الوهاب عزام ومحمد إبراهيم الجزيرى ، فماذا صنع هؤلاء ؟

لن أتحدث عن جهودهم بالتفصيل ، فأنتم تعرفون من جهودهم أكثر مما أعرف ، ويكفى أن أؤيد رأيى بشاهد واحد يصور لكم بعض ما صنعت الجامعة فى ذلك الحين

فى سنة ١٩١٤ تخرج أول دكتور من الجامعة المصرية ، وهو الدكتور طه حسين ، وقد قدّم لامتحان الدكتوراه رسالة سماها « ذكرى أبى العلاء » ، رسالة ظنها الناس تأليفاً كسائر التآليف ، ولكنها أدهشتهم حين طُبعت ، فقد رأوا أن للجامعة نفَساً أطيب من سائر الأنفاس ، وأدركوا أن الجامعة تخلق أبناءها خلقاً جديداً ، وأن لها رسالة جديدة ، وأنها مصباحٌ سيبذ ما سلف من المصابيح

ولم تكن رسالة الدكتور طه مثالاً يحتذيه طلبة الجامعة فحسبُ ، وإنما امتد أثرها إلى آفاق بعيدة من أقطار الشرق

وقد قدّم الدكتور طه بعد ذلك بأعوام رسالة إلى جامعة باريس عن ابن خلدون ، ولكنها ليست فى قوة الرسالة التي قدمها إلى الجامعة المصرية عن أبى العلاء ، فكان هذا برهاناً على أصالة الجامعة المصرية فى تثقيف الأذواق والعقول

ثم ماذا ؟

ثم نظرت الجامعة فرأت الحكومة تخنق التعليم فى المعاهد العالية ، فأنشأت قسم الحقوق فى أعوام عجاف ، هى أعوام الحرب الماضية ، وكانت النتيجة أن تعترف الحكومة نفسها بأن أبناء الجامعة المضطهدة أقدر من أبنائها على الظفر بالدرجات العالية .

وفى ذلك العهد كانت دار الجامعة هى الموئل لكبريات الحفلات ، ففيها أقيم الاحتفال بذكرى الشيخ محمد عبده ، مع أن الأزهر لم يحتفل بتأبين ذلك الإمام الجليل . وفيها احتُفل بتأبين فتحى باشا زغلول وعثمان باشا غالب ، وفيها احتُفل بذكرى رينان ، وفيها ألقيت عمرية حافظ إبراهيم وعلوية محمد عبد المطلب ، وعلوية عبد الحليم المصرى

وفى ذلك العهد ... ماذا وقع فى ذلك العهد ؟

كان مجلس الجامعة المصرية ينتظم أكابر المصريين ، وكان هو المكان الوحيد الذى يجتمع فيه أولئك الأكابر فى أمان من الرقباء ، وفيه تألف الوفد المصرى برياسة الزعيم سعد زغلول .

ألا تكون هذه الناحية الخطيرة جانباً من رسالة الجامعة فى عهدها الأول ؟

زكى مبارك

في التربية الديمقراطية

الحكم الذاتي في المدرسة (*)

للأستاذ السيد يعقوب بكر



سوف لا نعرض فى هذا البحث للتجارب التى أجريت فى هذه المسألة ؛ فإن هذه التجارب كثيرة كثرة لا نستطيع معها حصرها فى بحث مثل هذا البحث ؛ وهى كذلك ذات صبغة بيئيّة إن صحّ هذا التعبير ، فهناك تجارب إنجليزية وتجارب أمريكية وتجارب أسترالية وتجارب فرنسية ، وطبيعى أن هذه التجارب لا تهمنا كمصريين لهم بيئتهم الخاصة وتعليمهم الخاص الذى توحى به هذه البيئة ؛ هذا إلى أن من هذه التجارب ما كان مسرحه المدرسة الابتدائية وما كان مسرحه المدرسة الثانوية وما كان مسرحه الجامعة ، وواضح أن هذه التجارب لا تصلح لمدارسنا وجامعاتنا لسبب بسيط جداً وهو أن مدارسنا وجامعاتنا تختلف عن تلك المدارس والجامعات الأجنبية التى جعلت مسارح تُجرى عليها تجارب الحكم الذاتى ؛ كذلك أجريت تجارب فى الحكم الذاتى على التلاميذ الذين لم يبلغوا سن البلوغ والمراهقة preadolescents وعلى الطلبة الذين بلغوا هذه السن adolescents ، وهنا أيضاً لا نستطيع تطبيق هذه التجارب على من لم يبلغ هذه السن من تلاميذنا وعلى من بلغها لسبب بسيط جداً أيضاً ، وهو أن هؤلاء يختلفون اختلافاً كبيراً عن نظرائهم فى البلاد الغربية .

وإذن فلن نعرض لهذه التجارب التى أجريت فى الحكم الذاتى . وإنما سنعرض فقط للمبادئ العامة التى تسيطر على هذا الموضوع .

* * *

وأول ما نفعله فى هذا الصدد أن نبين مكان الحكم الذاتى من التأديب discipline .

فنحن نعرف أن الأستاذ مكان McMunn يقسم تطور التأديب من حيث البعد عن الحرية أو القرب منها إلى ثلاث مراحل متتابعة : مرحلة الإرهاب Phlebotomism ، ومرحلة التأثير بالشخصية Impressionism ، ومرحلة التحرر Emancipationism

فى المرحلة الأولى كان المعول على القوة وحدها ، وكانت العصا هى أداة التفاهم الوحيدة بين المعلم والتلميذ

وفى المرحلة الثانية ـ وهى مرحلة انتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثالثة ـ هذب المربون من حاشيتهم ورققوا من جفوتهم وإن لم يزودوا تلاميذهم بعد بالحرية الكاملة التى يتطلعون إليها والتى هي فى الحق من حقهم

أما المرحلة الثالثة ؛ فهى التى تمثلها المدرسة الحديثة فى التربية وهذه المدرسة ترمى إلى تزويد التلميذ بحرية خالصة من كل قيد ؛ ويجب أن تكون حرية التلميذ هذه إيجابية لا سلبية ، فيجب ـ كما يقول السير روبرت بادن باول ـ أن يشجع التلميذ على أن يعمل ما يحب كما يحب وإن أدى به هذا إلى الخطأ ، فبهذه الطريقة وحدها يمكنه أن يكتسب خبرة فى هذه الحياة

والأستاذ ماك مان McMunn يرفض نوع التأديب الذى تضمنته المرحلة الثانية ، ولكن الدكتور الكورث براون E. Elkworth Brown لا يقره على هذا الرفض

والسير جون آدمز يخرج من اعتباره النوع الأول من التأديب ؛ ويترك النوع الثانى لمحك الحياة يظهر ما فيه من زيف أو صلاح ؛ وينظر فى النوع الثالث فيرى أن مفهومه يقتضى من المعلم أن يكظم شخصيته وأن يلفها فى مدارج النسيان ، فيقول إن هذا غير ممكن الحدوث ، فشخصية المعلم تظهر بالرغم منه وتترك أثرها فى التلاميذ ، وهو لا يستطيع بحال ما أن يخلص ما يلقيه على تلاميذه من أصباغ شخصيته . ويزيد السير جون آدمز على ذلك فيقول إن دعاة هذا المذهب الجديد يعترفون بصحة ما يقول

والذى نقصد إليه من كل هذا هو أن نقول إن الحكم الذاتى مظهر من مظاهر المدرسة الحديثة فى التربية

(*) Self-Government in Schools

وهنا يحسن أن نتحدث قليلاً عن تاريخ المسألة

فليس من شك في أن النظام يجب أن يتوفر فى التعليم المدرسى حتى يمكن لهذا التعليم أن يحقق الغاية المقصودة منه . لذلك كان النظام فى المدرسة أمراً على جانب كبير من الأهمية فى نظر الجميع . ومن ثمّ أخذت المدرسة تهدف إلى أن تبعث فى جوها نظاماً مباشراً immediate orderliness ، فما أدّى فى كثير من الأحيان إلى إهمال الغرض التربوى المقصود تحقيقه عن طريق النظام . ولكن ازدياد الاهتمام بالأفراد ولا سيما الأطفال ، ومطالبة المدرسة بإخراج تلاميذ قادرين على أن يشاركوا فى التعاون الاجتماعى فى هذه الحياة ، وتسلط علم نفس صحيح على المدارس ، كل هذا دعا إلى ترك هذا النوع من التأديب الذى لا يهدف إلا إلى مجرد النظام إلى نوع من التأديب آخر يتحقق من ورائه نمو الشخصية والتعاون الاجتماعى الثابت فى المدرسة

وقد تجلت تلك النزعة فى أمريكا فى عدة محاولات ترى إلى زيادة حرية الأطفال ومسئوليتهم فى مباشرة نواحى نشاطهم فى الفصل وفى خارج الفصل . ولقد ظهر أثر هذه النزعة أول ما ظهر فى الكليات والجامعات فيما يُعبر عنه باسم نظام الشرف honor system ثم ظهر بعد ذلك فى الحكم الذاتى فى المدارس العالية high schools ، وأخيراً ظهر فى المدارس الأولية

* * *

على أنه يحسن بنا هنا وقد أشرنا إلى نظام الشرف فى معرض كلامنا الوجيز عن تاريخ الحكم الذاتي أن نتحدث بإيجاز شديد عن الفرق بين هذين النظامين كما هما فى أمريكا . فنقول إن وجود نظام الشرف فى المدارس العالية يرجع إلى أنه لما كان طلبة هذه المدارس يتمتعون من قديم بقسط وافر من الحرية فى مباشرة وجوه نشاطهم المختلفة فى داخل هذه المدارس وفى خارجها ، فإن المدرسين والمباشرين لأمور هذه المدارس قد وصلوا هذه الحرية التى يتمتع بها الطلبة بنظام الامتحان وجعلوها تنفذ إليه لتدبر أمره . وكان الدافع لهم على ذلك أنهم لمسوا صعوبة التوفيق بين كبح نزعة الغش فى الامتحان والعمل — فى نفس الوقت — على خلق اتجاهات صحيحة وعادات صحيحة فى نفوس الطلبة

هذا عن نظام الشرف . أما الحكم الذاتى فى المدارس غير العالية فقد دفع إلى اصطناعه غرضان هما بدون شك أوسع مجالاً من الغرض الذى دفع إلى اصطناع نظام الشرف : فالغرض الأول هو إيجاد وسيلة لتعليم علم الحكم المدنى civics تكون أكثر موضوعية وإيجابية ، والغرض الثانى هو العمل على أن تنمّى حكومة المدرسة الروح الاجتماعية عند كل طالب .

فهذا هو الفرق بين النظامين .

على أن هناك نظاماً آخر يحسن أن نتحدث قليلاً عما بينه وبين نظام الحكم الذاتى من فروق ، ونعنى بهذا النظام نظام العُرفاء prefect system . فبين هذا النظام ونظام الحكم الذاتى ثلاثة فروق رئيسية : فالفرق الأول يتلخص فى أنه فى نظام العرفاء يخوَّل السلطة عددٌ قليل من التلاميذ كبار السن بينما أن السلطة فى نظام الحكم الذاتى يخوّلها التلاميذ جماعة ، والفرق الثانى يتلخص فى أن أعمال العرفاء prefects تنفيذية أكثر منها تشريعية ؛ فمنظم القوانين التى ينفذونها ليست من تشريعهم . والفرق الثالث يتلخص فى أن هؤلاء العرفاء يختارون من قبل ناظر المدرسة ويكونون مسئولين أمامه بدلاً من أن يكونوا نائبين عن الجماعة .

وهنا يحسن بك أن تسألنى عن كنه الحكم الذاتي لأقول لك إنه تخويل جماعة من التلاميذ سلطة كاملة لمباشرة شئون حياتهم المدرسية كلها أو بعضها .

وهذا الحكم الذاتى لم يصطنع عبثاً ، بل لتحقيق أغراض يُرجى تحقيقها من ورائه .

فمن هذه الأغراض تنمية القدرة على التعاون co-operation ونحن نعرف أن للتعاون أهميته العظيمة فى الدول الديمقراطية ، بل وفى ذلك المحيط الفسيح الذى نسميه بالمجتمع الكبير Great Society والذى نحن جميعاً أبعاض منه . وإن المجتمع الحديث

مدنى بتقدمه بل وباستمرار وجوده لهذا التعاون الذى يربط بين أفراده بعضهم وبعض .

ومن هذه الأغراض تدريب التلاميذ تدريباً عملياً على أن يكونوا مواطنين مستنيرين ، فإن دروس علم الحكم المدنى لا يمكن أن تغنى هذا التدريب العملى بحال ما . فالكتب لا تستطيع بحال ما أن تطلعنا على دقائق آلة العمل الحكومية أو على الطريقة التى تدير بها الأعمال ، وإنما نطلع على كل هذا بالتجربة وبالتجربة فقط .

وهناك غرض ثالث هو فى الحقيقة غرض علاجى . وبيان ذلك أن هناك أطفالاً ينزعون إلى أن يشعروا المجتمع بوجودهم وإلى أن يحملوه على الاعتراف بأهمية هذا الوجود ، فإذا لم يجد نزوعهم هذا متنفساً يخرج منه إلى عالم الواقع والحقيقة فإنه يتحول إلى عقدة نفسية تحمل هؤلاء الأطفال على أن يقفوا من قوانين المجتمع موقف العداء ، وبذلك تكون حياتهم العاطفية صراعاً مشتجراً بينهم وبين أولى الأمر . وعلى ذلك فيجب أن يوحى إلى هؤلاء المتمردين على المجتمع أن القانون ليس جماعاً من أوامر ونواه تملى عليهم وتفرض ، وإنما هو وسيلة تصطنع لتحقيق مثل عليا يطمح إليها أفراد المجتمع ويشار كونهم هم فى هذا الطموح . وليس كالحكم الذاتى وسيلة لغرس هذا فى نفوس هؤلاء المتمردين .

فهذه أغراض ثلاثة رئيسية يرجى تحقيقها عن طريق الحكم الذاتى . وهناك أغراض أخرى ثانوية يصح أن نذكر بعضها . فمن هذه الأغراض الثانوية تدريب التلاميذ على ضبط النفس ، وذلك لأن فى تدبيرهم لأمورهم المدرسية تدريباً لهم على ضبط أمورهم النفسية ؛ ولأن فى تدبيرهم لأمورهم المدرسية تقوية لعزيمتهم وشحذاً لإرادتهم ، ولا بد لضبط النفس من قوة فى العزم ومضاء فى الإرادة .

ومن هذه الأغراض الثانوية أيضاً تقوية إحساس التلاميذ بقيمة النظام وأهميته . ومنها كذلك تدريب التلاميذ على سياسة الغير .

(للحديث بقية) السيد يعقوب بكر

من أزهار الشر

لشارل بودلير

عروج

ها أنتِ يا روحى ترفرفين هفهافة فوق الوهاد والغدران ، والجبال والغابات ، والسحب والبحار ، وفيما وراء الشمس والأثير ، والأفلاك النائية المرصعة بالنجوم .

وإنك لتعبرين الفضاء العميق ، مرحة فى شهوة عارمة يعجز عنها البيان ، كسابح ماهر غشيه الذهول فى لجة الماء .

فلتحلقى بعيداً ، بعيداً ، عن الجيف المنتنة . واصعدى إلى الهواء الأعلى ، لتتطهرى من أدرانها ، واحتسى النار الساطعة التى تغمر الآفاق المتألقة ، كخمر إلهية صافية .

طوبى لمن يستطيع أن ينطلق بجناح قوى إلى السموات المشرقة الساجية من وراء الهموم والآلام العريضة التى تنوء بأعبائها الحياة القاتمة !

طوبى لمن كانت خواطره كالقنابر تطير عند الصباح إلى السماء حرة طليقة !

طوبى لمن رنّق(١) فوق الحياة ، وأدرك بلا عناء لغة الزهور والكائنات الصامتة !

ترجمة
عثمان على عسل

(١) رنق الطائر حلق دون أن يحرك جناحيه

حكم فى الجنحة رقم ٨٤ عسكرية الجمالية سنة ٩٤٣ بحبس مسعد جرجس توفيق ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه وغلق المحل ثلاثة أيام لعرضه للبيع زيتاً بأزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة رقم ٤٧ عسكرية بولاق سنة ١٩٤٣ بحبس رزق مرزوق لمدة ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه وغلق المحل ثلاثة أيام لامتناعه عن بيع أرز وزيت بالسعر المحدد

حكم فى الجنحة رقم ٩٠ عسكرية مصر الجديدة سنة ١٩٤٣ بحبس حسن أحمد عبد الفتاح ستة شهور مع الشغل وتغريمه خمسين جنيها وجلده عشرين جلدة والغلق لمدة أربعة أيام لبيعه لحماً بثمن بأزيد من التسعيرة

الحضارات القديمة
فى القرآن الكريم

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٤ —

الحضارة اليهودية

ينسب اليهود إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . وقد أقام أجدادهم فى مصر من عهد يوسف بن يعقوب إلى عهد موسى بن عمران ، وهم قلة تدين بالتوحيد الذى دعا إليه إبراهيم أبو الأنبياء ، وكانت الوثنية فى ذلك العهد غالبة على الأرض ، ولها دول قوية فى مصر وغيرها من الأقطار . وقدلقى اليهود ما لقوا فى مصر من الذل والهوان فى سبيل دينهم ، إلى أن أراد الله تعالى إظهار دين التوحيد فى الأرض ، وإقامة حضارة جديدة تقوم على ذلك الأساس الذى يرفع من شأن الإنسانية ، وينقذها من الجهالات التى كانت تتردى فيها على عهد الوثنية .

وقد بشر الله تعالى بهذه الحضارة قبل أن تظهر على الأرض بقرون ، تعظيماً لشأنها ، وتفضيلاً لها على الحضارات الوثنية التى سبقتها ، لأنها ورثت محاسن تلك الحضارات ، وخلت من الطغيان والجهل الذى كان يشوه تلك المحاسن ، وقد جاء ذلك التبشير فى أواخر أيام بنى إسرائيل بمصر ، فقال تعالى فى الآيات : ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة القصص (إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)

فالذين استضعفوا فى الأرض هم اليهود ، والقرآن الكريم حين يرثى لاستضعافهم فى الأرض ، ولما لقوه من الذل والهوان فى مصر ، وحين يبشر بأن الله يريد أن يمن عليهم ويجعلهم الوارثين فى الأرض ، لا يحدث عنهم فى ذلك بعنوان أنهم يهود ، لأن مثل هذا لا يَعْنى القرآن الكريم بشىء ، وكل الناس عنده سَوَاسِيَةٌ من هذه الجهة ، وإنما يحدث عنهم بعنوان أنهم شعب موحد ، يريد الله أن يجزيهم خيراً على ما لقوه من الاستضعاف فى سبيل توحيدهم ، وأن يمن على الموحدين من اليهود وغيرهم بأن يجعلهم الوارثين فى الأرض ، فتقوم لهم دول تغلب عليها ، وتظهر لهم حضارات لا تذكر الحضارات التى سبقتها بجانبها . وقد صدق الله تعالى وعده ، فأخذ التوحيد يقوى شيئاً فشيئاً من عهد قيام دولة اليهود فى فلسطين ، وجعل يناضل الوثنية ويغزوها فى معاقلها ، وقد رفع لواءه فى ذلك النضال أولئك الأئمة الذين اختارهم الله تعالى لهداية البشر ، وكان أعظمهم فى ذلك الجهاد الشاق ثلاثة لا تزال آثارهم فيه باقية إلى عصرنا ، وهم : موسى صاحب الشريعة اليهودية ، وعيسى صاحب الشريعة النصرانية ، ومحمد صاحب الشريعة الإسلامية ، وأتباع هذه الشرائع هم الظاهرون الآن فى الأرض ، وحضارتهم هى الحضارة العليا ، وهى المثل الأعلى فى عصرنا

وقد بلغت الحضارة اليهودية أوج مجدها فى عهد داود وسليمان عليهما السلام ، فارتقت فيها العلوم والآداب وتقدمت الصناعة تقدماً عظيما ، ونهضت التجارة نهوضاً كبيراً . وكان لسليمان عليه السلام أساطيل عظيمة تمخر عباب البحار ، حتى وصلت غرباً إلى بلاد الأندلس ، وجنوبياً إلى بلاد اليمن وجنوب أفريقية . وقد لمت سماء فلسطين فى عهده بما أقامه فيها من المدن العظيمة ، وبما شيده فيها من بيوت العبادة ، وبما رفعه فيها من الصروح والقصور الجميلة ، وهو مع هذا رسول من رسل الله الكرام ، وإمام من أولئك الأئمة الذين بشر الله بهم فى أواخر أيام بنى إسرائيل بمصر

ولا شك فى أن ظهور هذا كله فى عهد سليمان أعظم رد على أعداء التوحيد ، لأنه يبين خطأهم فى ظنهم أن التوحيد يجافى الحضارة وينأى عن مظاهر الجمال التى تمتاز بها عن البداوة ، ولا يتسع لها صدره كما يتسع لها صدر الوثنية

وفيه أيضاً أعظم رد على أولئك المتنطعين فى الدين ، وهم الذين يتفقون فى ذلك الظن الخاطئ مع أعداء التوحيد ، فيظنون أن الدين ليس إلا خشونة وتقشفاً ، وأن المثل الأعلى فيه هو الزهد فى زينة الحياة الدنيا ، لا يفرقون فى ذلك بين الزينة التى أحلها الله تعالى وبين الزينة التى حرمها على عباده

وقد نوه القرآن الكريم بمظاهر الحضارة التى تمت فى عهد داود وسليمان فى آيات كثيرة منه ، فمن ذلك قوله تعالى فى الآيات (١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣) من سورة سبأ « ولقد آتينا داود منا فضلاً ، يا جبال أوبى معه والطير ، وألنا له الحديد ، أن

اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحاً إنى بما تعملون بصير . ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور »

ومن ذلك ما ورد فى شأن بِلْقِيس ملكة سبأ ، وفى شأن الصرح العجيب الذى بناه لها ، وذلك فى الآيات (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤) من سورة النمل « قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون . فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ! وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين . وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين . قيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ، قال إنه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين »

وكان هذا الصرح العجيب آية فى فن البناء . ذكر المفسرون أنه كان قصرا من الزجاج الأبيض كالماء ، وقد أقامه على ماء يجرى تحته ، وألقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من دواب البحر ، ثم وضع سريره فى صدر المجلس وجلس عليه ، فلما جاءت بلقيس قال لها : ادخلى الصرح ، فحينئذ حسبته لجة عظيمة من الماء ، وكشفت عن ساقيها لتخوضها إليه ، فقال لها : إنه صرح ممرد من قوارير ، فحينئذ سترت ساقيها ، وآمنت بعظمة ملك سليمان عليه السلام

ولكن اليهود أدركهم فى حضارتهم من الغرور ما أدرك غيرهم ، حتى زعموا أن ما وصلوا إليه فيها كان إيثاراً من الله لهم فركنوا إلى ذلك الغرور حتى سلبهم الله ما كانوا فيه من العز ، وسلط عليهم غيرهم من الأمم ، وإلى هذا يشير الله تعالى فى الآية (١٨) من سورة المائدة (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير »

وقد أضافوا إلى ذلك الغرور القاتل الاستكانة للرؤساء حتى اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله فسار قادتهم وراء أهوائهم ، ولم يكن لهم من أمتهم رقيب عليهم ، وكان لهذا أثر أيضاً فى القضاء على حضارتهم

(يتبع) عبد المتعال الصعيدى

ابن خلدون
مؤرخ الحضارة العربية
للأستاذ عيسى محمود ناصر

حياة ابن خلدون قصة من أعجب قصص الخيال ، ومغامرة لم تتح لكثير من عظماء الرجال ، لا يزال تراثه فريداً فى بابه بين آثار التفكير الإسلامى ، وما يزال يحتفظ بقيمته وروعته ، ويتبوأ مكانته بين التفكير العالمى . وها نحن أولاء بدأنا ننتبه إلى رجالنا لنقدرهم قدرهم ، وندرس آثارهم ، ونحفظ لهم مكانتهم ، ونحيي ذكراهم ، بما أدخل من نظام المسابقات التى تعقدها وزارة المعارف لطلبة السنة التوجيهية فى مواد الدراسة المختلفة ، وكان منها دراسة مقدمة ابن خلدون . ونحن بهذا النظام نحيي ذكرى فيلسوفنا الاجتماعى الكبير ، وقد مضى عليه أكثر من ستمائة عام ، وهو على قدمه يجب أن يكون مثالاً عالياً لجميع الشباب ، وأن يقرءوا مقدمته القيمة ، فهى ثروة لا تقدر فى تراث البيان العربى ، والتفكير العربى . على أن لابن خلدون صلة خاصة بنا نحن المصريين ؛ فلقد كانت له بمصر جولات ونظريات ، كما كانت مصر مثوى إقامته ، وإن كانت تونس تفخر به لأنها مستهل ولادته . وحسب ابن خلدون فخراً أنه السابق إلى وضع مبادئ علم الاجتماع الذى ما زال موضع إعجاب الغرب وتقديره . ولست فى هذه العجالة متعرضاً لنشأته ، وتاريخ حياته فهى فى متناول الطلبة . على أنه عنى بنفسه فوضع ترجمة له دونها بقلمه ، وصور فيها كثيراً من أطوار حياته ، وما تقلد من مناصب ، وما قام من رحلات ومغامرات .

بدأ ابن خلدون مؤلفه التاريخى العظيم وهو فى الخامسة والأربعين من عمره ، وقد نضجت مباحثه ومطالعاته فى الكتب والحياة بعد أن قطع نحو ربع قرن يخوض معترك السياسة متقلباً فى خدمة القصور والدول المغربية يدرس شئونها ونظمها ، ويستقصى سيرها وأخبارها متغلغلاً بين القبائل البربرية يدرس طبائعها ، وأحوالها ، وتقاليدها فى الحياة العامة والخاصة ، وقد أعانه على ذلك ذهنه الخصب المتوقد ذكاء ، وعزلته فى قلعة « سلامة » على حدود تونس الغربية فلقد كانت عزلة مباركة موفقة لبث فيها أربعة أعوام نعم بالاستقرار والهدوء المستمر بعيداً عن غمار السياسة والدسائس السلطانية والمخاطر التجوالية والحربية ، وقد استغرق فى كتابة مقدمته خمسة أشهر ثم نقحها وهذبها بعد ذلك ثم شرع بعد إتمامها فى كتابة تاريخه ، وقد رفعه إلى السلطان أبى العباس المغربى ، وأنشده قصيدة طويلة يشيد فيها بسيرته وأعماله ، ويستدر عطفه ورعايته ، وينوه بكتابه يقول فيها :

وإليك من سير الزمان وأهله عبراً يدين بفضلها من يعدل
والله ما أسرفت فيما قلته شيئاً ولا الإسراف منى يجمل

ولقد كان ابن خلدون أعظم سياسىّ ومفكر عرفته إفريقية والأندلس فى القرن الثامن الهجرى .

ابن خلدون فى مصر

غادر ابن خلدون تونس لينتظم فى ركب الحجاج ، ولكنه لم يحقق تلك الغاية فقد نزل القاهرة ليقضى أيامه بمصر فى هدوء ودعة واستقرار ، وكانت القاهرة يومئذ موئل التفكير الإسلامى فى المشرق والمغرب ولبلاطها الشهرة الواسعة فى حماية العلوم والآداب ، فبهرت ابن خلدون ضخامة القاهرة وعظمتها كما بهرت كل من رآها من أعلام المشرق والمغرب فوصفها بقوله : « فرأيت حاضرة الدنيا ، وبستان العالم ، وإيوان الإسلام ، وكرسىّ الملك » ولقد كان المجتمع القاهرى يعرف الكثير عن شخصه وسيرته ، ولا سيما مقدمته التى أذاعت فضله ، فأقبل عليه العلماء والطلاب من كل صوب ، وقد كان ابن خلدون محدثاً بارعاً ، رائع المحاضرة ، يخلب ألباب سامعيه بمنطقه ؛ هذا إلى فصاحته وجمال صورته ، فتقرب من السلطان الظاهر برقوق .

وإنه لمنظر شائق ذلك الذى يقدمه إلينا ابن خلدون عن مجلسه ، ومن حوله العلماء والكبراء يشهدون الدرس الأول حيث يقول : « وانقضى ذلك المجلس ، وقد شيعتنى العيون بالتجلة والوقار »

عين ابن خلدون قاضياً لقضاة المالكية تنويهاً بذكره ، وإعلاناً لشأنه ، وقد ثارت حوله عاصفة شديدة بسبب الحقد والسعاية ، وقد بين ما كان يسود جو القضاء فى مصر فى ذلك الحين من جهل وفساد فى الذمة ، وأنه حاول إقامة العدل الصارم المنزه عن كل شائبة ، وما زال أمره بين جزر ومد إلى أن عزل من منصبه ، وغادره موفور الكرامة والهيبة ، فانقطع إلى الدرس

والتأليف إلى أن أذن له السلطان بأداء فريضة الحج ، ثم عاد بطريق البحر حتى القصير مخترقاً الصعيد بطريق النيل فوصل القاهرة

وليس فى حياة ابن خلدون فى هذه الفترة التى قضاها بمصر ما يستحق الذكر سوى سعيه إلى عقد الصلات بين البلاطين القاهرى والمغربى ، فهو يصف المهاداة بين صلاح الدين ، وبنى عبد المؤمن من ملوك المغرب ، وبين الناصر قلاوون وملوك بنى مرين ، ويصف الهدايا المصرية والمغربية فبدأ سلطان تونس باهداء خيل مسومة وسروج ذهبية

لبث ابن خلدون بعيداً عن منصب القضاء أربعة عشر عاماً وكان بالفيوم يعنى بقمح ضيعته التى يستحقها من الأوقاف ، فاستدعاه السلطان إلى القضاء ، فلما استقرت الأمور بمصر استأذن فى السفر إلى بيت المقدس فأذن له ؛ فشهد المسجد الأقصى وقبر الخليل وبعض الآثار ثم عاد من رحلته إلى القاهرة . ثم وردت الأنباء بانقضاض « تيمورلنك » بجيوشه على الشام واستيلائه على حلب فى مناظر هائلة من السفك والتخريب فروعت مصر ، وهرع « الناصر فرج » بجيوشه لملاقاة الفاتح التترى ورده ، وقد اشتبك جنود مصر بجند الفاتح فى ظاهر دمشق فى معارك شديدة ثبت فيها المصريون ، وبدأت مفاوضات الصلح بينهما ، ولـكن خلافاً دبّ فى معسكر المصريين ، ومؤامرة دبرت لخلع السلطان ؛ فترك السلطان دمشق لمصيرها ورجع إلى القاهرة . وهنـا تتجلى لنا نزعة مؤرخنا الفيلسوف فى مغامراته ، فقد رأى أن يعتصم بالجرأة وأن يغادر جماعة المترددين إلى معسكر الفاتح فيستأمنه على نفسه ومصيره ، ويصف لنا ابن خلدون ذلك اللقاء بقوله : « ودخلت عليه « المراد تيمورلنك » بخيمة جلوسه متكئاً على مرفقه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه ، فلما دخلت عليه انحنيت بالسلام ، وأومأت إيماءة الخضوع فرفع رأسه ، ومد يده إلى فقبلتها » ، وتحدث الفاتح طويلاً إلى المؤرخ ، وحدثه المورخ بأنه كان يسمع به ، ويتمنى لقاءه منذ أربعين سـنة ، واستطاع ابن خلدون أن يقنع الرؤساء بالتسليم ، وفتحت دمشق أبوابها للفاتح فنجت من بطشه . وقد قدم ابن خلدون إلى الفاتح هدية هى : مصحف رائق ، وسجادة أنيقة ، ونسخة من البردة وأربع علب من حلاوة مصر الفاخرة . فوضع « تيمورلنك » المصحف فوق رأسه ثم سأله عن البردة ، وذاق من الحلوى ووزع منها على الحاضرين ، وقد أنـكر مؤرخ مصرى معاصر هو المقريزى هذه الرواية ، وانضم إليه ابن إياس المؤرخ المصرى

وما لبث ابن خلدون يولى منصب القضاء فى مصر ويعزل ست مرات بسبب كيد خصومه ودسائسهم له إلى أن توفى سنة ثمان وثمانمائة هجرية وقد بلغ نيفاً وسبعين سنة من حياة باهرة حافلة بجليل الحوادث وروائع التفـكير والابتـكار ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر بالقاهرة المعزية وهى يومئذ من مقابر العظماء والعلماء

قضى ابن خلدون فى مصر ثلاثة وعشرين عاماً كانت أقل مراحل حياته حوادث وإنتاجاً ؛ فقد عاش بعيداً عن شئون الدولة السياسية بعد أن لبث بالمغرب ربع قرن وهو يتجرد من ثوب السياسى المغامر ليتشح بثوب العالم المقتدر . على أنه لم يستطع أن ينشئ له بمصر مدرسة يطبعها بطابعه وآرائه ومناهجه وذلك راجع إلى روح النفور والخصومة ، فقد سبقه إلى مصر حكمه على أهلها بأنهم قوم يغلب عليهم الفرح والخفة والغفلة عن العواقب ، على أن ابن خلدون كان يحظى بتقدير فريق قوى من الرأى العام المصرى المفكر وعلى رأسه العلامة المقريزى الذى تأثر بنظرياته تأثراً كبيراً كما يظهر أثر ابن خـلدون فى اعتماد بعض أكابر الـكتاب المعاصرين عليه والاقتباس من مقدمته وتاريخه ، ومن هؤلاء القلقشندى صاحب صبح الأعشى

أثر ابن خلدون الفـكرى والاجتماعى

اعتبر ابن خلدون التاريخ علماً يستحق الدرس لا رواية تدون وتقرأ ، فانتهى به البحث إلى وضع نوع من الفلسفة الاجتماعية ، وكتب مقدمة مؤلفه التاريخى لتكون تمهيداً يقرأ على ضوئها التاريخ ، وتفهم دقائقه فجاءت وحدة مستقلة من الابتكار الفائق تسجل مذهباً جديداً فى فهم الظواهر الاجتماعية وتعليلها ، وفى فهم التاريخ ونقده وتحليله ؛ فهو يحاول أن يتتبع المجتمع فى جميع أطواره منذ نشأته وبداوته إلى استقراره وانتظامه فى المصر والدولة وتردده بين الضعف والقوة والفتوة والـكهولة والنهوض والسقوط مقسما موضوعه هذا إلى ستة فصول كبيرة هى:

١ — العمران البشرى على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض

٢ — العمران البدوى والأمم الوحشية والقبائل

٣ — الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية
٤ — العمران الحضرى والبلدان والأمصار
٥ — الصناعات والمعاش ووجوه الكسب
٦ — العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه

وهذا التقسيم يشهد بتفوق هذا الذهن العبقرى وطرائقه وقوة تدليله وجدله . وأجود هذه الفصول (الفصل الثالث) وهو خاص بالدولة والملك وخواصهما مبيناً أن للملك طبائع وللدولة أعماراً كالأشخاص ، فهو يقدر لها ثلاثة أجيال فى الغالب ، ويقدر الجيل بأربعين عاماً متأثراً في هذا التقدير بما ورد فى القرآن الكريم عن بنى إسرائيل حين فقدوا عصبيتهم وكانوا عاجزين فعاقبهم الله بالتيه فى قفار سيناء أربعين سنة ليخلق منهم جيلاً جديداً يقوى على المطالبة والتغلب . وفى هذا الفصل تبدو نظرياته الاجتماعية وتحليله للمجتمع ، كما يدل ذلك على براعة ذهنه . ثم يتناول الدولة وتحولها من البداوة إلى الحضارة فى الفصل الرابع ، وبيان أطوارها المختلفة ، وأثر الموالى والمصطنعين فى هذا التطور . ثم يتناول الملك والإمامة والخلافة واختلاف الآراء فى شأنهما ومذاهب الشيعة والخطط الدينية من القضاء والعدالة والسكة ، ثم الوزارة ودواوين الأعمال والجباية والرسائل والشرطة وقيادة الأساطيل ورسوم الملك والحروب ومذاهبها والمكوس ونظم التجارة ، ثم يتحدث عن البلدان والأمصار ونشأة المدن واختلاف ظروفها من خصب ورفاهية وجدب وقفر وتفاوت فى الغلات والصناعات واللغة

من هذا كله تتبينون أن ابن خلدون مخترع هذا العلم وصاحب الفضل الأول في ابتكاره وهو ما يسميه « بالعمران والاجتماع البشرى » فقد أفاض فى هذه النظريات مصحوبة بالشواهد مترابطاً بعضها ببعض ، وكل ما خلفه أسلافه نفحات مبعثرة ضئيلة . على أن هذا العلم الذى استحدثه ابن خلدون اتخذ من حيث مادته وموضوعاته مكانة بين علومنا الحديثة فى الاجتماع وفلسفة التاريخ والنظام السياسى والاقتصاد السياسى . وفى دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى العربية ما يؤيد ذلك

أما أسلوبه فخاص يتميز به ابن خلدون من غيره فى العرض والتنظيم ، كما أن مقدمته تمتاز بطرافة موضوعاتها وروعة أسلوبها الأدبى الذى يجمع بين البساطة وقوة التعبير ، ودقة التدليل ، وحسن الأداء والتناسق . والمقدمة مثل حسن للفصاحة المرسلة والعرض الشائق المنظم ؛ وذلك على الرغم مما يطرأ أحياناً من ضعف فى العبارة وضعف فى التأليف وغرابة فى التعبير وشذوذ فى اللفظ يرجع إلى نشأة ابن خلدون البربرية . وأسلوبه فى تاريخه أقل درجة من أسلوبه فى مقدمته . على أن لهذه المقدمة تأثيراً قوياً فى الكتابة فى أوائل العصر الحاضر إذ كانت الأسلوب الأمثل لكتاب الصحف والمجلات فى بدء النهضة الحديثة ، فقد نشرت المقدمة لأول مرة فى مصر سنة ١٨٥٧م فرفعت الأسلوب الأدبى فى مصر والشرق من السجع وتكلف البديع والزخارف اللفظية التى تستهلك المعانى ، إلى الاسترسال فى الكتابة فكانت نموذجاً يحتذى ويضرب به المثل ، فارتقى النثر الفنى والعلمى إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن من الإجادة والإتقان ...

(البقية فى العدد القادم)

عيسى محمود ناصر
المدرس بمدرسة الفيوم الثانوية

السيطرة على الجو

للأديب عبد المنعم محمد الزيادى

[السيطرة على الجو من مستلزمات الفريق المهاجم إذا أراد أن يوطد هجومه ويجعله ساحقاً ماحقاً . كما أنها من مستلزمات الفريق المدافع إذا أراد أن يجعل دفاعه فعالا ناجحاً . ولكنها للفريق المهاجم ألزم وأشد نفعاً لأنه بدونها يتعرض لأشد الأخطار وأقساها من خصمه الذى يملك السيطرة على الجو . وقد تسنى للحلفاء أن يقهروا جيوش رومل لأنهم سيطروا على الجو كما أنهم الآن على وشك الهجوم الحاسم على تونس فى شمال أفريقيا بعد إذ استكملوا سيطرتهم على الجو أو كادوا . وفى هذا المقال أحاول أن أضع صورة للقتال الذى يجرى بين القاذفات والمطاردات من جهة ، وبين القاذفات ومراكز الدفاع المضادة للطائرات من جهة أخرى ، قبل أن تتم السيطرة على الجو لأحد الطرفين .]

كشاف أمريكى جديد

يعتمد قائد القاذفة بجانب قنابله على عامل المفاجأة وهو سلاح لا يقل فتكا عن أى سلاح آخر فهو إذ يقطع الأفق بمعدل خمسة أميال فى الدقيقة لا يترك لخصمه سوى أمد قصير يأخذ فيه حذره ، ثم هو يتخذ من الليل والسحاب حجاباً دون رؤيته ، فضلاً عن أنه ليس فى الاستطاعة سماعه حتى بأشد أجهزة الإصغاء حساسية على بعد أكثر من ثمانية أميال . كل ذلك لا يترك سوى أمد قصير للمطاردات لتقوم للقائه ، وللمدافع المضادة لتتأهب له ، وللمدنيين ليلجأوا إلى المخابىء ، كما أنه من الصعب - أو على الأقل كان دائماً من الصعب - على الأنوار الكاشفة أن تجده فى الضباب أو السحاب ، ولو كان فوق الرؤوس . غير أن هناك طرازاً جديداً من الكشافات يستعمله سلاح الإشارة فى الجيش الأمريكى أحدث انقلاباً عظيما فى الأسلحة المضادة للطائرات . وتتراوح المساحة التى تقع فى دائرة عمله بين ٥٠ و ٧٥ ميلاً . كما أنه لا يستطيع أن يكتشف الطائرة فى حدود هذه المساحة فحسب ؛ بل إنه يستطيع أن يحدد مكانها على ارتفاع بضع مئات من الأقدام . وعندئذ - بفضله - يمكن أن تصوب المدافع المضادة حتى لتدرك قنابلها الطائرة المختفية فى قلب الضباب الكثيف . ويشبه الكشاف الجديد جهاز الأنوار الباحثة ؛ إلا أنه يرسل بدلاً من شعاع النور شعاعاً كثيفاً من أمواج الراديو ، فإذا ما التقت هذه الأمواج بجسم صلب (الطائرة) ارتدت مسرعة من نفس الطريق الذى اتخذته فى ذهابها إلى ذلك الجسم . وبقياس الزمن الذى اتخذته الأمواج فى رحلتها ذهاباً وإياباً ، بالإضافة إلى الاتجاه الذى ارتدت منه يمكن أن يحدد مركز الطائرة بالضبط . وكل ذلك تفعله الآلات بطريقة أوتوماتيكية . وليست المدافع المضادة وحدها هي التى يمكن تصويبها إلى جسم الطائرة بفضل ذلك الكشاف ، بل يمكن توجيه المطاردات كذلك إلى مكان القاذفات المهاجمة وذلك بالتزامها اتجاه أشعة الكشاف

الكشاف الحالى

ولا شك أن هذا الكشاف الجديد سيأخذ مكان أجهزة الإصغاء والتحديد والأنوار الكاشفة المستعملة الآن . فجهاز الإصغاء والتحديد الحالى يستطيع أن يلتقط أزيز الطائرة على ارتفاع أقصاه ثمانية أميال ولكن له عيوب خطيرة . فالرياح العالية تقطع عليه خط سيره ، كما أن حفيف الأشجار وزئير الأمواج المتكسرة على الصخور أو الشاطىء ، وأصوات أبواق السيارات - حتى ولو كانت دونه أميالاً - تشوش على المستمعين . ويشبه جهاز الإصغاء المستعمل اليوم مجموعة من مكبرات الصوت مثبتة فوق حامل ، وتقع على بعد بضع مئات من الياردات من مركز البطارية المضادة للطائرات . وعلى هيكل الجهاز الذى فى الإمكان إدارته فى أى اتجاه بواسطة عجلات يدوية توجد أربعة أو أكثر من الأبواق لاقطات فى بؤرة كل واحدة منها « ميكروفون » حساس ينقل الاهتزازات الآتية خلال المكبرات إلى مكان الاستماع الرئيسى . وتستطيع « آذان » الآلة أن تحدد الاتجاه الذى يصدر منه الصوت كما تعطى المسافة التى تصدر عنها الاهتزازات . وعلى بعد نحو مائتى قدم تجاه جهاز التحديد توجد إشارات كهربائية تفضى إلى مراكز الأنوار الكاشفة . وهناك تجد مجموعة من العدادات التى تبين بطريقة أوتوماتيكية الزوايا التى يجب أن توجه الأنوار بموجبها حتى تضىء جسم الطائرة التى حدد الجهاز ارتفاعها . وهناك أيضاً ضوابط كهربائية ترتفع وتنخفض وتوجه المصابيح الكاشفة . وإذ تتأرجح مؤشرات العدادات ، يدير جنود المصابيح الكاشفة العجلات اليدوية فيجعلون أشعة المصابيح على الطائرة مهما تحركت أو تحولت .

وتبلغ قوة الشعاع الكشاف نحو ٨٠ مليون شمعة، وله عدسة عاكسة نصف قطرها ٦٠ بوصة؛ وهو يرسل في الليل الصافي نوره إلى مسافة سبعة أميال. والمصابيح الكشافة قائمة على حوامل من المطاط المتين يغذيها مولد كهربائي (دينامو) على هيئة مركبة. فإذا أريد حماية هدف مهم ضربت بطاريات الأنوار الكشافة نطاقها حوله على مسافة من البعد تكفي لأن تجعل الطائرة المغيرة دائماً في متناول أية مجموعة من هذه المصابيح.

احكام الرماية العالية

تستطيع المدافع المضادة الثابتة التي قطرها ٤ر٢ بوصة، والتي توضع عادة حول الموانئ الهامة أو مستودعات الذخائر أو الأهداف العسكرية الثابتة الأخرى؛ تستطيع أن تقذف القنابل التي تزن الواحدة منها ٣٣ رطلا إلى ارتفاع ٣٠,٠٠٠ قدم بمعدل ٢٥ قنبلة في الدقيقة. وتقذف المدافع المتحركة التي قطرها ثلاث بوصات قنابل زنة الواحدة منها ١٨ رطلاً إلى ارتفاع ٢٠,٠٠٠ قدم بصورة فعالة؛ فإن الحد الأقصى لمدى هذه المدافع يفوق هذا الارتفاع بكثير؛ إلا أن الإحكام عندئذ يقل في دقته. وتستعمل المدافع الصغيرة التي قطرها ٥ر١ بوصة والتي تطلق ١٢ قنبلة في الدقيقة، ومدافع الماكينة (المدافع الرشاشة) المضادة للطائرات ضد الطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض.

ويمكن للمدافع التي قطرها ثلاث بوصات أن تُجر بمعدل ٥٠ ميلاً في الساعة بواسطة مركباتها، وتحتاج فقط إلى عشر دقائق لإعدادها للطلقة الأولى منذ وقت وصول البطارية إلى مركزها. وإذا أمكنت رؤية الطائرة المغيرة حين تقع على مرمى المدفع الحديث المضاد للطائرات، فالإصابة حاسمة في هذه الحالة. وتجعل آلة التوجيه مدافع البطارية الأربعة مُتجهة أوتوماتيكيا نحو هدفها ولو كانت الطائرة تسير بسرعة ٣٠٠ أو ٤٠٠ ميلاً في الساعة. وآلة التوجيه هذه عبارة عن صندوق مساحته نحو ثلاثة أقدام مربعة، وهو مركب على قاعدة متحركة على بعد بضع مئات من الأقدام من البطارية، وبجانبه محدد الارتفاع وهو اسطوانة طولها ستة أقدام وقطرها نحو قدم، وهو كذلك مركب على قاعدة متحركة. ويتولى أمر محدد الارتفاع ثلاثة رجال. فعند اللحظة التي تظهر فيها طائرات العدو يجعل اثنان من الجنود — أيديهما على العجلات وأعينهما إلى السماء — منظار محدد الارتفاع على الهدف دائماً. وخلال هذا المنظار يرى الجندي صورة مزدوجة للطائرة المغيرة، فواجبه عندئذ أن يحرك عجلته اليدوية حتى تنطبق الصورتان بعضهما على بعض، وعند ما يتم له ذلك يُسجل محدد الارتفاع المسافة التي تفصله عن الطائرة. وهذه المعلومات ترسل أوتوماتيكياً إلى آلة التوجيه. وفوق آلة منظاران آخران يُشرف على كل منهما عامل، وهذه أيضاً يحتفظ بها متجهة نحو الهدف بواسطة عجلات سهلة الإدارة فتسجل سرعة الطائرة العمودية والأفقية. أما صندوق التوجيه فيحتوي في داخله على عداد يحول نتيجة محدد الارتفاع ونتيجة منظاريه هو إلى مقدار الزوايا التي تُصوّب بمقتضاها المدافع إلى الهدف. وتساعد آلة التوجيه كذلك على إعداد خزان القذائف في المدفع أوتوماتيكياً كي يهيئ القنابل لتنفجر على مسافة مناسبة بقرب الهدف، إذ يجب أن تنفجر القنبلة على بعد ٢٥٠ قدماً من هدفها حتى يمكن أن تسبب شظاياها خسائر ذات بال في الطائرة المغيرة.

(البقية في العدد القادم)

عبد المنعم محمد الزيادي
معهد الصحافة بالجامعة الأمريكية

عاطفـــة الأبوة

فى «أعاصير مغرب»

للأستاذ إدوارد حنا سعد

فى ديوان «أعاصير مغرب» الذى صدر حديثاً للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد موضع لبعض الدهشة، فقد وجدنا فيه الشاعر الذى نعرف، ولكننا لم نجد فيه العاشق الذى نعهد. فإن من الصعب أن يقال إن الأستاذ العقاد الذى كان يقول فى دواوينه الأولى — عند ما يلمس خداع المعشوقة أو يشك فى ذلك — :

جمالك سم فى الضلوع وحسرة   ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الكأس والطلا   ففى غير بيت كان بالأمس مسجدى

والذى كان يقول:

ما كنت يوماً بالأنام موكلاً   فأعد منهم من يضل ويرشد
لو كنت نوحاً لم تفدك سفينتى   إن ابن نوح كان فيمن ألحدوا

هو نفسه الذى يقول فى ديوانه الجديد:

أعفيك من حلية الوفاء   إنك أحلى من الوفاء
خونى فما أسهل التقصى   عندى وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى   فقدك يا زينـــة النساء

وقد حاول بعض الكتاب أن يرد هذا الاختلاف إلى أساسه، فقال الأستاذ كامل الشناوى فى الأهرام: «إن العقاد الشاعر كان ينظم وعين العقاد الكاتب الفيلسوف ترمقه وترعاه»

ولكنى أرى أن الأستاذ الشناوى قد أخطأ الحز وكان الأولى به أن يقول إن عاطفة الأبوة كانت ترمق العقاد وترعاه، بل كانت تسيطر عليه وتملى نفسها على شعره إملاء.

فقد بلغ الأستاذ العقاد سن الخمسين وهى السن التى تهدأ فيها فورات العشق وتبدأ النفس تستعرض مواكب الذكرى وتحن إلى الحياة الوادعة وإلى حنان الأسرة. ويكون هذا الشعور — أقوى ما يكون — فى النفس المصرية التى انغرس فيها من قديم معنى الأسرة وتعلقت بها

وقد يصادف الإنسان فى هذه السن عشيقة يجد فى سنها أو حركاتها أو سماتها ما يوقظ فيه من جديد عاطفة الأبوة، فيختلط الحب الجنسي وهو أثرة مستترة، بالحب الأبوى وهو إيثار صريح، فيكون منهما مزاج نقرأه الآن فى أعاصير مغرب

فهذا الديوان الفذ حافل بأوصاف الطفولة وتدليلها وألعابها وحلواها إلى حد يلفت النظر:

غريرة تسأل ما الحبُّ؟
بنيتى هـــذا هو الحبُّ

ضمى ثغيرك يا بنية وابغى منه الأمل

بنيةُ ما صنعتِ، جزاك ربى   بحب فى مشيبك مثل حبى

ماذا تخبىء طفـــلة   رقت ورق قناعهـــا

ما شب من نار طبخ   نا فوقها حلوى الهوى

فكم لعبة وقعت من يديـ   ـك وقوعاً أرى القلب لا يشتهيه

إنى أشاهد كيف يفـ   ـطم فى القلوب رضاعهـــا

فإذا تركنا هذه الأبيات الحافلة بصور الطفولة طالعتنا أبيات فياضة بعاطفة أبوة صادقة دافقة

يقول الشاعر الكبير

أحسبنى الأكبر حتى إذا   عانقتنى ألفيتنى الأصغرا

وهو بيت صادق جميل فى وصف عناق عشيقين، ولكن ليس أجمل منه ولا أصدق فى وصف عناق الأب لابنته، حين يجد نفسه وقد عادت فيها من جديد صغيرة فياضة بتيارات الحياة. ويقول:

تم الكتاب وألقت بالبراع يدى   وضمن الطرس إحساسى وإدراكى
ما لى به غير مسرور ولا كلف   ألا يسر يميناً نبتها الزاكى
ضيعت فيك مسراتى فما بقيت   لى من مسرة شىء غير لقياك

فهل من محض المصادفة أن يقول الأستاذ هـذا الكلام الآن، والآن فقط وهو الذى قضى أكثر من ثلاثين عاماً يكتب وينظم ويعتز بشعره وكتابته إلى أبعد حدود الاعتزاز

لشد ما غيرت هذه العاطفة الجديدة من نفس أستاذنا الكبير!

إن كان خلفك للوعود تدللاً   بمكانك الغالى لدى فأخافى
ما كنت أتبعه القطيعة آنة   هو منك والمجى يزيد تشوفى

وقد هداه إلهامه الصادق فقال:

تحديت الحياة فهل جزتنى   بهذا الحب عن ذاك التحدى

نعم تحداها بوحدته وانصرافه عن الزواج أو هـذا الجانب

على الشاطىء

وهيفاء تهفو إليها القلوبُ ويشرق منها ضياء الجمالْ
لهـا رقة الزهر فى غصنه إذا داعبتـه رياح الشَّمالْ
أقامت على الشاطئ العبقرىّ كإحدى عذارى الرؤى والخيالْ
وللريح عربدة فى المياهِ وللموج وسوسة فى الرمالْ

يحدثها الموج عن سرهِ وما سره غير حب قديمْ
يكاد النسيم يطير بهـا إذا وقفت فى مهب النسيمْ
وتحسبها العين بعض الضياء فتخشى من النظر المستديمْ
ولو لم تحطها قيود الحياةِ لطارت هناك وراء السديمْ

تعربد فى الثوب أيدى الرياح وتوشك ... لولا نداء الحياة
تطير إليهـا طيور المنى وتحنو عليها طيوف الضياء
عليها من الأفق سمت الجلالِ وفيها من البحر معنى الصفاء
وفيها من النور سر الحياة وفيها من الليل سحر الخفاء

أهيم غراماً بهذا الجمال وأقبس منه ضياء الحياهْ
أرى فيه كل أمانى الشبابِ ترفرف من حول تلك الشفاهْ
أعانق من شغفى طيفـه وألثم من لطفه أى رؤاهْ
يرى فيه جسمى سر الحياة وروحى ترى فيه روح الإلهْ

دعينى أغنيك شعر الصبا وأعزف لحن الهوى والغزلْ
دعينى أنام بروحى على فراش النهود، ومهد المقلْ
ولا تحرمينى سلاف العناقِ ولا تمنعينى رحيق القبـلْ
وكونى كما شاء فن الخيالِ وبدع الفنون، ووحى الأملْ

هناك لدى الأفق عند الغروب يطير جناح، ويمضى شراعْ
وتشدو الرياح، وفى شدوها أسًى كامن وجوًى والتياعْ
وتحتضر الشمس .. أيا للأسى لهـذا الجمال الحزين المُضاعْ
على وجنتيها شحوب الفراق وفى مقلتيها دموع الوداعْ

وغابت عن الأفق شمس المغيبِ وقد ذوَّبت قلبها فى الشفقْ
كأنى أرى دم قلبى يسيل كأنى أرى مهجتى تحترقْ
لَيفجعنى أن يغيب الضياء ويَحزُننى أن يجىء الغسقْ
ستأتين يا شمس عند الصباح فهل نلتقى ثم لا نفترقْ ؟!

وألقى المساء ظلال الدجى على الكون أشباح جن تحومْ
فليس على البحر ضوء يلوح ولا فى السماء تضىء النجومْ
فقامت تودعه فى سكونٍ وراحت إلى بيتها فى سهومْ
كأنى بهـا كوكباً حائراً توشحه فى السماء الغيومْ

وعدت إلى غرفتى باكياً لأقضىَ ليل الأسى والنُّواحْ
أحدث نفسى حديث الجوى وأنشد قلبى نشيد الجراحْ
وأرنو إلى عابرات الدجى وأصغى إلى نائحات الرياحْ
وأمضى إلى البحر عند الصباح فهل «هى» عائدة فى الصباحْ ؟

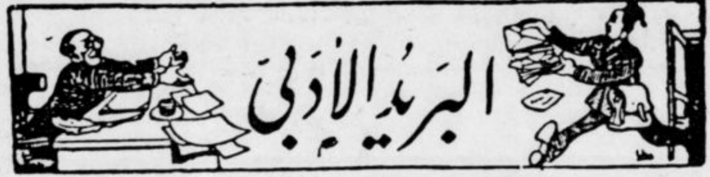
(القاهرة) ابرهيم محمد نجا

من منغصات الحياة كما قال همام لسارة وهو يحاورها

وما دمنا بصدد بحث أدبى، فإنى أبيح لنفسى أن أبتعد عن المجاملات التافهة فأقول إن هذه العاطفة التى يقول علماء النفس إنها قد تنصرف إلى الحيوانات الأليفة، تبدو فى أعاصير مغرب، ففيه عشرون صفحة عن « بيجو » الكلب الأمين الذى أحس الأستاذ لموته بالحزن (الوجيع)

فإذا فهمنا غزليات العقاد الجديدة على هذا الضوء الجديد استطعنا أن ننفذ إلى جمالها الباطن. وإذا كانت الطفلة قد عقت أو كادت، فإن للأستاذ الكبير أبوة روحية على الكثيرين من تلاميذه وعشاق أدبه المنتشرين فى كل مكان تقرأ فيه اللغة العربية، وهم لا يكنون للأستاذ إلا الحب الصادق والوفاء الخالص. ويسرنى بل ويشرفنى أن أكون من بينهم.

(اسكندرية) ادوارد حنا سعد



أين « الرسالة » ؟

طلبتها من الباعة مرة ومرة . ثم ظننت أنها مرت بمدينتنا دون أن تعطيها نصيبها من محصول الفكر ، فبعثت وكتبت إلى القاهرة والأسكندرية فقيل لى : إن « الرسالة » الحبيبة لم تصدر !

يا سبحان الله ! وأخيراً بشرنى الصديق الأستاذ الخضرى أمين مكتبة دمنهور أن « الرسالة » جاءت إلى المكتبة ، ولكنها تنذر بأن هذا العدد للمشتركين فقط لأن الورق ...

وهنا صحت قبل الدكتور المبارك « ليتنى من المشتركين »

لقد ذقنا أزمة الدقيق وأزمة البترول وأزمة السكر ، فهل تصدقنا يا صاحب الرسالة إن قلنا إنه لم تحز فى نفوسنا ولم تبلبل خواطرنا أزمة كأزمة « الرسالة » ؟

يقول الدكتور المبارك : « أ كان يجب ألا تقتصر « الرسالة » على الأدب الصرف لتجد من يسأل عنها حين تحتجب » ؟

وهذا حق ! إنها ضريبة الأدب تدفعها « الرسالة » كما يدفعها كل أديب ينصرف لأدبه فلا يجد من يسأل عنه

وإذن « فأزمة الرسالة أزمة الأدب اليتيم الذى لا يسأل عنه أحد حين يغيب » !

فهل تنحرف « الرسالة » عن هدفها لتجد من يسأل عنها ؟

إن لسان الحال يقول :

لقد صــددنا كما صــددتم فهـــل ندمتم كما ندمنا ؟

والجواب عند « الرسالة » وعند صاحب كل رسالة ...

وأخيراً فالأزمة كما يقول الدكتور المبارك ليست أزمة الورق فهو موجود ! وإذن فالقضية قضية الأدب والأدباء ، و « سنعرف طاقة الأدب فى اجتياز هذه المحنة العاتية » .

عبد المعطى المسيرى

حول رسالة الجامعة

فى مساء السبت ٢٩ يناير ١٩٤٣ أقيمت بكلية الآداب مناظرة اشترك فيها فريق من الأساتذة والطلاب ، وشهدها مئات من شباب الجامعتين الأزهرية والفؤادية وغيرهم ، وكان موضوعها : (الجامعة أدت رسالتها) . والذى ألاحظه أن هناك خطأ فى موضوع المناظرة ، أو قل إنه نزعة من نزعات العجلة والتسرع هى التى أوحت إلى لجنة المناظرات بكلية الآداب عرض هذا الموضوع السابق لأوانه على بساط البحث فى مناظرة عامة ، إذ لم يمض على الجامعة زمن يصح لنا بعده أن نتساءل : أنجحت الجامعة فى رسالتها أم لم تنجح ؟ ... لقد صدر القانون بإنشاء الجامعة المصرية الفؤادية فى مارس سنة ١٩٢٥ ، فلم يمر عليها إلى اليوم إلا نحو سبعة عشر عاما ، وهى كعام واحد فى حياة فرد من الأفراد ، ولا يُسأل الفرد بعد عام من نزوله إلى ميدان الحياة أنجح أم لا ؛ فيجب أن ننتظر على الجامعة عشرات السنين حتى تؤدى فى سبيل غايتها ما يذكر فيحكم عليه ، وإلا فهى لا تزال تعد العدة وتأخذ الأهبة ولم تسر فى الطريق بعد ، وإن خُيِّل لقوم أنها أدت أشياء وأشياء !... وإذا كانت الجامعة الأزهرية قد مر عليها ألف عام ولا يزال هناك من يخشى أن تقام مناظرة عنوانها : « هل أدى الأزهر رسالته ؟ » فماذا يكون شأن الجامعة الفؤادية وهى بالنسبة للأزهر فى العمر لا تزال ذلك الوليد الجديد ؟

بل إننا لم نتفق بعد على رسالة الجامعة المصرية ، ففريق يقول إن رسالتها تحرير الفكر ، وفريق يقول بل التقدم العلمى ، وفريق يقول بل بث الأفكار والأخلاق وأصول الاجتماع ، وفريق يقول بل التخصص للتوسع فى دراسة طائفة من العلوم ، وفريق وفريق ... فكيف بنا نتساءل عن نجاح الجامعة فى رسالتها وهى لم تعرف بعد ما هى تلك الرسالة ؟ ...

نعم إن الجامعة قد اتخذت الأسباب والمظاهر الجامعية ، فهناك كليات فخمة ، وأقسام مختلفة ، وشهادات متنوعة ، ومدرجات ومحاضرات وأساتذة وعمداء ... ولكن هذا كله مقدمة وعدة للبدء فى العمل وللأخذ فى أداء الرسالة ، فكيف نسبق الزمن ، ونحكم على الشىء قبل أن يوجد ، أو على الأقل قبل أن يتم منه جانب ذو بال ؟ ...

أحمد الشرباصى

جامعة الأسكندرية

فى يوم الإثنين المبارك ٨ من فبراير ١٩٤٣ يشرف جلالة الملك المعظم بالزيارة جامعة فاروق الأول بالأسكندرية ، وهى الجامعة التى افتتحت فى بدء هذا العام الدراسى ، فتعود إلى الأذهان ذكرى جامعة الأسكندرية القديمة التى ظلت تحمل لواء العلم

فى العالم المتمدن إذ ذاك زهاء قرنين من الزمان . وبمناسبة زيارة المليك للجامعة الحديثة نحب أن نتحدث عن تاريخ الجامعة القديمة

أنشأ هذه الجامعة بطليموس سوتر فى حى البروكيون بجوار القصر الملكى على نسق مدارس الفلاسفة الأثينيين ، وكانت الغاية من إنشائها أن تجذب إليها النابهين من العلماء ، والمفكرين والشعراء والأدباء ، وكان الطلاب المقيدون بها معفين من المصروفات بل تنفق الجامعة عليهم

ولم تلبث الأسكندرية وجامعتها أن جذبتا العلماء النابهين والأدباء وكبار الشعراء حتى إن الأسكندرية غدت فى القرن الثالث قبل الميلاد أكبر مركز علمى فى العالم وخاصة فى الطب والجغرافيا والرياضة والفلك والأدب — وقد كانت الجامعة مؤلفة من عدة مدارس : مدرسة للطب والتشريح والجراحة ، ومدرسة الرياضيات والفلك ، ومدرسة القانون والفلسفة ، وكان يتصل ببنائها بستان كبير وحديقة لعلم النبات ومرصد ومن هذا نرى أنها كانت جامعة من أكبر الجامعات

وبجوار الجامعة أنشئت المكتبة التى كانت أكبر مكتبة عرفها العالم القديم . بدأ فى إنشائها بطليموس سوتر (٣٠٥ ـ ٢٨٣ ق م) ، ولكن لم يتم تجهيزها ويكمل نظامها إلا على يد خلفه بطليموس فيلادلفوس (٢٨٣ ـ ٢٤٥ ق م) وقد كانت تحوى المكتبة أجمل مؤلفات العالم القديمة من مصرية إلى عبرية ويونانية ؛ ويغلو كثير من الكتاب فى تقدير عدد الكتب التى كانت بالمكتبة غلواً يصعب على العقل تصديقه ، ولكن هذه المبالغة إن دلت على شىء فإنما تدل على الكثرة ، ويقدر بعض المؤرخين عدد الكتب بـ ٤٩٠ ألف كتاب وهو رقم يصعب تصديقه مما دعا بعض المؤرخين إلى أن يفترضوا أن المكتبة لم تكن مرجعاً للعلماء والباحثين فحسب ، ولكنها كانت مكاناً لنسخ الكتب وبيعها . هذا وجدير بنا أن نذكر أن هذه الكتب القيمة كانت طعاماً للنيران أثناء النزاع الذى أودى بالدولة البطلمية وجعل مصر جزءاً من الأمبراطورية الرومانية .

وقد كان من أكبر علماء الأسكندرية الفلكى العظيم إراتستين الذى كان نابغة زمانه فى الأدب والفلك والجغرافيا ، وقد كان عميد دار الكتب وإليه عهد بطليموس الثالث بتربية ابنه ولى العهد . وقد أصبحت هذه سنة ، فكان أمناء المكتبة يعلمون أولياء العهد

ومن أكبر العلماء المصريين فى العهد البطلمى مانيثون ، وإليه عهد بطليموس الأول بكتابة تاريخ مصر ففعل وكتب تاريخاً دقيقاً وافياً ، ومن الأسف أن معظمه قد ضاع ، على أن ما بقى ظل يكون معلوماتنا عن تاريخ مصر القديم حتى القرن التاسع عشر ، وبهذا العمل العظيم صحح مانيثون ما كان يدرس خطأ من تاريخ مصر القديم فى الجامعة

أبو الفتوح عطيفة

إجابة

طالعت قول الأستاذ الفضال السيد محمود عزت عرفة ، وأرجو إذن السيد الكريم فى قولى لماذا ننسب السلطة Salade إلى الملح Sel ولا ننسبها إلى السليط الذى معناه الزيت أو الزيت الجيد وهو الأقرب ؟

المقرونة — بفتح فاسكان — اسم نوع من الطعام من عجين وسمن ، وكان فى زمن الجاهلية ، وهى ما يقال له الآن « مكرونة » Macaroni

(وحيد)

أبو السليط من « السالاد »

فى الكلمة التى نشرناها تحت هذا العنوان (ع ٥٠٠) من « الرسالة » سقط سطر كامل من إحدى الفقرات ، فأخل ذلك بالمعنى الذى نقصده ، وأوجد فى الكلام تناقضاً لعله لم يخف على الكثيرين من القراء ...

فقد بينا أولاً انقطاع العلاقة فى المعنى بين اللفظين العربى والإفرنجى (سليط و Salade) ؛ ثم أوردنا فى إثبات انقطاع العلاقة اللفظية بينهما أيضاً ، ما جاء هكذا : كما يتضح لنا انقطاع العلاقه اللفظية بينهما أيضاً ، إذ عرفنا أن كلمة Salad الإنجليزية و Salade الفرنسية ، و Salata الإيطالية بمعنى ملح »

وواضح أننا لا نقصد مطلقاً القول بأن هذه الألفاظ تؤدى معنى ملح ، بعد أن سبق فبينا — فى نفس الكلمة — حقيقة معنى (السالاد) وتركيبه عند القوم ... وإنما صحة الكلام بعد إثبات الساقط منه تكون هكذا : « ... و Salata الإيطالية القديمة كلها مشتقة من اللفظ اللاتينى القديم Sal بمعنى ملح »

محمود عزت عرفة

حكم فى الجنحة العسكرية ١٤٦١ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٦ ـ ١ ـ ٩٤٣ بحبس عبد العاطى محمد هوارى صاحب مخبز بالفشن ثلاثة شهور شغل وغرامة ٥٠ جنيه والمصادرة والغلق ثلاثة أيام لأنه ورد خبزا لسجن الفشن يقل وزن الرغيف عن الوزن القانونى

11me Année No. 502

Lundi - 15 - 2 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٠٢ «القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ صفر سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٥ فبراير سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
١٢١	أمر عسكرى	أحمد حسن الزيات . . .
١٢٣	هل أدت الجامعة رسالتها ؟	الدكتور زكي مبارك ... ...
١٢٧	الحضارات القديمة فى القرآن	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١٢٩	ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربيـــة	الأستاذ عيسى محمود ناصر . .
١٣٢	السيطرة على الجو	الأديب عبد المنعم محمد الزيادى
١٣٤	المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم	المستشرق « إدورد وليم لين » بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٣٧	أنس الوجود [قصيدة]	الأستاذ محمود السيد شعبان
١٣٨	هل هو توارد خواطر ؟...	الأستاذ عبد القدوس الأنصاري
١٣٨	« الرســالة » والورق	الأستاذ مصطفى على عبد الرحمن
١٣٨	فى العلاقات اللفظية بين اللغات	الأستاذ محمود عزت عرفة ...
١٣٩	تكريم كتاب تركيا ...	... ...
	الوطن	... ...
١٤٠	من شعر حافظ المنسي ...	الأديب أحمد محمد حمد ...
١٤٠	المسرح والسينما : الوطن	الأديب عبد الفتاح متولى غبن

في الإصلاح الاجتماعي

أمر عسكرى ...

لو كانت الأوامر العسكرية كلها من نوع الأمر العسكرى بردم البرك والمستنقعات لتمنينا أن نظل على هذا النظام دهراً طويلاً. ذلك أن هذا الأمر وما يشبهه من الأمر بعقوبة من يفطر جهراً فى شهر رمضان، أو من يبيع خمراً فى يوم مقدس، إنما هو نفحة من نفحات الحكم العُمَرى الذى لا ينهض الشرق بغيره

والعلة فى أن نهوضنا منوط بهذا الضرب من الحكم، أننا مصابون بالقصور الذاتى فى الخير والشر، فلا نأتمر بالمعروف إلا بدافع، ولا ننتهى عن المنكر إلا برادع. وأظهر أعراض هذا الركود النفسى فينا أننا نقول ولا نفعل، ونسمع ولا نطيع، ونعكف على ما ورثنا نعبده ولا نجدده، ونجمد على ما كسبنا لا نغيره ولا نزيِّده!

كم وزارة فكرت فى ردم المستنقعات والبرك! وكم لجنة ألفت لتحقيق هذه الفكرة! وكم مشروع وضع لتنفيذ هذا التحقيق! وأخيراً صدر على الرغم من تسويف اللجان، وممارضة الإهمال والنسيان، قانون؛ واقتضى ذلك القانون أن تُنشأ وظائف، ويحدد اختصاص، ويقرر تفتيش، ويسجَّل إحصاء.

ولكن القانون يظل كلاماً كسائر الكلام حتى ينفذ . والتنفيذ عمل من الأعمال يحتاج إلى إرادة ؛ والمريض بالقصور الذاتى لا يريد ولا يملك أن يريد

صدر قانون ردم البرك منذ عشر سنين فقال الناس : جفت موارد الموت ، وعفت مواطن البعوض ، وبادت جراثيم الملاريا ، وآن للفلاح المسكين أن يحس العافية . ولكن القانون العادى رحب البال ، يقبل العذر ويأخذ الأمور بالملاينة ؛ فالبركة الفلانية يملكها الباشا فلان ، فهو يرجو من القانون أن يؤجله إلى يوم القدرة . والبركة العلانية يملكها الأمير علان ، فهو يطلب إلى القانون أن يمهله حتى تنقضى العُسْرة . والقرويون الذين هدتهم الحمى ووضع لإنقاذهم هذا القانون تقابل عرائضهم بالإعراض ، وتُدفع مطالبهم بالاعتراض ، وتعلل شفاعتهم بالمطل

* * *

أنا من أهل قرية وصفتها من قبل لقراء الرسالة بأنها جزيرة من الأكواخ والحظائر فى وسط مستنقع محيط من مصاف المزارع ، نمت على أسَنه وعفَنه جراثيم الأمراض المتوطنة ، فجعلت كل وجه فى صُفار الخوف ، وكل جسم فى هزال الجوع ، وكل حى فى همود الموت . وعلى هذه الحال الشديدة قطعت مراحل عمرها الماضى لا يزهر فيها شباب ، ولا تثمر بها كهولة . لذلك لم نكد نسمع بصدور هذا القانون حتى رفعنا أصوات الاستغاثة ، فأغاثتنا الوزارة المختصة بالمفتش وراء المفتش ، والتقرير عقبَ التقرير ، والوعد بعد الوعد ؛ ثم وقفت عند ذلك فلا تجيب عن سؤال ، ولا تصيخ لشكوى حال ؛ لأن ما تستطيعه قامت به ، وكل ما تستطيعه لا يعدو القول والكتابة . ثم تعاقب وزراء الصحة على هذا القانون وهو كلمات ميتة فلم يبعثوا فيه الحياة ؛ ومضوا على المنهج المألوف من كفاح المرض بالتقارير والأرقام حتى اكتظت القرى والقبور بضحايا البلهارسيا والأنكلستوما والملاريا والطحال على الرغم من المستشفيات المنشأة على آخر طراز ، والمعامل المجهزة بأحدث جهاز ، والصيدليات المزودة بأندر الأدوية . ففكر الناس وأطالوا التفكير ، ثم سألوا وأكثروا السؤال : هل فى مصر وزارة للصحة ؟ وهل فى وزارة الصحة أطباء ؟ وهل لأطباء الصحة ضمائر ؟ وكان الجواب عن هذه الأسئلة هو السكوت المريب ، حتى تولى وزارة الصحة وزيرها القائم فكان هو الجواب القاطع والإيجاب الصريح .

أثبت بالفعل هذا الرجل العظيم أن فى مصر وزارة للصحة فيها أطباء أكفاء ينهضون إذا نُبهوا ، ويعملون إذا وجهوا ؛ وأن المنصب الذى كان مكتباً ومرتباً وأبهة ، يستطيع أن يكون أعظم القوى وأفعلها فى الإصلاح الاجتماعى بمكافحة المرض ، وهو شر بلايانا الثلاث . ومن كان يعرف ما فعله وهو مشرف على صحة القاهرة ، كان يتوقع ما فعله وهو قائم على وزارة الصحة .

ولعل أظهر المزايا فى هذا الرجل النشيط العامل قوة العزم وسرعة التنفيذ . لذلك أعرض عن قانون ردم البرك واستصدر هذا الأمر العسكرى الموفق ، فلم يكد يمضى على صدوره عشرة أيام ، حتى فعل ما لم يفعله ذلك القانون العادى فى عشرة أعوام ؛ إذْ أدخل فى ملك الحكومة البرك التى خنَست هم أصحابها عن التعهد بردمها قبل الأجل المحدد ، ومساحتها ٤٠٥٠ فدان ستردمها مصلحة الشؤون القروية ، ثم تستغلها بالتأجير أو تُصرّفها بالبيع . أما البرك التى تعهد أصحابها بردمها وهى ١٥٠٠ فدان فقد جعل لهؤلاء أطول الأجلين ستة أشهر ينتهى الردم قبل انتهائها وإلا أخذهم القضاء العسكرى بالعقاب الشديد . وبذلك يُقضى بانقضاء هذا الأجل على مصدر من مصادر الهُلك انفجر على مصر بالعلل والأسقام منذ جرى بين صحراويها النيل .

* * *

إن الحكم العسكرى فرصة مؤاتية لوزارتى الصحة والشؤون الاجتماعية يحسن بهما انتهازها لمعالجة الإصلاح الاجتماعى بأسرع الوسائل وأقرب الطرق . وإن فى مصر من باطل العادات وفاسد الاعتقادات ما لا يمحوه إلا صرامة هذا الحكم . وفى خبرة الوزيرين الجليلين ولقانتهما ما يغنى عن ضرب الأمثال . والإصلاح الناجع قبل هذا وبعد هذا عمل يثمر لا كلام يقال

احمد حسن الزيات

هل أدت الجامعة رسالتها ؟

للدكتور زكى مبارك

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

إن الجامعة التى أُنشئت لمقاومة الاحتلال ، هى الدار التى ارتفع فيها صوت الاستقلال

فما السرّ فى أن يكون للجامعة هذا السلطان ؟ ما السرّ فى أن تصنع فى الأيام القصار ما عجز عنه غيرها فى الأعوام الطوال ؟

لا تسألوها ولا تسألونى ، فقد تواصينا على الكتمان ، وسر المجد لا يذاع

ليست الجامعة حجرات ، ولا غرفات ، ولا مدرجات ، ولا وظائف ، وإنما هى : روحٌ وفكرٌ وعقلٌ وبيان

ثم أواجه العهد الثانى فأقول :

فى صيف سنة ١٩٢٥ أخذت الحكومة فى التأهب لتنفيذ مشروع ترددت فى تنفيذه سنتين « فإن الاتفاق بينها وبين الجامعة عُقد فى سنة ١٩٢٣ ، يوم كان الرجل العظيم زكي باشا أبو السعود وزيراً للمعارف » وكان مصدر التردد أن الحكومة لا تعرف بالتحديد كيف يكون نظام الجامعة فى عهدها الجديد

ثم بدا للجامعة الجديدة أن تراعى تقاليد الجامعة القديمة فتستشير أقطاب الجامعات الأوربية فى الأوضاع التى تحمى تنفيذ المشروع من الإخفاق

وما هى إلا أيام حتى استطاعت أن تستقدم كبار الأساتذة من الجامعات الفرنسية والبلجيكية والإنجليزية

ولأول مرة فى تاريخ مصر الحديث أنشئت كلية جديدة اسمها كلية العلوم ، وهى الكلية التى عجزت الجامعة عن إنشائها فى عهدها الأول ، بحجة أن كلية العلوم لا تُرتجل ، كما صرح المسيو بوفيليه ، وكان أحد خطباء حفلة الافتتاح فى ديسمبر سنة ١٩٠٨ إذ قال :

Une Faculté des Sciences ne s'impovise pas.

كان إنشاء كلية العلوم أداء لرسالة جديدة من رسالات الجامعة المصرية ، ولكنها رسالة مزدوجة ، لأنها أرادت أن تضع حجراً جديداً فى بناء كلية الطب ، حيث فرضت أن لا يدخل الطالب كلية الطب إلا بعد أن يأخذ زاده العلمي من كلية العلوم ، وهو تقليدٌ جميل ، لا يمترى فى جماله غير الجهلاء

ثم رأت الجامعة أيضاً أن لا يدخل طالبٌ كلية الحقوق إلا بعد أن يمضى سنتين فى كلية الآداب ، ليتزود بالحقائق الأدبية والفلسفية ، عساه يصير فيما بعد من أئمة التشريع

والطلبة الذين انتفعوا بذلك النظام هم المرجع فى هذه الأيام لدراسة القوانين

أيها السادة :

كانت المشكلة فى العهد الجديد أن تعرف الجامعة كيف تُقنع الحكومة بقيمتها الذاتية ، وكان الرأى أن تسير الجامعة على النظام الفرنسى ، وهو يقضى بقصر التعليم الجامعى على أربع كليات : الآداب والعلوم والطب والحقوق ، ثم رأت أن تسير على النظام الإنجليزى فترفع رايتها على جميع المعاهد العالية ، ولى على هذا النظام اعتراضات لا يتسع لها المجال

والمهم هو النص على أن الجامعة استطاعت أن تسيطر على جميع الفروع بالتعليم العالى ، وأن تعلن استقلالها عن وزارة المعارف ، وهذا مغنمٌ ليس بالقليل ، وهل من القليل أن تكون الجامعة دولة فى جبين الدولة ، وأن يكون التعرض لأحد مدرسيها مما يفتح باب الجدال فى مجلسى البرلمان ؟

عندنا جامعة بالفعل ، لا بالقول ، وعندنا جامعيون لا يقبلون وظائف الحكومة إلا متفضلين ، لأن الجامعة أعدتهم للجهاد فى الحياة بلا سناد من هذا الوزير أو ذاك

رسالة الجامعة هى نصر الحياة على الموت ، وقد نصرنا الحياة على الموت ، فليجرب خصومنا حظوظهم فى محاربتنا إن استطاعوا وأنا أخشى أن يستطيعوا ، فقد سمعت أنهم يملكون بلايين ودشالين من القبور التى ترجع إلى عهد آدم وحواء !

أفى نيّف وثلاثين عاماً تصنع الجامعة هذا الصنيع ، فتُعزّ الذاتية الأدبية والعلمية ، وتقول للرجل المفكر كن وجوداً ذاتيًّا فيكون ؟

كان ذلك لأنها أسست على التقوى ، والتقوى هى الخوف ،

وكانت الجامعة تخاف أن ينهزم السلطان الأدبي والعلمي في هذه البلاد ، وقد انتصرت ، لأن الخوف هو باب الأمان

أيها السادة :

إن تاريخ الجامعة في عهدها الجديد لا يتجاوز سبعة عشر عاماً ، وتلك مدة لا تكفى لإيجاد محصول تباهى به الجامعات التى طال عهدها بالوجود ، فكيف أصل إلى إقناعكم بأنها أدت رسالات لم تؤدَّ من قبل ؟

أمامى مصاعب ترجع إلى أن الجامعة فى عهدها الجديد قد انتظمت معاهد لها تواريخ ، فكلية الطب حلت محل مدرسة الطب ، ومدرسة الطب المصرية « مدرسة قصر العينى » قامت بخدمات كبار فى أزمان طوال ، وقد كُتِبَ عنها فى اللغات الأوربية عشرات المؤلفات والبحوث ، ولقد كان مجدها يهزنى هزة الازدهاء حين أرى ما كُتب عنها فى المكتبة الطبية بحىّ السوربون

ومع ذلك فمن السهل أن أقرر أن مدرسة الطب قد ازدهرت ازدهاراً ملحوظاً حين انضمت إلى الجامعة فى عهدها الجديد ، فقد ضخمت ميزانيتها ، واتسعت مبانيها ، ومضت إلى آفاق لم يفكر فيها أبناؤها الأولون

استطاعت كلية الطب بفضل أساتذتها وخريجيها أن تقوم بعقد مؤتمرات سنوية فى مختلف البلاد العربية ، وهى مؤتمراتٌ تعرَّف فيها أطباء العرب بعضهم إلى بعض ، وتلاقت فيها قلوب لم يتيسر لها التلاقى قبل تلك المؤتمرات ، وإن وُجِد حِلفٌ عربىٌّ بعد زمن قصير أو طويل فسيذكر التاريخ أن لأعضاء الجمعية الطبية المصرية يداً مباركة فى إيجاد الحِلف المنشود ، ولعله قريب !

فإن كنتم فى ريب من إحياء مدرسة الطب بعد أن صارت كلية فتذكروا اسم الدكتور على باشا ابراهيم ، فأعظم منصب كان يصل إليه مثل هذا الرجل العظيم هو أن يكون وزيراً ، وقد كان ، ولكنه ما كان يصل إلى منصب مدير الجامعة المصرية لو ظلت تلك المدرسة بمنأى عن الحرم الجامعى ، وخَلقُ الوزراء سهلٌ جدًّا فى العهود البرلمانية ، أما خلق شخصية تتولى إدارة الجامعة فهو رهين بالأهلية الجامعية

وهنا أعقب على معالى الدكتور على باشا إبراهيم بمناسبة الجواب الذى قدمه إلى مجلة الإثنين وقد سألته عما يختار من ألقابه الكثيرة فاختار لقب « الجراح »

وإنما أوجه إليه هذا العتب ، لأن براعته فى الجراحة لم تكن المؤهل الوحيد لصلاحيته لإدارة الجامعة المصرية ، وإنما أهلته لهذا المنصب مزايا كثيرة ، منها أنه من كبار مفكرينا ومنها أنه من أحد الرجال القلال الذين يعنون بتربية الأذواق ، ومنها أنه متنوع الثقافة بحيث يستطيع أن يشترك فى الأحاديث التى تتصل بجميع الكليات

ثم أذكر أن معالى الدكتور عبد الواحد الوكيل لم يترك دروسه فى كلية الطب بعد أن صار وزير الصحة العمومية ، فهل يقع هذا إلا من رجل صقلته الروح الجامعية ؟

قولوا الحق واعترفوا بأن لكلية الطب مذاقاً غير مذاق مدرسة الطب ، مع الاعتراف بما لمدرسة الطب القديمة من أمجاد سيحفظها التاريخ

ثم يجىء القول عن مدرسة الهندسة بعد أن صارت كلية ، ومعلوماتى عن هذه الكلية قليلة ، لأنى مهندس معانى ، لا مهندس مبانى

ومع هذا يصح الحكم بأن الجامعة خلقت كلية الهندسة خلقاً جديداً ، فقد وجهتها إلى مرامىَ جديدة ، حين أوحت إلى أبنائها أن يشتركوا اشتراكا فعليًّا فى أكثر الأعمال الهندسية ، وكانت من قبل وقفاً على خلائق ليس لها فى هذه الديار أنساب

ولنفرض أن كلية الهندسة لم تأت بجديد ، فهل تنسون أنها تبالغ فى اختيار الطلاب ؟

ألم تسمعوا أن صدقى باشا عجز عن إلحاق أحد أبنائه بكلية الهندسة مع أنه استطاع حل البرلمان ؟

وسلطان الجامعة من هذه الناحية ليس اعتسافاً ، وإنما هو تعبير عن قوة الذاتية المصرية

ثم يجىء القول عن كلية الحقوق ، وهى وريثة مدرسة الحقوق ، ولطلبة مدرسة الحقوق القديمة تاريخ صوّره شاعرنا حافظ ابراهيم حين قال :

وكيف يضيع للطلاب حقٌّ وهم فى مصر طُلاّب الحقوق

وما كادت مدرسة الحقوق تصبح كلية حتى اهتدت إلى أن لها غرضين أساسيين هما جلة الرأى فيما تتسامى إليه من كرائم الأغراض

الغرض الأول هو البرهنة على أن اللغة العربية قديرة على الإفصاح عن دقائق القوانين . وأنا لا أتحيز لوطنى إن قررتُ أننا سبقنا جميع البلاد العربيـة إلى التأليف الجيد فى مختلف فنون التشريع

أما الغرض الثانى فهو معاونة الشعوب العربية على استرداد الثقة بالفقه الإسلامى ، وهو أخصب من الفقه الرومانى بمراحل طوال ...

وفى هذا المقام تلوح فرصة للـكلام عن الدكتور السنهورى فقد نهض بعبء فى تلقيح القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية ، وهو جامعى قديم ، لأنه كان من طلبة قسم الحقوق بالجامعة المصرية فى عهدها الأول ، ولأنه كان عميد كلية الحقوق بالجامعة المصرية فى عهدها الجديد . ولو أن الدكتور السنهورى أعفى نفسه من السياسة وتقلبات السياسة لأدى لوطنه خدمات أعظم وأنفع ، فقد دعى لوضع القانون المدنى العراق ، ولـكن منصب وكيل وزارة المـعارف أغراه بالاعتذار ، مع أنى ألححت عليه فى أن يترك ذلك المنصب الخداع ليؤدى لسمعة مصر العلمية خدمة مأثورة فى العراق الشقيق

ويضاف إلى هـذين الغرضين غرضٌ ثالث : هو الرغبة الشريفة فى معاونة الأمم العربيـة على التعمق فى الدراسات القانونية ، ولن ننسى فضل العراق فى إظهار ثقته النبيلة بكلية الحقوق المصرية ، فقد رأى أن يستأنس بها فى تقوية كلية الحقوق العراقية . وهذه الالتفاتة من جانب العراق تقوى ثقتنا بالـكلية المصرية ، وتدعونا إلى تأييدها بجميع ما نملك من فنون التأييد

هل أحتاج إلى القول بأن كلية الحقوق غير مدرسة الحقوق ؟

لقد نشأتْ فيها أقسام جديدة بعد الليسانس ، نشأتْ فيها دراسات لم تـكن معروفة قبل عهد الأنظمة الجامعية ، وبهذا استطاعت أن تقدم ألواناً جديدة من فقه التشريع ، وما أحب أن أزيد

وهنالك كلية مجهولة هى كلية الزراعة ، فهل تظنونها صورة من مدرسة الزراعة ؟

إبحثوا تعرفوا أن كلية الزراعة أمدت أبناءها بأفـكار وآراء لم تعرفها مدرسة الزراعة ، فقـد حاولوا وسيحاولون الاستيلاء على الأراضى التى لم تجد من يحسن استغلالها على الوجه الصحيح ، وقد كان من آثار جهودهم فى تنمية الثروة الزراعية أن أعلن أصحاب البساتين شكواهم من رخص الفواكه قبل أن تغليها أعوام الحرب

أما كلية التجارة فـكانها معروف ، فقد استطاع أبناؤها أن يكونوا السناد المتين لبنك مصر وشركاته المتنوعات ، وأنتم تعرفون أن بنك مصر توجيه جديد لأكثر أمم الشرق ، فهو أول بنك نزه تحريراته وحساباته عن اللغات الأجنبية ، واعتمد كل الاعتماد على اللغة العربية

أيها السادة

بقى القول فى كلية الآداب ، وكلية الآداب لها الصدارة فى جميع الجامعات ، ومن أجل هذا كانت كليتنا الغالية على يمين من يدخل حَرَم الجامعة المصرية

ومع ذلك فـكلية الآداب هى صاحبة الحظ الأوفر من الشقاء فى جميع الجامعات ، لأنها تعالج أموراً دقيقة لا تفطن إليها الجماهير إلا بعد زمن أو أزمان

ألوان المعايش تحتاج فى كل يوم إلى المهنـدس والتاجر والزارع والمحامى والطبيب ، وهى تستغنى بكل سهولة عن الأديب والمؤرخ والفيلسوف ، وهل يحتاج الناس إلى الأدب كما يحتاجون إلى الرغيف

ورقة مرقومة من كلية الطب تمنح حاملها العيش الرغيد ، وكذلك يقال فى الأوراق التى تمنحها سائر الـكليات

أما نحن فلا يعرفنا الجمهور ولا تعرفنا الدولة إلا بعد أن نبالغ فى إقذاء العيون تحت أضواء المصابيح

ولهذا أرجوكم السماح بعرض بعض الخدمات التى أدتها كلية الآداب إلى الوطن الحافظ للجميل ! !

كلية الآداب هى الـكلية المظلومة ، وسيلاحقها الظلم إلى أن تستطيع إقناع الأمة بأن الأدب مقدم على الرغيف ، فهل تستطيع أقلامنا أن تروض الأمة على الإيمان بأن زاد العقول مقدَّم على زاد البطون ؟

إن جهادنا سيطول ويطول ، إلى أن تذكر مصر أنها الأمة التى سبقت جميع الأمم إلى وضع تمثال للـكاتب المفكر قبل ألوف السنين

سنرى كيف تستطيع كلية الآداب أن تقنع الأمة بأنها

أنفع من كلية الطب ، وسنرى كيف يمكن إقناع الأمة بأن احتياجها إلى الأديب أشد من احتياجها إلى الطبيب ... يوم ذاك يصح القول بأن الجامعة أدت رسالتها خير أداء

وإلى أن يجيء ذلك اليوم أذكر بإيجاز بعض ما صنعت كلية الآداب ، فماذا صنعت كلية الآداب ؟

وهل تستطيعون أن تتناسوا جهود الأساتذة والخريجين بكلية الآداب ؟

التأليف عندنا ، فما رأى هذا العصر أقوى من كتاب الأدب الجاهلي و كتاب النثر الفني ، من حيث البلبلة الفكرية في الحياة الأدبية . ونحن الذين غيرنا اتجاه الأدب في مدارس الدولة من حال إلى أحوال

والترجمة عندنا ، فأبناء كلية الآداب هم الذين ترجموا دائرة المعارف الإسلامية مع تحقيقات يعترف بقيمتها المؤلفون الأصلاء

والشعر عندنا، فليتقدم لمصاولتي في الشعر من يطيق، ولن يطيق

والمجد القومي عندنا ، ففي كليتنا الغالية أقيمت معاهد للدراسات الأثرية من فرعونية وإسلامية ، بحيث يستطيع الفتى المصرى أن يعرف فضائل الأجداد والآباء

ونحن الذين فكرنا في أن يكون مدرسو اللغات الحية مصريين لا أجانب ، ويشرفني أن أكون صاحب هذا الاقتراح ، وقد نفذه العدو الصديق طه حسين

ونحن الذين ابتدعنا الرحلات العلمية إلى البلاد العربية ، ومن الطريف أن أنص على أن الحج الجامعى إلى بيت الله الحرام هو من ابتكار كلية الآداب ، وقد وصلت عدواه إلى طلبة الأزهر الشريف ، فتذكروا أن الحج من أركان الدين الحنيف

كليتنا عظيمة التأثير في الجيل الجديد ، ولا ينكر فضلها إلا مكابر أو جحود

أيها السادة

لكليتنا الغالية أمجاد جديرة بالتسجيل ، وأخص تلك الأمجاد حرية الفتاة في ارتياد المعاهد العالية ، وهذا لم يقع بمصر لأول مرة إلا في كلية الآداب

كانت رفيقتي في دروس الأدب والفلسفة والتاريخ فتاة لطيفة الروح ، وهي الآنسة مي ربيبة الجامعة المصرية ، وعنوان الكاتبة الموهوبة في اللغة العربية

وأنا لم أشترك في رثاء هذه الكاتبة ، لأني لا أزال أراها رأى القلب ، ولأني لا أحب أن أصدق أن الفناء يجوز على شبابها الجميل ، وكان من بسمات الوجود

وقبل أن تموت مى رأيت تأثير كلية الآداب حين زرت الموصل في ربيع سنة ١٩٣٨ ، فقد رأيت المدينة كلها مشغولة بكتاب أخرجته فتاة من طالبات كلية الحقوق

كلية الآداب هى أول معهد مصرى أباح اختلاط الجنسين في المعاهد العالية ، وهو مبدأ يرضى عنه قوم ويغضب عليه أقوام ولكنه مبدأ ، وللمبادئ قيمة ، ولو أقيمت أساسها على ضلال

وكلية الآداب هي أول معهد مصرى فكر في إمداد الصحافة بقوى جديدة مزودة بأهم أقوات الأذواق والعقول ، وسيكون لأبناء معهد الصحافة تأثير جميل في صحافة الجيل الجديد

أيها السادة

ستسمعون في هذه الليلة كلاماً في تجريح الجامعة ، من أبناء الجامعة أنفسهم ، فلا تظنوا ذلك التجريح من صور العقوق وإنما يجب أن تعدوه من صور الوفاء ، لأنه من أقوى البراهين على أن الجامعة أدت رسالتها خير أداء

أهم رسالة من رسالات الجامعة هى خلق القلق الروحى والعقلى ، فإن غلبنى مناظرى في هذا المساء فسيكون فوزهم تأييداً لحجتى . وهل تنسون أن الأشبال لا يصاولون آباءهم إلا بعد أن يصبحوا من الأسود ؟

لا أعرف ما الذى سيقول مناظرى الفضلاء ، ولكنى أخشى أن يفوتهم مقتل هو أضعف مقاتل الجامعة المصرية ، وهو عجزها الفاضح عن أن تجعل اللغة العربية لغة التدريس في جميع المواد بجميع الكليات

لقد قضيت عشر سنين في الدعوة إلى هذا المبدأ القوى ، فما استمع مستمع ولا استجاب مستجيب ، فليلتفت مناظرى إلى هذا المقتل ، وليقولوا لرجال الجامعة إن السبات قد يفضى إلى الموت ثم إلى الفناء

لا يجوز في أية جامعة أوربية أو أمريكية أن يؤدى امتحان بغير اللغة القومية ، إلا أن يكون امتحاناً في إحدى اللغات الأجنبية ، أما الجامعة المصرية فتسمح بأن يؤدى الامتحان بغير اللغة العربية في المباحث الإسلامية ، وهذا هو الكفر بعد الإيمان !

جرّحوا الجامعة ، جرّحوها بعنف ، لتستيقظ فتثور على الغفلة والجهل ...

قولوا وأطنبوا ، فإن لم تفعلوا — وستفعلون — فسآخذ الكلمة من أفواهكم لأسمع الجامعة ما تحب أن تسمع ، فرضاها عن هذه الحال رضا اليأس ، لا فرح التحليق فى أعالى الجواء .

جولوا وصولوا ، يا بنى الأم الروحية ، وقاتلوها وقاتلونى ، لأرى أنكم وهبتم العزائم الفواتك ، والأرواح الصحاح

أنا أثنيت على الجامعة بالحق ، فجرحوها بالحق ، لتأمنوا صيالى فى ردكم إلى شرعة العدل والإنصاف

وإلى اللقاء بعد أن أسمع ما عندكم من حجج وبراهين ، فلن تضام الجامعة وفى الوجود رجل هو أصدق أبنائها الأوفياء

زكى مبارك

الحضارات القديمة

فى القرآن الكريم

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

(تتمة)

الحضارة اليونانية

اليونان من الجنس الآرى الذى ينتسب إلى يافث بن نوح عليه السلام ، وهم أول من حمل لواء الحضارة من ذلك الجنس ، وتمتاز حضاراتهم على غيرها من الحضارات بالنهضة العلمية التى قامت على أساسها ، وما زالت ترعاها وتتعهدها حتى ترعرعت وازدهرت ، وظهر فيها من أعلام الفكر أولئك الفلاسفة الذين رفعوا منار العلم ، ووصلوا فيه إلى ما لم يصل إليه أحد قبلهم ، فأقاموه على أسس ثابتة ، وجعلوا له حدوداً ومعالم ظاهرة ، وقد بلغ من قوة تلك الأسس وظهور تلك المعالم أنها لا تزال ثابتة إلى عصرنا ، وأن كل نهضة علمية حدثت بعدها تحذو حذوها ، وتجرى على منوالها ، فتبنى على تلك الأسس ، ولا تتخطى تلك الحدود والمعالم ، ويكون كل همها أن تصلح فيها خطأ أو تزيد على آثارها آثاراً جديدة

وكما تمتاز الحضارة اليونانية بهذا تمتاز بأمر آخر له خطره ، وهو محاولتها جمع العالم على حضارة واحدة ، وإخضاع الشعوب البشرية لسلطان واحد ، حتى يمكنها أن تتقارب وتتفاهم ، وأن تتعاون فى كل عمل يرفع شأن البشر ، ويعود عليه بالخير والرفاهية ، والحضارة اليونانية فى تلك المحاولة على عكس الحضارة اليهودية ، لأن اليهود كانوا يعتقدون أن حضارتهم حباء من الله لهم ، وأنهم أوثروا بها إيثاراً على غيرهم من الشعوب ، فلا يصح لهم أن يشركوا فيها غيرهم ، ولهذا عاشوا منعزلين عن غيرهم من الشعوب ، ولم يحاولوا أن يضموا شعباً منها إلى حظيرتهم

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين الغرضين الحميدين فى الحضارة اليونانية ، وفصلهما أحسن تفصيل فى سورة الكهف من الآية — ٨٣ — إلى الآية — ٩٨ — (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سبباً ، فأتبع سببا ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوماً ، قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرا ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم اتبع سبباً ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ، كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ، ثم اتبع سببا ، حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض ، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطرا ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ، قال هذا رحمة من ربى ، فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا)

فهذه الآيات تفيد أن ذا القرنين كان يرمى إلى أمرين عظيمين ، أولهما جمع الشعوب فى شرق الأرض وغربها تحت حكمه ، ليكون لهم جميعاً سلطان واحد يجمع كلمتهم ، ويقرب مسافات الخلف بينهم . وثانيهما نشر العلم والحضارة بين تلك الشعوب ، فمن آمن وأذعن لذلك جزاه أحسن الجزاء ، ومن لم

يؤمن ويذعن لذلك ناله ما يناله من العذاب ، وقد تم لذى القرنين من ذلك ما أراد ، فجمع أكثر الشعوب المتحضرة تحت حكمه ، ثم عمل على أن يحفظها من الشعوب المتوحشة التى كانت تغير عليها ، وتخرب ما تخرب من آثار الحضارة فيها

وذو القرنين الذى تم له كل هذا هو الاسكندر المقدونى اليونانى ، كان أبوه فيليب ملك مقدونيا ، وكان ملكاً عظيم القدر ، عمل على أن يجمع بين البلاد اليونانية فى حلف تتولى مقدونيا زعامته ، ثم يوجه قوة اليونان بعد توحيدها نحو الفتح الخارجى ، ولكنه قتل قبل أن يتم غايته ، فخلفه ابنه الاسكندر على عرش مقدونيا ، وكانت سنه عند ولايته عشرين سنة ، وقد ورث عن أبيه بعد الهمة وقوة العزم ، وزاد عليه بتربيته على يد أرسطو الفيلسوف المعروف ، فنشأ محباً للفلسفة والعلم ، عاملاً على نشرهما فى أنحاء المعمور . وقد أراد أولاً أن يخضع بلاد اليونان كلها لسلطانه ، فإذا تم له إخضاعها توجه إلى ذلك الفتح الذى يجمع الشعوب تحت رايته ، وكانت دولة الفرس على عهده أكبر دول الأرض ، فعمل على قهرها أولاً ، وعبر مضيق الدردنيل إلى الأناضول ، فانتزعه من أيدى الفرس ، وأوقع بجيوشهم فى موقعة إسُوس ، ثم اتجه غرباً نحو الشام ومصر فانتزعهما أيضاً من أيدى الفرس ، وما زال يسير غرباً حتى بلغ عين الشمس بواحة سيوة ، وهى العين الحمئة أو الحامية التى ذكر القرآن أنه بلغها فى فتوحاتها الغربية ، ثم عاد فاتجه نحو الشرق قاصداً بلاد فارس ، ليقضى على دولة الفرس فيها ، وما زال يسير شرقاً حتى بلغ سهول الهند الشمالية ، ولم يبق أمامه إلا بلاد يأجوج ومأجوج التى ذكر القرآن أنه وصل شرقاً إليها

ولا شك أن هذا الاتفاق بين فتوحات ذى القرنين والاسكندر المقدونى دليل على أنهما شخص واحد ، وقد ثبت مع ذلك أن الاسكندر المقدونى كان يلقب بذى القرنين ، وفى هذا دليل آخر على أنه هو ذو القرنين الوارد فى القرآن . وقد ذهب إلى هذا الرأى كثير من المفسرين ، ومن رأى منهم أن ذا القرنين غير الاسكندر المقدونى فقد خبط فى بيانه خبط عشواء ، ولم يهتد إلى ملك يثبت التاريخ الصحيح أنه كانت له تلك الفتوحات .

ولا يوجد لدى الذين يأبون أن يكون ذو القرنين هو الاسكندر المقدونى إلا أنه كان على دين فلاسفة اليونان ، ولم يكن رسولاً يدعو إلى الإيمان كما هو ظاهر القرآن فى قوله : (قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب) ونحوه مما ورد فى الآيات السابقة . ولنا فى الجواب عن هذا أن نذهب إلى أن الفلسفة اليونانية لم تكن فلسفة وثنية مادية ، وإنما كانت فلسفة توحيدية روحية ، إذ كان العقل عند الفلاسفة الأقدمين كسقراط وأفلاطون وأرسطو يعد مظهراً للروح ، وأكبر دليل على أن لها وجوداً مستقلاً عن الجسد ، فتنفصل منه بعد الموت ، وتصعد إلى عالم أرفع من هذا العالم ، وهذا هو الإيمان بالتوحيد والبعث الذى دعت إليه الأديان السماوية . وقد كان فى أولئك الفلاسفة من ادعى الإلهام والوحى كفيثاغورس وسقراط ، وهى دعوى لا يوجد فى الإسلام ما يمنع من قبولها ، لأنه يمتاز على غيره من الأديان بأنه لا يجعل الرسالة السماوية وقفاً على قوم من الأقوام ، وقد قال الله تعالى فى الآية (٢٤) من سورة فاطر : « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » وإذا كان فى آثار أولئك الفلاسفة ما يخالف الدين ، فإنه يمكن أن يكون من التحريف الذى أصاب الفلسفة اليونانية ، كما أصاب الأديان السماوية القديمة . على أن كثيراً من أنصار هذه الفلسفة فى اليهودية والنصرانية والإسلام لا يرون أنها تخالف هذه الديانات ، وقد استخدموا علومها وآلاتها فى نصرة الدين ، حتى صار علم الكلام فى هذه الديانات متأثراً إلى حد كبير بهذه الفلسفة

ويمكننا أن نذهب فى الجواب عن ذلك مذهباً آخر نسلم فيه أنه لم يكن فى هذه الفلسفة وأصحابها إلهام ولا وحى ، وأنهم وصلوا إليها بنظر العقل ، فإنه يبقى مع هذا أن أولئك الفلاسفة اجتهدوا بعقولهم فى الوصول إلى الحقيقة المطلقة ، فوصلوا فى ذلك إلى أسمى ما وصلت إليه العقول فى العصور القديمة ، وإلى ما استحق التقدير من كل من ظهر بعدهم من الأمم إلى عصرنا الحاضر ، فإذا ذكر القرآن آثار علم من أولئك الأعلام ، فإنه يقدر منها ما يستحق التقدير من كل منصف ، وإذا كان فيها شىء من المؤاخذات فإن الله لا ينظر إليها فى هذه الحالة ، كما قال تعالى فى الآية (١٥) من سورة الإسراء : « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر

ابن خلدون

مؤرخ الحضارة العربية

للأستاذ عيسى محمود ناصر

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

الكلام على الفصلين الثالث والرابع

يمكن أن يقسم كلام ابن خلدون فيهما أقساماً ثلاثة : الإقليم والبيئة الجغرافية والدين ؛ فلقد تتبع المجتمع البدوى والحضرى وحكومته على اختلاف ضروبها ووسائل الارتزاق ولم تعد أحكامه فى سياسة الممالك الاستبدادية التى ذكرها فى مقدمته مطردة فى عصرنا هذا إذ أصبحت طريقة الحكم فى هذا العصر دستورية مبنية على الحكم النيابى الذى يؤيده الدستور ويدعو إليه سواء أكانت جمهورية أم ملكية ، على أن معدات الحروب وظواهر المدنية الحاضرة تختلف كثيراً عن حالتها السابقة

ومن رأى ابن خلدون أن هناك ثلاث ظواهر مستقلة عن المجتمع تؤثر فيه باستمرار هى : الإقليم والبيئة والجغرافية والدين ، وقد تأثر فى نظرياته الجغرافية « ببطليموس » الجغرافى اليونانى ، وبالإدريسى الجغرافى العربى ، وهو فى هذا يبين أن البيئة الجغرافية وسيلة إلى شرح الأقاليم المختلفة ، وأن درجات الحرارة المختلفة تؤثر فى أجسام الناس وأخلاقهم ، ومن ثم فى الحضارة ؛ فسواد لون سكان الجنوب يرجع إلى شدة الحر حيث الشمس محرقة دائماً ، وأما لون أهل الشمال فأبيض للسبب العكسى . أما الأقاليم المعتدلة فأجسامهم أقوى وأوفر توازناً فى حين أن أهل الأقاليم المنحرفة مجردون عن الحضارة ، فهم همج لا يعرفون شريعة ولا حكومة ولا ديناً ، وأخلاقهم فى غاية التناقض ، ولكنها بعيدة عن أن تكون مجتمعاً متحضراً . ويعلمنا التاريخ أن الحضارة لم توجد قط إلا فى البلاد المعتدلة ، وأن درجة كمالها تختلف بقربها أو بعدها عن الإقليمين المنحرفين ، ولهذا كان الإقليم الرابع الذى يشغل الوسط والذى يتمتع بحرارة معتدلة ينعم دائماً بضروب الحضارة ، ففيه الحكومات والشرائع والأديان المنزلة والعلوم والفنون . ويضع ابن خلدون فى ذلك الإقليم المعتدل : الشام والعراق ، فالشام مهد اليهودية والنصرانية ، والعراق كان بها الحضارة الآشورية ، ولكنه اعترضته صعوبة أن بلاد العرب مهد الإسلام ، وموطن العربية — ليست من الأقاليم المعتدلة ، ولكن البحر يحوطها من ثلاث جهات فأثرت رطوبته فى الهواء ولطفت من قيظها المفرط . ثم قال : إن بأخلاق أهل الجنوب خفة وطيشاً ، وإنهم لا يعرفون السكينة ، ويقضون معظم حياتهم في اللهو والرقص ؛ فالحرارة مخلخلة للهواء والبخار زائدة فى كميته ، وقد اتفق ابن خلدون و « منتسكيو » فى أثر البرودة والحرارة فى الأجسام ، ولكننا لا نرى فى هذا العصر أثراً لمقاومة البرد والحر ، وهناك برهان قاطع على أن نظرية الإقليم كما يشرحها « أرسطو » وابن خلدون و « مونتسكيو » ليست معصومة من الزلل ؛ فابن خلدون يرى أن سكان الشام والعراق هم أكثر الشعوب فوزاً بذلك الامتياز ، و « مونتسكيو » يرى المثل الأعلى فى أمم الشمال ، و « أرسطو » يرى الشعب اليونانى هو الذى بعث ذلك التقدم إلى باقى الشعوب

ثم تكلم ابن خلدون عن الروح البشرية والنبوة والكهانة ، وهو لا يعتبر الدين من عوامل الحضارة ، ولا يعلق على تأثيره فيها

أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » . وقد فعل القرآن الكريم ما يقرب من هذا مع الروم فى حروبهم مع الفرس ، فراعى لهم أنهم على كل حال أهل كتاب ، وبشر المسلمين بنصرهم فى الآيات الأولى من سورة الروم « ألم ، غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ؛ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم »

أما قوله تعالى : « قلنا يا ذا القرنين » فلا يفيد إلا أن ذا القرنين كان فى تلك الفتوحات وفيما يقصده منها مسيراً بأمر الله وقد ذكرنا أنه كان له فى تلك الفتوحات مقاصد نبيلة ، وكل شىء يحصل فى هذه الدنيا فبأمر الله وتقديره .

عبد المتعال الصعيدى

أهمية كبيرة ، والواقع غير ذلك ؛ فالمجتمعات تتأثر بالدين وله تأثير قوى فى النفوس ، والدين مادة غزيرة من الفلسفة والتقاليد والمعتقدات . ولقد وفق ابن خلدون بين الفلسفة والدين كما وفق ابن رشد بينهما

ويؤخذ على ابن خلدون فى مقدمته إنحاؤه على العرب وقسوته فى الحكم عليهم فى كثير من سياسة الملك ؛ فقد غمطهم حقهم ، وشدد النكير عليهم ، فنعى عليهم عجزهم عن التغلب إلا على البسائط ويقول : إنهم لا يتغلبون على قطر إلا أصابه الخراب المطلق ، فهم يهدمون الصروح ، ويغتصبون أملاك المغلوبين مستشهداً بتخريب إفريقية الشمالية فى القرن الخامس ، وأنهم يجهلون سياسة الملك . والتاريخ وحده أقوم دليل على دحض هذه المفتريات . ويبدو فى كلامه هذا التحامل على العرب ، وإنه لعربى حضرمىّ ، ولكن ذلك راجع إلى العصبية المغربية ؛ فأهل المغرب لهم عواطفهم وتقاليدهم ، وهم قد خرجوا من سلطان العرب منذ القرن الثانى للهجرة .

أما تحامله على العرب وعجزهم عن التغلب إلا على البسائط كسهول الشام والعراق ومصر وساحل إفريقية الشمالية فمردود بحوادث التاريخ فقد نسى ابن خلدون أو تناسى أنهم فتحوا فارس واستقروا هناك أكثر من قرنين ، وأنهم فتحوا بلاد الأندلس ، وأسسوا فيها حضارة وملكاً كبيراً استمر أكثر من ثمانية قرون

أما تخريب إفريقية الشمالية فى القرن الخامس فلم يكن إلا بأمر الخليفة الفاطمى . ثم مَنْ هم العرب الذين فعلوا ذلك ؟ إنهم بدو أعراب لم يتكافوا تربية ولا نظاماً . ولنا شاهد من تأسيس حضارة العرب فى فارس والشام وأسبانيا وإفريقية . ثم يقول : إن العرب ليسوا أهلاً لتأسيس الدولة إلا من طريق أثر دينى قوىّ ، وإنهم يجهلون سياسة الملك مع أنهم قبضوا على ناحية الحكم فى الدولة الإسلامية فى العصور الوسطى والحديثة وكانوا أقدر وأعدل وأمهر ؛ فقد هيئوا للشعوب المغلوبة أسباب التقدم العقلى المادىّ . ويقول : إنهم يبالغون فى احتقار العلوم والفنون مستنداً إلى أن معظم العلماء فرس وموال . ولكن أيغيب عن ذهنه أن هؤلاء البدو فرضوا دينهم ولغتهم على دولتى الفرس والروم ؟ اللهم إنها العصبية المغربية تغلبت عليه !

ابن خلدون والنقد الحديث

يصف الأوربيون ابن خلدون بأنه « مونتسكيو » العرب . وقد ترجمت مقدمته ونظرياته إلى اللغات الحية . وفى منتصف القرن التاسع عشر عنى النقد الأوربى بابن خلدون ونظرياته الاجتماعية عناية خاصة ، وكان أعجب ما فى هذا الاستكشاف أن يظفر الغربيون فى تراث هذا المفكر المسلم بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التى لم يطرقها البحث الغربى . وقد ردد « مكيافللى » المؤرخ السياسى الإيطالى الذى ظهر بعد وفاة ابن خلدون بأكثر من قرن كثيراً من نظرياته وآرائه كما رددها « مونتسكيو » المشرع الفيلسوف الاجتماعى الفرنسى و « آدم سميث » الفيلسوف الاقتصادى وغيرهم ، ولابن خلدون فضل السبق فى هذه الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفلسفة التاريخية .

ويعتبر كتاب «الأمير» «لمكيافللى» كمقدمة ابن خلدون . على أن ابن خلدون أغزر مادة وأوسع أفقاً من « مكيافللى » ذلك لأن مؤرخنا اتخذ من المجتمع كله وما يعرض فيه من الظواهر مادة أساسية لدرسه معللاً لها على ضوء التاريخ . أما « مكيافللى » فيدرس الدولة فقط أو يدرس أنواعاً معينة من التاريخ اليونانى أو الرومانى القديم ، أو تاريخ إيطاليا فى عصره ، أو يدرس شخصية الأمير أو الحاكم ؛ وهذه الدراسة المحددة تقابل الفصل الثالث من مقدمة ابن خلدون وإن كان ابن خلدون يفوق « مكيافللى » ، ويبتدع نظرية العصبية ونظرية أعمال الدولة وخواصها من الناحية الاجتماعية . ويمتاز « مكيافللى » من جهة أخرى بسلامة منطقه ودقة عرضه وتدليله وجمال أسلوبه ؛ وهو فى فلسفته هذه وصم آراءه ونظرياته بالصرامة والقسوة والخبث حتى كانت فى عصرنا الحاضر مضرب المثل للسياسة الغادرة التى لاضمير لها ولا وازع فتغاضت عن المثل العليا للانسانية والخلقية ؛ فالنفاق والشح ، والضعة ، والقسوة ، والإرهاب ، والختل ، ونكث العهود ، وإهدار الإخلاص ، والصداقة ، والأمانة ، والدين والوفاء ، كل أولئك تقوم عليه هذه السياسة «المكيافللية» وهى عنوان السياسة العملية القوية الخاطفة التى نشاهدها فى هذا العصر بين بعض الأمم والأفراد

وقد اعتبر ابن خلدون مؤرخاً لحضارة الدول الإسلامية ، فتحدث عن النظم السياسية وأنواع الحكم والخطط العامة ، كالقضاء ، والشرطة ، والإدارة ، وتطورها فى الدول الإسلامية كما تحدث عن النظم الاقتصادية والتجارة والمكوس والضرائب ، وعن المهن الحرة والحرف والصناعات ، ووجوه الكسب والمعاش ثم عن العلوم والفنون والآداب وتطورها فى العالم الإسلامى ، وإنما عالج هذه المسائل اعتقاداً منه أنها صور لهذا العمران ، ومراحل الحضارة مقياس لمراحل العمران

وقد أثرت فى آرائه العلمية مبادئ «أرسطو» و«أفلاطون» وبخاصة الجمهورية لأفلاطون كما أثرت فى آرائه فلسفة فيثاغورس الأفلاطونية ، وكما أثر فيها المسعودى أيما تأثير ، وقد استطاع أن يقرر منذ خمسة قرون أصل السلطتين الروحية والزمنية كما يقررها أساتذة القانون السياسى والدينى

ويمكن أن توصف فلسفته بأنها يغلب عليها التشاؤم والتطير ، ولكن تشاؤمه تشاؤم رجل مستسلم غير مكترث ، فهو لا يحكم وإنما يشاهد ، وهو بذلك يدلل على ذهنية علمية . ويرى بعض المستشرقين أن مصدر هذا انحطاط الدولة الإسلامية وتأخر الحضارة فى العصر الذى كتب فيه ابن خلدون مقدمته ، وإلى الظروف السياسة التى تقلب فيها وعصفت به ، وما أصابه فى حياته فى خويصة نفسه من ألم وخيبة أمل

وقد أوضح أهمية المال وبعد أثره فى قوى الدولة الداخلية ، وذكر كيف يفضى سوء الإدارة المالية والإسراف دائماً على الدولة بالفناء

ومن رأيه أن تأسيس الدولة سابق على تأسيس المدن ، لأن الدولة وسيلة لتأسيس هذه المدن ؛ فالقبيلة لا تستطيع ذلك قبل أن تتخذ شكل الدولة المنظمة تجتمع قوتها فى الحكومة ، فقد بنيت بغداد بأمر الخليفة المنصور ، وبنيت الفسطاط والكوفة والبصرة بأمر الخليفة عمر بن الخطاب ، وابتنى القائد جوهر مدينة القاهرة تنفيذاً لأمر المعز لدين الله الفاطمى ، ولحماية المدينة من الغارات تحاط بالأسوار الطبيعية والصناعية ، وتصان صحة السكان بجودة الهواء وغزارة الماء . وقد بين أن العرب لم يحسنوا اختيار مواقع مدنهم لأنهم يعنون بالمراعى ، وأنهم يجهلون بأن للهواء صفات يجب اعتبارها ؛ لأنهم تعودوا حياة التجوال والانتقال ؛ لذلك لم تكن المدن التى أسسها العرب فى بدء الإسلام فى العراق وأفريقية أهلاً للحضارة الثابتة ، وأن تقاوم صروف الزمن ، فقد زالت حينما سقطت دولها ؛ ولكن هذا الرأى مردود بأن الكوفة والبصرة لا زالتا موجودتين فى عهد ابن خلدون . وعنده أن تقدم الحضارة يتوقف على مزايا الأرض ومزايا الحكومة وكثرة السكان ، فمن الأرض تستخرج كل المواد الأولية ، والحكومة يجب أن تكون قوية عادلة كريمة ، وكذلك عمر الحضارة منوط بعمر الدولة لأن سقوطها يفضى إلى سقوط العاصمة ، ومن ثم تصاب الحضارة بضربة شديدة ؛ ولكن الحكومة الجديدة المتغلبة إذا كانت حازمة قوية استطاعت فى الحال أن ترد إلى العاصمة كل رخائها ، أما كثرة السكان فتخلق الحضارة ، وكلما كثر السكان كثرت المدنية وازداد الغنى واتسع المجال لتحصيل ثمار الترف !

ويرى ابن خلدون أن من أسباب ضعف الدولة انغماسها فى الترف وضعف العصبية أو الحزب الذى أنشأها وما ينشأ عن هذا الضعف من مطالب بعض الجنود الأجانب الذين يتخذهم بعض الملوك لحمايتهم . ولا شك أن لفيلسوفنا آراء ومذاهب ونظريات يؤيدها العلم الحديث والعرف ، وما نراه فى هذا العصر من قيام دولة وسقوط أخرى واختلاف الناس فى مذاهب الحياة وفهم الأخلاق . وقد عنيت أن أجلو أمام القارئ بعض هذه الآراء تاركا له فرصة الاستيعاب والتمحيص والموازنات الدقيقة . والله ولى التوفيق

عيسى محمود ناصر
المدرس بمدرسة الفيوم الثانوية

مصادر هذا المقال :

١ — فلسفة ابن خلدون الاجتماعية
٢ — ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربية
٣ — ابن خلدون حياته وتراثه الفكرى
٤ — مقدمة ابن خلدون — ترجمة الكاتب بقلمه

السيطرة على الجو

للأديب عبد المنعم محمد الزيادى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

« بيض » القاذفات

والبيض هنا هو القنابل فى عرف الأمريكيين ! أما القنابل المتفجرة العادية فلها غلاف ثقيل ينقسم إلى شظايا كثيرة تتطاير بمجرد انفجارها . وهذه القنابل تستعمل خاصة ضد الأفراد . وإذا انفجرت قنبلة من هـذا النوع زنتها مائة رطل ، فإن شظاياها تتطاير فى دائرة نصف قطرها خمسون ياردة . أما قنابل المهابط « الباراشوت » — وهى تستعمل ضد الأفراد كذلك — فتلقيها الطائرات عندما تكون على ارتفاع يقل عن ثمانمائة قدم، ولا تستطيع حينئذ أن تلقى قنابل متفجرة عادية خشية أن تصيبها شظاياها . فقنابل المهابط تتخذ طريقها ببطء متأرجحة فى الهواء إلى أسفل ولا تنفجر حتى تكون القاذفة قد ابتعدت تماماً . ويمكن كذلك أن تهيأ لتنفجر وهى ما تزال فى الهواء حتى تنشر شظاياها على الأفراد الذين يحتمون بالخنادق المكشوفة التى قد تقيهم شر القنابل المتفجرة العالية . أما القنابل المدمرة فلها غلاف رقيق يصلح لأن يحملها سليمة خلال أسطح المبانى التى تمر خلالها، ثم تأخذ حمولتها من المواد الشديدة الانفجار فى التدمير والتحطيم بمساعدة ضغط الهواء الشديد الذى يتولد مع سقوطها . ويقرر الخبراء أن مثل هذه القنبلة لو قدر لها أن تدفن فى الأرض قبل انفجارها ، فإنها عند انفجارها تنسف الأرض بمعدّل نصف ياردة مربعة من الأرض لكل رطل من المواد المتفجرة التى تحملها ؛ وهى تحمل من المواد المتفجرة ما بين ٢٥٠ و ١٠٠٠ رطل

« سلة خبز » مولوتوف

اكتشف الروسيون أن القنابل المحرقة تكون أشد فتكا إذا ألقيت على البناء الذى تمزق بفعل القنابل المدمرة ، وعلى هذا الأساس اخترعوا « سلة خبز » مولوتوف . وهذه السلة تشبه من الخارج القنبلة العادية تماماً . وتحتوى فى داخلها على ٢٠ أو ٣٠ أسطوانة صغيرة تحمل مواد محرقة وقنبلة مدمرة عادية فى الوسط . وتسقط القنبلة المدمرة من السلة على ارتفاع معلوم فتنتشر الاسطوانات المحرقة حولها فسرعان ما تلهب قطع الخشب أو القماش أو الورق التى تناثرت بفعل القنبلة المتفجرة . وربما كانت القنبلة البطيئة الانفجار هى أفظع وأشد أنواع القنابل فتكا ؛ فعندما تصطدم القنبلة بالأرض ، يحدث التصادم كسراً فى زجاجة ملأى بحامض يبدأ فى شق طريقه خلال حواجز معدنية قابلة للذوبان فيه حتى يصل إلى المادة المنفجرة ، وإذ يختلط بها يحدث الانفجار . وبالتحكم فى سمك الحوائط المعدنية يمكن تنظيم وصوله إلى المادة المتفجرة فى خلال بضع ساعات أو بضعة أيام إذا أريد ذلك

فوق الهدف

يصعب — بطبيعة الحال — أن تختفى مدن بأكلها عن أنظار القاذفات . وقد استعمل الطلاء (الكاموفلاج) للوقاية من الغارات الجوية فى الحرب العظمى الماضية ، فكانت الخطوط الجوية الكثيرة الملونة — على هيئة حمار الوحش — على أرض السهول والوديان تحدث اضطراباً شديداً للرائى . وقد وجد خبراء الوقاية أن هذا الخلط بين الألوان شديد التأثير على اللاحظين الجويين، لذلك طلوا أسطح المبانى الهامة بلون الحشائش أو الأحجار المجاورة كما غطوا الحوائط الجانبيـة بكروم اصطناعية . وقد أصبحت ترسانة « ولويتش » غاية فى التنكر بفضل ما نما حولها وفوقها من الحشائش ، حتى لقد أصبح عمالها يسمونها « بالبيت الأخضر » .

ومن المعروف أن المركبات السريعة هدف سهل للطائرات المنخفضة ، لكنه أصبح فى الإمكان جعلها « غابة متحركة » — كما قال أحد عامة لندن — وذلك بنثر الأوراق والأغصان والشجيرات على جوانبها وأسطحها . فإذا سار صف من هذه المركبات المتنكرة فى الطريق بجانب صف من الأشجار ، استطاعت أن تحتجب تماماً عن أعين الطيار اللاحظ . ولقد جدّ البريطانيون والألمانيون على السواء فى الاهتمام بالإظلام الليلى ، وذلك لسبب وجيه ؛ فقد دلت التجارب على أن عود الثقاب

الملتهب يمكن رؤيته من الطائرة على ارتفاع نصف ميل ، كما أنه يمكن رؤية المصباح المضاد على ارتفاع ميل وربع بوضوح تام ، والنافذة المضاءة على بعد ١٢ ميلاً . إلا أن هناك أشياء لا يمكن إظلامها تماماً ؛ فالموانىء وخطوط السكك الحديدية لا بد أن يظهر منها بعض الضوء . وأشد من ذلك وأنكى مجارى الأنهار ، فإنه فى أشد الليالى ظلاماً يظهر النهر كشريط ضيق لامع يرى فى جلاء ووضوح . ولا يمكن لأشد الاحتياطات إحكاماً أن تخفى الهدف تماماً إذا أخذت له صورة واضحة من الجو ، فالطباعة السوداء والبيضاء تظهر الوديان والسهول بوضوح ، كما تكشف خداع الألوان الذى قد يخدع العين المجردة . ولما كان من الصعب أن تقترب الطائرات من القواعد المهمة خلال النهار لتصويرها ، فإن فن التصوير الليلى قد تطور كثيراً . فعند ما تصبح الطائرة المنكشفة فوق البقعة المراد تصويرها ، يلقى المصور قنبلة من المغنسيوم ، وهذه تنفجر فى الجو على ارتفاع معلوم فتخرج ضوءاً ناصع البياض . وإذ يبلغ الضوء أقصى شدته يسبب حركة فى غطاء عدسة آلة التصوير ، فيتم التقاط الصورة من تلقاء ذاتها . وفى إحدى الصور التى أخذت على ارتفاع ١٢٠٠ قدم ظهرت كل شجرة فى نصف قطر طوله ثلاثة أميال بغاية الوضوح والجلاء

الهبوط إلى الأرض

لجنود المهابط الذين يسبق نزولهم غزو إحدى الجهات كما للجنود الذين تظلهم الطائرات قيمة عملية عظيمة الشأن ؛ فهم يحتلون المطارات الهامة أو يخربون المنشئات العسكرية ويربكون العدو إرباكا له قيمته للجيش المهاجم . لذلك اهتم الحلفاء بالإكثار من فرق هؤلاء الجنود وإحسان تدريبهم . وتحتاج الوحدة المهاجمة من جنود المهابط التى يبلغ عدد رجالها الألف ، إلى نحو ١٢٥ طائرة . تأتى فى المقدمة ثلاثون منها من قاذفات القنابل أو المنقضات ، تتبعها عن كثب عشرة من ناقلات جنود المهابط ثم خمسون طائرة من ناقلات الجنود حمولة الواحدة منها ٢٥ جندياً لنقل رجال القوة النظامية ، فى حين تحمل خمس طائرات أخرى عتاد هذه القوة الثقيل وهو يتكون عادة من ١٥٠٫٠٠٠ شحنة من الذخائر ، ٣٠ موتوسيكلا ، ٣٦٧ مدفعاً رشاشاً ، وستة مدافع مضادة للدبابات . ويحرس هذه القوة عدد من المطاردات يبلغ الثلاثين أو أكثر . فإذا ما بلغت القوة الهدف بدأت المدافع الرشاشة تصليه ناراً حامية حتى تقضى تماماً على مقاومة رجاله . ثم تنزل قوة من رجال المهابط يتراوح عددها بين مائة وثلاثمائة جندى ؛ ويفصل بين نزول جندى ونزول الآخر ثلاث ثوان بحيث يهبطون إلى الأرض فى جماعات صغيرة . ويحمل كل خمسة منهم مدفعاً رشاشاً صغيراً كما يحمل كل منهم مسدساً ، فإن البنادق والمدافع الرشاشة غالباً ما تسبب كسراً فى أذرع أو أرجل الجنود الهابطين ، فأصبحت هذه المعدات تلقى على حدة فى شحنات بواسطة مهابط تقل فى مساحتها عن المهابط (البارشوات) العادية مهلة الفتح من تلقاء ذاتها . وبمجرد أن يسيطر جنود المهابط على الهدف المقصود تتصل الوحدة الجوية بالقوة الرئيسية التى تهبط فى نظام دقيق . فلا يمضى سوى ساعة واحدة حتى تكون القوة قد بدأت الزحف . أما جندى المهابط فيتلقى تدريباً حربياً يفوق كل ما يناله جندى آخر فى الخدمة العسكرية . فالمراد من تدريبه أن يعرف كيف يهبط إلى الأرض دون أن يؤذى نفسه ، وكيف يختار أحسن الأمكنة لنزوله . وهو يستعمل لذلك نموذجاً معقداً يبين الأراضى الصعبة ومكانها . والمفروض فى كل رجل أن يكون خبيراً بفن الإشارة وقيادة الطائرات . ويجب أن يكون تام التدريب على كيفية استعمال الأنواع الأجنبية من المدافع الرشاشة والأسلحة الأخرى التى يمكن أن يغنمها . من ذلك ترى أنه لا يصلح سوى أشد الناس ذكاء وسرعة خاطر لهذا الطراز من القتال

أسلحة لمركبات الجو

ما برح سلاح الطيران الملكى البريطانى يرفع من شأن الدفعية الجوية من حيث الدقة والقدرة على الفتك والتخريب . فإن قائد مطاردة من طراز « سبيتفاير » يستطيع بتصويب طائرته نحو الهدف بمساعدة المنظار ثم الضغط على الزر الخاص ،

٤٩ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الرابع عشر — الصناعات

مياه الآبار في القاهرة مشربة بالملوحة ، فيجلب السقاءون الماء من النيل للسكان متعيشين من هذه المهنة . وكذلك يجلبون الماء من الخليج الذي يشق العاصمة أثناء الفيضان ، أو بالحرى مدة الشهور الأربعة التي تعقب فتح هذا الخليج . ويجلبونه من النيل في غير ذلك الوقت ، وهم ينقلون الماء في مزادات من الجلد على الجمال والحمير ، وقد يحملونه على ظهورهم في قرب صغيرة لمسافة قريبة (أنظر شكل رقم ٥٧) ويطلق على المزادة التي يحملها الجمل لفظ « رِيْ » والرى زقان واسعان من جلد البقر . ويسمى ما يحمله الحمار « قربة » وتكون من جلد الماعز . ويحمل السقاء كذلك قربة من جلد الماعز إذا لم يملك حماراً . ويسع الرى ثلاث قرب أو أربعاً . ويصيح السقاء عادة : (يعوض الله) فيدل هذا الهتاف على مروره . ويكاد أجر السقاء على القربة التي يحملها ميلاً ونصف ميل أو ميلين ، لا يتجاوز أكثر من مليمين



(شكل ٥٧)

ويوجد أيضاً سقاءون يزودون المارة بالماء . ويسمى بعضهم (سقا شربة) (شكل ٥٨) ، ويحمل هؤلاء قربة ذات أنبوبة نحاسية طويلة ويصبون الماء للظمآن في طاس نحاسي أو قلة من

أن يطلق ١٢٠ طلقة في الثانية من ثمانية مدافع رشاشة مثبتة في جناحي الطائرة . وهذه المقدرة الفائقة على إطلاق النار من مستلزمات سرعة المطاردة التي لا تمكن المدفعي من أن يبقى فوق هدفه أكثر من ثانية أو ثانيتين في كل مرة يزوره فيها . والمدافع موضوعة بحيث تلتقي خطوط نيرانها على مدى بضع مئات من الأقدام أمام الطائرة . وقد اخترع سلاح الطيران البريطاني « طابية » تركب على القاذفة وبها أربعة مدافع أو أكثر تدور بدورانها وهذا يمكّن المدافع من أن تطلق نيرانها في أي اتجاه . وهذه الطوابي توجد على ذنب القاذفة وجسمها ومقدمتها . وتستعمل هذه المدافع كاياً أثناء القتال رصاصاً يترك وراءه أثراً . فمقدمة الرصاصة ملأى بمركب فسفوري فإذا انطلقت في الجو تركت أثراً واضحاً من الدخان في النهار أو من النار في الليل . فإذا كان بين كل خمس رصاصات واحدة من ذوات الأثر أمكن للعين أن ترى وتتبع خط الضرب . ولا يخفى أن رؤية الإنسان أين يضرب من الأهمية بمكان عظيم وبخاصة في المدفعية الجوية الحديثة حيث سرعة عمليات الهجوم والدفاع عظيمة بحيث يكاد يكون من المستحيل تتبع الهدف في البقعة التي يحددها المنظار

أصديق أم عدو ؟

لكل طائرة علامة أو أكثر للتعرف عليها إن كانت صديقة . وهي غالباً ضوء صغير في الذنب والقاع ، يمكن أن يصحبه مفتاح تلغرافي بجانب القائد . وتعطى علامات التعارف هذه للطيارين جميعاً في كل ليلة لتكون بمثابة كلمة المرور بين الطائرات وبعضها أو بين الطائرات وبطاريات المدافع المضادة . فقد يرى قائد في سلاح الجو البريطاني يقوم بأعمال الدورية مثلاً إشارة غريبة في طائرة أخرى مرت به قد تكون معادية . وعندئذ يضيء بإشارة التعارف فإذا ردّ عليه الآخر بالإشارة المتفق عليها تابع سيره ، وإذا لم تكن الإشارة بما يتوقعه تحسس توّاً زرّ مدافعه الرشاشة .

عبد المنعم محمد الزيادي
معهد الصحافة بالجامعة الأمريكية

الفخار . وهناك طبقة كثيرة العدد تمتهن الحرفة نفسها ويسمى الواحد منها (حَمَليا) (شكل ٥٩) وأغلب هؤلاء دراويش من الرفاعية أو البيومية ، وهم معفون من ضريبة الفردة . ويحمل الحلى على ظهره إبريقاً من فخار رمادى يبرد الماء، ويحمل أحياناً قلة من الماء المعطر بماء الزهر المقطر من زهر النارنج ، ليقدمه إلى أفضل عملائه . وكثيراً ما يضع فى فوهة الأبريق غصناً من النارنج. ويتناول الحلى من أفراد الطبقتين العليا والوسطى قطعة فضة إلى خمس فضة .



(شكل ٥٨) سقا شربة

ولا يتناول من الفقراء شيئاً أو يتناول منهم قطعة خبز أو أى طعام آخر يضعه فى جراب يعلقه على جانبه . ويصادف المرء كثيراً من الحمليين وبعض السقائين فى ساحات الحفلات الدينية ، كالموالد



(شكل ٥٩) حملى

وغيرها التى تقام فى القاهرة وضواحيها . وكثيراً ما ينفحهم زائرو قبور الأولياء نقوداً فى مناسبات كهذه ليوزعوا الماء على الراغبين من المارة . وتسمى هذه الصدقة (تسبيل) ، وتكون إكراماً للولى ، أو فى مناسبات أخرى غير الموالد .. ويسمح لهؤلاء السقائين فى هذه الأحوال أن يملأوا الأبريق أو القربة من « سبيل » عام ، لأنهم لا يتناولون شيئاً من المارة . وهم ينشدون لهذه المناسبة لحناً قصيراً ، داعين الظمآن ليتناول من هذه الصدقة المقدمة باسم الله فيقولون : (سبيل الله ياعطشان) ويدعون لمن قدم الإحسان أن تكون الجنة والمغفرة من نصيبه فيقولون (الجنة والمغفرة لك يا صاحب السبيل)

ويوجد آخرون ، تماثل مهنتهم مهنة الحلى . ومن هؤلاء ، بائع العرقسوس المذكور فى فصل سابق . ويحمل العرقسوسى جرة حمراء من الفخار على جانبه الأيسر ويربطها بسير من جلد أو غيره ويسندها بيده اليسرى (شكل ٦٠) كما يحشو فوهة الجرة بليف النخل ويحمل طاسين من النحاس



(شكل ٦٠) عرقسوسى

أو قدحين من الصينى أو أكثر يقرعهما معاً . ويتجول كثير من بائعى الشراب بالطريقة نفسها . ويحمل بائع الشراب عادة وعاء « الشيشة » الزجاجى ملآن بمنقوع الزبيب فى يده اليسرى ، وأبريقاً كبيراً من القصدير أو النحاس الأحمر ، وقللاً زجاجية فى يده اليمنى . ويحمل بعضهم صينية مستديرة من النحاس الأحمر المبيض وعليها قلل ملأى من « التين المبلول » أو « البلح المبلول » ، « وسطلة » نحاسية أو طاسا من الفخار الصينى . ويباع السحلب أيضاً بالطريقة نفسها ، والسوبيا كذلك ، وهى تصنع من لب عبد اللاوى يبل ويدق ثم ينقع فى الماء ثم يصفى ويحلى بالسكر ، وقد تصنع من الأرز بدلاً من اللب . وتحمل السوبيا فى أوعية كأوعية الزبيب ؛ غير أن الأكواب هنا توضع فى وعاء من القصدير يشده البائع بحزام إلى وسطه .

ذكرت قبلاً أن كثيراً من فقراء القاهرة يتعيشون من تنظيف الشبك . ويحمل « المسلكاتى » أى منظف الشبك سلوكاً طويلة لهذا الغرض يضعها فى عصى مجوفة ثلاث أو أربع

أو فى أنابيب من القصب ، يشدها معاً ويعلقها على كتفه (شكل ٦١) ويعلق مع العصى أو الأنابيب حقيبة صغيرة من الجلد بها ألياف من القنب يلفها أعلى السلك لتنظيف الشبك . ولا يتناول السلكاتى على تنظيف الشبك الواحد أكثر من نصف فضة


(شكل ٦١) مسلكاتى

يتعيش الكثير من الطبقة السفلى رجالاً ونساء ، فى القاهرة وغيرها من مدن مصر ، من التسول . والكثير من هؤلاء ، كما هو المتوقع ، دجالون كريهون ، فبعضهم يشق مظهره على المرء ولكنه يجمع أموالاً وافرة . وقد حدث منذ شهور قليلة حادث من هذا النوع شاع أمره فى القاهرة . ذلك أنه كان هناك فلاح ضرير تقوده ابنته فى شوارع القاهرة وهما يكادان يسيران عاريين دائماً . وقد تعود هذا الفلاح أن يدعو يومياً إلى منزله سائلاً تركياً ضريراً ، فيتناول العشاء معه . وفى ذات ليلة غاب الفلاح عن منزله ، ولكن ابنته أعدت العشاء للصديق التركى الذى جلس يأكل وحده . وحدث أثناء ذلك أن مد يده إلى جانبه فوقعت على جرة ملآنة نقوداً . فلم يتردد فى حملها وهو منصرف . وكان فى الجرة مائة كيس وعشرة من قطع الخيرية ، وهي قطع صغيرة ذات تسعة قروش ، أى ما يساوى حينئذ أكثر من خمسمائة وخمسين جنيهاً . فذهب المجنى عليه إلى القلعة يطلب إنصافه ، فاستعاد ماله ما عدا أربعين خيرية كان اللص قد أنفقها ، وقد حرم التسول على الفلاح بعد ذلك . وكثيراً ما يشاهد المرء فى القاهرة الأطفال عراة تماماً . وقد رأيت كثيراً فتيات بين سن الاثنى عشر والعشرين يتسولن فى الطرق دون أن يسترهن غير قطعة رثة حول الكشح وقلما يتأثر هؤلاء من برد الشتاء أو حر الصيف لتعودهم ذلك من الطفولة . ويستطيع الرجال أن يناموا فى بعض المساجد . وليست حال المتسولين ، من وجوه أخرى ، سيئة جداً كما قد يرى الأجنبى من مظهرهم . ويكاد المتسولون بلا ريب أن يحصلوا على طعام أو نقود تكفى لسد حاجاتهم الضرورية ، وذلك نتيجة لميل المصريين إلى الإحسان ، وتعود التجار تناول الطعام فى دكاكينهم وإعطاء السائلين شيئاً منه . وهناك متسولون ينفقون جانباً كبيراً مما يجمعونه صباحاً فى التمتع بتدخين الحشيش ليلاً فيتخيلون أنهم أسعد الناس

ولا تخرج صيحات المتسولين فى القاهرة عن دعاء الله . ومن أكثر الأدعية شيوعاً قولهم : (يامحنن يارب !) (لله يامحسنين) (أنا طالب من عند ربى رغيف عيش) (يامانت كريم يارب) (أنا ضيف الله والنبى) . وقولهم مساء : (عشاى عليك يارب) وفى ليلة الجمعة : (ليلة الجمعة الفضيلة) وفى يوم الجمعة : (يوم الجمعة الفضيل) . وكان هناك متسول ، تعود أن يمر بدارى يومياً ، يقول : (توكل على الله ! لا إلـه إلا الله) وإنى أسمع الآن متسولة تصيح : (عشاى عليك يا رب . من إيدى مؤمن كريم موحد بالله . يا أسيادى !) . ويرد الناس المتسولين عادة ، إذ أنهم كثيرون بحيث لا يمكن المرء أن يعطى كل من يسأله ، بقولهم : (الله يساعدك) . (الله يرزق) . (الله يعطيك) . (الله يعينك) . ولا يرضى السائل برفض لا يتضمن ما سبق ذكره أو ما يماثله . ومن المعتاد أن يرى المرء فى أشد الشوارع ازدحاماً سائلاً يطلب ثمن رغيف عيش يمسكه فى يده بينما يتبعه بائع الخبز . ويتجول بعض السائلين ولا سيما الدراويش ، وهم ينشدون قصائد فى مدح النبي صلعم ، أو يدقون الصنوج أو طبلة صغيرة . ويتجول الدراويش بين قرى الريف للتسول . وقد رأيتهم يعتلون الجياد . كما شاهدت أخيراً أحدهم يتنقل بين الأكواخ على جواد يستجدى الخبز ويصحبه رجلان يحمل كل منهما بيرقاً ، وثالث يقرع طبلاً

(يتبع) عدلى طاهر نور

في ظلال النيل

أنس الوجود ... !

يَا شِرَاعاً عَبَرَ الْمَاضِي إلى وَادِي الْخُلُودِ !
وَتَهَادَى فِي حِمَى فِرْعَوْنَ مَرْفُوعَ الْبُنُودِ
وَمَضَى فِي مَوْكِبِ الذِّكْرَى إلى دُنْيَا جُدُودِي
مِلْ مَعَ الْمَوْجِ بِنَا ... هَاهُنَا أُنْسُ الْوُجُودِ !

***

هَيْكَلٌ غَنَّى لَهُ الدَّهْرُ أَنَاشِيدَ الْجَلَالِ !
وَبَنَاهُ فِي ظِلَالِ النِّيلِ أَبْنَاءُ الْمَعَالِي
وَرَعَاهُ الْمَجْدُ فَوْقَ الْأَرْضِ عُنْوَانَ الْمُحَالِ !
هَاهُنَا أَغْفَتْ مَعَ الْأَمْوَاجِ أَحْلَامُ اللَّيَالِي !!

***

مَالَتِ الشَّمْسُ عَلَى أَعْتَابِهِ عِنْدَ الْغُرُوبِ !
وَسَجَا اللَّيْلُ فَأَصْغَيْتُ إلى هَمْسِ الْغُيُوبِ !!
مَوْكِبٌ يَخْتَالُ فِي عِزَّتِهِ مَجْدُ الشُّعُوبِ
وَرُؤًى مِنْ فِتْنَةِ الْوَادِي وَأَحْلَامِ الْقُلُوبِ !

***

يَا خَيَالِي عُدْ إلى مَاضٍ مِنَ الْمَجْدِ تَلِيدِ
وَاسْتَمِعْ هَمْسَ الْمَعَالِي مِنْ فَمِ الْأَمْسِ الْبَعِيدِ !
وَامْضِ بِي فِي رَكْبِ فِرْعَوْنَ أُغَنِّي بِنَشِيدِي !
وَأُحَيِّي مَا بَنَاهُ فِي حِمَى النِّيلِ السَّعِيدِ !

***

عُمُدٌ عَزَّتْ عَلَى الْأَرْضِ بِأَسْرَارِ السَّمَاءِ !
وَسَقَاهَا النِّيلُ مِنْ أَمْوَاهِهِ مَعْنَى الْبَقَاءِ !
وَحَمَتْهَا عَزْمَةُ الْأَبْطَالِ مِنْ شَرِّ الْفَنَاءِ !
فَتَسَامَى فِي حِمَاهَا الْمَجْدُ خَفَّاقَ اللِّوَاءِ !

***

وَجَرَى فِي ظِلِّهَا النِّيلُ نَعِيماً وَسَلَاماً !
وَجَمَالاً يَمْلَأُ الشَّطَّيْنِ حُبًّا وَهُيَاماً !
الْأَغَارِيدُ كُئُوسٌ ... وَالصَّنَادِيدُ نَدَامَى !
فِتْنَةُ الْحَاضِرِ فِي الدُّنْيَا وَمَعْبُودُ الْقُدَامَى !

***

وَمَضَى يَنْسَابُ نَشْوَانَ بِخَمْرٍ وَعَبِيرِ !
مِنْ دُعَاءِ الشَّعْبِ مَجْرَاهُ وَمِنْ لَحْنِ الْبَشِيرِ !
فَاحْتَمَى فِي ظِلِّهِ الْمَكْدُودُ مِنْ حَرِّ الْهَجِيرِ !
وَتَلَاقَى مَجْدُنَا الْأَوَّلُ بِالْمَجْدِ الْأَخِيرِ !!

***

يَا شِرَاعاً عَبَرَ الْمَاضِي إلى وَادِي الْخُلُودِ !
وَتَهَادَى فِي حِمَى فِرْعَوْنَ مَرْفُوعَ الْبُنُودِ
وَمَضَى فِي مَوْكِبِ الذِّكْرَى إلى دُنْيَا جُدُودِي
مِلْ مَعَ الْمَوْجِ بِنَا ... هَاهُنَا أُنْسُ الْوُجُودِ !

محمود السيد شعبان
« القاهرة »



هل هو توارد خواطر ؟

المنابع الثرة التي تفيض منها جداول التفكير البشرى قاطبة هي في حقيقة الأمر واحدة ؛ وهذه المنابع الفياضة هي هذه العواطف المشاعة بين بني الإنسان كافة من سرور وحزن وحب وبغض ، وأمل وألم . الخ . فهذه العواطف المشاعة بين كل الناس وهي التي تسيطر على اتجاهاتهم النفسية فتنعكس صورها على — مرايا — ما ينطقون وما يكتبون ، والاختلاف والتمايز في الكتابة والمنطق إنما يجيئنا من بعد ذلك فهما ينتجان من طرق التعبير والتصوير ، ومقدار استيعاب الفكر والقلم لما تلتقطه عدسة المخيلة من صور وأشباح وانطباعات وتأثرات . وفي هذا الميدان تتبارى فرسان الكلام ، فيتقدم سابق ، ويتأخر لاحق ؛ وفي هذا المجال نتعرف بلاغة البليغ وإسفاف المسف ولون كل منهما . ذلك لأن لكل واحد منهم مشربه الخاص لا يشاركه فيه سواه وإن اتحدت الغايات والمعاني في أغلب الأحيان . وعلى هذا فإننا إذا وجدنا مقالتين أو قصيدتين اتحدتا في كل شيء في اللفظ والأسلوب والمعنى فيحق أن يستوقفنا هذا الاتحاد . لأنه إما أن يكون منشؤه من (توارد خواطر) نادر المثال . أومن هجوم أحد الكاتبين أو الشاعرين على نتاج زميله وهذا ما يدعى بالسرقة في اصطلاح أهل البيان

***

أثار هذه الخواطر سياحة عملتها في ديوانين حديثين هما (الملاح التائه) للأستاذ الشاعر المبدع على محمود طه . و (نسمات الربيع) للأستاذ صالح الحامد العلوى

وبحق أقول ، إن كلا الديوانين خصب ممتع للنفس والفكر ، وكلا الشاعرين مجدد أو يحاول التجديد فيما هو بسبيله . وقد راقتني في أثناء (سياحتي) هذه قصيدة في أول الديوانين بعنوان « غرفة الشاعر » تبدت لي في جمالها الخاص واتساقها وروعة فنها كالروض الأغن باكره الغيث في أيام الربيع فابتسمت زهوره من فوق الغصون فتنة للناظرين

وقد تلوت هذه القصيدة مراراً فيما بيني وبين نفسي وأنشدتها تكراراً لبعض زملائي من الأدباء . وحازت من إعجابنا جميعاً ما جعلنا نبتاع الديوان الذي يضم (باقتها) العاطرة تقديراً لأريجها الفواح

ثم ماذا ؟

ثم بعد أيام تناولت ديوان (النسمات) وسحت في رياضه وغياضه مستقبلاً عذب نسماته ، فإذا بي أعثر فيه على قصيدة تماثل تلك التي اقتطفتها من روض (الملاح التائه ، أو بحره . وهي تحمل عنواناً دانياً من عنوانها هو (صباح الشاعر ، وتحمل معاني وأهدافاً ووزناً وألفاظاً مثلها . فاستوقف نظري هذا (التماثل) الغريب واحتار فكري أمام هذا — الاتحاد — المريب . فهل هو يا ترى من باب (توارد الخواطر أو يدخل في (الباب الآخر) ؟

(مكة المكرمة)

عبد القدوس الأنصاري

حاشية : قصيدة « غرفة الشاعر » هي في الصفحة ٣٥ من ديوان الملاح التائه (الطبعة الجديدة) ومطلعها :

أيها الشاعر الكئيب مضى الليـــل وما زلت غارقاً في شجونك

وقصيدة « صباح الشاعر » هي في الصفحة ٧ من ديوان (نسمات الربيع) طبع مطبعة التأليف والترجمة والنشر بمصر ومستهلها :

أيها الشاعر استفق ذهب الليـــل فقم ويك حي نور صباحك

الرسالة والورق

لِمَ يا أيامُ غيَّبتِ الرسالهْ ... مشرع الحق الذي أجرى زلالهْ

والربيعَ الطلق في إشراقِه ... ناشراً في صفحةِ الكون جمالهْ

والسنا اللمـاحَ في أنوارِه ... ضربَ العلم على أيدي الجهالهْ

(ورق الطبع) لئن غابت فمن ... بعدها يحملُ أعباء الرسالهْ ؟

مصطفى علي عبد الرحمن

في المعلاقة اللفظية بين اللغات

إن التشابه اللفظي بين بعض كلماتٍ من لغات مختلفة ، حقيقةٌ قد تثير الدهشة لدى الكثيرين ؛ ومن السهل والطريف معاً تتبعُ ذلك عند من يلم بأكثر من لغة واحدة . على أن التعليل لهذه الظاهرة يسيرٌ واضح يتلخص في أن الحروف التي تتحرك بها عضلات اللسان محدودة لا تتجاوز الثلاثين ، في حين تتنوع لغات البشر وتتعدد ، ويرتفع عدد الكلمات في بعضها إلى عشرات الألوف ومئاتها . فإذا قلنا نحن « نير » مشيرين إلى هذه الأداة التي توضع على عاتق الثور ، قال الإنجليزي « Near » يعنون الدانيَ أو القريب ... وهكذا .

ويبدو لى أن عالمنا اللغوى الكبير الأستاذ « الأيوبى » يستقرى أمثال هذه الكلمات الأعجمية – خلال بعض إجاباته – قاصداً ردّها إلى أصل عربى قد لا يرتبط بها فى شىء إلا أن يشبهها فى بعض الحروف .

ونحن مع شكرنا له على غرضه النبيل من هذا المجهود نقرر أن أصحاب كل لغة هم أدرى الناس بمنابع ألفاظها وأصول اشتقاقها . فإذا قلنا للفرنسى إن كلمتكم « Salade » مأخوذة من كلمتنا (سليط) ، فأنكر وقال : بل هى مشتقة من Sal اللاتينية ، كان من الواجب علينا أن نكذب أنفسنا ونصدقه ، ما لم تكن حجتنا على هذا الأخذ قوية .

فكيف والظاهر يؤيده والتاريخ اللغوى يصدق زعمه ؟ !...

هل يريد أستاذنا الكبير أن يقول إن العربية أقرب إلى هذه اللغات من أصلها اللاتينى ؟ ... ذلك ما لا نظنه .

وإننا حين نكتفى من المعجم الأوربى بقوله إن لفظة « كذا » مشتقة من الأصل اللاتينى أو اليونانى « كذا » يجب ألا نكتفى ممن ينسب هذا إلى العربية بغير الدليل التاريخى القاطع ، ولا عبرة بالمشابهة اللفظية كما أوضحنا .

يضاف إلى هذا أننا نجد الألفاظ العربية الدخيلة فى هذه اللغات منصوصاً عليها فى معاجمها ، مع ذكر خطوات اشتقاقها إن أمكن تتبعها ، فلم يعد من حقنا بعد كل هذا أن ننسب إلى لغتنا لفظاً أجنبياً ، ما لم تنص على ذلك معاجم القوم ، أو يقم الدليل القاطع من عندنا على صحة نسبته إلى لغتنا ...

ذلك رأيى الخاص فى هذا الموضوع ، وللأستاذ الكبير أن يؤيده أو يفنده . وأعود إلى إجابته الأخيرة عن (المقرونة) وما ذكره من أنها هى التى يقال لها اليوم مكرونة : Macaroni فأقول إن هذا كلام يعوزه الدليل وتنقصه الحجة القاطعة . والذى تذكره المعاجم الموثوق بها ، ويؤيده العقل أن هذه اللفظة الإنجليزية تحريف للاسم الإيطالى القديم Maccaroni وهذا الأخير مشتق من الفعل . Maccare بمعنى يسحق أو يعصر To Crush فهل يتيسر لنا أن نثبت وجود علاقة صحيحة بين المقرونة العربية و Maccaroni الإيطالية ؟ وهل كانت المقرونة – وهى التى يقول الأستاذ إنها من طعام أهل الجاهلية – معروفة لدى الشرقيين بنفس الاسم ، عندما اتصل بهم الإيطاليون ، وبادلوهم منافع السلم وفواجع الحرب ؟

ذلك ما نطالب أستاذنا الكبير بإثباته قبل التسليم له بوجهة نظره ، وثمة شىء آخر أحب أن أذكره ، وهو أن الإنجليز يطلقون اسم الشعر المكرونى Macaroni على نوع من النظم الفكاهى عندهم يتألف من مزيج من الألفاظ بعضها أوربى حديث وبعضها لاتينى قديم . وفى قاموسنا المحيط للفيروزبادى نجد ما نصه : « والمقرون من أسباب الشعر ما اقترنت فيه ثلاث حركات بعدها ساكن ، كَمُتَفَا من متفاعلنْ وعَلَتُن من مفاعلتن » فهل الشعر (المكرونى) عندهم منقول من شعرنا هذا المقرون ؟ ! إن الأخذ بمجرد التشابه فى اللفظ قد يدفعنا إلى إصدار ذلك الحكم ؛ وما نشك أن السير فى تلك السبيل ينتهى بنا إلى تسجيل مفارقات مضحكة لا نستسيغها إلا أن تجىء على سبيل الإضحاك ليس غير . أما أن نقصد بها الجد كل الجد ، ونرمى بالنظر فيها إلى البحث العلمى الصحيح ، فذلك أمر فيه نظر . وأى نظر

وفى انتظار « إجابة » أستاذنا « الوحيد » نتوجه إليه بعاطر التحية وأذكى السلام .

محمود عزت عرفة

تكريم كتاب تركيا

من أنباء استانبول أن معالى حسن على يوبل وزير المعارف التركية افتتح الاحتفالات بالعيد الخمسينى الذى أقيم فى جامعة استانبول لتكريم كتابها الذين ظلوا ٥٠ عاماً يسدون الخدمات الجليلة للأدب التركى

وقد بدأ معظم الكتاب المحتفل بهم حياتهم الأدبية رازحين تحت نير أسوأ عصور العسف والجور أيام حكم السلطان عبد الحميد الذى كان يخاف ويخشى جميع ألوان التثقيف ، ويقف سداً منيعاً فى سبيلها . أما احتفال أمس فقد جرى فى جو على نقيض ذلك العهد الغابر

وكان فى طليعة المحتفل بهم الأساتذة حسين جاهد يالشين

الكاتب والروائى الشهير وهلال زيا والشاعر محمد أمين

وقد ألقى الأستاذ حسين يالشين خطاباً أشار فيه إلى الأوقات العصيبة . ثم نصح الشباب بألا يصغوا إلا إلى صوت ضميرهم فقط

وأفضى الأستاذ بعد انتهاء الاحتفال بحديث إلى وكالة الأنباء العربية قال فيه : « إن حوادث اليوم واحتفالاته لهي خير جزاء عن الخمسين عاماً التى قضيتها أميناً على خدمة مثلى العليا وضميرى »

الوطن والوطنية

ألقى حضرة صاحب العزة الدكتور محمد صلاح الدين بك رئيس « لجنة ترقية التمثيل والسينما » حديثاً من محطة الإذاعة اللاسلكية عن الوطن والوطنية بمناسبة تمثيل الفرقة المصرية رواية « الوطن » للكاتب الفرنسى المعروف فيكتوريان سارد . وقد استهل حديثه القيم بأبيات حماسية من الشعر العربى فى تمجيد الوطن وبيمض الأحاديث النبوية والحكم النثرية . وقال إن الأدب شعراً ونثراً وكذلك القصة المسرحية تفيض بحوادث البطولة والتضحية فى سبيل الوطن . ثم تحدث بعد ذلك عن رسالة الفرقة المصرية للتمثيل والسينما وواجبها نحو تثقيف الشعب وبسط موضوع رواية الوطن . واختتم حديثه قائلاً : « مثل هذه الرواية جديرة بالمشاهدة واستقصاء الحوادث . ولعل فيها اليوم مثلاً بليغ الدلالة على سمو النفوس التى تعانى البلاء فى سبيل نصرة الحق والعدل وإعلاء كلمة الديمقراطية والحرية »

من شعر حافظ المنسى

ساق إلى القدر هذه القطعة الفكاهية النادرة من شعر المرحوم حافظ إبراهيم فى صحيفة من مجلة قديمة قدم إلى فيها أحد الباعة بعض الحاجات ، وهذه القطعة لم تنشر فى الديوان القديم ولا فى الجديد

وأعتقد أن الدكتور مبارك ربما كان يعلم من يعرض به المرحوم حافظ فى أبياته ، وهذه هى الأبيات :

حدثونا بأن قرداً مُسِناً ... لبس الخزُّ مَرة واختالا
وأتى للطيور فى يوم عيد ... وهى من بهجة تفيض جمالا
قال إنى أبو الجمال وتوبى ... شاهد جل صدقه وتعالى
قالت الطير : أيها القرد مهلاً ... أنت تبغى من الحياة محالا
كل ثوب إلى البلى ثم يبقى ... جوهر النفس للعيون مثالا
أنت قرد وإن سرقت من الطا ... ووس ذيلاه ومن حلاه جمالا

أحمد محمد

الوطن

كانت الجيوش الأسبانية تحتل بلاد الفلمنك (بلجيكا وهولندا) حوالى عام ١٥٦٧ ، وكان الدوق (ألب) نائب العاهل الأسبانى لا يتورع هو وصحبه عن أن يذيق الأهلين كل أنواع التعذيب والموت والدمار ؛ وكانت بروكسل عاصمة بلجيكا قد تحولت إلى معسكر لهم ، وكان الوطنيون والخارجون على الكنيسة الكاثوليكية يزجون فى السجون . ولكن هذا التعذيب لم يفت فى عضد الوطنيين ، ولم يثن عزمهم عن الكفاح والتضحية فى سبيل الوطن

هذا هو موضوع رواية الوطن التى ألفها الكاتب الفرنسى المعروف فكتوريان ساردو وترجمها وأخرجها الأستاذ زكى طليمات وقدمتها الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى على مسرح دار الأوبرا الملكية فى الأسبوع الماضى .

وقد اشترك فى تمثيل هذه الرواية أقطاب التمثيل فى الفرقة وفى مقدمتهم الأساتذة : حسين رياض ، أحمد علام ، زكي رستم . عبد العزيز خليل . عباس فارس . والسيدات : إحسان شريف وروحية خالد وغيرهم . وقام الممثلون جميعاً بأدوارهم على أكمل وجه ووفقوا كل التوفيق فى أداء أدوارهم . وكأنما خلق كل منهم لتمثيل الدور الذى أسند إليه . وتلك غاية القدرة فيما نرى

أما الإخراج فقد جاء آية بينة على مقدرة الأستاذ زكى طليمات المدير الفنى للفرقة وإنه لجدير بكل تقدير وإعجاب

ولا يسعنا بعد ما ذكرنا إلا أن نقدم أصدق التهانى إلى القائمين على أمر الفرقة المصرية وعلى رأسهم صاحب العزة الأستاذ محمد صلاح الدين بك ، ونتمنى للفرقة نهضة مباركة وتقدما مطرداً فى عهدها الجديد

عبد الفتاح متولى غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 503

Lundi - 22 - 2 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٥٠٣ «القاهرة فى يوم الإثنين ١٧ صفر سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة

١٤١ نحو من النحو ! ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
١٤٤ القـوة الفردية هى أساس القوة الاجتماعيـة ... ... } الدكتور زكي مبارك ... ...
١٤٧ السيدة سكينة بنت الحسين : الأستاذ سعيد الديوه جى ...
١٤٩ حركة الاصلاح وحديث عيسى ابن هشام ... ... } الأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم
١٥٢ رسالة الجاحظ فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة ... ... } الأستاذ محمود عزت عرفة ...
١٥٤ لماذا لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين ... ... } الأب أنستاس مارى الكرملى
١٥٧ حول جامعة الأسكندرية : الأستاذ عبد العظيم أحمد هيبة
١٥٨ (١) موقف الأزهر من
١٥٨ النبوة والعبقرية (٢) إصلاح تحريف فى آية قرآنية ... } الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
١٥٨ بين الرجولة والرجولية : الأستاذ عبد الحميد عنتر ...
١٥٩ هل يتسع القلب لأكثر من حب واحد ... ... } الأديب جورج شاريكاس ...
١٦٠ سرقة شعرية ... ... : الأديب عبد الغنى جمعة ...
١٦٠ رابطة العروبة ... ... : الأديب جمال أحمد بدر ...

نحو من النحو !

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... نعلم ما كتبتموه عن العلاقة بين كبرياء التنبى وولعه بالتصغير فى الهجاء ، وإنه أكثر ما يُرى مصغراً حين يهجو مغيظاً محنقاً أو يستخف متعالياً محتقراً كما يقول عن كويفير والخويدم والنويبية والأحيمق والأعير والشويعر وأهيل الزمان وأهيل العصر إلى آخر هذه الأمثلة التى أكثرتم من ضربها

وقلتم « إنه إذا لم يصغر المهجوّ باللفظ صغره بالمعنى ، فكان أعداؤه اللئام عنده شيئاً قليلاً كما قال :

يؤذى القليل من اللئام بطبعه   من لا يقـل كما يقـل ويلؤم

وإنه قد يلعب بهذا الإحساس الماثل فى نفسه على الدوام لعب المرء بعادة مغروسة فيه فيتخذ منه نكتة نحوية كقوله على ذكر ابنى عضد الدولة :

وكان ابنا عدو كاثراه   له ياءى حروف أنيسيان

يريد أن يقول : إذا كاثر العدو عضد الدولة بابنين كابنيه فجعل الله ابنى العدو كياءين تضافان إلى كلمة إنسان فتزيدانه فى عدد الحروف وتنقصانه فى القدر

ثم قلتم : وهذا غير غريب من رجل شديد الإحساس

بالصغر واعتاد التصغير باللفظ وعرف عنه إدمان الاطلاع على كتب النحو »

« وقد اطلعنا أخيراً على مقالة فى مجلة الثقافة لبعضهم يقول فيها : إن هذا من طغيان النفسانيات على الأدب ، وأن التصغير فى شعر المتنبى لم يكن لتكبره وإنما هو أداة من أدوات الهجاء يعرفها شعراء هذا الفن فى الأدب العربى وفى غيره من الآداب : أداة لصيقة بفن أدبى بذاته لا وليدة لطبيعة نفسية عند من يستخدمها ، وليست هناك رابطة تلازم بين التكبر والتصغير حتى ولا فى شعر المتنبى نفسه لأنه قد يستخدمه للتعظيم كما قال :

أحاد أم سداس فى أحاد ليبلتنا المنوطة بالتنادى

إلى آخر ما جاء فى مقالة الثقافة

فهل لكم أن تدلوا برأيكم فى تعقيب الكاتب لأنه تفسير لرأيكم وفيه بيان لمسألة من مسائل النفسيات والأدب ؟ ... الخ »

محمد جابر

* * *

والذى نراه فى التعقيب الذى أشار إليه الأديب أن استعمال التصغير للتعظيم لا يبطل استعماله للتحقير ، وأن صيغة التصغير ليست أداة لصيقة بكل هجاء كما جاء فى مقال الكاتب بمجلة الثقافة ، فلا يزال استخدام المتنبى هذه الصيغة بتلك الكثرة التى لم تعهد فى شعر غيره أمراً يرجع إلى خلائقه الشخصية ويرجع البحث فيه إلى النفسيات التى لا انفصال بينها وبين الأدب ، لأن الأدب قبل كل شىء تعبير عن شعور ، وليس أولى من النفسيات بالبحث فى كل شعور

فليست صيغة التصغير أداة لصيقة بالهجاء ، ولم نرها قط بهذه الكثرة فى أشعار الهجائين المنقطعين لهذا الباب أو المشهورين به قبل سائر الأبواب

والمتنبى لم يكن من شعراء الهجاء المشهورين به فى اللغة العربية ، وإنما اشتهر به شعراء آخرون كالحطيئة وجرير والفرزدق ودعبل وابن الرومى على التخصيص

فلم لم يكثر التصغير فى أشعار هؤلاء الهجائين ؟

ولم كان المتنبى منفرداً بهذا الإكثار ؟

مرجع الأمر إليه لا إلى الهجاء ، وأقرب شىء أن يخطر على البال أنه استصغر لأنه تكبر ، وأنه صبغ هجاءه بصبغته النفسية فاختلف من هذه الناحية لأنها هى ناحية الاختلاف بينه وبين غيره من الهجائين

على أن الهجاء ضروب وليس بضرب واحد فى اللغة العربية أو فيما عداها من اللغات

ومرجع الأمر فى تعدد ضروبه إلى تعدد النفوس وتعدد الأمزجة وتعدد الشعور الذى يشعر به الهاجى نحو من يهجوه

فهناك هجاء الرجل الوضيع المهين

وهناك هجاء الرجل المتكبر العزيز

وهناك هجاء الرجل المهذب الشريف

وهناك هجاء المتوقح البذىء

وهناك هجاء التهكم والسخرية ، وهجاء العنف واللدد ، وهجاء النقد وهجاء الإيذاء

ومناط التفرقة بينها هو النفسيات وما تشمله من فوارق الحس والعاطفة ، وليس المرجع فيها إلى باب فى علم النحو يتكلم على مواضع التصغير

وأعجب شىء يقال هو أن المتنبى لم يستصغر المهجوين ولم يكثر من التصغير لأنه متكبر ، بل أكثر منه لسبب آخر ... ثم لا يدرى أحد ما هو ذلك السبب الآخر ؟

لم يمتنع الاستصغار بسبب التكبر ؟ ولم لا يكون التكبر سبباً للاستصغار ؟ أى عجب فى ذلك ؟ بل أى مخالفة فيه للمعقول والمعهود ! بل أى شىء أقرب منه إلى الفهم والتعليل ؟

أيمتنع هذا القول لأنه من النفسيات وكل ما كان من النفسيات فهو ممنوع غير مقبول ؟

أيمتنع لأن قراراً مجهولاً لا نعرف نحن مصدره قضى بمنعه وتحريمه وإقصائه من عالم الفرض والتقدير ؟

إننا لا ننفى أن المتنبى كان متكبراً مطبوعاً على الكبرياء ، ولا ننفى أن المتكبر مطبوع على أن يستصغر الناس ، ولا ننفى

أن صيغة التصغير تستعمل للتصغير والتحقير ، فلماذا ننفى أن ولع المتنبي بالتصغير مرجعه إلى طبيعة الكبرياء فيه ؟

لماذا ؟ للنفسيات التي يسمع باسمها من يسمع فيظن أنها حجاب حائل بين المتنبي والاستصغار بصيغة التصغير ؟

أما أن المتنبي قد استعمل التصغير للتعظيم والتكبير ، فهو إذا صح لا يمنع أن التصغير يستخدم أيضاً للتصغير ، بل هو الأصل والتعظيم مجاز عارض عليه

يقول أحد إنني رأيت المليمات في أيدى الفقراء ، فيجيء سامع بالنفسيات — أو قل سامع بالاقتصاديات — فيقول : كلا . كلا . هذا بعيد ! هذا غير معقول ! هذا إقحام للاقتصاديات في شئون الحس والعيان ! لأنني رأيت بعيني المليمات في خزانة المصرف الكبير ، وفي خزانة الغنى العظيم !

كلام ظريف !

نعم ظريف كذلك الكلام الذي يبطل باب التصغير للتصغير جملة واحدة لأن التصغير قد استعمل حيناً في معنى التكبير ... !

***

على أن البيت الذي قيل إن المتنبي خالف به هذه السنة لا يدل بمعنى من معانيه على أنه قد نسى فيه الكبرياء أو نسى عادة الاستصغار

فهو يقول في وصف الليلة التي ضاق بها :

أحاد أم سداس في أحاد ليلتنا المنوطة بالتنادى

ومن الميسور أن يلحظ القارئ لهجة التأفف في تصغيره تلك الليلة المبرمة ، كأنه يستكبر أن يعروه الضيق من ذلك الشيء الصغير ، وإن لج به المطال

وهبه مع ذلك كان ينوى التعظيم والتقديس لتلك الليلة المبرمة ولا ينوى أن يتأفف منها ويستكبر عليها أن تبرمه وتثقل عليه ، فهل كلمة في قصيدة واحدة تبطل عشرين كلمة في عشرين قصيدة !؟ وهل يحصل كل هذا لأجل خاطر « النفسيات » قدس الله سرها وبارك في عمرها !

ولقد كان كثيراً من كاتب المقال الذي أشار إليه الأديب صاحب الخطاب أن يزعم أن التحقير والتكبير في صيغة التصغير يتساويان ، فأما أن يقول إن التحقير هو الممتنع الذي لا يعقل ، وأن الاستصغار من جانب المتكبر المطبوع على الكبرياء هو الغريب المريب فتلك نفسيات لله درها من نفسيات ! ! وفنون حماها الله من فنون !!

وما نشك في أن الأديب « محمد جابر » رجل يريد أن يضحك ولا يريد في الحقيقة تفسيراً لما هو غنى عن التفسير ؛ فإن لم يجد شبعه من الضحك في طراز تلك النفسيات ومعرض تلك الفنون فغاية ما عندى من القول أن المتنبي رحمه الله لم يشرفني بأمانة سره ، ولم يطلعني على دخائل صدره ، فإذا كان قد ذكر لبعضهم أنه لم يولع بالتصغير لقصد التصغير فهو وذمته فيما ادعاه ، وللأديب عليه اليمين الحاسمة إن تردد في قبول دعواه ! . أما نحن فغاية ما نعلمه أن المتنبي كان رجلاً متكبراً ، وأن المتكبر يستصغر الناس فلا عجب أن يولع بصيغة التصغير . وهذا حسبنا وحسب القارئ فيما زعمناه

عباس محمود العقاد

القـــــوة الفردية
هى أساس القوة الاجتماعية

[رسالة مهداة إلى معالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية]

للدكتور زكى مبارك

فى العام الأسبق نشرتُ مقالات عن الفقراء والأغنياء تقوم على أساس القول بأن الفقر مرض ولكل مرض أسباب ، وأن الغنى عافية ولكل عافية أسباب

وقد قوبلت تلك المقالات بالاستنكار من كل جانب ، وعدّها الناس تحاملاً على الفقراء ، وتلطفاً مع الأغنياء ، مع أنى كتبتها لوجه الله والحق ، ولم يكن هناك باعث غير الرغبة الصحيحة فى عرض آراء قد اقتنعت بصحتها كل الاقتناع

ثم مرت شهور طوال وأنا أفكر فى أسباب غضب الجمهور على تلك المقالات ، فلم أجدها ترجع إلا إلى سبب واحد : هو مجاراة النزعة الموروثة فى الترفق بالفقراء ، والغض من أقدار الأغنياء ، فقد مرّت أزمان والناس لا يقرأون غير كلمات معسولة فى الدعوة إلى الرأفة والرحمة والبر والحنان فيما يتصل بمعاملة الفقراء ، وكلمات مسمومة فى إنذار الأغنياء بعواقب الحرص على كنز الأموال

وأقول إن هذه الألوان الكلامية كانت تليق بزمان غير هذا الزمان ، يوم كانت الكلمة اللطيفة تنفع الفقير بعض النفع لما فيها من المواساة ، ويوم كانت الكلمة القاسية تصدُّ الغنيَّ عن المبالغة فى طلب الجاه والمال

أما اليوم فقد تغيرت مذاهب الحياة أشد التغير ، ولم يبق للكلام المعسول أى قيمة فى مواساة الفقراء ، ولم يعد للكلام المسموم أى وزن فى تقويم الأغنياء

نحن فى زمن الحقائق ، وليس للكاتب المرائى فى هذا الزمن مكان .

نحن فى زمن الحقائق ، والحقائق تنطق بأن الفقر مرض ، وأن الغنى عافية . والمريض الذى لا يبحث عن أسباب مرضه ليتجنبها هو مريض فى طريق الموت

يجب أن تقنع كل فرد بأن الغنى طوع يديه إن أراد

يجب أن تقنع كل فرد بأن الوصول إلى الرزق ليس من المشكلات ، فجهاد ساعتين اثنتين من كل يوم يكفى للظفر بالزاد الذى يغنى عن سؤال الناس

وميادين الحياة فى كل أرض تتسع للعيش ، العيش الذى يُطلَب بالعمل لا بالسؤال

إن الفقر هو انعدام الرزق ، والغنى هو وجود الرزق

أقول هـذا لأدفع وهماً من أسخف الأوهام ، وهو الوهم الذى يقول كاذباً بأن الأغنياء هم الذين يملكون القصور والبساتين ، وأن الفقراء هم الذين لا يملكون قصوراً ولا بساتين

العامل الذى يكسب خمسة قروش فى اليوم ليدخل على أهله فى المساء ومعه القوت الحلال من الخبز والبصل والفول هو من كبار الأغنياء

والخادم الذى يصدُق فى بيت مخدومه ويقدّم لأهله فى كل شهر عشرات القروش هو من كبار الأغنياء

الغِنَى الحق هو انعدام الاحتياج إلى الصدقات ، فما تجوز الصدقة إلى على من يُحرَم القدرة على الكسب الشريف

ومن قال غير هذا القول فهو كاتب يتملق المجتمع ويطمع فى شهرة محرّمة ، والشهرة كالرزق فيها حرام وحلال

إن التباكى أو البكاء لن ينفع الفقراء بشىء ، ولو جُمِعت دموع الباكين من الكتّاب والشعراء والخطباء لكانت أقل من أن تملأ كوباً ينقع غلة فقير ظمآن

أدباؤنا لن يؤدوا رسالتهم الاجتماعية إلا يوم يستطيعون إقناع الكنّاس بأنه يؤدى مهمة وطنية

لو كان فى مصر أدبٌ اجتماعىٌ صادق لكان من ثماره أن يتغنى الكنّاس بفضل مكنسته وهى من أظهر شواهد المدنية

ولكن الكناس يجد من أدباء مصر من يبكي على مصيره بكاء التماسيح

الغبار يؤذى الرئتين فيورث السل

كذلك قال الأطباء

فهل سمعتم أن كناساً مات بالسل ؟

إن الله يحمى الكناسين ، لأنهم يؤدون خدمة عمومية ، ولم يبق إلا أن يفهم الكناسون هذا المعنى ، ليدركوا أنهم جنود جنّدهم الوطن لخدمة الإنسانية

وقد طال تباكى الأدباء على الفلاحين ، فهل فى أدبائنا من يفهم أن الفلاحين فى غِنى عن تباكيهم المصطنع ؟

قالوا إن الفلاح يبيت مع الجاموسة فى حظيرة واحدة ، وفاتهم أن المبيت مع الجاموسة أطهر وأشرف من المبيت فى غرفة مفروشة بأحد المنازل التى يعرفها المتأنقون من أدباء هذا الجيل الظريف ! !

إن حياة الفلاح فى صحبة مواشيه حياة تفيض بالروح والوجدان ، فهو ينظر إلى مواشيه برفق يعادل نظره إلى أبنائه الأعزاء ، وهو يسهر حول حظيرة ثوره حين يمرض ، كما يسهر حول فراش ابنه حين يمرض ، وهو لا يسمح بذبح ماشية مريضة إلا طاعة لعقيدة توحى إليه أن من الإساءة للحيوان الأليف أن يموت موت « الفطيس » وكذلك تكون المسارعة إلى ذبح الحيوان المريض باباً من التكريم ، لا ضرباً من الاستغلال

على هذا النحو من الفهم كانت الحياة فى الريف ، فقد رأيت ناساً يسهرون ومعهم مصباح حول ثور مريض ، كأنهم يتوهمون أن المصباح يؤنسه بعض الإيناس . وتلك صورة تشهد بصدق الفطرة المصرية فى إدراك منافع الطير والحيوان

والذى يفهم الريف حق الفهم يدرك السبب فى عبادة المصريين القدماء للأنعام ، وهذه العبادة فهمت على غير وجهها الصحيح . فما كان الغرض أن يكون البقر آلهة يُعبَدون من دون الله ؛ وإنما كان الغرض أن يكون تقديس البقر نوعاً من صيانة النعمة الربانية ، على نحو ما يصنع الفلاح المسلم حين يكره ترك فتات الخبز فى الطريق ، لأنه يرى من كفر النعمة أن تداس بقايا الخبز بالأقدام

إن البقرة والثور من العناصر الأصيلة فى الثروة المصرية ، ومن أجل هذا المعنى كانت هاتور وكان أبيس من المعبودات فى زمن الفراعين . وعن مصر أُخِذت عبادة البقر فى الأقطار الهندية ، وتلك وثنية تستحق العطف ، إذا فكرنا فى سببها الصحيح

وقد حدثنى سعادة الأستاذ طه الراوى أن الحجاج كان يحرّم ذبح البقر ، وأنشد أبياتاً قالها العراقيون فى السخرية من هذا التحريم ، فممن أخذ الحجاج ذلك البدع الطريف ؟

هل أخذه عن مصر ؟ هل أخذه عن الهند ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما استوحى المنافع الحقيقية للبقر فى بناء العمران

ونحن فى هذا العهد نسرف فى أكل اللحوم إسرافاً يحمل الحكومة على تقييد بيع اللحوم ، وإن تمادينا على هذه الحال فستزول المعانى الشعرية التى يحسها الفلاح فى رعاية مواشيه ، وسيمسى الفلاح وهو آلة فى أيدى الجزارين !

فهل يجوز بعد هذا الكلام أن يتمادى الكتاب المتحذلقون فى تعيير الفلاح بأنه ينام فى حظائر الأبقار والجواميس ؟

إن لله حكمة فى أن يجعل لنا أصدقاء نافعين من الطير والحيوان ، أصدقاء لا يطالبون بشىء ، ولا يثورون على الحرمان !

كان أحد ملوك فرنسا يقول إن الذى يهمنى أن يعم الرخاء بحيث يجد كل فرنسى دجاجة لمائدة يوم الأحد ... والرخاء عندى أن يكون فى دار كل فلاح بقرة أو جاموسة ، فمتى نذيع هذا المعنى بأقلامنا ؟ ومتى نترك تعييره بمصاحبة المواشى ؟

كانت بيوت المياسير من أهل القاهرة تشتمل على حظيرة للأنعام ، وكان هذا يلاحظ فى تخطيط البيوت ، فهل ترجع هذه النزعة السليمة ، ولو فى البيوت التى تقام فى الضواحى ؟

وكان الفرن ملحوظاً فى كل بيت ، ثم تمدَّنّا فكانت العاقبة أن نعانى ذمم الخبازين !

وكانت أكثر البيوت فى القاهرة تنتظر زادها « الصابح » من خيرات الريف يوم كان للقاهريين صلات بالريف ، وقد انقطعت تلك الصلات بفضل التمدن الحديث

أما بعد فأين أنا مما أريد ؟

أنا أدعو إلى تقوية الذاتية فى كل فرد ، وإلى تمجيد كل مهنة ، وإلى احترام كل جهاد فى سبيل الرزق الحلال .

أنا أدعو العمال الذين ينقلون الأحجار إلى الفرح برؤية المبانى الشواهق ، لأن لهم يداً فى رفع البناء .

وأدعو الكناسين إلى الفرح برؤية الأصحاء ، لأن لهم يداً

فى دفع ما يحمل الغبار من أوباء . وأدعو عمال المطابع إلى الفرح بنهضة مصر العلمية ، لأن لهم يداً فى إبراز نفائس المؤلفات

الحياة الطيبة هى الحياة التى يسودها الرضا والابتهاج ، وفى مقدور كل فرد أن يحيا هذه الحياة ، لو سكت الكتّاب المتحذلقون فلم يبغّضوا الحياة إلى الأحياء

هل تتوهمون أن السعادة لا تكون إلا من نصيب من يرتادون الملاهى أو يملكون البيوت والسيارات والفدادين ؟

لو عرف الفلاح المجاهد فى سبيل القوت أنه يُغنى أمته قبل أن يغتنى لشعر بسعادة تفوق الوصف . ولو عرف الخادم أنه يساعد بأمانته على تجميل الحياة لأدرك أنه من السعداء

هل توجد فى الدنيا مهنة حقيرة ؟ لا ، وإنما يوجد فى الدنيا حقراء ، وهم الذين يريدون أكل العيش بلا جهاد .

ثم أما بعد فهذا درس فى الأخلاق التى نرجو أن تسود فى هذا الجيل وهو درسٌ أوحته القصة الآتية :

كنت أسير فى أحد البلاد ومعي رجلٌ متعلم له وظيفة ملحوظة فى الريف ، فرأينا جماعة من الفلاحين يجاهدون فى نقل « عدّة وابور » مياه ، فتنهد ذلك المتعلم وقال : أنظُر كيف يشقى الفلاحون !

ثم بالغ فى التنهد إلى أن خِيفت على عينيه من الدمع

عند ذلك قلت : ومن ينقل هذه « العدّة » إذا تخلى عنها هؤلاء الرجال الأشداء ؟

فقال : هذه الحكومة تسمى نفسها حكومة الشعب ، ومع ذلك لا تحمى هؤلاء المساكين من هذه الأثقال

فقلت : وهل ترى من واجب حكومة الشعب أن تحمى الشعب من الجهاد فى سبيل الحياة ؟

وطالت اللجاجة بينى وبين ذلك « المتعلم » ، وانتهى الأمر بأن زاد اقتناعه بأنى عدو الفلاحين

لو كان ذلك المتعلم من أرباب الأذواق لوجد فى ذلك المنظر فرصة لنظم قصيدة يمجّد بها النشاط المصرى ، النشاط الموروث عن الآباء والأجداد ، فالفلاحون المصريون هم أقوى الفلاحين فى الدنيا بلا استثناء ، ولو اشتركوا فى مصارعة دولية لكانوا الفائزين .

ما العيب فى أن يعاني الفلاحون عرق الجبين ؟

وما العيب فى أن لا يعرفوا غير الفؤوس والمحاريث ؟

وما العيب فى أن يمشوا حفاة الأقدام ؟

وما العيب فى أن يكونوا شُعثاً لا زينة لهم غير كرم النفوس ؟

هل تعرفون السعادة التى يشعر بها الفلاح وهو يوصى أهله بأن يوقظوه قبل الشروق ليدرك صلاة الصبح ؟

هل تدركون فرح الفلاح بقدوم شهر الصيام ؟

كان فى مصر فِلاحة وكان فيها فلاحون ، واليوم عرفتْ مصرُ أو عرف بعض كتابها أن حياة الفلاح بؤس فى بؤس ، وأن الواجب تنبيهه إلى ما خفى عليه من الشقاء والعناء

أنا عدوّ الفلاح ، ولكن أى فلاح ؟

أنا عدو الفلاح الذى يصدّق ما يسمع أو ما يقرأ فى التهوين من شأن الريف

أنا عدو من يجهل نعمة الله عليه ، والله قد أغدق نعمه على جميع الأحياء ، فمتى نشكر الله على نعمه السوابغ ؟ ومتى نعرف أننا لم نوفه حقه من الثناء ؟

زكى مبارك

السيدة سكينة بنت الحسين

للأستاذ سعيد الديوه جي

عصرها :

عاشت السيدة سُكينة فى القرن الأول الهجرى وهو القرن الذى تمخضت فيـه « طيبة » بحوادث عظام وحروب كبرى وانقلاب فى السياسة والدين والعلم والأدب والفن : منها شع نور الإسلام على العالم وأضاء سبل الهداية ؛ ومنها خرجت جيوش الخلفاء الراشدين وفتحت الأمصار ؛ وإليها جاءت الوفود تعرض إسلامها وولاءها ؛ وفيها انصبت كنوز القياصرة والأكاسرة فأثرى أهلها بعد فقر ونعموا بعد شظف العيش .

فيها تطاحنت أحزاب قريش على الخلافة وفاز الحزب الأموى وخضع لهم الناس رغبة فى عطائهم أو رهبة من سيوفهم . واقتضت سياسة الأمويين أن تقصر شباب قريش فى مكة والمدينة وأن تغدق عليهم العطايا الكثيرة لتشغلهم فى نعيم الدنيا ولذاتها وتبعدهم عن مناصب الحكم .

اجتمع فى فتيان قريش الشباب والفراغ والجدة ؛ فكان الهوى والأمل المنشود ؛ وكان الغزل الأباحى العفيف ، وكانت مجالس الأنس والطرب ، وكان الصيد والقنص ، وكانت حلقات الأدب تعقد فى وادي العقيق ومنتزهات المدينة ، وحول الغدران . وتحت النخيل . وحتى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكنت ترى ابن أبى ربيعة قد جلس تحت أثيل العقيق وقد اجتمع حوله نسوة وهو يداعبهن وينشدهن أشعاره ويستمع إلى حديثهن ، ويخالسهن النظرات . وهن يتوددن إليه فإذا ما وقعت إحداهن فى عينه فقد قارن . ذلك لأنه سيتغزل بها ويشهرها فى شعره الذى يقال فى المدينة فلا يلبث أن يصل إلى خراسان . ومنية كل فتاة أن تستميل هذا الشاعر أو غيره ممن نهج طريقته فتعده وتمنيه ليقول فيها شعراً .تباهى بها أترابها بأنها قد خلبت قلبه وملكت هواه . وحتى الأميرات وبنات الطبقة الأرستقراطية فإنهن كن يبذلن الأموال لمن يأتيهن بشعر قاله أحد الشعراء فيهن . وكان الشعراء أنفسهم يتغزلون بكل شريفة أو أميرة لا يريدون بذلك إثماً ولا نكراً وإنما يذهبون مذهب المدح والدعابة . وقد حجت بنت لعبد الملك بن مروان ورغبت أن يقول فيها ابن أبى ربيعة شعراً ، ورغب هو كذلك ولكنه خشى بطش الحجاج . ولما همت بالرجوع قالت « قدمنا مكة فأقمنا أشهراً فما استطاع الفاسق ابن أبى ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتاً نلهو بها فى سفرنا هذا » وبلغ عمر ذلك فقال قصيدته التى أولها :

راع الفؤادَ تفرقُ الأحباب يوم الرحيل فهاج لى أطرابى

ولما حملت إليها أعطت لحاملها فى كل بيت عشرة دنانير .

وهذا الغزل الإباحى العفيف انتشر فى الحجاز وخاصة فى المدينة فترنم به الشبان . وغنت به القيان . وأنشده الكهول . واهتز له الشيوخ والزهاد . فابن عباس وهو من نعلم علمه وزهده وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من ابن أبى ربيعة شعره فى المسجد الحرام ويهتز له .

وساعد هذا الترف على ظهور الغناء فى المدينة وانتشاره بين معظم الشعب ؛ فكانت المدينة مهد الغناء ، لأن الحياة المرحة التى كان يحياها أهل المدينة تستدعى اللهو والطرب . ووجد بالمدينة فى هذا العصر عشرات المغنين والمغنيات من الذين برعوا فى هذه الصناعة وتفننوا فى ألحانهم ، وأحدثوا ألحاناً جديدة لم تكن معلومة عند العرب كما استعملوا آلات الطرب والمعازف كالعود والبربط والقضيب والمزهر والدف . وكانت المغنية « جميلة » تعلم الفتيات هذا الفن ودارها أشبه ما يكون بمدرسة فنون يتخرج منها عشاق الفن والطرب

ونرى فقهاء المدينة يتساهلون فى تحليل الغناء بعكس فقهاء الشام والعراق . ولم يبق منهم شريف ولا دنىء يتحاشى عنه حتى الصحابة والزهاد فإنهم كانوا يعجبهم الغناء ويهتزون له . كان حسان بن ثابت إذا سمع عزة الميلاء يبكى . وكان أبو السائب

المخزومى يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة ، وكان مع هذا ينحرف عن محرابه ويسمع غناء ابن سريج ثم يعود لصلاته . وهذا عطاء ابن أبى رباح الذى هو من أعلم أهل المدينة وأزهدهم كان يسمع الغناء ويهتز له . وقد حُكِّم بين الغريض وابن سُرَيْج فحكم للثانى . ومر بالأوقص المخزومى قاضى المدينة سكران وهو يتغنى بليل فأشرف عليه وقال : « يا هذا أتيت حراماً ، وأيقظت نياماً ، وغنيت خطأ . خذه عنى » وأصلح له الغناء

وظرف عباد أهل الحجاز مما يضرب به المثل ، وكانوا لا يرون فى الحب بأساً إذا لم تكن فيه ريبة . وبلغ من ظرفهم أن أبا السائب المخزومى تعلق يوماً بأستار الكعبة وأخذ يقول : اللّهم ارحم العاشقين واعطف عليهم قلوب المعشوقين بالرأفة والرحمة عليهم يا أرحم الراحمين » . فقال له رجل : يا أبا السائب أفى المقام تقول هذا المقال ؟ ! فقال له : « إليك عنى ! الدعاء لهم أفضل من حجة بعمرة »

بجانب هـذا كله نجد فى المدينة حركة علمية قوية لا نجدها فى غيرها من البلدان ؛ ذلك لأنها مهبط الوحى الثانى بها نزل التشريع وبها عقدت مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثر الصحابة الكرام الإقامة بها . وقام فيها العبادلة وأحبار هذه الأمة من الصحابة والتابعين ـ فلا عجب إذا رأينا المدينة تصبح قبلة العلماء ومحط طلاب الفقه والتفسير والحديث والمغازى . فما من فقيه أو محدث أو طالب للأجناد إلا وَراه يقصد مدينة الرسول الأعظم ليتصل بصحابته وينال بغيته

وإذا ما دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هالك ما تجده من الحلقات المنتشرة فى فنائه الواسع . هـذه هى حلقة قد تصدرها أحد الصحابة الكرام يشرح للناس ما سمعه عن الرسول ، ويفسر لهم آى الذكر الحكيم . وهناك حلقة أخرى توسطها أحد الذين اشتركوا فى فتح العراق وهو يقص عليهم أيام القادسية ونهاوند وما أفاضه الله على عباده المؤمنين من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة . وهكذا قل عن بقية الحلقات فزخرت المدينـة بالفقهاء ورواة الحديث وطلاب السير والمغازى

وتمتعت المرأة الحجازية بحرية واسعة فى هذا العصر : شاركت الرجل فى الحفلات العامة والحلقات العلمية والأدبية وحضرت مجالس الأنس والطرب وارتادت متنزهات المدينـة . ومنهن من أضرت بهن هذه الحرية فأسأن استعمالها وأسففن وتبذلن ، بل فُقن الرجال فى الخلاعة والمجون . يتمثل لنا هذا فى وادى العقيق وحلقات المغنين ومجالس المخنثين واجتماعات الشعراء . حتى أن بعضهن شاركن الرجل فى التغنى وركوب الخيل « فقد كانت أم سعيد الإسلمية وبنت ليحى بن الحكم بن أبى العاص من أمجن النساء ؛ كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليها حتى تبدو خلاخليهن »

على أنه ظهر فتيات من الطبقة الأرستقراطية مثلن الفضيلة والعفاف والشرف بأجلى مظاهرها . يتجلى لنا هذا فى السيدات سكينة بنت الحسين وعقيلة بنت عقيل بن أبى طالب وعائشة بنت طلحة وغيرهن كثير

فسكينة بنت الحسين كانت المثل الأعلى فى العفاف والنبل والشرف والحشمة والوقار يحضر ببابها الشعراء والفقهاء ورواة الحديث والعلماء والزهاد حتى المغنون والمضحكون ، فتأذن لمن تشاء منهم فيدخلون صالتها المعدة للاستقبال وتعقد مجالس العلم والأدب فى دارها وتشارك هى فى تلك المجالس من وراء ستار . وقلما كان يخلو دارها من شعراء يطلبون صلتها ، أو رواة يحتكمون إليها ، أو علماء يتجادلون بحضرتها ، أو فقهاء يأخذون عنها . أو أشعب يضحكها أو مغنى يطربها . وهكذا شاركت الشعب فى أفراحه وأتراحه وترفعت عن تبذله وخلاعته .

فى هذا العصر الحافل بحسناته وسيئاته تألق نجم السيدة سكينة فى عالم العلم والأدب والفن .

(يتبع)

سعيد الديوه جى
بالموصل

حركة الاصلاح
وحديث عيسى بن هشام

للأستاذ أحمد أبو بكر إبراهيم

نشرت لى الرسالة الغراء كلمة فى « حديث عيسى بن هشام » تناولت فيها أسلوبه ومنزلته القصصية ، ثم بدا لى رأى فى هذا الكتاب آثرت أن أكتبه ، علّ الطلبة المتسابقين يجدون فيه قبل الامتحان ما يهديهم إلى فهم المقصود من الكتاب .

حركة الإصلاح

استطاع الغربيون فى القرن التاسع عشر أن يثبتوا أقدامهم فى أقطار الشرق : يبسطون سلطانهم السياسى فى كثير منها ويتذرعون فى بعضها بالتبشير وإنشاء المدارس ويعالجون التجارة فى أقطار أخرى . وقد حملوا إلى كل هذه الأقطار فيما حملوا ألوانا من العادات والتقاليد والأخلاق وضروباً من المدنية والحضارة لم يشهدها الشرق من قبل . فانقسم الشرقيون حيال هذا الجديد الطارىء فريقين : فريقاً يتحفظ ويتصون ويرى الوقوف عند القديم الذى شوهته العصور المظلمة وأذهب بهاءه الجمود الطويل ، وفريقاً آخر قد فتنته المدنية الغربية وما فيها ، فاندفع فى تيارها على غير هدى وبصيرة فأصاب منها ما لا يغنى ولا يفيد وأساء إلى تقاليده وأخلاقه

رأى المصلحون هذه الحال فلم يعجبهم هذا الجمود المزرى ولم يرقهم هذا الاندفاع المقيت فقاموا بحركة للاصلاح ، قوامها التجديد فى حدود المعقول الذى لا يتنافى مع روح الدين ومبادئه وأصوله وغاياته ، والوقوف فى وجه الفوضى التى أوشكت أن تقضى على كل قديم جميل . وكان أول مجاهر بهذا الإصلاح زعيم الشرق السيد جمال الدين الأفغانى ، فقد دعا إلى مبادئه فى بلاده والهند والحجاز وتركيا ، ووصل إلى مصر عام سنة ١٨٧١ مبيناً منهاجه الإصلاحى فلاقى من المفكرين قبولاً ، ورأوا فيه المنقذ للشرق والهادى إلى طريق الصواب

رأوا فى آرائه ثورة على العلماء الجامدين الذين أساءوا إلى الدين بجمودهم حتى جعلوه فى معزل عن الحياة العامة ، وثورة سياسية تدعو إلى إشراك الشعب فى الحكم إشراكا يظهر أثره ، وثورة أخرى تنتظم نواحى الأخلاق والاجتماع والأدب ؛ فقد دعا إلى الاقتداء بالسلف فى أخلاقهم ومبادئهم ، وأراد من الأدب العربى أن يكون أداة لنشر الأفكار والعلوم لا ألفاظاً جوفاء تقوم على الزخارف اللفظية والحُلَى الكلامية ولا تحمل من المعانى قليلاً ولا كثيراً . ولم نلبث هذه المبادىء السامية أن وجدت من المصريين أعواناً عرفوا قدرها وأذاعوا بها : فكان منهم المرحوم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده المصلح الدينى الكبير . وكان منهم من جاهر بالدعوة السياسية فى كتابته وشعره وطالب بالدستور ، وتألفت جماعات لبعث الكتب القديمة ، وكان من هذه الجماعات جماعة تألفت سنة ١٨٩٨ ، وكان من أعضائها حسن باشا عاصم ، وأحمد بك تيمور ، وعلى بك بهجت ، وغيرهم . وإنما فعلوا ذلك ليُطلعوا المتأدبين على طراز قوى من الأدب يغنيهم عن تقليب النظر فى الضعيف الساقط من المنثور والمنظوم . وقام دعاة الإصلاح الاجتماعى ممن تَقِفوا مبادىء جمال الدين يعلنون آراءهم للناس فى صدق ويقين

حديث عيسى بن هشام

كان لرجال الإصلاح الدينى كالشيخ محمد عبده ومن سار على طريقة آراء نافذة فى الإصلاح الاجتماعى ظهرت فى كتاباتهم ودعوتهم ، إلا أن رسالتهم الدينية شغلتهم بعض الشىء عن التفرغ لنواحى المجتمع فنهض بها غيرهم نهضة قوية وكان منهم محمد المويلحى فى كتابه « حديث عيسى بن هشام »

ولم يقتصر المويلحى على المجتمع والأخلاق بل تناول أموراً أخرى تتصل بهما وتؤثر فيهما تأثيراً كبيراً أو قليلاً وهى السياسة والدين والأدب ولكنه لم يمعن فى هذه النواحى لأنه يعلم أن لها رجالاً يقومون بها .

وبعد فهل سرى روح جمال الدين إلى المويلحى وهل أثر فيه التأثير الذى جعله يتجه هذا الاتجاه ؟ !

لقد كان جمال الدين مدرسة تخرج فيها كل من شهد الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، وكان محمد المويلحى من هؤلاء ولعلك تستطيع أن تدرك هذا الارتباط المتين من رسالة . « جمال الدين » فى صدر « حديث عيسى بن هشام » فقد وافق ما بهذا الكتاب مبادئ جمال الدين التى يدعو إليها وأصابت كتابات المويلحى هوى فى نفسه فقرظه هذا التقريظ البليغ .

ونحن إذا تلمسنا هذا الارتباط فى كتابة المويلحى وجدناه بيناً ظاهراً ، فهو يرى أن فساد المجتمع راجع إلى تقليد المصريين للأجانب تقليداً أعمى وتهالكهم على التظاهر بمظاهر الغرب ، ويقول إنهم قد أساءوا إلى أخلاقهم وعاداتهم ونظمهم حين لجئوا إلى هذا التقليد :

١ — ذلك لأنهم استنوا بهذا التقليد سُنناً جديدة ضارة لم تكن معروفة من قبل فى مصر كالانتحار .

٢ — وهم كذلك أساءوا التقليد فنقلوا عن الغرب مفاسد قد قيدها الغرب بقيود فجعلوها هم مباحة لا قيد فيها ولا شرط كالقمار والبغاء والخمور .

٣ — وهم تعلقوا بالمظاهر الكاذبة فى التقليد ، وتركوا المهم من مدنية الغربيين . وفى هذا يقول : « فأصبحوا فى الضلال يعمهون وفى البهتان يتسكعون ، واكتفوا بهذا الطلاء الزائل من المدنية الغربية »

٤ — ولقد كان هذا التقليد سبباً فى تركهم العادات الكريمة المتوارثة عن الأجداد والأسلاف فهو يقول : « ونبذوا ما كان عليه أسلافهم من الحق ظهرياً ، فانهدم الأساس ووهت الأركان وانقض البنيان وتقطعت بهم الأسباب فأصبحوا فى الضلال يعمهون وفى البهتان يتسكعون »

٥ — على أن هذا النقل كان مخالفاً لطبيعة البيئات والأجناس فإن ما يصلح للغرب قد لا يصلح للشرق ، وما رآه الغربيون أمراً مألوفاً نراه نحن أمراً منكراً لتقاليدنا وأمزجتنا وما توارثناه عن السلف من عادات وآداب ، والمويلحى يضرب لذلك مثلاً التمثيل المنقول عن الغرب برمته وأشخاصه وأصوله : « ولن تخلو قصة من قصصهم التى يمثلونها عن ذكر العشق والغرام وما من رواية لهم إلا والعاشقان يكونان فيها كالفاتحة والخاتمة لها ، وهو وإن كان مقبولاً عند الغربيين مسموحاً به لموافقة العادة عندهم ، ولكونه شيئاً لا عيب فيه يجهر به فتيانهم وفتياتهم بل هو أصل من أصول التزاوج بينهم قضت به رطوبة الإقليم وطبيعة الحال إلى ما يهيج الشعور ويثير ثائرة الخيال لكنه غير مقبول عند الشرقيين ولا مسموح به فى عاداتهم ... »

هذه هي الأسباب التى يعزو إليها المويلحى فساد المجتمع والأخلاق وهى كما ترى ما أشار إليه جمال الدين وتردد على ألسنة المصلحين . ولم يبق بعد هذا إلا أن نشير إلى الإصلاح الأدبى والدينى فى كتاب « حديث عيسى بن هشام » ليتضح للقارئ الارتباط المتين بين دعوة جمال الدين ودعوة المويلحى .

لم يكن المويلحي من علماء الدين وإنما كان من الأدباء المصلحين الذين وجهوا أكبر جهودهم إلى المجتمع والأخلاق ، فهو إذا كتب فى الدين كتب ليحارب الجمود دون تعمق فى التفصيلات ؛ وهو إذا انتقد العلماء أراد من وراء هذا النقد توجيههم إلى الاشتراك فى الحياة العامة ليتحقق صلاح المجتمع والأخلاق .

فهو يرى فى كتابه طوائف من الناس بالاستهتار وضعف العقيدة فيقول على لسان حفيد الباشا « لست أسمع لهذا الكذب والخرف وليس لى اليوم من جد ولا والد ، ولا أنا ممن يصدق حديث البعث فى الآخرة فكيف برجوع الموتى فى الدنيا »

أما الخرافات التى علقت بالأذهان فهو يلم بها إلماماً فى سياق حديثه عن كبراء العصر الماضى . وقد جلس أحد العلماء ينسب إلى السيد عبد القادر الكيلانى إحياء الغريق كما ينسب إليه أن الله قد وعده بأن من ينظر إليه يوم الجمعه يكون ولياً مقرباً ، وإذا نظر إلى التراب يكون ذهباً إلى آخر ما ورد فى هذه القصة . ونحن نعلم علم اليقين أن المويلحى قصد بهذه القصة إظهار ما ران على الدين وأصوله ومبادئه من خرافات يجب الإقلاع عنها والبعد عن التعلق بأمثالها لأنها تبعد عن روح الدين ورسالته

وهو يرجو من الدين أن يصلح لكل حياة وأن يكون دافعاً إلى إصلاح المجتمع وعاملاً من عوامل الخير والسيادة الإنسانية ، فإن اقتصر الدين على النسك والعبادة ، واتكل الناس على أعمالهم

التعبدية التى يقومون بها غافلين عن فعل الخير وتقديم المعونة للبشر كان آلياً لاخير فيه لصلاح الناس . وفى الكتاب ما يشير إلى ذلك على لسان الباشا فهو يقول : « وقد غرتى فى دنياى من مثل هذا الشيخ ما يهوّن علىّ ارتكاب المخزيات وفضائح الشرور فى معاملة الناس ارتكاناً على نهار أصومه وليل أقومه ... فنمت عن عمل الخير وغفلت عن بذل المعروف »

فلعلك تدرك بعد هذا أن المويلحى له دعوة دينية قوامها التمشى مع المدنية والبعد عن الخرافات وخدمة الإنسانية . وهذه الدعوة هى غاية جمال الدين ، وهى ما قام به الشيخ محمد عبده

أما الأدب فإن المويلحى يرى أنه لا يرتقى ولا تسمو عبارته ولا تجود معانيه إلا إذا اتصل الأدباء بالتراث العربى القديم يقلبون فى عباراته البليغة وأساليبه الرصينة . ويرى أنه لا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بنشر الكتب القديمة وطبعها حتى تكون فى متناول الناس جميعاً ، ويعجب من بقاء الكتب المخطوطة فى المكتبة العامة بعيدة عن أيدى الناس قائلاً إن هذا يعرضها للتلف ويفوت الغرض منها ويجعل النفع بها محدوداً ؛ وهو يشتط فى هذا الرأى فيقول : « أى نفع وفائدة للأمة المصرية الإسلامية فى أن تنشر بين يديها رمم الفراعنة فى الأنتكخانة ، وتقبر أرواح العلماء والحكماء فى الكتبخانة » . وهذا الكلام وإن أجراه المويلحى على لسان أحد الأشخاص إلا أن المتتبع لكلامه فى هذا الصدد يعلم إيمانه بهذا الكلام

ولم ينس المويلحى الثقافة الحديثة وأثرها فى الأديب فهو يقول فى عزلة الباشا عن الناس : « وعكفت مع الباشا فى عزلتنا أذهب به كل مذهب ، وأنتقل به من مطلب إلى مطلب فى مطالعة الأشعار والكتب من تاريخ وأدب ومن حكم متينة قويمة وشتى علوم حديثة وقديمة »

وغاية المويلحى من كل هذا أن يتصل الأدباء بالأدب العربى القديم لأنه منبع لكل بارع وفاخر من الأساليب ، وأن ينالوا من الثقافة الحديثة حظاً كبيراً لأنهم فى حاجة إلى هذه الثقافة التى تمدهم بالأفكار والمعانى ؛ ثم هو لا يعجبه رصف الألفاظ الجوفاء التى لا تحمل معنى قيما . ولذلك ساق فى حفلة العرس خطبة وقصيدة ليبين نوعاً من الأدب التافه شعره ونثره . وقد عقب عليهما ساخراً بقوله : « ثم انتهينا بحمد الله من الشاعر بعد الخطيب

وهذه الدعوة الأدبية هى دعوة جمال الدين ومن سار على نهجه من بعده . وقد استطاع المويلحى بلباقته الأدبية القصصية أن يضمن كتابه هذه النواحى الإصلاحية فى أسلوب شائق جذاب يستهوى الناس . ولم ينس أن يذكر ما كان لدعاة الإصلاح وزعماء النهضة من فضل عليه فهو يقول فى إهداء كتابه : « وأهديه إلى أرواح المرحومين الأديب الوالد ، والحكيم جمال الدين ، والعالم محمد عبده ، واللغوى الشنقيطى ، والشاعر البارودى ... أولئك الذين أنعم الله عليهم وأولئك الذين تأدبت تأدبهم وأخذت عنهم »

(الفيوم) أحمد أبو بكر ابراهيم

رسالة الجاحظ

فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة

للأستاذ محمود عزت عرفه

الجاحظ أمة فى الأدب وحده ، وعالم محقق لا يسبر له غور أو يدرك لاتساع فطنته مدى . وهو إلى جانب موسوعاته التى كشفت عن غزارة ذهنه ورحابة عقله ، قد ترك لنا مجموعة رسائل يمكن أن نعدّها فى باب الوجزات بالقياس إلى تصانيفه التى يطول فيها استطراده وتتسع منادح تفكيره

ولكن إيجازه فى هذه الرسائل غير مقصر بها ولا مخلّ ؛ إذ تعالج كل منها موضوعاً قائماً بنفسه فى إحاطة لا تترك وراءها فراغا أو نقصاً ، واستيعاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ومن هذه الرسائل رسالة عنوانها : فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة[1]

وإنها لآية من آيات الجاحظ ؛ تقفنا من تفكيره على صورة جميلة ، وترسم لنا خطوطاً واضحة المعالم لبعض وجوه تصرفه فى الكتابة والتصنيف .

وهو يبدو فى هذه الرسالة عظيم الاحتفاء بشئون السياسة على عهده ، قويّ المساهمة ، بقلمه وبذهنه ، فى خدمة قضية يراها جديرة بأن يعمل لها ويسعى فى سبيلها .

وقد بعث الجاحظ بهذه الرسالة إلى الفتح بن خاقان صاحب المتوكل ونديمه المصطفى فى حياته ، والذى قاسمه مصرعه الرهيب فيما بعد على يد المنتصر ابنه وولى عهده ...

على أن الرسالة لم تكتب فى ذلك العهد ، وإنما كتبت أيامَ المعتصم ثامن خلفاء بنى العباس ؛ ولم يتهيأ للجاحظ أن يُبْلغها إليه فبقيت حبيسة طيلة عهده ، ثم مدة الواثق من بعده ، حتى تهيأ لها الظهور أخيراً فى أيام المتوكل . والجاحظ نفسه يشير إلى هذه الحقيقة كما سنرى ذلك فيما بعد . ولكن الذى يعنينا الآن هو التحقق من بواعث تحرير هذه الرسالة ، ثم النظر فى أسباب احتباسها طيلة هذه الفترة حتى ظهرت فى عهد المتوكل . وما من ريب فى أنه كان للعوامل السياسية أثر قوى فى كل هذا فما الذى دفع الجاحظ أولاً إلى كتابة هذه الرسالة ؟

لقد تولى المعتصم الخلافة بعد أخيه المأمون ، وكان مثله ممن يقدر النبوغ ويحتفل بالمواهب حيثما ظهرت ، فانفسح مجال التفوق فى دولته أمام العناصر غير العربية . على أن نزعة المأمون كانت علمية كما هو معروف ؛ أما المعتصم فكان شجاعاً باسلاً رب سيف ورمح ، لا قلم ولا كتاب . كان «الخليفة الأمى» كما وصف نفسه فى كثير من الصدق ، ولكنه تفرد إلى جانب ذلك بصفات سامية فى البأس والشجاعة ؛ فكان فارس بنى العباس المعلم ، وأضرب رجال دولتهم فى البطولة بسهم

ولقد استكثر من غلمان الأتراك فى جيشه ليتقوى بهم على الخراسانية الذين نهضت على أكتافهم دولة المأمون ، واستقدم كثيراً من أبناء فرغانة وأشروسنة ليستعز ببأسهم على من كانت تموج بهم بغداد من مختلف طوائف الجند بين عرب وأبناء[1] وموال وخرسانيين

وما نشك فى أن الجاحظ كتب رسالته على هذا العهد متشيعاً بذلك للخليفة وحزبه . ولقد كان الجاحظ أديباً موهوباً محظوظاً ، وقل فى الأدباء من يجمع بين هاتين الفضيلتين . كان يحب أن يستفيد ، ثم هو يعرف كيف يستفيد ؛ ولكن تطور الأمور ألجأه — برغمه — إلى أن يحبس رسالته حتى حين ، إذ كان التنافس قد اشتد وقتئذ بين هذه الطوائف المختلفة فى أجناسها وجبِلّاتها ، المتباينة فى أطماعها وفى أهوائها . وتطورت الحال إلى أكثر من هذا ؛ إلى اصطدام دموى عنيف ، وفتنة هوجاء جامحة ، حيكت فيها الدسائس الخفية والظاهرة ، ودبرت الاغتيالات المحقة والمبطلة ، فطاحت رؤوس ، وأهدرت دماء ، وهاجت أوشاب من العامة بإيعاز من رؤوساء الأجناد ، وائتمرت الطوائف جميعاً بالأتراك الذين خصهم الخليفة بإيثاره ، وبوأهم رفيع المناصب فى دواوين حكومته وثكنات عسكره

(١) يسميها ياقوت : كتاب مناقب جند الخلافة وفضائل الأتراك أنظر ترجمة الجاحظ ج ١٦ ص ١٠٧ من معجم الأدباء

(١) الأبناء قوم من العجم كانوا يسكنون بلاد اليمن ، ويرجع أول عهدهم بها إلى عام ٥٧٦م حين استنجد سيف بن ذى يزن الحميرى بكسرى أنوشروان ضد غزاة بلاده من الحبش ، فأرسل معه « وهرز » على رأس جيش احتل به صنعاء وطرد الأحباش . وقد بقيت للفرس السيطرة على هذه البلاد حتى ظهر الاسلام واعتنقه أهلها عام ٦٣٢م (١٠هـ)

وينبغي هنا أن نشير إلى بعض الوقائع الثابتة لتمثل الحالة التى سادت البلاد فى ذلك العهد تمثيلاً أقرب إلى الوضوح.

١ — كان الأفشين[1] من أشهر قواد المعتصم الأتراك ، وقد أبلى البلاء الأعظم فى الحروب التى اشترك فيها دفاعاً عن حوزة الخلافة ، وبسطاً لسلطان الدولة فى عصرى المأمون والمعتصم . ولكنه لم يكن مع ذلك خالى النفس من كراهية العرب ، والتسخُّط على منافسيه من أفرادهم وأعيانهم . ولقد كان حسده للقائد العربى أبى دُلَف (القاسم بن عيسى العجلى) أمراً مشهوراً ؛ حتى لأشهد عليه مرة بجناية وقتل ، وأزمع أن يقتص منه ، لولا أن بادر أحمد بن أبى دُوَاد[2] كاتب المعتصم ومشيره فأدركه قبل نفوذ الأمر فيه ؛ وأنذر الأفشين أن يصيبه بسوء ، ثم رفع القصة إلى الخليفة ، فاستحسن صنيعه فى المبادرة بإنقاذ أبى دلف ، وعنف الأفشين على ما كان قد وطد العزم عليه . . . ولم يلبث هذا القائد — وهو من هو ضراوة وسوء معتقَد — أن حاول الاستقلال بمسقط رأسه أشروسنة ، فانكشف أمره على يد عبد الله بن طاهر الأمير العربى فى خراسان وكان فى ذلك مهلكه ونهاية شأنه . ونذكر هنا بعض ما قاله أبو تمام من قصيدة يسجل فيها حادث إحراق الأفشين وصلبه :

ما كان لولا قبح غدرة (حيدر) ليكون فى الإسلام عامُ (فجار)
ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الوارى
ناراً يساور جسمه من حرها لهب كما عصفرتَ شِق إزار
مشبوبة رُفعت لأعظم مشرك ما كان يرفع ضوءها للسارى
صلى لها حيًّا وكان وقودَها ميتاً ، ويدخلها مع الفجار

٢ — كان عجيف بن عنبسة من قواد الأتراك الناقمين على المعتصم بعض تصرفه — ورضى الناس جميعاً غاية لا تدرك — وكان قد صحبه فى حصار عمورية (عام ٢٢٣ ﻫ) . وهناك أوغر صدر العباس بن المأمون حتى أطمعه فى قتل عمه . ودخل معه فى ذلك جماعة ممن انطوت نفوسهم على الكيد للمعتصم وتربُّص الشرِّ به . ولكن الخليفة اطلع على سر هذا التدبير ، فقتل عجيفا ومن مالأه ؛ وحبس العباس ابن أخيه حتى مات من وطأة الضر وفرط الأذى . . .

٣ — ومن تدابير الكيد فى ذلك العهد ما أوغر به القوم صدر المعتصم على خالد بن يزيد الشيبانى أحدِ ولاته من العرب حتى أزاله عن ولايته وطالبه بأموال جسيمة ؛ فلم يجد من يشد أزره فى هذه المحنة إلا أحمد بن أبى دواد[1] الذى شفع له عند المعتصم حتى عفا عنه ، وخلع عليه وأعفاه مما كان قد أمره به من الخروج منتفياً إلى الحجاز .

وفى هذا يقول أبو تمام أيضاً من قصيدة يمدح بها خالداً ويهنئه :

سيل طَمَى لو لم يذُدْهُ ذائدٌ لتبطحتْ أُولاهُ بالبطحاء
وغدت بطون منًى مُعنًى من سيْبه وغدت حِراً منه ظهور حِراء
وتعرَّفتْ عرفاتُ زاخره ولم يُخصَص كَداءٌ منه بالإكداء
ولطاب مرتبعٌ بطيبةَ واكتستْ بُرْدَيْن : بردَ ثرىً وبرد ثراء
لا يُحرَمِ الحرمانَ خيراً ! إنهم حُرِموا به نوءاً من الأنواء . . .

تعد هذه الحوادث — وغيرها كثير — من عوامل نشوب الفتنة التى أشرنا إليها آنفاً ؛ لأن هذا التحرش بين الترك من ناحية ، والعرب والخراسانيين وسائر الموتورين من ناحية أخرى ، لم يلبث أن تحول إلى اصطدام عنيف تكررت فيه حوادث العدوان فى طرقات بغداد ، واضطرب معه حبل الأمن فى أرجائها ؛ حتى لم يجد الخليفة بدًّا من أن ينهض بجنده المختار إلى عاصمته الجديدة سُر من رأى ، ليحسم بذلك وجه النزاع ويهدِّئ من سورات النفوس . . . فى مثل هذه الظروف لم يكن بتيسر للجاحظ

(١) هو حيدر بن كاوس من أبناء ملوك أشروسنة ، والأفشين لقب لهم . أما أشروسنة فهى كورة فيما وراء النهر ، بين فرغانة وسمرقند

(٢) فى كتاب « إعجام الأعلام » للمرحوم محمود مصطفى : « يقول ابن خلكان دواد بضم الدال وفتح الواو . وفى القاموس المحيط فى مادة « دود » وأحمد بن دواد معروف . ومن هذا يظهر لك خطأ من يهمز الواو ، وقد وقع فى ذلك كثير » اﻫ .

(١) يقول المرحوم الخضرى بك فى محاضراته : كان فى ابن أبى دواد عصبية عربية ، ولعل هذا أفاد العرب وحفظ لهم شيئاً من مقامهم فى عهد المعتصم الذى جعل القوة كلها لغلمان الأتراك ، الذين استكثر منهم ومن قوادهم . . .

رســـالة الجاحظ

فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة

للأستاذ محمود عزت عرفه

الجاحظ أمة فى الأدب وحده ، وعالم محقق لا يسبر له غور أو يدرك لاتساع فطنته مدى . وهو إلى جانب موسوعاته التى كشفت عن غزارة ذهنه ورحابة عقله ، قد ترك لنا مجموعة رسائل يمكن أن نعدّها فى باب الموجزات بالقياس إلى تصانيفه التى يطول فيها استطراده وتتسع منادح تفكيره

ولكن إيجازه فى هذه الرسائل غير مقصر بها ولا مخلّ ؛ إذ تعالج كل منها موضوعاً قائماً بنفسه فى إحاطة لا تترك وراءها فراغاً أو نقصاً، واستيعاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ومن هذه الرسائل رسالة عنوانها : فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة[1]

وإنها لآية من آيات الجاحظ ؛ تقفنا من تفكيره على صورة جلية ، وترسم لنا خطوطاً واضحة المعالم لبعض وجوه تصرفه فى الكتابة والتصنيف .

وهو يبدو فى هـذه الرسالة عظيم الاحتفاء بشئون السياسة على عهده ، قويّ المساهمة ، بقلمه وبذهنه ، فى خدمة قضية يراها جديرة بأن يعمل لها ويسعى فى سبيلها .

وقد بعث الجاحظ بهذه الرسالة إلى الفتح بن خاقان صاحب المتوكل ونديمه المصطفى فى حياته ، والذى قاسمه مصرعه الرهيب فيما بعد على يد المنتصر ابنه وولى عهده ...

على أن الرسالة لم تكتب فى ذلك العهد ، وإنما كتبت أيامَ المعتصم ثامن خلفاء بنى العباس ؛ ولم يتهيأ للجاحظ أن يُبْلغها إليه فبقيت حبيسة طيلة عهده ، ثم مدة الواثق من بعده ، حتى تهيأ لها الظهور أخيراً فى أيام المتوكل . والجاحظ نفسه يشير إلى هذه الحقيقة كما سنرى ذلك فيما بعد . ولكن الذى يعنينا الآن هو التحقق من بواعث تحرير هذه الرسالة ، ثم النظر فى أسباب احتباسها طيلة هذه الفترة حتى ظهرت فى عهد المتوكل . وما من ريب فى أنه كان للعوامل السياسية أثر قوى فى كل هذا فما الذى دفع الجاحظ أولاً إلى كتابة هذه الرسالة ؟

لقد تولى المعتصم الخلافة بعد أخيه المأمون ، وكان مثله ممن يقدر النبوغ ويحتفل بالمواهب حيثما ظهرت ، فانفسح مجال التفوق فى دولته أمام العناصر غير العربية . على أن نزعة المأمون كانت علميــة كما هو معروف ؛ أما المعتصم فكان شجاعاً باسلاً رب سيف ورمح ، لا قلم ولا كتاب . كان «الخليفة الأمى» كما وصف نفسه فى كثير من الصدق ، ولكنه تفرد إلى جانب ذلك بصفات سامية فى البأس والشجاعة ؛ فكان فارس بنى العباس المعلم ، وأضرب رجال دولتهم فى البطولة بسهم

ولقد استكثر من غلمان الأتراك فى جيشه ليتقوى بهم على الخراسانية الذين نهضت على أكتافهم دولة المأمون ، واستقدم كثيراً من أبناء فرغانة وأشروسنة ليستعز ببأسهم على من كانت تموج بهم بغداد من مختلف طوائف الجند بين عرب وأبناء[1] وموال وخرسانيين

وما نشك فى أن الجاحظ كتب رسالته على هذا العهد متشيعاً بذلك للخليفة وحزبه . ولقد كان الجاحظ أديباً موهوباً محظوظاً ، وقل فى الأدباء من يجمع بين هاتين الفضيلتين . كان يحب أن يستفيد ، ثم هو يعرف كيف يستفيد ؛ ولكن تطور الأمور ألجأه — برغمه — إلى أن يحبس رسالته حتى حين ، إذ كان التنافس قد اشتد وقتئذ بين هـذه الطوائف المختلفة فى أجناسها وجِبِلّاتها ، المتباينة فى أطماعها وفى أهوائها . وتطورت الحال إلى أكثر من هذا ؛ إلى اصطدام دموى عنيف ، وفتنة هوجاء جامحة ، حيكت فيها الدسائس الخفية والظاهرة ، ودبرت الاغتيالات المحقة والمبطلة ، فطاحت رؤوس ، وأهدرت دماء ، وهاجت أوشاب من العامة بإيعاز من رؤوساء الأجناد ، وائتمرت الطوائف جميعاً بالأتراك الذين خصهم الخليفة بإيثاره ، وبوأهم رفيع المناصب فى دواوين حكومته وثكنات عسكره

(١) يسميها ياقوت : كتاب مناقب جند الخلافة وفضائل الأتراك أنظر ترجمة الجاحظ ج ١٦ ص ١٠٧ من معجم الأدباء

(١) الأبناء قوم من العجم كانوا يسكنون بلاد اليمن ، ويرجع أول عهدهم بها إلى عام ٥٧٦م حين استنجد سيف بن ذى يزن الحميرى بكسرى أنوشروان ضد غزاة بلاده من الحبش ، فأرسل معه « وهرز » على رأس جيش احتل به صنعاء وطرد الأحباش . وقد بقيت للفرس السيطرة على هذه البلاد حتى ظهر الاسلام واعتنقه أهلها عام ٦٣٢م (١٠هـ)

وينبغي هنا أن نشير إلى بعض الوقائع الثابتة لتمثل الحالة التي سادت البلاد في ذلك العهد تمثيلاً أقرب إلى الوضوح.

١ — كان الأفشين(١) من أشهر قواد المعتصم الأتراك ، وقد أبلى البلاء الأعظم في الحروب التي اشترك فيها دفاعاً عن حوزة الخلافة ، وبسطاً لسلطان الدولة في عصري المأمون والمعتصم . ولكنه لم يكن مع ذلك خالي النفس من كراهية العرب ، والتسخُّط على منافسيه من أفرادهم وأعيانهم . ولقد كان حسده للقائد العربي أبي دُلَف (القاسم بن عيسى العجلي) أمراً مشهوراً ؛ حتى لأشهد عليه مرة بجناية وقتل ، وأزمع أن يقتص منه ، لولا أن بادر أحمد بن أبي دُوَاد(٢) كاتب المعتصم ومشيره فأدركه قبل نفوذ الأمر فيه ؛ وأنذر الأفشين أن يصيبه بسوء ، ثم رفع القصة إلى الخليفة ، فاستحسن صنيعه في المبادرة بإنقاذ أبي دلف ، وعنف الأفشين على ما كان قد وطد العزم عليه . . . ولم يلبث هذا القائد — وهو من هو ضراوة وسوء معتقد — أن حاول الاستقلال بمسقط رأسه أشروسنة ، فانكشف أمره على يد عبد الله بن طاهر الأمير العربي في خراسان وكان في ذلك مهلكه ونهاية شأنه . ونذكر هنا بعض ما قاله أبو تمام من قصيدة يسجل فيها حادث إحراق الأفشين وصلبه :

ما كان لولا قبح غدرة (حيدر) ليكون في الإسلام عامُ (فجار)
ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الواري
ناراً يساور جسمه من حرها لهب كما عصفرت شِقّ إزار
مشبوبة رُفعت لأعظم مشرك ما كان يرفع ضوءها للساري
صلى لها حيًّا وكان وقودَها ميتاً ، ويدخلها مع الفجار

٢ — كان عجيف بن عنبسة من قواد الأتراك الناقمين على المعتصم بعض تصرفه — ورضى الناس جميعاً غاية لا تدرك — وكان قد صحبه في حصار عمورية (عام ٢٢٣ هـ) . وهناك أوغر صدر العباس بن المأمون حتى أطمعه في قتل عمه . ودخل معه في ذلك جماعة ممن انطوت نفوسهم على الكيد للمعتصم وتربص الشر به . ولكن الخليفة اطلع على سر هذا التدبير ، فقتل عجيفا ومن مالأه ؛ وحبس العباس ابن أخيه حتى مات من وطأة القهر وفرط الأذى . . .

٣ — ومن تدابير الكيد في ذلك العهد ما أوغر به القوم صدر المعتصم على خالد بن يزيد الشيباني أحد ولاته من العرب حتى أزاله عن ولايته وطالبه بأموال جسيمة ؛ فلم يجد من يشد أزره في هذه المحنة إلا أحمد بن أبي دواد(١) الذي شفع له عند المعتصم حتى عفا عنه ، وخلع عليه وأعفاه مما كان قد أمره به من الخروج منتفياً إلى الحجاز .

وفي هذا يقول أبو تمام أيضاً من قصيدة يمدح بها خالداً ويهنئه :

سيل طمى لو لم يذُده ذائدٌ لتبطحتْ أولاهُ بالبطحاء
وغدت بطون منًى مُنًى من سيبه وغدت حِرًى منه ظهور حِراء
وتعرّفتْ عرفاتُ زاخره ولم يُخصَص كَداءٌ منه بالإكداء
ولطاب مرتَبعٌ بطيبةَ واكتستْ بُردَين : بردَ ثرًى وبرد ثراء
لا يُحرَمِ الحرمانُ خيراً ! إنهم حُرِموا به نوءاً من الأنواء . . .

تعد هذه الحوادث — وغيرها كثير — من عوامل نشوب الفتنة التي أشرنا إليها آنفاً ؛ لأن هذا التحرش بين الترك من ناحية ، والعرب والخراسانيين وسائر الموتورين من ناحية أخرى ، لم يلبث أن تحول إلى اصطدام عنيف تكررت فيه حوادث العدوان في طرقات بغداد ، واضطرب معه حبل الأمن في أرجائها ؛ حتى لم يجد الخليفة بدًّا من أن ينهض بجنده المختار إلى عاصمته الجديدة سُرَّ من رأى ، ليحسم بذلك وجه النزاع ويهدِّئ من سورات النفوس . . . ففي مثل هذه الظروف لم يكن يتيسر للجاحظ

(١) هو حيدر بن كاوس من أبناء ملوك أشروسنة ، والأفشين لقب لهم . أما أشروسنة فهي كورة فيما وراء النهر ، بين فرغانة وسمرقند

(٢) في كتاب « إعجام الأعلام » للمرحوم محمود مصطفى : « يقول ابن خلكان دواد بضم الدال وفتح الواو . وفي القاموس المحيط في مادة « دود » وأحمد بن دواد معروف . ومن هذا يظهر لك خطأ من يهمز الواو ، وقد وقع في ذلك كثير » اهـ .

(١) يقول المرحوم الخضري بك في محاضراته : كان في ابن أبي دواد عصبية عربية ، ولعل هذا أفاد العرب وحفظ لهم شيئاً من مقامهم في عهد المعتصم الذي جعل القوة كلها لغلمان الأتراك ، الذين استكثر منهم ومن قوادهم . . .

لماذا لا أثق

بأقوال النحاة ولا اللغويين

للأب أنستاس مارى الكرملى

١ – تصدير

إني لا أثق « دائماً » بكل ما ينطق به النحاة ولا اللغويون ولو كانوا أدلاء أجلاء بل أعرضه على محك النقد والتحقيق، وتدقيق النظر فيه، فإن أظهر المحك صدق إبريزهم، وافقت عليه وقيدته عندى بكل فخر وإجلال، واعتبار وإكبار، وإلا نبذته نبذ النواة، أو نبذ آراء المشعوذين النحاة الهواة. وذلك لأن الإنسان، محل النسيان، ولأن الجواد قد يكبو، والسيف قد ينبو. وما العصمة والكمال، إلا لرب الجلال

ولهذا تراني لا أثق إلا بما ينقله السلف إلينا من أقوال المحققين الأقدمين، كما قلت مراراً لا تحصى. وأمثلة ما قد أخطأوا القول فيه أكثر من أن يعد، ولا تسعه مجلة موقوتة، لأن ما جمعته يقع في مجلد ضخم « لا تهضمه معدة مجلة » لثقله عليها، ولثقله أيضاً على معد قرائها الكرام الأجلاء

وأنا أذكر هنا بعض الشيء، بمنزلة ما أذهب إليه من كلامي الذي عنوت به مقالي هذا

٢ – ورود فعلى جمعا لأكثر من لفظين

أنقل هنا ما جاء في تاج العروس في مادة (ظ ر ب) حرفاً بحرف، قال: « نقل شيخنا عن أبي حيان: ليس لنا جمع على فعلى، بالكسر، غير هذين اللفظين [ظِربى وحِجلى] ويقال: أن أبا الطيب المتنبي لقى أبا على الفارسي، فقال له: كم لنا من الجموع على فعلى، بالكسر؟ – فقال أبو الطيب بديهة: حجلى وظربى، لا ثالث لهما

فما زال أبو علي يبحث: هل يستدرك عليه ثالثة وكان رمداً فلم يمكن له ذلك، حتى قيل إنه مع كثرة المراجعة، ورمد عينيه، آل به الأمر إلى ضعف بصره. ويقال إنه عمى بسبب ذلك، والله أعلم

ثم قال: وهي من الغرائب الدالة على معرفة أبي الطيب وسعة اطلاعه. انتهى كلام الشارح على الحجلى: اسم للجمع »

قلنا: الجمع لفظة تشمل الجمع بصيغه المختلفة، واسم الجمع وشبه الجمع: والظاهر أن الذين جاؤوا بعد أبي الطيب وأبي على الفارسي لم يجدوا في كلام العرب جمعاً، ولا اسم جمع، ولا شبه جمع على فعلى، بكسر الأول. أفهذا صحيح؟

أن يقدم رسالته في « مناقب الترك » وإن كان هذا لا ينفي احتمال وجود أسباب أخرى حالت دون تقديمها؛ مما قد يشير إليه قولُ الجاحظ في مفتتح رسالته: « هذا كتاب كتبته أيام المعتصم بالله – رضى الله تعالى عنه ونضر وجهه – فلم يصل إليه لأسباب يطول شرحها، فلذلك لم أعرض للاخبار عنها ... ».

... أخيراً توفى المعتصم عام ٢٢٧ هـ وتولى بعده ابنه أبو جعفر هرون الواثق بالله؛ وكانت النفوس وقتئذ ما تزال ثائرة، ومظاهر الأحوال لم تتغير إلى الحد الذي يبيح للجاحظ أن يقدم على ما كان عنه من قبل محجما.

وإذا افترضنا زوال الأسباب القديمة، فإن الفرصة لم تكن تعرض، والمناسبة التي يلائمها إظهار رسالة في مدح الترك وإبراز مفاخرهم لم تكن تعن؛ والجاحظ يعلم أن لكل مقام مقالاً، وأن الكلمة من شعر أو نثر تفقد أكثر قيمتها إذا هي برزت في غير موضعها أو ظهرت دون مناسبتها. وتلك حقيقة يتحراها أكثر الأدباء قديماً وحديثاً في عرض إنتاجهم؛ وإنها لأدل على صدق الأدب وصحة الاستلهام، وأدعى إلى قوة التأثر وبلاغة التأثير معاً. وما (أدب المناسبات) إلا صورة صادقة من الأدب الحي يعجز عنه جماعة المفحمين ممن لا تواتيهم قرائحهم في كل حين، فينبزون أصحابه بلقب النُسَّاخ أو النظامين؛ وفرقُ ما بين الطائفتين تيقظُ بديهة أو غفوتها، واستجابة خاطر أو استعصاؤه ...

(للمقال بقية)

محمود عزت عرفة

قال فخر اللغويين المتأخرين ، وإمام أعمتهم ، الشيخ محمد محمود الشنقيطي ، فى حاشية له على المخصص ٨ : ١٥٦ ما هذا نصه بحروفه :

« قلت : قول على بن سيدة : الحجلى الخ خلاف الأصح ؛ وقلده فيه من قلده . والأصح أن فِعلى بالكسر من أبنية الجمع النادرة ، ولم يسمع منها إلا لفظتان ، وهما : الحِجلى هذه والظربى جمع الظربان . ونظمهما شيخ شيوخ مشايخنا المختار ابن بون فى احمراره ذيل الألفية ، حيث قال رحمه الله تعالى :

فِعلى بما أجمع ظربان حجل ، وليس باسم الجمع فى القول الأجل

ومن الدليل على ذلك الحكاية المحفوظة المروية عن سيف الدولة . روى عنه أنه سأل ليلة أصحاب سمره ، وفيهم المتنبى فقال لهم : كم من جمع لنا على فعلى ؟ — فأجابه المتنبى فى الحال بقوله : حجلي وظربى ، وكان فى مجلسه ذلك العلماء والأدباء والشعراء ، وفيهم أبو على الفارسىّ ، فلم يزد واحد منهم لفظة تثلثهما .

« وبعد انتهاء المسامرة ، ذهب أبو على إلى بيته ، وسهر يطالع كتب اللغة والعربية ، فلم يجد لهما ثالثة ، فبسبب ذلك كان يتعجب من حفظ المتنبى لغة العرب ، وتبحُّره فيها

« قلت : وجد الدماميني بعد قرون لفظة ثالثة وهى : مِعزى جمع معز ، ونظمها أستاذنا وشيخنا عبد الوهاب جَدُود بقوله :

وثالث اللفظين لفظ يَعْزَى ، إلى الدمامينى وهو مِعْزَى

انتهى وكتبه راويهِ حافظهُ محقّقه محمد محمود لطف الله تعالى به . آمين . » انتهى

أقول وأنا صاحب هذا المقال : ويزاد على الثلاثة المتقدم ذكرها ستة أخر وهى :

الأول : العِرقى جمع عرقاة . قال فى المخصص (١٥ : ١٨٧) : والعِرْقى جمع عرقاة . من قولهم : إستأصل الله عرقاتهم . عن الفارسىّ ، ولم يحكها غيره . » اهـ . قلنا : وكفى بالفارسى حجة ثبتاً ؛ مع أننا رأينا أنه طالع كتب اللغة فلم يعثر على مثال ثالث على فِعلى ، فيكون وجده بعد بحثه الأول عنه .

الثانى : قال الجوهرى : العِمقى ، بكسر العين ، شجر بالحجاز وتهامة . كذا يرى فى النسخة المطبوعة فى بولاق . وفى أربع نسخ خطية قديمة عندنا ، وإحداها منقولة عن نسخة المؤلف نفسه . وكلها تذكر هذه الكلمات : العمقى بالكسر شجر بالحجاز وتهامة ، ولم نقل واحدة : « شجرة » فالعِمقى إذا شبه جمع ، أو جمع على تعبير النحاة واللغويين ، فيكون واحدها عمقاة .

الثالث : قال الفارسى : العِفرى جمع عفراة . وأنشد عن ابن دريد : إذا صعد الدهر إلى عفراته

(عن المخصَّص ١٥ : ١٨٧)

الرابع : جاء فى لسان العرب فى مادة (صحن) : « الأزهرى الصحِناة ، بوزن فِعلاة ، إذا ذهبت عنها الهاء دخلها التنوين ، وتجمع على الصِّحْنا (هكذا كتبت بألف قائمة) والذى فى المخصص : الصِّحْنى ، بألف قاعدة وبطرح الهاء

الخامس : ذِفرى وهى جمع ذِفراة ، وهى العظم الثانى خلف الأذن (المخصص ١٥ : ١٨٩)

السادس : الشِّيزى . قالوا : شجر تعمل منه الجفان ، ولم يذكروا لها واحداً . ومنهم من قال : واحدها الشيز . والعلم عند الله .

٣ — الخلاصة :

جاءت تسعة ألفاظ على (فِعلى) المكسورة الأول ، وهى : الحِجلى ، والظربى ، والمعزى ، والعرقي ، والعِمْقي ، والعفرى ، والصحنى ، والذفرى ، والشيزى . ولعل هناك غيرها ونحن نجهلها . فنطلب من القراء أن يوافونا بها ، ولهم منا الشكر سلفاً .

القسم الثانى — فُعَلَى

قال الشارح فى رسم (أرب) : « الأُرَبى » بفتح الراء والموحدة ، مع ضم أوله ، مقصوراً ، هكذا ضبطهُ ابن مالك ، وأبو حيَّان ، وابن هشام : الداهية . أنشد الجوهرى لابن أحمر :

فلما غشى ليلى وأيقنتُ أنها ، هى الأُرَبى جازت بأم حبوى

قلت : وهى كشُعَبى ، وأُرَمى ، ولا رابع لها . » انتهى .

قلنا : شُعَبى : إسم موضع .

ونزيد على ذلك أن لهن أخوات أخر منها :

وهي الرابعة : الأُرَنَى ، بهمزة فراء ، فنون فألف . وهو حبّ بقل يطرح في اللبن ، فيثخنه ويجبنه . ويقال للرجل : إنت كالأرنى .

والخامسة : وهي أُدَمى ، بهمزة ودال مهملة فلام مهملة فألف وهو موضع . وقيل : الأدمى ، حجارة في أرض بني قُشَيْر .

والسادسة : جُنَفَى وهي اسم موضع ، بجيم فنون ففاء فألف

والسابعة : الجُمَبى وهي بجيم وعين مهملة فباء موحدة تحتية فألف ، وجمعها الجُعَب والجُعَبَات ، وهي عظام النمل اللائي يعضضن ، ولها أفواه واسعة .

والثامنة : تُوَمي ، بتاء مثناة فواو فميم فألف . قال المجد في قاموسه : وتومى كأربي . موضع في الجزيرة . وذكرهُ ياقوت بصورة تَوَما بالتحريك : موضع بالجزيرة . عن نصر . اهـ فيجوز لك أن تختار إحدى اللغتين ، لأن كلا من المجد وياقوت حجة ثبت .

والتاسعة : بُشَرَى ، وهي على ما في ياقوت كبشرى لكني سمعتها من شيخي الجليل السيد محمود شكري الألوسي كأربى ، وترى مضبوطة في القاموس .

والعاشرة ، تلّ بُوَنَى بباء مضمومة فواو مفتوحة فنون مفتوحة فألف . وسمعتها من شيخي الألوسي كأربى . أما الشارح فقد قال : تل بونى كشورى قرية بالكوفة . هكذا في النسخ ، والصواب فيه بُوَنّا ، بضم الباء وفتح الواو وتشديد النون ، كما ضبطه نصر رحمه الله تعالى ، وهي ناحية بسواد العراق قريب الكوفة » اهـ . وفي ياقوت : « تل بَوَنّا بفتحتين وتشديد النون ، من قرى الكوفة . قال مالك بن أسماء الفزاري :

حبذا ليلتي بتـــل بَوَنّـا حيث نُسقى شرابنا ونُغنّى
ومررنا بنسوةٍ عطـراتٍ وسماعٍ وقَرْقَفٍ فنزلنـا
حيثما دارت الزجاجـة درنا يحسب الجاهلون أنّا جُنِنّا

حدثنا ابن كناسة أن عمر لما لقي مالكاً ، استنشده شيئاً من شعره ، فأنشده . فقال له عمر : ما أحسن شعرك لولا أسمع قرى تذكرها فيه[1] فقال : مثل ماذا ؟ . قال : مثل قولك :

أشهدتني أم كنت غائبة في ليلتي بحديثة القسبِ

ومثل قولك :

حبذا ليلتي بتـــل بَوَنّـا حيث نُسقى شرابنا ونُغنّى

فقال مالك : هي قرى البلد الذي أنا فيه ، وهي مثل ما تذكره أنت في شعرك من أرض بلادك . قال : مثل ماذا ؟ فقال : مثل قولك هذا :

ما على الرَّبع بالبُلَيّين لو بَيَّن رجع السلام أو لو أجابا

فأمسك ابن أبي ربيعة » اهـ

فهذه أربع روايات مختلفة : رواية الألوسي ، وهي رواية صحيحة . والألوسي من أبناء هذه الديار ، وصاحب الدار أدرى بما فيها . ورواية القاموس ولابد من أنه سمعها من أحد شيوخه ، أو أصابها في كتب من تقدمه ، أو ربما كانت الرواية الشائعة في عصره . ورواية نصر وهو حجة في ذكر أسماء المدن والبلدان والمواضع . ورواية ياقوت ، وياقوت معروف بصدق النقل لأسماء المواضع والأمكنة

أما نحن فلا نكذب أحداً من هؤلاء النقلة ، لأنهم كلهم رواة ثقات ، وحجج أثبات . فالأخذ برواياتهم من أحسن الوسائل للاحتفاظ بما نقلوه إلينا ، والاعتماد عليهم

الخلاصة :

لنا من الألفاظ الواردة على فُعَلَى ، بضم ففتحتين ، فألف مقصورة عشرة ألفاظ على أقل تقدير — لا ثلاثة كما قالوا — أو كما قال صاحب تاج العروس ، ولعل هناك ضعف هذا العدد ونحن نجهله ، ويذكره لنا غيرنا من المتتبعين لدقائق العربية

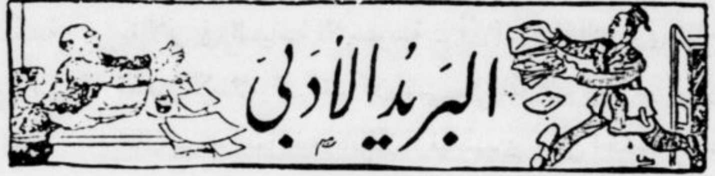
القسم الثالث — تفاعيل

قال السيد مرتضى عبادة (ب ش ر) : « التباشير وليس له نظير إلا ثلاثة أحرف . تعاشيب الأرض ، وتعاجيب الدهر ، وتفاطير النبات والشباب »

قلنا : وهناك خامس وهو التناشير بتاء مثناة فوقية ، فنون ، فألف ، فشين مثلثة : فياء مثناة تحتية ، فراء وهي كتابة لغلمان الكتاب بلا واحد (القاموس)

وسادس وهو النفاطير ، بنون موحدة ، فوقية ، ففاء فألف فطاء فياء مثناة تحتية ، فراء

(١) وفي الأصل المطبوع : لولا أسمع قرى التي تذكرها فيه ، وهو خطأ



حول جامعة الإسكندرية

نشرت جريدة الأهرام بتاريخ ٧ فبراير سنة ١٩٤٣ مقالاً للأستاذ منصور جاب الله تحت عنوان « يوم الأسكندرية » ، وقد عرج فيه الكاتب على مكتبة الأسكندرية قائلاً :

« إن ثلاثة عشر قرناً تتجرم بعد احتراق مكتبة الأسكندرية لحقبة جد طويلة ، فاليوم يرأب الصدع ، ويرد إلى المدينة الخالدة اعتبارها العلمي وتعاود مكانتها الثقافية » ، والذى يسوق هذه العبارة فى مقاله الجلىّ يؤمن برأى من نسب حريق مكتبة الأسكندرية على يد عمرو بن العاص

وقد ناقش هذا الخبر كثير من علماء الإفرنج مثل « بطلر » و « جوستاف ليبون » وغيرهم فلم يمكنهم الجزم بأن عمرو ابن العاص هو الذى أحرقها حقيقة بأمر الخليفة عمر بن الخطاب كما زعم بعضهم ، بل ولم يؤيد هذه الدعوى أحد من المؤرخين المعاصرين للفتح الإسلامى ، مثل « أوتيخوس » الذى وصف فتح الأسكندرية بإسهاب

وأما ما نسبه أبو الفرج الملطى فى كتابه « مختصر الدول » عن حريق المكتبة على يد عمرو بن العاص ، فقد فنده كل من « بطلر » و « سديو » و « جوستاف ليبون » وغيرهم . والغريب أن هذه الرواية يذكرها رجل من أطراف بلاد الفرس بعد فتح الأسكندرية بنحو ستمائة سنة ، ولم يتعرض لها المؤرخ المسيحى البطريرق « أوتيخوس » الذى قلنا إنه أسهب فى فتح الأسكندرية .

على أن تعاليم الدين الإسلامى تخالف هذه الرواية ؛ إذ ترمى إلى عدم التعرض للكتب الدينية اليهودية والمسيحية المأخوذة فى الحرب ولا يجوز حرقها ــ أما كتب الفلسفة والطب والتاريخ والشعر وسواها من العلوم غير الدينية ، فإنه يجوز للمسلمين الانتفاع بها

والمعروف أن هذه المكتبة لم تكن موجودة إبان الفتح الإسلامى اللهم إلا بقايا من جدران حوائطها

والصحيح الذى لا مرية فيه : أن المكتبة حرقت مرتين : المرة الأولى تم فيها حرق القسم الأكبر منها على يد جنود

قال اللحيانى : يقال فى الأرض نفاطير من عشب ، أى نبذ متفرقة لا واحد لها

وسابع ، وهو تصاريف الدهر ، بتاء مثناة فوقية فصاد ، فألف ، فراء فياء مثناة تحتية ، ففاء

وثامن وهو تخاليف الأمور ، بتاء مثناة فوقية ، وخاء ، وألف ، ولام وياء مثناة تحتية ، وفى الآخر فاء

وتاسع وهو التباريح . قال فى التاج فى (ب ر ح) : « به تباريح الشوق ، أى توهجه . والتباريح : الشدائد . وقيل : هى كلف المعيشة فى مشقة . قال شيخنا : وهو من الجموع التى لا مفرد لها . وقيل : تبريح . واستعمله المحدثون ، وليس بثبت » انتهى

وعاشر هو التباكير . قال الشارح فى (بشر) : « التباشير ألوان النخيل أول ما يرطب ، وهو التباكير » انتهى . أى بتاء مثناة فوقية ، وباء موحدة تحية ، فألف ، فكاف ، فياء مثناة تحتية ، فراء في الآخر

وحادي عشر وهو التمانيق ، بتاء مثناة فوقية ، يليها عين مهملة ، فألف ، فنون مكسوورة فياء مثناة تحتية وفى الآخر قاف وهو موضع فى شق العالية . قال زهير :

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو
واقفر من سلمى التعانيق والثقل

(عن ياقوت فى ١ : ٨٥٤ من طبعة أوربة)

وثاني عشر وهو التلافيف وهو بالتاء المثناة واللام فالألف فالفاء فالياء المثناة التحتية وفى الآخر الفاء

قال فى تاج العروس فى رسم (لفف) . يقال : هذا تلافيف من عشب أى نبات ملتف لا واحد له »

الخلاصة

هذه اثنا عشر حرفاً على وزن تفاعيل لا واحد لها . وقد قالوا إنها أربعة لا أكثر . ونحن لا ندعى بأننا ذكرنا كل ما ورد فى اللغة ، بل بعض ما حضرنا حين كتابة هذه الكلمة وهناك ما يضاعف هذا العدد موارد كثيرة .

(للمقال بقية)

الاب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

«يوليوس قيصر» سنة ٤٧ ق. م وأما القسم الثانى من المكتبة فقد تم حرقه فى عهد القيصر «طيودوس» سنة ٣٩١م بأمر الأسقف «نيتوفيل» بواسطة جماعة من المتعصبين للنصرانية. والدليل القاطع أيضاً على عدم وجود المكتبة حتى قبيل الفتح الإسلامى ما ذكره المؤرخ «أورازيوس» عن زيارته للاسكندرية قبل سنة ٤١٤م، إذ قال: «إنه وجد رفوف المكتبة خالية من الكتب»

على أن العرب لم يدخلوا الأسكندرية إلا بعد استيلائهم عليها بأحد عشر شهراً — وقد ذكر فى عهد الصلح الذى أبرم بين عمرو بن العاص والمقوقس: أنه يجوز للروم أن يحملوا إلى بلادهم كل أمتعتهم. وفى غضون هذه المدة كان البحر مفتوحاً ولم تكن أمامهم صعوبات تعوقهم عن حمل كتب المكتبة إلى بلادهم إذا كانت موجودة؛ وهذا ينهض دليلاً آخر على عدم وجود المكتبة إبان الفتح الإسلامى.

عبد العظيم أحمد هيبة

١ — موقف مجلة الأزهر من النبوة والعبقرية

كتبت مجلة الأزهر فى جزء المحرم سنة ١٣٦٢ مقالاً فى ذكرى الهجرة، فرقت فيه بين النبوة والعبقرية، فذكرت أن النبوة روح إلٰهية تتجلى معها قوة الحق فى أروع مظاهرها، فتؤيد القائمين بها خرقاً للسنن الثابتة، ونقضاً للعادات المقررة، فيدرك الناس أنهم إزاء إرادة إلٰهية لا يقف فى طريقها حائل، ولا تثبت فى مقاومتها قوة. أما العبقرية فهى هبة ليس للقوة العقلية أثر فى إيجادها، تعجز عن مجرد حمل الناس على تقدير ما تأتى به، حتى إن أكثر العباقرة عاشوا غير مقدرين، ولم يفهم الناس جلالة ما أتوا به إلا بعد أن ماتوا بعدة قرون، ثم بنت على هذا أن نجاح الدعوة الإسلامية لم يكن فيه أى أثر للعبقرية، وإنما كان معجزة عظيمة جعلها الله دليلاً على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

ومجلة الأزهر تقصد بهذا أن تهدم الأساس الذى قام عليه كتاب عبقرية محمد للأستاذ العقاد، مع أن هذا الأساس لا شىء فيه من جهة الدين، وقد بنيت عليه قبل ظهور ذلك الكتاب مقالاتى فى السياسة الأسبوعية — أثر السياسة النبوية فى نجاح الدعوة الإسلامية — فقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم مع الوحى مجال فسيح يعمل فيه كانسان، فيجتهد فى بعض أحكام الدين، وينظر فى أمور الدنيا، ويبحث ما يعرض له من مسائل السلم والحرب، وقد أظهر فى ذلك المجال براعة عظيمة تشهد له بكمال العبقرية، ومع هذا كان يدركه فيه ما يدرك كل إنسان، فيلفته الله تعالى إليه، ويهديه إلى ما كان ينبغى أن يعمل فيه، وكل هذا جاء به القرآن الكريم، وتشهد به كتب السيرة والأصول. ولعل مجلة الأزهر تتوهم أن التسليم بهذا قد يجر إلى التسليم بأن ذلك النجاح كان للعبقرية وحدها، كما يزعمه بعض أعداء الإسلام، ومثل هذا التوهم الخاطئ هو العقبة الآن فى سبيل كل إصلاح.

عبد المتعال الصعيدى

٢ — اصلاح تحريف فى آية قرآنية

جاء فى مقالى الأخير من مقالات (الحضارات القديمة فى القرآن الكريم) هذه الآية: «ينصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم» والصواب الرحيم بدل الحكيم.

ع. ١٠

بين الرجولة والرجولية

يسأل الأديب «على محمود الشيخ» فى العدد (٥٠٠) من الرسالة، عن نحو «الرجولة والرجولية» الواردين فى كتب اللغة، هل معناهما واحد كما يقول بعض الناس؟ أو الثانى مصدر صناعى كما يقول آخرون؟

وأجيب: أنهما مختلفان، فالرجولة مصدر سماعى لا فعل له، ومعناه ضد الأنوثة، ومثله الرُّجْلة

و «الرجوليَّة وكذا الرُّجْلية» كل منهما مصدر سماعى صناعى بزيادة ياء النسبة (الأول من الرجولة، والثانى من الرُّجلة) وهما يزيدان زيادة على المصدر العام كمال هذه الصفة فى الشخص المحدث عنه، والمعانى اللازمة لهذا الكمال، مثل الشجاعة والإقدام وإباء الضيم

والطفولة خلاف الرجولة و «الطفولية» تدل على هذا المعنى

ولوازمه ، من العجز المطلق عن تحمل أعباء الحياة ، واستدرار العطف والشفقة

والعروبة ضد العجمة ؛ و « العروبية » تزيد على هذا الدلالة على شمائل العربي وخصائصه . ومثل ما ذكر يقال فى الرهبة و « الرهبانية » ، والفروسة و « الفروسـية » ، والألوهة و « الألوهية » ، والربوبة و « الربوبية » ، والجاهل و « الجاهلية » والخنزوان (الكبر) « والخنزوانية » والأريح[1] و « الأريحية » (الارتياح للندى) . وكلها مصادر مسموعة عن العرب .

أما أن علماء اللغة لم يذكروا فارقاً بين الرجولة والرجولية مثلاً ، فلأنهم إنما يعنون ببيان المعانى الوضعية للألفاظ ، وأما المعانى اللازمية فلم يتصدوا لذكرها ، لأنها وظيفة علماء المعقول ، كالمناطقة والحكماء .

ثم إن تحميل المصادر الصناعية العربية للمعانى التى ذكرناها جاء من قِبل زيادة العرب الياء المشدودة ، التى هى فى الأصل للنسبة ، ثم تنوسيت النسبة وأريد من اللفظ المعنى المصدرى مع لوازمه ، وألحقو به التاء رعاية لأنه كان فى الأصل صفة لموصوف مؤنث كالحال مثلاً

وكان هذا النوع من المصادر يسمى عند قدماء النحاة « بالنظائر » وهى ما جرى على وجه النسب ، قاله ابن سيدة فى المخصص

ونظراً لقلتها فى اللغة ، إبان العصر الجاهلى وصدر الإسلام ، ولوجود ياء النسبة فيها لم يلحقها الأقدمون بالمصادر العامة ، بل سموها باسم خاص . لكن تلك التسمية لم تشهر بين العلماء إذ ذاك فسماها بعضهم « بالمصادر الصناعية » ، وذاعت هذه التسمية إلى عصرنا هذا . وقد أولع المحدثون وبخاصة علماء المنطق بصوغ هـذه المصادر من أسماء الأعيان وغيرها ، فقالوا : الحيوانية والإنسانية والناطقية والجسمية والحجرية ، والإسمية والحرفية ، والفاعلية والمفعولية والعلمية ؛ وقالوا : الكيفية والكمية والماهية

فالمصدر الصناعى بمعنى المصنوع على وزان ما صنعه العرب من هذا النوع ، فهو كقولهم : المصدر القياسى بمعنى المقيس ، والمصدر السماعى بمعنى المسموع . وهى تسمية اصطلاحية حديثة وإن كان جنس مسماها عربياً قديماً . هذا وإن شئت إيضاحاً أكثر ، فمليك أن تراجع الكلمة القيمة التى كتبها المغفور له الأستاذ الشيخ « أحمد الأسكندرى » فى مجلة « مجمع اللغة العربية الملكى » (ص ٢١١ — ٢١٥ ج ١) : احتجاجاً لقرار المجمع قياسية المصدر الصناعى ، ففيها الغنى لمن طلب المزيد ، والله الهادى إلى سواء السبيل

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية

هل يتسع القلب لأكثر من حب واحد ؟

كنت أطالع فى مجلة الإثنين عدد ٤٥١ فلفت نظرى رأى الدكتور زكى مبارك عند ما سـئل هل يتسع القلب لأكثر من حب واحد ؟

قال إنى أصبحت أعتقد بعد تجارب أن القلب جارحة من الجوارح كالعين مثلاً ؛ وهذا ما أعتقده أنا أيضاً (والأغلبية من الناس) . غير أنه قال : كما أن العين تقدر أن ترى ملايين من المرئيات ، كذلك القلب يقدر أن يحب مليون مرة . وهـذا لا أوافق عليه ، فإن الحب شىء روحانى والمرئيات أجسام ملموسة غير روحانية . الحب مرض نفسانى « مرض القلب » ، فلو أن العين أصيبت بسهم وأدميت فإنها لا تستطيع أن ترى أكثر ، وكذلك القلب ، فإذا أصيب بسهم الحب مثـلاً فإنه يمرض ، وإذا مرض فلا يستطيع أن يحب أكثر . وكم من قلوب أصيبت بسهم الحب ! قال عمر بن أبى ربيعة :

راميات بأسهم ريشها الهدب
تشق القـلـوب قبـل الجلود

جورج شاريغاس
(فلسطين)

(١) اسم تفضيل من راح يريح : إذا اشتم رائحة الشىء . عن المصباح المنير

سرقة شعرية

كان يوم ٩ فبراير موسماً حافلاً بكلية الآداب ؛ فلقد غص مدرجها بمختلف الطبقات من أساتذة وطلاب ومدعوين ، خفوا للاحتفال بذكرى مولد جلالة الملك — أعزه الله — وتلك سنة درجت عليها الكلية كما قال الدكتور حسن ابراهيم في كلمته التي افتتح بها الحفل — وكان جميلاً أن نرى ونسمع ألواناً جديدة من المظاهر التي عبرت عن اتجاهات الفن في العصور الحديثة ونال معظمها إعجاب النظارة — غير أنه استدعى انتباهي شيء واحد قصدته في هذه الكلمة — ذلك هو قصيدة الشاعر « رجاء العزبي » الطالب بكلية الآداب ومطلعها :

صدحت على فنن طيور الوادي   يا حسن ما صدح الحمام الشادي

وهي جميلة حقاً حتى استعيدت أكثر أبياتها مما دل على حسن وقعها ، ولكنه خيل إلى عند ما سمعتها أنني أستعرض ماضياً وقع ؛ وقد كان ذلك حقاً !

فالقصيدة لشاعر معاصر هو الأستاذ محمد محمد عمر — قالها بمناسبة عيد ميلاد جلالة الملك (فؤاد) طيب الله ثراه وعنوانها : « آية الولاء » ، والقصيدة بين يدي كما سمعتها من شاعرنا الجامعي بتحوير استدعته المناسبة

فإلى من سمعوا هذه القصيدة أسوق ذلك التصحيح خالصاً لوجه الحق .

عبد الغني محمد

رابطة العروبة

« تكونت بجامعة فاروق الأول جماعة باسم (رابطة العروبة لطلبة جامعة فاروق الأول) تضم طلبة مختلف كليات تلك الجامعة المهتمين بقضية الوحدة العربية ، والراغبين في العمل في سبيلها ، وبث الدعوة إليها .

وغرض الرابطة الأساسي العمل بكافة الوسائل الممكنة وخاصة الثقافية منها على تحقيق الوحدة العربية ، ونشر الدعوة إليها ، ولتحقيق ذلك ستتذرع الرابطة بوسائل منها :

١ — تنظيم محاضرات ومناظرات تتناول الشئون العربية الهامة .

٢ — تقوية الصلات الأخوية والثقافية بين الطلبة المصريين وإخوانهم في البلاد العربية الأخرى بتنظيم المراسلات بينهم ، وغير ذلك .

٣ — الدعوة إلى مؤتمرات تضم طلبة الجامعات العربية المختلفة للنظر فيما يهمهم من توحيد الأحوال الثقافية في البلاد العربية وفي غير ذلك مما يمس قضية الوحدة العربية . وغير هذه من الوسائل المؤدية إلى تحقيق غرض الرابطة الأساسي .

والدعوة موجهة إلى طلبة جامعة فاروق — وهم من شباب هذه الأمة الذين عليهم تعتمد في بناء مستقبلها — إلى الدخول في هذه الرابطة التي ستباشر نشاطها قريباً إن شاء الله . »

جمال أحمد بدر
القائم بأعمال الرابطة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11^me Année No. 504

Lundi - 1 - 3 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٠٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ صفر سنة ١٣٦٢ — الموافق أول مارس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

رســـالة الأديب

للدكتور زكى مبارك

رسالة الأديب — كلام قد ينفع — الخلوة إلى القلب

فى أحد الأعداد الأخيرة من مجلة الجمهور البيروتية كتب الأستاذ إلياس أبو شبكة كلمة فى السؤال عما ترك شوقى وجبران من التوجيهات النافعة فى السياسة القومية ، وهو ينتظر أن يجود الجيل الجديد بأدباء قادرين على خلق تلك التوجيهات . وفى العدد الأخير من مجلة المصور القاهرية كتب الأستاذ فكرى أباظة يقول إن قصيدة ستالينجراد للشاعر على محمود طه هزته هزًّا ، وهو يرجو أن يعود الشعراء المصريون إلى التغنى بالقومية والوطنية ، ولا سيما العقاد ومطران

وأقول : إن من رسالة الأديب أن يتجه إلى آمال وطنه من حين إلى حين ، أو فى كل حين ، وفقاً لما يجيش بصدره من نوازع وميول ، ولكن من العقوق للأديب أن نجحد فضله إذا لم يجعل الآمال الوطنية قِبلته فى جميع الأحايين

والقول الفصل فى هذه القضية أن رسالة الأديب هى خلق ذوق الحياة ، فمن الواجب أن تتجه مراميه جميعاً إلى ذلك الخلق فى أى صورة ، وعلى أىّ شكل . وقد قلت مرات : إن الأديب الحق هو الذى يستطيع بقلمه أن ينقلك من ضلال إلى هدًى

الفهـــرس

صفحة		
١٦١	رسالة الأديب	الدكتور زكي مبارك ... ...
١٦٤	من مؤتة إلى اليرموك . .	الدكتور عبد الوهاب عزام
١٦٥	أيهـا المرضى	الأستاذ راشد رستم ... ...
١٦٦	الحكم الذاتى فى المدرسـة	الأستاذ السيد يعقوب بكر ...
١٦٩	السيدة سكينة بنت الحسـين	الأستاذ سعيد الديوه جى ...
١٧١	رسالة الجاحظ فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة	الأستاذ محمود عزت عرفة ...
١٧٣	لماذا لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين	الأب أنستاس مارى الكرملى
١٧٥	المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم	المستشرق « إدورد وليم لين » بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٧٧	وداع ... ... [قصيدة]	الأستاذ إدوارد حنا سعد ...
١٧٧	أنشودة الحرب لابليس «	الأستاذ عمر أبو قوس ...
١٧٨	رجعة إلى المذاهب الصوفيـة	الأديب أحمد أحمد القصير ...
١٧٩	مثل الحقيقة فى رأى أفلاطون	الأديب زكريا إبراهيم ...
١٧٩	فتاوى المفتى الأكبر ...	... ...

أو من هدًى إلى ضلال . والمهم عندى أن يقدر الأديب على خلق الفتن الروحية والذوقية والعقلية ، بحيث تخرج من صحبته بمحصول جديد من القلق أو الاطمئنان . ولو كانت غاية الأدب أن يرسم لنا خطط المستقبل لوجب أن نترك الشعراء القدماء ، لأن أدبهم يعجز عن توجيه الجيل الجديد ، ولأنه من هذه الناحية أعجز من أدب شوقى وأدب جبران

أشعار المعرى لا تنفع القومية بشىء ، القومية فى مدلولها الحديث ، ولو شئت لقلت إنها كانت أذًى على قومية ذلك الزمان ، لأن منحاها يتجه إلى الهدم لا إلى البناء ، ولكن قراءة أشعار المعرى تنفع فى تقوية الذاتية ، وتروض القارئ على الاعتداد بالنفس ، وتثيره على الرياء الاجتماعى . وثمرات هذا الأدب لا تقل قيمة عن ثمرات الأدب الذى يرينا كيف نواجه مشكلات العصر الجديد

رسالة الأديب هى خلق ذوق الحياة ، أو هى نصر الحياة على الموت ، والقليل من هذه الرسالة فى هذا الاتجاه يصنع الأعاجيب فى إحياء الممالك والشعوب

كلام قد ينفع

صديقى ...

لم يبق بدٌّ من توجيه نظرك إلى أشياء خفيتْ عليك عدداً من السنين ، واستوجبت أن أزهد فى لقائك ، برغم ما بينى وبينك من وداد عجزت عن محوه الأيام . هى أشياء تملنى منك ، فتصرفنى عنك ، وتجعل محضرك أثقل من الحديث المعاد

أنت ياصديقى مغرم بالسؤال عما لا يعنيك من شؤون الناس ، ولا سيما الموظفين ، كأنك تتوهم أن أعمالى تنحصر فى استقصاء الدقائق والخفايا من أحوال الزملاء ، وكأن الحياة عندى وعندك قيلٌ وقال ، وبحثٌ وسؤال ، مع أنك تعرف جيداً أنى لم أسألك يوماً عن شأن من شؤونك ، إلا أن تتلطف أنت فتستشيرنى فى بعض المعضلات من أحوال دنياك ، ثم تكون النتيجة أن أنسى ما أفضيت به إلىّ بعد لحظات قصار أو طوال

يجب أن تكون شواغلنا الحقيقية مقصورة على ما ينفع ، ولا نفع فى استقصاء أحوال الناس ، إلا فى الحدود المتصلة بالمعاملات ، ثم يمضى كلٌّ إلى سبيله المرسوم فى طلب الرزق أو المجد ، بلا التفات إلى الفضول الذى لا يتشهاه غير صغار العقول

ومن أثقل مايضجرنى منك حرصك فى كل لقاء على تذكيرى بالتقصير فى حق نفسى من الوجهة الدنيوية ، وأنا أبغض من يبصّرنى بأمور دنياى ، لأنى رسمت لحياتى كلها خطة لا أحيد عنها فى أى وقت ، وهى الظفر بأكبر نصيب من أنصبة الفكر والرأى . وهذا هو السبب فى أن تكون أوقاتى كلها مشغولة برياضات ذهنية وعقلية وروحية ، وهو أيضاً السبب فى طول الخلوة إلى القلم ، بحيث لا يمضى يوم يجوز نعته بالفراغ ، ولو كان من أيام الأعياد

والغريب أنك لا تساجلنى فيما أكتب ، ولا تحاول تنبيهى إلى ما يغيب عنى ، وإنما تسأل دائماً عما سأجنى من الأدب ، وتحاول بالتصريح أو التلميح أن تفهمنى أن كل شىء ما خلا المالَ ضياع فى ضياع !

وأنا لا أزهد فى المال ولا أدعو إلى الزهد فيه ، ولكنى أفهم أن الغِنى بالنسبة إلى أهل العلم والأدب غِنًى محدود ، وينبغى أن يظل كذلك ، لتبقى لأهل العلم والأدب أشواق إلى المعانى ، وليتحرروا من أسر الغنى الفضفاض ، فله شواغل تحدّ من وثبات العقول ، وسَبَحات الأرواح ، وخطرات القلوب

ليس لى بصديق من يختار لى غير ما اخترت لنفسى ، وأنت تخذّلنى تخذيلاً فظيعاً كلما لقيتنى ، لأنك تحاول تهوين نعمة الله فى قلبى ، وأنا أعتقد أنى من الذين منّ الله عليهم بنعمة التوفيق ، فله الحمد وعليه الثناء

أتريد الحق ؟

الحق أنك تحاول الدفاع عن كسلك بأسلوب ملفوف ، فأنت تهون من شأن الجهاد الأدبى بحجة أنه قليل الربح ، وتلك حجة واهية ، فللجهاد الأدبى أرباح أيسرها الشعور بقيمة الجهاد ، ولو كان لى أملٌ فى تقويمك لذكرتك للمرة الأولى بعد الألف بأن حياتك صارت غاية فى الهُزال ، وأنك لا تستحق اللقمة التى تأكل ، ولا الخرقة التى تلبس ، وما أنفقه أهلك وأنفقته الدولة فى تعليمك وتثقيفك قد ضاع إلى آخر الزمان

عندك ألقاب علمية ، وبيدك وظيفة رسمية ، ولـكنك على نفسك وعلى الوطن بلاء

كيف يجوز أن تمرّ أيام وأسابيع وشهور وأعوام ولا نقرأ لك بحثاً جيداً أو غير جيد ، ولا نسمع من أخبارك غير البراعة فى تسقُّط أخبار الناس ، ولا نلقاك إلا فى القهوة إن أردنا أن نلقاك ، ولا نأخذ عنك غير المعلومات السخيفة عن الدرجات والترقيات ؟ وكيف يكون كل همك أن تسألنى عما بينى وبين الرؤساء من صلات ، ولا يخطر فى بالك أن تسألنى عما بينى وبين الله من صلات ؟

وتعيب على أن أقضى أيامى فى نضال وصيال ، فما الذى غنمت أنت من قضاء دهرك فى التلطُّف والتظرُّف ، بمصانعة هذا ومجاملة ذاك ؟

ما تذكرت ماضيك إلا تحسَّرتُ وتفجعت ، فقد كنت فتى مرجو المخايل ، وكان جهادك فى طلب العلم مضرب الأمثال ، فكيف وقع حجر الجمود فوق رأسك فشطره شطرين ، شطراً للنميمة وشطراً للاغتياب ؟

وأنا مع هذا أحبك وأحفظ عهدك ، ولـكن كيف أتقى شرك ، يا شرِّير ؟

إن لقاءك يؤذينى أعنف الإيذاء ، لأنه يرينى فى المدل ، فما يجوز لمن يكون فى مثل حالك من تعطيل مواهبه الأساسية أن يجد القوت

إرتع والعبْ ، فإن الرزق لا يفوت السوائم المهملات !

صديقى

لا تفكر فى لقائى بعد اليوم ، إلا أن تغيِّر ما بنفسك ، فترجع فتى كالذى عهدت ، فتى يعتمد على الله لا على الناس ، ويؤمن بأن الله لا يرفع أحداً بغير حق ، لأنه يضع الموازين فى جميع الشؤون ، بحيث يمكن القول بأن المصادفة لا مكان لها فى الوجود

أترانى ألقاك مع الرجاء لا مع الخوف ؟

أنا أخاف من لقائك لأنك تخذلنى وتعوقنى ، أيها العالم الجبان!

لطف الله بى وبك ، وهدانى وهداك !

الخلوة الى القلب

لا أدرى كيف صرت إلى ما صرت إليه من الزهد فى لقاء الناس ، أو لعلنى أدرى ، فقد صرت لا أفكر فى لقاء صاحب أو صديق إلا إذا وثقت بأن لقاءه يوحى إلى القلب أشياء

وهل يتسع الوقت لمسامرة من لا يوحون بشىء ؟

إن الحياة أقصر من أن نضيعها فى مصاحبة الموسومين بالغباوة والجهل

الصديق الذى أجالسه فيثير فى نفسى الشوق إلى امتشاق القلم لتدوين بعض المعانى هو الصديق ، وأنا أرحب بلقائه فى كل حين

والأصل فى الصديق أن يكون على مثال القلب ، فتحاوره كما تحاور قلبك بلا تحفظ ولا احتراس ، عندئذ يتفتح القلب عن مكنونات يبدعها الحوار اللطيف

ومن أدبى فى حياتى أن أحرص أشد الحرص على أصدقائى ، وأن أتعصب لهم بحق وبغير حق ، وأن أنتهز الفرص للحديث عنهم ولو فى صورة الملام ، وكان ذلك لأنى أومن بأن من حق من وثقوا بنا فصادقونا أن نبذل فى البر بهم ما نملك من كلمة الخير ، وهى كلمة لا يضن بها غير المفطورين على الشح اللئيم

والخلوة إلى القلب ، أو إلى الصديق الذى بمنزلة القلب ، هى فرصة الوحى الأدبى ، وهذه الخلوة كانت السبب الأصيل فى تفوق الأدباء القدماء

وهل ننسى أن الأنبياء لم يتلقوا الوحى إلا فى أعقاب الخلوات إلى القلوب ؟

أقول هذا لأشرح السبب فى قلة الشعر بجميع البلاد فى هذا العهد ، فالشعر لا يكون إلا بالغناء ، ولا يتيسر الغناء مع الضجيج

إن أحلام القلوب لا تجمع بسهولة ، وكيف وهى فى شرود الأوابد ؟ إن للقلب أعماقاً أبعد غوراً من أعماق المحيط ، وستكتشف جميع المجاهيل قبل أن تكتشف سرائر القلوب

يجب على الـكاتب أن يخلو إلى قلبه لحظات من كل يوم ، عساه يعرف بعض الملامح من سريرة القلب والروح

لا يفرح برؤية الناس والأنهار والبحار والمزارع والبساتين إلا من يعجز عن رؤية هذه الخلائق فوق ساحة القلب

فتى نـكون من أرباب القلوب ؟

متى ؟ ثم متى ؟

إن انتظارنا سيطول !

زكى مبارك

من أيام الفتوح

من مؤتة إلى اليرموك

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

فى العام الثالث بعد الستمائة من الميلاد ، وذلكم قبل بعثة الرسول بست سنين، اشتعلت الحرب بين الروم والفرس . وهى حلقة من سلسلة طويلة من الحروب بُدِئت منذ ظهر الرومان فى غرب آسيا ، واستمرت بين الرومان والأشكانيين ، ثم ورثها الساسانيون والبيزنطيون حتى شغلت من التاريخ سبعة قرون بين الاشتعال والخمود . وهذه الحلقات الأخيرة التى سبقت البعثة واستمرت بعد الهجرة سبع سنين قد اهتم بها العرب ونزلت فيها آية من القرآن : « غُلبت الرومُ فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيَغلبون ، فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » . انتصر الفرس فى عهد كسرى برويز على الروم زهاء عشرين سنة متوالية فسلبوهم كل ما ملكوا فى آسيا ، وفتحوا بيت المقدس وأخذوا الصليب الكبير ، ثم غلبوهم على مصر . وظهرت جيوش الفرس على أبواب القسطنطينية مرات . وظن الناس أن الروم لا تقوم لهم قائمة

ثم أجمع الروم أمرهم ، وقادهم هرقل من ظفر إلى ظفر خمس سنين أتت على كل ما ناله الفرس فى الحروب المتمادية . وخلع كسرى برويز بعد أن أخرجته الهزائم من دار ملكه ومات ذليلاً حزيناً ، وخلفه ابنه قباد الثانى فصالح هرقل على أن يرد على الروم كل ما سلبوه فى آسيا ومصر وأن يرد الصليب المقدس . وسار هرقل فى أعظم مواكبه إلى بيت المقدس ليضع الصليب موضعه فى ديسمبر سنة ٦٢٩ م . وبلغ هرقل من العزة والهيبة والصيت ما بلغ

— ٢ —

فى جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة بعد غزوة خيبر بشهرين وجه رسول الله ، ثلاثة آلاف من أصحابه إلى الشام ، وجعل القيادة لزيد بن حارثة ، فإن أصيب فجعفر بن أبى طالب ، فإن أصيب فعبدالله بن رواحة . وكان هذا إيذاناً ببعد الشقة ، وجسامة المطلب ، وعظيم الخطر

لماذا سيّر الرسول صلوات الله عليه جيشاً لحرب الروم فى أرض بعيدة ؟ يقول المؤرخون أن الغسانيين قتلوا رسوله إلى أمير بصرى ؛ ولكن أحسب الأمر أوسع من هذا فقد أراد المسلمون أن يرهبوا الطامعين فيهم ويعرفوا موقف القبائل العربية الضاربة فى سلطان الروم من المسلمين : أحرب هم أم سلم .

سار المسلمون إلى مَعان فإذا هرقل الذى حالفه الظفر خمس سنين حتى رد إلى سلطان الروم ما أخذه الفرس وزلزل سلطان كسرى فى ديار كسرى ــ قد جمع فى مآب جموعاً حاشدة من الروم والعرب ــ وتشاور المسلمون وهمّوا بأن يكتبوا إلى الرسول ولكن ابن رواحة قال : « يا قوم والله إن الذى تكرهون للّذى خرجتم له ؛ خرجتم تطلبون الشهادة ؛ وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ، ولا كثرة . ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به . فانطلقوا فإنما هى إحدى الحُسنَيين : إما ظهور وإما شهادة » .

التقى الجمعان عند مؤتة وهى قرية فى البلقاء التى تسمى اليوم شرقي الأردن ، إلى الشرق من الطرف الجنوبى للبحر الميت . واستمرت الحرب وقاتل زيد بالراية حتى قتل ، وتقدم جعفر للشهادة فقاتل حتى نالها . وتلاه ابن رواحة فقتل . فاجتمع الناس على القائد المحنّك المظفر خالد بن الوليد فقاتل كما يقاتل خالد حتى تراجع بالجيش الصغير فأنقذه من الجموع الطبقة عليه فِعلَ القائد الحازم لا يهلك جيشه فى معركة خاسرة .

ثم شغل المسلمون بفتح مكة وما تلاه من الأحداث . وبعد سنة من موقعة مؤتة دعا الرسول إلى غزو الروم « فى زمن عسرة من الحر ، وجدب من البلاء » زمن تدعو فيه إلى الحرب إلى ضرورة لا مناص منها . وعلم الناس أنهم يدعون لغزو الروم ، غزو بنى الأصفر وهم يعلمون من سلطانهم وقوتهم وانتصارهم على الفرس ما يملؤهم هيبة . حتى قال بعض المنافقين : « أتحسبون قتال بنى الأصفر كقتال غيرهم ؛ والله لكأنى بكم غداً مقرنين فى الحبال »

سار الجيش إلى تبوك ، وكانت على حدود البلاد الخاضعة لسلطان الروم فى الشمال ؛ فأقام بضع عشرة ليلة وصالح الرسول صلوات الله عليه أهل دومة الجندل وأيلى وجرباء وأذرُح . ورجع المسلمون وقد صالحوا من صالحوا وأرهبوا القبائل الضاربة فى الشمال ، وأعلموا الروم أنهم غير عاجزين عن الجمع والسير للقتال . وكانت غزوة ذات أثر فى تمكين هيبة المسلمين فى القبائل الشمالية ، ومحو ما أصاب المجاهدين فى مؤتة ، والتمهيد لإقامة سلطان الإسلام فى تلك الأرجاء

— ٤ —

ثم أعد الرسول جيشاً للمسير إلى البلقاء حيث تراجع المسلمون فى غزوة مؤتة وجعل عليه أسامة بن زيد أول قائد للمسلمين

أيها المرضى (*)

للأستاذ راشد رستم

[إذا كان المريض يخاف المرض
فان الصحيح منه أخوف]
« الكاتب »

شفاكم الله وعافاكم

إنكم اليوم مرضى وقد كنتم أصحاء، فلا تجزعوا بل اعملوا على أن تعودوا أصحاء

إن الأصل فى الحياة الصحة والعافية ، أما المرض فهو حال تصيب الناس لحكمة من السماء – تصقلهم به وتهيؤهم ثم تنبههم أن يكونوا دائماً أصحاء

***

لا تنظروا إلى الأصحاء، بل انظروا إلى المرضى من إخوانكم؛ بل انظروا إلى أنفسكم

قد يصير الصحيح مريضاً والمريض صحيحاً ، إذ لا صحيح دائماً ولا مريض دائماً

إن الأصحاء لم يكونوا دائماً « هم » الأصحاء ، فهونوا على أنفسكم ، ولا تضعفوها جنب ضعف أجسامكم ، إذ هى التى تشفيكم وهى التى تنجيكم ، وهى التى تعيدكم صحتكم الأولى

إن المرض ضعف فلا تزيدوا الضعيف ضعفاً

إن ضعف النفوس أخطر من ضعف الأجسام

وإذا تهيأ للمرء أن تكون له نفس صحيحة قوية فلا يضعفها بأن يخضعها لحكم هذا الجسم المريض الضعيف المضطرب

تلك القوى الكامنة فى النفوس إن هى إلا مدد سحرى من تيار الروح العلوى ترفع عن الضعيف ضعفه ، وتقوم له بما يعجز عنه دواؤه وأطباؤه

***

وإذا كان المرض قيداً كما يراه المريض، فإن للأصحاء هموماً وقيوداً، وإذا أفلت الزمن من يد المريض فلا يظنن أن الصحيح عليه قادر

إن الزمان يقبض ولا يقبض عليه ، فلا الصحيح قوى على الزمن ولا المريض ضعيف على الزمن

لا تطلبوا الشفاء إلا من الله ، ثم من أنفسكم التى يجب أن تكون مع الله

أما الزائرون فلا تعتبوا

مرضنا فما عادنا عائد ولا قيل أين الفتى الألمعى

لعل له عذراً وأنت تلوم . ومن الناس من لا يحب أن يجد صديقه هزيلاً ، فكيف به يرضى أن يراه عليلاً !

***

تحولوا عن هؤلاء وعن هؤلاء، واتجهوا دائماً إلى أصدقائنا الأطباء

إن الطبيب هو الصديق الطبيعى للمريض

وإذا لم يستطع الطبيب أن يكون صديقاً للمريض فلماذا أراد أن يكون طبيباً !

ليس يكفى أن يكون الطبيب عدواً للمرض حتى يعتبر صديقاً للمريض!

(*) للكاتب مقال « إلى الأصحاء » فى الرسالة عدد ٤٩٦

فى تلك الغزوة وتوفى الرسول واشتعلت الفتنة فى الجزيرة وسأل الناس أبا بكر أن يبقى الجيش ليقى المدينة غارات القبائل المرتدة ولكن خليفة رسول أصر الإصرار كله على أن ينفذ الجيش الذى أمده رسول الله . فسار الجيش إلى حيث أمر الرسول فغنم وسلم . وذلكم فى السنة الحادية عشرة . وهو تدبير عظيم لم يلقه الروم ومن والاهم من العرب بكفاية من الاهتمام والتفكير

— ٥ —

وبعد سنة وأشهر من رجوع جيش أسامة – وذلكم أوائل السنة الثالثة عشرة عزم المسلمون على فتح الشام وسيّر أبو بكر جيوشاً أربعة لهذا الفتح . وتتابعت الوقائع إلى الموقعة الحاطمة موقعة اليرموك التى جعلت هرقل يودع الشام وداعاً لا لقاء بعده . وقد أدار هذه الموقعة الفاصلة خالد بن الوليد ، القائد الذى شهد مؤتة وانحاز بجيشه فخلصه من براثن الموت . ولولا ضيق المجال لفصلت القول وسردت الحوادث مبيناً عن الصلات الجامعة ، والقرابة الواشجة ، بين هذه الأحداث . تلكم صور متفرقة فى كتب التاريخ ، شتيتة فى رأى مطالعيه ؛ ولكنها فى الحق أوجه حقيقة واحدة ، أو أمواج من بحر واحد ، أو فصول متتابعة من كتاب : أوجه من هذا اليقين الذى ملأ قلوب العرب المسلمين ، وأمواج من هذا الجهاد الذى اعتزمه العرب المسلمون ، وفصول من هذا المجد الذى سطره العرب المسلمون قصة أولها خالد ينحاش بجيشه ليقيه غائلة الروم ، وآخرها خالد يقدم بجيشه ليمحو سلطان الروم ، ويمد سلطان المسلمين على الشام وما وراء الشام ؛ وفى ثناياها حقائق من الأخلاق والسنن والتاريخ هى التى تجلت سريعاً فجمعت فى سلطان العرب المشرق والمغرب وإن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب .

عبد الوهاب عزام

الحكم الذاتي في المدرسة

للأستاذ السيد يعقوب بكر

– ٢ –

ولنتكلم الآن عن مجالات scopes الحكم الذاتى

فنحن يمكننا أن نعتبر البيت فى المدرسة الداخلية أحسن مجال يمكن أن يصطنع فيه الحكم الذاتى . فالبيت من جهة أضيق من أن يعجز بعض أفراده عن تدبير أمره تدبيراً محكماً ، والحياة فيه تقدم أكبر قدر من وجوه النشاط المختلفة التى يمكن للتلاميذ أن يتخذوا منها ميداناً لتدبيرهم وتنظيمهم

وهناك مجال آخر من مجالات الحكم الذاتى هو الفصل المدرس class or form . والمآخذ على هذا المجال تتلخص فى أن الأغراض التى يرمى الفصل إلى تحقيقها أولا وقبل كل شىء تخرج من مجال الحكم الذاتى كثيراً من نواحى حياة الأطفال الاجتماعية التى هى ألصق بهم ؛ وفى أن انتقالات التلاميذ كل سنة من فرقة إلى فرقة أعلى يصحبها فى كثير من الأحوال تغيير مستمر فى أعضاء الحكم الذاتى

وهناك مجال ثالث للحكم الذاتى هو تلك الجمعيات التى يؤلفها التلاميذ قاصدين بها إلى ممارسة وجوه من النشاط تضيق عنها جدران المدرسة كالجمعيات الأدبية والجمعيات التمثيلية وجمعيات فلاحة البساتين وجمعيات التصوير وغيرها

وأخيراً يمكن أن نجعل من المدرسة كلها مجالاً للحكم الذاتى . ولكن هذا لا يمكن أن يتأتى بسهولة إلا إذا كان تلاميذ المدرسة لا يزيدون عن أربعين طفلاً أو خمسين

فهذه هى المجالات التى يمكن أن يتخذ منها الحكم الذاتى مسرحاً يمثل عليه دوره . على أننا لا نحب أن نترك هذه المسألة قبل أن نتناول الحكم الذاتى فى الفصل بشىء من التفصيل . فنحن نريد أن نقول إنه ليس من الضرورى فى كل الأحوال أن يمتد الحكم الذاتى إلى نطاق الفصل . وبيان ذلك أنه إذا كان ثم عداء متوارث بين التلاميذ من جهة والمدرس والمدرسين من جهة أخرى ، وإذا كانت حياة التلاميذ خارج المدرسة حياة يتناوبها العسف والضغط ، فإن الحاجة تكون حينئذ ماسة إلى

يتقدم المريض إلى الطبيب وهو يود أن يكون له كل ما يريد تلك ظاهرة من ظواهر المرض لا تخفى على أحد

غير أنها قد تفوت على من لا يجب أن تفوت عليه ، نعم تفوت على الطبيب ، تمر عليه دون أن يقيم لها وزناً — هنالك يختل ميزان الإنسانية ، لأنه بيد الطبيب ، ولا يعود المريض ، ولا غير المريض ، يرى فى الطبيب ذلك الهيكل القدسى الذى يقصد إليه ليلقى بالروح والجسد بين يديه ...

ولكن المريض كالغريق ، يتعلق بكل ما يرى وما يجد — إذن فيا رحمة الله اهبطى على قلب الطبيب ! ويا سكينته انزلى على قلب المريض ، ويا ألله ألطف بهذا الإنسان ، وهذا الإنسان ...

***

وهكذا لن يستطيع المريض أن يفر من رحمة الله ، فقد وسعت رحمته كل شىء ، وإلى أى النواحى اتجه ، وإلى أى المؤاسين قصد ، ففى رحمة الرحمن البرء والرضا والأمان

وإن لله لحكمة بين الناس فى دنيا الأمراض ، إذ ولد ابن آدم وليس عليه غير الصحة والعافية ، حتى إذا استلمهما أخذ يخضعهما لأغراض فى الحياة مدى الحياة ، ثم يذهب وقد ذهبت عنه الصحة والعافية وأغراض الحياة ...

وإن فى المرض لآية يدرك بها المرء معنى الصحة ، وإنها هى الحياة ، وإنها من الله ، وأنه لا شىء سواها ، ولا أحد سواه

خذ نفسك أيها المريض بيقين الشفاء ، وجسمك بصحيح العلاج ، ثم اصبر فإن الله كما قضى لك بما تحب منه ، يقضى عليك أن تصبر له على ما يحب فيك ...

وكن عبده وألق القياد لحكمه

***

وهو الله يمتحن الطبيب بالمريض ، ليس ليعلم قدر علمه ، إذ فوق كل ذى علم عليم ، وإنما ليسأله الواجب الذى ارتضاه لنفسه ، والمهمة التى أقسم عليها ، أليس هو الذى اختار المهنة التى يعمل لها ؟

إلى الأطباء إذن أيها المرضى . لا تسألوهم الشفاء ، وإنما اسألوهم وسيلتهم إلى الشفاء — أن يكونوا لكم أصدقاء ، بل ونعم الأصدقاء

إن الطب تخمين ، والإنسانية يقين ، و « الحكيم » البصير يسير بينهما وهو آمن وأمين . إذ شتان بين طالب الله وطالب من الله ...

إن الرحمة لم ترفع بعد من الأرض إلى السماء ، أيها المرضى وأيها الأصحاء ...

فمن كان له قلب فله الرضا من كل شىء ...

(بحيرة قارون) راشد رستم

قدر من الحكم الذاتى يتناول الفصل . أما إذا كانت العلاقة بين التلاميذ والمدرسين علاقة تسودها المودة والصفاء ، وكان التلاميذ من جانبهم يميلون إلى التعلم ، وكانوا يتمتعون بقسط وافر من الحرية خارج المدرسة ، فمن المشكوك فيه حينئذ أن يكون الحكم الذاتى شيئاً ضرورياً مرغوباً فيه

كذلك لا نحب أن نترك هذه المسألة قبل أن ننبه إلى أن وجوه النشاط فى داخل المدرسة مرتبطة أشد الارتباط بوجوه النشاط فى خارجها وأن الحكم الذاتى فى خارج الفصل لا يمكن لهذا السبب أن يتم له النجاح إذا كانت الأمور فى الفصل تجرى على قواعد بالية عتيقة

وليس للحكم الذاتى نظام خاص صالح لكل الأحوال ، وإنما هو يتكيف بحسب الحالة التى يوجد فيها ، فالسن ، والجنس وتقاليد المدرسة ، وشخصية المدرسين ، وطبيعة البيئة التى يأتى منها التلاميذ ، والمثل الاجتماعية التى يُرمى إلى تحقيقها — كل هذه يجب أن نترك فى الحكم الذاتى أثرها وتكيفه وفقها .

وأنا أعتقد أن قيمة الحكم الذاتى تزيد وأن مجاله يتسع إذا أمكن أن نبثّ فيه روحاً اقتصادية . وذلك يكون بإعطاء التلاميذ فى كل أسبوع قدراً معيناً من المال يستطيعون به أن يدبّروا الأمور المالية المختلفة التى كان يقوم بها من قبل مدبّرو شئون المدرسة . فيستطيعون مثلاً أن يشتروا ما هم فى حاجة إليه من الأقلام وأقلام الرصاص ، وأن يشتروا الجرائد اللازمة للمكتبة ، وأن يشتروا جميع الأدوات اللازمة للألعاب games سواء أكانت داخل المدرسة أو خارجها ، وأن يشتروا حاكياً أو مذياعاً ، وأن يؤثثوا غرفة هادئة للمطالعة ، وأن يقوموا بالرحلات الخ . وكل هذا يستدعى بالطبع وجود مصرف فى المدرسة يودَع فيه ما يُعطاه التلاميذ من مال ، ويقوم على تدبير أمره أحد هؤلاء التلاميذ . وكل هذا يستدعى أيضاً أن تقدم اللجان المختلفة ميزانياتها ، وأن تفحص هذه الميزانيات لجنة مالية مختصة لتقرر ما تراه .

وقد يكون من بين التلاميذ الذين يصطنعون الحكم الذاتى — ومعظمهم من غير شك قد بلغ سن الشباب — بعض التلاميذ الذين لم يبلغوا هذه السن بعد . فهؤلاء التلاميذ الأحداث يمكنهم أن يشاركوا فى عملية الحكم الذاتى ، ولكن على شرط ألا يكون عددهم كبيراً جدًّا . وهنا يفترق نظام الحكم الذاتى عن نظام العرفاء الذى يُخضع التلاميذ الصغار لسلطة التلاميذ الكبار .

ويجب أن يعتبر الحكم الذاتى وسيلة يعاقب بها التلاميذ بعضهم بعضا . وعلى ذلك فيجب ألا يكون العقاب إلا حين يكون من ورائه صونٌ لقوانين الحكم الذاتى من أن تُنقض ، تلك القوانين التى شرّعها التلاميذ أنفسهم وقصدوا بها إلى ما فيه الخير لهم جميعاً . على أن هذا العقاب يجب أن يكون خالصاً من الغلّ مبرءاً من الضغينة . فالقوة إذن سناد لقانون الحكم الذاتى فى مجتمع التلاميذ كما أنها سناد القانون فى المجتمع الكبير . ولكن كلما قوى شعور التلاميذ بما فيه مصلحتهم العامة فإن الحاجة إلى العقاب تقل .

وهنا يأتى الكلام عن مسألة من أهم مسائل الحكم الذاتى : فيجب ألا يتطرق إلى الأذهان أن نظام الحكم الذاتى يرفع عن عاتق ناظر المدرسة ومدرّسيها مسئولية التأديب ، فهو على العكس من ذلك يزيد من مدى هذه المسئولية ؛ وذلك لأن عملية الضبط لا ترمى حينئذ إلى حفظ النظام order فقط بل إلى غاية تربويّة كذلك . ومعنى هذا أن عملية الضبط فى هذا النظام لا تقصد مباشرة إلى مجرد حفظ النظام ، وإنما هى تقصد عن طريق غير مباشر لا إلى منع النظام من أن يتطرّق إليه العبث ويخترمه الخلل . وإنما تصطنع عمليةُ الضبط هذا الطريقَ غير المباشر لتكفل للغاية التربوية التى يرمى إليها الحكم الذاتى أن تتحقق ، وما هذه الغاية التربويّة إلا إفساح المجال لشخصيّات التلاميذ حتى تنمو وتترعرع .

ولكن هذا النوع من الحرية لا يرضى به دعاة التحرير Emancipationists . فهم يقولون إنه ليس إلا مسخاً للحرية ؛ ذلك لأنه يفرض على التلاميذ ما يريده المدرس ، فإذا أراد هؤلاء أن ينطلقوا مع سجيتهم فيما يفعلون فإنهم سرعان ما يعوَّقون . وإنما ينادى دعاة التحرير بحرية خالصة من القيود ينطلق معها التلاميذ أينما يريدون فيقعون فيما يقعون فيه من أخطاء ويعالجون هذه الأخطاء كما يحبون

على أن الأستاذ جون آدمز لا يرتضى مذهب هؤلاء . فهو ينادى بأن تكون للمدرس السلطة العليا ، تلك السلطة التى تحفظ على جماعة التلاميذ صالحها العام الذى قد تودى به الحرية المتطرفة . أضف إلى ذلك أن الحياة الواقعيـة حياة مفعمة بالقيود : القيود العامة التى تغلنا بها الحياة فى المجتمع ، والقيود الخاصة التى يغلنا بها من نخضع له أو من نخضع لهم . فإذا كان التلاميذ لن يواجهوا فى المستقبل حياة خالصة من القيود ، فأحر بهم أن يعوّدوا منذ الصغر الخضوع لسلطة مرب أو مربية يقصد كل منهما إلى تهيئة ظروف المدرسة بحيث تكفل لسلوك التلاميذ وشخصيتهم الترعرع والنماء

ويرى الأستاذ أسبورن Osborne أن تقسم السلطة مناصفة بين الناظر والمدرسين من جهة والتلاميذ من جهة أخرى . وهو يعتقد أن هذا التقسيم لا يضير نظام الحكم الذاتى فى شىء . فالناظر مثلاً يمكنه أن يفرض على التلاميـذ مزاولة الألعاب الرياضية فى أيام معينة من الأسبوع ، ثم يترك لهم توزيع ضروب هذه الألعاب على هذه الأيام ، فيجعلون هذا اليوم للكريكيت cricket وذاك للكشف وهلم جرا . على أنه لا يمكن فصل هاتين السلطتين فصلاً تاماً ، فيجب على الناظر والمدرسين أن يصغوا إلى ما يوجهه لهم التلاميذ من نقد ، وإن كانوا يملكون حق إهمال هذا النقد

وقد عرض الأستاذ جردن ماكاى A. L. Gordon Mackay لهـذه المسألة ، فقال إنه لا يمكن أن يتحقق نظام الحكم الذاتى من غير وجود المربى . ولكى يبيّن صحة ذلك انتقل إلى وظيفة المربى ، فقال إنها تتلخص فى العمل على نشر القدرة Ability المنطوية ، ثم العمل على تنمية قدرة تلاميذه جماعة وأفراداً . فالمربى أولاً مرشد وفيلسوف وصديق ، وهو إلى ذلك ناصح أمين فى كل ما يتعلق بالدروس والاجتماعات وسائر وجوه النشاط فى الفصل .

على أنه يجب أن يتصف بصفات معينة تعينه على أن يكون كذلك ، وهذه الصفات ليست إلا صدى للعلاقة التى تربطه بالتلاميذ . فهو يجب أن يثق بأنه قادر على معاونة تلاميذه على نشر مواهبهم الكامنة ، وهو يجب أن يعتقد أن نفوس تلاميذه تنطوى على حكمة كثيرة مخبأة ، أو على صفات أخرى تستحق أن يكد فى سبيل إماطة اللثام عنها ، وهو يجب أن يكون ذا عقل واسع الثقافة ، وشخصية منسجمة الأطراف متوافقة الأنغام ، وقدرة على التنفيذ ، وهو يجب أن يجمع إلى هذه الخصال كلها حباً للأطفال يلهبه الحماس ، ولكن الحماس الذى يخفف من حدته الحذر ويمد غوره التبصر

ويزيد الأستاذ ماكاى على ذلك ، فيقول إن المربى يجب أن يشعر تلاميذه بأن نجاحهم ونجاحهم فقط هو الهدف الأسمى للمربى ، وأنه ما وجد إلا للوصول إلى هـذا الهدف . وعلى ذلك يجب أن يحملهم باستمرار على أن يهدفوا نحو شكل من أشكال الكمال هو فى الحقيقة أبعد من أن يتناوله ذرعهم ، وأن يشعرهم بأنهم إن فشلوا فى الوصول إلى هذا الكمال فلسوف يستطيعون فيما بعد أن يحاولوا محاولات أخرى تحدوها خبرة أوسع

والمربى كذلك يجب أن يوفق بين نواحى الضعف فى المربى ونواحى القوة ، فيعطى من هذه لتلك ليصل بالمربى فى آخر الأمر إلى حال من التوازن قائمة على تعاون ملكاته وتواصلها

وصفوة القول أن نظام الحكم الذاتى يتطلب وجود المربى ليلعب فيه دوره الهام .

(للحديث بقية أخيرة) السيد يعقوب بكر

السيدة سكينة بنت الحسين

للأستاذ سعيد الديوه جى

— ٢ —

أمها :

بينما الفاروق فى المسجد الجامع وحوله شيوخ المهاجرين والأنصار ، إذا بشيخ مهيب يتخطى رقاب الناس حتى قام بين يدى الفاروق وحياه بتحية الخلافة ، فردها عليه الخليفة وقال له : من أنت ؟ قال : أنا امرؤ القيس بن عدى الكلبى . فعرفه عمر ؛ وكيف لا يعرف صاحب بكر الذى أغار عليهم فى يوم فلج فى الجاهلية ؟! فقال له عمر : ماذا تريد ؟ قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه فقبله . ودعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من « قضاعة » وهذا أول رجل عقد له على المسلمين بالشام ولم يصل ركعة واحدة ؛ ذلك لما له من المنزلة السامية بين قومه . وأراد على بن أبى طالب أن يزيد فى شرف هذا الشيخ فنهض إليه وأخذ بثيابه وقال له : يا عم ، أنا على بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وصهره ، وهذان ابناى من ابنته ، وقد رغبنا فى صهرك فأنكحنا . سر الشيخ من هذه الساعة الميمونة التى نال فيها ما لم يكن بتوقعه : اهتدى بنور الإسلام ، وتولى إمرة قضاعة بالشام ، وهذا ابن عم الرسول وزوج ابنته يريد أن يشرفه بمصاهرته . فالتفت إلى على بن أبى طالب والفرح قد ملأ قلبه والبشر طافح فى وجهه وقال له : « وقد أنكحتك يا على المحياة بنت امرئ القيس . وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرئ القيس . وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس » وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن امتازت بفصاحة لسانها ورجاحة عقلها فكان الحسين يحبها حباً جماً لما رآه من كمالها وعقلها . ولامه أخوه الحسن على هذا فقال :

لعمرك إننى لأحب داراً ... تكون بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالى ... وليس لعاتب عندى عتاب
فلست لهم وإن غابوا مضيعاً ... حياتى أو يغيبنى التراب

كانت الرباب مع زوجها مثالاً للمرأة المسلمة الصالحة شاركته أفراحه وأتراحه ورافقته حتى فى ساحة جهاده وشهدت بعينها مصرعه ورثته بقولها :

إن الذى كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبى جزاك الله صالحة ... عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى؟ ومن للسائلين ؟ ومن ... يغنى ويأوى إليه كل مسكين
والله لا ابتغى صهراً بصهركم ... حتى أغيب بين الرمل والطين

وقد برت الرباب بقسمها فكم تقدم إليها من شريف وأمير وخطبها بعد مصرع زوجها ، وكان جوابها لكل خاطب : « ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقضت الرباب حياتها حانية على ولديها عبد الله وسكينة .

نشأتها وزواجها :

تولت الرباب تربية ابنتها سكينة بنفسها فأرضعتها الفصاحة والبلاغة منذ صغرها وأطلعتها على أشعار العرب وأخبارهم . وكثيراً ما كانت ترسلها إلى حلقات العلماء ومجالس رواة الحديث فتأخذ عنهم . كما كانت تقص عليها مآثر آبائها وأجدادها ، فتذكرها بجدها الأعظم منقذ العالم من الشرك وهاديه إلى طريق الحق . وتسرد عليها أخبار جدها فتى الفتيان « حيدر » ما كان عليه من البطولة والعلم والفقه فى الدين . وكانت الفتاة ذكية الفؤاد تصغى إلى هذه الأحاديث بكل شوق وتفخر بمآثر أجدادها التى دونها كل فخر ، فاهتدت بنورهم وتسنمت ذروة المجد الشامخ

ولما بلغت سن الزواج زوجها أبوها من ابن عمها عبد الله ابن الحسن . وبعد وفاته تقدم إليها شبان قريش يطلبون يدها فلم يوفق سوى أحد الأبطال الذين يضرب بهم المثل فى الشجاعة والمروءة والكرم — ذلك هو مصعب بن الزبير — أمهرها مليون درهم وأهدى لأخيها أربعين ألف دينار . وزفت إليه وهى كالنار الموقدة حسناً وجمالاً ، وكان الخليفة عبد الملك ينفس على مصعب هذا الزواج ، وقد صرح بذلك لجلسائه فقال : « أشجع الناس مصعب بن الزبير الذى جمع فى بيته بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسن »

كان مصعب يحبها حباً جماً ويؤثرها على غيرها لعقلها وأدبها وحسبها وقضى معها أسعد أيام حياته ، ولكن كل هناء يعقبه عزاء ، فلم تطل أيامه معها حتى لقى حتفه . دخل عليها يوم قتله فنزع ثيابه ولبس غلالة وتوشح بثوب وأخذ سيفه لينزل ساحة

الوغى. علمت سكينة أنها الساعة الأخيرة وأنها ستفارقه فراق الأبد فلم تمالك نفسها وصاحت: « واحزناه عليك يا مصعب » وما هى إلا ساعات معدودة حتى أتاها خبر استشهاده. فخرجت إلى ساحة الوغى لتنظر البطل المجندل فطلبته بين القتلى وعرفته بشامة كانت فى خده فوقفت عليه وقالت: « يرحمك الله، نعم بعل المرأة المسلمة كنت » أدركت والله ما قال عنتر:

وخليـل غانية تركت مجندلاً بالقـاع لم يعهد ولم يتلثم
فهتكت بالرمح الطويل أهابه ليس الكريم على القنا بمحرم

وقفت سكينة طويلاً أمام هـذا البطل المضرج بدمائه. وتذكرت أيام نكبتها بشهيد كربلاء، ومر أمامها المناظر المحزنة والمصائب التى توالت على آل البيت. وها هى تفجع اليوم بزوجها كما فجعت بأهلها من قبل ففاض الدمع من عينيها والشعر من قلبها وقالت ترثيه:

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذى يرى القتل إلا ما عليه حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية إلى القوم حتى أوردوه حماما

ثم احتسبت واسترجعت، وأمرت بدفن زوجها ثم عادت إلى الكوفة لتلم شعثها وتلحق بأهلها. ولما أرادت السفر تجمع إليها أهل الكوفة ليسلوا عليها، كأنهم لم يسلموا زوجها قبل أيام ولم يسلموا أباها وأخاها قبله، وكأنهم لم يخذلوا جدها. ولكن سكينة من نعرف دهاءها وعقلها فهى أجل من أن تنخدع بظاهر القول. وقد صرحت لهم بما يكنه صدرها من البغض فقالت لهم: « لا جزاكم الله عنى خيراً، ولا أخلف عليكم بخير، يعلم الله إنى أبغضكم، قتلتم جدى علياً، وقتلتم أبى الحسين، وأخى علياً، وزوجى مصعباً. فبأى وجه تلقوننى، أيتمتمونى صغيرة، وأرملتمونى كبيرة.

أراد عبد الملك أن يغتنم فرصة قتل زوجها، وكانت كل مُنيته أن يتزوجها ليحظى بالجمال والعقل والشرف، ولكن هيهات أن يجد حبه إلى قلبها سبيلاً. ولما عرض عليها أمر خطبتها قالت: « والله لا يتزوجنى قاتله أبداً ». خطبها الأصبع بن عبد العزيز والى مصر. فكتبت إليه أن أرض مصر وخمة. فبنى لها « مدينة الأصبع » ولكن هذا الأمر لم يرق فى عين عبد الملك لحسده وكتب إليه: أن أختر ولاية مصر أو سكينة. فكف عن زواجها. خطبها بعد ذلك زيد بن عثمان بن عفان فشرطت عليه: ألا يغيرها، ولا يمنعها شيئاً تريده، ولا يخالفها فى أمر تريده، وأن يكون أمر خروجها بيدها. فرضى وسلم أموره بيدها كما أرادت. ولكن صاحبنا هذا كان بخيلاً فلم يطق صبراً على ما تفيضه سكينة على الشعراء والفقهاء وحلقات الأدب وما كانت تنفقه فى قصرها وغدواتها ومتنزهاتها. فغلب بخله على هواه وتخلى عنها.

آثرت سكينة بعد هذا أن تعيش منفردة مع جواريها بمكان ناءٍ عن المدينة وضوضائها تتمتع بهدوء الطبيعة وجمالها الفاتن فلم تجد مكاناً أجمل من وادى العقيق الفتان. فباعت مالها بالزوراء وعمرت لها قصراً فخماً بهذا الوادى الجميل. وكلما فاض الوادى كانت تخرج إلى محل السيل يحف بها جواريها. وفى أحد الأيام جلست على حافة الوادى تمتع نظرها بما يحف بها من الأزهار والحشائش وأشجار الأثيل، وكانت السماء صافية والنسيم عليلاً والناس منتشرون حول الوادى يمتعون أنفسهم بهـذا الجمال الفتان. أعجبها هذا المنظر البهيج فالتفتت إلى جواريها وقالت: « والله لهذه الساعة فى هذا القصر خير من الزوراء ».

(يتبع)

سعيد الديوه جي
بالموصـل

حكم فى الجنحة رقم ١١١ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٣ بتسليم سيد محمود على صالح لوالده وغلق محله ثمانية أيام والمصادرة والنشر والتعليق لبيعه أدره عوجه باكثر من السعر المحدد

رسالة الجاحظ

فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة

للأستاذ محمود عزت عرفه

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

مات الخليفة الواثق عام ٢٣٢ هـ وتولى بعده أخوه جعفر المتوكل على الله ؛ وكان النزاع الذى طال أمده قد أحدث رد فعل فى نفوس المصلحين ومحبى السلام ، فبذلت جهود جبارة للتوفيق بين المتنازعين ، وإزالة روح الحسد والتنافس التى طغت على العلاقة بين طوائف الجند ، ووشجت بنفوس الرؤساء من كل فريق . وكان على رأس هؤلاء المخلصين الداعين إلى الإصلاح نديم المتوكل وصاحبه الأثير : الفتح بن خاقان[1] الذى تقدم إليه الجاحظ برسالته فى مفاخر الترك بعد أن أضاف إليها مقدمة قصيرة ملائمة . ولا شك أنه فى هذه الفترة أيضاً زاد من عنوانها جمله « فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة » ... إذ الرسالة الأصيلة – بعد حذف المقدمة التى توجه بالخطاب فيها إلى الفتح – مقصورة على ذكر مفاخر الأتراك والإشادة بفضلهم على سائر الأجناس ، فى حربهم وسياستهم وصناعتهم وأخلاقهم ، وكل ما يكون موضع فخر ومحل تمايز وتفاضل

والفتح من الترك ، فما يضيره أن يطنب الجاحظ فى فضائل بنى جنسه ؛ ثم هو من دعاة الألفة والإصلاح فلا يضير الجاحظ أن يوطىء لرسالته بحديث فى مزايا هذه الألفة يضمنه من فضائل تلك الطوائف جميعاً ما يجعل كلامه أقوى فى التأثير وأدعى إلى القبول بذلك خرجت الرسالة فى قسمين : مقدمة فى فصل التآلف وضرورة اتفاق الكلمة مع حديث فى مزايا كل طائفة من طوائف الأجناد سوى الترك ؛ ثم فصل طويل فى مناقب الترك خاصة ، وهو الرسالة القديمة بعينها ...

أما المقدمة المستحدثة فيبدأ الجاحظ فيها بالإشارة إلى ما يضطلع به الفتح بن خاقان من الدفاع عن الخلافة والترغيب فى الالتفاف حولها ، والسعى إلى توطيد التآلف بين أنصارها ، وإقرار فضيلة الطاعة وبث روح الود والناصحة فيهم ؛ ثم يقول متوجهاً بالحديث إلى الفتح :

«وذكرت أبقاك الله أنك جالست أخلاطاً من جند الخلافة ، وجماعة من أبناء الدعوة ، وشيوخاً من جلة الشيعة ، وكهولا من أبناء رجال الدولة والمنسوبين إلى الطاعة والمناصحة الدينية دون محبة الرغبة والرهبة . وأن رجلا من عرض تلك الجماعة ومن حاشية تلك الجلة ارتجل الكلام ارتجال مستبد ، وتفرد به تفرد معجب ... وزعم أن جند الخلافة اليوم على خمسة أقسام : خراسانى وتركى ومولى وعربى وبنوى ... وأنك اعترضت على هذا المتكلم المستبد وعلى هذا القائل المتكلف الذى قسم هذه الأقسام وخالف بين هذه الأركان » . ويورد الجاحظ عقب هذا بعض ما رد به الفتح على ذلك الخطيب الداعى إلى التفرقة ، ويقول له : « فزعمت أن أنساب الجميع متقاربة غير متباعدة ، وعلى حسب ذلك التقارب تكون الموازرة والمكانفة والطاعة والناصحة والمحبة للخلفاء والأئمة » . ثم يشير الجاحظ إلى أن هذا الخطيب ذكر فى معرض كلامة جملا من مفاخر هذه الأجناس وجمهرة من مناقبهم ، وأنه أطنب فى ذلك ما شاء له الإطناب ولكنه « ألغى ذكر الأتراك فلم يعرض لهم ، وأضرب عنهم صفحاً فلم يخبر عنهم كما أخبر عن حجة كل جيل وبرهان كل صنف ... »

ويذكر الجاحظ – على لسان الخطيب أيضاً – مفاخر هذه الأجناس الأربعة سوى الأتراك ، فيطنب فى مزايا الخراسانيين والعرب والموالى ثم الأبناء . ويتخذ من إهمال شأن الأتراك وسيلة إلى الحديث عنهم ؛ أى إلى إبراز رسالته الأولى فى مناقبهم وهو يسلك إلى ذلك ألطف المسالك فيقول : « إن ذهبنا – حفظك الله – بعقب هذه الاحتجاجات ، وعند منقطع هذه الاستدلالات ، نستعمل المفاوضة بمناقب الأتراك والموازنة بين خصالهم وخصال كل صنف من هذه الأصناف ، سلكنا فى هذا الكتاب سبيل أهل الخصومات فى كتبهم ، وطريق أصحاب الأهواء فى الاختلاف الذى بينهم . وكتابنا هذا إنما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم إن كانت مختلفة ، ولنزيد فى الألفة إن كانت مؤتلفة ، ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ولتسلم صدورهم ... »

ولا يخلص الجاحظ إلى رسالته الأولى فى مناقب الترك حتى يعاود التمهيد لها والتنويه عن غرضه السابق منها فيقول : « وهم فى معظم الأمر وكبر الشأن وعمود النسب متفقون ، فالأتراك

---

(١) أبو محمد الفتح بن خاقان بن أحمد وقيل ابن غرطوج ، التركى . قال ابن النديم : كان من أولاد الملوك واتخذه المتوكل أخاً وكان يقدمه على جميع أولاده . قتل مع المتوكل ليلة قتل بالسيوف لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين بالمتوكلية . هـ

خراسانية وموالى الخلفاء قَصْرَة(١) ، فقد صار فضل التركى إلى الجميع راجعاً ، وصار شرفه إلى شرفهم زائداً »

وينتقل الجاحظ بعد هذا إلى رسالته الأصيلة ؛ وبديهى أن سطورها الأولى مما كتبه قبل تقديمها إلى الفتح بن خاقان ، لأنه يقول فيها بعد التسمية : « هذا كتاب كتبته أيام المعتصم بالله رضى الله تعالى عنه ونضر وجهه ، فلم يصل إليه لأسباب يطول شرحها ... »

ولا نستطيع بحالٍ ما أن نحدد مدى التحوير الذى أدخله فى هذا الموضع ، ولكنا نقول إنه تحوير ألجأته إليه الضرورة ، إذ لا أقل من أن يتوجه بالخطاب من المعتصم المتوفى إلى الفتح الذى تحولت إليه الرسالة

ويبدأ الجاحظ حديثه عن مناقب الترك بسرد قصة فحواها أن حميد بن عبد الحميد(٢) كان جالساً — مع جماعة أمثالهم — فى دار المأمون إذ خرج عليهم رسول من عنده فقال : يقول لكم أمير المؤمنين متفرقين ومجتمعين ، ليكتب كل رجل منكم دعواه وحجته ، وليقل أيما أحب إلى كل قائد منكم — إذا كان فى عدته وصحبه وثقاته — أن يلقى مائة تركي أو مائة خارجى ؟ ... فأجمع القوم على أن لقاء الترك أهون من لقاء الشراة ؛ إلا حميداً فإنه خالف هذا الرأى وبالغ فى التهويل من شأن الترك والإشادة ببطولاتهم فى حربهم . وعقد من الموازنة بينهم وبين الخوارج ما انتهى به إلى تصويب رأيه وتثبيت حجته

وبلغ الحديث المأمون فقال : ليس بالترك حاجة إلى حكم حاكم بعد حميد ! فإن حميداً قد مارس الفريقين ، وحميد خراسانى وحميد عربى ، فليس للتهمة عليه طريق ...

ويمضى الجاحظ إلى غايته من إعلاء شأن الأتراك فيذكر من عجائبهم فى حربهم ومن طرائف أقوال الرواة والمحدثين عنهم كل ما تطرب له النفس ويطول به العجب ؛ وهو لا يستشهد فى كلامه إلا بأقوال رجال من ثقات العرب والخراسانيين — سوى الترك — حتى يكون ذلك أبعد عن التهمة وأقوم بالحجة ، وأدعى إلى الاقتناع . فيحكى عن سعيد بن عقبة بن سلم الهنائى ، ويختم ما ينقله عنه بقوله : « فهذا قول سعيد بن عقبة ورأيه وحديثه ، وهو عربى خراسانى » . ويروى بعض ما يقصه ثمامة بن أشرس ويعقب قائلاً : « هذا ثمامة بن أشرس وهو عربى لا يتهم فى الإخبار عنهم » . ويروى أيضاً عن يزيد بن مزيد الشيبانى ما وصف به الموقعة التى قتل فيها دُولَبا التركىَّ الوليدَ ابن طريف الخارجى(١) . ويقص عن قتيبة بن مسلم طرائف أخر . ويرى الجاحظ خلال هذا بعض ما شاهده بنفسه فيقول : « وأنا أخبرك أنى قد رأيت منهم شيئاً عجيباً وأمراً غريباً . رأيت فى بعض غزوات المأمون سماطى خيل على جنبتى الطريق بقرب المنزل : مائة فارس من الأتراك فى الجانب الأيمن ، ومائة من سائر الناس فى الجانب الأيسر ، وإذا هم قد اصطفوا ينتظرون مجىء المأمون وقد انتصف النهار واشتد الحر . فورد عليهم وجميع الأتراك جلوس على ظهور خيولهم إلا ثلاثة أو أربعة ! وجميع تلك الأخلاط من الجند قد رموا بنفوسهم إلى الأرض إلا ثلاثة أو أربعة ! فقلت لصاحب لى : أنظر أى شىء اتفق لنا ؛ أشهد أن المعتصم كان أعرف بهم حين جمعهم واصطنعهم(٢) »

ولا يفرغ الجاحظ من حديثه فى هذه الرسالة حتى يكرر النصَّ على أنه إنما وضعها بغية التأليف بين القلوب وجمع الكلمة وتوحيد القصد والغاية ؛ وأنها ليست من كتب المناقضات أو إظهار التبحّر فى العلم والاتساع فى المعرفة ؛ لأنه لا يهدف إلى شىء من هذا ، وإنما هو يرمى إلى التوفيق من أوجز طريق ، ويرى « أن القليل الذى يجمع خير من الكثير الذى يفرق » ...

... بهذا التصرف البديع تهيأ للجاحظ أن ينشر رسالته بعد أن يئس من إخراجها أو كاد ، فازداد بها فضلاً إلى فضل ، وارتفع معها مكانة فوق مكانة ؛ وهو لم يُحرم مع ذلك أن يُعدّ من الذائدين عن الوحدة ، الداعين إلى التآلف والوئام ، المصلحين بين هذه الطوائف المتدابرة والفرق المتنافرة ؛ وتلك أغراض لا نستطيع الجزم بأن واحداً منها كان يجول بخاطره وهو يضع رسالته الأولى على عهد المعتصم .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

(١) فى القاموس المحيط : هو ابن عمى قصرة وضم ، ومقصورة وقصيرة أى دانى النسب . اهـ

(٢) حميد بن عبد الحميد الطوسى من أشهر قواد العباسيين ، وهو والد سليمان بن حميد الذى قتل وهو عامل على سمرقند فى عهد الرشيد ووالد محمد بن حميد الذى قتل فى حرب بابك الخرمى على عهد المأمون

(١) المشهور فى التاريخ أن قاتل الوليد بن طريف هو يزيد بن مزيد الشيبانى نفسه ، وكان ذلك فى مبارزة بينهما فى وقعة الحديثة قرب الأنبار عام ١٧٩ هـ

(٢) نفهم من هذا أن أول عهد المعتصم بجنود الترك يرجع إلى أيام ولايته العهد فى حياة أخيه المأمون ، وكان إذ ذاك والياً على الشام ومصر . ومن الثابت أن الأفشين قام بإخماد بعض الثورات فى مصر وبرقة بأمر من المعتصم على حياة المأمون .

لماذا لا أثق

بأقوال النحاة ولا اللغويين

للأب أنستاس مارى الكرملى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

القسم الرابع

فعلول (المفعول الأول)

قال السيد مرتضى بعد مادة (ص ر ق) وقبل رسم (ص ف ر ق) — وهو غريب — ما يأتى ، ونحن نذكره بحذافيره على طوله لما فيه من الفائدة الجزيلة :

« الصعفوق ، بالفتح : اللئيم من الرجال . قاله الليث . وصعفوق : بلدة باليمامة ، فيها قناة يجرى منها نهر كبير ، لهم فيها وقعة ، ويقال : صعفوقة بالهاء ، وليس فى الكلام فعلول سواه . قال الحسين بن إبراهيم النطيرى فى كتابه دستور اللغة : فعلول في لسان العرب مضموم ، إلا حرفا واحداً ، وهو صعفوق ، لموضع فى اليمامة .

وأما خرنوب بالفتح ، فضعيف . قال الصاغانى : وأما الفصيح فيضم خاؤه ، أو يشد راؤه مع حذف النون ، كما فى العباب . وقال شيخنا : لا يفتح خرنوب ، إلا إذا كان مضعفاً ، وحذفت منه النون ، فقيل خروب ، أما ما دامت فيه النون ، فإنه غير مسموع . قال : وأما برغوث الذى حكى فيه الخليل التثليث فى الكتاب الذى ألفه فيه ، فلا يثبت ، ولا يلتفت إليه . وأما عصفور الذى حكى فيه الشيخ الشهاب القسطلانى عن ابن رشيق ، فهو أيضاً غير ثابت ، ولا موافق عليه . والله أعلم . اه .

« قلت (أى الشارح) : وقال ابن برى : رأيت بخط أبى سهل الهروى على حاشية كتاب : جاء على فَعلول : صعفوق وصعقول ، لضرب من الكمأة ، وبعكوكة الوادى ، لجانبه . قال ابن برى : أما بعكوكة الوادى ، وبعكوكة الشسر ، فذكرها السيرافى وغيره بالضم لا غير ، أعنى بضم الباء . وأما الصعقول ، لضرب من الكمأة فليس بمعروف ، ولو كان معروفا لذكره أبو حنيفة فى كتاب النبات ، وأظنه نبطياً أو أعجميا » . اه

« قلت (أى الشارح) : ولا يلزم من عدم ذكر أبى حنيفة إياه فى كتابه أن لا يكون من كلام العرب ، فان من حفظ حجة على من لم يحفظ . فتأمل ذلك . والصعافقة جمع صعفوق : خول لبنى مروان ، أنزلهم اليمامة . ومروان بن أبى حفصة منهم ، قاله الليث . قال : ولم يجىء فى الكلام فعلول إلا صعفوق وحرف آخر . ويقال لهم : بنو صعفوق ، وآل صعفوق . قال العجاج :

من آل صعفوق وأتباع أخر ، من طائمين لا ينالون الغمر

قال الأزهرى : ويضم صاده . ونصه : كل ما جاء على فعلول ، فهو مضموم الأول ، مثـل : زنبور ، وبهلول ، وعمروس ، وما أشبه ذلك ، إلا حرفاً جاء نادراً ، وهو بنو صعفوق ، لخول باليمامة . وبعضهم يقول صعفوق ، بالضم . انتهى — وقال الصاغانى : صعفوق ممنوع من الصرف للعجمة والمعرفة ، وهو وزن نادر ، سموا لأنهم سكنوا قرية باليمامة تسمى صعفوق ، كما تقدم . وقيل : الصعافقة : قوم كان آباؤهم عبيداً فاستعربوا . وقيل : هم قوم من بقايا الأمم الخالية ضلت أنسابهم . ويقال : مسكنهم بالحجاز . وقال الليث : الصعافقة : القوم يشهدون السوق للتجارة بلا رأس مال عندهم ، ولا نقد عندهم ، فإذا اشترى التجار شيئاً ، دخلوا معهم فيه . ومنه حديث الشعبى : ما جاءك عن أصحاب محمد ، ودع ما يقول هؤلاء الصعافقة . أراد أن هؤلاء ليس عندهم فقه ولا علم بمنزلة أولئك التجار الذين ليس لهم رؤوس أموال . الواحد : صعفق وصعفقى وصعفوق ، بالفتح . واقتصر الجوهرى على الأولين ، والجمع صعافيق أيضاً . قال أبو النجم :

يوم قدرنا والعزيز من قدر ، وآبت الخيل وقضَّين الوطر
من الصعافيق وأدركنا المِئَر

أراد بالصعافيق أنهم ضعفاء ، ليست لهم شجاعة ، ولا سلاح ، ولا قوة على قتالنا » اه آخر كلام التاج بنصه على فيه من الطول

رأى الألوسى فى الصعافيق

ونزيد على ما تقدم ، أننا كنا سألنا فى سنة ١٨٩٥ أستاذنا الكبير ، محمود شكرى الألوسى ، عن هؤلاء القوم وأصلهم ، لأنه كان واقفاً أتم الوقوف على ما يتعلق بأخبار العرب وقدمائهم ، وما يتصل بهم . فقال لى : « إنهم يونانيو الأصل ، أتى بهم عبيد أسرى فى صدر الإسلام ، ثم بيعوا ، فوضعوا فى قرية من اليمامة عرفت باسمهم ؛ ثم اتخذوا خوَلاً ، ومن اليمامة انبثوا

في سائر ديار العرب ، فاستعربوا ، فأسلموا ، فاندمجوا بأهالى تلك الربوع ، ولم يبق منهم باقٍ » انتهى .

رأينا الخاص بنا

وعليه فيكون هذا الاسم يونانى الأصل ، وهو بفتح الأول ومنحوت من قولهم saphês أى ظاهر وواضح وصافٍ ، و Agareuô أى تكلم جهاراً فى مجلس أونادٍ ، أو تكلم كلاماً جهورياً ، لأن الحرف بتمامه saphgeoros . وذلك بأن هؤلاء القوم كانوا يتكلمون ببراعة ومهارة بين أيدى الناس ، ترغيباً فى البضاعة والتجارة أو فى أى مهنة يزاولونها أو يتخذونها . واليونانيون – حتى عوامهم معروفون بالتشدق . ولما كان هذا الاسم يونانياً ، واشتهر بالفتح قبل أن تضبط قواعد اللغة ضبطاً محكماً بالأقيسة والقواعد ، لم يكن فتل هذا اللفظ سهلاً ، فاشتهر بين الناطقين بالضاد ، وفشا فشواً غريباً فى جميع طبقات الناس ، ولما جاء أرباب القواعد ، لم تصادف لها مزدرعاً طيباً فبقى اللفظ على علاته . ولهذا قد يقاس هذا الحرف أيضاً على القواعد الشائعة ، ولا مانع من ذلك .

فلا جرم أن الفتح هو الأصح ، لقدمه فى اللغة ، ولتمكنه فيها ولا سبيل إلى إنكاره ، لاستحكامه فى الأنفس وفى الدواوين اللغوية والتاريخية منذ أقدم الأزمنة ، أى منذ نأناة الإسلام . وأما ضبطه بالضم فيكون من باب إجراء أحكام القياس .

إذن يجوز الضبطان ويبقى الفتح هو الأعلى ، وأصح المثال الأمثل الذى يقاس عليه ما يأتى من الحروف على نحوه .

ما جاء من الألفاظ على صعفوق بالفتح

وأما أن هناك غير صعفوق من الألفاظ فما لا شبهة فيه ولا يمكن أن ينكر ، من ذلك : الصعقول ، وقد مر الكلام عليها ، فهى الحرف الثانى

والثالث : ترفوق

والرابع : طرخون

والخامس : برشوم ، لضرب من التمر أو النخل

والسادس : قربوس ، على لغة ذكرها التاج

والسابع : بعكوك وقد مر ذكرها

والثامن : كرموص

والتاسع : صندوق على لغة ذكرها الشارح

والعاشر كندوج

والحادى عشر : سنطور وهو من كلام المولدين

والثانى عشر : برغوث . على لغة وإن أنكرها بعضهم

والثالث عشر : خرنوب ، وإن أنكرها بعضهم ، وهى لغة مشهورة

والرابع عشر : عمروس ، علم رجل . قال فى القاموس : « وفتحه من لحن المحدثين » ، ثم زاد الشارح : « وتحريفهم لغرابة بناء فعلول ، سوى صعفوق ، وهو نادر ، قاله الصاغانى

١٥ — حمدون (القاموس واللغويون)

١٦ — سعدون (التاج)

١٧ — ذرنوق فى قولهم : الزرنوقان ، بالضم ، وبفتح (القاموس) وزاد فى التاج بعد قوله : وبفتح « حكاه اللحيانى رواه عنه كراع . قال: ولا نظير له إلا بنو صعفوق : خَول باليمامة . وقال ابن جنى : الزَرنوق بفتح الزاى . فَعْنول ، وهو غريب . ويقال الزرنوق بضمها » ا . هـ

١٨ — خلدون ومنه ابن خلدون ، وجميع من ترجم له ضبطه بفتح الأول ، ولم يضبطه أحد بضمه وهو أشهر من أن يذكر

١٩ — سمهوط . قال ياقوت : « بفتح أوله وسكون ثانيه ويقال بالدال المهملة مكان الطاء : قرية كبيرة على شاطىء النيل بالصعيد ، دون فرشوط . والله أعلم .

٢١ — سحنون . كذا ضبطه جميع من ترجم لمن اشتهر بهذا الاسم . من ذلك عبد السلام بن سعيد بن حميد التنوخى الملقب بسحنون . ومحمد بن سحنون التنوخى

٢١ — عبدون . ومنه عبد المجيد بن عبدون . الفهرى ، من أبناء المائة السادسة

٢٢ — عبدوس . ومنه محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عبدوس من أبناء المائة الثالثة . وعبدوس بن زيد ، طبيب من أبناء المائة الرابعة

٢٣ — دستور . جاء فى التاج فى مادة (دستر) . وفى الأساس : الوزير : الدستور . قال شيخنا : وأصله الفتح ، وإنما ضم لما عرب ، ليلحق بأوزان العرب ، فليس الفتح فيه خطأ محضاً ، كما زعمه الحريرى ، وولعت العامة فى إطلاقه على معنى الإذن » . اهـ

٢٤ — عصفور . قال فى كشف الطرة ص٢٣٣ : « عصفور فى لغة حكاها ابن رشيق ، والمشهور فيه الضم » اهـ .

٥٠ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الرابع عشر — الصناعات

تعتبر الزراعة أهم أعمال المصريين ، ويباشرها كما سبق أن ذكرت جميع السكان ما عدا القليل منهم . ويخصب النيل الجزء الأكبر من الأراضي القابلة للزراعة بفيضانه السنوي . ولكن الحقول التي تجاور النهر والقنوات الكبيرة يحفر فيها جور للماء وتروى بآلات مختلفة الأنواع . والشادوف أكثر هذه الآلات شيوعاً ، وهو يتكون من عمودين من الخشب ، أو من الطين والعصى ، أو من الطين والبردي ، يرتفعان إلى خمس أقدام تقريباً ، ويبلغ ما بينهما أقل من ثلاث أقدام ويعلوها قطعة خشبية أفقية تمتد من قمة إلى أخرى ، ويعلق بها عتلة رفيعة تتكون من فرع شجرة ، وينتهي أحد طرفيها بثقالة من الطين ، والطرف الآخر بوعاء يعلق بواسطة قضيبين طويلين من النخيل ، ويصنع الوعاء على شكل طاس من السلال أو من طوق ونسيج من الصوف أو الجلد . ويرفع الماء في هذا الوعاء إلى علو ثماني أقدام تقريباً ويقذف به في حوض معد لذلك . ويلزم لرفع المياه إلى الحقول في أعالي الصعيد عند ما ينخفض النيل أربعة شواديف أو خمسة . وهناك شواديف كثيرة ذات عتلتين يحركها رجلان . ويعتبر الري بالشادوف عملاً شاقاً للغاية . وتوجد آلة أخرى للري وهي « الساقية » وتكاد تكون وحدها المستعملة لري الحدائق في مصر . وتتكون الساقية خاصة من عجلة عمودية ترفع المياه في مجموعة متتابعة من أوعية فخارية مشدودة بحبال ، وعجلة عمودية ثابتة ذات ضروس مثبتة إلى المحور ذاته ، وعجلة كبيرة أفقية ذات ضروس يديرها ثوران أو بقرتان أو حيوان واحد فتحرك العجلتين السابقتين . وتصنع الآلة صناعة غليظة ويحدث تحريكها طقطقة كريهة . وهناك آلة ثالثة تسمى « تابوت » يستعملها المصريون لري الأراضي شمال مصر حيث لا يلزم رفع المياه إلا لارتفاع قليل . ويشبه التابوت الساقية نوعاً ، والفرق الرئيسي بينهما أن للتابوت ، بدلاً من عجلة الساقية ذات الأوعية ، عجلة كبيرة مجوفة الدائرة ترفع فيها المياه . وتستعمل (القطوة) في الأقاليم نفسها . وهي وعاء مثل وعاء الشادوف يشد إلى حبال أربعة ، ويستعمل كثيراً لرفع المياه إلى جرة التابوت . ويحرك القطوة رجلان يمسك كل منهما بحبلين . وتقسم الأرض في نظام الري الصناعي إلى مربعات صغيرة يحدها ارتفاع من التراب أو إلى أخاديد ، فيسيل الماء من الآلة في قناة ضيقة إلى المربعات أو الأخاديد الواحد تلو الآخر

لا تزرع الأراضي (الري) أي التي يغمرها الفيضان ، ما عدا القليل منها ، إلا مرة واحدة في السنة فيبذر القمح والشعير والعدس والفول والترمس والحمص الخ بعد انسحاب المياه في آخر اكتوبر أو ابتداء نوفبر تقريباً . ويسمي هذا الموسم «الشتوى» . أما الأراضي « الشراق » وهي التي لا يصل إليها الفيضان لعلوها وبعض الأراضي « الري » فتنتج ثلاث غلات سنوياً بفضل الري الصناعي ، وإن لم تكن الأراضي الشراقي جميعها تزرع هكذا . وتنتج الأراضي التي تروى صناعياً أولاً المحصول الشتوي ، إذ هي تبذر مع الأراضي الري في وقت واحد ، بالقمح والشعير على العموم . وعقب ذلك تبدأ زراعة الصيفي أو ما يسمونه في الصعيد القيظي

---

٢٥ — شمعون بالشين المعجمة والميم والعين المهملة . هكذا ضبطه صاحب القاموس

٢٦ — سمغون ، مثل السابق ، إلا أنه بالغين المعجمة ذكره أيضاً القاموس

٢٧ — سنهور ، بالسين المهملة (القاموس والتاج وياقوت)

٢٨ — شنهور كالسابقة ، لكنها بالشين المعجمة (التاج)

٢٩ — بركون (القاموس وياقوت)

٣٠ — جوع برقوع . قال الشارح : « كعصفور وصعفوق جاء الأخير نادراً ندرة صعفوق » . اهـ

الخلاصة :

ليس فعلول من الأوزان النادرة ، وقد ذكرنا من الشواهد على كثرتها وهي ثلاثون . ولو أمعنا في البحث لضعفناها ، وربما مراراً ، لكننا اجتزأنا بهذا القدر إثباتاً لما ذكرناه ، من أن هذه القاعدة ، وهي ليس لفعلول سوى حرفين ، غير صحيح ألبتة ، فيجب نقضها وتذريتها في الهواء هباء منثوراً !

الأب أنستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

أو « الجيفى » وتكون عند الاعتدال الربيعى تقريباً أو بعد ذلك فيزرع « الذرة الصيفى » أو النيلج أو القطن الخ . وأخيراً تأتى الزراعة « الدميرى » مدة ارتفاع النيل وتبدأ عند الانقلاب الصيفى أو بعده بقليل ، فتبذر « الذرة الصيفى » مرة أخرى أو « الذرة الشامى » الخ . وهكذا تجود الأرض بحصول ثالث . ويزرع القصب على مساحة كبيرة فى الصعيد . ويزرع الأرز فى الأراضى المنخفضة قرب البحر الأبيض المتوسط

يستعمل المصريون (النورج) لفصل حبوب القمح والشعير وقطع القش للعلف . والنورج آلة على هيئة مقعد تسير على عجلات حديدية صغيرة ، أو صفائح مستديرة دقيقة ، عددها على العموم إحدى عشرة عجلة مثبتة إلى ثلاثة محاور ، أربع عجلات فى المحور الأمامى ، وأربع فى المحور الخلفى ، وثلاث فى المحور الأوسط . ويجر النورج بقرتان ، أو ثوران يدوران فى حلقة فوق الحبوب . أما المحراث وآلات الفلاحة الأخرى ، فهى ذات نوع بدائى .

تشغل الملاحة النيلية عدداً كبيراً من المصريين . وأغلب نوتية النيل أقوياء بارزو العضلات . وهم يقاسون مشقة شديدة فى التجديف وسحب المراكب ودفعها (بالمدرة) ، ولكنهم كثيرو الجذل ؛ ويزيد سرورهم كلما كثر عملهم ، إذ هم يسلون أنفسهم بالغناء . ويتعرض أكثر الربابنة خبرة إلى جنوح سفنهم نتيجة للتغيرات المتواصلة التى تحدث فى مجرى النيل ، ويلزم حينئذ أن ينزل البحارة إلى الماء لدفع المركب بظهورهم وأكتافهم . وتصنع المراكب النيلية بطريقة تمنعها من الاصطدام بحيث يغوص مقدمها فى الماء عن مؤخرها ، ومن ثم يلزم أن تكون الدفة كبيرة جداً . وتكون أحسن أنواع المراكب النيلية ، وهى كثيرة العدد ، بسيطة الشكل رشيقة . وتكون غالباً على طول بين ثلاثين وأربعين قدماً . ويكون لها ساريتان وشراعان مثلثان كبيران ، وقمرة تتلو المؤخرة وترتفع إلى أربع أقدام تقريباً(١) ، وتشغل القمرة ربع المركب أو ثلثها طولاً ؛ وكثيراً ما تشغل الثلثين أو أكثر . ويستخدم عادة ملاح ليمسك حبل الشراع الرئيسى إذ أن الزوابع الفجائية تكثر على النيل فيستطيع أن يترك الشراع يخفق عند أقل إشارة . ويجب أن يكون المسافر حذراً بصفة خاصة مها اعتدل الجو

عدلى طاهر نور

(١) وأصبحت قمرات المراكب أخيراً أكثر ارتفاعا ، لتلائم حاجات السياح الأوربيين

وداع ...!

نشرت على الأفق البعيد قلاعها   تلك السفينة أزمعت إقلاعها
قد خلفتنى كالغريب بشاطئ   أودعت أسرارى به فأضاعها
السحب أحباب تمزق شملهم   والشمس غاربة تذيب شعاعها
يبدو على الموج اللعوب ويختفى   كسراب قافلة يروم خداعها
وسلوّ ثاكلةٍ وأمن مضللٍ   وكدمع عاشقة ، دعت فأطاعها
تذرى مدامعها فإن مسّ الأسى   بردُ التجلد ، حاولت إرجاعها

مضت السفينة بالكنوز وودعت   أرض الصبابة : شطها و بقاعها
ووقفت ثمة لا أطيق فراقها   قبل الوداع ولا أطيق وداعها
ضمت جوانحها هناءة عاشق   لو يُسأل الدنيا بديلاً ، باعها
وضياء مكفوفٍ وغفوة ساهد   ومباه قافلة الهوى ومتاعها
كيف استحال هناؤهن مواجداً   بل كيف غيّرت السنونُ طباعها
أين الهوى ، وشكوكه ويقينه ؟   كانت رؤى حلم جفت هجّاعها
أيام كان لنا جنيناً يُرتجى   ملأ الجوانح بالنعيم وراعها
ومساء مولده السعيد بجنة   نفت الرقيب وغيّبت مناعها
بل أين يومَ حبا على بُسُط المنى   طفلاً تبيح له الجنان رضاعها ...
... أغرت به أرض الشقاء ضباعها   حسداً وأضرت بالغرير سباعها
وا رحمتا للمستظل بدوحة   لا ظلها يلفى ولا أسجاعها
وا رحمتا للقلب بات نعيمه   ناراً تزيد على المدى لذّاعها

مضت السفينة بالكنوز وودعت   أرض الصبابة : شطها و بقاعها
أخفت بخفاق المياه صفاحها   ورمت لخفاق الرياح شراعها
يهفو إلينا بالشجون وطالما   أهدى البشائر باللقا وأشاعها
طوراً تحجّبه الدموع وتارة   يهتز رفّاف المنى لمّاعها
فإخالها ألقت هنا مرسلتها   وإخالها مدّت إلىّ ذراعها
ما أضعف الجبار فى أوهامه   طفلاً وما أقوى الرؤى وصراعها
حيناً تغرد للغرام وتارة   تبكى الصبابة : وُجْدَها وضياعا

(الاسكندرية)

ادوارد حنا سعد

أنشودة الحرب لأبليس

أنشودتى ترقص ألحانها   على هوى رقص بنيّاتى
نوافراً حولى كبعض الدمى   يعلنّ فى الليل مسراتى
على الدم المسفوح أقدامها   وفوق أجسام وهامات
إرادة الله لها قيمة   والحرب هذى من إراداتى
هيأتها سراً وأطعمتها   شراً وألوان العداوات
حتى إذا ما اضطرمت نارها   وأسفرت عن وجه سعلاة
قمت على آثارها ضاحكا   وا بؤس أحياء وأموات !

مصباحى الأحمر أوقدته   وأقبلت نحوى فراشاتى
أطعمها الموت فلا تنثنى   تقول لى هات لنا هات
وأمة فرقت ما بينها   حتى غدت أشتات أشتات
وعفت بعد الأمن نسوانها   شوارداً فى عرض موماة
كشفت عنها الستر فى ليلة   رهيبة من بعض ليلاتى
بكى لها السرحان من رحمة   ولم يكن فيها بمنجاة
وبلدة صيرتها بلقعاً   من بعد أنهار وجنات
يصيح فيها الموت مستشمراً   خوفاً ويمضى تحت راياتى
وطفلة أطعمت أحشاءها   ذئباً ونسراً فى العشيات
ودار أنس قد رعاها الهوى   هدمتها بالمدفع العاتى
فهل درى آدم بعض الذى   يلقى بنوه من نكاياتى
وهل درت حواء شكرى لها   من يوم عهدى فى السموات
بناتها ما حدن عن نهجها   كلا ولا عفن وصياتى
يقتدن بالرفق قلوب الورى   إلى منى خمر ولذات

أنشودتى تقطر ألحانها   دماً ودمعاً من ضحياتى
هدية لله قدمتها   ولم يزل يخشى هدياتى
صاعدة بين دخان الوغى   حاملة بعض ابتساماتى

(حلب)

عمر أبو قوس

حكم فى الجنحة ٤٦ أبو قرقاص سنة ١٩٤٣ بحبس كل من محمد حسين خليل وعبد الوارث صالح جزارين بأبيوها ثلاثة شهور شغل وتغريم كل منهما ١٠٠ جنيه والمصادرة لبيعهما لحوم بأكثر من التسعيرة



رجعة إلى المذاهب الصوفية

اطلع القراء الكرام على فتوى [١] « الإمام الطرطوشي » (في المذاهب الصوفية) وفيها يقول : مذهب الصوفية بطالة وجهالة ... ثم كان أن عززنا هذه الفتوى بنشر [٢] رأى أئمة الفقه في هذه المذاهب . وفي الحق أن فتوى الطرطوشي وفي رأى أئمة الفقه الدليل القاطع على بطلان تلك الطرائق القدد التي أفسدت على الناس عقائدهم ، ومكنت للوثنية من نفوسهم ، حتى إذا ما جئت لتردهم إلى دين الفطرة من توحيد الألوهية والربوبية لووا رءوسهم واستغشوا ثيابهم، ثم قالوا : أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض ؟

وإن في هذه الطوائف من يعرف الحق ولكنه ينكره عناداً وحرصاً على ما ينعم به من مال وجاه ، كدأب الذين من قبلهم : وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا . وهؤلاء هم الرؤساء (المسلكون) الذين اتخذوا الانتساب إلى تلك الطرق حرفة لأكل أموال الناس بالباطل . أمّا ما عدا هؤلاء من الطالبين أو المريدين ، فإن للشيخ (المسلك) سلطة خاصة عليهم حتى قالوا يجب أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدى الغاسل ، حتى لو أمره بمعصية لكان عليه أن يعتقد أنها خيره وأن فعلها متمين عليه . فكان من قواعدهم التسليم المحض ، والطاعة العمياء . وقالوا إن الوصول إلى العرفان المطلق لا يكون إلا بهذا .

ومن ثم زادوا أمراً إدًّا في الدين هو أظهر من كل ما عداه قبحاً وهدماً للدين « وهو [٣] زعمهم أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر ، فإذا اقترف أحدهم ذنباً فأنكر عليه منكر قالوا في المجرم إنه من أهل الحقيقة فلا اعتراض عليه ، وفي المنكر إنه من أهل الشريعة فلا التفات إليه . كأنهم يرون أن الله تعالى أنزل للناس دينين ، وأنه يحاسبهم بوجهين ، ويعاملهم معاملتين — حاش لله ولدينه — نعم جاء في كلام بعض الصوفية ذكر الحقيقة مع الشريعة ، ومرادهم به أن في كلام الله ورسوله ما يعلو أفهام العامة بما يشير إليه من دقائق الحكم والمعارف التي لا يعرفها إلا الراسخون في العلم فحسب العامة من هذا الوقوف عند ظاهره ، ومن آتاه الله بسطة في العلم ففهم منه شيئاً أعلى مما تصل إليه أفهام العامة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ممن يجد ويجتهد للتزيد من العلم بالله وسننه في خلقه . فهذا ما يسمونه علم الحقيقة لا سواه ، وليس فيه شيء يخالف الشريعة أو ينافيها » اهـ

أما ما يموه به المتصوفة على العامة وأشباه العامة بحيلهم ودجلهم لإثبات ما يزعمونه لأنفسهم من كرامات فهو ضرب من ضروب السحر كان يقوم بمثله الكهان من العرب في الجاهلية « وكانت [١] أكثر مخاريق الحلاج من باب المواطآت [٢] .

ومواطآت الحلاج هي أنه كان يتفق مع أناس من رجاله على ما يلبسون به على الناس بدعوى الكرامات . وقد اكتشف ذلك في عصره كما بينه التنوخي في جامع التواريخ « نشوار المحاضرة » ومنه أن رجلاً جاء بصفة مسترشد وإنما هو مختبر فقال له الحلاج : تَشَهَّ على ما شئت فقال : أريد سمكاً طرياً وكانوا في بعض بلاد الجبل البعيدة عن الأنهار والبحر ، فدخل بيتاً خالياً من داره وأغلق عليه بابه ، وعاد بعد ساعة طويلة وقد خاض وحلاً إلى ركبتيه وبيده سمكة تضطرب وزعم أنه دعا الله فأمره أن يذهب إلى البطائح قال : فمضيت إلى البطائح فخضت الأهواز وهذا الطين منها حتى أخذت هذه . فقال الرجل : تدعني أدخل البيت فإن لم ينكشف لي حيلة فيه آمنت بك . فقال : شأنك . فدخل وبعد عناء وتنقيب اهتدى إلى دار كبيرة فيها بستان عظيم فيه صنوف الفاكهة والثمار والنوار ومنها ما ليس من وقته ولكنه محفوظ بحيلة صناعية ، ووجد فيها خزائن مليحة فيها أنواع الأطعمة

(١) الرسالة : العدد ٤٤٨ من السنة العاشرة

(٢) الرسالة : العدد ٤٥٣ من « «

(٣) تفسير المنار ج ٢ للمغفور له السيد رشيد رضا

(١) نقلا عن تفسير المنار لمؤلفه المغفور له السيد محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٥٤

(٢) المواطآت جمع مواطأة وهي الاتفاق بين اثنين أو أكثر على أمر والمخاريق جمع مخراق وهي في الأصل خرق كانوا يفتلونها ويلعبون بها بادارتها بخفة ومهارة .

الناضجة والحوائج لما يهيأ بسرعة ورأى فى الدار بركة ماء مملوءة سمكاً فأخذ واحدة منها وخرج ... فتبعه الحلاج فرمى بالسمكة وجهه وصدره وهرب . وأقسم الحلاج ليقتلنه إن حدث أحداً بذلك ولو فى تخوم الأرض . ولم يحدث بها الرجل إلا بعد قتله لعلمه بأنه لو أمر أحد المفتونين به أن يقتله فإنه يفعل »

وبعد فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع — اتخذوا الشيوخ أنداداً ، وصار يقصد بزيارة القبور والأضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة . إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

(كفر المندرة) أحمد أحمد القصير

مثل الحقيقة فى رأى أفلاطون

أورد التوحيدى فى مقايساته مقالة لأفلاطون جاء فيها « إن الحق لم يُصبه الناس فى كل وجوهه ، ولا أخطأوه فى كل وجوهه ، بل أصاب منه كل إنسان جهة . ومثال ذلك عميان انطلقوا إلى فيل ، وأخذ كل واحد منهم جارحة منه ، فجسها بيده ومثلها فى نفسه ، فأخبر الذى مس الرِّجْل أن خلقة الفيل طويلة مدورة شبيهة بأصل الشجرة وجذع النخلة ، وأخبر الذى مس الظهر أن خلقته شبيهة بالهضبة العالية والرابية المرتفعة ، وأخبر الذى مس أذنه أنه منبسط دقيق يطويه وينشره . فكل واحد منهم قد أدى بعض ما أدرك ، وكلٌّ ما[1] يكذب صاحبه ويدعى عليه الخطأ والغلط والجهل فيما يصفه من خلق الفيل . فانظر إلى الصدق كيف جمعهم ، وانظر إلى الكذب والخطأ كيف دخل عليهم حتى فرقهم ؟

وأنت إذا امتثلت قول أفلاطون هذا خير امتثيل ، استطعت أن تجد فيه تفسيراً لما يقوم بين الناس من نزاع فى كل مجال فلا يكاد الناس يتفقون فى أية ناحية من نواحى الفكر والوجود على الرغم من أن الحقيقة فى ذاتها واحدة . والسر فى هذا الاختلاف ، أن الذهن البشرى لا يستطيع — لفرط قصوره وعجزه — أن يحيط بالأمر الذى ينظر إليه إحاطة وافية ، ولذلك نراه يقصر نظره على ناحية واحدة من نواحيه ، فلا يصيب منه إلا جهة واحدة ، ومن ثم تفوته جهاته الأخرى التى عمى عنها . والذى يحدث أن الجهة التى يصيبها الفرد الواحد تكون مغايرة لما يصيبه غيره من الأفراد ، فينشأ من ذلك الاختلاف والتنازع . وليس ثمة شك فى أن كل ما يقوم بين الفلاسفة والمفكرين من خلاف فى الرأى ، إنما يترتب على اختلاف « الجهات » التى ينظر منها كل واحد منهم . وكثيرا ما تكون آراؤهم جميعاً صحيحة صائبة على الرغم من التعارض الذى يوحى به ظاهر القول . ولعل المرء لا يعدم لذلك فى الطبيعة نفسها ، مثالاً حياً صادقاً : فإن المنظر الطبيعى الواحد ، يختلف أشد الاختلاف تبعاً للجهة التى ينظر منها الإنسان إليه حتى إنك لترى صورتين قد أخذتا لمنظر واحد ، فتتوهم أنهما تمثلان منظرين مختلفين ، وما ذلك إلا لأن الجهة التى أخذت منها الصورة الواحدة ، مختلفة عن تلك التى أخذت منها الصورة الأخرى .

(مصر الجديدة) زكريا ابراهيم

فتاوى المفتى الأكبر

أقر معالى وزير العدل جمع فتاوى فضيلة مفتى الديار المصرية الحالى ، وتبويبها مع مقارنتها بالمحفوظ من فتاوى مفتى مصر السابقين ووضع ذلك كله فى كتاب يطبع على نفقة الوزارة وقد جاء فى مذكرة هذا القرار ما يلى :

كتب الواقعات والفتاوى من أقوى الدعائم التى قام عليها بناء الثروة الفقهية الإسلامية وقديماً عنى الملوك والوزراء وسواهم بجمع فتاوى المفتين ونشرها حتى تكونت منها موسعات فقهية عظيمة النفع جليلة القدر ؛ غير أنه منذ بداية هذا القرن لم يظهر بعصر شيء منها ومكانة مصر من العالم الإسلامى تدعوها إلى أن

(١) ما هنا زائدة ، وهو تعبير شائع الاستعمال فى كلام التوحيدى (أنظر الامتاع والمؤانسة ، الجزء الأول ، ص ٢٣)

تكون أول من يعمل على تتابع حلقات هذه السلسلة الفقهية العظمى .

وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الحنفية ومفتى الديار المصرية الحالى قد قضى فى منصب الإفتاء قرابة خمسة عشر عاماً أصدر فى خلالها مجموعة ثمينة من الفتاوى اشتملت على بحوث ضافية وتحقيقات قيمة ، وجمع للنصوص الفقهية وتحريرها وتطبيقها أحسن تطبيق على حوادث هذا العصر فكانت من أفضل المراجع الفقهية وأمتنها حتى لقد رغب الكثيرون من رجال القضاء وسواهم فى ترتيب هذه الفتاوى ونشرها وتكرر إبلاغ هذه الرغبة إلينا . وقد رأينا أن الفائدة تكون أتم ، والنفع أعظم إذا انضم إلى ذلك مقارنة هذه الفتاوى بما هو محفوظ من فتاوى المغفور لهم مفتى مصر السابقين وخاصة فتاوى : الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والأستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعي .

حكم فى القضية ٢٢٣١ سنة ١٩٤٢ عابدين ضد فردوس محمود مصطفى بغرامة ٢٠٠ قرش والنشر والتعليق لأنها باعتبارها مديرة محل عمومي (بنسيون) لم تعلن عن الأسعار بالنسبة المئوية بمحلها العمومى

حكم فى القضية ٢٣٠٩ سنة ١٩٤٢ عابدين ضد ادوارد زنانيرى صاحب رستوران الأرمنياس بغرامة ٢٠٠ قرش والنشر والتعليق لبيعه مشروبات روحية بسعر أكثر من السعر المقرر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 505

Lundi - 8 - 3 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٠٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢ ربيع أول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٨ مارس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

١٨١ أسس الاصلاح ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ..

١٨٤ أظرف يوم . ... : الدكتور زكي مبارك ... ...

١٨٨ الحكم الذاتى فى المدرسة : الأستاذ السيد يعقوب بكر ...

١٩٠ ميدان تونس ... .. : الأستاذ محمد إبراهيم حسن . .

١٩٢ واسط مدينة الحجاج ... : الأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

١٩٥ السيدة سكينة بنت الحسين : الأستاذ سعيد الديوه جى ...

١٩٧ الأزهر حصن الدين وينبوع الأدب ... ... } الأستاذ حسن عبد العال ...

١٩٨ من جنايات المذاهب الصوفية : الأستاذ محمد يوسف موسى

١٩٨ العالم العربى ... .. : الأستاذ جورج سلستى ...

١٩٩ تراث بنى إسرائيل ... : الأستاذ طه محمد الساكت ...

١٩٩ من نوادر العرب . ... : الأديب زكريا إبراهيم ...

٢٠٠ كليوباترة ... ... : الأديب عبد الفتاح متولى غبن

أسس الاصلاح

للأستاذ عباس محمود العقاد

الإصلاح المرتجل ، أو الإصلاح الجزاف ، قلما ينفع وقد يضير

ونعنى بالإصلاح المرتجل أو الإصلاح الجزاف كل إصلاح لا يُنظر فيه إلى الحاجة التى تدعو إليه ، ولا إلى الأساس الذى يقوم عليه . فهو كالدواء الذى يُعطى قبل معرفة الداء ، أو كالعلاج الذى يعالج به الجهلاء كل داء : يفيد إن أفاد مصادفة واتفاقاً ، ويضير - إن ضار - لأن الشأن فيه أن يضير

فلا بد لكل إصلاح من أساس يقوم عليه ، ومن حاجة يغنى فيها بمقدارها وعلى حسب البيئة التى تنشأ فيها

ولا بد لأولئك كله من تقدير صحيح لكثير من الأمور

نقول ذلك لأن حديث الإصلاح فى العالم يجرى على كل لسان ، وينقله المتحدثون فى مصر ليقيسوا عليه مايقبل القياس ، وبخاصة ما نقلته الأنباء البرقية عن « مشروع بيفردج » فى البلاد الإنجليزية ، وما يرتبط به من الشعب التى لا عداد لها فى نواحى السياسة والاقتصاد والأخلاق

ولا نريد هنا تفصيل القول فى هذا المشروع ، فلهذا التفصيل وقته حين ترد إلينا البحوث المسهبة التى أحاطت به من جانب القبول ومن جانب الإنكار ، ومن جانب آخر غير القبول

والإنكار وهو الاعتراف بالأساس كله - أو ببعض الأساس - ثم التعقيب عليه بالإضافة أو التعديل

فحسبنا الآن أن نقول إن المشروع يشتمل على النظم التى تكفل إعانة العجزة والعاطلين ووقاية الأطفال وتأمين الصحة العامة وتعويض المصابين فى الأعمال القومية ، وما شاكل ذلك من ضروب الإعانة والصيانة والترفيه

حسبنا هذا الآن إلى أن يحين الأوان للبحث المفصل فى أجزائه، والمقابلة المفصلة بينه وبين نظائره من مواطن الإصلاح فى البلاد المصرية ، وفى البلاد الشرقية على التعميم

إلا أن الوقت قد حان - بل حان جداً - لإقامة هذه المشروعات الإصلاحية كلها على أساسها القويم ، حذراً من يوم نصاب فيه بالإصلاح المرتجل أو الإصلاح الجزاف ، فلا ننجو من غوائله إلا بعد حرب أخرى كالحرب الحاضرة ، وساءت تلك من نجاة هى والمصيبة سواء !

هذا الإصلاح على أى أساس يقوم ؟

إن بعض الفضلاء الذين عقبوا على مشروع بيفردج فى مصر قد فهموا منه أنه غلبة للمذهب الحكومى على المذهب الفردى فى معقل الفلسفة الفردية ، وهو البلاد الإنجليزية

وقبل التعقيب على هذا الفهم لا غنى لنا عن بيان وجيز لما نقصده من المذهب الحكومى والمذهب الفردى فى صدد هذا الإصلاح ، وصدد كل إصلاح من قبيله

فالمذاهب الاجتماعية تتشعب كثيراً بين الأمم الأوربية ، ولكنها بعد هذا التشعب تنحصر فى طرفين اثنين جامعين ، وهما توسيع الحرية الفردية أو توسيع الرقابة الحكومية

فالديمقراطية تميل إلى توسيع الحرية الفردية

والنازية والفاشية والشيوعية - أيضاً - تميل إلى توسيع الرقابة الحكومية

وأنصار الديمقراطية يرون أن الرقابة الحكومية ينبغى أن تتناول الأقل الأقل من شئون الأفراد الخاصة والعامة ، ولا تمتد إلى شأن من شئون العقيدة أو التربية أو المعاملة إلا بحساب شديد وقدر مقدور لا يتجوز فى المزيد

وأنصار الرقابة الحكومية ينوطون بالحكومة تدبير الثروة العامة وتدبير التربية العامة والهيمنة على الأعمال ورؤس الأموال والعلاقة بين أصحاب المصانع وعمالهم وأصحاب المتاجر والمشترين منهم ، كأنما جميع هؤلاء موظفون فى شركة كبيرة أو ديوان كبير

والميل الغالب بين الإنجليز هو الميل إلى الحرية الفردية سواء تمثلت فى الديمقراطية أو فى نظام من النظم التى تشبهها وتؤمن بصلاحها .

نزع القوم إلى ذلك فى مسائل الاقتصاد ، وفى مسائل السياسة ، وفى مسائل الأخلاق ، وفى مسائل الآداب والفنون والعلوم . فالحرية الفردية عندهم هى النعمة التى لا تعدلها نعمة ، والحكومات كلها عندهم إنما هى وسيلة من وسائل تحقيق هذه النعمة الكبرى : معيار صلاحها هو مقدار فلاحها فى تحقيق هذه الغاية التي لا تعلوها غاية

وتلخص مذهب القوم هذا في كتاب هربرت سبنسر عن الفرد والدولة ، أو عن « الإنسان » والحكومة ، تكبيراً لمكان الفرد ، وحداً من مكان الدولة

وساعد القوم على الإيمان بهذا المذهب أنهم من قديم الزمان فرديون غالون فى حب الحرية الفردية ، أو هم فرديون تاريخياً وجغرافياً ونفسياً باتفاق الزمان والمكان ، وأحداث الحياة ، وتطورات النفوس

هم سكان جزيرة منعزلون ، وأقاليمهم كانت فيما مضى ولايات منعزلة يشبه أن يكون كل أمير فى ولاية ملكاً مستقلاً لا يدين للحكومة العامة بغير الولاء من بعيد ؛ وهم ركاب سفن تعودوا أن تكون كل سفينة كأنها وحدة مستقلة فوق الماء وتحت السماء ؛ وهم تجار يحرصون على حرية الأخذ والعطاء ؛ وهم من سلالات الشمال « الضبابى » التى تعود أهلها الإيواء إلى المنازل كأنها القلاع والحصون لا يطرقها طارق بغير إذن من أصحابها . فهم حريون فرديون معرقون

أفنستطيع أن نقول اليوم إن مشروع الإصلاح الجديد قد قلب هذه الأوضاع جميعها رأساً على عقب وخرج بهزيمة الحرية الفردية فى معاقل الديمقراطية ؟

إن قلنا ذلك فنحن ناقضون لمنطق الحوادث ، بل منطق الحرب الحاضرة على الخصوص

لأن الحرب الحاضرة فى صميم لبابها حرب بين المعسكرين

المتقابلين : معسكر الحرية الفردية ومعسكر الرقابة الحكومية .

فنطق الحوادث إذا انتصر الديمقراطيون ألا تنهزم الديمقراطية ، ولا تنتصر عليها الرقابة الحكومية فى نطاق واسع بعيد الآماد

وجائز أن تقتبس الديمقراطية بعض الحسنات من النظم الأخرى التى تقبل « الاندماج » فى بنيتها

ولكن الذى لا يجوز أن تنتصر فيصاب مبدأها بالهزيمة ، وينهدم أساسها الذى قامت عليه

إنما الحقيقة أن مشروع بيفردج وما يحكيه من مشروعات الإصلاح هو انتصار للديمقراطية على الفاشية والشيوعية فى جوهر الخلاف بين المعسكرين

هو انتصار للقول بتعاون الطبقات على القول بحرب الطبقات ، ومن ثم فهو انتصار للديمقراطيين على المعسكر الذى يقابلهم فى الحرب الحاضرة

فالديمقراطية هى حكم الأمة بالأمة للأمة ، ولا تناقض بين هذا المبدأ — أو هذا الأساس — وبين تعاون طبقات الأمة على المعيشة الاجتماعية

وأنصار الرقابة الحكومية هم القائلون بحرب الطبقات ، وهم الذين يرجعون بالتاريخ من قديم إلى غلبة طبقة واحدة وتسخير سائر الطبقات لمنافع تلك الطبقة ، ويعتقدون أن تفسيرهم للتاريخ الإنسانى يقتضى فى النهاية أن تتغلب الطبقة العاملة وحدها على الدولة فتنزع الأموال والأملاك وتدخلها فى حوزة الدولة التى لن يكون فيها يومئذ غير طبقة واحدة

فعبرة الحرب الحاضرة هى انتصار الديمقراطية التى تقول بتعاون جميع الطبقات

بل تقول بعموم مذهب التعاون فى العلاقات الدولية والعلاقات الوطنية الداخلية على السواء

وإذا كان للتاريخ الإنسانى معنى فهذا هو منطق الحوادث فى صراع اليوم ، وهذا هو منطق الحرب الحاضرة إذا شاءت لها الأقدار أن تجرى إلى نهايتها على استقامة واعتدال

ونحن نؤمن أن الحرية الفردية هى رائد التاريخ الإنسانى من قديم الزمان ، وأنها هى مناط التقدم فى الحياة الاجتماعية وفى الحياة النفسية بلا اختلاف

ويخطئ من يرجعون بنشأة الحرية الفردية إلى الثورات الحديثة ، أو إلى العهد الذى شاعت فيه كلمة الديمقراطية على ألسنة الخاصة والعامة فى الجيلين الأخيرين

فالحرية الفردية — أو الديمقراطية — قد نشأت مع الأديان السماوية فى اليوم الذى آمن فيه الإنسان بالروح وآمن بالتكليف ، وآمن بالمساواة بين الأرواح أمام العزة الإلهية

يومئذ عرف الفرد أنه فرد له روح تناط بها الفرائض والواجبات ، ويناط بها الثواب والعقاب

ويومئذ أصبح الإنسان « وحدة » مستقلة أمام الله

ويومئذ قام أساس الديمقراطية فى الأرض قياماً لا يزول ولن يزول ، إلا أن يذهب التاريخ فوضى بغير دلالة وغير اتجاه

ولهذا آمنا حق الإيمان بهزيمة الطغيان فى هذا الصراع القائم على الرغم من ظواهر النجاح فى بداية الصراع . لأننا آمنا حق الإيمان أنه واقف فى طريق التيار الجارف ، وأن الإنسانية لو كانت تريد أن تدين بالقوة الغاشمة لما كانت بها حاجة إلى الأديان تظهر بعد القوة الغاشمة ، وهى - أى القوة الغاشمة - عند الإنسانية من بداية عهدها ، بل من بداية عهد الحيوان

ولهذا نفهم أن مشروعات الإصلاح على مثال مشروع بيفردج لا تدل على هزيمة الحرية الفردية ولا يمكن أن تدل عليها وتطمع فى النجاح

ولكنها تدل على التعاون بين الطبقات ، والتعاون بين الأمم ، والتعاون بين الأفراد

تدل على العالمية ، وهى اتساع لحرية الفرد فى العالم كله ، واتساع لحرية كل وطن من الأوطان

وهى تقدم فى الاتجاه القديم : الاتجاه الذى تجلى يوم آمن الإنسان بروحه وتكليفه واستقلاله بين يدى الله

فالحرب الحاضرة قد أظهرت أن الأمم تحارب متعاونات بين جميع طبقاتها ، وينبغى أن تجنى فضائل السلم فى جميع طبقاتها

وعلى هذا الأساس يقوم الإصلاح الصحيح السالك فى سبيل التاريخ ، وليس على أساس التناحر بين الطبقات بغير أمل فى التوفيق والتعاون والسلام

تبقى الطبقات وتتعاون على المثال الذى ظهر فى هذه الحرب

العالمية . فتؤخذ الضرائب من القادرين لمعونة من يحتاجون إلى المعونة ومن تتوقف على معونتهم سلامة البنية الاجتماعية

وقد أوشك أن يصبح المالك فى ضيعته أو فى مصنعه مديراً موظفاً من قبل الأمة لا يتقاضى أجراً على عمله أكثر من الأجر الذى يتقاضاه المدير ، بعد حسبان الضرائب والأتاوات

فهذا هو اتجاه الإصلاح فى المستقبل القريب ، وسيمضى على هذا النحو فيما نعتقد إلى المستقبل البعيد

على أساس الديمقراطية والحرية الفردية والتعاون بين الطبقات ينبغي أن يقوم كل إصلاح محمود العواقب ، وعندئذ نستطيع أن نقول إن انتصار الديمقراطية منطق مفهوم ، لأنه انتصار للحرية الفردية وللحرية العالمية ، ومرحلة معقولة من مراحل التاريخ .

عباس محمود العقاد

أظـــرف يوم !

للدكتور زكى مبارك

إنتظر أبنائى سيارة الليسيه خمسين دقيقة أو تزيد . انتظروها على باب البيت ، بين المطر المنهمر والريح العَصُوف

وحين أشفقتْ أمهم فدعتهم إلى الدخول أجابوا ضاحكين : هذا أظرف يوم !

ثم جاءت السيارة فأقلّتهم برفق إلى معهدهم المحبوب ، ولعلهم لم يحبوا معهدهم بأكثر مما أحبوه فى هذا اليوم ، فلن تكون الدروس غير حكايات وأقاصيص ، ولن يكون المدرسون غير أطفال كبار يفرحون بمنظر المطر الهتّان !

وبقيت فى البيت أسائل نفسى عما أصنع ، فما يجوز أن أخرج فى مثل هذا اليوم ، وهو لا يصلح لغير اقتناص الأوابد من الذكريات

لم يكن المطر غريباً علىّ ، فقد تمتعت به أعواماً فى الديار الفرنسية . ولن أنسى فضله يوم دخلت مدينة الهافر أول مرة فى سنة ١٩٢٧ ، فقد أتاح الفرصة لمحادثة ومحانة مطولة على غير ميعاد ... نظرت إليها بعين الغريب الحائر وقلت :

Madame, est-ce qu'il pleut souvent ici ?

وبين السؤال والجواب تلاقَى روحان ، وكان المطر سبب التلاقى

وفكرت فى « المطرية » التى نسيتها على سُلَّم البيت المحبوب فى باريس ، يوم فارقتها آخر مرة فى صيف سنة ١٩٣٣ (١)

وعلى محطة ليون تذكرت تلك « المطرية » ، وجاءت فلانة لتوديعى ، فلانة التى كانت قالت :

Docteur, vous vous trompez !

يومئذ أوصيت فلانة بأن ترجع إلى البيت المحبوب لتأخذ المطرية التى نسيتها هناك

تذكرت وتذكرت

تذكرت أنى حين رجعت إلى بغداد فى صيف سنة ١٩٣٩ مع « وفد مصر » للاشتراك فى تأبين الملك غازى رأيت فى شارع الرشيد إنسانة تشبه تلك الفلانة ، فطوّفت حولها مرات إلى أن صرخت : Tiens ! Je ne vous pas reconnu !

فقلت : لا غرابة فى أن لا تعرفينى ، فشمس بغداد تزيغ عيون الباريسيات

كان أمر هذه الفلانة عجباً من العجب ، كانت فتاة غريبة الروح ، وقد تركت دينها لتعتنق دينى ، بعد مصاولات روحية يضيق عن شرحها هذا الحديث

وما السبيل إلى قضاء لحظات أعرف بها كيف تحدَّرتْ هذه الموجة إلى بغداد ؟

— ندخل هذا الفندق ؟

— لا ، فهو فندق مطروق !

— وهذا الفندق ؟

— هو فندق حوله شبهات !

(١) المطرية هى الكلمة التى أختارها ترجمة لكلمة Parapluie ، ويخطىء من يسميها شمسية

-- وإلى أين نتجه يا شيطانة ، وقد عرفتِ من خفايا بغداد أضعاف ما أعرف ؟

— إلى فندق مود

وكان فندق مود هو الفندق الذى نزل به « وفد مصر » ، وكان اجتماعى بها فيه يُـعدّ فضيحة فى أنظار المصريين والعراقيين

قال حمد باشا الباسل : ما تلك بيمينك يا دكتور مبارك ؟

فأجبت : هى حيـة هديتها إلى الإسلام يوم كنت فى باريس !

ثم دارت بينى وبينها كؤوس من الشراب الحلال

وهممت بدفع ثمن الكؤوس فاعترض الأستاذ عبد المسيح وزير ، وتلطّف حمد باشا فقال : لو رأيتكما بمصر لجعلت « قصر الباسل » مقركما إلى آخر الزمان !

ثم دعانى حمد باشا إليه فى جانب من بهو الفندق ليُسرّ فى أذنى كلمات

— ما هذا الذى تصنعه بنفسك يا دكتور مبارك ؟

— وماذا أصنع بنفسى يا باشا ؟

— ما قدومك علينا بهذه المخلوقة المتبرجة ؟

— هى التى قدمت علىّ من باريس

— أنت عرفت هذه الفتاة فى باريس ؟

— وهديتُها إلى الإسلام

— أنت تَهدى إلى الإسلام ؟

— إسألها تخبرك !

ثم نظرت إلى حمد باشا وقلت :

— هل تعرف « الحَـلُوبة » ؟

— وما الحلوبة ؟

— هى أمطار عنيفة مزلزلة تفاجىء العراق فى بعض أيام الشتاء

— فهمتُ فهمت !

— ما ذا فهمت يا باشا ؟

— فهمت أن هذه حلوبة تقع على قلبك فى الصيف لا فى الشتاء

— نعم ، وبهذا تتم المعجزة فى الحياة العراقية !

ثم عاد حمد باشا فقال :

— أيطول هذا المجلس ؟

— أى مجلس ؟

— المجلس الذى يدور فيه الغزل بطريق الملانية !

ثم التفتّ فرأيت الجارم بك يوغل فى التنكيت ، ورأيت الدكتور عزام يروى أشعاراً ، فأخذت بذراع الفلانة وانصرفت

ولـكن إلى أين ؟

إلى الفندق الذى تقيم به مع خطيبها العراقى ، وكانت حدثته عنى أحاديث شوّقته إلى أن يرانى

— دكتور ، أنت الذى سميت هذه الفتاة ليلى ؟

— وأنا الذى علمتها كيف تـكتب اسمها بحروف عربية

— وترى أن أقترن بها ؟

— وأرى أن « تتطوق » بها ؟

— إيش لون ؟

— تلك عبارة مصرية ، ستفهمها بعد حين

ولم أدر ما جدّ فى الدنيا بعد ذلك اليوم ، وإنما أذكر أنى تلقيت خطاباً من (ليلى المريضة فى باريس) تقول فيه :

قُـتِل السيد رستم حيدر ، وكان النصير الأوحد لخطيبى ، فما الذى ترى فى مصيره ومصيرى ؟ »

فى تلك اللحظة تذكرت سعادة الأستاذ طه الراوى ، وهو غاية فى كرم النفس وشرف الروح ... هل أكتب إليه بخبر فلانة وفلان ؟

وأسرعت الدنيا فأثارت الحرب ، وأمست أحاديث المحبين عبثاً فى عبث ، ومجوناً فى مجون !

كانت الحرب هى «الحـَلُوبة» الدنيوية لا العراقية ، والعراق مظلوم فى اتهامه بالشقاق ، فتاريخه فى أسوأ أحواله أهدأ من تاريخ الأمم التى تدّعى الشوق إلى السلام والقرار والاطمئنان

حلوبة العراق لا تدوم غير ساعات ، أما حلوبة الغرب فلا تنقضى إلا بعد سنين

ما هذا الذى أرى ؟ ما هذا ؟ ما هذا ؟

هذه أمطار وبروق ورعود !

لم يبق من تقليد مصر للغرب إلا أن تتشبه بجوه فى هذا الهذَر المقوت !

وأنظر فأرى صدرى ينقبض حين يخفّ المطر لحظة أو لحظتين ، وكان المظنون أن أفرح بميل الجوّ إلى الاعتدال

ما السر فى هذه النزعة الغريبة ؟ ما السر فى الفرح بهطول الأمطار فى بلاد أغناها النيل عن الغيث ؟

لعل ذلك يرجع إلى أن « الإنسان الأول » يحتلّ صدورنا من حيث لا نعرف ، وإلا فكيف جاز لأبنائى أن يقولوا إن هذا اليوم هو أظرف يوم ؟

كان الماء من أسباب الوقاية عند القدماء ، الوقاية من غارات السباع والوحوش ، وكانت المياه سبباً فى انتصار المصريين فى أعظم معركة من معارك الحروب الصليبية ، وهى المعركة التى اشترك فيها النيل ، فقد أحاط بالأعداء من كل جانب ، وقضى عليهم بالخذلان

وهنا أذكر حواراً دار فوق منبر الأزهر فى أيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ :

حضر الخطيب محمد بك أبو شادى ذات ليلة ليحدثنا عن الأخطار المخوفة من سيطرة الإنجليز على السودان ، فقال فيما قال إن تلك السيطرة قد تكون سبباً فى منع مياه النيل عن الأراضى المصرية

عند ذلك علوت المنبر وقلت ينبغى أن نبحث عن أسباب منطقية لاحتفاظ مصر بالسودان . وأنا أرى أن مسألة المياه قليلة الأهمية ، لأن حياة السودان فى تحدر مياه النيل إلى الأراضى المصرية . ولو وجد السودان من يساعده على احتكار مياه النيل لتعرض لآفات من الُحمّيات لا يعلم أذاها غير علام الغيوب

ثم ماذا ؟

ثم طافت بالقلب خواطر حول شعور المصريين بظواهر الوجود

وأقول بصراحة إن الذين ينظمون الأغانى يخطئون أبشع الخطأ فى الإكثار من التغنى بالرياض والبساتين

إن المصريين لا يفهمون هذه الأشياء ، ولن يذوقوها لو فهموها ، لأن مصر خضراء فى جميع الفصول ، وهى من أجل هذا لا تشعر بقدوم الربيع ، لأن دهرها كله ربيع

الروض كلمة غير مفهومة ، أو كلمة لا تذاق ، فى الديار المصرية على نحو ما يفهمها ويذوقها شعراء العرب فى البلاد التى تتأذى بالشتاء

المصرى لا يدرك تقلبات الجو إلا فى أندر الأحوال ، وهل فى مصر جوٌّ يتقلب ؟

دخلت على المسيو دى كومنين وأنا محزون فى يومٍ مَطيرٍ فقال :

Mon cher ami, aujourd'hui il pleut, demain il fera beau.

ولكن المطر لم ينتظر إلى الغد ، فقد صفت السماء قبل أن ينتهي الحديث

والمسيو دي كومنين يلازم سرير المرض منذ أسابيع ، ولم أفكر فى عيادته لأنى أكره رؤية الآساد وهى مراض

سمعت أيضاً أن الأستاذ محمد الههياوى مريض ، وأن أطباء مستشفى الدمرداش قد احتجزوه عامدين بعد الشفاء ، لأنهم علموا أن أحد أبنائه مات ، وليس من المصلحة لمريض في دور النقاهة أن يدخل بيتاً شعاره السواد

هل يعرف أبناء هذا الجيل أن الههياوى كان أخطر مفنِّد لمشروع « ملنر » فى السنين الخوالى ؟

عند الله جزاؤك يا صديقى ، لا عند الوطن ، فقد كدت أومن بأن الوطن المصرى لا يحفظ الجميل

الههياوى مريض ، وسيعافى بإذن الله حين يقرأ هذه الكلمات ، فلعل دواءه فى أن يجد صديقاً يذكره بالخير وهو عليل

ما هذا الجو العبوس ؟ وما هذا المطر الهتّون ؟

وما شغلنى بمرض الأستاذ محمد الههياوى ومرض المسيو دى كومنين ؟

وأين الأستاذ محمد عوض جبريل ؟

أين إخوان عرفتهم يوم كانت الدنيا تسمح بأن يأنس صديق إلى صديق ؟

إن الأستاذ أسعد داغر مريض منذ شهرين ، وهو صورة من صور الوداد الصحيح ، فأين من توجع لملته بقصيدة فى جريدة الأهرام ، وهى تنشر قصائد فى التوجع لمرضى الروس واليونان ؟

ثم ماذا ؟

ثم أنتهز هذه الفرصة لتوضيح حقيقة غفل عنها أكثر الباحثين فأقول :

ليس فى مصر أحزاب بالمعنى الذى يفهمه الأوربيون ، لأن جو مصر لا يوحى بالاختلاف كما يوحى بالائتلاف

وإذن يكون النجاح الحزبى فى مصر مقصوراً على الجماعات التى تعرف كيف تأتلف ، وهذا هو الواقع بالفعل ، فما فازت جماعة فى مصر إلا بمراعاة ما فى الجو المصرى من الثبات

والفرد كالجماعة فى مصر ، ففى مقدور كل فرد أن ينجح إذا مشى فى طريق واحد إلى آخر الشوط ، أما التنقل من حال إلى أحوال فهو نذير الانحلال

الإنسان ابن جوه ، وجو مصر لا يعرف التقلب ، ولو راجعنا تواريخ الفائزين فى معترك الحياة المصرية لرأيناهم جميعاً من أهل الثبات فى الأفكار والآراء

إن المصرى يتكلف ويتصنع حين يرائى ، لأن جو مصر لا يساعد على الرياء

والحقد الأسود فى مصر لا يقع إلا من رجل نَسَبُهُ فى مصر مدخول . وبكلمة واحدة تصفى ما بينك وبين خصمك من أبناء هذه البلاد ، لأن فطرة المصرى منقولة عن جوه ، وهو غاية فى الصفاء

ولكن ما هذا اليوم « الملخبط » ؟

إنى أخشى أن يجعل مقالى هذا « لخبطة فى لخبطة » !

هو ذلك ، فقد انتقلت من حديث إلى أحاديث بلا نظام ولا ترتيب .

سيصفو الجو ، سيصفو بعد ساعات ، لا بعد أيام

الإنسان ابن جوه ؟

كذلك قلت ، فما بالى أعانى شجوناً تحترب فى جميع الأحايين ؟

ما حالى فى دنياى ؟ وما نصيبى من الجو المفطور على الصفاء ؟

لا بأس ، فبحرف أو نصف حرف أبدد ما حولى من المصاعب حين أريد ، ولن أريد ، لأن الصراحة فى الخصومة معنًى نقلتُه عن وطنى ، وأنا لوطنى أوفى الأوفياء

أعظم عيب فى مصر هو أنها لا ترضى عن التفاوت فى المواهب فهى لا تلتفت أبداً إلى الأوساط من الرجال فى أى ميدان

وهذا العيب فضيلة عبقرية ، ونحن به فرحون

لن نترك فرصة تمرّ بلا برهان على صحة البنوّة لهذه السماء

وما صحَتْ فى غير مصر سماء ، فتقشَّعى أيتها الغيوم الدخيلة على سماء هذه البلاد

هذا أظرف يوم ؟

نعم ، هو أظرف يوم ، لأنى أسلمت فيه العنان للقلم الجموح

زكى مبارك

الحكم الذاتى فى المدرسة

للأستاذ السيد يعقوب بكر

(تتمة)

وهناك مسألة أخرى يصح التحدث عنها ، وهى مسألة الإيعاز suggestion والحكم الذاتى

فللإيعاز أشكال كثيرة . ومن أعود هذه الأشكال بالفائدة شكلان : الإيعاز الإيجابى ، والإيعاز السلبى . والإيعاز السلبى فيما يبدو أكثر فائدة فى مضمار التربية

فالمربى يركن إلى الإيعاز الإيجابى حين يجد تلميذه أو تلاميذه ينهجون سنناً يؤدى بهم فيما بعد إلى إعوجاج تربوى . فإذا لم يرعو تلميذه أو تلاميذه عن انتهاج هذا السنن فله حينئذ أن يسلك أحد سبيلين : فإما أن يصطنع العسف ، وإما أن يرفض تحمل مسئولية ما يحدث . وصفوة القول أنه إذا وجد المربى تلميذاً ينتهج سنناً فى انتهاجه ضرر تربوى ، فعليه إذا استطاع أن يحول بينه وبينه ، وإلا فليخبر من بيدهم القوة

على أنه يجب ألا يركن إلى الإيعاز الإيجابى كثيراً ، ولكن إذا مست الحاجة إليه فليصطنع بغير تردد

أما الإيعاز السلبى فهو أدعى إلى الاهتمام . ذلك لأنه الوسيلة التى يصطنعها المربى لتدريب تلاميذه على تفقد العلاقة بين السبب والمسبب ، وبذلك يعمل على أن يحقق لهم شخصيتهم العقلية . ومتى مرن هؤلاء التلاميذ على تفقد العلاقة بين السبب والمسبب فإنهم يستطيعون أن يصلوا إلى مرحلة العمل المثمر

ولنضرب للإيعاز السلبى مثلاً نوضح به هـذا الذى نقول . فلنفرض أن هناك فصلاً يصطنع فيه الحكم الذاتى ، وأن تلاميذ هـذا الفصل يبحثون مثلاً مشكلة التأديب . فهناك نجد هؤلاء التلاميذ عاطلين من العقول الناضجة ومن الخبرة بالحيـاة ، وأنهم لهذا يغفلون فى اعتبارهم بعض الأحوال ، فإذا ما وصلوا إلى رأى ما فى هذه المسألة ، فإن رأيهم هذا يكون رأياً مبتسراً غير مبنى على اعتبار جميع الأحوال . وهنا يأتى دور المدرس ، فإما أن يضع فى نطاق اعتبارهم حالة ما لم يتناولها رأيهم ، وإما أن يسألهم مباشرة عما إذا كان خطر ببالهم أنهم أغفلوا اعتبار عامل من العوامل . فإذا أدى بهم هذا إلى أن يعيدوا النظر فى رأيهم ويصلوا بذلك إلى كنه المسألة ، فإن المدرس يكون حينئذ قد اصطنع الإيعاز السلبى ليعينهم على الوصول إلى هـذا الرأى الصحيح . وإذا لم يستطيعوا الوصول إلى هذا الرأى الصحيح فعلى المدرس حينئذ أن يدعهم وما وصلوا إليه . فإنهم سيدركون بالخبرة أنهم كانوا على خطأ ، وأنهم لم يدخلوا فى اعتبارهم جميع الحقائق

وهنـا مسألة ثالثة هى مسألة تأثيرات repercussions الحكم الذاتى . فللحكم الذاتى تأثير فيما يتعلق بالحياة ، وتأثير فيما يتعلق بالنجاح فى الحياة . ولنتكلم عن كل من هذه التأثيرات

١ — فيما يتعلق بالحياة

من وجوه النقد التى يمكن أن توجه إلى نظام الحكم الذاتى أنه يجبل التلاميذ على أن يحيوا حياة مثلى بينها وبين واقع الحياة أمد بعيد ، بحيث أنهم حين يلجون باب هذه الحياة يجدون أنفسهم مضطرين إلى أن ينفصلوا مما نشئوا عليه لينغمروا فيما هم فيه

والجواب على هذا الاعتراض أن الحكم الذاتى حين ينشئ التلاميذ على أن يحيوا هذه الحياة المثلى يعمل على إصلاح واقع الحياة وعلى معالجة ما فيها من عيوب . أما إذا نشأ التلاميذ على أن يحيوا حياة تشبه حياتهم الواقعة فإنه حينئذ لا يضطلع بأى إصلاح ، وإنما يضمن للحياة الواقعة بقاءها على ما هى عليه من تخلف وقصور .

وهناك جواب آخر يتلخص فى أنه يلاحظ دائماً فى أن التلاميذ يسلكون مسلكا مضاداً لما يريده عليهم أساتذتهم . فاذا كان أساتذتهم يريدونهم على اعتناق الآراء القديمة البالية ، فإنهم على العكس من ذلك يعتنقون الآراء الثورية الهادمة ، وإذا كانوا يريدونهم على اعتناق الآراء الثورية المجددة فإنهم على على العكس من ذلك ينتهجون نهجاً محافظاً . فهذه الحال الأخيرة هى ما نراه فى نظام الحكم الذاتى . على أننا لا نقصد بالمحافظة

هنا الجمود ، بل المحافظة على خير ما فى التراث القديم من تقاليد ثبتت على محك الزمان . ومعنى هذا كله أن نظام الحكم الذاتى يبث فى نفوس التلاميذ روحاً مجددة ولكن على أساس من القديم ، روحاً تجمع بين طرافة الجديد وعراقة القديم ، روحاً تجدد ولكن لا تبدد

٢ – فيما يتعلق بالمنزل

لا شك فى أن نظام الحكم الذاتى الذى ينشأ عليه الطفل فى المدرسة يطبع هذا الطفل بطابع خاص ويحيله شخصاً آخر ويبث فيه روح الحرية والشجاعة ، بحيث نراه فى المنزل وقد خلع رداءه القديم ، فأخذ يُكثر من الأسئلة ويجادل أبويه ولا يكتم رأياً من آرائه ، ويصبح بذلك كله مبعث فوضى واضطراب فى البيت . ولكن بمرور الزمن نجد هذا الطفل قد أخذ يستشعر روح السعادة ، ويكون بذلك مبعث سعادة فى البيت .

فإذا ما لاءم والداه بين نفسيهما وما يعتنقه من رأى فإن الحكم الذاتى يكون حينئذ قد امتد أثره إليهما عن طريق غير مباشر . أما إذا لم يستجيبا له فهما على الأقل سيضطران إلى معاودة النظر فى فلسفتهم فى الحياة .

وصفوة القول أن للحكم الذاتى فى المدرسة يداً تستطيع أن تمتد إلى المنزل فتتناوله بالتغيير والتبديل .

٣ – فيما يتعلق بالنجاح فى الحياة

يخيل إلىّ أن نظام الحكم الذاتى يؤهل التلاميذ لأن يكونوا فى المستقبل رجالاً يقومون بما تفرضه عليهم الحياة من واجبات ، وزعماء يقودون الجماعات ويسوسون الجماهير . وليس من شك فى أن هذا راجع إلى ما يبثه نظام الحكم الذاتى فى نفوس التلاميذ من الاعتماد على النفس والقدرة على سياسة الغير .

***

وللحكم الذاتى أنصار وخصوم . فكما أن له أنصار ينادون بوجوب اصطناعه في كل مدرسة فإن له خصوماً لا يفهمون منه إلا أنه نوع من البلشفية Bolshvism ، نوع من البلشفية يتخلى فيه المدرس عن سلطته التقليدية ليتولاها عنه التلاميذ .

وهم يقولون إنهم لا يخدعون بما يزعمه أصحاب هـذا النظام من حق المدرس فى الإشراف والتوجيه . ذلك لأنهم لا يعترفون بسلطة إلا سلطة المدرس ، ولا يؤمنون بحق إلا حقه

فهؤلاء هم خصوم الحكم الذاتى . على أنهم لن تقدر لهم الغلبة عليه . ذلك لأنه صدى للحياة المتجددة ، وهم صدى للقديم الموغل فى القدم ؛ وكيف يميت الصدى الحى صدى كاد يأكله الفناء ؟ ألا إن الحياة لا تبقى إلا على ما يسايرها فى سيرها الأبدى ، أما ما يتخلف عن مسايرتها فقد حق عليه أن يموت على مدرجة الطريق غير مرثىٍّ من أحد أو مبكىٍّ من أحد . هذه سنة الحياة ، وسنة الأحياء ، وسنة كل شىء .

السيد يعقوب بكر

ميدان تونس

للأستاذ محمد إبراهيم حسن
مدرس بكلية الآداب

تمثل تونس الميدان الأول فى حوض البحر المتوسط إذ تواجه فيه قوات المحور جيوش الحلفاء فى أكثر من موضع. وكل من الطرفين يدافع دفاعا مستميتا. وستحدث قريباً فى هذا الميدان موقعة خطيرة ستلعب دوراً هاماً فى الحرب الحاضرة فى هذا الشطر من العالم

ذلك لأن المسيطر على هذا الميدان يتحكم فى كل أجزاء الحوض المتوسط. فإن كتب النصر للمحور فقد حمى بذلك جنوب أوربا، أو على الأقل إيطاليا من غزو الحلفاء. بل لا يبعد أن يعيد المحور كرته فى السيطرة على شمال إفريقيا ليحول حوض البحر الأبيض إلى بحيرة محورية. أما إذا كتب النصر للحلفاء فستكون الطامة الكبرى على المحور إذ تُعرض إيطاليا للغزو لا محالة، فالشقة قريبة جداً. ولا سيما أن الحذاء الإيطالى مكشوف من جميع نواحيه تقريباً لضرب الطائرات وإصابة الأهداف، كما أن تحصين هذه الشواطىء الطويلة أمر صعب على المحور بعد أن أنهكته روسيا من ناحية، وحاصرته بريطانيا بحرياً من ناحية أخرى. كما أن استيلاء الحلفاء على تونس سيطهر شمال أفريقيا من المحور، ويسهل الملاحة فى هذا الحوض، وتعود الطرق الملاحية مطمئنة إلى حد كبير بين الهند والجزر البريطانية عَبْر مضيق جبل طارق. ولا شك أن هذا النصر سيؤثر كثيراً على سياسة الدول المحايدة فى هذا الحوض ونعنى مصر وتركيا وأسبانيا.

ومما يزيد فى أهمية هذا الميدان أنه يساعد كثيراً فى التموين، فتونس غنية بحاصلاتها الزراعية من حبوب وفاكهة، وسواحلها تسيطر عليها موانى صالحة لإيواء السفن، مثل: تونس وبنزرت وقابس وسوس والحمامات، وكلها تقع على رؤوس خلجان عميقة، كما أنها تتصل بالداخل بشبكة من السكك الحديدية تمر فى الأودية والممرات الجبلية، كما أن كل هذه الموانى على اتصال وثيق بالسكك الحديدية والطرق الصالحة

من هذه النظرة العارضة يبدو السبب واضحاً فى هذا القتال العنيف وتلك المغامرات التى نسمع بها فى الصحف بين وقت وآخر. ولكن الغريب فى هذا الميدان هو ضعف التقدم من الجانبين؛ فلقد عهدنا فى الجيوش الألمانية تلك الحروب الخاطفة والدقة البالغة اللتين ظهرتا فى الإغارة على نروج والدانمرك فى إبريل عام ١٩٤٠، وعلى بلجيكا وهولندا وفرنسا فى مايو من ذلك العام. ولكن هذه الآلة الدقيقة لم تعمل فى ميدان تونس بدقتها المعهودة، وبدلاً من أن تنتهى من حركاتها الحربية فى أسابيع معدودات نجدها وقد مضى عليها بضعة شهور وهى لا تزداد إلا بعداً عن الغرض الذى تنشده



(ميدان تونس)

——— حدود سياسية
--------- خطوط حديدية

ولعل هذه الظاهرة تعلل بعوامل كثيرة منها: طبيعة هذا الميدان المعقد إذ ينقسم إلى إقليمين متباينين هما الإقليم الجبلى

الذى يشمل معظم الميدان ، والإقليم السهلى الذى يمثل شريطاً يضيق ويتسع . ويتكون الإقليم الجبلى من سلسلة الأطلس البحرية فى الشمال ، وسلسلة أطلس الصحراء فى الجنوب ، وبينهما الطرف الشرقى من هضبة الشطوط ، ويكثر فى هذا الإقليم الممرات الوعرة مثل ممر قصرين الذى استولت عليه القوات الأمريكية أخيراً . وهذه الممرات تمثل كميناً صعباً وتعقد شباكا معقدة لكل من الطرفين المتحاربين . ويقطع هذه الممرات السكك الحديدية التى تسهل اتصال مدن الداخل بموانى الساحل . أما الإقليم السهلى فيحيط بالإقليم الجبلى من ثلاثة مواضع : فهو سهل ساحلى ضيق فى الشمال تشرف عليه الأطلس البحرية ، ويضيق جداً حول بنزرت ، ثم يبتعد قليلاً عن تونس . وهو فى الجنوب قد شغل معظمه ببحيرة شط الجريد . أما فى الشرق فيمثل شريطاً ساحلياً يتسع فى الوسط ويضيق فى الشمال حيث تقرب الأطلس البحرية من الساحل ، ويضيق فى الجنوب حيث تقرب أطلس الصحراء من الساحل فى منطقة قابس . ولا شك أن الموضعين خطيران من الناحية الحربية لأن كلا منهما يمثل عنق زجاجة تسهل للمسيطر عليه مهمة الدفاع والهجوم عند الضرورة . ولذلك يرجح أن القوات الألمانية المتقهقرة فى طرابلس لا ينتظر أن تقاوم كثيراً عند خط مارث بل ربما تحصن نفسها عند عنق قابس إن أعطيت الفرصة

يظهر إذن أن هذا الميدان معقد جداً من الناحية الجغرافية مما يصعب الحركات الحربية ، فإن كان المناخ هو العامل الأول لبطء الحركات العسكرية فى الميدان الروسى فى فصل الشتاء . فإن طبيعة السطح هى العامل الأول لبطء تقدم الجيوش فى الميدان التونسى ليس فى الشتاء فقط بل طول العام .

ومما زاد فى هذا البطء من الجانب الألمانى هو تقسيم القوات المحاربة : فقسم فى الشمال وقسم فى الوسط فى منطقة سيدى بوزيد وقسم فى الجنوب يمثل الجيش الألمانى المتقهقر ، والجانب المحورى يعمل على الاتحاد لضرب الحلفاء ضربة قاضية ، وجانب الحلفاء يعمل على العزلة لضرب كل على حده . ولا شك أنه حتى الآن من الصعب أن نحكم أى الكفتين هى الراجحة .

وهناك عامل ثالث لا يقل عن العاملين الأولين أهمية وهو أن كلاً من الطرفين قوى صلب الجانب مصمم على الدفاع راغب فى النصر . ويواجه المحور عدواً من نوع جديد يخالف ما صادفه فى تلك الدول الضعيفة التى اكتسحها فى أول الحرب وظن بذلك أن النصر بسرعة خاطفة هو غرضه الأول ولا شك أنه بالغه . فاليوم يواجه فى روسيا وتونس عدواً قوياً . ولا شك أن الغلبة لمن يصمد فى الميدان .

محمد ابراهيم حسن

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية :
السنة الأولى فى مجلد واحد ١٠٠ قرش ،
و ١٠٠ قرش عن كل سنة من السنوات : الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة فى مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد .

حكم فى الجنحة العسكرية ٣٦ بنى مزار سنة ١٩٤٣ بجلسة ٨-٢-٩٤٢ بحبس أبو بكر حودة شحاتة جزار بمعصرة حجاج ثلاثة شهور شغل وغرامة ٢٠٠ جنيه والمصادرة لبيعه لحم بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٦ - ١٢ - ٩٤٢ فى القضية رقم ٤٦ منيا القمح سنة ٩٤٣ بحبس وحيدة عطية مندور من منيا القمح ثلاثة شهور بشغل وغرامة ١٠٠ جنيه لعرضها للبيع قمح بأزيد من التسعيرة

حكم فى القضية ٩٢٠ سنة ١٩٤٢ السيدة ضد حسين على العرقى بغرامة خمسين جنيها والنشر والتعليق وغلق المحل ثلاثة أيام والمصادرة لبيعه أرزا بأزيد من التسعيرة

واسط مدينة الحجاج

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

لا يخفى على المتتبع ما للثقافة والعمران فى أية بلدة من البلدان من تأثير عظيم يقيم لهـا وزناً كبيراً بين باقى المدن والأمصار . فقد يتحدث المتحدث عن بلدة واحدة ذات شأن فى مملكة من الممالك فتجمل البلدة لهذه المملكة شأناً بين الأمم والشعوب ، وفخامة المدن نتيجة الثقافة والعمران ، وهما أساسان رصينان فى أسس الحضارة البشرية التى سمت على أحوال باقى المخلوقات فى الطبيعة . ونقصد بالثقافة العلم والفن ومعاهدهما التى تدعى بالمدارس والجامعات على اختلاف أشكالها وأنواع مسمياتها . فهى المناهل الرائقة للعلم والفن . وكلما ازداد عدد هذه البيوت ازداد مقدار التقدم الثقافى والتهذيب العلمى وبهما تكمل سيادة الأفراد فى المجتمع البشرى . وكذلك العمران ونقصد به المؤسسات المتنوعة لكل ما ينفع الفرد فى حياته سواء أكان ذلك من أجل صحته أم عيشه أو اكتسابه . كل هذه المؤسسات تعود عليه بالنفع العميم لمواطنيه كافة من أبناء قومه وغيرهم .

ولقد دلت أبحاثنا عن تاريخ واسط الذى ما زلنا ندأب على استقصاء أخباره أن لمدارس هذه المدينة المندثرة أهمية كبيرة فى تاريخها وإن كان ما توصلنا إلى معرفته منها قليلاً . فإن معاهدها الثقافية لم تقتصر على عدد معلوم تحيط به المعرفة بل كانت هنالك فى واسط الربط التى كانت تكون بمثابة مدارس تدرّس فيهـا علوم الدين وخاصة القرآن الكريم ، وما يتعلق به من التفسير وما يخص قواعد الصرف والنحو وعلوم البيان والبديع والنثر والشعر ، وكذلك الفقه والعلوم الشرعية وفلسفة الكون والتوحيد وغيرها ؛ كما أننا نعلم أنه كان يتخذ فى كل مسجد من المساجد مدرسة لتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ودرس العلوم الدينية . فكان يعتبر كل مسجد بمثابة مدرسة من المدارس ، وكان فيها كتاتيب لتعليم الصغار وتهيئتهم لقبول هذه العلوم . ولم تشتهر مدينة واسط كما يظهر لنا إلا بالمدارس الآتى ذكرها على ما دونه المؤرخون الرحالون من أبنائهـا ، ولعلهم لم يجدوا أشهر منها فى زمانهم . فأولاها مدرسة الأمير خطلبرس ، وكانت تقع هذه المدرسة بالقرب من دجلة فى الجهة الشمالية الغربية من الجانب الشرقى كما يغلب على الظن ، لأن مدينة واسط كانت راكبة دجلة من الجانبين كبغداد . وقد نص على تعيين موقعها العلامة المؤرخ ابن الديثى فى مخطوطه المحفوظ الآن فى الخزانة الأهلية بباريس حيث قال فيه : « جعفر بن مظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة . توفى بواسط سنة ٦١٠هـ . فدفن بها بمدرسة (خطلبرس) أعلى البلد » اهـ[١] . وقد سميت بهذا الإسم نسبة إلى أحد الأمراء الذين حكموا فى واسط اسمه خطلوبرس ذكره جماعة من المؤرخين يطول بنا تفصيل أقوالهم هنا[٢] . وهى من مؤسسات القرن السادس للهجرة لاتفاق أكثر المؤرخين على تحديد وجود الحاكم المذكور فى هذا القرن . ونستدل من أخبار هؤلاء المؤرخين أن المدرسة كانت كبيرة حتى كانت فيها مقبرة لدفن مشاهير الرجال العلماء فيها . وذكر ابن حجر فى الدرر مدرسة بواسط تعرف بالمدرسة البرانية لوقوعها فى أعلى البلد ولعلها هى لاتفاق المؤرخين على تعيين هذا الموضع[٣] . وتليها مدرسة الغزنوى بواسط وهو : محمود بن أحمد بن عبد الرحمن أبو الفضل الغزنوى حدث بكتاب تفسير الفقهاء ، وتكذيب السفهاء لأبى الفتح عبد الصمد بن محمود بن يوسف الغزنوى عن ولده القاضى يحيى بن عبد الصمد عن أبيه ذكره الحافظ ابن النجار وقال : صحب أبا الفتوح أحمد بن محمد الغزالى وأخذ عنه علم الوعظ وقدم بغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة وعقد مجلس الوعظ بجامع القصر ثم انتقل إلى واسط فسكنها إلى حين وفاته . وقرأت فى كتاب القاضى أبى الحسين على الواسطى بخطه قال : توفى محمود الغزنوى يوم الجمعة ودفن يوم السبت ثامن شعبان

---

(١) أفادناه الدكتور مصطفى جواد

(٢) راجع الكامل لابن الأثير جـ ١١ ص ٢١٢ ط مصر وكتاب العبر لابن خلدون جـ ٣ ص ٥١٩ ، ص ٥٢٠ ، ص ٥٢٤ ط مصر وكتاب الجامع المختصر لابن الساعى الخازن فى حوادث سنة ٥٩٢

(٣) الدرر الكامنة للعسقلانى جـ ٤ ص ٤١٩ وطبقات الشافعية للسبكي جـ ٦ ص ٢٥٠

سنة ثلاث وستين وخمسمائة فى مدرسته بمحلة الوراقين وكان يوماً مشهوداً »[١] .

ثم تعقبها مدرسة شرف الدولة محمد بن ورام الجاوانى الكردى ورد ذكره فى مخطوطة تاريخ واسط لأسلم بن سهل ابن حبيب الرزاز الواسطى المعروف ببحشل حيث ذيلت فى آخر المخطوطة الفقرة التالية : « سمع جميع هذا الكتاب وهو تاريخ واسط لبحشل . . . وذلك بواسط فى مدرسة شرف الدولة محمد ابن ورام نور الله ضريحه في مجالس آخرها الاثنين رابع عشر من ذى القعدة من سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة »[٢] . فإذا كان آخر قراءة المخطوطة فى هـذه السنة فلا شك أن تشييد المدرسة المذكورة يسبق هذا التاريخ الذكور بكثير

ثم تأتى بعدها مدرسة للحنفية ذكرها ابن الساعى الخازن وذكر مدرسها أبا المحاسن عبد اللطيف المعروف بابن الكيال الواسطى قاضى واسط المشرف على ديوانها الزمامى . تولى القضاء بواسط بعدأبيه . وكانت وفاة أبى المحاسن هذا سنة خمس وستمائة[٣]

ومن مدارسها أيضاً المدرسة الشرقية الشرابية ذكرها ابن القوطى البغدادى فى حوادث سنة ٦٣٢ هـ . حيث يذكر فتحها فى هذه السنة بالجانب الشرقي من واسط على دجلة وهى التى أمر بانشائها شرف الدين أبو الفضائل الشرابى للشافعية ، وكانت مجاورة لجامع كان داثراً فأمر بتجديد عمارته ورتب بها للتدريس العدل أحمد بن نجا الواسطى ومعيدان واثنان وعشرين فقيهاً ، وخلع على الجميع وعلى من تولى عمارتها من النواب والصناع والحاشية الذين رتبوا لخدمتها ، وعمل فيها دعوة حسنة حضرها صاحب الديوان تاج الدين معلى ابن الدباهى الناظر بواسط والقاضى والنقيبان : نقيب بنى العباس ونقيب بنى أبى طالب والشعراء والقراء ، وكان المتولى لعمارتها وجعل النظر إليه وإلى عقبه فى وقفها أبو حفص عمر بن أبى إسحاق الدروق[٤] ، وكان ذا مال كثير فائض وجاه عريض عمر ، إلى جانب جامع ابن رقاقا رباطاً وأسكنه

(١) الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية لعبد القادر القوشى المصرى ج ٢ ص ١٥٤ ط الهند

(٢) مخطوطة بحشل ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ فى المتحف العراقى ببغداد

(٣) الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٨٠

(٤) الحوادث الجامعة ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤

جماعة من الفقراء ، ورتب فيه من يلقن القرآن المجيد ويُسمع الحديث ، وأجرى عليهم الجرايات اليومية والشهرية . وأنشأ قريباً من مدرسة الشرابى هذه رباطاً آخر على شاطئ دجلة وتربة يدفن فيها ووقف عليها وقوفاً سنية[١] وممن درّسوا بالمدرسة الشرقية الشرابية عماد الدين زكريا القزوينى قاضى واسط صاحب كتاب عجائب المخلوقات وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد فلم يزل كذلك إلى أن مات . وكان حسن السيرة عفيفاً[٢] . ومن مدارسها أيضاً المدرسة التى وصفها ابن بطوطة فى رحلته ولم يذكر اسمها وإنما يذكر اسم بانيها وهو الشيخ تقى الدين عبد المحسن الواسطى الذى كان من كبار أهل واسط وفقهائها ، وقال فيه إنه يعطى كل معلم بها كسوة فى السنة ويجرى له نفقة فى كل يوم ويقعد هو وإخوانه وأصحابه لتعليم القرآن الكريم بها ثم يقول : « وقد لقيته وأضافنى وزودنى تمراً ودراهم » فتكون رحلة ابن بطوطة إلى واسط فى إبان تشييد هذه المدرسة التى قال فيها إنها مدرسة حافلة فيها نحو ثلثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعليم القرآن وهى من منشئات أوائل القرن الثامن الهجرى[٣] . ويجد الباحث فى تاريخ واسط مدارس بأسماء المحدثين والرواة والفقهاء كانوا يتخذونها بأسمائهم أو يجعلون قسما من بيوتهم مدرسة يجتمع إليها طلاب العلم من المدينة أو من أنحاء أخرى

هذا مجمل ما تمكنت من العثور عليه من أخبار مدارس واسط . ويقينى أن وجود هذه المدارس فى مدد متقاربة هو الرجة العلمية التى حدثت فى أواخر أيام الدولة العباسية لا سيما عهد الوزير نظام الملك وزير آلب أرسلان وملكشاه السلجوقيين فهو الذى نعش الروح العلمى فى زمانه بفتحه المدارس النظامية فى أنحاء الشرق العربى والعجمى فتأثرت واسط هـذه الآثار وعاد لها نشاطها العلمى والثقافى وهى أم القرئين والمحدثين والفقهاء الذين درسوا وأفتوا فى مختلف البلدان العربية وأخصها بغداد مركز الخلافة العباسية حيث كثر فى معاهدها العلمية الأساتذة الواسطيون

ومن أخبار العمران فى واسط أن نذكر مارستانها وأطباءها الذين عثرنا على أسمائهم فى سياق البحث . وأول أطباء واسط

(١) و (٢) الحوادث الجامعة ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤

(٣) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١١٤ ط مصر

تياذوق طبيب الحجاج بن يعلف له نوادر .وألفاظ مستحسنة فى صناعة الطب وقد عمر طويلاً . صحب الحجاج والى العراق وخدمه بصناعة الطب ، وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته ؛ وله تفاصيل مع الحجاج لا يسعنا ذكرها . وقد توفى بواسط فى نحو سنة تسعين للهجرة ، وله من الكتب كناش كبير أى كتاب جامع ألفه لابنه ، وكتاب إبدال الأدوية وكيفية دقها وإيقاعها وإذابتها وشتى من تفسير أسماء الأدوية . وله تلاميذ أجلة تقدموا بعده . ذكره عدة مؤرخين . ثم يليه تلميذه فرات بن شماتة الذى كان طبيباً لعيسى بن موسى الذى دعاه المهدى إلى خلع نفسه وتولية الهادى[1] ، ومن الأطباء أيضاً يوسف الواسطى الذى قرأ عليه جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع الذى كان من أطباء المقتدر وخواصه[2] ومنهم أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحرانى كان طبيباً مقدماً كأبيه ، وكان طبيب المقتدر خصيصاً به ، ثم خدم القاهر وإليه يرجع وعلى وصفه يعتمد . ومن أخباره أنه لما كان الخليفة الراضى بالله استدعى بجكم التركي سناناً وكان بواسط وسأله الانحدار إليه ولم يتمكن من الطلوع فى ذلك قبل موت الراضى لملازمة سنان بخدمته ، فانحدر إليه وأكرمه ووصله . وله حديث طويل فيه نصح وإرشاد يطول بنا وصفه حتى أنه حمل بجكم على عمل دار ضيافة بواسط وقت المجاعة فأكرمه سناناً غاية الإكرام وعظمه غاية التعظيم[3]

ومن أهم البيمارستانات التى شيدت بواسط البيمارستان الذى شاد بذكره المؤرخون ، أنشأه مؤيد الملك أبو على الحسن الرخجى وزير شرف الدولة بن بهاء الدولة مدبر دولة الخليفة القادر بالله العباسى فى العراق جميعه سنة ٤١٣ هـ وأكثر فيه من الأدوية والأشربة والعقاقير ، ورتب له الخزان والأطباء وغير ذلك مما يحتاج إليه ؛ وصفه عدة مؤرخين أيضاً[4] . ومن

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبي إصيبعة ج ١ ص ٢١ — ٢٣ ثم ص ١٦١ — ١٦٣ وأخبار العلماء القفطى مادة تاء وباء .

(٢) عيون الأنباء أيضاً ج ١ ص ١٤٤

(٣) أخبار العلماء للقفطي مادة سين ونون .

(٤) الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٢٣١ ط بولاق والعينى فى عقد الجمان فى حوادث سنة ٤١٣ وسنة ٤٣٠ وابن شاكر الكتبى فى عيون التواريخ وابن كثير فى البداية والنهاية حوادث سنة ٤١٣ وغيرهم كالجامع =

مشاهير أطباء هذا البيمارستان أبو نعيم بن ساوة الطبيب الواسطى . كان من الحذاق فى الطب وله فيه إصابات حسنة وقد قتل فى سنة ٤٩٧ هـ ، فيكون موته قريباً من عهد تشييد البيمارستان المذكور[1] . وممن نحن جديرون بذكره الطبيب الكبير موفق الدين أحمد بن محمد المعروف بأبى طاهر بن البرخشى كان من أهل واسط وكان فاضلاً فى الصناعة الطبية كاملاً فى الفنون الأدبية والفلسفة والحكمة والطب ، وكان كريم الشمائل ظريف المخايل لا يخال إلا الأكابر ، ولا يألف إلا الصدور ، وكان مع ذلك مأوى الضعفاء وملجأ الملهوفين كثير الإحسان ، وقد كان من أهل القرن السادس للهجرة . قيل إنه كان حيا بواسط سنة ستين وخمسمائة ، وكان عنده أدب بارع ومعرفة بالنظم والنثر فلا بعد أن أبا طاهر البرخشى كان من الذين خدموا فى البيمارستان المذكور أو من الذين اتصلوا بأطبائه ما دام أنه كان إذ ذاك من مشاهير أطباء واسط ومن الذين عاشوا بعد تشييد البيمارستان المذكور[2]

ومن الأطباء أيضاً أبو الفرج سعيد بن ابراهيم الواسطى ، هذا كان طبيباً وقساً وراهباً[3] وممن نزحوا إلى واسط لممارسة هذه المهنة العظيمة الشأن أبو العلاء محفوظ بن المسيحي بن عيسى الحكيم الطبيب النصرانى النيلى الأصل نزيل واسط ، كان طبيباً فاضلاً نبيلاً مذكوراً فى وقته عالماً بصناعة الطب مرتزقاً بها جميل المشاركة محمود المعالجة وله مع ذلك أدب طريف وخاطر فى النظم ، وكان مولعاً بالألغاز والمعميات . توفى فى أوائل سنة ستين وخمسمائة إذ كان معاصراً لأبى طاهر البرخشى المذكور آنفاً[4] .

هذا ما وقع إلينا من أخبار أطباء واسط ومارستانها ولعلنا نعثر على غيرهم فى المستقبل والله ولى التوفيق .

(بغداد) **يوسف يعقوب مسكونى**

= المختصر لابن الساعى ج ٩ ص ٢٢ فى حوادث سنة ٥٩٠ وآخر من أخذ عنهم الدكتور احمد عيسى المصرى صاحب تاريخ البيمارستانات فى الاسلام ص ١٩٨

(١) الكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ٢٥٩

(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى إصيبعه ج ١ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

(٣) المجدل لماري بن سليمان ط رومية ص ١٤٢ لغاية ١٥٢

(٤) أخبار العلماء للقفطي ص ٢١٥ ط مصر

السيدة سكينة بنت الحسين

للأستاذ سعيد الديوه جي

– ٣ –

صالونها

ولئن ظهرت صالونات فتيات الطبقة الأرستقراطية فى الغرب حوالى القرن الثامن عشر ، فقد كانت هذه الصالونات معروفة فى الأندلس قبل ذلك بقرون . فكان صالون « ولادة بنت المستكفى » مجمع العلماء والشعراء وأهل الفن والأدب . وهذه الصالونات كانت منتشرة فى المدينة منذ القرن الأول الهجرى . والذى نراه أن أول ظهورها فى الشرق كان فى المدينة المنورة على عهد الدولة الأموية ، وأول من سن هذا هى السيدة سكينة ، ثم تبعها بعد ذلك سيدات قريش

امتازت ندوة سكينة بفخامتها وجلالتها ، ذلك لأنها ندوة سكينة التى نعرف أدبها الرفيع وعلمها وظرفها ومروءتها وميلها إلى تشجيع كل نابغ ، والأخذ بيد كل سائر ، تهديهم الطريق وتذلل لهم العقبات ، وترشدهم إلى مواضع الضعف فى علمهم وأدبهم وفنهم . وفى بيتها غرف للانتظار وأخرى للضيافة يتزاحم فيها الشعراء والأدباء والفقهاء ورواة الحديث والمغنون . وقلما كان يمر بالمدينة أمير أو شريف أو نابغ أو عالم إلا ويعرج إلى هذه الندوة عش الأدباء وكعبة العلماء والفقهاء

وكم اجتمع الشعراء ببابها والناس حولهم يطلبون الإذن منها لينشدوها أشعارهم أملاً فى صلتها أو طلباً لإبداء رأيها . وكم انتظر الشعراء ببابها أياماً حتى يؤذن لهم . والشىء المعتاد عند أهل المدينة هو أن يترددوا إلى ندوتها ليشاهدوا مباراة الشعراء فيها ، أو الحلقات العلمية التى تعقد . أو مجالس رواة الحديث التى تدور ، وكانت السيدة سكينة تشارك فى هذا كله من وراء حجاب بحيث تراهم ولا يرونها ، يحف بها جواريها اللاتى يروين الأحاديث ويحفظن الأشعار

اجتمع الفرزدق وجرير وجميل وكثير ونصيب فى موسم الحج . فقال بعضهم لبعض : لا تجتمعون فى مثل هذه الساعة ، فهلموا نفعل شيئاً نذكر به فى الزمان . فقال جرير : هل لكم أن نسلم على سكينة بنت الحسين فلعلها أن تكون سبباً لما أردتم . قالوا : نعم الرأى . وانطلقوا فاستأذنوا . فخرجت جارية وأعلمت مولاتها بقدومهم . فأذنت لهم فقصدت حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم . وأخرجت إليهم جارية وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث ، فقالت : أيكم الفرزدق ؟ قال : أنا . قالت : أنت القائل :

هما دلتانى من ثمانين قامة ... كما انقض باز أقتم الريش كاسره

قال : نعم . قالت : ما وفقت ولا أصبت . أما آيست من تعريضك بمودة صدق محمودة ؟ ما دعاك إلى إفشاء سرك وسرها ؟ أفلا سترت على نفسك وعليها ؟ خذ الألف درهم وانصرف . ثم دخلت وخرجت ، وقالت : أيكم جرير ؟ قال جرير : هأنذا . قالت : أأنت القائل ؟ :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعى بسلام

قال جرير : أنا قلته . قالت : فما أحسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم حين رددتها ، وقد تجشمت إليك هول الليل . أفلا أخذت بيدها ورحبت بها وقلت لها « نفسى فداؤك فادخلى بسلام . خذ هذه الألفين والحق بأهلك . ثم انصرفت إلى مولاتها ثم عادت فقالت : أيكم القائل :

ولو لا أن يقال صبا نصيب ... لقلت بنفسى النشء الصغار
بنفسى كل مهضوم حشاها ... إذا ظلمت فليس لها انتظار

قال نصيب : أنا قلته . قالت : غزلت وأحسنت ولا كرمت ، لأنك مبوت إلى الصغار وتركت الناهضات بأحمالها . خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها . ثم انصرفت إلى مولاتها ثم عادت فقالت : أيكم القائل :

وأعجبنى يا عز منك خلائق ... كرام إذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يدفع الجاهل الصبا ... ودفعك أسباب المنى حين يطمع
وإنك لا تدرى كريماً مطلته ... أيشتد إن لاقاك أو يتضرع

قال كُثَيِّر : أنا قلته . قالت : غزلت وأحسنت . خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها . ثم انصرفت إلى مولاتها ثم خرجت فقالت : أيكم القائل :

لكل حديث بينهن بشاشة ... وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوة ... وأى جهاد غيرهن أريد
وأفضل أيامى وأفضل مشهد ... إذا هيج بى يوماً وهن قعود

قال جميل : أنا قلته . قالت : غزلت وأحسنت وكرمت

وعففت ، أدخل . فلما دخل سلم . فقالت له سكينة : « أنت الذى جعلت قتيلنا شهيداً ، وحديثنا بشاشة ، وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ، ولم تتعد ذلك إلى قبيح ، خذ هذه الألف درهم وابسط لنا العذر ، أنت أشعرهم »

على أن هذا التبصر بالشعر وفنونه والمآخذ الدقيقة على الشعراء لم يكن ليتهيأ لغير سكينة ، فقد كان لها فوق ذكائها المتوقد ، من عوامل الوراثة من والديها ما ساعدها على ذلك . فجدها سيد فصحاء العرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأمها بدوية نشأت فى البادية وتلقت الفصاحة عن شعرائها وبلغائها وهى شاعرة رقيقة . ناهيك عن محيطها الذى نشأت به وهى المدينة المنورة عش الأدباء والشعراء ، ومنشأ الغزل الإباحى العفيف — كل هذه العوامل أثرت فى السيدة سكينة وجعلتها تفوق بنات قريش فى بصرها الثاقب ورأيها الصائب وأدبها الرفيع

نرى رواة الشعراء يختصمون وكل يفضل صاحبه فإذا جدال وإذا خصام وينشدون حكماً صائباً يقدر أن يوفق فى مثل هذا الموقف الحرج فيقضى لفحل على فحل دون خوف أو حذر أو تعصب . ومن لهم فى مثل هذا الموقف ؟ وأنى لهم ذلك الحكم الواسع الاطلاع على أشعار العرب وأنسابها وأخبارها ليوفق فى حكمه ؟ ومن يعرّض نفسه لتهكم جرير أو لفحش الفرزدق أو لهجو الأحوص . هذا ما لا يجرؤ عليه أحد . ولا يتهيأ لغير « السيدة سكينة » . اجتمع بالمدينة رواة الشعراء جرير ونصيب وكثير وجميل والأحوص فأدلى كل منهم أن صاحبه أشعر وتراضوا بأن يحتكموا إلى سكينة بنت الحسين . فقصدوا ندوتها وعرضوا عليها الأمر فأذنت لهم . فدخلوا . قالت لصاحب جرير : أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام

وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق ؟!

ثم قالت لراوية نصيب : أليس صاحبك الذى يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا حزناً من ذا يهيم بها بعدى

كأنه يتمنى لها من يتعشقها بعده ألا قال :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحبك الذى يقول :

من عاشقين تواسلا وتوعدا ليلاً إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها حتى إذا وضح النهار تفرقا

قال : نعم . قالت : ألا قال « حتى إذا وضح النهار تعانقا » .

ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فيا ليتنى أعمى أصم تقودنى بثينة لا يخفى علىَّ كلامها

قال . نعم . قالت . رحم الله صاحبك . إنه كان صادقاً فى شعره ، وكان جميلاً كاسمه . فحكمت له ، ورضى الجميع بالحكم

ميلها للغناء

وللسيدة سكينة شعور رقيق وحب للجمال — وهل يحب الجمال إلا الجميل — هى جميلة فى صورتها ، جميلة فى صوتها ، جميلة فى نفسها ، وجميلة حتى فى تهكمها ونقدها . ففاض هذا الجمال من روحها الطيبة الطاهرة ، وغمر ندوتها ، وجعلها معرضاً للفن والجمال .

وما الغناء إلا مظهر من مظاهر الجمال الروحى الذى تجيش به الأنفس فتهتز له القلوب فتردده ألحاناً .

كان يعجبها الغناء وتهتز له . وكان المغنون يقصدون صالونها ويعرضون فيه ألحانهم الجديدة وأصواتهم المبتكرة التى لم تكن معلومة عند العرب . وكان « الفريض » مولاها يلازم هذه الندوة ويشرف على مرتاديها من أهل الفن . اعتنت السيدة سكينة بتربيته وأسلمته إلى المغنين وما زال يسمو أمره حتى بلغ فى الغناء ما بلغ .

وهذا « حنين المغنى العراقى المشهور يشد الرحال إلى المدينة المنورة تلبية لدعوة زملائه المغنين فيها . ولما كان على مرحلة منها ازدحم الناس لمشاهدته ـ فلم ير يوماً كان أكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذ ـ وأمل كل سرى وشريف أن يحل حنين ضيفاً عنده . ولكن كل شرف دون شرف السيدة سكينة ، ومن له من الشرف والمروءة مثل ما لها ؟ عرج حنين إلى دارها ليسلم عليها ويستأذنها فى الغناء عندها قبل كل أحد . فأذنت له بالدخول . ثم أذنت للناس إذناً عاماً وأقبل أهل المدينة كعادتهم إلى صالتها ليسمعوا أنغام حنين ، غصت الدار وصعدوا فوق السطح وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا ثم ابتدر حنين يغنى :

هلا بكيت على الشباب الذاهب وكففت عن ذم المشيب الآيب

فازدحم الناس على السطح وسقط الرواق على من تحته فسلموا جيماً إلا « حنين » فإنه مات تحت الهدم .

على أن المصائب التى اعتورتها منذ صغرها لم تترك قلبها خالياً من الحزن والأسى ، وكيف يخلو قلبها من الحزن وقد شهدت أعظم المصائب ؟ فقد كانت تأنس بالنوح وتخفف به آلامها وأحزانها . ومن أحق بالنوح منها ؟ وهل النوح إلا أنغام الحزن والأسى ؟ !

كانت تبعث بالأشعار المحزنة إلى المغنين ليصوغوا بها ألحاناً يناح بها . كما كانت تختار من ذوى الأصوات المشجية وتسلمهم إلى المغنين ليعلموهم النوح ، وقد بعثت مملوكها عبد الملك إلى ابن سريج وأمرته أن يعلمه النياحة . ولما توفى عمها « أبو القاسم محمد بن الحنفية » ناح عليه نوحاً فى الغاية من الجودة .

(يتبع)

سعيد الديوه جي

بالموصل

الأزهر حصن الدين
وينبوع الأدب

للأستاذ حسن عبد العال

صاحب جريدة « الاصلاح » الحلية

فقدت استنبول صفة عاصمة الإسلام بزوال الخلافة منها وانتقلت هذه الصفة إلى القاهرة ، وكانت القاهرة مع وجود الخلافة فى عاصمة الأمبراطورية العثمانية عاصمة « عملية » للاسلام ، فقد حفظت آثار الإسلام وأخذت طابعاً إسلامياً بارزاً فى مساجدها القديمة ومداومها الدينية ، وعاداتها التاريخية ، ومواسمها الذهبية ، وهى الآن مركز لأعظم جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى العالم ففيها الأزهر ، والأزهر دعامة الإسلام وركن العروبة ؛ وينبوع الأدب وقاموس اللغة ، وقد حفظ الأزهر مآثر الإسلام وبالغ فى إغداق الفضل على اللغة العربية حتى صانها من الفناء وضمنها من البلاء ، وأحاطها بسياج صد عنها المكاره فنعمت فى أروقته وعاشت فى ظلاله حتى صدرت إلى مجاهل الهند والصين ، وبلغت آداب العرب ذروة المجد فى هيكل الأزهر ، حتى أشرقت على العالم العربى بجمالها وبهائها ، وغرف العرب والمسلمون من معينها فى كل زمان ومكان ، وتدفقت شهداً من أفواه الأدباء الفطاحل

هذه صورة عن الأزهر ، وهو على كل حال أجل وأفضل ، ولئن كان فى حالته المتواضعة ومتانته فى الدفاع عن العروبة والإسلام قذى فى عين جماعة السخفاء من المتأدبين ، وحصناً لا يثبت فقرهم الأدبى أمام غناه فى المناعة والجبروت ، لقد نجده ضرورة للأدب وحياة للقومية ، ونوراً للعالم الإسلامى ؛ وفى هذه الضرورة وهذه الحياة وهذا النور رحمة تصيب كل من نطق بالضاد وآمن بالله الأحد ، رحمة عامة شاملة ، لو جزأتها إلى تراكيب الاصطلاحات الحديثة لكان معنى هذه الرحمة اقتصاداً أو سياسة واجتماعاً ، ارتبطت بها أجزاء العالم الإسلامى المبعثرة ، والأقطار العربية المتفرقة . وإن شئت الدليل فقل لى ما يكون شأن عالم إسلامى بدون هذه الجامعة ؟ وما حالة بلاد العرب بدون هـذا للغتهـا ؟ وما قيمة القومية بلا لغـة ذات قواعد وآداب ؟ ولأذهب بك إلى شىء أقرب من هذا كله ، ولأذكرك بحقيقة تلمسها وتؤمن بها ، لتعتقد ببداهة فضائل الأزهر ، فلولاه لما قرأت أدباً لطه حسين ، ولا تلذذت بما كتب عبدالوهاب عزام ، ولا أخذتك روعة علم أحمد أمين ، ولا استنزفت مقالات أحمد حسن الزيات كل ما فى نفسك من إعجاب ، ولا كان سعد أخطب الخطباء وأحسن الزعماء ، والمنفلوطى فى طليعة الكتاب . كلهم طلبوا فى الأزهر وحفظوا ألفية ابن مالك ، وقرأوا مجموعة المتون ، واستظهروا رسالات الكتاب ودواوين الشعراء ، وحفظوا القرآن والحديث ، وحضروا دروس المعانى والبيان والبديع والتفسير وفقه اللغة ، حتى علموا بلغتهم ودينهم ، ورسخت أسس أدب أمتهم فى صدورهم ؛ ثم مالوا إلى آداب الأمم الأخرى وأقبلوا عليها إقبال العالم بالأدب ، ونقلوا روائعها إلى قومهم ، فأحسنوا الانتقاء ، وأتونا بأدب متين جميل جيد السبك ، حسن الأسلوب غزير المادة كان الأدب الحديث لهذا الزمان ، ولكنه كان مؤسساً على فضل الأزهر وأصوله فى التدريس ، ولو لم يكن كذلك لقرأنا الآن أدباً ركيكا وخيالا بارداً كله لحن يتطاير منه السخف ، فالحمد لله على نعمة الأزهر وأدباء الأزهر وعلوم الأزهر فلقد أغنى الأمة العربية بالأدب الممتاز ، وجملها فى حل من الاقتصار على أدب يكتبه جماعة من أدبائنا الحديثين ، ممن تأدبوا من هوامش الأدب وأطراف الكتب ...

وبعد فالأزهر كله فضل وفخر . وفخرى منه أننى طلبت فيه

حسن عبد العال



من جنايات المذاهب الصوفية

قرأت في باب البريد الأدبي رقم ٥٠٤ كلمة عن المذاهب الصوفية وتنكب بعض رجالها وأتباعها الطريق السوى ، ذكر فيها كاتبها الفاضل عن تفسير المنار بعض ما كان للحلاج من مواطآت كان الغرض منها أن يلقى فى روع العامة وأشباه العامة أنه ممن آثرهم الله بعلم الغيب والقدرة على المعجز من الأمور

وقد بعثني ما قرأت إلى كتابة هذه الكلمة الموجزة عن هؤلاء الذين يزعمون أنفسهم متصوفين ومشايخ الطريق ، الذين بما لبَّسوا على العامة وأشباه العامة وبما اندس بينهم من الجهال بالشرع والحق ، صاروا غير أهل لشيء مما يتمتعون به من تشريف وتكريم

محيي الدين بن عربي من أساطين المتصوفة ، وممن لا يزال لهم أتباع كُثر في البلاد الإسلامية ، على بُعد فلسفته النظرية والأخلاقية عن الدين ، ويكفي أن نشير إلى بعض ما يرى في الأخلاق

١ — إنه بما ذهب إليه من القول « بوحدة الوجود » وما يستلزمه هذا القول من اعتبار العالم كله صوراً ومجالي ومظاهر لله الذى هو وحده الموجود ، قد أتى الأخلاق من قواعدها ، إذ لا معنى للمسئولية الأخلاقية التي هي مناط الثواب والعقاب ؛ لأن للآثم أخلاقياً أن يقول : ما دام الله الذى اتخذنى مظهراً له هو الذى فعل حقيقة ما يُظَن أنه فَعَلى ، كيف يستقيم أن أكون أنا المسؤول !

٢ — ويظهر أن الشيخ الأكبر (كما ينعته أتباعه) لا يتهيب أن يصل به مذهبه إلى هذا الحد فيما يتصل بالأخلاق . إنه يرى أن الذى وصل إلى درجة المحبة الحق يباح له أن يتجاوز حدود ما أنزل الله ، بعد أن لازم زمناً طويلاً حفظها ؛ لأن من أحكام المحب أو من صفاته أنه كالدابة جرحه جُبار ![1] بل إنه ليرى أن هذا الصنيع من المحب لا يعتبر مجاوزة للحدود إلا فى نظرنا نحن ، أما بالنسبة إليه فهو كأهل بدر الذين أباح لهم أن يفعلوا ما يشاءون فقد غفر لهم ، وإذاً فتصرف المحب هو تصرف فيما أبيح له ! وإذا تركنا هذا القياس الخاطئ للمحب على أهل بدر ، رأينا ابن عربي يذكر تعلة أخرى لما أجاز من تعدى المحب حدود ما أنزل الله ؛ إذ يرى أن هذا المحب — وهو ولهان مدله العقل لا تدبير له في رأيه — غير مؤاخذ فيما يصدر عنه ، وغير مطالب بالآداب التي لا يطالب بها إلا من كان له عقل[1]

وبعد : فهل لنا بعد هذا أن نعالج في جد مشكلة هؤلاء المتصوفة ، أعني الذين عرفوا منهم بالإلحاد في العقيدة ، والضلال في الأخلاق ، وأكل أموال أتباعهم الجهال بالباطل !

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

العالم العربي

أهاب الأستاذ محمد عوض محمد في مجلة الثقافة بزعماء المسلمين لإعداد الخطط التي تؤول إلى ما فيه اليُمن والفلاح . ومن واجبات المصلحين المخلصين حثّ القادة على العمل المثمر لوضع الدعائم التي يقوم عليها صرحُ الوحدة العربية وتوجيه آراء الأمة نحو المثل العليا والسير بالشعب نحو المحجَّة السامية .

وما نخالُ مقال الأستاذ إلاّ توطئةً لمقالاتٍ أُخَر ودراسات شاملة نأمل منه ومن حضرات المفكرين أمثاله أن يمهروا بها العالم العربيّ ، ولا أقول الإسلامي

فالوطنية الحق ليست وقفاً على دين من الأديان ؛ وإن في مسيحي الشرق العربي من الشباب الطامحين المثقفين الأحرار من يُدلون على الملأ : قاصيه ودانيه بعروبتهم ويفخرون بقوميتهم ، ويتعصّبون لها كأشدّ المسلمين اعتزازاً بالوطنية وتعلقاً بالعروبة .

وإني أرى أن يعدلَ كتّابنا عن اسم « العالم الإسلامي » إلى « العالم العربي » عند ما يعرضون للوطنية وللاستقلال بالدراسة والبحث لأنه أدلُّ تسمية وأدق تعبيراً .

وبعد ، فما أنا من يتحرَّج بالإسم الديني هذا يطلق على البلاد

(١) الفتوحات المكية لابن عدلى عزلى ج٢ ص ٣٥٨

(١) نفس الكتاب ج ٢ ص ٣٥٩ . وهذه المسألة موفاة في كتابي « فلسفة الأخلاق في الاسلام »

العربية الغالية ، والمسلمون إخوان لى أثيرون على قلبي ، ولهم فى نفسى - كما لهم فى كل نفس تؤمن بالعروبة - مكانة لا تعدلها المكانات ، وإنما أودّ أن نجرّد نحن الشرقيين معنى الوطنية من الطائفية ، فالطائفية كما نعلم جميعاً لم تكن إلا بلاء فى وطن كثرت فيه المِلَل وتعددت فيه المذاهب والنحل .

والطائفية كانت - لنكد الطالع وشؤمه - الثغرة التي نفذ منها دعاةُ السوء إلى بنياننا القومى فصدّعوه ، وما فينا على ما أعتقد من ينكر هذه الحقيقة إلا من أضله التعصب سواء السبيل ، وغشّت على بصيرته نوازع الأهواء .

نحن اليوم أشد ما نكون حاجة إلى التكاتف والتساند وتوحيد الجهود لدرء ما قد يهدد الكيان العربى من أخطار . وعربٌ نحن سواء كنا مسلمين أم نصارى ، وحرىٌّ بنا أن فرّقتْ بيننا المذاهب أن تجمعنا العروبة فهى خير آصرة تتألف عليها القلوب وتتوثق بها العرى ، فللعروبة يجب أن تهفو النفوس وباسمها فلتنطق الأفواه

« بيروت » **جورج سلستى**

تراث بنى اسرائيل

يخطىء المفسرين الأستاذ الصعيدى فيما ذهبوا إليه من أن الله عز وجل رد بنى إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه ، فأعطاهم جميع ما تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ؛ معتمداً على أن تاريخ مصر وتاريخ بنى إسرائيل لا يثبتان عودة الإسرائيليين إلى مصر ولا قيام ملك لهم فيها قبل ظهور الإسلام ؛ ثم يقول : والحق أن الله تعالى يشير إلى بساتين وعيون كانت لهم فى فلسطين ، وأن الضمير فى (أورثناها) يعود إلى مطلق الجنات والعيون ؛ لا إلى خصوص ما كان فى مصر على ذلك العهد ، وهذا من أسلوب الاستخدام المألوب فى لغة العرب

ومقال الأستاذ صريح ؛ أو ظاهر - على لغة الأزهريين - فى خمس دعاوى ، أن المفسرين قاطبة على هذا الرأى ، وأنهم جميعاً مخطئون ؛ وأن التاريخ ينفى عودة بنى إسرائيل لأنه لم يثبتها ، وأن الأستاذ وحده مبتكر هذا الرأى ، وأنه الحق .

ولكن ما قول الأستاذ فى أن ما نقله عن المفسرين إنما هو رأى جمهورهم - لا رأى جميعهم - بناء على الظاهر ، ولا يعدل عن الظاهر كما يقول الأزهريون إلا بقاطع . ولا قاطع ، وأن التاريخ إذا سكت عن إثبات شىء لا يكون حجة على نفيه ، ومن القضايا الأزهرية « عدم الدليل ليس دليلاً على العدم » .

فكيف وقد أثبت التاريخ القديم رجوع بنى إسرائيل إلى مصر ؟ قال الألوسى : ورأيت فى بعض الكتب أنهم رجعوا مع موسى وبقوا معه بمصر عشر سنين[1] . وجاء فى كتاب البشرية ص ٨٨ لمؤلفه لينج أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر الذى فر إلى بلاد الحبشة حكم مصر ثلاث عشر سنة[2]

والمتبادر من قوله تعالى : « ويستخلفكم فى الأرض » ، ومن قوله « ثم قلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض » ، ومن قولة سبحانه « وأورثنا بنى إسرائيل » أنهم رجعوا إلى مصر . وقد حكى الألوسى تأويلاً آخر هو عين ما قاله الأستاذ الصعيدى إلى أن قال : وأخذ قوم بقول الحسن وهو رجوع بنى إسرائيل إلى مصر وقال لا عبرة بالتواريخ وحسبنا كتاب الله تعالى فهو أصدق القائلين[3]

طه محمد الساكت
المدرس بمعهد القاهرة

من نوادر العرب

نوادر العرب كثيرة ، يعثر عليها المرء فى تضاعيف الكتب التاريخية ، وثنايا المصنفات الإخبارية . وإنى لراوٍ لك فيما يلى طرفاً مما التقطته[4] من نوادهم

١ - كان أبو حية النميرى جباناً ، وكان له سيف ليس

(١) تفسير سورة الشعراء (٢) تفسير المنار جـ ٩ ص ٩٨ والموضوع مبسوط فى المنار ، وإنما اكتفينا بهذه اللمحة مع الاشارة إلى الأصل إيثاراً للقصد فى القول والورق

(٣) تفسير سورة الدخان عند قوله تعالى : « وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » وقد سقطت الأرض من مقال الأستاذ الصعيدى . أنظر العدد ٤٩٩

(٤) لفت نظرى صديقى الثقة المحقق الأستاذ محمود شاكر إلى ما ورد فى « لسان العرب » تحت مادة « ل ق ط » ؛ وهو : « التقط الشىء : عثر عليه من غير قصد ولا طلب » فدلنى بذلك على التعبير الذى يفيد المعنى المتطلب تماماً . .

بينه وبين الحية فرق ، وكان يسميه « لعاب المنية » . وذات يوم وقف النميري على باب داره ليلاً ، وقد جرد سيفه وهو يقول : « أيها المغتر بنا ، المجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ؛ خير قليل ، وسيف صقيل ، هو لعاب المنية الذي سمعت به . أخرج بالعفو عنك ، وإلا دخلت بالعقوبة عليك » ! وظل واقفاً لا يجسر على الدخول ، مخافة أن يكون فيه لص فاتك . فجاء رجل من أهله ، فدفع الباب فانفتح ... وخرج منه كلب يعدو كالأرنب ، فسقط أبو حية النميري على قفاه وهو يقول : « الحمد لله الذي مسخك كلباً ، وكفاني حرباً » !

٢ — دخل رجل أعور على معن بن زائدة ، فأمر له بجائزة . وكان «معن» جوداً ؛ ثم دخل عليه رجل آخر ، وكان مثل زميله أعور ، فأمر له بجائزة ... فعادا يمشيان جنباً إلى جنب بحيث صارت عيناهما المكفوفتان جوار بعضهما البعض . . . فقال معن : « لقد أعطيتكما منفردين ، فماذا تريدان ؟ » فقال أحدهما : « بيننا رجل أعمى يستحق الصدقة » ، فأعطاهما معن ضعف ما أخذاه ، فقال أحدهما :

ألم ترني وعمراً حين نمشي
نريد السوق ليس لنا نظير
أماشيه على يُمنَى يديْه
وفيما بيننا رجل ضرير !

٣ — وأما نوادر البخلاء فليس لها حصر ، ولذلك نجتزئ بذكر هذه النادرة الطريفة :

طبخ أحد البخلاء قدْراً ، وجلس يأكل مع زوجته ، فقال : « ما أطيب الطعام لولا كثرة الزحام ! » فقالت : « وأي زحام وما ثمَّ إلا أنا وأنت ؟ » فقال : « كنت أحب أن أكون أنا والقدْر » !

زكريا ابراهيم

كليوباترة

منذ أمد بعيد واستديو لاما يعمل عملاً متواصلاً في إنتاج فلم (كليوباترة) ، وقد ابتدأ عرض هذا الفلم الذي اشترك في تمثيله جماعة منتقاة من الممثلين والممثلات نذكر منهم الأساتذة : بدر لاما ، منسى فهمي ، السيد زيادة ، حسن كامل . والآنسة أمينة رزق ، وزوزو بيبل . والمطربة درية أحمد وغيرهم . وقد أخرج هذا الفلم التاريخي العظيم المخرج المعروف الأستاذ ابراهيم لاما

عبد الفتاح متولي غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 506

بدل الاشتراك عن سنة
ــــ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 15 - 3 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٠٦ «القاهرة فى يوم الإثنين ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٥ مارس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

٧ ـ دفاع عن البلاغة

الـــذوق

يكثر ترداد كلمة (الذوق) فى البلاغة، كما يكثر ترداد كلمة (العقل) فى الفلسفة. ذلك لأن حاسة الذوق هى أداة الفن، كما أن ملكة العقل هى أداة العلم. فمن لا يذق لا يدرك الجمال، كذلك من لا يفقه لا يعرف الحق. ولم تؤتَ البلاغة إلا من فساد الذوق فيمن يكتب أو فيمن يقرأ. ولم أجد فيما أُثر من أدبنا، ولا فيما نقل إلى لغتنا، كلاماً يفيد طالب البلاغة فى موضوع الذوق على ما له من بليغ الأثر فى إنشاء العمل الفنى وصحة تقديره ودقة نقده. لذلك لم أر من الفضول، وأنا فى مقام الدفاع عن البلاغة، أن أحاول تجلية هذا المعنى بمقدار ما يحسن الاستطراد فى موضوع يؤدَّى على الطرف الأقصى من الإيجاز

* * *

ما هو الذوق؟ الذوق حاسة معنوية يصدر عنها انبساط النفس أو انقباضها لدى النظر فى أثر من آثار العاطفة أو الفكر. وقديماً فطن الناس إلى الشبه بين الذوق الحسى الذى يميز بين الطعوم، وبين هذا الذوق المعنوى الذى يحكم فى نتاج الفنون. وما أظنهم وقفوا بوجه الشبه بين هاتين الحاستين عند طبيعة الإدراك، وإنما تعدوا به إلى قابليتهما للكمال والنقص، واختلافهما بين الناس باختلاف الزمان والمكان والخلق والعادة

الفهـــرس

صفحة

صفحة	الموضوع	الكاتب
٢٠١	دفاع عن البلاغة	أحمد حسن الزيات .. ...
٢٠٣	فى ضيافة الهلالى باشا ...	الدكتور زكى مبارك .. ...
٢٠٦	ذكرى السيد جمال الدين	الأستاذ محمود شلبى ... ...
٢٠٧	لا ... بل النحاة واللغويون ثقات!	الأستاذ عبد الحميد عنتر ..
٢١٠	طيبة تستقبل فرعون مصر	الكاتب الفرنسى تيوفيل جوتييه بقلم الأستاذ أحمد أحمد بدوى
٢١٢	السيدة سكينة بنت الحسين	الأستاذ سعيد الديوه جى ..
٢١٤	الذكرى الباسمة	للشاعر الفرنسى «جان ريشبان» بقلم الأستاذ عبد العزيز المجيزى
٢١٥	المصريون المحدثون: شمائلهم وعاداتهم	المستشرق «إدورد وليم لين» بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
٢١٦	غروب [قصيدة] ...	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٢١٧	فى «ليالى الملاح التائه»	الأديب حسين محمود البشبيشى
٢١٩	هل الأسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور فى القرآن	الدكتور إبراهيم الدسوقى ..
٢١٩	حول تراث بنى إسرائيل	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

على أن التنوع والتغير والاختلاف فى الذوق الحسى أضعف وأقل ، لأن مجاله مادى محدود ؛ وإدراك المادى قريب ، واستيعاب المحدود ممكن ، وفعل الطبيعة والبيئة فى تطوير الغرائز بطىء لا يكاد يحس . أما الذوق المعنوى فمجاله ما يُعجب وما لا يعجب من أعمال النفس والذهن . والمعجب وغير المعجب من هذه الأعمال أمور لا تزال تتأثر بعوامل الزمن والإقليم والجنس والتربية والثقافة والحضارة والطبقة والسن ؛ وكلما التبست هذه الأمور التبس الذوق الذى يسيرها ويدبرها ويفرق بينها ويحكم عليها .

فالذوق الحسى مرجعه إلى الطبيعة وللطبيعة طريقة واحدة ؛ والذوق المعنوى مرجعه إلى العادة وللعادة طرق متعددة . وإذن لا يمكن الظفر بذوق عام تصدر عنه أحكام الناس على الأعمال الفنية ، فإن ما يعجب الحضرى قد لا يعجب البدوى ، وما يطرب المصرى قد لا يطرب الأوربى ؛ فرقص (بيا) خزْى عند الغربيين ، وغناء (جانيت) نهيق عند الشرقيين . وفى الغالب نرى الشىء الواحد يثير الاستحسان فى نفس والاستهجان فى أخرى . فكيف نجعل الذوق إذن ميزاناً فى البلاغة وهو على هذا الاختلاف ؟

إن للذوق مصدرين يستمد منهما الحكم فى جميع قضاياه : الأول العقل المتزن ، وهو يحكم فى التناسب والقصد والترتيب والعلائق المشتركة بين السبب والنتيجة ، أو بين الطريقة والغاية . والذوق المستمد من هذا المصدر له ما للعقل من الوضوح الذى يشرق فى كل نفس مهذبة ؛ وقواعده كقواعد العقل لا تتغير لأنه ثابت مطرد . والفنان الذى أوتى ثقوب الذهن يكون فى مأمن من الزيغ إذا اتبع قواعد الفن لأنها وضعت على هذا الأساس المكين

والمصدر الآخر هو العاطفة ، وهى الشعور الواقع على النفس مباشرة من طريق الحواس . وهنا كان مجال الاختلاف وسبب التباين ؛ لأن الحقيقة فى الفنون غير الحقيقة فى العلوم : هى فى العلوم محصورة مضبوطة ، ولكنها فى الفنون منتشرة مبسوطة ؛ ومن ذلك كان التدرج من الحسن إلى الأحسن ، ومن الفائق إلى الممتاز . ولم ينشىء هذه الفروق إلا هذا الذوق العاطفى الذى يتولد من الصفات والعادات والحوادث فيجعل الحقيقة الفنية تختلف فى نفسها من شعب إلى شعب ، ومن قرن إلى قرن ، حتى لتختلف فى المكان الواحد ، وفى الزمان الواحد ، وفى الإنسان الواحد ، تبعاً لحالات العواطف وانطباعات الحوادث واختلافات الميول

ضع نموذجاً أمام مائة طالب ليرسموه ، ثم انظر بعد ذلك فيما عملوا تجد الرسوم كلها تتشابه لأول وهلة ؛ فإذا أطلت فيها النظر لا تجد رسمين منها يتشابهان ، لأن الذوق الخاص بكل راسم جعل الصور تختلف فى حقيقتها ، وإن لم تختلف فى جوهرها وطبيعتها

لا بد للذوق إذن من استمداد العقل والعاطفة كليهما فى تكوين حكمه : هذا بمقتضى المنطق السليم ، وتلك بمقتضى الشعور الحاصل . ومرجع كل حكم من أحكام الذوق إلى القاضى الأعلى وهو الطبيعة . وللطبيعة ، والحمد لله ، قانون نافذ على كل كائن . وقد كان للناس قبل أن يوجد الفن ذوق معنوى خلقته الطبيعة فيهم كما تخلق الغرائز ؛ وكان لهذه الحاسة من ميلها ونفورها قاض يحكم على كل شىء فلا يخطئ حكمه . فلما ظهر الفن لم يعارض الطبيعة ولم يناقضها ، وإنما حسنها وزينها وعمل أحسن مما عملت باتباع طريقتها واقتباس وسيلتها وملاحظة تطورها

إن الفنان كلما دنا من الطبيعة كان أنق وأصدق . أنظر إلى أدب الجاهليين من العرب والإغريق تجد أظهر خصائصه الحقيقة والسذاجة والوضوح . ذلك لأن البدوى أو الهمجى يمتاز بقوة بصره وحدة سمعه ؛ وإن حاسته المعنوية التى تتصل بعينه وأذنه تمتاز كذلك بوضوح الإدراك وصدق الحساسة . وإذا كان ذوقه أضعف من ذوق المتمدن فى التحليل والتحديد والتمييز ، فإنه ثابت غير مضطرب ، خالص غير مشوب . لقد اخترع البدوى المجازات البيانية والصور الخطابية قبل أن ينشأ الفن ويوضع البيان . ولقد كان إذا ما ضرّم النوى أنفاسه ، وأرمض الهوى نفسه ، يخاطب الغيَّاب ويظنهم يسمعونه ، ويكلم الأطلال والأموات ويعتقد أنهم يفهمونه . إسمعه حين تصيبه مصيبة فيشكو ، أو تسعفه صنيعة فيشكر ، أو تمسه إهانة فينتقم ، تجده قد شعر بأثر ذلك فى نفسه كل الشعور ، وأداه بالعبارة الملائمة أصدق الأداء ؛ فلا يوارب ولا يبالغ ولا يتكلف . لأن الطبيعة صادقة لا تعرف التمويه ، صريحة لا تقبل الرياء .

احمد حسن الزيات

(البقية على صفحة ٢٢٠)

فى ضيافة الهلالى باشا (*)

للدكتور زكى مبارك

كانت جريدة الأهرام نشرت أن جماعة من الوزراء سيزورون المنوفية ، وأن فى منهاج الزيارة شهود اجتماع يعقده النواب والشيوخ فى سنتريس ، فاستفسرت من حضرة الأستاذ شافعى البنا عن المراد من ذلك الاجتماع ، فقال إنه للترحيب بالوزراء وهم فى الطريق إلى عاصمة المنوفية ، وإنما اختيرت سنتريس لأنها الملتقى لبلاد مركز أشمون ، ولأنها أول بلد على بحر شبين بعد عبور القناطر الخيرية

قلت لنفسى : إن اسمى يخطر فى البال حين تذكر سنتريس ، فما الذى يمنع من دعوة وزير المعارف للتفضل بزيارة دارى هناك ؟ وكان المفهوم عندى أن الدعوة ستقابل بالاعتذار الرقيق ، فقد كنت أعرف أن الوقت لا يتسع للزيارات ، ولكن الهلالى باشا أعزه الله تقبل دعوتى بأحسن القبول ، كأنى وجهتها إليه وهو فى أسيوط وطن الشهامة والجود

وفى مكتب الوزير دار الحديث على الصورة الآتية :

— أهلاً بنابغة سنتريس !

— هذا اللقب لا يكفى يا معالى الوزير فى تحيتى

— وكيف ؟

— لأن الأستاذ عباس حافظ هو الذى منحنى هذا اللقب فى مناوشة أدبية ، وهو يريد أنى نابغة سنتريس فقط ، ولست مفكراً عالمياً ، كما أريد لنفسى . وللأدباء مسالك تعجز عنها الشياطين !

— كنت أحسب أنك منحت هذا اللقب لكثرة ما تتحدث عن سنتريس

— لو صح هذا لجاز أن أكون أيضاً « نابغة أسيوط » فلى فيها قصائد ، وسأنشر عنها كتاباً بعد حين

— أسيوط أوحت إليك أشياء ؟

— هى مدينة موحية ، ولعلك توافق على أن لشارع الهلالى هناك جاذبية تفوق الوصف ، وما دخلت أسيوط إلا جعلته طريقى إلى النيل

— لذلك الشارع تاريخ ، فقد كان مع الأراضى التى حواليه بستاناً من بساتين جدى ، وكان البستان هو الممر الموصل بين قصره بالمدينة وذهبيته بالنيل ، فأين أنا من تلك الحياة ؟ وأين منى ذلك الثراء ؟

— إن ثروة جدك لم تضع ، يا معالى الوزير ، فلها صورة باقية هى علمك وفضلك ، وفى بعض الآثار أن ذكاء المرء محسوب عليه ، فالذكاء رزقك ، وهو أطيب الأرزاق

— من فضل الله على أهل الأدب أن يحبب إليهم المعاني

— وفى سبيل المعانى سترى أنى بخلت على جيبى بثمن شجرتين عظيمتين قامتا فى مدخل البيت

— وما حديث الشجرتين ؟

— إن تكلا باشا صاحب جريدة الأهرام بنى فى ضواحى سنتريس قصراً لا يعلو عليه غير هاتين الشجرتين ، فأنا أعزهما كل الإعزاز لأطول بهما قصر الرجل الذى قلت فيه :

ينازعنى فى سِنتريسَ منــازعٌ
له من جَدَا (الأهرام) مرتبَعٌ خَصبُ

إلى آخر القصيدة التى سأثبتها فى الطبعة الثانية من ديوانى

— سأزور دارك ، مع الشكر لدعوتك الكريمة ، وإن كان مكانى فى رحلة الوزراء إلى المنوفية مكان الضيف

— وزير المعارف لا يكون ضيفاً بالمنوفية ، لأن المنوفية تمد مصر بجماهير كثيرة من المعلمين ، وأنت وزير المعلمين ، وسيكون الجميع ضيوفك هناك

كان يجب أن أدعو الوزراء الذين يشتركون فى رحلة المنوفية ، ولكن كيف أدعوهم وقد ضاق الوقت ؟

دعوت معالى الأستاذ فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون فتلطف بالقبول ، ولم يفته أن ينص على أن اسم سنتريس اسم جميل

ومررت على معالى وزير العدل ، وهو رجل أبغضه بعض البغض ، لأنه يريد بجهاده ونضاله أن يكون الرجل الأول فى المنوفية لا فى سنتريس ! فقال حين رآنى : ما كنت أعرف أن الهلالى باشا يعزك إلى هـذا الحد . ففهمت أن الهلالى باشا حدثه عن دعوتى قبل أن أصل إليه بلحظات

(*) هذا المقال رياضة للقلم على الوصف الخالى من المبالغات ، وهو أصعب الأوصاف

ثم رجوت الأستاذ شافعي البنا أن ينوب عني في دعوة من لم أستطع دعوتهم لضيق الوقت ، وهو أخ نعمت بمودته شهوراً طوالاً في غياهب الاعتقال

* * *

في عصرية اليوم الذي يسبق يوم الاحتفال دخلت سنتريس لأرى كيف استطاع أبنائي بمعونة بني أعمامهم إعداد حديقة الدار لاستقبال الوزراء

وهناك وجدت نواب مركز أشمون يتحاورون فيما ينبغي أن يقال

سمعت كلمات لم تعجبني ، فسارعت إلى تفنيدها فيما بيني وبين نفسي ، لأتخذ منها مادة أنتفع بها في إحدى المقالات ، ولأشير عليهم بإخفائها عن الوزراء ، إن خفت أن يقولوها في حضور الوزراء .

فقلت في نفسي : وما العيب في ذلك ؟ هل نُـقلت أطيان المنوفية إلى القليوبية أو الغربية ؟ إن الذي وقع لا يزيد عن أن العائلات الكبيرة تفرعت إلى عائلات صغيرة ، ومن هنا تعددت الملكيات في المنوفية ، وهذا باب من قوة الشخصية ، فلكل فلاح في هذا الإقليم وجود صحيح ، وهو لهذا صورة نموذجية من الرق المنشود

وسمعتهم يقولون : يجب أن نعرض مطالب المنوفية على الوزراء

فقلت في نفسي : الأفضل أن يقال إن المنوفية في استعداد لمعاونة الوزراء على إصلاح سائر الأقاليم ، لأنها تملك أكبر عدد من المفكرين

والتفت فرأيت الأخ العزيز محمد أفندي محمود عمدة سملاي يجذب يدي ليُسر في أذني كلمات ، فما تلك الكلمات ؟

هو يرى أن نقيم الزينات على باب البيت

وأنا أرى أن يبقى البيت بصورته الطبيعية ، لأني أبغض الحسن المجلوب

ثم غلب رأيه وحضر الفراشون لتزيين مدخل البيت ، فسمعت منهم كلمات غير مفهومة ، ولكني تظاهرت بالعلم وتركتهم يتصرفون في حدود ما يحسنون

« شُوَيَة كُرُنات ، شوية كُرُنات »

فما هذا من الوجهة اللغوية ؟

الكلمة الأولى مفهومة ، فالشُوَيَة مؤنث الشُوَي ، والشوي مصغر شيء المخفف عن شيء ، ولكن ما « الكُرُنات » ؟

دار ذهني مرة ومرات إلى أن عرفت أنها منقولة عن الكلمة الفرنسية Couronne وعلى هذا تكون الكُرُنات هي التيجان

لا بأس ، فللأدب الفرنسي في عقلي ديون ، ومن حقه أن يزور داري مع الوزراء .

* * *

أما بعد فنحن في صبيحة الاحتفال ، وقد تجمعت خلائق في سنتريس يعجز عن عدها الإحصاء

وهذا هو « البُرْجاس » ، فما البُرجاس ؟

هو لعب الخيل ، وتلك كلمة قاموسية هُجرت في أكثر البلاد ، وبقيت مأنوسة في سنتريس

لم يكن منظوراً أن يحضر الوزراء في الميعاد . ومَن الذي يَفرض على رجال مكدودين أن يحضروا يومَ راحتهم في الميعاد ؟ لم يبق إلا أن تتمتع تلك الجماهير بلعب الخيل ، وفي لعب الخيل متعة ذوقية تذكّر أبناء المنوفية بماضيهم في الفروسية

وبجانب لعب الخيل تقوم المزامير والطبول في لونها القديم والحديث : فتسمع مرةً « يا نخلتين في العلالي » وتسمع مرةً « بالك مع مين يا شاغل بالي »

ثم تنظر فترى بُنَيّات المدارس الأولية من سملاي وسنتريس فتلتفت إلى ماضي صِباك ، يوم كنت تخطب طِفلةً وهي في المهد ، لأنك سمعت أن أمها من رائعات الجمال ...

أما الأطفال فقل فيهم ما تشاء . ولقد سرّني أن أرى أطفال سملاي وسنتريس في صحة وعافية . وأي أطفال ؟

الحمد لله على نعمته ، فما فيهم سقيمٌ ولا ضعيف ، وإنما هم الطلائع لجيل سيكون برعاية الله أقوى الأجيال

إن وزارة الصحة لا تخاف على سنتريس حين تتعرض بلاد مركز أشمون لإحدى الآفات ، فهواء سنتريس شفاء من كل داء ، وهل تذكر وزارة الصحة أن بلدنا كلفها شيئاً من المتاعب ؟

إن الله يعلم أن سنتريس تعتمد على رعايته السامية ؛ وإن الله يعلم أن أهل سنتريس أحوج الناس إلى رعايته السامية ، فهو بكرمه وفضله ولطفه يقيهم الأسواء

قضاء لحظة تحت سماء سنتريس تُذهب همومي ولو كانت أثقل من الجبال ، فلهذا البلد روحانية منقولة عن اعتماد أهله على

واهب الخيرات والثمرات ، ورعاية الله لمن يتوكلون عليه لا تحتاج إلى بيان .

* * *

حضرت ثُلّة من الشُّرطة للمحافظة على النظام ، ولكن الأهالى لم يحوجوهم إلى تعب ، فقد عرف كل فرد واجبه ، وسادت الرغبة فى أن تكون الحفلة غاية فى الصفاء

ومع هذا أنظر فأجد رئيس نقطة النمناعية يشكو من أن أحد أقربائى يحاول الشغب فى الاحتفال ، وبعد التحرى ظهر أن حامد أفندى عثمان يطلب من الحاضرين إمضاء عريضة ترفع إلى وزير المعارف ، ليتفضل الوزير بإنشاء مدرسة ابتدائية فى سنتريس

عند ذلك ابتسمت وقلت : يسرنى أن يعرف حضرة الضابط أن معالى الهلالى باشا يحب هذا النوع من الشغب . والمطالبةُ بإنشاء مدرسة ابتدائية فى سنتريس شغبٌ لطيف . ثم أخذت العريضة لأقدمها إلى معالى الوزير بنفسى ، وستكون أجمل هدية أقدمها إليه

وأقبل الخيّالة يَعدُون ويَركضون تبشيراً بقدوم الزائرين ، فهتفت الجماهير بحياة جلالة الملك ، وصدحت الموسيقا بالسلام الملكى ثم تعالت الهتافات بأسماء الوزراء وباسم رئيسهم الجليل ، شفاه الله وعافاه

كان مع الركب جماعة من المحررين والمصورين ، وهم جميعاً أصدقاء ، وكان فرحى بلقائهم فرح الأديب بالأديب

وبعد تناول القهوة وقف النائب المحترم سليم أبو العلا فألقى خطبة طويلة تحدث فيها عن أعمال الذين حضروا من الوزراء ، وقد قوبلت خطبته بالإعجاب

وكانت النية أن يخطب الأستاذ عبد البر زهران ، ولكن الوقت لم يتسع لما يريد . ثم نهض معالى الأستاذ صبرى باشا أبو علم فألقى كلة لطيفة شكر بها نواب مركز أشمون ، واعتذر بلطف لمن ضاق الوقت عن سماع ما أعدوا من الكلمات الجياد

وفى تلك اللحظة تموّجت تلك الجماهير لتزور دارى مع الوزراء ، فكان منظر لن تنساه سنتريس ، ولو طال الزمان

لقد أقيمت فى بلدنا حفلات كثيرة سمع فيها أهل بلدنا أصوات رجال مشاهير من رؤساء الوزارات ، ولكنى أستبعد أن يكونوا فرحوا بقدر ما فرحوا فى هذا اليوم السعيد

أمرُ الوزراء الوفديين عجَبٌ فى عَجَب !! إنك تنقدهم كيف شئت فى المجالس والمنتديات ، ولكنك لا تستطيع صدّ الجماهير عن الوفاء لهم إلى أبعد حدود الوفاء

لم أكن وفديًّا فى أى يوم ، ولا دعوت هؤلاء الوزراء للتفضل بزيارة دارى إلا لغاية أدبية ، هى أن تضيفهم سنتريس ، وهى المكان الذى اختاره للاحتفاء بهم نواب مركز أشمون ، فما الذى يملك من السحر هؤلاء الوفديون ؟

كان السرادق الذى أعدّه النواب يضيق برغم رحابته عن إعلان الفرح بقدوم أولئك الوزراء ، فلما وجدت الجماهير فرصة للترحيب بهم فى حديقة الدار تدافعوا تدافع الأمواج ، وأعلنوا فرحهم بهتاف يشق أجواز السماء

وفى هذا الزحام وقف وزير المعارف ليسمع النشيد :

سنتريسٌ فى سرور وهنـــاء وحبور

وقف برجاء من الأديب محمود عبد العزيز ، برغم ذلك الجو الضجّاج

أين الوقت ؟ أين ؟

إن الوزراء سيصلون الجمعة فى شنوان ، فمن الواجب أن نعفيهم من الخطب الطوال

قال الأستاذ عبد السميع الطوخى فقرات من خطبته ، وقال الأستاذ محمد شما أبياتاً من قصيدته ، ودعانى وزير العدل إلى أن ألقى خطبتى ، فماذا أقول ؟

قلت : إن الحاضرين جميعاً فى ضيافة الهلالى باشا ... وطويت خطبتى . فما الذى كان فى الخطبة المطوية ؟

الجواب عند شجرات الورد فى حديقة دارى ، وهى قد حدثتنى أن الزهر يعيش يوماً أو يومين ، أما جذور أشجار الورد فهى فى صلابة الجلمود ، ومنها تتخذ « البيبة » التى تعجز عن إحراقها النيران

دعابة الهلالى باشا هى زهر الورد

وصلابة الهلالى باشا هى جذع الورد

وهل منعت وداعة هذا الرجل من أن يكون أحزم الرجال ؟

زكى مبارك

ذكرى السيد جمال الدين

للأستاذ محمود شلبي

أمة فى رجل ، وبركان ثائر يرمى بالحمم والنار ، وصورة حية فذة عجيبة تسمى من النور وإلى النور . رجل أقام العالم وأقعده ، وهز الشرق هزة عنيفة فأحيا العقول بعد مواتها ، فتنبه الغافل ونشط العاقل وخر الباطل ذليلاً خاشعاً إلى الأذقان

ذلكم يا صاحبى ، الأستاذ الفيلسوف السيد جمال الدين الأفغانى المتوفى صباح يوم الثلاثاء ٩ مارس سنة ١٨٩٧ ميلادية

ولد فى قرية (أسعد آباد) من قرى كنر سنة ١٢٥٤ هجرية ، وفى السنة الثامنة من عمره أجلس للتعليم وعنى والده بتربيته فأيد العناية به قوة فى فطرته ، وإشراق فى قريحته ، وذكاء فى مدركته ، فأخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نهاياتها

واستكمل الغاية من دروسه فى الثامنة عشرة من سنه ، ثم عرض له سفر إلى البلاد الهندية ، فأقام بها سنة وبضعة أشهر ينظر فى بعض العلوم الرياضية على الطريقة الأوربية الجديدة

ثم ذهب إلى مكة حاجا ، ثم عاد إلى بلاده ، ولم يمكث طويلاً حتى تاقت نفسه إلى الحركة فيمم وجهه شطر الهند وتلقته حكومتها بحفاوة وإجلال

وهبط مصر أربعين يوماً تردد فيها على الجامع الأزهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا إليه كل الميل ، ولكنه تعجل بالسفر إلى الآستانة

وصل الآستانة وهو مع ذلك بزيه الأفغانى : قباء ، وكساء ، وعمامة عجراء ؛ وحومت عليه لفضله قلوب الأمراء والوزراء ، وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه ودينه وأدبه ، وهو غريب عن أزيائهم ولغتهم وعاداتهم . وبعد ستة أشهر سمى عضواً فى مجلس المعارف فأدى حق الاستقامة فى آرائه وأشار إلى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب إليها رفقاؤه

ودعى لإلقاء خطاب فى دار الفنون للحث على الصناعات ، فلبى بعد امتناع ، وما ألقى الخطاب حتى ثارت عليه ثائرة الرجعيين فصدر إليه الأمر بمغادرة الآستانة بضعة أشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود إن شاء ، ففارق الآستانة مظلوماً فى حقه ، مغلوباً لحدته ، وحمله بعض من كان معه على التحول إلى مصر

مال الشيخ إلى مصر ، فهوت إليه أفئدة من الناس ، وتحلق حوله طلاب المعرفة من كل صنف ، ثم وجه عنايته لحل عقل الأوهام عن قوائم العقول ؛ فنشطت لذلك ألباب ، واستضاءت بصائر ، وحمل تلامذته على العمل فى الكتابة وإنشاء الفصول الأدبية والحكمية والدينية ، فاشتغلوا على نظره وبرعوا ، وتقدم فن الكتابة فى مصر بسعيه

وهنا اصطدم الحق بالباطل ، فنفس عليه الشيوخ مكانته ، وشغب عليه سفلة المتعلمين وهم شر من سفلة الجاهلين ، ولكنه واصل وثبته الفكرية وأشعل النار فى الهمم الخامدة ، وظل دائباً عاملاً حتى دعى من حيدر آباد إلى كلكته وألزمته حكومة الهند الإقامة فيها

ولما وضعت الحرب أوزارها ، أصعد إلى مدينة لوندرة وأقام بها أياماً قلائل ، ثم انتقل عنها إلى باريس وأقام بها ما يزيد على ثلاث سنين وافاه فى أثنائها الإمام محمد عبده .

هذا هو الرجل العجيب ، أنشأه القدر إنشاء ليكون الشعلة المقدسة فى الشرق ، فى زمان هبت فيه ريح الجهل تريد أن تطفئ نور الله .

ولقد أجمع على احترامه الغرب والشرق ، وشهدت له الآستانة وباريس وبطرسبرج بالعبقرية والغيرة والحمية على الدين .

ونظرة واحدة إلى حياة الرجل ، تدلنا على قوة شكيمته فى الحق ، وسلطته على دقائق المعانى وتحديدها وإبرازها فى صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له ، يشد هذا وذاك قلب سليم ، وحلم عظيم ، وقوة اعتماد على الله لا يبالى ما تأتى به صروف الدهر . تتضافر هذه القوى الذهنية والقلبية والخلقية داخل بنيان الرجل ، فتندفع متعطشة إلى النور والحرية ، فيندفع البطل إلى طموحه كالأسد الوثاب ، ويتخطى العراقيل المكدسة فى طريقه حتى ينال ما يبغى أو يرتقب بارقة تلوح .

إلى الأب أنستاس مارى الكرملى

لا ... بل النحاة واللغويون ثقات !

للأستاذ عبد الحميد عنتر

نشرت « الرسالة » فى العدد (٥٠٣) مقالاً ضافياً للأستاذ « الأب أنستاس مارى الكرملى » تحت عنوان (لماذا لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين) . عدّد فيه بعض مآخذ عليهم ، توجب عدم ثقته « دائماً » بأقوالهم ، ولو كانوا أدلاء أجلاء ، إلا بعد عرضها على محك النقد والتحقيق ، فإن أظهر المحك صدق إبريزهم ، وافق عليها وقيدها عنده ، وإلا نبذها نبذ النواة ؛ ثم عرض لذكر شيء من أخطائهم التى جمع منها ما يقع فى مجلد ضخم . هذا ملخص تصديره

وسيكون كلامى إلى « الأب » فى ثلاثة مقامات :

الأول — فى منزلته اللغوية

الثانى — فى تخطئته النحاة واللغويين

الثالث — فى مبلغ هذه التخطئة من الصواب أو الخطأ

فأقول ، مراعياً الإيجاز قصارى جهدى ، ومن الحق تعالى أستمد السداد

المقام الأول

لا ينكر أحد أن للأب « أنستاس » البحّاثة الراوية ، جولات فى ميادين اللغة وصولات ، وأنه يطرف قراء العربية الفينة بعد الفينة ، ببحوثه الشيقة ، ونقاشاته اللغوية الدقيقة المتعة ؛ ولا غرو ، فإنه بذلك يحافظ على تراث أجداده الفصحاء وأسلافه من العرب العرباء . ونحن لا ننسى قولاته الضافية باحثاً منقباً عن اللغة على صفحات « الأهرام » أيام الرخاء (أعادها الله على العالم أجمع) فنحمد له غيرته على العربية ، وحدبه على خدمتها ، وولوعه بالبحث عن شواردها ، فهو من أكابر الباحثين فى اللغة المحدثين ، وإن لم نر له معجماً يضارع « أقرب الموارد » للقس « سعيد الشرتونى » أو « المنجد » للأب «لويس اليسوعى» مثلاً

المقام الثانى

ظاهر عنوان المقال يحمل فى طياته المقدمات ونتيجتها الحتمية الآتية :

الأب يبنى بحوثه وتحقيقاته اللغوية على أقوال اللغويين

لقد كان السيد جمال الدين كثير التطلع إلى السياسة ، قوى الرغبة فى إنقاذ المصريين من الذل ، فدخل الماسونية وتقدم فيها حتى صار من الرؤساء ، ثم أنشأ محفلاً وطنياً تابعاً للشرق الفرنسوى ، ودعا تبابعته من العلماء والوجهاء إليه ، فصار أعضاؤه نحواً من ثلاثمائة . وعظم إقبال الناس عليه حتى أقلق من بيدهم الأمر وقتئذ .

أنظر إلى الرجل وهو يخاطب العوام ليستثيرهم ، فيقول ما معناه : « ... لو كان فى عروقكم دم قيه كريات حياة ، وفى رؤوسكم أعصاب تتأثر ، لما رضيتم بهذا الذل والمسكنة ، ولما صبرتم على هذه الضعة والخمول ، ولما قعدتم على الرمضاء وأنتم ضاحكون . تناوبتكم أيدى الرعاة ، ثم اليونان والرومان والفرس ، ثم العرب والأكراد والماليك ، ثم الفرنسيس والماليك .. وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ، ويهيض عظامكم بأداة عسفه ، وأنتم كالصخرة الملقاة فى الفلاة لا حس لكم ولا صوت . أنظروا أهرام مصر وهيا كل منفيس وآثار طيبة ومشاهد سيوة وحصون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم :

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرشيد فلاح

هبوا من غفلتكم ، اصحوا من سكرتكم ، انفضوا عنكم غبار الغباوة والخمول ... » .

لقد كان للرجل من حياته مقصدان : علمى وهو تنبيه المسلمين إلى الإصلاح الدينى والعلمى بالكتابة والخطابة ، وسياسى اجتماعى وهو ترقية الشرق أية دولة كانت غير مفرق بين وطنه وسائر البلدان .

وهكذا النفوس ذات الآفاق الرحيبة التى لا تقف عند غاية إلا لتتخطاها إلى أخرى أسمى منها .

محمود شلبى

والنحاة ، والنحاة واللغويون فى نظره مخطئون غير موثوق بأقوالهم . فالنتيجة المنطقية أنه هو الآخر مخطئ غير موثوق بأقواله ، ويلزم هذه النتيجة نتيجة عامة ، هى أنه لا يثق أحد بأقوال النحويين واللغويين أجمعين !! وأحسب « الأب » لا يرضى لنفسه تلك الوصمة الشنعاء ، كما أعتقد عدم صحة النتيجة العامة بالبداهة

على أن من يسمع كلمة (أخطأ اللغويون . أخطأ النحاة) . التى رددها « الأب » فى مقاله ، يفهم أن اللغة قد أحيط بها ، وأن علماء اللغة والنحو قوّضوا بنيانها ، وهدموا أركانه ! مع أن ما نسبه إليهم فى مقاله من الخطأ (فى انتقاده) لا يعدو أنهم حصروا عدداً من الألفاظ على زنة خاصة ، وجاء هو ومَن قبله بقليل يقولون :

إن فى اللغة أوزاناً أُخَر تنقض هذا الحصر .

والخلاصة : أنه جعل خطأهم فى العدّ ، خطأ فى اللغة !

لا . يا سيدى . إن الخطأ فى اللغة شىء آخر . هو أن يفسر اللغوى لفظاً بغير معناه الذى تواضع عليه العرب ، كأنه يفسر (الماء) بمعنى العسل ، أو يجعل معنى (نَصر) لمقلوبه وهو (رصَن) ، أو نحو ذلك . ومثلك لا يحتاج إلى هذا البيان . فالحق أن العنوان بظاهره قريب ، وإن تنصل الأب من هذه الريبة : بأنه لا يثق إلا بأقوال القُدامى من النحويين وعلماء اللغة . وإذا وضح أن الخطأ الذى ألصق بعلماء النحو واللغة إنما هو (فى العدد) لا (فى اللغة) . وجب أن يقول الأب مبي : (إن النحاة واللغويين أثبات ثقات) ، وإن كان توثيقهم فى الحقيقة قطعىّ الثبوت قبل أن أوجد أنا والأب بمئات السنين .

وإن كان الأستاذ يريد بالخطأ ما وقع لصاحب القاموس أو غيره من اللغويين ، فمثل هذا لم يسلم منه لغوى ولا نحوى . هذا صاحب القاموس يحصى أخطاء صحاح الجوهرى ، وهذا صاحب الجاسوس يحصى أخطاء القاموس ، وهذا الشيخ ابراهيم ناصيف اليازجى اللُّبنانى ، والعلامة أحمد تيمور باشا ، يؤلف كل منهما فى مؤاخذات لغوية على كتاب لسان العرب ، ومع ذلك لم يجرؤ أحد فيما أعلم ، على القول برفع الثقة عن القاموس أو عن لسان العرب ؛ بل لا يزالان ولن يزالا أهم مراجع للعلماء ، وأضوأ نبراس للأدباء من الكتاب والشعراء . وبعد فأظن أن هذا المقام قد استوفى حقه من التوضيح والتدليل .

المقام الثالث

قلنا : إن الخطأ الذى نوه الأب بذكره فى مقاله — هو خطأ النحاة واللغويين فى (حصر الألفاظ لبعض الأوزان) ، وهو المحور الذى يدور عليه مقاله الطويل ، المقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول — فِعْلى

أورد الأب هنا قول النحاة واللغويين : ليس لنا من الجموع على وزن (فِعْلى) ، ألا حِجْلى (جمع حَجَل لطائر) وظِربى (جمع ظَرِبان لدابة خبيثة الريح) ، ولا ثالث لهما ، ثم أخذ يندد بعلماء النحو واللغة ، من عهد أبى الطيب المتنبى ، وأبى على الفارسى إلى عهد اللغوي الكبير الشنقيطى . فإنه لم يعثر أحد منهم على ثالث لهذا الوزن ، إلا الدمامينى ، فقد وجد ثالثاً بعد طول عناء ، وهو لفظ مِعْزَى جمع معزاة ، حتى جاء الشنقيطى والأب أنستاس ، فعثرا فى المخصص وغيره على ستة جموع (أسماء جموع) بوزن فِعْلى ، (وكلها من غريب اللغة) . وهى : العِرْقى (أصول الشجر الممتدة فى الأرض إلى أسفل) والعِمْقى (شجر أمرّ من الحنظل بالحجاز وتهامة) ، والعِفْرى (ريش عنق الديك) ، والصِّحْنَى (نوع من السمك ، وهو معرّب ، ومعناه الصِّير) والذِّفْرَى (إسم جمع للعظم النائىْ خلف الأذن ، واحدته ذفراة) ، والشِّيزَى (خشب تصنع منه الجِفان) . بهذه الكلمات ظهر خطأ النحاة وعلماء اللغة فى قولهم : ولا ثالث لهما .

قلت : لم يصب الأب شاكلة الصواب فى هذه التخطئة ؛ فإن نظرة غير فاحصة فى قواعد النحو والتصريف ترشدنا إلى صواب ما قاله الأقدمون ، وخطأ ما جاء به المتأخرون ، وإلى القارئْ البيان :

أثبت النحاة اللغويون وغيرهم ، كلمتى (حِجْلى وظِرِبَى) فى معرض الكلام على موانع الصرف ، وحكموا لهما بحكم (ذكرى) التى تمنع من الصرف لألف التأنيث المقصورة

فلا يدلها التنوين أبداً ، وليس لهما ثالث في اللغة يحكم له بهذا الحكم . وأما (مِعزى) وما ذكر معها ، ففيها عن العرب وجهان : الصرف وعدمه . فالمصروف منها ألفه للالحاق بدرهم ، وغير المنون منها ألفهُ للتأنيث .

ومما تجب معرفته صرفيًّا أن وزنى « فَعْلى وفِعلى » إذا ورد لهما مفرد بالتاء كأرطاة (شجرة) مفرد أرطى ، ومِعْزاة ، مفرد معزى — تحتم أن تكون الألف مع التاء فيه للالحاق : الأول بدحرجة ، والثانى بزِئبقة ، ولا يجوز أن تكون الألف المصاحبة للتأنيث ؛ إذ لا يجتمع في الكلمة أداتا تأنيث ، فإذا عرى المفرد عن التاء ، فقيل : أرطى ومِعزى ، كان القياس يوجب أن تكون الألف إذن للالحاق ، ويكون اللفظ معها منونًا . لكن العرب صرفتهما تارة لحمًا لأصلهما مع التاء ، ومنعتهما الصرف تارة أخرى ، لأن ألفهما تشبه ألف جَرْجى وذكرى

والخلاصة : أن ما عدا « حجلى وظربى » لا يتحتم فيه منع الصرف . وإذن فلا ثالث لهما يتحتم فيه المنع . وعلى ذلك فأبو على الفارسى ، والمتنبي وشارح القاموس ، ومن لف لِفَّهم ، كانوا على حق فيما ذهبوا إليه !

القسم الثانى — فُعَلى

نقل الأب عن تاج العروس ، شرح القاموس ، أنه لم يجيء على هذا الوزن إلا ثلاث كلمات لا رابع لها . وهى : أُرَبى (الداهية) وشُعَبى وأرمى (موضعان) . ثم ذكر الأب لها أخوات بلغت ستاً ؛ فتكون الألفاظ الواردة على هذا الوزن عشرة ، لا أربعة كما قال صاحب التاج

أقول : ما قاله الأستاذ هنا صواب حقاً ؛ لكن سبقه إلى هذا النقد أحد النحاة المتأخرين . قال الأشمونى عند شرح قول ابن مالك :

والاشتهار فى مبانى الأولى يبديه وزن أُرَبى والطُّولى

« وزعم ابن قتيبة أنها لا رابع لها ، ويرد عليه : أرنى (حب يعقد به اللبن) ، وجنفى لموضع ، وجُمَبى لكبار النمل » اﻫ

وهذه المآخذ أهون من أن تضع من قدر ابن قتيبة ، أو ترفع الثقة بقوله . وصاحب التاج ثقة تابع فى النقل لابن قتيبة ، وجل « من أحاط بكل شيء علماً » . والفضل كل الفضل للمتقدم

القسم الثالث — تفاعيل

أثبت الأب هنا عن تاج العروس قول العرب : « تباشير الصبح ، وتعاشيب الأرض ، وتعاجيب الدهر ، وتفاطير النبات والشباب ، ولا خامس لها ؛ ثم قال (الأب) : هناك سبع كلمات من هذا القبيل ، وذكرها ، فتكون العدة اثنى عشر جمعاً على وزن « تفاعيل » ، لا أربعة كما قال صاحب التاج ، وربما كان فى اللغة ضعف هذا العدد أو أكثر . هذا كلامه

وأقول : ما قاله الأب عين الصواب ، ولكن ما كان يحسن منه أن يذيع من على منبر « الرسالة » ، وهي الصحيفة العالمية للآداب والعلوم والفنون — أن مثل هذا خطأ فى اللغة ! بل كان الأخلق به — وهو على ما وصفت آنفاً من الدقة فى البحث والتحرى للصواب — أن يقول : ذلك تقصير من اللغويين فى الاستيعاب ، وحكم منهم على ما لم يعلموا نفيه أو ثبوته ، أو نحو ذلك من العبارات التى تلتئم وما نسبه إليهم من عيب (إن صح أن يكون ما صدر منهم عيباً)

وكلنا يعلم أن لغة العرب لغة ضخمة ، وأن العبء الذى تحمله اللغويون والنحاة ، فى سبيل جمع شتاتها ، وتنسيق كلماتها والمحافظة على سلامتها من الخطأ واللحن — كان أثقل الأعباء التى تحملها العلماء ، منذ بدء التأليف والتدوين إلى وقتنا هذا

فكيف يقال مع ذلك : لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين ؛ لأنهم أخطأوا فى حصر بعض الألفاظ ؟ !

الحق أن هذا أو أقل من هذا لا يصح أن يقال .

(يتبع)

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية

حكم فى الجنحة العسكرية ١٠٥ سمالوط سنة ١٩٤٣ بجلسة ١٥ يوليه سنة ١٩٤٣ بحبس حسن أحمد محمد الحولى مزارع بسمالوط ثلاثة شهور شغل وغرامه ١٠٠ جنيه والمصادرة لبيعه شوال سباخ كيماوى بازيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة رقم ٣٤ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٣ بتغريم إمام محمد سليمان خمسين جنيها وعمر عمر ستين جنيها والنشر والتعليق والغلق لعرضهما خبزا بأزيد من السعر المحدد

للذكرى والتاريخ

طيبة تستقبل فرعون مصر

للكاتب الفرنسي تيوفيل جوتييه

في كتابه قصة الموميـاء

[إلى جانب المصريين نحن حقاً برابرة]
تيوفيل جوتييه

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

أف(1)، تلك المدينة الضخمة الواسعة، لم تعد تضم بين أحضانها إلا المرضى والعجزة والمسنين الذين لم يعودوا بعد قادرين على الحركة، والعبيد المكلفين بحراسة المنازل؛ ففي الشوارع والميادين، وطرق أبي الهول، وأقواس المعابد والأرصفة، يجرى سيل من الناس متجه إلى النيل؛ ويزخرف هـذا الجمع الحاشد اختلاف عجيب، فالمصريون يكونون القسم الأعظم، ويعرفون بسمات وجوههم النقية، وبقاماتهم الرشيقة العالية، وبثيابهم من الكتان الدقيق، ومناطقهم المثناة باعتناء، وبعضهم يلف رأسه بنسيج ذي خطوط زرق أو خضر، ووسطهم مشدود بسراويل ضيقة، وظهرهم عار له لون الصلصال المحروق

في هذا الجمهور الوطني تظهر نماذج مختلفة لأجناس أجنبية: فزنوج أعالي النيل سود كآلهة من البازلت، أذرعتهم مطوقة بحلقات كبيرة من العاج، وتتأرجح في آذانهم حلى بربرية؛ والأثيوبيون ذوو الألوان البرنزية، والسحنات النافرة، قلقون برغمهم في هذه الحضارة كأنهم حيوانات متوحشة في وضح النهار؛ والأسيويون يعرفون بلونهم الأصفر الرائق، وعيونهم الزرق، ولحاهم المجمدة على شكل حلزوني، ويعصبون رءوسهم بقلانس مثبتة بعصائب، ويلبسون أردية مطرزة ذات أهداب؛ أما اليونانيون فيرتدون جلود الحيوانات يعلقونها بعواتقهم، ويتركون أذرعتهم وسيقانهم الموشومة وشماً غريباً، ويحملون ريش طير فوق رءوسهم التي يتدلى منها ضفيرتان، تصيران واحدة تنظم على هيئة قرط على الصدغ

في وسط هذا الزحام يمشي الرهبان عليهم الهيبة والوقار، رءوسهم محلوقة، ويلفون أجسامهم بجلد النمر، بحيث يبدو فم الحيوان كأنه مشبك حزام، وفي أقدامهم أحذيتهم، وبأيديهم عصى من شجر السنط قد كتب عليها بالهيرغليفية؛ ويسير الجند إلى جنوبهم خناجرهم ذوات المسامير الفضية، وعلى ظهورهم تروسهم، وفي أيديهم فئوسهم؛ والشخصيات المبجلة يحلى صدورها أوسمة التشريف، ويحييها العبيد بالانحناء، ووضع الأيدي إلى أسفل بالقرب من الأرض؛ وتمشي بجانب الحيطان في هيئة متواضعة حزينة نسوة فقيرات، يكدن يكن عاريات، ينحنين تحت ثقل أبنائهن، المتدلين من أعناقهن في خرق بالية أو قفف من الحصير، بينما تختال فتيات جيلات يصحبهن ثلاث توابع أو أربع — في أثوابهن الطويلة الشفافة، التي تنعقد عند أسفل صدورهن بوشاح أطرافه مرسلة، ويضيء فوقهن اللؤلؤ والذهب، ويفوح منهن رائحة الأزهار والعطور

وبين الرّجّالة تمضي الهوادج يحملها الأثيوبيون بخطى سريعة منتظمة، والمجلات الخفيفة السرحية بحصن يزينها جلال ذات أهداب، ويحمل رأسها الريش؛ أما العربات التي تحمل أسراً ويجرها الثيران، فتمشي باتئاد، وتجد طريقها بعسر بين الجمهور الذي لا يأبه بأن يداس؛ وغالباً ما اضطر السائقون إلى أن يضربوا بسياطهم المتمهلين والذين لا يخلون الطريق

هذا وفوق النهر حركة غير عادية، فعلى طول المدينة قد غطى النيل برغم سعته، ولم يعد في الوسع رؤية مائه بقوارب من كل صنف، فمن زوارق ذات حيزوم وسكان عاليين، إلى أخرى ذات ألوان وتذهيب، فكلها كان مستخدماً، ولم يستنكف حتى من ركوب المراكب المعدة لنقل البهائم وحمل الفواكه، ولا الأرمات المصنوعة من خشب الخيزران، والتي كانت معدة في العادة لحمل أوعية الصلصال

ليس من السهل عبور النهر من جانب إلى جانب، وسط جمهور يربى على ألف ألف نسمة، بل يجب لذلك كل مهارة نوتية طيبة ونشاطهم.

ماء النيل تضربه المجاذيف وتشقه السكانات، فيرغى ويزبد كأنه بحر، ويكون آلاف الدوامات التي تضعف قوة التيار

والزوارق في مجموعها مختلفة ومبهجة، فبعضها ينتهي كل من طرفيه بزهرة كبيرة من أزهار اللوتس تنحني إلى الداخل،

(1) ذلك — كما يقول الكاتب — هو الاسم المصري للمدينة التي كان القدماء يدعونها طيبة ذات الأبواب المائة.

وتربط بساقها راية ، والبعض حيزومة على شكل هلال ينهض طرفاه فوق الماء ، ومنها ما يحمل فوقه نوعاً من الأبراج أو السطوح يقف فوقها رؤساء النوتية ، وبعضها مكون من ثلاثة جذوع ربطت بالحبال ، ويحركها مجذاف ؛ أما المراكب المعدة لنقل الحيوانات والعربات فقد ربط بعضها إلى بعض ، ووضع عليها معبر يسمح بالصعود والنزول من غير كبير عناء ، وقد كان عددها عظيما ، وعليها تصهل الأحصنة المطهمة ، وتضرب الخشب بحوافرها الرنانة ، والثيران قلقة تنحنى إلى النهر بقفاتها التى يسيل منها خيوط من اللعاب ، ولكنها تهدأ إذا لاطفها قوادها .

يضبط النوتية حركات المجدفين بالتصفيق ، ويجثم الملاحون فوق الكوثل[1] ، أو يمشون فوق سقف المركب يصدرون أوامرهم ، ويرسمون خطة السير الضرورية للانزلاق بين هذه الكثرة المربكة من الزوارق ، ورغم الاحتراس كانت الزوارق تصطدم أحياناً

هذه الآلاف من السفن المطلى أغلبها باللون الأبيض ، والمزخرفة بزينة خضراء وزرقاء وحمراء ، والمحملة بالرجال والنساء اللابسات ملابس من ألوان شتى أخفت سطح النيل تماما فى أماكن كثيرة ، وأظهرت تحت الأشعة الساطعة لشمس مصر منظراً ساطعاً باهراً فى حركته ، وكان الماء المتحرك بكل قوته يضىء ويبرق كأنه فضة خالصة ، أو شمس كسرت آلاف الأجزاء

لقد كانت الزوارق ثقيلة بمن عليها وأبراجها مليئة بالعابرين ، وفوق سطحها يجلس الرجال والنساء والأطفال متربعين ، تلك الجلسة العزيزة لدى الشعب المصرى . ولدى رؤيتهم يخيل إلى المرء أنهم قضاة أوزيريس ، لولا أن منظرهم لا يدل على التأمل ، وهو سمة قضاة الموت ، بل على العكس يشعر بأقصى ما يكون من السرور

فى الحق أن فرعون عاد منتصراً ، يقود معه عدداً ضخما من الأسرى ؛ فطيبة غارقة فى السرور ، وشعبها قد خرج بأجمعه إلى المحبوب أمون رع رب التيجان ، مدبر المملكة الطاهرة ، القدير على كل شىء إله الشمس ، منظم شئون العالم

على الجانب الغربىّ للنهر ، لم يكن الازدحام أقل شدة من الشاطئ الشرقى ، وقد جاء سكان أحياء ممنون والقرى المجاورة ، وفى كل لحظة تحمل الزوارق أناساً جدداً ترسو بهم فوق الأرصفة فتزيد كثافة الجمهور ، بينما العربات التى لا تعد تشق طريقها إلى ميدان العرض ، وتمضى عجلاتها كأنها شموس بين الغبار الذهبى الذى تثيره . لقد صارت طيبة فى هذه اللحظة خراباً ، كما لو أن فاتحاً قاد شعبها أسيراً .

والمنظر ، مع ذلك ، جدير بأن يصور ، ففى وسط الخضرة اليانعة التى ينهض فيها النخيل بتيجانه ، تبدو الألوان الزاهية للمتنزّهات والقصور وخيام الصيف محاطة بأشجار الجمّيز ، و (الست المستحية) ، وكثير من أحواض المياه يضىء فى الشمس ، والدوالى تشتبك محاليقها فى عرائش مقوّسة ، وفى النهاية يبدو شبح قصر رمسيس بأبراجه الهائلة ، وجدرانه الضخمة ، وصواريه المذهبة المزخرفة ، ترفرف فوقها الرايات فى الهواء ، وأبعد من ذلك إلى الشمال يبدو التمثالان الضخمان الجالسان على عرشيهما فى وضع خالد لا يتأثر ، وكأنهما جبل صخرىّ ذو شكل إنسانىّ يقوم أمام مدخل معبد أمينوفيس ، ويتراءى فى لون ناصل الرمسيوم الذى يبعد قليلاً ، والمقبرة الوحيدة للكاهن الأكبر ، ولكننا من أحد الجوانب نستطيع أن نرى قصر منفتاح .

(يتبع)

أحمد أحمد بدوى
مدرس بحلوان الثانوية للبنين

(١) مؤخر السفينة

السيدة سكينة بنت الحسين

للأستاذ سعيد الديوه جي

(تتمـــــة)

مزاحها وتهكمها:

إنتهى الفرزدق من حجته ويمم شطر المدينة المنورة ليسلم على السيدة سكينة أملاً فى صلتها ورغبة فى ثنائها ليغيظ بهذا خصمه بل أكبر أعدائه « جريراً » . والفرزدق من الحزب العلوى ، طورد وسجن واضطهد بسبب تشيعه لهم . ولم يكتم هذا الحب الصادق لآل رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم ، حتى أمام الخليفة هشام . ولـكن هـذا لم يخلصه من انتقاد السيدة سكينة وتهكمها به . ولما مثل فى ندوتها سألته : من أشعر الناس ؟ — وهى تعـلم مكانته من الشعر فهو أفخر الشعراء الأمويين وأمدحهم وأمتنهم أسلوباً وأجزلهم لفظاً — قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذى يقول :

بنفسى من تجنبـه عزيز ... علىَّ ومَنْ زيارته لمـام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ... ويطرقنى إذا هجع النيـام

ولا شىء يغيظ الفرزدق أكثر من تفضيل قرنه وخصمه الألد جرير عليه . بهت الفرزدق وأسقط فى يده . وماذا يصنع مع سكينة التى تريد أن تلعب بعقل هذا الشيخ ؟ قال لها : والله لئن أذنت لى لأسمعتك أحسن منه . قالت : لا أحب فاخرج عنى . خرج الفرزدق يتعثر فى أذياله ، ويخشى أن يشيع هـذا الخبر فيسمعه جرير ويتخذه حجة له عليه . وفى اليوم الثانى عزم على أن يعيد الـكرة لعل الله يشرح صدر سكينة فتشمله بعطفها وتمن عليه بكلمة ثناء يجبر بها كسره . ولما مثل فى صالونها قالت له : من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ، أشعر منك صاحبك حيث يقول :

لولا الحياء لهاج لى استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار
كانت إذا هجع الضجيع فراشها ... كتم الحديث وعفت الأسرار

فقال لها : والله لئن أذنت لى لأسمعتك أحسن منه . فأمرت به فأخرج . ضاقت عليه الأرض بمـا رحبت فلا يدرى ماذا يعمل وبمن يلوذ . ولـكنه لم يقطع أمله من صلتها وثنائها . فقصدها فى اليوم الثالث . ولما مثل فى صالونها ، سألته : من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إن العيون التى فى طرفها حوَر ... قتلننا ثم لم يحيين قتـــلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

علم الفرزدق بأن شعر جرير قد وقع فى قلبها لرقته وسلاسة ألفاظه وخلوه من الفحش والخبث ، فهو يمثل النفس الطاهرة الطيبة . عندئذ لجأ الفرزدق إلى التلطف والتوسل ، فقال لها : « يا بنت رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ، إن لى عليك حقاً عظيماً : خرجت من مكة إرادة السلام عليك فـكان جزائى منك تـكذيبى ومنعى من أن أسمعـك » وعرَّض لها بكلامه أن تهبه جارية وضيئة من جواريها أعجبته . فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية . وقالت : « يا فرزدق أحسن صحبتها فإنى آثرتك بها »

وأحاديثها مع عروة بن أذينة كثيرة . وهو من فقهاء المدينة ومحدثيها . وقد أخذ عنه الإمام مالك . كان من الأتقياء ولـكن قلبه لم يخلص من الهوى . كان يحب وكان يعشق ولـكن كان يستر حبه ويكتم هواه ـ ومهما حاول المرء كتم هواه فلا بد أن يظهر يوماً على لسانه

بينما كانت تسير سكينة بوادى العقيق رأت هذا الشيخ فمالت إليه بموكبها ووقفت عليه وقالت له : يا أبا عامر ، أنت الذى تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وأنك تقى ؟! قال : نعم . قالت : أفأنت الذى تقول :

قالت وأبثثتها وجـــدى فبحت به ... قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لهـا ... غطى هواك وما ألقى على بصرى

قال لها : نعم

قالت : « من حولى من الجوارى حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم » وكيف يخرج هذا الغزل الرقيق من قلب خال من الهوى وإن لصاحبه من حب الجمال ما جعله يتخذ له قصراً فى وسط العقيق عش الأدباء والظرفاء والمجان .

ومن تهكمها : أنها كانت فى مأتم فيه بنت لعثمان بن عفان . فقالت بنت عثمان مفتخرة : « أنا بنت الشهيد » فسكتت سكينة فقال المؤذن : « أشهد أن محمداً رسول الله » فالتفتت إلى بنت عثمان وقالت لها : « هذا أبى أم أبوك ؟ ! » فبهتت العثمانية وقالت : « لا أفخر عليكم أبداً »

وكانت تسلك طريق الدعابة والمزح فى حياتها ، ونوادرها أكثر من أن تحصى

ومن ذلك أن لسعتها دبيرة . فقالت لها أمها مالك ؟ فضحكت وقالت : « لسعتنى دبيرة ، مثل الأبيرة ، أوجعتنى قطيرة » .

وبعثت مرة إلى صاحب الشرطة : أنه قد دخل علينا رجل شامى فابعث إلينا بالشرط . فركب معهم وأتى إلى باب سكينة . فأمرت ففتح له . ثم أمرت جارية من جواريها فأخرجت إليه برغوثاً وقالت : « هذا الشامى الذى شكوناه » فانصرفوا يضحكون . ولعل أجمل مزحها كان مع أشعب خادمها ومضحكها . وكم لاقى هذا المخنث من تنفيذ أوامرها الأمرين : تارة تأمر جواريها أن يطأن بطنه وطأً شديداً تكاد تخرج أمعاؤه منه . أو تأمرهن أن يخنقنه أو يسحبنه على وجهه ويلقى خارج الدار . أو تأمره أن يقلد أصوات الحيوانات فيموى كالهرة أو يهر كالكلب .

غضبت يوماً عليه فدعت حجاماً ليحلق لحيته . فقال له الحجام : انفخ شدقيك حتى أتمكن منك — وأشعب حتى فى مثل هذه الحالة يحاول أن يضحك سيدته — فقال للحجام : « أمرتك أن تعلمنى الزمر أو أن تحلق لحيتى ؟ ! » فضحكت وعفت عنه .

وغضبت عليه مرة أخرى فأمرت أن يتخذ بيت من عود ويوضع فيه بيض وتبن وأدخلت أشعب به . وحلفت ألا يخرج من البيت حتى يحضن البيض كله إلى أن يفقس . ففعل أشعب — وكلما دخل زائر إلى دار سكينة كان أشعب يقرقر مثل الدجاجة — حتى فقس البيض كله فراريج . وأمرت أن تربى الفراخ بدارها . وكانت تنسبهن إليه وتقول : « بنات أشعب »

تأثيرها فى المجتمع

ولم تقتصر شهرتها بين أهل عصرها فى العلم والأدب والفن بل كان لها تأثير شديد فى كل ما تفعله . فلم تظهر بزى إلا انتشر بين فتيات الطبقة الأرستقراطية وتعداهن إلى بقية الطبقات . ذلك لأن السيدة سكينة أول من ابتكره وظهر به . كما كانت تصفف جمتها تصفيفاً لم ير أحسن منه . وصارت الجمة «السكينية» هى المتبعة فى تصفيف الشعر . ولم يقتصر هذا التقليد على النساء بل إن فتيان قريش أخذوا ينسقون شعورهم على مثالها . وكان عمر بن عبد العزيز إذا رأى رجلاً يصفف جمته « السكينية » جلده وأمر بحلق شعر رأسه .

وأما تنسيق ندوتها وما يجد فيها من رياش وأثاث ورياحين فكان حديث فتيات قريش . فما من فتاة إلا وتزور هذه الندوة لتنظر ما استجد بها مما أبدعته قريحة سكينة لتقلدها فى ذلك .

فإن السيدة سكينة هى سيدة نساء عصرها على الإطلاق . كانت أحسنهن عقلاً وأظرفهن وأعلمهن وأعلاهن مقاماً وأرفعهن أدباً . تجالس الأجلة من قريش ويسعى إلى مجلسها أصحاب العلم وأرباب الفن يستمعون إلى محاضرتها أو يلتمسون صلتها . كما كانت تطرح عليهم الأسئلة وتجادلهم بما يقولون وتنتقد آراءهم ولا تخشى فى الحق لومة لائم ؛ ولهذا نرى قاصديها يحسبون لها حساباً . هكذا تألق هذا النجم فى سماء المدينة وظل يهتدى به حتى سنة ١١٧هـ

وفاتها

وفى صباح يوم شديد الحر فاضت روحها وانتقلت إلى جوار ربها . خرج النعش يتهادى بين الجموع المحتشدة والقلوب الخاشعة والعيون الدامعة . ولكنها « حتى على الموت لا تخلو من الحسد » فإن أمير المدينة خالد بن عبد الملك أمر أن يؤخروا الصلاة عليها حتى يحضر وجلس الناس حولها حتى العشاء ولم يحضر ؛ وغلبهم النعاس فأوقدوا حولها عوداً بأربعمائة دينار وصلوا عليها جماعات جماعات . وفى صباح اليوم التالى دفنوها ودفنوا معها العلم والأدب والفن .

أقفرت الدار من سكينة فلا شعراء ينشدون ، ولا علماء يتجادلون ، ولا رواة يحدثون ، ولا أدباء يحتكمون .

« أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذى أخنى على لبد »

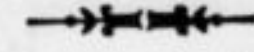
(الموصل) سعيد الديوه جى

الذكرى الباسمة

لشاعر العاطفة والوجدان جان ريشبان (*)

JEAN RICHEPIN

للأستاذ عبد العزيز العجيزى



لن أنسى لك أبداً أول حديث فى الحب ، فعلى الرغم من انصرافى إلى الصلوات ، إلى الحسرات وتأوهات الضمير ، سأجثم كابياً ؛ غير جائل بالفكر فيما يثير الفزع فى نفسى ، بل سابحاً بخاطرى فى ذكرى ليلة مقمرة ولت ولم تعد

***

لن أنسى لك أبداً أول مناغاة ساحرة ، ولا ما ألاقيه من عنت الزمان وتتابع الحدثان وغفلة النسيان ، ولا من تكدير الصفو وعبوس الجو ؛ فقد طويت صفحات حظى طياً ، لأودع فى ثناياها فؤاد وردتى الناعسة .

***

لن أنسى أبداً أول عُرس لربيع أيامنا ، حينما لمع لى سنا عينيك وبدا أشد فتنة وخلابة وإغراء من السماء الصافية ، والغابة الزاهية ، والشمس الغاربة ؛ حينما قبلت عبير الهوى المترقرق من ثغرك الباسم . لن أنسى ذلك أبداً وإن غيبتنى المنون ...

***

الأطيار سكرى بسلاف شفاه الأزهار ، والأغانى والأغاريد راقصة على خدود الورود ، لا لشىء سوى ارتشاف عذب نغمات هوانا . فواهاً لهذا الطير ! وواهاً لهــذا الزهر ! بل واهاً لغرامنا الجامح وحبنا الهائم !

***

فى نشوة تلك الساعة غاب صوابنا حتى عن حمد الله ، وتوهمنا اللحظات تمضى على رِسلها بينما الحب مقيم دفين ، فرتبنا لقاء الزمن الوليد ترتيب المصفور لوكره . مسكين ! مسكين أيها الطفل الوليد ؛ فقـد أخذتنا غفوة سمعنا فيها هتاف صوت يردد : كل شىء لا يغنى .

***

لكن، أواه! إنى لا أروم إثارة أحزانى وأشجانى. أواه حبيبتى ! أواه رفيقة صباى ! أواه ليلاى ! سوف يُنفخ دائماً فى مزمار آهاتى وشكاتى . سوف أتنقل فى روض ذكراك ، جانياً قطوف حلاوتك وأفاويق عفتك ، متنسما شذى قبلاتك المناجية مناجاة قبلات القمر الحالم .

***

أهيم بذكرى قدك الرخص البارع ، وغصنك المعتدل الفارع ، ذكرى جسدك الذى مازج أشواقى فى معبدها الروحانى ، ذكرى أريج أديمك الأشد من رحيق عتيق المدام ، ذكرى الأزهار الفواحة بمداعبة جيدك الأندى من الفجر ؛ ذكرى مرقدنا الحاقد على هوانا ، الملتهب غيرة وحسداً .

***

أهيم بذكرى أيامى السادرة فى ثنايا عمرى ، ويغمرنى عُباب ذكرياتى المقدسة . وحين يشتعل رأسى شيباً ، ويغضن الهرم وجهى ، وأصبح مثل « كاساندر »(١) سأستمد الدفء من قبس ربيع حيـــاتى ؛ وسألتمس دائماً حرارة هـــذا القبس من تحت ذرات الرماد .

***

عندما يهب إعصار الفناء ، وأحس برد الموت يتمشى فىّ ، سأذكر ربيع عمرنا الطلق النضير . وألفظ حين ذاك النفس الأخير ، فيخبو سراج ذكراى ، وتنعم هنالك روحى بالضوء السنى فى هيكلها النورانى ، وأودع الحياة فى موكب الذكرى ناعم البال ، إلى أفق باسم لألاء .

(المنصورة) عبد العزيز العجيزى

---

(١) شاعر فرنسى من شعراء القرن التاسع عشر يمتاز بألفاظه الموسيقية ومعانيه الخيالية . له دواوين شعرية جمة ، أهمها : « المناغاة » ومنها ترجمنا هذه النغمة الشذية .

(١) مثل يطلق على كل مسن جاحد فى تصديق عواقب الأمور رغم بصيرته .

٥١ ـ المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزى ادورد وليم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

الفصل الخامس عشر

استعمال التبغ والبن والحشيش والأفيون الخ

إن تحريم الخمر بأنواعها في التشريع الإسلامي ، جعل المسلمين يلجأون إلى وسائل أخرى تسبب لهم نشوة خفيفة أو ضروباً مختلفة من الطرب الشديد

وأكثر هذه الوسائل انتشاراً فى أغلب البلدان الإسلامية ما يسميه العرب « كيفاً » وهو تدخين التبغ ، ولا يمكننى أن أترجم هـذا اللفظ بأكثر من « لذة لطيفة » . ويبدو أن هذا التبغ أدخل إلى تركيا وجزيرة العرب وغيرهما من بلاد الشرق قبيل القرن السابع عشر من الميلاد[1] أى بعد سنوات قليلة من انتظام تصديره كسلعة تجارية من أمريكا إلى أوربا الغربية . وكثيراً ما اشتد الجدل حول إباحة التدخين للمسلم[2] غير أن ذلك جائز الآن . وقد غير التبغ من طباع المدمنين عليه من الترك والعرب وجعلهم على الأخص أكثر كسلاً مما كانوا عليه قبلاً ، فهم يضيعون فى تدخين شبكهم وقتاً طويلاً . إلا أنه كان ذا أثر آخر حسن ، فقد أغنى إلى قدر كبير عن استعمال النبيذ الذى يضر على الأقل بصحة سكان الأقاليم الحارة . وتقدم قصص ألف ليلة وليلة التى كتبت قبل استعمال التبغ فى الشرق والتى تصور لنا بلا ريب عادات العرب وشمائلهم فى ذلك الوقت تصويراً صادقاً ، تقدم هذه القصص أدلة وافرة على أن المسلمين وقتئذ أو فى العصر السابق مباشرة كانوا يشربون النبيذ علانية . ويمكن أن نقول دفاعاً عن الشبك ـ كما يستعمله العرب والترك ـ أن أنواع التبغ الخفيفة التى يستعملونها عادة لها تأثير لطيف . فهى تهدئ الجهاز العصبي وترهف الذهن بدلاً من أن تبلده . ولا شك أن الشبك يتضمن كثيراً من ملذات الشرقيين ويقدم إلى الفلاح منعشاً رخيصاً زهيداً ويبعده فى الغالب عن الملذات المضرة

وتعتبر القهوة ، نعماً مماثلاً للتبغ وتؤخذ معه ، وقد ساعدا على جعل النبيذ أقل انتشاراً بين العرب . ويؤيد هذا الافتراض لفظ « القهوة » وهى تسمية عربية قديمة للنبيذ . ويقال إن هذا الشراب المنعش اكتشفه فى الجزء الأخير من القرن السابع للهجرة أو الثالث عشر من الميلاد متعبد عابد الشيخ عمر دفعه الاضطهاد إلى أحد جبال اليمن مع بعض أتباعه ، وحمله الجوع إلى أن يشرب منقوع البن الذى ينبت هناك بالطبيعة . غير أن استعمال البن لم ينتشر فى اليمن إلا بعد هذا الزمن بجيلين . وقد استوردت مصر البن بين سنتى ٩٠٠ و ٩١٠ هجرية أى فى أواخر القرن الخامس عشر أو ابتداء القرن السادس عشر من الميلاد ، أو قبل إدخال التبغ إلى الشرق بجيل تقريباً . وكان يشربه حينئذ فى جامع الأزهر فقراء اليمن ومكة والمدينة الذين وجدوا فيه منشطاً لهم على العبادة والتسبيح ، وكانوا يعكفون على شربه بكثرة . وأدخل البن إلى الأستانة بعد ذلك بنصف قرن تقريباً[1] . وقد أثارت القهوة منازعات حادة بين المتعبدين والمتعلمين فى جزيرة العرب ومصر والأستانة . فكان كثير من العلماء يؤكد أن القهوة لها خصائص مسكرة فتحرم على

---

(١) يقول الاسحاقى أن عادة التدخين بدأت تنتشر فى مصر بين عامي ١٠١٠ و ١٠١٢ هجرية (١٦٠١ — ١٦٠٣ ميلادية)

(٢) يروى الجبرتى أنه كثيراً ما كان يحدث فى عهـد محمد على باشا البدكشي الذى ولى مصر ١١٥٦ إلى ١١٥٨ هجرية أن يجبر كل من يحمل شبكا على أكل حجر الشبك ومحتوياته الملتهبة . وقد يبدو هذا غير معقول ولـكن الأسنان القوية تستطيع أن تهشم حجر الشبك (المؤلف)

« وفى أيامه (أيام محمد باشا اليدكشى) كتب فرمان بتحريم شرب الدخان فى الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت ، ونزل الأغا والوالى فنادوا بذلك وشددوا فى الانكار والنكال بمن يفعل ذلك من عال أو دون ، وصار الأغا يشق البـلد فى التبديل كل يوم ثلاث مرات ، وكل من رأى فى يده آلة الدخان عاقبه وربما أطعمه الحجر الذى يوضع فيه الدخان بالنار » . أنظر تاريخ الجبرتي الفصل الثاني فى ذكر حوادث مصر وولاتها . الفقرة الخاصة بتولية محمد باشا البدكشى مصر (المترجم)

---

(١) أنظر دساسى De Sacy فى : مختارات من الأدب العربى Chrestomathie Arabe الجزء الأول ص ٤١٢ — ٤٨٣ الطبعة الثانية

المسلمين[1] بينما كان آخرون يقررون أن للقهوة فضائل ، إحداها مقاومة النوم فتكون عوناً قوياً للأتقياء على عبادتهم ليلاً . وكثيراً ما كان بيع البن حينئذ يحرم ويحلل حسب رأى الحاكم . أما الآن فيقول جميع المسلمين تقريباً بحل القهوة ، ويفرطون فى استعمالها ، وحتى الوهابيون الذين هم أشد المسلمين صرامة فى الحكم على التبغ والتمسك بأحكام القرآن والحديث . وكانت القهوة بجهز قبلا من حب البن وقشره معاً . ولا تزال تعدّ فى جزيرة العرب منهما معاً أو من القشر فقط . وتحضّر فى البلاد الشرقية الأخرى من الحب وحده يقلى ويطحن أولاً فأولاً .

فى القاهرة أكثر من ألف « قهوة »[2] . والمقهى غرفة صغيرة ذات واجهة خشبية على شكل عقود[3] . ويقوم على طول الواجهة ، ما عدا المدخل ، مصطبة من الحجر أو الآجر تفرش بالحصر ويبلغ ارتفاعها قدمين أو ثلاثاً وعرضها كذلك تقريباً . وفى داخل المقهى مقاعد متشابهة على جانبين أو ثلاثة . ويرتاد المقاهى أفراد الطبقة السفلى والتجار وتزدحم بهم عصراً ومساء . وهم يفضلون الجلوس على المصطبة الخارجية ويحمل كل منهم شبكه الخاص وتبغه . ويقدم « القهوجى » القهوة بخمس فضة للفنجان الواحد أو عشر فضة « للبكرج » الصغير الذى يسع ثلاثة فناجين أو أربعة[4] . ويحتفظ القهوجى أيضاً بعدد من آلات التدخين من نرجيلة وشيشة وجوزة[5] . وتستعمل هذه الأخيرة فى تدخين التمباك والحشيش الذى يباع فى بعض المقاهى . ويتردد الموسيقيون ، والمحدثون على بعض المقاهى فى الأعياد الدينية خاصة

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) وقد نسب بعضهم إلى القهوة الاضرار بالعقل والبدن إلى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية إلى الجدال والفتن وحصول ما أدى إلى منع بيعها وكسر أوانيها بل وإلى تعزير باعتها بالضرب وغيره . أنظر الباب الأول من كتاب : « عمدة الصفوة فى حل القهوة » للشيخ عبد القادر محمد الأنصارى الجزيرى (المترجم)

(٢) يطلق لفظ القهوة ، وهو اسم الشراب على المكان الذى تباع فيه

(٣) أنظر الرسم الموجود فى الفصل الحادي والعشرين

(٤) وكثيراً ما يباع فى المقهى أيضاً فى ليالى الأعياد خاصة شراب الزنجبيل المحلى بالسكر

(٥) وصفت هذه الآلات فى فصل سابق

غروب . . . !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَا لِي أَحِسُّ كَأَنَّ عُمْرِيَ فى يَدِ الأَحْزَانِ يُطْوَى ؟!
نَفْسِي تَنَاهَبَهَا الشَّقَاءُ وَلَمْ تَجِدْ فِى الْجِسْمِ مَأْوَى
قَلْبِي أَذَلَّتْهُ الْجِرَاحُ فَمَا يُطِيقُ بِهِنَّ شَكْوَى
حُبِّي اسْتَحَالَ رِوَايَةً لِلدَّمْعِ يَعْصِرُهَا فَتُرْوَى
وَصِبَا غَرَامِيَ صَارَ أَبْعَدَ مِن مَشِيبِ الغَيْبِ شَأْوَا
أَغْدُو ، وَأُمْسِي ... وَالأَسَى نَارٌ أُذَابُ بِهَا وَأُكْوَى !
رَبَّاهُ ! مَا أَنَا ؟ ... هَلْ وُجِدْتُ عَلَى زَمَانِ النَّاسِ سَهْوَا !
سَوَّيْتَنِي رُوحاً ... تَمَرَّدَ أَنْ يَرَى الأَرْضَ مَثْوَى
وَأَنَا التُّرَابُ ! فَكَيْفَ صِرْتُ هَوًى ، وَتَعْذِيباً ، وَشَجْوَا !
شُرُفَاتُ غَيْبِكَ لَا يُتِحْنَ لِغَيْرِ مَنْ يَبْكِي دُنُوَّا
وَأَنَا إِلَيْكَ ذَرَفْتُ أَيَّامِي فَزَادَ دَمِي عُتُوَّا
وَرَأَيْتُ سِحْرَكَ فِى الْوُجُودِ أَضَلَّ إِحْسَاسِي وَأَغْوَى !
النَّهْرُ جَبَّارٌ عَصَاكَ فَلَاحَ مَحْمُوماً تَلَوَّى
وَالعِطْرُ زِنْدِيقٌ يُذِيعُ عَذَابَهُ ... وَيَقُولُ : سَلْوَى !
وَالطَّيْرُ مَجْرُوحُ الغِنَاءِ وَيَلْبَسُ الآهَاتِ صَفْوَا
وَالرِّيحُ جِنٌّ آثِمٌ وَخَزَتْهُ زَلَّتُهُ فَدَوَّى ...
... وَطَوَى الفَضَاءَ مُزَمْجِراً مُتَضَرِّعاً يَسْتَلُّ عَفْوَا !
وَالشَّمْسُ مَسْلُولٌ تَلَفَّعَ بِالْغُيُومِ وَدَسَّ بَلْوَى ...
... قَلِقَتْ عَلَى شَفَقِ الْمَغِيبِ كَأَنَّهَا فى النَّارِ تُشْوَى !
وَاللَّيْلُ أَقْبَلَ يَمْلأُ الْقِيعَانَ أَسْرَاراً وَنَجْوَى ...
وَأَنَا الْغَرِيبُ شَرِبْتُ أَحْزَانِي فَقِيلَ : شَرِبْتُ لَهْوَا
وَبَكَيْتُ حَتَّى خِلْتُ أَجْفَانِي مُعَذِّبَتِي وَنَشْوَى !
مَاذَا رَجَائِي فى الْحَيَاةِ إِذَا انْتَهَى مَا كُنْتُ أَهْوَى
وَوَقَفْتُ أَحْفِرُ لِلْجِرَاحِ طَرِيقَهَا ... فَتَعُودُ شَدْوَا !

محمود حسن اسماعيل

نظرة جديدة

فى «ليالى الملاح التائه»

بمناسبة طبعته الجديدة

للأديب حسين محمود البشبيشى

من حيوية الفن الحق أن يتجدد أثره فى النفس برغم تقادم العهد ، بما يبعث فى نفس المتأمل من أحاسيس . وإنى لأجد اليوم فى الحديث عن «ليالى الملاح التائه» نشوة المقبل على شىء جديد وما ذاك إلا لتجدد ما يهيجه الديوان من بوارق الحس . وسنحاول فى هذا المقال أن نسبر غور هذه النفس الشعور ونرجع عبقريتها الفنية إلى أسسها الأصيلة . تنهض شاعرية صاحب الليالى على أساسين : سعة الفقل المطلع ، ووضاءة الشور الفنى . فإنك لتلمح أثر العامل الأول فى مسايرة الشاعر لكل ما يضطرب فى عالم الإنسانية من أفراح وأحزان . فقد طلع علينا الشاعر الفنان فى كثير من المناسبات وسجل الكثير من المرائى الفاتنة ، وإن ذلك ليظهر جلياً فى قصائده : مصرع الربان ، وبحيرة كومو ؛ وليس أدل على أصالة هذا الأساس فى نفسه من مسايرته له فى كل الأحايين ، وما عهدنا بقصائد : عيد الميلاد ، وستالينجراد ببعيد ! ... مثل هذا يدل على أن الشاعر قد نزع قيود الشخصية المحدودة وحلق فى جو الإنسانية الفسيح فأطلع طائره يمجد مصرع الربان ، وداعب قيثاره يخلد ثبات ستالينجراد ، وذاب لهفة وتقدبراً وإعجاباً بفتنة فينسيا . ورأى بحيرة كومو وراقه منها :

بهج فى كنوزها للمحبين مدَّخر
بابل أم بحـــيرة أم قصور من الدرر
أم رؤى الخلد فى الحيـــاة تمثلن للبشر

هاله السحر منها فهتف :

لا تقل أخصب الثرى فهنا أورق الحجر !!

وما كان ليستطيع أن يقول سوى هذا وهو العابد للجمال والقائل:

هاهنا يشعر الجماد ويوحى لمن شعر !

تلك لمحة تكشف عن انطلاق شاعرنا من قيود البيئة المحدودة ونظرته إلى مفاتن ومباهج الكون كوحدة تنعكس فى قلبه الشاعر !

أما الأساس الثانى فهو وضاءة الشاعرية التى توشك أن تطبعه بطابع خاص يكسب قصيده عذوبة فى الجرس ، ورقة فى الصياغة ، وأناقة فى اختيار الكلمات التى تطالعك كالعروس فى جلوتها . ومن منا لم يطرب لروعته الموسيقية وفتنة التركيب وحسن الاختيار الموفق للبحر الذى نسج منه الجندول وروعة اختتامه بعض أبياتها بكلمات توشك أن ترقص من رقة النغم ... مثل «خمره ، ثغره، عبره ، إثره ...» إن القارئ ليوشك أن يجد نفسه مترنماً مرتلاً لتلك الأبيات التى تتوجها هذه الكلمات فى غير ما شعور وبغير إرادة

تلك هى الحيوية الموسيقية عند ملاحنا التائه . وإنها لتملك عليه حواسه وتنظمها وتسيرها فتراه وقد تأمل في مظاهر الجمال ، وبواعث الشعر تتوافر على حسه المشاعر، وتتوالى على قلبه العواطف فلا يسعه إلا أن يعبر عن هذه العواطف المنثالة المتدفقة فى أنغام تجمع بين صدق العاطفة وتدافع الحس . . . وهو حينئذ يحسن أن يعبر فى مقاطع رنانة قصيرة تعطى القارئ فكرة سرعة الانتقال النفسى الوجدانى ... أنظر إليه وقد تدفق قائلاً فى عاطفة متدفقة تظهر جلية في تدافع النغمات فى كلمات . . . (دعوات) و (فرحة) و (نشيد) ...

مهرجانٌ ممالك الشرق فيه دعوات ، وفرحة ، ونشيد !!

وإن ذلك ليظهر أيضاً فى قوله :

وسلمت يا مولاى للوطن الذى بك يستظل ، ويستعز ، ويسلم

فقد تزاحمت وتواترت الخواطر والأحاسيس فهتف قائلاً «بك يستظل» ، ثم تدفق مغرداً «ويستعز» ، ثم صاح منشداً «ويسلم» . ومن هذا قوله :

صوامع رهبان ، محاريب سجَّد هيا كل أرباب ، عروش قياصر

وثمة ناحية أخرى جديرة بالتأمل أخطأ فهمها بعض الناس ... وهى ميل ملاحنا التائه إلى تكرار بعض الصور والألفاظ مما جعل بعض مراض القلوب يتوهمون أن ذلك وليد قصور فى التخيل وضيق فى الأفق ... وما ذلك من الحق فى شىء . بل إننا لننظر إلى الأمر نظرة المتأمل فنقول : التكرار عندنا نوعان ... تكرار يوشك أن يقتصر على مرتين أو ثلاث ، وتكرار لا تحدّه أرقام فهو طليق طلاقة الحس المعبر ... والأول نراه من مظاهر القصور ، والثانى نعتقد أنه من آثار الاتصال بين مظهر التعبير وجوهر الشعور . وعلى طه فى تكراره فنان يساير مشاعره ويعجب بفنه ؛ وهيهات أن يستطيع الخلاص من قيد عواطفه . وإذا كان فى قرارته حبٌ لشىء أو معنى فلا أقل من أن ينطلق مردداً له مستطيباً لتكراره ... ولكنه حين يكررها يبدل فى عرض مشاعره ويلبسها ثوباً جديداً تستشف من خلاله اتصالها بوشائج قوية مع أصولها الثابتة فى أغوار نفسه . ولعل المسألة تظهر جلية إذا علم القارئ أن أهم صفة فى خلق شاعرنا هى الوفاء ... فما يستغرب إذاً منه الوفاء لبعض أحاسيسه ... ! وما تلك الأحاسيس والصور التى يطيب للملاح أن يكررها ... ؟ هى : (الحلم ، الأشباح . الزورق . الكأس) نعم إن المتأمل ليهوله كثرة ماردد شاعرنا العبقرى هذه الكلمات ... ولكننا بقليل من التأمل نقول إن هذه الكلمات وإن اختلفت فى الدلالة فقد اتفقت فى الباعث الأصيل لها ... وإليك الدليل ... إن الانفعال الذى تحسه عند تصورك الحلم وانطلاقه هو بلا ريب ما تحسه عند توهمك الشبح وتهاويله . وما يصدق على الأحلام والأشباح يصدق على الكأس وعصيرها . وهل كانت الكأس إلا الوسيلة للانطلاق فى جواء سحيرة فسيحة ؟ وإن ما يصدق على الأحلام والأشباح والكأس ليصدق على حيرة الزورق ، فإن حيرته لتمطيك رهبة الرياح الهوج والأمواج الرعن ... هذا وإلى القارئ بعض هذا التكرار الفنى الجميل الذى يرتكز على طبيعة حق فقد كرر كلمة الحلم قائلاً :

(حلم مثلته فى خاطرى) ، (يا عروس البحر يا حلم الخيال) ، (غرقان فى حلم عذب تسلسله) و (أحلام الليالى الكواعب)

وتكراره لكلمة الكأس (لو سق مثواك بالكأس الصبيب) ، (هى الكأس مشرقة فى يديك) ، (هىَ الكأس والوتر) . وتكراره لكلمة الزورق (وضمنا فيه زورق يجرى) ، (يسرى عليها للملائك زورق) ، (نرقب النيل تحت زورقه) .

... وثمة ناحية أخرى تلمحها خلال ديوانه وهى أن أصدق ما صاغه فى حب وطنه كان وهو فى غربة عنه ؛ وتلك بارقة نفسية عميقة تدلنا على أن الفاقد للشىء هو خير من يقدره ... أنظر إليه كيف تذكر النيل ومصر وهو على ضفاف (كومو) وفى جلوة الجندول بفينسيا . وبعد فلا يسعنا إلا أن نهتف أن هذا الشاعر المغرم بالأشباح والحيرة والشرود والأحلام والزورق خير مثال لتأثر الشاعر وتقيده بأحاسيسه الأصيلة ... أفلم يخضع لهذه الحيرة السابحة والأحلام والأشباح فأبى إلا أن يكون ملاحاً تائهاً ...

محيى محمود البشبيشى



هل الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور فى القرآن الكريم

يعتقد بعض المؤرخين خطأ أن الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور فى القرآن الكريم . فنجد المقريزى والمسعودى يحاولان أن يثبتا أنه (هو) ، وكذلك الأستاذ فريد وجدى فى دائرة معارفه ، وغيرهم كثيرون . ومنهم من يدعى أن سبب تسميته بذى القرنين أنه ملك قرنى الدنيا ، وأن له ضفيرتين ، أو أنه شجاع كالكبش ، وغير ذلك من الترهات التى لا يجوز أن يعتمد عليها المؤرخ . ويخيل إلى أن سبب خطئهم جميعاً هو عدم اطلاعهم على التوراة . فلو رجعنا إليها لعرفنا سبب هذه التسمية التى ألصقها المؤرخون خطأ بالإسكندر

ولكى نلم بالموضوع يحسن أن نتساءل : لماذا ذكر القرآن الكريم شيئاً عن ذى القرنين ؟ وجواب ذلك سيوضح لنا كل شىء : سأل اليهود وكفار قريش النبى عليه الصلاة والسلام عن شخص لم يذكروا اسمه جاب الدنيا شرقاً وغرباً ، وكان له ملك عظيم . ويقصد اليهود بذلك ذا القرنين المذكور فى التوراة . فنزلت آيات القرآن الكريم عن ذى القرنين فى سورة الكهف . وإليك رواية التوراة : رأى النبى دانيال عليه السلام فى المنام كبشاً ذا قرنين وفسره فى التوراة بمملكة فارس التى لم تكن قد ظهرت بعد . ورأى كبشاً آخر ذا قرن واحد يهجم على هذا الكبش ذى القرنين ويقتله . وفسّره فى التوراة بملك من ملوك اليونان سيظهر في المستقبل ويقضى على دولة الفرس العظيمة ... وعلى ذلك فالمقصود بذى القرنين دولة فارس العظيمة التى أسسها الملك كورش والتى تنتهى بالملك دارا الثالث الذى فى عهده قضى الإسكندر على دولة الفرس . والمقصود بذى القرن الواحد الإسكندر الأكبر

ودولة فارس كانت عاصمتها سوس فى جنوب غرب إيران . وكان الشعب الفارسى فى الجنوب والميديّون فى الشمال . والقرنان إشارة إلى هذين الجنسين . والقرن الواحد إشارة إلى أن اليونان جنس واحد . وكانت دولة فارس تملك عدا بلادها التركستان فى وسط آسيا ، وبابل فى حوض نهرى الدجلة والفرات من الجنوب ، وآشور فى شمال بلاد النهرين ، وبلاد آسيا الصغرى ، والمستعمرات اليونانية التى بها ، وبلاد الفينيقيين بسورية ، وأرض العبرانيين بفلسطين ، ومصر ... وعلى ذلك فالآيات القرآنية الكريمة التى جاءت فى سورة الكهف هى فى الحقيقة تاريخ دولة برمّتها ، والأعمال التى قام بها ملوكها . ومع ذلك إذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجده يرفع ذا القرنين إلى مصاف المؤمنين ، فى حين أن الإسكندر الأكبر كان وثنياً يدّعى أنه ابن الإله آمون ، وأوصى بأن يدفن بعد موته بمعبد آمون بسيوة . وكان متهتكاً يميل إلى الفجور وشرب الخمر وكان ذلك سبب وفاته . وكانت جثته تعبد بعد موته . فلا يعقل أن يكون هو ذا القرنين الذى يقول فيه القرآن الكريم : (قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرا . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى) . والآية الكريمة التى تقول : (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) تنطبق على الملك كورش الذى اتجه غرباً وفتح بلاد الفينيقيين بسورية حتى بلغ البحر الأبيض المتوسط (فوجد الشمس تغرب فيه) . أما سد يأجوج ومأجوج فالذى أقامه هو الملك كورش أيضاً ، وهو الآن فى موضع اسمه (دربند) ومعناها السد ، وهو أثر سد قديم بين الجبال فى بلاد التركستان فى وسط آسيا . ويروى الرواة فى تلك البلاد أنه كان خلف هذا المكان قديماً قبيلتان : إحداهما تسمى ياقوق والأخرى ماقوق . ولقد غار السد بفعل الزلازل . وهذا يفسر قوله تعالى : (فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء) . ومن نسل يأجوج ومأجوج كانت جيوش تيمورلنك وحفيده هولاكو الذين خربوا بغداد وأسقطوا الدولة العباسية .

من هذا نرى أن الإسكندر ليس ذا القرنين ، وعلى ذلك ليس من العدل أن نلصق به هذا اللقب بالإكراه . وإذا كان ولا بد أن نجعل له قروناً فلا مانع من تسميته بذى القرن الواحد .

الدكتور ابراهيم الدسوقى

حول تراث بنى اسرائيل

قرأت ما كتبه الأستاذ الساكت رداً على تخطئتى للمفسرين فى تراث بنى إسرائيل ، فوجدته يؤيد ما ذكروه من رجوع بنى إسرائيل إلى مصر بأن الألوسى رأى فى بعض الكتب أنهم رجعوا مع موسى وبقوا معه بمصر عشر سنين ، وبأن صاحب

كتاب الأصول البشرية ذكر أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر الذي فر إلى بلاد الحبشة حكم مصر ثلاث عشرة سنة ، وبأن المتبادر من قوله تعالى : (ويستخلفكم فى الأرض) . وقوله : (قلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) وقوله : (وأورثناها بنى إسرائيل) أنهم رجعوا إلى مصر

وكل هذا لا يفيد الأستاذ الساكت بشىء ، لأن الله تعالى قد عين ذلك التراث فى قوله : (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) فالأرض المباركة هى أرض الأنبياء من المسجد الأقصى وما حوله ، كما قال تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) وهى الأرض المقدسة التى ذكر الله أنه كتبها لهم فى قوله : (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم) فهذه الأرض هى التى كانت مطمح بنى إسرائيل ، وهى الأرض الذى كانوا يتطلعون إليه ، وأرسل موسى لأجل أن يمكنهم منه

وقد فصل الله تعالى ما جرى لبنى إسرائيل بعد مجاوزتهم البحر ، وكرره فى سور كثيرة من القرآن الكريم ، وذكر من ذلك أنه حاول أن يحملهم على دخول الأرض التى وعدوا بها ، فهابوا قتال أهلها (قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ، قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين)

ولم يذكر الله تعالى فيما فصله وكرره من ذلك أنهم رجعوا إلى مصر ، وهو لو صح حادث عظيم ما كان الله تعالى ليهمل ذكره ، على أن أولئك القوم الذين عجزوا عن فتح بيت المقدس ، وأظهروا ذلك العجز والجبن ، لا يعقل أن يقووا على فتح مصر ، ولا يعقل إلا أن يبقوا فى ذلك التيه الذى ضربه الله عليهم ، وإلا أن يحرمهم الله نعيم مصر أيضاً جزاء فسقهم وعصيانهم

ولا شك بعد هذا فى أن ظاهر القرآن الكريم يشهد لذلك التفسير الذى ذكرته ، وهو التفسير الذى يتفق مع المعروف من تاريخ مصر القديم وتاريخ بنى إسرائيل ، ولا اعتداد بتلك الروايات المجهولة التى ذكرت فى المنار وغيره ، ولم تبين لنا كيف ملك موسى مصر ، ولا كيف تركها بعد أن تمكن منها

والله يعلم أنى لم أطلع على ذلك التفسير الذى يتفق تفسيرى معه ، وإنما كان ذلك من توارد الخواطر ، والخطب فيه سهل .

عبد المتعال الصعيدى

دفاع عن البلاغة

(بقية المنشور على صفحة ٢٠٢)

وهل تنتظر من رجل لا يقول إلا ليعبر عما فى نفسه أن يقول غير ما فى نفسه ؟ وكيف يجازف بالألفاظ حين يصف وهو لا يصف إلا ما أثر فى قلبه أو وقع تحت حسه ؟ فليت شعرى هل نستطيع أن نكون اليوم كالبدو طبيعيين نستلهم الواقع ونستوحى الطبيعة ! اليقين الذى لا ريب فيه أننا لا نستطيع ، لأن حياتنا قد أصبحت من التركب والتعقد والتصنع بحيث لا تجد غريزة على جبلتها ، ولا عادة على طبيعتها ، ولا عاطفة من عواطف الناس على أصلها وحقيقتها . فنحن نتغزل من غير حب ، ونمدح من غير عاطفة ، ونصف ما لم نر ، ونقص ما لم يقع ، ونتقمص فى القصص أشخاصاً خياليين أو حقيقيين فنتكلم بلسانهم ، ونشعر بشعورهم . فكيف نستطيع فى هذه الأحوال أن نجد العبارة والحرارة اللتين يجدهما البدوى أو الهمجى ، من دون كد ولا معاناة ؟ لقد جعلنا الطبيعة بالتصنع فناً ، فينبغى أن نجعل الفن بالتطبع طبيعة .

« للكلام بقية »

احمد حسن الزيات

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 507

Lundi - 22 - 3 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٠٧ «القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٢ مارس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهــرس

صفحة		
٢٢١	فلسفة الترجمـــة	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٢٢٤	الشعب هو المسئول عن الاصلاح الاجتماعى ...	الدكتور زكى مبارك ... ...
٢٢٩	قلمى	الأستاذ « د . خ » ...
٢٣٢	لا ... بل النحاة واللغويون ثقات !	الأستاذ عبد الحميد عنتر ...
٢٣٤	طيبة تستقبل فرعون مصر	الكاتب الفرنسى تيوفيل جوتييه بقلم الأستاذ أحمد أحمد بدوى
٢٣٧	نحن ! ... [قصيدة]	الأديب محي الدين صابر ...
٢٣٧	دمعة علي الماضى «	الأديب عبد الرحمن الخميسى
٢٣٧	عودة « الرسالة » «	الأديب حسين محمود البشبيشى
٢٣٨	ذو القرنين هو الاسكندر المقدونى	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٢٣٩	(١) فتاوى السيد رشيد رضا	الأستاذ محمود أبو رية ...
٢٣٩	(٢) ذكرى السيد جمال الدين	
٢٣٩	توضيح شبهة فى كتاب « عبقرية عمر »	الأستاذ رضا محمد دباجة ...
٢٣٩	السعادة فى نظر ديكارت	الأديب زكريا إبراهيم ..
٢٤٠	أسد أباد ، لا أسعد أباد	الأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمى
٢٤٠	تصويب	الأستاذ عبد الحميد عنتر ...

فلسفة الترجمة

للأستاذ عباس محمود العقاد

مر بمصر فى الشهر الأخير كاتب من أشهر كتاب السير والتراجم بين الإنجليز المصريين ، وهو الأستاذ فيليب جودالا Philip Gudalla صاحب سيرة شرشل وسيرة بالمرستون وسيرة نابليون الثالث بطل الإمبراطورية الثانية ، وسيرة ولنجتون القائد الإنجليزى المعروف ، ويحسبها بعضهم خير ما كتب فى مادة السير والتراجم على الإجمال ، وهذا عدا التراجم القصيرة التى كتبها لكثير من القادة والأدباء من الإنجليز وغير الإنجليز

وقد دعاه « الاتحاد الإنجليزى المصرى » بالقاهرة إلى المحاضرة فيه ، فاختار للكلام موضوعاً هو أقرب الموضوعات إليه وأولاها أن يخاطب السامعين والقراء فيه وهو « عمل المترجم » أو عمل الكاتب الذى يُدوِّن تاريخ العظماء ومن لهم تاريخ يستحق التدوين

والحق أنه أدى عمل المحاضر فى الأندية العامة أحسن أداء ، فلم يكن متعمقاً معاظلاً يتعب السامع الذى يتتبع الحديث ويريد أن يفهمه وهو يصنى إليه ؛ ولم يكن هيناً يقول ما ليس يستحق الإصغاء ولا يخرج السامع منه بمحصول يفيد ، بل قال ما يفيد ويمتع ، وأودع حديثه السهل زبدة الآراء التى يستصوبها من

وجهة نظره فى صناعة الترجمة وكتابة السير بأسلوب يخيل إلى من يستخفه أنه تسلية ساعة، وهو فى الواقع خلاصة حياة، بل خلاصة حيوات إذا نظرنا إلى التراجم الكثيرة التى خرج منها بهذه الخبرة الطويلة

فالترجمة عنده ليست « بقصة » طلقت اللهو والعبث ولبست لبوس الوقار والاحترام! ... ولكنها تاريخ من التواريخ يطبق على الأفراد بدلاً من تطبيقه على الأوطان والأقوام

وهى من ثم جديرة بأكبر عناية فى العصور الحديثة التى شاع فيها تهوين الفرد وتعظيم شأن القوى والعوامل الجامعة، فإن الفرد ولا ريب يدل على شىء كثير، لأنه يرتفع على القمة فيشير إلى اتجاه التيار، فإن لم يكن هو الفعال لكل شىء فى زمانه فهو على التحقيق دليل على مجرى الزمن وعلى ما يكمن وراءه من الدوافع والمؤثرات

وقال: إن الفرق بين فرنسا قبل نيف وثلاثين سنة وفرنسا اليوم إنما هو فى جملته فرق بين رجلين: بين فوش وبيتان! كما أن تاريخ انجلتر فى السنوات الأخيرة إنما هو مظهر الفرق بين شمبرلين وشرشل

ولما تعرض لفن السيرة أو فن كتابتها حذر الكاتب من فتنتين تغريانه من جانبين مختلفين: أحدهما جانب البلاغة الأدبية، والآخر جانب النظريات النفسية أو « السيكولوجية »

فليس الغرض من الترجمة إخراج قطعة من الأدب البليغ، وإن صح أن تجىء أدباً بليغاً فى عرض الطريق

وليس الغرض منها عرض النظريات النفسية التى قلما تفضى إلى يقين، لأنها بين شىء مفروض معلوم من قبل، وشىء لا نفرضه ولا نعلمه على الإطلاق، وفى كلا الأمرين مضلة تستلزم التحذير

إنما الترجمة عمل « يدوى » كما يقال إذا شئنا أن نقابل بينها وبين الخلق الخيالى أو الخلق المثالى الذى يتطوح فيه بعض رجال الفنون. فى حدود هذا العمل المتواضع ينبغى أن يقبع المترجمون!

ثم حذر الكاتب من خطأين آخرين عند الكتابة عن الأقدمين: خطأ النظر « الفوقانى » أو النظر إلى أعلى وهو ينتهى إلى الإطناب فى الحماسيات والبطوليات وتخيل الأقدمين كأنهم جيل من العمالقة أو الملائكة العلويين

وخطأ النظر « التحتانى » أو الترفع عن الأقدمين كأنهم أطفال فى حاجة إلى التربيت والإغضاء، مع شىء من الابتسام والاستهزاء

وإنما النظرة الوسطى هى النظرة القويمة، أو النظرة السواء لا إلى الأعلى ولا إلى الأدنى، فنراهم بالعين التى تنظر إلى الحياة اليومية ولا تعيبها مبالغة فى الإكبار أو مبالغة فى التصغير

وقال: إن الكاتب الذى يشغل ذهنه فترة طويلة بالبحث فى سيرة عظيم من العظماء لا يلبث أن يشعر عامداً أو غير عامد أنه تقمص ثياب « سكرتير خصوصى » لذلك العظيم ... فهو يجاريه فى ميوله وبدواته، ويترقب ملاحظاته وإشاراته، فيفوته من ثم أن يستقل بذهنه فى النظر إليه. وهذه أيضاً فتنة من فتن الترجمة المغرية للكتابة، عليهم أن يتقوها جاهدين ليكتبوا عن عظمائهم عادلين مستقلين

وعلى هذا النمط كانت محاضرته طريفة مفيدة، عليها الطابع الشخصى الذى ينم على تجارب الكاتب نفسه ويصطبغ بصبغة منه، وفيها الأحكام العامة والآراء الأساسية التى تصلح للمشاركة والاقتباس

وقد لقيناه فى منزل صديقنا الدكتور هيكل باشا فسرنا منه أنه مسرور من الجمهور المصرى المثقف الذى تحدث إليه، وأنه يلاحظ أنه لم يشعر بفرق قط بين الجمهور الذى كان يتحدث إليه فى البلاد الإنجليزية والجمهور الذى تحدث إليه فى القاهرة، فالمصريون كما قال يضحكون فى مواضع الضحك التى يفطن لها الإنجليز، ويشبهون نظراءهم من السامعين هناك فى التفاتات الذهن ومواقف التعقيب عند الإصغاء إلى حديث

قال: والضحك علامة الحضارة، لأن الشعوب البربرية لا تضحك، فذكرنا فى تلك اللحظة قولة نيتشه إن الضحك من نكتة واحدة هو أول الدلائل على تقارب فكرين. وقلنا: بهذه العلامة نثق كل الثقة أن المصريين أعظم المتمدنين!

وسألناه: ألا تنوى أن تكتب شيئاً عن مصر بعد هذه الرحلة؟ فقال مبتسما: لا أزعم أننى أكتب عن وطن بعد رحلة أيام ... ثم قال: ولعلى أنا الرجل الوحيد الذى قضى فى روسيا أسبوعاً ولم يكتب عنها سفراً طويل الصفحات

***

تلك خلاصة مقربة لجلة الآراء التى تشتمل عليها فلسفة الترجمة فى رأى الأستاذ جودالا ، وهى آراء نوافقه على معظمها ولا نكاد نخالفه إلا فى الميل إلى البطولة أو إلى الصبغة الأدبية ، فإذا استطاع الكاتب أن يستروح نفحة البطولة من مترجمه وأن يبثها فى قلوب قرائه فهو فى اعتقادنا عمل لا ضير فيه ، بل هو واجب مطلوب مفيد لا غبار عليه

وكذلك إذا استطاع أن يرضى ذوق الفن ويرضى الحقيقة فى وقت واحد فتلك غاية حرية أن تتطاول إليها أعناق الكتاب ، لأن تجميل الحياة بالصدق الفنى غرض من الأغراض النبيلة التى نخلص إليها من طريق التراجم كما نخلص إليها من طريق الشعر والنحت والتصوير والغناء ، فكل حياة خلت من الجمال الفنى ومن الصورة المثالية التى يسبغ عليها ذلك الجمال هى حياة فاترة أو حياة ناقصة لا تستحق أن تعاش ، وإنما مقياس الحياة التى تكشف عنها التراجم والسير هى الحياة التى تعاش

وفيما عدا ذلك نوافق الأستاذ جودالا فى فلسفته التى اختارها بعد التجربة الطويلة لصناعة الترجمة وتمثيل العظماء

نوافقه ونحن نعلم صعوبة هذه الموافقة في زمن كثر فيه المنكرون لقيمة الفرد وقيمة العظمة ، وتردد فيه القول بسلطان العوامل الاجتماعية كأنه هو السلطان الذى ليس وراءه سلطان

وقد رأينا فعلاً كاتباً انجليزياً يعقب على محاضرة الأستاذ جودالا من هذه الناحية ، ويسأله سؤالاً يلخص مواضع اعتراضه فيقول : هل هتلر ظهر فى البيئة الألمانية لأنها بيئة مقلوبة أو أن هذه البيئة انقلبت لأن هتلر ظهر فيها ؟

والظاهر من سؤال المعترض أنه يأخذ بالقول القائل إن الفرد نتيجة منفعلة ، وليس بسبب فاعل فى الحوادث التاريخية ، وأن العظيم لا ينبغ فى أمة إلا إذا تمهدت له دواعى الظهور من تكوين تلك الأمة ؛ فالعوامل الاجتماعية إذن هى موضع البحث والالتفات ، وليست عظمة العظماء ولا جهود الأفراد

وهذا مذهب مبالغ فيه قد جنح إليه الاشتراكيون على الخصوص لأنهم يردون العوامل كلها إلى المجتمع وعناصر تكوينه ومعيشة أبنائه ، ولكنهم مهما يبالغوا فى هذا فلن يستطيعوا أن يزعموا أن العظماء والصغراء سواء ، وأن النوابغ لا يقدرون على عمل يعجز عنه المحرومون من النبوغ . ومتى كان مسلماً أن النوابغ يعملون وأن عملهم لا يذهب سدى فهذا هو المهم الذى يستحق النوابغ من أجله دراسة الدارسين وإعجاب المعجبين

يسأل السائلون الفارغون : من صاحب الفضل فى السياحة ؟ المركب أو البحر أو الريح ؟

وهذا سؤال فارغ كما قلنا لأن السياحة كلمة لا معنى لها إذا انفرد المركب أو انفرد البحر أو انفردت الريح

ففى الساعة التى نلفظ فيها كلمة السياحة البحرية تتمثل لنا كل هذه العناصر مجتمعات ، ولكنها تتمثل أو لا تتمثل تعجز كل العجز عن إنكار حق المركب فى إتمام السياحة ، وحق المسافر فى الاختيار بين مركب ومركب ، وحق الشركات فى إنشاء المراكب ورصد المسافات كيفما كانت البحار والرياح .

وكذلك العظمة المشهورة كلمة تستلزم وجود الآدميين الذين يشتهر بينهم العظيم بغير فلسفة ولا تعمق ولا استطلاع لمغيبات . ولكن ماذا فى هذا مما ينفى أن العظيم أفعل من الصغير ، وأن هذه الأفعال جديرة بالتقديم والتأخير فى سير الأمور ؟

فالفرد شىء والعوامل الاجتماعية شىء ، ومن قال إن الفرد لا يهم فقد أنكر الغاية من إصلاح المجتمع كله ، لأن كل إصلاح لا ينتهى إلى الاهتمام بالأفراد فهو إصلاح تركه وإنجازه سواء .

عباس محمود العقاد

الشعب هو المسئول
عن الاصلاح الاجتماعى
للدكتور زكى مبارك

أخى الأستاذ الزيات

ليتك شهدت المناظرة التى أقيمت بكلية الآداب فى مساء الأحد الماضى ، لترى مبلغ ما وصلنا إليه من حرية الفكر والرأى ، ولترى كيف يستبيح ناسٌ إيذاء إخوانهم بلا استبقاء ، ولترى أيضاً كيف تطغى العامية الفكرية على بعض من وُسموا بالتثقيف

وسأصف جوّ تلك المناظرة بإيجاز ، أداء لحق « الرسالة » ، فمن قرائها ألوفٌ يحبون أن يعرفوا كيف يشتجر القاهريون فى ميادين الحجج والبراهين

كانت المناظرة برياسة معالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية ، وقد سُبِقت بحفلة شاى أعدها عميد كلية الآداب ترحيباً بالوزير وبالمتناظرين وكبار المدعوين

وبعد الشاى رأينا الوزير ينتحى ناحية ليراجع خطبة طويلة متصلة بموضوع المناظرة ، فعرفت أننا سنقضى شطراً من الليل فى نقاش وجدال ، وقد هممت بمراجعة الوزير ، ثم تركت الأمور تجرى إلى مداها المرسوم فى ضمير الغيب

وحين وصلنا إلى المدرّج الأكبر بالكلية رأينا جماهير كثيرة وعاينّا قيظاً قد اقتُبِست ناره من وهج القلوب ... ألقى العميد كلمة ترحيب بالوزير ، وألقى أحد الطلبة كلمة ثانية ، ورأى الوزير أن يطوى خطبته لضيق الوقت ، ثم دعا المتناظرين إلى الكلام

كنت الخطيب الأول ، وكانت خطبتى مكتوبة ، ولكنى رأيت الجوّ يوجب أن أعرض الموضوع بصورة خطابية ، وفى دقائق ، لأستبقى الفرصة الباقية ، فرصة المنبر الأكبر على صفحات « الرسالة » الصديق

لن أحدثك عما قوبلت به خطبتى من الإعجاب ، وإنما أحدثك عن مُناظر قصر خطبته على مناوشتى بأساليب يمجّها الذوق ، مع أن المناظرة فى كلية الآداب ، وبرياسة وزير الشؤون الاجتماعية !

حضر هذا المُناظر وفى قلبه أشياء ، فهو لن ينسى أنى أفحمته منذ عامين فى محاضرة ألقاها بأحد الأندية تأييداً لفكرة وهمية نبتت فى بعض خرائب الرءوس ، وهو لا يستطيع نشر تلك المحاضرة بأى حال ، لأنها من صنوف البهتان

كان الظن أن يتناسى حضرة المناظر تلك المعركة الأدبية ، وأن يجعل همه الأول والأخير فى شرح الرأى الذى ارتضاه فى مناظرة ذلك المساء ، ولكنه جعل همه فى التحرش بالدكتور زكى مبارك وتأليب الجمهور عليه بطريقة عدّها الحاضرون ضرباً من التحدى الممقوت

ليست المناظرة قتالاً بين شخص وشخص ، وإنما هى نضال بين رأى ورأى ، وليست المناظرة فرصة للتشفى ، وإنما هى فرصة للتصافى

أترك هذا وأذكر أنى أعجبت فى ذلك المساء بخطيبين مجّدا الفكر والرأى ، أحدهما الأستاذ صالح جودت ، وثانيهما الأستاذ حسين دياب ، ومع أنهما جَرَيا فى ميدانين متعارضين فقد استطاعا الظفر بالحمد والثناء

قال صالح : إن اعتماد الشعب على الحكومة تحوّل إلى طمع فى الحكومة . وهذه فكرة دقيقة جدًّا

وقال صالح أيضاً : إن الذين يقيمون الحفلات الخيرية لمعونة الفقراء لا يفتحون مغاليق الجيوب إلا بفضل المراقص المسبوقة بأكواب الصهباء

وهذا كلامٌ يجب أن يقال . ولو مرةً واحدة ، عساه ينفع بعض الجمعيات

وقال حسين : إن الحكومة هى التى تُسأل عن الإصلاح الاجتماعى ، لأن عندها وسائل يعجز عن مثلها الشعب ... وقال أيضاً : إن يقظة الحكومة لا تغنى الشعب عن الاهتمام بما يجب عليه فى تدبير أمور المعاش ... وهذا وذاك من الكلام النفيس

أما لغة المتناظرين فكانت سليمة ، بغض النظر عن اللحن المضحك ، اللحن الذى تكرر ثم تكرر من الخطيب اللحان ، وهو فلان !

أيهون منبر كلية الآداب إلى الحد الذى يسمح بأن يعلوه خطيب لا يعرف الأوليات من قواعد اللغة العربية ؟

اتقوا الله يا ناس فى منبر كلية الآداب !

ومن ذلك الخطيب ؟

سأذكر اسمه يوم يغيّر ما بنفسه بعد قراءة هذا الدرس

سأذكر اسمه يوم يعرف أن المناظر لا يكتفى بالقصاصات من المجلات

إن خطبة عميد كلية الآداب لم تزد عن أربعة أسطر ، وهو مع ذلك تلاها تلاوة ليأمن الخطأ فى الإعراب ، أما فلان فقد فعل بنفسه ما لا يفعل الأعداء

ثم ماذا ؟ ثم أعلن معالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق أن رأيه كوزير أن يستزيد الحكومة من المسئوليات . فقلت : ومن واجب الشعب أن يتحمل جميع المسئوليات

ثم ؟ ثم أسجل خطبتى فى « الرسالة » لتُسجَّل فى ضمير الزمان ، وليعرف من لا يعرف أن للمصريين جذوات فكرية مقبوسة من نار الخلود .

***

أيها السادة :

أحييكم باسم الفكر والرأى ، ثم أشكر من تفضلوا فدعونى للاشتراك فى هذه المناظرة ، فقد هيأوا فرصة جديدة لتوضيح نظرية نفر منها الجمهور حين عرضتها فى بعض الجرائد والمجلات ، وهى النظرية التى تقول بأن الفرد هو الحجر الأول فى بناء المجتمع ، وبأن الشعب هو المسئول فى جميع الأحوال عما يتعرض له من متاعب وصعاب

وسأعرض تلك النظرية فى هذا المساء بأسلوب جديد ، راجياً أن تراعوا أننا فى رحاب كلية الآداب ، فلا يثور من تعودوا الثورة على الحق فى المناظرات الماضية ، وراجياً أن تذكروا أن ما تضيق به صدوركم اليوم قد يصبح من المألوفات بعد حين

أما بعد فمن المسئول عن الإصلاح الاجتماعى : الشعب أم الحكومة ؟

فى شرح هذه المعضلة أقول :

أنا أقبل إلقاء جميع المسئوليات على الحكومة ، إذا صح عندى أن الشعب طفلٌ لا يفرق بين التمرة والجمرة ، على نحو ما كانت الحال فى طفولة الشعوب

أما اليوم وقد اكتملت قُوى الشعب وتخطى العهود الفطرية فمن الواجب أن يُسأل عن كل شئ ، وأن يكون إليه الأمر فى جميع الشؤون

وما السبب فى إنشاء الحكومات ؟

إفترض جان جاك روسُّو أن الخلائق اجتمعت يوماً للتشاور فى الصورة التى تصان بها الحياة الاجتماعية ، وأن كل فرد تنازل عن جزء من حريته ، ليتكون من تلك الأجزاء قوة تحمى المجتمع من عدوان الأقوياء على الضعفاء

وقد آن أن نسترد ما تركنا من حريتنا باسم صيانة المجتمع . آن أن نكرم الإنسانية بأن نُسأل أمام الضمائر لا أمام القوانين ، فإن من العار على الإنسانية أن يطول احتياج بنيها إلى حكام يصدونهم عن تقارض الظلم والاضطهاد

كل أمة تحتاج إلى وزارة اسمها وزارة العدل ، فما معنى ذلك ؟ معناه أن الأمم لم تصل إلى الرقى الصحيح ، ومعناه أن بنى الناس بعضهم على بعض خطر يرتقب فى كل حين

لا مانع من أن تكون فى الدنيا محاكم ، على شرط أن لا يُحتكم إليها إلا فى القضايا التى تحتاج إلى اجتهاد القضاة ، أما القضايا التى يقال فيها إن الحلال بين والحرام بين فاحتياج الإنسانية فيها إلى القضاة ضرب من الإسفاف

المثال الصحيح للأخلاق السليمة هو أن تعرف ما لك وما عليك ، فتحب لأخيك ما تحب لنفسك ، وتبغض لأخيك ما تبغض لنفسك ، ويكون رأيك فى تقدير المشكلات الاجتماعية هو الميزان

قال فلاسفة العرب : « الإنسان مدنى بالطبع » ، ومعنى هذا أنه يكره التوحد الموحش ، ويميل إلى الوداد والإخاء ، وكذلك كان حاله بالفعل ، لولا بدوات ترده إلى عهود الوحشية من حين إلى أحايين

ويقول التاريخ الاجتماعى : إن الدنيا فى عهود الظلمات كان فيها شهود يُستأجرون كما يستأجر الفتاك . وقد انقرض هذا الصنف من الناس أو كاد . وتلك بداية لطيفة ، فقد نستغنى يوماً

عن المحاكم ، وقد يصبح كل فرد وهو مسئول أمام الضمير لا أمام القانون

أليس من العيب على الإنسانية أن تحتاج إلى جيوش من القضاة والمحامين فى شؤون يحكم فيها الضمير قبل أن يحكم القضاء ؟

فى بضع مئين من السنين يتحول بعض الحجر إلى مرمر ، وقد مرت ألوف وألوف من السنين ولم يتحول الإنسان إلى ملك

فبأى وجه تلقى الإنسانية بارئها يوم يقوم الحساب ؟

الحكمة اليونانية تقول : اعرف نفسك بنفسك

والحكمة الإسلامية تقول : الإثم ما حاك فى صدرك

ونحن مع هذا وذاك لا نسير فى الطريق إلا معتمدين على أسندة من رعاية الحكومات ... كأننا خلائق تحبو فى فجر التاريخ !

أقدم أمة أقيمت فيها حكومة هي الأمة المصرية ، وكان ذلك من أبواب المجد ، يوم كان النظام حلما يداعب خيال الإنسانية

وستكون مصر أول أمة تعيش بلا حكومة ، وسيكون ذلك أعظم آيات المجد ، لأنه الشاهد على السمو الذى تغنى به الحكماء ، جيلاً بعد جيل

نحن سبقنا جميع الشعوب إلى إقامة النظام الحكومى ، يوم كان أصلح أداة لكبح الطغيان الفردى والاجتماعى

وسنسبق جميع الشعوب إلى الاستغناء عن النظام الحكومى ، لأنه يطعن فى قدرة الإنسانية على مغالبة الأهواء

وماضينا فى التاريخ القديم يطمعنا فى تحقيق هـذا الأمل الجميل ، فنحن الذين أقمنا النظام الشمسى قبل أن تعرفه أمم الشرق والغرب . ونحن الذين غزونا بالروح أمماً لم تكن تغزى بغير السيف . وقد وصلت فنون أجدادنا إلى أمريكا قبل أن يكتشفها كولومبوس بأزمان وأزمان ... ألم تسمعوا أن أمريكا وجدت فيها آثار بها ملامح من الفنون المصرية ؟

وتحرش بنا الأوربيون متجمعين عشرات السنين لعهـد الحروب الصليبية ، فرددناهم على أعقابهم بعد أن زودناهم بأصول المدنية الشرقية ، وهى أساس المدنية الغربية

ونحن كنا الحصون التى صدت غارات المغول ، ومن قبل ذلك بقرون أوحينا إلى الإسكندر الأكبر أن يتجشم متاعب السفر إلى الواحات ليزور معبداً يجمع بين الرحموت والجبروت ، وهو معبد آمون ، آمون الذى دخل اسمه جميع اللغات فصار «آمين» التى تقال عقب الدعاء

أرضنا هى الأرض ، وسماؤنا هى السماء ، ومجدنا هو المجد ، وخلودنا هو الخلود

فما الذى يمنع من أن نكون أول أمة تعتز بالقوة الذاتية ؟

ما الذى يمنع من أن نكون حكام أنفسنا فى جميع الشؤون ؟

وما الذى يمنع من أن نسبق جميع الأمم إلى فهم الغاية الصحيحة من قوة الروحانية ؟

لكل أمة عذر فى التخلف ، ولا عذر لمصر فى التخلف ، وهى أقدم حجاز بين الحق والباطل والهدى والضلال

وتاريخنا الحديث لا يقلُّ عظمةً عن تاريخنا القـديم ، فقد حيكت حولنا الدسائس الدولية بالألوف ، وكانت بلادنا مصطرعاً لأشتات من الجيوش ، فهل غُلبنا فى الميادين الفكرية ، حين غلبنا فى الميادين الحربية ؟

أين الدولة التى تستطيع أن تزعم أنها نقلت القلب المصرى من مكان إلى مكان ؟

أين الدولة التى استطاعت أن تصدّ الفكر المصرى عن التغلغل فى آفاق الشرق ؟

لبلادنا خصائص أصيلة أيسرُها القدرة على قهر عوادى الاضمحلال ، وكيف تضمحل أرض نجد فيها الماء فى كل بقعة ، والله جعل من الماء كل شىء حيّ ؟

أول كُفر عرفته الخلائق هو كفر المصريين ، وأول إيمان عرفته الخلائق هو إيمان المصريين ، وأشهر الأفراح أفراح المصريين ، وأشهر الأحزان أحزان المصريين

هل عرف تاريخ الجاهلية أعظم من المعابد المصرية ؟

وهل عرف التاريخ الإسلامى أروع من المساجد المصرية ؟

وهل يوجد للفلاح المصرى نظيرٌ فى أى أرض ؟

وهل يوجد ماء أعذب من ماء النيل ؟

وهل عُرفت العظمة فى المبانى قبل أن تُعرف فى هذه البلاد ؟

وهل يوجد فى الدنيا ناس يفوقون المصريين فى حلاوة الشمائل ولطافة الطباع ؟

لم يبق إلا أن نتفرد بالابتكار الأخير ، وهو الابتكار الذى

عجز عنه من اهتدوا إلى البخار والكهرباء ، وهذا الابتكار هو الكشف عن الجوانب المستورة من الأرواح والقلوب ، الجوانب النقية ، ففى قلب كل رجل غابة عذراء لا تغرّد فوق أدواحها غير بلابل الطهر والصفاء

إجمعوا جموعكم ، واستعينوا بمفكريكم ، لتكتشفوا الواحة المجهولة فى الضمائر المصرية ، فقلبى يحدثنى بأن فى هذا الوادى سرائر مطوية تفوق الأحجار التى يشقى فى البحث عنها علماء الحفريات !

أنفقوا فى البحث عن الضمائر الحية مِعشار ما تنفقون فى البحث عن الأحجار الميتة ، واعلموا أن مصر لن تموت ، لأنها مؤيدة بروح الحق الذى لا يموت

أين مصر التى عرفناها أو جهلناها ، وأين مكانها الأصيل فى تاريخ الوجود ؟

ستكون أول أمة تعيش بلا حكومة ، لتقيم البرهان على أنها فوق الشبهات والأضاليل

قد تقولون : إن واقع الحياة لا يعرف هذا الخيال ...

وأقول : إن الأمر فى هذه الأيام يؤيد ما تقولون ، فلو عاشت الأمة بلا حكومة أسبوعاً أو أسبوعين لانتشرت الفوضى وعمّ الاضطراب وشاع الفساد

ولكنى مع هذا أجزم بأن الحكومة لا تستطيع بأى حال رعاية أمة فقيرة فى نواحى التماسك الذاتى والاجتماعى ، فخضوع الأمم للشرائع والقوانين لا يكون خضوعاً شريفاً إلا إن صدر عن إرادة ذاتية مردُّها إلى أدب الأحرار لا أدب العبيد

ونحن فى مصر نفهم هذه المعانى ، فوزير المعارف يعتمد على ضمائر المدرسين ، ووزير العدل يعتمد على إيمان الناس بأدب المعاملات ، وكذلك يقال فى الأمور التى يعالجها سائر الوزراء

قد سمعتم أو قرأتم أن وزارة الوقاية وزارة وقتية تنتهى مهمتها بانتهاء الحرب ، فما المستقبل الذى ينتظر وزارة الشؤون الاجتماعية ؟

أنا أقدِّر أن مهمتها ستنتهي بعد أمدٍ قريب ، يوم يفهم الشعب واجبه في الإصلاح الاجتماعى ، ويوم يدرك أن احتياجه إلى عون الحكومة فى تلك الشؤون ضربٌ من الفقر فى الروح والوجدان

وهذا المستقبل لن يكون بعيداً كما نتخوف ، فالشواهد تنطق بأن ضمير الأمة سيستيقظ بعد طول السبات ، ولعله استيقظ بالفعل . ألا ترون أن الأمة تتسامى إلى أمور كانت قبل قبل اليوم من تهويل الخيال ؟

قبل أن تشب الحرب ويغلو الورق كان متوسط ما تخرج المطابع المصرية فى كل يوم اثنى عشر مجلداً ، وكان لصحافتنا المقام الثالث بعد الصحافة الإنجليزية والأمريكية ، وكنا أول أمم الشرق فى إحياء الذخائر العربية والإسلامية ، وسيكون لنا بعد الحرب ميادين يعتز بها العقل والبيان

ومعنى هذا أن يقظة الذكاء المصرى يقظة حقيقية ، وأن تحليقاتنا فى سموات الفكر والرأى لم تكن أضغاث أحلام ، فكيف تستبعدون أن يستيقظ الضمير المصرى فيغنى الحكومة عن التعب فى مداواة الأمراض الفردية والاجتماعية ؟

إنْ تعادل الضمير والذكاء فى مصر فستصبح الأمة المصرية أمة نموذجية ، وستبدع فى الأدب النفسى آيات لا نظائر لها ولا أمثال

إن أفضل الفروض فى وصف الصلة بين الحاكمين والمحكومين هى أن تشبَّه بالصلة بين الآباء والأبناء ، فهل سمعتم أن أباً يحب أن يكون ابنه عالة عليه فى جميع الشئون !

ونحن اليوم فى مطلع حياة جديدة ، ولا بد لنا من رياضة أنفسنا على الاضطلاع بحمل جميع الأعباء

وسنجاهد ونجاهد إلى أن تشعر الحكومة أنها تعيش فى أمة مثالية لا تحتاج إلى حكام فى أى ميدان

سنجاهد ونجاهد إلى أن تغلَق المحاكم بفضل اعتماد الشعب على الاحتكام إلى الضمائر والقلوب

لن يطول صبر الإنسانية على هذه الحياة الوضيعة ، وهى الحياة التى لا يزجر فيها منزجر إلا خوفاً من سطوة القضاء

إن الاستقامة السليمة هى التى تنبعث من النفس ، كما يستقيم العود حين تكتمل قواه ، أما الاستقامة التى توجبها قوى خارجية فهى استقامة العود الذى يُستر ضعفه بأسندة من الجريد ، وهذا حال الأخلاق التى لا تستقيم إلا بأسندة من القانون

إن الجوارح الروحية تعطلت بسبب الاعتماد على الحكومة

فى مختلف الشؤون ، وإن المواهب النفسية تهدمت بسبب التفريط فى رياضتها على النفاذ والمضاء

الأمم الضعيفة تكل أمورها إلى الحكومات لتستريح من الجهاد ، أما الأمم القوية فتنهض بأحمالها الثقال لتتشرف بالجهاد

وآفة الاعتماد على الحكومة آفة مخوفة على الأمة المصرية ، ويجب النص على هذه الآفة بذكر بعض الشواهد ، عسانا نزهد فيما استمرأناه من التواكل البغيض

التعليم كله ملقى على كاهل الحكومة ، وما فكر فرد أو جماعة فى إنشاء مدرسة إلا على نية التبعية لوزارة المعارف ، بأى صورة من صور التبعية

وقد نهضت الأمة يوماً فأنشأت الجامعة ، ولكن النهوض ثقل عليها فأسلمتها إلى الحكومة !

وأنشأت الجمعية الخيرية الإسلامية بضع مدارس ، ثم أسلمتها إلى الحكومة

ومنذ أعوام تعرضت مدرسة الأقباط بالقاهرة لمتاعب مالية ، نخذلها أعيان الأقباط ولم ينجدها غير الحكومة

فما هذا الفقر المدقع فى العزائم والنفوس ؟

أتكون أحوال التعليم كهذه الأحوال فى البلاد الإنجليزية والأمريكية ؟

وكيف والتعليم فى تلك البلاد ترجع أكثر شؤونه إلى هيئات مستقلة عن الحكومة كل الاستقلال أو بعض الاستقلال؟

واعتمادنا على الحكومة ظهر بصورة بشعة يوم خيف على « بنك مصر » من زعازع الحرب ، فالحكومة هى التى تقدمت لحماية البنك ، وبذلك ضاعت فرصة على أغنياء الأمة ، وأى فرصة ؟

لقد كان فى مقدور الأغنياء أن يتعاونوا على رعاية تلك المؤسسة القومية ، وهى رعاية مضمونة الربح ، وكان من المؤكد أن تدر عليهم الخيرات فى أعوام الحرب ، ولكنهم تهاونوا تهاون العاجزين عن إدراك ما ينتظر من المنافع ، وتركوا الحكومة تدبر الأمر كما تريد

وآفة الاعتماد على الحكومة زلزلت الثقة بالكفاية الفردية ، وهل يتهالك المتعلمون على وظائف الحكومة إلا ليقال إنهم وصلوا إلى شىء ، فى بلد يرى الوظيفة كل شى ؟

كل ما رأيناه من هذه النواحى أهون من الناحية التى تساق فى مناظرة هذا المساء ، فإن ناساً يرجون أن تنوب الحكومة عن الأمة فى الإصلاح الاجتماعى ، وقد يرجون غداً أو بعد غد أن توزع الإصلاحات الاجتماعية والفردية فى بطاقات ؛ وقد يرجون أيضاً أن تنوب الحكومة عنهم فى اختيار ألوان الطعام والشراب !

الأساس الذى أراه لبناء المستقبل أن تكون روح الشعب وروح الحكومة ممثلة فى كل فرد ، فيكون الرجل حاكما ومحكوماً فى آن ، حاكما لهواه ومحكوماً لنهاه ، ثم تتلاقى قوى الأفراد كما تتلاقى القطرات الطاهرة من الغيوث فتخلق نهراً فى مثل عظمة النيل

أنا أنتظر اليوم الذى يقال فيه على سبيل التفكه بحوادث التاريخ : كان فى الدنيا حكومات وبرلمانات ، وكانت الدنيا فى بعض العهود ميادين قتال بين الآراء والأهواء

فإن لم نر ذلك اليوم ، وهو فى رأيى قريب ، فلنخلقه فى صدورنا ، ولنكن رجالاً يستفتون ضمائرهم فى جميع الشؤون ، ولا يخافون الناس ، لأن النزاهة الروحية تخلق الأمان والاطمئنان ، ولأن الصدق يحمى صاحبه من عدوان الباغين والظالمين .

وسبحان من لو شاء لحقق هذا الرجاء .

زكى مبارك

حكم فى الجنحة العسكرية ٣٤ أبو قرقاص سنة ١٩٤٣ بجلسة ٢٢ /٢ سنة ١٩٤٣ بحبس وديع ملك ميخائيل كاتب بشركة الغاز المصرية ثلاثة شهور مع الشغل وغرامة ١٠٠ جنيه وغلق المحل ثلاثة أيام لبيعه كروسين بسعر أزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة رقم ١١٦٢ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٢ بحبس عبد الفتاح علقاية ثلاثة شهور مع الشغل والمصادرة والنشر والتعليق والغلق لبيعه (اللحم) بازيد من السعر المحدد

حكم فى القضية ١٠١ سنة ١٩٤٣ ضد أحمد صبر فخرى عبد الموجود غزالى بحبسه ثلاثة شهور مع الشغل وغرامة ١٠٠ جنيه ونشر الحكم وتعليقه وإغلاق المحل ثلاثة أيام ومصادرة القماش موضوع الجريمة لامتناعه عن بيع قماش بالسعر المحدد

قلمى !!

للأستاذ « د . خ »

إلىّ إلىّ يا قلمى فاكتب صلاتى وخُطَّ نُسُكى !

إن غِناءك القديم يُفعم قلبى بذكريات الجمال والحب ، فاصدحْ كعهدك ، ورقرق أناشيدك ، واسكبْ فى روحى الظامئةِ أغاريدك !

طالما غنيْتَ يا قلمى الحبيب فأصْغَتِ السماء ، وتهلل البدر ، ورقصت الملائكة ، واهتز الورد ... فماذا أصابك ؟

هات يا قلمى كأسَ بيانك نشربْها على ذِكرِ الماضي الجميل الفِضّىّ الذى غدا أحلاماً كالحمائم البيض ، ترد ظِماءً وتصدُرُ ظِماءً ، فأين ماؤك ؟

هل حقٌّ أن جنّتك أوشكت أن تُصوّح ، وأن يَنبوعَك كاد أن يغيض ؟ إذن فأين أنتَ فى هذه الدنيا الصّاخبة التى تُدوّى فى المشرقيْن ، وتضطرب فى المغربيْن ، وأنت مُنطَوٍ على نفسك ، عاكفٌ على أحزانك ، سادرٌ فى آلامك ، يُشجيك أن أعز الإخوان عليك قد هجرك ، وأن مرضاً ألمّ بصاحبك فقطعه عن الدنيا قد كدّر عليك صفو الحياة ، وأن المروءة والوفاء قد ذهبا أدراج الرياح ، فلم يكتب إليك حبيب ، ولم يحن إلى لقائك إلف ، ولم يُسْلِكَ فى وحدتك الموحِشةِ مواس ! !

لله يا قلمى ما أبدعت لأحبّائك من جناتٍ ، وما فجّرتَ فى جنّاتك من عيون ، وما جعلت فيهن من حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون !

ألم تصور لهم شباباً لا يعرف الهرم ، وجمالاً لا تمتد إليه يد الذبول ؟

ألم تلهب أفئِدتهم بالحرارة التى أشعْتَها فى كلماتك ، والأحرف العاشقة التى نفثتَها من شبّاتك ؟

ألم تجُودّ لهم ألحاناً أرْويت بها نفوسهم الصادية ، وأسكنتهم منها فى قصور عالية ، من نور وبَلّور ؟

ألم تُبدع لهم طوبى من وَرْد وريحان ، وبهار وسُوسَان ، فنحتهم دمك ، وخلعت على شيخوختهم شبابك ، وأغْشَيتَ بطول السهر من أجْلهم عينيك ، وجلبْتَ على صاحبك العناء ليستريحوا ، والشقاء لينعموا ، والمرض ليصحوا ... وأنت مع ذاك متنفّسى الذى لا أعرف أن أشكوَ إلا إليك ... ولا أستمد العَوْن إلا منك ، ولا أفرّج الكربة عن صدرى إلا بك ، ولا أستروح الحياة إلا فى ظلك ، ولا أجلو صَدَاها إلا بشدوك ، ولا أنير حلكتها إلا بنور إيمانكَ ، حتى تَنقشعَ ظلماتُها بما ترقرق فيها من ضوء بيانك ، وتنجاب غياهبُها بفيضٍ من لألاء عرفانك ! !

لماذا صمتّ هكذا يا قلمى الحبيب ؟ ألست تُحسِن أن تتغنى مع هذه الأقلام التى تملأ الوادى دَوِيًّا ؟ ألست تُجيد أن تنبت الزهر يانعاً فى قلوب العذارى ؟ ألست تستطيع أن ترقرق الدمع فى عيون المحبين ؟ ألست تقدر أن تسكب فى قلوبهم رضى ورحمة ؟ ألا يسعك أن تَشْدُوَ فى هدأة الليل النائم فتلين أفئدة وتتسلى أفئدة ؟ ! هل هكذا تنسى أودّاءك المكلومين والمحزونين ؟ تخاف علىّ ؟ لماذا ؟ لأن الأطباء آثروا عافيتى على عافيتك ؟ وأى أديب لا تساقط نفسه من قلمه أنْفُساً ؟ ثُرْ على الطب يا قلمى جعلت فداءك ! ! إن الذى يقتلنى هو هذا الصمت وذاك السكون ! ! ما قيمة الحياة التى تنقضى فى مثل هذه العزلة الرخيصة والركود الآسن ؟ ! لقد مللتُ من طول ما قرأتُ فلا تجعلنى أنانياً ! لماذا أعيش فى سجن هذه الوحدة لنفسى فقط ، فلا يكاد الوجود يحس بى ؟ لماذا آخذ ولا أعطى ؟ لماذا جمدت الدموع فى عينىّ ، والرحمة فى قلبى ، والشعر فى روحى ، فلست أبكى فى هذه الزحمة من البكاء والآلام والدم ؟ أبأمر الأطباء تصمت عامين طويلين يا قلمى الحبيب ؟ هل انتفعت إذن بهذا الصمت الطويل ؟ هل رد جمودك بُرْدَ الشباب على جسمى المحطم ؟ هل أسَا العِلّةَ تخلّفُك عن موكب الحياة ؟ تصمت عامين كاملين فى أحفل حقبة من عمر الإنسانية ، وخلال مأساتها الدامية ؟ ألا ما أرخص الحياة التي يُبقى عليها أطباؤك ، وما أحبّ إلىّ أن تتخذ من دمائها مداداً يكفى لكتابة سطر فى سجل محنتها !

منعك أطباؤك من إدمان السهر ، فهل نمت ؟ وحظروا عليك طول الإكباب على الكتب فهل سلوت ؟ وقالوا لك أرح

ذهنك فهل منعوا أطياف المعرفة من الإلمام به ؟ لشد ما ضحكوا عليك ولهوا بك يا قلمى الحبيب ! ولشد ما أضحكوا عليك هوميروس وإسخيلوس و صحبهما الآخرين ! !

إستيقظ إذن !

فتح أكمام الورد وآماق النرجس وحدق البنفسج ، وأرو روح الحديقة الظامئ مما عندك من أمواه الغزل والحب والجمال !

إستيقظ إذن ! واسكب الشعر والأضواء والمباهج فى حواشى الكون ، وأطلق بلابلك تخفف من أشجان المذارى بالتسجيع والترجيع ، وتملأ الدنيا غناء وموسيقا !

تطمع أن تعيش عمراً طويلاً راكداً هكذا ؟ إذن ما فائدة هذا العمر الطويل الذى لا يصلك فيه بالعالم شىء ؟ ما قيمة هذا الظلام الذى لا يتألق فيه نجم ؟ ما أشبه خطأ الأطباء فى هذا بالغلطة التى وقعت فيها أورورا ! ! هل تذكر أورورا ؟ هل تذكر ربة الفجر ذات الأنامل الوردية ؟ هل تذكر حينما أحبت الفتى تيتون حباً دله فؤادها وأرق نومها وسعر أنفاسها وجعلها تخر تحت أقدام الآلهة فى أولمب طالبة له الخلود ، فلما أوتيت سؤلها وفرحت به ، وراحت تحتسى وإياه أقاويق الغرام أياماً بعد أيام ... ذكرت أن تيتون من بنى الموتى ... وأنه لا بد أن تدركه الشيخوخة يوماً ما ... ثم كان ما خافت أورورا أن يكون ... وشرع الشيب ينبت إبره فى رأس فتاها الحبيب ... فلما تنهدت ... و ... صبرت ! لكن الوجه الجميل المشرق ، والفم الرقيق الباسم ، والجسم القوى السامق ، والأذرع الملفوفة العاتية ، والنفس المتدفقة الحارة ، ... و ... والشباب الفينان الذى كانت تلف حوله الصبوات والأمانى ... كل ذلك أخذ يخبو ويخمد ، ويتغير ويتبدل ، حتى أمسى تيتون كومة من الحطام ... والذكريات ! ! فزهدته أورورا وعافته ، بعد ما أسفت على أنها لم تسأل له الآلهة مع ذاك الخلود الذى لا نهاية له ، شباباً لا آخر له ... ولما ضاقت به ، تمنت على الآلهة الأمانى فمسخته ! ... وهكذا كانت خاتمة تيتون !

فهل تريد لى عمراً طويلاً كعمر تيتون يا قلمى الحبيب ؟ لشد ما يفزعنى ذلك ! لشد ما تفزعنى هذه الشيخوخة التى يثقل فيها الأب على الأبناء ، ودبيب القدم المتهالك على أديم الغبراء ! إطو عشرين حجة فى غيابة المستقبل ثم ابحث عن بريق عينيك تجد فيهما ظلاماً ، وعن تألق وجنتيك تر فوقهما قتاماً ، وعن آمال الفؤاد تجدها ملئه آلاماً ! !

انفذ يا قلمى إلى حديقة الحياة فوسوس فى آذان الورد ، واطبع القبل فوق أجياد الزنبق ، وانفث السحر فى صفحة الغدير ، وسقسق مع البلابل لتسلى المذبولين ، وغن فالقافلة قد جد بها المسير !

حذار يا قلمى الحبيب أن تكون متجهماً للحياة أو ناقماً على الناس ، فأنت هنا لتبدع شيئاً جميلاً فى هذه الدنيا ، أو لتكمل نقصاً من كثير من أوجه النقص التى تعيبها ... وماذا تنقم من الناس ؟ ولماذا لا تنال شرفك بأن تكون خادمهم المتواضع ؟ ألست ترى إلى هذه الأقلام المتهافتة التى تنفث السم فى أخلاق ذويك ؟ ألست تراها كيف تغازل الشهوات النائمة ، والعواطف الرخيصة ، والألباب الشاردة ، والقلوب الضالة ؛ تفتنها بالأدب المخنث ، وتهيجها بالأسلوب الماجن ، وتمزق حياءها بالغرام الذى لا يخجل ، والفسوق الذى لا يرعوى ، والرذيلة التى جثمت على صدر فرنسا فأوهت بنيانها وزلزلت أركانها وأسلمتها للهوان والخذلان ! ... يكتبون للشرق عن غادات بلزاك ، وقيان شاتوبريان ، والعبد الأسود الذى تسور إلى شهرزاد فى فحمة الليل ليطفئ ما فى قلبها ولتطفئ ما فى قلبه ... !! يا للهول !! ماذا يكتب هؤلاء الضالون لهذا الوطن المنكوب بهم ؟ ! متى كانت مصر فى حاجة إلى فولاذ ينصب فى أخلاق بنيها كما هى اليوم ، بدلاً من هذا السم الذى تتجرعه ولا تكاد تسيغه ؟ ... وأنت مع ذاك يا قلمى تغط فى سباتك العميق لا توقظك أحداث الزمن ، ولا تدميك صرخة الإنسانية ، ولا يفزعك أنين السماء ، ولا يشجيك بكاء الملائكة ، ولا يروعك أن يأكل الإنسان لحم أخيه الإنسان ! لقد انتهت الإنسانية إلى المأساة التى أفزعت أفلاطون وأوحت إليه أحلام الطوبى ، وروعت توماس مور ووسوست إليه برؤى الفردوس ... الفردوس الجميل الشعرى الذى يلهم المفكرين وينازل ألباب المصلحين ! ! لماذا تغمض هكذا أيها القلم كما يغمض الطفل المفزوع يرى المنظر المروع فيطير له لبه ، وينخلع له قلبه ، وتطير نفسه شعاعاً ؟ ألا يجد يداً

عطوفاً فتنقذه ، ولا نجدة من السماء فتباعد بينه وبين ما يرى ؟!

ألا لقد أصبحت خشيتك الأطباء تعلة ، هي أقسى على صاحبك من العلة ؛ وصار خوفك على صحته من الداء ، داء أشق على روحه من جميع الأدواء ... وها أنتذا قد أصابك الصمم ، وجرّ عليك سكوتك البكم ، فلست تتوجع لأبناء وارسو ، ولا يضنيك أن يحصد الموت شعب روتردام ، ولا يهمك أن تنشق الأرض تحت كوفنترى ، ولا أن تبيد ستالينجراد ، ولا أن يبلع اليم جواريه ؛ ولست ترثى لعذارى كييف ، ولا يفزعك ما أنزله الثائرون بكولون ... ثم ها هي ذى اليونان العزيزة ، هيلاس الخالدة ، جنة الأولمب وفردوس الخالدين ... اليونان التي حَبَسْتُك عليها طويلاً يا قلبي ، فعلمتك الجمال وألهمتك الفن وجرى منها في عودك ماء الحب ... اليونان التي وهبَتْك أحلامَها واستودعتك أسرارها وتفيَّأْتَ تحت شباتك ظلالها ... هل ذكرتها في تلك المحنة الظالمة التي لطمت فيها قفا التشدق ، وهزمت جيوش باعة الإسفنج ، حتى أتاها الهون فأضاعوا شجاعتها بكثرة العَدد ، وطفوا فيها على مارس بالعُدد ، فأذلوا الأولمب ، ودنسوا رحاب زيوس ، ونشروا سمادير الكآبة على جبين مينرفا ، وأطاشوا سهام كيوبيد ، وفجروا الدمع من عيني فينوس !!

أما تزال تبكي يا قلبي الحبيب ؟! أما تزال تؤثر الصمت إشفاقاً على صاحبك ، ورثاء لأخيك ؛ إذن ... فإليك البشرى التي تأسو علتك ، وتمسح عَبْرتك ، وترد عليك ما فاتك من شباب ... ها هو ذا صاحبك يتفيأ ظل الجنة التي تحوطه فيها القلوب الحبيبة .. القلوب التي تطب له ما لم يطب الأُساة النُّطس ، وتعالجه في جنباتها الأرواح الطاهرة التي سلمت من كل رجس ، فهي لصاحبك من علته شفاء .

(د . غ)

إلى الأب أنستاس مارى الكرملى

لا ... بل النحاة واللغويون ثقات!

الأستاذ عبد الحميد عنتر

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

القسم الرابع

فعلول (المفتوح الأول)

١ – جاء فى « الرسالة » بالعدد (٥٠٤) بين قوسين هكذا (المفعول الأول) ، بعد لفظ (فَعْلول) ولعله تحريف ، وصوابه (المفتوح الأول) .

٢ – أثبت الأب هنا قول اللغويين : إنه لم يجيء على زنة (فَعلول) إلا لفظ (صَعفوق) وهو اللئيم من الرجال ، أو بلدة باليمامة ؛ ثم أخذ ينفخ فى بوق (توت عنخ أمون الحربى) حتى أثارها حرباً شعواء ، أشَنّها على جميع اللغويين : القدامى منهم والمحدثين . قائلاً : لقد فحصت ونقبت ، وحققت ودققت ، فإذا الكلمات التى جاءت على هذا الوزن تبلغ الثلاثين أو تزيد ، وإذن فيجب نقض القاعدة القائلة : « ليس لفعلول فى اللغة سوى حرف أو حرفين » وتذريتها فى الهواء هباء منثوراً . انتهى كلامه ببعض تصرف

قلت (وهو ختام القول) : إن الذى قاله اللغويون وتبعهم النحاة صحيح مستقيم ، وإن القاعدة التى أسسوها متينة سليمة .

وإيفاء بما وعدت من الإيجاز أجمل ردى فيما يلى :

١ – إن الـ ٢٩ حرفاً التى زادها الأب على كلة (صعفوق) موزعة كما يأتى :

(بعضها) منكر لم يثبت إلا بطريق الاستنتاج ، وهو (صعفول) لضرب من الكمأة !

(وبعضها) روى بالضم والفتح ، ولكن الضم أفصح وأشهر . من ذلك : عُصفور ودُستور وبُرغوث وخُرنوب (الخروب) وبرشوم (أبكر النخل بالبصرة)

(وبعضها) على زنة (فَعَلول) بفتحتين ، وهو (قَرَبوس) ، وسكون الراء لغة ضعيفة .

(وبعضها) على زنة (فَعْلون) لا (فعلول !) ومنه : حمدون وسعدون وخلدون وسحنون ، والضم فى هذا أفصح ، وعبدون ، ويكثر هذا الوزن فى الأعلام الشخصية .

٢ – عجبت كل العجب كيف يذكر الأب حمدون وما على شاكلته ، ممثلاً به لما جاء على (فَعلول) ، مع أن قواعد الميزان الصرفى تأبى ذلك كل الأباء . وإنما هى على زنة (فعلون) كما بنيت ، وكما هو مسطور فى كتب التصريف !!

٣ – أتحدى « الأب » أن يأتى بكلمة واحدة ، عربية أو معربة ، جاءت على وزن (فَعْلول) بفتح فسكون باتفاق علماء اللغة غير صَعْفوقَ المعرب من اليونانية كما قيل . إن فعل ذلك كنت له من الشاكرين .

٤ – كثرة ممارستى لتدريس « علم الصرف » تسمح لى بأن أستنتج السر فى امتناع العرب من النطق بألفاظ على زنة (فَعْلول) استقلالاً .

وبيان ذلك ، أن العرب أكثرت من استعمال الألفاظ التى على وزن (فُعْلول) بضم الأول ، أصيلة ومعربة ، كالشمروخ (فرع العِذق) ، والأُثكول والعُثكول (كلاهما بمعنى الشمروخ) ، والعُنقود والعصفور والدُّستور ، وغيرها كثير فى اللغة ، ولم تستعمل على زنة فَعْلول إلا صعفوق المعرب ، ومع ذلك روى فيه ضم الأول وإن كان ضعيفاً . والسر فى هذا خفة الانتقال من ضم إلى ضم بينهما سكون . فالضم فى الأول يناسب الواو التى قبل الطرف . أما بناء (فَعْلول) الذى

كلامنا فيه ، فأوله مفتوح . والفتحة لا تناسب الواو التى هى بنت الضمة ، ففيه الانتقال من الفتح ، وهو خفيف ، إلى الضم وهو ثقيل ؛ ولم يحفِل العرب بالسكون المتوسط الذى يخفف أمر الثقل ؛ لأن الضم بعده سكون ثم ضم ، أسلس فى لسانهم من فتح بعده سكون ثم ضم ؛ لذلك كان فتح الأول فى الكلمات التى ورد فيها الضم لغة ضعيفة متروكة . وهذا تعليل لما اقتضاه ذوق العرب آمل أن يكون صحيحاً .

وبعد ، فقد أثبت البحث اللغوى ، أن النحاة واللغويين ، كانوا على يقين لا يخالجه شك ، حين قالوا : (ليس فى اللغة اسم على وزن فعلول غير (صعفوق) وقد انعقد الإجماع على أنه معرب دخيل ! وإذن فليس للأب أنستاس ، ولا لغيره من أرباب البحوث اللغوية بعد هذا البيان — أن يرفع عقيرته فوق المنبر الأدبى العلمى العالمى منبر « الرسالة » بقوله : (لماذا لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين) بل الأجدر به والأليق بمنزلته أن يقول : إن اللغويين والنحاة ، أعلام أثبات ثقات

وأقول أخيراً : إنى لا أجد مثلاً للنحاة واللغويين مع الأب أنستاس ، إلا قول من قال :

أوردها سعد وسعد مشتمل   ما هكذا يا سعد تورد الإبل

وقول الآخر :

أعلمه الرماية كل يوم   فلما استد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى   فلما قال قافية هجانى

جمّلنا الله بحلية الأدب ، وجنبنا مواقع الخطل والزلل ، بمنه وكرمه .

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية

للذكرى والتاريخ

طيبة تستقبل فرعون مصر

للكاتب الفرنسي تيوفيل جوتيه

في كتابه قصة الموميـاء

[إلى جانب المصريين نحن حقاً برابرة]
تيوفيل جوتيه

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

— ٢ —

بالقرب من سلسلة جبال ليبيا يقع حى ممنون الذى يسكنه من يهيئون حاجات الموت ، لأن عمله لا ينقطع أبداً ، وعبثاً تنتشر الحياة بضوضائها ، فالعصائب تجهز ، والتوابيت تغطى بالنقوش الهيروغليفية ، وبعض الأجداث الباردة ممتد على سرير الموت ذى القوائم التى تحاكى أرجل الأسد أو ابن آوى وينتظر أن يزين الزينة الأبدية .

ولدى الأفق الجبال الليبية تتضح قممها الجيرية فوق صفحة السماء النقية ، ويبدو جسمها الأجرد الذى نحتت فيه النواويس والقبور .

وعندما يتجه المرء ببصره إلى الجانب الآخر من النهر لا يجد المنظر أقل من ذلك جمالاً : فأشعة الشمس تكسو باللون الوردى سفح سلسلة جبال العرب ، والهيكل الضخم الهائل لقصر الشمال استطاع البعد أن يصغره قليلاً ، وقد نهضت أبراجه من الجرانيت ، وأعمدته الهائلة فوق منازل المدينة ؛ وأمام القصر تمتد ساحة فسيحة تسلم إلى النهر بسلمين على الجانبين ، وفى الوسط طريق الكباش يقود إلى برج ضخم ، يسبقه تمثالان هائلان وزوج من المسلات العالية يقطع رأساها الهرميان زرقة السماء الصافية .

وإلى الخلف من أعلى حائط السور يبدو جانب معبد آمون ، وإلى اليمين قليلاً ينهض معبد « خنسو » ومعبد « أفت » ويرى وجه برج ضخم ، ومسلتان طولها ستون ذراعاً تبينان مبدأ هذا المشى الهائل ، ذى الألف من التماثيل التى جسمها جسم أسد ورأسها رأس كبش ، ويمتد هذا المشى من قصر الشمال إلى قصر الجنوب ، وعلى جانبيه نرى هذه التماثيل الكبيرة مستديرة النيل

وبعيداً من ذلك يتراءى غير واضح فى الأشعة الوردية أفاريز عليها قرص الشمس الساحر ناشراً جناحيه الواسعين ، ورءوس التماثيل الضخمة ذات الهيئة الوادعة ، وزوايا الصروح العالية ، والطنوف المنضدة ، ومسلات من الجرانيت ، ومجموعات من النخيل يتفتح سعفها كأنه باقات من العشب ، وقصر الجنوب قد زها بحيطانه العالية الملونة ، وسواريه المزينة بالأعلام ، وأبوابه الماثلة ومسلاته ، وقطمان أبى هوله ؛ وفضلاً عن هذا ، كلما امتد الطرف استطاع أن يرى طيبة تمتد بقصورها وكليات كهنتها ومنازلها ، ويجد خطوطاً زرقاء ضعيفة ، تشير فى نهايات الأفق إلى قمم الأسوار ورءوس الأبواب

كان ميدان العرض شاسعاً قد مهد بعناية لإبداء العظمة العسكرية ، وبه أطورة يجب أن يكون قد استخدم فيها طيلة سنوات عديدة عشرات الأجناس التى قيدت إلى مصر مستعبدة ؛ وهذه الأطورة تكون إطاراً بارزاً لهذا المستطيل العظيم ، وخلفها حيطان من اللبن مصنوعة بانحناء ، ويقف عليها ، على ارتفاعات متفاوتة مئات الآلاف من المصريين الذين يظلون فى اضطراب دائم ، هذا الاضطراب الذى يميز الجمهور ، حتى حين يبدو أنه لا يتحرك ، وتلمع فى الشمس ملابسهم البيضاء أو المزخرفة بألوان ناصعة .

وخلف هذا النطاق من النظارة تجد العجلات والعربات والهوادج ، يحرسها الحوذيون والسائقون والعبيد ولها منظر شعب راجل ، فقد كان عددها عظيما جداً ، وإن طيبة عجيبة العالم القديم كان بها من السكان ما يربى على بعض الممالك

وكان الرمل المجتمع الدقيق للميدان الواسع المحاط بمليون رأس ، يلمع كأنه معدن براق تحت ضوء يسقط من سماء زرقاء ، كأنها مينا تماثيل أوزيريس

إلى الجانب الجنوبى من ميدان العرض ينقطع البناء ، وينفتح طريق محاذ لسلسلة جبال ليبيا ، ويمتد إلى بلاد النوبة العليا ، وفى الجهة المقابلة ينشق الجدار ، ويسمح للطريق لأن يستمر حتى قصور رمسيس ، عابراً بين الحيطان الضخمة

سمعت من بعيد ضجة عجيبة مبهمة قوية ، كضجة البحر ، حين يقترب ، وغلبت ضوضاء الجماهير . وهكذا يصمت زئير الأسد مواء جماعات ابن آوى . وبعدئذ أخذت تتميز أصوات الآلات من بين هذه العاصفة الأرضية التى أثارتها عربات الحرب

والمشية المتزنة للرجال من المحاربين ؛ وقد ملأ هـذه الناحية من السماء غبار مصفر كهذا الذى تثيره رياح الصحراء ؛ ومع ذلك كان الجو راكداً فلم تـكن تهب نسمة واحدة ؛ وأدقُّ سعف النخل ظل ساكناً لا يتحرك ، كما لو كان منحوتاً من الجرانيت على رءوس أعمدة من الصخر ؛ ولم ترتعش على الخدود الندية للسيدات شعرة واحدة ، والعصائب المزخرفة التى زينهن بها الحلاقون تمتد متكاسلة خلف ظهورهن

هذا الغبار الناعم قد أثاره الجيش وصار فوقه كسحاب أشقر زادت الضوضاء ، وانشقت عاصفة الغبار ، وبدأت الصفوف الأولى من الموسيقيين تبدو فى الميدان الواسع لتنعش الجمهور الذى بدأ يتعب من الانتظار تحت شمس تذيب الجماجم إلا جماجم المصريين

وقفت طليعة الجيش من الموسيقيين بضع لحظات ، وأخذ جماعات القسس والمنتخبون من أعيان مدينـة طيبة يعبرون ميدان العرض ليستقبلوا فرعون ، واصطفوا على هيئة سياج ، عليهم أعظم مظاهر الاحترام ، وتركوا الطريق حراً لمرور الموكب

لقد كانت الموسيقى التى تستطيع وحدها أن تـكوّن جيشاً صغيراً ، تتألف من الطبول والطنابير والأبواق والصلاصل

مرت الفرقة الأولى تغنى لحناً مدوياً هاتفاً بالنصر ، فى أبواق قصيرة من النحاس اللامع كأنه الذهب ، وكل واحد من الموسيقيين يحمل نفيراً آخر تحت إبطه ، فـكأن الآلة هى التى تتعب لا الرجل

كان زى هؤلاء الجند مكوناً من نوع من السراويل قصيرة ، مضمومة بمنطقة طرفاها العريضان يتدليان إلى الأمام ، ومن عصابة غرس فيها ريشتان من ريش النعام ، مختلفتا الاتجاه ، وهذه العصابة تضم شعرهم الثقيل . ووضع الريش كذلك يذكرنا بقرون الجعارين ، ويمنح الذين يتزيون بها منظراً غريباً كالحشرات

وضاربو الطبول يلبسون دروعاً مثناة فحسب ، ويضربون بقضب من خشب الجميز جلد حمر الوحش لطبولهم المعلقة بحمالات من الجلد ، متبعين النسق الذى يعينه رئيس لهم يضرب بكفّيه ، وكثيراً ما يتجه إليهم

يأتى بعد ضاربى الطبول اللاعبون بالصلاصل ، وهؤلاء يهزون آلاتهم بحركات عنيفة متقطعة ، ويدقون فى نظام حلقاتهم المعدنية على قضب أربعة من البرنز .

وحاملو الطنابير يعرضون أمامهم طنابيرهم المستطيلة والمحمولة بعصابة خلف أعناقهم ، ويدقون عليها بقوة بقبضات أيديهم

كل جماعة من الموسيقيين ليست بأقل من مائتى رجل ، ولـكن عاصفة الضوضاء التى تنتج من الأبواق والطبول والصلاصل والطنابير ليست بذات خطر ، ولا هى مخيفة تحت قبة السماء الواسعة ، وفى وسط هذا الفضاء الشاسع ، وبين طنين هذا الشعب ، وعلى رأس جيش يتقدم وله عجيج المياه الثجاجة

وهل كثير أن يتقدم ثمانمائة من الموسيقيين ركب فرعون ، محبوب آمون — رع ، والذى أقيمت له التماثيل الضخمة من البازلت والجرانيت ترتفع إلى ستين ذراعاً ، وقد نقش اسمه على الآثار الخالدة ، ونحت تاريخه وصور على حيطان ردهات المعابد ذات الأعمدة ، وعلى جدران الأبراج ، والأفاريز التى لا تنتهى ، وصور صوراً لا حصر لها ؟ أيكون كثيراً على ملك قابض على ناصية مائة شعب مغلوب ؟ على حاكم يؤدب الممالك بسوطه من أعلى عرشه ؟ على شمس حية تبهر الأعين وتريغها ؟

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أحمد بدوى
مدرس بحلوان الثانوية للبنين

من معارج الروح

نحن ؟ !

نَسختني رُوحكِ السَّمحةُ شِعراً ومُنى
وشَدتْ بي في المحاريبِ صلاةً وغِنا
ثم نَدّتْ أُفقَ الرُّوحِ جلالاً وسَنا
أنتِ يا دُنياي مَنْ أنتِ ؟ وآهاً ! مَنْ أنا !

أنا فِكرٌ عاشَ في ظِلِّكِ فناً ساميا
أنا طيفٌ رفَّ في واديكِ معنًى شاكيا
أنا نايٌ ذابَ في قُدسِكِ لحناً شاديا
أنا رُوحٌ طارَ في الحُبِّ فَراشاً صاديا

أنا هذا، مرّةً أُخرى، فمَنْ أنتِ إذنْ ؟
أنتِ مَنْ تَسْمُو وتَستعلِي على فِكرِ الزَّمنْ
أنتِ مَنْ طهّرتِ مِحرابي بأقباسِ الفِتنْ !
أنتِ مَنْ فجّرتِ عُودي في سمواتِكِ فنْ

ثم مَنْ نحنُ جميعاً ؟ نحنُ خمّارٌ وشَرْبُ !
نحن مَسحُوران يا دُنياي : عَينانِ وقَلبُ ؟
نحنُ قدِّيسانِ في المَعْبدِ : قُربانٌ وربُّ !
نحنُ في الدُّنيا، كما شِئنا، صَباباتٌ وحُبُّ !

(القاهرة) محي الدين صابر

دمعة على الماضي !

ثارتْ بقلبي ضجّةُ الحَيرانِ ... في اللّيلِ وامتصّتْ دمي أحزاني
ووجدْتُني سأْمانَ ليسَ يُحيطُ بي ... إلّا طُيوفُ متاعِبي وهَواني !
لهفانَ أرسُفُ في قيُودِ مواجِعي ... وتَشُوقُ نفسي فرحةَ الطّيرانِ
أجتازُ أشجاني التي قد أغرقتْ ... أسرارَها رُوحي إلى أشجانِ !
فكأنَّ رُوحي موجةٌ مدفوعةٌ ... غمرتْ صُخُورَ الحُزنِ في شُطآني
لكنْ أُحِسُّ بُرُوزَها لا ينثني ... مُتجمِّداً باليأسِ في أركاني !
وكأنَّ عُمري شاطئٌ مُستوحِشٌ ... قد باعدتْهُ غمرةُ النِّسيانِ
فسعَتْ مِنَ الماضي إليهِ زُمرةٌ ... مِنْ ذِكرياتي عذبةُ الألوانِ
أذكى تخطُّرُها بنفسي حسرةً ... أبديّةً مشبوبةَ النِّيرانِ ! ...
ما ماتَ ماضيَّ الذي أحببتُهُ ... لكنّهُ يمشي على وُجداني !
إني أراهُ ! غيرَ أنَّ زمانَهُ ... ولّى، وعزّتْ خُدعةُ السُّلوانِ
وكأنَّ ذاكَ العهدَ أيكٌ ساحِرٌ ... أنا منهُ مطرُودٌ عنِ الأكنانِ
ولئنْ يُحلِّقْ بي حنيني فوقَهُ ... فإليهِ منّي دمعةُ الحِرمانِ
تلكَ العِشاشُ سكنتُها وحبَبتُها ... هيَ ما مضى من راحتي وأماني
أوّاهُ لو حنّتْ إليَّ وأومأتْ ... لي أنْ أعيشَ بظلِّها الفَينانِ
وحطمتُ هذا السدَّ عنّي عابراً ... نحوَ القديمِ مفازةَ الأزمانِ
مُتخطّياً أسوارَ عيشٍ حاضرٍ ... قد خصّني بالظُّلمِ والنُّكرانِ
وجثوتُ في أطلالِهِ متمنّياً ... لو أنّه باقٍ ! بلا دَورانِ !
لكنَّ شِرعةَ هذهِ الدُّنيا جرتْ ... بالعُمرِ نحوَ نهايةِ الإنسانِ
هيهاتَ أحيا في القديمِ، فقدْ مضى
وأفقتُ منهُ على الأسى أبكاني

عبد الرحمن الخميسي

عودة « الرسالة »

جنَّ بي شوقي إلى طيف الرسالة ... فتلفتُّ عسى ألقى خياله !
مهبط الإلهام والسحر العجيب
ومنار العلم والفنّ الحبيب
والهدى البسّام في ليل الكروب
كم أضاءت ظلمة الشك الرهيب
بالذي يفتن من سحر الأديب
والذي يبهر من فنٍّ خصيب
كيف غابت عن عيونٍ وقلوب
علّمتها كيف تشدو بالنسيب



ذو القرنين هو الإسكندر المقدوني

ظهر فى العدد — ٥٠٦ — من مجلة الرسالة الغراء مقال لبعض الفضلاء تحت عنوان — هل الإسكندر الأكبر هو ذو القرنين المذكور فى القرآن ، وقد أنكر فيه أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر ، وذهب فى ذلك مذهباً يكفى فى ظهور بطلانه أن الأدلة التى أتى بها لإبطال المذهب الأول تبطله أيضاً . ولا أضعف من مذهب تقوم أدلة صاحبه على بطلانه ، فقد أنكر أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر لأنه كان وثنياً ، وذو القرنين بنص القرآن كان مؤمناً ، ولأن ذكر القرآن لذى القرنين كان جواباً عن سؤال اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم عن شخص لم يذكروا اسمه ، جاب الدنيا شرقاً وغرباً ، وكان له ملك عظيم ، وهم يقصدون بذلك ما ورد فى رؤيا دنيال أنه رأى كبشاً ذا قرنين ، وقد فسر ذلك بمملكة فارس التي لم تكن ظهرت بعد ، ثم رأى كبشاً ذا قرن واحد يهجم على الكبش ذى القرنين ويقتله ، وقد فسر ذلك بملك من اليونان يظهر ويقضى على دولة الفرس ؛ وعلى هذا يكون المقصود بذى القرنين دولة الفرس ، وبذى القرن الواحد الإسكندر المقدونى

فالدليل الأول إذا أبطل أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر يبطل أيضاً أن يكون هو دولة الفرس ، لأنها كانت دولة وثنية غير مؤمنة . والدليل الثانى إذا أبطل أن يكون ذو القرنين هو الإسكندر ، لأنه كان فى تلك الرؤيا ذا قرن واحد ، يبطل أيضاً أن يكون ذو القرنين هو دولة الفرس ، لأن سؤال اليهود كان عن شخص لا عن دولة ، والقرآن صريح أيضاً فى أنه كان ملكا واحداً لا ملوكا متعددة ، وحمله مع ذلك على دولة الفرس بمكان من التهافت ، وهو أضعف ما قيل فى ذى القرنين من الأقوال الكثيرة

هذا ولاشك أن رؤيا دانيال كما لم تقتض أن يلقب الإسكندر بذى القرن الواحد ، لا تمنع أن يلقب بذى القرنين لسبب من الأسباب . وقد جاء فى مجلة المقتطف أنه عثر على نقود مضروبة فى عهده ، فوجد فيها صورته والتاج بقرنيه على رأسه ، ولا أدل من هذا على أنه كان معروفاً بذلك اللقب . وقد ذكر ابن العبرى المؤرخ السريانى أن الإسكندر المقدونى هو الذى بنى سد يأجوج ومأجوج ، وأنه شرع بعده فى بناء السد الأعظم بمدينة باب الأبواب ، فوضع له أساساً عظيما ، وقد بحث عنه ملوك الفرس حتى عثروا عليه ، وبنوا عليه ذلك السد الذى فرغوا منه فى عهد كسرى أنوشروان . وكاتب ذلك المقال يرى أن هذا السد هو سد يأجوج ومأجوج ، فإذا صح ذلك فهو من بناء الإسكندر كما ذكره ابن العبرى

وقد وقفت فى مقالى الأخير من مقالاتى — الحضارات القديمة فى القرآن الكريم — بين إيمان ذى القرنين فى القرآن وبين ما ورد فى تاريخ الإسكندر مما لا يتفق ظاهره مع ذلك ، وأزيد على ذلك هنا أنه ورد في كتاب مناهج الألباب المصرية لرفاعة بك ، أن الإسكندر كان يتظاهر باتباع ديانة ما يفتحه من الممالك وإن لم تكن صحيحة فى رأيه ، يقصد بذلك التقرب إلى أهلها ، وحملهم على حب حكمه . على أن تلك الآلهة كانت فى أصلها رجالاً من عظماء قومهم أو صلحائهم ، ومن الممكن أن يكون تعظيم الإسكندر لها بالنظر إلى أصلها ، وأنه لم يكن يعتقد أنها آلهة ، وهذا يكفى فى نفى الوثنية عنه . ولا يفوتنى أن أنبه صاحب المقال إلى أن هولاكو كان أسبق من تيمورلنك

عبد المتعال الصعيدى

جن بى شوق إلى طيف الرسالة   فتلفتّ عسى ألقى خياله

فرحة غنّت بأشواق الأماني
للذى ألهم أسرار المعانى
والذى أيقظ وسنان الأغانى
وأشاع الفن فى كل مكان
وأحال الفن ذَوْباً من جنان
مهبط الإلهام من سحر البيان
يُجتلى الخلد على مرّ الزمان

عاد ! ! ها قد عاد لى طيفُ الرسالة !
فانتشى قلبي ونادى ... يا جلاله !

حسين محمود البشبيشي

١ — فتاوى السيد رشيد رضا

نشرت الرسالة فى العدد (٥٠٤) أن معالى وزير العدل قد أقر جمع فتاوى فضيلة مفتى الديار المصرية الحالى ، ورأى « أن الفائدة تكون أتم والنفع أعظم إذا انضم إلى ذلك مقارنة هذه الفتاوى بما هو محفوظ من فتاوى المغفور لهم مفتى مصر السابقين وخاصة فتاوى الأستاذ الإمام محمد عبده والشيخ بخيت »

وهذا الذى أقره وزير العدل إنما هو ولا ريب عمل جليل يستأهل من أجله كل ثناء وحمد ؛ بيد أننا نرغب زيادة فى تمام الفائدة والنفع أن تشمل هذه المقارنة فتاوى المغفور له العلامة الجليل محمد رشيد رضا من أحكم الفتاوى التى صدرت فى الثلث الأول من هذا القرن شاملةً لكل باب من أبواب الفقه الإسلامى . وأن الأستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد سليم لأول من يعرف فضل هذه الفتاوى ويقدرها حق قدرها ، وقد كان يطلب من صاحبها قبل موته جمعها وطبعها .

٢ — حول ذكرى السيد جمال الدين

لقد أحسن الأستاذ محمود شلبى فيما كتبه بالرسالة عن السيد جمال الدين ، ذلك الذى قال فيه الفيلسوف الفرنسى أرنست رنان « كنت أتمثل أمامى عند ما كنت أخاطبه ابن سينا أو ابن رشد أو واحداً من أساطين الحكمة الشرقيين »

وقال فيه الأستاذ الجليل مصطفى عبد الرازق باشا « حسبُه من عظمة ومجد أنه فى تاريخ الشرق الحديث أول داع إلى الحرية وأول شهيد فى سبيل الحرية » وذكر عنه الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى بك « أن الأمم الشرقية جمعاء مدينة بنهضتها السياسية والفكرية إليه » ولا نفيض فى القول لأننا الآن على غير طريق دراسة شخصية هذا الرجل الذى كان أمة وحده ، وإنما نذكر أنه إذا كان إحياء ذكرى العظماء هو بعض ما يجب لهم على الناس ، وأن الكاتب الفاضل قد أحسن فيما كتب عن ذكرى هذا العظيم الذى جحدنا فضله ونسينا ذكره فإننا نبين مضطرين — خدمة للحق — أنه قد نقل إلى كلمته الوجيزة أكثر من خمسين سطراً بنصها مما كتبه الأستاذ الإمام محمد عبده وأديب إسحاق وسليم العنحورى والسيد رشيد رضا فى تأريخ السيد الأفغانى ولم يشر إلى هذا النقل (يراجع الصفحات ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٧٣ من الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الإمام)

ولقد كان الأجدر بالكاتب أن يشير إلى ذلك رعاية لحرمة الأمانة العلمية وتنويهاً بمن سبقونا إلى ترجمة السيد وبيان فضله .

(المنصورة) محمود أبو رية

توضيح شبهة فى كتاب عبقرية عمر

عبقرية عمر شاهد عدل كبقية الشواهد على عبقرية الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد . فقد حلل ووجه كثيراً من أقوال عمر ومواقفه ، ولم يترك فى ذلك مغمزاً لغامز أو اعتراضاً لناقد . وعهدى بالأستاذ أنه تثبت ، وما نجح إلا النادر فى الاعتراض عليه ؛ وذلك يرجع لترويه فى كتابته ؛ ولكنه أستوقفنى قول الأستاذ فى عبقرية عمر صفحة (٢٨٥) أن المتعة كانت حلالاً أيام النبى عليه السلام ، وأن سيدنا عمر هو الذى نهى عنها وضرب عليها ، وأتى بقول سيدنا عمر : متعتان كانتا على عهد رسول الله ، أنا أنهى عنهما واضرب عليهما .

والواقع ليس كذلك ، لأن المتعة حرمها النبى عليه السلام عام حجة الوداع ولم يتركها حلالاً إلى خلافة عمر ؛ وفى الصحيحين ما يؤيد هذا . نعم إن المتعة كانت حلالاً فى صدر الإسلام للمضطر ، ثم حرمت عام خيبر ، ثم أبيحت عام الفتح ، ثم حرمت عام حجة الوداع ، وهذا رأى الشافعى ، وقال ما معناه أنه لا يعلم شيئاً تكرر فيه النسخ إلا المتعة . والبيهقى يصحح تحريمه عام الفتح لئلا يلزم النسخ مرتين . وللأستاذ بعد هذا خالص تقديرنا وإعجابنا

(فلسطين) رضا محمد دياجة
إمام الفرعون

السعادة فى نظر ديكارت

كتب ديكارت إلى الأميرة إليزابث رسالة بتاريخ أول سبتمبر سنة ١٦٤٥ ، قال فيها : « إننا لسنا نجد فرداً واحداً لا يرغب فى أن يكون سعيداً ، ومع ذلك فإن عدد الذين ينالون السعادة فعلاً عدد ضئيل ، لأن كثيرين من الناس لا يعرفون الوسيلة التي بها يحققون لأنفسهم السعادة » . وليست سعادة الإنسان — فى نظر ديكارت — متوقفة على الحظ Fortune أو الظروف

الخارجية ، وإنما هى تتوقف أولاً وبالذات على الفرد نفسه . ولذلك نرى ديكارت فى رسائله التى كتبها إلى الملكة كريستين ، يحاول أن يثبت لهـا أن « كل إنسان عاقل يجب ألا يفحص عن[1] خيره وسعادته إلا فى نفسه ، وأننا نستطيع أن نحصل على كل ما يلزمنا بأقل جهد وأدنى تكاليف »

«Tout homme raisonable ne doit chercher qu'en lui-même son bien et sa félicité, et que nous avons à peu de frais tout ce qu'il nous faut» (Let. sur la Morale; Introd. P. XXIII.)

وكان تأثير ديكارت على الملكة كريستين تأثيراً قوياً فعالاً ، حتى أنها كتبت تقول فى ٢٧ فبراير سنة ١٦٥٤ ، بعد تنازلها عن عرش السويد : « إننى فى هدوء واطمئنان ، لأن خيرى ليس فى يد القدر ، وسعادتى ليست تحت سلطان الحظ . أجل ، فأنا سعيدة مهما تكنْ الظروف ومهما يحدثْ لى »

وقد كتب ديكارت إلى الأميرة اليزابيث ، فى شهر مايو سنة ١٦٤٥ ، يقول : « إننى أميل دائماً إلى أن أنظر إلى الأشياء التى تتمثل أمام ناظرى ، من « وجهة » نظر تبديها لى حسنة تجلب الرضى ، بحيث أن فى وسعى أن أقول : إن سعادتى الأولى تتوقف علىّ وحدى » ، وفى هذه العبارة ينحصر سر السعادة فى نظر ديكارت ، لأنه « ليس هناك أحداث ألبتة ممعنة فى الشر — فى نظر الناس — ، إلا ويستطيع الإنسان بعقله وفطنته أن ينظر إليها من « وجهة » تُبديها له مواتية نافعةً » وفضلاً عن ذلك فإنه « ليس ثمة شر ، لا يستطيع المرء أن يستخرج منه وجهاً من الخير أو المنفعة ، إذا كان لديه عقل سليم »

«... il n'y a aucun mal, dont on ne puisse tirer quelque avantage, ayant le bon sens.» p. 55.

وأما خير وسيلة لتحصيل السعادة ، فتلك هى أنه « إذا وجد الإنسان نفسه حيال اعتبارات مختلفة ، كلها صحيحة ، ولكن بعضاً منها يحملنا على أن نكون سعداء ، والبعض الآخر — بخلاف ذلك — يحول دون تحصيل السعادة ؛ فإنه يبدو لى أن الحكمة تتطلب أن نسارع إلى أن نأخذ بالاعتبارات التى توفر لنا السعادة وتكفل لنا الرضى . . . وإذ كانت كل أمور الحياة هى مما يمكن أن يُنْظَر إليه من جانب فيبدو حسناً طيباً ، وينظر إليه من جانب آخر فيبدو ناقصاً معيباً ، فإنى أعتقد أنه إنْ وجب على المرء استخدام مهارته فى أمرٍ ما ، فذلك أولاً وبالذات فى أن يعرف كيف ينظر إلى أمور الحياة من « وجهة » تبديها له محققة لفائدته ومصلحته ، بشرط أن لا يكون فى ذلك خادعاً لنفسه » (من رسالة إلى الأميرة إليزابيث بتاريخ ٦ اكتوبر سنة ١٦٤٥)

زكريا ابراهيم

(١) من الأخطاء الجارية على أقلام بعض الكتاب قولهم : « فحص الشىء » بتعدية الفعل ، والصواب أن يقال فحص عن الشىء بمعنى بحث عنه ، كما ورد فى معاجم اللغة ومصنفات الكتاب العرب

أسد أباد : لا أسعد أباد

نشر الأستاذ محمود شلبى كلمة طيبة حيا بها فقيد الشرق السيد جمال الدين الأفغانى بمناسبة ذكرى وفاته . إلا أنه اشتبه على مؤرخى السيد موطن ميلاده

وقد ولد السيد فى شهر شعبان ١٢٥٤هـ فى قرية (أسد باد) لا (أسعد أباد) فقرية (أسد أباد) هى التى تقع على الساحل الشرقى لوادى (كُنَرْ) مديرية فى الشرق لعاصمة أفغانستان (كابل)

وهذه القرية الآن خربة ولم يبق منها إلا الأثر . فوالد السيد هو معروف السيد صفدر الشريف : وأما والدته فمن جهة الأم من أشراف أهل البيت ، وأما من جهة الأب فمن قبيلة (يوسف زاىْ) الأفغانى

محمد عبد الغفار الهاشمى الأفغانى

تصويب

حدثت أخطاء مطبعية فى القسم الأول من مقال « لا . . . بل النحاة واللغويون ثقات » أنبه على أهمها هنا ، مراعياً أن اللفظ الأول من كل اثنين خطأ ، وما بعده الصواب وهى :

كأنه يفسر — كأن يفسر . قريب — مريب . مراجع — مراجع . ظرِبى — ظرْبى . يدلها — يدخلها . يفهم — تفهم.

عبد الحميد عنتر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 508

Lundi - 29 - 3 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٠٨ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٩ مارس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٢٤١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٢٤٣ علوم اللغة في المدارس الثانوية ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٢٤٦ من الأستاذ محمد كامل سليم بك إلى الأستاذ توفيق الحكيم : ... ...
٢٤٧ قضية اليوم ... ... : الأستاذ دريني خشبة ...
٢٥٠ ثورة في الأخلاق ... ... : الأستاذ محمد يوسف موسى
٢٥٢ طيبة تستقبل فرعون مصر : الكاتب الفرنسي تيوفيل جوتييه بقلم الأستاذ أحمد أحمد بدوي
٢٥٥ روسيا والحرب الخاطفة : اليوزباشي حسين ذو الفقار صبري
٢٥٨ قطرة في بحر [قصيدة] : الدكتور عزيز عبد السلام فهمي
٢٥٨ من أزهار الشر ... ... : للشاعر « شارل بودلير » ... بقلم الأستاذ عثمان على عسل
٢٥٩ الشيخ عبد العزيز البشري : ... .
٢٥٩ ذو القرنين ليس الاسكندر الأكبر ... ... : الدكتور إبراهيم الدسوقي ...
٢٦٠ حول تراث اليهود ... : الأديب كامل السوافيري ...
٢٦٠ إلى الأستاذ محمود تيمور : الأديب أحمد الغرباصي ...

٨ — دفاع عن البلاغة

٢ — الـــذوق

كان الذوق في العصور الذهبية يتكوّن في الأديب — كما ذكرنا من قبل — بالدراسة الفقهية لعلوم الأدب، والقراءة النقدية لروائع الفن، والصحبة المتصلة لأمراء البيان، وغشيان مجالسهم، وطول الاستماع إليهم، وأخذ النفس بمحاكاتهم، وامتحان الآراء والأذواق بمحاكّهم، بعد أن يجمع الأديب وعاء قلبه على خير ما أُثر عن العباقرة الذاهبين من بليغ النظم والنثر في الأحوال المختلفة والأغراض المتنوعة. فلما خلت تلك العصور، وذهب في سبيلها أحبار البلاغة، وجاء هذا العصر الآلي المعجول، نشأ عن انتشار الثقافة السطحية فيه نوع من المساواة الظاهرية بين الأذهان في التحصيل والتفكير، فأخذ كل أديب يقرر ولا يستشير، ويجيب ولا يسأل، ويكتب ولا يقرأ. ولماذا يقرأ؟ إن الكتاب المعاصرين لا يكادون في رأيه يتميزون عليه، وإن الأدباء المتقدمين لا يمتون إلى حياته بسبب؛ والأبهاء والأندية لا تسمر بأدب الجاحظ ولا بحكمة المتنبي ولا بفلسفة أبي العلاء؛ وأكثر أولئك الناس لغتهم أجنبية وثقافتهم أوربية فلا يعرفون قيمة الأدب العالي، ولا يرفعون مكانة الأديب الحق

إنما يقرأ متأدبو اليوم صحف الأخبار ومجلات الفكاهة

وأقاصيص اللهو وملخصات العلم . وأكثر ما يقرأون صور منقولة أو مقبوسة عن أدب الغرب لا تربى فى القارئ إلا ذوقاً مذبذباً لا يثبت على لون ولا يستقيم على خطة . ومثل هذا الذوق الملفق المستعار لا ينظر إلى (الأمالى) و (الأغانى) و (اللزوميات) إلا كما ينظر إلى العمامة والقباء والجبة ؛ فهى فى حكمه أشياء قضت عليها (المودة) ؛ وللمودة فى كل يوم زى يتجدد معه الذوق ويتعدد !

وليس معنى ذلك أن الذوق الأدبى العربى فسد فى كل نفس ؛ إنما نتحدث عن الكثرة ؛ والكثرة فى عهد الديمقراطية تتحكم فى القلة : تحدد لها المستوى ، وتعين لها الاتجاه ، وتنصب أمامها الغرض ؛ بَلْهَ العدوى ، فإنها إلى الأصحاء مؤكدة سريعة

على أن فى كتاب العربية المعاصرين صفوة مختارة لا تزال فى وسط هذه الأذواق المتنوعة المتناقضة مخلصة للذوق الطبيعى الخالص ، تذود عنه ، وتدعو إليه ، وتأبى أن تنزل به إلى تمليق الدهماء ولو فقدت فى سبيله انتشار الصوت ورواج القلم . وأغلب هذه الصفوة من أبناء الأزهر ودار العلوم ومن تلمذ لهم ، لأن الذوق الأدبى عندهم هدى من الوحى الإلهى أنزله الله فى القرآن ، وأرسله فى الأدب ؛ فجرى فى النفوس المؤمنة مجرى العقيدة لا يحسن فى مكان دون مكان ، ولا يصلح لزمن دون زمن

ولكن أصحاب الذوق السقيم يرمون أصحاب الذوق السليم بالقدم والتقليد ؛ كأنهم يجهلون أن الجِدَّة والأصالة إنما تكونان فى العبقرية لا فى الذوق : تكونان فى الفكرة والعاطفة والصورة ، وفى ابتكار السمات للطبع ، والحركات للنفس ، والنزعات للهوى ؛ وفى استنباط الوسائل للاقناع والإمتاع والتأثير والتشويق والإفادة ؛ وفى ابتداع الكلمة الصادقة الشاعرة والجملة البارعة النادرة والأسلوب الحى الذى يلائم الموضوع ويوائم الطبيعة . بذلك استطاع الجاحظ أن يكون غير ابن المقفع ، وابن العميد غير الجاحظ ، والبديع غير ابن العميد ، وأبو نواس غير مسلم ابن الوليد ، وأبو تمام غير أبى نواس ، والمتنبى غير أبى تمام ، وأبو العلاء غير هؤلاء جميعاً ؛ ولكن الذوق الذى جمع فنهم وفرق بينهم ظل واحداً لا يكاد يختلف

***

كان المخلصون للأدب فى عهد انتشاره وازدهاره يجعلون من ثمار القرائح موضوعاً للنقد الدقيق الصادق ، فيؤلفون الكتب فى الموازنات ، ويعقدون المجالس للمناظرات ، ويضعون الموازين القسط للكتاب والشعراء ، فلا ينبه شاعر لجاهه ، ولا ينبغ كاتب لمنصبه . أما النقد اليوم فأكثره زور وعبث . هو فى أغلب الأمر رأى يصدر عن مجاملة أو جهالة ، ثم ينتقل من فم إلى فم ، ومن مجلس إلى مجلس ، ومن بلد إلى بلد ؛ والناس فى عصر السرعة الآلية والثقافة الضحلة يأخذون الرأى من غير تمحيص ، ويعطونه بدون اكتراث . فهذا الكاتب فى رأيهم زعيم الكتاب لأنهم يقرأون اسمه فى كل صحيفة ، ويسمعون ذكره فى كل مناسبة ! وهذا الكتاب فى زعمهم زعيم الكتب لأنه قرر فى المدارس أو انتشر فى الأيدى أو تحدث به الناس ! أما أن ينقدوا الكاتب أو يقرأوا الكتاب فذلك شىء لا يقع فى الهوى ولا يدخل فى الاختصاص . ومن هنا كان الرأى العام الأدبى فى مصر قائماً على التقليد والمتابعة ؛ ومن التقليد والمتابعة لا يولد ذوق خاص ، ولا يوجد رأى مستقل

إن مستقبل البلاغة منوط بتغلب الذوق الطبيعى المأثور على الذوق الزيف المستحدث . وإذا قلتَ إن سلامة القومية المصرية موقوفة كذلك على هذا التغلب لم تَـعْدُ الحق ؛ لأن الأذواق والأخلاق والعادات هى عناصر الشخصية التى تميز فرداً من فرد وأمة من أمة . وسبيل الغلبة والفلج للذوق الحر تربيته وتقويته . وأقرب الوسائل إلى ذلك التعليمُ الصحيح والمثل العالى . فإذا عنى القائمون على الثقافة بتعليم اللغة على النحو الذى تعلم به اللغات الأوربية فى الغرب ، وعرضوا على النشء النماذج العليا من الأدب قديمه وحديثه ، ورغبوه فى قراءتها بالعرض المشوِّق والطبع الأنيق والمكافأة الحسنة ، رجونا أن تنشأ الأذواق على الصحة وتجرى على الطبع ، فتعاف الأدب الرخيص ، وتستبشع الأسلوب الغث ، وتنكر النقد المزيف . وإذن تَنْقى رياض الأدب من الحشرات والطفيليات فلا تسمع فيها لغواً ولا تأثيماً ولا شعوذة

إن معلمى اللغة فى كل أمة هم وحدهم المسئولون عن تكوين الذوق السليم والخلق القويم فى الناشئ . وإن ما نجده فى مصر من فوضى الأخلاق والأذواق لدليل على أن فى بعض معلمى العربية ضعفاً فى الاستعداد أو نقصاً فى الإعداد نضرع إلى القائمين على شئون التعليم أن يعملوا مخلصين لعلاجه . وما نظن (الدراسة العليا) التى فرضت على بعضهم فى هذا العام هى وحدها الدواء الناجع فى هذا العلاج .

« للكلام بقية »

احمد حسن الزيات

علوم اللغـــة العربية
فى المدارس الثانوية

للدكتور زكى مبارك

تمهيد

جرت وزارة المعارف منذ أعوام على الاستفادة من إجازة نصف السنة بجعلها مؤتمرات للمفتشين يتبادلون فيها الآراء حول مناهج التعليم وأحوال التلاميذ

وحديث اليوم عن الأسئلة التى وجهتها المراقبة العامة للتعليم الثانوى إلى مفتشى التعليم الثانوى ، وهى أسئلة دار حولها الجدال يومين ، وقيلت فيها أقوال تستحق التسجيل ، وقد استشرت زملائى فى إعلان بعض تلك الأقوال ، فأجابوا بالترحيب

ظاهرة إنسانية

لا أعرف كيف دارت المناقشات بين مفتشى الرياضة والعلوم والمواد الاجتماعية ، ولكنى أعرف كيف دارت المناقشات بين مفتشى اللغة العربية

كان الشوق إلى الكلام شديداً جدًّا ، وكان كل مفتش يحب أن يتكلم باطناب ، وكأنه يريد أن يكون المتكلم الوحيد !

كان فى المفتشين من يقف ليخطب ، مع أن الجمهور الذى تألف منا لم يزد عن أحد عشر كوكباً !

ومع أن شهوتى إلى الكلام قليلة لكثرة ما أعبّر بالقلم عما يجول فى صدرى ، فقد زاحمتُ بعنف لأتكلم أنا أيضاً ، وقد تكلمت حتى اشتفيت !

فما سرّ الشوق إلى الكلام حين يتلاقى الناس ؟

يرجع ذلك فيما أفترض إلى أن طرائق التفاهم عند الإنسان قد انحصرت فى طريق واحد : هو النطق ، وبذلك عُطّلت طرائق التفاهم بالرمز والإشارة والإيماء

والظاهر أن انحصار التفاهم فى النطق فضيلة إنسانية ، فضيلة دعا إليها اشتباك الأغراض بصورة لا ينفع فيها غير التحديد بالألفاظ

والظاهر أيضاً أن اختراع الكتابة من أعظم المخترعات الإنسانية ، لأنه يرمى إلى تسجيل الألفاظ قبل أن تضيع ، وإلى تقييد ما فيها من مسئوليات

هل أريد أن أقول إن « المسجّل » غاب عن اجتماعات المفتشين ، وأنهم لو كانوا يعرفون أن كلماتهم ستُسجّل كما وقعت لاقتصدوا فى الخطابة بعض الاقتصاد ؟

إن الآداب الدينية توصى بأن نحترس ، وتوجب أن نفهم أن الإنسان ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيد . فالخوفُ من تدوين الألفاظ بابٌ إلى أدب اللسان

وليس معنى هذا أن المفتشين قالوا كلاماً لا ينبغى أن يقال — لا — ولكن معناه أنهم لو عرفوا أن كلامهم سيسجّل لأعدّوا كلاماً أقوى من الكلام الذى قيل ، مع أنه من الكلام النفيس

كل شىء صائرٌ إلى التحديد ، فالإنسان كان يعبّر بالإشارة ، ثم ارتقى فصار يعبّر باللفظ ، ثم ارتقى فصار يعبّر بالكتابة ، وسيرتقى مرةً جديدة فتكون له لغة واحدة ، لغة محدودة لا يتطرق إليها لَبْس ، ولا يعتريها غموض

من متاعب الإنسانية أن اللفظ الواحد فى اللغة الواحدة قد يختلف مدلوله باختلاف الأذواق ، بحيث يكون مدحاً عند هذا وقدحاً عند ذاك

وأعصابنا تتأثر بالألفاظ ، أو باختلاف ما نفهم من مدلولات الألفاظ ، فتى تزول أسباب هذا الاختلاف ؟

الرأى عندى أن هذه البلبلة الخطرة من أعظم مزايا الإنسانية ، ولكن كيف ؟

القوة الحقيقية للانسان هى قدرته الأصيلة على الظفر بأكبر محصول من اشتجار العواطف والأحاسيس والآراء والأهواء

ولو توحدت اللغات والتعابير فزالت جميع أسباب الاختلاف لتحول الإنسان إلى صورة آليّة لا يسيّرها غير ضريم « البنزين »

نحن نختلف أقل مما يجب ، ويا ويلنا إذا لم نختلف !

المثال الصحيح للاتفاق هو أمة النمل ، ونحن نكره التشبه بأمة النمل

الاختلاف هو الذى خلق الملوم والمدنيات ، وهو الذى أوجب أن يكون لكل ثمرة مَذاق

الاختلاف واجب ، أما التعادى فهو بلاء

الإنشاء

قالت مراقبة التعليم الثانوى : إن إنشاء التلاميذ لا تزال تكثر فيه الأغلاط النحوية والصرفية والإملائية ، ثم دعت المفتشين إلى أن يشيروا بما يرون لعلاج هذه الحال ، فماذا قالوا ؟

قال الأستاذ جاد المولى بك : إن أهم المظاهر لمعرفة اللغات هو إجادة الخطابة والكتابة ، وإن فى المدرسين أنفسهم من يصعب عليه الإنشاء ، ولعله يصعُب أيضاً على بعض المفتشين ! فمن الواجب أن يراض التلميذ على الكتابة والخطابة رياضة جدية وأن تكون قدرتهم على هذين الفنين أول مايهم المدرسين

وقال الأستاذ منصور سليمان : إن تعليم الإنشاء فى المدارس المصرية قد ابتُلى بآفة قبيحة ، آفة مموقة للفكر ، وهى الحرص على الزخرف وعلى الإطناب فى جميع الموضوعات . وقد رأيت فى أحوال كثيرة أن التلميذ يثاب على التطويل بأكثر مما يثاب على التدقيق . ومن هنا شاع القول بأن اللغة العربية تمتاز بالتهويل والإسراف . وشكوى المدرسين من التعب فى تصحيح دفاتر الإنشاء لا تستحق أى التفات ، لأنهم مصدر هذا التعب ، فهم الذين يوحون إلى تلاميذهم أن الإطالة من علائم البيان

مشكلة الإنشاء

كلام الأستاذ منصور سليمان يتيح الفرصة لأن أفصل رأيي فى هذه المشكلة ، وهى مشكلة أساسية ، فما الذى دعا إلى ضعف التلاميذ فى الانشاء ؟

السبب الأول هو سيطرة المدرس على لغة التلميذ ، ومعنى هذا أن المدرس ينتظر دائماً أن يعبّر التلميذ عن غرضه بألفاظ مخزونة فى ذاكرة المدرس

وتصحيحات بعض المدرسين تؤيد هذا القول ، فهم يدورون حول ألفاظ أعدوها لكل موضوع ، وهم يسجلون بالقلم الأحمر تلك الألفاظ تسجيلاً يظهر أثره فى جميع الكراريس

بعض المدرسين يملون على تلاميذهم ألفاظاً وتعابير تصلح لكل موضوع ، كما يزعمون ، وهى طريقة عقيمة ، ولا يعتمد عليها غير المدرس الببغاء !

السبب الثانى هو تحكّم المدرس فى عقل التلميذ ، فهو يطلب منه أن يفكر كما يفكر ، وأن يرى الدنيا بعينه ويسمعها بأذنيه ، ولا يخطر فى باله أن كل تلميذ له تصوُّر خاص ، وأن التلاميذ يختلفون فى الأفكار كما يختلفون فى الملامح

وقد يتفق أن نرى التلاميذ فى الموضوع الواحد يثبتون أقوالاً وآراء مقتربة كل الاقتراب ، فنفهم أن المدرس أنزل عليهم الوحى الكاذب أو الصادق ، وكنا نرجو أن يفكر فى تقوية مواهبهم تقوية سليمة ، وذلك لا يتم بغير دعوتهم إلى شرح مايعتلج فى صدورهم من المعانى والأغراض شرحاً لا تهيمن عليه قوة خارجية

السبب الثالث هو تقديم موضوعات بعيدة عن مدارك التلاميذ ، وأريد بها الموضوعات الميتة ، الموضوعات التى لا تأخذ وقودها من الحياة الواقعية

ومَرَدُّ هذا إلى الجهل بحيويات التلاميذ ، فلهم اتجاهات فردية واجتماعية غير اتجاهات المدرسين ، ومن الواجب أن تكون موضوعات الإنشاء فى شرح تلك الاتجاهات

وهل ينتظر المدرس أن يجيد التلاميذ فى كتابة موضوع تلقاه وهو تلميذ قبل عشرين سنة أو تزيد ؟

فى المدرسين من لا يختار موضوع الإنشاء ، وفيهم من ينقل الموضوعات التى ألقيت على تلاميذ المدرسة الفلانية ، وفيهم من يكرر الموضوع الواحد بضع سنين

الإنشاء اسمه إنشاء

فاختيار الموضوع إنشاء

واللفتة الذهنية عند المدرس بابٌ من الانشاء

وخطأ التلميذ ، الخطأ المنقول عن طبيعته الذاتية فن من الانشاء

والمهمُّ هو أن نجد فى الصف المكوَّن من ثلاثين تلميذاً ثلاثين صورة من التفكير والأداء ، لا صورة منسوخة من حضرة المدرس المفضال !

السبب الرابع إقبال المدرس على تصحيح الكراريس وفى ذهنه صورة محدودة للاجابات ، فهو يهمل كل فكرة منحرفة عن تلك الصورة ، ولا يثيب التلميذ إلا بقدر محاذاته للعناصر التى فرضها عليه قبل الشروع فى الإنشاء

وهذه الطريقة تقتل شخصية التلميذ ، وتميت فيه بواكير

الابتداع والافتنان . وما ظنكم بتلميذ يرى الخير كل الخير فى محاكاة المدرس ، ويهمل ملكاته الإبداعية كل الإهمال ؟

ما ظنكم بتلميذ يراض على الإيمان بأن رأى المدرس هو الرأى ، وتقضى عليه التجارب المدرسية بأن يفهم أن نجاحه يقاس بمقياس رأى المدرس ؟

هذه الظاهرة موجودة بالفعل ، وهى السبب فى الإكثار من دروس الإنشاء الشفوى ، وهى دروس عقيمة ، لأن الغرض منها توجيه التلاميذ توجيهاً حرفياً إلى الأفكار التى يحب المدرس إثباتها فى موضوع الإنشاء

ومن أغرب ما يقع أن يقيد المدرس فوق السبورة ألفاظاً وتعابير تساعد التلاميذ على إبراز العناصر الأساسية ، وتكون النتيجة أن تكثر المبتذلات «الكليشيهات» فنرى فى الكراريس جميعاً صوراً موحدة فى الأداء ، وهذا نقل لا إنشاء

وهنا أقترح أن تقصر دروس الإنشاء الشفوى على المدارس الابتدائية ، لأنها توجيه للمبتدئين . أما المدارس الثانوية فلا تجوز فيها دروس الإنشاء الشفوى ، لأنها تزيد فى اتكال التلميذ على المدرس ، والاتكال باب إلى البلادة والخمود

وأقترح أيضاً أن تكتب أكثر الموضوعات فى الفصل ، ليعرف المدرس قوى تلاميذه على الوجه الصحيح

وهل ننسى أن بعض التلاميذ يعتمدون على غيرهم فى الإنشاء ليَلقَوا المدرسين بأساليب مثقلة بالزخرف والتنميق ؟

وهل ننسى أن فى المدرسين من يغيب عنه ما فى كراس التلميذ من سرقات أدبية ؟

وهل ننسى أن فى المدرسين من لا يفكر فى الموازنة بين الموضوع السابق والموضوع اللاحق ، ليعرف كيف يتطور تفكير التلميذ ؟

السبب الخامس غرام بعض المدرسين بالإكثار من التصحيحات إكثاراً يشهد برغبتهم فى التفوق والاستعلاء

وهذا الغرام ينفعهم عند بعض المفتشين ، لأنه دليل على التدقيق ، ودليل على الفهم لأسرار اللغة العربية ، ولعله الباعث على بعض الترقيات !

والحق أن الحبر الأحمر رخيص ، فما أذكر أنى استنفدت منه غير مثاقيل لا يزيد ثمنها عن بضعة قروش ، مع أنى قضيت أكثر من ربع قرن فى التدريس والتفتيش

لو غلا الحبر الأحمر لاقتصد المدرسون فى تلك البرقشة الحمراء ، وهى برقشة ثقيلة الدم ، فهى تشعر التلميذ فى كل يوم بأنه تلميذ ، ولا تتيح له فرصة الشعور بأنه إنسان له وجود مستقل ، ولو بعض الاستقلال

إذا كانت الكلمة صواباً فى قول وخطأً فى أقوال فيجب تركها بدون تصحيح ، لأن ورودها على قلم التلميذ شاهد على أن هذا الخطأ أحيا من ذلك الصواب

وإذا وردت كلمة عامية لها أصل بعيد من اللغة الفصيحة فيجب تركها بدون تصحيح

دعانا الدكتور هيكل باشا مرة للتشاور فيما يجب لتقليل الأخطاء فى كراريس التلاميذ ، فقلت : إن المدرسين يوجبون حذف « الفوطة » وإثبات « القطيلة »

فقال : وما القطيلة ؟

فقلت : هى كلمة يعرفها المدرسون ويجهلها وزير المعارف ، مع أنه من كتّاب الطبقة الأولى فى اللغة العربية

ثم قلت : يوجد مؤلف كبير اسمه ابن الفُوطى بالفاء ، والجرائد تجهل اسمه فتسميه ابن القوطى بالقاف

فما الذى يوجب الحذلقة بتسمية الفوطة منشفة أو قطيلة ؟

مهدوا الطريق للألفاظ الحية ، واتركوا الألفاظ الميتة ، فما يموت لفظ إلا بعد العجز عن البقاء

السبب السادس هو الهيام بتجميل الموضوعات بالباطل حيثما وقعت ، فلعَب الكُرة فُرشَ بالبساط السندسى ، مع أن الأفضل أن يفرش بنبات النَّجيل ... والحديقة يجب أن توصف بأنها غناء ، ولو كانت فوق سطح البيت . وتحت يدى وثيقة تشهد بأن سطح الفندق الفلانى فى المدينة الفلانية وصف بالفرنسية مرة وبالعربية مرة فقيل بالفرنسية إنه مِنْظَر « Panorama » يرى به الناظر جميع الآفاق ، وقيل بالعربية إنه حديقة غنّاء ، مع أنه لا يتسع لغير شجيرات محبوسة فى زهريات !

ثم ماذا ؟ ... عندى كلامٌ كثير فى العوائق الذى تصد التلاميذ عن إجادة الانشاء ، وأنا أكتب مقالاً لا كتاباً ، فمن الواجب أن أكتفى بالتلاميح

وأنا أختم هذا المقال بالحقيقة الآتية :

هل يوجد مدرس يراقب ما يقرأ التلاميذ من الجرائد

والمجلات ليجعل موضوعات الانشاء فى حدود المشكلات التى تثيرها تلك القراءات ؟

إسمعوا ، ثم اسمعوا

الانشاء ليس تمريناً على إضافة لفظ إلى لفظ ، وإنما هو رياضة ذهنية يراد بها تقوية المواهب الروحية والذوقية والعقلية

إخلقوا الشوق إلى الانشاء بأن تقترحوا على التلاميذ موضوعات يحبون أن يكتبوا فيها . خاطبوهم بأذواقهم لا بأذواقكم وادعوهم إلى أن يكشفوا من سرائر الحياة ما تجهلون ، فهم أعرف منكم بسرائر هذا الزمان

دعوهم يفكرون كما يُريدون ، لا كما تريدون ، ورحبوا بجهلهم لأنه تباشير العصر المقبل ، ولا تنسوا أن الطفل لا ينمو إلا إن تركناه يتصرف فى حدود ما يريد

عندى كلامٌ وكلام فى تعليم الانشاء ، ولكن المجال لا يتسع للاسهاب

أما بعد فماذا قال مفتشو التعليم الثانوى ؟ سأرى وسترون

« للحديث شجون »

زكى مبارك

من الأستاذ محمد كامل سليم إلى الأستاذ توفيق الحكيم

[الأستاذ محمد كامل سليم بك أديب مبدع ومحدث مقنع ، وله فى الأدبين العربى والانجليزى مكانة سامية . ولعل هذا من الأسرار التى حدت بزعيم مصر سعد زغلول أن يختار الشاب كامل سليم سكرتيراً خاصاً له أيام الجهاد برغم صغر سنه وعظم المركز وجلاله ؛ فزاده ذلك صقالا على صقال . وقد أهدى إليه صديقه الأستاذ توفيق الحكيم كتابه « عصفور من الشرق » فأرسل إليه هذا الخطاب]

عبد الرحمن

صديقى توفيق الحكيم

تفضلت فأهديت إلىَّ كتابك « عصفور من الشرق » وقد فرغت من مطالعته أمس فى متعة وأنس للعقل والنفس . ذلك لأنك أقمته على دعامتين : الأولى عاطفة قوية جارفة ، لا يعادل اختلاجها وسذاجتها إلا صدقها وشدة وطأتها . والثانية : عقل مفكر ساخط يتضور من عالم الحقيقة ، ويفزع إلى عالم الخيال ، فى ألم يزيده الشك تعقيداً ، وفى أمل يزيده اليقين تجديداً

وإن كتابك هذا لحقيق بأن يحرك فى نفس القارئ العليم بحقائق الأمور عواطف وخواطر شتى : من إشفاق ضاحك على العصفور الحساس الشاعر ، إلى عطف باسم على قلبه الخفاق الثائر ، إلى رثاء ظريف لحاله المضطرب الحائر ، إلى غبطة تثير الذكرى لما لقى من حب مدوخ فائر ، أشعله جمال فتان ساحر ؛ حتى أصبح هذا المخلوق البرىء ريشة فى مهب الأجواء ، تلعب بها الأهواء ، فلا تستقر على حال ، ولا يهدأ لها بال ؛ وأمسى وهو لا يرى ولا يسمع نصح الناصحين ولا إرشاد الرشدين :

وما تبصر العينان فى موضع الهوى ... ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

وأخيراً هذا الفكر البائس (إيفان) يتشكى ويتسخط ، ويتفلسف ويتورط ، ويسمع الإنسان فى صوته رنيناً من الحق ، وأنيناً من الأسى ، ويشهد فى أقواله طغيان الفكرة وقوة الإيمان بفساد الغرب وصلاح الشرق ، وبما فى المادة من شقاء وضلال ، وبما فى الروح من أنس وجلال ؛ فلا يسع الإنسان — سواء أقره أم خالفه — إلا أن يشعر نحوه بعطف كله إشفاق ، ورحمة تضاعفها لوعة ، ولوعة يخالطها ألم .

وبعد ، مرة ثانية : هل تريد أن أكشف اللثام عنك فى ضوء هذا الكتاب الذى وصفت فيه حالات المحب واختلاجاته ، ونزوات الحب ونزعاته ، حركاته وسكناته ، خطراته وخفقاته ؟

إذن فاسمع يا صديقى ، لقد جاء وصفك لهذا كله وصف العارف المجرب . وما ينبئك مثل خبير ؛ فلست أنت عدو المرأة كما يزعم الزاعمون ويتصور الواهمون ، وإنما أنت عاشقها المتيم الهائم ، وعابدها فى محراب العزلة والجمال .

ولقد وددت بعد فراغى من مطالعة كتابك لو امتد بك الصبر فأطلت فيما أوجزت ، وأسهبت فيما سردت ، وبسطت طرفاً آخر من تجارب الحياة . وتبسطت فى ذكر حوادث أخرى أو مغامرات ... إذن لكان صاحبك مثلاً فذاً للمفكرين .

على هامش « أحلام شهرزاد »

قضية اليـــوم

للأستاذ دريني خشبة

قالت فاتنة : « عجباً لك ياصديقي ! لست أعرف سبباً لترددك هـذا الذى طال ، وخوفك ذاك الذى سمج ، وإشفاقك الذى لم تعدُ له علة ؛ فها أنت ذا تعيش ملء القاهرة ، وها هم أولاء أخدان الشباب من حولك ما تزال قلوبهم عامرة بالشباب ؛ ونفوسهم ممتلئة بالفتوة . وهاهى ملاعب أُنسك ، ومراتع هواك ، يرقص فيها ماضيك ريان كما عهدته ، فينان كما حلمت به ، فإلام تظل راكداً هكذا ؟ وحتَّام تغفو عيناك وكل ما حولك صحو ؟ ! أخشى أن يكون إشفاقك من الكتابة عنى ، وقد ملأت أذنيك شدوا ، ومهجتك غناء ، هو ما ترى من القطيعة الشاحبة التى قامت بين أئمة الأدب فى هذا البلد ، وقالات السوء التى يرسلها الأبالسة المغرضون لتعبس الجنة الباسمة ، ويصمت الطير الصادح ؛ وليكون نعيبهم وحـده هو المسموع فى الآذان ، المدوِّى فى الأذهان ، مهما يكن شأنه من الهوان ... كلا يا صديق ... لا عليك من هذا أبداً ، فأئمة الأدب فى هذا البلد أعظم من أن تمزق وحدتهم الأقاويل ، وأجل من أن تذهب بريحهم عصبة الأبالسة من مروِّجى الأكاذيب ... يجب أن تكتب عنى إذن وأنت آمن مطمئن ، فقـد بلوتَ من ألوان الأساطير وفنون القصص ما ينبغى أن يوقظ فيك جمالى ، ويلفتك إلى سحرى ، وينبه فيك روعتى التى أبدعها خيال صاحبك الصناع الفنان ... ولن يُعفيك من الكتابة عنى ما أوجف به المرجفون عقب أن تلَـهَّوْا بقراءتى فى سيارة أو فى عربة ترام ، فلست من الهوان بحيث أُقرأ هكذا ، وبحيث يفرع القارئون منى على هذا النحو ، فأنا قطعة أدبية خالدة ، ولن يسأمنى الناس مهما أ كبوا علىَّ ، ومهما أدمنوا تلاوتى ... إننى أروع لوحات الفن فى عالم الأدب المصرى الحديث ... وأعيذك من أن تظن بى الظن ، أو تأخذ على اعتداداً بشخصي القوى ، ولن أقول الضعيف تواضعاً ، فإن عرفانى بقيمتى يباعد بينى وبين التواضع ... والتواضع أ كبر رذائل الأدب ما لم يكن مصدره الغرور ، إذ يصبح فضيلة يجمل أن يتحلى بها ليريح الناس منه ... أنت إذن تخشى شيئين ... أولهما هذا الفتور الذى قام بين (صاحِـبَىْ القصر المسحور) فباعد بينهما إلى حين ، وجعل الكلام عنهما كهذا الشوك الذى ينبت في أعواد الورد ، فيخيف الأيدى الناعمة من أن تمتد ، والأرواح الظامئة من أن تتطلع ... أما ثانيهما فهو كتابتك فى « الرسالة » عن صاحبى ، أى عنى ... و « الرسالة » هى التى

ولكان عصفورك مثلاً حيًّا لعصافير المصريين .

فوا رحمتاه للعصافير السمراء ، حين تحب الحمائم الجميـلة البيضاء ! ويا لها من نشوة دونها كل نشوة ، فيها عذوبة وفيها عذاب ؛ ولكنها حياة لا تعدلها حياة .

قد يسأل سائل : أليس من العجيب أن يحب العصفور الآدمى الصغير الحمامة الآدمية الجيلة ؟ أليس بينهما تفاوت قائم وتبـاين ؟ فكيف يتم بينهما توافق دائم ووئام ؟ بلى إنه لعجيب ؛ ولكنه عجيب فى حكم العقل والمنطق وحدها ؛ ولكنه فى حكم الطبيعة والعاطفة مفهوم ولا يفهم سواه . والحب لغز من الألغاز تجرى فى دائرته المرنة عملية الجذب والانجذاب ، فلا ملام ولا عتاب .

على أنى كثيراً ما تمنيت لو أن كل عصفور من الشرق أو الغرب أدرك حكمة الأيام فى كل زمان ومكان وهى أن المرأة إذا استقوتك استعطفتك ببكائها ، وإذا استضعفتك قتلتك بكبريائها . إذن لكان نصيبه من متع الحياة أعظم وأ كثر ، ولكانت شقوته بها أقل وأضأل .

ولكن كيف يدرك العصفور ، حكمة الدهور ، قبل أن يتنقل بين الزهور ؟

إليك يا صديق خالص التهنئة على ما أدركت من توفيق ظاهر فى كتابك الخفيف الظريف . وإليك كذلك خالص الشكر على الهدية وعاطر الثناء على كرم الإهداء والسلام .

١٠ مارس سنة ١٩٤٣ (محمد كامل سليم)

نشرت تلك الـكلـَـمات التى نقمها صاحب « شهرزاد » فيما شجر بينه وبين صاحب « فاتنة » أى صاحبى . . . والرسالة أيضاً لها « وَعكتها » التى فـَتـّرت العلاقات بين صاحبها وبين أعز أصحابه عليه ، وأحبهم إلى نفسه ، لأنه زميل الصبا ، وخدن الشباب ، وصاحب الحق الأول فى فؤاده ، والشريك الذى بنى معه صرح هذا الأدب فى مصر . . . لا لا يا صديق ، دَعْ ما يريبك من أمر الصداقات إلى ما لا يريبك من أمر الأدب ، فللصداقات عتاب يحلو أو يمر ، وللأدب نقد يسلس أو يقسو ، وينعم أو يعنف ؛ والصداقة شىء ، والأدب شىء آخر . ولن يقلب النقد صداقة من الصداقات فيجعلها عداوة إلا فى الأمم الصغيرة الفقيرة من القلوب الكبيرة ، فإذا عرضت لما أرجف المرجفون عن « شهرزاد » وعن « أحلام شهرزاد » وما تخرصوا به من أخذ هذه عن تلك ، فإنما تعرض لموضوع أدبى لم يشدُ منه المتخرصون إلا ألفاظاً أو عبارات لا كيل لها ولا وزن . وهم قد أوردوها ، حينما أوردوها ، ليوهموا أنهم بلغوا بها لباب النقد الصراح ، وقطعوا بسقطها جهيزة كل خطيب . . . أما صاحب الرسالة ، والـكلـَـمات التى نشرها لصاحب شهرزاد ، فصحيفته كانت وما تزال صحيفة الأدب والنقـد الخالص البرىء . . . وآية ذلك أننى تعمدت أن أختارها لك لتـكتب عنى فيها ، لتقطع ألسن المرجفين والخراصين ، ولتفتح أعينهم التى غشيت إن لم تـكن قد عميت ، على صورتى الرائعـة التى هى ابتكار جديد لم يسبق أحد صاحبى إليه ، ولا استطاع أحد أن ينبت فى جنة شهرزاد زهرة أينع منها ، ولا أعبق من شذاها شذى ... هذه كلمات سيضيق بها النافسون على صاحبى أشد الضيق ، ولـكن قلها ولا عليك مما ينفسون من شىء ، فلن يضر زهار الفل إلا أهله ، ولن يأكل إلا قلوب أصحابه . . . ثم لا تنس أن صاحب الرسالة هو الرجل الذى أثار موضوع النقد منذ أعوام فجلاه أحسن تجلية ، واستبقت الأقلام وراء قلمه تؤيد ما يقول ، وتفصل ما يجمل ، وأنك أنت يا صاحبى كنت أحد الـكاتبين فيه ، المؤيدين لوجهة نظر صاحب الرسالة ... ثم أذكر أنه صرح لك بجمالى ، واعترف بروعتى ، وحسبك أن يصرح الزيات بجمال فاتنة ، وروعة فاتنة ، لتكتب أنت عن فاتنة ... : أما أختى ... أما شهرزاد التى ملأت أحلامها ، فأنت الـكفيل بأن تنافح عنها ، وتكافح فى سبيلها ، وأنا ضامنة لك أنك منصفها من هراء ما أرجفوا به عن غير علم ، وجُفاء ما شقشقوا به بغير هدى ولا كتاب منير ... ويدعى الخرّاصون أن صاحب شهرزاد قد أصبح أنانياً ، وذلك أنهم قالوا إنه غضب لأن زميله فى القصر المسحور قد كتب فى « شهرزاد » كتاباً مستقلاً ترجم به عن أحلامها ؛ كأن شهرزاد لم تـكن موجودة منذ قرون ثم وجِدت ، أو كأنها شىء من ابتـكار هذا الجيل فلا يصح إلا أن تـكون حبساً على فلان أو فلان من زعماء الأدب الحديث . . . ولو عقلوا لتأدبوا أولاً ، ثم لعلموا أن الوقيعة على هذا النحو شىء خسيس لا يليق بكرامة نهضتنا ثانياً ، ثم لذكروا أن صاحب شهرزاد ليس أنانيا وأنه صاحب فطنة ونباهة ، وأنه ليس من الخفة بحيث ينطلى عليه ما زعموه له من السرق

وإن الذى بينى وبين بنى أبى وبين بنى عمى ... ...

ومختلف جداً ما جاء فى شهرزاد وما جاء فى أحلامهـا ، وشهرزاد تلك مغايرة لهذه فى طبيعتها وفى خلقها وفى شهوتها البهيمية وفى وسائلها وفى أصحابها ، وفى اللعب الذى شهد حياتها مذ وجدت ومن قبل أن توجد ، بل هى مغايرة لها فى كل شىء ؛ حتى فى الهواء الذى تنفسته . بل هى مغايرة لها فى كل شىء حتى فى المؤلف الذى كتبها ، وفى القلم الذى كتبت به ... وإلا فأين عدو المرأة من صديق المرأة ؟ وأين الرجل الذى يعد المرأة دمية ، من الرجل الذى يعدها نصف هذه الحياة على الأقل ؟ أين الرجل الذى يحسب أن المرأة مما يستخف اللعب به ، والإزراء عليه ، ووضعه فى إطار لتعليقه فوق جدران الصالونات ، من الرجل الذى يعرف أن المرأة خلقت لما هو أسمى من اللهو ، وأهم من اللعب ، وأقمن بالجد ! نحن هنا نقول لا لنغضب أحداً ، ولا لنرضى أحداً . . . فأمامنا رجلان لـكل منهما مؤلفات ولـكل منهما كتب ، ولـكل منهما مذهب فى الأدب لم يعد من الهين السهل إنـكاره أو تجاهله . . . أما أحدهما فيباهى بأنه عدو للمرأة ، فهو دائب فى الإزراء عليها والتنديد بها والغض من نصيبها فى الحياة ،

وأما الآخر فهو فى الجانب الآخر من صاحبه ، لأنه يعد المرأة شيئاً عظيما جداً إن لم يكن أهم من كل شىء ، فهو دائب فى الإشادة بها ، والثناء عليها ، وإحلالها المكان الذى يسمو فوق الرقاعات . والعجيب أن كلا الرجلين فى مركز يبيح له ذلك ، فالأول غير متزوج وليس له أبناء ، ولم يقع على كاهله من مسئوليات الحياة ما يفسد عليه طريقته فى التفكير التى قد يراها حقاً ، ويراها الناس بلاء . ثم هو لم يعرف هذا الشعور الأبوى الجليل ، ولم يسمع بعد مخلوقاً ظريفاً فصل عن قلبه يناديه ذلك النداء الثمين : « بابا ! » أو باللغة العربية الفصحى : « يا أبى ! » ذلك النداء الذى يوشك أن يكون الفرق بين الرجلين ، والذى هو خليق أن يغير الوسيلة التى يفكر بها كل شخص فى هذا الوجود . أكتب هذا يا صديقى عنى ... أكتبه عن فاتنة ... أكتبه معتقداً أنه الحق ، وهو لذلك لن يغضب أحداً ولن يرضى أحداً ... ! إن لم يرض الجميع ... فأكبر الظن أن الجميع عقلاء . ثم هذا هو الوضع الصحيح لكلا الرجلين . فأى غضب وأى رضى ، وأى سخط وأى بشاشة ؟ لماذا يسخط صاحب شهرزاد إذا غضبت شهر زاد الحكيمة الحازمة حين ترى كاتباً يسلم جسمها للعبيد السود ، ويدعى أنها هى التى تصنع هذا وتشتهيه راضية ! لقد حق لشهر زاد أن تثور وأن تسخط إذا كانت شهر زاد رمزاً للمرأة فى كل زمان ومكان . لقد حق لها أن تثور وأن تسخط إذا كانت حقاً رمزاً لبناتنا وأخواتنا وأمهاتنا وزوجاتنا ... بل رمزاً للمخلوقة المقدسة التى تصنع سعادتنا وشرفنا وتبنى منزلنا وتغذو أرواحنا ، وتقيم لنا حياة العزة التى نصبو إليها ونحلم بها ، وتملأ دائماً خيالنا وتستأثر بعبادتنا لأنها من الله بل هى جماع ما يأمرنا به الله ... شهرزاد هذه تغضب أشد الغضب ، وتثور أعنف الثورة إذا انحط بها كاتب إلى صفوف العاهرات . وكل رجل لا يغضب معها ويثور لثورتها هو زوج فقد نخوته ، أو أب لا يهمه شرفه ، أو أخ ليس فيه مروءة ، أو ابن معدوم النجدة ، أو قريب ليس عنده نخوة ...

ولا يصح أن يكون هؤلاء آدميين إذا أخذوا بوجهة النظر الخسيسة

هذه فى شهرزاد ... حينما تكون شهر زاد رمزاً للمرأة ...

ثق يا صديقى أن أحداً لن يغضب من هذا الكلام الذى تقوله بلسانى ، لأن أحداً لا يرضى أن ينتسب إلى هذا الصنف من صنوف شهرزاد إلا إذا كان فسلاً أو أفيكا أو مدخولاً فى عقله . لن يرضى أحد أن ينتسب إلى هذا الصنف من صنوف شهرزاد بأبوة أو أخوة أو بنوة أو قرابة ... واليوم الذى يرضى فيه أحد بشىء من هذا هو اليوم الذى تنعكس فيه معايير الأخلاق وتكون الفضائل والرذائل صفات اعتبارية وشعبذات لا قيمة لها إلا فى أفهام النوكى والقماديد ... وإذا صح أن يكون الناس قد صاروا نوكى وقماديد ، صح أن تؤلف لهم قصة عن شهر زاد تهدف بالمرأة إلى هذا الهدف الوضيع الذى يجعل بيوت الناس مواخير فسق ، وأسواقاً للبغايا ... ها أنت ذا تشيع فى وجهك حمرة الخجل يا صديقى لمجرد ذكر هذه الألفاظ التى لم تتعود إيرادها فى أى مما كتبت ، ولكن ما حيلتك وأنت تريد أن تكتب حقاً . ثم ما حيلتك وقد لقيت شهرزاد هذا ذاك الرواج الذى لقيت بين جمهور القراء فهبطت بهم ولم تعل ، واشتركت العوامل التى أوشكت أن تفسد الاتجاه الأدبى فى نهضة هذا الأدب ، إن لم تكن قد أفسدت بالفعل . فإذا جاء كاتب أب ... كاتب له زوج وأبناء وبيت ليكتب عن شهرزاد كتاباً جديداً يدفع به تلك الوصمة التى أخجلت ، وينبغى أن تخجل الأمهات والأخوات والزوجات ، أإذا جاء هذا الكاتب ليكتب ذلك الكتاب ، هب الخراصون يتفيهقون ويقولون إنه إنما سرق ، وإنه إنما سوغ لنفسه أن يدعى لنفسه ما لغيره ، وأن يعيث فساداً فى بستان أخيه ، وأن ينفش فى زرعه ؟ ولماذا ؟ لأن عبارة أو عبارتين اتفقتا فى الكتابين ، وتواردتا فى القصتين ! ناسين أن الكاتبين قد اشتركا فى مصاحبة شهرزاد فى قصرها المسحور ، فكتبا عنها كتاباً يترجم عن فهمها ، ويشرح طريقتهما ، ويحكم لأحدهما

ثورة فى الأخـــلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

كان من حكمة الله ورحمته بالإنسانية أن أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم للعرب خاصة وللناس كافة على فترة من الرسل ، والناس فى عمى عن الحق ، وضلال عن الهدى ، وجهالة شملته من أدناه إلى أقصاه . فقد كان من الناس قبل بعثة المصطفى من قال : ما يهلكنا إلا الدهر ، ومن زعم أنه لا يُبعث من يموت ، ومن يعبد إلـهين اثنين واحداً للخير وآخر للشر ، ومن جعل يقيم من الأحجار أوثاناً وأصناماً يعبدها ويقدم لها القرابين حتى من أبنائه وأفلاذ كبده ! هذا فى ناحية العقيدة . أما فى ناحية الخلق والاجتماع ؛ فكان البغى والعدوان ، وأكل مال اليتيم ، وهضم حق الضعيف ، ونصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، واستبداد الأكاسرة والقياصرة بمن استرعاهم الله من خلقه . كان الأمر كذلك وشراً من ذلك ، حتى نظر الله للانسانية المهضومة ، والقلوب الحائرة ، والنفوس المتطلعة لنور يهدى به الله خلقه بعد ضلال ، ورشد يخرجهم من الظلمات ، ورحمة تعمهم جميعاً ، فكان محمد هو الهدى والرشد والرحمة والنور ، وبه تمت نعمة الله على خلقه وقامت حجته عليهم ، بما جاء به من عقيدة وتشاريع وأخلاق ، بها صلاح العالم ما أخذ بها ومشى فى ضوئها .

ولست أريد الآن أن أفصّل ما ذكرت ، أو أن أوضح ما أجملت ، فحسبى فى مقامى هذا الإشارة والإجمال ، وفى ذلك بلاغ لقوم يعلمون . إنما الذى أرجو أن ألفت إليه النظر بقوة هو أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت ثورة بكل معنى الكلمة ؛ ثورة على العقائد الباطلة ، والفوضى الشاملة ، والأخلاق الرذلة السيئة . كانت ثورة على هذا كله ؛ وإن فى بعضه ما كان طيباً فى أصله ، ثم لما طال به الزمن تغير على أيدى الناس شيئاً فشيئاً ، حتى انقلب سوءاً وشرا ! فما أجدرنا إذاً أن نبحث التراث الذى وصل إلينا ، بلا تفرقة بين منبعه وأصحابه ، ونأخذ بما فيه من حق ، ونثور على ما اندس إليه من باطل فنبعده عنه ، وبخاصة فى ناحية العقيدة التى بها صلاح المرء وسلامه ، والأخلاق التى يتعايش بها الناس ويحكّمونها فى حياتهم وعامة أحوالهم .

وعلى الآخر ، ويتناول بالتفسير ما ذهبنا إليه من عناصر تلك القضية . ما هذا ؟! كيف يفهم هؤلاء الأدب ؟ أيكفى أن يقرأوا القصة من القصص فى سيارة أو عربة ترام ليصدروا عنها حكمهم وهم يهزلون ؟! لا . لا ... ينبغى عليهم أولاً أن يفهموا أن الذى بين صاحب شهرزاد وصاحب أحلام شهرزاد ، مختلف جداً . فأحدهما مشرّق والآخر مغرّب ، وأحدهما يرمى إلى غرض يهدف الآخر إلى ضده . أحدهما يعد المرأة شهوة تفسد كل شىء . المرأة عند أحدهما شيطان مريد ، وعند الثانى ملاك بار رحيم . فليفهم الخراصون قضية الكاتبين على هذا النحو . ثم ليقرأوا القصتين من جديد على هذا النور الجديد . ليضعوا عناصر القضية مرتبة أمام بصائرهم . ليقرأوا شهرزاد أولاً ، ثم ليقرأوا القصر المسحور ثانياً ، ثم ليقرأوا أحلام شهرزاد بعد ذلك ، وليذكروا من هو كاتب شهرزاد وما مزاجه فى المرأة ، وما رأيه الذى يفرق به بين جسدها وبين روحها ، وليذكروا ، ما لا ينى يكتبه عنها ، وما يفخر دائماً أنه مذهبه فى كل ما يتعلق بها . ثم ليذكروا من هو كاتب أحلامها وما طريقته فى الأدب ، وما رأيه فى المرأة ، وما ذا كتب وما يزال يكتب عنها

ليفعلوا هذا ، أو فلينتظروا حتى نعرض لهم كل ذلك .

قالت فاتنة : « أكتب ذلك يا صديقى عنى ، فقد آن أن تجد المرأة من ينافح عنها ، ويكافح فى سبيلها . »

دريني خشبة

وأرى ، قصداً فى القول والورق ، ألا أتحدث الآن على ناحية العقيدة وما شابها من باطل بفعل بعض المتصوفة وغيرهم من الذين أفسد تفكيرهم فلسفات تلقفوها من هنا وهناك ، دون أن يعنوا بالفحص عنها والتثبت منها ، فحادوا عن سواء السبيل . وإذاً فلتكن هذه الكلمة مقصورة على ما يجب من ثورة فى ناحية الأخلاق .

ورثنا عن رجالاتنا وفلاسفتنا المسلمين — أمثال ابن مسكويه والفارابى والغزالى — مذاهب فى الأخلاق ، بينت لنا الفضائل والرذائل بياناً فلسفياً ، وحددت السعادة التى يصح أن نسمى إليها ، ورسمت لها الطرق والسبل ، مستعينة فى ذلك كله بهدى القرآن والحديث وبآراء من الديانة المسيحية والفلسفة الأغريقية فكان من هذا المزيج ما نعرفه من الأخلاق الفلسفية التى نتوفر على دراستها فى الأزهر والجامعة علها تهدينا السبيل السوى ، والتى جدنا عليها فما غيرنا منها شيئاً ، غافلين عن الزمن وتغيره وما جد من تطورات ونظم تقضى بأن نعيد النظر فى هذه الأخلاق

هذه الغاية — أو السعادة القصوى — التى حددتها تلك المذاهب هى العلم التام والمعرفة الصحيحة بالعالم والله والملأ الأعلى . والوسائل إليها فى رأى الغزالى — الذى يعتبر إلى حد كبير ممثل هذا الضرب من الأخلاق — هى التحلى بفاضل الأخلاق ، والزهد فى الدنيا والإقبال على الآخرة . وهنا موطن من المواطن التى أدعو إلى الثورة عليها .

لم يجىء الإسلام ليمهد سبيل الراحة والسعادة الخاصة لقوم يقبعون فى الزوايا والمساجد يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ويقنعون بالتافه من الطعام والمرقع من الثياب والضرورى من حطام هذه الحياة الدنيا ، طلباً لما فى الدار الآخرة من جنات عرضها السموات والأرض ! لقد جاء الإسلام ، وقد بلغت الإنسانية رشدها ، فكان ديناً وسطاً لم يفضل الجسم ولا الروح بل عرف لكل حقه ؛ فلم يوجب التقشف ، ولم يحرم التمتع بما أودع الله من خير فى بطن الأرض وعلى ظهرها : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » !

(الحديث موصول)

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

للذكرى والتاريخ

طيبة تستقبل فرعون مصر

للكاتب الفرنسي تيوفيل جوتييه

في كتابه قصة المومياء

[إلى جانب المصريين نحن حقاً برابرة]
تيوفيل جوتييه

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

(تتمة)

يأتى بعد الموسيقى ، الأسرى من البربر بسحنهم الغريبة ، ووجوههم البهيمية ، وجلودهم السوداء ، وشعورهم المجعدة ؛ وإنهم ليشبهون القرد أكثر مما يشبهون الإنسان ، ويلبسون زى بلادهم : قباء إلى أسفل الردف ، مطرز بزخارف ذات ألوان مختلفة ، وتمسكه حمالة واحدة ، ويسود فى غل هؤلاء الأسرى قسوة غريبة ماهرة ؛ فبعضهم جمعت كيمانه خلف ظهره ، والبعض ربطت يداه مرفوعتين فوق رأسه في أكثر الأوضاع مضايقة ، وقسم وضعت يداه فى محابس خشبية ، وآخرون ربطت رقابهم فى حبل يضم صفاً طويلاً ، وقد عقدت عقدة عند كل أسير ، ويسير إلى جانب الأسرى حرس ينظمون سيرهم بضربات من العصا ، ويسير فى الخلف بخجل وانحناء سيدات سمر بضفائر طويلة مسترسلة ، ويحملن أطفالهن فى خرق من نسيج معقود على جباههن ؛ وأخريات حسان ذوات جلد أقل سمرة من هؤلاء قد زيّنّ أذرعتهن بحلقات ضخمة من العاج ، وآذانهن باسطوانات واسعة من المعدن ؛ وقد ارتدين أقبية طويلة ذات أردان واسعة ، يزينها تطريز لدى العنق ، وتنزل إلى أعقابهن ، مثناة ثنيات دقيقة مكوية ، ويلبسن خلاخيل فى أقدامهن ، ويصحب هؤلاء الجند ويحفظونهن من الاختلاط بالجمهور

يأتى بعد ذلك حاملو الرايات ، رافعين أعلامهم مذهباً قضبانها ، وعليها رسوم رمزية ؛ من صقور مقدسة ، إلى رءوس هاتور يعلوها ريش النعام إلى لقالق ذات أجنحة ، إلى أختام منقوشة باسم الملك ، إلى تماسيح ورموز أخرى دينية أو حربية ؛ وقد عقد بهذه الرايات أربطة بيضاء زينت بنقط سوداء ، تجعلها حركة السير ترفرف برقة

لدى رؤية حاملى الرايات الذين يعلنون مقدم فرعون ، أخذ نواب القسس والأعيان يمدون أيديهم نحو فرعون فى هيئة احترام تام ، أو يتركون أيديهم على ركبهم مديرين راحاتهم للهواء ، وبعضهم ينحنى شاداً مرافقه إلى جسمه ، وجبهته منحنية تبدى الخضوع المطلق والتقديس العميق ؛ بينما النظارة يحركون فى كل جهة ما معهم من سعف النخل

بين حاملى الرايات وحملة المباخر الذين يسبقون هودج فرعون ، مناد يتقدم وحده وبيده منشور تغطيه الرموز الهيرغليفية ؛ يعلن هذا المنادى بصوت قوى رنان ، كأنه صوت بوق من النحاس ، انتصارات فرعون ويتحدث عن الحظ الذى صادفه الملك فى مختلف مواقعه ، وعدد الأسرى وعربات الحرب التى أخذت من العدو ، وقدر الغنيمة ، وقيمة برادة الذهب ، وأسنان الفيل ، وريش النعام والعطور ، وعدد الزراف والأسد والفهود والحيوانات الأخرى النادرة ؛ ويذكر اسم رؤساء البربر الذين قتلوا بحراب جلالته أو سهام ذلك الملك القادر على كل شيء محبوب الآلهة ، ولدى كل خبر يهتف الشعب هتافاً عالياً ، ومن أعلى الجدران يرمون فى طريق المنتصر سعف النخل الذى يلوحون به

وأخيراً يظهر فرعون .

بعض الكهنة يضعون البخور على الفحم المتقد فى كوب صغير من البرنز ، له يد على هيئة صولجان ومن الناحية الأخرى ينتهى برأس حيوان مقدس ، ويسيرون باحترام بينما الدخان المعطر الأزرق يصعد إلى أنف المنتصر الجالس فى هيئة من لا ينتبه إلى هذه التشريفات كأنه إله من البرنز أو البازلت

إثنا عشر رئيساً حربياً يغطى رءوسهم خوذات خفيفة ، عليها ريش نعام ، أنصافهم العليا عارية ، والسفلى يغطيها منطق ذو ثنيات عريضة ، ويضعون أمامهم تروسهم معلقة بأحزمتهم ، هؤلاء يحملون نوعاً من الهوادج عليه عرش فرعون ، وهو كرسى له أذرع وأرجل على هيئة الأسد ، وله ظهر مرتفع ، وعليه حشية عالية ، وقد زيّن جانبه بشبكة من الورد الأحمر والأزرق ، وذهبت يدا العرش وأرجله وجوانبه ، أما الأماكن

التى خلت من التذهيب فيملؤها ألوان زاهية

وعلى كل جانب من المحمل يحرك أربعة رجال مراوح ثقيلة من الريش على شكل نصف دائرة ، وعيدان هذه المراوح مذهبة ؛ ويحمل قسيسان قرناً مزخرفاً زخرفة باهرة ، ويسقط منه باقات اللوتس الضخمة

كان فرعون يضع على رأسة تاجاً به فتحة ينفذ منها صوان الأذن ، ثم ينسدل على العنق ليحميها ، وفى القسم الأزرق من التاج يلمع كثير من النقط التى تشبه أهداب الطائر ، وهي مكونة من ثلاث دوائر سوداء وبيضاء وحمراء ، وله إطار قرمزى وأصفر يبين حافته . والثعبان الرّمزىّ عاقفاً حلقاته الذهبيــة على الجزء الأمامى من التاج يتدلى وينتفخ فوق الجبين الملكى ، ويتهدّل على الأكتاف خصلتان من الشعر المصفف طويلتان لهما لون أرجوانى ، ويكملان غطاء الرأس ذا الأناقة والعظمة

ويتدلى على صدر فرعون عقد ذو سبعة أدوار من الميناء والحجارة الكريمة والدرر والفصوص الدهبية التى لها فى الشمس بريق وهاج خاطف

ويلبس الملك نوعاً من الأقمصة به مربعات وردية وسوداء ، وينتهى بأربطة تلتف مرات عدة حول جذعه ، وتضغطه بقوة ؛ وكمّاه المشقوقتان من أعلى تدور عليهما خيوط ذهبية ، وحمراء ، وزرقاء ، تريان ذراعين عظيمتى العضل قويتين ، وباليد اليسرى مقبض من المعدن مخصص ، ليخفف من احتكاك الوتر عند ما يرمى فرعون سهماً من قوسه ، واليد اليمنى يزينها سوار مكون من ثعبان يلتف عدة مرات على نفسه ، وتقبض على صولجان من الذهب ينتهى بزهرة لوتس ؛ وباقى جسمه ملتف بنسيج من أدق أنواع الكتان ذى ثنيات كثيرة ، ويثبته على الخصر حزام عليه صفائح من الميناء والذهب ، وبين القميص والحزام يبدو الجسم مضيئاً مصقولاً كأنه جرانيت وردى نحتته يد صناع ، ويلبس فى قدميه الدقيقتين الطويلتين صندلتين محنيا لسانهما ، ويشبهان قبقاب التزحلق ، ويجلس واضعاً إحدى قدميه قريبة من الأخرى ، كما نرى فى أقدام الآلهة المنقوشة على حيطان المعابد

وجه فرعون مصقول أمرد ، ذو سمات نقية ، يبدو أنه ليس فى مقدرة أى انفعال إنسانى أن يغيرها ، وشفتاه نابتتان ، وعيناه واسعتان يزيد فى سعتهما الخطوط السود ، وأهدابهما لا تطرف كأهداب الصقور المقدسة . وإنه ليوحى بسكونه الرهبة والاحترام ؛ ويقال إن عينيه الثابتتين لا تريان إلا الخلود واللانهاية ، أما ما حولهما من الحوادث فيبدو أنه لا ينعكس فيهما . وإن الاشمئزاز من اللذائذ والتعب من الرغبات التى تجاب حالما تبدى ، والتفرد بأن يكون نصف إلــه لا نظير له بين البشر ، والضجر من طول ما عُبِد ، والملل من النصر ، عقّدت إلى الأبد هذا الوجه الجميل الصافى . وإن أوزيريس القاضى بين الأرواح ليس أكثر منه عظمة ولا هدوءاً

إلى جانب فرعون ، يرقد فوق المحمل أسد خاص به ، مادّ إلى الأمام مخالبه كأنه تمثال أبى الهول فوق قاعدته ، ولكنه يطرف بعينيه الصفراوين .

يصل هودجَ فرعون بالعربات الحربية لزعماء المغلوبين حبل ، وهم مقودون من خلفه كأنهم حيوانات ذات مقاود ، وإنهم بهيئتهم الحزينة الوحشية ، قد جمت مرافقهم بالمصائب ، ويكوّنون منظراً شنيعاً ، ويهتزون بغير نظام كلما اهتزت عرباتهم التى يقودها حوذيون من المصريين .

بعدئذ تأتى العربات الحربية للأمراء الشبان من الأسرة المالكة ، ويجر هذه العربات خيول من جنس أصيل وهيئة جميلة ، وسيقان دقيقة ، وأقدام كثيرة الحركة ، وأعراف منظمة ، ويسرج كل اثنين منها معاً ، وقد زينت رءوسها بالريش الأحمر . وعلى جباههما يلمع المعدن وفى فمها شكيمة منه . ويستند إلى كواهل الحصن عريش منحن ذو حلقات متفرقة ، وعلى كل حصان ميثرتان عليهما كرتان من النحاس اللامع ، يجمعهما نير دقيق منحن إلى الداخل ، ويكمل سرج الحصان بحزام وسير صدرى مخيط ، ومزخرف زخرفة كثيرة ، وجلال عليها خطوط كثيرة زرقاء وحمراء ، ولها هدّاب وخمل ؛ فسرج الحصان متين جميل خفيف .

أما العربة فطلية بالأحمر والأخضر ، ولهـا صفائح وأنصاف كرات من البرنز تشبه وجه الدّرع ، وهى مجهزة بكنانتين كبيرتين موضوعتين بانحراف ، إحداهما تحوى حراباً والأخرى سهاماً ، وعلى كل وجه أسد منجوت مذهب ، مخالبه ساكنة ،

وفمه مفتوح كما لو كان يزأر ويبغى الوثوب على الأعداء .

ويلبس شباب الأمراء على رءوسهم شريطاً يضم شعرهم ، ويلتف عليه الثعبان الملكى نافخاً أوداجه ، ويرتدون قيصاً مزخرفاً لدى العنق والأكمام زخرفة باهرة ، ويحيط به لدى الخصر منطقة من الجلد يربطها مشبك من المعدن ، قد حفرت عليه نقوش هيروغليفية ، ويعلق بهذه المنطقة خنجر كبير ، حافته مثلثة من النحاس ، ويده مضلعة تنتهى برأس صقر ؛ وفى كل عربة يجلس بجانب كل أمير حوذىٌّ مكلف بأن يقود العربة فى أثناء المعركة ، وتابع يحمل سلاحاً ، وهو مكلف بأن يدفع بالترس الضربات الموجهة إلى الأمير المحارب عند ما يكون هذا رامياً بالسهام ، أو مهيئاً الحراب التى يأخذها من الكنانة الجانبية

عقب الأمراء تأتى عربات الفرسان المصريين ، وعددهم عشرون ألفاً ، كل ثلاثة فى عربة يجرها حصانان ، وتتقدم العربات عشرة عشرة ، وتكاد أقطاب عجلاتها تتماس ، ولكنها لا تحتك أبداً ، لأن مهارة الحوذيين عظيمة .

بعض العربات خفيف خصص للمناوشات والاستطلاع ، ويسير فى المقدمة ، ولا يحمل إلاّ محارباً واحداً ، ولكى تكون يداه حرّتين فى أثناء المعركة يلف زمام عربته حول جسمه ، ويجذبه إلى اليمين أو إلى الشمال ، أو إلى الخلف ، ليدفع أو يوقف حصنه ، وعجيب جدًّا أن ترى هذه الحيوانات النبيلة التى تبدو كأنها متروكة لنفسها تحفظ فى سيرها اتجاهاً منتظماً لا يتزعزع

مشى الخيل المكبوحة بعنف ، وضوضاء العجلات ذات الإطار البرنزىّ ، وقعقعة الأسلحة المعدنية منحت هذا العرض شيئاً من الوقار والخوف ، حتى ليقذف الرعب فى أكثر القلوب بسالة ؛ والقبعات والريش والتروس ، والأدرع المزينة بفلوس خضراء وحمراء وصفراء ، والأقواس المذهبة والسهام النحاسية ، تضىء وتلمع مخيفة فى ضوء الشمس الساطعة فى كبد السماء فوق سلسلة الجبال الليبية ، كأنها عين كبيرة لأوزريس — كل ذلك يشعر أن مثل هذا الجيش يجب أن يمحو الأقطار أمامه إذا اصطدمت به ، كعاصفة تطرد أمامها عوداً من التبن ضعيفاً .

تحت هذه العجلات التى لا عد لها ، ترن الأرض وترتجف خفية كأن ظاهرة طبيعية تحركها

بعد العربات تأتى كتائب المشاة سائرين فى نظام ، يحملون تروسهم فى اليد اليسرى ويحمل بعضهم فى اليد اليمنى رمحا ، وبعضهم قوساً ، وطائفة نبالاً ، والأخرى أفؤسا ؛ ويلبس هؤلاء الجند على رؤوسهم خوذات يزينها ضفيرتان من شعر الخيل ، وأجسامهم مشدودة بدروع من جلد التماسيح

عدم التأثر الذى يلوح على هؤلاء الجند ، والنظام التام فى حركاتهم ، ولونهم النحاسى الداكن الذى كستهم به غارة حديثة فى الأقطار المحرقة من أثيوبيا العليا ، وغبار الصحراء الدقيق على ملابسهم ؛ كل أولئك يوحى الإعجاب بهم وبشجاعتهم وإنه بمثل هؤلاء الجنود استطاعت مصر أن تفتح العالم

بعدئذ تأتى الجيوش الحليفة ، ومن السهل معرفتها من النظام البربرى فى المغافر التى تشبه تيجانا مقطوعة أو عليها أهلة مجتمعة فى طرف . وإن رماحهم ذات الحدود القاطعة وفئوسهم المشقوقة يجب أن تحدث جراحاً لا أمل فى الشفاء منها

يأتى بعد ذلك العبيد يحملون ما أعلنه المنادى من جزية على أكتافهم ، أو على محامل ؛ وبعض المروضين يقود نموراً وفهوداً تفحص الأرض كأنها تريد أن تختفى ، ونعاماً يصفق بأجنحته ، وزرافاً يرتفع على الجمهور بطول عنقه ، ودببة رمادية يقال إنها مجلوبة من جبال القمر

منذ وقت طويل عاد الملك إلى قصره ، بينما كان الموكب لا يزال يسير

أحمد أحمد بدوى

مدرس بحلوان الثانوية للبنين

روسيا والحرب الخاطفة

لليوزباشي حسين ذو الفقار صبري

يتساءل الكثيرون عن السر فى تحول أداة الحرب الألمانية عن نجاحها الخاطف أثناء فترة الحرب الأولى إلى هجومها الجاهد المكدود عبر الفيافى الروسية خلال الصيف الماضى

فقد رأينا بولندا وفرنسا تنهاران فى لمح البصر تحت ضربات خاطفة ، بهرتهم ثم صعقتهم ، ورأينا جيوش يوغوسلافيا واليونان تتمزق إرباً ، ثم رأينا نفس الأمر يتكرر فى روسيا ، خلال الأسابيع الأولى من القتال ؛ ثم ... ماذا ؟ كنا قد كونا رأياً عن نتيجة خلناها محتومة ، فلما تلفتنا شاهدنا عكس ما تعجلنا استنتاجه فماذا كانت الأسباب ؟

إن الحرب الخاطفة هى الحرب الاستراتيجية المثلى[1] ، هى الحرب التى ترمى إلى تفكيك أوصال العدو دون قتال ، تفصل القوات عن قواعدها ، تحيط بها دون أن تشتبك معها ، تهدد العدو فى مؤخرته عند ما تكون أسلحته فى المقدمة ، تراوغه عند ما يتقدم فتورطه هنا وهناك وفى كل مكان ، فلما تتباعد قواته وتتفرق ، وتتفتت إلى فئات منفصله ، فاقدة كل اتصال ، غير محتفظة بأدنى تماسك ، مقبلة على الانحلال ، تعطى الكلمة عندئذ للطائرات بينما تضغط عليها بعض القوات ، فما أسرع أن تبادر الجيوش المنحلة إلى التسليم ، أو تصمد فتباد .

وما أسهلها عملية لجيش ميكانيكى حديث ، لا يركز مجهوده إلا أمام أضعف المراكز ، ما يكاد يخترقها حتى ينفذ إلى المؤخرة مسارعاً إليها على شكل مروحة ضخمة ، شعابها مهما تفرعت فهى ما تزال يدفعها تصميم مشترك ، إنجازاتها متنوعة وأوامرها هى هى ، لا تفقد اتصالها اللاسلكى ببعضها ، تستمر فى ضغطها حتى يتفتت أمامها مجهود العدو لعدم استعداده لمثل هذه الأحوال التى ما كانت تخطر على بال

تعتمد الحرب الخاطفة على مقدرة الدبابات على اختراق الاستحكامات بأقصى سرعة ، ثم النفاذ منها إلى ما وراءها ، ثم استمرار القوات الراكبة[1] فى التقدم السريع حتى تنحل أوصال الجيش ، ولكن هـذا الانحلال لا يطرأ إلا بعـد وقت يتحتم على القوات المتقدمة أن تظل أثناءه مستمرة فى حركاتها الهجومية ، وهذه الحركة المستمرة لها حدود ، يحدها أولاً قوة احتمال الجنود ، وثانياً كمية الوقود ، ثم ضرورة تعهد الآلات بين الحين والحين ، ولذا لم تنجح الحرب الخاطفة إلا عند ما كانت أغراضها فى الميدان داخل نطاق مجهودها ؛ فالقوات الألمانية التى اخترقت سيدان توقفت بعد بضعة أيام عند المانش ، وتلك التى هاجمت « سكوبلى » توصلت بعد بضع ساعات إلى قلب مواصلات البلقان وقبضت على محورها العتيد ؛ وعلى عكس الرأى السائد ، لا تبقى الدبابات فى المقدمة طوال المعركة ، بل إنها بمجرد اختراقها الاستحكامات الرئيسية ترتد إلى الخلف كاحتياطى ثمين ، لا يستعمل إلا للضرورة القصوى عند ما تصمد بعض الموانع الطارئة فى طريق المتقدمين المكونين من « وحدات راكبة » .

إن أول ما واجه الألمان من العقبات فى روسيا هو انبساط المساحات ، فرموا إلى التغلب على ذلك بتقسيم هجماتهم على دفعات ، أهداف كل هجمة مراكز المواصلات القريبة منها ، إذ باحتلال هذه تشل حركة إعادة تنظيم الصفوف الروسية فى ميدان القتال بينما يكون الألمان قد أسرعوا فى إعادة الاستعداد للخطوة التالية ، وهكذا دواليك . وقد ساعدهم مساعدة كبرى مجهود الدكتور « فرتز طود » الذى خلفه « شبير » بعد وفاته فى إنشائه ، أولاً فأولا ، خطوطاً خلفية للمواصلات ، مقاطعة لاتجاه الزحف ، فأصبحت القوات الألمانية قادرة على الانتقال من قطاع إلى قطاع تبعاً لمقتضيات الحال دون كبير عناء .

زحفت الجيوش الألمانية حتى احتلت روسيا البيضاء وجزءاً من أكرانيا ؛ وكانت الفصائل الروسية ، فى حالة إنعزالها عن

(١) الاستراتيك هو كل ما يختص بالتحركات العامة للجيوش التى ترى إلى اجتذاب العدو إلى ميدان لا يلائمه من كافة الوجوه ، إن كان ذلك فى الامكان ؛ أما التكتيك فهى الحركات التى تقوم بها الجيوش أثناء المعركة أو عندما تكون على أهبة الاشتباك ، ويكون الميدان عندئذ قد تحدد مكانه وزمانه ؛ فالاستراتيك الأمثل هو اجتذاب العدو إلى فخ محكم فيستسلم دون قتال ، أما التكتيك الأمثل فهو إبادته فى المعركة مع احتمال أقل خسائر ممكنة .

(١) « القوات الراكبة » هى المشاة المحملون على عربات ، أما الدبابات فتسمى « القوات المدرعة »

بعضها البعض ، تقاوم مستميتة بدلاً من أن تستسلم مستيئسة ، وذلك لأن الروس كانوا قد فطنوا لحقيقة بديهية ، هي أن المناطق المزدحمة بالمساكن خير ما يقاوم نطاح الدبابات ، فعملوا على أن تكون فصائلهم مكتفية بمؤونتها وذخيرتها ، لا تحتاج إلى أن تمون أمداً من الزمان ، فما تكاد تحس بخطر التطويق حتى ترتد إلى وكرها المخصص وتنكمش فيه ، مدافعة عن نفسها في كل اتجاه ، محتفظة بعدد مناسب من الدبابات ، تدفعه إلى الخارج من حين إلى حين ، مقطعة مواصلات العدو ، مربكة إياه ، لا يكاد يعرف أهو الذي أحاط بها أم هي التي اندست في جوفه ، وهل هو الذي فصلها عن قواعدها أم هي التي تعارض سبيل تموينه ، يهاجمها بعشائه المختارة فتشتتهم بدباباتها ، يحاول اقتحامها فتصليه ناراً حامية ؛ فيضطر أخيراً إلى إخراج ما في جعبته من دبابات وطائرات منقضة فيلقي هذا الاحتياطي الثمين في صميم المعمعة ، تلك الدبابات وهذه الطائرات التي كان يود أن يحتفظ بها للأوقات العصيبة ، يطلقها الآن من معاقلها على نقط متفرقة متناثرة ، كل نقطة منها تستلزم لإخضاعها اشتباكاً عنيفاً ، خسائره مرتفعة ونتائجه الإيجابية عقيمة ، ولكنه إن أهملها انقلبت عليه شراً ووبيلاً .

إذا أشرفت عندئذ القوات الزاحفة في المقدمة على استحكامات جديدة تلفتت لدباباتها ، فتجد أنها منشغلة عنها في مائة معركة صغيرة ، فيعجز الجيش عن شق طريقه إلى الأمام حتى تعود إليه أسنته القاطعه ، وهي لا تعود ، أو قد تعود مضمحلة العدد مكلومة النصل ، مستلزمة من العناية الكثير حتى تعود لسابق عهدها ، ومن الزمن ما طال حتى يعاد تنظيمها .

توصلت الجيوش الروسية إلى تحويل سلاح العدو الاستراتيكي الأمثل إلى وحدات تكتيكية صغيرة ، وفقدت الدبابة وظيفتها العامة وانقلبت منها إلى العمليات المحلية الخاصة ، وهكذا انهارت دعامة الحرب الخاطفة ...

أرجو ألا يفهم القارئ أني أقرر أن نجم الدبابات قد أفل أو قارب الأفول ، فما أبعد ذلك عما أقول ... بل الأمر بالعكس ، فقد أصبحت الجيوش تطالب بأضعاف أضعاف ما عندها من دبابات ، بل وحتى بتحميل المدافع الضخمة على الجرارات ، فإذا ألقت ببعضها في الاشتباكات المحلية ، تبقى لها البعض الآخر لمتابعة التحركات الاستراتيكية

لما أتى الصيف الماضي تراجعت القيادة الألمانية عن الخطط الخاطفة ، وأحلت محلها خطة جديدة ، قد يحسن أن نسميها بخطة « الكتل الميكانيكية » ؛ لم تعد القيادة الألمانية تسمح لآلايات الدبابات بالاستمرار في التقدم تاركة لها حرية التصرف ، بل أصبحت تحدد أهداف هذه داخل نطاق ضيق حتى ينفسح لبقية الجيش الوقت الكافي لإخضاع مراكز العدو الحصينة المتروكة في الخلف ، يهاجم هذه بقلاع متحركة من المشاة الراجلين داخل مثلثات من الدبابات الثقيلة ذات المدافع الضخمة والدروع السميكة

أصبحت تلك المراكز الروسية المنعزلة متحكمة في شبكة المواصلات ، لأن مراكز المقاومة هذه تتجمع عادة حول القرى والمدن التي هي دائماً نقط التقاء الطرق وخطوط الحديد المتشعبة منها في كل اتجاه ، وأصبح تأثيرها — كما رأينا — عظيما ، وذلك لأن الجيوش الألمانية التي كانت في ذاك الوقت أحدث الجيوش تنظيماً وتسليحاً ، لم تكن قد التفتت إلى اصطناع وسائل نقل للتموين تتحرك على جرارات ، بل ظلت جميع وسائلها سيارات على عجلات ، ففي وسع الأولى أن تنفذ عبر أي أرض خلاء ، أما السيارات فهي مرتبطة بالطرق المعلومة وخطوطها المرسومة .

والآن وقد بدأ الألمان يتقهقرون فهل تراهم إلى خطط الروس ملتجئون ؟ لا أظن الأمر كذلك ، إذ أن الروس انكمشوا في قراهم ومدنهم التي ولدوا وعاشوا فيها طول الحياة ، فاندمجوا بارتدادهم إليها وسط الأهل والإخوان ، ثم يجب ألا ننسى أيضاً أن القتال في الدور والمساكن يعتمد أكبر الاعتماد على سكانها المدنيين المسلحين بروح الكراهية والعداء لكل غريب دخيل .

سيطر على الحروب في روسيا من قديم الزمان عامل واحد هو هو لم يتغير ولم يتبدل ، يقف دائماً أبداً حجر عثرة في سبيل كل مغير ، وهذا العامل المؤثر إلى أبعد حدود التأثير هو روسيا نفسها بمساحتها الشاسعة ، ولن يتمكن أي قائد مهما أوتي من مهارة وخبرة أن يتغلب عليها إلا عن طريقين لا ثالث لهما : احتلالها تماماً وهذا مستحيل ، أو تدمير جيوشها وهذا أمر مستعص عسير .

ظن نابليون أن احتلال موسكو التي هي مركز شبكة المواصلات كاف لإيهان الروس ، وغامر ففشل ... ، وحاول

الألمان تحطيم جيوشهم فى الحرب الماضية بهجوم عنيف ، فأخفقوا أمام حيطة الروس ؛ ثم تفتق ذهن الجنرال هوفان عن خطة ماكرة ، وهى سحب القوات الروسية إلى جيب ضخم بالانسحاب أمامهم فيندفعون وراءه ، وقد أسكرتهم نشوة الظفر وذهبت بحذرهم الأول ، فَيُطبق عليهم فجأة من كل جانب لإبادتهم عن آخرهم . وكانت خطته تستلزم إخلاء أراض فسيحة شرق ألمانيا أول الأمر ، منها سيلزيا الغنية بمناجمها ؛ فرفض هندنبرج احتمال تبعة ما قد يترتب عن هذا الانسحاب من نتائج مادية وأدبية فى سبيل نتيجة مشكوك فيها ، ولم يرض بتنفيذها ؛ ثم أتى لودندرف فحوّر من الخطة قليلاً ، وحصر حدود الأراضى المزمع إخلاؤها داخل نطاق ضيق ، واحتج هوفان وأشار إلى أنها تصبح عندئذ خطة عرجاء لا تجتذب من جيوش الروس إلا جزءاً يسيراً ، ولكن لودندرف تمكن من إقناعه بأنها ستكون أقصى ما قد يوافق عليه هندنبرج . ولما نفذت الخطة الجديدة نتجت عنها « تاننبرج » حيث أبيد زهرة الجيوش الروسية ... ؛ وظل بعدها العملاق الروسى يترنح دون أن يسقط سنتين من الزمان ، ولكن خطره العاجل كان قد زال ، ثم حلت عليه مشكلات السياسة ، فسلَّم لألمانيا ، وأمضى صلح « برست لتفسك » ؛ وظل هوفان بعد الحرب ينادى بأعلى صوته وفى كل مكان بأن خطته الأصلية كانت كافية لإخراج روسيا من الحرب فى التو بضربة واحدة ، فهل كان يا ترى على صواب ؟ .

حسين ذو الفقار صبرى

قطـــرة فى بحر ...

للدكتور عزيز عبد السلام فهمى

تعاليتَ يا بحر هـذا جلا   لك سرُّ الزمان ولغز الحقبْ
تصاحب هـذا الزمان وتسـ   ـخر منه وتطويه طىَّ الـكتب
تنادم حانَكَ منه القرونُ   ويمضى الندامى مُضِىَّ الحبب
فيا لك قبراً وسعت الزمان   ولاذ الزمان بذيل الهرب

* * *

ويا بحر كم فيك من آية   تساءاتُ عنها ولم تَسْتَجِب
تهــمُّ بأمر وترتد عنه   وتطمع فيــه ولا تقترب
فقيم اندفاعك كالمطمئن   وفيم ارتدادك كالمضطرب
ويا بحر ماذا يراقص مو   جك منك وماذا وراء الحجب
تلين وتسكن عند الليان   وطبع الحليم بطىء الغضب
وتشرَس حتى تئِنُّ الصخور   ويطفو من الرمل ما قد رسب
وتجمع بين النقيضين جمعَ   لك بين اللآلئ وَالْمُخَشْلَب[1]
يشاطرك الآدمىُّ الغموضَ   وترتبطان بحبل النسب
ولن يسبر الغورَ منك الرجالُ   ولن يكشف النفسَ علم وطِب

* * *

تعاليت يا بحر هـــذا جما   لك ثغر الطبيعة وهى الغبب[2]
تعربد نشوان حتى المجون   وتمجن سكران حتى الصخب
تغازلك الشمس عند الغروب   فأنت اللجين وفيك الذهب
وتشرق منــك على صفحة   ترقرق بين سناها اللهب
وتضفى عليـك أكاليلها   دماء، وتنشق منك القضُب[3]
ويجمعك الأفق بالنيراتِ   فأنت السماء وفيك الشهب
يسامرك البـدر من شرفة   تَبَرَّج فيهـا ذوات الذنَب
فتعكسهن على ضــوئه   ويلحظك البدر كالمرتقب

* * *

دعانى حنـــين خَفِىٌّ إليك   فلبَّيتُ يا بحر لمـــا غلب
ويا بحر جئتك أفضى بنفسى   وأشكو الزمان وماذا جلب
وأُغرق فيك همومى وأنـ   ـقَعُ يا بحر جرحاً بجنبى وثب
ومَن شاغب الدهر مثلى فما   له الدهرَ إن زلَّ يا بحر حِب
وغدر الزمان كختل الرجال   ووقع السهام كلسع الرُّقُب[1]
حنانيك يا بحر! يشكو إليك   غريب تشرَّد حين اقترب ...
غريب تشرَّد فى داره   وضاقت به الأرض لما اغترب!

* * *

تعاليت يا بحر هـذا الجلال   وهـذا الجمال وهذا العجب
وهذا نشيدك لحن الحياة   نغنِّ الحياة ونح وانتحب

عزيز فهمى

من أزهار الشر

لشارل بودلير

العُمى

أنعمى النظر أيتها النفس فى هؤلاء العمى. حقاً إن صورتهم بشعة! وإنهم ليشبهون تماثيل الأزياء ويثيرون فى النفس هزؤاً غامضاً. وإن هيئتهم مخيفة، وإنها لفريدة كهيئة هؤلاء النائمين الذين يسيرون وعيونهم مفتحة

هم ينظرون وما من أحد يعلم أين أحداقهم التى تغشاها الظلمات. كما أن عيونهم التى فارقتها الشرارة الإلهية تظل شاخصة إلى السماء، كأنما تبصر على بعد، وما من أحد رآهم يحنون إلى الثرى فى ذهول رءوسهم المكدودة.

هكذا يشقون الظلام اللانهائى شقيق الصمت الأبدى

إيه أيتها المدينة! أنظرى، إننى لأعانى ما يعانون، وإنك لترددين الأغانى حولنا، وتغرقين فى الضحك، وتصرخين صراخ البهائم، كما تحملك اللذات إلى الفجور.

غير أننى، وأنا أكثر غفلة منهم وذهولاً، أقول: «هؤلاء العمى، ما الذي يبحثون عنه فى السماء؟»

ترجمة
عثمان على عسل

---

(١) المخشلب خرز من حجارة البحر   قال المتنبى:
بياض وجه يريك الشمس حالكة   ودر لفظ يريك الدر مخشلبا
(٢) ما أحاط بالحنك أو تدلى دونه   (٣) السيوف القاطعة

(١) الأفاعى



الشيخ عبد العزيز البشري

فى فجر يوم الخميس الماضى استأثر الله بابن بار من أبناء العربية ، وجندى مخلص من جنود الأدب ، وهو المغفور له الأستاذ عبد العزيز البشرى ؛ فكان لنعيه المفاجئ موجة من الحزن الشديد غشيت أندية الأدب لما امتاز به الفقيد من حسن المحاضرة ، وحلاوة الفكاهة ، وطلاوة الأسلوب ، ودقة الوصف ، والاطلاع الواسع على أخلاق الناس وأحوال المجتمع ، والعلم الشامل بأسرار الجيل الأدبى المنصرم ، تهيأ له بطول الملابسة وحسن المداخلة ؛ فكان أعلم من يتحدث عن الأدب والأدباء فى العصر الحديث

نشأ رحمه الله فى بيت رفيع من بيوت العلم والدين ؛ فكان والده الشيخ سليم البشرى شيخاً للأزهر ، وإخوته طلاباً أو علماء فيه ؛ فدرس هو كذلك فى الأزهر حتى نال شهادة العالمية ، ثم ولى القضاء الشرعى حيناً من الدهر ، ثم تقلب فى بعض المناصب المدنية حتى أتاه اليقين ، وهو المراقب الإدارى لمجمع فؤاد الأول للغة العربية

نكتفى اليوم بنعى الفقيد الكريم ، وسنعود للكلام عن أدبه وعلمه فى فرصة مناسبة . نسأل الله أن يتغمده برحمته ، وأن يعوض الأمة العربية من أدبه وفضله خير العوض

ذو القرنين ليس الإسكندر الأكبر

قرأت بالعدد ٥٠٧ نبذة لأستاذ فاضل عن ذى القرنين يريد بها أن يفند نظريتى الجديدة التى أعلنتها أخيراً على صفحات الرسالة الغراء ، وأثبت فيها أن ذا القرنين المذكور فى القرآن الكريم ليس الإسكندر الأكبر ، وإنما هو لقب ملوك دولة فارس التى أسسها الملك كورش المظيم ، وتنتهى بالملك دارا الثالث الذى قضى الإسكندر الأكبر على دولته فى عهده . واستندت فى ذلك إلى رواية التوراة . وأثبت أن وثنية الإسكندر وسيره المعوج وأخلاقه لا تتفق ووصف القرآن الكريم لذى القرنين الذى كان مؤمناً

ويظن الأستاذ أن ديانة الفرس كانت الوثنية ، والحقيقة غير ذلك ؛ إذ كان الملك كورش ومن جاء بعده إلى الملك دارا الثالث على دين زرادشت نبى الفرس الذى كان يقول إنه رسول الله بعثه ليزيل ما علق بالدين من ضلال وليهدى إلى الحق ، وكان لهم كتاب مقدس يسمى أوستا Avesta . ولما انتصر الإسكندر على الفرس كان ذلك ضربة لهذه الديانة ، ثم انتعشت بعد ذلك فى العصور الأخرى وظلت باقية إلى وقت دخول المسلمين فارس برغم ما طرأ عليها من التحريف . ولقد عاملهم المسلمون فى الفتح معاملة أهل الكتاب وعدوا كتابهم كأنه كتاب منزل . وجرى سيدنا عمر رضى الله عنه على ذلك لما روى له الحديث (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) (اقرأ كتاب المسعودى وكتاب Jackson) ودين زرادشت يؤمن بوحدانية الله والجنة والنار والصراط والأعراف (اقرأ كتاب صبح الأعشى وكتاب الأستاذ Haug) والملك كورش هو الذى أمر بإعادة بناء معبد أورشليم لليهود ، وكان قد هدمه أحد ملوك بابل من قبل . وجاء بعده الملك قمبيز الذى بمجرد أن فتح مصر هدم معابد المصريين وحطم أصنامهم ومعبوداتهم وقتل بنفسه العجل أبيس (اقرأ كتاب Lenormant وكتاب Browne وكتاب Sykes

أما الإسكندر الذى يريد الأستاذ أن يلصق به لقب ذى القرنين بالإكراه كما فعل بعض المؤرخين من قبل ، فلقد كان متهتكا يميل إلى النساء والترف وحب الشهوات وشرب الخمر وقسوة القلب وسفك الدماء ؛ وكانت قسوته تزداد حتى تصير ضرباً من الجنون إذا شرب الخمر . ولقد قتل وهو نشوان كليتوس صديق أبيه وكثيرين غيره . ولم يكن موته وهو فى عنفوان الشباب إلا نتيجة شراهته فى الشراب ، فلقد تراهن مع قواده على شرب الخمر طول النهار فمرض بحمى قضت عليه . وأوصى وهو على فراش الموت أن يدفن فى معبد الإله « مون بسيوة » لأنه كان يدعى أنه ابن هذا الإله (كتاب Droyscn وكتاب Breasted) فهل بعد هذا نقول عنه إنه غير وثنى . وهل يتفق هذا مع ذى القرنين المذكور فى القرآن الكريم الذى جعله الله فى مصاف الأنبياء تقريباً ؟ فلو وافق على ذلك مؤرخو العصور القديمة ، عصور الجهل والظلام فنحن لا نوافق عليه الآن ونحن فى القرن العشرين عصر العلم والعقل والنور والمدنية

وآيات القرآن الكريم تنطبق على الملك كورش بشكل

مدهش ، فلقد أسس دولة عظيمة واتجه غرباً أولاً ، حتى وصل إلى البحر واستولى على سوريا وآسيا الصغرى ، ثم اتجه بعد ذلك شرقاً ، حتى وصل إلى بلاد الهند وبلاد التركستان حيث توجد آثار السد القديم ولا يزال مكانه بين جبلين ويسمى دربند أى السد . أما الإسكندر فإنه اتجه شرقاً أولاً ثم اتجه جنوباً ولم يتجه غرباً إلا عند فتحه مصر ، ومرة أخرى عند عودته من الهنـد . مع أن القرآن الكريم ينص على أن ذا القرنين اتجه غرباً أولاً ثم بعد ذلك اتجه شرقاً . وهذا خلاف واضح صريح . ومع ذلك فالتوراة صريحة فى ذلك أيضاً . وهى تنص صراحة على أن المقصود بذى القرنين ملوك دولة فارس ؛ والمقصود بذى القرن الواحد ملك من ملوك اليونان . فكيف نكذب التوراة ونصدق الآخرين ، فى حين أن التوراة هى مصدر هـذا اللقب . ولقد نزلت آيات القرآن الحكيم عن ذى القرنين بناء على سؤال اليهود للنبى عن ذى القرنين المذكور عندهم فى التوراة . فهل بعد هذا دليل أو برهان ؟

وأخيراً أصحح كلمة تيمورلنك التى ذكرتها سهواً فى مقالى السابق وكنت أقصد جنكيزخان زعيم التتار الذى قضى على الدولة العباسية هو وهولاكو من بعده .

الدكتور ابراهيم الدسوقى

حول نزاث اليهود

اطلعت فى عدد مضى من الرسالة الغراء على ما كتبه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى رداً على الأستاذ طه الساكت الذى يدعى رجوع الإسرائيليين إلى مصر بعـد خروجهم ، وحكمهم لها استناداً إلى ما جاء فى بعض أقوال المفسرين ، وبياناً للحقيقة أقرر أن اليهود لم يعودوا لمصر بعد خروجهم منها رغم أنهم طلبوا ذلك من الرسول موسى عليه السلام ، بعد أن تأكد لديهم اعتزاز الكنعانيين فى بلادهم وتحصين مدنها ، مما جعلهم يجبنون عن محاربتهم . كما بين ذلك القرآن الكريم فى قوله : « قالوا ياموسى أن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها ماداموا فيها »

وفى تاريخ برستد فى الجزء الخاص بالخروج يحدثنا فيقول : ولما خرج الإسرائيليون من سينا ساروا رويداً حتى وصلوا إلى حافة الصحراء التى تحد عبر الأردن ، وأراد موسى الدخول بقومه إلى أرض كنعان ، فأرسل رجالاً يتجسسون له ، فأتو ، جدون « الخليل » ثم عادوا إليه عبر الأردن وقالوا : إن الشعب فى عزة والمدن فى مناعة . ويؤيد ذلك القرآن

وهنا يبكى الشعب ويطلب الرجوع إلى مصر ، فيحكم عليهم الرب بالتيه أربعين سنة يرعون الغنم فى البرية ، حتى يموت ذلك الجيل . ثم يذكر رحلتهم إلى أرض أدوم ، وموت هرون ، وتركهم عبادة الله إلى الأصنام وتعذيبهم بسبب ذلك ، ولا يذكر عن رجوعهم إلى مصر شيئاً ولوحدث لما أهمله . ويقول الأستاذ شاهين مكاريوس بك فى كتابه تاريخ الإسرائيليين :

وأصابهم فى مدة تيههم هذا أمور ونحن كثيرة يضيق بنا المقام عن استقصائها ، أخصها فناء الجيل الذى خرج من مصر ، إلا رجلين فقط . وقيامهم على موسى يطلبون العودة إلى مصر واطراحهم عبادة الله والاستعاضة منها بعبادة الأوثان ، فنزلت بهم الضربات والأمراض حتى تابوا ، ولما صاروا على مقربة من أرض الوعد توفى موسى ، وعهد بالقيادة إلى يشوع بن نون .

كامل السوافيرى
(دار العلوم)

الى الأستاذ محمود تيمور

سيدى الأستاذ الجليل

فى ١٩ مارس ١٩٤٣ كتبتَ إلىَّ تقول : « ... ويؤسفنى أن أخبركم بأننى فوجئت بمرض ابنى « سعيد » ونقله إلى المستشفى لإجراء عملية استئصال « الزائدة الدودية » له ؛ فأرجو أن أتمكن من الاتصال بكم بعد أيام وأنا مطمئن القلب منشرح الخاطر ... »

وفى ٢٢ مارس ، أى فى اليوم الثالث لهذه الفاجأة هصرت المنية غصن « سعيد » ! ... فأى أسى ألَمَّ بساحتك ، وأى إحساس طاف بقلبك ، وأنت تشهد هذا المصاب الأليم ؟ ... وكيف انتزعت يد الموت السوداء هذا الغصن الرطيب من دوحته لتزين به فردوس السماء ؟

حقاً إنها فاجعة ، ولكنك يا سيدى رجل عظيم ، والعظماء غرض الأقدار ومطمع الأيام ، يبتليهم الدهر فيصبرون ، ويمتحنهم فيصمدون ، ويصارعهم فيصرعونه ؛ فاصبر صبراً جميلاً ، فلك عظيم المثوبة والأجر ، ولابنك الراحل إلى جوار ربه رفيع الدرجات وخالد الذكر ؛ والله من قبل ذلك ومن بعد ذلك يقول : (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) صدق الله العظيم

أحمد الشرباصى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 509

Lundi - 5 - 4 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٠٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٢ — الموافق ٥ أبريل سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة

٢٦١	الفرد والدولة	: الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٢٦٣	علوم اللغـة فى المدارس الثانوية	الدكتور زكى مبارك ... ...
٢٦٧	قضيـة اليوم	: الأسـتاذ دريني خشبة ...
٢٧٠	الاصلاح الذى أنشده للأزهر عماده المال	الأستاذ عبد الحميد عنتر ...
٢٧٣	من معـانى الأزهار إلى « ذات القدائر الذهبية »	الشاعر الفرنسى « جان ريشبان » بقلم الأستاذ عبد العزيز العجيزى
٢٧٤	اليابان إزاء الصين . .	: اليوزباشى حسين ذو الفقار صبرى
٢٧٧	ميـلاد زهرة [قصيدة]	: الأستاذ على محمود طه ...
٢٧٧	المنارة الجديدة «	: الأستاذ خليل شيبوب ...
٢٧٨	حول قضية شهرزاد : الأدب والأشخاص	الأستاذ سيد قطب ... ...
٢٧٨	هل ذو القرنين هو كورش الفارسى ؟	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٢٧٩	إلى الدكتور زكى مبارك	: الأستاذ عبد العظيم على قناوى

الفـــرد والدولة

للأستاذ عباس محمود العقاد

للأحوال الاقتصادية فى كل مجتمع شأن عظيم فى توجيه حياة أفراده ، وفى إقامة النظم الحكومية والآداب العرفية بين أهله

هذه حقيقة لا حاجة بها إلى كشف ولا إثبات ، ولا حاجة بها إلى كاشفين ولا مثبتين ، لأنها أقرب إلى البديهيات المقررة والأصول المسلمة ، منها إلى « نظريات » الأدلة والبراهين

هذه حقيقة لم يكشفها الاشتراكيون والشيوعيون ، وإن غلا فيها دعاة الاشتراكية والشيوعية ، فإن شاءوا من خصوم مذهبهم أن يثبتوها معهم أو يثبتوها قبلهم أو بعدهم فما من معارضة فى إثباتها بين فريق من الناس حيث كان

ولهم أن نزيدهم خطوة أخرى فى هذا الطريق فنقول : إن الأحوال الاقتصادية وراء كل حركة عظيمة من حركات التاريخ ؛ فما سجل التاريخ قط من نهضة أو دعوة أو ثورة أو انقلاب إلا كان للأحوال الاقتصادية فى كل أولئك أثر واضح وسهم كبير

وإلى هنا نقف فلا نستطيع أن نتقدم خطوة ؛ لأننا إذا تقدمنا خطوة أخرى وراء هذه الخطوة قلنا ما ليس فى وسعنا أن

تقوله وليس فى وسع العقل أن يقبله ويسيغه : قلنا إن الأحوال الاقتصادية هى كل شىء وإنها هى المهم الذى لا مهم غيره ، وإن العوامل الكونية لا تشتمل على شىء آخر غير المضاربات والأسواق وتداول الأسعار

وهذا مسخ للحياة ومسخ للفكر ومسخ للعوامل الكونية

بل هذا مسخ للكون حتى ليصبح من بداية الخلق إلى نهايته « بورصة » مضاربات ومثابة سمسرة وشطارة واختلاس

وليس فى وسعنا أن نقول ذلك ، وإن قاله الاشتراكيون ، وقاله الغلاة من الاشتراكيين وهم الشيوعيون الماركسيون

فالأحوال الاقتصادية شىء هام ولكنها ليست بكل شىء هام ، والأحوال الاقتصادية لها سلطان على المجتمع ولكنها ليست بكل سلطان فى المجتمع ، وليس المجتمع مع ذلك بالقضاء الذى لا يرد له حكم فى حياة الأفراد ، فقد يكون للأفراد حكم نافذ فى كل مجتمع نشأوا فيه

والقول بهذا هو الحد الفاصل بيننا وبين دعاة الاشتراكية الذين يلغون سلطان الفرد ليثبتوا سلطان المجتمع ، ثم يقيمون للمجتمع قانوناً لا فكاك منه ولا محيد عنه ، وهو قانون الضرورة المادية أو الضرورة الاقتصادية أو ما يسمونه فى الجملة بالتفسير المادى للتاريخ

ليست الأحوال الاقتصادية بكل شىء

وليس المجتمع بكل شىء

وليس الفرد لغواً إلى جانب المجتمع أو الأحوال الاقتصادية . ولكنه شىء ، والمجتمع شىء ، والأحوال الاقتصادية شىء ، وليس من الضرورى اللازم لإدراك حقيقة من الحقائق الاجتماعية أو الفلسفية أن نلغى شيئاً من هذه الأشياء

***

أحسبنا فى عهدنا هذا أحوج ما كنا إلى توكيد هذه الحقيقة مرة بعد مرة ، لأن توكيدها فى الأذهان غير عاصم من ضلال الشعور — بل ضلال الوهم — الذى يتمثل لبعض الناس كأنه مذهب من مذاهب التفكير

فتغليب الشئون الاقتصادية ، أو تغليب الدوافع المادية على دوافع الحياة فى الأفراد ، هو فى الواقع « قدرية » جديدة يلجأ إليها العاجزون فى زماننا هرباً من التبعة ، كما لجأ العاجزون فيما مضى إلى قدرية القرون الوسطى

كان العاجزون فيما مضى يقولون : ماذا نصنع ؟ وما الحيلة ؟ هذا قدر مكتوب لا حيلة فيه !

فأصبح العاجزون فى زماننا يقولون : ماذا نصنع ؟ وما الحيلة ؟ هذه ضرورات الاقتصاد التى تسيطر على إرادة الأفراد ، فلا لوم عليهم ، ولا تقصير من قبلهم ، وإنما اللوم لوم المجتمع والتقصير تقصير « الأحوال »

وما كتبنا قط مقالاً عن الفرد والمجتمع إلا أحسسنا بخطر هذه القدرية فى أسئلة بعض السائلين ، وتعقيب بعض المعقبين ؛ فعلمنا أنه « مهرب » جديد من التبعات الفردية ، يلوذ به من يحاول فيفشل فيعز عليه أن يلوم نفسه على فشله ، فيذهب به ليلقيه على كاهل المجتمع أو الأحوال الاقتصادية أو التفسير المادى للتاريخ

أحسسنا بخطر هذه القدرية مرة أخرى على أثر المقال الذى كتبناه عن أسس الإصلاح ، والمقال الذى كتبناه عن فلسفة الترجمة[1] ، لأننا أثبتنا فى كلا المقالين وجود الفرد إلى جانب وجود الدولة أو المجتمع ، وخرجنا منهما بالرأى الذى خلاصته أن الفرد قد يكون قوة فاعلة كما يكون نتيجة منفعلة ، وإن الإصلاح الذى يلغى حرية الفرد فساد شر من كل فساد

كتبنا ذينك المقالين فلم يسترح إليهما أناس ممن استراحوا إلى القدرية الجديدة ؛ لأن إعفاء النفس من اللوم راحة ، وإلقاء التبعة كلها على المجتمع راحة ، وفيما ذكرناه فى المقالين ما يزعج المستنيم إلى تينك الراحتين

يجب أن نقول إن المجتمع هو كل شىء ، وإن الذنب كله هو ذنبه ، ليستريح المؤمنون بالقدرية الجديدة

ولكننا لا نقول ذلك ، وليس لنا أن نقوله ... بل نحن نقول إن المجتمع شىء فقط وليس بكل شىء ، وإن عليه ذنوباً وليست عليه جميع الذنوب ، فالقدريون إذن غير مستريحين ، و « الحوقلة » من نوع جديد هى كل ما يعبرون به عن هذا القلق المستحدث : قلق التفسير المادى للتاريخ !

(١) جاء فى هذا المقال سهواً أن الفرق بين فرنسا أمس واليوم هو الفرق بين فوش وبيتان ، والصواب كليمنصو وبيتان

ومهما يبلغ هؤلاء القدريون الجدد من الحوقلة فما هم بقادرين على إلغاء الفرد وإنكار قسطه من توجيه التاريخ ، وبخاصة حين يكون من عظماء الأفراد

قالوا مثلاً ما طاب لهم أن يقولوا عن المظالم التي ضيقت على الناس منذ قرون فهجروا بلادهم إلى القارة الأمريكية ، وقالوا ما طاب لهم أن يقولوا عن الأسباب الاقتصادية التي حفزت أناساً إلى البحث عن طريق جديد إلى الهند ، فعثروا من طريق المصادفة على تلك القارة الأمريكية

ولكن الذي قالوه كله لن يفسر لنا الفوارق بين الناس في التأثر بالمظالم أو بالعوامل الاقتصادية ؟

فالظالم قد نزلت بملايين من الناس ، والعوامل الاقتصادية قد أحاطت بملايين من الناس ، فلماذا وجد فيهم من ينفر من الظلم فيهجر بلاده ووجد فيهم من يستكين إلى الظلم فيقيم حيث أقام ؟ ولماذا قنع أفراد بالشظف وطمح أناس إلى الوفر والثراء في قطر مجهول ؟

أهي العوامل الاقتصادية التي فرقت بين فرد وفرد في حظوظ الحياة وملكات الشعور ؟

وإذا كانت العوامل الاقتصادية لم تخلق هذا فمن أين لها أن تلغيه ، وكيف يسعها أن تفسر التاريخ وهذه الفوارق الحيوية باقية عندها بغير تفسير

كانت نظم الحكم في الدولة العثمانية واحدة ، وكانت أسباب المعيشة بين رعاياها متماثلة أو متقاربة ، ولكنها كانت تدين اليوم لسلطان قوي فإذا هي قوة مخيفة لمن حولها ، ثم يخلفه على الأثر سلطان ضعيف فإذا هي مطمع لكل طامع فيها

فكيف ينكر المنكرون مع هذا أن اختلاف الأفراد لا يغير ولا يبدل في حوادث الأمم وحركات التاريخ ؟

وسألنا سائل : ماذا يكون « صلاح الدين » لولا الحروب الصليبية ؟ فسألناه : وماذا تكون الحروب الصليبية لولا صلاح الدين ؟ بل لماذا تغيرت الوقائع كلما تغير القواد في تلك الحروب وفي جميع الحروب ؟

والطريف في مناقشات هؤلاء القدريين أنهم يعقدون المقارنة بين الأبطال والحوادث ليرجحوا نصيب الحوادث على نصيب الأبطال ، فيضمون صلاح الدين في كفة ويضمون الحوادث الصليبية في كفة أخرى ، ويفعلون مثل ذلك في جميع الحوادث وجميع الأقدار ، فإذا هم يبدعون للناس وزناً لا يستقيم في ميزان لأن المقارنة إنما تنعقد بين الأمثال والأشباه ؛ فتنعقد المقارنة بين الحروب الصليبية وبين الغارات التترية ، أو بين حروب الإسلام وحروب المسيحية ، أو بين الثورة الفرنسية والثورة الروسية ، ثم تنعقد المقارنة بين القواد هنا والقواد هناك ، وبين العظماء في نهضة والعظماء في نهضة أخرى ، ليتبين لنا ما استطاعه هؤلاء وما استطاعه هؤلاء ، ويثبت لنا الميزان رجحان هذا أو رجحان ذاك

أما من هو الأرجح : صلاح الدين أو الحوادث الصليبية ؟ فهو ميزان لا يفيد ولا يدل على شيء ، ولا يثوب إلى أصول

أو الوجه الصحيح في بيان فعل صلاح الدين وفضله أن تنعقد المقارنة بينه وبين فرد آخر ممن كانوا في عصره ولم يفعلوا مثل فعله ولم يؤثر لهم فضل كفضله . فيقال إنه فعل وأن غيره لم يفعل ، وأن اختلاف الأفراد يؤدي إلى اختلاف الأفعال

لكن الغرام الذي ملك على هؤلاء القدريين ألبابهم هو غرام البخس والانتقاص ، وأقرب طريق إلى البخس والانتقاص أن يكون العظماء فضولاً وترفاً « مستغنى عنه » ... لأنهم أفراد وليسوا بمجتمع وافر التعداد !

***

نحن أبناء الشرق أحرى الناس أن نفلت من إرهاق هذه الآفة ، لأننا قد فنينا في المجتمع آلافاً من السنين . فحق لنا أن نعطي الفرد أمداً من الحرية يرتع فيه جيلاً أو جيلين ، ولو على سبيل التجربة إلى حين !

على أن الحقيقة البينة التي نؤمن بها أن المستقبل للفرد إلى آخر الزمان إن كان للزمان آخر نستقصيه ، وأن التاريخ الإنساني هو تاريخ الفرد في اضطلاعه بالحقوق والواجبات . فكلما أوغلنا في القدم رجعنا على التوالي إلى أزمنة تقل فيها حقوقه كما تقل فيها واجباته ، وكلما تقدمنا مع الزمن كانت آية التقدم أن الفرد يزداد في تبعاته أي يزداد في حقوقه وواجباته ، ويعرف له شأناً في المجتمع مستقلاً به ما وسعه أن يستقل ، أو هو على الجملة أوفر استقلالاً مما أتيح له في مجتمعات الزمن القديم

ومقاييس التقدم كما قلنا فى بعض كتبنا « كثيرة يقع فيها الاختلاف والاختلال : فإذا قسنا التقدم بالسعادة فقد تتاح السعادة للحقير ويحرمها العظيم ، وإذا قسناه بالغنى فقد يغنى الجاهل ويفتقر العالم ، وإذا قسناه بالعلم فقد تعلم الأمم المضمحلة الشائخة وتجهل الأمم الوثيقة الفتية ، إلا مقياساً واحداً لا يقع فيه الاختلاف والاختلال ، وهو مقياس المسئولية واحتمال التبعة . فإنك لا تضاهى بين رجلين أو أمتين إلا وجدت أن الأفضل منهما هو صاحب النصيب الأوفى من المسئولية ، وصاحب القدرة الراجحة على النهوض بتبعاته والاضطلاع بحقوقه وواجباته ، ولا اختلاف فى هذا المقياس كلما قست به الفارق بين الطفل القاصر والرجل الرشيد ، أو بين الهمجى والمدنى ، أو بين المجنون والعاقل ، أو بين الجاهل والعالم ، أو بين العبد والسيد ، أو بين العاجز والقادر ، أو بين كل مفضول وكل فاضل على اختلاف أوجه التفضيل

« فاحتمال التبعات هو مناط التقدم المستطاع »

ومعنى ذلك أن التقدم هو الاعتراف بالفرد والاعتراف بشأنه فى المجتمع ، والخروج به من ربقة القدرية التى تفرض عليه سلطاناً يستغرقه ويطويه .

عباس محمود العقاد

٢ـ علوم اللغة العربية في المدارس الثانوية

للدكتور زكى مبارك

مشكلة المشكلات

هى مشكلة الصراحة فى وزن الأمور التعليمية بالقسطاس

وأنا مقبل على شرح تلك المشكلة بلا مبالاة ولا مداراة ، فما يهمنى أن يرضى فلان أو يغضب فلان ، لأن المنافع الوقتية لا تهمنى بشىء ، ولأن الخطة التى اخترتها لحياتى هى خطة الصدق الصريح فى جميع الشؤون

أقول هذا وقد شاع بين جمهور المدرسين أن مفتشى التعليم الثانوى قرروا تقليل موضوعات الإنشاء

وأنا لن أعرض لتلك الإشاعة بنفى ولا إثبات ، لأنى لا أملك إعلان ما دار فى اجتماع المفتشين إلا باحتراس ، فما يجوز لرجل يشترك فى إحدى اللجان أن يذيع مداولاتها بأى حال

ولكن ما الموجب لطي تلك المداولات والجرائد تنشر تفاصيل ما يدور فى مجلس الشيوخ ومجلس النواب ؟

لو كان مقامى مقام الترفق لطويت أقوال زملائى ، لأدفع عنهم تطاول المتطاولين من المتهاونين ، ولكن مقامى مقام الثائر الذى لا يرضيه غير الظفر بأكبر نصيب من أنصبة النضال ، فأنا أوذى نفسى ولا أوذى زملائى حين أعترض على الترفق بالمدرسين والتلاميذ

بدعة مزعجة

هى بدعة التخفيف ، تخفيف الواجبات المدرسية

وعندى كلمة سأقولها مرة واحدة ثم أسكت عنها إلى آخر الزمان .

سأقول إن فى مصر ناساً يظنون أن تلاميذ المدارس الثانوية أطفال ، وأن من الواجب أن تكون دروسهم هينات لينات ، لأنهم أطفال !

سأقول إن التخفيف يفضى إلى قلة الاهتمام ، والاهتمام هو أساس كل تفوق . وقد صارت علوم اللغة العربية فى المدارس الثانوية عرضة للتسهيلات والتخفيفات من عام إلى عام ، بصورة توجب الانزعاج

لقد انعدم علم الصرف أو كاد ينعدم فى المدارس المصرية ، وصار من النادر أن نجد تلميذاً يعرف كيف ينتفع من المعاجم اللغوية .

ومضى التخفيف إلى النحو فحذف منه أبواباً كثيرة ، وصار من النادر أيضاً أن نجد تلميذاً يفهم أسرار الإعراب

وانساق التخفيف إلى علوم البلاغة فهو يقص حواشيها بلا تردد ، وقد نرى غداً من يقترح حذف تلك العلوم ، بحجة أنها نشأت فى بيئات أعجمية !

وقرر المفتشون فى اجتماعهم الأخير حذف تاريخ الأدب ، وكان يجب أن أفرح لأنى اقترحت ذلك منذ سنين ، ولكن

الطريقة التى احتجوا بها لذلك القرار قامت على القول بأن التلاميذ أضعف من أن يفهموا تاريخ الأدب ، لأنهم فى حكم الأطفال !

والواقع أن تلاميذ المدارس الثانوية يسايرون من حيواتهم عهداً هو أخصب العهود ، فيجب أن ننتفع بتلك الفرصة فنزودهم بالمعارف التى تسندهم فى المستقبل ، ويجب أن نخلق فيهم الشوق إلى جميع المعارف ، وأن نجعلهم جنوداً سعداء بالجندية فى ميدان التعليم والتثقيف

قلت لزملائى : أنا أستطيع شرح أصعب معضلة أدبية أو فلسفية شرحاً يفهمه أضعف تلميذ ، فلا تسيئوا الظنون باستعداد التلاميذ

فقال الأستاذ مختار يونس : لم أفهم شيئاً مما تقول

فقلت : لأنى أوجزت فى مقام يجب فيه الإطناب !

يجب أن نفهم أن الفرصة فى أيدينا ، وأن الشبان بين العاشرة والعشرين صالحون لفهم أصعب الدقائق . ويجب أن يكون فى نيتنا جعل مرحلة التعليم الثانوى مرحلة حاسمة فى تكوين عقول الشبان ، بحيث لا يحتاجون إلى المعاهد العالية إلا إذا تساموا إلى الأستاذية فى مختلف العلوم والفنون

وأنا لا أعرف كيف قضينا أزماناً بلا فهم للمراد الصحيح من التعليم الثانوى ، فهو عندنا إعداد للتعليم العالى ، وكان يجب أن يكون إعداداً لخوض معترك الحياة بلا تهيب ولا إشفاق

أنا أكره أن تدوم هذه الحال ، وأحب أن يصير الشاب رجل أعمال بعد العشرين ، وأتعجب من أن يعيش عالة على أبويه إلى الثلاثين

وأنا أتمنى أن يصبح التعليم العالى مقصوراً على من يملكون الوقت والمال ، ولهؤلاء فرص لا يظفر بها غير آحاد أو مئات ، وهم لن يكونوا أشرف من الشبان الذين يصارعون أمواج الحياة قبل العشرين

مرحلة التعليم الثانوى هى الفرصة الحقيقية لتثقيف الشبان . وتضييع هذه الفرصة إثم موبق

والكلمة لحضرات المدرسين ، فماذا يقولون ؟

من واجب كل مدرس أن يدرك أنه مسئول عن إعداد تلاميذه للحياة ، بحيث لا يحتاجون إلى شىء بعد التعليم الثانوى ، إلا أن يتساموا إلى الأستاذية ، كما قلت قبل لحظات

وما هذه الأستاذية التى توجب أن يكون فى معاهدنا العالية ألوف وألوف ؟

نحن نخلق لأبنائنا متاعب ثقيلة بفضل هذه الأحلام ، ونحن نصدهم عن الحياة بفضل هذه الأحلام ، ونحن نجنى عليهم جناية سنُسأل عنها يوم يقوم الحساب

مرحلة التعليم الثانوى هى المرحلة النهائية ، ثم يلتفت الشاب إلى حاله فيكون رجل عمل فى أى ميدان

والمدرس مسئول عن تحقيق هذا المعنى ، ومن واجبه أن يهب تلاميذه جميع ثروته العلمية والأدبية فى أقصر وقت ، لينصرفوا إلى الحياة بعد أسابيع لا سنين !

والمهمّ هو أن نؤمن بأن الشبان فى مرحلة التعليم الثانوى رجال لا أطفال

المهمّ هو أن نحدّث تلاميذنا فى جميع الشؤون حديث الزميل للزميل

إن هؤلاء التلاميذ خلقٌ جديد ، وقلبى يحدثنى بأنهم يعرفون من حقائق الحياة أكثر مما نعرف

والمدرس الحق هو الذى يسبق زمانه بعشرات السنين ، ليحاور تلاميذه فى أشياء تسبق زمنهم بأزمان

فتى نجد ذلك المدرس المنشود ؟

هو موجود بالفعل ، فعندنا جيوش من المدرسين الأكفاء ، ولعل مصر أغنى بلاد الشرق بالمدرسين الأكفاء

ولكن الذى يعوز الحياة التعليمية فى مصر هو التوجيه السديد ، التوجيه الذى يُشعر المدرس بأنه مسئول أمام الوطن عن تكوين الجيل الجديد

ومن الواضح أن هذا لا يتيسر إلا إذا تغيّرت النظرة الحكومية والشعبية للمدرس

ومعنى هذا أنى أنتظر أن تكون أبوة وزير المعارف للمدرسين أبوة رفيقة إلى أبعد الحدود ، بحيث يجهلون المدلول من كلمات العلاوات والترقيات والدرجات ، لأن لهم أباً ينوب عنهم فى فهم تلك الكلمات

حدثنى صديق يساير مناقشات البرلمان بأكثر مما أصنع

أن معالى الهلالى باشا قال فى مجلس النواب : « إن وزارة المعارف هى وزارة الدرجة السادسة »

والعبارة صحيحة ، وإن جاز أنها من الكلام المنحول

ونحن نقرأ من يوم إلى يوم أن الهلالى باشا مَعْنِيٌّ بتحسين أحوال المدرسين ، وهذا الذى نقرأ ليس كلاماً يراد به الدعاية ، وإنما هو صدق فى صدق ، فهذا الوزير يجب أن يكون له فى وزارة المعارف تاريخ نبيل ، وسيرى المدرسون بعد أيام أنه ضمن لهم طمأنينة تريحهم من القلق الذى يساورهم منذ سنين

والمجال يسمح بتدوين الملاحظة الآتية :

كان يهمنى فى بغداد أن أسأل عن الطلبة الذين يتخلفون عن دروسى بدار المعلمين العالية ، وكان الجواب دائماً أنهم تحولوا إلى المدرسة العسكرية ، لأن مستقبلها مضمون

والحال كذلك فى مصر ، فالشباب عندنا لا يؤُمون المعاهد التى تعدّ المدرسين إلا بعد اليأس من دخول المعاهد التى تُعدّ الضباط والمهندسين والأطباء

ومعنى هذا أن يفهم الجمهور أن المدرس هو شخص فاتته المواهب التى تؤهل لتلك المناصب

وأقول بصراحة إن المدرس لا يصلح لمهنته إلا إن كان غاية فى جمال الصفات الجسمانية والروحانية

ولن نظفر بمدرسين من هذا الطراز إلا إن ضمنّا أن تكون حياة المدرس فى مثل حياة الضابط والمهندس والطبيب

ولن يكون هذا إلا يوم يفهم الشبان أن مهنة التعليم مهنة مجد ، وليست Métier sans gloire كما يقول الفرنسيون

وهل ننسى الصراع الذى يثور عند الانقلابات الوزارية ؟

هل ننسى أن الوزير لا يرضى عن مصيره إلا إن كان وزير الداخلية أو المالية ؟

يجب أن يكون وزير المعارف هو الوزير الأول فى الدولة ، لأنه المسئول عن تكوين العقول والقلوب

قالت جريدة الأهرام إن الهلالى باشا استطاع بلباقته أن يظفر بألوف من الجنيهات لتحسين أحوال المدرسين

ومعنى هذا أنه انتهب من أموال الدولة أشياء باسم التعليم !

الله أكبر ، ولله الحمد !

إن مصر رضيت الحياد فى الحرب ، ولكنها لم ترض الحياد فى العلم ، فهى تناضل فى الميادين العلمية نضال المجاهدين الفائزين ، فما الموجب لأن يقال إن وزير المعارف قد استطاع بلباقته أن يأخذ من أموال الدولة أشياء ؟

لن نسكت أو يصير وزير المعارف هو الوزير الأول ، ليصير المدرس هو الرجل الأول فى هذه البلاد

نحن المدرسين نطالب الدولة بإقرار العدل ، لنصير مطمئنين إلى ما تريد من تثقيف الجيل الجديد

غايتنا واضحة وصريحة ، وهى أن يعرف الشعب أننا فى المقام الأول ، لأننا معلمون ، والمعلم هو الرجل الأول فى شرعة الإنصاف .

مدرسى اللغة العربية

كتبت عن هذا المدرس أربع صفحات ، ثم طويتها ، لأنه مدرس مظلوم ، فهل أعود إلى نشر تلك الصفحات ؟

لن أفعل أو أنشر أقوال المفتشين بالتفصيل

وسأرى كيف أروض القلم فى المقال المقبل

زكى مبارك

على هامش « أحلام شهرزاد »

٢ ـ قضية اليـــوم

للأستاذ دريني خشبة

قالت فاتنة : « أكتب يا صاحبي ... أكتب ... أكتب ولا تظنن أن الذى تكتب سيغضب صاحب شهرزاد أو المعجبين بصاحب شهرزاد وما أظنك إلا كنت واحداً منهم ، إن لم تكن ما تزال واحداً منهم . . . ثق يا صاحبي أن مبدع شهرزاد لا يحرجه نقد ما أبدع لأنه أخذ على نفسه عهداً بأن يُنفّذ فيها أحكام الزمان ، قاضيه فى « القصر المسحور » . وهل نسى القراء بعدُ ذلك الحكم الذى أصدره الزمان — القاضى العادل — على مبدع شهرزاد ، فى الفصل الأخير من القصر المسحور ؟ إن كانوا قد نسوا هذا الحكم فاكتبه هنا لهم عساه أن ينفعهم فيما نحن بسبيله اليوم من أمر تلك القضية التى أحدث ضجتها الخرّاصون وأرجف بها الرجفون ...

حكم الزمان : « والآن وقد سمعنا ادعاء المدعين ودفاع المتهم الأول ، ولاحظنا اعتزال من اعتزل وعدول من عدل عن الاتهام ، نقرر أن من حق الأديب أن ينشئ أشخاصه كما يريد هو لا كما يريدون هم ، بل إن من الحق على الأديب أن يتلقى أشخاصه كما يؤديهم إليه فنه ، لا يغير من صورهم التى تلتاهم عليها ولا يبدل ، ولو حاول ذلك لما استطاعه ولما وجد إليه سبيلاً . ولمن شاء أن ينكر عليه أو على فنه هذه الصورة كلها أو بعضها ، وأن يعيب عليه أو على فنه ما يكون فيها من ضعف أو نقص أو تشويه ، وما ينبغى لهذه الأشخاص نفسها أن تثور بمنشئها أو تمكر به أو تكيد له أو تتألب عليه ، أو تبغى له سوءاً أو تستنزل عليه عقاباً ؛ فإن فعلت فهى طاغية يجب أن ترد عن طغيانها ، وباغية يجب أن تصد عن بغيها ، وجامحة يجب أن يكبح جماحها ، ومنشئها وحده هو القادر على ذلك . وسبيله إليه ترقية فنه وتجديده واصطناع الأناة والدقة والإتقان فى التصوير والتعبير جميعاً . ولما كان المتهم نفسه قد أعلن تواضعه واعترف بقصوره وسلم بأنه فى حاجة إلى أن يسمى ويطيل السمى ، وإلى أن يجد ويمعن فى الجد ، لا ليبلغ الكمال ، بل ليدنو منه . ولما كنا نقدر للمتهم تواضعه وطموحه إلى الكمال ، واعترافه ببعد الأمد أمامه ؛ ولما كنا نحرص على أن نمنحه المونة على ما يريد من الرقى الفنى فقد قضينا أولاً بإسقاط دعوى المدعين ، وتبرئة المتهم مما وجه إليه . ثانياً ... بنفيه عن سالتش الخ ... »

وحسب القراء يا صاحبي هـذا القدر من حكم الزمان الذى ارتضاه صاحب « شهرزاد » ورضى أن ينشر فى قصة (القصر المسحور) التى اشترك فى إبداعها مع صاحب « أحلام شهرزاد » وليس القراء فى حاجة إلى أن نذكرهم بأن هذا الحكم الذى أصدره الزمان القاضى العادل ، هو حكم أملاه على الزمان صاحب « أحلام شهرزاد » وكان حريصاً فيه على أن يرسم لشريكه السبيل إلى (ترقية فنـه وتحديده واصطناع الأناة والدقة والإتقان فى التصوير والتعبير جميعاً) ، وكان جميلاً من صاحب « أحلام شهرزاد » أن يسجل على شريكه : (تواضعه واعترافه بقصوره وتسليمه بأنه فى حاجة إلى أن يسمى ويطيل السمى ، وإلى أن يجد ويمعن فى الجد ... لا ليبلغ الكمال ... بل ... ليدنو منه) وأن يقدر له تواضعه وطموحه إلى الكمال ، واعترافه ببعد الأمد أمامه) . وحرصه على أن يمنحه (المونة على ما يريد من الرقى الفنى)

فهل تخشى بعد ذلك يا صاحبي أن يغضب صاحب شهرزاد إذا كتبت فى قضية « أحلام شهرزاد » كلمة ترد بها الحق إلى نصابه ؟ وماذا يغضب صاحب شهرزاد كما يخرص الخراصون ويرجف بالباطل المرجفون ، وقد اشترك فى نشر هذا الحكم الذى ذاع من أبراج القصر المسحور ولم يشترك فى نشره إلا بعد أن قبله ورضى ما جاء به ، ولم يعقب عليه بكلمة ؟ الحق أن صاحب شهرزاد أعظم من أن توغر صدره الكريم نفثات المبطلين المصدورين ... بل واجبه أن يصفع بالحقائق التى وردت فى ذلك الحكم أقفيتهم ؛ لأنه عرفها قبل أن يعرفها أحد قبله ، وأذعن لها قبل أن تذيع فى الناس

وبعد فقد كان هذا الحكم تعقيباً على قصته ـ أو مسرحيته الرومانتيكية ـ شهرزاد ، فهل كان فن هذه المسرحية ناقصاً ؟ وهل كان فى حاجة إلى التجديد واصطناع الأناة والدقة والإتقان فى التصوير والتعبير جميعاً ؟ وهل نحن الذين يطلب إليهم أن يجيبوا على ذلك ؟ وكيف وقد اعترف صاحب شهرزاد بقصوره وسلم بأنه فى حاجة إلى أن يسمى ويطيل السمى ، وإلى أن يجد ويمعن فى الجد ... لا ليبلغ الكمال ، بل ليدنو منه ... إلى آخر ما جاء فى عقابيل هذا الحكم من ألفاظ التواضع وبعد الأمد وحاجته إلى

معونة ثابتة من الخارج على ما يريد من الرق الفني ... الخ .

هل نجيب أو لا نجيب ؟ وهل يقف ما اعترف به صاحب شهرزاد بيننا وبين ما نريد أن نقول ؟ وهل من حقنا أن نقول شيئاً بعد هذا ؟ وهل نستطيع أن نخالف عن أمر الزمان وأن نثور بأحكامه ؟

أجل ، نحن نستطيع أن نفعل ذلك ، فقد جاء في هذا الحكم الإذنُ (لمن شاء أن ينكر عليه (على الأديب) أو على فنه هذه الصورة كلها أو بعضها ، وأن يعيب عليه أو على فنه ما يكون فيها من ضعف أو نقص أو تشويه) ... وعلى هذا فلنا أن نتناول نقد شهرزاد بما نشاء من كل ضروب النقد ، ضامنين ألا يغضب مبدعها كما يحاول المرجفون المبطلون أن يحملوه على الغضب ، بما يوهمونه من السطو على بضاعته ، وادعاء ما هو حق خالص له

ولكن ... هل كان فن « شهرزاد » ناقصاً ؟ وهل كان في حاجة إلى التجديد واصطناع الأناة والدقة والإتقان في التصوير والتعبير جميعاً ؟ وكيف اعترف صاحب شهرزاد بذلك ، واعترف معه بقصوره وبأنه في حاجة إلى أن يسى ويطيل السعى ، وإلى أن يجد ويطيل الجد ... لا ليبلغ الكمال ... بل ... ليدنو منه ؟!

أما نحن فنخالف صاحبي « القصر المسحور » في كثير من ذلك ، ونوافقهما في بعضه ... إذ نشهد أن « شهرزاد » قطعة فنية رائعة من حيث الفن الأدبي الخالص لوجه الفن ، لا لوجه الحياة ... ومن حيث أنها تصور مذهباً في الأدب يأخذ به كاتبها نفسه ، ويتحمس له ، ولا يرى أن يحيد عنه ... أليس قد اشترك مع عميد الأدب العربي في « القصر المسحور » فأبى إلا أن تكون له شخصيته المستقلة البارزة إلى جانب شخصية العميد التي تختلف بأسلوبها وتتفرَّد بسردها وتتخذ إلى قلوب القراء طرائقها المألوفة المعروفة ... وعندنا أن شهرزاد من حيث الفن ليست في حاجة إلى ترقية ولا إلى تجديد .،. فقد بلغت من ذلك الكمال . وهذا حق لا ريب فيه . أما الذي نثور من أجله على « شهرزاد » وعلى مذهب صاحبها كله في الأدب ، فهو هذا التحقير الشنيع للمرأة ، واعتبارها متاعاً رخيصاً لا يصح أن يناط به الشرف ، أو اعتقاد الحفاظ فيه ، أو نسبة العفاف إليه . ثم هذه الحماسة التي يبديها صاحب هذا المذهب في التمسك برأيه والفخر من أجله بأنه « عدو المرأة »

ومن القول المعاد أن نلخص للقراء فكرة العبقرى الأول الذى ابتدع فكرة قصص « ألف ليلة وليلة » والذى ابتدع من أجلها شخصية شهرزاد الرائعة ، تلك الفتاة النابغة التى استطاعت أن تطفئ جذوة الحقد على النساء فى نفس شهريار ، وأن تنسيه مأساة زوجته التى أزهق بسبب خيانتها أرواح هذه الجمهرة من فتيات مملكته ، والتى استطاعت مع ذاك أن تكسب حب هذا الملك المنقبض النفس ، المكظوم الفؤاد ، وأن تبادله ذلك الحب ، وأن تجزيه عليه ألوفاء والصفاء والإخلاص، كما استطاعت أن تردَّ عليه ثقته بالمرأة التى كرهها ، ومحبته لها بعد البرم بها ، وافتتانه بحديثها بعد انصرافه عن كل كلمة تنبس بها ، فيكون له منها أبناء بررة ، وأسرة مجموعة الشمل ، فتتغير حاله خضوعاً لقانون الظروف ، ونزولاً على مقتضيات الأحوال الجديدة ...

هذه هى شهرزاد البسيطة غير المعقدة . هذه هى المرأة التى تعتبر ، ويجب أن تعتبر ، محور الحياة ومناط الفضيلة ، ورحمة الله التى تذهب الأحزان ، وابتسامة السماء التى تشرق فى القلوب المكروبة فتغمرها بالسعادة وتفعمها بالرضى ... المرأة التى تروض الطباع الجافية فتجعلها رخاء ، وتحتال للغرائز الوحشية فتحيلها إلى اللين واليسر والصفاء

أما شهرزاد الأخرى ... تلك الهولة التى رمز بها صاحبها إلى المرأة فى كل زمان ومكان ... فهي لا تمثل إلا نفسها ... إنها تمثل حلماً مريضاً يملأ خيالاً مريضاً ... لقد تصورها صاحبها امرأة احتالت على الملك — على شهريار — بقصصها البارع لتنقذ نفسها قبل أن تنقذ جنسها (ص ٤٠) كما صرحت بذلك للوزير وهى تحاوره وتداوره — هذه هى شهرزاد الأنانية الأثرة التى لا يصح أن تمثل إلا نفسها — أما شهرزاد التى تشتهى العبيد السود فى المنظر الخامس ، ولا تريد أن تشبع منهم ، وتخون الملك من أجلهم ، فمَن مِن بنات حواء تمثل ؟ مَن مِن جمهور بنات الإنسانية وأخواتها وأمهاتها تمثل هذه المرأة الساقطة الهلوك ؟ ! هل تمثل إلا نفسها تلك المرأة التى تغازل الوزير فى المنظر الثانى ، ويستطيع حبها الدنس أن يعصف بنفسه — وهو الوزير المخلص — فى المنظر السادس ، وتكون نتيجة هذا الحب أن يقتل الوزير نفسه فى المنظر الأخير حينما يكتشف أن شهرزاد لم تكن تشتهاه وحده ، بل كانت تعبد (جسم) العبد أكثر مما كانت تعبد جسمه (ص ١٣٨) ما هذا ؟ ما تلك الصورة الشاحبة التى يخبئها صاحب شهرزاد للمرأة فى مخيلته ؟ لقد مسخ الصورة الساذجة غير المعقدة ، الصورة العلوية الفردوسية التى ابتدعها الرجل العبقرى الأول الذى ابتكر فكرة ألف ليلة وليلة فجعلها صورة شائهة قبيحة فاجرة لا يمكن أن تمثل

مرآة المواخير التى تتجر بعرضها كما تتجر بأعراض الناس . يريد أن يقول المبتدع الأخير للعبقرى الأول : إنك يا صاحبى رجل سليم النية طيب القلب ساذج التفكير ، تنظر للمرأة تلك النظرة العالية المبرأة فتتهمها بالذكاء الصالح ، وتنفى عنها الدهاء الطالح ، حين تضع بين يديها شخصية مستوحشة مثل شخصية شهريار الذى قتل زوجه الملكة وقتل العبد الذى خانته فيه ، ثم راح يقتل العذارى نقمة منه على جنس المرأة حتى رزقه الله هذه الفتاة الألمعية « شهرزاد » التى تسلمته كما يتسلم المروضون السباع والضوارى فما يزالون بها حتى يسلس لهمَ قيادها وينقاد لهم عاصيها ، وتخضع كما تخضع الثعابين فى الهند للموسيقا وتسكن سكون الطفل إذ يلتقم ثدى أمه ... أما أنا — لاجعلت فداك — فعلى النقيض منك ، إذ أنى قليل الإيمان — بل لا إيمان لى على الإطلاق — بالمرأة ... المرأة التى تمثلها شهرزاد فى كل زمان ومكان ... إنى عدوها !! ... إنها مخلوق أنانى صلف غادر ... إنها كائن غوىّ بغىّ فاجر ... إنها أصل كل بلاء ، وجالبة كل شقاء ... إنها كما جاء فى هذا البيت المضحك الذى دسه عليك بعض القصاص المتأخرين فيما دسوه عليك من سخف ... هذا البيت الواهى المتهالك الذى لا يستقيم له وزن :(١)

إذا رأيت أموراً منهـا الفؤاد تفتت

فانظر تجدها من النساء تأتت !!

بالضبط يا عزيزى العبقرى الأول ، ولو أنك أنت كنت رويت هـذا البيت ، وثقفته لراقك أن يكون مذهبك فى المرأة كما أصبح مذهبى ، ولدنت به كما أدين أنا ـ فى آخر الزمان ـ به فقد تناولت شهرزاد الحصيفة العفيفة الظريفة اللطيفة التى قتلت الشيطان بين جنبى شهريار ، وأبادت الظلام الذى جثم على قلبه ، وأعادت إلى روحه السلام والطمأنينة ، وغيرت مجرى تفكيره فى الحياة حين أنجبت له أبناء وخلقت له « بيتاً » ، شهرزاد التى لم تزل بالملك المتبرم بكل شىء ، الناقم على كل الوجود ، حتى على نفسه فردته إلى الرضى ، وغسلت قلبه بالثلج والبرد ، واشتركت وإياه فى شئون الملك ، فاستقامت له الرعية ، وازدهرت فى فيض عدالته الدولة ... تناولت أنا شهرزادك هـذه فسختها ...

ولا تؤاخذنى يا عزيزى العبقرى الأول فهذا رأيى فى المرأة ... وجعلتها أنانية أثرة لا تجهد إلا أن تبقى على نفسها وإن هلك نساء العالم . ثم جعلتها تخدع الملك وتصر على الانتقام منه فتخونه كأسفل ما خانته زوجته الملكة الأولى ، وتؤوى إلى فراشه العبيد الأقوياء السود فلا تشبع منهم ، وتحرص على أن يكونوا سوداً غلاظاً (فالزهرة البيضاء الرقيقة تنبت من الطين الأسود الغليظ) ، وتحرص أن يكون عبدها (وضيع الأصل قبيح الصورة ، لأن هذه هى صفاته الخالدة التى تحبها) ... فإذا أنبأها العبد أن (تلك هى صفات الشهوة !) قالت له : « اقترب » فإذا قال العبد : « يخيل إلى أنك امرأة لا ككل النساء . أنت لا يمكن أن تعشقى أحداً » قالت له « لا شأن لك بقلبى ! » فإذا قال : « أنت إنما تلعبين بى . إنى أخافك » قالت : « أنت واهم » فيقول ، ويا مصيبة ما يقول : « وزوجك ! » فتقول : « ما شأنك به ؟ » فهل رأيت إلى يا عزيزى العبقرى الأول كيف أشعت الفجور فى نفس شهرزادك ؛ وإن غضبت . فشهرزادى ! وماذا يغضبك وللأديب أن يضع أشخاصه فى الصورة التى يحب كما جاء فى حكم الزمان فى آخر قصة القصر المسحور ؟ لقد أشعت الفجور فى نفس شهرزاد وفى نفس العبد وفى نفس قمر وفى نفس الجلاد وفى نفس أبى ميسور ، وفى نفس الملك . إى والله فى نفس شهريار الذى ما فتىء يقتل النساء . لقد جردته حتى من نخوة الرجولة وفحولتها وجعلتها ضعفاً وخنثاً وفسولة . لأنه يرى العبد يخرج من مخبئه فى مخدعها ، فلا يبرم ولا يثور ولا يأمر جلاده بشىء ... ولا بالبصق فى وجهه . ولماذا يفعل وقد اشتد إيمانه بأن هذه هى طبيعة المرأة التى لا سبيل إلى تقويم معوجها ؟

أرأيت إلىّ يا عزيزى العبقرى الأول ؟ ! هـذا مذهبى فى المرأة ... روّأت له هذا التروىء ، وموّهت به على قرائى ذاك التمويه ، وأذعته عليهم فى كتاب وجد من حرية الرأى ورحابة الصدر ، وحسن الإلتفات ، فى مصر والشرق ، ما وجد ، فشاع وذاع وملأ النفوس والأسماع ... وغلب القبح — الذى ورد ذكره فى كتابى — على صفاته الغوالى ، ومزاياه الكبار

قالت فاتنة : « وحسبك هذا القدر اليوم يا صاحبى ، وقبل أن آذن لك فتضع هنا اسمك ، نبه الناس إلى أن صاحب أحلام شهرزاد لم يسرق من هذا الفجور شيئاً ، بل هو قد عالجه العلاج الذى كان ينبغى له منذ أعوام . وإلى اللقاء فى الأسبوع القبل »

دريني خشبة

---

(١) هما بيتان لا بيت واحد نظمهما هكذا :

إذا رأيت أموراً منها الفؤاد تفتت
فانظر إليها تجدها من النساء تأتت

(الرسالة)

الاصلاح الذى أنشده للأزهر عماده المال

للأستاذ عبد الحميد عنتر

[وسيكون للجامعة الأزهرية نصيب كبير من اهتمام حكومتى ، فتعنى باصلاح نظم التعليم فيها إصلاحاً يساير روح العصر ، ويحفظ لهذا المعهد الكبير صفته الدينية ، ويهيىء له من الوسائل ما يمكنه من أداء رسالته العلمية الدينية ، على الوجه الذى تنشده مصر ، ويحقق آمال الاسلام والمسلمين . وستوجه الحكومة إلى الوعظ الدينى عناية تناسب ما له من أثر فى تهذيب الخلق المصرى ، وما يبذله من جهود للاصلاح بين الناس] (من خطبة العرش)

هذا ما جاء فى خطاب العرش ، لسنة ١٩٤٢ خاصاً بالجامع الأزهر .

وهو على ما يرى القارئ قبس من نور الحكمة ، وسراج وهاج من روح الإخلاص الحكومى لهذا المعهد العتيد . ذلك المعهد الذى يجله ملوك مصر وحكامها ، منذ نشأته الأولى ، إلى أن بلغ من العمر ألفاً من السنين ، والذى له المنزلة العليا فى نفوس المسلمين بكافة بقاع الأرض ، لأنهم يتمثلون فيه المحامى الأكبر عن دين الله ، (الذى لا تصلح دنيا الناس إلا به) ، والحصن الحصين الذى حفظ تراث العرب ، من اللغة والآداب والعلوم ، ووقاها عاديات الضياع والإهمال ؛ ولأنهم يرون — ونرى معهم — أن النهضة الفكرية فى مصر ، والنهضة الخطابية والكتابية ، والنهضة الأدبية والشعرية ، وأستطيع أن أقول : والنهضة الوطنية . كل أولئك النهضات المباركات ، كان الفضل فى تدعيمها وتغذيتها للجامع الأزهر . فهل هو كما قال قائلهم الأديب ، الإبن البار بالأزهر ، الأستاذ حسن عبد العال ، صاحب جريدة الإصلاح الحلبية : « الأزهر حصن الدين وينبوع الأدب »[1] .

ولما كان فى التصريح الخطير المقتبس من خطبة العرش ، ما يمس نظام التعليم ، وفيه ذكر الوسائل التى تمكن الأزهر من تأدية رسالته على الوجه الأكمل ، أحببت أن أبين على صفحات « الرسالة » ما عن لى من وجوه الإصلاح ، وما أراه أنفع الوسائل لأداء الرسالة العلمية الدينية ، على الوجه الذى « يحقق آمال الإسلام والمسلمين » . فأقول محاولاً الإيجاز ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله .

رسالة الأزهر قديما

لا مراء فى أن علماء الأزهر القدامى ، حملوا أمانة العلم ، وأدّوها أحسن الأداء ، وضربوا للناس المثل الأعلى فى الجد والنشاط ، والتوفر على الدرس والتحصيل ، وتطبيق أقوالهم الطيبة ، على أفعالهم الحميدة ، مع تغلغل فى البحث ، واستقلال فى الرأى ، وجهر بالحق ، وسمو فى الخُلق ، ورضاً لم يخالطه سخط ، وقناعة لم يتطرق إليها طمع ، وإخلاص لم يَشبه رياء .

لله درهم ! نشروا العلم وأحيوا الفضيلة ، وحافظوا على لغة الكتاب المنزل . فدرسوا وعلّموا ، وصنفوا وألّفوا ، ولخصوا ومحّصوا ، حتى تركوا لمن بعدهم ثروة كبيرة من التآليف فى شتى العلوم ، تعد بحق مفخرة لهم ، فى عصر كاد ينطمس فيه نور العلم ، ويخبو فيه مصباح الفكر ، لولا نفحة سماوية ، وروح علوية إلٰهية . جزاهم الله عن العلم والدين خير الجزاء .

ومما تجب ملاحظته أن نفسية الأمة إذ ذاك ، كانت أكبر معين للعلماء على أداء مهمتهم ، وتبليغ رسالتهم على الوجه الذى سلف بيانه ، والتاريخ أعدل شاهد على ذلك ؛ وأن هذه النفسية قد تغيرت الآن تغيراً طغت فيه المادة على المعانى الروحية ، وأصبح الناس لا يقدُرون العالم لعلمه وأدبه ، أو سمو نفسه وطهارة قلبه وصالح عمله ؛ بل إنما يقدرونه لمال أو جاه ، أو منصب أو رياسة . ومن هنا وجب « أن تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا » ، وأن تتغير وسائل تأدية الرسالة العلمية الدينية ، طبقاً لروح العصر الذى نعيش فيه . وذلك ما سأبينه فى رسالة الأزهر الجديدة .

نظام الأزهر الحالى

إن من ينكر نظام الأزهر الآن ، كمن ينكر الشمس فى رائعة النهار ، ولا يجرؤ على ذلك إلا الجاهل المتعامى الذى لا يضير الشمس إنكاره ، ولا يغيّر الحقيقة جحوده واستهتاره .

(١) عدد الرسالة ٥٠٠

إن من يزور معهداً من معاهد الأزهر الابتدائية أو الثانوية ، ثم يزور مدرسة من مدارس الحكومة الابتدائية أو الثانوية ، المؤثثة على أحدث طراز — لا يرى فارقاً واضحاً بين المعهد والمدرسة ، (إلا العمائم والطرابيش)

أما نظام الفصول الدراسية ، ومقاعد الطلاب ، وأدوات الدراسة : من مصورات جغرافية ، وأخرى زخرفية ، وسبورات للايضاح ، وأدوات للرسم ، ومعامل للكيمياء والطبيعة ، وهيا كل مجسمة لدراسة علم الحياة (الأحياء) وقاعات للمحاضرات، أقول أما كل أولئك فهو فى معاهد الأزهر ، كما فى مدارس وزارة المعارف ، وتمتاز المعاهد بأن ما فيها من الطراز الحديث .

وإن من يزور كلية من كليات الأزهر ، لا يرى فرقاً بين أيّة منها ، وبين كلية الآداب أو الحقوق أو معهد التربية ، إلا من حيث فخامة الأبنية والموقع الصحي المنتقى ، وضخامة الميزانيات . فهى فى الأزهر وكلياته متضائلة متواضعة[1] ، وفى مدارس الحكومة وكلياتها عظيمة متضخمة . وتكاد طريقة التدريس فى الأزهر الحديث ، تضاهى الطريقة التى تتبعها مدارس الحكومة وكليات الجامعة ، وكذلك نظم الامتحانات .

وقد استقر هذا النظام فى الأزهر ، ورسخ فيه رسوخ الشم الرواسى ، حتى أصبح من العسير جداً أن يعدل به إلى أى نهج آخر ؛ لأن رجال الأزهر وطلابه قد اعتبروه تقدماً وتجديداً ، ومسايرة لروح العصر الحاضر . فالعدول عنه رجوع بمعهدهم القهقرى ، ووقوع فيما فروا منه قديماً من بلاء !

فمن يحاول رجع الأزهر كما كان ، كمن يحاول أن يجعل « النيل » ينبع من شواطئ البحر الأبيض المتوسط ثم يصب فى أعالى السودان !

فالأزهر لا ينقصه نظام ، ولا يعوزه رجال مفكرون ، أو طلاب نبهاء ، وإنما يعوزه إصلاح هذا النظام ، ولا سبيل إلى إصلاحه إلا المال ؛ ليؤدى به إلى بلاده ، وإلى العالم الإسلامى رسالته الجديدة

وإذا قال الأزهر الحديث : « المال » ، فهو لا يريد أن يتكاثر فيه حتى يصبح من أصحاب « الملايين » ! أو التهالك عليه حتى يكون شغله الشاغل ، ومحبوبه الأول ! ولكنه يطلبه للاصلاح ، وللاصلاح لا غير ... يطلبه الآن لأنه ليس كالأزهرى فى الزمن السالف ، الذى كانت تهدى إلى بيته الهدايا ، من كل « ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » . يطلبه لأنه يرى أن كل شىء فى هذه الحياة الصاخبة مفتقر إلى المال . يطلبه ليتساوى مع غيره ممن يؤدون مثل مهمته ، ويقومون بمثل عمله ، من رجال التعليم

أمامى الآن بيان إجمالى لدرجات موظفى الإدارة العامة بالأزهر ، ودرجات شيوخ كلياته وأساتذتها ومدرسيها وموظفيها ودرجات شيوخ المعاهد الابتدائية والثانوية ومدرسيها وموظفيها . وبيان آخر لدرجات أمثالهم من موظفى وزارة المعارف بالديوان العام ، وعمداء كليات الجامعة وأساتذتها ومدرسيها وموظفيها ، ونظار المدارس الابتدائية والثانوية ومدرسيها وموظفيها . والناظر إليه يرى البون الشاسع بين هذه الدرجات بالنسبة إلى عمل أصحابها من الفريقين !

فهى فى ميزانية الأزهر تتصاغر وتتضاءل ، وفى ميزانيات غيره تتعاظم وتتكاثر . ولو شئت أن أذكر البيان التفصيلى مؤيداً بالأرقام لفعلت ، ولكنى آثرت عدم ذكر شىء من ذلك رعاية لأزمة ورق الصحف ، ولأن ولاة الأمور يعلمون ذلك علم اليقين . لذلك أجتزئ بذكر الأمثلة الآتية ، ومنها يتبين الفرق الكبير :

الأول — فى الإدارة العامة : وكيل الجامع الأزهر لم يوضع فى الدرجة الأولى (التى تعطى لبعض أساتذة الجامعة) إلا فى سنة ١٩٤٢ مع أن نظيره فى ديوان المعارف يتقاضى مرتب « مدير عام » ، ومفتشو الأزهر فى الخامسة والرابعة لا أكثر ، مع أن مفتشي المعارف ليس فيهم من هو فى أقل من الرابعة . وكبار المفتشين فى الثانية

الثانى — شيوخ الكليات الأزهرية لم يوضعوا فى الدرجة الثانية إلا فى سنة ١٩٤٢ ، مع أن هذه لدرجة تعطى لأساتذة الجامعة ، بل إن بعض هؤلاء فى الأولى كما سبق ! وأما عمداء الجامعة فهم فى درجة « مدير عام »

الثالث — أساتذة كليات الأزهر ومدرسوها : لم يوضع أحد من الأساتذة فى الدرجة الرابعة إلا فى سنة ٤٢ ، ولم يكن أحد منهم فى الثالثة أو الثانية أو الأولى (بالطبع) مع أن أساتذة الجامعة ودار العلوم فى الثانية والثالثة وليس فيهم من هو فى أقل من الثالثة

(١) ماعدا معهد فؤاد الأول بأسيوط ، فانه بز جميع المعاهد ومدارس الحكومة فى حداثة الطراز ، وفخامة البناء ، وتكامل النظام

أما مدرسو كليات الأزهر ، فهم فى الدرجات الخامسة والسادسة ، ويخجلنى أن أقول : والسابعة ! مع أنه ليس فى مدرسي الجامعة من هو فى أقل من الخامسة

وعلى هذا الغرار الفرق بين شيوخ المعاهد ، ونظار المدارس ، وبين المدرسين والموظفين فى كل منهما

فإذا طالب الأزهرى بالمساواة ، فهو طلب عادل ، ومساواة واجبة . وفى هذه المساواة تحقيق للعدالة بين طبقات الأمة ، وراحة لضمير فئة خصصت حياتها لخدمة العلم والدين ولغة العرب

فالأزهرى الحديث يطلب المال كما يطلبه غيره ، ليعيش بكرامته ، وينعم بخيرات بلاده كما ينعم غيره

وإذا كانت الدول تنفق الأموال الطائلة ، على الدعاية التى لم تتحقق ثمرتها بلا مقابل — فالأزهر أكبر دعاية لمصر فى الشرق والغرب ، بل هى دعاية محققة الفائدة ، بل قد يكون من القضايا المسلم بها ، أن مصر لم تتزعم العالم الإسلامى والشرق العربى إلا بفضل الأزهر . فليس بمستغرب إذن أن ينفق عليه للاصلاح ، بسخاء من غير مقابل !

وممن يطلب المال ؟ يطلبه من حكومته العادلة الرشيدة ، التى آلت على نفسها أن تصلح شأنه ، وأخذت على عاتقها أن تمكنه من أداء رسالته العلمية الدينية ، وأن توجه عناية خاصة إلى الوعظ والإرشاد

وهذا التمكين وتلك العناية ، لا يقومان إلا على أساس المال

وها أنذا[1] أرسم الخطة التى أرجو أن يسير عليها الأزهر فى عهده الجديد ؛ لتكون منهاجاً واضحاً لمن يريد الخير والإصلاح لهذه الجامعة الدينية الكبرى . مصدراً ما أورده هنا عن تجارب الماضى وعبره

رسالة الأزهر الجديدة

هى بذاتها رسالته القديمة ، مضافاً إليها ما يلى :

١ — تأليف الكتب العلمية للدراسة . وهذه عقدة العقد فى إصلاح نظام الأزهر ، وأعتقد أن كل إصلاح لا يحل تلك العقدة ، لا يؤتى ثمرته المرجوة ، ولا يحقق آمال المسلمين

كتب الأزهر الحالية فى شتى العلوم ، مجموعات كبيرة من المتون والشروح والحواشى والتقارير[1] ، فهى حقاً ثروة علمية هائلة ، جمعت كنوز العلم ، وبيادين الفكر ، وعصارات العقول . لولا ما فيها من حشو لا تسيغه أذهان الناشئين ، ولا يتفق وكثرة العلوم التى لا غنى عنها للطالبين

ألفت تلك الموسوعات فى زمن غير زماننا ، ولرجال غير رجالنا . هم عملوا ، وعلينا أن ننقح ما عملوا ؛ لأن ما عملوه لا يروج إلا فى سوق الأزهر ومعاهده ، ونحن نريد بضاعة علمية من التأليف ، تروج فى سوقنا ، وتغزو سوق غيرنا ، فى مصر وفى غير مصر من جميع بلاد العالم

نريد أن تكون كتب الأزهر القديمة ، مراجع علمية ، ومصادر للتأليف ، ومواد ودراسات عالية لمن يريد التضلع من العلم ، والتخصص فيه

ونريد أن تؤلف للدراسة فى الكليات والمعاهد الدينية كتب جديدة قيمة فى جميع العلوم ، مقتبسة من كتبنا القديمة تجمع المسائل العلمية ، والبحوث النافعة ، مع التنسيق وحسن الترتيب . مراعى فيها أن يمكن استيعاب دراستها فى الزمن المخصص لكل مرحلة من مراحل التعليم ، حتى لا تنفلت حلقة واحدة من سلسلة المقررات العلمية السنوية ، لكل فرقة من فرق الدراسة . وهذا النوع من الإصلاح لا يعوزنا فى تحقيقه إلا المال . أما الرجال فإن فى الأزهر الآن عقولاً تستطيع أن تؤلف أنفع كتب « أخرجت للناس » وإني أهيب بولاة الأمر فينا ، أن يبادروا بإخراج هذه الفكرة إلى حيز الوجود ولو بالتدريج ، قبل أن يقل العلماء القدامى ، فتفوت الفرصة السانحة ، تلك الفرصة التى يرجو كل محب لخير الأزهر أن تنتهزها حكومة الشعب ، فى عصر الملك السعيد ، صاحب الجلالة فاروق الأول ، أيده الله ، وأعز به الدين والوطن .

(يتبع)

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية

(١) رجح بعض الفضلاء هذا الرسم الاملائى

(١) وقد تجتمع مفردات هذه الأربعة فى كتاب واحد !

حكم فى القضية ن ٣٩١ سنة ١٩٤٣ جنح الوايلى بحبس فؤاد على حسنين ثلاثة شهور مع الشغل وغرامة ١٠٠ جنيه والمصادرة والنشر والتعليق والاغلاق لبيعه لحماً بأزيد من السعر المحدد

حكم فى الجنحة رقم ١١٢٦ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٢ بحبس عبد الفتاح عليان ثلاثة شهور مع الشغل والمصادرة والنشر والتعليق والغلق لبيعه (اللحم) بأزيد من السعر المحدد

من مغانى الأزهار

إلى

« ذات الغدائر الذهبية »

لشاعر العاطفة والوجدان جان ريشبان (*)

JEAN RICHEPIN

للأستاذ عبد العزيز العجيزى

ليلاى ! هيا نجول فى روض الأحلام ، ونطوف بفردوس الأوهام . هيا ننعم بما يدانى قطوف فتنتك وجلالك ، وأفاويق سحرك ودلالك . هيا نسبح فى أجواء الخيال ، ونرفرف فى فضاء الآمال ، ونسمو إلى عالم الجمال ... واهاً لها من أحلام مغرية ! وواهاً لها من أحلام خادعة ! هيا نرنو إلى الأشجار الوارفة ، والأطيار الصادحة ، والمياه الساجية تحت قبة السماء الزاهية

***

تأملى يا حبيبتى ! فالشمس بازغة من مخدعها بزوغ الحسناء من خدر عشيقها ، شاحبة المحيا ، حسيرة الطرف ، كسيرة الجناح ، فى موكب الصباح النضير ، وجماله الساذج الغرير ، ناثرة فى الأفق طاقات الزهور العسجدية ، والورود القرمزية ، بينما الدجى يسحب غدائره السوداء .

***

زنبقات الفجر ! تلك الزنابق البيض تنثر لؤلؤاً وضاء ، فتوجى جبينك بهذا الأكليل اللألاء ، ليشدو الفجر الفريد ، شدو البلابل بالنشيد ، فتتفتح حينذاك أوراق الأزهار وتنفض عن أجفانها غلالة النعاس ، كما تنفض العيون عن أهدابها كحل الكرى عند انبلاج الصباح الوليد

***

ويترنم سيل الجدول المنساب ، حاملاً إليك بين ثناياه المترقرقة جواهر ماسية صافية ، ومن صفحته اللألاءة مرآة بلورية زاهية . وتندفع أحجار الحصى كثمار الجــوز المنزلقة على الصراط الضيق ، وتفوح أشجار الصندل بالعرف الشــذى ، والطيب النــدى .

***

وتسلب الريح الهائمة أنغام القبل الراقصة على شفتيك ، وتنهب الأغانى الشادية على لماك ، فتجمل الأشواق المتأججة ، والأمانى الهائجة ، ورعدة الصبوة الجامحة ، تهيم فى الآفاق ، وترقد فى منازل الأفلاك ، حالمة بسحر لحظك الفتاك !

***

ليلاى ! كل شىء يزهر تحت قدميك ، وينضر بين يديك ؛ فيشرق جماله لعينيك ، ويضوع نسمه من عبير ثناياك ، فى روض السحر والفتنة ، وأيك الجمال والروعة ... وينمو العشب وينبت الكلأ حيث تتباين الورود وتتنوع الأزهار . . . لحظة يا حبيبتى من لحظات عمرى أرشف فيها الهــوى صرفاً ، وأنتشى بالحب خمراً .

***

كل شىء يمتزج فى ربيع هوانا بسحر الجمال ، ويثمل برحيق الوصال ؛ فيعانق شذى الوجود ، وخمر الطبيعة ، وفيض النور ، وصدحات القبلات الساجعات ، كشدو ناى مترنم فى مجامع الأزهار ؛ هــذه القبل هى قربان هيامنا القدسى ، وزلفى غرامنا السرمدى .

***

ليلاى ! ها نحن أولاء غرقى فى ثبج هذا الحشد الزاهر ؛ فكيف النجاة من عبابه الزاخر ؟ عبثاً تحاولين الفرار ! فالأزهار تحنو منطوية عليك لشوقها إليك ، والرياحين ترنو مطلة إليك لتلهفها عليك .

***

بينما تبعث الزكى من روحها والشذى من

(*) شاعر فرنسى (١٨٤٩ — ١٨٩٩) أسلوبه فى قصائده ، صورة لجمال شعره فى نظمه وجرسه ونغمه . (المترجم)

اليابان إزاء الصـــين

لليوزباشى حسين ذوالفقار صبرى

هناك فى الشرق الأقصى منذ أكثر من عام ، هبّت فجأة أعاصير الحرب تجتاح الدول عاصفة بالقوانين ، لا تعرف لتلك حرمة ولا تقيم لهذه حساباً ، ثم خبت نارها فجأة كما قامت ، وصفت سماؤها وشفّت إلا عن بضعة التحامات هنا وهناك ، ولكن تيارها العميق ، البعيد عن الأنظار ظل قوياً مستمراً عنيفاً تحت السطح الراكد قبل الزوبعة ، المتلاطم أثناءها ، ثم المختلج بعدها .

هناك فى مجاهل الصين منذ أكثر من خمس سنين انبثق ذلك التيار ، الجارف الآن ، مترقرقاً فى ذلك الحين ، ولم يزد على أن يكون مشاغبة تافهة بالقرب من بيبنج « بكين قديماً » ، ولكنها كانت مشاغبة توارت خلفها مطامع اليابان ، فانتهزتها فرصة للاقدام والتنفيذ ، ولكن تنفيذ ما ذا ؟ إستعمار الصين ؟ نعم ولكن ... أين كانت خطتها المحكمة التدبير ... ؟ أين كانت ، فإن المراقبين لم يروا منها إلا ارتجالاً إثر ارتجال ، ولم تحصد هى من أعمالها إلا توريطاً إثر توريط ؟

« إذا أردنا السيطرة العالمية ، وجب علينا أول الأمر إخضاع الصين ! » ، تلك كانت عقيدة الجيش اليابانى ، وهو كما لا يخفى أداة الحكم فى تلك البلاد . وإخضاع الصين عملية شاقة مرهقة ، عملية تستنزف أعنف مجهود ، وتستنفد أرواح ملايين من الجنود ، وتتطلب فوق هذا وذاك وقتاً طويلاً تكون اليابان خلاله متورطة فى مجاهل سحيقة فى حين تكون روسيا متربصة عن يمينها ، وبريطانيا رابضة عن يسارها ، وأسطول أمريكا جاثم على مؤخرتها ؛ إذ لم يكن هناك بد لإخضاع الصين من التوغل فى أرضها الوعرة الموحشة حتى تصل الجيوش إلى معبر توانج كوان عند منحنى النهر الأصفر ، وهو الذى يعد بحق مفتاح الصين اللازم لكل غاز منتصر ، وبدونه يستحيل الانتقال بالجيوش الجرارة أو الإمدادات الوفيرة إلى قلب البلاد ، وهو فى الوقت نفسه يمهد الطريق الأسهل إلى ولاية ستشوان الخصبة الغنية (حيث توجد العاصمة الآن) ، وهو أيضاً يهدد مرتفعات شانسى المشرفة على منشوكو والمنول الداخلية وسهول الصين الشمالية ! فهو كما نرى معبر به مغاليق الصين إلا أنه معرّض

ريحانها ، لتنهلها الريح بعبيرها ورياها ، وتلتهمها بعتمها وجناها ؛ كالسلوق يعدو مسرعاً ويطوى الأرض لاهثاً ليروى ظماه ، ويمسك رمقه !

***

فاطو العمر أيها الزهر المخضب ، ومت بفتنتك بين الرياض وجداً وهوى ! فقد كتب الموت على الأزهار التى تذوب صبابة وهياماً ، لتنفث زفراتها أريجاً وعبيراً لمن جافاه نعيم الصبا ولم يهتد لضوء الهـــوى .

***

ليلى ؛ أواه ! حسبنا أن نموت كهذه الأزهار الولهة ، لنريق دماء صبوتنا عطراً متيما ، فتسكر الريح بخمر قبلاتنا ، وتبوح الأزهار بسر غرامنا !

***

أجل يا حبيبتى ! هـذا هو الحب العاطر ينشر أريجه فى الأودية والحقول ، ويلهم وحيه الصادق الأفهام والعقول ، ويرويه للكون فى آنيتيه الليل والنهار ، هوى عذريا ، وحباً قدسياً ، فيؤمن بالحب بعد جحوده ، ويصحو على صوت مؤذنه بعد هموده

***

هنالك ، يوحى إلهامه ، ويهمس تراتيله فى أذن الطبيعة الصماء ، فتشدو الريح فى يوم عرسنا مرتلة أناشيد غرامنا ، وترقص أغانى العمر على الشفاه ، مغردة أغاريد الهـــوى على الثغور ، شادية ألحان القبـــل ، ساجعة أنغام الغزل .

(المنصورة) عبد العزيز العميزى

مهدّد إنْ لم يحمه صاحبه باحتلال وادي نهر هان الملتف جنوبه . إذن على اليابان أن تحتل هذه المعاقل الثلاثة النائية : معبر توانج كوان ، ومرتفعات شانسى ، ووادى نهر هان ، قبل أن تأمل بسط سيطرتها على أبناء « الأرض الطيبة » ، وقد أحجمت ... فهى تعلم أن الدول الثلاث المحيطة بها لا شك مقدمة على وقفها عند حدها إنْ هى تجاوزته ؛ ولكن مطامع اليابان كانت متأصلة في نفسها ، مُلحّة عليها ، مكبوتة متحفزة ، مخبوءة متربصة ، فهي إذن لا مراء مندفعة إلى عالم الوجود ، إن عاجلاً أو آجلاً ، كماء تفجر من ينبوع جياش ، فينقلب إلى سيل متدافع أرعن لا حاكم له ولا ضابط . لذا استقر رأى ولاة الأمور على تلافى تلك العاقبة الهوجاء بتفريج الحال على دفعات خلال منفس صغير أدّى بهم إلى سلوك مسلك عجيب ، برىء الظهر ، خبيث الطوية ، مسلك المتحرش بالقوم الآمنين حتى يستفزهم ، الناصب لإهانة وهمية لم تلحقه ، المتوعد بالويل حتى يسترضى فيتأفف ، ثم المقدم على اغتصاب تعويض ضخم ليس من حقه ، وقد بنيت الخطط على أن يكون التعويض المذكور مقاطعة صينية تنتزع انتزاعاً لتضم إليهم ، وعند ما يتم إدماجها اقتصادياً واجتماعياً فى نظامهم المرسوم تُعاود عملية الاستفزاز من جديد وهكذا دواليك .

وتحرشوا أول مرة فى « مكدن » فى سبتمبر سنة ١٩٣١ فضُمت منشوكو إليهم ... وتلمظت طوكيو هانئة بالذى ابتلعت ، وأدارت وجهها لانتقاء وجبتها التالية ، بينما مضت إدارتها الداخلية تنسق الولاية الجديدة ... ولم تعلق كبير اهتمام بذلك الشاب الصينى اليافع الذى علمته فى مدارسها الحربية ، وأنعمت عليه بلباسها العسكرى ، فجازاها بأن ألقاه فى وجهها وفرّ منها متقلباً بين اليمين والشمال فى حكومات الصين ، موحّداً لواءها مرة ومشعلاً الحرب بينها مرات ، ذلك الشاب الذى أضحى الآن رجلاً قوى الشكيمة شديد البأس على رأس جيش عرمرم ، ذلك الرجل الذى توصل أخيراً إلى توحيد مختلف حكومات الصين تحت تعاليم أستاذه العظيم « صون يات صن » ذلك الرجل الصارم العنيد ، شانج كاى تشك رجل الصين الأعظم ، ورمز عصرها الجديد .

تنبه القائد الصينى للخطر المحدق ببلاده فأعد خطته على أساس توسيع رقعة القتال بمجرد نشوبه مرة أخرى ، فيورط اليابان فى حرب أرجاؤها فسيحة وسط قوم مناهضين لهم ساخطين عليهم . إستمِعْ إليه قبل الحرب بثلاث سنوات وهو يخاطب ضباطه فى « كولنج » : « تظن اليابان أن فى إمكانها احتلال الصين دون كبير عناء ... وهى لا بد معاودة التحرش بنا قريباً ... واعلموا أنه لا يتحتم علينا مقابلة كل سلاح تأتى به اليابان بسلاح يماثله ... بل فى وسعنا أن نجابه اختراعات العدو الجديدة بأسلحتنا التقليدية العريقة ، وهى مقدرتنا الفائقة على استخدام كل ما تراه العين أو تقع عليه اليد ، سواء أكان هذا جبالاً أم أنهاراً ، حجارة أم أغصاناً ... يجب علينا إيقاظ شعبنا من سباته حتى يهب خلف المغير إذا تقهقرت القوات أمامه ، ... إنّ تحديد وسائل المقاومة لا يهم ما دامت تحدونا عزيمة لا تهن وهمة لا تكلّ ... »

وفى هزيع ليلة حالكة من ليالى يوليو سنة ١٩٣٧ دوت فى الفضاء عدة طلقات عند معبر « مركو بولو » بالقرب من بيبنج فكانت إيذاناً بالملحمة الكبرى . وأطبقت اليابان على الصين الشمالية ... وكان « كاى تشك » كما أسلفت قد قرر أن يمد رقعة القتال ويستدرج العدو إلى جوف البلاد ، أو على حد تعبيره ، كان قد قرر أن يشترى الزمان بالمكان . ظنت اليابان أنها مقدمة على نصر مريع كذلك الذى واتاها منذ ست سنين فى منشوكو . ظنت أن « كاى تشك » سيواجه جيوشها الميكانيكية الحديثة فى سهول الصين الشمالية ، ولكنه لم يفعل ، بل أرسل خيرة جنوده إلى شنغهاى يهدد مصالحها هناك فاستدرج جنودها وراءه . وهزم القائد الصينى هناك وأخلى عاصمته نانكين ثم هزم فى « سوتشاو » ، ثم هزم مرة ثالثة أمام عاصمته الجديدة « هنكاو » ، ولكنه فى كل مرة كان ينزل بأعدائه أفدح الخسائر ويرتد عنهم قبيل إطباقهم عليه ، مغرياً إياهم باللحاق به والتوغل خلفه حتى أضحت جنود الحملة اليابانية منتشرة على مساحة شاسعة ، ولم تعد قادرة على تركيز مجهودها فى مكان معين ، واضطرت حامياتها الموزعة على مختلف المدن الصينية المحتلة أن تحمى خطوط المواصلات حتى لا تفقد تماسكها ولكنها لم تجرأ على المخاطرة بنفسها فى الأماكن غير المطروقة ، وهكذا أصبحت

لا تحتل من البلاد إلا شبكة خيوط مرسومة حول أرض وعرة مجهولة وبالهلاك موبوءة

توصل شانج كاى تشك إلى تنفيذ مأربه وأصبحت القوات اليابانية عاجزة عن إحراز نتيجة حاسمة ، وأضحت حكومتها لا تجرؤ على التراجع بعد أن بهظت تكاليف مغامرتها ، وظلت إدارتها الداخلية قاصرة على تنظيم موارد أراض لم يستتب الأمن فيها بعد

وفى الوقت نفسه كان القائد الصينى يجمع الجنود وينظم الصفوف ويستورد المهام من روسيا عبر « سنكيانج » ، ومن بريطانيا وأمريكا عبر بورما أو عن طريق بعض الموانى التى حمتها امتيازات الدول الغربية

ووقفت اليابان تراقب ذلك الجرح الذى لا يندمل بقلب كمد وعقل مبلبل حائر . . . ثم قبض جنرالها « سوجياما » على مقاليد الجيش وأصبح رئيساً لهيئة أركان الحرب العامة ، و « سوجياما » هذا جندى نشط جسور ، يواصل العمل ليل نهار تحدوه إرادة لا تكل ، وكراهية ملتهبة لكل ما هو أجنبى ، وكان عليه أول الأمر عزل الصين عن كل مساعدة خارجية وتأمين مؤخرة اليابان أمداً من الزمان حتى يتم لها القضاء على مقاومة شانج كاى تشك ... وربض « سوجياما » يرقب اللحظة المناسبة حتى واتته فانقض ... فكانت « بيرل هربور » وتبعتها هنج كنج والفلبين وبورنيو والملايو وبورما وسومطرة وجاوة وجزر سليمان ...

يظن الكثيرون أن تلك كانت مقدمات لانقضاض اليابان على استراليا أو استعداداً منها لاجتياح الهند ؛ وإنى لا أنكر أنها قد تتحول إلى ذلك مستقبلاً ، ولكنها لم تكن فى ذلك الحين إلا سياجا عظيما أقامته اليابان حول الصين وبحار الصين ، وإن كانت لم تتعرض لطريق روسيا التى انشغلت عن مساعدة شانج كاى تشك بحربها الشعواء مع ألمانيا النازية ، وعدا ذلك فقد خشيت طوكيو استفزاز الجنرال الروسى اشترن الذى وقف على أتم استعداد يراقب بعين يقظة جيش إتاجاكى المرابط فى منشوكو ...

كل شىء هادىء فى الميدان الشرق ! . . . هكذا يقرر الكثيرون لأن الصحف لم تعد تقدم لهم عنه ما تعودوه من عناوين ضخمة ، وهم فى ذلك مخطئون ... فقد ألقت اليابان فى أتون المعركة بفرق أخرى جديدة ، وأطبقوا على « شنسى » فى الشمال ، واحتلوا « شكيانج » و « كيانجى » فى الجنوب الشرق فأصبح لهم خط حديدى تام يصل شنغهاى بسنغافورة عبر الهند الصينية وسيام ، وهاهم يقاتلون الآن فى مقاطعة يُنان حيث ألقى شانج كاى تشك بجنده المختارة على أمل إعادة فتح طريق بورما المشهور ، بينما سارع وكيل هيئة أركان حربه الجنرال المسلم « باى تسونج هسى » إلى الشمال للدفاع عن « شنسى » ...

كل شىء هادىء فى الميدان الشرق ! . . . نعم إلا إذا استثنينا ذلك الصراع الهائل الذى يخوضه ربع سكان العالم ، أربعمائة مليون شخص ، فى سبيل حريتهم .

كل شىء هادىء ... ولا جديد هناك ! نعم لا جديد سوى أن زهرة الجيش اليابانى قد عُقلت وأصبحت عاجزة عن الإقدام على مغامرة جديدة ! لا جديد سوى بضع معارك طاحنة فى ينان وشنسى وتشكيانج وكيانجسى ! لا جديد سوى أن تلك المعارك يتوقف عليها مصير العالم الشرق بأجمعه !

صبحى ذو الفقار صبرى

ميــــلاد زهرة

[إلى الطيور النائمة فى أعشاشها قبيل فجر الشتاء]

للأستاذ على محمود طه

(من ديوانه الجديد (زهر وخمر) وهو الآن على وشك الظهور)

يا شعراءَ الروض أينَ البيانْ ؟ — أينَ أغاريدُ الهوى والحنانْ ؟
قد وُلِدَتْ فى روضكم زهرةٌ — ياحُسْنها بين الزُّهور الحسانْ !
حُلْمُ الفراشات ، وحُبُّ النَّدَى — وخمرةُ النحل وسحرُ الأوانْ
قد بشَّرَ الأرضَ بها مُرْسَلٌ — مُجَنَّحٌ من نَسَماتِ الجِنانْ
والنورُ سرٌّ فى ضَمِير الدُّجَى — والفجرُ طيفٌ لم يَبِنْ للعيانْ
أبصرتُها تهفو على غصنهــا — فى وحشةِ الليل وصَمْتِ المكانْ
بَيضاء أو حمراء تَزْهَى بها — عرائسُ النرجس والأقحوانْ
تَظَلُّ تُصغى ، وتظلُّ الرُّبَى ، — والعشبُ والجدول والشاطئانْ
ولَيْس منكم حولها هاتفٌ — تسكب موسيقاهُ سِحرَ البيانْ
أَمَلَّتِ النشوةَ أرواحُكم ؟ — أم نَضَبَتْ من خمرهنَّ الدِّنانْ
قُوموا انظروا الظلَّ على مهدها — يرقصُ فيهِ القمرُ الأضحيانْ
لو تقدرُ الأنسامُ زفَّتْ لها — أَرْبِعةَ الفردوسِ فى مهرجانْ
وأسمعتْ من خفقِ أنفاسها — صوتَ البشيرات وشدوَ القيانْ
يا شعراء الروض كم زهرةٍ — ميلادُها من حَسَنَاتِ الزمانْ
حسبى من الدُّنيا على شدوكم — زَهْرٌ وَخمرٌ ووجوهٌ حِسانْ

على محمود طه

المنـــارة الجديدة

للأستاذ خليل شيبوب

[ألقيت فى حفلة « تحية الشعر السكندرى إلى جامعة فاروق الأول » التى أقيمت فى جمعية الشبان المسيحيين بالاسكندرية يوم الخميس ٢٥ مارس سنة ١٩٤٣]

سماء الهدى فيضى ضياءً وجدِّدى — ضياءكِ إن القلبَ بالنور يهتدى
وما زالت الإسكندريةُ مَهْبطاً — لوحيكِ فيها نازلاً أرضَ موعد
أطِلِّى بألوانِ الربيعِ وأطلِعى — من الزَّهرِ فيها فرقداً إثرَ فرقد
فإن عروسَ الشرقِ أنغامُها الشذى — وحُلَّتُها بُرْدُ الشبابِ المُجدَّد
أنارَ عَلَى شطِّ المحيطِ ابتسامُها — يَرُدُّ إلى الميناءِ كلَّ مُشرَّد
وسيانِ سَفْرٌ فى الحياةِ مُضَلَّلٌ — وَسَفْرٌ عَلَى لجٍّ من اليمِّ مُزبِد
أطلَّتْ على التاريخ شمساً تشعبت — أشِعَّتُها من مصدرٍ فيه أوحد
بعلمٍ وفنٍ كالسناءِ وكالسنا — وبأسٍ وعزمٍ كالمُنيفِ المشيَّد
إذا ماخبتْ تلك المنارةُ وَامَّحتْ — معابدُ فيهـــا للجمال المخلَّد
فقد بقِيَتْ فوق الزمان منارةً — كما بقيت للحسن أكبرَ معبـد
وها قد أتاها الدهرُ معتذراً لها — بجامعةٍ تستلحقُ الأمسَ بالغد
منارةُ فاروقٍ وليـدةُ ملكه — فيا حُسْنَ أنوارٍ وَيا فخرَ مولد
بناها فأعلاها مليكٌ تألَّقتْ — عليه قلوبٌ تصطفيه وتفتدى
وساق إليهـا صفوةً من رجاله — جهابذةَ أعلامٍ فضل وسؤدد
وفجَّرَ فيهـا شِرْعةً صولجانُهُ — من العلم مرويًا بها ظمأُ الصدى
إذا فِرَقُ الوُرَّادِ محشودةٌ بها — كتائبُ آمالٍ تروح وتغتدى
وشرَّفها لما تقـلَّدَ مُفْضِلاً — إجازتَها مزهوّةً بالمقـلَّد
فأبلغها أَوْجَ الكمالِ فتيَّةً — تباهى بما نالتْـه أقدمَ معهد
أتمَّ على الاسكندريةِ مجدَها — عظيمٌ له تعنو العظائمُ عن يد
فعاودَها التـاريخُ يفتحُ بابَهُ — لها مستعيداً سِيرةَ المتعوِّد
وهلَّ عليها الفجرُ يلثم ثغرَها — وهبَّ عليها الروضُ بالعبقِ النَّدى
وضاحكت الآفاقُ شاطئَها على — مباهجَ فيها النورُ لحنٌ مُغرِّد
فيا شُعلةَ الفنِ القديم تجدَّدى — ويَاجذوةَ الحسنِ الصميم توَقَّدِى
ويَا ثغرَها هذى المنارةُ فابتسِمْ — ويَا موجَها هذا الضياء فأنشِد

خليل شيبوب



حول قضية شهرزاد: الأدب والأشخاص

فى العدد الفائت من الرسالة أكثر من ثلاث صفحات عن « قضية شهرزاد » للأستاذ « الدربنى خشبة » . وقضية « شهرزاد » قد أثيرت منذ صدرت « أحلام شهرزاد » وأثيرت فى جو أدبى مقيد بهذا الوصف ، ولا تزال قابلة لأن تثار فى هذه الحدود . ولكننى أسمح لنفسى أن أقول : « إننى شممت فى كلمة الأستاذ « رائحة » أخرى !

ففى حدود الأدب الخالص يملك الأستاذ أن يقول عن « أحلام شهرزاد » على لسان فاتنة « إننى أروع لوحات الفن فى عالم الأدب المصرى الحديث ... » أو أن يقول : « صورتى الرائعة التى هى ابتكار جديد لم يسبق أحد صاحبى إليه ، ولا استطاع أحد أن ينبت فى جنة شهرزاد زهرة أينع منها ولا أعبق من شذاها شذى » ... الخ

فهذا حكم أدبى يجد الأستاذ كثيرين يوافقونه عليه ، ويجد كذلك كثيرين يخالفونه فيه ؛ بل يجد كثيرين يقولون له : إن أحلام شهرزاد بما فيها صورة فاتنة ، لا تقاس إلى لوحات الفن التى رسمها الدكتور طه حسين نفسه فى كتاب « الأيام » أو فى « دعاء الكروان » أو فى « الحب الضائع » أوفى « أديب » إلى آخر هذه اللوحات التى عاشت طليقة فى سماء الفن الرفيع غير مقيدة بأوضاع اجتماعية أو سياسية حياتها محدودة فى نطاق من الزمان !

وسواء خالفه الناس أو وافقوه ، فهو حكم أدبى خالص لا عليه فيه من جناح !

أما الذى عليه فيه جناح والذى تمنيت وتمنى الناس ألا يكون فى لغة النقد الأدبى فى هذا الزمان ، فهو مثل قول الأستاذ فى رأى من يخالف رأى صاحب أحلام شهرزاد عن المرأة إنه « رقاعات » !

أو مثل قوله فيمن يخالفون رأيه هو فى أحلام شهرزاد : إنهم « خراصون مرجفون » !

أو مثل قوله فى قراء « شهرزاد » : « وإذا صح أن يكون الناس قد صاروا نوكى وقماديد صح أن تؤلف لهم قصة كقصة شهرزاد تهدف بالمرأة إلى هذا الهدف الوضيع الذى يجعل بيوت الناس مواخير فسق وأسواقاً للبغايا » .

ومثل هذا كثير فى كلمة الأستاذ ، بل هو مادة كلمته وقد اختار أن يجعل من «شهرزاد» رمزاً لبناتنا وأخواتنا وأمهاتنا . واختار أن يجعل مؤلفها قد انتهك أعراضنا وحرماتنا ، فلم نثر ولم نسخط ، فنحن إذن : « نوكى قماديد » ونحن إذن « فسول أفيكون مدخولون في عقولنا » .

وأعتقد أن هذا وأمثاله لم يعد لغة فى النقد فى هذا الزمان . فالنقد لم يعد يقبل أن تستثير ضد الرأى الأدبى الذي تخالفه نخوة الدين ونخوة العرض ونخوة الأخلاق ، وأن تتهم بلا حساب كل ناقد أدبى يخالف رأيك فى نخوته وشرفه ومروءته ونجدته وتحيزته » !

أحسبه أراد أن يقول : إن لكل من مؤلف شهرزاد ومؤلف أحلام شهرزاد رأياً فى المرأة يختلف عن رأى الآخر ويؤثر عليه فى اتجاهاته الأدبية ؛ فتلك قضية كان يمكن أن تؤدى بأعف من هذه الألفاظ وأكرم . ولقد أديتها فى مجلة « المقتطف » فى حدود أوسع من هذه الحدود ، وأديتها واضحة صريحة مفهومة ، ولم أجدنى محتاجاً إلى كل هذا العناء !

وبعد فالأستاذ يكرر مرة ومرة : « أنه لا يبغي بما كتب أن يرضى أحداً أو أن يغضب أحداً » فأحب أن أطمئن الأستاذ (وهو حديث عهد بالعمل تحت رياسة المستشار الفنى) أننى جربت مؤلف « أحلام شهرزاد » فى نظرته للنقد الأدبى ، وعلمت أنه لا يثير غضبه ولا يستوجب رضاه ! والسلام

سيد قطب

هل ذو القرنين هو كورش الفارسى

أخذت فى العدد ـ ٥٠٧ ـ على بعض الفضلاء أن ما ذهب إليه فى ذى القرنين لا يتفق مع القرآن ولا مع سؤال اليهود ، لأنه يرى أن الآيات الواردة فى ذى القرنين هى فى الحقيقة تاريخ دولة برمتها ، وهى دولة الفرس من كورش إلى دارا الثالث ، مع أن كلا من سؤال اليهود وتلك الآيات صريح فى أن ذا القرنين شخص واحد ، لا تاريخ دولة برمتها . وقد عاد هذا الفاضل فى العدد ـ ٥٠٨ ـ إلى تأييد رأيه بعد تهذيبه بتأثير ما أخذته

عليه ، فذهب إلى أن الآيات القرآنية تمثل تاريخ ملك واحد لا دولة برمتها ، وإلى أن ذلك الملك هو كورش منشىء الدولة الفارسية ، وذلك باطل أيضاً من وجوه

١ — أن كورش حينما اتجه إلى السكيثيين المعروفين الآن بالتتر لقيته الملكة طوميريس بجيوشها ، فوقع بينهما حرب شديدة انتهت بأسره وقتله ، وهذا لا يتفق مع ما ذكره القرآن عن ذى القرنين حين وصوله إلى بلاد التتر ، فهو لم يقتل هناك كما قتل كورش ، وإنما بنى سداً ذكر القرآن أنهم لم يستطيعوا أن يظهروه ولم يستطيعوا له نقبا

٢ — أن بلاد فارس تقع فى جنوب آسيا ، فحينما اتجه كورش منها إلى آسيا الصغرى وسوريا كان متجهاً إلى الشمال لا إلى الغرب كما جاء فى القرآن عن ذى القرنين ، ولا شك أن آسيا الصغرى وسوريا لا يمكن أن يقال عمن يصل إليهما إنه بلغ مغرب الشمس ، لأنهما يقعان فى قلب المعمور من نصف الكرة القديم ، وإنما يمكن أن يقال ذلك فيمن بلغ فى فتوحاته أوائل بلاد المغرب على الأقل

٣ — أن رؤيا دانيال ليس فيها إلا تمثيل دولة الفرس بكبش ذى قرنين ، وتمثيل دولة اليونان بتيس ذى قرن واحد ، وكما لا يقتضى تمثيل دولة اليونان بهذا التيس تلقيب ملوكهم بذى القرن الواحد ، لا يقتضى تمثيل دولة الفرس بذلك الكبش تلقيب ملوكهم بذى القرنين

أما الاسكندر المقدونى فإنه كان يلقب بذى القرنين كما ذكره كثير من المؤرخين ، ويؤيد هذا تلك الدنانير القديمة التى عثر عليها فى عصرنا ، وقد رسمت فيها صورة الإسكندر وعلى رأسه قرنا أمون . أما فتوحاته فقد اتجه فيها من اليونان إلى آسيا الصغرى ، فحارب فيها دارا وهزمه ، وسار بعد هذا إلى سوريا فمصر حتى وصل إلى واحة سيوة ، وبذلك يمكن أن يقال إنه وصل إلى مغرب الشمس ، لأنه وصل بذلك إلى بلاد المغرب ، ثم عاد بعد ذلك متجهاً إلى الشرق فقتل دارا وفتح بلاد فارس وما وراءها حتى وصل إلى بلاد الترك ، وهذا الفتح يتفق اتجاهه مع اتجاه الفتح المنسوب فى القرآن لذى القرنين ، وكذلك يتفق الفتحان فى نهايتهما غرباً وشرقاً

أما وثنية ملوك الفرس فهى واضحة وضوح الشمس ، وقد كان أسيياج جد كورش لأمه وثنياً ، وهو الذى دعا أرباغوس من حاشيته ليحضر ما يقدمه من قربان لآلهته شكراً لهم على سلامة كورش ، فقدم لأرباغوس لحم ابنه مطبوخاً فأكله ، وقد فعل معه هذا لأنه لم يقتل كورش حين سلمه إليه وليداً وأمره بقتله ، وكذلك كان كورش وقمبيز وغيرهما من ملوك فارس ، وقد كان بعضهم يؤمن مع ذلك بإله الإسرائيليين ، فيكرمهم تبعاً لإيمانه به ، ولكن هذا لا ينفى الوثنية عنه ، لأنها لا تنتفى إلا بالإيمان بالله وحده

عبد المتعال الصعيدى

إلى الدكتور زكى مبارك

قرأت مقال الدكتور النابغة عن « اللغة العربية فى المدارس الثانوية » وقد تحدث فيه عن ضعف التلاميذ فى الإنشاء فرجعه إلى المدرس ، فهو السبب الأول والآخر والظاهر والباطن ، وسرد أسباباً لبابها انصباب الضعف على رأس المدرس ، أو من رأسه ، أما التلميذ ، وأما المفتش ، وأما الوزارة ، وأما الوسط ، وأما المنهج ، وأما توزيعه ، فليس لكل أولئك أثر من جناية على التلميذ فى ضعفه . والسكوت على الاتهام مع القدرة على دحضه فوق أنه ضعف إثبات للتهمة وتزييف للعدالة ، لذلك سأرد على ذلك الاتهام لا لتبرئة نفسى وأخى بل لأضع الحق فى نصابه

يرى الدكتور أن السبب الأول : « سيطرة المدرس على لغة التلميذ » وهذه السيطرة هى السبيل الوحيد لتزويده بما يشاء من ألفاظ ومعان يستخدمها فيما يكتب ، لأنه لا يزال فى أول طريق الكتابة فسنة أو سنتان فى التعليم الابتدائى لا تقدر التلميذ على الكتابة المستقلة

السبب الثانى : « تحكم المدرس فى عقل التلميذ » ، ويقصد الدكتور بذلك حصر عناصر الموضوع وتسلسلها ؛ ومع أن هذا لا عيب فيه ؛ لأن العناصر تستخلص من أفكار التلاميذ وبألسنتهم فتلك الطريقة لا تتبع إلا فى السنوات الأولى من التعليم الثانوى ، على أن الأساتذة لا يقيدون التلاميذ بالعناصر بل يتركون لهم العنان يفكرون كما يشاءون ؛ ويكتبون ما يشاءون

السبب الثالث : « تقديم موضوعات بعيدة عن مدارك التلاميذ وأريد بها الموضوعات الميتة »

فى هذا السبب يتجنى الدكتور على كثرة المدرسين إذ هو لم يطلع - من غير شك - على جميع - الموضوعات المختارة وإنما اطلع على قلة ضئيلة لا يمكن إلا أن يكون فيها الحى والميت والحكم القائم على القلة حكم واهى الأساس

السبب الرابع : « إقبال المدرس على تصحيح الكراريس وفى ذهنه صورة محدودة للاجابات ، فهو يهمل كل صورة منحرفة عن تلك الصورة » وذلك يجن ثان أو ثالث - كما يشاء الدكتور - فإن أحداً لم يطلع على ما ارتسم فى ذهن المدرس حتى يحكم هذا الحكم ، وإن يكن الدكتور أيام تدريسه يسلك تلك الطريق فلا يصح اتخاذه طريقته دليلاً على طرائق غيره .

السبب الخامس : « إغرام بعض المدرسين بالإكثار من التصحيحات إكثاراً يشهد برغبتهم فى التفوق والاستعلاء » .

وإن يكن الشق الأول مما زعمه الدكتور صحيحاً فليس فيه ما يعيب المدرس الذى يعنى بتقويم العبارة وتحقيق اللغة ، أما التفوق والاستعلاء فمعنيان لا يردان فى خاطر المدرس لأنه بطبيعة مكانه من التلميذ يستأهلهما . ولا أحسب الإباحية اللغوية التى يدعو إليها الدكتور فى كثير من أدبه صراحة حيناً ودوراناً حيناً مقبولة لدى جمهرة الأدباء عامة وعلماء المجمع اللغوى خاصة .

السبب السادس : « الهيام بتجميل الموضوعات بالباطل حيثما وقعت » وقد يكون فى هذا شبهة من الحق لو أنه نسب إلى التلميذ وأن الأستاذ يعالجه أنجع العلاج .

أما مراقبة التلاميذ فيما يقرءون فأؤكد للأستاذ الدكتور أنها لا تجدى ، ولا يصلح اتخاذ موضوعات الإنشاء مما تثيره تلك القراءات، فجلهم - إن لم أقل كلهم - يقرأ من القصص الوضيع ومن الأدب الرخيص

وبعد فالعذر للأستاذ واضح فما جدوى اثنى عشر موضوعاً يكتبها التلميذ ثم لا يجد من الوقت ما يدفعه إلى تعرف أخطائه ؟ وأنى له الفرصة ليصف لكل تلميذ داءه والفصل يتراوح بين الثلاثين والخمسة والثلاثين ؟ »

حضرات المفتشين :

وحدوا خططكم ، وسددوا توجيهاتكم ، ونظموا مناهج لغتكم ، وامنحوها من الحظ ما للغة الأجنبية ، وأعطونا من الحرية ما يحفزنا إلى الإثمار والإنتاج ، ثم تعالوا بعد ذلك فحاسبونا ولومونا إن وجدتم إلى اللوم سبيلاً فلوم المقصر تقويم لا يخشاه الجادون فى عملهم البصيرون بواجبهم .

عبد العظيم على قناوى
المدرس بالقبة الثانوية



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 510

Lundi - 12 - 4 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٥١٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٢ أبريل سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة		
٢٨١	مصر والوحدة العربية ...	: أحمد حسن الزيات ... ..
٢٨٣	ظاهرة جديدة في الأزهر	: الأستاذ محمد محمد المدني . .
٢٨٥	كيف نعلم أبناءنا ؟ .. وما الغرض من التعليم ؟ ...	الدكتور زكي مبارك ... ...
٢٨٨	قضيـة اليوم	: الأستاذ دريني خشبة .. ...
٢٩١	شاعر الغزل : للأستاذ عباس محمود العقاد ...	الأستاذ سيد قطب ... ...
٢٩٤	ثورة في الأخلاق ...	: الأستاذ محمد يوسف موسى
٢٩٥	معركة الآزور	للشاعر الانجليزي ألفريد تنيسون بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة
٢٩٧	أغاني غرام [قصيـدة]	: الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٢٧٨	إلى الأستاذ سيد قطب . .	: الأستاذ دريني خشبة ... ...
٢٩٩	تأييد الاسكندر من السماء عند اليهود	الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
٢٩٩	حول ذكرى السيد جمال الدين	: الأستاذ محمود شلبي ... . .
٢٢٩	رواية الأصمعي وحماد لشعر زهير	الأستاذ محمود عزت عرفة
٣٠٠	أنصفوا المعلم الالزامي ...	: الأديب حسين محمود البشبيشي

مصر والوحدة العربية

قلنا في افتتاحية السنة الحادية عشرة من حياة الرسالة : إن الاتحاد العربي على أي صورة يوشك أن يكون مقصداً من مقاصد الحكم في هذا العهد . ولقد قام في سبيل هذا المقصد ما قام منذ تصدع شمل الأمة العربية ، من بوائق الاستعباد وعوائق الاستعمار وما تجره سياسة الغزاة من انقطاع الأسباب بين الأخوة ، وتشعُّب الآراء بين القادة . فلما تعارضت منافع الأمم المستعمرة ، ووثبت النازية تريد استعباد الأمم لأنها بطبيعة عنصرها على زعمها سيدة ، وزحفت الفاشية من ورائها تبغي استغلال البلادَ لأنها بطبيعة أرضها فقيرة ، رأت الديمقراطية التي تجاهد في سبيل السلام والحرية والمدنية بجانب جهادها في سبيل نفسها ، أن تستعين فيما تستعينُ على هذا الطغيان الكافر المسلح بقوى العرب المتفرقة ؛ فأعلن وزير الخارجية البريطانية في مجلس العموم البريطاني : « أن حكومته تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب لتعزيز وحدتهم الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية ؛ ولكن من الجلي أن الخطوة الأولى لتحقيق هذا المشروع يجب أن تكون من العرب أنفسهم . والذي أعرفه أنه لم يوضع إلى الآن هذا المشروع الذي سينال استحساناً عاما »

وبهذا التصريح الرسمي العلني زالت الحوائل السياسية التي كانت فيما مضى تجعل الكلام في الوحدة العربية حُلماً يُرى

وشعراً يقال ، فإذا تنفس الصبح بالحلم تبدد ، وإذا انتهى الشعر إلى الفعل كذب . وكان من غير المعقول أن يرى العالم العربي الخطوب تتواثب على جوانبه ، والنوازل تتفاقم في أحشائه ، ثم تظل كل دولة من دوله سادرة في مشاعب هواها دون أن تعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النمل والنحل من التجمع والتعاون ؛ فما هو إلا أن غامت الآفاق العربية بخطوب الحرب حتى شعرت كل دولة عربية بما تشعر به الشاة الشاردة عن القطيع ، فتضاموا من الخوف ليتقي بعضهم ببعض سوء المصير ؛ وهب الزعماء المخلصون يقوون ما وهن من صلة الدم ونسب الروح ، فسهلوا تزاور الأقرباء ، وشجعوا تبادل الآراء ، وقرروا توحيد الثقافة . ثم كان من توفيق الله لهذه الوزارة القائمة أن تخطو في سبيل الوحدة العربية هذه الخطوة التي كان ينتظرها وزير الخارجية البريطانية ، وأن يسجل صاحب المقام الرفيع رئيسها هذه الخطوة المباركة في مجلس الشيوخ بقوله : « ... منذ أعلن المستر إيدن تصريحه فكرت فيه طويلاً . ولقد رأيت أن الطريقة المثلى التي يمكن أن توصل إلى غاية مرضية ، هي أن تتناول الحكومات العربية هذا الموضوع . وانتهيت من دراستي إلى أنه يحسن بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي إليه من آمال ، كل منها على حدة ؛ ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها في التوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت السبيل إلى ذلك ؛ ثم تدعوهم جميعاً إلى مصر في اجتماع ودي لهذا الغرض ، حتى يبدأ المسعى للوحدة العربية من وجهة متحدة بالفعل . فإذا ما تم التفاهم أو كاد ، وجب أن يعقد في مصر مؤتمر برياسة رئيس الحكومة المصرية لإكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه من القرارات محققاً للأغراض التي تنشدها الأمم العربية .

« ... وقد أخذت أنفذ هذه الخطة ، فوجهت بالفعل إلى رئيس حكومة العراق دعوة رسمية ... حتى إذا ما وافق فخامته على هذه الخطوات بحثنا رأي العراق في هذا الموضوع من جهاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وسأوجه بعد ذلك الدعوة تلو الدعوة إلى الحكومات العربية وأستقصي من مندوبيها واحداً بعد واحد رأيها في الموضوع نفسه . فإذا ما انتهيت من هذه المباحثات التمهيدية ورأيت منها ما يبشر بالنجاح كما أرجو ، دعت الحكومة المصرية إلى عقد المؤتمر في مصر ... »

وبهذا التصريح الرسمي الآخر أصبح المسعى للوحدة العربية حقيقة من حقائق السياسة لا خيالاً من أخيلة الشعر ، وعملاً رسمياً من أعمال الحكومات لا أملاً وهمياً من آمال الأفراد وظن العروبة بحكامها وأعلامها أن يخلصوا لها السعي والرأي في هذه المحنة العالمية التي عبثت الشياطين فيها بأنظمة الكون ، فاختل التوازن ، واضطرب العيش ، وذل الحق ، وأفلس المنطق . ولا جرم أن سلامة العروبة وحريتها في أن تكون يوم يجتمع الناس للصلح القريب أو البعيد ، وحدة سياسية تنتظم دولها جماء من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي ، وجملتها لا تقل عن ثمانين مليون نفس . ذلك لأن الدويلات الضعيفة كان لها فيما مضى من الزمن السعيد حارس من سلطان الدين وحكم القانون وعرف السياسة . فكانت تعيش في ظلال الخلق الإنساني العام حرة آمنة ، لا تجد من جاراتها الكبرى إلا ما يجده الصغير من عطف الكبير ، والفقير من عون الغني . فلما نكس بعض أمم الحضارة وعاودها داء الهمجية الأولى فتحلبت أشداقها على حدود هذه الدول الصغيرة ، لم يعد لها عاصم من عدوانها إلا أن ينضم بعضها إلى بعض ، ويتقوى بعضها ببعض

أما نوع هذا الاتحاد فقد كنا اقترحنا في عدد مضى من الرسالة أن يكون على مثال الاتحاد الأمريكي ؛ ولكن تحقيق ذلك الاقتراح يقتضي من الوقت والجهد والاستعداد والمرونة ما لا يحتمله الزمن المضطرب ولا تسعه الفرصة العجلى . إذن فلتكن بداية هذا الأمر مثلاً أن تؤلف عصبة من الدول العربية في القاهرة على نحو ما كانت عصبة الأمم في (جنيف) لتقرب المصالح الخاصة ، وتوحد المآرب العامة ، وتوجه السياسة المشتركة ، ثم تستعد للصلح المقبل ، وتمهد للاتحاد التام

على أن في المؤتمر الذي اقترحته مصر ودعت إليه مطالعة لحال العرب : تستشف فيه الدخائل ، وتكشف به الحوائل ، وتستنبط له الوسائل ؛ فلندع مواضعة الرأي لأولئك الذين ادخرهم الله لهذا المسعى الخطير الذي لم يتح لأحد بعد محمد ؛ ثم لنقف نحن بجانب التاريخ نرصد وننقد ونسجل .

احمد حسن الزيات

ظاهرة جديدة فى الأزهر

للأستاذ محمد محمد المدنى

انتهى العام الدراسى فى الأزهر أو كاد ، وانصرف الطلاب عن فصولهم إلى المذاكرة والإعداد لمرحلتهم المقبلة ، وابتدأ الأساتذة فترة استجمامهم التى ألفوا أن ينعموا بها فى كل عام إثر الدراسة وبين يدى الامتحان ؛ أما أنا فقد عدت من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : عدت من دراسة « علم الأصول » فى كلية الشريعة بين طلاب علىّ كرام ، أحبهم ويحبوننى ، وأفهمهم حق الفهم ويفهموننى ، وأبثهم نصحى وإرشادى فيستمعون إلى نصحى وإرشادى . غايتهم العلم فهم عنه باحثون ، وبغيتهم الحق فهم له مخلصون ؛ لم تطرف عيونهم الدنيا ، ولم تسد مسامعهم الشهوات . رجعت من هذا الجهاد الأصغر ، بل من هـذا الجهاد الحبيب إلى النفس الذى نجد فيه معاشر الأساتذة لذتنا ، وننشد بالتعب فيه راحتنا ، إلى جهاد من نوع آخر قد حف بالمكاره ، وأحاطت به الأهوال والصعاب من كل جانب : عدت إلى « الرسالة » الغراء أبثها آلامى وآمالى ، وأسجل على صفحاتها آرائى وأفكارى ، وأتعرض بذلك لسخط الساخطين ، ولوم اللائمين ، وكيد الكائدين

عدت إلى « الرسالة » أخطب على منبرها العالى قوما تناط بهم الآمال فى إصلاح هذه الأمة ، ويرجى منهم النهوض بما حملهم الله من أمانة حين جعلهم حملة هذه الشريعة

عدت إلى « الرسالة » أنادى قوماً يحسبون صيحاتى لهم صيحات عليهم ، فيثقل عليهم نصحى إذا نصحت ، ويُحفِظ صدورهم نقدى إذا نقدت ، وتهيم بهم الظنون فى أمرى إذا سكت ، وتنطلق الوشاة بى من حولهم كما تنطلق الصلال الرقطاء فى الرمال البيضاء ، ينفثون سمومهم ، وينشرون شكوكهم ، ويقولون : هذا شاب مغرور بنفسه ، متطفل على ما ليس من شأنه . ليس هذا بكاتب يصور قلمه ما يشعر به قلبه ، إنما هو فتى يردد ما يسمع أو يعلَّم ما يقول . ليس هذا بناصح أمين ، وإنما هو عدو مبين ... قالات سوء يرجف بها المرجفون ، ويمكر بها الماكرون حتى لتطيش منها أحلام ما عهدناها أن تطيش ، وتفتر بالهُجر من القول شفاه لم تكن تفتر إلا عن الحكمة والموعظة الحسنة !

فاللهم عونا على هذا الجهاد . أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير !

* * *

انتهى العام الدراسى فى الأزهر أو كاد . ولسنا ننظر إلى الأزهر كما ننظر إلى أى معهد من معاهد التعليم فحسب ، وإنما ننظر إلى الأزهر وينظر المسلمون جميعاً إليه على أنه الحصن الأخير الذى لم يبق سواه لشريعة الإسلام وثقافة الإسلام ، فيجب أن نلتفت إليه فى كل مناسبة ، ويجب أن نهتم به فى كل حركة ، ويجب أن نتابع أخباره فلا يشغلنا عنها شىء

وها هو ذا قد أمضى اليوم عاماً من أعوامه الدراسية ، فمن حق كل مسلم أن يعرض تاريخه فى هذا العام ، وأن يحاسبه على ما قدم أو أخر فى شئونه الخاصة والعامة ، ومن الحق على الأزهر أن يثبت لهذا العرض ، ويصبر على هذا الحساب !

فما هو إذن تاريخ الأزهر فى عام ؟

لقد مضت قبل هذا العام أعوام كان الناس يتحدثون فيها عن أشياء كثيرة : كانوا يتحدثون عن « جماعة كبار العلماء » وما يرجى من نشاطها للقيام بواجبها . وكانوا يتحدثون عن « برنامج الإصلاح » الذى اقترح لها . وكانوا يتحدثون عن الكتب والمناهج الدراسية وما يرجى من إصلاحها وحسن الانتفاع بها . وكانوا يتحدثون عن المقررات التى يمضى العام ولا يقرأ منها إلا القليل . وكانوا يتحدثون عن نظام « المراقبة العامة » على التعليم العالى ولأى غرض أنشئت . وكانوا يتحدثون عن الفقه الإسلامى وواجب الأزهر فى وصله بالحياة العامة وعرضه عرضاً يوافق روح العصر . وكانوا يتحدثون عن نظام التخصص وعيوبه التى ضج منها الطلاب وغير الطلاب . وكانوا يتحدثون عن مجلة الأزهر التى هى لسانه وعنوان ثقافته وأداة الدفاع عنه . وكانوا يتحدثون عن واجب الأزهر فى الاتصال النافع بمراكز الثقافة وأندية العلم ولجان التشريع . وكانوا يتحدثون عن مكتبة الأزهر وكنوزها الدفينة التي كاد يأتى عليها البلى بعد أن أتى عليها النسيان . وكانوا يتحدثون عن رسائل الجماعة الموقرة ، تلك الرسائل التى تكتب لتختبىء فلا تراها عين ولا تسمع بها أذن !

كانوا يتحدثون عن ذلك كله ، وكانوا يتحدثون عن غيره مما لست أذكر الآن ، وكانت « الرسالة » سجلا واعياً لهذه الأحاديث ، ولساناً ناطقاً بهذه الآمال ، بل كان البرلمان بمجلسيه يتحدث عن بعض ذلك ، ويتقدم أعضاؤه فيه بالأسئلة والاستجوابات ، وترسل لجانه إلى مشيخة الأزهر بملاحظاتها على التعليم ومستواه ، وعن « الأمثلة البادية العوار » التي لا ينبغي أن تبق ماثلة تتأذى بها العيون ... الخ . الخ .

كان ذلك كله فى الأعوام الماضية ، وكان أصحاب الرأى والنظر البعيد يعدونه بداءة طيبة للدعوة إلى نهوض الأزهر ، فإن الأزهر إذا سمع الناس يتحدثون عنه ، ورأى الناس يهتمون به ، ووجد بعض أبنائه والمخلصين له يشاركون فى هذه الأحاديث ، ويلفتونه إلى هذا الاهتمام ، لم يلبث أن يفكر فى أمره كما يفكر الناس فيه ، ويومئذ تجد دعوة الإصلاح من النفوس قبولاً ، ومن الآذان إصغاء ، فيتعاون على نجاحها الداعون والمدعوون على سواء .

وقد بدت فى هذا العام تباشير تلك الخطوة الثانية فى سبيل النهوض ، وانتقلت أحاديث الإصلاح من ميدان « الرسالة » إلى ميدان آخر هو ميدان الرؤساء والعلماء والطلاب من أبناء الأزهر المخلصين : شعروا بأن الأزهر فى حاجة إلى تكاتف الهمم ، وتناصر العزائم ، ورأوا تيار العلم فى الجامعات الحديثة يوشك أن يكتسح الأزهر اكتساحاً ، وعلموا أن الأمة قد تنبهت إلى ما تفعله كل طائفة من أبنائها ، وأن الدولة قد أصبحت حريصة على أن تجعل دور العلم للعلم فقط ، وأن الأزهر حين انحرف عن طريقه العلمى وانغمس فى الحركات ، وسُخر فى سبيل الأهواء والنزعات ، غض ذلك من مهابته ، وجرأ الأصدقاء قبل الأعداء عليه ، وأزال صيانته الذى كان ينبغى أن يبق له . علم أبناء الأزهر المخلصون ذلك كله ، وعلموا أن عليهم واجباً لمعهدهم العظيم ألا يقفوا منه موقفاً سلبياً ، والعيون ترمقهم ، والألسنة تتحدث عنهم ، والأصابع تشير إليهم ، فعقدوا العزم على أن يجعلوا من أنفسهم جنوداً للاصلاح ، وخداماً مخلصين للأزهر حتى ينهض نهضته ، ويسترد فى العالم الإسلامى مكانته ، ويعود إليه سابق مجده !

عقدوا العزم على أن يخلصوا للأزهر أكثر من إخلاصهم للأشخاص ، ووطنوا أنفسهم على أن يكونوا صرحاء فى الجهر بالعلة ، أقوياء فى المطالبة بالعلاج ؛ وسرت هذه النزعة الجديدة فى نفوسهم جميعاً : سرت فى نفوس الشباب الأزهرى كما تسرى الحياة فى الأزاهير الناشئة ، وسرت إلى نفوس الشيوخ كما يسرى الماء إلى الجذوع المتعطشة ، بل سرت إلى الرؤساء المسئولين الذين يلون المناصب الكبرى فى المعاهد والكليات ، فأصبح هؤلاء جميعاً مؤمنين بها ، متلاقين عندها ، متناسين كل شىء من خلافاتهم فى سبيلها !

ولست أقول هذا الكلام جزافاً ، أو توسماً فى الآمال ، فإن له لشواهد حاضرة ، وآثاراً بادية ، ربما تناولتها فى مقالاتى الآتية تباعاً . وحسبى اليوم أن أقول للذين كانوا يظنون أن دعوة الإصلاح صرخة فى واد ، أو نفخة فى رماد ، وللذين كانوا يؤثرون اطراد الأمور على أى نسق كان ابتغاء الراحة والهدوء ، ثم للذين بذروا البذر ولم يتعهدوه حتى ينبت :

إن الإصلاح لا يعرف الرجوع ، ولا يعرف الركود . إنه كشعلة من نار يخفضها الخافضون فتأبى إلا ارتفاعاً . إن قوة الإيمان لا تغلب ولا يقاومها إلا مخذول . وإلى اللقاء فى حديث بعد هذا الحديث .

محمد محمد المدنى

كيف نعـــلم أبناءنا ؟

وما الغرض من التعليم ؟

للدكتور زكى مبارك

متاعب !

هى المتاعب التى يعانيها من يواجه الحقائق بأساليب صريحة بريئة من الرياء ... ومن أعجب العجب أن الناس يطالبون الكاتب بأن يحدثهم عن كل شىء ، مع أنهم لا يسمحون له بشىء من الصدق إذا تحدث عن أشياء تمسهم من قريب أو من بعيد . وهذه الظاهرة من أسباب ضعف الروح البيانية ، ومن أسباب قصور الأدب عن وصف المجتمع الحديث

إن الأمم المحاربة لم تشغلها الحرب عن التفكير فى شؤون التعليم والتثقيف ، لأن تلك الأمم عهدت إلى كل طائفة من الطوائف جانباً من جوانب الحياة القومية ، فبقى الجندى جنديًّا ، والتاجر تاجراً ، إلى آخر ما هنالك من الطوائف ، وصار لزاماً أن يبقى المعلم معلماً فى حدود ما يملك من القُوى النفسية والروحية والعقلية

ونحن لم نشترك فى الحرب من جانبها الدموى — وإن كان أذاها وصل إلى كثير من مرافقنا الحيوية — وهذا الحياد قد استبقى قُوانا وادّخرها لإنجاز شؤون التعليم فى مراحله المختلفات ، فمن الواجب أن نبذل جميع الجهود الممكنة فى خلق التعليم خلقاً جديداً ، بحيث نواجه تقلبات ما بعد الحرب ، ونحن على بينة من مطالب العصر الجديد

قال معالى الهلالى باشا فى خطبته بحضرة جلالة الملك يوم افتتاح جامعة فاروق الأول : إن هذه الجامعة هى الجامعة الوحيدة التى أنشئت فى العالم كله أيام الحرب

وهذا صحيح ، ولكن ما السبب فى تفرد مصر بهذه المزية ؟

يرجع السبب إلى أن إعفاءنا من الحرب الدموية لم يدْعُنا إلى إعفاء أنفسنا من حرب الجهل والجمود ، فنحن نقاتل فى ميدان هو أصعب ميادين القتال ، ونحن نواجه مصاعب تزلزل القلوب والعقول ، وهذه محمدة قليلة الأمثال

أكتب هذا وقد تعتَّب ناسٌ وتغضَّبوا لأنهم رأوا فى المقال الأسبق عبارات فى نقد الطرائق المتبعة فى تعليم الإنشاء ... فهل كان يجب أن أقول إن كل شىء على ما يرام ، وليس فى الإمكان أبدع مما كان ؟

الكاتب يحاسَب على المجاملات ، ولا يطالَب بالمجاملات ، وأول طائفة خليقة باحترام حرية الرأى هى طائفة المدرسين ، لأنهم دعاة الحرية الفكرية ، ولأن واجبهم الأول هو خلق اليقظة العقلية ، فما يجوز لأحدهم أن يعتب أو يغضب إذا رأى كاتباً يدعوه إلى التفكير فى وزن ما درج عليه من طرائق التعليم ، عساه ينتقل من حال إلى أحوال فى الإفهام والتفهيم والشرح والبيان

واجب المدرس أن يصغى لكل قول ، وأن يحترم كل رأى . واجبه أن يدرك أن كل شىء فى تجدد ، وأن يفهم جيداً أن للتعليم سياسات تتغير من يوم إلى يوم ، وأن التلميذ الواحد قد يساس فى درس الأدب بغير ما يساس فى درس الإنشاء ، وأن التدريس هو فى الأصل رياضة مختلفة المسالك والألوان

وإذا ضاق صدر المدرس بما يقرأ أو يسمع من ضروب النقد ، فعند من ننتظر رحابة الصدور ورزانة الأحلام ؟

وتأذَّى فلان من أن يقال إن الإنشاء قد يصعُب على بعض المفتشين ... فما عيب هذا القول وفيه شىء من الحق ؟

وبماذا نجيب إذا سئلنا عن جهود مفتشى اللغة العربية فى خدمة الحياة الأدبية ؟

هل يكفى أن يكون الكاتب كاتباً بالقوة لا بالفعل ، كما يعبّر علماء المنطق ؟

إن المفتشين رُفعوا إلى مراكزهم باسم التفوق فى علومهم ، فهل نلام إذا دعوناهم إلى زكاة ذلك التفوق ؟

مصر غنية بالثروة العلمية ، فهل نراها غنية بالثروة البيانية ؟

وهل من الحق أن رجال التعليم عندنا أكثروا من الجهاد العلمى والأدبى إكثاراً ليس بعده زيادة لمستزيد ؟

كم كتاباً صدر عن رجال التعليم فى مدى عشر سنين ؟

وما هذا الزهد فى البحث والتأليف ، الزهد الذى يسمح بأن تنتهى حياة الرجل قبل أن يدين أمته بكتاب جيد ؟

إنى أخشى أن يضيع زمام الحياة الأدبية من أيدينا إن تركنا الإبداع فى الأدب ، واكتفينا بوضع الموجزات فى القواعد والتطبيق ، كما يفعل بعض الزملاء

صلة المدرس بالحياة

قبل أن أواجه مشكلات التعليم أفصّل مسألة شغلتنى منذ أعوام ، وهى مسألة القلق الذى يساور المدرسين من الوجهة المادية ، وهو فى رأيى قلق يبشر بالخير ، ولا ينذر بالشر كما تعوّد بعض الناس أن يقول

لو أحصينا مطالب المدرسين لرأيناها فى الجملة متصلة بالمطالب المعاشية ، فهل يكون فى هذه الظاهرة برهان على أننا نواجه عصراً أفضل من العصور الخوالى ؟

أنا أقول بذلك ، ولا يؤذينى أن أرى مدرساً يرجو أن تنصفه وزارة المعارف ليعيش فى رخاء

ولكن هذا الكلام يحتاج إلى شرح ، فلنقدم الشرح :

كان التعليم من أعمال الكهّان والأحبار والرهبان ، وحيوات هؤلاء كانت مريحة ، لأن الجمهور كان مسئولاً عن تزويدهم بما يشتهون ، فلم يكونوا فى احتياج إلى مزاولة أعمال المعاش

يضاف إلى ذلك أن التعاليم التى كان يقدمها أولئك الأقوام إلى الناس كانت ترمى إلى غاية أخروية لا دنيوية ، فكان من المعقول أن يعيشوا عيش الزهاد ليفلحوا فى أداء رسالتهم الروحية

أما التعليم فى هذه الأيام فله غاية تخالف تلك الغاية ، هو تعليم يراد به فهم الحياة الواقعية ليكون أداة من أدوات التملك والاستيلاء

نحن نعلم أبناءنا ليسودوا فى دنياهم ، ولا نرضى لأبنائنا أن ينتظروا الثواب من المحسنين ولو كانوا فى سماحة الأنبياء

نحن نرجو أن تكون يد أبنائنا هى العليا بفضل التعليم الصحيح . نحن نحب لهم أن يتسلحوا بأسلحة العصر الحاضر ، عصر النضال والصيال ، ونكره أن يذلوا باسم الزهد فى الدنيويات

ومن الذى يوحى إليهم تلك المعانى ؟

أهو المعلم المترهب الذى ينتظر إفضال المفضلين ؟

إن فاقد الشىء لا يعطيه ، والمعلم الذليل لا ينشىء تلاميذ أعزاء

يجب أن يكون المعلم ابن زمانه بالقول والفعل ، وأخلاق هذا الزمان لا تمنح العزة لمن يعيش بفضل الصدقات

كانت غاية المعلمين من الرهبان أن يخلقوا طوائف جديدة من الرهبان ، وكان التشرد فى أقبح صوره يجد من يسمه بوسم التوكل على الله ، فأين نحن من تلك الغاية المجفاء ؟ إنها منا بعيد

وإذن يتحتم أن يكون المعلم رجلاً موصول الأواصر بالنافع الدنيوية ، ليوجه تلاميذه إلى المنافع الدنيوية

يتحتم على المعلم أن يدرك ما فى الحياة من تعقد واشتباك ، ليروض تلاميذه على مغالبة ما فى الحياة من تعقد واشتباك

كان المعلم راهباً ، وقد بقيت من هذه النزعة بقايا نجدها فى بعض البيئات ، ولكنها لا توائم العصر بأى حال

يجب أن تُسبق الأبوة الروحية بأبوة حسية ... ومعنى هذا أنى أرى أن المدرس لا يعرف حقوق تلاميذه عليه إلا إن كان له أبناء

المعلم الحق فى هذا الزمان هو المعلم الذى يعيش كل العيش ، فيكون له مصالح تفرض عليه أن يفهم الاتجاهات المختلفة فى هذا الجيل

والعيش على هامش الحياة عيشٌ ضائع ، ومن عاش كذلك فليس بأهل لأن يخلق ذوق الحياة فى صدور التلاميذ

وأين التلميذ الذى يحترم أستاذاً فقير الجيب ؟

الأصل أن تقول لتلميذك : تعلم لتكون فى مثل جاه أستاذك ؛ والجاه فى هذا الزمان يُجرح بأيسر بادرة من بوادر الإفلاس

والأصل أيضاً أن يكون العلم تاج المنافع ... فإن افتقر العالم فسيكون افتقاره شاهداً على أن قوة العلم هباء فى هباء

وهنا مشكلة تستحق الدرس ، وهي تحديد المراد من العلم ، فما هو العِلم المنشود ؟

هو العلم الذى يمنح صاحبه السيطرة على ناصية هذا الزمان

هو علم العصر الحديث ، ولو تمثّل فى فهم أساطير الأولين

أنا لم أتعود خداع قرائى ، وأنا أوصيهم بما أوصى به نفسى ، فليسمعوا هذا الكلام إن كانوا لأنفسهم أوفياء

ونحن لا نطالب الدولة بحق الإنصاف ، إلا إن أقمنا مئات البراهين على حقنا فى الإنصاف

ولن يكون ذلك إلا إذا وثقت بنا الدولة ثقة تغنيها عن تلك الجيوش من المفتشين

إن احتاج المدرس إلى رقابة المفتش فليس بمدرس

والأساس أن تكون المدرسة غزواً روحياً للبيت ، فيكون الطفل أستاذاً لأبويه ، لأن له أسندة من روحانية أساتذته الفضلاء

والأساس أيضاً أن يُخوِّف التلميذ بساطان المدرسة عليه ، فلا يشكوه أهله حين ينحرف لغير السلطة المدرسية

ومتى يتيسر ذلك ؟

أيكون غِنى المدرس هو الوسيلة كل الوسيلة إلى السيطرة على التلامذ ؟

وكيف وفى آباء التلاميذ من يكون إيراده أضخم من مرتب وزير المعارف ؟

هيبة المدرس ترجع إلى التمكن من العلم الذي يدرسه التمكن الفائق الذى يُشعر التلاميذ بأن أستاذهم من أكابر العلماء

إن استطاع المدرس أن يلقى تلاميذه كل يوم وفى يده كتاب جديد فليفعل ... وإن استطاع المدرس أن يدل تلاميذه على جميع ما يجدّ من الآراء العلمية والأدبية فليفعل . . . وإن استطاع أن يرشدهم إلى طيبات الحياة الفنية فليفعل

المهمّ هو أن يسيطر على تلاميذه سيطرة روحية تصغر بجانبها سيطرة الجاه والمال

وإذا وصل إلى هذه الغاية فلن يضيره أن يقال إنه من الفقراء

وأنا لا أطالب بإنصاف المدرس من الوجهة المادية إلا لأضمن صلاحيته لفهم مطالب الحياة ، لأنى أعتقد أن الرجل المنسحب من ميدان الحياة لا يصلح لشىء ، وأ كاد أجزم بأن حب الحياة يزيد فى قوة الأخلاق

المعلم الذى أنشُده لأبناء هذا الجيل هو رجل مزوَّد بمواهب إيجابية لا سلبية ، هو رجلٌ يسبق زمنه بأزمان ، هو رجلٌ يرجو تلاميذه أن يكون هاديهم إلى صراط الحياة فى معناها المنزّه عن الغفلة والجمود

إن وزارة المعارف أنشأت معهداً جديداً هو معهد الدراسات العالية ، وبه أرادت أن تزوّد المدرسين بأزواد علمية وأدبية لم يذوقوها من قبل

فما مصير هذا المعهد ؟

إن بقاءه رهينٌ بأحوال المدرسين ، وقد قيل إنهم فى احتياج إلى مزيد من التثقيف

وأقول : إن من العيب أن نحوج وزارة المعارف إلى أن تُشغَل بتثقيفنا بعد أن شببنا عن الطوق منذ زمان

لا يجوز أن نحوج وزارة المعارف إلى شىء من هذا القبيل ، وإنما يجب على كل مدرس أن يكون نائباً عن وزير المعارف فى أداء الواجبات الوطنية من الوجهة التعليمية

يجب أن يقترب اليوم الذى يستغنى فيه المدرس عن رقابة المفتش .

ولن يقترب ذلك اليوم إلا حين يوجد التلميذ ، التلميذ الذى يحب أن يتعلم ، التلميذ الذى يقهر المدرس على أن يستعد للدرس كل الاستعداد

ومتى يوجد ذلك التلميذ ؟

متى يوجد التلميذ الذى يخلق المدرس ؟

متى يوجد الفتى الذى يعزّ عليه أن تمرّ أيامه بلا انتفاع ؟

سنرى محاولات لبعث الروح المكنون فى صدر التلميذ ... فإلى اللقاء فى الأسبوع المقبل وهو قريب .

زكى مبارك

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٤٣ فى القضية رقم ٣٦٦٣ سنة ١٩٤٢ بتغريم عليوه محمد الأقرع الفلاح بالتلين خمسين جنيها لامتناعه عن بيع الادره الفائضة عن حاجته للحكومة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٤٣ فى القضية رقم ١٩١ بندر الزقازيق سنة ٩٤٣ بحبس أحمد ابراهيم دسوق الفلاح بالفار ثلاثة شهور بشغل وتغريمه ١٠٠ جنيه والمصادرة لعرضه للبيع أدرة بأزيد من التسعيرة

حكم فى القضية ١٠٨ سنة ١٩٤٣ الدرب الأحمر عيسى هاشم عبد العال بحبسه ثلاثة شهور مع الشغل وغرامه ١٠٠ جنيه والنشر والتعليق والمصادرة لبيعه الزيت بأزيد من السعر المحدد

حكم فى الجنحة رقم ١١٢٦ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٢ بحبس عبد الفتاح عليان ثلاثة شهور مع الشغل والمصادرة والنشر والتعليق والغلق لبيعه (الفحم) بأزيد من السعر المحدد

على هامش أحلام شهرزاد

٣ - قضية اليـــوم

(القصر المسحور)

للأستاذ دريني خشبة

قالت فاتنة: «أرأيت إذن كيف مسخ صاحب (شهرزاد) تلك الصورة العلوية الفردوسية التي رسمها الكاتب العبقري الأول للمرأة الكاملة التي طبَّبت لشهريار وعالجت اعوجاجه؟ وهل رأيت كيف أسلم جميع أبطاله للشيطان، فليس فيهم بطل رشيد!؟ فشهرزاد شهوانية مخادعة هلوك ... وقد يفتتن بجسدها البض ويراه في صورة إيزيس وعَيْنَيْ بيدبا الفيلسوف الهندي ... ثم يقتل نفسه من أجل أنه رآها تخدعه عند ما شهد العبد يخرج من مخبئه في مخدعها ... وشهريار ينسى فحولته بل يتبدل بها فسولة عند ما يضبط العبد نفسه في مخدعه فلا يثور ولا يتسخط ولا يفور دمه في رأسه، ولا يأمر برأس العبد ورأس شهرزاد، ولا تعود إليه جبلته القديمة المغرمة بسفك الدماء ... ولماذا تعود تلك الجبلة وقد كلت حيلته في المرأة عامة، لأن المأساة بعينها تتجدد، ودورة الفلك تبدأ من حيث تعود، وتعود من حيث تبدأ ... ثم هذا هو الجلاد يبيع سيفه أو يرهنه ... وأبو ميسور يهذي من كثرة ما دخَّن القنب ... والعبد يتسور الجدار إلى شهرزاد في لحمة الليل فلا تشبع منه ولا تريد أن تشبع منه ... فهل رأيت بلاء في قصة كهذا البلاء؟ وهل اجتمعت لقصة عصبة من الأبطال المناكيد كهذه العصبة من الأبطال المناكيد؟

وهل يكفي في الاعتذار عن هذا أن يعترف المؤلف في (القصر المسحور) بقصوره، والتسليم بأنه في حاجة إلى أن يسمى ويطيل السعى، وإلى أن يجد ويمعن في الجد، لا ليبلغ الكمال، بل ليدنو منه؟ وهل يكفي أن يعترف ببعد الأمد أمامه حتى يصل إلى ترقية فنه وتجديده واصطناع الأناة والدقة والإتقان في التصوير والتعبير جميعاً؟ ... هل يكفي أن يعترف مؤلف شهرزاد بكل ذلك ليكون بمنجاة من النقد الذي يزيف أدبه مهما اعتذر له عميد الأدب العربي وشريكه في القصر المسحور، ومهما دافع عنه بوصف كونه أديباً له أن يبرز أبطاله في الصورة التي يراها، ومهما اعتذر له بوجوب حرية الرأي والدفاع عن حرية الرأي وتقديس حرية الرأي؟! على أن عميد الأدب قد احتاط للأمر، فلم يرسل هذا القول على عواهنه، بل كان حصيفاً حين قال في القصر المسحور (ص١٧) على لسان شهرزاد: «هو إذن هنا هذا الآثم!! ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد» وحين قال على لسانها أيضاً (ص ٢١): «وسيجد عندى علم ما لم يعلم من أمر شهرزاد» وحين قال على لسانها ولسان غيرها من أبطال مسرحيته ص٥٧: «... كيف أعفو عن هذا الذي اتهمني فيما لا ترضى امرأة حقيرة أن تُتهم فيه. فكيف بملكة كريمة مثلي متسلطة على القلوب خالدة على الأزمان. وقد يقسم ما أضمر للمليكة غدراً ولا أدار في خلده شيئاً يستحى أن يظهره. والعبد — وويل لصاحبك من العبد — إنه ثائر فائر، إنه صارخ مزبد. إنه مبرق مرعد. إنه يريد أن يمزق صاحبك بأنيابه وأظافره. إنه لا يطيق التفكير في هذا الرجل الذي جعله صورة بشعة لأبشع ما يتسلط على العقول والأبدان، وهو يغريني ويحرضني، ويريد أن يضرم النار في قلبي، لولا أن قلبي أهدأ من أن تضطرم فيه النار. وهو يسألني كيف أترك الحياة لرجل صورني في هذه الضعة، وجعلني أهبط من أعلى عليين لأكلف بهذا المخلوق البشع الدنيء ... والساحر يقسم ما سحر، والجلاد يقسم ما باع السيف لينفق ليلة هنية، وأبو ميسور يقسم ما أظلت حانته إثماً قط ... حتى زاهدة تقسم ما عرفت سراً ولا سألت عنه ولا باحت به ولا اتخذت وسيلة إلى معرفته ... فكل هؤلاء مغيظ محنق يلح على في أن أنتقم له، وأنتقم لنفسي من صديقك البائس المسكين ... ومع أني كنت ضيقة به ساخطة عليه حين قرأت كتابه ... الخ»

أرأيت إذن يا صاحبي كيف كان عميد الأدب العربي حاذقاً أشد الحذق حينما احتاط لنفسه وهو يدفع سخط الناقين على مؤلف (شهرزاد)، فراح يبعث الطمأنينة على شهرزاد في نفوسهم ويعدهم برد شرف هذه الفتاة، وذلك بما قاله على لسانها في الصفحة السابعة عشرة والصفحة الحادية والعشرين والصفحة السابعة والخمسين من القصر المسحور ... «ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد!» . وسيجد عندى علم ما لم يعلم من أمر شهرزاد!» إى والله؟ ... ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد ... وقد بر العميد بما أكد ... فكتب أحلام شهرزاد،

التي يجد فيها صاحبه علم ما لم يعلم من أمر شهرزاد ... ولكن لهذا الحديث حينه ، نخذ فى حديث القصر المسحور

ولكن ماذا فى القصر المسحور من أقوال صاحب «شهرزاد» التي تؤكد رأيه فى هذه الفتاة التى ظلمها ، وفى أبطالها الذين ظلمهم كما ظلمها ، والتى تؤكد آراءه المريبة فى المرأة خاصة ، وفى الناس بوجه عام ؟ ! إقرأ إذن فى الصحيفة الحادية عشرة بعد المائة هذا الجزء من الحوار مكتوباً بقلمه :

توفيق — دخلنا منطقة الكلام الفارغ الذى لا تحذقه غير المرأة

طه — (صائحاً) : استغفر الله ! أستغفر الله !

شهرزاد — (لطه) دعه ! فإن عداوته للمرأة سوف تكلفه ما لا يطيق .

ثم ارجع إلى هذا الحوار لتسمع توفيقاً يقول : « إنه من فصيلة لا تغرد إلا فوق أطلال نعمة ذاهبة وآثار هناء ضائع ! »

واقرأ بعد هذا فى الصحيفة الثالثة والسبعين بعد المائة :

القاضى — ما أقوالك ؟

شهريار — أقوالى : أن هذا المتهم قد قذفنى بالباطل وافترى علىّ كذباً وزوّر واقعة لم تكن . فلقد جعلنى ديّوثاً ، أدخل على شهرزاد فأجد عندها العبد فلا أقتله ولا أشرب من دمه !

توفيق — (مهتاجا) كنت تريد أن أجعل منك قاتلاً سفاكاً يشرب الدماء ؟ نعم ، لقد أذنبت وأجرمت وأسأت إليك ، إذ لم أجعلك كما كنت تريد مخلوقاً سخيفاً !

ثم اقرأ فى الصحيفة التى تليها هذا الحوار :

قمر — (وقد سأله القاضى عن أقواله) أقوالى يا سيدى القاضى : أن هذا المتهم قذفنى وحط من قدرى ، فلقد جعلنى أقتل نفسى من أجل امرأة ، فى الوقت الذى يخرج فيه العبد من مخدعها وينكشف لى إثمها ودنسها .

وبعد . . فالكلام الفارغ (فى نظر توفيق) لا تحذقه غير المرأة ... وعداوة توفيق للمرأة ستكلفه (باعترافه) ما لا يطيق ... وتوفيق لا يحسن التغريد إلا فوق أطلال نعمة ذاهبة وآثار هناء ضائع ... أى أنه رجل مظلم الطبع ذو مزاج سوداوى حالك منقبض متشائم ... ومن هنا عداوته للمرأة وقلة ثقته بها ... ومن هنا تجريحه لتلك الصورة التى افتن فى خلقها لشهرزاد الخالدة الكاتب العبقرى الأول القديم الخالد ... ثم إن توفيقاً يُنطق بنفسه شهرياراً ليشكو مما افترى عليه وزور ، حينما جعله ديوثاً — وابحث أنت فى المعاجم عن معناها لأن الرسالة أطهر من أن تحمل إليك معناها — وتوفيق مصمم على أن يظل شهريار ديوثاً مهما ثار ، فهو يداعبه أمام القاضى بقوله إنه أخطأ إذ لم يجعله قاتلاً سفاكاً ، ولو كان القتل في سبيل الشرف الرفيع الذى لا يسلم ... حتى يراق على جوانبه الدم ... فى رأى المتنبى ورأى شهريار

قالت فاتنة : فماذا تملأ يديك من مذهب هذا الرجل إن أنت جمعت ما كتب فى « شهرزاد » إلى ما كتب فى « القصر المسحور » ؟ إطمئن ، فإنك تتأبى أن تملأهما بشىء ... وكيف تملؤهما بما يصر عليه من هذا الحِنْث العظيم ، والإصر الذى ليس وراءه إصر ، مما يذيعه فى الناس أنه مذهبه ، وأنه معتقده ، فى شهرزاد التى يرمز بها للمرأة فى كل زمان ومكان . . . ومن هنا هذه المباهاة الطويلة العريضة بأنه عدو المرأة الذى لا يعترف لها بعفاف ، ولا يأبه أن يُذال لها عرض ، لأنها ليس لها عرض ؛ والذى يفترض فيها الأنانية المطلقة لأنها لا تفكر إلا فى خلاصها ولا يعنيها أن تهلك نساء العالمين مادامت مستطيعة أن تكون بمنجاة من الهلاك ، والتى تخاتل وتخدع وتجعل بيتها مأوى للعبيد الفُتاك الذين لا تشبع منهم ولا تريد أن تشبع منهم ، وتؤثر أن يكون عبدها خسيساً غليظاً خشناً وضيعاً لأن هذه كلها مزايا تضاعف ـ فى رأى السيد توفيق ـ من شهوة شهرزاد كما تضاعف من التذاذها .

لمن يكتب هؤلاء الناس ؟ !

وفى أى بلد يكتبون ؟! وما هى حرية الرأى هذه التى يحض عليها عميد الأدب العربى لحماية هذا اللون الوضيع من ألوان الأدب والتى غلا فى الحض عليها والحماسة لها فى الصحيفة الثانية والسبعين والصحيفة السابعة بعد المائتين من القصر المسحور ؟ !

هذا كثير . . . هـذا كثير جداً مهما احتفظ العميد لمن شاء أن ينقد هذا الضرب من ضروب الأدب أو ذاك . . . وما جدوى النقد بعد أن يتمكن « سل » هذا الأدب من صدور قرائه ؟ ! وإذا كان عميد الأدب العربى قد أحس هذا الخطر ونبه إليه فكيف كان يرى ـ وأظنه ما زال يرى ـ أن النقد الأدبي كاف لتزييف هذا اللون المهلك من ألوان الأدب ، الذى إذا قدر له أن ينتشر فى بلد ـ أتى على أخلاق أهله وعرضه

للانحلال والاضمحلال . نحن هنا لا نقسو على أحد ، فمصر أعز علينا من ألف ألف كاتب ، وهي في عصر الحديد والنار ، في حاجة إلى أخلاق الحديد والنار ، لا إلى الأخلاق المائعة الرخوة التي شاعت قبل الحرب الحاضرة في أوربا التعسة نتيجة للأدب المائع الرخو الذي سمم به الأدباء المنحطون أخلاق ذويهم فسمموا به كل شيء ، وقضوا به على كل شيء . ونخشى أن تظن طائفة من القراء أننا نقصد إلى السب أو إلى ما يشبه السب حينما نذكر الأدباء المنحطين – كلا – ليس إلى السب قصدنا – ولكننا مخلصون جد مخلصين في إشفاقنا من أن يشيع الانحطاط في أدبنا الناهض الحديث – والانحطاط مذهب من المذاهب الأدبية التي شاعت في أوربا بعد الحرب العظمى ، فعصفت بأخلاقها وبدينها ، ونشرت في ممالكها روح الرخاوة والطراوة والاستهتار . ومن الإملال ضرب الأمثال فما تزال فرنسا بمأساتها الخلقية الدامية تنكأ القلوب لوعة عليها وأسى . وفرنسا هي البلد الذي كان يطلق لحرية الرأي العنان ؛ فكان أحد الأدباء المنحطين إذا ضاقت به أرض بريطانيا ، ولم تصرح له الحكومة البريطانية بطبع قصته الرخوة ولا بنشرها في المملكة أو في المستعمرات (أي والله في المستعمرات !) انطلق إلى فرنسا (بلد الحرية المطلقة) فطبع فيها كتابه ؛ وقد يعيد فيه نظره ثمة فيزيده رخاوة ويشيع فيه من الفاحشة ما يضمن له به الذيوع والانتشار

نحن نشفق إذن من الانحدار إلى مزالق الأدب المنحط لأننا فقراء إلى أدب القوة ، وليس في الدنيا ، في الوقت الحاضر ، أمة هي أفقر إلى أدب القوة من هذه الأمة التي ذاعت فيها قصة شهرزاد بأبطالها المنحطين جميعاً . وبهذا العبد الأسود الخسيس الوضيع الذي لا تشبع منه شهرزاد ولا تريد أن تشبع منه .

قالت فاتنة : « وأكاد أزلق بك يا صاحبي إلى الكلام في المذاهب الأدبية ، مبعدة عن القصر المسحور . فإذا كان عميد الأدب العربي قد قالها قولة على لسان شهرزاد ، هي ، ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد ... و ... سيجد عندي علم مالم يعلم من أمر شهرزاد ... وقد جاء الوقت الذي بر فيه عميد الأدب العربي بما وعد ، فأصدر قصته البارعة « أحلام شهرزاد » نافح فيها عن ذكاء المرأة وسموها وحسن مقاصدها ، وجميل حدبها على الإنسانية وعملها المتصل على إسعادها ... فإذا كان عميد الأدب العربي قد صنع هذا ... أفيليق أن يتخرص الخراصون ويرجف المرجفون بأنه سرق من الأستاذ توفيق ؟ وماذا – لا در درهم – سرق ؟ إن طه لم ينحدر بالمرأة إلى البؤرة التي انحدر بها صاحبه إليها ، بل هو قد ارتفع بها إلى أعلى عليين وهو في هذا كان مخلصاً لرأيه في المرأة حسن العقيدة في عفافها وسموها ، وأنها مصدر السعادة في هذه الدنيا ... فهو في الصحيفة السادسة والستين من القصر المسحور لا يتمنى ملكا وسلطانا كما كان المتنبي يتمنى ملكا وسلطانا ، ولا يشتهي كما كان يشتهي ثروة وغنى ، إنما يتمنى لقاء شهرزاد والاستمتاع بجوارها القريب « وأي ملك يشبه الخضوع لها ويعدل الإذعان لأمرها ؟ وأي ثروة تشبه الشعور بأنه قريب منها ليس بينه وبين الغنى الذي يمتع القلب والعقل إلا أن يتجه إليها فيسمع منها ويحسن قربها منه »

وفي الصحيفة الثامنة والستين يقول هذه القولة الشجية : ثم أشار الفجر بأصبعه الوردية التي أريتها أنت يا سيدتي لضرير اليونان منذ ثلاثين قرناً ، فإذا الليل الجاثم ينهزم ، وإذا الشمس تقبل فتبسط الضوء والحياة على كل شيء وفي كل نفس – ولكني أظل محروماً ضوء الشمس وحياتها لأنك أنت الشمس والحياة . وفي الصحيفة الثانية والأربعين بعد المائة يقول : ماذا ؟ تشكين في قوتك وتنكرين سلطانك وذكاءك ، وأنت التي تمنح أمثالنا القوة والسلطان والذكاء ؟ وفي الصحيفة الثالثة بعد المائتين يقول على لسانها أيضاً : لا أقف هذا الموقف لأدافع عن نفسي ، فلست أعرف لأحد الحق في أن يتهمني بإثم مهما يكن ، وأنا الحرية كلها ، الحرية التي تشيع النشاط في العقول ، وتذيع الحياة في القلوب وتبعث الحرارة في العواطف والمشاعر والأهواء ...

هذا هو رأي طه في المرأة ، وهو رأيه فيها من قديم ، وهو رأيه الذي أذاع به في القصر المسحور كما أذاع به في أحلام شهرزاد ، وهو ضد ما أذاع به توفيق الحكيم في معظم كتبه ، بل في كل كتبه ، بل في كل ما كتب ...

قالت فاتنة : اذكر للناس ياصاحبي إذن أن مشروع أحلام شهرزاد مشروع قديم ، وأنه كان وعداً موعوداً في القصر المسحور ، وأنه قصد به إلى الدفاع عن المرأة والترفع بها عما وصمها به توفيق ... فإذا أرجف المرجفون بأن زيداً سرق من عمرو فماذا يملك المرجفون ما داموا لا أحلام لهم ، وما داموا يخلطون بين الفردوس وبين الجحيم ، وبين الملاك وبين الشيطان الرجيم .

دريني خشبة

شاعر الغزل (*)

للأستاذ عباس محمود العقاد

بقلم الأستاذ سيد قطب

يبدو أن العقاد — فى هذه الأيام — يهز الشجرة الناضجة هزاً رفيقاً، فتساقط ثمارها فى يسر ورخاء. وإنها لشجرة الجهد الموصول، والاطلاع البصير، والتجربة العميقة، قرابة أربعين عاماً من عمر فنان موهوب، لم يكد يراهق حتى بدأ حياته الأدبية فى جد واحتفال، وحتى كان الاطلاع عمله الأول، والحياة الفنية وجهته الأصيلة.

وهذا مايفسر لنا ذلك الخصب فى إنتاج السنوات الأخيرة، بل السنة الأخيرة وحدها؛ ففيها أخرج « عبقرية عمر » و « شاعر الغزل »، وهو يتهيأ لإخراج كتاب عن « أبى بكر » فى هذه الأيام. فضلاً عن «أعاصير مغرب» ديوانه الغنائى الأخير.

وفى هذه الكتب جميعاً — على تفاوت بينها — يبدو أن الثمار الناضجة تساقط بأيسر جهد، وأن الشجرة متهيئة ما تكاد تلمس حتى تعطى الجنى الشهى فى رفق ولين!

ظهر كتاب « عبقرية محمد » فقلت: « هذا كتاب العقاد » ثم ظهر كتاب « عبقرية عمر » فقلت: « لا! بل هذا هو كتاب العقاد! » ثم هأنذا أكاد أعيدها وأنا أقرأ كتابه الصغير « شاعر الغزل » فى الشهر الأخير.

إن هذا الكتيب يستقل بإنشاء مدرسة جديدة فى النقد الأدبى باللغة العربية. مدرسة لها طريقتها ولها قواعدها ولها أدواتها، وكل ذلك فى يسر ووضوح يكادان يغريان كل قارئ بأن يسلك الطريق ويتخذ القواعد والأدوات، ويروح ينشئ فى النقد الأدبى ما أنشأ العقاد!

لقد قلتها مرة: إن العقاد دارس الشخصيات الأول، حين لاحظت أن أفضل مواهبه تنصرف إلى هذا اللون من الإنتاج، وأن ميزته فيما يدرس أن يعطيك « مفتاح الشخصية » التى يتناولها، فتتعرف على الفور « من هو » هذا الإنسان الذى يحدثك عنه، وتتبين سماته وملامحه من بين الملايين أو من بين الألوف الذين ينتمى إليهم ويندمج فيهم؛ كما تستطيع أن تجزم بصحة الأخبار والحوادث والأعمال التى تنسب إليه أو عدم صحتها، ولو لم ترد فى دراسة العقاد له، لأنك أصبحت تعرفه، وتدرك خصائصه، وتلحظ مزاجه؛ وتعلم ما يمكن أن يأتى أو يدع من الأمور؛ شأنك فى هذا شأن الصاحب الذى أطال عشرة صاحبه، فعرف أعمق خوالجه وأدق « لوازمه »!

هذا اللون من الدراسة يستهوينى أكثر من السِّيَر التى تتناول حياة الأشخاص بالسرد، وتجمع حولهم كل المعلومات التى لابست هذه الحياة. ذلك أن اللون الأول يمنحنى حياة آدمية نابضة، واللون الثانى يضع بين يدى معلومات فى حيز من الزمان والمكان. وكلا اللونين ضرورى للتراث الفنى، ولكن أولهما آثر عندى لميزته تلك.

وفى كل ما كتب العقاد عن الشخصيات تتضح هذه الميزة، وإنها لتنضج فى كتب الدراسة الكاملة أمثال: « ابن الرومى » و « سعد زغلول » و « تذكار جيتى » و « هتلر فى الميزان » ثم تبلغ أقصى درجات النضوج فى الكتب الثلاثة الأخيرة التى تقدم الحديث عنها حين يجتمع إلى عمق الدراسة وقوة المنطق، ذلك اليسر العجيب وتلك الحركة السريعة فى التفكير وفى الأداء على السواء.

و « شاعر الغزل » — على صغره — نموذج كامل لهذا اللون الحى من الدراسة الناضجة؛ ففى خلال ثلاث وأربعين ومائة صفحة فقط من قطع الجيب، ينتفض « عمر بن أبى ربيعة » من بين ركام الأجيال، حياً نابضاً شاخصاً بسمته وزيه ومزاجه وفنه؛ وينبعث فى حياته على الورق صورة مكتملة لحياته على الأرض؛ حتى ليخيل إليك أنك وشيك أن تلقاه وتصافحه وأن تجلس إليه وتبادله الحديث!

وذلك هو الإبداع! الإبداع الذى يصور « عمر بن أبى ربيعة » فى هذا الحيز الصغير، كما لم يصور قط فى الأدب العربى كله بلا نزاع

* * *

والعقاد فى عملية البعث والإحياء لا يأتى بحادثة واحدة ليست معروفة فى سيرة هذا الشاعر، ولا بقصيدة أو بيت أو شطرة لم ترو من قبل له، ولا يخبر من أخباره أو أخبار عصره لم يدون فى الكتب المتفرقة؛ ولكنه يصنع من هذه الخامات البسيطة المعروفة مادة أخرى جديدة، ويهيئ منها

(*) الحلقة الثانية من سلسلة « اقرأ »

هيكلاً قائماً للعصر وللبيئة وللشاعر ، ثم ينفخ فى هذا الهيكل من روحه ، فإذا هو خلقة سوية ، تحيا وتتنفس كما كانت تحيا وتتنفس من قبل ، فى هذه الدنيا الفانية !

وإنه ليهمنى هنا أن أبرز هذه الحقيقة ، فنحن فى مستهل نهضة فى البحث العلمي والفنى . ولكننى لاحظت على الإنتاج الجامعي الحديث بلا استثناء أنه يتجه إلى السرد والجمع والموازنة ، ولا يتجه مرة إلى الخلق والتكوين والإحياء ، فى تصوير العصور والبيئات والشخصيات ؛ وتلك ظاهرة خطرة ، فإنها تدل على أن عقلية التسجيل والتدوين والجمع هى التى تسيطر على العقلية الجامعية فى مصر . وهذا اللون من البحث ضرورى كما قلت ، ولكنه لا يفى وحده ، ولا بد من اللون الآخر الذى يصور الحياة أو يهب الحياة !

وليس هذا اللون عدواً لذاك ، وإنهما ليجتمعان عند الاقتضاء ، وقد اجتمعا معاً فى كتاب « ابن الرومى . حياته من شعره » للعقاد ، وفى كتاب ذكرى أبى العلاء للدكتور طه حسين على أفضل ما يكون الاجتماع .

إن طبيعة الشخصية التى يقدمها لى المؤلف ولون مزاجها ، وصورة حياتها ، لآثر عندى ألف مرة من جميع الحوادث التى وقعت لها ، ومن جميع المعلومات التى تتصل بها ، وحسبي من الحوادث والمعلومات ، ما يكشف لى عن الطبيعة والمزاج ، وما أتعرف به إلى هذه الشخصية من بين مئات الشخصيات !

***

يتحدث العقاد عن عصر « عمر بن أبى ربيعة » فنحس أن الغزل كان وظيفة ملحة فى هذا العصر تتطلب العضو الذى يقوم بأدائها ، وأنه لم يكن مفر من وجود شاعر غزل يلبى هذه الحاجة ، فكان هذا الشاعر هو عمر بن أبى ربيعة فى هذا الأوان .

كيف أحسسنا بروح العصر هذا الإحساس الواضح الملح ؟ حكاية من هنا ونادرة من هناك ، مما هو معروف مذكور ، ومما يمر به القارئ بين الكتب مرات ، فإذا صورة العصر بارزة واضحة على النحو الذى أراد !

وهنا يقتضينى الإنصاف — وقد ذكرت البحوث الجامعية والعقلية الجامعية بما ذكرت — أن أثبت أن للدكتور طه حسين بحثاً قيماً عن طبيعة العصر الذى عاش فيه عمر بن أبى ربيعة وعن نشأة الغزل وأسبابها فى هذا العصر ، وعن تلوين هذا الغزل بالألوان التى اصطبغ بها إذ ذاك ، فى كتاب « حديث الأربعاء »

وفى هذه الفصول التى عقدها الدكتور عن الغزل وعن عمر ابن أبى ربيعة خاصة يلتقى مع الصورة التى رسمها العقاد حيناً ويختلف حيناً ، ولكنه يرسم على طريقته صورة مكتملة للعصر وللغزل فيه ، هى إحدى الصور التى نتطلبها فى الدراسات الأدبية الناجحة

ثم نعود إلى « شاعر الغزل » فنرى العقاد ينتهى من صورة العصر ومن وظيفة عمر فيه ، ومن حدود هذه الوظيفة ، وهى التعبير عن طبقة خاصة فى العصر لا عن العصر كله على السواء ، ليبحث عن طبيعة غزله ؛ فهو غزل البدوى المتحضر ، غزل الفطرة التى تخلقها الحياة فى مكة ، وقد فارقتها الحكومة والسلطان ، ولم تفارقها الثروة والسراوة

ثم يدلف إلى الحديث عن طبيعة شعره ، فيفرق فى وضوح ويسر تكاد تلمسهما بين طبيعتين من طبائع شعراء الغزل : طبيعة المحب الذى يتوجه بحبه إلى المرأة الواحدة فى الوقت الواحد ، و « يفرزها » بحبه من بين جميع النساء . وطبيعة اللاهى الذى يتغزل فى الأنثيات ، وينصرف همه إلى المناوشة والمعابثة . ويكون عمر من الفريق الثانى حين يكون عروة وكثير وجميل من الفريق الأول . وهو فصل من أمتع فصول الكتاب

هذا المتاع لا يتضمنه ذلك الفصل لأنه يذكر أن طريقة عمر وإخوانه الغزليين غير طريقة عروة وإخوانه المذريين ، ولكن لأنه يوضح الفارق الإنسانى الحاسم بين طبيعة هؤلاء وطبيعة هؤلاء

« لأن علاقة رجل بامرأة واحدة يبقى على حبها زمناً طويلاً أو يبقى على حبها مدى الحياة هى حادث لا يتكرر كل يوم ، ولا بد فيه من عامل الشخصية التى تفرز المرأة من سائر النساء ، ويصح أن يقال : إن هذه العلاقة « إصابة حب » كسائر الإصابات التى يتعرض لها الإنسان فتطول أو لا تطول ، وتصيبه وهو مستعد لها أو تصيبه على غير استعداد ؛ فإنما المهم فى تميزها أنها إصابة عارضة وحادث من عوارض الأحداث

« أما حب الغزل بالنساء عامة فهو مزاج يلازم صاحبه ملازمة الأمزجة للطبائع ولو لم يتصل بنساء معروفات ، فهو مخلوق على هذا المزاج كما يخلق الإنسان بلون من الألوان أو صفة من الصفات »

. . . .

« فالدرستان مختلفتان أيما اختلاف فى مقاييس الشعور ومقاييس الأخلاق ، ولا يجمع بينهما إلا تشابه الكلام فى ظاهره

دون التشابه فى الباعث والاتجاه » . . . الخ

وأحب أن يعود القارئ هنا إلى ص ٣٩٢ من الجزء الأول من « حديث الأربعاء » للدكتور طه حسين ، فسيجد فى هذا الموضوع كلاماً آخر تلذ الموازنة بينه وبين هذا الكلام

ونعود إلى « شاعر الغزل » لنقع على نقطة جديدة كل الجدة لم يطرقها – فيما أذكر – طارق فى اللغة العربية لا عن « عمر بن أبى ربيعة » ولا عن سواه . تلك هى النقطة التى يعرض فيها العقاد لبحث عوامل الاتصال بين « عمر » وبين الأنثيات اللواتى كان يناوشهن بالغزل والحديث ، وبين أشباه عمر وبين النساء فى جميع العصور . فهو يقول :

« وربما رشحه للسبق فى هذه الصناعة جانب أنثوى فى طبعه يظهر للقارئ من أبياته الكثيرة التى تنم على ولع بكلمات النساء واستمتاع بروايتها والإبداء والإعادة فيها ، مما لا يستمرئه الرجل الصارم الرجولة . وأدل من ولعه بكلمات النساء على الجانب الأنثوى فى طبعه أنه كان يشبههن فى تدليل نفسه وإظهار التمنع لطالباته . . . (ثم يذكر الأمثال)

« ولعل جانب الأنوثة فيه لا يظهر من شىء كما يظهر من تدليل اسمه بين تلقيب وكناية وتسمية كما يعهد فى أحاديث النساء ؛ فهو تارة أبو الخطاب ، وتارة المغيرى ، وتارة عمر الذى لا يخفى كما لا يخفى القمر ، وأشباه هذه الأنثويات التى يقارب بها المرأة فى المزاج ويسايرها فى الحديث »

. . . .

« إنما تأتى خبرة ظرفاء المجالس من تقارب الإحساس بين المرأة وبين هذه الطائفة من اللاهين والمتغزلين ، فهم يحسون كما تحس أو على نحو قريب مما تحس ، وهم يشبهونها بعض الشبه فيصدقون فى الحكاية عنها ، والتحدث بخوالج نفسها . وفرق بعيد بين هذا وبين الرجل الذى يعلم طبع المرأة وهو يخالفها فى طبعها ، ويستجيش ضمائرها ، لأن هذه الضمائر تجاوبه مجاوبة الأنثى للذكر ، فيعرف من مجاوبتها كيف تضطرب نفسها وتتقلب هواجسها وخواطرها . هذا يرى أثر الرجل فى طبع المرأة فيعرفه ، وذاك يعرف ما فى طبعها لأن الطبعين غير مختلفين فى جملة الشعور » . الخ

فهذا كلام جديد ، وكلام قيم ، وكلام يفتح العين والنفس على ملاحظة مفيدة للملامح والسمات فى النفوس الإنسانية الكثيرة التى تصادفنا فى الحياة ، والنفوس الإنسانية الكثيرة التى نلقاها فى صفحات الكتب ، لنجد فى هذه الملاحظة لذة وأنساً وحياة

وأحب مرة أخرى أن يرجع القارئ هنا إلى الجزء الأول من « حديث الأربعاء » ص ٣٩٤ ليجد فى هذا الموضوع كلاماً آخر تلذ الموازنة بينه وبين هذا الكلام

وينتهى هذا الفصل بحديث عن الصدق الفنى : ما معناه وما حدوده ، فيبين أوضح بيان أنه شىء آخر غير الصدق الخلقى والصدق التاريخى قد يلتقى معهما وقد لا يلتقى . وأنه فى صميمه هو صدق الحكاية عن « المزاج الخاص » الذى لا يتوب عنه صاحبه ولا يملك الانحراف عنه ولو تاب عن دفعاته وملابساته ، ولو انحرف عن حكاية الواقع إلى حكاية الخيال

وفى هذا الفصل يلتقى العقاد والدكتور فى بعض المواضع ، وإن سار كل منهما على طريقته وطبيعته فى النظر إلى الأشياء ، وفى الحديث عن هذه الأشياء

ثم ينشئ فصلاً عن صناعة عمر ابن أبى ربيعة فنعلم منه أن عمر كان إمام مدرسة فى طريقته ، ولكنه لم يكن إماما فى صناعته ؛ فهو يمثل الطريقة أكمل تمثيل ، وإن لم يساعفه حسن الأداء وكمال الأداة « فالأكثر من شعره يبدو عليه الجهد والإعياء فى تقويم البيت والوصول به إلى القافية » وليس هو من فحول الصناعة الذين « ربما كثر الردىء فى أشعارهم وأربى على الجيد فى معظم الأحيان ؛ ولكن الإتيان بالردىء غير الإعياء الذى يكشف مدى الطاقة وينم على الفاقة »

ويمثل هذه النصاعة يمضى إلى نهاية الكتاب ، فيفرق بين القصة وبين الحوار القصصى الذى عرف به عمر ، ويلقى أشعة أخرى على طبيعة المحب وطبيعة المتغزل وعلى الصدق الفنى والصدق الخلقى والتاريخى . ثم يتحدث عن ذوق عمر فى جمال المرأة ، فإذا هذا كله دراسة من أروع الدراسات النفسية فى إطار فنى جميل ، وإذا هى خلاصات من تجارب العقاد وحياته الفنية وذوقه الإنسانى . ثم يعقد فصلاً لنوادر عمر وأخباره ، وفصلاً لمختارات من شعره ، يشترك كلاهما فى تلوين صورة الشاعر وتوضيح سماتها ، وإطلاق الأبخرة المناسبة فى جوها ، حتى تكتمل لها جميع عناصر الحياة !

***

ثورة فى الأخـــلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

[تتمـة]

على أنه ما بالكاتب من حاجة إلى الإلحاح فى بيان أن هذا الزهد البالغ الذى يدعو إليه مذهب الغزالى ومن نحا نحوه لا يتفق والدين والعقل، وأنه من معوقات الأمة عن النهوض. لا يحتاج الكاتب لشىء من هذا، فإننا شغلنا بالدنيا حتى لا يخطر لنا الزهد فيها على بال، ولكنا فى حاجة لبيان أن بعضاً من الفضائل التى دعت إليها تلك المذاهب وأكبرت من شأنها لا تعد اليوم من الفضائل فى شىء، بل بعضها انقلب بسوء الفهم والتطبيق إلى رذائل، وصار أحجار عثرة فى طريقنا للرقى والنهوض. وحسبى أن أمثل لهذا بصفة القناعة

لقد اتفقنا منذ عصور طويلة على أن القناعة فضيلة، وقلنا فى بيان مكانتها إن القناعة كنز لا يفنى، فكانت العاقبة شراً ووبالاً على الشرق ومنه مصر!

قنع الفلاح بغلة ما ورثه من الأرض فلم يغير - إلا قليلاً - من طرق استغلاله لما يملك، ولم يعمل بجد على تنمية ثروته، قانعاً بما يرزقه الله من دخل لا يزيد عن معيشته معيشة الكفاف!

وقنع الصانع بأجره اليومى الذى لا يرتفع به فى حياته إلا قليلاً عن مرتبة الحيوان، فلم نجد من صناعنا إلا خولا وأجراء لأصحاب الأعمال الغربيين الذين وضعوا أيديهم على أكثر موارد ثرواتنا، والذين استغلوا ما يحيط بنا من صحارى فيها الزيت والحديد والذهب والمعادن الأخرى!

وقنع جمهرة تجارنا بالربح الزهيد الذى يتبلغون به من يوم ومن عام لآخر، فقل منهم المغامرون أصحاب المتاجر الضخمة الواسعة!

وإذا تجاوزنا الحياة المادية للحياة المعنوية، وجدنا الحال أمر وأدمى للألم. فقد قنعنا بما ورثنا عن الأسلاف من علم فلم نحاول أن نزيد فيه، بل لم نعمل على تمحيصه! وإنما قنعنا بما وصل إلينا من كتب ومؤلفات، فأقبلنا على دراستها دون أن نجعلها أساساً نبنى عليه، حتى صار منا ونحن فى القرن الرابع عشر الهجرى من يعيش بعقلية القرون الوسطى! كما قنع التلاميذ بالفهم السطحي دون العميق، وبالنجاح فى الامتحان دون العمل للعلم لأنه فى ذاته حسن وجميل وعامل من أقوى العوامل على المعيشة فى عز وكرامة وسعادة! ولا أظننى مبالغاً فى شىء من هذا الذى أقول! وإلا فأين ما تخرجه هنا دور الطباعة من المؤلفات فى العلوم التى نقرأها ونتدارسها منذ مئات السنين؟ لكم تمنيت أن ناراً تنزل من السماء فتاتهم أكثر ما نملك من أسفار قديمة، على ما فيها من خير كثير ليكون ذهابها حافزاً لنا على الإنتاج فى العلم، وعلى التخلص من الآثار الوبيلة لما جره علينا اعتقادنا بأن القناعة من الفضائل! فقد أمات هذا الاعتقاد منا الهمم والعزائم، وكان عاملاً من عوامل التثبيط والركود، وسبباً من أسباب وقوف أولياء أمورنا فى السياسة والإدارة والعلم عند حد عدم النزول عن المستوى الموجود الذى يقنعون به، ويقولون فى أنفسهم حسبنا أن تسير القافلة فيما رسم لها من طريق قبل أن نلى ما ولينا من أمور هذا البلد!

وأخيراً، لست أدعو بهذه الكلمة إلى أن يكون المرء شرهاً لا يقف عند حد فى رغباته، فهذا أيضاً رذيلة كالقناعة بالدون سواء بسواء، إنما أدعو إلى أن نتأسى بالرسول الكريم والصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، فنبذل الجهد فى طلب كل ما يمكن من خير لأنفسنا وأمتنا، مستغلين فى هذا خير استغلال ما وهبنا من قوى مادية ومعنوية فى سائر نواحى الحياة، ثم بعد ذلك نقنع بما نصل إليه بعد طرح الكسل وبذل المجهود، فى هذا خير الدين والوطن والسعادة الخاصة والعامة. هكذا كان صنيع الصحابة الراشدين حين لم يقنعوا بالعيش آمنين فى جزيرة العرب، وتعدوها إلى ممالك الروم والفرس ففتحوا منها ما شاء الله، وعاشوا أعزة سعداء، ضاربين لمن أتى بعدهم وللعالم أجمع فى هذا أحسن الأمثال. والله يهدى للرشد، ومنه الخير والتوفيق والسداد

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

أحب أن يقرأ الناس هذا الكتاب للعقاد، وأن يقرأوا معه «حديث الأربعاء» للدكتور طه حسين، فسيجدون فيهما طبيعتين وطريقتين: طبيعة التعمق وطبيعة الاستعراض؛ وطريقة التحليل وطريقة التصوير. وسيرون كلا من هاتين الطبيعتين والطريقتين تلازم صاحبها فى كل ما يكتب، فهي أصيلة فى خلقهما أصالتهما فى فنهما، وإن كان لكل منهما وزنه الذى لا يتسع المجال له هنا، بقدر ما أرجو أن يتسع له فى كتاب!

سيد قطب

معـــــركة الآزور

للشاعر الانجليزى ألفريد تنيسون

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة

تقديم

فى عام ١٥٥٨م توفيت « مارى تيودور » ملكة انجلترا الكاثوليكية التى كانت زوجاً لفيليب الثانى ملك أسبانيا . وتولت بعدها عرش انجلترا أختها من قبل أبيها الملكة اليصابات (وهى ابنة هنرى الثامن من زوجته آن بولين) . وكانت اليصابات تعتنق المذهب البروتستانتي فى اعتدال ؛ وقد حاولت خلال حكمها إرضاء الكاثوليك والبروتستانت على السواء ، فأثارت بذلك حفيظة أسبانيا وفرنسا وغيرهما من الأقطار الكاثوليكية

وزاد فى توتر العلاقة بين انجلترا وأسبانيا عوامل أخرى متعددة : منها رفض الملكة اليصابات التزوج من فيليب الثانى ملك أسبانيا ، وقد عرض عليها ذلك عقب وفاة الملكة مارى ... ومنها ما كان من انحياز انجلترا إلى ثوار الأراضى المنخفضة ضد أسبانيا ، وإيوائها الأغنياء منهم ممن خلصوا إليها عبر القنال بأموالهم وثرواتهم وكل ما تيسر لهم حمله

يضاف إلى ذلك قصة : مارى استيورت ملكة اسكتلندا الكاثوليكية ، تلك التى لاذت بانجلترا عام ١٥٦٨ م عقب ثورة الشعب الاسكتلندى ضدها ، فقضت هناك عشرين عاماً شبه أسيرة ؛ ثم ظهر من دسائسها ضد الملكة اليصابات ، وكانت مارى استيورت وريثها الشرعية على عرش انجلترا ما استوجب التخلص منها بالإعدام عام ١٥٨٧م ؛ فقد أثار هذا التصرف ثائرة فيليب الثانى وحفزه للعمل . وكانت قوة انجلترا البحرية خلال هذه الحوادث المتلاحقة تنمو فى اطراد ، وقد نشط البحارة الإنجليز فى جوب البحار بحثاً عن كنوز الذهب والفضة التى سبقهم إلى اكتشافها الأسبان ؛ أو اقتناصاً للسفن الأسبانية العائدة بهذه النفائس من مستعمراتهم فى العالم الجديد .

وفى عام ١٥٨٨ م سحق الإنجليز قوة أسبانيا البحرية بتحطيمهم الأرمادا التى حشدها فيليب الثانى لغزو بلادهم ، فرجحت كفتهم فى البحار رجحاناً زاد على مدى الأيام ظهوراً

وبعد معركة الأرمادا بثلاثة أعوام حدثت موقعة الآزور (أغسطس ١٥٩١م) التى سجلت للانجليز صفحة خالدة من البطولة فى عالم البحار .

فقد صارعت فيها سفينة واحدة صغيرة ، ثلاثا وخمسين سفينة إسبانية كاملة العُدة والعدد ، فى ملحمة استمرت خمس عشرة ساعة لا يعتورها فتور .

وقد أوحى هذا الحادث إلى كتّاب الإنجليز وشعرائهم قديماً وحديثاً ، بما لا تستوعبه المجلدات الضخمة من فائق المنثور ورائع المنظوم .

ومن أشهر مَن كتب فى ذلك : السير والتر رالى (١٥٥٢ – ١٦١٨م) ؛ وجيمس أنتونى فرويد (١٨١٨ – ١٨٩٤) ؛ وروبرت لويس ستيفنسون (١٨٥٠ – ١٨٩٤) ، ثم شاعر التاج لورد آلفرد تنيسون (١٨٠٩ – ١٨٩٢) ونحن نترجم هنا قصيدة هذا الأخير التى نظمها بعنوان (The Revenge : الانتقام) – وهو اسم السفينة التى أبلت هذا البلاء – مجتزئين بتفاصيل القصيدة الرائعة عن الإفاضة فى هذه المقدمة أكثر مما أفضنا ؛ معتمدين – فى إيضاح بعض الحقائق فقط – على ما أورده الكتّاب الثلاثة الذين أشرنا إليهم ، ولا سيما أولهم : والتر رالى ، فهو من معاصرى السير ريتشارد جرانفيل بطل المعركة ، بل هو أحد مواطنيه من إقليم ديفون ، وذوى قرابته الأدنين . . .

ترجمة القصيدة

كان السير رتشارْدْ جرانفل مرفئاً بسفينته إلى جُددَة[1] من جدد شاطئْ الفلورز إحدى جزر الخالدات[2] ، عند ما أقبل زورق ذو مجاديف يهوى من بعيد كأنه الطائر يزف بجناحيه . وارتفع صوت من داخله يقول : السفن الحربية الأسبانية تمخر العباب ... لقد رأينا منها ثلاثاً وخمسين !

(١) الجدة والجد ، بالضم : الموضع الذى ترفأ فيه السفن

(٢) Azores Islands مجموعة جزر فى المحيط الاطلنطى عند ملتقى خطى ٣٩ شمالا و ٢٧ غرباً . استكشفها البرتغاليون عام ١٤٤٧ م

فهتف لورد توماس هُوَارد قائلاً :

ليشهد الله أنى لست بالجبان ، ولكنى لا أستطيع أن ألقاهم على هذه الحال ، فأسطولى على غير أهبة ، ونصف رجالى قد نهكتهم العلل . حقيقٌ بى أن أعرِّد عن لقائهم ولكن لأقتفى آثارهم فى أقرب حين ... إن لدينا ستا من السفن المقاتلة ، فهل نستطيع أن نناجز بها ثلاثاً وخمسين ؟[1]

عندئذ تكلم سير رتشارد جرانفيل قائلاً : أعرف أنك لست بالضَّرَع ولا الجبان ، وأنك لا تنحاز عنهم لحظة إلا لتعود إليهم من قريب ، فتزلزل أقدامهم وتطيش سهامهم . أما أنا فلدى تسعون مريضاً ونيفاً قد استلقوا على الشاطئ القريب يعالجون غصة الداء ؛ وساعدَ نفسى الجبانَ ، يا سيدى لورد هوارد ، إذا أنا تخليت عنهم لهذه الطغمة من أوغاد محاكم التفتيش ، وشياطين أسبانيا المتمردين ...

... وهكذا انسحب لورد هوارد بخمس من السفن الحربية في ذلك اليوم ، وانطلق موغلاً فى اليم حتى ذاب كما تذوب السحابة فى صفحة الأفق الغارق فى الصمت ، المتشح بالدفء والسكون . أما سير رتشارد فقد حمل من الشاطئ رجالَ سفينته الأعِلاء ، من مواطنيه أبناء بدفورد فى إقليم ديفون . وأضجعهم برفق تام وعناية بالغة فوق الهواجل[2] من قاع السفين ، فراحوا يدعون له ويباركونه فى ساعات آلامهم الممضة على أن انتاشَهُم من هذه المحنة ، فلم يتركهم فريسة للأسبان يمثلون بهم أشنعَ التمثيل ، ويسومونهم بمعدات نكالهم سوء العذاب

* * *

كان لديه مائة من البحارة لا أكثر ، عليهم أن يضطلعوا بإدارة السفينة وتدبير القتال معاً ؛ فأقلع مبتعداً عن الفلورز حتى أصبح على مرمى البصر من الأسبان الذين اعترضوا مهب الريح إلى سفينتنا بقصورهم العوائم الفخمة وجواريهم المنشئات كالأعلام . وارتفع صوت منا يقول :

ألا أخبرنا يا سير رتشارد ، أنكرٌ أم نفيرٌ ؟ ... إن اشتبا كنا فى هذا القتال لا يعنى غير الهلاك ؛ وما نحسب أنْ سيكون منا فى عداد الأحياء إلا القليل عند ما تجنح شمس هذا النهار إلى مغربها .

وتحدث سير رتشارد مرة أخرى فقال : نحن جميعاً من أبناء انجلترا الأمجاد وفتيانها المصاليت ؛ فدعونا نسدد الطعن وَخْضاً إلى هذه الكلاب (الإشبيلية) الخواسئ ، أبناء الأبالسة ونسل الشياطين . . .

لا جرم أنى حتى اليوم لم أُولِّ الأدبار أمام أحد اثنين : دُونٍ Don أو شيطان !

نطق السير رتشارد بهذا ثم افتر فمه عن ابتسامة ساخرة . وانفجرنا جميعاً نهتف فى صوت مدوٍّ : مرحى ، مرحى ! ... وهكذا صمدت « الانتقام » صمْدَ عدوها دون محاشاة ، وعلى ظهرها مائة مقاتل ، وفى جوفها تسعون مريضاً قد أداءتهم العلل وبرَّحت بهم الأسقام .

وانشعب الأسطول الأسبانى حول « الانتقام » شطرين راحا يكتنفانها عن يمين وشمال ، بينا اندفعت هى فى الشقة الضيقة من الماء بينهما لا تلوى على شىء . وشهدنا ألوفاً من جنودهم قد أوفوا علينا من ظهور سفائنهم وهم يضحكون ، وألوفاً آخرين من بحارتهم يسخرون من المركب الصغير الذى ركب فيما زعموا متن الغَرر ، وأقحم نفسه بلقائهم المتالف . وراحت « الانتقام » تندفع وتندفع ، وتوغل فى تقدمها وتوغل ، حتى بجدت فى موضعها ما تريم ؛ وقد سدت عليها السبيل خليَّتهم الضخمة (سان فيليب) تلك الناهضة كالطود الشامخ ، والحاملة جُماء ألف من الأطنان وخمسمائة . فقد أوفت علينا بهيكلها الرائع من علٍ مصوِّبةً نحونا صفوفاً من المدافع فاغرات الأفواه ، وصرفت وجه الريح عن أشرعتنا فوقفنا مُبلسين[2] .

(البقية فى العدد القادم)

محمود عزت عرفة

(١) لورد توماس هوارد هو قائد الأسطول الأعلى على عهد الملكة اليصابات وقد كان لديه — عدا ما ذكر — ست سفن أخرى صغيرة للتموين ، وزورقان أو ثلاثة من زوارق الاستكشاف الخفيفة ، يقود أحدها الكابتن مدلتون ، وهو الذى جاء منذراً باقتراب العمارة الأسبانية

(٢) الهوجل : الحجر يثقل به الزورق أو المركب

(١) كانت سان فيليب من عظام السفن ، تحمل ثلاثة صفوف من المدافع الجانبية يتألف كل منها من إحدى عشرة قطعة . وفى مقدمها ثمانية مدافع فضلا عن مدافع المؤخرة .

من شجو الربيع

أغاني غرام

[إلى ... ...]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

أنينُ الليلِ يُشجيني   ونَوْحُ الريحِ يُبكيني
هُناكَ صدًى يُناديني   ورُوحٌ رفَّ يدعُوني
أأنتِ هُنا ... ؟ أجيبيني !

جمالُكِ ذلكَ الفاتِكْ   إلهٌ شعَّ مِنْ ذاتِكْ
خُذيني بينَ راحاتِكْ   وطيري في سماواتِكْ
وأفنيني ، وأحييني !

وسحرُكِ يسرقُ الآجالْ   ولوْ يسكنْ طيفَ خيالْ
شربتُ بكأسِهِ القتّالْ   شقاءَ العمرِ والأهوالْ
وأوهامَ المجانينِ !

عبدتُكِ فتنةً كُبرى   عشقتُكِ كرمةً سكرى
رأيتُكِ هالةً حيرى   سمعتُكِ نغمةً حرّى
تهيجُ دمي ، وتكويني !

سعيرُ دمي بكفّيكِ   تضرّعَ والهاً يبكي
وجاءَ لنورِ عينيكِ   يُذيبُ مرارةَ الشكِّ
أذيبيها ... أذيبيني !

أنا الأشواقُ في جسدِكْ   أنا النيرانُ في كبدِكْ
أنا الماضي حريقُ يدِكْ .   أنا الآتي رحيقُ غدِكْ
وجودُكِ سرُّ تكويني ...

دعي أيامَنا تجري   بما تهوى منَ الأمرِ
فإنَّ الدهرَ لا يدري   غرامَ النارِ بالجمرِ
فكيفَ بما تذيقيني ؟!

دعيني طيرَ جنّاتِكْ   أُسبّحُ في خميلاتِكْ
وأسبحُ في صباباتِكْ   هوًى يجري بآهاتِكْ
ويفنى في الرياحينِ !

على شفتيكِ أنهارْ   مُحرّمةٌ ، وأنهارْ
وفي عينيكِ أسرارُ   وإبريقٌ ، وخمّارُ
فما لكِ لا تُروّيني ؟!

لِمَنْ إلّا لقيثارِكْ   يُوسوسُ موجُ أنهارِكْ ؟
أنا الظامي لأنوارِكْ   أنا الباكي لأزهارِكْ
فليتَ شذاكَ يطويني !

عشقتُكِ ... والهوى غلّابْ   نشيداً في دمي ينسابْ
فصوتُكِ كانَ همسَ ربابْ   وكانَ حفيفَ خمرٍ ذابْ
على كبدي ليُشجيني !

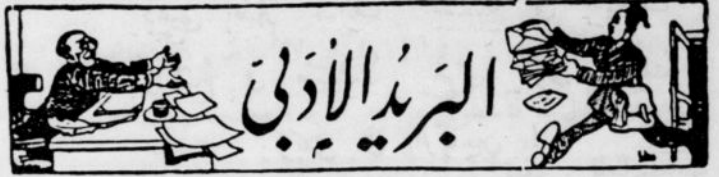
وكنتِ كزنبقِ الأسحارْ   شذاهُ يُحيّرُ الأسرارْ
إذا ناشدتُكِ الأشعارْ   ضللتُ ، وضلّتِ الأوتارْ
بأيِّ صدًى تُناجيني !

وكنتِ كآيةٍ عُليا   شُغلتُ بها عنِ الدنيا
تُطلُّ بنورِها وحيا   وتنشرُ سحرَها رؤيا
عنِ الأهوالِ تُلهيني !

وكنتِ صلاةَ أحزاني   وكنتِ متابَ عصياني
وكنتِ ربيعَ أكواني   إذا ما الدهرُ أظماني
يُعاندُهُ ، ويسقيني !

وكنتِ الشجوَ والأحلامْ   وكنتِ الدمعَ والأسقامْ
وكنتِ متاهةَ الأوهامْ   وكنتِ مضلّةَ الأيامْ
تُحيّرُني وتهديني !

وكنتِ الخمرَ والأقداحْ   وكنتِ الليلَ والإصباحْ
وكنتِ الصمتَ والإفصاحْ   وكنتِ على يدي جراحْ
أُقلّبُها فتُدميني !



إلى الأستاذ سيد قطب

لست أدرى يا أخى كيف قرأت شهرزاد وكيف فهمتها ؟ ألم تقف قليلاً عند المنظر الخامس من تلك المسرحية الفاجرة ؟ أكبر الظن أنك نسيت هـذا المنظر فارجع إليه لتغير رأيك ، ولتعذرنى فيما أوردت من الألفاظ التى تحرجت من إيرادها فى صلب المقال نفسه الذى جعلت أنت مادته من تلك الألفاظ .

يا أخى :

لقد خجلت الرسالة من إثبات ما نقلته من هذا المنظر فحذفته من مقالى وإن تكن قد أوردت منه القليل الذى يغنى عن الكثير ، فلماذا فعلت ذلك ؟

يا أخى :

هل تذكر « بالضبط » متى أطلق الأستاذ الحكيم على نفسه لقبه الخالد « عدو المرأة » ؟ وهل تذكر لماذا راح الأستاذ يباهى بهذا اللقب ؟

يا أخى :

متى نصبت من نفسك مرشداً عاما للناقدين فتبصرهم بآداب هذا الفن ؟ ومن ألقى فى روعك أنك إمام هذه الصناعة فى العصر الحاضر ؟ وكيف تظلم رجلاً أن يقول إن شهرزاد الأستاذ الحكيم خطر أخلاق يجب أن يحارب بأقذع مما قلت فيها ؟ هل نسيت بهذه السرعة نضالك الرائع عن أدب القوة ممثلاً فى شخص الأستاذ العقاد ؟

يا أخى :

إن ما أوردت من أننى حديث العهد بالعمل تحت رئاسة المستشار الفنى وأنك قديم العهد به هو صغار لم أكن أوثر لك الإنزلاق إليه أو الوقوع فيه ، لأن جميع القراء فهموا ما أردت أن تكسر عليه قصدك ، وتلوى به كلامك ... على أن قدم عهدك هـذا لم ينفعك فى ذاك الموقف الذى أدميت فيه كرامة كان الأولى أن تصان ، ألا فلتعلم إذن أننا تلاميذ الأستاذ وحواريوه منذ أكثر من ربع قرن من الزمان ... وأننا كنا نقف من حوله صفاً فى زمن الأزمات التى كانت الجن تشفق من مظاهرته فيها فكنا نشرع للذود عنه أقلام الملائكة فى أوجه الطغاة . ولولا أن شيئاً مما كتبناه فى ذلك لا يصح أن ينشر اليوم ، لأن الفتنة نامت، والقلوب صلحت . لأذعته عليك .. ولكنه هنا ... تحت يدك ... فإن شئت أطلعتك عليه ... على أن رأيك فى الأستاذ طه رأى فج فطير ، وأنا أعرف به منك . وأنا ما كتبت الذى كتبت إلا وأنا عالم بأني مستثير سخطه ، بل منته إلى تبرمه . على أنه سواء عندى أسخط أم رضى ، فقد أصبحت قضية اليوم قضية الأخلاق وقضية الأدب فى وقت معاً . ولما كنت لا أحسن التسلق على أكتاف الأبطال كما

وَكنتِ المَوْجَ وَالشُّطآنْ وَكنتِ الْجُرْحَ وَالسُّلْوَانْ
وَكنتِ النَّایَ وَالألحَانْ وَكنتِ الذِّكْرَ وَالنِّسْيَانْ
عَلَيْكِ الدَّهْرُ يَطْوِينِى !
وَكنتِ شُجُونَ أيَّامِى وَكنتِ جُنُونَ أحْلَامِى
وَكنتِ غَدِيرَ إلْهَامِى وَكنتِ هَدِيرَ أنْغَامِى
يُفَجِّرُنى وَيُبْلِينِى !
وَكنتِ عَيَاهِبَ الآفَاقْ وَكنتِ تَوَهُّجَ الأعْمَاقْ
وَكنتِ تَمَرُّدَ الأشْوَاقْ وَكنتِ تَحَيُّرَ الأحْدَاقْ
أدُورُ بِهَا فَتَغْوِينِى !

وَكنتِ ضُحَى وَإشْرَاقاً وَكنتِ هَوًى وَأشْوَاقاً
وَكنتِ سَناً وَإبْرَاقاً وَكنتِ مُنًى وآفَاقاً
بِنَارِ هَوَاكِ تُغْرِينِى !
وَكنتِ وَكنتُ...ظِلَّيْنِ نُرَفْرِفُ فى خَمِيلَيْنِ
نَعِيشُ بِقَلْبِ طِفْلَيْنِ عَلَى الدُّنْيَا غَرِيرَيْنِ
كأطْيَارِ البَسَاتِينِ ...
وَدَارَتْ بِالْهَوَى الأحْلَامْ فَعَادَ صِبَاهُ نَعْشَ غَرَامْ
وَعُدْتُ أنُوحُ بِالأنْغَامْ كأنِّى مِنْ يَدِ الأيَّامْ
طُعِنْتُ بِحَدِّ سِكِّينِ !!

تعود أناس آخرون . فسيان عندى إن عملت تحت رئاسة المستشار الفنى ، أو تحت رئاسة أحد نظار المدارس الأميرية كسابق عهدى . وإن لى لقلماً وإن لى لآثاراً تغنينى عن التشبث بهذه المظاهر الجوفاء ، ورغم أنف من رغم

دربنى خشبه

تأييد الاسكندر من السماء عند اليهود

اختلف المؤرخون فى ديانة الإسكندر اختلافاً كبيراً ، وعندى أن أسوأ تقدير فى ديانته لا يمنع أن يكون هو ذا القرنين المذكور فى القرآن الكريم ، لأنه بقطع النظر عن ديانته كان فاتحاً عظيماً ، وقد ابتدأ به التاريخ عهداً جديداً فى سير الفاتحين ، فلم تكن فتوحه كفتوح الملوك قبله ، إذ كانوا جميعاً يدمرون البلاد ، ويهلكون الأمم (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أما الإسكندر فكان كلما فتح مملكة أسس فيها وجدد ، وبنى وشيد ، وأوجد وسائل العمران ، وأحيا قلوب أهالى البلدان . وكان يرمى بفتوحه إلى غرض عظيم ، وهو أن يجعل من شعوب الأرض أمة واحدة لا فرق فيها بين شعب وشعب ، وقد ألف بهذا بين الشعوب الأوربية والأسيوية ومزج بعضها ببعض ، فتعرف كل فريق روح الآخر فى العلم والحكمة والعادات والأخلاق ، ونشأ من ذلك حضارة جديدة أرقى من الحضارات التى سبقتها ، ومثل هذا يستحق التنويه بقطع النظر عن ديانة صاحبه ، ولا شىء فى أن ينوه القرآن الكريم به

ومن المهم هنا أن نبين رأى اليهود الذين سألوا عن ذى القرنين فى ديانة الإسكندر ، فقد ذكروا أنه لما قصد أورشليم لفتحها سار فى بعض الطرق فرأى رجلاً بهيًّا لابساً ثياباً بيضاً ، وبيده سيف مثل البرق اللامع ، وهو يشير به إليه كأنه يريد قتله ، ففزع منه وعلم أنه ملاك مرسل من الله تعالى ، فسقط على وجهه وسجد ، وقال : يا سيدى لماذا تقتل عبدك ؟ فقال : لأنك تريد أن تمضى إلى القدس لتهلك كهنة الله وأمته ، وأنا الملاك الذى أرسلنى الله لنصرتك على الملوك والأمم . فقال الإسكندر : يا سيدى ، إغفر لعبدك فقد أخطأت ، وإن كنت لا تشاء أن أسير فى طريقى فإنى أعود إلى بلادى . فقال له : أما وقد استغفرت عن مأثمك فلا ترجع ، وإذا وصلت إلى أورشليم ورأيت رجلاً على صورتى ، فانزل عن فرسك واسجد له ، واقبل جميع ما يأمرك به . فمضى الإسكندر فى طريقه إلى أورشليم ، ولما وصل إليها قابله كاهنها على صورة ذلك الملاك ، فنزل الإسكندر عن فرسه وسجد له وسلم عليه وعظمه ؛ وحمل إلى بيت الله مالاً كثيراً ، ثم سأل الكاهن أن يتوسل إلى الله فيما عزم عليه من محاربة داريوس ملك الفرس ، فقال له : أيها الملك ، إمض فى طريقك فإن الله معك ، وهو يظفرك بداريوس ومملكته . وقد سار الإسكندر بعد ذلك فى فتوحه إلى أن ملك أقاليم الدنيا السبعة (تاريخ يوسيفوس ص ٢٦ — ٣٨)

فالإسكندر عند اليهود كان ملكاً يشبه أن يكون نبياً ، وقد جاب الدنيا غرباً وشرقاً حتى ملك أقاليمها السبعة ، ولا شك أن هذا يتفق كل الاتفاق مع الشخص الذى ذكره اليهود فى سؤالهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، ويتفق كل الاتفاق مع ما جاء عن ذى القرنين فى القرآن الكريم ، وهكذا نجد الاتفاق بينهما قريباً على أى وجه فرضناه ، ولست أرى بعد ذلك وجهاً لإعادة الكلام فيه

عبد المتعال الصعيدى

حول ذكرى السيد جمال الدين

أشكر للأستاذ محمود أبو رية ما نوه عنى فى بريد « الرسالة » بيد أنى لا أتفق معه فيما ذهب إليه وسماه رعاية لحرمة الأمانة العلمية . ذلك لأنى لست من تلامذة الفيلسوف « جمال الدين » — وليتنى كنت منهم — وإنما حز فى نفسى أن ينسى الشرقيون عباقرتهم فى سرعة مخزية ، فذكرتهم علهم يذكرون ، وعرضت عليهم صورة قبست خطوطها مما قال عنه معاصروه ، ونسيت — وهذا يؤسف حقًّا — أن أذكر المرجع الذى عنه أخذت

محمود شاكر

رواية الأصمعى وحماد لشعر زهير

قرأت فى العدد ٢٢٢ من « الثقافة » كلمة للأستاذ الفاضل « قاف » تحت عنوان : الأدب المنحول ؛ أورد خلالها قصة فحواها أن الرشيد سأل حماداً الراوية عن المقصود من قول زهير « دعْ ذا وعدِّ المدحَ فى هرِمٍ »

فاصطنع حماد « بيتين » نسبهما إلى زهير ، وزعم أنهما أول قصيدته وأنهما المشار إليهما بقوله : دع ذا ... الخ

ثم أعاد الرشيد السؤال على الأصمعي للتثبت من صحة قول حماد فأجاب : بل هذا أول مقالة زهير ، ولعله كان مشتغلاً بأمر في نفسه أو مع غيره حين بدا له أن ينشيء في مدح هرم ؛ فكان أن قال « مبتدئاً غير منقطع مما كان فيه » : دع ذا وعد المدح في هرم . إلى آخر ما قال

ونحن نسجل هنا أن الرواية بهذا الوضع دليل على غفلة حماد والأصمعي ، وقلة تثبتهما من قصيدة زهير ، إذ البيت المذكور وهو بتمامه :

دَعْ ذا وعد المدحَ في هرِمٍ   خيرِ البُداة وسيدِ الحَضَر

يقع الرابع من قصيدة رائية لزهير يقول في مطلعها :

لمن الديار بُقنةِ الحجر   أقوينَ من حجج ٍ ومن شهْر؟

وهذه رواية الأعلم الشنتمريّ (٤١٠هـ – ٤٧٦هـ) وهو أشهر من جمع ديوان زهير وقام على شرحه

على أنه إن صحت إجابة الأصمعي كان معنى ذلك أن الأبيات الثلاثة الأولى – لا بيتين فقط – من نظم حماد الراوية دون زهير

ونحن لا نميل إلى الأخذ بهذا الرأي ، لما نلحظه من شدة التواؤم بين الأبيات جميعاً ؛ ثم لأن القصة نفسها تشير إلى أن حماداً أجوبه بمقالة الأصمعي فأقر بزلته واعتذر ، وأذيع أمر ما كان منه في مربد البصرة ، فلم يبق إذن مجال لرواج كذبته ونفاق أبياته المصطنعة على رواة شعر زهير وشارحي ديوانه ممن جاءوا بعد ذلك .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

انصفوا المعلم الإلزامي

الأستاذ الجامي مسئول عن كل ما يقول لأنه موضع الالتفات في كل ما يقول . ومن ثم فلا بد لنا من الرد على قولة محمد الله على أنها لم تك مدعمة بالأسانيد ولم تك صادرة عمن لابس التعليم الإلزامي وسبر أغواره ...

فلقد راعنا حقاً أن يقوم في محاضرة عامة الأستاذ توفيق الطويل مدرس الفلسفة بجامعة فاروق فيطلق حكما غريباً جريئاً على التعليم الالزامي إذ يقول : « إن التعليم الإلزامي يجب أن يلغى فما له من نفع ولا فائدة ... » لا . لا يا سيدي الأستاذ فما بمثل هذه الأحكام المرسلة تعالج مشكلة التعليم الإلزامي

ولقد والله شهدت للتعليم الإلزامي تلك الأزاهير اليانعة من أطفال النيل التي فتحتها يد السحر من التعليم الإلزامي فانتقلت من الظلام إلى النور ، فما من طفل في الريف إلا وهو يقرأ أو يكتب . . . وما نريد ممن يقيده الفقر عن إتمام أقل مراحل التعليم سوى أن يحسن القراءة والكتابة حتى يخلص من مشاكل الجهل بهما

وثمة ناحية أخرى يا سيدي وهي أن للمعلم الإلزامي فضلاً آخر يتمثل في صورة القدوة الحسنة في روعة النظافة ودقة النظام . وإننا لنحمد الله على أن أكابر كتابنا الاجتماعيين وخاصة في «الرسالة» التفتوا إلى فضل المعلم الإلزامي ؛ فقد كتب الأستاذ الكبير الزيات مقالاً صادقاً جعل فيه المعلم الالزامي « جندياً مجهولاً » كما شهر الأستاذ الفاضل العقاد قلمه مدافعاً عنه

وبعد فما نظن أن هناك من ينكر فضل هذا الجندي المجهول ممن يقيمون الأحكام على أسس من الاختبار والاستقراء .

حسني محمود البشبيشي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 511 — Lundi - 19 - 4 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥١١ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٩ أبريل سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
٣٠١	القراءة في زمن الحرب ...	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٣٠٤	روحانية الحياة المدرسية	الدكتور زكي مبارك ... ...
٣٠٧	قضيـة اليوم	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٣١٠	إلى تاج العراق [قصيدة]	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٣١١	« سليمان الحكيم » لتوفيق الحكيم	الأستاذ سيد قطب ... ...
٣١٣	بناة القاهرة المسلمون ...	الدكتور محمد مصطفى ..
٣١٦	معركة الآزور	للشاعر الانجليزي ألفريد تنيسون بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة
٣١٨	إقتراح مقدم إلى المجمع اللغوي في ضبط الخلاف بين العربية والعامية	(.) ... ...
٣١٨	جائزة فاروق الأول في مباراة الشعر والقصة	... ...
٣١٨	حـول مسقط رأس السيد جمال الدين	الأستاذ محمود شلبي ... ...
٣١٩	حـول « معركة الآزور »	الأستاذ محمد خليفة التونسي
٣٢٠	هل ذلك من توارد الخواطر ؟	الأديب مختار العبادي ...
٣٢٠	ديوان أغاني البحيرة ...	الأديب حسين محمود البشبيشي
٣٢٠	« كرنا » لاتينيـة وليست فرنسية	الأديب صموئيل كامل عبد السيد

القراءة في زمن الحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

هل للاقبال على القراءة في زمن الحرب أسباب حقيقية ؟ وإن كانت لها أسباب حقيقية فما هي ؟ وكيف يستفاد من هذا الإقبال خير فائدة ؟

تلك بعض الأسئلة التي استخلصتها من خطاب مطول في هذا الموضوع ، وأحسبه من أحق الموضوعات بالدراسة في الوقت الحاضر ، لأنه موضوع القراءة الذي تنطوي فيه سائر الدراسات

فأما أن الإقبال على القراءة له أسباب حقيقية فذلك ما ليس فيه شك ولا يحتاج إلى بينة

إذ كل شيء حاصل فله لا محالة أسبابه الحقيقية ، وإلا لم يحصل ولم يكن له وجود ، وإنما يجوز الخلاف في دوام هذه الأسباب وزوالها ، أو في قوتها وضعفها ، أو في خلوصها وما قد يشوبها من العوارض الغريبة عنها

فأما أنها حقيقية فذلك أمر لا محل فيه لخلاف

والأسباب التي تدعو إلى الإقبال على القراءة في هذه الفترة كثيرة لا تنحصر في ناحية واحدة ، وقد تنحصر في جملة الأسباب التالية

فنها أن البريد الأوربي لا يحمل إلى مصر كل ما كان يحمله إليها من الكتب والصحف والمجلات من معظم البلدان

فقد كان يرد إلى مصر بريد حافل بهذه المطبوعات فى كل أسبوع ، وكان له قراء مثابرون على مطالعته كلما وصلت رسالة من رسالاته . فانقطع بعض الذى كان يصل من فرنسا وبلجيكا وإيطاليا وألمانيا ، وقل وصول بعض الذى كان يصل من انجلترا وأمريكا ، وتحول قراؤه إلى مراجع أخرى يشغلون بها وقت القراءة ، ومعظمها من المراجع العربية الحديثة أو القديمة

ومن تلك الأسباب أن الصحف اليومية كانت منها صحف تصدر فى أربع وعشرين صفحة أو عشرين ، وصحف تصدر فى ست عشرة صفحة ولا تقل عنها ، وكانت إلى جانبها صحف أسبوعية تصدر فى أربعين صفحة وتزيد عليها فى بعض الأسابيع

فنقص كل ذلك نقصاناً بيناً بغير تدرج طويل ، وأصبح الحد الأقصى للصحيفة اليومية فى أكثر الأيام أربع صفحات ، وعم النقص سائر الصحف والمجلات فأوشكت أن تصدر فى ثلث عدد صفحاتها قبل الحرب الحاضرة

وكل هذا النقص تقابله زيادة فى وقت القراءة عند من تعودوا مطالعة الصحف والمجلات فى حجمها الأول ، ولا بد لهذا الوقت من شاغل يناسبه ويجرى فى مجراه

وإلى جانب النقص في الصفحات ألف الناس الأخبار التى لا يعرض لها كثير من التنويع والمفاجأة ، وندرت المناقشات السياسية التى يشتد فيها الجذب والدفع والتأييد والتفنيد ، وينشط القراء إلى متابعتها بحماسة التشيع تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك ، فأصاب القراء شيء من الفتور إلى جانب النقص فى المادة المقروءة لو أنهم نشطوا إليها .

* * *

ومع هذا كله كثر الوقت الذى يتسع للقراءة لانصراف الناس عن السهر فى خارج البيوت ، إما لتقييد الإضاءة أو لقلة الجديد فى دور الصور المتحركة ودور التمثيل

ومع هذا وذاك كثرت النقود بين الأيدى وتيسر شراء الكتب بالأثمان التى أوجبها غلاء الورق وغلاء تكاليف الطباعة ، وقال الخبراء بشئون الاقتصاد إن كثرة النقود فى الآونة الحاضرة دليل على رخاء صحيح وليست من عوارض التضخم التى تنشأ أحياناً من شيوع العملة الورقية ؛ إذ الناس يبيعون محصولاتهم وتبقى معهم أثمانها فى داخل البلاد ، خلافاً لما كان يحدث قبل سنوات من تصريف هذه الأثمان إلى خارج القطر بالسفر أو باستجلاب البضائع الأجنبية . فهذه الأثمان المحفوظة فى البلاد وهى ثروة حقيقية مكسوبة من موارد حقيقية وليست بالثروة المصطنعة التى تنشأ من شيوع الورق النقدى بغير مقابل معروف

* * *

وخلاصة ما تقدم أن الإقبال على قراءة الكتب العربية يرجع إلى تحول بعض القراء من مادة إلى مادة ، وإلى اتساع وقت القراءة ، وإلى تيسر الشراء ، ويدوم ما دامت هذه الأسباب

فإذا ضعفت طاقة الشراء ، أو ضاق وقت القراءة ، أو توافرت المادة الأولى التى كانت متوافرة قبل سنوات ، فقد يتغير هذا الإقبال ، وقد تثوب الحال إلى ما كانت عليه من قبل ، أو تتمخض عن حال جديد لم نعهده حتى الآن

هذا الحال الجديد الذى لم نعهده حتى الآن قد يأتى من ناحية واحدة معلقة على تيسر الورق وتيسر الطباعة

فإذا تيسر الورق وتيسرت الطباعة بقية أيام الحرب ثبتت فى البلاد العربية عادة يصعب تغييرها ، وإن عاد البريد الأوربى إلى نظامه السابق وعادت الصحف اليومية والأسبوعية إلى نطاقها الأول :

تلك عادة القراءة فى الكتب وحسبانها فى حاجات الحياة العصرية ومطالب المجتمع المهذب ، فإنها عادة قد تتأصل فى مصر كما تأصلت فى البلدان الأوربية على كثرة الصحف فيها واتساع صفحاتها وتنوع موضوعاتها

ويزيد هذه العادة تمكيناً أن يتيسر ورق الطباعة من مصانع وطنية توالى مصر وبلاد الشرق القريب بما هى فى حاجة إليه ؛ فإن رخص الورق يغرى بطبع الكتب الرخيصة التى تقبل عليها جميع الطبقات ، ولا سيما إذا اجتمع لها إغراء الرخص وإغراء الموضوعات

* * *

أما الاستفادة من الإقبال على القراءة فى زمن الحرب خير فائدة مستطاعة فذلك موقوف على معنى الفائدة التى نرى إليها

فإن كانت فائدة الربح فسبيلها أن تمطى « جمهور القراء »

ما يشتهيه من الموضوعات التي يحسبها جديرة بالقراءة ثمينة بالفائدة

وإن كانت فائدة الثقافة فسبيلها أن تعطى جمهور القراء ما هو في الواقع محتاج إلى علمه ، وإن لم يخطر له ذلك

ومما لا شك فيه أن جمهور القراء يحتاج إلى كثير ، وإن كثيراً مما يقرأه لا حاجة به ولا غناء فيه ، وإن الوقت قد حان لتزويده بما يحتاج إلى عرفانه من أحوال العالم اليوم وأحوال العالم بعد نهاية الحرب ، إلى زمن طويل

فبين الموضوعات التي كانت مهملة أكبر إهمال يعاب على أبناء الحضارة في العصر الحاضر ، موضوع المشاكل الاجتماعية والسياسية في قارة أوربا ، وفي البلاد الغربية على الإجمال

فقلَّ جداً في مصر وبلاد الشرق القريب من كان يتابع هذا الموضوع ويعرف ما ينبغي عرفانه من أطوار الفكر وصراع الدخائل الاجتماعية في كل أمة من الأمم وارتباط ذلك جميعه بمقاصد الحكومات ومقاصد الزعماء الذين يقبضون على أعنة تلك الحكومات أو على أعنة الهيئات السياسية

فكم من المصريين المثقفين — ولا نقول الجهلاء — كان يعرف ما ينبغي أن يعرف عن مسألة « التقسيم الجديد » في الولايات المتحدة ؟

وكم منهم كان يعلم حقيقة العناصر التي أيدت هتلر في ميدان السياسة الألمانية ؟ أو حقيقة العناصر التي أيدت فرانكو في ميدان السياسة الإسبانية ؟ أو حقيقة الخلاف بين ستالين وتروتسكي وما يتصل به من خطط روسيا وعلاقاتها بالشرقين الأقصى والأدنى ؟

كم منهم كان يعلم ما وراء البضائع اليابانية المنشورة في أسواقنا من حبائل الاستعمار ومطامع الاستغلال ؟

كم منهم كان يعرف زعماء الأمم على ما فطروا عليه فيعرف ما يصنعونه وما يريدونه وما ليس خليقاً أن يصنعوه أو يريدوه ؟

إن الذين عرفوا ذلك لجد قليلين

وإن الذي أصابنا من جهل ذلك لجد عظيم

لأننا أخذنا بالحرب ولما نتبين من تياراتها كيف تتجه سفينة النجاة ، وكيف تهب رياح الأخطار

فإذا أحببنا ألا تفاجئنا السلم مثل هذه المفاجأة ، فعلى الذين بأيديهم أمر القراءة والطباعة أن يملأوا الأذهان بالمعارف والمعلومات التي تغنى في استطلاع الأحوال والمقاصد بعد الحرب الحاضرة ، إلى زمن طويل

ما الذي تريده هذه الأمة أو تلك ؟

ما الذي يريده هذا الزعيم أو ذاك ؟

وما الذي يخلص فيه ؟ وما الذي يماذق فيه ؟ وما الذي تواتيه عليه الأسباب الحاضرة ؟ وما الذي يخشى أن يعرقله من الأسباب المنظورة ؟

بعض ذلك غيب لا سبيل إلى استطلاعه

وبعض ذلك عيان مشهود أو في حكم العيان المشهود ، من أخبار الأمم ودراسات المفكرين ، وسوابق التاريخ ، وضرورات الاجتماع و « الاقتصاد »

ولا يزال في الوقت متسع لاستدراك ما فات ، ولا يزال الباب مفتوحاً لمن يلج فيه ، ولا تزال الحاجة كل يوم في إلحاح ومزيد من الإلحاح

ومهما يكن من قصر الوقت الباقي من زمن الحرب ، فانقضاء هذا الوقت في معرفة الحقائق والتأهب للطوارق خير من قضائه في الإهمال والتسويف ، وليكن إقبال الناس على القراءة حافزاً لمن يعنيهم أن يقرأوا ما يصلح للفهم في كل زمن وما يصلح للفهم في الزمن الأخير من الحرب على التخصيص . وليس الكتاب وحدهم أصحاب الشأن في الكتابة لأنهم لا يملكون زمام الأمر إلا القليل . فلو كنا على ما نود من توافر الأداة الثقافية لنهض بالأمر جمع قادر أولو جاه ومال يقررون الموضوعات ويوزعون الأبواب وينفقون على ثقة من الكسب وعلى توقع للخسارة في وقت واحد ، أو يراوحون بين ما يربح وما يحتمل الخسارة ، فلايهمهم أن يربحوا من كل شيء ما داموا لا يخسرون من كل شيء

إننا لقادرون على ذلك لو أردناه

وإننا لمريدوه لو أدركنا دواعيه ، وأدركنا عقباه

فهل ندركها ؟

إن قلنا : « فيها قولان » وكفى ، فنحن متفائلون .

عباس محمود العقاد

روحانية الحياة المدرسية

للدكتور زكى مبارك

مهنة التعليم توحى إلى النفس طمأنينة لا توحيها أية مهنة ، لأن التعليم يقوم على أساس من شرف الغرض لا يعادله أى أساس . والإحصائيات تثبت أن المعلمين أقل الناس تعرُّضاً للآفات النفسية ، بسبب تلك الطمأنينة الروحية ... وبرغم كثرة التشكى من الغبن الذى يلاحق مهنة التعليم فإن حال المعلمين فى مصر من أحسن الأحوال ، فأكثرهم بحمد الله صاروا من المياسير ، ولعلهم الطائفة الوحيدة التى أعفاها الله من التعطل فى هذا الزمان

والمتأمل يلاحظ أن الله يبارك فى أعمار المعلمين وفى أرزاقهم بقدر ما يضمرون من الاخلاص ، وبقدر ما يقاسون من العناء ، لأنها مهنة لا يستريح فيها غير من يرحب بالشقاء ، إن جاز أن يكون مع الإخلاص فى هذه المهنة شقاء

والآفة التى تكدر حيوات المعلمين هى آفة الأسلوب القديم فى الترقيات ؛ فترقية المدرس بمدرسة ابتدائية هى نقله إلى مدرسة ثانوية ، وترقية المدرس بمدرسة ثانوية هى نقله إلى مدرسة عالية أو نقله إلى التفتيش

وكنت أرجو أن يكون الأمر بالعكس . كنت أرجو أن تكون المدرسة الابتدائية هى المكان المختار لأكابر المدرسين ، ليستطيعوا خلق الروحانية فى الحياة المدرسية ، وليكون ذلك شاهداً على الإيمان بقدسية التعليم

المبتدئ هو الذى يحتاج إلى المدرس الكبير العقل والروح ، المدرس الذى صقلته التجارب وراضته على فهم الغرائز والنفوس

والتلاميذ فى المدارس الابتدائية يحتاجون إلى رياضة روحية يقوم بها مدرسون روحيون ، وهم الذين صاروا فى حكم الآباء ، ليكون انتقال التلميذ من البيت إلى المدرسة انتقالاً من رعاية أبوية إلى رعاية روحية

والحق أن المدرسة الابتدائية هى الأساس ، فإن استطعنا أن نخلق فى تلاميذها الشوق إلى الحياة العلمية فسيقل خوفنا عليهم حين يتحولون إلى المدارس الثانوية

والحق أيضاً أن العُرف الذى قضى بأن يكون المدرس فى الثانويات أعلى من المدرس فى الابتدائيات قد زعزع قدسية التدريس

يضاف إلى هذا أننا أوجبنا أن تتأثر الترقيات بتلك الاعتبارات ؛ فالمدرس فى الثانوى مرتبه أكبر من المدرس في الابتدائى ، وكان ذلك لأن المدرس يبدأ عمله فى المدارس الابتدائية ، ثم يتحول إلى المدارس الثانوية بعد أعوام قصار أو طوال

وليس عندى من الاقتراحات ما يصلح لتغيير هذا المنهاج ، فقد فكرت كثيراً فى حل هذه المشكلة ، ولكنى لم أصل إلى شىء ، فهل أستطيع القول بتحويل بعض مدرسى التعليم الثانوى إلى التعليم الابتدائى ؟

وهل أستطيع القول برد جماعة من المفتشين إلى التدريس طائعين لا كارهين ؟

إن مهنتنا لن ترتفع إلا إذا رحب بها كبراؤنا ، ولو دعوناهم إلى التعليم بالمدارس الأولية ، وهى النواة الأصيلة للتعليم والتثقيف

الطفل فى مدارسنا يتيم ، لأننا نبخل عليه بأكابر المدرسين

قلت مثل هذا الكلام منذ أعوام فى مجلة الرسالة فسخر منه سعادة الأستاذ عوض بك إبراهيم ، وأشار إلى أحد مريديه أن يكتب كلمة فى جريدة الدستور يقول فيها : إن وزارة المعارف عملت باقتراحى فعينتنى رئيساً للمدرسة الأولية بقصر الشوق !

وأين من يعرف أنى أعتقد أن الذى فاتنى فى الحياة التعليمية هو أن أكون رئيساً لمدرسة أولية ؟

لو سمحت الظروف بأن أكون مربياً لمئة طفل لرجوت أن أخلق منهم أشبالاً يكونون فى طليعة الجيل الجديد

ما هذا التعالى الذى لا يليق بمهنتنا العالية ؟

المدرس جندىٌّ أمين ، والجندىُّ الأمين لا يقف إلا فى مظان الحتوف ... وتعليم الأطفال مَتعبَة لا يضطلع بها غير كبار الرجال

المهم هو النص على تنزيه مهنتنا من الظواهر الخوادع ، فلا يكون فيها فاضل ولا مفضول إلا بمقدار التفاوت فى الإخلاص

المعلم فى المدرسة الأولية يستطيع مساماة الأستاذ بالجامعة إن صدق من الوجهة المعنوية . وهو لصدقه سينسى فروق الرواتب ، لأن أساتذة الجامعة لا يصلون إلى مناصبهم إلا بعد جهود لا يستطيعها غير أفراد ، فمن حقهم أن يمتازوا برواتب

تعينهم على متابعة ما يجد من التراجم والتآليف ، وعلى مسايرة حيوات العلوم والآداب والفنون

المعلم فى مدرسة أولية يقيم بيته وهو فى صباه ، أما الأستاذ بالجامعة فلا يقيم بيته إلا بعد أن يكتهل ، فعلينا أن نعترف بأن من واجب الدولة أن تراعى حقه فى الجهود التى بذلها من شبابه ومن أمواله ليصلح للحياة الجامعية

وخلاصة القول أنى أرى روحانية المدرسة تتبع روحانية المدرس ، وأرى أن نلتفت إلى المدارس الابتدائية بأكثر مما نصنع ، كأن نختصها بأكابر المدرسين ، وكأن نغير النظرة المألوفة إلى طبقات المدرسين ، بحيث لا يكون طول الثواء بالمدرسة الابتدائية مانعاً من أن يظفر المدرس بمثل نصيب زميله فى المدرسة الثانوية من الدرجات والترقيات

ويوم يكون من حق المدرس أن يفتخر بأن وزارة المعارف رأت أن يقضى حياته كلها فى التعليم الابتدائى لمزايا تعليمية يكون من حقنا أن نطمئن إلى سيادة الروحانية فى الحياة المدرسية

أقول هذا وأنا أعرف أنى أطلب غرضاً لا يتحقق إلا بعد رياضات نفسية تحتاج إلى آماد ؛ فالمدرسون فى جميع بقاع الأرض يريدون الفرار من المدارس الأولية والابتدائية ، ولا يرضى الرجل منهم عن حاله إلا إذا صار إلى التعليم الثانوى ثم العالى . وهذه نزعة تأخذ وقودها من هوى النفس ، وليس لها فى نظر التعليم سناد .

***

أترك هذا وأنتقل إلى مسألة ثانية ، هى صلة التلميذ بالمدرسة ، الصلة التى توجب أن يحبها أصدق الحب ، على نحو ما كان التلاميذ فى بعض العهود الماضية

والواقع أن تلميذ اليوم تجتذبه قوًى خارجية لم يعرفها التلاميذ من قبل ... وهل ننسى أن المساجد كانت قبل عشرين سنة ملتقى التلاميذ فى أوقات المراجعات ؟ فأين نحن من ذلك الحال الجميل ؟

لا بد من جهاد لجذب التلميذ إلى المدرسة ، بحيث يحبها حب العقل ، وهو أصدق الحب

يجب أن نصل إلى إقناع التلميذ بأن روح المدرسة هو الروح الصديق ، وأن أوقاته فى رحابها هى أوقات الصفاء

فى كلام القدماء : فلان علمه أكبر من عقله ، وفلان عقله أكبر من علمه ، فما معنى ذلك ؟

معناه أن ملكة الفهم تختلف عن ملكة التحصيل بعض الاختلاف .

وعلى ضوء هذه الفكرة نريد أن نعرف المنهج المختار فى سياسة التعليم فنقول :

أيهما أنفع : قراءة كتاب عن خزان أسوان أو زيارة ذلك الخزان ؟

وأيهما أفضل : نظر الخريطة عشرين مرة أو رسمها مرة واحدة ؟

وحفظ مقامات بديع الزمان أنفع ، أم إنشاء مقامة على غرار تلك المقامات ؟

ثم أثب إلى الغرض فأحكم بأن إنشاء عشرين سطراً أنفع فى تكوين الذهن من قراءة كتاب ، لأن الإنشاء يوقظ القوى النفسية ، ويروضها على التفكير السديد

والتعليم الحق هو الذى يقضى بتقوية الملكات الإبداعية ، هو الذى يخلق عاقلاً لا ناقلاً ، وبين العقل والنقل مراحل طوال

وليس معنى هذا أنى أغض من قيمة الاطلاع ، لا ، ولكن معناه أنى أدعو إلى أن تكون سياسة التعليم قائمة على إعزاز قيمة الفكر عند التلاميذ ، فلا يقرأ أحدهم سطراً إلا وهو يحاول أن يأتى بأروع منه وأبدع ، ولا يسمع درساً إلا وفى خاطره أنه مسئول عن التعقيب عليه بالمبتكر الطريف

ما السبب فى أن يكون الجو المدرسى غير محبوب فى بعض الأحوال ؟

لو أمكن جذب التلميذ بالعقل إلى جو المدرسة لتمنى أن تكون مأواه إلى آخر الزمان

ولكن التلميذ يُسأل عن المواظبة الصورية ، ولا يُجذب إلى المواظبة الروحية

وفى العقوبات المدرسية أن ينسخ التلميذ صفحات من كتاب ، وهذا النوع من العقوبة موجود بالمدرسة الفلانية ، وهو عقوبةٌ حقًّا وصدقاً ، فما يمكن أن يؤذَى التلميذ بأصعب ولا أعنف من أن ينسخ كلاماً هو عن فهمه غير مسئول

هرب الشيخ محمد عبده من الدرس ورجع إلى الريف فأقام به ثلاث سنين ، لأنه طولب بإعراب البسملة قبل أن يفهم الإعراب

ومئات من التلاميذ يحضرون الدروس بالجسم لا بالروح ، فهم غائبون لأنهم لا يفهمون ، وإن لم تفطن المدارس إلى تقييد ذلك الغياب !

ودروس القواعد دروس غير محبوبة ، لهذا السبب ، أعنى أنها لا تقدم إلى التلاميذ مع التعليل ، ولو عللت القواعد بذكر مراميها الأصيلة لأحبها التلاميذ ، لأن الحياة موجودة فى إضافة لفظ إلى لفظ بغاية من القوة والجاذبية ، ولكن أين من يفكر فى التنبيه إلى تلك الحياة ؟

وخلاصة القول أن الغاية من التعليم هى إثارة الشوق إلى فهم الوجود ، وتنمية المواهب تنمية تغنى التلميذ عن المدرس بعد حين ، وتجعل منه روحاً يتطلع إلى السرائر الكونية ، والحقائق الوجودية ، تطلع المتشوف إلى إدراك ما غاب عن الأسلاف ، ولو كانوا من فطاحل العلماء

وكمية المعلومات ليست بالغاية العالية ، وإنما الفهم الصحيح هو الغاية ، ولو تعلق بأقل مقدار من المفهومات

وتصحيح غلطة واحدة فى علم من العلوم أدل على قوة الذاتية من استيعاب جميع العلوم

ونظم خمسة أبيات نظماً صحيحاً فيه روح الشاعرية يدل على قيمة الفتى بأكثر مما يدل حفظه لجميع الدواوين

المهم هو إيقاظ روح الفكر عند التلميذ ، بأن نجعل جميع الدروس وسيلة إلى هذه الغاية ، ولن يتم ذلك إلا إذا استطعنا أن نشغل روحه وفكره وعقله بتعقب ما يرى وما يسمع تعقب الشغف والاشتياق

دخل التلميذ مصطفى كامل على الوزير على مبارك وحاوره بأسلوب غير مقبول ، فقال الوزير للتلميذ : إقرأ هذه اللوحة لأعرف مقدار ذكائك « وكانت طرة كثيرة التلافيف يعجز عن قراءتها التلميذ »

قال الوزير : أنت لا تجيد غير الصياح !

فقال التلميذ : هل يتفضل الوزير فيخبرنى عن عدد السلالم التى يصعدها كل يوم إلى مكتبه هذا منذ أعوام ؟

فقال الوزير : التحدى نافه ولكنه معقول

والواقع أن التعليم عندنا لا يثير التطلع إلى استكشاف المجاهيل ، ولا ينقل خيال التلميذ من أفق إلى آفاق إلا فى أندر الأحوال ...

عمل المدرس لا يتجه إلى تقديم الحقائق ، وإنما يتجه إلى إيجاد الحقائق عن طريق التلاميذ . وأريد أن أقول إن المدرس لا يُخبر ولكنه يَستخبر ، إلى أن يعرف من تلاميذه الخبر اليقين ، وكأنه به من الجهلاء

طريقة التلقين طريقة عقيمة ، وهى لا توقظ عقول التلاميذ وقد ترميهم بالجمود

والدرس هو الفرصة لتنبيه العقول الغافية ، فى الحدود التى تسمح بها براعة المدرس ، والمدرس البارع هو الذى يسوس الدرس سياسة تقضى بأن يشعر كل تلميذ بأنه قد يتلقى سؤالاً بعد لحظات

هل تذكرون الواجبات المدرسية التى يؤديها التلاميذ فى البيوت ؟

إنها ثقيلة جداً ، وبغيضة جداً ، فما السبب فيما تتسم به من الثقل والبغض ؟

يرجع السبب إلى أنها لم تسبق بالتشويق إلى إيجاد الحقائق

ويرجع السبب إلى أننا لم نصل إلى خلق الجاذبية المدرسية .

ويرجع السبب إلى أننا لم نفكر جدياً فى إبداع شخصية التلميذ ...

***

وأنا أختم هذه المقالات بتوكيد ما قلته فى صدر مقال اليوم وهو أن مهنة التعليم فى مصر مهنة سعيدة وأصحابها سعداء

المدرس المتبرم ليس بمدرس ، لأن التدريس من أقوى موجبات الابتسام

ولو أردنا شكر الله على أن جعلنا مدرسين لعجزنا عما نريد من الشكران

للمدرس فى كل يوم جهاد ، وهذا مغنم جميل

إن صحت دعوتنا إلى تعميم التعليم فسيكون فى مصر ألوف وألوف من المدرسين ؛ فهل تستطيع مالية الدولة أن تستجيب لما يطمح إليه ألوف وألوف ؟

القناعة هى التاج لمهنتنا السامية ، وغِنى القلوب يستر فقر الجيوب . وهل افتقر منا أحدٌ حتى نتوجع ونتفجع بشبهة من الحق ؟

نحن أغنياء وأغنياء ، فلله الحمد وعليه الثناء .

زكى مبارك

على هامش أحلام شهرزاد

٤ - قضية اليوم

للأستاذ دريني خشبة

قالت فاتنة : « الآن يا صديقي وقد أطلعتك على أطراف من شهرزاد الحكيم ، وعلى أطراف من القصر المسحور ، ووقفتك على الذهب الذى أخذ الكاتب به نفسه ، ولم يفتأ يباهى به ، ويشتط فيه ... الآن وقد علمت أن مشروع (أحلام شهرزاد) كان وعداً موعوداً فى القصر المسحور على لسان شهرزاد أراد عميد الأدب العربى أن يذود به عن هذه الشخصية الفذة التى ابتدعها الأديب العبقرى القديم الأول ، والتى رمز بها إلى جنس المرأة فى كل زمان ومكان ... والآن وقد علمت ما يرتأيه الأستاذ توفيق فى شهرزاد كل زمان ومكان من غدر وكيد وخيانة وأنانية و ... شَبَق ... الآن يحين لى أن أحدثك عن أحلام شهرزاد حديثاً يروقك وتنزع إليه نفسك ، النزاعة إلى الحق ، المشغوفة بالجمال ، المؤمنة بالكمال « ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد ! »

هل تذكر هذه القولة التى أخذت مكانها فى القصر المسحور عن عمد ؟ ! أما تزال تذكر هذه القولة أيضاً ، وقد أخذت مأمنها من هذا الكتاب كما أخذت مأمنها الكلمة السابقة : « سيجد عندى علم مالم يعلم من أمر شهرزاد ! »

ها تان كلمتان ! فهل بر العميد فيما وعد ؟ وكيف صور شهرزاده يا ترى ! وكيف جافى بها عما رسمها الأستاذ توفيق ؟ ثم ما بال أبطاله الآخرين ! هل أخرج لنا ملكاً (ديو تا) كشهريار الحكيم ؟ أم انتفع شهريارُ العميد بشهرزاده فهذبت طبعه النافر ، وأقامت خلقه المعوج ، ولفتته إلى شئون ملكه يرعاها بعين الخبير البصير ، وعلمته كيف يوائم بين رغبات نفسه ورغبات شعبه ، ثم هى مع هذا وذاك لم تنكشف له كل الانكشاف لتستبقى سحرها فى قلبه ، وتحتفظ بسر الجمال الذى يفضحه التبذل ، ويُذيله التهالك فى إشباع رغبات الرجال ؟ !

ثم شخصيتى أنا ؟ ! شخصية فاتنة ؟ تلك الشخصية التى ترى بكل شخصيات القصص العربى فى الأدب المصرى الحديث ... أرأيت كيف صورها فأتقن صورتها وأبدعها فى أحسن تقويم ؟

وشخصية طهمان بن زهمان ملك الجن ؟ ! هل كان هذا المارد الأحمق الذى يجلس على عرش أمة ليفرغ إلى رغباته ودنايا نفسه كما فعل شهريار الحكيم ؟ أم كان ذاك الحاكم البر الحازم الحكيم الرحيم الذى حكم فعدل فأمن على شعبه كما أمن على ملكه ونشأنى على خير منهاج يضمن السعادة لقبيله من الجن من بعده ؟ !

ثم شخصية هذا الطائف العجيب الذى كان يَسْفَر بالأحلام إلى شهريار ينبئه بموعد القصص الشهىّ الرخىّ الذى ترسله شهرزاد فى أحلامها - ما بال هذا الطائف يا ترى ؟

أما شهرزاد الحالمة فإنها من غير شك شهرزاد نبيلة كاملة ، قامت بواجبها فى تهذيب شهريار على خير وجه ، وقامت بواجبها نحو وطنها على أحسن صورة ، واحتفظت بسحر أنوثتها فلم تفسده بالتبذل ، ثم هى هذا الملاك الحارس الذى أدّى وظيفته فى الحياة كما ينبغى أن يؤدى كل مخلوق كامل وظيفته فى الحياة ... يأخذ بحظه منها ولا يجور على حقوق الآخرين ... يعرف أن الحياة جد لا لعب ، وهى مع ذاك جد يخفف جفونه لهو قليل برىء ... لهو بالموسيقا التى تهذب الطبع ، والغزل الحلال الذى لا ينحدر إلى أحضان العبيد ، ولا يسف إلى اتخاذ الأخدان ، ولا يسفل إلى أن يكون خداعاً وخيانةً ولغواً وتأثيماً ... شهرزاد العميد هى هذا الملاك الحارس الذى أخذ على عاتقه إصلاح شهرياره فى النوم وفى اليقظة ... فى النوم بإرجاعه إلى محجة الصواب كلما عاوده داؤه القديم فسأل عن سر شهرزاد ، وشهرزاد مع ذاك تطلعه على شطر غير يسير من هذا السر ، ثم تحتفظ لنفسها بشطره الآخر ... الشطر الذى يبقى على سحر الأنوثة فى المرأة ، ويجملها شابة دائماً ، جميلة دائماً ، ساحرة دائماً .. لأنها تعطى من نفسها بقدر ، وتَهَب من ذاتها بمقدار ، فلا تتبذل بكثرة البذل ، ولا تمنح كل ماعندها كى تجد ما تمنحه طوال الحياة التى تربط الزوجين ... وهي لذلك جديدة كل يوم فى عين شهريار ، لأنها تسقيه كل يوم كأساً جديدة ... فإذا سألها : « ألا تنبئينى آخر الأمر من أنت وماذا تريدين ؟ » ... أجابت : « من أنا ؟ أنا شهرزاد التى أمتعتك بقصصها أعواماً لأنها كانت خائفة منك والتى تمتعك بحبها الآن لأنها واثقة بك مطمئنة إليك . وماذا أريد ! أريد أن أرى مولاى الملك راضياً سعيداً ناعم البال رخى العيش مبتسماً للحياة كما تبتسم له الحياة » فإذا أعاد بعد ذلك

سؤاله ، قالت له : « من أنا ؟ أنا شهرزاد التى أحبتك قبل أن تعرفك كما لم تحب فتاة رجلاً قط ، والتى خافتك حين عرفتك خوفاً لم يخفه إنسان إنساناً قط ، والتى زفت إليك تتحدى الموت وتتحدى السلطان وتتحدى الحب والبغض جميعاً ، فبلغت من نفسك هذه المنزلة التى تراها والتى لا تراها ، ثم أصبحت الآن وهى لا تفكر إلا فيك ، ولا تفكر إلا بك ، ولا تفكر إلا لك . ماذا أريد ؟ أريد أن تكون سعيداً موفوراً ، ولكنى لا أعرف كيف أجعلك سعيداً موفوراً . من أنا ؟ ... أنا من تحب أن ترى فى أى ساعة من ساعات النهار ، وفى أى ساعة من ساعات الليل . أنا أمك حين تحتاج إلى حنان الأم ، وأنا أختك حين تحتاج إلى مودة الأخت ، وأنا ابنتك حين تحتاج إلى بر البنت ، وأنا زوجك حين تحتاج إلى عطف الزوج ... وأنا خليلتك حين تحتاج إلى مرح الخليلة ، أنا كل هذا . وماذا أريد ! أريد ما تريده الأم لابنها ، وما تريده الأخت لأخيها ، وما تريده البنت لأبيها ، وما تريده الزوج لزوجها الوفى ، وما تريده العشيقة لعشيقها المفتون . وقد سألتنى فألحفت على فى السؤال ، أفتأذن لى فى أن أسألك ؟ » فيرفع الملك إليها بصره كالمنكر لما تقول ، ولكنها تتضاحك وتتماجن وتسأله : « كيف أراك فى هذا المكان من جنة القصر ، حيث كان ينبغى أن أراك فى غرفتك تتهيأ للخروج إلى حيث تستقبل وزراءك وتصرف أمور ملكك ، أو أراك قد خرجت مبكراً فأقبلت على شئون الدولة تصرفها حفيًّا بها منكبًّا عليها ... الخ »

فهل رأيت إلى شهرزاد العميد وفرق ما بينها وبين شهرزاد الحكيم ؟ أرأيت كيف صور العميد ما ينبغى أن تكون عليه الزوجة الوفية فى كل زمان ومكان ! ! فتكون لزوجها أماً حين يحتاج إلى حنان الأم ، وأختاً حين يحتاج إلى مودة الأخت ، وابنة حين يحتاج إلى بر البنت ، وزوجاً حين يحتاج إلى عطف الزوج ... ثم ... خليلة حين يحتاج إلى مرح الخليلة . يجب أن تكون الزوج كل هذا فهل يرى الأستاذ توفيق هذا الرأى ؟! أم هو موجس ظِنِّين واجد على المرأة يبشر ضدها بالويل والثبور وعظائم الأمور ، لا يأتمنها على أن تنجب لشهريار غلاماً ذكياً أو غبياً ، ولذلك فهو يرسلها فى أحضان العبيد ، ويبيح غرامها للوزير ولغير الوزير ، ويجعلها أنانية لا تفكر إلا فى نجاتها هى دون أن تعنى بخلاص بنات جنسها

ولقد نبهتك يا صديقى إلى ما التزمته شهرزاد العميد من الغموض أحياناً لتصون جمالها وتجدد سحرها فى نفس زوجها ، فهل تدرى لماذا حرص الأستاذ الحكيم على أن تكون شهرزاده غامضة ؟ إنه حرص على هذا لتُذهل شهرزادُه لبَّ شهرياره ، ولتعصف بقلبه ؛ فغموضها هو من غموض السحراء والمشعبذين وأكلة الثعابين والذين يمشون بأرجل حافية على النار ورؤوس المسامير ... لأن الذين يتفرجون بهذه الشعبذات يقفون حيالها مشدُوهين صَعِقين لما فيها من غموض يذهل ألبابهم ، ولا يدركون له كُنْها ... أما ما ذا وراء هذا الغموض ، فليس وراءه شىء ... ليس وراءه نفع قط ... إن لم يكن وراءه ما يمكن كالأفعى الرقطاء فى ظلمات نفس شهرزاد — شهرزاد الحكيم طبعاً — من شر وكيد وختل وخداع وخيانة وتدبير سيئ ... ولهذا قالت شهرزاد فى القصر المسحور وهى تتميز من الغيظ على توفيق الحكيم : « ليعلمن كيف تكون الكتابة عن شهرزاد ! » ثم قالت : « سيأتيه علم ما لم يعلم من أمر شهرزاد ! »

هذا فرق ما بين الغموضين ، وللغموض نصيب عظيم من السَّرق الذى أرجف به المرجفون ، وتخرَّص به المتخرِّصون

أما فرق ما بين شهريار الحكيم وشهريار العميد فليس يحتاج إلى إسهاب ولا يفتقر إلى إطناب . وحسبك أن تذكر ما كان من غفلة شهريار الحكيم التى سماها معرفة ، وسكوته على ما قتل بسببه وزيره نفسه حينما انسل العبد من مخدع شهرزاد . ذلك السكوت الذى سماه الحكيم فلسفة . ثم حسبك أن تعلم ما كان من سهر شهريار العميد على أمور رعيته ، وحسن التفاته إلى تصريف أمورها ، واضطلاعه بما يعود عليها بالخير والنظام ... حسبك هذا وذاك لتقدر أنت فرق ما بين الملكين

أما أنا ... أما فاتنة ... فانى كما علمت أبرع شخصيات الأدب المصرى الحديث ... إنى أتم شخصية شهرزاد . بل أنا روحها الحالم ... بل أنا شبحها الهائم ... بل أنا غناؤها الباغم . بل أنا منطقها السليم وسحرها المظلم وتدبيرها الكريم وقلبها الرحيم ... بل أنا حدبها على الرعية ، واستخفافها بالطغاة ، وعذابها المسلط على الملوك المستبدين الذين ذاق بعضهم بأس بعض ، وعذب بعضهم بأيدى بعضهم الآخرين ... بل أنا هذه الديمقراطية العزيزة التى أجج لها الطغاة الآثمون تلك الحرب الطاغية الآثمة القائمة ... الديمقراطية التى ترد الصواب إلى الفرد

المغرور ، وتعيد السلام إلى العالم ، والجمال إلى الجنة ... أنا الديمقراطية التى تبعث العزة فى نفوس الأفراد ، والكرامة فى قلوب الشعوب ، فلا يسيمها الحاكمون بأمرهم الخسف ، ولا يسلط عليها فرد واحد مجنون فيجعل أمنها خوفاً ، وقوتها ضعفاً ، وعيشها شظفاً ، وجهودها هباء ، ورخاءها عناء ، وفرَجَها شدة ، وسلامها حرباً ، وعِلْمَها شراً ، وعلماءها أبالسة ، وقادتها أفاكين

إستمع إلىّ أقول لأبى وهو يحاورنى : « ... متى رأيت الملوك يقدمون على حرب لا تدفعهم إليها شهواتهم الجامحة وعواطفهم الحائرة ؟ ومتى رأيت الشعوب تجنب هذه الأهوال وتعصم من الحرب لغير مصالحها المؤكدة ومنافعها المحققة ...؟... إن أثرة الملوك والسادة والزعماء هي التى تثير الحرب دائماً وهى التى ترهق الشعوب دائماً ... ! »

فإذا قال لى أبى : « فقد كنت أرجو أن يهيء لك علمك وحكمتك ابتكار لون من ألوان الحياة لا تشقى فيه الشعوب بسعادة الملوك والزعماء ! .. » قلت له فى بعض الذى أجبته به : « فأنبئنى يا أبت ما بال هذه الرعية لا ترفق بنفسها ولا تعنى بأمرها، ولا تفكر فى مصالحها ، وإنما ندعوها فتجيب، ونأمرها فتطيع ، ونوجهها إلى حيث نشاء فتتجه إلى حيث نشاء لا يخطر لها أن تأبى إذا بلغها الدعاء ، ولا أن تعصي إذا صدر إليها الأمر ، ولا أن تمتنع إذا وجهت إلى حيث لا تحب ... ؛ فما طاعتها لنا فى غير روية ولا تفكير ، بل في غير فهم لما تؤمر به وتقدير لما تدعى إليه ؟... »

أرأيت إلى كيف مثلت الديمقراطية أروع تمثيل وأصدقه ؟ وهل سمعت إلى أفضح الطغاة والمستبدين ، وآخذ على الأمم المستضعفة رضوخها لهم وعدم الثورة عليهم ، وطاعتها إياهم فى غير روية ولا تفكير ولا فهم ولا تقدير ؟! ... وأنا مع ذاك الديمقراطية المتعلمة المثقفة التى لا تصدُرعن الطيش ولا يتلاعب بها الرعاع . وليست هذه الديمقراطية التى تدخن القنب فى حانة أبى ميسور ، وتنام فى أحضان العبيد ، وترهن السيف لتقضى ليلة هانئة ؛ لكنها الديمقراطية التى تثل عروش المستبدين وتقوم على الجد ولا ترضى العبث وترفض أحلام روّاد الحانات التى يدخن فيها ا!... الديمقراطية التى انتصرت على قوات الشر

« ... وردت إلى شعوب الجن حقوقها المغصوبة وحرياتها المسلوبة ... ومن يدرى ! لعل علم الجن أن يصل إلى الناس ذات يوم أو ذات قرن واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا غموض ؛ أو لعل عقول الناس أن ترتقى ذات يوم أو ذات قرن إلى حيث تفهم عن الجن فى غير مشقة ولا جهد . يومئذ أو قرنئذ تصلح أمور الإنسان كما صلحت أمور الجان

قالت : « وعكف شهريار على نفسه يتدبر ما سمع ويستحضر ما شهد ويتذكر ما رأى ، وكأنه أنسى نفسه فى هذا المكوف ، حتى أقبلت شهرزاد وقد ارتفع النهار . وسمعها تقول فى صوت حازم باسم معاً : « لشد ما هانت عليك أمور الملك يا مولاى ! ها أنت ذا تخلو إلى نفسك فى زاوية من زوايا غرفتك كأنك فرد من أفراد الناس قد فرغ للفلسفة والتفكير . ألم تحاسب نفسك على هذا الوقت الطويل الذى أنفقته فى غير شئون الملك ! ألم يخطر لك أن للشعب حقوقاً يجب أن تؤدى إليه ، وإن أوقات الملوك ليست خاصة لهم من دون الرعية ؟ »

قال الملك دهشاً ... « يا عجباً ! كأنما أسمع حديث فاتنة »

قالت شهرزاد ذاهلة : « فاتنة ! فاتنة ! ليس هذا الإسم علىّ غريباً ، وأحسب أن لى بى عهداً قريباً »

قالت فاتنة : « فأنا إذن أتم شخصية شهرزاد ... بل أنا روحها الحالم . بل أنا شبحها الهائم . بل أنا غناؤها الباغم . بل أنا منطقها السليم ، وسحرها العظيم . وتدبيرها الكريم . وقلبها الرحيم »

أما أبى ... أما طهمان بن زهمان ، فهو الذى أدبنى فأحسن تأديبى ، وهو الذى كان يخفق قلبه بمحبة شعبه فنشر المدارس بين طبقاته ليعلمه الديمقراطية . وهو الذى « رفع بعض النابهين من الدهماء إلى مناصب الدولة » مُعرضاً نفسه لسخط الأمراء وكيد الشيوخ من رؤساء المشائر ، فوصل من الديمقراطية إلى كثير مما كان يريد ...

فشهرزاد وأبى طهمان وأنا ... إنما نكون هذا الثالوث المقدس الذى ألفه العميد لتهذيب روح شهريار ، ولإنقاذ هذا الروح من البرم والتوجس والتشاؤم الأسود الذى عصف به منذ خانته زوجه . وقد نجحنا فى هذا ، وبلغنا منه ما نريد »

قالت فاتنة : « فاسأل المرجفين إذن أين هو السَّرق الذى يدعونه ؟ بل أين أوجه الشبه بين كل ؟ أيكفى أن يسأل شهريار

تقدمة

إلى تاج العراق

[في مقدم مليكه العزيز « فيصل » الثاني ، ضيف وادي النيل]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لمحتُ بجنّاتِ مصرٍ شُعاعا لأنوارِهِ صَفَقَ الشاطئانْ
غزا طَيفُهُ كلَّ قلبٍ وشاعا فلم يخلُ من صفحتيهِ مكانْ
تهادى فخلتُ الرُّبى واليفاعا وشمسَ الضحى مواكبَ من حنانْ
فيا « نيلُ » من هزَّ فيكَ البقاعا مَلاكٌ وفي كفّه صولجانْ
حمى اللهُ أيامَهُ أن تُراعا ووقّى لياليهِ ريبَ الزمانْ ...
... وأعلى مع الشرقِ مُلكاً حواهْ
ونهراً تهيمُ به ضفتاهْ
وتاجاً على البأسِ يرسو علاهْ
وشعباً إلى « مصرَ » يهفو هواهْ
ويربطنا فيه عهدُ الحياهْ
خُطانا إلى كلِّ مجدٍ خُطاهْ
فدجلةَ والنيلِ ذاقا الرِّضاعا شقيقين ديناً، ونجوى لسانْ!
فيا تاجَ مصرَ أتتكَ الشعوبْ من الشرقِ تسكبُ أحلامَها
وألقتْ إليكَ زمامَ القلوبْ فسكّنتَ هواها وإلهامَها
إذا أرعشتْ جانبيها الكروبْ أسيتَ ، وآسيتَ آلامَها
إذا مسّها في سُراها لغوبْ إلى النجمِ طيّرتَ إقدامَها
فأنتَ لها في ظلامِ الخطوبْ صباحٌ ينوّرُ أيامَها ...
... وينشرُ في كلِّ وادٍ ضُحاهْ
فينسى بهِ كلُّ قلبٍ أساهْ
على النهرِ أو في هجيرِ الفلاهْ
زمانٌ « بفاروقَ » ضاحٍ سناهْ
مليكٌ على الشرقِ تحنو يداهْ
رعى مُلكَهُ ، ورعاهُ الإلهْ !
صحتْ أممُ الشرقِ تبغي الهبوبْ فهيّا لنرفعَ أعلامَها

***

من الرافدينِ أضاءَ القِبابْ شعاعٌ بمهدِ العُلا يرفلُ
سرى والربيعُ يحثُّ الركابْ إلى الدوحِ فردوسُهُ المخضلُ
فكانا ربيعين بين الشعابْ يحيّيهما الحبُّ ، والجدولُ
وهذا يناجيهِ قلبُ الشبابْ وهذا الطيورُ له تهدلُ
ولكنْ ربيعُكَ أنقى إهابْ وأخلدُ في الروحِ يا « فيصلُ » !
فموجُ « الفراتِ » جرى في رُباهْ
وأحلامُ « بغدادَ » فضّتْ شذاهْ
وقلبُ « العراقِ » انتشى من صِباهْ
ورقرقَ آمالَهُ في سماهْ
غداً من يديكَ يُلاقي مُناهْ
وفي ظلِّ عرشِكَ يجني جناهْ ...
ونسبحُ بالشرقِ فوقَ العُبابْ على وحدةٍ ... دينُها مُنزلُ !

محمود حسن اسماعيل

شهرزاد ما هي ، وما ذا تريد ؟ ليكون هناك أخذ وسرق وسطو ... أم يكفي أن تتذرع شهرزاد العميد ببعض الغموض إبقاء على سحرها وجمالها وأسرها ، ليدعي الخراصون أن الغموض من (اختراعات !) الحكيم المسجلة فلا ينبغي لأحد غيره ، وإلا سرق هذا (الغير) وسطا !

وبعد ... فلندع هذا اللغو وذاك العبث ، ولنطلب إلى عميد الأدب العربي مواصلة لياليه لأنها فتح جديد في أدب القصة ، وقد قرأنا كل ما ألف العميد بعد « الأيام والهامش » فلم نجده أحسن كما أحسن في تلك الأحلام الرائعة الخالدة التي لا ترتهن بظرف من الظروف ، ولا بعصر من العصور كما ادعى بعضهم .

دريني خشبة

سليمان الحكيم

لتوفيق الحكيم!

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

« يبدو أن فصل النقد الفنى هو الفصل المتخلف فى كتاب الأدب العربى الحديث . وقد لمست هذا فى المناسبة القريبة بين الأستاذ « دريني خشبة » وبينى كما لمسته من قبل مرات .

فنحن : إما أن نحب فنبالغ فى الاطراء ، وإما أن نكره فنبالغ فى القدح ، وإما أن نكسل فلا نستقصى عن عمل من نتصدى لهم بالنقد ، وإما أن نتحكم بمزاجنا ونفرض تحكمنا على القراء !

وسأحاول فى الفصول التى أقولها فى النقد الأدبى لأعلام العصر الحديث أن أتوقى كل هذا بقدر المستطاع . والله يلهمنا طريق السداد »

هذه هى التمثيلية الخامسة لتوفيق الحكيم التى يستلهم فيها الكتب الدينية أو الأساطير . وقيمة استلهام هذه المصادر وأمثالها هى فى الصورة الجديدة التى يجلوها الفنان ، وفى ملء الفجوات التى يعنى بها الفن وقد لا يعنى بها الخبر ولا الأسطورة ؛ وفى التعميم الذى يخرج بها من الجو المحدود والمناسبة العارضة إلى الجو العام والحقيقة الخالدة

وتمثيلية « سليمان الحكيم » مستلهمة من القرآن الكريم ومن التوراة ومن ألف ليلة وليلة . فلننظر فى المواد الخامة التى كانت بين يدى المؤلف حين همّ أن يصوغ تمثيليته الجديدة ، لنعرف كم استمد منها وكم زاد عليها ؟ فتلك هى الخطوة الأولى فى الوزن الفنى لمثل هذا العمل

قصة سليمان وأخباره فى القرآن الكريم فى سورتى النمل وسبأ معروفة أو فى متناول كل قارئ ، فلست فى حاجة أن أثبتها هنا ، فأكتفى إذن بتسجيل نظرة القرآن إلى سليمان الحكيم ؛ فهو نبى أوتى العلم والحكمة ، ووُهب ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده ، وعلِّم منطق الطير ، وسخرت له الريح والجن والإنس

وأما قصته فى التوراة فقد لا تكون فى متناول القراء ، فألخص هنا بعض ما يحتاجون إليه منها فى هذا السياق ، وما كان بين أقواس من هذا التلخيص فهو نص منقول :

ورد فى « سفر الملوك » من العهد القديم أن سليمان كان ملكاً بعد أبيه داود يعاصر من أنبياء إسرائيل وكهانهم « ناثان النبى » و « صادوق الكاهن » . وقد طلب سليمان من إلٰهه أن يعطيه الفهم والحكمة ولم يطلب لنفسه مالاً كثيراً ولا عمراً طويلاً ، فكافأه الرب على ذلك بأن وهبه الحكمة التى طلب والملك الذى لم يطلب

« وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق ، وكل حكمة مصر » ... وكان صيته فى جميع الأمم حواليه، وتكلم بثلاثة آلاف مثل ، وكانت أناشيده ألفاً وخمسة[1] . وتكلم عن الأشجار من الأرز الذى فى لبنان إلى الزوفا النابت فى الحائط ، وتكلم عن البهائم ، وعن الطير ، وعن الدبب ، وعن السمك »

وبنى سليمان بيتاً للرب جلب أخشابه وزخارفه من مختلف الأمصار حوله . وصاهر فرعون ملك مصر فكان هذا دليلاً على عظمته !

« وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان فأتت لتمتحنه بمسائل » وقد جاءت معها بهدايا كثيرة . ولما رأت سليمان وحكمته وعظمة ملكه ، أعجبت به وبحكمته وسلطانه « وأعطته مائة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة » وأعطى سليمان للملكة كل مشتهاها الذى طلبت ... فانصرفت وذهبت إلى أرضها[2] »

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة — مع بنت فرعون — مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات . من الأمم الذين قال عنهم الرب لإسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم » .

وتذكر التوراة بعد ذلك أن نساء سليمان بلغن الألف عداً ، بين زوجات وسرارى . وأن بعض نسائه أملن قلبه ، وكان فى شيخوخته « فمال وراء آلهتهن ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورت إله الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين » وانتهى الأمر بغضب إلهه عليه وانتزاع الملك منه ...

وأما قصص ألف ليلة وليلة فهى معروفة كذلك لعامة القراء ؛ وقصص الصيادين الذين يعثرون بالعفاريت فى قماقم

---

(١) ومن هذه الأناشيد « نشيد الانشاد » وقد انتفع به توفيق الحكيم فى موضع مناسب من تمثيليته واستوحاه فى تعبير سليمان عن حبه .

(٢) وتذكر بعض تفاسير القرآن أنه زوجها من أحد الأمراء التابعة

مسحورة ، وقصص الأحياء الذين يسحرون أحجاراً أو أشياء أخرى ويوضع طلسم خاص لفك سحرهم معروفة كذلك

ومفروض أنه كان بين يدى المؤلف بعض ما كتبه عن « سليمان الحكيم » فى الفرنسية الفيلسوف « رينان » ، وبخاصة ما كتبه عن « نشيد الإنشاد » نشيد الحب والربيع والشباب وهو من نظم سليمان

* * *

هذه هى الخامات التى كانت بين يدى توفيق الحكيم . فلننظر كيف استخدمها فى تمثيليته

لقد انتفع بالمصادر الثلاثة على السواء ، وزاوج بينها ، وفسرها وأضاف إليها بحرية كاملة ، وهذه الحرية معترف بها للفنان الروائى بلا جدال

فهو قد اختار أن يكون سليمان نبياً كما جاء فى القرآن ، وملكا كما جاء فى التوراة . وقد جاءته الخطيئة الدينية — فى التوراة — من جانب المرأة ، فجعلها توفيق بحينه من ناحية المرأة أيضاً ولكنها خطيئة إنسانية لا دينية . واختارت له التوراة غضب الله وانتزاع الملك ، ولكن المؤلف اختار له أن يتوب عن خطيئته وأن يقاسى عذاب ضميره

وقد أثار بين المُلك والإنسانية ، وبين الحكمة والنبوة ، فى نفس سليمان صراعاً نفسياً عنيفاً . فتغلب الملك أو تغلب الإنسان فيه عند القدرة وبدافع الرغبة ، وتغلبت الحكمة أو تغلب النبى فيه عند الاصطدام وبدافع اليأس

وبعض تفاسير القرآن زوّج « بلقيس » من أحد الأمراء ، ولكن المؤلف جعلها تعلق بحب هذا الأمير ، وجعله يعلق بحب وصيفتها « شهباء » !

ثم استعار من ألف ليلة وليلة أحد عفاريتها وأحد صياديها . ولكنه استعارهما ليشيع الجو الأسطورى فى التمثيلية من ناحية ، وليستخدمها فى الصراع بين الخير والشر ، وبين الضمير والشهوة ، من ناحية أخرى ؛ وليرمز بها إلى التكامل والتصارع فى نفس الإنسان الواحد من ناحية ثالثة

* * *

ومن هذه الخامات حاول أن ينشئ تمثيلية تعالج الصراع الأبدى بين الخير والشر وبين الضمير والرغبة ـ وتهدف مع هذا الصراع إلى الاتجاهات التالية :

١ — تغليب الجانب الإنسانى على الجانب المقدس فى نفس النبى ... سليمان !

٢ — قداسة القلب الإنسانى فى الحب والسخرية بجميع قوى الأرض أمام هذه القداسة

٣ — الجحود والوفاء والخير والشر ، واجتماعها فى الحب الإنسانى جنباً إلى جنب

٤ — رفع الستار عن بعض القداسات ، وغمزات للكهان وأشباه الكهان

٥ — الآلام والحرمان والعجز والفجيعة هى التى تشع الحكمة وتهدئ الفورة وتفتح البصيرة

٦ — السخرية بحكمة الإنسان المحدودة مهما سمت وبقوته مهما عظمت أمام الحكمة الكونية الكبرى

٧ — التفسير النفسى ـ من جانب الفن ـ لبعض الحوادث والروايات فى حياة العظماء !

فلنستعرض التمثيلية استعراضاً مجملاً لنرى إن كانت قد أدت هذه الأغراض ، وإن كانت قد جمعت إليها جمال الفن وحركة الحياة . وتلك شروط الرواية الجيدة بالإجمال .

(حلوان) — يتبع سيد قطب

بين القديم والجديد

بناة القاهرة المسلمون

MOSLEM BUILDERS OF CAIRO

تأليف السيدة ر. ل. ديفونشير

للدكتور محمد مصطفى

جلستُ إلى جانبها في عربة يجرها جوادان كريمان، أحدهما أشهب والآخر تغلب في لونه الحمرة، ويقودها سائق فحل عريض المنكبين قوي البنية. وكنا نتحدث في التاريخ الإسلامي، وفي الفن الإسلامي، وفي مجموعة المساجد والمباني الأثرية الإسلامية التي تضمها القاهرة بين أسوارها، والتي لا يوجد لها نظير في بلد آخر. واسترسل بنا الحديث فجعلنا ننتقل بين عصور الفن والتاريخ المختلفة. وكان السائق الفحل يملأ مكانه في خيلاء وغرور، ويسوق جواديه مترفقاً بهما، وهما ينصاعان له هادئين، كأنهما قد استسلما لحبيب يبادلانه الحب، ويعملان جهدهما على إرضائه. ومن وقت إلى آخر كانت السيدة الجالسة إلى جانبي ترسل إلى الجوادين الكريمين نظرة تدليل وإعجاب. ومرت بنا العربة في طريق من طرق القاهرة القديمة التي لم تنلها يد المدنية الزائفة بالتخريب والتشويه، ولم تصل إليها وسائل النقل الحديثة بأصواتها المزعجة. طريق من تلك الطرق الضيقة الكثيرة المنحنيات والتعاريج، والتي تعلوها «مشربيات» البيوت الأثرية من الجانبين، فتترك في أعلاها شقاً ضيقاً يظهر منه القليل من زرقة السماء ممزوجاً بالقليل من أشعة الشمس، وتتخلله مآذن المساجد الشاهقة، شامخة برؤوسها تحدث عن عظمة بناتها

وصمتت السيدة فصمت احتراماً لها، وجعلت أتطلع إلى منظر هذا الطريق فاستهواني، وتملكني سحره وانتقل بي إلى زمن مضى، فخيل إلى أنني عدت شاباً فتياً مزهواً بعنفوان شبابه؛ وأنني أجلس إلى جانب فتاة هيفاء ترنو إلى بعينيها النجلاوين، لتزيد من أثر فتنتها في نفسي. وإذ كنت غارقاً في هذه التأملات، سقط شعاع دقيق من أشعة الشمس على رأس الجواد الأشهب، وانتقل منها إلى ظهره، ثم إلى رأس السائق الفحل، ثم أصاب عيني فآلمني وأيقظني وعاد بي إلى الحقيقة السافرة. ونظرت إلى السيدة الجالسة إلى جانبي فوجدتها كأنها عادت هي الأخرى من ذكريات عزيزة حلوة، وقالت كمن يحدث نفسه: يا لها من طريق جميلة!... وقلت مؤكداً: حقاً! إنها طريق جميلة ساحرة... وكيف لا تكون جميلة ساحرة وقد ملكت عليّ مشاعري، فعشقتها من أول نظرة، وعشقت معها هذه البيوت القديمة التي تطل عليها، وهذه المساجد والمآذن التي تقوم على جانبيها، وعشقت هذا القليل من زرقة السماء الممزوج بالقليل من أشعة الشمس، بعد أن كنت أنظر إلى السماء والشمس فيبهرني جمالها ويعمي عيني فلا أتبين منه شيئاً! وشكرت السيدة الجالسة إلى جانبي لأنها حببت إلى كل هذا، وقادتني لرؤية هذا السحر والجمال.

هذه هي السيدة «ر. ل. ديفونشير» وهي سيدة وقور، يعرفها أغلب سكان تلك الأحياء القديمة الجميلة، ويقابلونها بالإجلال والاحترام. وهي من جانبها تسر لرؤيتهم، وتتحدث معهم باللغة العربية كأنها واحدة منهم. وقد اعتادوا — منذ عشرات السنين — أن يروها تمر في أحيائهم كل أسبوع، وفي صحبتها جماعة من نزلاء مصر، تقودهم ليستمتعوا بجمال هذه الأماكن الأثرية، ويدرسوا معالمها، ويتبينوا بأنفسهم مكان حضارة مصر بين حضارات الأمم الأخرى. ولا شك أننا مدينون لها بالشكر والثناء للدعاية الطيبة التي ما زالت تنشرها لبلدنا الذي عاشت فيه طويلاً وأحبته كثيراً. فقد تطوعت — على الرغم من تقدمها في السن — أن تقود في أيام معينة فريقاً من رجال وسيدات القوات الحليفة الموجودة بين ظهرانينا، ليشاهدوا أماكن الحضارة المصرية من متاحف ومعاهد ومبان أثرية، ليلموا بالناحية الثقافية في مصر إلى جانب ما يجدونه فيها من وسائل اللهو والتسلية.

وقد ألفت هذه السيدة الفاضلة عدة كتب عن مصر الإسلامية، يبحث بعضها في التاريخ، والبعض في فن العمارة، والبعض الآخر في نواحي تأثير الفن الإسلامي في الفنون الأوربية. أما كتابها الذي ظهر أخيراً «بناة القاهرة المسلمون» فهو

يبحث فى تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامى إلى وقت الحملة الفرنسية (١٧٩٨م) . وقد فصّلت فيه أخبار حكام مصر وولاتها وملوكها وسلاطينها ، وما خلفوه من آثار وبنوه من مساجد ومدارس ومارستانات وتكايا وقناطر وحمامات وقباب ومدافن وغير ذلك من المبانى .

وتكلمت فى الفصل الأول من هذا الكتاب عن دخول العرب مصر ، وولاية عمرو بن العاص ، وتشييده جامعه إلى جانب مدينة الفسطاط . وأشارت إلى من خلفه من الولاة ، حتى جاء أحمد بن طولون والياً من قبل الخلفاء العباسيين ، الذين كانوا قد اتخذوا إذ ذاك مدينة سامرا (سُرّ من رأى) عاصمة لبلادهم . وجلب ابن طولون معه من سامرا المعماريين والفنانين ، فنسجوا فيما شيدوه بمصر من المبانى والعمائر على نسق الطرز الفنية التى كانت مزدهرة فى بلادهم فى ذلك الوقت . لذلك نجد أن جامع أحمد بن طولون مبنى على طراز جامع سامرا من حيث تخطيطه وزخارفه وشكل مأذنته ، حتى أنهم استعملوا فى بنائه الآجرّ (الطوب الأحمر) الشائع فى العراق بدلاً من الحجر الجيرى الذى كان يستعمل بكثرة فى مصر لقرب محاجر جبل المقطم

وتحدثت فى الفصول التالية عن انتقال الحكم فى مصر إلى الخلفاء الفاطميين وتأسيسهم مدينة القاهرة . فتكلمت عن أخبار خلفائهم وما بنوه من جوامع ومساجد كالجامع الأزهر والحاكم ، ثم استئثار الوزراء بالسلطة فى أواخر العصر الفاطمي وما بنى فى عصرهم من المبانى مثل السور العظيم الذى بناه أمير الجيوش بدر الجمالى مع باب الفتوح وباب النصر وباب زويلة ، وجامع الجيوشى ، وجامع الأقمر ، ومشهد السيدة رقية وغير ذلك . ثم مجىء صلاح الدين الأيوبى إلى مصر واستقلاله بالحكم بها ، وقيام الدولة الأيوبية ، وبناء قلعة القاهرة لصد هجمات الصليبيين المحتملة فى ذلك الوقت . إلى أن قامت دولة المماليك البحرية ، وانتقلت الخلافة العباسية إلى مصر أيام الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، بعد أن فتح التتار بغداد . ثم ذكرت أخبار من حكم مصر من سلاطين دولتى المماليك البحرية والبرجية وأمرائهم وشدة شغفهم بالفنون الجميلة التى ازدهرت فى مصر فى عصرهم ، وتشييد المبانى الفخمة مثل جامع الظاهر ومارستان قلاوون وجامعه ومدفنه وجامع بيبرس الجاشنكير وسلار وسنجر الجاولى والناصر محمد بن قلاوون والسلطان حسن وبرقوق وبرسباى وجقمق وأينال وخشقدم وقايتباى والغورى . إلى أن كانت موقعة « مرج دابق » الشهيرة بين العثمانيين ومماليك مصر ، وانتصر فيها السلطان سليم الأول العثمانى على السلطان قانصوه الغورى ، وفتح العثمانيون مصر فى سنة ١٥١٧ م ، فصارت منذ ذلك الوقت ولاية عثمانية ، إلى أن جاء المغفور له محمد على باشا الكبير فحررها من ربقة الإدارة العثمانية

وأفردت الفصل الأخير من كتابها لذكر أخبار ولاة مصر العثمانيين وما بناه بعضهم من المساجد والمبانى الأخرى ، رغماً من حالة الاضطراب التى كانت سائدة فى هذا العصر ، والسياسية التى كانت تتبعها الدولة العثمانية فى كثرة تغيير الولاة ، لكى لا يتوفر لأحدهم الوقت لتقوية مركزه والاستقلال بالبلاد . وبينت فى هذا الفصل كيف تأثر فن العمارة فى مصر ، بعد فترة انتقال قصيرة ، بفن العمارة العثمانى ، وهذا هو السبب فى أننا نجد بعض المساجد من هذا العصر مبنية على نسق جامع « أيا صوفيا » باستامبول فى تخطيطه وبعض زخارفه . ومن أكبر مبانى هذا العصر جوامع حاير بك وسليمان باشا والملكة صفية وغيرها . وكذلك بيت جمال الدين الذهبى وبيت السحيمى ، وأخيراً بيت الكريدلية الذى اتخذه اللواء جاير أندرسون باشا فى السنوات الأخيرة مقراً لسكناه ، وكون لنفسه فيه مجموعة كبيرة من التحف أهداها عند سفره إلى انجلترا — للحكومة المصرية ، لتبقى فى هذا البيت كمتحف باسمه تابعاً لدار الآثار العربية

***

ولكن ، يا سيدتى الفاضلة ! إن هذا البلد الحبيب إليك له عليك حق آخر ، وواجب أنت مدينة له به . وإنى أتقدم إليك اليوم على صفحات « الرسالة » لأطلب منك أن تقوى بأداء هذا الواجب ، فيحفظ لك هذا البلد الأمين ذكرى خالدة تبقى إلى جانب ما ألّفتِ من كتب وأبحاث . لقد قضيت فى مصر وقتاً هو بمثابة انتقال بين القديم والجديد ، فهلا دوّنتِ ذكرياتك ومشاهداتك وتجاريبك ، لتبقى لمؤرخى هذا العصر يجدون فيها رأياً حراً لشخص أجنبى جاء إلى هذا البلد وأحبّه وعاش فيه وساهم فى نهضته الوطنية والثقافية ؟ لقد عشت حوالى أربعين سنة فى مصر ، كنت فى خلالها على صلة وثيقة بكبراء البلاد

وعظمائها ومن وفدوا عليها من رجالات البلاد الأخرى ، وكنت موضع احترام الكبير والصغير . وهذه – كما تعلمين – حقبة من الزمن طويلة فى تاريخ مصر الحديث ، لا شك أنك تتبعت فى أثنائها حوادث النهضة الوطنية التى كان لها أكبر الأثر فى تغيير مجرى التاريخ . ثم شاهدت عصر النهضة الثقافية فى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول ، وما كان له من أياد كريمة فى نشر الثقافة والعلوم وإنشاء المعاهد المختلفة فى أنحاء البلاد . وها أنت ذا تحضرين عهد ابنه الملك المفدّى « فاروق الأول » حفظه الله ، وتشاهدين أعمال الإنشاء والإصلاح والتجديد

أيتها السيدة الفاضلة : بالله عليك ، تكلمى وحدثينا ، هل كان الأجدر بنا أن نبقى على القديم ... وهل نحن أفلحنا فى الانتقال من القديم إلى الجديد ؟ ... وهل نحن حقاً فى بداية عصر جيل جديد ؟ ... أم لا تزال هناك بعض الشوائب علقت بهذا الجديد فشوهت جماله ؟

لا شك أننا قد خطونا فى تقدمنا نحو الجديد بخطى واسعة وأنه قد آن لنا أن نحد من سرعة هذا التقدم ، فنعمل على تقوية أخلاقنا وتقويمها ونشجع البحث العلمى الصحيح ونشر الآداب والعلوم على شرط أن نعاقب على السرقات الأدبية والعلمية ، ونطهر مصالحنا العامة من « أدوات الحكم » الماضى . حقاً سيدتى ! إننى أعرف رئيساً فى مصلحة حكومية ، يحكم فيها – بدون لائحة داخلية أو نظام للعمل – حكما دكتاتورياً ، فى وقت نحارب فيه الدكتاتورية ، ويفخر بأن له ٣٢ سنة خدمة فى هذه المصلحة ، مع أنه لم يحصل فى أثناء هذه المدة الطويلة على شهادة دراسية من أى نوع كان ، ولم يؤلف خلالها أى بحث علمى أو مقال صغير ، بالرغم من أن هذه المصلحة يجب أن تكون فى صفوف المعاهد العلمية الراقية . ولى صديق عزيز طبع فى كل شىء على نقيض هذا « الرئيس » ؛ فهو متعلم وله أبحاث علمية وذو خلق قويم مع عفة نفس وشهامة وترفع عن إيذاء مرؤوسيه . وشاء حظ هذا الصديق أن يشتغل فى هذه المصلحة ؛ فما قولك يا سيدتى فى أن هذا « الرئيس » يغار من صديقى ويحاول أن يحقر من شأنه ويحول دون مواصلته أبحاثه العلمية ولا يدع له أى مجال لإظهار كفاءته ومقدرته على العمل ، ولا يراعى فى ذلك الصالح العام . وقد بلغ السفه بهذا « الرئيس » أن سب مصور هذه المصلحة ورماه بالسخف لأنه التقط صورة صديقى إلى جانب كبير من أكبر كبراء البلد ! مع أن صديقى قام بالواجب نحو هذا الكبير ولم يشعره بكثرة تغيب الرئيس عن أعمال مصلحته وعدم محافظته على مواعيد العمل بها

هذه يا سيدتى الفاضلة حالة تكاد تكون فردية ، أرجو ألا يكون لها أو لأمثالها أى اعتبار لديك إذا تفضلت ودونت مذكراتك عن مصر . وإننى أرى أن نهدم هذه البقية الباقية من فترة الانتقال هدماً لا قيام لها من بعده ، قبل أن نتابع طريقنا نحو الجديد الجميل ! ...

محمد مصطفى

مساعد فى دار الآثار العربية

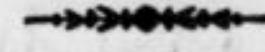
حكم فى القضية العسكرية ١٤٠ مركز بنى سويف سنة ١٩٤٣ بحبس عزوز عبد التواب من سدمنت ثلاثة شهور وغرامة ١٠٠ جنيه للاتجار فى الكيروسين بغير ترخيص

معـــركة الآزور

للشاعر الإنجليزي ألفريد تنيسون

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة

(بقية ما نشر في العدد الماضي من ترجمة القصيدة)



وفيما كانت « سان فيليب » تشرف علينا من موضعها هذا إشراف السحابة التي توشك أن تنقض بصواعقها في تواتر وعنف ، كانت أربعة من الغلايين(١) الإسبانية قد انحازت عن الأسطول جانباً ، فاستقر اثنان منها على يسار سفينتنا واثنان منها على يمينها ، ثم انثالت قذائف الدمار علينا منها جميعاً . ولكن سرعان ما تبينت سان فيليب حرج موقفها فارتدت مبهورة ، وفي جوفها ما يقض ويرمض ... ثم انحدرت إلى سفينتنا عُصب من سائر السفن تقاتلنا يداً بيد . اثنتى عشرة مرة يقتحمون صفوفنا برماحهم وقذافاتهم ، واثنتى عشر مرة ننفضهم عنا كما ينفض الكلب الواثب من الماء أذنيه البليلتين(٢)

... أخيراً بقل وجه النهار وتوارت الشمس بالحجاب ، ثم طلعت نجوم الليل فوق صفحة المحيط الداقْ ؛ ولكن المعركة القائمة بين سفينة واحدة وثلاث وخمسين لم تكف لحظة ... فقد كانت (غلايينهم) السامقة تنساب إلينا سفيناً بعد سفين ، على مدى فترة الليل الطويل ، فتقذفنا بحامم من متسعّر نارها ومتأجج حممها ؛ ولكنها ما ترتد إلا وقد تخضبت بدم قتلاها وتجللت بسواد فضيحتها وعارها . لقد ابتلع اليم فريقاً منها ، ومزقت قذائفنا فريقاً آخر لم يعد يملك معه للنضال سبيلاً(٣) .

فيا لها من موقعة عجب ، لم تقع عين لها من قبل على شبيه !

---

(١) الغليون Galleon طراز أسباني من السفن الحربية الضخمة ، وكان ربما استعمل في نقل كنوز المستعمرات من أميركا وجزر الهند الغربية

(٢) تلقت (الانتقام) هجوم خمس عشرة سفينة في مدى خمس عشرة ساعة من الثالثة عصراً حتى السادسة من صباح اليوم التالي .

(٣) غرقت سفينتان أسبانيتان ، وجنحت أخريان إلى الشاطئ وخسر الأسبانيون ألفاً وخمسمائة من جنودهم وبحارتهم ، وكانوا في جلتهم يزيدون على عشرة آلاف رجل

كانت سفينتنا لا تزيد على حطام متناثر عند ما راح قائدنا يهتف في قوة : ناضلوا ، ناضلوا ! وما كادت تولى بُهْرة هذا الليل المتقاصر حتى أصيب بجراحة غادر من أجلها ظهر السفينة إلى حيث يضمَّد له(١) ... ولكن قذيفة أخرى مسددة شقت طريقها إلى طبيبه الذي يقوم عليه فخر في موضعه صريعاً ، وأصيب هو بجراح أخرى في جنبه وفي شواه ، فما كان إلا أن هتف مكرراً دعوته : ناضلوا ، ناضلوا !

* * *

انحسر نقاب الظلام ، وذر قرن الشمس على الأفق البعيد ، ورأينا الأسطول الإسباني بدعائمه المنهارة قد أحصر بنا من كل وجهة ، وطوقنا في دائرة تامة . ولكن سفينة واحدة لم تجرؤ على معاودة نزالنا ، كأنما قد خشوا أن يكون في نكزنا فضلٌ من حُمة !(٢) فانحازوا إلى ناحية منا يتوكفون مغبة هذا النضال الرائع . ولم نكن قد قاتلناهم عبثاً ، ولكن حالتنا كانت بالغة الخطورة ، إذ أودَى من رجالنا المائةِ أربعون في محتدم هذا الصراع اليائس ؛ وأصيب شطر الباقين بما آفَهُم وأقعدهم عن التصرف مدى الحياة . أما مرضانا في قاع السفين فقد مُنوا من نفحات البرد بما يبّس أعضاءهم وشلّ قواهم ...

وهوت الرماح من أيدينا جميعاً بين متقصِّد ومناد ، ونفدت كل ذخيرتنا من القذائف والمتفجرات ، وامتلأت جنبات السفينة بكل شراع مقدود وقلْس مبتوت(٤) ؛ ولكن السير

---

(١) البهرة ساعة من الليل بعيد منتصفه ؛ ويبدو أن تنيسون هنا يتابع أصدق الروايات عن وقت إصابة السير رتشارد ، وهي رواية السير والتر رالي التي يدعمها بشهادة ستة من البحارة الذين نجوا واستجوبوا رسمياً في انجلترا . وإذن فمن الخطأ — كما يقول رالي — ما يزعمه بعضهم من أن السير ريتشارد أصيب في أول القتال ، ثم بقي على ظهر السفينة حتى منتصف الليل رغم إصابته ...

(٢) الحمة : السم نفسه لا الشوكة اللاسعة كما هو متعارف ، وقد نص على ذلك ابن قتيبة في باب (ما يضعه الناس في غير موضعه) من كتابه أدب الكاتب

(٣) أصيبت الانتقام بثمانمائة طلقة . كان منها ثلاثة تحت سطح الماء ، تندفق في قاعها إلى ارتفاع ست أقدام

رتشارد راح يتحدث إلينا فى كبريائه الإنجليزية فقال :

أيها الرفاق ، لقد اضطلعنا طوال يوم وليلة بحرب لن يكون مثلها أبداً ، وربحنا من المجد وكرم الذكرى ما أناف بنا على اليفاع ؛ وسنودع الحياة فى يوم قريب أو بعيد ، على نجوة هذا الشاطئ أو فى أثباج هذا اليم ، فهل نبالى متى يكون ذلك أو كيف يكون ؟ ألا أغرق لنا السفينة يا سيدى المدفعى ! أغرقها !! إجعلها شطرين . . . ولنقع بين يدى الله ولا نقع فى أيدى الإسبانيين !

وأجاب المدفعى الباسل : أجل ، أجل[1] . . . ولكن البحارة اعترضوا قائلين : إن لدينا أطفالاً وخلفنا زوجات ، وها قد حفظ الله علينا حياتنا ، فلنستوثق من الإسبانيين بعهد على أن يحاجزهم فيخلوا سَربنا ، لأن من الخير أن نعيش الآن حتى نعود إلى قتالهم فى مؤتنف الأيام ، فنكيل لهم الطعن خِلاجاً والضرب هَذاذَيك . . . وهكذا ألقوا السلَم إلى أعدائهم بينما اضطجع القائد الباسل يودع حياته ويجود بآخر أنفاسه[2]

وحملته ثلة من الأسبان المتغطرفين إلى سفينة قائدهم[3] فأضجعوه إلى جانب الدقَل . . . وأقبل عليه القوم يزكُّون عمله بلهجتهم الأجنبية المتظرفة ، ويشيدون ببطولته على مرأى منه ومسمع ؛ فما كان إلا أن نهض بينهم وهو يصيح قائلاً : لقد حاربت فى سبيل ملكتى وبلادى كما يحارب الرجل الشجاع المحق . . . لم أزد على أن أديت واجبى كاملاً كما ينبغى أن يؤديه رجل . . . وها أنا ، سير رتشارد جرانفيل ، أموت وملء نفسى الغبطة والاطمئنان

ثم سقط فى موضعه يكيد بنفسه حتى صفرت منه الوطاب[4]

* * *

وحدقوا بأبصارهم فى وجه الصريع الذى تجسمت فيه الشجاعة وصدق البلاء ، الذى طامن من نخوة أسبانيا ، وطأطأ من إشرافها بما تحدى به أسطولها الضخم من فلك صغير وشرذمة من الرجال قلائل . . . أشيطاناً كان هذا أم إنساناً ؟ . . . لقد كان الشيطان بعينه من أية وجهة نظروا إليه . على أنهم احتفلوا بإيداع جثمانه اليم احتفالاً ملؤه التجلة والتكريم .

ثم احتلوا : « الانتقام » بشرذمة من بحارتهم ذوى السحن الغريبة والوجوه السمراء . واستأنفت السفينة رحلتها فى رفقة ضحاياها ، وهى تكابد غصص الآلام من مواجعها الخاصة غب المعركة الرهيبة

وما أسرع ما نهضت الرياح من غفوتها ، وهبت عليهم مجفلات من قبَل الأرض التى اعتبدوا أهلها وعاثوا فى أرجائها مفسدين[1]

وبدأ اليم يرغى ويزبد والسماء تئن وتزمجر ، فما أسدل الليل ستوره إلا والقواصف العاتية تجتاح البحر من كل جهة ؛ والموج يتدفع حول السفن كأنما تحركه أيدى الزلازل ، ويتدفق على جوانبها وأشرعتها ، فلا ينحسر منها إلا عن دوقل مصدوع أو علم منزوع

ثم استجمع البحر قواه وعطف على الأسطول الذى أوهنت من تجلده القذائف فلفه فى أحضانه[2]

أما سفينتنا « الانتقام » فقد غاصت بدورها إلى جانب إحدى الرضام القوابع تحت الماء[3] ، مودعة حياتها إلى الأبد فى أعماق هذا الخصم الجياش .

(جرجا) محمود عزت عرفة

---

(١) كان يميل هذا المدفعى إلى رأي قائده من إغراق السفينة . وعندما تقرر أمر التسليم حاول الانتحار بسيفه فحيل بينه وبين ذلك واحتجز فى إحدى الغرف ، حتى كان ما كان من أمر النكبة التى حاقت بالغالب والمغلوب جميعاً

(٢) انطوت شروط التسليم على ضمان سلامة الباقين من الجند والبحارة وإعادتهم إلى وطنهم ، مع الاحتفاظ ببعض ذوى الرتب العالية منهم — دون سجن أو تضييق — إلى أن يتم تقديم الفدية المعقولة عنهم .

(٣) هو الجنرال ألفونسو دي باسون

(٤) توفى السير رتشارد بعد يومين أو ثلاثة من نقله ، ولا يعرف شىء على وجه التحقيق عن مصير جثمانه ، وهل كان دفنه براً أو بحراً

(١) من الأساطير القديمة أن كل موقعة بحرية تتبع بعاصفة هوجاء كأنما تجىء لتعفى على آثارها

(٢) كان قد التحق بالأسطول بعد المعركة قافلة تجارية بلغ بها عدد السفن جميعاً مائة وأربعين . ولكن لم يصل من هذا العدد الضخم إلى أسبانيا غير اثنتين وثلاثين سفينة ، أما سائرها فقد تحطم أو فقد ، على مسافة غير بعيدة من الآزور

(٣) الرضام صخور عظام أمثال الجزر ، واحدتها رضمة (عن الثعالبي) ، وقد كان غرق الانتقام عند رضام جزيرة سانت ميشيل St. Michael I إحدى جزائر الخالدات (الآزور)



اقتراح مقدم إلى المجمع اللغوي في ضبط الخلاف بين العربية والعامية

قدم بعض أساتذة كلية اللغة العربية اقتراحاً برأى جديد يرمى إلى تقريب الخلاف بين العربية والعامية ، وإرجاعه إلى أصول ثابتة ، وقواعد مضبوطة ، تكون فيها العربية عربية بمقتضى هذه الأصول ، وتكون العامية عامية بمقتضى هذه القواعد ، فلا يشتبه أمر ذلك على أحد ، ولا يكون فيه أثر لتعنت أو تحكم

والأصول التي يجب أن يرجع إليها في ذلك هي الأصول النحوية والصرفية والبلاغية ؛ فكل كلمة لا تخالف شيئاً من هذه الأصول تكون عربية مقبولة ، وكل كلمة لا توافق شيئاً من هذه الأصول تكون عامية غير مقبولة ؛ وبهذا يكون قول العامة عباية في عباءة غير صحيح ولا مقبول ، لأنه لا يجرى على قاعدة الصرف في قلب الهمزة ياء ، وكذلك قولهم توب بالتاء المثلثة ، وقولهم جعر بالعين في جار بالهمز ، وهكذا . ويكون قول العامة ترمس بكسر التاء والميم صحيحاً ، لأنه لم يخرج عن أوزان الاسم الرباعي ، وكذلك قولهم حُصان بضم الحاء ، وقولهم معدَن بفتح الدال ، لأن هذا كله لا يخالف قاعدة من قواعد العربية ولا يؤثر بشيء في صميم اللغة ولا دليل على فساده عندهم إلا أن أئمة اللغة لم ينصوا عليه في كتبهم ، مع أن حكم أئمة اللغة في ذلك قائم على الاستقراء الناقص ، لأن لغة العرب من السعة بحيث لا يحيط بها إلا الله تعالى ، والاستقراء الناقص لا يفيد العلم كما هو ثابت في علم المنطق . (...)

جائزة فاروق الأول في مباراة الشعر والقصة

اجتمعت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ونظرت في الجائزة التي خصصتها السيدة هدى هانم شعراوى وقدرها مائة جنيه مصرى لإقامة مباراة سنوية باسم « جائزة فاروق الأول للشعر العربى والقصة المصرية » على أن توزع الجوائز كما يلى : ٤٠ جنيهاً للفائز الأول في القصة المصرية ، و٢٠ جنيهاً للفائز الثانى فيها ، و٢٥ جنيهاً للفائز الأول في مباراة الشعر العربى ، و١٥ جنيهاً للفائز الثانى فيه ، على أن تكون المباراة بإشراف المجمع اللغوى

وقد قررت اللجنة أن تكون القصة باللغة العربية الفصحى ، وأن تكون مبتكرة لم يسبق نشرها ، وأن تعرض صورة من صور الحياة المصرية العصرية ، وألا تقل عن ستين صفحة ؛ وأن يكون آخر موعد لقبول الاشتراك في هذه المباراة أول نوفمبر سنة ١٩٤٣

كذلك اشترطت في نظم القصيدة المقررة للمسابقة أن تكون في أحد الموضوعين الآتيين : حياة الريف المصرى — فصول السنة في مصر ، وأن تكون مبتكرة لم يسبق نشرها ، وألا تقل عن أربعين بيتاً . وآخر موعد لقبول الاشتراك فيها أول سبتمبر سنة ١٩٤٣ ، وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو أن يختاروا أسماء مستعارة والمحكمون هم أعضاء لجنة الأدب وترسل القصص والقصائد إلى كاتب اللاجنة بالمجمع .

حول مسقط رأس السيد جمال الدين

ذكر الأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمى الأفغانى أن السيد جمال الدين ولد في قرية (أسد أباد) لا (أسعد أباد) . وقد استطعت من البحث أن أقف على ما يأتى :

١ — جاء في دائرة المعارف للبستانى : أسد أباذ Asadabâd مدينة بينها وبين همذان مرحلة واحدة نحو العراق ، وبينها وبين مطبخ كسرى ثلاثة فراسخ وإلى قصر اللصوص أربعة فراسخ . ذكرها ياقوت وقال عمرها أسد بن ذى السرو الحميرى في اجتيازه مع تبع ... وأسد أباذ أيضاً قرية من أعمال بيهق ثم من نواحى نيسابور أنشأها أسد بن عبد الله القسرى سنة ١٢٠ هجرية لما كان على خراسان من قبل أخيه خالد في أيام هشام بن عبد الملك

٢ — وجاء في دائرة المعارف الإسلامية (المجلد الثانى ص١٠٣ ما نصه : « أسد أباذ » : مدينة في بلاد الجبل (ميديا) على بعد بضعة فراسخ أو مسيرة يوم إلى الغرب من همذان ، وهى واقعة على المنحدر لجبل أروند عند مدخل سهل خصب مزروع يبلغ ارتفاعه نحو ٥٦٥٩ قدما . وكانت أسد أباذ في عهد العرب إبان

العصور الوسطى وفى عهد المغل (كذا) كذلك مدينة زاهرة كثيرة السكان بها أسواق عامرة . وأسد آباذ اليوم بلدة جميلة بها نحو مائتى منزل (كما يقول Bellew) يسكن بعضها أسر يهودية . ويسمى الفرس هـذه البلدة « كما يروى بعض الرحالة الأوربيين ، « أسد آباذ » « Petermann و Bellew » وكذلك « سعيد آباذ » « Dupree و Petermann » أو « مهد آباذ » « Kerp Porter » الخ ...

ولقد حاولت أن أوفق بين ما قاله الأسـتاذ وما ورد فى الدائرتين المذكورتين فلم أوفق ؛ فبينما هى ـ كما ذكر ـ قرية خربة لم يبق منها إلا الأثر إذ هى فى دائرة المعارف الإسلامية مدينة زاهرة أو بلدة جميلة

لذلك آثرت أن أقف عند هذا الحد ، وأن أدع لقراء الرسالة فرصة البحث عن مسقط رأس ابى النهضة الشرقية .

محمود شلبي

حول « معركة الآزور »

نشر الأستاذ محمود عزت عرفة ترجمة جزء من قصيدة لشاعر الإنجليز « تنسون » وقد راعنا من الأستاذ تصرفه فى الترجمة تصرفاً شـديداً لا تدعو إليه ضرورة ، وإغراقه فى المجازات والاستعارات والتشبيهات مما لا وجود له فى أصل القصيدة ولا قبل له باحتماله ، وتعسفه فى تصيد الـكلمات الغريبة .

وقد جاءت ترجمة الأستاذ أطول من الأصل كثيراً لـكثرة ما زاد عليه من حشو وذيول .

قال الأستاذ : « كان السير رتشارد جرانفل مرفئاً بسفينته إلى جدة من جدد شاطئ الفلورز إحدى جزر[1] الخالدات ، عند ما أقبل زورق ذو مجاديف يهوى من بعيد كأنه الطائر زُف بجناحيه . وارتفع صوت من داخله يقول : السفن الحربية الإسبانية تمخر العباب ... لقد رأينا منها ثلاثاً وخمسين » . فإذا رجعنا إلى الأصل وجدناه هكذا :

At Flores in the Azoses Sir Richard Grenville lay,
And a pinnace, like a flutter'd bird, came flying from for away :
"Spanish ships of war at sea ! we have sighted fifty three ! "

(١) جعلها الأستاذ جزر الخالدات وصوابها : الجزر الخالدات . (أنظر : المنجد . مادة : خلد)

وترجمته : بينما كان السير رتشارد جرنفل عند فلورز فى الجزر الخالدات إذ أقبل من بعيد زورق حربى يخفق خفقان الطائر : « السفن الحربية الإسبانية فى اليم ! لقد رأينا منها ثلاثاً وخمسين ! »

ويقول الأستاذ : « وهكذا انسحب لورد هوارد بخمس من السفن الحربية فى ذلك اليوم ، وانطلق موغلاً فى اليوم حتى ذاب كما تذوب السحابة فى صفحة الأفق الغارق فى الصمت المتشح بالدفء والسكون »

ففى أى مكان من الأصل تقع هذه المجازات والاستعارات وهو :

So Lord Howard passed away with five ships of war that day,
Till he melted like a cloud in the silent summer heaven;

وترجمة : « ابتعد لورد هوارد فى خمس سفن حربية ، حتى تلاشى تلاشى سحابة فى سماء صيفية ساكنة »

وشر من ذلك فى الحذلقة قول الأستاذ : « نحن جميعاً من أبناء إنجلترا الأمجاد وفتيانها المصاليت ؛ فدعونا نسدد الطعن وخضاً إلى هذه الـكلاب (الإشبيلية) الخواسىء أبناء الأبالسة ونسل الشياطين . والأصل : "We be all good English men. ...
Let us bang there dogs of Seville, the children of the devil.

وترجمته : «نحن جميعاً إنجليز كرام ؛ فهيا بنا نضرب هؤلاء الـكلاب الأشبيليين ، أبناء الشيطان » فأين من هذا (المصاليت والطعن الوخض) . ومثله قوله : « نطق السير رتشارد بهذا ، ثم افتر فمه عن ابتسامة ساخرة فانفجرنا جميعاً نهتف فى صوت مدو : مرحى ، مرحى ! ... وهكذا صمدت « الانتقام » صمد عدوها دون محاشاة ، وعلى ظهرها مائة مقاتل ، وفى جوفها تسعون مريضاً قد أداءتهم العلل وبرحت بهم الأسقام » والأصل:

Sir Richard spoke and he lough'd, and we roar'd a hurrah, and so
The little Revenge ram on sheer into heart the foe,
With her hundred fighters on deck, and her ninty sick below;

وترجمته : « نطق السير رتشارد بهذا ضاحكا فزأرنا مرحى مرحى ، واندفعت «الانتقام» الصغيرة خفيفة إلى قلب العدو وعلى ظهرها مائة مقاتل تحتهم تسعون مريضاً »

ومثل ذلك فى الإغراب قوله : « بجدت فى موضعها لا تريم » و «أغرى دعن لقائهم» و « الحاملة جاء ألف من الأطنان وخمسمائة »

ويقول الأستاذ « ألوفاً آخرين من بحارتهم يسخرون من المركب الصغير الذى ركب فيا زعموا متن الغرر ، وأقحم نفسه بلقائهم المتالف » والأصل :

Thousamds of their seamen made mock at the mad little craft

وترجمته : « ألوف من بحارتهم سخروا من المركب الصغير الأخرق »

هذا ، ولم يترجم الأستاذ غير ثلث القصيدة فشغل نحو صفحة من الرسالة ، وكان يمكن ألا يشغل إلا نصفها إذ الأصل طولا كذلك .

(سمالوط) محمد خليفة التونسى

هل ذلك من توارد الخواطر ؟

وقع فى يدى منذ أيام كتاب بعنوان « مصر فى قيصرية الإسكندر المقدونى » ، وهو من الكتب التى تعد حديثة ، وكاتبه هو الأستاذ إسماعيل مظهر ، فوجدته ترجمة حرفية للفصل الأول من كتاب :

History of Egypt under the Potelemaic Dynasty: By Edwyn Bevan

ولم يأت الكاتب بشىء من عنده اللهم إلا بعنوان كتابه هذا ، وحتى هذا العنوان إذا راعينا الدقة العلمية نجد فيه خطأ ، فكلمة قيصرية هذه لم تعرف إلا منذ عهد يوليوس قيصر – نسبة لاسمه – فكيف ينسبها الأستاذ مظهر إلى الإسكندر المقدونى الذى سبق قيصر بنحو ثلاثة قرون .

مختار العبادى
طالب بكلية الآداب — جامعة فاروق

ديوان أغانى البحيرة

دفقات من السنا الفتان
وانطلاق النشيد من فنان
ونقاء الضمير من روحانى
صاغها شاعر ندىّ المعانى
لم يزل كالربيع فى الريعان
عبد الحسن ؟ حسن تلك المغانى
بين موج سعى إلى الشطآن
ونسيم سرى إلى الوديان
فأذاب الفؤاد فى الألحان
فوق ثغر البحيرة الوسنان

حسين محمود البشبيشى

« كرنا » لاتينية وليست فرنسية

كتب الأستاذ الدكتور زكى مبارك فى مقال له بالرسالة أن (كرنات) منقولة عن الكلمة الفرنسية Couronna ، أى التيجان ، وفى الواقع لم تعرف مصر هذه الكلمة عن الفرنسيين ، بل عرفتها منذ حكم روما لمصر ، إذ أن كلمة (كرنات) لاتينية فى الأصل ، ونقلتها فرنسا ، كما تداولها أهل مصر ، وكان الرومان قد اعتادوا فى الحفلات أن يزينوا رؤوسهم بأكاليل عبارة عن غصون من شجر الزيتون ، على شكل تاج يطلقون عليها اسم Corona ، وهذه هى الكلمة التى أرادها الدكتور مبارك ونسبها إلى اللغة الفرنسية ، وقد أبان عن اغتباطه بنسبة هذه الكلمة للأدب الفرنسى ، ولعله يغتبط أكثر عند ما يعرف أنها كلمة لاتينية ، كثيراً ما ذكرها شعراء الرومان الغزليون والخمريون ، مثل كاتولوس وغيره من شعراء روما القدماء .

صموئيل كامل عبد السيد
بالدراسات اليونانية والرومانية — كلية الآداب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 512 | Lundi - 26 - 4 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥١٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهرس

صفحة

٣٢١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٣٢٣ الحديث ذو شجون ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٣٢٦ أمثلة ... ... : الأستاذ محمد محمد المدني ...
٣٢٨ وعصفور من الشرق أيضاً : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٣٣١ حانة الشعراء [قصيدة] : الأستاذ على محمود طه ...
٣٣٢ « سليمان الحكيم » ... لتوفيق الحكيم ... ... } الأستاذ سيد قطب ... ...
٣٣٥ أثر المرأة في علي محمود طه : الأستاذ إدوارد حنا سعد ...
٣٣٨ ذو القرنين ... ... : الدكتور إبراهيم الدسوقي ...
٣٣٩ نظرات في كتاب ... : الأديب ذكريا إبراهيم ...
٣٣٩ ضبط الخلاف بين العربية والعامية مستحيل ... } الأستاذ عبد الحميد عنتر ...
٣٤٠ نزول عيسى ... ... : ... ...

٩ ـ دفاع عن البلاغة

الأسلوب

لعل ما عرضته عليك من إجمال القول فى البلاغة كان توطئة لتفصيل الكلام فى الأسلوب. ذلك لأن الأسلوب هو مظهر الهندسة الروحية لهذه الملكة النفسية، يبرزها للعيان، ويصل بينها وبين الأذهان، وينقل أثرها المضمر إلى الأغراض المختلفة والغايات البعيدة. وكتب البلاغة فى لغتنا لم تُعن إلا بالجمل وما يعرض لها فى علم المعانى، وإلا بالصور وما يتنوع منها فى علم البيان؛ أما الأسلوب من حيث هو فكرة وصورة معاً فقد سكتت عنه سكوت الجاهل به. وكان الظن بمن خلفوا عبد القاهر وأبا هلال وابن الأثير أن يفطنوا إليه بعد ما دلوهم عليه بذكرهم بعض خصائصه الفنية وصفاته اللفظية، وإن كان ما ذكروه من ذلك جاء فطيراً لم يختمر، وخديجاً لم يكتمل، وشائعاً لم يحدد، ومشوشاً لم يرتب؛ ولكنهم صُمّوا عن تنبيه العسكرى، وعموا عن توجيه الجرجانى، ومضوا على نحائزهم الأعجمية يفلسفون النحو والبلاغة لا لشىء غير الفهاهة والحذلقة. والأسلوب كما قال لهم ابن خلدون فى مقدمته: « لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذى هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذى هو وظيفة البلاغة والبيان... وإنما يرجع إلى صورة ذهنية

للتراكيب ... وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيّرها فى الخيال كالقالب والمنوال ، ثم ينتقى التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصًّا كما يفعله البناء فى القالب والنساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربى فيه ، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة . . . » لذلك حسب المدفوعون بطبائعهم عن موارد البلاغة من طول ما ثرثروا حول الجمل والصور فى عصور العجمة ، أن الأسلوب سرد ألفاظ لا تسفر عن معنى ، وحشد أسجاع لا تؤدى إلى غرض

* * *

إذن ما هو الأسلوب ؟ الأسلوب هو طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة فى اختيار الألفاظ وتأليف الكلام . وهذه الطريقة فضلاً عن اختلافها فى الكتّاب والشعراء تختلف فى الكاتب أو الشاعر نفسه باختلاف الفن الذى يعالجه ، والموضوع الذى يكتبه ، والشخص الذى يتكلم بلسانه أو يتكلم عنه . ولكن الأساليب مهما اختلفت باختلاف الأفراد ، وتنوعت بتنوع الأغراض ، فإنها تتسم جميعاً بسمات واحدة من عبقرية الأمة . ومنطق ذلك أن الصفات المشتركة فى آحاد الأمة تتلاقى وتتجمع فتكوّن خصائصها التى تميّزها من سواها . وهذه الخصائص نفسها تنطبع فى لغتها فتكون طرازاً عاماً فى كل أسلوب

وعلى قدر ما تكون هذه الخصائص فى الأمة تكون قابلية الأساليب فيها للاختلاف . فالصفات القومية فى الأمة العربية كانت فى جاهليتها شديدة الظهور والعموم حتى لم يكن بين صفات الفرد وصفات الجماعة إلا فروق لا تكاد تلحظ . ومن ثم تشابهت أساليب الشعر والخطابة فى ذلك العصر فلا تستبين فروقها الدقيقة إلا للناقد البصير . ومن اختلف أسلوبه من الشعراء الجاهليين فقد اختلف لتغلب صفاته الخاصة ، كأمية بن أبى الصلت وعدى ابن زيد . فلما جاء الإسلام أخذت هذه الفروق تتضح وتتباين حتى بلغت غايتها من ذلك فى العصر العباسى حين صارت اللغة العربية لغة الإسلام ، والأدب العربى أدب الشرق

والفنان المبقرى هو وحده الذى يستطيع أن يغلّب صفاته الخاصة على صفات قومه العامة فيتميز طابعه ويستقل أسلوبه . أما العاديون والمقلدون من حملة الرواسم (1) وحفظة التعابير فتظل أساليبهم نسخاً منقولة عن الأصول العامة الموروثة لا يختلف بعضها عن بعض إلا بمقدار ما تختلف رسائل التجار وكتب الدواوين

وبهذه الصفات القومية العامة تميزت لغة من لغة ، واختلف أدب عن أدب ؛ فاللغات الشرقية فى جملتها تتميز من الغربية بالزخرف والأبهة والانتفاخ والتبجيل والتهويل والصوفية ؛ لأن شعوبها صبغوها بهذه الأصباغ من صفاتهم الخاصة . والفروق المعروفة بين الفرنسية فى وضوحها ودقتها ، وبين الإيطالية فى رخاوتها ورقتها ، وبين الإنجليزية فى خشونتها وقوتها ، هى نفسها الفروق بين أصحاب هذه الأمم الثلاث فى أصل الجبلّة وموروث الطبع

وكما تؤثر صفات الأمة فى طبيعة اللغة ، تؤثر طبيعة اللغة فى أسلوب الكاتب ؛ فاللغات التى اكتسبت من مدنية أهلها رقة اللفظ وأناقة العبارة ، ومن شاعريتهم جمال الصور وروعة الأخيلة ، تغنى الكاتب بموسيقاها وحِلاها عن كد القريحة فى ابتكار المعانى واستنباط الفِكر . أما اللغات التى لم تؤتها الطبيعة حظاً موفوراً من سحر اللفظ وفتون الصياغة ، فكتابها مضطرون إلى أن يعوضوا أساليبهم من ذلك ، وجازةَ التعبير ، ووزانة التفكير ، ومدَّ القارىء بفيض من المعانى يشغله عن الفكر فيما فاته من جمال الأسلوب

واللغة العربية من النوع الأول ، طبعها أهلها منذ القدم على موسقة الألفاظ ، وتنويع المعاني بصور البيان ، وتفويف الجمل بألوان البديع ، لا فرق فى ذلك بين بداوتها وحضارتها ، ولا بين فصحاها وعاميتها ، حتى اطمأن كثير من رجال القلم إلى أن يُعفوا طباعهم من جهد التفكير ويحاولوا امتلاك القلوب بروعة الأسلوب ، فكانت المقالة أو القصيدة أشبه بالقطعة الموسيقية تخلب الأذن ولا يبلغ النفس والذهن منها غير رجع ضعيف . ومن هنا قرّ فى أكثر النفوس أن الأسلوب إنما يطلق على الجانب اللفظي من الكلام ، حتى قال الأستاذ الرافعى طيب الله ذكره : « فصْل ما بين العالم والأديب ، أن العالم فكرة ، والأديب فكرة وأسلوبها » ففصل بين الفكرة والأسلوب ، واعترف بالأسلوب للأديب وأنكره للعالم . ولعلّى أوفق إلى تصحيح هذا الرأى فيما يلى من هذا الحديث .

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

(1) الرواسم جمع روسم وهو « الكليشيه »

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

بلاء الناس بالناس — ملك الشط والفراتين — زيارة سياسية

بلاء الناس بالناس

تمرّ بنا لحظات كدر وغيظ لا يخلقها غير بلاء الناس بالناس ... نعم ، تمرّ بنا لحظات نحسد فيها سكان المناور والكهوف ، ونتمنى عيش العزلة إلى آخر الزمان

هذه الحرب صنعت ما صنعت بالأرزاق والأقوات ، ولم تترك بيتاً بلا متاعب معاشية ، فهل تأدب الناس وتذكروا أنهم يعيشون فى أعوام حرب ؟ وهل تقع العيون على ناس تشهد ملابسهم بأنهم يعانون أزمات الحرب ؟

قيل إن المال كثر وفاض ، فعند مَن كثر المال وفاض ؟ لم يكثر إلا عند التجار . وكثرةُ المال عند التجار مفسدة معاشية لا يدرك خطرها إلا الأقلون ، وهى ناشئة عن بلاء الناس بالناس ... ولكن كيف ؟

الموظف المحدود الراتب ، والمالك المحدود الإيراد ، لا يريد هذا أو ذاك أن يقال إن حياته تعرضت لمتاعب الغلاء ، فهو كما كان يعيش فى أيام الرخاء ، وإن كلفه ذلك غمّ القلب وهموم الديون

ما هذه الملابس الجديدة فى زمن ليس فيه جديد غير دماء القتال ؟ وما هذه العطور والمساحيق والأزياء فى أيام لا يتعطر فيها الجو بغير جثث المحاربين ؟

لو راعى الناس أنهم يعيشون فى زمن حرب لخففوا من بعض المطالب لاعتدلت أسعار الحاجيات وانقشع كرب الغلاء ، ولكنهم لجهلهم يأبون الاعتراف بمكاره الحرب ، ويصرّون على الظهور بمظهر الوجاهة فى كل مجتمع وفى كل ناد

هل عندك أبناء وبنات يتعلمون فى المدارس ؟

لك الله ، إن كان هذا حالك ، فلن تستطيع أن تقنع ابنك أو بنتك بأن الدنيا فى حرب و كرب ، لأن هذا الإقناع لن يتيسر إلا إذا عُقد مؤتمر من آباء التلاميذ يقررون فيه الاستغناء عن الفضول فى الملابس والأزياء ، ولن يُعقد المؤتمر المنشود إلا إذا وُجد فى آباء التلاميذ من يجرؤ على القول بأن أعوام الحرب صيرته خفيف الجيب !

وآه ثم آه من بلاء الناس بالناس !

قَـدِم مندوب المتجر الفلانى إلى المدرسة الفلانية وأخذ مَقاس جميع التلميذات بدون استئذان ليعدّ لهن أثواب الصيف ، وهو موقن بأن لن يكون فى مقدور تلميذة أن ترفض ثوبها « يوم الحساب » لئلا يقال إن أباها من الفقراء !

فما شأن المتجر الفلانى بالمدرسة الفلانية ؟

وما الذى يوجب أن تكون ملابس جميع التلميذات كأسنان المُشط فى اللون والاستواء . وقد نوّع الله الوجوه والملامح أغرب التنويع ؟

أفى مثل هـذه الأيام نعرف الفروق بين ملابس الصيف وملابس الشتاء ؟

كان الظن أن يعرف نظار وناظرات بعض المدارس أن فى الآباء من لم يستفد من فرص الحرب ، كما استفاد من سيكونون طعام سَـقَر من التجار المنهومين

وكان الظن بالأغنياء الذين يدللون أبناءهم أن يتذكروا أن لأبنائهم رفاقاً لا يملكون من الترف ما يملكون ، وأن الأدب مع الله يفرض علينا أن نستر نِعم الله ، فلا نجأر فى كل لحظة بأننا أغنياء ، لنكدر عيش الفقراء

وآه ثم آه من بلاء الناس بالناس !

الظواهر لا تشغل الخلائق إلا حين يُحرَمون جمالَ المعانى والمفاضلة بين تلميذ وتلميذ فى هذا العصر مفاضلةٌ بين ثوب وثوب ، وليست مفاضلة بين عقل وعقل ، ولهذا كثرت خيبة التلاميذ النجباء !

ما لى ولهذا الكلام المزعج ؟

هو كلامٌ ساقه جزعى من العجز عن ادخار درهم واحد فى مدى شهرين ، بسبب الجو الذى يحيط بى وبأبنائى ، جوّ الزخرف الذى يحيا فيه الأصحاب والجيران

كنت أوصى تلاميذى فى مصر وفى العراق بالادخار ، وكنت أقول لهم إن الادخار هو الذى منحنى الفرصة لإتمام دراستى العالية فى باريس ، بعد توفيق الله . واليوم يصعُب علىّ أن أوصى أبنائى بما كنت أوصى به تلاميذى . وكيف يسمع أبنائى ما أقول ومن حولهم خلائق تعجز عن تأديبها الزمان ؟

إن عدوى الترف سريعة الإيذاء ، فلنحترس من شرها كل الاحتراس

وكيف نحترس وليس فى الدنيا طفلٌ يعرف أن أباه لا يبخل عليه بالترف إلا ليدّخر له ما ينفع فى الأيام المقبلات ؟

إن أبناءنا لا يريدون أن نطمئن على سلامتهم من الوجهة الروحية ، وإلا فكيف جاز أن تكثر رغبتهم فى الزخارف وتقل رغبتهم فى الحقائق ؟

عفا الله عنهم ، فهم ضحايا بلاء الناس بالناس !

إن حال الرجال من هذه الناحية مقبول ، فما أذكر أنى رأيت مدرساً أو مفتشاً يهتم بملابسه اهتماماً يوجب الاعتراض ، وإنما الحال المزعج هو حال بعض المدرسات والمفتشات ، حال الفساتين التى لا تجاوز الركبتين ، حال الزينة التى تنافى وقار التعليم ، وكان مهنة الأنبياء

وفى إحدى المدارس رأيت مدرّسة ضنت على نفسها بالزينة الزخرفية ، فزاد إيمانى بعظمة بلادى ، وأيقنت أن « ربة البيت » بخير وعافية ، وأن مصر فى أمان من طغيان الخسران

عندنا مدرّسات حقًا وصدقاً ، مدرّسات يتحلين بالعلم لا بالزينة ، وبفضل أمثال هؤلاء المدرسات سنبلغ من تعليم البنات ما نريد

المدرسات المصريات فى هذا العهد يجاهدن بصدق للتغلب على السخف الذى جلبه الجانب الضعيف من المدنية الغربية ، ويحاولن بصدق أن يكن مدرسات لا وصيفات

وقد صار من المألوف أن تجد مدرسات يقهرنك قهراً على بذل تحية التعظيم والتبجيل ، وهى تحية أكرم وأشرف من تحية الحسن المجلوب

وأرجو أن يفهم القارئ أن كلامى هذا لا يراد به الإيحاء ، فما هو إلا صدق فى صدق ، بعد ملاحظات ومشاهدات جعلتنى من المطمئنين إلى صحة ما أقول

وأنا مع هذا منزعج مما صرنا إليه فى مدارس البنات ومدارس البنين

هل عندنا مدرسة توصى تلاميذها بأن لا يكلفوا آباءهم ما لا يطاق ؟

هل عندنا مدرسة تفكر فى أن تكون من الأسندة للبيوت ؟

التلميذ لا ينجح بتفوّق إلا إذا أمدّته القادر بالدروس الخصوصية ، فمتى نثق بكفاية الدروس المدرسية ؟

وما قيمة المدرس الذى لا يتفتح عقل تلميذه إلا إن خاطبه لسان إلى لسان ؛ بين أربعة جدران ؟

أعوذ بالله من بلاء الناس بالناس !

ملك الشط والفراتين فى ضيافة النيل

من مزايا مجلة « الرسالة » أنها تسكت عن الأشخاص ليكون إلتفاتها كله إلى المعانى ، وذلك هو السر فى عدم اهتمامها بالأخباريات المتصلة بالأشخاص

قلت لنفسى : ولكن فى الأشخاص من يكونون رموزاً للمعانى ، فما الذى يمنع من أن أقول على صفحات الرسالة : أهلاً وسهلاً ومرحباً بملك الشط والفراتين !

كانوا يسمونه الملك الطفل ، فسميته الملك الشبل ، جعله الله أكرم الأشبال !

و « ملك الشط والفراتين » لقبٌ جميل صاغه شاعرنا شوقي فى القصيد الذى يغنيه محمد عبد الوهاب فى تحية فيصل الأول . والشط هو شط العرب ، والفراتان : دجلة والفرات ...

ولو كانت الأقدار سمحت بأن يزور شوقي ديار « الشط والفراتين » لجاد شعره بأطايب لا يجود بمثلها الخيال

وهل كان شوقى يشعر بقيمة المبدأ الذى رسمه حين جعل ملك العراق ملك الشط والفراتين ؟

ما أغرب ما سمعت فى بغداد سنة ١٩٣٨ !

سمعت أن العراقيين دعوا « الملك فيصل الأول » إلى الاحتفاظ بالموصل فى المؤتمر الذى عقدوه فى « الصُّليخ » ، فما الصليخ ؟ هو مكان فى ضواحى بغداد مرت به لحظة تاريخية . وقد زرته زيارة الطيف فى ليلة شاتية لأتنسم الجو الذى قيل فيه بحضرة فيصل الأول : إن العراق لا يستغنى عن الموصل بأى حال

ثم زرت الموصل الذى لا يجوز عنه الاستغناء فهالني أن أرى روحانيات مختلفات ، وعز على أن يكون الموصل مما يدخل فى الحساب عند تقسيم المغانى ، مع أنه كان ولا يزال ولن يزال من صميم الأرومة العربية

وقد زرت الشط ، شط العرب ، بعد أن شهدت العراك الذى دار فى مجلس النواب العراق حول معاهدة الحدود

وأصغيت بأذنىّ وبقلبى إلى الصوت الذى قال : من غفلة العرب أن ينسوا الأهواز ، مع أنها أحق بالعطف من فلسطين

لقد نفضتُ يدىّ من السياسة بعد أن آذتنى فى وطنى . فكيف جاز أن ألتفت إلى السياسة يوم كنت ضيف العراق ؟

هى سياسة روحية تشبه السياسة التى تساور قلبى حين أزور دمياط وأرى المصرع الذى انتهى إليه « جامع الفتح » وهو المسجد الثانى فى مصر بعد مسجد عمرو بن العاص

دعوت سادن جامع الفتح مرة ومرات فما أجاب ؟ وأين السادن لمسجد لا تهتم به لجنة الآثار العربية ولا وزارة الأوقاف ؟

ليتنى صليت ركعتين على باب ذلك المسجد ، وليتنى تيممت بما على جدرانه من تراب !

لقد زرت فى دمياط مشاهد يجهلها الدكتور على مصطفى مشرفة ويجهلها الأستاذ عبده حسن الزيات ، زرت البلد الذى تحدثت عنه فى كتاب « التصوف الإسلامى » قبل أن أراه ، لأرفع عن عقلى بعض ما يثقله من أوزار الجهل !

وأين من يعرف حقيقة ما أرويه فى هذا الحديث ؟

دمياط صورة من البصرة والبصرة صورة من دمياط

الطريق إلى هاتين المدينتين محفوف بالنخيل ، وكلتاهما ملتقَى للماء العذب والماء الأجاج ، مع فروق أوجبها بُعد البصرة من دمياط ، وكلا البلدين ثغرٌ مخوف ، فما يعيش العراق بدون أمان البصرة ، ولا تعيش مصر بدون أمان دمياط

هذه السياسة الروحية تزلزل روحى ، فلى فى كل بلد آلام وآمال ، وأنا أجول جولات روحية بكل ما أحب من البلاد فى كل مساء ، وكأننى أجول فى شارع فؤاد . وهل يوجد فى أية مدينة شارع له جاذبية شارع فؤاد ؟

بالرغم منى أن يكون حظى من المرور بذلك الشارع شبيهاً بمرور الطيف على ديار الأحباب

شارع فؤاد هو طريقى إلى المفوضية العراقية ، فهل سمح الوقت بأن أزور فخامة السيد جميل المدفعى وكان رئيس الوزراء حين كنت من الذين يتشرفون بخدمة العلم والأدب فى العراق ؟

المصرى الصادق فى خدمة وطنه لا يجد وقتاً لأداء حقوق المجاملات ، لأن الشواغل عندنا تفوق الوصف ، ولأن فى حياتنا متاعب لا يعانى مثلها أحد فى سائر البلاد العربية

إذا وفد إلى مصر زائرٌ كريم تلفت عساه يرى من يحفون لتحيته من المصريين ، ثم تكون النتيجة أن لا يرى غير آحاد من الذين تسمح أوقاتهم بتحية الضيوف ، فينصرف وهو متعجب من تهاون المصريين فى المجاملات الإخوانية

أقول هذا لأعتذر لفخامة السيد جميل المدفعى ، راجياً أن أراه فى فرصة قريبة بالقاهرة أو بغداد .

زيارة سياسية !

ضاق الوقت عن التشرف بمقابلة صاحب الجلالة فيصل الثانى ، وكنت أحب أن أعرف البواعث لزيارته الكريمة ، فقد سمعت ناساً يقولون إنها زيارة سياسية !

نعيش إن شاء الله ويعيش فيصل الثانى إلى أن يتولى السلطة الدستورية وتُصبَغ كل أسفاره بالصبغة السياسية . أما زيارة اليوم فهى زيارة ملك ناشئ لا يرى غير الورود والرياحين

وأنا مع هذا موقن بأن زيارته لمصر زيارة سياسية ، فقد أبدع بروحه اللطيف جاذبية أخوية تزيد ما بين مصر والعراق من صلات

السياسة ليست مقصورة على النظر فى المنافع العاجلة أو الآجلة فى حيوات الشعوب ، فهناك سياسة أعظم وأرفع ، وهى سياسة الحب والوداد . والملك فيصل الثانى يسمع من أخبار مصر ما يسمع ، ويقرأ من مؤلفات رجالها ما يقرأ ، فكان من الواجب أن يراها بعينيه ليحس روحها بأوفى وأصدق ما يكون الإحساس

انتظروا قليلاً ، فسترون يوماً أن هذا الملك الناشئ دوّن فى مذكراته البسيطة أشياء ، فمن المؤكد أن صدره فاض بالجذل والارتياح والاغتباط حين رأى أن لغة العرب لها مدينة مثل القاهرة ، ومن المؤكد أنه اطمأن على مصير العروبة حين رأى أن اشتباك المصالح الدولية لم يزحزح القاهرة عن خطتها العربية

وهنا أقول إنه يجب على كل عربى أن يزور القاهرة وأن يرى ما فيها من المدارس والمعاهد والكليات

عاصمة مصر هى العاصمة الأولى فى الشرق ، وهى فى الحضارة والمدنية أعظم من استانبول ، وهى أبقى على الزمن من أخطار حواضر اليابان ، فقد نجانا الله من أهوال الزلازل والبراكين ، وأنعم على بلادنا بوفاء النيل ، وأعاننا على كبح ما فُطر عليه من الطغيان

ومصر التى هدت الإنسانية إلى حقائق لم يعرفها الغرب إلا بعد أجيال وأجيال ستظل على الدهر وطن الابتكار والابتداع فى أكثر الميادين . وهل نطق ناطق بحقيقة علمية أو أدبية أو فلسفية إلا وهو مَدين لآبائنا الأولين ؟

عنا أُخِذ الكفر وعنا أُخذ الإيمان ، فما كفر كافر ولا آمن مؤمن بدون أن يكون لنا فى عقله وقلبه ديون ثقال

ظاهرة جديدة في الأزهر

أمثلة ...

للأستاذ محمد محمد المدني

ذكرت فى مقالى السابق أن « ظاهرة جديدة » قد ظهرت فى الأزهر . تلك الظاهرة هى أن أحاديث الإصلاح التى كانت حول الأزهر والأزهريين قد أصبحت الآن فى الأزهر وبين الأزهريين ، وانتقلت من ميدان الرسالة إلى ميادين أخرى فى مدرجات الكليات ومجالس الأساتذة ومكاتب الرؤساء ، وأنها لم تعد آمالاً يُقتصر على ترديدها ، بل أهدافاً يُرمى إليها ، ويقاس القرب والبعد من النجاح بمقياسها .

وقد استبشرت خيراً بهذه الظاهرة لأنها تدل على أن الأزهر قد تنبه واستفاق وأخذ يتساءل عن مصيره ، ولأنها تيسر التعاون المثمر بين الدعاة والمدعوين على تحقيق نهضته المرجوة ، وأخيراً لأنها صوت الشعب ، ولصوت الشعب فى الآذان دوىّ لا يستطيع أن يتجاهله المتجاهلون

استبشرت خيراً بهذه الظاهرة ، وأحببت أن أسجلها على صفحات الرسالة كما هو دأبى ، لأنى أعتبر « الرسالة » ويعتبرها المخلصون جميعاً مجلة الإصلاح الدينى والأزهرى ولسان الدعوة إلى إنهاض هذا الشرق وإحياء تراثه المجيد تراث الدولة الإسلامية إبان عظمتها وفى عنفوان شبابها ، ولأنى أحسب أن تاريخ هذا الجهاد الشريف سيلتمس يوماً ما من مجلداتها فلا ينبغى أن يغيب عنها شىء منه دقّ أو جلّ لتكون الصورة كاملة واضحة لا نقص فيها ولا غموض !

واليوم أذكر « أمثلة » لتلك الظاهرة التى وصفتُ . أمثلة يعرفها كثير من الناس فى الأزهر وفى غير الأزهر . ولست أقول : ماذا أذكر منها وماذا أدع ، لأنها لم تعد سراً تنطوى عليه الجوانح ، وتغلّق دونه الأبواب ؛ ولكن أقول : ماذا أقدم منها وماذا أؤخر ؛ لأنها جميعاً أمثلة جديرة بأن تتقدم وبأن يلتفت الناس إليها ، ويتفهموا مغزاها ، ويدركوا عواقبها . وربما كان من الرأى أن ندع الآن جهود الطلاب ونشاطهم الذى لا يكل فى المناداة بتنفيذ خطة الإصلاح ، وما يعقدونه ويدعون إليه فى مدرجاتهم من اجتماعات أسبوعية يخطبون فيها ويتناظرون ، وما يكتبونه من رسائل مفعمة بحماسة الشباب وحرارة الإخلاص يتوجهون بها إلى أساتذتهم ورؤسائهم ، وما يبعثون من وفود إلى ولاة الأمور فى الحين بعد الحين ، لا هاتفة بالمال ، ولا ملتمسة الرزق ، ولكن هاتفة بالإصلاح راغبة فى العلم النافع الذى يصل الأزهر بالحياة . ربما كان من الأوفق أن نترك هذا ونحوه الآن ، وأن نلتمس ما نريد من الأمثلة فى محيط غير هذا المحيط ليعلم الناس أى مدى بلغته دعوة الإصلاح . وإنا لفاعلون :

***

(١) قالوا : إن طائفة من أبناء الأزهر المخلصين ، فيهم شيخ كبير يشغل منصباً هاماً من مناصب الدولة ، وله صلة وثيقة بالأزهر ، وفيهم وكيل لإحدى الكليات الأزهرية معروف بإخلاصه وغيرته وصداقته لفضيلة الأستاذ الأكبر ، وفيهم شاب مثقف بالثقافة الإنجليزية إلى جانب ثقافته الأزهرية — ضم هذه الطائفة مجلس مع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، وكان مجلساً صافياً مباركاً : فكروا فيه فى الأزهر ، وذكروا ما آلت إليه أحوال الدراسة وشئون العلم فى معاهده وكلياته وتخصصاته ، واستعادوا ذكريات ماضية ما زال الناس يذكرونها لفضيلة الأستاذ

وهل يعرف أحد كيف كفر المصريون فى طفولة التاريخ ؟

لقد فكروا فى محاربة السماء ، ليبددوا الوهم القائل بوجود السماء ، وأين السماء التى يقيم بها الله ، كما كان يقال ؟

مصر من صُنع الله ، والله لا يصنع غير الحقائق الأزلية ، وسيَشقى من يَشقى فى محاربة مصر ، ثم تبقى إلى الأبد وهى غرة فى جبين الوجود

ما أسعد من يرى مصر أول مرة وهو سليم القلب والوجدان !

إن رؤية مصر فى كل صباح وفى كل مساء وعلى طول السنين لم تزهّدنا فى مرآها الجميل ، فكيف تكون الانفعالات النفسية فى صدر من يراها لأول عهده بقلبها الخفاق ؟

وأنا مع هذا أعانى فى رحابك يا وطنى ما أعانى ، فمتى يخفّ شقائى بك وعتابى عليك ؟

أنا أطلب المستحيل إن طلبت فى رحابك الأمان كل الأمان ، لأنه حظ الأموات ، ونحن أحياء

لك يا وطنى أن تبدع ما تبدع من تهاويل الحقائق والأباطيل ، وعلينا أن نجارى روحك المبدع فنكون من أقطاب الشعر والبيان .

زكي مبارك

الأكبر ، وقيل لفضيلته فى هذا المجلس : إن الناس ينتظرون منه أن يعيد عهد المراغى الذى كان على رأس الأزهر فى سنة ١٩٢٨ . ينتظرون منه أن يعيد عهد المراغى القوى الجرىء الذى كان يكتسح العقاب ، ولا يعبأ بالصعاب ، ويغار على فكرته الإصلاحية ويدافع عنها دفاع الأسد المصور . وقيل له فى هذا المجلس أيضاً : إن الناس لا يريدون منه أكثر من أن ينفذ مذكرته الإصلاحية الكبرى بالروح التى وضعها بها ، بالقوة التى تمثلت فيها ، بالصراحة التى تتجلى فى كل سطر من سطورها ! وأذِن فضيلة الأستاذ الأكبر لهذه الكلمات المخلصة التى تفيض عن قلوب للأزهر والدين مخلصة . أذِن لهذه الكلمات ، وفتح لها قلبه ، واستعاد ذكرى ماضيه المجيد الذى تشير إليه ، ثم قطع على نفسه عهداً ليكونن كما يريدون فلا يأتى أول العام الدراسى « يريد فضيلته العام الماضى » حتى تبدو آثار ذلك لهم وللناس أجمعين !

وانطلقت البشرى بهذا الحديث فى مجالس الأزهريين وغير الأزهريين ، وقرت به عيون واطمأنت إليه قلوب ، وترقب الناس أول العام الدراسى متلهفين .

ولست أريد أن أعجل فأسأل : ماذا كان فى أول العام الدراسى ؟ وإنما أوثر الآن أن أستمر فى عرض المثل لهذه الظاهرة حتى لا أخرج عما رسمت لنفسى فى هذا المقال :

(٢) وقالوا أيضاً : إن طائفة من العلماء قد اجتمعت على سبيل المصادفة فى مكتب فضيلة الأستاذ الأكبر ، وكانت هذه الطائفة تضم بعض ذوى المناصب فى الأزهر ، وكان اجتماعها قبل ظهور فكرة الاحتفال بالعيد الألفى بزمن يسير ، وجرى الحديث فى شئون مختلفة ونواح شتى ، ثم جرى حول الأزهر وحالة الدراسة فى كلياته ومعاهده فأشار فضيلة الأستاذ الأكبر بأن يتناظر اثنان عيَّنهما فى هذا الموضوع : « هل الأزهر القديم خير أو الأزهر الحديث ؟ » فقال أحدهما : ينبغى أولاً أن نحرر على طريقة الأزهريين موضع النقاش فى هذه المناظرة ، فنعرف من أين يبدأ الأزهر الحديث ؟ أيبدأ بعهد الإمام الأول المغفور له الشيخ محمد عبده ، أم يبدأ بعهد الإمام الثانى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ؟ فإن كانت الأولى فالأزهر الحديث خير من الأزهر القديم ، وإن كانت الأخرى فالى أن يخرّج الأزهر الحديث أمثال المراغى وعبد المجيد سليم ومن إليهما يظل الأزهر القديم خيراً من الأزهر الحديث !

ووافقه صاحبه على هذا الرأى . فأما فضيلة الأستاذ الأكبر فلم يفته ، وهو الرجل الذكى الألمعى ، ما تقصد إليه هذه الإشارة فقال : لقد مضى على الأزهر ألف عام كان فيها بين التقدم والتأخر ، وتقلبت عليه فيها نظم كثيرة ، فإذا كانت الأعوام العشرة الأخيرة ليست من أعوام النجاح فى تاريخه الطويل فهى أعوام تجربة ، فأسقطوها من حساب هذا التاريخ ، واعتبروها كذلك ، وانظروا فى تعديل هذا النظام على وجه تصلح به شئون الأزهر . قال قائلهم : لا . ليس السر فيما يشكو منه الناس راجعاً إلى النظام ، فإن النظام فى ذاته صالح وليس فيه عيب جوهرى ، ولكن هذا النظام لم ينل حظه من التنفيذ كما ينبغى أن ينال . وهذا هو السر فى أنه لم يثمر ثمراته التى كان الناس يرجونها منه . قال فضيلة الأستاذ الأكبر : نعم هذا صحيح!

ولا شك أن هذين المثالين يدلان على ما عنيت بوصفه من تلك الظاهرة الجديدة التى بدت فى الأزهر ، وفى استطاعتى أن أمثل بكثير من نوعهما ، مما يدور فى المجالس الخاصة ، ويتناقل الناس الأحاديث عنه ، ولكنى أورد مثالاً ثالثاً هو أجلى فى بيان تلك الظاهرة وأدنى أن يعد من آثارها :

(٣) ذلك أن رجلاً مسئولاً من رجال الأزهر هو فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء دعا فى يوم من أيام شهر فبراير الماضى إلى محاضرة يلقيها فى دار كلية الشريعة موضوعها « السياسة التوجيهية العلمية فى الأزهر » ولست أريد الآن أن ألخص للرسالة هذه المحاضرة ، ولا أن أنقل شيئاً منها ، ولكنى أريد أن أصف للقراء كيف أقبل الناس على سماع هذه المحاضرة وكيف استقبلوها عند ما سمعوها ، ليعلموا أن عيون الأزهريين قد أصبحت متطلعة ، وأن آذانهم قد أصبحت مصغية ، وأن نفوسهم قد أصبحت مستعدة .

فأما إقبال الناس على هذه المحاضرة فقد كان رائعاً : إنه لم يكد عنوانها ينشر على الناس مقترناً باسم صاحبها حتى جعلوا يتساءلون : ماذا عساه يقول فى هذا الموضوع . وكيف يذكر حقائقه ، ويعرض للناس وقائعه ؟ تساءلوا عن ذلك لأن العنوان وما عرف به صاحب المحاضرة من حب للصراحة وجهر بالحق قد أثار فى نفوسهم معانى شتى هم بها يشعرون . ولبوا دعوة الداعى خفافاً سراعاً حتى بلغت عدتهم قريباً من أربعة آلاف بين علماء وطلاب ، واكتظت بهم مدرجات الكلية وحجراتها

وأفنيتها، واستمعين على إسماعهم بمكبرات الصوت التي بثت في نواحيها، وكان فيهم صفوة من الأزهريين الذين يشغلون المناصب في الإدارة العامة وفي الكليات وفي غيرها ، وألقى فضيلة الأستاذ الكبير محاضرته فكان يقاطع بالتصفيق الحاد والهتاف المدوى في أثنائها .
ولما انتهى منها هنأه فضيلة الأستاذ الكبير مفتى الديار المصرية على ما وفق إليه من وصف حالة الأزهر العلمية وسياسته التوجيهية ، وعانقه فضيلة الأستاذ الكبير وكيل مشيخة الأزهر مقبلاً إياه بين عينيه على ملأ من الناس أجمعين ، وعلا التصفيق والهتاف لهذا المظهر الرائع ، وأبى الطلاب إلا أن يحملوا فضيلة المحاضر على أعناقهم إلى فناء الكلية فتم لهم ما أرادوا ، وكان يوماً في الأزهر عظيما !

ولكن ما هى هذه المحاضرة التى استقبلها الأزهر : شيوخه ورؤساؤه وطلابه هذا الاستقبال العظيم ؟ وماذا قال فيها صاحبها حتى ملك هذه القلوب جميعاً ؟ سؤال تسألونه أيها القراء الكرام وحق لكم أن تسألوه . ولتعلمن نبأه بعد حين .

محمد محمد المدني

وعصفور من الشرق أيضا ...

للأستاذ دريني خشبة

لو لم يتعمد الأستاذ صاحب الرسالة فيضع هذه التحية الرقيقة التى بعث بها الأستاذ الجليل محمد كامل سليم بك إلى الأستاذ الحكيم قبالة أولى مقالاتى عن « قضية اليوم » ، ولو لا ما جاء فى هذه الكلمة من نفى عداوة الأستاذ الحكيم للمرأة ... لو لا ذلك كله لآثرت إغلاق هذا الباب الذى اضطرنى إلى كثير من القسوة والمرارة فى التعبير ، وإن كنت على حق كل الحق فى جميع ما ذهبت إليه ، وما أيدته بكلمات الأستاذ الحكيم نفسه مما لا يُعقل أن ينكره أو يمارى فيه . فقد أثبت من صميم شهرزاد للأستاذ الحكيم — وذلك فى المقال الثانى — أنه عدو للمرأة فى كل زمان ومكان ما فى ذلك شك ، وأثبت أنه ينظر إليها نظرة تسفل دائماً ولا تعلو أبداً ، ويعدها مصدراً للشرور التى تحيق بالعالم وتجعله جحيماً لا يطاق ، وسواء أعاملها الإنسان كما عاملها شهريار الأول الذى قتل زوجه ورجم روحها بأرواح العذارى البريئات من بعدها ، أو عاملها شهريار الثانى (الديوث !) من الصفح عن أوزارها ، أو النفض عما تأتى وما تدع من تلك الأوزار ، فالمرأة هى المرأة فى الحالين فى نظر الأستاذ الحكيم ، وهذا هو رأيه فيها ، الذى أيده فى « القصر المسحور » وادعى التوبة منه ، والأنابة مما ذهب بصدده إليه ... لكن الأستاذ كامل سليم نفى عنه تلك العداوة للمرأة ، وبرأه من الموجدة عليها « كما يزعم الزاعمون » بل ذهب إلى أبعد من هذا ، فاتهم الأستاذ الحكيم بأنه « صديق المرأة والمنافح عنها ! » وقال ذلك بعد أن فرغ من قراءة « عصفور من الشرق » التى لم أكن أن أتعرّض لها بخير ولا بشر لِمَا كنت أوثر أن أحصر فيه موضوع « قضية اليوم » وقصرها على ما يتصل بشهرزاد وبأحلام شهرزاد ... ولكن ما الحيلة ، وقد حدثنى الأستاذ الزيات قبل نشر المقالين فلمّح فى حديثه إلى أنه متعمد أن يضمهما جنباً إلى جنب مبالغة منه فى تأكيد ما للرسالة من حرية فى النشر أو حرية فى الرأى أو حرية فى النقد ... لست أدرى أى الحريات الثلاث أراد ، ولعله قد أرادها جميعاً

وبعد ، فما هى قصة عصفور من الشرق ؟ وهل تؤكد تلك القصة شخصية الأستاذ الحكيم التى تظهر جلية فى أكثر قصصه ، خصوصاً مسرحية « شهرزاد » ؟ وسؤال ثالث : هل الأستاذ الحكيم فى تلك القصة عدو للمرأة كدأبه أم هو صديق للمرأة كما يتهمه الأستاذ الجليل كامل سليم بك ؟

١ — اما قصة عصفور من الشرق فتتلخص فى أن الطالب الشاب « محسن » كان يشدو العلم فى باريس ، وأنه كان يسكن مع جماعة باريسية لاحظت عليه ما يلاحظ عادة على المغرم المبتدئ « ولا سيما إن كان شرقيًّا » من شرود وانقباض وقلق ، فإذا عرفت منه أنه يحب شجعته وعلمته أن باريس لا تعرف التردد فى الحب وأن قارورة من العطر أو باقة من الزهر تكفي لغزو قلب أية باريسية .

٢ — أما من هى التى شنفت أخانا محسناً حبا ، فهى « جابية أو محصلة ، أو عاملة » أو ما شئت فسمها ، من عاملات دور الصور ، كان الفتى محسن يهواها ، بل يتعبدها ، وكان منصرفاً ، مذ أحبها ، عن كتبه ، بل عن مدرسته ، لا يبرح واقفاً بالقرب من الشباك الذي تعمل فيه حتى تفرغ من عملها ، فإذا قال لها

« عمى مساء يا آنسة » ردت عليه التحية بإغلاق الشباك فى وجهه ... ثم ما يزال يترصدها حتى يعرف مسكنها فيهجر مسكنه ويأوى إلى الفندق الذى تسكنه سوزى — وهذا هو اسمها — وتكون غرفته فوق غرفتها ... أما أول التعارف فقد كان « خبطة عشواء ! » إذ ادعى السيد محسن الإفلاس فكان أن أدّت عنه سوزى حسابه للغسالة ... ولا ندرى كيف دفعته وهى لاتعرفه ... يُسأل عن هذا فن الأستاذ الحكيم ... أما كيف رد الثمن فقد أهدى إليها بيناء وضعه فى قفص - لعله من جريد لا من ذهب ، وعلقه فى حبل ثم دلاه من نافذته إلى نافذتها - فكان تعارف وكان شكر ... وكان حب . وكانت سهرات وكان (أنس) ... وكان لا يصحو الأخ العزيز (العاشق الشرق) محسن إلا على رنين قبلات سوزى ، وربما كان لا ينام إلا على رنين قبلاتها كذلك ... وكانت مقابلات يُضرّجها دم الغيرة الشرقية إذا تأخرت سوزى عن ميعادها ... وإنهما لفى مطعم يوماً ينعمان ويأكلان ويشربان ويعبثان ، إذا شاب يدخل فجأة فتذهل سوزى ، وتكاد الأرض تسوخ من تحتها ، وإذا سر قلبها يطفر فجأة من عينيها ... وإذا العاشق الشرقي يعرف كل شىء ... إنه ليس وحده فى هذا القلب المزدحم ! إنه طفيلى ... لقد ركع فى محراب هذا القلب عشاق مماميد من قبل

هذه هى القصة ، لا ينقصها إلا خطابان أحدهما من محسن ، والآخر رد من سوزى عليه . وإليك الآن هذه المقتطفات :

١ — نظر محسن إلى سوزى مرة فسألته :

— لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟

— أصبت ، أرى الآن أنى على خطأ ، ما الذى يعنينى من أمر حياتك أنت ؟ ما أنت إلا « حلم » يحيا فيه ... الآخرون ...

— ومن هم الآخرون ؟

قالتها فى ابتسامة ذات معنى ، وأناملها تعبث بصفحات كتاب ...

٢ — ولما فاز محسن بالوصول إلى فتاته وأخبر صديقه الفرنسى (أندريه) بذلك ، ابتسم الفرنسى وقال له :

— أرأيت أنها فتاة ككل الفتيات ، وعاملة كآلاف العاملات ؟ تلك التى أسكنتها قصراً من قصور ألف ليلة وليلة ، وجعلتها تنظر من عليائها إلى مواكب الناس المتدفقة تحت شباكها . آه أيها الصديق ، اقتنعت الآن أن الأمر أقل خطراً مما كنت تتصور ، وأن وقوع امرأة بين ذراعيك مسألة بسيطة لا تحتاج إلى كل هذا الوقت ، ولا إلى كل هذه الخيالات والتأملات ؟ .

فأحس الفتى إحساس من يهوى إلى الأرض ، وكأن قيم الأشياء فى نظره قد تضاءلت ، وكأن الحياة نفسها قد تجردت من غطائها فبدت كتمثال مصبوب من السخف . وشعر محسن بفراغ فى مادة نفسه لا يدرى بعد اليوم ماذا يملؤه . .

(حدث هذا والحب فى إبانه قبل أن يقع ما فصل بينهما)

٣ — وانظر إلى هذه الروح المتجهمة في العبارة التالية :

التفاحة هى التفاحة ، ولكنها تفاحة أرض جديدة ! تفاحة الأرض ... حلوة لكن داخلها الدود ! (والعياذ بالله !)

٤ — ويقول بعد ذلك فى الصحيفة نفسها :

« ولم يكن محسن يطيق إبطاء سوزى خمس دقائق عن موعدها ، ولم يكن يحتمل رؤيتها تبتسم لأحد معارفها وهى تحنى رأسها بالتحية ، ولم يعد يرى صورتها فى أحلامه ممتزجة بأنغام الأنترمتزو — و — رقصة الفراندول ، ولكنه يراها فى نومه تعانق رئيسها هنرى الذى عرف منها بعض أخباره ، أو يراها تقبل شاباً زنجياً تلك القبلات الملتهبة ، فينهض منزعجاً مضطرباً يود لو يمزق جسدها بأسنانه ! ! »

فهل رأيت إلى شهريار الدموى كيف يتنبه فى أعماق محسن ؟ ومحسن هنا هو الأخ الكريم الأستاذ توفيق كما لا يخفي ... توفيق الشاك الذى تملأ رأسه أشباح العبيد والزنوج وقبلاتهم الملتهبة ، وغدر شهرزاد التى لا تشبع من عبدها ولا تريد أن تشبع منه ... وهل رأيت كيف ينهض شبحه « محسن » منزعجاً مضطرباً يود لو يمزق جسد سوزى بأسنانه ؟ !

٥ — وقصة الملكة سميراميس التى هى صورة فاجرة من صور شهرزاد الآثمة التى تخيلها الأستاذ الحكيم : « يوم دعت أسيرها إلى ليلة من ليالى النعيم ، مهدت فيها الفرش ، وأقيمت الموائد ... وتلاقت الشفاه ... إلى أن لاح الصباح ، فتغير وجه الملكة الجميل ، ووضع الأسير فى الأغلال ، ومشى به إلى الموت ، وهو ذاهل مازالت فى رأسه بقية من نشوة الليل ... » ... ، ولكن ملكات العصر الحديث يفعلن بأسراهن غير ذلك . كل شىء عندهن مستتر مقنّع « فعى » تضع على وجهها ذلك القناع الحريري الأسود الذى يلبس فى المساخر ... إلى آخر المهزلة ... ...

٦ — ثم إليك هـذه النفس السوداء المريضة المتشائمة : « ... لا ينبغى أن نبنى شيئاً جيلاً فوق هـذه الأرض !! هذه الأرض المتغيرة المتحركة برمالها ومائها وهوائها !! »

ويرى بعد ذلك أن يكون البشر جميعاً فى كل زمان ومكان زهاداً كزُهَّاد الهنود ، زهاداً مضعوفين مسلولين لا يذوقون إلا حبات من الأرز كى تصفو نفوسهم وترتفع إلى الملأ الأعلى ... يريد أن يكون الناس كلهم — أو المصريون على الأقل — من « مقاطيع السيدة زينب » ! لأن مقاطيع « الست » وحدهم هم المتصلون بالسماء ... والفضل فى ذلك لروح الزهد والتقشف والفول « النابت !! »

ولن يصغى شرق واحد إلى الأستاذ الحكيم ؛ فقد شبع الشرق من الفقر وما جرته عليه فلسفة الفقر والقناعة والتقشف من قبول الذل والخنوع وموت روح المقاومة التى لا توجد إلا فى الأقوياء بدناً وروحاً فى وقت معاً ... وديننا الحنيف هو دين القوة الذى لا يعرف الرهبانية ولا التصوف الهندى الذميم ، وهو الدين الذى أحل لنا مناعم الحياة حلالاً طيباً ، وفرض الإفطار على الصائم المحارب كما حرم الجوع الذى يضر الجسم ، وقام على محاربة الفقر بإطعام الطعام على حب الله من أوسط ما يَطْعَمَ الناس وبالزكاة والتعاون المنظم الذى يمحق الفاقة ، ولا يأذن لمقطوع واحد من « مقاطيع » الست الطاهرة بالوجود فى هذا الوجود ! . وأما قول المسيح عليه السلام : « ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله » فقد قصد به ما قصد إليه الرسول الكريم حين قال : « اللهم توفنى فقيراً ولا توفنى غنياً واحشرنى فى زمرة المساكين » فقد قصد المسيح أن يحض الأغنياء على عمل الخير ، كما قصد الرسول أن يخفف ألم الفقر فى نفوس الفقراء — وليس يعقل أن الرسولين الكريمين كانا يريدان انتشار الفقر فى العالم وتحكم الفاقة فى الوجود

٧ — أما هذه الثورة على أوربا ، التى هى جميلة رشيقة ذكية ، لكنها خفيفة أنانية لا يعنيها إلا نفسها واستعبادها غيرها ، فهى ثورة أحدثتها فى نفس محسن النكسة التى جرها عليه غرامه الخائب ، فلو أنه نجح فى هـذا الحب ، لكانت أوربا فى نظره شيئاً آخر

٨ — ولست أدرى ما هذا الذى ازلق إليه الأستاذ الحكيم — فى معرض الطعن على أوربا — من القذف فى حضارتها ، وفى ضرورة ما تراه أوربا من وجوب نشر التعليم ومحاربة الأمية والإزراء على الديمقراطية ؟ ما هـذا ؟ أيريد أن يظل جمهور العالم جاهلاً لا يقرأ ولا يكتب ؟ أيريد لهذا الجمهور أن يظل مسكيناً ذليلاً مستعبداً ؟ أيريد أن يقوم الطغاة فى كل فج يسيمون الجماهير سوء العذاب مما نرى أثره فى ألمانيا وإيطاليا واليابان ؟

ولكن ، لا علينا من ذلك فليس من أجله كتبنا هذا المقال فهذه المقتطفات التى أثبتناها هنا تدل على أن الأستاذ الحكيم هو فى « عصفور من الشرق » كما كان فى « شهرزاد » من حيث رأيه فى المرأة ومن حيث عداوته لها ... ومن حيث أنها ملك مشاع للجميع ، ويكذب من يقول بوفائها وعفافها وإخلاصها لرجل بعينه وإن يكن هذا الرجل هو زوجها ؛ فهى حلم يحيا فيه . الآخرون ... وأن وقوعها بين ذراعى أى إنسان مسئلة بسيطة لا تحتاج إلى وقت وخيالات وتأملات وأن التفاحة هى التفاحة ... تفاحة أرض جديدة ... تفاحة الأرض ... حلوة ... ولكن داخلها الدود ، وأن شخصية شهريار الدموى الفظيع الناقم كانت دائماً تتقمص روح الحكيم كلما أبطأت عليه حبيبته فيراها فيما يرى النائم وهى تقبل شابا زنجياً تلك القبلات الملتهبة فينهض منزعجاً مضطربا يود لو يمزق جسدها بأسنانه ... ولست أدرى إن لم يكن مؤلف شهرزاد هو نفسه مؤلف عصفور من الشرق قلباً وقالباً كما يقولون فلماذا ساورته أشباح العبيد الغلاظ والزنوج الذين يقبلون تلك القبلات الملتهبة وهو كان يحب فى باريس ... باريس اللعوب المفتان ... ولم يكن يحب فى جزائر واق الواق ولا فى بلاد نيام نيام ولا بين قبائل الشيلوك والدنكا ... إن لم يكن توفيق الحكيم مع سوزى فى باريس هو توفيق الحكيم مع شهرزاد فى بغداد ، أو فى فارس أو الهند لست أدرى ، فلماذا ذكر هذا الزنجى الذى لم تكن تؤثر عليه شهرزاد أحداً ، وكانت لا تشبع منه ولا تريد أن تشبع منه ، وكانت تريده أسود غليظاً ... ولماذا كان ينهض من نومه منزعجاً مضطرباً يود لو يمزق جسد سوزى الجميل الغض بأسنانه (والعياذ بالله !) إن هذه خبيئة من خبيئات العقل الباطن برزت فى غفلة من غفلات وعى توفيق الحكيم ففضحت رأيه فى المرأة ، وأكدت مذهبه فيها على صفحات عصفور من الشرق ، كما تأكد هذا المذهب فى شهرزاد من قبل ... وما هذا الذى ربط بين الحلم الذى يحيا فيه الآخرون ، وبين سهولة وقوع أية امرأة بين ذراعى

أى إنسان ، وبين تفاحة الأرض الحلوة التى داخلها الدود ، وبين الحلم الذى يرى فيه الحكيم فتاته مستسلمة لزنجى أسود يقبلها تلك القبلات الملتهبة ، وبين نهوضه من النوم مضطرباً منزعجاً يود لو يمزقها بأسنانه ، ... ما هذا الذى يربط تلك الصورة كلها بصورة سميراميس الملكة الفاجرة التى أرادت أن تبالغ فى انتقامها من أحد أسراها المولعين بحبها فدعته إلى ليلة ناعمة راقصة ، ومنحته من نفسها وعرضها ما لا يقدر على وصفه إلا ... الأخ المسكين البائس ... محسن ! ... على أن يصبح فيتسلمه الجلاد بأمر الملكة ليضرب عنقه ؟ ! ما هذا الذى يربط تلك الصور كلها ، وهى مفرقة على الكتاب ، متباعدة عن بعضها فيه ، موزعة على مشاهد القصة وفصولها من قبل أن يفضح محسن غش سوزى وخداعها إلى أن وقف منها على ذلك السر المهول ! ؟

وبعد ... فهل الأستاذ توفيق الحكيم بعد ذلك كله صديق المرأة وليس عدوها — كما يزعم الزاعمون — على حد تعبير الأستاذ الجليل كامل سليم بك ؟ !

دريني خشبة

حانة الشعراء

للأستاذ على محمود طه

[من ديوانه الجديد « زهر وخمر » وقد صدر اليوم]

هِىَ حَانَةٌ شَتَّى عَجَائِبُهَا   مَعْرُوشَةٌ بالزَّهْرِ وَالقَصَبِ
فى ظُلَّةٍ بَاتَتْ تُدَاعِبُهَا   أَنفَاسُ لَيْلٍ مُقْمِرِ السُّحُبِ
وَزَهَتْ بِمِصْبَاحٍ جَوَانِبُهَا   صَافِى الزُّجَاجَةِ رَاقِصِ اللَّهَبِ
بَاخُوسُ فِيهَا وهو صَاحِبُهَا   لم يَخْلُ حِينَ أَفَاقَ مِنْ عَجَبِ
قَدْ ظَنَّهَا ، وَالسِّحْرُ قَالَبُهَا ،   شِيدَتْ مِنَ اليَاقُوتِ وَالذَّهَبِ

***

إِبْرِيقُهُ حَلْىٌ مِنَ الدُّرَرِ   يُزْهَى به قَدَحٌ مِنَ المَاسِ
وَكَأَنَّ مَا حَوْلَيْهِ مِنْ صُوَرٍ   مُتَحَرِّكَاتٌ ذَاتُ أَنفَاسِ
تَرَكَتْ مَوَاضِعَهَا مِنَ الأُطُرِ   وَمَضَتْ لَهُ فى شِبْهِ أَعْرَاسِ
مِنْهُنَّ عَازِفَةٌ عَلَى وَتَرٍ   مُتَفَجِّرٍ بِأَرَقِّ إِحْسَاسِ
وَغَرِيرَةٌ حَوْرَاءُ كَالقَمَرِ   تَحْنُو عَلَى شَفَتَيْهِ بِالكَاسِ

***

أَوَ تِلْكَ حَانَتُهُ ؟ فَوَاعَجَبَا !   أَمْ صُنْعُ أَحْلَامٍ وَأَهْوَاءِ ؟
وَمِنَ الخَيَالُ أَهَلَّ وَاقْتَرَبَا   « ڤينُوس » خَارِجَةً من الماءِ !
فى مَوْكِبٍ يَتَمَثَّلُ الطَّرَبَا   وَبِمَيْلٍ من سِحْرٍ وَإِغْرَاءِ
وَبِكُلِّ نَاحِيَةٍ فَتًى وَثَبَا   مُتَعَلِّقاً بِذِرَاعِ حَسْنَاءِ
يَتَوَهَّجُونَ صَبَابَةً وَصِبَا   يَتَمَثَّلُونَ غَرِيبَ أَزْيَاءِ

***

حُمْرُ الثِّيَابِ تَخَالُ أَنَّهُمُو   يَفِدُونَ مِنْ حَانُوتِ قَصَّابِ !
جَلَسُوا نَشَاوَى مِثْلَمَا قَدِمُوا   يَتَرَقَّبُونَ مَنَافِذَ البَابِ
يَتَهَامَسُونَ وَهَمْسُهُمْ نَغَمٌ   يَسْرِى عَلَى رَنَّاتِ أَكْوَابِ
إِنْ تَسْأَلِ الخَمَّارَ قَالَ هُمُو   عُشَّاقُ فَنٍّ أَهْلُ آدَابِ
لَوْلا دُخَانُ التَّبْغِ خِلْتَهُمُو   أَنْصَافَ آلِهَةٍ وَأَرْبَابِ

***

وَتَلَفَّتُوا لَمَّا بَدَا شَبَحُ !   فَتَّانَةٌ دَلَفَتْ من البَابِ
سَمْرَاءُ بِالأَزْهَارِ تَتَّشِحُ   أَلْقَتْ غِلَالَتَهَا بِإِعْجَابِ
وَمَشَتْ تُرَاقِصُهُمْ فَمَا لَمَحُوا   إِلَّا خُطَى رُوحٍ وَأَعْصَابِ
وَسَرَى بِسِرٍّ رَحِيقِهِ القَدَحُ   فى صَوْتِ شَاجِى اللَّحْنِ مِطْرَابِ
وَشَدَا بِجَوِّ الحَانَةِ الفَرِحُ   لِإِذَيَةٍ فَرَّتْ مِنَ الغَابِ

***

هِىَ رَقْصَةٌ وَكَأَنَّهَا حُلُمُ   وَإِذَا « بِڤينُوسٍ » تَمُدُّ يَدَا
أَلْكَأْسُ فيها وهى تَضْطَرِمُ   قَلْبٌ يَهُزُّ نِدَاؤُهُ الأَبَدَا :
زِنْجِيَّةٌ فى الفَنِّ تَحْتَكِمُ ؟   قَدْ ضَاعَ فَنُّ الخَالِدِينَ سُدَى !
فَأَجَابَتِ السَّمْرَاءُ تَبْتَسِمُ :   أَلْفَنُّ رُوحاً كان ؟ أَمْ جَسَدَا ؟
يَا أَيُّهَا الشُّعَرَاءُ وَيْحَكُمُ   أَللَّيْلُ وَلَّى وَالنَّهَارُ بَدَا !

على محمود طه

سليمان الحكيم

لتوفيق الحكيم !

للأستاذ سيد قطب

— ٢ —

يلتقى الصياد الساذج القانع الطيب القلب بالعفريت الطامح المتمرد العاصى « داهش بن الدمرياط » حين يجذب شبكته أول مرة فتخرج حماراً ميتاً ، ويجذبها ثانى مرة فتخرج زيراً مملوءاً بالرمل ، ويجذبها ثالث مرة فتخرج أحجاراً وقوارير . حتى إذا طلب من الله أن يرزقه من فضله فى الرابعة خرج له قمقم نحاسى مختوم بخاتم سليمان ، وفيه هذا العفريت الملعون الذى حبس فى هذا القمقم جزاء عصيانه أمر الملك وإبائه أن يذهب لجلب الأرز وخشب السرو لبناء بيت الرب ، لأنه عفريت طموح مهيأ لأكبر من هذه الأعمال التافهة !

ويهم العفريت بقتل الصياد الذى أنقذه لأنه كان قد نذر أن يقتل من يخرجه فى هذه اللحظة (وهنا ينسج المؤلف الخيط الأول فى شخصية العفريت) لولا أن يحضر سليمان وجنوده فيرجو العفريت الصياد فى أن يعيده إلى القمقم وأن يستشفع له عند الملك ، ويستنجد العفريت بشرف الصياد فلا يجد هذا مفراً من القبول (وهنا ينسج الخيط الأول فى شخصية الصياد)

ويقبل سليمان الشفاعة على شرط أن يكون الجنى محسوباً على الصياد بخيره وشره ، وأن يعدهما شخصاً واحداً أمامه فى السراء والضراء (ومن الصياد الطيب والعفريت الشقى يتألف الإنسان) . ويقبل الصياد — وأمره لله — ولكنه يختار أن يكون مع عفريته فى خدمة النبى سليمان ! (وتلك أول بذرة من بذور الحكمة فى نفسه)

ويسمع سليمان من الهدهد الغائب (حسب رواية القرآن) عن ملكة سبأ وعظمة ملكها وعن جمالها أيضاً . ويكون حاضر هذا الحديث صادوق الكاهن وآصف الوزير . فأما صادوق فمشغول بالسؤال عن معبود الملكة وقومها ، وأما آصف فمشغول بالسؤال عن عرشها وملكها ، وأما سليمان فمشغول بهذا كله ، ولكنه مهتم كل الاهتمام بما يسمع عن الملكة الجميلة (وهنا ينسج الخيط الأول فى هذه الشخصيات الثلاث . ويمهد للصراع الذى ينتظر قلب سليمان) !

ويعمل سليمان على استزارة الملكة فتسير القصة حسب نصوص القرآن تقريباً ، من إرسال الهدهد إليها وإرسالها هدية لسليمان ترد إليها ، ومن التشاور بين الملكة ورجالها . وفى هذا التشاور يدور حوار طريف لا نستطيع أن ننقله هنا . ولكنه يصور طبيعة المرأة وأحاسيسها الخفية ووسائلها الغامضة ، ويصور طبيعة الوزير السياسى ، وطبيعة القائد الحربى فى بضع كلمات (وتلك براعة توفيق الحكيم فى الحوار . وهى براعة تفوّق وتفرّد فى هذا المجال . فما هى إلا لفظة من هنا ولفظة من هناك ، وجملة عابرة هكذا ، وجملة خاطفة كذلك . حتى تستوى القضية التى يريدها أو الشخصية التى يرسمها ، كأنما مستها عصا ساحر فانتفضت من بين الركام . فهو من هذه الناحية متفوّق ومتفرد حتى اليوم بلا جدال .)

ونعلم هنا أن للملكة أميراً أسيراً هو « منذر » . وإنها لمشغوفة به حباً ، وإنها لتوارى هذا الحب عنه فى مشقة وعسر لتعترف به متهالكة ناسية كل أبهة الملك أمام جاريتها « شهباء » وإنه هو لمشغوف حبا بشهباء ، وإنه لا يعبأ بقلب الملكة الآسرة . وإن شهباء لتبادله هذا الحب فى الخفاء ، ولا تظهره له ولا للملكة على السواء !

فإذا ما جاءها رسول سليمان ، وإذا ماردت إليها هديتها ، أدركت بغريزة المرأة التى تشم من بعيد أن سليمان لا يبغى ملكها ولا ثروتها إنما يريدها هي لذاتها . فتنتعش لهذا وتنشط وتحس أنه يرد عليها شيئاً من كبريائها المحطمة مع الأمير الأسير فتجيب الدعوة . ولكنها تحب أسيرها ولا تستطيع فراقه ، فهى تحتال عليه لتأخذه معها فى رحلتها .

ونلمح هنا بين ما يشبه الضباب — أو بين السطور — غريزة المرأة ، التى تحب ويمتلىء قلبها بمن تحب ، ولكنها ترحب بكل لفتة من قلب رجل ! ونلمح أغراضاً شتى متداخلة مبهمة فى نفسها من استصحاب أسيرها معها . أهى تفعل هذا لأنها لا تصبر على فراقه ؟ أهى تفعله لترى حبيبها المعرض كيف يعجب بها سليمان العظيم فتوقظ إعجابه هو بها وتثير فى نفسه الغيرة عليها ؟ أم إنها تريد أن تقول لسليمان : إنك لست المعجب

الوحيد فلى أيضاً حبيب ؟! أم تريد أن تصد سليمان عنها مع تمتعها بإعجابه بها ؟ ... إلى آخر هذه الاحتمالات ؟

كل ذلك نستطيع أن نلمحه وراء ستار من الضباب أو من السطور والكلمات . وتلك مقدرة من مقدرات الحوار .

وتقدم الملكة على سليمان فى موكبها العظيم ، فيحس قلبه من بعيد بما هنالك (وهنا تشترك الأسطورة والنبوة والغريزة فى رسم الصورة وتقريب الإحساس) وعندئذ يبدأ فى محاولة بهرها ولفت نظرها بخوارق الأمور ؛ فيطلب استحضار عرشها من بلاد سبأ . ويتبارى فى ذلك أتباعه . وعندئذ تعرض الفرصة للجنىّ « داهش » صاحب الصياد ليأتى بالعظائم ويلبى الطموح ، فيعرض أن يأتى به فى غمضة عين أو يقتل هو والصياد ! ويمارض الصياد بطبيعة الحال ، ولكن طموح الجنى ورغبة سليمان يغلبان . وينجح « داهش » فيظهر الصياد الساذج مشاركا فى النجاح ، وترتسم للصياد صورة فيها كثير من الدعابة والفكاهة تلازمه فى معظم الأحوال ! ويسر سليمان ويستقبل الملكة ومعها الأمير الأسير ، فترى عرشها وتعجب بهذه المقدرة ، ولكنها تشتم بغريزتها لماذا يحاول سليمان أن يبهرها ! ويختليان بسرعة فتلاحظ هذه السرعة ، وتصارحه بها ، فيفاجئها بما ساور نفسه من أسيرها ، فتعترف ! ويصدم سليمان صدمة عنيفة فينسحب لتنال راحتها ! وتبتهج هى فى دخيلة نفسها بما تم حتى الآن !

فإذا خلا سليمان إلى نفسه فهو منقبض قلق ضيق الصدر ، فى حاجة إلى السلوى وإلى التسلية ، فهو يلتمسها عند أضعف أتباعه وأشدهم سذاجة . عند الصياد ! وإنه ليسأله إذا كان قد ذاق طعم الحب ؟ وهنا يروى الصياد قصة حب خائب لم يدم إلا لحظة . أدى ثمنها ثروة مفاجئة كان يملكها . وقد ضحى بحبه ليفسح لمن أحبها طريق السعادة ، لأنه ليس كفئاً لها فهى كفء لملك ! (وفى هذه القصة ينسج خيطاً آخر من شخصية الصياد فهو رجل طيب ذو ضمير نقى وقلب كريم)

ومرة أخرى يجد الجنى أن الفرصة سانحة لإرضاء طموحه ، وللنزغ فى قلب النبي سليمان ، وتلبية رغبته فى آن ! فيعرض خدماته — على كره كذلك من الصياد — ويرسم خطة لتحويل قلب الملكة وانتزاع إعجابها . ويستجيب سليمان ، تدفعه الرغبة الإنسانية الجارفة ؛ فإذا الجنىّ مفوّض فى استخدام جميع السلطات وجميع القوى ، وإذا هو يسخر بساط الريح ليحمل الملكة مع سليمان فى الفضاء ؛ وإذا هو يبنى الصرح الممرد من قوارير وتحته ما يشبه اللجة ، لتبهر الملكة ، وليجد سليمان الفرصة متاحة ليحملها بين يديه ويتخطى بها اللجة الموهومة ! وما ذا يصنع محب محروم إلا أن يتلمس كل وسيلة للتمتع بمثل هذا الفتات ؟ !

ثم ما ذا ؟

ثم إذا المرأة التى تحب أقوى من جميع هذه المغريات ؛ وإذا القلب الإنسانى الذى يحب أقدس من جميع هذه المظاهر ؛ وإذا هو يسخر بجميع قوى الأرض وجميع مظاهرها ؛ وإذا الملكة على حبها لأسيرها أمام كل جهود سليمان وجهود الشيطان !

ثم ما ذا أيضاً ؟

ثم إذا سليمان غاضب على الجنىّ وعلى الصياد ؛ وإذا الصياد خائف مذعور ، عاتب لائم لهذا الجنىّ الذى لا يعرف الهدوء ولا ينى عن المحاولة ، ولا يكف عن الطموح ؛ وإذا « داهش » يعرض عروضاً جريئة ، وينزغ نزغات شريرة . إنه يعرض اقتحام الحصن الذى لم تفتحه المحاولات ، وتحطيم القلب الذى لم تحوله المغريات !

ويشفق الصياد ويضطرب ضميره ؛ ويتردد سليمان وتتحرك قداسته . ولكن الرغبة الملحة تغلبه ، فإذا الجنىّ مفوّض فى عمل ما يشاء !

فاما نفذت الخطة الجديدة الجريئة ، فمنذ رقد الأمير مسخ تمثالاً فى حوض الرخام ؛ ولن تعود إليه الحياة إلا إذا بكت عليه حبيبته حتى تغرق جسده بالدموع . وإذا الملكة ترسل الدمع مدراراً بجانب التمثال الحبيب ، وإذا سليمان يرسل الضحكات كلما أطل عليها سخرية وشفاء (ونلمح هنا جو ألف ليلة وليلة . ولكننا نلمح التضحية الأسطورية للحب ، والشر الذى تثيره الرغائب الجامحة فى قلب إنسان) .

حتى إذا ما أوشكت المعجزة أن تتم ، تدخل الجنى فهدى سليمان إلى حيلة يبعد بها الملكة قليلاً عن التمثال ، ولم تبق إلا دمعتان حتى تصل الدموع إلى قلبه فينبض ويحيا . وزين لشهباء أن تنتهز الفرصة السانحة وتحيى حبيبها لنفسها . وأغرى الصياد أن يذهب – هو الآخر – إلى الحديقة ليجد حبيبته الضائعة فهى الآن من نساء سليمان (وبهذا يضرب الشيطان جميع هذه القلوب فى لحظة واحدة !)

فأما الملكة فتؤخذ بالحيلة . وأما الصياد فيتردد ثم يذهب ولكنه يحجم عن مخاطبة حبيبته تحرجاً وتورعاً . وأما شهباء فتتمنع ثم تدمع عيناها فى الحوض ، فإذا حبيبها يحيا ، وإذا هو يراها بجانبه تبكى فيحسبها صاحبة التضحية فى سبيله وواهبة الحياة له ، فيطوقها بذراعيه . ولكن ضميره يتحرك فتخبره بالضحية الحقيقية التى ملأت الحوض بالدموع ، وإن هما إلا دمعتان منها لاسواهما . ولكنه هو (لأنه يحب) يرى الدمعتين الأخيرتين اللتين وصلتا إلى قلبه أغلى وأعظم من جميع دموع « بلقيس » !

وحين تعود الملكة ومعها سليمان تقع عيناها على المنظر الفظيع فتصدم صدمة عنيفة ويجلجل صوت سليمان ضاحكاً . ولكن الملكة تنهدم بين يديه وتنهار . وهنا يدرك عظم الكارثة وفظاعة الجريمة ، فيأخذه الوجوم ... إنه أفاق ولكن بعد فوات الأوان !

وهنا يستعرض الناقد من المنظر عدة لوحات

فلوحة يتجلى فيها الصراع بين الخير والشر فى نفس الصياد وقد تغلب الخير فى النهاية على نزغات الشيطان ، لأنها نفس محدودة المطامع ضيقة الرغبات ! . ولوحة يتجلى فيها هذا الصراع فى نفس شهباء وقد تغلب الحب المكتوم على همسات الضمير ، لأنها امرأة تحب ! . ولوحة يتجلى فيها هذا الصراع فى نفس سليمان وقد غلب الشر حين أججته الرغبة والمقدرة ، ثم غلب الخير حين كشف الجرم وتبين العجز ، لأنه نبى وإنسان !

وهناك لوحة منزوية يتراءى فيها جحود الحب الأعمى ، بجانب نبله المقدس ؛ فدمعتان اثنتان من عينى شهباء يقومهما المحب بالدموع الغزار والليالى الطوال فترجحان ، وهما وحدهما اللتان تبلغان قلبه لأنهما ممن يحب ! . وعظمة سليمان وملك سليمان ومحاولات سليمان كلها لا تحول قلباً يحب لأن هذا الحب فوق الملك والقوة والسلطان ! . ونبوة سليمان وحكمة سليمان لا تعصمانه من الشر الذى اندفع إليه ، ولا من نزغ الشيطان فى قلبه ؛ لأن الشيطان يستخدم الحب الذى يذهب بالعقل وبالحكمة جميعاً

هذا الجحود العجيب بجانب الوفاء العظيم ، بجانب الاندفاع المريد : لوحه فاتنة لأنها صادقة

وإلى هنا كان يمكن أن تنتهي التمثيلية ، فلا تفقد شيئاً كثيراً من وقعها النفسى ومن أهدافها الإنسانية . ولكن توفيق الحكيم يؤثر الحوار الفلسفى ويؤثر ألا يكتفى بالإشارة عن العبارة ؛ فهو يسجل فى فصلين تاليين تسجيلاً مفصلاً فى حوار ذهنى ما سجلته الحوادث حتى الآن فى تصرف حيوى ، وما يستشف من هذه الحوادث فى بساطة وبغير انتباه

وموعدنا ببيان هذا العدد المقبل فقد بلغنا اليوم أقصى الفراغ

سيد قطب

حكم فى الجنحة رقم ١٠٦٩ عسكرية حلوان سنة ١٩٤٢ بحبس محمد عبد العليم أحمد ثلاثة شهور مع الشغل والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لعرضه للبيع خبزاً بأزيد من السعر المحدد

أثر المـــرأة في على محمود طه

للأستاذ إدوارد حنا سعد

الحرمان من المرأة – كدافع نفسى – ليس خيراً فى ذاته ولا شراً ؛ ولكن الخير أو الشر إنما يتعلقان بالوسيلة التى يتبعها لإشباع رغباته : وهو فى الفن خير محض لأنه كان نبعاً فياضا استقى منه الملهمون وخرجوا على الناس بذخائر خالدة على الزمن

والأدب المصرى مدين للحرمان بنبوغ الشاعر الرقيق الأستاذ على محمود طه ، فقد لمس نفسه الحساسة فأذكى شاعريتها ومرَّ على قيثاره الشاجى بأعذب الألحان

على أنه مما يلفت النظر فى الأدب المصرى المعاصر ذلك التباين الواضح بين ضآلة أثر الحرمان فى نتاج الأدباء المعاصرين ممن نسميهم شيوخ الأدب ... وعمقه ووضوحه فى نتاج الطائفة التى تأخرت عنهم فى السن أو تاريخ الظهور الأدبى ، ومرجع ذلك فيما أعتقد إلى تحجب المرأة قبل الحرب الماضية ، ثم ثورتها على الحجاب بعيد تلك الحرب ، واشتراكها فى كثير من مناحى الحياة الاجتماعية

* * *

قد ينشأ الحرمان عن خيبة قوية فى حب قوى فيكون من أثره ولوع صاحبه بإعلان عدائه للمرأة ، فإذا وجد أن فى ذلك منافاةً لما درج عليه الناس اندفع بطريقة لاشعورية إلى تسفيه الآراء الشائعة والتعالى بقيمته الذاتية . وأثر هذا الضرب من الحرمان شديد الوضوح فى الأستاذ توفيق الحكيم عدو المرأة وصاحب الرأى المعروف فى تفضيل الجاهلة على المتعلمة كزوجة ، وكاتب المقال الذى يقول فيه إن الزواج من أربع نساء أمر تحتمه الطبيعة ، وذلك حين رأى التفكير متجهاً إلى سن تشريع يمنع ذلك إلا عند الميسرة وضمان العدل بين الزوجات . ثم يقول عن نفسه إنه (خالق) ، وعن الأشخاص الذين يصورهم فى قصصه إنهم مخلوقاته ، ويقول عن أحد قرائه (زارنى هذا الطبيب الفاضل ثلاث مرات دون أن يحظى برؤيتى)

وقد يكون الحرمان ناشئا عن خيبة فى إنشاء علاقات غرامية فى فجر الشباب ، فيولع صاحبه بالتحدث عن علاقات غرامية موهومة أو مبالغ فيها ؛ وقد يصدر كتابا – كما فعل الأستاذ الصاوى – يتحدث فيه عن حياة قلبه وتكون عناوين فصوله : « وأما السابعة ... وأما الثامنة . . وأما التاسعة »

وقد يولع الشاب بفتاة من طبقة معينة ولا تستجيب لغرامه فيكون منه قصصى كالأستاذ محمود كامل معظم بطلات قصصه من خريجات المدارس الفرنسية ، وكلهن من بنات الباشاوات وعلى الأخص كبار الضباط المتقاعدين . ولكل فتاة من هؤلاء محب يُشترط فيه أن يكون محاميا له إلى جانب مهنته شهرة أدبية أو فنية وله سيارة صغيرة يقودها بنفسه

* * *

هذه المقدمة لازمة لكى نفهم منها فهما واضحا أثر المرأة فى الأستاذ على طه ، ففى نفسه الشاعرة رواسب من حب خاب ، وعلاقات فشل فى إنشائها ، وطبقة لم تلتفت إليه بناتها هى على الأغلب طبقة الفنانات . هذه الرواسب كونت منه رجلا فيه من توفيق الحكيم بعض تعاليه ، وفيه من الصاوى بعض تفاخره ، وفيه من محمود كامل اهتمامه بطبقة معينة تبدو من كثرة حديثه عن مخادع المغنيات والراقصات

وقد امتزجت هذه العناصر وتفاعلت فإذا به فى شعره – وقد يكون فى حياته الخاصة – زير نساء يطلب المرأة لأنها إحدى النساء ، وليس بعاشق يميز امرأة واحدة من دون النساء[1]

والمفروض فى زير النساء أنه رجل مستهتر ، قوى ، كثير التنقل بين (الحبيبات) ، مشغول البال بالمرأة ، شديد الالتفات إلى نواحى جمالها وزينتها ، محبوب منها وأنيق

وكل هذه الصور واضحة فى شعر على طه ونثره أشد وضوح فهو مستهتر لا يبالى أن يقول :

حلفتُ بالخمر والنسـاء ومجلس الشعر والغنـاء

أو يقول :

فاعذرى الروح إن طغى واعذرى الجسم إن ثار
ثمـر ناضج الجنى كيف لا نقطف الثمـر

وهو رجل قوى ، استغفر الله بل فتًى قوى ، يقول عن زملائه ركاب السفينة « كانوا يعجبون من هذا الفتى الأسمر الذى يقتحم غرفة المائدة ليملأ معدته بالطعام بينما هم مستلقون على ظهورهم

(١) للأستاذ العقاد فى كتابه شاعر الغزل بحث طريف فى هذا الموضوع ؛ أرجو أن يعود إليه من فاته الاطلاع عليه

من دوار البحر أو ممسكون بمعداتهم من الألم والاضطراب ! »

ويقول :

الثلاثون قد مضت في التماهات والهذر

فهذه الصورة قد تتفق مع صورة دون جوان ، ولكنها قد لا تتفق مع الحقيقة . فني مقال الأستاذ الزيات عن أرواح وأشباح يقول : « وبين اللقيا الأولى للصديق والقراءة الأخيرة للشاعر إحدى وعشرون سنة » . « وكان إذ ذاك في إبان شبابه وكنت في عنفوان شبابي » ومن هذا يتضح أن لفظة (الثلاثون) هذه لم تأت إلا لضرورة الشعر

ثم هو رجل كثير التنقل بين الحبيبات ، فهو في الجندول مع البولونية الحسناء ، وهو في بحيرة كومو مع الأديبة الأمريكية الفاتنة ، وهو على الرين مع « صديقة سويسرية التقى بها في ذلك الجو الساحر الخ ... وهذا بالطبع عدا عذارى وادى النخيل وقاهرياته الغرر

وهو مشغول البال بالمرأة يغازلها في كل مكان ؛ وقد يغازلها وإلى جانبها زوجها (الليلة الأولى في أرواح شاردة) وكتبه كلها فياضة بهذا الاهتمام الذي يقيمه ويقعده ؛ ولكني أود أن ألفت النظر إلى نشيده الأفريقي (عودة المحارب) الذي يقول فيه :

حين ألقى زوجي على باب كوخي وأناغى على ذراعيَّ طفلي

فهذا التصور الصادق للقلب الظمآن إلى حنان الأسرة لم ينبع من مصادر الاهتمام بالمرأة على العموم ، ذلك الاهتمام الذي يملأ قلب الشاعر ، فيقول على لسان ذلك المحارب العائد إلى زوجه وطفله :

يا عذارى القبيل أنتن للمجد (م) على عفةٍ صواحب بذل

حسبُ روحي الظامى وحسب جراحي

رشفةٌ من عيونكن النجل

وابتساماتكن فوق شفاهٍ بمعاني الحياة كم أومأت لي

وصحيح أن البطل العائد يسر بالحفاوة التي يلقاها من قبيلته رجالها ونسائها ، ولكن لعل حفاوة الرجال به أبعث لسروره ، وأقدح لمكامن الزهو في نفسه .

ونستطرد في توضيح الصورة التي أوجزناها في مقدمة حديثنا فنقول إن التفاته إلى نواحي الجمال في المرأة كثير في شعره ونثره إلى درجة أستبيح لنفسي معها أن أغفل إيراد الشواهد عليها ، والتفاته إلى زينتها دقيق « صففت شعرها على طريقة القرن الثامن عشر ، وقصت جانبيه على طريقة القرن العشرين » ويقول عن أخرى إنها « ارتدت زى القرويات من سكان الأديج الأعلى وغطت رأسها بمنديل أحمر موسوم بصور متناسقة لزهرات برية »

أما أنه محبوب من المرأة فشواهد ذلك كثيرة في دواوينه وكتبه وأجتزئ هنا بمقتطفات من حديث نشره بمجلة الإثنين عن ذكريات الصيف ، تحدث فيه عن جارة له في الفندق قابلته في الردهة ... « لم يطل بي النظر ولم يطل بها الوقوف ، فقد ابتسمت لي وأحنيت رأسي تحية لها ، وسرعان ما وجهت لي عبارة لطيفة قائلة :

— منذ أمس وأنا أعجب من هذا الغريب المنفرد بنفسه الذي لا يجد في هذه المدينة الصاخبة اللاهية ما يزعجه عن النوم ويشغله إلى ما بعد منتصف الليل . أقول هذا وأتساءل كيف لا أعجب من نفسي أنا أيضاً ، فقد حضرت ليلتين ، فلم أجد ثمة حذاء واحداً على باب واحد ، ووجدت حذاءك منفرداً بنفسه على باب غرفتك . وقلت لنفسي وأنا أضع بدوري حذائي على باب غرفتي ، فليظل الحذاءان هكذا قريبين من بعضهما في الليل وإن لم يتعارفا . وفي الحق أني عند ما أغادر غرفتي إلى الحمام في الصباح الباكر أجد أن منظر الردهة قد تغير ، فأمام كل باب حذاءان أحدهما ضخم خشن ، والآخر دقيق رقيق ، فأحدث نفسي لم لا يتفق حذاءانا نحن أيضاً فنجدهما ذات صباح على باب واحد ... »

فيا ما أشد إغراء هذا الفتى الأسمر ، لقد أنسى تلك الحسناء أنها امرأة يسرها أن تُصاد وأن ترى الشباك منصوبة من حولها ... أنساها هذا وأنساها حياءها الغريزي فبدأته بهذا الحديث الطويل واقترحت عليه أن يشاركها غرفتها .

***

بقي الحديث عن الصفة الأخيرة وهي الأناقة وتكاد تكون أظهر صفات شعره الموسيقي العذب ، ثم هي تبدو أيضاً في طبع كتبه وتقديم قصائده ، ويرجع السبب في شدة وضوح هذه الصفة إلى أنها ارتوت من رافدين نبعا في صدر شبابه : أولهما الحرمان الجنسي ، وثانيهما الحرمان الأدبي ، لأن المجد الأدبي لم يوات الأستاذ على طه في السن التي كان ينتظره فيها ، بل تأخر عن ذلك . وفي مقال الأستاذ الزيات عن « أرواح وأشباح » ما يكشف عن ذلك الجانب ، فهو يقول إنه منذ إحدى وعشرين عاماً كان يشرف بالاشتراك مع حضرة الأستاذ الجليل الشيخ

مصطفى عبد الرازق على قسم الشعر فى مجلة السفور ، ودفع إليهما البريد بقصيدة لعلى طه « فوجدنا قوة الشاعر الموهوب تطغى على ضعف الناشئ البادئ ، فضننا بها على السل وصححنا ما فيها من الخطأ وقدمت لها ببضعة أسطر تنبأت فيها بنبوغ الشاعر ونصحت له أن يرفد قريحته السخية بمادة اللغة وآلة الفن » ... ثم لقيه فى المنصورة ... « وطلب إليه صديقنا أن ينشدنا بعض شعره فنشط لهذا الطلب وارتاح كأنما نفسنا من كربه أو خففنا من عبئه ، وقال : نشرت لى السفور هذه القصيدة وقدمت لها بهذه المقدمة ... ثم أدى المقدمة عن ظهر الغيب » ... « وكان حين عرفته فى إبان شبابه و كنت حين عرفنى فى عنفوان شبابى »

ففى هذه الأسطر نرى على طه وهو ناشئ مغمور ينشط لإلقاء شعره ويرتاح ، ويحفظ عن ظهر الغيب مقدمة فيها تنبأ ونصيحة ، ثم يعرف صاحب هذه المقدمة التى احتفى بها كل الاحتفاء فإذا هو شاب لا يكبره كثيراً فى السن . وتلك مقدمات تصل إلى نتيجة واحدة هى شدة إحساسه بأنه مغمور وأن قريحته فى حاجة إلى أن يرفدها بمادة اللغة وآلة الفن . وربما تأثر بأسلوب الزيات الأنيق ، فما زال يتحرى الأناقة ويتوخاها حتى أصبح أكثر الشعراء المصريين أناقة غير مدافع . وقد واتته الشهرة الأدبية سخية فياضة ؛ ولكن نفسه الحساسة لم تسلم وما كان لها أن تسلم من عقابيل هذا الشعور القديم ، فيقول فى مقدمة إحدى قصائده : « ألقاها الشاعر فى حفل كان من خطبائه الأساتذة الأجلاء : لطفى السيد باشا ، الدكتور طه حسين بك ، مصطفى عبد الرازق بك ، أنطون الجميل بك » .

وقد جعل هذا دأبه فى تقديم كل القصائد التى ألقيت فى حفلات عامة كأنه يستكثر بطريقة لاشعورية أن يلقى شعره بين هؤلاء الذين كانوا يملأون أفق الأدب أشعة وشهرة وهو ناشئ مغمور فى المنصورة . بل هو يلجأ إلى أغرب من ذلك فى تقديم الجندول « تغريدة الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب » كأن عبد الوهاب لا يتغنى إلا بجيد الشعر ومختاره ، مع أنه غنى الجندول وغنى بعدها « ماتهونش » ، « وبلاش تبوسنى »

وهذا الأثر الذى أتحدث عنه يبدو كذلك فى كثرة حديث الأستاذ على طه عن الشاعرية ومناجاته لها فى « ميلاد شاعر » و « غرفة الشاعر » و « قبر الشاعر » ... ثم فى حديثه عن نفسه بقوله « الشاعر » ، فهو بهذا وذاك يمدح نفسه وشاعريته عن طريق غير مباشر ولاشعورى

وألاحظ هنا كثرة لجوء الشعراء الشبان إلى الحديث عن أنفسهم بقولهم : « زار الشاعر قرية كذا وقال فيها » مثلاً ، والشاعرية كموهبة لا يجوز أن يفخر بها صاحبها بل يدع للناس أن يتحدثوا عنها ويمدحوه بها وإلا جاز لكل صاحب موهبة أن يتحدث عن نفسه فنسمع مثلاً « قال الذكىُّ فى حديثه » أو « قهر القوىُّ خصمه فى الملاكمة » ولن يكون هذا أغرب من ذاك

وأعود فأكرر ما قلته فى أول هذا المقال من أن الأدب المصرى مدين للحرمان بنبوغ الشاعر الموهوب الأستاذ على محمود طه وبضلال الملاح التائه فى بحار الجمال والخيال ، وهو ضلال حبيب إلى النفوس المرهفة الحس ، وهو أعود بالفائدة من هداية القابعين المتزمتين .

(الاسكندرية) ادوارد حنا سعد



ذو القرنين

قرأت بالعدد (٥٠٩) نبذة للأستاذ عبد المتعال الصعيدي يرد بها على نظريتي الجديدة عن ذي القرنين التي هدمت بها النظرية القديمة التي كانت تقول إن ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم هو الإسكندر الأكبر ، وأثبت بالأدلة القاطعة (بالعدد ٥٠٨) أن ذا القرنين كان مؤمناً ، في حين أن الإسكندر كان وثنياً فاسد الأخلاق سفاكا للدماء سكيراً قاسيا . وينص القرآن الكريم على أن ذا القرنين اتجه غربا أولا ثم اتجه شرقا ، في حين أن الإسكندر اتجه شرقا أولا ثم اتجه جنوبا ولم يتجه غربا إلا أخيرا . وأثبتُّ أيضاً (بالعدد ٥٠٦) أن كلمة ذا القرنين ما هي إلا لقب ملوك الفرس ابتداء من الملك كورش إلى الملك دارا الثالث بدليل أن آيات القرآن الحكيم عن ذي القرنين نزلت بناء على سؤال اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام عن ذي القرنين المذكور عندهم في التوراة (سفر دانيال) والتوراة تنص صراحة على أنه لقب ملوك دولة فارس التي أسقطها ملك من ملوك اليونان . وإذا بحثنا في التاريخ عن ملوك هذه الدولة الذين ينطبق عليهم هذا الوصف نجدهم ابتداء من الملك كورش العظيم إلى الملك دارا الثالث الذي في عهده قضى الإسكندر على دولة الفرس . والملك كورش اتجه غربا أولا واستولى على سوريا حتى وصل البحر الأبيض (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) . ثم اتجه بعد ذلك شرقا حتى وصل بلاد التركستان حيث توجد إلى الآن آثار السد القديم (اقرأ العدد ٥٠٦) والملك كورش وخلفاؤه كانوا على دين زرادشت نبي الفرس الذي كان يؤمن بوحدانية الله والجنة والنار والصراط والأعراف (اقرأ العدد ٥٠٨)

وبعد هذه الأدلة القوية نجد الأستاذ يقول بالعدد الأخير إن وثنية الفرس واضحة ، في حين أنه لو كلف نفسه قراءة كتاب تاريخ فارس تأليف Syket كما أوضحت بالعدد ٥٠٨ لاقتنع بهذا الرأي ووجد أن الملك كورش كان على دين زرادشت . ولو اطلع على كتاب صبح الأعشى وكتاب تاريخ حياة زرادشت تأليف Jackson لتأكد من أن دين زرادشت يؤمن بوحدانية الله والجنة والنار والصراط والأعراف . ولقد كان زرادشت قبل الملك كورش بسنين قلائل ، ولذلك كانت مبادئ هذا الدين لا تزال سليمة لم يطرأ عليها تحريف بعد

ويقول الأستاذ إن سوريا تقع شمالاً بالنسبة لفارس . في حين أن نظرة بسيطة إلى أي مصور جغرافي تثبت لنا أن خط عرض ٣٥ يمر في وسط فارس وسوريا . أي أنهما على خط عرض واحد . وعلى ذلك فالملك كورش عند ما ذهب لفتح سوريا اتجه غرباً بكل تأكيد .

ويعتقد الأستاذ إن سوريا لا يقال لمن يصل إليها أنه بلغ مغرب الشمس لأنها في قلب المعمورة . وليسمح لي أن أسأله عن المكان الذي تغرب فيه الشمس على سطح الأرض . أليست كل بقعة على سطح الأرض تصلح لأن تكون مغرب الشمس لأن الشمس تغرب فيها كل يوم . كما تصلح لأن تكون مشرق الشمس لأن الشمس تشرق عليها كل يوم . فمعنى مغرب الشمس جهة الغرب بالنسبة للمكان الذي هو فيه . وليس المقصود بلاد المغرب فقط كما يظن . فالملك كورش اتجه غرباً حتى وصل سوريا فوجد الشمس تغرب في عين حمئة أي البحر

ويقول الأستاذ إن الملك كورش قتل ببلاد التتار وذو القرنين لم يُقتل . ومن أين عرف أن ذا القرنين لم يُقتل في حين أن القرآن الكريم لم يأت إلا بجزء يسير من تاريخه : « ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا » ، أي جزءاً من تاريخه ولم يذكر تاريخ حياته كلها . ومع ذلك فالقتل لا يمنع الشخص من أن يكون مؤمناً أو عظيما

ويقول الأستاذ إنه وجدت دنانير عليها صورة الإسكندر يلبس قرني آمون . وهل عند ما يلبس الإسكندر شعار الإله آمون نقول عنه إن له قروناً . وهل كل من يلبس على رأسه قروناً نقول عنه إنه ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم ؟ ومع ذلك فالتماثيل العديدة التي للاسكندر في جميع متاحف العالم ليس منها تمثال واحد بقرون

وأخيراً ألفت نظر الأستاذ إلى أن كلمة ذي القرنين ليست شخصاً وإنما هي لقب عدة أشخاص ، وهم ملوك دولة الفرس كما قلت ابتداء من الملك كورش إلى الملك دارا الثالث .

دكتور إبراهيم الدسوقي

نظرات فى كتاب

أصدر الدكتور عبد الدايم أبو العطا البقرى كتاباً جديداً عن « اعترافات الغزالى » ضمّنه اتهاماً خطيراً للامام ، وحملة عنيفة على كتابه المنقذ من الضلال . ولست أريد أن أعرض لنقد هذا الكتاب الجديد ، فإن مؤلّفه قد كفانا مؤونة النقد ، حين تجاوز الوضع والتصنيف إلى النقد والتقريظ . ولكننى أريد فقط أن أسجل ظاهرة عجبت لها عجباً يستنفد كل العجب ! فقد ذكر المؤلف فى الخاتمة التى وقفها على الحديث عن قيمة بحثه وما له من أثر ، أن فى وسعنا أن نجمل أثر بحثه فى أن « المنقذ من الضلال ... ليس بتاريخ حقيقى لتدرّج الغزالى الفكرى ، ولتطوره العقلى والنفسى ، ولن يعتبر بعد اليوم مصدراً لذلك » (كذا !) . وهذا القول فيه من لهجة التوكيد والتظاهر بالدراية والتثبت ، ما يثير الابتسام العريض ! فإن العالم الحق لا يجيز لنفسه مطلقاً أن يتحدث بمثل هذه اللهجة التى لا تخلو من تجاف عن الروح العلمية . ولعل الأستاذ المؤلف يعترف بذلك ، إذا أنعم النظر فى مقدمة الدكتور زكى مبارك التى ارتضى أن يُثبتها فى أوّل كتابه . فقد ورد فيها ما نصّه : « أنا أعتقد أن الغزالى صادق فى كل ما رواه ... » وهذا القول ينقض ما ادعاه المؤلف من أن المنقذ لن يعتبر بعد اليوم مصدراً لمعرفة تاريخ حياة الغزالى .

وثمة ظاهرة أخرى تعرض لقارئ كتاب الاعترافات ؛ وتلك هى غرابة الأسلوب . فإننى أستطيع أن أؤكد أن أحداً لم يسبق الدكتور عبد الدايم إلى الكتابة بالأسلوب الذى آثره هو . وأى باحث علمى يرتضى لنفسه أن يملأ صفحات كتاب له بمثل هذه العبارات : « الله ؛ الله ؛ أيها الشيخ ؛ إنك لرجل قوى وبطل ، نعم قوى ؛ لأنك احتملت ما لم يحتمله الناس[1] ... الخ » ص ٩٦ ؟ أوَ يقبل باحث أن يستعمل مثل هذه العبارات التى لو أوردها كاتب فى مجادلة كاتب آخر لانتقصت من قدره فى نظر الناس ؟ هذا سؤال أترك الإجابة عنه للأستاذ المؤلف نفسه ، فإننى أحسب أنه يوافقنى على أن البحوث العلمية لا تكتب بمثل هذا الأسلوب .

أما إذا تركنا « الشكل » وانتقلنا إلى « الموضوع » ، فإننا نأخذ على الكتاب عدة مآخذ . والمأخذ الأول عندنا أن المقارنة التى عقدها المؤلف بين الغزالى وديكارت ، مقارنة فاسدة لا أساس لها . وكان الأجدر بالمؤلف أن يقارن بين الغزالى والقديس أوغسطينوس St. Augustin فإن ديكارت ليس فيلسوفاً متديناً يقيد نفسه بعقيدة ما من العقائد ، وإنما هو فيلسوف حر الفكر ، لا يعطى لمشكلة العقل والنقل من الأهمية ما يعقه عليها رجل مؤمن كالقديس أوغسطينوس . وديكارت لم يكتب لنا « اعترافات » يصوّر فيها حياته تصويراً دقيقاً كما فعل رجل كأوغسطينوس الذى كتب اعترافات رائعة ، أدرك البعض قيمتها فاشتغل بترجمتها .

والمأخذ الثانى أن المؤلف يضارب أقوال الغزالى بعضها ببعض ، فى سبيل التوصل إلى الحكم على اعترافات الغزالى بأنها كذب وافتراء . وهذا منهج خاطئ لا يوصّل إلا إلى نتائج فاسدة ، لأن الأقوال التى يضاربها المؤلف بعضها ببعض ، ذُكِرت فى عهود مختلفة ، والتطور يفرض على الغزالى أن يغيّر من رأيه تبعاً لتغير حالته ، فلا يمكن إذن أن نستنتج شيئاً من تعارض الأقوال واختلاف الآراء ، كما أراد المؤلف .

زكريا ابراهيم

ضبط الخلاف بين العربية والعامية مستحيل

اطلعت فى البريد الأدبى من « الرسالة » على كلمة موجزة ، تحت عنوان : « ضبط الخلاف بين العربية والعامية »

وخطأ هذه القاعدة الجديدة أنها بنت كون اللفظ العامىّ عربياً مقبولاً على مجيئه موافقاً فى الضبط لأصل من أصول المفردات العربية . وهذا ظاهر الفساد ؛ فإن المتواضع عليه بين العلماء أن اللفظ العامى ما لم ينطق به عربى ، سواء فى الصوغ أو فى الشكل . وهذا محل وفاق قطعاً ، وأن المدار فى تمييز العربى من العامىّ على النقل عن المعاجم اللغوية . وإلا لجاز أن يخترع العامى ألفاظاً لا حصر لها ، على نمط الأوزان العربية . فهل

(١) لعل من أعجب ما يصادفه الانسان فى هذا الكتاب ، طريقة الترقيم ؛ فإن المؤلف فى هذا « نسيج وحده » وأنا أنقل لك هنا عبارة واحدة من العبارات الكثيرة التى يتبدى فيها الترقيم العجيب : « ولكن كل هذا قليل ؛ إذا قيس بهذا القلب الكبير ، كل هذا ضئيل ؛ بجانب هذا الأمل العريض ... هل ؛ يعرف الغزالى ؛ أكثر من هذا ! » ... إلخ

نقول : إنها عربية لأنها وافقت أصلاً من أصول الكلمات العربية ؟

وبنت كون اللفظ عامياً غير صحيح على مجيئه مخالفاً لقواعد الصرف . ولو أخذنا بهذا القول على إطلاقه لخطأنا نحو ربع اللغة العربية من الألفاظ الشاذة عن القياس الصرفي كمصادر الثلاثي وجموع التكسير ، وبعض صيغ النسب والتصغير !

وأما خطأ التمثيل فقد مثل الكاتب لما يجب أن يكون عامياً غير صحيح بقول العامة : عَباية في عباءة ، توب في ثوب ، جمر في جار ، معللاً بأن إبدال الهمزة ياء ، وإبدال الثاء تاء ، وإبدال الهمزة عيناً لا يرجع شيء منها إلى قاعدة صرفية .

أما عباية فقد نقل الثقات من أهل اللغة ، أنها عربية مسموعة . نعم إن استعمالها بالهمزة أكثر وأشهر .

وأما جمر في جار فذلك إبدال مطرد في لغة بني تميم ، فقد حكى ابن مالك في شرح الكافية : أنهم يبدلون الهمزة المتحركة عيناً ، .وأما توب بالتاء فهو من تحريف العامة ، ولكن لا لأنه إبدال غير قياسي فحسب ، بل لأنه لم ينقل عن العرب ، ولو نقل عنهم لقبل ، فقد ورد في اللغة تاب إلى الله وثاب إليه بمعنى واحد لتقارب مخرجي التاء والثاء ، ولكنهم لم يقولوا في ثوب لما يلبس : توب بالتاء لئلا يلتبس بتوب مصدر تاب بالتاء المثناة . بهذا ظهر أن ما جمله عامياً برأيه الجديد ، عربي صحيح ، وأن قواعد الصرف جُعلت لضبط الكثير المسموع من كلام العرب ، لا للتحكم في اللغة بجعلها كلها خاضعة لهذه القواعد . ولذلك ورد الشاذ والنادر مما لم يمكن ضبطه بقاعدة

ومثل لما هو عربي صحيح بقول العامة : تِرمس (بكسر التاء) ، وقولهم : حُصان (بضم الحاء) ، وقولهم : معدَن (بفتح الدال) ؛ لأن هذا كله لم يخالف قاعدة من قواعد العربية . وذلك أوغل في الفساد من سابقه ، لأنه إذا جاز للعامي أن يقول في حِصان بكسر الحاء : حصان بضمها ، جاز أيضاً أن يقول : حَصان بفتح الحاء ؛ لأنه على أسلك الذي جرت عليه على وزان (غزال) . وفي ذلك خلط بين الأبنية العربية

نعم إن كسر التاء في لفظ ترمس ونحوه لا ينشأ عنه اختلاط في الأبنية ولا تأثير في المعنى ، ولكننا إذا فتحنا هذا الباب على مصراعيه للعامي ، بجرأ على التحريف في ضبط سائر المفردات حتى المتواتر منها .

وهاهنا ملاحظة جديرة بالنظر ، وهي أن حضرة الكاتب ترك التمثيل لما يميز فيه بين اللفظ العربي والعامي بقواعد النحو والبلاغة . ويغلب على ظني أنه لا وجود لشيء من ذلك إلا في مخيلة الكاتب !

عبد الحميد عنتر
أستاذ بكلية اللغة العربية

نزول عيسى

تنشر « الرسالة » ابتداء من العدد المقبل إن شاء الله بحثاً في نزول عيسى يرد به فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء على الشبه التي أثارها بعض الناس على فتواه السابقة التي نشرت بالعدد (٤٦٢) من الرسالة فنلفت إلى ذلك أنظار القراء .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 513

Lundi - 3 - 5 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥١٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٦٢ — الموافق ٣ مايو سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٣٤١ قاسم أمين ... . : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٣٤٤ الحديث ذو شجون ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٣٤٧ أيها النيل ... ... : الأستاذ دريني خشبة .. ...
٣٥٠ « سليمان الحكيم » .. لتوفيق الحكيم ... ... } الأستاذ سيد قطب ... ...
٣٥٣ ليلى والمجنون .. ... : الدكتور محمد مصطفى ... . .
٣٥٦ ابتسم للحياة [قصيدة] : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٣٥٦ دير الحياة ... « : الأستاذ محمود عماد . . ...
٣٥٦ السبيل القويم .. « : الأديب عبد القادر محمود ...
٣٥٨ هل قتل ذو القرنين بيد التتر : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
٣٥٨ ضبط الخلاف بين العربية والعامية ممكن ... . . } (...) ... ...
٣٥٩ ذو القرنين غير الاسكندر المقدوني ... ... } الأستاذ محمد عبد الله الجزار
٣٥٩ حول مقال « أثر المرأة في طه محمود طه » ... } الأستاذ حسن كامل الصيرفي
٣٥٩ نزول عيسى ... ... : ... ...
٢٥٩ مائة الشعراء . . ... : ... ...
٣٦٠ إلى الأستاذ حبيب الزحلاوي : الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

قاسم أمـــين

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت في مجلة « روزاليوسف » حديثاً للسيدة الجليلة قرينة قاسم أمين رحمه الله ، نشرته المجلة لانقضاء خمس وثلاثين سنة على وفاة ذلك المصلح الكبير ، وكان من المصادفات الموفقة أن تؤدى هذا الواجب — واجب الذكرى — مجلة تصدرها سيدة . فى ذلك بعض الوفاء « المناسب » لموضوع الوفاء .

وقاسم أمين رحمه الله حقيق بالتذكار لغير سبب واحد : حقيق بالتذكار لغزارة علمه ؛ وحقيق بالتذكار لنزاهة قضائه ؛ وحقيق بالتذكار لدماثة خلقه ولطافة ذوقه وامتزاج الثقافة الروحية فيه بالثقافة الفكرية ؛ وحقيق بالتذكار قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، لدعوته إلى إنصاف المرأة وإخراجها من ربقة الظلم الذى كان محيطاً بها وبالرجال

كتبنا عنه قبل ثلاثين سنة فى « خلاصة اليومية » فقلنا : « إن المرأة المصرية مدينة لقاسم ؛ لأنها كانت سجينة فأطلقها ، وكانت أمة فأعتقها . والأمة المصرية مدينة لقاسم ؛ لأنها كانت شلاء فأبرأها من ذلك الشلل الذى أمسك شقها عن الحركة دهوراً وأعواماً . والإنسانية مدينة لقاسم ؛ لأنه أنقذها من رق

لا تجرؤ مصلحة الرقيق على مطاردته . والفخر فى تحرير المرأة لا يزال الآن وبعد الآن من نصيب قاسم . أما من قفوه فى هذا المقصد فهم إنما درجوا على طريق بينة الآثار وسلكوا فى منهج مأبور »

وقد مضت الآن خمس وثلاثون سنة على وفاة قاسم ، ومضى نحو خمسين سنة على دعوته الأولى فى سبيل تحرير المرأة ، وولد فى يوم دعوته — بل فى يوم وفاته — بنات يعشن الآن ويحسبن من الرجعيات المتخلفات ، لأنهن يتحرجن من أشياء لا يتحرج منها بناتهن الناشئات اللائى ولدن متحررات ، وغلون فى الحرية أبعد الغلواء ، ولما يسمعن باسم قاسم أمين ولا بالدعوة التى دعاها . لأنهن أخذن الحرية من عدوى المجتمع ولم يأخذنها من معرفة الحقوق ولا من العناية بنهضة المرأة

وإنصاف قاسم يستدعينا إلى تقرير هذه الحقيقة . فإن عدوى المجتمع شىء ودعوة قاسم إلى تحرير المرأة شىء آخر ، وإنما اللوم كل اللوم فيما نعيبه الآن من الشطط والبهرج الكاذب إنما هو من عدوى المجتمع لا من الدعوة القاسمية التى لا يزال لها فضلها ولا يزال لها حقها من الثناء وإن شط بها الطريق على غير ما أراد صاحبها ، وعلى غير ما يستطيع أن يريد

قاسم أمين قد رأى خطأ فنبه إليه

ويكفى أن يثبت الخطأ ليثبت الفضل فى التنبيه إليه . ثم يكفى أن يكون التنبيه إليه شجاعة وتضحية ومجازفة بالمصير ليغنم صاحبه منا حمد الشجاع المقدم على التضحية فى سبيل الخير والفلاح ، ثم لا عليه بعد ذلك من الخطأ الآخر الذى جاءت به الحوادث ولا جناح عليه فيه

مثل قاسم أمين فى دعوته إلى تحرير المرأة مثل محام فاضل غيور على حقوق الناس رأى إنساناً يساق إلى السجن بغير جريرة معروفة وبغير حجة مشروعة يقبلها القانون ؛ فغضب المحامي الفاضل الغيور على الحقوق غضبة الكرامة الإنسانية ، وجهد فى إطلاق ذلك السجين جهده المستطاع ، وبر بذمة القانون وذمة الصناعة وهو يخرجه من السجن ويسلمه إلى الطريق الطليق . ثم دهم الترام ذلك السجين المظلوم على مدى خطوات من سجنه فات ؛ أو بدا له أن يعرج على حانة فيذهل عن صوابه ويعتدى على برىء أو يصاب بما يسقمه ويضنيه

هو لو بقى فى السجن لما قتله الترام ، ولا وصلت يده إلى الكأس أو أقدم على العدوان

ولكن الرأى فيمن ظلمه وأدخله السجن ، وفيمن أنصفه وأخرجه منه ، لا يختلف مع كل ما حدث أو يحدث بعد انطلاقه

فلا يقول أحد فيه ذرة من إنصاف أن ظالمه خير من منصفه ، وأن إدخال الناس السجن بغير الحق عمل أشرف وأكرم من إعادتهم إلى الحرية وفاقاً لحكم القانون

والذى حدث فى الدعوة إلى تحرير المرأة شبيه بهذا من وجوه كثيرة . فإن الذى أنكره قاسم من ظلم المرأة وحرمانها العلم والتربية والرعاية الإنسانية لحقيق بالإنكار ، وحقيق بأن يتبدل أو يزول . وهنا صنع قاسم ما لا بد أن يصنع ، وقام بالواجب الذى نكص عنه آخرون . فوجب له الحمد وعرفان الجميل ، وإن ذهبت المرأة بعد ذلك فى حريتها مذهباً لم يكن ليرضاه

دعوة قاسم هى فضيلة قاسم التى تحسب له ولا تحسب عليه

أما « عدوى المجتمع » فليست من فعله ولم يكن فى يديه أن يمنعها ولو كف عن دعوته وسكت عنها فى زمانه كل السكوت

فهذا الشطط الذى نراه اليوم إنما نشأ من أمور كثيرة بمعزل عن الدعوة القاسمية وعن كل دعوة من قبيلها

نشأ من رؤية المرأة الأوربية فى مصر بالمئات والألوف ، ثم هجوم الناس على المحاكاة العمياء بغير تفرقة بين الأحوال عندنا والأحوال عند الأوربيين

ونشأ من الصور المتحركة التى تعرض لنا كل يوم مفاتن الحياة الغرامية بين الجنسين على نحو يراد به الإغراء وقلما يراد به التعليم والتهذيب

ونشأ من انتقال الألوف من أبنائنا إلى أوربا يعيشون هناك كما يعيش الشبان الميسورون فى غير رقبة ولا تقيد بالعرف الشرقى الذى نشأوا عليه

ونشأ من القراءة الرخيصة التى يصح أن يقال فيها ما يقال فى العملة « إن الردىء منها يطرد الجيد من الأسواق »

ونشأ من الأزمات الاقتصادية ثم من تداول الضنك والرخاء على البلاد ، وفى هذا التداول ما فيه من إفساد الأخلاق وزلزلة العرف والبيئة

ونشأ من معقبات الحرب الماضية التى عمت جميع الأقطار ، ولم تخصنا نحن الشرقيين أو نحن المصريين

وهذه كلها أسباب أين منها دعوة قاسم أمين وأين منها جهود قاسم أمين أو جهود نفر من المصلحين ؟

إن القدوة الاجتماعية لتصنع الكثير ولو قامت فى طريقه العقبات ولم يرتفع بالدعوة إليه صوت داع من الدعاة ؟

فلم يقم فى مصر « قاسم أمين » يؤلف الكتب ويستهدف للملام فى سبيل « التنحيف » وإقلال الطعام

وإن الإقلال من الطعام لمسير جد عسير ، لأنه تضييق على الحرية وتضييق على الجسم فى وقت واحد ... ومع هذا تصبر المرأة على الحرمان والشدة وتزهد فى الطعام الشتهى لتظفر « بالنحافة » الموموقة التى فرضتها العدوى الاجتماعية ولم تفرضها على المرأة دعوة ولا عقيدة

بل فرضت الدعوة القوية صياماً فى وقت من أوقات السنة وأنذرت على تركه بالعقاب في الدنيا والآخرة ، فلم تصم امرأة واحدة لاتقاء هذا العقاب إلى جانب عشر نساء ممن يصمن فى العام كله مرضاة للعرف وتلبية للعدوى الاجتماعية . وما كانت دعوة قاسم رحمه الله بأقوى من دعوة الصيام ونذير العقاب على تركه باسم الدين

إنما هى آفة الإصلاح حيث كان

وإنما هى القسمة السيئة التى يصاب بها المصلحون فى الحياة وبعد الممات

ففى حياتهم يكرهون ويصابون

وبعد حياتهم تعرض لدعواتهم العوارض التى لا ذنب لهم فيها ولا قدرة لهم عليها فيلامون من حيث يسكت الناس عن علة الملام

وقد تثمر دعواتهم أحسن الثمر بعد زمن طويل ، فإذا الناس يستمتعون بالثمر وينسون غارسيه ، ولعلهم إن ذكروهم لا يشكرون ولا يكترثون

ذلك كله حق نلمحه بيننا ونلمسه بأيدينا كل يوم ، فإن أوجب علينا شيئاً فإنما يوجب علينا أن نضاعف الجزاء للمصلحين الذين يساء إليهم بمقدار ما أحسنوا ، وإنهم لأقمن الناس بإحسان

قالت السيدة الجليلة قرينة قاسم بك فى حديثها الذى أشرنا إليه : « إنما كان قاسم ينادى بالسفور الشرعى الذى لا يزيد عن إظهار الوجه واليدين والقدمين ولا يتجاوزه إلى إظهار العورات وإلى اختلاط المرأة بالرجل على النحو الحاصل الآن . وإنى أعتقد أن قاسم بك لو كان حياً لما رضى عن هذه الحال بل لانبرى لمحاربتها . ويحزننى أن أرى الكثيرين يسيئون إلى قاسم أمين إذ يحملونه المسئولية عن هذا التهتك وينسبونه إلى دعوته ، فيدللون بذلك على أنهم يسيئون فهم الدعوة »

وصدقت السيدة الجليلة فى قولها عن مقاصد قرينها الكريم وهى بها أدرى . فقد أراد قاسم عزة للمرأة تخرج بها من ذلة الجهل وفقد المشيئة ، فإذا بها قد وصلت إلى ذلة أخرى أسوأ لها من الذلة الأولى ، لأنها من طريق المشيئة والحرية التى لا تحسنها

فالعوارض التى نراها الآن إن هى إلا عوارض الضعف عن حمل الحرية قد أصيب بها النساء كما أصيب الرجال فى المرحلة الحاضرة ، وغاية ما نرجوه أن تكون مرحلة انتقال وراءها مراحل استقامة وصلاح

***

عدت إلى كتب أدبائنا منذ أسبوعين لأكتب عنهم فى مجلة « الإثنين » فقرأت فى فيض الخاطر للأستاذ أحمد أمين مقالاً عن حرية المرأة بين جيلين يقول فيه بلسان البنات وهن يخاطبن آباهن :

« يا أبانا الذى ليس فى السماء ! رقصت أمنا فرقصنا ، وشربت أمنا فشربنا ، وشربت سراً فلتسمح لنا بحكم تقدم الزمان أن نشرب جهراً ، ورأينا فى روايات السينما والتمثيل حباً فأحببنا ، ورأينا عريا على الشواطىء فتعرينا ، وتزوجت أمنا بإذن أبيها فلنتزوج نحن بإذننا . قال : نعم . قلن : وقد أوصتنا أمنا أن نركب الزوج ولكننا أمام مشكلة يشغلنا حلها . فإننا نرى شبان اليوم متمردين لا يخضعون خضوعك ولا يستسلمون استسلامك ، فإرادتهم قوية كإرادتنا ، وهم يحبون السلطة حبنا ، فهم أحرار ونحن أحرار ، وهم مستبدون ونحن مستبدات ، فكيف نتفق ؟ »

والذى نراه أن شكوى الجيل الحاضر من مشكلة الزواج أعظم من شكوى الجيل الغابر الذى منه آباؤهم وأمهاتهم ، فليست المسألة قوة إرادة من هذا الجنس أو من ذاك ، ولكنها مسألة حرية لا يقوى على علاجها هذا ولا ذاك . وإن هان شأن الفتاة حيناً فإن شأن الفتى ليهون فى حين آخر على حسب

المناسبة العارضة أو على حسب قانون العرض والطلب الذى يتحدث به الاقتصاديون . ويغلب الهوان على الفتاة فى المعترك الحاضر لأنها هى التى كانت مطلوبة فأصبحت معروضة أو طالبة فأصابها الرخص والهوان من طريق الحرية ، وهو ما عنيناه بالذلة فى طريق مشيئتها بعد الذلة التى أصابتها قديماً من فقد المشيئة . فإذا وقع الفتى فى قيد الزواج فإنه ليشكو من زواجه أضعاف ما كان يشكوه أبوه وجده ، ويحار فيه الحيرة التى لا تخرج منها إلا بالفرار أو الاصطبار

هى بلوى الحرية المفاجئة بعد بلوى العدوى الاجتماعية ، وهى حالة جديدة تحتاج إلى « قاسم أمين » جديد يعالجها ويرفع العقيرة بالثورة عليها ، ولا يكون فى عمله إلا فاتح صفحة من الكتاب الخالد الذى فتح صفحته السابقة قاسم أمين قبل خمسين سنة . رحمه الله .

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

درس فى الأخلاق — الكتاب الأسود — زكى مبارك كما يراه عباس العقاد — الطبيعة المصرية — الترجمة عمل مطلوب ومفيد ، ولكنها لا تدل على الأصالة الذاتية

درس فى الأخلاق

صديق ...

أوجه إليك هذه الكلمة ، وأنا أرجو أن تقرأها فيما بينك وبين نفسك ، بلا تفكير فى التعقيب ، لأنى لن أستمع لك إن قابلتها بأى اعتراض ، فما يتسع وقتى للمجادلة فى أمور صارت عندى من البديهيات

وأسارع فأقرر أنى لا أقيم وزناً للتشكى من الزمان ، على نحو ما يصنع بعض الشعراء ، وعلى نحو ما كنا نصنع يوم كنا نتوهم أن الحظوظ تقسم بلا ميزان

أنا اليوم أومن بأن لله قانوناً اسمه النظام ، وهو يطرد فى جميع الشؤون ، فالشمس بنظام ، والقمر بنظام ، وجميع الخلائق بنظام يفسده أقل اختلال

لا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر إلا وفقاً لقوانين أزلية لا يجوز عليها الانحراف

السيد سيدٌ بحق ، والعبد عبدٌ بحق ... ولو حمل الهِرُّ روح الأسد لصاوله فى حومة الصراع بلا تهيب ولا إشفاق

نحن المسئولون عن تخلفنا حين نتخلف ، لأن فى مقدورنا أن نصل إلى أعظم مكانة إن تحلينا بالصدق فى الجهاد ، ولأن فى استطاعتنا أن نكون عظماء يشغلون التاريخ ، إن ناضلنا فى سبيل المجد نضالاً يقرع سمع التاريخ

وهذا لا يتيسر إلا إن راعينا نظام الوجود

ذلك السائل لا يستحق غير ذل السؤال ، لأنه يخمد قواه عن عمد ليظفر بالصدقات العجاف

وذلك البليد الذى رضى أن يكون طول عمره من الذيول سيظل ذيلاً لأنه بليد ... وذلك التابع السخيف لمتبوعين سخفاء لن يصلح لشىء ، لأنه يستظل بأموات يعيشون فى ظلال الأموات ... وذلك الذى يتبهنس بفضل حماية غيره لن يرتفع بأى حال ، وإن استعان بطنين الذباب

لك ما تريد لنفسك ، على شرط أن تفهم تلك القوانين الأزلية فتجاهد فى حدود الصدق جهاد الرجال

لك ما تريد لنفسك ، على شرط أن تترك الأوهام التى تزعم أن الرجل لا ينجح إلا إن صادفته فرصة تنقله من حال إلى أحوال

الفرصة فى يدك إن أردت ، ولكن متى تريد ؟

أنت لغفلتك تتوهم أن الذين سبقوك إلى المال أو الجاه لم يسبقوك إلا بفضل الفرص التى سنحت على غير ميعاد

الفرصة فى يدك ، وميعادها بيدك ، على شرط أن تكون رجلاً لا يجوز عنه الاستغناء

زوّد نفسك بالمزايا التى ترفعك ، واقض ليلك ونهارك فى كسب الخصائص التى تجعلك من أهل التفوق ، وإن استطعت أن تكون الرجل الأول فى المذهب الذى اخترته لنفسك فلن تشكو الغبن ولو قامت فى طريقك ألوف وألوف من الأشواك

الرجل الذى يستطيع أعداؤه وحاسدوه أن يهدموه ليس بالرجل العظيم ، وإنما هو وليد ظروف ومصادفات جعلته شبحاً يوهم من يراه أنه شخص من الأشخاص ، وما أريد لك هذا الحظ الضئيل

أريد أن تكون كذلك المسكين الذى يعرف فى قرارة نفسه أنه لا يستطيع الوقوف على قدميه بلا سناد ؟

ما لهذه الغاية الضئيلة خلقنا ، وما لهذا النصيب الهزيل منّ الله علينا بنعمة السمع والبصر والفؤاد

الكسل آفة سخيفة ، وهو يميت مواهبنا الذاتية ، ويمضى بنا إلى مهاوى الخمود

الكسل مذموم العواقب ، وهو من صور الموت ، لأنه أول خصائص الأموات

وأنت ياصديقى كسلان ، بغض النظر عن نشاطك فى لحظات التشكى من زمانك ، وهو نشاط المريض فى لحظات الصراخ

غيِّر ما بنفسك يا صديقى ليغيِّر الله ما بك ، واحذر أن تأكل رغيفاً بغير حق ، كأن تأخذ أجراً على عمل لا تؤديه أحسن الأداء

الكتاب الأسود

تسامعَ الناس قبل أسابيع بأن سعادة الأستاذ مكرم باشا عبيد نشر كتاباً سماه الكتاب الأسود ، وقال من قرأوه إنه غاية فى قوة الحجج والبراهين ، فدفعنى الشوق إلى الاطلاع عليه ، وأنا بلا مباهاة أقرأ جميع ما تنشر المطابع فيما يتصل بالحياة الأدبية والوطنية لأساير اتجاه الأفكار فى زمانى

فماذا رأيت فى الكتاب الأسود ؟

رأيت مؤلفه اهتم بالشؤون الداخليـة ، وترك الشؤون الخارجية ، فما معنى ذلك ؟

أتكون وزارة النحاس باشا سلمت كل السلامة من التقصير فى الشؤون الخارجية ونحن فى زمن تكثر فيه المشكلات الدولية ؟

إن كان هـذا هو الواقع بفضل سكوت مكرم باشا فوزارة النحاس باشا أعظم وزارة تغلبت على المصاعب الدولية فى أحرج لحظات التاريخ

وإن كانت هناك مآخذ على الوزارة الوفدية من الوجهة الدولية فسكوت مكرم باشا على تلك المآخذ سكوت المريب

التعرض للشؤون الداخلية يغضب النحاس وحده . أما التعرض للشؤون الخارجية فيغضب ناساً يراعيهم مكرم فى السر قبل العلانية

ماهذه المغالاة فى تعقب الشؤون الداخلية ، مع ترك الشؤون الخارجية ؟

الجواب حاضر : فسعادة الأستاذ مكرم باشا يتوهم أن مسالمة الأمور الدولية قد تنفع بعد حين ، وقد تردُّه إلى وزارة المالية بعد أحايين !

نحن نبالغ فى إيذاء المواطنين باسم الوطنية ، ونسكت عن الشؤون الخارجية باسم الدبلوماسية ، وذلك هو ماصنع الأستاذ مكرم عبيد !

هل أستطيع أن أسأل عن المصير الأخلاق لمن يجرح قوماً عاشرهم فى أعوام تزيد على العشرين ؟

وهل أستطيع سؤال مكرم عن سر سكوته فيما يختص بمتاعب مصر من الوجهة الدولية ؟

من واجب مكرم باشا أن يقرأ هذه الكلمة ليراعيهـا فى كتابه المقبل . وهذا درس فى الوطنية أقدمه إليه بالمجَّان

زكى مبارك كما يراه عباس العقاد

تفضل الكاتب الكبير الأستاذ عباس العقاد فخصنى بكلمة نقدية فى مجلة الإثنين ، وهى كلمة تؤيد رأيى فى مذهبه الأدبى ... ألم أحدثكم أن منطق العقاد يستقيم فى جميع الشؤون إلا فيما يتصل بزملائه من الأدباء المصريين ؟

إن لى فى أدب الأستاذ العقاد آراء صحيحة لم تتأثر بتحامل المعاصرين بعضهم على بعض ، وقد أثنيت على أدبه فى ظروف لا تسمح بأن ينتظر منى أى ثناء ، فقد تخاصمنا وتعادينا فى آماد وآماد ، ثم كانت العاقبة أن أعترف بجهاده فى الحياة الأدبية ، وأن أذكره بالجميل حين يستأهل الجميل

قال الأستاذ عباس العقاد : « إن الدكتور زكى مبارك أقل الكتاب شخصية فى حياته الكتابية وإن أسلوبه الكتابى معروض لتوقيع من يشاء »

فبأى منطق وبأى حق يقول الأستاذ العقاد هذا الكلام الغريب ؟

هل يستطيع أن يدلنا على كاتب يضع اسمه على كتاب « النثر الفنى » أو كتاب « التصوف الإسلامى » أو كتاب « عبقرية الشريف الرضى » أو كتاب « ذكريات باريس »

أو كتاب « اللغة والدين والتقاليد » إلى آخر ما أخرجت من المؤلفات ؟

ثم يقول الأستاذ العقاد ما نصه بالحرف :

« الدكتور زكى مبارك حضر الأزهر والجامعة المصرية وجامعة فى باريس ، ولكنه لا يمثل الأزهر ولا الجامعة المصرية ولا جامعة باريس »

وهذا كلام يسرنى ، وإن أراد به العقاد إيذائى ، فأنا أبغض الاستعباد للمعاهد والمذاهب ، وأعتقد أن أدبى سيعيش بعد أن تصبح تلك الجامعات خبراً لا تعيه ذاكرة التاريخ

زكى مبارك هو زكى مبارك كما قال العقاد ، وهى أصدق كلمة قالها العقاد ، على كثرة ما صدق فى أحكامه الجوائر على أدباء هذا الجيل

قد يقول الأستاذ عباس العقاد كما قال الدكتور طه حسين : إن شخصية زكى مبارك المؤلف قوية كل القوة ، وإنما الخلاف فى شخصية زكى مبارك الكاتب

وأقول إن هذا ظلم من الدكتور طه والأستاذ العقاد ، وأنا أتحدى هذين الرجلين بكتاب « ليلى المريضة فى العراق » فهو آية من آيات البيان

وما رأى الأستاذ العقاد فى المقالات التى أنشرها بمجلة الرسالة من أسبوع إلى أسبوع ؟ أيظنها مقالات معروضة لتوقيع من يشاء ، كما يقول ؟

مجموعات الرسالة تشهد بما أملك من قوة الذاتية ، وهى أيضاً تشهد بأن أسلوبى أقوى من أسلوبه وأبلغ ، وبأنى أحلق فى آفاق لا يصل إليها ولو استمسك بأوهام الخيال . والعقاد يعرف فى قرارة نفسه أنه لا يقدر على مجاراتى فى أى ميدان

وما رأى الأستاذ العقاد فى القصائد التى نشرتها بمجلة الرسالة ؟

هل يستطيع أن ينظم مثلها فى أى غرض !

أنا أتحداه أن ينظم قصيدة مثل قصيدة « مصر الجديدة » أو قصيدة « الأسكندرية » أو قصيدة « بغداد »

العقاد شاعر كبير ، ولكنه لا يستطيع أن يكون أشعر منى ، وله أن يحاول مصاولتى فى ميدان الشعر إن أراد

قال الأستاذ العقاد : « زكى مبارك الكاتب لا يستغنى عن زكى مبارك بحال من الأحوال ، إذا استغنى المؤلفون عن أنفسهم فى بعض الأحيان »

وهذا حق وصدق ، وهو الدليل على ما أملك من قوة الذاتية ؛ وإذا استغنى العقاد عن نفسه فأنا لا أستغنى عن نفسى ، لأنها أثمن ما أملك

أما بعد فما الذى دعا الأستاذ العقاد لمناوشتى بمثل ذلك التحامل الذى لا يليق بمن يكون فى مثل منزلته الأدبية ؟ وما عدوانه على كاتب ذكره بالخير فى أكثر ما أنشأ من المقالات والمؤلفات ؟

رأيى فى العقاد لن يتغير بأى حال ، فهو كاتب وشاعر وناقد ومؤلف ، وسأزكيه عند قرائى بلا بخل وبلا إسراف ، ولكنى أرجوه أن يتذكر أن له صديقاً يكره أن يكون من المطففين

إن كان الأستاذ العقاد رأى بفكره الثاقب أنى سأتطلف فى الرد عليه فقد صدق فيما رأى ، فما أستبيح الهجوم على رجل يحمل القلم منذ أعوام تجاوز الثلاثين ، وقد تشارف الأربعين ، أطال الله فى حياته وأسبغ عليه نعمة الصفاء

الطبيعة المصرية

وأراد الأستاذ العقاد أن يحكم بأن الدكتور هيكل كاتب لا يثب إلى الآفاق العالية ولا ينقضّ إلى الأغوار العميقة ، فجعل ذلك وفاء للطبيعة المصرية ، طبيعة الأرض التى يرويها النيل بغير عناء كما يقول

وأقول إن الطبيعة المصرية لا تعرف السهولة التى عناها الأستاذ العقاد ، وليس بصحيح أن أرض مصر يرويها النيل بغير عناء ، فهو لا يؤدى واجبه فى رى الأرض إلا بأجمة من القناطر والجسور ، ولا ينكفّ شره إلا بمتاعب ثقال

والحق أننا أسرفنا فى وصف الأرض المصرية بالاستواء ، وكدنا نوهم أنفسنا بأن بلادنا قليلة التنوع فى المناظر ، وقليلة القدرة على إبداع النقائض فى المذاهب والآراء

والعقاد مصرىٌّ من أسوان ، فما الاستواء الذى يراه فى الطريق بين القاهرة وأسوان ؟ ومتى سهل رى الأرض فى مصر وهو المشقة الأولى فى حياة الفلاحين ؟

والعقاد لا يبخل على نفسه بما بخل به على هيكل ، فهو فى نظر نفسه من الذين يثبون إلى الآفاق العالية وينقضون إلى الأغوار العميقة ، فمن أى أرض ورث الوثوب والانقضاض ؟

أيها النيـــل !

للأستاذ دريني خشبة

أيها النيل ! يا أغنيةَ الأزل ! يا حابي العزيز ! ما لي كلما مررت بشاطئك طافت بيَ الأحلام ، وازدحمت في روعي تهاويل الماضي ، ولم أدرِ ما مَسّ القُبل النحيلة التي تطبعها نسماتك على أفواف الزهر ، وأفنان الدوح ، وصفحة الماء ، وخيال الشاعر ، وجبين النوتي ، وخدود العذارى ؟ !

ما لي أنسى جمال الصباح المفتر ، والحدائق الضاحكة ، ولاز ورد السماء الذائب في تبر الشمس ، وأمواه الطبيعة المتبرجة ، وعبير الربيع الفوّاح الذي يعطر جنباتك ، ويتضوّع فوق حفافيك ، ويملأ ملاعبك بهجة ، ويغازل الشعر والفن والجمال والحب . . . ما لي أنسى كل ذلك حينما تتصل روحي بروحك ، وينبض قلبي بالذي ينبض به قلبك ، فأحس كأنما ماؤك دموع حِرار تسكبها عيون الفراعنة ، وكأنما قطراتك أحقاب المجد المؤثل التي حضّرت الدنيا ، ومدينت الناس ، وهَدَت القلوب الضالة إلى الله الحق ، وسارت بموكب الإنسانية نحو النور المقدس الذي يهدي للرشد ، وانتشلت العقول من غرائز الغابة بما أشاعت فيها من بينات الهدى والعرفان !

أيها النيل !

ما أروع ما يتغنى الزمان بنشيدك الخالد ! ها هم أولاء الفراعين الصِّيدُ يهمسون فيهتز الوادي ، ويطرب الكرنك ، وتصحو منف ، وترتجف أُون ، وتبسم أكاليل الغار على رؤوس القادة ، وتصرخ الصقور والبُزَاة : هوراس ! هوراس !

فأين هو هوراس اليوم ؟ إنه جريح مهيض الجناح ، لأنه كلما رَأْرَأ بناظريه في سمائك يا نيل رأى بُزاةً لا تهتف بعظمتك ، ولا تسبّح بحمدك ولا تقدس لك ... بُزاة لا ترمي لك كرامة لأنها تعدك فريستها ... فإذا أدار هوراس ناظريه إلى الأحفاد وجدهم مشغولين عنك بالعَبث ، منصرفين عن الجد في أمرك إلى اللهو ومتاع الغرور !

ما أروع ذكريات الصبا على ضفافك يا نيل ؟

لقد كنا نجلس فوق حفافيك وفي يد كل منا سنارة يُداعب بها صغار أسماكك كلما طلعت شمس أو غابت ذُكاء ... وما أنس لا أنس يوم مرت بنا إحدى بواخر شركة كوك للسياحة ، فرأيت الدنيا تدور من حولي ، ونظر إليّ رفاقُ صباي فرأوا عبرة حزينة تترقرق في عيني ... ثم تنهمر على صدري فتقف قريباً من قلبي الذي كان معها على ميعاد ... لقد كان يخفق هو الآخر ! ... لقد ذكرت أسلافي صِبْيةَ الفراعنة ... صِبْيةَ مصر العظيمة الخالدة ... يداعبون أسماكك يا نيل ، فلا تمر بهم إحدى بواخر كوك للسياحة ، تلك التي جرح مرآها كبريائي ، وردت إليّ طرفي وهو كسير حسير ... !

لقد كان أبناء الفراعنة أولاد أمة كريمة لا يجسر الأجنبي على أن يحل بها إلا ضيفاً ... أما أن يكون فيها سيداً ويتيه فوقك على بواخره الماخرات ، فقد كنت تنقلب بحراً من الدماء يا نيل يقذف به إلى اليم ، أو يُلقمه أفواه التماسيح

لهذا نسيت صبيتي ، ولحني رفاق صباي أبكي ... فلما

إن الوطن المصري وطنٌ مبدع ، وله في الإبداع ألوان ، ومن آيات إبداعه أن يجود في العصر الواحد بأفانين من الأذواق والعقول في كثير من الميادين

ثم ماذا ؟

ثم يبقى القول في تحامل العقاد على المازني ، وقد أراد أن يستر تحامله فشهد بأن المازني أقدر كاتب على الترجمة من لغة أجنبية إلى اللغة العربية

فمتى كانت الترجمة عملاً ذاتيًا يقام له ميزات بين أعمال الرجال؟

الترجمة شيء مطلوب ومفيد ، ولكنها ليست بالعمل الذي يجعل فرداً أقدر من فرد ، وأمة أقوى من أمة ، ومزية مصر أنها تبدع قبل أن تترجم ، وذلك دليل الأصالة الذاتية ، وهو سر تفوق مصر على كثير من الشعوب

من المؤكد أن الأستاذ العقاد كان يمزح وهو يسطر مقاله لمجلة الإثنين ، فإن بدا له أن يجد فليساجلني على صفحات الرسالة الصديق ، وله مني خالص التحية وعاطر الثناء .

زكي مبارك

وقفهم على ما شجانى لم يلبثوا أن بكوا مثلي ... وحطم كل منا سنارته ، وقذف بها فى أذيال هـذا الشبح المنساب وراء باخرة كوك . وعدنا إلى القرية محزونين !

ما أجمل الخمائل التى تنشد فوق عدوتيك قصائد الورد يا نيل !

لله هذا الأيك الذى تغنى فيه حمائمك البيض بالنهار ، ويرتل فيه الكروان أورادك بالليل !

فتنة ! أنهرك فتنة ! ولياليك فتنة ! وأنهرك يلعب فى سماواتها السبع أتون ، ولياليك يرقص بين أنجمها خون ! أتون الشمس المشرقة الضاحكة . وخون البدر السافر الطروب !

لقد كانت مصر المجيدة مشرقة ضاحكة كالشمس ، سافرة طروباً كالبدر ، وكان المصريون يتوقدون كما يتوقد النيران الشمس والقمر ، وكانوا ينشدون فى الدنيا كلها عبق ورودك يا نيل ، ويتغنون لموكب الإنسانية نشيد إنشادك ، وورد أورادك ، وموكب الإنسانية من ورائهم يسير . فـماذا دهى الدنيا ؟ إن الشمس ما تزال تشرق ، وإن القمر ما يفتأ يسكب لُجَيْنَه فى واديك

لن أنسى أبداً تلك الليلة المقمرة فى رحبات خوفو ، وبين يدى أبى الهول ، حينما كنت أنصت إلى تسبيح الآباء الصناديد يملأ الفيافى والبيد ، وهتاف الأجداد الأمجاد ، يدوى بين تلك الأوتاد ...

لقد خيل إلى أننى عدت القهقرى لأعيش فى هذا العصر بين أسلافى الأعزة ، فذهبت بخيالى أول ما ذهبت إلى أقرب معبد فشهدت قومى يصلون لله ويقولون : « نحب الله والوطن والملك ، نحب الحياة العزيزة ونحب العمل الخالص لوجه الله والوطن والملك . الله والوطن والملك فى كل مكان وليس فى المعبد فقط »

ثم ذهبت إلى أقرب بيت فوجدت فى حديقته الصغيرة من ورودك يا نيل ، وذهبت إلى البيت الذى يليه فشممت فيه عبير رياحينك ، فتنقلت بين المنازل كلها فلم أجد واحداً ، واحداً فقط ليس له حديقة . وهنا ذكرت زهرة النيلوفر . زهرة اللوتس المقدسة ، تلك الزهرة التى كانوا يبرزونها فى كل شىء . فى مبانيهم وفى ملابسهم وفى آنيتهم وفى سفائنهم ... وحتى فى مقابرهم ... فذكرت أنهم كانوا دائماً يعيشون فيك ، لأنك أصل الحياة ومصدر العيش وجالب الخير وصانع المدنية . لذلك هم يقدسونك ولا يدنسون عُدْوَيَتك بما يدنسها المصريون اليوم مما لا أسميه (!) ... ولا يلقون فيك الجيف والرمم . بل يحيونك بباقات الورد وأكاليل الرياحين وضفائر اللوتس . أليست بلادهم حديقة يا نيل ؟ أليست مصر أينع حدائق الدنيا ؟ إن الأمة التى لا تفهم سر الحديقة ، ولا تعرف لغة الورد ، هى أمة لا قلب لها يا سيد الأنهار

ثم ذهبت إلى دار ندوتهم فوجدت فيها ملأ يأتمرون ... لم أسمع كلمة آثمة تقال يا نيل ... ! لقد أصغيت إليهم يمحصون خير هذه البلاد فى أدب وهدوء ... وفى وقار ... لم أسمع مطلقاً كلمة لاغية يصيب بها مصرى عِرْض مصرى ، ولم أر مصرياً يرمي مصرياً بالمروق ، ولا بانتهاب مال الدولة ، ولا باحتساب أقاربه وأصهاره ، وإيثارهم بالمناصب والأعطيات ... ولم أر واحداً منهم يحتكر الوطنية والإخلاص لمصر ، ويَسْفَه على معارضيه ويرسل لسانه فيهم ، ويتهمهم بممالأة العدو .. مما نستهين به اليوم ، ونصنعه فى غير مبالاة ولا اكتراث ، كأنه من الهنات الهينات . لقد رأيتهم جميعاً كرماء على أنفسهم ... لا يحمل أحدهم موجدة لأخيه ، ولا يبطن له ما يكره ... أليسوا يقولون في صلاتهم : « نحب الله والوطن والملك ... نحب الحياة العزيزة ونحب العمل الخالص لوجه الله والوطن والملك ... الله والوطن والملك فى كل مكان ... وليس فى المعبد فقط ! »

ما أجمل ما كانوا يأتمرون فى غير سفاهة ولا مهاترة ، فى سبيل إسعادك يا نيل !

غير أننى استيقظت من أحلامى فجأة ، لأن أحد رُوَّاد الأهرام عثر بى وانحطم كالبنيان الشاهق فوق ... فلما نهض ونظرت إليه ... وجدته ... أحد جنود الأنزاك ! وعند ما أدرت عينى ... وقعتا على وجه أبى الهول ... فرأيته يضحك علىَّ ... ساخراً بى وبأحلامى ... والذى أذهلني أننى رأيت شفتيه الغليظتين تنبسان ... فأرهفت أذنى ... فسمعته يقول : « ألست تعلم أن هؤلاء الأنزاك قد جاءوا يدافعون عنك ؟ لم لا تعتذر للجندى الباسل ! »

إلا أننى لم أعتذر للجندى الباسل ، ولم أصدع بما أمرنى أبو الهول . وكانت هذه هى أول مرة يعصى فيها أمر للملك خفرع ! وأقسمت إن أنا أصبحت فى برلمان مصر فلن أهاتر ولن

أسفه ، ولن أتهم زعيما عظيما بالمروق ، ولن أخوض فى عرض أحد من المصريين ، ولن أفرغ لهذا العبث ؛ وإن أنا أصبحت زعيما فلن أحتكر الوطنية لنفسى ، ولن تثيرنى تخرصات السفهاء !

أليس وجود هؤلاء الأنزاك كفيلاً بأن يشغلنا عن كل شيء ؟ لماذا يَجِدُّ العالم ونهزل ؟ لماذا تبكى الإنسانية ونعبث ؟ لماذا لا نأخذ عبرتنا من أنهار الدماء التى ضرجت جنبات مصر نفسها ؟ لماذا لا نصغى إلى همس الفراعنة ؟ لماذا لا يفزعنا هديرك الصخاب يا نيل!

لقد كنا نتعلم فى المدارس أن تلال العرب وتلال لوبية تحميانك من رمال الصحراء يا نيل ! والحمد لله ، إنهما ما تزالان قائمتين بوظيفتهما التقليدية ، وما تزال أنت دائباً على فطرتك التى فطرك الله عليها . . . تأتى بالزيادة فى ميعادك فتأتى بالخير واليمن والبركات ... قصة العنبرة السوداء والزبرجدة الخضراء التى رواها عمرو — إلى عمر — ما تزال تمثَّل على مسرحك إلى اليوم ، كما كانت تمثل منذ آلاف السنين قبل عمرو وعمر ... وما تزال المياه الحمراء تجري من الجنوب إلى الشمال فتنبت الحنطة والبقول وتهتز الخمائل وتُؤتى الأُكل

أفتحميك التلال يا نيل ولا نحميك ، وتعطينا ولا نفديك ، وتحفظ عهودنا ولا نحفظ لك عهداً ، ويقصد بك السوء فلا نقف من حولك جنداً ؟! لشدَّ ما كفرنا بغناء بلابلك ، وشدْو جداولك ، وفيء خمائلك ، وزلال سلسبيلك ، وفيض نوالك ، وعبق رياحينك ... وبكل أياديك يا نيل !

كيف يخصب ثراك وتجدب قلوبنا ؟ كيف ينبت الورد فى واديك وينبتُ الشوك فى نفوسنا ! كيف تدبُّ الحياة فى مروجك ويتسرب الموت إلى أرواحنا ؟

إن هذه خلائق الصحراء يانيل ! الصحراء ... حيث الجدب والشوك والحَسَك ... الصحراء الغادرة التى لا تعرف الوفاء ... الصحراء التى يصيبها الوابل ثم تجحده ، لأنه يغور فى قلبها الذى يشبه قلوبنا ...

ما أشد عواصفها الهُوج ... هذه التَّشْيهاء المُضِلَّة !!

ولكن ... لا ... إنها مهما بلغت من العنف فلن تبلغ ما بلغته عاصفتنا الهَجوم من بأس . . .

لله يا نيل تلك المحنة الأخلاقية التى تمزق وحدتنا ، وتمسخ وطنيتنا ، وتبعثر جهودنا ، وتَشعَب أمرنا ، وتزيد فى وهننا ، وتضحك الأمم علينا ، وتُغرى الأعداء بنا ، وتَلْبِسُنا شيعاً وأحزاباً ، وتذيق بعضنا بأس بعض !

أهكذا نستقبل الربيع فى جنَّاتك يا نيل ؟

أين فرعون المحتفل والكاهن الشادى والشعب المغنى !

أين القائد الظافر والجند المنتصر والطائر الميمون !

أين البنود والأعلام ؟ أين الشعراء والأقلام ؟ أين العلماء الأعلام ؟

أهكذا نستقبل الربيع بعواصفنا كما يستقبلنا بعواصفه ؟

أهكذا لا نستطيع أن نتعلم درساً فى الجد من المجزرة البشرية الماثلة ؟ أإلى هذا الحد تعقم وطنيتنا يا نيل ! أفى زحمة تلك الدموع التى تسكبها عيون اليتامى والمنكوبين فى بولندة وروسيا والصين ... نعبث فوق ضفافك هذا العبث يا نهرنا المقدس ؟

يا رب !

تدارك اللهم هذه الأمة فلمَّ شملها ، وارأبْ صدعها ، واحسم داءها ، وسدَّ ثُلمتها ، وأقم ما مال من أمرها ، وأصلح بالها ، وأقل عثرتها ، وألهمها السداد منك ، والتوجه إليك ، والإيمان بك ؛ فهذه محنة ليس لها إلا أنت ... إن لم تتداركنا فمن يرحمنا ؟ وإن غضبت علينا فمن لنا ؟ . . . اللهم فأصلح ذات بيننا فقد أعضل أمرنا ، وبهظنا الخلاف حتى ساء حالنا ... اللهم إن هؤلاء قومى قد ضلوا سبيلك الحق فردهم إليه ، واستفزهم الشيطان بغروره فنجهم منه ، وافتنهم فلا تدعه يستحوذ عليهم ... اللهم إلا تهدنا نضل ، وإلا تنجنا نهلك ؛ فهذِّب اللهم أعراقنا ، وطهر أخلاقنا ، فلا ملجأ لنا إلا إليك ، ولا نعوذ إلا بك يا قريب !

أرأيت يا نيل إلى هذه الوحدانية الجميلة الهينة الحنيفيَّة ؟! أليست خيرا ألف مرة من أربابك القدامى المتفرقة ؟ أوزوريس وإيزيس وولدهما هوراس ! وهذه العصبة التى لا تنتهى ... ورع ... وآمون ... ثم أمون رع ... بل الله الواحد الخلاق .

فما لنا نقدس لله الواحد وقلوبنا شتى ؟!

ما لنا نعتصم بحبال من الشيطان ولا نعتصم بحبل من الله !

ما لنا تفرقنا وقد أمرنا الله أن نتحد ؟

علام الخلف بيننا والوطن ما يزال جريحاً يهتف بنا وينادينا ؟

هل يليقُ أن تكون الوطنيـة مغنماً ومغرماً والأقوياء يتطاحنون علينا ؟

أرأيتم إلى فرنسا ماذا أصابها ؟ إن آخر بطلين من أبنائها ما يزالان فى شقاق ...

فمن لك يا نيل ... !

دريني خشبة

سليمان الحكيم

توفيق الحكيم !

للأستاذ سيد قطب

(تتمة)

لو انتهت تمثيلية « سليمان الحكيم » عند الحد الذى وصلنا إليه آنفاً ما نقصت فى نظرنا إلا القليل من وقعها النفسى ، ومن أهدافها الإنسانية . ولكنها كانت تفقد — ولا شك — شيئاً من كمال الصناعة الفنية التى يبدو أن « توفيق الحكيم » يعنى بها كل العناية ، ولا سيما فى هذه التمثيلية الأخيرة . فلما أن بدأ تمثيليته بالصياد والعفريت وجهاً لوجه ثم توسع فيها شيئاً فشيئاً فى عرض الأشخاص وفى المجال الذى يعرضهم فيه ، كان من كمال هذه الصناعة أن يضيق في مجال العرض وفى الأشخاص شيئاً فشيئاً حتى إذا وصل إلى النهاية كان على المسرح فقط الصياد والعفريت وجهاً لوجه كما بدآ ، وكان أن يقذف العفريت القمقم فيلتقطه الصياد ، وأن يعلنا ابتداء الحرب الأبدية بينهما بعد انتهاء الرواية الوضعية !

وتلك طريقة توفيق الحكيم المختارة فى الصناعة الفنية وفى الأهداف الفلسفية على السواء ، فى جميع تمثيلياته الرمزية الفلسفية ؛ أما التمثيليات والقصص الواقعية فلها نظام آخر وشأن آخر .

ولعله يحسن هنا أن أقول : إن توفيق الحكيم لم يحسم برأى فى مشكلة من المشاكل التى أثارها فى رمزياته جميعاً . « فشهريار » فى نهاية « شهرزاد » ذهب إلى حيث لا يعلم أحد ولم يحل مشكلة القلق العقلى التى صارع من أجلها المكان والمحسوسات والأشياء ! و « بيجماليون » مات وفى نيته أن يصنع في الفن ما لم يصنع وأن ينفذ الوحى الأخير الذى يموت كل فنان أصيل وهو فى نفسه أمنية توسوس له فى الخيال ! و « أهل الكهف » فارقوا الحياة ، وهم لا يدرون إن كانوا فى حلم أم فى حقيقة ، ولم يدر القراء — ولا توفيق الحكيم نفسه — من المنتصر ؟ القلب أم الزمن ، والفناء أم الإنسان ! وها هو ذا الصياد والعفريت فى « سليمان الحكيم » يعلنان الصراع الأبدى فى اللحظة الأخيرة ثم يسدل الستار !

تلك طريقة « توفيق الحكيم » التى لا تتخلف . ومنشؤها — فيما أعتقد — طبيعة توفيق نفسها ، فهو « الأديب الحائر » كما قال عنه مرة الدكتور طه حسين . إنه الشك غير الواعى فى طبيعة هذا الفنان ، وإنه القلق الدفين فى نفسه ، يصدانه عن التعرض للحلول الحاسمة وعن الفصل فيما يعرض من مشاكل وأزمات . وإن ظن أنه مختار فى اختيار هذه الطريقة !

ومع هذا فكم وددت لو تخلفت هذه الطريقة فى « سليمان الحكيم » ، أو لو سار عليها ، ولكنه ظل — كما بدأ — يدع الحادثة تتكلم ، بدل أن يلقن أشخاصه الحديث ، وبدل أن يطيل الحوار الفلسفى ليعرض به ما يريد أن يعرضه من المشكلات

لقد نسج « توفيق الحكيم » أهل الكهف وشهرزاد وبيجماليون على منوال واحد يختلف نسيجه بعض الشىء فى الواحدة منها عن الأخرى ، ولكنه منوال واحد على كل حال . فأما « سليمان الحكيم » فقد نسجت على منوال آخر يختلف فى طبيعة قالبه عن ذلك المنوال .

فى التمثيليات الأولى — على خلاف بينها فى الاتجاهات — كان المؤلف يبرز لنا شخصيات ويدير بينها حواراً حول مشكلة فلسفية أو إنسانية ، فنشعر لأول وهلة أن هذه الشخصيات إن هى إلا دمى تحركها أصابعه من وراء ستار لتنطق بهذه الأفكار وتختلف تلك التمثيليات فى هذه الخاصية — كما قلت — ؛ ففى « شهرزاد » مثلاً لا يخطر لقارئ يفهم ما يقرأ أن « شهرزاد » و « شهريار » و « قمر » و « العبد » ... هم أشخاص حقيقيون ممن نلتقى بهم فى هذه الحياة ؛ وإنما هم منذ أول لحظة رموز ؛ والمشكلة التى يراد منهم التعبير عنها هى مشكلة القلق الإنسانى والشك العقلى ، والتطلع إلي المجهول ، والتخلص من الواقع بعد ارتواء الغريزة والحصول على الاكتفاء الأرضى المحدود . وفى « أهل الكهف » ربما خطر للقارئ أول الأمر أن « مشلينا وبريسكا ، وأرنوش ويمليخا » ... هم أشخاص حقيقيون — ولو كانوا من أشخاص الأساطير — ولكنه يلمح هنا وهنالك ما يشككه فى واقعيتهم ؛ وما يلبث أن ينكشف له أنهم رموز وأن المشكلة التى يراد منهم التعبير عنها هي مشكلة الصراع بين الفناء والإنسان ، أو بين القلب والزمان . وفى « بيجماليون » يحس القارئ من أول الأمر أنه يعيش فى جو أسطورى رمزى وأن « بيجماليون » و « جالاتيا » و « ڤينوس » و « أبولون »

و « نرسيس » و « إيسميه » ... إن هم إلا رموز لقوى بشرية وكونية تتصارع فى الحياة أو فى نفس الفنان ؛ وإذا تصور لحظة أن بيجماليون هذا إنسان خاص ، فسرعان ما يرى أنه رمز للفنان الحائر بين الفن المثالى والواقع الحي ، وبين الطموح الخالد والقدرة المحدودة ؛ وبين التسامى الفنى والميل الغريزى فى الفنان .

فأما « سليمان الحكيم » ، فقد نسجت على منوال جديد ، وعاشت فى جو جديد . إنه جو أسطورى نعم ، ولكن الحياة كانت تدب فيه منذ اللحظة الأولى ، فسليمان إنسان نبى يحيا حياة النبى الإنسان ، وبلقيس ملكة وامرأة محبة تتصرف تصرف الملكات والنساء المحبات ، ومنذر أمير أسير محب حتى وهو تمثال ! وصادوق وآصف والصياد هم أناس يعيشون فى هذا المستوى طوال الفصول الخمسة ، وحتى « داهش بن الدمرياط » هو كذلك عفريت حى على هذه الأرض ، على الرغم مما يداف به إلى عالم الرموز !

وهم جميعاً يعيشون ونشعر معهم بحرارة الحياة ، ولكنهم فى الوقت ذاته يعرضون لنا فى تصرفاتهم وفى حوارهم القصير (بالقياس إلى الحوار الطويل فى التمثيليات الأولى) مشاكل فكرية وإنسانية ونفسية فى كل خطوة وفى كل حركة ، دون أن ينبهونا إلى أنهم يعرضون هذه المشاكل ويقصدون إلى هذه الأفكار ...

وهذه فى اعتقادى مقدرة فنية أكثر من المقدرة التى يحتاج إليها المؤلف فى التمثيليات الأولى ، ومنوال أصعب فى النسج عليه من ذلك المنوال

لذلك وددت أن يظل هذا النسق إلى نهاية التمثيلية ؛ ولكن توفيق الحكيم لم يطق صبراً على الاختفاء الطويل عن المسرح ، فقد أطل مرة أو مرتين برأسه فى أثناء الفصول الخمسة الأولى ليتفلسف بالعبارات ! وليشعرنا بوجوده خلف الستار . حتى إذا كان الفصلان الأخيران تمرد على السكون ، واقتحم حياة أبطاله الذين خلقهم ، وظهر على المسرح بشخصه ، ليلقن هؤلاء الأبطال حواراً طويلاً يكشف عما فى نفوسهم ، ويصور المشاكل الفكرية التى يريد تصورها ، بدل أن كانوا هم أول الأمر يصورون هذه المشاكل بتصرفاتهم فى الحياة !

وإننا لنلخص هنا هذا الحوار لنشرك معنا القراء فيما نراه :

لقد اصطدمت بلقيس بالحرمان النهائى ، وقد اصطدم سليمان بالخطيئة والحرمان ، وقد اصطدم الصياد بالمحاولة التى لم تتم ، ولكنها نزغة من نزغات الشيطان

فأما سليمان فقد حبس الجنى وترك الصياد — بعد أن علم من أمره ما علم — وهو متهالك على نفسه ، شقى بعذاب ضميره ، معترف بخطيئته ؛ بينما يحاول « صادوق » أن يبرر هذه الخطيئة وأن ينظر إلى سليمان بمنظار التقديس التام (شأنه منذ أول القصة) ذلك أنه يعمل لحساب المظاهر والجماهير ، بينما سليمان يستوحى العقيدة والضمير . (وذلك هو الفرق بين الكاهن والنبى)

وأما بلقيس فقد هدأت باليأس واطمأنت إلى صداقة سليمان فهى لن تحبه ولم يعد قلبها صالحاً للحب . ولكنه رجل منحها فى فترة ما حبه وإعجابه ، فصداقته الآن هى أقرب الأحاسيس إلى نفسها وفيها بعض العزاء

وإن بلقيس وسليمان ليحسان لهذه الصداقة طعما مريحاً بعد الحرمان !

وأما الصياد ، فقد استيقظ ضميره ، وإنه ليطلب إلى سليمان عقابه على النية (وقد ارتفع درجات هائلة فى سلم الحكمة العالية) فلا يجيبه سليمان إلى طلبه ؛ بل يطلب هو إلى الصياد أن يكون قاضيه لأنه خير منه فقد همّ ولم يفعل . أما هو فهمّ وفعل !

ثم تودع الملكة بلقيس الملك سليمان عائدة إلى مملكتها بعد المعركة !

فإذا كان الفصل الأخير ، فإن سليمان قد اعتكف فى القصر الذى كان قد بناه لبلقيس (فهو إذن مكان حبيب إلى نفسه وما تزال للحب الإنسانى خيوط على الرغم من الندم والتوبة) ! وإذا هو متكىء على عصاه ، وإذا الصياد قائم على حراسته بإذنه . وإذا هو يموت دون أن يعلم أحد بموته (حسب رواية القرآن) . فإذا انكشف أنه مات بدأ حوار فلسفى طويل بين آصف وصادوق والصياد ، تثار فيه مسائل فلسفية حول الحكمة الإنسانية الصغرى ، والحكمة الكونية الكبرى . وحول السخرية بحكمة الإنسان وعظمته ، مهما بلغ من الحكمة والسلطان !

ثم إذا الجنى يظهر وجهاً لوجه أمام الصياد ـ قوة الخير وقوة الشر ـ وإذا هو يعلن الصراع الأبدي بينهما فيلتقط الصياد القفاز ! وإذا الصياد والعفريت فى هذه الصورة رمزان خالصان وقد كدنا نظن طول الرواية أنهما شخصان كائنان ! وكذلك تسفر الرمزية فى سليمان وصادوق وبقية الأشخاص

وفى هذين الفصلين أشياء تزيد وضوح أهداف الرواية ، ولكن كم وددت لو سارا على النسق الأول فى استبدال الحادثة بالحوار والحركة بالكلمات

ولكنه توفيق الحكيم على كل حال !

وأحب أن أنبه هنا إلى لبس قد يقع فيه من يتصدون للنقد بلا اطلاع ولا استقصاء . فالناقد المنصف لتوفيق الحكيم يرى أن له تمثيليات وقصصاً أخرى تنبض بحرارة الحياة الإنسانية وفيها الفكاهة والدعابة التى زعم الأستاذ « محمد مندور » أنه محروم منها بعد اطلاعه الخاطف على تمثيلية « بيجماليون » وحدها . وإنى لأذكر فى هذه اللحظة « رصاصة فى القلب » ، و « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » وغيرها ، وفيها جميعاً هذه الحياة الحارة البسيطة الجميلة ، وهذا تنبيه يجب أن يقال

ولقد أسلفت رأيى فى مقدرة توفيق الحكيم على الحوار ، فأريد هنا أن أسجل له سبقه وتفرده فى إدخال الحوار إلى عالم الأدب العربى مستقلاً عن المسرح ، بحيث يصلح للقراءة المجردة عن التمثيل . وفى تناوله الأسانيد والأساطير تناولاً فنياً فى التمثيلية الأدبية ، واستخدامها لعرض المشكلات الفكرية ، والصراعات الإنسانية على السواء

وقد بلغ توفيق الحكيم فى « سليمان الحكيم » ـ على الرغم مما لاحظناه ـ قمته الفنية فى الصناعة : بلغها فى تنسيق العرض الذى تحدثنا عنه في أول المقال ؛ وبلغها فى إدارة الحوار وفى رسم الشخصيات ، وفى الالتفاتات السريعة الموحية والإشارة الخاطفة المصورة (وفى مقال لصحيفة لا يتسع المجال لضرب الأمثال كما يتسع لها فى كتاب)

ولقد كنت ألمح فى أثناء دراستى للتمثيلية تلك الخيوط التى ينسجها فى شخصية كل شخص ، ثم يلقيها على أبعاد متقاربة أو متباعدة ، ليعود إليهـا بعد حين ، فينسج الخيط التالى بجوار الخيط الأول وهكذا . فأحس بعد خطوات لِمَ ألقى بهذا الخيط هنا وبذلك الخيط هناك !

والصورة التى أستخلصها لطريقة عمل المؤلف : أنه استحضر جميع أفكار تمثيليته وجميع مشاهدها بالتفصيل قبل أن يمسك القلم ليكتب ، ثم جعل يلقى بهذا الخيط هنا وبذلك الخيط هناك ، ليجمع أطرافها إليه ويشدها جميعاً فى الوقت المناسب . وهو تنظيم دقيق قد يستغرب من « توفيق الحكيم » المعروف للناس ؛ ولكنه غير مستغرب عند الناقد الذى « يفقس » توفيق الحكيم !

ولقد بلغ كذلك قمة التمثيلية فى اللغة العربية حتى الآن . أما القياس إلى التمثيلية العالمية فلست أنا صاحب الحق فى هذا المجال

وقد تكون الفكرة فى « شهرزاد » أعلى أفقاً وأوسع مدى ، ولكن الطريقة هنا أكمل والحركة أسرع والحياة أوضح وأبسط

***

وإلى هنا كان يمكن أن ينتهى الحديث ، ولكن لا بد من كلمة قصيرة عن لغة التمثيلية فهى عامية معربة حين يتحدث فى جو أسطورى ؛ وهى عربية سهلة حين يخرج إلى الجو الفكرى

ولا يفوتنى أن أنبه إلى ثلاث غلطات لفظية جاءت فى الرواية : فقد جاء فى ص ٤٢ : « فأنتم ترون من حسن السياسة أن توكلوا الأمر إلىّ » وصحتها « تكلوا » . وجاء فى ص ١١١ : « أومن بي أيها الأحمق » وصحتها « آمنْ » . وجاء فى ص ١٨١ : « عما أنكلم ؟ » وصحتها « عمَّ أتكلم ؟ »

وقد وددت أن أغض الطرف عن هذه الغلطات ، لولا أننى أريد السلامة التامة لفن توفيق الحكيم ولغة توفيق الحكيم ! !

(حلوان) **سيد قطب**

حكم فى القضية رقم ٨٧ سنة ٩٤٣ عسكرية بندر أسيوط ضد شفيق حنين الصواف من أسيوط بحبسه ثلاثة شهور بالشغل وغرامة ١٠٠ جنيه والمصادرة مع التكليفات والتعليق يومين لبيعه سكراً بأزيد من التسعيرة بجلسة ٣١ مارس سنة ٩٤٣

في التصوير الإسلامي

ليـــلى والمجنون

للدكتور محمد مصطفى

- ١ -

تقدمة

أحبّ قيس بن الملوّح ليلى العامرية ، وبادلته الحب العفيف البرىء ، فلما فشا أمرهما حُجبت عنه ، فشق ذلك عليه ، وجاء يخطبها إلى أبيها ، فرفض أبوها أن يزوجه إياها ، وزوجها غيره ، فاشتد به الأمر ، وحزن حزناً شديداً أفقده عقله ، وقيل له : « المجنون » أو « مجنون بنى عامر » ، فكان لا يلبس ثوباً إلا خرّقه ، ولا يمشى إلا عارياً ، ويلعب بالتراب ، وهزل وطال شعر جسده ، وهام فى البرية مع الوحوش والظباء فألفته ، وكان يشرب معها إذا وردت مناهلها ، وهى لا تنفر منه ، وظل هكذا حاله ، يتغنى غرامه التعس ، فى أشعار جيدة رقيقة ، إلى أن ماتت ليلى ... فلحق بها

هذه قصة « ليلى والمجنون » مجردة من كل تنسيق وتنميق وتزويق ، وهى قصة بسيطة . . . لا غريب فيها ولا عجيب . . . وهل هو غريب أو عجيب أن يعشق رجل امرأة ، فيعبث به العشق ويودى بعقله وحياته ... ولكن الذى يحيرنا حقا أن تنال قصة قيس بن الملوّح وغرامه بليلى العامرية كل هذا الاهتمام بين القصص الغرامية الأخرى لشعراء العرب « العذريين » و « المحققين » .

وليس يعنينى أن يكون شخص قيس بن الملوح تاريخياً أو غير تاريخى ، وإنما الذى يعنينى أن هناك قصة غرامية هى قصة قيس بن الملوح[١] ... ولا يعنينى أن يشك بعض مؤرخى الأدب العربى فى وجود المجنون ، أو أن يبالغ البعض الآخر فى إنكار وجوده[١] ، وإنما الذى يعنينى هو وجود « فن القصص الغرامى » عند العرب فى القرن الأول للهجرة وتطوره حتى كاد يكون فنًّا مستقلاً على نحو ما نرى من فنون القصص الغرامى فى الأدب الحديث ، وأن يشق هذا الفن لنفسه طريقاً إلى الأدب الإيرانى حيث تنال قصة « ليلى والمجنون » ما نالته من الحظوة فى بلاد العرب ، بل إنها تنفرد هنالك بأن ينظمها أكابر شعرائهم مثل نظامى الكنجوى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٠ هـ والأمير خسرو الدهلوى المتوفى سنة ٧٢٥هـ ، والشاعر الصوفى الكبير عبد الرحمن الجامى المتوفى سنة ٨٩٨هـ ، وابن اخته هاتفى الجامى المتوفى سنة ٩١٨هـ ، والشاعر نامى من شعراء القرن الثانى عشر الهجرى فى عهد الملك نادر شاه ، وغيرهم من شعراء إيران[٢] . ثم تنتقل هذه القصة أيضاً إلى الأدب التركى فينظمها من شعراء الترك نجاتى المتوفى سنة ٩١٤هـ ، وحمدى المتوفى فى السنة نفسها ، وفضولى المتوفى سنة ٩٧٠هـ ، وغيرهم[٣] . وأخيراً ينظمها شاعر مصر الكبير المرحوم أحمد شوقى بك فى قصته « مجنون ليلى »

وإننا لا نعجب إذا بحثنا فى الأدب الأوربى أن نجد بعض الأثر لموضوع قصة ليلى والمجنون فى القصص الغرامية الأوربيه التى وضعت فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادى ، مثال ذلك قصة « تريستان وأيسولده »[٤] أو قصة « روميو

---

(١) حديث الأربعاء للدكتور طه حسين بك ج ٢ ص ١١

(١) راجع آراء الرواة المختلفة فما كتبه : ابن الكلبي ، وأبو الفرج الأصفهانى ، وابن قتيبة ، وابن خلدون ، وابن خلكان ، وداود الانطاكى وغيرهم . وكذلك من أخذ عنهم من المستشرقين مثل : نلدكه ، وبروكلمان ، ونيكلسون وغيرهم . وأخيراً فى البحث الذى كتبه الدكتور طه حسين بك قيس بن الملوح فى حديث الأربعاء ج ٢ ص ١ وما بعدها

(٢) أنظر ما كتبه الدكتور عبد الوهاب عزام فى مدخل الشاهنامه ج ١ ص ٢٦ ، Browne, Literary Hist. of Persia, II, 406 ff, III, 533 ff, IV, 229
James Atkinson, Laila and Majnûn, London 1905

(٣) راجع : Gibb, History of Ottoman Poetry, II, 91 ff, 138 ff, III, 70 ff.

(٤) قصة Tristan und Isolde نظمها الشاعر Gottfried von Strassburg أحد شعراء الشعر الغرامى Minnesang الذى كان شائعاً فى القرنين ١٢ و ١٣ الميلادى فى أواسط أوربا وغربيها ، وكان هؤلاء الشعراء يجوسون أنحاء البلاد ويكتسبون معاشهم من نظم الغزل والتغنى به فى قصور النبلاء

وجوليت »[1] . لا سيما ونحن نعلم أن الآداب والفنون الأوربية في ذلك الوقت كانت متأثرة إلى حدّ ما بالآداب والفنون الإسلامية عن طريق صقلية وإيطاليا وإسبانيا .

أما سبب عشق المجنون « ليلى » ، فهنالك روايات مختلفة[2] ، يجمع المجنون بينها في قوله[3] :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

ولكن المشهور ما رواه أبو عمرو الشيباني[4] أن المجنون كان يهوى « ليلى » وهما حينئذ صبيان ، فعَلِق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي أهلهما ، فلم يزالا كذلك حتى كبرا فحجبت عنه ، قال : ويدل على ذلك قوله :

تعلّقتُ ليلى وهي غرّ صغيرة ولم يبد للأتراب من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البَهْم يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

واقتبس الشاعر نظامي الكنجوي هذه الرواية وحورها بما يناسب الحضارة الإيرانية في عصره ، فاستبدل بالبادية والمواشي حجرة المكتب والكتب ، وجعل المجنون يقابل ليلى في المدرسة وهما صغيران ، ويتعارفان ثم يتحابّان في أثناء الدراسة . واقتدى بنظامي الكنجوي في ذلك سائر شعراء الإيرانية والتركية الذين نظموا قصة « ليلى والمجنون » .

وكانت هذه القصة أيضاً ، موضوعاً محبباً لدى المصورين في جميع فروع الفن الإسلامي وجميع عصوره ، فترى صوراً كبيرة لتوضيح حوادثها في دواوين الشعر الإيرانية والهندية والتركية ، وعلى السجاد والقاشاني وغير ذلك من الأشياء والأدوات ، وتمثل هذه الصور المجنون هزيلاً ناحلاً ، عارياً من الثياب إلا من غلالة صغيرة تستر عورته ، ويحيط به بعض الظباء والوحوش .

---

(١) قصة Romeo and Juliet إيطالية الأصل وقديمة ، اقتبسها الشاعر الانجليزى Shakespeare وأعاد نظمها بالانجليزية في قصته الشهيرة

(٢) أنظر : حديث الأربعاء ص ٨ ، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني طبعة دار الكتب ج ٢ ص ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٢ ، وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة في الفصل عن « المجنون » ، وكتاب تزيين الأسواق بتفصيل أشواق لداود الأنطاكي ص ٥٣ وما بعدها ، وديوان مجنون ليلى للوالبي طبعة بولاق ص ٣

(٣) تزيين الأسواق ص ٦٥

(٤) الأغاني ص ١١

وقد حاولت فيما أقصه هنا أن أوفّق بين الروايات المختلفة العربية والإيرانية والتركية ، وأن أوضح بعض حوادث القصة بما يسمح به المقام من الصور[1] .

— ١ —

كان الملوح بن مزاحم يجلس إلى جانب زوجته وكل منهما واجم يفكر في شئون الحياة ، فقد أوتيا الثروة والجاه وآلت إلى الملوح زعامة بطن من بطون بني عامر ، فكان سيد القوم



(شكل ١)

يتمتع بينهم بالهيبة والجلال والاحترام — ومع ذلك لم يكن لهما ولد يجلب إليهما البهجة والسرور فيلطف خشونة حياتهما في الصحراء . ولكن من أين لهما هذا الولد وقد بلغا خريف الحياة ، وكاد يشتعل رأساهما شيباً ! فأخذ كل منهما يدعو الله تعالى أن يهب لهما من لدنه ولياً يرثهما ويخلفهما في رئاسة بيتهما وزعامة آلهما وقومهما ، وأن يكون قلبه بعيداً عن البغضاء مفعماً بالحب ، ليخفف عنهما صحبة بني عامر غلاظ الأكباد . وبينما هما في وجومهما مسترسلان ، يتنازعهما الأمل

---

(١) الصور المعروضة هنا من تصوير الأستاذ محمد محمود شلبي مصور دار الآثار العربية

واليأس ، إذ تفتحت أمام أعينهما أبواب السماء ، وانبثق منها نور غمرهما فى غلالة من الرحمة والرضوان ، وجعلهما يشعران بالسعادة والاطمئنان

واستجاب الله دعوات الزوجين الطيبين الصالحين ورزقهما صبياً جميلاً أسمياه قيسا ، كان موضع إعجاب كل من رآه . وأقام الملوح على إرضاع ابنه وتغذيته وتربيته أربع نساء الحى وأحذقهن فى القيام بهذه الفنون ، ونما الصبى وترعرع ، وشب فى كنف والديه ، يعطفان عليه ويحنانه بأكبر قسط من حبهما ورعايتهما . ورزقا غيره ولكنه بقى أحب إخوته إلى قلبيهما

وفى (شكل ١) نرى منزل الملوح بن مزاحم ، وقد شمله الطرب والسرور ، واجتمع فيه الأهل والأصدقاء يحتفلون بمولد قيس الذى نراه فى وسط الصورة فى لفافة تحتضنه سيدة من سيدات العائلة وتمسح رأسه الصغير فى عطف وحنان بخدها الأملس البض وهى تجلس به إلى جانب حجرة « الحريم » حيث جاء بعض السيدات لتهنئة والدته . وجلس الرجال على سجادة جميلة فى الحديقة أمام سور المنزل يتزعمهم الملوح بلحيته البيضاء وهو على رأس الجالسين إلى اليسار ، وقد جلس أمامهم أفراد فرقة موسيقية يعزف بعضهم بالمزمار ، وواحد منهم يغنى ، وتقف إلى جانبهم راقصة تضرب على الدف . ونرى الخدم والجوار والعبيد وهم يروحون ويجيئون فى أنحاء المنزل يحملون أطباق الطعام وصحون الحلوى . وقد راعى المصور فى تصوير سحن الرجال وملابسهم أن تكون عربية لتتناسب مع القصة العربية الأصل . وهذه الصورة[1] فى مخطوط من المنظومات الخمس للأمير خسرو الدهلوى ، مؤرخ سنة ٨٩٠هـ (١٤٨٥م) وكانت الصور التى فى هـذا المخطوط تنسب إلى المصور الإيرانى الشهير بهزاد لما فيها من ميزات أسلوب هذا المصور ، كالدقة فى رسم المبانى وزخرفتها ، وفى جزء الحديقة الظاهر إلى اليمين ، والاهتمام البادى على سحن الأشخاص ، ووجود العبد الأسود الواقف هنا فى وسط الصورة إلى اليسار ، وغير ذلك . ولكن يظهر أن هذه الصورة من تصوير أحد تلاميذ بهزاد . وهذا المخطوط محفوظ فى مجموعة شستر بيتى بلندن .

(يتبع)

محمد مصطفى
مساعد فى دار الآثار العربية

(١) هذه الصورة منقولة عن : Martin, Les miniatures, Pl. 16 أنظر أيضاً : Martin, II, Pl. 78 ، وانظر ما كتبه الدكتور كيبل عن هذا المخطوط فى : S. P. A, III, P. 1863

ابتسم للحيــاة

أرسلها الشاعر إلى صديقه الشاعر الصاغ « ع ف . م »
وهو يهديها هنا إلى كل عابس فى الحياة لعله أن يبتسم

شــدةٌ لا تدومُ إلا قليلا   لا تَخَلْها مقيمــةً لن تزولا
قدعرفناكَ فى الخطوب حُساماً   ماضياً حــدُّه وسيفاً صقيلا
ورأيناك فى الودادِ كريماً   وعهــدناكَ فى الوفاءِ جميلا
هل يَعيبُ السيوفَ فى الضرب يوماً
أنهـــا فى الصراع تَلْقى فلولا ؟
أو يَعيبُ البدورَ فى الأفق يوماً   أنها صادفتْ لحين أفولا ؟
يا صحيح الفؤاد والودِّ إنى   ساءنى اليومَ أن أراكَ عليلا
شدةٌ تَنْجلى ونَحْسٌ يولّى   عن قريبٍ ولا يدوم طويلا
ستعودُ الحياةُ أحسنَ عرضاً   ويصيرُ الزمانُ أحلى فصولا
ابتسم فالحياة ليست تساوى   صرخةً منك أو تساوى عويلا
ليس يُجْدى الأسى عليك قليلا   ليس يغنى العُبوس عنك فتيلا
يا قوىَّ الإيمان بالله مهلاً   يا صحيح اليقين صبراً جميلا

محمد عبد الغنى حسن

دير الحيــاة

ذكروا الشبابَ فقلتُ : إى والله
ما كنت عن ذكر الشباب بساهى
لكن يَعزُّ علىَّ نعىٌ باقياً   وبِنِىَّ لا بسواه من أفواهِ
نعىُ الفتوةِ والنضارة والهوى   والرقص فى النيران والأمواهِ
والروغ من فرضٍ علىَّ وواجبٍ   إن يُعفِنى لم أُعفَ من إكراه
أمرٌ وفائىٌّ صَدَعْتُ به وكم   بعد الشباب أوامرٌ ونواهى ؟
و بصيرة كشفت لعينى بعد ما   كلَّتْ مآمىَ كُنَّ قبلُ ملاهى
قوسُ السحاب أرى به أنواءه   لاما احتوى من كل لونٍ زاهى
و إذا بدَا الشفقُ الغرِىُّ تهولُنى   ظُلَمٌ لدى الأفق البعيد دواهى
والورد يَسنح لى فأبحث جاهداً   عن شوكهِ خلف الجمال الباهى
فإذا الذى هو مؤنسى هو موحشى
و إذا الذى أغرى شــبابىَ ناهى
و إذا الحدود تغيَّرت أوضاعُها   وخلودُ أحلامِ الشباب تناهى

***

يا رَاعىَ الغزلانِ فى (وادى طوًى)
أقصِرْ ، فأعينهن عنك سواهى !
إخلعْ هنا نعليكَ إنكَ واقفٌ   فى موقف المتبتِّلِ الأوَّاه
وانظرْ صدى الوادى بكل عهوده   لحناً تُغنِّيه بصوتٍ واهى
ذكروا المشيبَ فقلتُ : لا والله   ما كنتُ فى ديرِ الحياةِ بلاهى

محمود عماد

السبيل القويم

الناس صنفان: صنف دائماً حذرٌ   يخشى المنايا و يقفى العمر أوهاما
وذاك صنف إذا انتابته خشيته   توهم الكون فى عينيه آلاما
وثانى اثنين مَنْ يحيا بعزمته   حتى ليحسب صوت الرعد أنغاما
وذاك صنف عزيز دائماً أبداً   يضيف للعمر أياماً وأعواما
فاختر لنفسك فى دنياك عزّتها   وابسم لدهرك مهما شاء أو راما

عبد القادر محمود

حكم فى الجنحة العسكرية ١٦٤ مغاغه سنة ١٩٤٣ بحبس عطية سالم جزيجي بمغاغه بجلسة ٣١ – ٣ – ٩٤٣ سنة شهور شغل وغرامة ١٠٠ جنيه والجلد عشر جلدات لبيعه سكرا بأزيد من التسعيرة

ميدان الأوبرا . مصر

دار الكتب الأهلية

تليفون ٤٩٥٦١

تقدم فهرست من مختلف الكتب ببعض محتوياتها

قرش
٣٦ لحظات جزآن للدكتور طه حسين بك
٣٠ على هامش السيرة جزآن للدكتور طه حسين بك
٢٥ مستقبل الثقافة جزآن » » » »
٢٦ صوت باريس جزآن » » » »
١٥ الحب الضائع » » » »
١٠ فى الصيف » » » »
١٦ عهد الشيطان للأستاذ توفيق الحكيم
١٦ سلطان الظلام » » »
١٦ عصفور من الشرق » » »
١٦ حمار الحكيم » » »
٢٠ تحت المصباح الأخضر » » »
٢٠ من البرج العاجى » » »
٢٠ بجماليون » » »
٢٥ سليمان الحكيم » » »
١٢ ســازة للأستاذ عباس محمود العقاد
١٢ هتلر فى الميزان للأستاذ عباس محمود العقاد
٣٠ سعد زغلول » » » »
٨ كيف تكون نفسك للدكتور ماردن
٦ يوم مع قدماء المصريين للأستاذ محمد صابر
١٢ تحرير المرأة للمرحوم قاسم أمين
١٠ هاملت لشكسبير تعريب سامى الجريديني
١٠ خمسة فى سيارة للأستاذ » »
٣٥ الصديق أبو بكر لهيكل باشا
١٦٠ إحياء علوم الدين للامام الغزالى ١٦ جزءاً
١٠ المنقذة لمحمود بك تيمور
٨ صور جديدة من الأدب العربى لكامل كيلانى
٢٠ اعترافات الغزالى للدكتور عبد الدايم البقرى
١٥ ملامح المجتمع العراقى للدكتور زكى مبارك
١٠ الشخصية الناجعة للأستاذ سلامة موسى
٢٠ المريد للأستاذ سليم سعده
٢٠ سميراميس » » »
١٢ الاستمتاع » » »
١٢ نداء القلب » » »
١٠ تمثيليات كليلة ودمنة للأستاذ ابراهيم عز الدين
٧ كيف تنجح فى الحياة لأحمد أبو الخضر منسى
١٠ مفتاح كتاب الحياة لصالح سالم هيكل بك
١٠ أشواق للأستاذ محمود أبو الوفا
١٨ الفنون الجميلة للأستاذ محمود فؤاد
٥ رسائل الوطواط جزآن للعلامة رشيد الدين الوطواط
٥ قصة الجوع لمحمود حسنى العرابى
٥ أثر القرآن فى تحرير الفكر البشرى لعبد العزيز جاويش

قرش
١٠ العظماء لفيلسوف اليونانى بلوطارخوس
١٥ التعاون للأستاذ أحمد لاشين
٥ فن البيع وتجارة التجزئة
٣ الوردة البيضاء لمحمود متولى
٣ السعادة الزوجية وضع زوجة
٥ بولين للأستاذ أبو بكر المنفلوطى
٣ الألعاب السويدية لابراهيم أبو جبل
٢ التمرينات الرياضية
٢ التمرينات الفرنسية
٢ حديقة الحيوان لمحمد اسماعيل ابراهيم
١٢ صور إسلامية جزءآن للأستاذ المشهدى
٥ رد الإمام الدرامى على بشر العنيد
٢ الأسماء والصفات للبيهقى
٥ الانسان والدنيا
١٥ خلاصة فنون الحرب لليوزباشى مصطفى حلمى (مجلد)
١٥ تاريخ الطيران للأستاذ محمد على محجوب
٨ فن القراءة والكلام والالقاء للدمياطى بك
٨ الروائح العطرية والصناعات الزراعية لفؤاد سركيس
١٥ النجاة فى الحكمة المنطقية والآلهية للرئيس ابن سينا
٥ البكتريولوجيا الزراعية للدمياطى بك
٢ سنتان فى السودان لمحمد صالح
٢ ديك الجن الحمصى لطاهر الجبلاوى
٥ هنرى الثامن للأستاذ عبد الرحمن فهمى
٢ القصص التاريخية للأستاذ عمران فرج
٥ زعامة الشعر الجاهلى للشيخ عبد المتعال الصعيدى
٥ أبو العتاهية الشاعر العالمى » » »
١٥ منار الرشد للأستاذ ابراهيم السيد اسماعيل
٥ الميراث فى الشريعة الاسلامية لعبد المتعال الصعيدى
١٥ تفسير سورة الفاتحة للامام الفخر الرازى (مجلد)
٥ أسرار النشالين وطرق مكافحتهم
١٥ تاريخ الموسيقى العربية تعريب اسكندر شلفون
١٠ العلامات الموسيقية أو علم النوتة » »
٥ أوزان الألحان الموسيقية للأميرالاى محمد ذاكر بك
٢٠ لكل من السنة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة من مجلة روضة البلابل بها ٢٠ قطعة موسيقية (مجلدة)

سلسلة التاريخ الاسلامى

ثمن كل كتاب منها ٣ ثلاثة قروش

معاوية . عمر بن الخطاب . هارون الرشيد . عمرو بن العاص
أبو جعفر المنصور . أبو مسلم الخرسانى . أبو بكر الصديق
عمر بن عبد العزيز . المأمون . الملك ابن السعود

جميع المراسلات والحوالات والشيكات ترسل باسم مديرها رشدى خليل



هل قتل ذو القرنين بيد التتر ؟

قرأت ما كتبه الأستاذ إبراهيم الدسوقي فى العدد (٥١٢) من مجلة الرسالة الغراء ، فوجدته لا يزيد عن تكرار ما كتبه أولاً وثانياً ، ويتهرب من الرد على ما أذكره فى تأييد رأيى أو يحوله عن وجهه ثم يرد عليه ، وهذا كما فعل فى ردى عليه بأن كيرش قتله التتر فى حربه لهم ، وذو القرنين المذكور فى القرآن لم ينته أمره معهم بهذا الشكل ، لأن الله تعالى يقول فى شأنه معهم : (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا ، قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطرا ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ، قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا)

ولا يمكن أن يفعل ذو القرنين هذا مع يأجوج ومأجوج ثم يتمكنوا من قتله ، لأنهم لا يقتلونه إلا إذا استطاعوا أن يظهروا ذلك السد أو ينقبوه ، وقد أخبر القرآن أنهم لم يستطيعوا شيئاً من ذلك ، وإذن لا يمكن أن يكون ذو القرنين كيرش المقتول بيد التتر . فلما أراد الأستاذ إبراهيم الدسوقى أن يرد على هذا حوله عن وجهه ، وذكر أنى أقول إن كورش قتل ببلاد التتر وذو القرنين لم يقتل ، ليتأتى له أن يقول فى رده علىّ : ومن أين عرف أن ذا القرنين لم يقتل فى حين أن القرآن لم يذكر إلا جزءاً يسيراً من تاريخه . وستطول المناظرة بيننا بهذا الشكل ، ولهذا رأيت أن أتركها إلى ما هو أهم .

عبد المتعال الصعيدى

ضبط الخلاف بين العربية والعامية ممكن

اطلعت فى العدد (٥١٢) من مجلة الرسالة الغراء على كلمة للأستاذ الفاضل عبد الحميد عنتر تحت عنوان (ضبط الخلاف بين العربية والعامية مستحيل) يرد بها على اقتراح مقدم إلى المجمع اللغوى فى ضبط الخلاف بين العربية والعامية ، فعجبت لدعوى الاستحالة من الأستاذ فى هذا الأمر الممكن ، عجبت لإقدامنا على هذه الدعوى بسهولة ، بينما غيرنا يحاول أن يمحو كلمة مستحيل من قواميس اللغة . على أن ما كتبه الأستاذ فى الرد على هذا الاقتراح لا يمت بصلة إلى عنوانه ، وقد ذكر فى هذا الرد أن الضابط المتواضع عليه بين العلماء أن اللفظ العامى ما لم ينطق به عربى ، وأنه المدار فى تمييز العربى من العامى على النقل عن المعاجم اللغوية ، ولا شك أن فى هـذا ضبطاً للخلاف بين العربية والعامية ، فكيف يدعى معه أن ضبط الخلاف بين العربية والعامية مستحيل ؟

والاقتراح المقدم إلى المجمع اللغوى يرمى إلى إبطال هذا الضابط المتواضع عليه بين العلماء ، لأنه يبعد الشقة بين اللغتين ويؤدى إلى تخطئة كثير من العامية بدعوى أنه لا يوجد فى معاجم اللغة ، مع أن هـذه المعاجم لم تستقص اللغة كلها ، ولو رجعنا إلى الضابط المذكور فى ذلك الاقتراح لأمكن تصحيح ما يعد خطأ بالضابط المتواضع عليه بين العلماء ، وفى هذا تسهيل كبير لأمر العربية فى هـذا العصر ، وتقريب للخلاف الذى بينها وبين العامية ومحاولة لجمع المختلفين فى شأن اللغتين على أمر لا يؤثر فى صميم العربية ، ويضم إليها كثيراً ممن ينتصر للعامية عليها ، وقد ذكر الأستاذ « عبد الحميد عنتر » فى الرد على هذا الاقتراح أنه يخالف الضابط المتواضع عليه بين العلماء ، ومثل هذا من المصادرة التى لا تصلح فى مقام الرد ، ثم ذكر أنه لو صح ذلك لجاز للعامى أن يخترع ألفاظاً لا حصر لها على نمط الأوزان العربية . والجواب عن هذا أن الاقتراح فى ألفاظ موجودة بالفعل وهى ألفاظ جرت عليها سليقة الناس ، ولا شأن له بما يخترع من الألفاظ ، على أنه لا يوجد ما يمنع العامى من اختراع مثل ذلك عند حاجته إليه ، وذلك حين لا يجد فى اللغة ما يغنيه عنه . ثم ذكر أنا لو أخذنا بهـذا الاقتراح لخطأنا نحو ربع اللغة من الألفاظ الشاذة ، وهذه مغالطة ظاهرة ، لأن موضوع الاقتراح الألفاظ العامية لا العربية . وأما ما ذكره فى الأمثلة من تصحيح بعضها على لغة من اللغات فلا يفيد شيئاً فى موضوع الاقتراح ، ولا يصح أن يصرفنا البحث فيها عن البحث فى الاقتراح نفسه ، والأمثلة كثيرة لا تحصى ولا تعد .

(. . .)

ذو القرنين غير الإسكندر المقدونى

تأييداً للرأى القائل بأن أحدهما غير الآخر — وهو الرأى الذى أعيد موضحاً بالعدد (٥١٢) من الرسالة — أنقل ما يأتى :

(ومن ملوكهم — يعنى اليونانيين — الإسكندر المقدونىّ وهو ابن فيلبس ، وليس بالإسكندر ذى القرنين الذى قص الله نبأه فى القرآن بل بينهما فروق كثيرة . وبينهما فى الدين أعظمُ تباين ؛ فهذا كان صالحاً مؤمناً ، وذاك المقدونى كان مشركا . وكان أرسطاليس وزيره) . عن كتاب الإغاثة لابن قيم الجوزية أحد أعلام القرن الثامن الهجرى صفحة ٣٦٧ ببعض اختصار

وفى كتاب (لقطة العجلان) لصديق حسن خان القنوجى البخارى ملك مملكة بهوبال :

« التحقيق أن ذا القرنين الذى ذكره الله فى كتابه عربى كثر ذكره فى أشعار العرب واسمه الصعب بن ذى مرائد ابن الحارث الرائش وأنه ملك من ملوك حمير . وقد غلط من ظن أن الإسكندر بن فيلبس هو ذو القرنين ؛ فإن لفظة ذو عربية ، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن ، وذاك رومى يونانى غزا دارا ملك الفرس وقتله . وهو صاحب أرسطاليس وتلميذه . وذو القرنين المذكور فى القرآن ملك قديم كان على زمن إبراهيم وهو الصعب بن الرائش الذى مكن الله له فى الأرض وبنى السد على يأجوج ومأجوج . وقد غلط من ظن أن بانى السد هو الاسكندر الرومى » صفحات ١٠ ، ١١ ، ٩١ ، ٩٢ باختصار وبعض تصرف . هذا ويؤثر عن تبّع قوله :

قد كان ذو القرنين قبلى مسلماً   ملكاً تذِل له الملوك وتسجدُ

ويروى بلفظ آخر فيه التصريح بأنه جدٌ لتبع اليمانى وهو :

قد كان ذو القرنين جدى مسلماً   ملكا علا فى الأرض غير مفنَّد
بلغَ المشارقَ والمغاربَ يبتغى   أسبابَ أمرٍ من حكيم مرشِد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها   فى عين ذى خُلب وثأط حرْمد[1]

محمد عبد الله الجزار
أستاذ بكلية الشريعة

حول مقال « أثر المرأة فى على محمود طه »

جاء فى مقال الأستاذ ادوار حنا أسعد المنشور فى العدد السابق أن لفظة « الثلاثون » الواردة فى بيت شعر من قصيدة « بحيرة كومو » للملاح التائه لم تأت إلا لضرورة الشعر ، مدللاً على ذلك بكلمة من مقال للأستاذ الزيات ذكر فيها أول لقاء تم بينه وبين الشاعر إذ كان فى إبان شبابه ، وكان الأستاذ الزيات فى عنفوان شبابه . ثم عاد الكاتب فى موطن آخر من مقاله إلى التعليق على ذلك

والذى أعرفه ويعرفه أصدقاء الشاعر أنه نظم قصيدة « بحيرة كومو » الوارد فى سياقها البيت المشار إليه ، وهو فى السادسة والثلاثين من عمره . ولعل ما يؤثر من الأستاذ على محمود طه هو احتفاله بذكر العلاقة الزمانية والمكانية بين ما ينشئه من شعر فى أدوار حياته المختلفة حتى لا يقع فيما وقع فيه غيره من الخلط والاضطراب

حسن كامل الصيرفى

نزول عيسى

أرسل إلينا الأستاذ الجليل محمود شلتوت أولى مقالاته التى كتبها فى « نزول عيسى » يفند فيها بالحجج اللازمة والنصوص الصريحة أقوال معارضيه ، ويعرض لبعض ما عُمّى على الحشويين والمتنطعين من وجوه الاستدلال بالحديث ، ويدلى بالقول الفصل فيما يختلف فيه الناس من حين إلى حين فى بعض المسائل الشرعية . وقد كان بودنا أن ننشرها ، ولكن أسباباً قاهرة حالت دون ذلك

حانة الشعراء

نشرنا فى العدد الماضى من (الرسالة) هذه القصيدة الفريدة من ديوان « زهر وخمر » للشاعر الكبير على محمود طه ، ولكن مقطوعتين سقطتا منها سهواً عند الطبع ؛ فأحببنا أن ننشرهما احتفاظاً بوحدة القصيدة ، ومكانهما بين المقطوعة الرابعة والمقطوعة السابعة ، وهما :

مِنْ كلِّ مُرْسِلِ شَعْرِهِ حلقَا   وَكأنَّهـا قِطَعٌ مِنَ الحَلَكِ
غَلْيُونُهُ يَستَشرِفُ الأُفُقَا   وَيَكادُ يَخرِقُ قُبَّةَ الفَلَكِ
أَمسَى يُبَعْثِرُ حَوْلَهُ وَرَقَا   فَكأنَّهُ فى وَسْطِ مُعْتَرَكِ
فإذَا أتاهُ وَحْيُهُ انْطَلَقَا   يُجْرِى اليَرَاعَ بِكَفِّ مُرْتَبِكِ
وَيَقُولُ شِعْراً كَيْفَمَا اتَّفَقَا   يُغْرِى ذَوَاتِ الشَّكْلِ بالضَّحِكِ

«باخُوسُ» يَروِى عن غَرَائبِهِمْ   شَتَّى أَحَادِيثٍ وَأَنْبَاءِ
قِصَصٌ تَدَاوَلُ عَنْ صَوَاحِبِهِمْ   وَعنِ الصَّبَايَا فِتْنَةِ الرَّائِى
وَعَنِ الخَطِيئَةِ فى مَذَاهِبِهِمْ   بَدَأَتْ بِآدَمَ أَمْ بِحَوَّاءِ
وَالمُلْهِمَاتُ إلى جَوَانِبِهِمْ   يُكْثِرْنَ مِنْ غَمْزٍ وَإِيمَاءِ
يَعْجَبْنَ مِنْ فِعْلِ الشَّرَابِ بِهِمْ   وَيَلُذْنَ مِنْ سَأَمٍ بِإِغْفَاءِ

(١) الخلب : الطين والثأط : الحمأة والحرمد كجعفر وزبرج : الأسود

إلى الأستاذ حبيب الزحلاوى

أهدى إلى الأستاذ أحسن تحية ، وأعتذر إليه من تأخر هذه الكلمة بأنى طالعت أولاً « شعاب قلب » لكى أشكر له هذه الهدية النفيسة ، وأشكر له فى آن معاً ، فضله الذى أتاح لى التلذذ بقراءة كتابه البديع .

صوّر لنا الأستاذ أفراداً من المجتمع فى زماننا هذا ، ومثلهم بسجاياهم ووجدانياتهم ، وشهواتهم وأهوائهم ، وقص حوادثهم وفعالهم ، ووصف أزمنتها وأمكنتها ، وصاغ كل أولئك على نظام سليم من السرد الرتيب ، فى أقاصيص شائقة وليدة ملكاته الراوية من تجاربه الشخصية ومطالعاته ، وقد مازجها الخيال وإن أنشأها من الحقائق الواقعية حتى ليكاد القارئ يتعرف فيها مثلاً شيخ « فلسفة الشيخوخة »

وليس فى هذه الأقاصيص عقود وحلول ؛ بل هى بسيطة بين الأقصوصة والحكاية ، وهى قطع من الحياة متفرقة ، لكن تضمها جهة جامعة تلوح فى خفاء للقارئ . وبودى لو يكتب الأستاذ قصة كاملة فيتسع فيها المجال للملكاته ، لكى تبلغ مدى قدرتها على تمثيل الحياة المصرية أو الشرقية لهذا العهد

وقد ماشى الأسلوب الحىّ فى « شعاب قلب » تلك النفوس فيما خالجها من اكتئاب أو ابتهاج ، وحياء أو إباء أو رجاء ، وإعجاب أو عتاب ، وقلق أو شكوى ، وحسرة أو رغبة أو شهوة ؛ وتوافرت فيه الحركة بوسائل معنوية بلاغية ، كالتعجب والمبالغة ، والتجاهل والاستفهام ، والتصريح والتلميح ، والتشبيه والتصوير ؛ وجاء سريع المعانى إلى الفهم بمثل الفصل والوصل والإضمار فى عبارات تتمّ معانيها بالتقدير .

فما حسن بالفصل ، مثلاً : « كنت أنعم بالراحة كلها فى مخاصرة هذه السيدة التى تنبعث منها الطمأنينة إلى أعماق نفسى ؛ لم أكلمها ، لم أجتل محياها ، كنت نشوان بها ... »

ومن التشبيهات غير المحفوظة : « ذكرت ذلك الدير المهيب الشاهق الرابض فوق الربوة شبيهاً بقلعة شيدت لحماية الخيالات والأوهام ! ! » ومنها أيضاً : « أشعلت غليونى ، أخذت أنظر الدخان يعقد حلقات تتمدّد وتتبخر كخواطر الإنسان ، وأرى النار تتأجج وتهمد فى قلبه كالرغبات فى ضمير الرجل » ؟

ومن وصف الجمال ، والحياء ، والطهر ، والإعجاب : « ذكرت تلك الفتاة القروية عائدة من الكنيسة بثيابها الفضفاضة ، وضفائرها المنسدلة على كتفيها ، ووجهها الطرى الزاهر بنفحات الربيع ، وصدرها الناهد ، وقدها المشوق ، وخطواتها المتزنة الحازمة . كم كانت رائعة صبغة الخجل الوردية التى اصطبغت بها أذناها لما سألتها عن اسمها ، وهل فكرت فى صلواتها فى غير أهلها ممن تعرف من الناس ! »

ومن المعانى المضمرة فى العبارة « كل امرأة ترضى الرجل ، وليس كل رجل يرضى المرأة . أما أنا فإنى امرأة يسكن جسدى روحان : الأول محلّق فى السماء مصعّد نحو المجهول ، والثانى دنيوى يلتصق بأديم الأرض . ولم يكن تطلعى إلى السماء يعمينى عن التطلع إلى الأرض ! »

ومن جميل التصوير : « ممثل هزلى بارع . إحساسه فى وجهه ، وعقله فى نظرات عينيه ، وبراعة فنه فى إيماءته وسكونه » ؛ وأيضاً : « زايلت البيت فرحته ، فانطفأت أنواره ، وقد كانت تتألق أكثر الليل ؛ وهمدت الحركة فيه ، وقد كانت مرحة طليقة فياضة ؛ وخرست موسيقاه ، وقد كانت تفيض على الجيران أنغامها فاتنة ساحرة ، وانقطع عنه زواره ، وتبدلت وجوه قطانه ، خادمين ومخدومين ، واعتلاها مسحات من كآبة وسحب وغيوم »

إن هذا الكتاب ، على الإجمال ، أدب حىّ تزينه ثمار من المعرفة ، ويظهر فيه إلمام من الاشتراكية والمادية ، وأثر واضح من نظرية فرويد ؛ وأسلوبه محدث صاغته شخصية حرة ، وملكات طليقة . وما هفواته فى صدقه وتمثيله وقيمته الأدبية بشىء يذكر ثم سرورى بهدية الأستاذ الفاضل وثنائى عليه

محمد توحيد السلحدار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 514

Lundi - 10 - 5 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٥١٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٠ مايو سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة		
٣٦١	دفاع عن البلاغة	: أحمد حسن الزيات ... ...
٣٦٣	نزول عيسى	: الأستاذ محمود شلتوت ...
٣٦٧	الحديث ذو شجون ...	: الدكتور زكي مبارك ... ...
٣٧٠	مجلاتنا الممتازة ونصيب المسرح والسينما والغناء منها	الأستاذ دريني خشبة .. ...
٣٧٤	خيال الرافعي	: الأستاذ عمر الدسوقي ...
٣٧٧	خواطر على شاطئ النيل ... [قصيدة]	الأستاذ محمد طاهر الجبلاوى
٣٧٧	من أزهار الشر	للشاعر « شارل بودلير » ... بقلم الأستاذ عثمان على عسل
٣٧٨	حول معركة الآزور ...	: الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٣٧٩	الكلمة الأخيرة فى ضبط الخلاف بين العربية والعامية	الأستاذ عبد الحميد عنتر ...
٣٧٩	« زهر وخر »	: ... ...
٣٧٩	شعر منثور	: الأديب حسين محمود البشبيشى
٣٨٠	رواية « زينات » للأستاذ حسين عفيف	(م ح) ... ...

١٠ - دفاع عن البلاغة

٢ - الأسلوب

من رجال الأدب من يرى أن العلاقة بين المعنى واللفظ كالعلاقة بين الجسم والثوب ، لكل منهما على تلازمهما وجود ذاتى مستقل له أوصافه وخصائصه ؛ فالجسم يقوَّم بحساب الخلقة ؛ والثوب يقوَّم بحساب الصناعة . ومنهم من يرى أن العلاقة بينهما كالعلاقة بين الروح والجسد ، لا يوجد هذا بغير ذاك ؛ فإذا انفك أحدهما عن الآخر مات الحى وفسد الكائن . ونحن كما علمتَ من قبل على رأى هـذا الفريق . فقد قلنا فى كلمة سبقت إن الأسلوب هو الهندسة الروحية لملكة البلاغة ؛ وإن البلاغة التى نعنيها هى البلاغة التى لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل : إذ الكلام كائن حى روحه المعنى وجسمه اللفظ ، وإذا فصلت بينهما أصبح الروح نَفَساً لا يتمثل ، والجسم جماداً لا يحس

فالفكرة والصورة فى الأسلوب كلٌّ لا يتجزأ ، ووحدة لا تتعدَّد . وليس أدل على اتحادهما من أنك إذا غيرت فى الصورة تغيرت الفكرة ، وإذا غيرت فى الفكرة تغيرت الصورة . فقولك أعنيك ؛ غير قولك إياك أعنى . وقولك كل ذلك لم يكن ، غير قولك لم يكن كل ذلك . وقولك ما شاعر إلا فلان ، غير قولك ما فلان إلا شاعر . فترتيب الألفاظ

فى النطق لا يكون إلا بترتيب المعانى فى الذهن ؛ وإن مزية الألفاظ « ليست لك حيث تسمع بأذنك ، بل حيث تنظر بقلبك وتستعين بفكرك »(١). « ولن يُتصور فى الألفاظ وجوب تقديم وتأخير ، وتخصيصٌ فى ترتيب وتنزيل . وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل فى الجمل المركبة . . . فقيل من حق هذا أن يسبق ذلك ، ومن حكم ما هٰهنا أن يقع هنالك . . . فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعراً أو يستجيد نثراً ، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ ، فيقول : حلو رشيق ، وحسَن أنيق ، وعذب سائغ ، وخَلوب رائع ، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف وإلى ظاهر الوضع اللغوى ، بل إلى أمر يقع من المرء فى فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل من زناده »(٢).

وإنا حين ذكرنا أن الأسلوب هو الطريقة الخاصة فى اختيار الألفاظ وتأليف الكلام ، كنا نريد بذلك اختيار الألفاظ على الشكل الذى يرتضيه الذوق ، وتأليف الكلام على الوضع الذى يقتضيه العقل .

فالأسلوب إذن هو طريقة خلق الفكرة وتوليدها وإبرازها فى الصورة اللفظيّة المناسبة . هو ذلك الجهد العظيم الذى يبذله الفنان من ذكائه ومن خياله فى إيجاد الدقائق والعلائق والعبارات والصور فى الأفكار والألفاظ ، أو فى الصلة بين الأفكار والألفاظ . ولهذا الجهد جهتان : جهة موضوعية تتصل بالنظام ، وهو حسن الترتيب ، وصحة التقسيم ، وإحكام وضع القطع فى رقعة الشطرنج التى نسميها جملة أو فقرة أو فصلاً أو مقالة . وجهة أخرى شكلية تتصل بالحركة ، وهى خلق الكلمات والصور والتأليف بينهما على نمط يحدث الحياة والقوة والحرارة والضوء والبروز والأثر

من ذلك نرى أن الأسلوب خَلق مستمر : خَلق الألفاظ بواسطة المعانى ، وخلق المعانى بواسطة الألفاظ . ومن ذلك نرى أن الأسلوب ليس هو المعنى وحده ، ولا اللفظ وحده ، وإنما هو مركب فنى من عناصر مختلفة يستمدها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه . تلك العناصر هى الأفكار ، والصور ، والعواطف ، ثم الألفاظ المركبة ، والمحسنات المختلفة

والمراد بالصورة إبراز المعنى العقلى أو الحسى فى صورة محسّة ، وبالعاطفة تحريك النفس لتميل إلى المعنى المعبَّر عنه أو لتنفر منه

فى قول أمير البلاغة على بن أبى طالب : « ألا إن الخطايا خيل شُمُس حُمل عليها أهلها ، وخُلعت لجمها ، فتقحمت بهم فى النار ؛ وإن التقوى مطايا ذُلُل حُمل عليها أهلها ، وأعطوا أزمتها ، فأوردتهم الجنة » . تجد صورتين : صورة الفرس الشموس لم يروَّض ولم يلجم فيندفع براكبه جامحاً لا ينثنى حتى يتردى به فى جهنم ؛ وصورة الناقة الذلول قد سلس خطوها وخف عنانها فتنطلق بصاحبها فى رسيم كالنسيم حتى تدخل به الجنة . ثم تجد عاطفتين : عاطفة النفور من الألم الذى يشعر به الخاطئ المستطار وقد جمحت به خطاياه الرُّعن فى أوعار الأرض حتى ألقته فى سواء الجحيم ؛ وعاطفةَ الميل إلى لذة المتقى الوادع وقد سارت به تقواه سيراً ليناً حتى أبلغته جنة النعيم

ذلك من حيث الموضوع ؛ أما من حيث الشكل فتجد اختيار الألفاظ المناسبة للفكرة ، كالمطايا وما يلائمها من الانقياد والإيراد هنا ، وكالخيل وما يوائمها من الشماس والتقحم هناك . والفروق الطبيعية بين هذين الحيوانين فى هذين المكانين لا تخفى على ذى لب . ثم تجد بعد ذلك هذا التأليف المتوازن المحكم الرصين ، وهذه المقابلة البديعية بين عشرة معان لا تكلف فى صوغها ولا تعسف

* * *

أما القائلون باستقلال طرفَىْ الأسلوب لجريرة رأيهم على البلاغة أن الذين فسدت فيهم حاسة الذوق أهملوا جانب اللفظ ، والذين ضعفت فيهم ملكة العقل غضوا من شأن المعنى ، فضلوا جميعاً طريق الأسلوب الحق ؛ فلا هؤلاء سلموا من معرَّة العيّ ، ولا أولئك سلموا من نقيصة الهذَر

قال أبو هلال : « ليس الشأن فى إيراد المعانى ؛ لأن المعانى يعرفها العربى والعجمى والقروى والبدوى ؛ وإنما هو فى جودة اللفظ وصفائه . . . مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف . . . » . وقال لابروبير : « إن هوميروس وأفلاطون وفرجيل وهوراس لم يَبِنْ شأوهم على سائر الكتاب إلا بعباراتهم وصورهم » . وقال شاتوبريان : « لا تحيا الكتابة بغير الأسلوب . ومن العناء الباطل معارضة هذه الحقيقة ؛ فإن الكتاب الجامع لأشتات الحكمة يولد ميتاً إذا أعوزه الأسلوب »

وهؤلاء ومن لف لفهم من أنصار الصياغة أقرب إلى الصواب من أولئك الذين كفروا بها وشنعوا عليها . وتعليل ذلك ستقرأه فى الحديث المقبل .

(للكلام بقية) أحمد حسن الزيات

(١) أسرار البلاغة ص (٣) (٢) دلائل الاعجاز ص (٤٠)

نزول عيسى

للأستاذ محمود شلتوت

« ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا . فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » (قرآن كريم)

في مثل هذه الأيام من العام الماضي ورد إلى « مشيخة الأزهر سؤال عن عيسى عليه السلام : أحيٌّ هو أم ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة ؟ وعن حكم المسلم الذي ينكر أنه حي : أتبقى له زوجته ، وإذا مات أيصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين ، أم يكون مرتداً فتبين منه زوجته ، ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ؟

حولت المشيخة الجليلة هذا السؤال إلينا ، وطلبت أن نكتب فيه رأينا ، فعرضنا للآيات التي وردت في القرآن الكريم متصلة بنهاية عيسى مع قومه ، ثم عرضنا للمروي من الأحاديث في هذا الشأن ، وبحثنا الجميع على ضوء ما تبحث عليه الآيات والأحاديث ، فخرجنا من البحث بهذه النتيجة وهي بنصها :

« والخلاصة من هذا البحث :

١ — أنه ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وأنه حي إلى الآن فيها ، وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض

٢ — أن كل ما تفيده الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه

٣ — إن من أنكر أن عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء ، وأنه فيها حي إلى الآن ، وأنه سينزل منها آخر الزمان فإنه لا يكون بذلك منكراً لما ثبت بدليل قطعي فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه ولا ينبغي أن يحكم عليه بالردة ، بل هو مسلم مؤمن ، إذا مات فهو من المؤمنين يصلى عليه كما يصلى على المؤمنين ويدفن في مقابر المؤمنين ولا شية في إيمانه عند الله . والله بعباده خبير بصير »

قدمت هذا البحث إلى المشيخة الجليلة ، وبعد أن استقر الأمر عليه رأيت أن أنشره على صفحات الرسالة الغراء سداً لباب التكفير بهذا وأمثاله الذي شاع وذاع واتخذه بعض الناس حرفة في التدين ، وإعلاناً للورع والتقوى ، وتظاهراً بمظهر الغيرة على دين الله وأحكامه . وقد تفضلت الرسالة بنشره في العدد ٤٦٢ الصادر في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٦١ هـ

وما كنت أظن أن متذوقاً للعلم واقفاً على أصول الاستدلال الشرعي يَزْوَرُّ عن هـذا البحث ويلتوي عن هذه الخلاصة البينة الواضحة ؛ ولكن قوماً لهم من شبه العلماء الزي واللقب قد حاولوا أن يغضوا من هذا البحث أو يثيروا من غبارهم عليه ، فنسجوا حوله خيوطاً ضعيفة واهية من الشبه ، وأخذوا يكتبون كلاماً مردداً متشابهاً في مجلات وصحف لا تقع عليها عين عالم . ويرجع كل ما موهوا به إلى ما يأتي :

١ — « أن حياة عيسى الآن ونزوله من السماء آخر الزمان ثابتان بالكتاب والسنة والإجماع »

٢ — «أن من أنكر نزول عيسى كمن أنكر خروج المهدي ، كلاهما كافر مرتد عن الإسلام كمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره »

٣ — « أن هذا البحث صدر بروح قاديانية » : قصد صاحبه به أو سار فيه هوى أتباع غلام أحمد القادياني

ونحن نبدأ بالنقطة الثالثة لأن لها شيئاً من الطرافة ، ولأنها توضح للقراء أسلوب هؤلاء القوم في البحث وطريقتهم في التفكير والتكفير معاً !

يقول « كبيرهم » في مطبوع له نشره :

« ولعل السائل هندي قادياني المذهب أراد الحصول على فتوى من الأزهر تؤيد مذهبه ! ولعل مشيخة الأزهر ندمت بعض الندامة على ما سبق لها من تنفيذ القرار الصادر عن هيئة كبار العلماء لطرد الطالبين الألبانيين القاديانيين من الأزهر ؛ إذ حولت السؤال إلى الشيخ كاتب المقالة من بين علماء الهيئة الذي ستعرف القاديانية في المسألة المحولة إليه ، فكان جوابه أنه

عليه السلام مات فى الأرض ورفعت روحه ولم يرفع حيا »

وهنا يكتب تعليقاً فى أسفل الصحيفة ، يقول فيه سماحه الله :

« وكنت قد سمعت عند ما فاوضت هيئة كبار العلماء فيما بينهم للبت فى أمر الطالبين المذكورين أن فى الهيئة من يشذ ويتردد فى الإفتاء بكفر المنكر لكون نبينا صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء طعناً منه فى حجية الحديث الوارد فيه والإجماع المنعقد عليه وفى دلالة قوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) عليه القطعية ؛ وقد رددت على هذا العضو الشاذ شذوذه فى مقدمة الكتاب « الذى لم ينشر تمامه بعد » والآن أقول : إن كان الشيخ شلتوت لم يتأخر التحاقه بهيئة كبار العلماء عن زمان درس مسألة الطالبين فهو أول من يخطر بالبال أن يكون ذلك الشاذ ! »

هكذا يقول شيخ الإسلام الذى كفرت به تركيا ! فارجع أيها القارئ إلى هذه العبارة وردها لتنظر ما ذا يكتب صاحب « القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون » رددها لتعلم العامل الوحيد الذى جعل دولة إسلامية كبرى تتشكك فيما ينسب إلى الدين عن طريق هؤلاء !

يبيح هذا الشيخ لنفسه أن يرى وجوه أهل العلم بدون أدنى تثبت بتهم خطيرة فى مثل هذه العبارة الركيكة الملتوية ، فيزعم أن نزعة كاتب هذا البحث قاديانية ، ويزعم أن هناك عضواً فى جماعة كبار العلماء شذ فعارض فى فصل الطالبين القاديانيين ، وأن هذا العضو يتردد فى الإفتاء بكفر من أنكر ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه يطعن فى حجية الحديث الوارد فيه ، ويطعن فى الإجماع المنعقد عليه ، ويطعن فى دلالة الآية القطعية عليه . يتصور هذا الشيخ عضواً فى جماعة كبار العلماء هذا شأنه وتلك عقيدته ، ويؤلف كما يقول كتاباً فى الرد عليه لم ينشره بعد ، وهو لا يعرف شخصه ولا يكلف نفسه السؤال عنه حتى تسعفه به المصادفة فيجمع فى خياله بين بحث شلتوت ومعارضة العضو المجهول فى فصل الطالبين ، بل يجمع بين بحث شلتوت وكفر هذا العضو المجهول بإنكاره مسألة من أمهات مسائل الدين وأصوله فيقول : « إن كان الشيخ شلتوت لم يتأخر التحاقه بهيئة كبار العلماء عن زمان درس مسألة الطالبين فهو أول من يخطر بالبال أن يكون ذلك الشاذ ! »

ولست فى حاجة إلى أن أقول : إنه لا يوجد بين كبار العلماء قاطبة ، ولم يكن فيها من قبل ، شخص كهذا الذى تصوره الشيخ وألبسه تلك العقيدة ظلماً وعدوانا

ولست فى حاجة أيضاً إلى أن أقول : إن زمن التحاقى بالجماعة متأخر عن درس مسألة هذين الطالبين وتنفيذ القرار فيهما

ولكننى بعد هذا أسأله ، وقد علم أن هذا العضو ليس بشلتوت : من يكون إذن ؟ حتى نعرف على الأقل ثانى من يخطر بالبال فى مثل هذا المجال !

أسأله وأنا واثق أنه لا يستطيع أن يجيب لأن هذا الشيخ وأمثاله لا يقولون ما يقولون عن علم أو بحث ، ولكن عن خرص وتظنن وتمويه وتشويه « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس » و « إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً »

وحسب القراء أن يعلموا أن هذا الشيخ لم يكد يسلم منه أحد من قادة العلم والدين فى مصر : فهو يتهم الأستاذ الإمام المغفور له الشيخ محمد عبده ، ويتهم المغفور له الأستاذ الشيخ رشيد رضا ، ويتهم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، ويتهم غير هؤلاء ممن ذهبوا إلى ربهم وممن يعيشون ! ولو شئنا أن نضرب للقراء أمثالاً من اتهاماته المضحكة لطال بنا القول ، ولكننا نكتفى بإيراد ما نسبه إلى الأستاذين : الشيخ عبده والشيخ المراغى

زعم أن الشيخ عبده رضى الله عنه يرى أن النبى صلى الله عليه وسلم رجل « من أمثال الذين يثقون بأنفسهم فى صحة آرائهم ومبادئهم ويأمل الناس فيهم الصلاح والإصلاح » ينسب هذا إلى تلك الروح الطاهرة التى ذهبت إلى ربها راضية مرضية بعد أن جاهدت فى الله حق الجهاد ، ويكرر هذا المعنى كثيراً ويقول فى لهجة تنم عن الحقد والضغينة فى كل ما يتناول به العلماء المصريين : « تفكر فى هذا وفى كون صحافة مصر المنحرفة عن الثقافة الإسلامية إلى الثقافة الغربية لا تزال تشيد باسم الشيخ قائل هذا القول »

يقول هذا فى الشيخ عبده وهو صاحب رسالة التوحيد التى تكلم فيها عن الرسالة والمعجزة ودلالتها على صدق الرسول وعن

الوحي وكونه ممكن الوقوع وواقعاً فعلاً ، وعن وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وعن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص — تكلم عن هذا كله في أكثر من نصف رسالته بعبارات جلية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ولا تدع مجالاً للشك في رأيه العلمي لمن أراد مخلصاً أن يعرف آراء العلماء

أما تهمته التي حاول إلصاقها بفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي ، فهي تتصل بمقدمته التي قدم بها لكتاب « حياة محمد » الذي ألفه الدكتور هيكل باشا ، وفيها يقول فضيلة الأستاذ الأكبر « إن الإسلام أعلى من شأن العقل والبرهان وجعلهما أساس الحكم والعلم وعاب التقليد وذم المقلدين وأنب من يتبع الظن وفرض الدعوة بالحكمة لمن يفقهها ولم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة إلا في القرآن وهي معجزة عقلية »

هذا هو قول فضيلة الأستاذ الأكبر . أتدري أيها القارىء ماذا صنع به هذا الشيخ الذي يتصيد التهم للناس تصيداً ؟ لقد أعاد فيه وأبدأ في عدة مواضع متفرقة من كتابه بعبارات مختلفة ولوازم منتحلة ، ومن ذلك أنه يقول « بهذه العبارة أنكر الشيخ المراغي المعجزات الكونية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويلزمه لذلك أن ينكر الأحاديث الواردة فيها ، ويلزمه لذلك أن ينكر المعقل الثاني للتشريع الإسلامي وهو السنة المحمدية ، وهو بهذا وذاك يمهد لإلغاء « كلية الشريعة » التي تدرس الفقه وأصول الفقه » قياس متصل النتائج نسج الخيال والتعسف مقدماته حتى انتهى إلى هذه النتيجة التي سود بها صحيفة كتابه !

فإذا كان هذا الشيخ ينتحل هذه التهم وأمثالها ويلصقها بالشيخ عبده والشيخ المراغي وأمثالها فلا غرابة في أن ينتحل مثلها أو أشد منها ويلصقه بشلتوت وأمثال شلتوت ، فتلك شنشنة عرفت من أمثال هؤلاء الذين منى الإسلام بهم في كل عصر ، ورأوا أن مسايرة الجماهير في أهوائهم وعقائدهم أجدى لهم وأسبغ للخير والنعمة عليهم !

ومن الأمثلة التي نسوقها تفكهة للقراء ، وبياناً لطريقة هؤلاء في البحث ومبلغ إخلاصهم للعلم ونزولهم على حكم البرهان ، أن أحد المتمرنين على طريقتهم كتب يقول :

« بل كان يجب عليه — يريدنا — أن يتقرب إلى الله بمخالفتهم — يعني القاديانية — وإظهار موافقة المسلمين فيما يعتقدون ، فإن لم يفعل ذلك تقرباً فليفعله مجاملة لأولئك الأبطال العلماء الذين وقفوا أنفسهم للدفاع عن الدين من هؤلاء المعتدين ، وإظهاراً لاتحاد كلمة المسلمين حتى لا يجد المعتدى خللاً ينفذ منه . والمثل العامي يقول : « أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب » ثم يقول : « فبربك قل لي : كيف يكون موقف إخواننا علماء الهند الذين أثبتوا نزول عيسى عليه السلام بسبعين حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، وأثبتوا حياته ورفعه بأحاديث وآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، حين يبلغهم عن طريق القاديانية قبل غيرهم أن الأزهر يخالفهم ويقول ليس في هذه المسائل دليل ولا شبه دليل ؟ »

وهذا كلام غني بنفسه عن التعليق عليه ، فقارئ الرسالة يكفيه أن يقرأه ليعلم أن من أسس البحث عند هؤلاء المجاملة والجرى على مقتضى المثل العامى القائل : « أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب » . وهذا أسلوب جديد في التفكير لا نستطيع مسايرته ، ولا نحب أن نشغل أنفسنا به ، وحسبنا أن نقول :

أولاً : إن الخلاصة التي أسلفنا نقلها من الفتوى صريحة في أن حياة عيسى ورفعه بجسمه إلى السماء ونزوله منها إلى الأرض آخر الزمان لم يثبت شيء منها بدليل قطعي يكون عقيدة يطمئن إليها القلب حتى يكفر من أنكرها . وهذا القدر وحده لا اتصال له بمذهب القاديانية في قليل ولا كثير

ثانياً : وعلى سبيل الفرض والتقدير لو اتفقت الفتوى مع رأى القاديانية قطعاً أيلزم من ذلك أن صاحب الفتوى يكتب بروح قاديانية ويؤيد القاديانيين الذين يرون فيما يرون أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس خاتم النبيين ، وأن غلام أحمد نبي يوحى إليه ؟ وأين هذه من تلك ؟ وهل إذا قال المسلمون في مسألة مثل

ما يقول اليهود والنصارى يكون ذلك دليلاً على روح يهودية أو نصرانية ؟ وهل إذا أنكر عالم من علماء المسلمين وقوع النسخ فى القرآن يكون مُصدراً فى ذلك عن روح قاديانية ؟ وإذا رد علماء الهند على القاديانية فى ذلك أتجب عليه مجاملتهم أيضاً ؟ وهل إذا قال قائل بأن الجهاد ليس مطلوباً منا بسبب كفر الكافرين ولكن بسبب محاربتهم إيانا واعتدائهم علينا كما ينقل عن الثورى وكما ينسبه ابن العربى إلى الحنفية فى تفسيره ؛ أيكون بذلك مُصدراً عن روح قاديانية ؟

لا . لا . إنكم أيها الموهون لا تريدون بذلك إلا أن تجاروا سلفاً لكم ضعفوا عن الحجة والبرهان ، ولم يتعودوا الإخلاص للحق ، فراحوا يردون الآراء بتشويهها والتنفير منها : كانوا يقولون : هذا راى المعتزلة ، وهـذا يتفق مع قول الفلاسفة ، وذاك رأى ابن تيمية ... الخ . وها أنتم أولاء تتبعون سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع فتحاولون تشويه الآراء بمثل قولكم : هذه روح قاديانية ، هـذه مسايرة لآراء المستشرقين ، هذا تجديد فى الدين ... الخ . ولكن اعلموا أن الفكر الإسلامى قد أخذ يستعيد صفاءه ويسترد إخلاصه للحجة والبرهان كما كان شأن السلف الصالح من المؤمنين . وأصبحت هذه الأساليب مكشوفة معروفة ، بل أصبحت وبالاً على أصحابها لأنها تنفر منهم وتدل على ضعفهم والتواء عقولهم !

***

لقد كان جديراً بنا ألا نشغل أنفسنا بأمثال هؤلاء ، وأن نمر بما ذكروا كراماً ، ولكنهم عمدوا إلى أسلوب آخر من أساليب الخداع والتمويه إذ اتصلوا بقوم عزيز علينا أن نتركهم صيداً فى شباكهم . خدعوهم باسم الدين ، ووسوسوا لهم بأن هذه الفتوى تمس العقيدة الثابتة بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع القطعى ، فهى اعتداء على الدين وهدم لركن من أركانه . وسوسوا بهذا ونحوه ، وكان من آثار هذه الوسوسة أن نائباً محترماً له فى نفوسنا مكانة ومحبة انخدع بما يقولون وطاوعهم فى استكتابه كتاباً فى هذا الشأن رفعه إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، وبعث بنسخة منه إلى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء[1]

وفى هذا الكتاب يقول :

« إنى أكتب لفضيلتكم فى مسألتين هامتين لكل واحدة منهما خطرها وعظم شأنها لمساسها من قريب أو بعيد بأصل العقيدة الدينية » ، ثم يرجو فضيلة الأستاذ الأكبر أن ينشر الرأى الصواب الذى يقرره فضيلته عن هاتين المسألتين فى مجلتى الرسالة والإسلام فضلاً عن نشره بمجلة الأزهر . ونحن لا نرى بأساً فى الرجوع إلى شيخ علماء الدين أو إلى هيئة علمية دينية فى تعرف رأيه أو رأيها فى مسألة دينية ، ولكننا لا نفهم ما المراد بتوجيه هـذا الكتاب إلى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء فى مسألة دينية كهذه : أيراد أن تكون هنالك هيئة حاكمة يرجع إليها فى حماية نوع خاص من التفكير العلمى والدينى ؟ إن كان هذا هو المراد فما أشبهه بمحاولة العمل على إعادة صورة من صور محاكم التفتيش الأسبانية البائدة فى مصر وعلى يد رئيس حكومتها وشيخ علمائها وفى أحضان الإسلام دين الحجة والبرهان لا دين القوة والسلطان

***

ألا إننا لا نكتب ما نكتب إلا صوناً لمثل هذا النائب المحترم والجمهرة من المسلمين قد تروج عليهم حيل هؤلاء الخادعين المتطفلين على موائد العلم ، وسنعرض فى الفصول المقبلة إن شاء الله إلى شبههم التى موهوا بها وبنوا عليها قصور الخداع والإضلال . وسيعلم الناس أن الله سبحانه وتعالى كما ابتلى عباده بقوم يجادلون فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، قضت حكمته ـ رحمة بعباده وصوناً لدينه ـ أن يهيئ طائفة يظهرها على الحق ، ويدفع بها فى صدر الباطل ، حتى يكشف عواره ، وينسخ آثاره « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »

محمود شلتوت

عضو « جماعة كبار العلماء »

---

(١) جريدة الوفد المصرى الصادرة فى الخامس من شهر ربيع الأول هذا العام

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

على ميعاد — في بناء الجيل الجديد — ظرف المكان
ضيوف القاهرة — شارع الشريف وغيط الشريف

على ميعاد

مع مَن ؟ مع الربيع بعد أن كاد يخلف الميعاد

في صباح كل يوم من هذه الأيام أطالع وجوه الأشجار الضواحك ، عساني أنسى عبوسها في الشتاء الذي طال ثم طال ، إلى حد الإملال . ومن العجب أن أرى أشجاراً لم تورق بعد ، كأنها تخشى أن يكون انصرام الشتاء خبراً لم يقم على صحته دليل . فلتقرأ هذه الأشجار هذا الكلام ، ولتصدّق أننا في « مايو » شهر الأزهار والرياحين

لا شتاء بعد اليوم من هذا العام ، فلنفرح بقدوم الربيع الأول وهو مطلع الصيف ، إلى أن يجيء الربيع الثاني ، الربيع الحقيقي في الديار المصرية ، وهو الذي يقع في الأشهر الثلاثة : أغسطس وسبتمبر واكتوبر ، وهي أشهر الصفاء والرخاء في هذه البلاد

مرحباً بالصيف ، والصيف المصري جدير بالترحيب . فبفضله نتذوق نسمات في المساء لا تجود بمثلها الطبيعة في أي أرض . والقيظ في مصر يُتقَى بالظل ؛ وفي غير مصر لا يُتقَى القيظ إلا بوسائل يغلب عليها الافتعال

وطعم الظل في مصر لعهد الصيف جميل المذاق إلى أبعد الحدود . ولا أدري كيف تركناه بلا تنويه فيما كتبنا عن خصائص الطبيعة المصرية

ولا بد من النص على حقيقتين من حقائق الحياة في مصر قبل أن أنسى وينسى الناس :

الحقيقة الأولى هي جمال الشتاء المصري قبل التمدن الحديث ، ولا يعرف قيمة هذا الجمال إلا من نشأ في الريف ، فقد كان هنالك طعمٌ لذيذ للدفء في « القاعة المحمية » ، وكان لتلك القاعات فضلٌ في خلق شعور السعادة بالتغلب على قسوة الشتاء

الحقيقة الثانية هي جمال الزِّير المعلّق في أيام الصيف ، وهو يمنح الماء طعماً لا يمنحه الثلج بأي حال

وبالقرب من دار الرسالة حارة تسمى حارة الزير المعلق ، فمن كان يجهل أصل هذه فليعرف أن « الزير المعلق » هو قصر شيرين باشا . ولعل صاحب القصر سماه بهذا الاسم للمعنى المضمر في لطافة الزير المعلق أيام الصيف . وقد سُجِّل اسم هذا القصر في قصيدة من قصائد الشاعر إبراهيم الدباغ ، أنعم الله عليه بالشفاء ، فقد سمعت أنه مريض .

أما بعد فماذا أريد أن أقول ؟

هذا ربيع ، وهذا صيف ، وهذه ليالي النسائم الرفيقة بمصر الجديدة والجيزة والمعادي وحلوان والزيتون

فأين صبواتك يا قلبي ؟ وأين أيامك ؟ وأين لياليك ؟ وأين أحبابٌ كنت معهم على ميعاد ؟

لقد بخلت الأقدار بالتلاقي ، وتركتنا نصطرع في لجج اليأس العجّاج

مضى الشتاء وأورقت أشجارٌ ثم أزهرت ، وما لك يا قلبي أملٌ في إزهار ولا إيراق

الوجود كله ربيع ، فأين نصيبك من هذا الربيع يا قلبي ؟ ربيعك هنالك ، فامض إليه إن استطعت ، وإن استطاعت تلك الأزهار أن تطمس أبصار الرقباء

سيمر زمن وأزمان ، وستفعل المقادير ما تفعل بمصاير ممالك وشعوب ، ثم يبقى لك هواك يا قلبي ، هواك الذي لا يجوز عليه الخمود ، لأنه من أقباس الخلود

وهل يعرف أحبابك هنالك أنك معهم على ميعاد ؟

لقد يئسوا من وفائك يا قلبي ، لأنك آثرت الكتمان ، فمتى تفتضح في هواهم ليعودوا مع الربيع ؟

أنتِ على بالي في كل وقت ، يا مَهاةً لا تخطر إلا في البال
ولو أنني أستغفر الله كلما ذكرتكِ لم تُكتَبْ عليَّ ذنوبُ

فى بناء الجيل الجديد

أعتقد أن الأساس لبناء الجيل الجديد هو خلق الإيمان بالعدل فى تقسيم الحظوظ ، بحيث يصير من المفهوم عند الجميع أن فى مقدور كل فرد أن يصل إلى أعظم المناصب ، إذا زوّد نفسه بالزاد الذى يؤهله لما يتسامى إليه ، بلا احتياج إلى وسيط أو شفيع

ولكى نصل إلى هذه الغاية يجب أن نروض أنفسنا على فهم المراد من العدل ، فقد يصرخ ناس ثم يصرخون بدعوى أنهم لم يؤهلوا أنفسهم لخوض معارك الحياة واقتحام أسوار المجد . وهذه آفة لم يسلم منها الناس فى أى زمان

نحن فى الغالب نطالب بأكثر مما نستحق ، وندّعى لأنفسنا حقوقاً لم نبذل فى سبيلها ما يجب بذله من الجهود ، ثم نطيل التوجع والتفجع والتحسر على انعدام العدل . وهل عدلنا مع أنفسنا حتى نطالب غيرنا بالعدل ؟

لا يجوز تضييع لحظة واحدة بلا استفادة علمية أو أدبية ، ولا يجوز تضييع لحظة واحدة فى القيل والقال إذا كنا نريد أن يكون لنا فى الحياة السامية مكان

ومن آفات الناس فى هذا العصر أن تكون المظاهر غاية ما يطلبون ، فمن النادر أن نجد من يتشهى أن يكون نعيمه مقصوراً على المغانم الروحية ، ومن النادر أن نجد من يفرح لأن جيرانه فى رغد وإن كان فى حرمان

والاعتماد على الحكومة فى جميع الشؤون أخطر آفات هذا الجيل ؛ فالحكومة هى التى تصدّ بغى الناس بعضهم على بعض ، والحكومة هى التى تضمن وجود الرغيف فى السوق ، والحكومة هى المسئولة عن كف يد القريب عن ظلم القريب

نحن نشغل بعَدّ المنافع عن عدّ المآثم ، وننسى محاسبة أنفسنا على الكسل البغيض ، الكسل الذى يشلّ مواهبنا المكنونة ويضيفنا إلى جماعة المتواكلين

ما هذا الذى نعانى من كوارث وخطوب ؟

أقول هذا لأنى أعرف أننا لا نلتفت لغير المصاعب التى تساق إلينا من بُعد ، ونغفل عن المصاعب التى نخلقها بأيدينا ، وهى المصاعب الناشئة عن غفوتنا الروحية والذوقية والعقلية .

وصدق الرسول حين قال : « أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك »

الجهل الذميم بقوانين الوجود هو الذى يجعلنا نُلقى المسئولية على من لا يحملون عنا أية مسئولية ، والفرار من التبعات هو أعظم شواهد الخذلان

لو أنفقنا فى محاسبة أنفسنا معشار ما ننفق فى محاسبة الحكومة والمجتمع لوصلنا فى جهاد النفس إلى أشياء . ولو تجنَّينا على أنفسنا كما نتجنى على الحكومات والمجتمعات لتكشفت أنفسنا عن حقائق تهدينا فى ظلمات الوجود

محاسبة النفس لا تقع إلا عند يقظة النفس ، فلنفهم أن رضانا عن أنفسنا فى جميع الأحوال من دلائل السبات

وأغرب ما نتورط فيه أننا نبالغ فى تعقب عيوب الحكومات والمجتمعات ، ثم ننتظر أن لا ترى فينا الحكومات والمجتمعات غير الجميل

وما هى الحكومة ؟

هى مجموعة أشخاص يتعرضون لما يتعرض له سائر الناس فى المعاملات الفردية والاجتماعية ، ومن حقهم أن يعاملوك بالعدل فى الإساءة كما تحب أن يعاملوك بالعدل فى الإحسان

وما هو المجتمع ؟

هو تلك الخلائق المبثوثة فى القرى والمدن والأسواق ، وهى على تنوعها العجيب قد تلتقى فى المشاعر والعواطف من حين إلى حين

وقد نخطئ فنتوهم أن تلك الخلائق تعجز عن تعقب العيوب فيمن لا يرى فيها غير العيوب

والمصلح فى الجيل الجديد سيُسأل أمام ضميره عن تجسيم المحاسن الأصيلة فى المجتمع ، وهى سر التماسك الاجتماعى ، وبفضلها استطاع المجتمع المصرى أن يقهر مصاعب كثيرة عانتها مصر من جيل إلى جيل

وخلاصة القول أنى أدعو إلى محاسبة النفس قبل محاسبة الحكومة والمجتمع ، وأرجو أن يؤمن كل فرد بأنه حجر الأساس فى بناء الحكومة وبناء المجتمع ، إن صحت النية على أن نكون من رجال الأخلاق

ظرف المكان

في يوم واحد ظهر لى مقال فى مجلة الرسالة ومقال فى مجلة الإثنين رداً على الأستاذ عباس محمود العقاد؛ ومع أن المعانى واحدة أو كالواحدة فى المقالين فقد اختلف الأداء كل الاختلاف، فما السر فى ذلك ؟

يرجع السرّ إلى ظرف المكان ، فقد بدا لى العقاد فى « الإثنين » وهو خصم ، وبدا لى فى « الرسالة » وهو زميل، وما أبعد الفرق بين الخصم والزميل !

قال قائلٌ إن اللطف الذى بدا فى مقال الرسالة بدّد العنف الذى ظهر فى مقال الإثنين . وأقول إنى لا أندم على كلمة الخير بأى حال . وليس فى نيتى أن أصطنع العنف في معاملة زملائى ، إلا أن يحرجونى . والرجل الغضبان يستبيح ما لا يباح

وأنا مع ذلك أشعر بفداحة الخسارة فى العراك الذى ثار بينى وبين الأستاذ العقاد ؛ فلا هو وصل إلى شىء، ولا أنا وصلت إلى شىء، لأن ذلك العراك لم يزد عن ملاحاة لا أرضاها منه ولا يرضاها منى

خصومتى مع الدكتور طه حسين هدتنى إلى حقائق أدبية وفلسفية

وخصومتى مع الأستاذ أحمد أمين كانت السبب فى أبحاث جياد أفصحت فيها عن سرائر الأدب العربى

وخصومتى مع الأستاذ توفيق الحكيم كانت السبب فى أن أنشىء مقالى عن « رجال الأدب ورجال القضاء »

وخصومتى مع الأستاذ ابراهيم المازنى كانت الباعث لبعث مواهبى الشعرية

فما مصير خصومتى مع الأستاذ العقاد ؟

إن بوادرها لا تبشر بالخير ، فهل تقع معجزة تحولها إلى الاختصام حول حقائق تكون دساتير فى فهم أصول الأدب والبيان ؟

أنا أنتظر أن نخوض فى أحاديث تصل بنا إلى نفائس ، وأكره أن تكون المعارك الأدبية فى مصر مقصورة على مجادلات ينفر منها الذوق فى أكثر الأحايين

وإلى اللقاء على صفحات « الرسالة » الصديق

ضيوف القاهرة

كان من المألوف أن يصطاف المصريون فى فلسطين أوسورية أو لبنان ، ليَنعموا بالرخاء الذى لا تعرفه مصايف الاسكندرية أو رأس البر أو بور سعيد ، فما تمتع بلدٌ قبل هذه الحرب بمثل الرخاء الذى كان يتمتع به أهل فلسطين ولبنان

واليوم نسمع أن تلك البلاد تعاني متاعب عنيفة من الغلاء ، ونرى بين أعيانها أفواجاً تزور القاهرة لتعيش فى رفاهية بضعة أسابيع ، فما الذى نصنع فى إكرام أولئك الضيوف ؟

يعزّ علىّ أن أعترف بأننا لم نتخذ خطة واضحة فى استقبال من يزور مصر من أبناء الشرق العربى والإسلامى . وإلى وزير الشئون الاجتماعية أوجه هذا الحديث

شارع الشريف وغيط الشريف

فى يناير سنة ١٩٣١ شكا إلىّ المسيو فوشيه مراسل «الأهرام» فى باريس من أن جريدة الأهرام لا تدعوه إلى الإقامة فى القاهرة شهراً أو شهرين من كل عام ، ليعرف الجو السياسى فيراعيه فيما يرسل من البرقيات

وفى أغسطس من سنة ٩٤١ زرت مدينة المنصورة لأتحدث مع الأستاذ الزيات فيما يجب أن نراعيه من التوجيهات الأدبية والاجتماعية

وفى إحدى السهرات قال فلان : هل سمعتم باسم الشارع الجديد ؟

— وما اسم الشارع الجديد ؟

— شارع الشريف الرضى

فابتسم الأستاذ الزيات وقال : هذا من وحى الدكتور المبارك

وفى يناير من سنة ١٩٤٢ رفعت قضية شفعة على غيط يجاور أملاكى فى سنتريس . ولم أكن أملك من ثمنه غير دنانير كسبتها من كتاب « عبقرية الشريف الرضى » ، وقد كسبت القضية وسميت الغيط « غيط الشريف »

أمر الأرواح عجب فى عجب ، وما أعجب أمور الأرواح !

مجـــلاتنا الممتازة

ونصيب المسرح والسينما والغناء منها

للأستاذ دريني خشبة

هل تكتب « الرسالة » أو « الثقافة » أو « المقتطف » أو « الهلال » شيئاً فى المسرح المصرى الحاضر أو السينما المصرية الحاضرة أو الغناء المصرى الحاضر أو الموسيقا المصرية الحاضرة ؟(١)

وإن لم تكن هـذه المجلات تكتب شيئاً من ذلك ، فهل هى على حق فى خطتها تلك ! وهل هى بتلك الخطة التى تلتزمها حيال أرق فنوننا الجميلة تمثل النهضة المصرية أو تنطق بلسان مصر الحديثة ؟ وهل هناك فرق أن تصدر الرسالة — وتلك خطتها — فى القاهرة أو فى بغـداد ؟ وهل يتغير المقتطف إن كان يطبع فى دمشق ، لا فى القاهرة ؟ وإن صدرت الثقافة فى مكة ، ولم تصدر فى مصر ، فماذا كان يتغير فيها بحكم تلك البيئة الجديدة ؟

(١) لقد كان فى (الرسالة) قبل أن تنقص أزمة الورق حجمها باب ثابت لهذه الفنون تنشر نا فيه لأساطينها بحوثاً قيمة لا يزال قراؤنا يذكرونها . وإنا لنرجو أن تنفرج حلقات هذه الأزمة فيعود إلى الرسالة أبوابها وكتابها على خير حال وأكمل وجه « الرسالة »

وإذا كان الهلال يأتى إلينا من صنعاء اليمن فهل كنا نرى فيه هلالاً غير هذا الهلال الذى يصدر عن القاهرة ؟

وما السبب يا ترى فى امتناع مجلاتنا الممتازة هذه عن الكتابة فى المسرح المصرى الحديث والسينما المصرية الحديثة ، والغناء المصرى الحديث ، والموسيقا المصرية الحديثة ؟ وفى سائر الفنون المصرية الحديثة !

هل يستطيع أحد أن يتهم الأستاذ الزيات أو الأستاذين أحمد أمين وعبد الواحد خلاف ، أو الأستاذ يعقوب صروف أو الأستاذين أميل وشكرى زيدان بأنهم رجال لا يستطيعون أن يزنوا هذه الفنون من حيث تمثيلها للنهضة المصرية الحديثة والذوق المصرى الحديث ؟

وإن قلنا إن هذه المجلات قد خصصت نفسها للأدب الجد والعلم الجد ، فهل نفهم من ذلك أن أصحابها لا يقولون بأن المسرح المصرى الحديث ليس من الأدب الجد فى شىء ، ومثله السينما والغناء والموسيقا ! !

وهل العلاقة بين هذه الفنون وبين الأدب الجد لا تصل فى أهميتها إلى خطورة العلاقة بين الأدب الجد وبين اشتقاق كلمة « اجلوّز » وما إليها من تلك الببغائيات التى تحفل بها مجلاتنا الممتازة وتفسح لها صفحاتها ؟

ولـكن ... ما علة امتناع مجلاتنا الممتازة ، هـذا الامتناع

كان الشريف يتحدى خلفاء بغداد بأن له فى مصر أنصاراً يستنصر بهم حين يشاء ، وقد وفتْ مصر للشريف بعد عشرة قرون ، فسمَّت باسمه شارعاً فى المنصورة وغيطاً فى سنتريس ، ولن يموت رجلٌ يُحفظ اسمه فى المنصورة وسنتريس

الشريف هو الذى يعبِّر عن أشواقى إلى أحبابى فى العراق حين يقول :

ومن عجبٍ لا أسأل الركب عنكم وأعلاق وجدى باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب فلا بدَّ أن يلقى بشيراً وناعيا

وقد فجعتنى الأقدار بموت الصديقين الكريمين : إبراهيم العمر وصادق الوكيل ، وكانا عدوَّين لا يقرب بينهما غير الاتفاق على ودادى ، وما أكثر ما صنعتُ فى تبديد الخلاف بين المتخاصمين من أدباء العراق !

كنت أقول إنى أحب العراق لأخلق فيه صداقات لوطنى ؛ واليوم أقول إنى أحب العراق ، لأنه العراق

ومن الذى يكره بلداً لا يفارقه بغير الدمع ؟

من الذى يكره بلداً من رجاله طه الراوى ورضا الشبيبى ؟ العراق وطنى ، لأنه أصدق الأصدقاء لوطنى ، ولأنه العراق ، ولأنه دار الذين يئسوا من وفائى ، مع أننى أوفى الأوفياء

أنا الجانى على نفسى ، فقد تهاونت فى نقل تلك البُـنَية إلى وطنى ، ومعها تلك الأم السمراء ، ويا لها من سمراء !

جنى الهوى ما جنى ، وجنيت ما جنيت ، فعلى أيام الهوى وعلى أيامى ألف تحية وألف سلام ، إلى أن نلتقى فى ظل الموصلية التى تسكن بغداد ، وهى ملثوغة الراء ، لأنهـا حواء ، وأنا أول الحافظين لعهد الوفاء .

زكى مبارك

الإجماعي ، عن الكتابة في هذه النواحي من مقومات نهضتنا الفكرية الأدبية الحديثة ؟!

هل هو الاستعلاء كما زعم لي أحد الزاعمين وأنا أحاوره في هذا الموضوع ؟

وفيم يا ترى استعلاء مجلاتنا المصرية الممتازة عن الكتابة في المسرح المصرى الحديث والسينما المصرية الحديثة ؟ هل هي في حاجة إلى من ينبهها إلى خطر المسرح والسينما ومكانهما من الأدب الذي تضطلع بنشره في مصر قاطبة ؟!

وهل ترفض هذه المجلات الممتازة نشر بحث يقدم لها عن المسرح اليونانى ، أو المسرح الإنجليزى ، أو المسرح الفرنسى ؟ كلا ... إنها ترحب دائماً بهذا البحث وتعده من واجبها الأول !

وهل ترفض ترجمة لأحد رجال المسرح اليونانى أو المسرح الإنجليزى أو المسرح الفرنسى ؟ ... وهل ترفض ترجمة لأحد الموسيقيين من أمثال موزارت وباخ وهاندل وبيتهوفن وهايدن وشوبين وليزت ولتنتا يكوفسكى ؟ أم ترفض ترجمة لأحد المغنين القدامى من أمثال إسحاق وإبراهيم الموصلي وزرياب وعنان ؟

هذه طائفة من الأسئلة كانت وما تزال تملأ التفكير ، وتجعل الرأس أشبه شيء بخلية النحل من كثرة ما كانت تتوارد فيه ، في شدة وفي عنف ... بل في شبه ثورة جارفة ، مُغشّاة بكثير من الهم والاكتئاب ! ... لماذا تستعلى مجلاتنا عن تناول المسرح المصرى ، والسينما المصرية ، والغناء المصرى والموسيقا المصرية ؟ ... إن أحداً لا ينقم على مجلاتنا الممتازة مظهرها العربى الصميم الذى هو مفخرة الصحافة المصرية ، ونحن حين نرى العالم العربى كله يقرأ مجلاتنا ويقبل عليها هذا الإقبال لنحمد الله على أن جعل لنا الصدارة في هذا الباب ، وأن هيأ لنا من الزعامة الفكرية ما يجعل مصر نبراساً للأمم العربية جمعاء ... هذا حسن جداً ... وهو خير كل الخير ، لكن ما ذا يضرنا لو أظهرنا شقيقاتنا من الأمم العربية على هذا الجانب الهامّ من مصريتنا الصميمة ؟ لماذا لا نكتب لهم عن مسرحنا وعن هذه النخبة الفاضلة العامة المجدّة من رجاله ؟ لماذا لا ننقد لهم الروايات المصرية التي يؤديها هذا المسرح ويعالج فيها عللنا الاجتماعية ؟ ألم تكن فرقنا تذهب إلى فلسطين وسوريا ولبنان والعراق وتونس والجزائر وأمريكا الجنوبية لتمثل هنالك تلك الروايات المصرية ؟ أليست هذه هي الأفلام المصرية تصدر من مصر إلى تلك الأقطار الشقيقة فيقبل عليها الأهلون إقبالاً منقطع النظير ليشهدوا مصر الحديثة ، وليطالعوا الأدب المصرى الحديث ، والتمثيل المصرى الحديث . وليمتعوا أنفسهم بالغناء المصرى الحديث ويشنفوا آذانهم بالموسيقا المصرية الحديثة ؟ الحقيقة أن شطراً كبيراً من مسئولية ذلك تقع على عواتق رجال تلك الفنون من المسرحيين ومخرجى السينما وممثليها والمغنين والموسيقيين المصريين ... وسنكون صرحاء في تحديد هذا الشطر من المسئولية فنقولها كلمة حق إن كثيرين منهم يكادون يكونون أميين ... أميين في فهم نفسه ، وأميين في طريقة أدائه ، وأميين في منوال حياتهم بوصف كونهم رجال الفنون الرفيعة في مصر . أما أن منهم الأميين في فهم فهذا هو الشاهد الملحوظ في كثير من الروايات المصرية المسرحية ، وأشرطة الصور المصرية تأليفاً وإخراجاً وتصويراً وتمثيلاً - وأنا أكتفى هنا بالإشارة العابرة دون التصريح والتجريح ، فما لهذا كُتب المقال - ولست تعرف من أين يأتى أكثر العيب ؟ أيأتى من المؤلف الذى يتناول الموضوع المصرى أو إحدى البيئات المصرية فيشيع فيهما مرض خياله ويمسخها بسقم تصوره ويجعل منها أضحوكة لا تخطر في بال مصرى ؟ أم يأتى من المخرج الذى يضرب أخماس المشاهد في أسداسها حتى تبرز عرجاء شوهاء مقعدة في كثير من الأحيان ؟ أم يأتى العيب من المصور الذى لم يدرس قط ، أو درس دراسة ارتجالية — فن الضوء المسرحى أو السينمائى وزوايا المناظر ؟ أم يأتى أكثر العيب من الممثلين وفيهم مهرجون كثيرون فرضوا بطولتهم على الشركات التى ألفوها ، وعلى النظارة الذين أفسدوا أذواقهم بالإلحاح عليها بشعبذاتهم ومساخرهم

أما أميتهم في أسلوب حياتهم فذاك أن أكثرهم لا يحاول قط أن يتعلم أو أن يثقف نفسه بمطالعة ما تصل إليه يده عن تاريخ فنه وتراجم أبطال هذا الفن وما يجد كل يوم فيه وما ينضاف إليه من جهود المتخصصين فيه ، ثم هم غير هذا يحيون حياة

سائبة ليس فيها أي شعور بالكرامة الفنية التي كان يخلق بها التسامي عن التبذل والانتهاس فيما يشين الأقدار . ولبس يضير هذه الفنون قط أن كثيرين من أبطالها فى مصر قد نشأوا من صميم الشعب ، فهنا مفخرة هذه الفنون ، بل هنا حياتها ، لأنه لا يعرف هوى الشعب ولا يدرك علله إلا أفراد منه أوتوا تلك الملكات الشعبية التى يجهلها السراة جهلاً تاماً

وبمناسبة فقر أبطال المسرح والسينما والغناء والموسيقا فى ثقافتهم ، ذلك الفقر المضحك المخزى ، يذكر الإنسان ما كان يشترط فى المغنى العربى والمغنية العربية فى العصر العباسى من إلمام واسع بنحو العربية وصرفها وعروض الشعر وقوافيه ، وما كان ينبغى أن يتوفر له من محفوظ الشعر والبصر بمللِه ودقة الذوق فى نقده وطول الباع فى الوقوف على أخبار الأدباء والكتاب والشعراء والمحبين . ولسنا هنا بمعرض ضرب الأمثال لذلك ، فكتب الأدب العباسى والأندلسى تفيض بذلك وتزخر به .

ونحن والحمد لله نعيش فى مصر فى عصر شباب اللغة العربية ورونق مجدها المبين ، مما لم تبلغه فى أى عصر من عصورها الذهبية الحوالى ؛ والمستمع الذى له دراية بنحو هذه اللغة لا يتلف الغناء أو الإلقاء فى نفسه ما يتلفه اللحن فى القطعة المغناة أو الملقاة ... إنه يضيق عند ذاك بالغناء وبالمغنى ... بل إنه ليضيق بالدنيا جميعاً ولا يعود يعنيه من أمر الغناء ما يعنيه من جهل المغنى بنحو اللغة ، ذلك الجهل الذى لا عذر له فيه إلا الكسل عن الإلمام بهذا النحو . لقد كان المغنون فى العصر العباسى وفى بلاد الأندلس أدباء من الطراز الأول ، وكانوا يحتلون من رواية الرواة ومؤلفى كتب الأدب ما كانوا خليقين به . وحسبهم فخراً وشرفاً أن يسمى أبو الفرج كتابه « الأغانى » ، ولم يسمه اسماً آخر بالرغم مما حشد فيه من تراجم الشعراء وقصائدهم

وبعد ... فمتى يعنى مديرو مجلاتنا الممتازة ورؤساء تحريرها بالمسرح المصرى الحديث وما إليه من سائر الفنون الرفيعة التى ذكرنا ؟ إننا حينما ندرس الأدب اليونانى القديم نجد ثلاثة أرباع هذه الدراسة تدور حول المسرح اليونانى وحول شعراء مآسيه وملاهيه ؛ ودراسة الآداب الأوربية تكاد تكون قسمة عادلة بين القصص فى الشعر فى ناحية ، والدرامة فى ناحية أخرى ، بل يكاد بعض هذه الآداب يكون مسرحياً صرفا . وقد عنى أرسطو بدراسة المأساة المسرحية وكرس لها كتابه الخالد « بويتيكا » (الشعر) وعدها مصدر الفضائل ولباب الأدب . فهل أصحاب مجلاتنا الممتازة ورؤساء تحريرها فى حاجة إلى أن يذكرهم أحد بكل ذلك ؟ ...

قد يجادل رؤساء التحرير المحترمون هؤلاء فى حقيقة المسرح المصرى الحديث : أموجود هو ؟ وهل لدينا الممثلون الذين يستحقون أن يكتب عنهم ؟ وهل لدينا مذاهب مسرحية تستأهل أن يعنى بها ؟ ثم ما هى عيون الأدب المسرحى أو السينمائى التى تستحق أن تفسح لها مجلاتهم ميداناً للنقد أو العرض أو التحليل . وقد آن أن نكون صرحاء . . . فالمسرح المصرى أصبح حقيقة لا مرية فيها ، وأشرطة الصور المصرية تغزو دور الصور فى مصر خاصة وفى الشرق العربى عامة . وقد أصبح للمسرح المصرى والسينما المصرية والغناء المصرى أكبر الأثر فى التوجيه الأخلاقى والتوجيه الثقافى الحديث . ورب رواية أو شريط سينمائى للأستاذ يوسف وهبى — كائناً ما كان هذا الشريط — له من الأثر فى أخلاق هذه الأمة وفى مزاجها وفى تكييف ذوقها ما لا تستطيع أن تصنعه خمس مدارس أو عشرة أو عشرون ... ورب أغنية للأستاذ محمد عبد الوهاب أو للآنسة أم كلثوم يكون لها من الأثر فى عامة الشعب وخاصته ما لا يكون لألف مقالة من مقالات الرسالة والثقافة والمقتطف والهلال مجتمعة . . . هذه حقيقة لا يمارى فيها إلا مكابر . . . فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف تجمع هذه المجلات المحترمة الممتازة على الانصراف عن المسرح المصرى والسينما المصرية والغناء المصرى والموسيقا المصرية لا تتعرض لها بخير أو شر ؟ هل يظن رؤساء تحرير هذه المجلات — وهم قادة الفكر فى مصر وفى الشرق العربى — أنهم يؤدون وظيفتهم كاملة على هذا النحو المبتور ؟ هل صحيح أن انصرافهم عن هذه النواحى الثقافية التى لها أكبر الخطر فى تكييف نهضتنا الفكرية وذوقنا الفنى هو صدى هذا

الاستعلاء الذى أشار إليه أحد رجال الفكر الذى حاورته فى هذا الموضوع ... على أننى لست أدرى سبباً لهذا الاستعلاء ؟ أليس هو من باب وضع النعامة رأسها فى الرمال إذا حاق بها الخطر ؟ هل يمارى روساء التحرير المحترمون هؤلاء فى خطر المسرح والسينما والغناء والموسيقا على الأخلاق والأذواق ؟ ألا تستحق الأربعون أوالخمسون رواية التى ألفها الأستاذ يوسف وهبى ومثلها أو أخرجها للسينما وشهدها خمسون أو ستون مليوناً من النظارة فى مصر وفى العالم العربي ... كلمة نقد أو كلمة تقدير أو كلمة تحليل ... أو حتى كلمة تحذير من إحدى مجلاتنا الممتازة أو المتزمتة ... لا أدرى ...

ألا يستحق هؤلاء الأبطال : يوسف وهبى وحسين رياض وأحمد علام وزكى طليمات وسليمان نجيب وعباس فارس وعمر وصفى وحسين صدقى وأنور وجدى ومحمود ذو الفقار ومنسى فهمى ومحمود المليجى وأحمد جلال ومختار عثمان ونجيب الريحانى وفوزى الجزايرلى وعلى الكسار ... ألا يستحق هؤلاء أن تقدمهم مجلاتنا الممتازة إلى قرائها فتحلل لهم شخصياتهم أو تقفهم على مزاياهم أو تنقد لهم مذاهبهم فى التمثيل أو طرائقهم فى الأداء ؟

ألا تستحق أمينة رزق وزينب صدقى وفاطمة رشدى وعزيزة أمير وآسيا ودولت أبيض ومن إليهن أن تترجم لهن مجلاتنا الممتازة ، أو أن تقدمهن لجمهور قرائها بما ينبغى لنساء المسرح من عرض ونقد وتحليل ؟

ما هذا ؟ ألا يستحق محمد عبد الوهاب وأم كلثوم ورياض السنباطي والقصبجى وزكريا أحمد وعبد الغنى السيد وصفر على والنقاد والرشيدى وسامى شوا وفاضل شوا وعبد المطلب والسروجى وأحمد عبد القادر ونور الهدى ورجاء وفتحية وأسمهان ونجاة ... ألا يستحق هؤلاء أن يترجم لهم والعالم كله ينتفع بهم ويلتذ غناءهم وموسيقاهم وألحانهم ؟

إنى وأنا أكتب هذه الأسماء ألمح الابتسامات العريضة ترقص على شفاه رؤساء التحرير وعلى قسمات الكثيرين من القراء . وليست هذه الابتسامات من الغموض بحيث يخفى معناها على أحد ... إنها ابتسامات الاستعلاء . أو الاستهزاء . ما فى ذلك شك ... وهو استعلاء ظالم ... بل هو استعلاء أنانى أثر ، وأمسك عن وصفه بشىء آخر

لقد آن أن تكون مجلاتنا الممتازة صادقة فى التعبير عن مصر الحديثة . ولقد آن أن تعرف مجلاتنا الممتازة حق المسرح المصرى الحديث ، والسينما المصرية الحديثة ، والغناء المصرى والموسيقا المصرية ... هذه المظاهر الأربعة الهامة التى تصور للعالم العربى مصر الناهضة التى تتزعم ممالكه ودويلاته ، وتصدر إليها الفكر الجديد والثقافة الجديدة . ليكن بعض رجال هذه الفنون كما وصفنا فى هذا المقال ؛ ولكن لتكتب مجلاتنا عنهم لتقوم اعوجاجهم ، ولترد إليهم كرامتهم ، ولتصل أسبابها بأسبابهم ، فإنه إذا استمرت تلك القطيعة بينها وبينهم وبين رجال الفنون على هذا النحو صار سواء أصدرت مجلاتنا تلك عن القاهرة أو عن مكة أو عن دمشق أو عن بغداد أو عن صنعاء . وربما جاء يوم تصبح فيه مجلاتنا صحائف أرثوذكسية لا تعبر عن شخصيات العصر الحديث ... ولست أدرى لماذا ألغت الرسالة باب الفنون وباب الموسيقا والموسيقيين وقد كانا من أجمل أبوابها ؟

هذه كلمة سريعة وربما كان لنا عود إلى الموضوع .

دريني خشبة

خيـــال الرافعى

[هدية إلى روح الرافعى فى ذكرى وفاته]*

للأستـاذ عمر الدسوقى

إذا تحامت الأقلام القديرة النقادة تراث الرافعى حتى اليوم ، ولم تحاول عرض ما فيه من نفائس ومجائب على جمهرة المتأدبين فى العالم العربى ؛ ليـكون لهم ينبوع إشعاع يلهم ألبابهم ، ويستثير عقولهم ، ويستحث خيالهم ، ويحكم بيانهم ؛ وإذا لم يتقدم بعدُ الناقد الضليع ، والكاتب العبقرى الذى ينفذ إلى نفسه العميقة ، وخياله المُغرب ، فيحلل أدبه ، ويبوئه منزلته فى سفر الخلود ؛ فما أظن ذلك عن تهاون بهذه الذخيرة الفذة ، ولـكن هيبة ورهبة وفرط إعجاب

ومعذرة إلى الإمام الرافعى إذا تطاول يراعى إلى الخوض فى أدبه ، فلقد طال – علم الله – تردده وإحجامه ، ووقف دهشاً يملكه البهر أمام هذا النور الفياض الذى هتك الخدور عن أبكار المعانى ، وهذا الذهن الثاقب الذى نفذ إلى أسرار الحقائق فتخير أطيبها عنصراً ، وأكرمها جوهراً ، وأجملها رواء ، ثم كساها البيان الساحر أكمل حلة ، فغدت فتنة المتأمل ومحراب الأديب . وإنما حفز هذا اليراع – على ضعف متنه ، ووهن عدته – لتسطير هذه الـكلمة ذكرى ارتحال الرافعى ، عليه الرحمة والرضوان ، إلى جنة الخلد . وهى نفثة إعجاب ووفاء ، وإن ضن على الزمن بمعرفة شخصه إلا أنى مدين لروحه الـكبير بالشىء الـكثير

وبعد ، فما اخترت الـكلام عن خيال الرافعى ، لأنه أبرز ما فيه ، وأجل ما خلفه ؛ ولـكن لأن الرافعى نشأ شاعراً ملهماً مشبوب الخيال ، ذا عبقرية فنية مبدعة ، وهو وإن آثر النثر فيما بعد للافصاح عما يختلج فى نفسه من فـكر ومعان ، فقد لازمه خيال الشاعر فى أكثر ما دبجه قلمه فى الأدب الإنشائى ؛ فـكثير من مقالاته الوصفية قصائد نادرة فى عالم الشعر والخيال ؛

وهو مصور قدير دقيق الحس ، يعرض لك المعنى البـكر فى أروع صورة وكأنى به عنى نفسه إذ يقول : « أما الذهن العبقرى فليس له من المعانى إلا مادة عمل فلا نـكاد نلابسه حتى تتحول فيه وتنمو وتتنوع وتتساقط له أشكالاً وصوراً فى مثل خطرات البرق »(1)

وخيال الأديب النابغة له مظاهر شتى يتمثل فيها : فإما أن يصور ما فى الطبيعة ، وينقل عنها ويحاكيها ؛ وليس سر نبوغه فى هذا النوع جودة المحاكاة وإتقان التصوير ، ولـكنه يستشف من وراء ما يحاكيه أسراراً لا تخطر إلا له ، ويختار ما لا يقف عنده إلا عين شاعر ، أو يحس جماله إلا ذوق فنان ، ثم يعرضه للناس بعد أن ينفث فيه من شخصيته وموهبته ، ويسبغ عليه من خياله وبيانه ما يجعله صورة جديدة نادرة المثال

وإما أن يكون مرآة مصقولة تنطبع فيها الصورة المختارة فتعكسها وتبرزها وحدها ؛ ويكون سر نبوغه فى حسن ذوقه واختياره ، وفى صفاء نفسه وقدرتها على إظهار الصورة خالية من الشوائب واضحة مجلوة

وإما أن يخترع ما لا وجود له فى الخارج ، ويخلق صوراً وأشكالاً هى وليدة عقله وصنع خياله ، وبمقدار ما تـكون مبتـكرة جميلة أخاذة يكون تفوقه ونبوغه

وإما أن يوازن بين صور الطبيعة بعضها وبعض ، وينظمها فى سلك ، ويأتى بالمفارقات التى تبهر العقول ، ولا تتأتى إلا لصاحب الخيال الشرود ، ومن تحسبه قد وضع الأشكال والمعانى بين يديه يؤلف منها ما يشاء ، وينتقى منها كما يشتهى

وإما أن يوضح المعنويات بالمحسوسات ، ويضرب الأمثال التى تقربها إلى الأذهان ؛ وإما أن يتخيل فى الجماد حياة فينطقه وينسب إليه – بالاستعارة والمجاز – أفعال الأحياء ، ويرتفع بالطبيعة إلى درجة الإنسانية ، وكلما كانت استعاراته ومجازاته طبيعية محبوكة طريفة برهن على سر نبوغه

والرافعى رزق من سمو الخيال ، وتوقد القريحة ، وإرهاف الحس ، وكمال الذوق ، ما مكنه أن يبتـكر فى كل هذه الأنواع وأن ينمى الثروة الأدبية دون أن يجرى فى مضمار غيره من السابقين أو يسطو على معانى سواه . وإذا حاكى غيره فشخصيته

(*) انتقل المرحوم مصطفى صادق الرافعى إلى جوار ربه فى يوم الاثنين ١٠ من مايو سنة ١٩٣٧

(١) وحى القلم ج ٣ ص ٢٢١

وروحه تنفحان ما يأتي به سمة خاصة ترتفع به عن التقليد

ولقد عرف الرافعي الخيال الأدبي تعريفاً دقيقاً ، وألزم نفسه فى جل ما كتب أن تتمثله ولا تحيد عنها فيقول : « والخيال : هو الوزن الشعرى للحقيقة المرسلة ، وتخيل الشاعر إنما هو إلقاء النور فى طبيعة المعنى ليشف به ، فهو بهذا يرفع الطبيعة درجة إنسانية ، ويرفع الإنسانية درجة سماوية »(١)

وإذا كان الخيال سامياً ، والمعانى التى ينفذ إليها رائعة جديدة قيمة ، كان لا بد من صيغة تناسب ذاك الخيال وهـذه المعانى ، ولا بد من عبارة طلية قوية تزيد المعنى روعة ، والخيال جمالا . والرافعي كان معنياً بعبارته أتم العناية ، يقدها وفق المعنى ، ويأتى بها رصينة جميلة منتقاة الألفاظ ؛ وفى هذا يقول : « ودورة العبارة الفنية فى نفس الكاتب البيانى دورة خلق وتركيب ، تخرج بها الألفاظ أكبر مما هى ، كأنها شبت فى نفسه شباباً ، وأقوى مما هى كأنما كسبت من روحه قوة ، وأدل مما هى كأنما زاد فيها بصناعته زيادة »(٢)

ويقول : « والكاتب الحق لا يكتب ليكتب ، ولكنه أداة فى يد القوة المصورة لهذا الوجود تصور به شيئاً من أعمالها فناً من التصوير »(٣)

أقرأت مقالة « الربيع » فى (وحى القلم) ! ألا تحس كأن الرافعي اتحد بالطبيعة ، وفهم لغتها ، فجاءت إليه بأسرارها ثم جاء يترجم عنها فنقل مالم يتح لكاتب قبله ! . إسمعه يقول : « خرجت أشهد الطبيعة كيف تصبح كالمعشوق الجميل لا يقدم لعاشقه إلا أسباب حبه ، وكيف تكون كالحبيب يزيد فى الجسم حاسة لمس المعانى الجميلة ! »

ويقول : « لاحت لى الأزهار كأنها ألفاظ حب رقيقة مغشاة باستعارات ومجازات ، والنسيم حولها كثوب الحسناء على الحسناء ، فيه تعبير من لابسته ، وكل زهرة كابتسامة تحتها أسرار وأسرار من معانى القلب المعقدة » . ويقول : « ويكون الهواء كأنه من شفاه متحابة يتنفس بعضها على بعض »(٤)

(١) مقدمة وحي القلم الجزء الأول
(٢) مقدمة وحى القلم الجزء الأول
(٣) مقدمة وحى القلم الجزء الأول
(٤) وحى القلم الجزء الأول

ولا يتسنى لى فى هـذه الكلمة الموجزة أن أحلل وأعلق وأبين مطارح الجمال فى عباراته وخياله ، وحسب القارىء أن يتأمل ويتذوق ويحكم . إن الرافعي تمثل الطبيعة عاشقة جميلة ترضى حبيبها ، ولها من القـدرة والغنى ما يمكنها من إرضائه ، بل لا يظهر منها إلا ما يرضيه ويفتنه ؛ وتأمل قوله : « أسباب حبه » وفسرها كما تشاء ، وعلل لماذا اختار الرافعي هذه الكلمة دون سواها ؛ ألأن أسباب الحب شتى من عطف وجمال وزينة وإبهاج ...

وانظر كيف رأى الأزهار « ألفاظ حب رقيقة » ، وهل رأيت تشبيهاً أحلى وأرق وأوفق من هـذا التشبيه ؟ أولا تراه لا يزال على خياله من أن الطبيعة حبيبة تبادله ألفاظ الحب الرقيقة على لسان أزهارها المختلفة الشكل واللون والشذى ؟

ثم تأمل كيف يصور الشتاء فيقول : « وكانت الشمس فى الشتاء كأنها صورة معلقة فى السحاب ، وكان النهار كأنه يضىء بالقمر لا بالشمس ، وكان الهواء مع المطر كأنه مطر غير سائل ، وكانت الحياة تضع فى أشياء كثيرة معنى عبوس الجو ، فلما جاء الربيع كان فرح جميع الأحياء بالشمس كفرح الأطفال رجعت أمهم من السفر ! »

تالله إن هذا وصف يفسده الشرح وأولى به أن يترجم ويذاع بين أمم الأرض ليبرهن على أن الأمة العربية لم تصب بالعقم فى الخيال كما يدعى المفترون ، وأن فيها أمثال شكسبير ، وجيته ، وهوجو ، وأناتول فرانس .

أقرأت مقالة « عرش الورد » فى زفاف ابنته ؟ ألا ترى أنه يستشف من وراء الموصوفات أسراراً لا يقف عليها إلا العباقرة الملهمون ؟

إسمعه يصف تاج الورد الذى عقد حول عرش العروسين : « وتنظر إليه يسطع فى النور بجماله الساحر سطوعاً يخيل إليك أن أشعة من الشمس التى ربت هذا الورد لا تزال عالقة به »

أو اسمعه يصف لون الكرسيين اللذين نصبا على العرش : « ويكسوهما طراز أخضر تلمع نضارته بشراً ، حتى لتحسب أنه هو أيضاً قد نالته من هذه القلوب الفرحة لمسة من فرحها الحى »

ليت شعرى ! أكانت للرافعي حاسة زائدة يقف بها على هذه

الأشياء فيرى أشعة الشمس لا تزال عالقة بالورد وسط الليل ، ويلمس فرحة الطرلز الأخضر ، أم هو خيـاله الخصب ونشوة السرور صوّرا له ما رأى !

ويقول : « وأقبل العذارى يتخطرن فى الحرير الأبيض كأنه من نور الصبح ، ثم وقفن حافات حول العرش حاملات فى أيديهن طاقات من الزنبق ، تراها عطرة بيضاء ناضرة حيية كأنها عذارى مع عذارى »

وما أشبه الزنبقة بالعذارى الهيفاء فى لينها ، وهيفها ، ونضارتها ورائحتها وطهارة قلبها !

وماذا عساى أن أقدم إليك من هذه القصيدة الثالية ، وحسبى ما اقتطفت منها وعليك بالرجوع إليها والوقوف لديها مليا ؛ لتحملك على أجنحة الخيـال إلى عوالم من السحر والفتنة والفن ...

أقرأت مقال « البحر » و « الربيع الأزرق » ، تأمل فى قوله : « والقمر زاه رقاف من الحسن كأنه اغتسل وخرج من البحر » ، وقوله : « نظرت إلى هذا البحر العظيم بعينى طفل يتخيل أن البحر قد ملىء بالأمس وأن السماء كانت إناء له فانكفأ الإناء فاندفق البحر ، وتسرحت مع هذا الخيال الطفلى الصغير فكأنما نالنى رشاش من الإناء »

وقوله : لطف الجمال صورة أخرى من عظمة الجمال ، عرفت ذلك حينما أبصرت قطرة من المـاء تلمع فى غصن نخيل إلى أن لها عظمة البحر لو صغر فعلق على ورقة »

وقوله : « الحياة فى المدينة كشرب الماء فى كوب من الخزف ، والحياة فى الطبيعة كشرب الماء فى كوب من البلور الساطع ، ذاك يحتوى المـاء ، وهذا يحتويه ويبدى جماله للعين ...

هذه صور من ذياك الخيال الفريد الفياض فيها ابتكار ، وفيها جمال وفيها دقة وروعة ؛ وأ كتفى بعرضها فهى غنية عن التوضيح ، ولعلها تنبه بعض أدبائنا إلى ما عليهم من التبعة إزاء هذا الأدب الرفيع .

محمد الدسوقى

خواطر على شاطئ النيل

إذا أثقلتني هموم الحياة   وناء بها كاهلى المرهف
وضقت وضاق بقلبى مداه   على شاطئ النيل لى موقف
بفيض السكينة فى خاطرى

هنالك والماء ضاحى الجبين   بوجه ضحوك المحيا طروب
تخالجنى غبطة المستهين   بدنيا شرور ودنيا لغوب
تغيب عن القلب والناظر

جرى الخصب حيث جرى والجمال   فلا بدع أن تخصب الأنفس
إذا قهرتها صروف الليالى   ففى شاطئيه لها متنفس
بفرج من همها القاهر

أب أنت يا نيل منذ الأزل   فلى فى لقائك عطف الأب
إذا غاب عنى حنان الأمل   فحسبى حنانك من مأرب
تطيب به مهجة الشاعر

سعادة قلبى معى ههنا   ترفرف فوق صفاء المياه
إذا رمتها لم يحل بيننا   ظلام الجدود وعسف الطغاه
هى الملك فى راحة الظافر

وإن أقبلت راقصات النسيم   تصافح موجك فى موكب
تدب فى النفس وجد مقيم   يشاطرها نشوة المعجب
ويرقص فى أفقها الساحر

تزاحم قوم لأجل المحال   وكدوا ولكن بلا آخر
وفى وقفة تحت ظل الخيال   جمعت السعادة فى خاطرى
على شاطئ بالمنى زاهر

محمد طاهر الجبلاوى

من أزهار الشر (*)

لشارل بودلير

إلى عذراء

« نمذج بروح أسبانية »

إننى أود أن أشيِّد لك ، أيتها العذراء عشيقتى ، حرماً سارباً فى قرارة بؤسى ، وأن أحفر لك فى سويداء قلبى ، بعيداً عن الشهوة الدنيا والنظرة الساخرة ، محراباً لونه من زرقة السماء ، وزينته من الذهب لتنصبى نفسك فيه أيها التمثال الرائع

وسأضع لهامتك تاجاً فخماً من أشعارى المصقولة ، مضفراً بأسنى المعادن ثم أرَصِّعه بقواف بلورية

وفى غيرتى سأحيك لك ، أيتها العذراء الفاتنة ، معطفاً متصلباً ثقيلاً ، على الطراز الهمجى ، ثم أبطنه بالشك ليكون كلاذ يحمى محاسنك الفاتنة

ولن أزيِّن هذا المعطف باللآلئ بل بكل مدامعى !

وسيكون رداؤك شهوتى المرتعشة المتموجة ، شهوتى التى تعلو وتُسف فتتأرجح على الذرى وتستقر فى الوهاد ، كما تغمر جسدك الناصع الوردى بقبلة واحدة

وسأصنع لك من إجلالى واحترامى نعلين من الأطلس نطأهما قدماك القدستان فتضمهما ضمة لينة كقالبين وفيين يحتفظان بآثار إذلالهما

وإذا عجزت ، رغم مهارتى وفنى ، أن أصوغ لك قمراً فضياً كدرج تخطرين عليه . فسأُلقى تحت قدميك ، أيتها الملكة الظافرة التى تُفدى بسخاء ، الحية التى تنهش أحشائى لتسيرى عليها عابثة بهذا الوحش الذى يطفح بالبغضاء واللعاب

وستلمحين خواطرى مصطفات أمام مذبح ملكة العذارى الساطع التألق ، تمكس أشعتها على الفناء الأزرق فترصعه بالنجوم وهى ترنو إليك بلحاظ من الهيب

ولما كانت كافة جوارحى تحبك وتعجب بك فإنها ستتحول

(*) أنظر العددين : (٥٠٠) و (٥٠١) من الرسالة



حول معركة الآزور

عند ما قرأت نقد الأستاذ محمد التونسي لما نشرته من ترجمة قصيدة معركة الآزور لألفريد تنيسون ، أحسست برغبة يسيرة فى ولوج باب مثل هذا النقاش اللغوى الذى ما أراه ينتهى ... والذى أخشى أن أقول إنه أقرب إلى اللجاج والمماحكة منه إلى البحث اللغوى الصحيح .

على أنى أكتفى هنا بمناقشة الفقرة الأولى من كلامه فقط ؛ ليصحَّ عنده أن هذا النقد الذى أورده أوهنُ من أن يثبت لدى النقاش عند التمحيص ، فأقول : قلتُ فى ترجمة المطلع :

At Flores in the Azores Sir Richard Grenville lay;

كان السير رتشارد جرانفيل مرفئاً بسفينته إلى جدةٍ من جدد شاطئ الفلورز ... وقال الأستاذ : بينما كان السير رتشارد جرانفل عند فلورز .

فكأنه يستكثر علىَّ قولى : مرفئاً بسفينة إلى جدة ... وأنا أسأله بدورى : أين ترجمة الفعل lay فيما كتب ؟

إن الذى يستكثره علىَّ هو ترجمة هذا الذى نسيه ، مع شىء من التوضيح لمعناه .

وقلتُ : عند ما أقبل زورق ذو مجاديف يهوى من بعيد كأنه الطائر يزف بجناحيه ... فقال الأستاذ : إذ أقبل من بعيد زورق حربى يخفق خفقان الطائر . والخلاف فى صفة الزورق هل هو حربى أو ذو مجاديف ؟ وإذا رجعنا إلى معنى كلمة Pinnace فى المعاجم الإنجليزية وجدناه هكذا ، وبنفس الترتيب : مركب صغير له مجاديف وأشرعة ـ زورق ذو ثمانية مجاديف (غالباً) ـ زورق حربى .

لكن لا يظن الأستاذ أنه ساوانى هنا فى فهم المعنى ؛ فإن فى اختيارى المعنى الذى فيه ذكر المجاديف دون غيره ، التفات إلى قصد الشاعر من تشبيه الزورق بالطائر ! إذ أى شَبهٍ يرمى إليه إن لم يكن يقصد هذه الحركة التى تحدثها المجاديف ، مما يشبه حركة أجنحة الطائر عند طيرانه ؟

وقلت : وارتفع صوت من داخله يقول : السفن الحربية...الخ فحذف الأستاذ الجملة الفعلية برمتها « وارتفع صوت ... الخ » وهى كلام ليس له ذكر فى أصل القصيدة ؛ ولكنى أعجب للأستاذ كيف يشوه الأساليب العربية بمثل هذه السهولة ...

إن مَقُول القول لا بد أن يُسبَق فى كل كلام منثور بالإشارة إلى القائل . ولكن قد يُتجاوز عن ذلك فى الشعر فقط نظراً لضروراته المختلفة . ألا ترى إلى الأستاذ على محمود طه كيف يقول فى قصيدته حانة الشعراء (عدد ٥١٢ من الرسالة) :

زنجيةٌ فى الفن تحتكم ؟ قد ضاع فن الخالدين سُدى !

وهذا كلام يقوله على لسان روّاد الحانة دون أن يرى ضرورة النص على ذلك . ولكن عند ما يجد فى الجواب أن الأسلوب يُسعده على ذكر اسم المتكلم ، يذكره فيقول :

فأجابت الحسناء تبتسم : الفن روحاً كان ؟ أم جسداً ؟ الخ

فإذا كان تنيسون قد أعفى نفسه (فى هذا الموضع فقط) من الإشارة إلى القائل نظراً للضرورة الشعرية ، فليس ثمة ما يعفى المترجم الناثر من أن يوضح الكلام فيقول « وارتفع صوت من داخل الزورق يقول » . وكان بودى أن أناقش سائر النقط التى

إلى عود وبخور ولبان ومُر ، وستستمر روحى العاصفة تصعد كالبخار إليك أيتها القمة الناصعة المكللة بالصقيع

ولكى تكونى فى النهاية ، عذراء كريم ، ولكى تمزجى ، أيتها اللذة السوداء الهوى بالوحشية ، سأصنع مثل جلاد يشعر بالندامة سبعة أسنة مشحوذة من الكبائر السبع [1] ، ثم أتخذ — كمشعوذ لا يُحس — أبعد أغوار حبك هدفاً ، فأطعنها جميعاً فى فؤادك الخافق ، فى فؤادك الناشج ، فى فؤادك الذى يسيل منه الدم ... !

ترجمة

عثمان على عسل

---

(١) الكبائر السبع فى المسيحية هى : التكبر والحسد والبخل والشبق والنهم والغضب والكسل وهى تعتبر مصدرا لجميع الآثام التى يرتكبها الانسان

أوردها الأستاذ ؛ ولكن صفحات الرسالة لا تتسع لمثل هذه المناقشات اللفظية ، فأرجو أن يعاود الأستاذ النظر فيما كتب على ضوء هذه القاعدة ؛ وهي أن الترجم مقيد بالأفكار وبالمعاني ، بل وأكثر من هذا بالروح الشائع في القطعة المترجمة ؛ ولكنه مطلق الإرادة فيما سوى ذلك من الألفاظ والأساليب والتعبيرات ، تلك التي لا تزيد على كونها أوعية خارجية للأفكار والمعاني .

(جرجا) محمود عزت عرفة

الكلمة الأخيرة في ضبط الخلاف بين العربية والعامية

قرأت في العدد (٥١٣) من الرسالة ، رد الكاتب الفاضل (...) على ردى عليه بالعدد (٥١٢) . وفيه يقول : إننى حكمت باستحالة الضبط المذكور ، بينما أتيت بضابط لهذا الخلاف !...

وردى عليه الآن أن لفظ مستحيل في عنوانى ، ينصب على رأيه الجديد في ضبط الخلاف ، لا على الضابط الذى نقلته عن العلماء ، والذى عليه المعول في التمييز بين العربية والعامية ، منذ ١٣٤٢ عاماً هجرياً بوجه التقريب ! وعلى ذلك فلا تناقض في كلامى كما ادعى

وقوله : إن ردي لا يمت بصلة إلى عنوانه ، لا أجد أسطع برهان على دحضه غير إحالة القراء على الرد في العدد السالف الذكر ...

أما قول الفاضل : إن ردى عليه ينقل الضابط المتواضع عليه بين العلماء ، مصادرة لا تصلح في مقام الرد ، فالجواب عليه أنى اعتبرت هذا الضابط مجمعاً عليه عند العلماء الذين يؤخذ بآرائهم في مثل هـذا الشأن . فإذا جاء أحد العلماء أخيراً برأى جديد متطرف ــ عد هذا الرأى خارجاً على الإجماع ، فلا يعتد به . إذن فليس هناك مصادرة ، وإنما ذلك نقض للاقتراح من أساسه

وقد تخلص الفاضل من إلزاماتى الموجهة إليه بما لا يجديه نفعاً ، ولا يشفع له عند أهل النظر !

وبعد فقبل أن يقول المجمع كلمته في قيمة هـذا الاقتراح أظن أن الجدل بيننا قد يطول ، فأرى أن نتحاكم إلى القراء في أينا على صواب فيما يقول . وما أكثر قراء الرسالة من العلماء والأدباء ، فإليهم نطلب الكلمة الأخيرة .

عبد الحميد عنتر

زهر وخمر

ذلك عنوان الديوان الجديد الذى أخرجه للعالم العربى شاعر اللذة والجمال، وعاشق التيه والضلال ، ونَجِىُّ الأرواح والأشباح ، الأستاذ الكبير على محمود طه ؛ فكان ببديع خياله ورقيق نسجه وأنيق وشيه وبارع تصويره وجمال طبعه ، طاقة عطرية من ألوان الربيع ، ومجموعة عبقرية من ألحان الحب ، ونشوة علوية من رحيق الشباب ، لا يزال العقل والذوق والشعور منها على لذة لا تنقطع ، ومتعة لا تنفد

وإن إخراج هذا العمل الفنى البارع في وسط هذه الزعازع الحربية والاقتصادية والسياسية دليل على خلوص العقيدة الفنية في نفس الشاعر . وإن القيثار الذى لا تضطرب به اليد ولا يتهدج عليه الصوت في هذا البحران المالى ، شاهد على صلابة العود وسلامة الطبع في الفنان

يشتمل هذا الديوان الجميل على عشرين قصيدة من آيات الشعر ومبتكراته ، تستطيع أن تتخيل طرافة موضوعها من وحى هذه العناوين : ليالى كليوبطرة ، ميلاد زهرة ، حانة الشعراء ، سارية الفجر ، أغنية الحب ، حديث قبلة ، خمرة الشاعر ، المدينة الباسلة ، حلم ليلة الهجرة ، ليلة عيد الميلاد . الخ .

وقد عرضنا عليك نماذج من هذا الشعر الرائع في بعض أعداد الرسالة ؛ وهى نماذج خليقة أن تغريك باقتنائه ومطالعته . والديوان يباع في جميع المكاتب المعروفة وثمنه عشرون قرشاً .

شعر منشور !

نشرت مجلة الثقافة في عددها الأخير قصيدة للأديب مصطفى محمد الشكعة بكلية الآداب هالنى منها ألا ترتفع العين من خطأ في الوزن فيها إلا لتقع على خطأ . وإلى القارئ الفاضل ما علق بالفكر منها :

هاجنى الشوق والولوع اشتياق (حائر ساهر في سماء القلوب)

وقال أيضاً منها :

إيه يا قلب كم قضيت الأمانى (راقصاً صادحاً كالهزار الطروب)

والقصيدة من بحر الخفيف وهو (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن)

وإذن فالشطرتان اللتان بين القوسين خطأ يبده المتأمل لأول نظرة . وليس هذا فقط بل إن في البيت الآتى (واواً) زائدة وهو :

مجمع الصحب والأحبة والخلا ن(و)مأوى لكل فكر خصيب

والأعجب من كل ذلك هو هذا البيت الغريب التركيب والوزن:

(عصف الدهر بالكؤوس وبالمحراب والحـ
سان والرجاء الرطيب)

وبعد فجدير بالمبتدئ أن يتمهل ولا يتعجل النشر؛ وحقيق بالناشر أن يتأمل فيتجنب الزلل .

حسين محمود البشبيشى

رواية «زينات» تأليف الأستاذ حسين عفيف

هى قصة حب عذرى حوت من الغزل أرقه ومن الخلق أقومه ومن المواقف أعنفها ، كل ذلك فى أسلوب هو إلى الغناء أقرب ، وجمل حالمة تهز النفس هزًّا .

مغزاها أن الإنسان فى هذه الحياة إنما يكفِّر عن ذنوب لم يجنها . ويحاول المؤلف تعليل ذلك فيقول : « فهل تُرى نكفر عن ذنوب نجهلها ، اقترفناها فى عوالم سابقة ، وعاشت فينا خلال حيوات وموتات عدة ، حتى إذا ما آن أن نتطهر منها ، انتهى بنا المطاف إلى هذا المبكَى لنغتسل عليه ؟ »

وفى سياق الوصول إلى هذا المغزى الرهيب ، تعرض الرواية لمشكلات اجتماعية خطيرة كمشكلتى الفقر والزواج ، ومشاعر إنسانية دقيقة كالتضحية والصراع بين الروح والجسد .

ومن جميل ما جاء فى هذه الرواية قول زينات لمختار قبيل سفرها : « أذا كرى أنت يا مختار ؟ »

فيجيبها : « وما شغلى غيرك ؟ نعم سأذكرك يا زينة . سأذكرك كلما غرد طائر ، فأبلغنى منك رسالة ، أو نشرت زهرة عطرها ، فنشقتُ فيه أنفاسك . سأذكرك كلما سمعت حديثك فى خرير الجدول ، أو أنصتُّ لقهقهة شعرك فى حفيف الغصون . سأذكرك فى كل وقت ، وأراك فى ركاب كل شىء جميل : فى مواكب الضياء التى يجرجرها الصبح ، وفى القمر المطل على المروج مساء ، سأراك ، نعم سأراك يا زينات . »

فتجيبه : « وأنا أيضاً سأذكرك . وسأبعث إليك بشوق الجريح فى مغرب كل شمس . وبالتحايا مع الطيور العائدة إلى أوكارها . فإذا ما رأيت الدماء فى الشفق تسيل ، فاعلم أنها أشواقى . أو طرق سمعك نوح حمامة ، فاعلم أنه بثى ترجِّمه . وسأقطف الأزهار فى الصباح ، وأضعها فى الجدول ليحملها إليك . وأضمخ بالعطر النسيم السارى ليملأ به جوك . إرقبنى يا مختار فى كل شىء . وانظرنى فى كل شىء . وإذا ما رأيت كوكباً يتهاوى ، فاعلم أننى خررت صريعة حبك ، ولا ترقبنى بعد ذلك . »

والرواية كلها تكاد تكون على هذا النسق . وهى وإن أغرقت أحياناً فى الخيال ، إلا أن جوّها الساحر الذى يوقعك تحت سلطانه ، ينسيك ذلك . كما أن أصحاب المزاج الشعرى يجدون فيها بغيتهم . ولقد فازت فى مسابقة القصة التى أجرتها وزارة المعارف ، كما عنيت بنشرها مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

(م . ع)

حكم فى الجنحة العسكرية ن ٩٠ بندر المنيا سنة ٩٤٣ بجلسة ١٩ ـ ٤ سنة ١٩٤٣ بحبس حسن محمد حسن من بندر المنيا ثلاثة شهور شغل وغرامة ١٠٠ جـ لحيازه كمية سكر تتجاوز حاجاته العادية لاستهلاكه هو وأسرته.

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 515

Lundi - 17 - 5 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥١٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٧ مايو سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
٣٨١	السعادة بعد الحرب ...	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٣٨٤	السياسة التوجيهية العلمية في الأزهر	الأستاذ محمد محمد المدنى ...
٣٨٧	الحديث ذو شجون ...	الدكتور زكى مبارك ... ...
٣٩٠	الأدب « المهموس » .. والأدب الصادق	الأستاذ سيد قطب . . ...
٣٩٣	ليلى والمجنون	الدكتور محمد مصطفى ...
٣٩٦	أغرودة الليـل	للشاعر « جان ريشبان » ... بقلم الأستاذ عبد العزيز العجيزى
٣٩٧	إلى زهرتى اليتيمة [قصيدة]	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٣٩٨	إلى الأستاذ دريني خشبة	الأديب حافظ القاهرى ...
٣٩٨	إلى الأستاذ العلامة الشيخ محمود شلتوت	الأديب محمد عبد الفتاح محمود الحسن
٣٩٩	إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوى	الأديب حافظ عبد النبي ...
٣٩٩	أرواح وأشباح على المسرح	.. . .
٣٩٩	كلمة أخيرة أيضاً فى ضبط الخلاف بين العربية والعامية	(...) ... ...
٣٩٩	تراجم المعاصرين	الأستاذ سهيل إدريس ...
٤٠٠	تصحيح أجزاء بحر الخفيف	الأديب عبد الفضيل يوسف رجب
٤٠٠	جماعة نشر الثقافة	... ...

السعادة بعد الحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

طريقة الاستجواب فى القضاء الإنجليزى معروفة يذكرها الذين حضروا المحاكم العسكرية بمصر أو قرأوا محاضرها ، وهى طريقة يذهب فيها القضاة والمستجوبون مذاهب مختلفة ، فيبيح بعضهم الإطالة فى الجواب ، ويشترط بعضهم أن يقتصر الجواب على كلمة واحدة بالإثبات أو النفى أو الامتناع : نعم أو ، لا ، أو ، ممتنع ، ولا زيادة

ويتفق كثيراً أن يتعذر الجواب بكلمة واحدة ، ويشعر المحامون بذلك فيطلبون إلى المحكمة أن تأذن لموكلهم ببعض التفصيل . وأذكر من مراجعة إحدى القضايا الهامة فى انجلترا أن المحامى اعترض على توجيه سؤال إلى موكله يتعذر الجواب عليه بكلمة النفى وحدها أو بكلمة الإثبات وحدها ، وذكر للقاضى أن بعض الأسئلة لا يجاب عليه بنعم ولا بلا دون تعقيب . فسأله القاضى مثلاً فأجابه المحامى : هبنى سألت حضرة القاضى المحترم : ألا تزال تضرب امرأتك ؟ فماذا يجيب ؟ إن كان لم يضربها قط ثم قال : « لا » ففى هذا النفى معنى الاعتراف بالضرب فيما مضى وإنكاره الآن . وإن قال : نعم فقد خالف الحقيقة . فكيف يكون الجواب بغير بيان الحقيقة بشىء من التفصيل ؟

وعندى أن هذا الجواب القاطع إذا تعذر فى الوقائع مرة فهو متعذر فى الآراء والمعانى مرات . إذ يندر فى الآراء والمعانى ذلك الفصل الجازم بين النفى والإثبات . وتكثر فيها المواضع التى تحتمل الجواب بنعم فى بعض الأحيان وبلا فى أحيان أخرى

ولكنى سئلت منذ أيام جملة أسئلة يتقيد فيها الجواب بكلمة واحدة ، ومنها : هل يصبح العالم بعد الحرب أسعد مما كان قبلها ؟

فقلت : نعم . لأنه أصدق جواب فى كلمة واحدة ، لا لأنه أصدق جواب على الإطلاق

أما الجواب الأصدق الأوفى فهو مزيج من القولين يتراوح فيه الإثبات والنفى تارة إلى الزيادة وتارة إلى النقصان فى أكثر من مكان

فالذى أعتقده أن العالم سيتقدم بعد الحرب فى سبيل الحرية ، وأن الحرية نعمة وتبعة فى وقت واحد . فمن حيث هى نعمة فهى ولا ريب سعادة ينعم بها الإنسان ؛ ومن حيث هى تبعة فهى ولا ريب باب للهموم والشواغل وقرينة للعناء الذى ينغص من سعادة السعداء

كل تقدم فى الحياة فقياسه الأصدق الأوفى عندى زيادة التبعة لا زيادة السعادة

الرجل أقدر على التبعة من الطفل ، والعالم أقدر على التبعة من الجاهل ، والقوى أقدر على التبعة من الضعيف ، والعظيم أقدر على التبعة من الصغير ، وهكذا فى كل باب من أبواب التقدم بغير اختلاف وبغير استثناء

أما مقياس السعادة فقد يختلف فيه هذا القياس أبعد اختلاف : قد يكون الطفل أسعد من الرجل ، وقد يكون الجاهل أسعد من العالم ، وقد يكون الضعيف أسعد من القوى ، وقد يكون الصغير أسعد من العظيم ؛ بل هذا على الجملة هو الأقرب إلى الواقع والمعهود

فالمرجو من عواقب الحرب أن يزداد نصيب الناس من الحرية ، وأن يزداد نصيبهم إذن من التبعة ، وهنا موضع المزج بين النعمة والعناء ، وبين زيادة الرجاء وزيادة المخاوف والقلقات

لكننا نحصر المسائل الكبرى التى يرجى أن يتناولها التغيير النافع بعد الحرب الحاضرة لنحصر موارد الخير والشر فى المستقبل القريب جهد المستطاع

فلا نخالنا ننسى شيئاً كثيراً إذا حصرناها فى ثلاث مسائل كبريات تشتمل على شتى الصغائر والفروع ، وهى مسألة التجارة العالمية ، ومسألة البطالة ، والمسألة النفسية الأخلاقية التى يتفق كثيراً أن تجلب الشقاء لصاحبها وهو فى غمرة الثروة والعمل المجيد

فمسألة التجارة العالمية كانت مورد الشر العميم من ناحية التنافس بين الدول على الأسواق وعلى الخامات

وقد نظر الأمريكيون والإنجليز فى علاج هذه المشكلة فخرجوا منها بطريقتين لا يصعب التوفيق بينهما على ما بينهما من خلاف :

طريقة الأمريكيين ، وهى تقوم على فتح الأسواق بغير تمييز بين الأمم ، وعلى تثبيت العملة العالمية بضمان من الذهب والمعادن النفيسة تشترك فيه كل أمة بالمقدار الذى يناسب طاقتها التجارية

وطريقة الإنجليز ، وهى تقوم على تعاون الأمم المشتركة فى المصالح ، وعلى تثبيت العملة العالمية بإنشاء مكتب دولى يتولى الموازنة بين الصادرات والواردات ، أو بين المبيعات والمشتريات ، على حسب الطاقة الاقتصادية التى تحتمل المراجعة والتعديل من حين إلى حين

وبين هاتين الطريقتين فرق فى التنفيذ وإن كانتا فى الجوهر أدنى إلى الاتفاق . ولكن المعول هنا على الضرورات العالمية التى لن تحكمها إرادة الأمم والحكومات . فإذا جاء دور التنفيذ فالمصلحة العالمية لها من القوة والرجحان ما يكفل لها الظهور والغلبة على كل إرادة ، وهى خليقة أن تزيل الفروق وتقارب بين المسافات

* * *

أما مسألة البطالة فالتأمين الاجتماعى الذى تتسابق الحكومات المتحالفة فى استنباط مشروعاته كفيل بتخفيف أعبائها عن كواهل الصناع والفقراء على الإجمال . وعلاج هذه المسألة ضرورة قومية فى كل أمة لا محيص عن الاهتمام العاجل بها بعد تسريح الجنود واستئناف الصناعة الانشائية للتعمير والترميم . وهذه الضرورة القومية وحدها هى التى تلجئ الدولة قسراً إلى علاج مشكلة التجارة العالمية ؛ لأن المصانع لن تدار بغير تنظيم الخامات والأسواق ، ومسألة البطالة والتأمين الاجتماعى لن تحل بغير إدارة المصانع وإعادتها إلى الإنشاء والتعمير ، وهذه الضرورة

العاجلة هى إحدى الضرورات التى قلنا إنهـا كفيلة بتنظيم التجارة بين الأسواق العالمية ، وإنها أقوى وأقدر على الغلبة والظهور من إرادة الساسة والحـكومات

***

أما المسألة النفسية أو المسألة الأخلاقية فهى فى اعتقادنا أعضل هذه المسائل وأدعاها إلى التفـكير والتدبير

ومن بواعثها الـكثيرة اختلال الأعصاب الذى ابتلى به ألوف الألوف من الجنود المشتركين فى القتال ، وابتلى به ألوف الألوف من السكان المروعين بالغارات وفقد الأعزاء

ومن بواعثها الـكثيرة اختلال التوازن بين عدد الفتيان والرجال ، وعدد الفتيات والنساء ، واضطرار الملايين من النساء العاطلات إلى المغامرة فى سوق العمل أو المغامرة فى سوق الشهوات

ومن بواعثها الـكثيرة فقد البيوت آباءها وعائليها وأركان التربية والحياطة فيها

ومن بواعثها الـكثيرة ضغائن المغلوبين وآلام المستضعفين الذين داستهم القوة وفرَّج عنهم النصر وهم لا يملـكون منه إلا التشيع والاغتباط

ومن بواعثها الـكثيرة خلو النفوس من المذاهب والعقائد التى تبددت فى الحرب الحاضرة وعجزت عن إمداد النفوس بالثقة والعزاء

وأصعب ما فى علاج هذه البواعث أنها لا تعالج بالقمع لأن كبت الأهواء هو الداء العضال لمن يصلبون بمثل هذا المصاب ؛ ولا تعالج بالإباحة لأن « المعاصى » كما قال الأباصيرى تقوى شهوة النهم ولا تشبع الشهوات

إنما تعالج هذه الآفة بالإيمان و « إحياء الروح » التى تعصم نوازع الفساد فى الأجساد

وإنما يتوطد هذا الإيمان بالإقبال على العمل المفيد ، وإقناع كل من خامره الشك فى مصير العالم بأن العالم يسعى إلى غاية مقصودة وغاية مستطاعة ولو فى مرحلة منها بعد مرحلة ، وأن الحرب لم تذهب عبثاً ولم يرجع الناس بعدها إلى مثـل ما كانوا عليه قبل فناء ما فنى وخراب ما خربَ وضياع ما ضاع وهو كثير جد كثير . فإذا وجد الناس أنفسهم بعد الحرب عاملين مجتهدين ، ووجدوا أن عملهم واجتهادهم عوض صالح لما فقدوه وأصيبوا به من الخسائر والقلق والعذاب ، وأيقنوا أن الطامة الكبرى لم تذهب عبثاً فى غير مغنم وفى غير صلاح وإصلاح ، وأن داء الإنسانية ليس بالداء العضال الميئوس منه أبد الزمان ، ففى هذا وأشباهه من دواعى الإيمان والعقيدة ما يبعث العزاء ويشحذ الهمم ويعصم الأرواح من مزالق الشهوات

وهنا تدور الحلقة المفرغة التي لا يُدرى أين طرفاها . فاذا عولجت مسألة التجارة العالمية عولجت مسألة البطالة والتأمين الاجتماعى . وإذا عولجت هاتان المسألتان ثابت النفوس إلى التفاؤل بمصير العالم وتهيأت القلوب للتصديق بغاية شريفة فى الحياة ، وظفر المصلحون النفسانيون ببلسم الجراح وأكسير الأمل وعنصر العقيدة التى تؤيدها المشاهدات العيانية ومطامح الآمال

ولك أن تقول إن النفوس إذا صدقت عملت وانشرحت لعملها ، وإذا عملت وانشرحت لعملها لم تتعاظمها المصاعب ولم يعسر عليها تفريج الأزمات وفض المشكلات

فهما قولان متقاربان

وليس من الضرورى أن نعرف أين الابتداء وأين الانتهاء فى هذه الحلقة المفرغة . فإن النفس الإنسانية لن تعيش أبداً فى طور من الأطوار خلواً من المزيج الذى تتلاقى فيه دواعى العمل ودواعى العقيدة ، وبأيها ابتدأت فأنت واصل إلى نهاية تستحق عناء الوصول إليها

سيصبح العالم بعد الحرب أسعد ممـا كان قبلها ، فإن شكـكت فى ذلك فالذى لا أشك فيه أنه سيتقدم فى سبيل الحرية والتبعة وهو غنم جليل يساوى خسارته فى الحروب . ورجائى الذى يرجوه معى من يحبون الحياة ألا تقضى سعادة العالم بعد الحرب على أسباب شكواه ، لأن القضاء على أسباب الشكوى قضاء على أسباب الحركة وأسباب التجديد وأسباب الطموح إلى المثل الأعلى .

عباس محمود العقاد

حكم فى القضية ٥٤٩ سنة ١٩٤٣ وايلى بحبس جرجس رزق مرجان ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه والمصادرة وإغلاق المحل ثلاثة أيام ونشر الحـكم بجريدتى الرسالة والأهرام وتعليقه بمتجر المتهم والقسم لمدة شهرين على نفقته لبيعه عدساً بأزيد من السعر المحدد

السياسة التوجيهية العلمية
في الأزهر

للأستاذ محمد محمد المدنى

ذلكم أيها القراء هو عنوان المحاضرة التى حدثتكم عنها من قبل ، وقد كان لهذه المحاضرة شأن لا أجد بأساً فى أن أقص عليكم منه طرفا :

عجب الأزهريون أول الأمر حين سمعوا أن محاضرة بهـذا العنوان سيلقيها أزهرى فى دار أزهرية ، ثم عجبوا وازداد عجبهم حين علموا أن صاحب هذه المحاضرة هو فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت :

قالوا : هذا موضوع شائك دقيق ينبىء عنوانه عما سيقال فيه مما نعرفه ونشهد آثاره ، ولابد أن يمس الكلام فيه بعض أصحاب السلطان من قريب أو من بعيد ، وأصحاب السلطان فى كل زمان ومكان يرون أنفسهم فى منزلة من السمو ليست لغيرهم : فهم لا يحتملون فى أنفسهم ما يحتمله سائر الناس ، ولا يصبرون على ما يصبر عليه سائر الناس ؛ وهم يغالون فيما لهم من حقوق يجب أن تُرعى ، ويُغمضون عما للناس من آمال « ينبغى » أن تحقق ؛ وهم يرون من حقهم أن يشكُوا فى الناس إذا خالفوهم فى سبيل الحق والواجب ، ويرون من حسن السياسة أن يرفضوا النقد إذا كان صريحاً مسفراً ، وأن يعرضوا عن النصح إذا لم يُلفّ لهم فى أوراق من الورد والريحان ! فأىّ أزهرى يعلم ذلك ثم يعرّض نفسه لما يستلزمه الخوض فى مثل هذا الحديث ؟

فلما سمعوا اسم « شلتوت » قالوا : هذا أعجب وأغرب ! ولم يكن عجبهم إلا لأن صاحب هـذا الاسم صديق حميم لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، ونصير قوى لإصلاحه طالمـا دافع عنه ، وأشاد به وأيده بقلمه ولسانه وبحوثه العلمية ؛ وهو مع هذا وذاك وكيل كلية الشريعة ، وعضو فى مجلس إدارتها ، بل هو عضو فى جماعة كبار العلماء ، فكيف يتكلم إذن فى هذا الموضوع ، وكيف يذكر حقائقه ، ويعرض للناس وقائعه ؟

عجبوا لذلك كله أول الأمر ، وتساءلوا عنه فى مجالسهم ؛ ولـكن هـذا العجب لم يطل بهم كثيراً ، فقد تأملوا الأمر من جميع جهاته وروّوْا فيه فتبين لهم أن الذى أنكروا منه غير منكر ، وحينئذ جرت الأحاديث بينهم على نحو آخر :

قالوا : إن الكلام فى هذا الموضوع ، ولو كرهه بعض الناس ، لا بد منه لمصلحة الأزهر ولمصلحة الثقافة الإسلامية العربية . فلو كان الأزهر معهداً من هذه المعاهد المتشابهة المتكررة لهان الأمر ، ولجاز لأبنائه أن يجاملوا فيه أو يصانعوا ، ولقال الناس : معهد من المعاهد إن ضاع ففى غيره عوض منه ، ولـكن الأزهر ليس كذلك ، وإنمـا هو الجامعة الكبرى التى تعتز بها الأمة الإسلامية فى مصر والشرق ، بل يعتز بها العالم كله شرقيُّه وغربيُّه . هو الجامعة الفريدة فى نوعها ، القوية بتاريخها التى انحاز إليها تراث الفكر الإسلامى فى أجيال بعد أجيال !

وقالوا : إذا كان «شلتوت» صديقاً «للمراغى» فذلك أقرب إلى نجاح دعوته ، فإن كلام الصديق أيسر على السمع ، وأدخل إلى القلب . وإذا كان « شلتوت » نصيراً للاصلاح ، حريصاً على النظام القائم إلى درجة الدفاع عنه فذلك أنفى للتهمة ، وأبعد من الشبهة . وإذا كان « شلتوت » متصلا بالعمل ، مكابداً لشئونه فذلك أدنى إلى القسط ، وأهدى إلى الرشاد

فلتُـقل إذن كلمة الحق ، وليقلها « شلتوت » فى صـديقه ولصديقه ، وليصدع بها عالية بريئة يبتغى بها وجه الله ، وليؤثر الأزهر على صاحبه وعلى عاطفته فى صاحبه ، فإن الحق أحق أن يتبع ، وإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المؤمنين ! ولقد كان ذلك فكانت هذه المحاضرة

* * *

ولست أريد فى هذا المقال أن أثبت شيئاً من نصوصها ، فقد سمعها الناس حين ألقيت ، وقرأها الناس حين طبعت ونشرت ، وإنما أريد أن أذكر أهم المبادئ التى اشتملت عليها :

لقد مهد فضيلة الأستاذ الكبير لموضوعه بمقدمة بين فيها الغرض من الأزهر وعرض لتاريخه العلمى من يوم أن

انسلخت عنه الصبغة الشيعية التي أنشىء لتركيزها وتنميتها والقضاء بها على المذاهب الأخرى ، ووصف العلل التي ورثها عن ماضيه الطويل فصرفته عن التفكير والإنتاج وقصرته على غير النافع وغير المستقيم من عناية بالمناقشات اللفظية ، وتقديس للآراء والأفهام التي دونها السابقون ، واشتغال بالفروض العقلية والاحتمالات التي لا تقع ، وباختراع الحيل التي يتخلص بها من الحكم الشرعي ، ومن تغليب لروح التعصب المذهبي ، وتحريم لتقليد غير المذاهب الأربعة ... الخ . وبعد أن فرغ من هذا التمهيد وأيد ما ذكره بالأمثلة العلمية أخذ يفيض في موضوعه بما يرجع إلى المبادىء الآتية :

(١) كانت أول صيحة أيقظت الأزهر من نومه ، ونبهته إلى واجبه ، هي صيحة الأستاذ الإمام المغفور له الشيخ محمد عبده . « فكانت مبادئه وأفكاره بمثابة شعاع انبثق في أفق الأزهر . انتفع به من انتفع ، وازورّ عنه من ازورّ ، ولكنه مع ما قوبل به من محاولات متعددة لإطفائه ظل قويا وهاجا يجذب إليه أنظار المؤمنين ، وينفذ إلى بصائر المخلصين . . . وإن الأزهر لينتفع الآن في كلياته ومعاهده ، وفي القضاء الشرعي والإفتاء ، والوعظ والإرشاد بطائفة كبيرة من العلماء الذين تخرجوا في ظلال هذه النظم التي تستمد من إصلاح الشيخ عبده ، لهم أثر واضح في حياة الأمة من جميع نواحيها »

وفضيلة الأستاذ المحاضر ينفي بهذا فكرة ربما فهمت من عبارة ذكرها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي في مذكرته الإصلاحية التي وضعها في سنة ١٩٢٨ إذ يقول في شأن النظم التي تقدمت إصلاحه : « وإني أقرر مع الأسف أن كل الجهود التي بذلت لإصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة تذكر في إصلاح التعليم ، وأقرر أن نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه ! »

(٢) إن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي قد وضع في عهده الأول مذكرته الكبرى في إصلاح الأزهر « تلك المذكرة التي لا نعلم مثلها في تاريخ الأزهر — حديثه وقديمه — قوة وفهماً وإدراكا للعوامل المختلفة المحيطة بالأزهر ، والتي جعلها برنامجه في الإصلاح المنشود ، ودستوره الذي عاهد الناس على أن يسير على مبادئه في النهوض بالأزهر وإعلاء شأنه ، وتحقيق آمال الأمة الإسلامية فيه » « تلك المذكرة التي علقت عليه الأمة من أجلها آمالها الكبرى في إعلاء شأن الدين وإنهاض أهله »

وهو يرى في هذه المذكرة رأيا مميناً في الكتب المعقدة « التي لها طريقة خاصة في التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية »

ويرى فيما يختص بدراسة الفقه أنه « يجب أن يدرس دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة ... الخ »

ويرى في دراسة التفسير كذا ، وفي دراسة الحديث كذا ، وفي دراسة اللغة العربية كذا ... إلى غير ذلك مما سجله في مذكرته

ولقد مضى على هذا الإصلاح أمد هو فيما يرى المصلحون غير قصير ، ونحن مع ذلك لم نزل حيث كنا ، وإن حدث اختلاف في بعض الصور والمظاهر :

« لم نزل كتبنا هي الكتب المعقدة التي لها طريقة خاصة في التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية »

« لم نحاول أن نقرب للناس ولا لأنفسنا هذه الكتب ، ولم نحاول أن نأخذ النافع منها لنعرضه عرضاً يروج عند أهل العصر »

« ولم نزل ننفق أوقاتنا الثمينة في المناقشات اللفظية ، وفي خدمة نصوص المتون وعبارات المؤلفين »

« ولم نزل نشغل أنفسنا بالفروض الفقهية كما اشتغل بها السابقون . ولم نزل نحس ثقل العلم ولا نجد في أنفسنا اندفاعاً إلى تحصيله ، ولا رغبة في المثابرة على طلبه . ولم نزل نحضر العلم حضوراً زمنياً لنقطع به أعوامنا الدراسية عاماً في إثر عام »

« ونحن لا نقرأ من المقررات إلا نسباً ضئيلة تافهة لا تكوّن ملكة ولا تعد تحصيلاً »

٣ — يقرر المحاضر أن هذه الحالة المؤسفة هي حالة الأزهر الواقعية ، وأن فضيلة الأستاذ الأكبر وجميع معاونيه يعلمونها فيقول « هذه حالتنا التوجيهية الواقعية ، وهي حالة عامة تشترك

فيها الكليات جميعها على اختلاف بينها فى النسب ، وهى مسجلة فى التقارير التى تقدمها لجان الامتحان إلى الرياسة العامة إثر كل امتحان ، وفيها يقول حضرة صاحب الفضيلة أستاذنا الأكبر : وهناك أمثلة ظاهرة العوار فى قراءة المقررات تعلمونها كما أعلم ، وتشعرون بأنها أمثلة سيئة لا يجوز أن تبقى مائلة » ولكنها مع ذلك بقيت مائلة ، وازدادت سوءاً

٤ — يقرر فضيلة المحاضر « أن من المؤلم له أن يصرح فى موقفه هذا بأن جهوداً كثيرة بذلت فى سبيل إصلاح هذه الحالة ، ولكنها لم تقابل بإخلاص ولا تضافر على تنفيذها ، فماتت تلك الجهود ، واستمرت هذه الحالة »

وهذا تصريح خطير من رجل مسئول . ولعل فضيلته يفصل للناس ما أجمله فيه حتى يعلموا : من هم المسئولون عن موت تلك الجهود !

٥ — يقرر فضيلة المحاضر « أن العامل الذى وقف بالأزهر هذا الموقف لا يرجع إلى الطلاب ولا إلى الأساتذة ، فإن هؤلاء جميعاً خاضعون لنظام يظلهم وتوجيه يوجههم . ولا يمكن أن يرجع إلى المناهج ، لأن المناهج فى جملتها قوية صالحة لتخريج نوابغ من العلماء فى الفقه والتشريع وفى غير الفقه والتشريع » وإنما يرجع إلى أن الإصلاح لم ينفذ بالروح التى وضع بها ، ولم يتعهد حتى يؤتى ثماره ، ولم يتهيأ له ما ذكره فضيلة الأستاذ الأكبر فى مذكرته الإصلاحية حيث يقول :

« يجب أن تكون الخطوة إلى ذلك الإصلاح خطوة جريئة يقصد بها وجه الله تعالى ، فلايبالَى بما تحدثه من ضجة وصراخ ، وقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة »

ويقول فضيلة الأستاذ المحاضر : « وإلى أن تحدث هذه الخطوة الجريئة التى يقصد بها وجه الله ، ولا يُبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ سيبقى الأزهر فى عزلته عن الأمة ، لا يسعفها بحاجتها ، ولا تقدره فى وجوده ولو سُنَّ له ألف قانون ! »

***

أما بعد :

فهذه هى المحاضرة التى وعدتكم بها — أيها القراء — كمثال من أمثلة الظاهرة الجديدة التى ظهرت فى الأزهر هذا العام ، وقد تبينتم منها حالة الأزهر الواقعية ، وسياسته التوجيهية ، ولو كان فضيلة الأستاذ الأكبر لا يعلم ، أو كان مع علمه لا يرى أن يعمل ، أو كان مع عزمه لا يقدر ، لكان الأمر مفهوماً ؛ ولكن فضيلته يعلم هذه الحالة حق العلم ، ويعترف بها فى أحاديثه وكتبه الرسمية ، ويَعِد من يكلمه فيها بأنه سيتدار كها ويسرع إلى إنقاذ الأزهر من سوء مغبتها ، وهو مع ذلك كله مالك لأمره غير مغلوب عليه ، تحترمه الأمة والحكومة ويعطف عليه المليك حفظه الله . أليس هذا موقفاً تحار فيه العقول ؟ وهل يطلب منا أن نقول فيه كما يقول الراسخون فى العلم عن المتشابه : « آمنا به كل من عند ربنا »

لا . لا ، ولكنا نقتبس ما اقتبسه الأستاذ الزيات حين نشر مذكرة فضيلته فى إصلاح الأزهر فنقول :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأى أن تترددا

محمد محمد المدنى

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٣ مارس سنة ٩٤٣ فى القضية رقم ٢٦٨ أبو حماد سنة ٩٤٣ بحبس كل من محمد عبد العزيز عبد المجيد وسليم عبد الرحمن معوض بائعى خبز بأتل الكبير ثلاثة شهور بشغل وتغريمهما ١٠٠ جنيه وإغلاق المحل يومين لعرضهما للبيع خبزاً دون الوزن المقرر

حكم فى الجنحة ن ١٩٢ عسكرية مصر القديمة سنة ١٩٤٣ بحبس رزق طه بكر ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه والنشر والتعليق والمصادرة لنقله أذرة لخارج مدينة القاهرة بدون تصريح

اتهم اسماعيل حسن الدهان جزار بالازهر فى الجنحة رقم ١٦٨٠٢ مستأنف مصر سنة ٩٤٠ بأنه فى ٧ / ٧ سنة ٩٤٠ الدرب الأحمر باع لحماً بأزيد من التسعيرة

وحكم عليه استئنافيا فى ٢٣ ديسمبر سنة ٩٤٠ بتغريمه ٢٠٠ جنيه وتعليق الحكم على باب متجره وعلى باب المحافظة ونشره على نفقته فى مجلتى الرسالة والمباحث القضائية

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

تجميل القاهرة — قطار بور سعيد — قطار الديزل — القيظ في أسيوط — المدينة المهجورة — كلمة صريحة إلى أهل أسيوط

تجميل القاهرة

المعروف أن رجال الهندسة لا يرون من حق رجال الأدب أن يتحدثوا في شؤون هي في الأصل من أعمال المهندسين، ولكني مع ذلك سأسوق ملاحظة تبين أن تخطيط المدن يقوم على قواعد ذوقية قبل أن يقوم على قواعد هندسية، إن جاز الفصل بين الهندسة والذوق!

هل سمعتم حديث « نفق شبرا » وقد انتظرناه عدداً من السنين؟

لا أدري كيف سمحنا بأن ننفق في إنشائه ألوفاً مؤلفة من الدنانير، ثم تكون النتيجة أن يبقى جسر شبرا في حالة لا تريح من يسيرون على الأقدام، لأنهم مضطرون إلى استعمال تلك السلالم المتعبة في الذهاب والإياب، بغض النظر عن المتاعب التي يتعرض لها من يريد ركوب ترام شبرا وهو في ميدان باب الحديد

منشأ هذه المضجرات أننا أردنا أن تكون محطة القاهرة محطة واحدة، وكان يجب أن تكون فيها محطة لقطارات الشمال ومحطة لقطارات الجنوب، ولو فعلنا ذلك لظفرت القاهرة بميدان جديد، ولكان من السهل أن نرفع متاعب من يتجهون إلى شبرا، وهي اليوم منطقة تموج موجاً بالسكان، وستكون مصدر نشاط صناعي واقتصادي في المستقبل القريب

يجب أن نبادر إلى رفع جسر شبرا، وأن نفصل محطة الشمال عن محطة الجنوب، وهذا لا يمنع من بقاء الطريق الذي تمرّ به قطارات البضائع، وهي قليلة العدد، وأغلبها يمرّ بالليل، فلا يعرقل حركة المرور إلا في لحظات لا يُحسب لها حساب.

لقاء القاهرة

خطر في البال هذا الخاطر وأنا أمتطي قطار الديزل إلى الصعيد في عصرية الخميس الماضي، ثم خطر في البال أيضاً ما تعاني المنطقة التي يمر فيها قطار الصعيد بين باب الحديد وجسر امبابة، وهي منطقة لا تقع فيها العين على منظر جميل، لأنها من ذيول بولاق، وكان الظن أن نفهم أنها أول ما يرى القادم على القاهرة من ناحية الصعيد

منذ ثلاث سنين كتبت كلمة في مجلة الرسالة أدعو فيها إلى تجميل مدخل القاهرة في نظر القادم من الاسكندرية أو بورسعيد فما استمع مستمع ولا استجاب مستجيب، وأنا اليوم أعجب من أن تبقى منطقة بولاق على ما كانت عليه قبل التمدن الحديث، مع أن لبولاق تاريخاً من أعظم التواريخ، فهي التي أنشأت المدافع لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وفيها أقيمت أول مطبعة لإحياء المؤلفات العربية والإسلامية. وهل في العرب من لا يدين لمطبعة بولاق، ولو كان في أقاصي الصين؟

قطار بورسعيد

الواقع أننا لا نفكر في خلق الجاذبية في صدور من يفد على الديار المصرية ... هل تعرفون شيئاً عن قطار بورسعيد؟ وهل تصدقون أن أجرة الباخرة من مارسيليا إلى الاسكندرية أرخص من أجرة المثل في السفر من مارسيليا إلى بورسعيد؟

لذلك أسباب، ولكني أحب أن أجعل قطار بورسعيد من أهم الأسباب

هو قطار سخيف، وهو لسخفه يجهل أنه يقاسي زوابع الصحراء نحو ساعتين، فليس بالدرجة الثانية ستائر تمنع هجوم الرمل والتراب. أما الدرجة الثالثة فطعام ركابها عَجّاج في عَجاج. ويا ويل من يركب قطار بورسعيد وهو خفيف الجيب!

وبهذه المناسبة أذكر أن الدرجة الثانية بقطار الصعيد ليس فيها مراوح، فماذا يصنع الركاب في وهج الصيف، إذا كتب عليهم أن يصطلوا القيظ بين الأقصر وأسوان؟

شيئاً من الرحمة، يا مدير سكك الحديد، فقد سمعت أنك من الرحماء؟

وما حال المقصف الذى يوجد فى بعض القطارات لا كل القطارات ؟

هو محرم على ركاب الدرجة الثالثة تحريماً قاطعاً ، وقد يكون فيهم من يحتاج إلى تناول الطعام فى مكان مريح ليدفع مشقة السفر وهو قطعة من العذاب

ياناس ، ياناس ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء !

قطار الديزل

سمى باسم المخترع Deisel وهو ألمانى الأصل ، وليس بقطار الديزل مقصف ، مع أنه خاص بركاب الدرجة الأولى والثانية ، ومع أنه لا يقف إلا فى محطات قليلة ، وهو حين يقف لا يتمكث غير دقيقة أو دقيقتين

بهذا القطار حنفية تجود بالماء لمن يقبل الجود من الأشحاء ، وما قيمة الجود بماء لم يسمع بأخبار الثلج ، ولا يعرف الطريق إلى تنسم الهواء ؟

جرّبوا السفر بهذا القطار بعد الظهر فى مثل هذه الأيام وفى طريق الصعيد ، لتعرفوا كيف يبخل القطار على ضيوفه الأعزاء بكمية من الماء المثلوج لا تتكلف خمسة قروش

وقف الديزل فى محطة بنى سويف ، فتصايح الركاب يطلبون من الباعة إمدادهم بأكواب الليمون ، ليبتلعوها فى مثل ومضة البرق ، ويقوم القطار قبل أن يتناول المسافرون ما يخفف وقدة الظمأ ، وبعد لحظات يقف القطار ، وننظر فنعرف أنه وقف إكراماً لصاحب « بوفيه المحطة » وكان بقى فى القطار إلى أن يتسلم ما له عند المسافرين من نقود !

فا الذى يمنع من أن يقف القطار بالمحطة نحو ثلاث أو خمس دقائق ، ليستغنى عن هذا التلطف فى معاملة صاحب البوفيه ، وليضمن راحة المسافرين من بعض هذا العناء ؟

أيكون من الصعب إمداد ثلاجة القطار بزادها من الثلج ، ولو بإضافة زيادة على أثمان التذاكر ؟

أما بعد فهذه شؤون تبدو من التوافه فى نظر بعض الناس ، ولكنها شؤون على جانب من الأهمية ، والاهتمام بها قد يغيّر ما درجنا عليه من الغفلة عن تذوق الحياة

وهل كان البدوى الذى يعانى متاعب السفر فى البيداء أشقى من الحضرى الذى يمتطى قطار الديزل ، وهو على ما وصفت ؟

لقد ظمئت بهذا القطار ظمأ لم أشعر بمثله وأنا أخترق البادية من دمشق إلى بغداد ، لأن مطية نيرن تفكر فيما لا تفكر فيه مطية ديزل ، ولأن الشركات تصنع فى ملاطفة الزبائن ما لا تصنع الحكومات ... وما أحب أن أزيد !

القيظ فى أسيوط

دخلت أسيوط وقد انتصف الليل أو كاد ، فرأيتها فى حال من القيظ لا تطاق ، فاذا صنعت الأيام بجوّ هذه المدينة الفيحاء ؟

إنها بعيدة من النيل بعض البعد ، فكيف أنشئت على هذا الوضع ، وما كان لمدينة مصرية أن تُنشأ إلا على ضفاف النيل ؟

كانت أسيوط فى الأصل على شاطئ نهر يجاورها من الغرب ، نهر يساير الجبل من الجنوب إلى الشمال ، وقد انطمر هذا النهر ، ولم يبق ما يدل عليه غير بقايا من قناطر محطمة كان لها شأن فيما سلف من الزمان

وكان بأسيوط برك واسعة ، كالبرك التى كانت بالقاهرة ، من أمثال بركة الأزبكية وبركة الرطلى وبركة الفيل

والبِركة كانت كلمة مقبولة فى الأيام الخوالى ، ولها فى أشعار البحترى مكان ، وقد أخذتها اللغة الأسبانية عن اللغة العربية ، وابتذال هذه الكلمة جديد فى حياتها اللغوية ، فهى اليوم ترادف كلمة المستنقع ، ومن هنا قيل « بطينة ولا غسيل البِرك »

• البركة قديماً هى البحيرة ، والبحيرة تصغير بحرة مؤنث بحر ، والبحر فى أصل اللغة هو مجتمع الماء الغزير ، بغض النظر عن العذوبة والملوحة ، فا يخطئ المصريون فى تسمية النيل بحراً ، مع أنه عذب لا أجاج

وأقول إن البرك التى كانت بالقاهرة وأسيوط هى بحيرات ، فقد كانت تأخذ مددها من النيل فى أيام الفيضان ، ثم يَبرُك فيها الماء بعد انحسار الفيضان ، فهى بركة من أجل هذا ، إن صح هذا التخريج ، وهو صحيح

كانت برك القاهرة كثيرة المنافع ، فقد كانت مجالاً لنزهات الأصيل والعشيات فى السفائن اللطيفة ، وكانت مناجح لتوالد الأسماك . وكذلك كانت برك أسيوط ، وإن لم يسجل الأسيوطيون بِركهم فى الأشعار كما صنع القاهريون

والذى يهمنى فى هذا المقام هو النص على أن برك أسيوط طُمِرت كما طُمر النهر الذى كان يسار الجبل ، وهذا من أسباب عنف القيظ فى أسيوط

لقد حاول عبد السلام الشاذلى باشا تحويل تلك البرك إلى حدائق فتم له ما أراد فى بركة واحدة ، وبقيت البرك الأخرى فى حال من الجفاف تزيد وقدة القيظ

أنا أعرف أن من العسير نقل أسيوط إلى شاطئ النيل فى سنة أو سنوات ، فلم يبق إلا أن نقترح المبادرة إلى تزويدها بالحدائق الكثيرة ليخف عذابها بلوافح الصيف

المدينة المهجورة

هى مدينة أسيوط فقد زهد فيها كبار أهليها من المسلمين والأقباط ، وكادت تفقد اللقب الذى يجعلها عاصمة الصعيد

ومن يصدِّق أن أسيوط كانت قبل عشرين سنة أنضر مما هى اليوم ؟

ومن غريب ما لاحظت أن أسيوط أقل الحواضر المصرية مسايرة للحياة الأدبية ، ولولا الرعاية لحق هذه المدينة لقلت إنها لا تعرف من مطبوعات القاهرة بعض ما تعرف دمشق أو بيروت أو بغداد .

هل تتغير هذه الحال بإنشاء الجامعة الثالثة جامعة أسيوط ؟

إن الجلال السيوطى وهو أشهر من مجّد اسم أسيوط فى العهد الإسلامى لم يتخذ هذه المدينة دار مقام فى الحياة ولا بعد الممات ، فهل كان يعرف زهدها فى المجد العلمى والأدبى ؟

كلمة صريحة إلى أهل أسيوط

فى أسيوط وحدها يمر يوم وأيام بلا مَدد من الجرائد والمجلات ، فكيف يقع ذلك ومدينة أسيوط هى الثالثة أو الرابعة بين كبريات المدائن المصرية ؟

اتقوا الأدب فى مدينة كان لها فى الأدب تاريخ

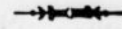
عزيز على أن أقول فى أسيوط كلاماً كالذى قلت ، ولكن ماذا أصنع وأنا موقن بأنها أقل اهتماماً بالأدب من حواضر السودان ، وبيننا وبينه أبعادٌ طوال ؟

زكى مبارك

على هامش النقد

الأدب «المهموس» والأدب الصادق

للأستاذ سيد قطب



حكاية أن « الأدب تعبير عن الحياة » حكاية معروفة من معاد القول الحديث عنها . وإن كان تفسيرها وتطبيقها لا يزالان موضع اختلاف عند استعراض النماذج . والنموذج فى الفن أبلغ دائماً فى بيان المذهب من النظريات العامة .

وقد تحدث الأستاذ « محمد مندور » فى مقالات ثلاث بالثقافة عن « الشعر المهموس » ثم تحدث فى العدد الماضى عن « النثر المهموس » وأعاد قصة « الشعر المهموس »

وفى جميع هذه الكلمات كان مندفعاً لأن يثبت أن أدباء المهجر هم « شعراء اللغة العربية » وأن « بين شعرهم وشعر الكثير من شعراء مصر قرونا » وكذلك نثرهم الشعرى

وليس يسوءنى ولا يسوء أدباء مصر أن يكون الأمر كذلك حقيقة ، فالتعصب هنا لا محل له ؛ ولكن الذى يهمني ويهم أدباء مصر ويهم الأدب فى ذاته ، أن « النماذج » التى جاء بها والدعوة التى يدعو بها إلى هذه النماذج هى توجيه مؤذٍ فى فهم الأدب وفهم الحياة !

وأنا أفهم مثلا أن يحب الأستاذ مندور أو سواه لوناً خاصاً من ألوان الأدب ، فتلك مسألة مزاج ؛ ولكن الذى لا أفهمه أن يصبح هذا اللون الواحد دون سواه هو الأدب الصحيح الراقى المتقدم ، وأن يكون ما عداه من الألوان مرة « سخيفاً » كما يقول عن شاعر كبير معاصر ، وطوراً خطابياً كما يقول عن شاعر كبير قديم ... فذلك ضيق فى الإحساس ، يجوز أن يقنع به قارىء يتذوق ويلذ له لون واحد من الغذاء الروحى ؛ ولكنه لا يصلح لمن يتصدى للنقد والتوجيه

وما اللون المفضل الذى يدعو إليه الأستاذ ؟

من جميع النماذج التى اختارها حتى الآن — والنموذج كما قلت أكثر دلالة من الشرح العام — أستطيع أن أسمى هذا اللون باللون « الحِنـنّين » حسب تعبير أولاد البلد من القاهريين ! الذى تحس فيه « بالحِـنيِّـة » أو بالهمس والوداعة الأليفة حسب تعبيره هو !

وهذا الأدب الحِنـنّين قد يكون فيه الصادق السليم ، وقد يكون فيه الكاذب المريض . ولكنه على كل حال لون واحد من ألوان الأدب ، يعبر عن مزاج واحد من الأمزجة ، فى حالة شعورية واحدة من حالات الشعور

فاذا نحن جعلنا همنا أن نهمس فقط ، وأن نكون وديعين أليفين فقط ، وأن تكون الحنية هى طابعنا فقط ؛ فأين نذهب بالأنماط التى لا تعد من حالات الشعور وحالات النفوس وحالات الأمزجة ، فى هذه الحياة الحافلة بشتى الأنماط ؟

يسمى الأستاذ شعر المتنبى شعراً خطابياً ، ويعنى أن المتنبى لا يهمس ولا يأتى إلينا تعبيره فى دعة وفى حنيّة أو فى همس كما يقول مثلا ميخائيل نعيمة

أخى إن عاد بعد الحرب جندى لأوطانه
وألقى جسمه المنهوك فى أحضان خلانه
... إلى الآخر

وإن الأستاذ مندور ليقف معجباً أمام صورة هذا الجندى المنهوك الذى يلقى بجسمه فى أحضان خلانه ، وهى صورة وديعة منهوكة قد تكون جميلة فى مكانها ؛ ولكن أى خطأ ينتظرنا حين نطالب المتنبى العارم الطبع ، الصائل الرجولة ، بأن يحدثنا فى وداعة كوداعة ميخائيل نعيمة ؟

أنا لا أحاول (مؤقتاً) المفاضلة بين الطبيعتين ، ولكنى أحاول فقط أن أقول : إن الصدق هو الذى يجب أن ننظر إليه حين نقف أمام عمل الشاعر أو الفنان بوجه عام . وإن المتنبى لصادق أجمل الصدق ، وهو يجلجل ويصلصل فى شعوره وفى أدائه ، لأنه هو هكذا من الداخل . وتلك صورة لنفسه ولمزاجه ، وإنها لنفس صادقة ، وإنه لمزاج أصيل

يجب أن نوسع آفاقنا – ولا سيما حين نقف موقف النقاد — فلا نحكم مزاجنا الخاص ، الذى قد لا يكون أصدق الأمزجة ، بل الذى قد يكون ثمرة « عقدة نفسية » أو حادثة عارضة من حوادث حياتنا الشخصية

وإنه ليستلفت نظري أن جميع النماذج التي استعرضها الأستاذ مندور هي من اللون الذي يشيع فيه الأسى المتهالك المنهوك . فهل أفهم أن هذه عناصر محببة إليه وحدها ، وأن الشاعر لا يكون شاعراً حتى تشيع هذه العناصر في شعره ؟

أعرض هنا تعبيراً أفلت منه ، وله دلالة خاصة على هذا المزاج . ففي قصيدة « لنسيب عريضة » ساق الحديث هكذا :

يانفس مالك والأنين ؟ تتألمين وتؤلمين ؟
عذبت قلبي بالحنين وكتمته . ماتقصدين؟

« وها نحن منذ المقطوعة الأولى في جو الشعر «فالنفس تئن» !

إذن كانت النغمة التي استرعت سمعه وجعلته يحس بأنه دخل في جو الشعر هي أن « النفس تئن » . ولهذا دلالته ، وهي الدلالة التي تنطق بها جميع مختاراته حتى الآن . وهو « مزاج » خاص له أن يتذوق ما يحبه من الألوان ، ولكن ليس له أن يتولى مهمة النقد والتوجيه كما قدمت

وأريد أن أسأل : ألا ندخل في جو الشعر إلا إذا سمعنا هذا الأنين ؟ و « الهمس » بالسرور والفرح والانطلاق ؟ ألا يكون شعراً على هذا الأساس ؟

إن الأستاذ مندور لم يقل هذا بالضبط ، ولكن النماذج التي جاء بها جميعاً تكاد تنطق فذلك إذن توجيه مؤذ ، يكاد الدافع إليه يكون دافعاً « مَرَضياً » وهو ما يدعو إلى الحذر الشديد !

* * *

ولا أحب أن أقف من الشعر المهموس والنثر المهموس موقف العداء المطلق كما وقف الأستاذ مندور من جميع ألوان الشعر الأخرى . وكذلك لا أريد (مؤقتاً) أن أفاضل بين هذا اللون وبين الألوان الأخرى .

ولكن هذا لا يمنعني أن أقول إنه كان موفقاً في اختيار بعض النماذج ، وغير موفق في اختيار بعضها . فقصيدة « يا أخي » لميخائيل نعيمة وقصيدة « ترنيمة سرير » لنسيب عريضة يعدان نموذجاً طيباً لهذا اللون الذي يحبه . وأقول نموذجاً طيباً لهذا اللون بذلك القيد . ولكن ما عداها من مختاراته كان نماذج رديئة للشعر عامة ولهذا اللون من الشعر كذلك ، لا في الأداء وحده ، ولكن في حقيقة الشعور

والفرق بعيد والمسافة طويلة بين هذين النموذجين وبين سواهما . ولكن الذي يجمع بينها هو مجرد « الحنية » ومجرد الأسى المنهوك . ويهمني أن أبرز هذا المعنى إبرازاً خاصاً ؛ فهو دليل عندي على هذه « الحالة الخاصة » التي أكاد أعزو إليها ولعه بهذا اللون ، فهذه الحالة هي التي تجعله يستجيد كل ما ينطوي على هذه العناصر جيدة ورديئة على السواء . وهذا ما يدعوني للشك العميق في أن « مزاج » الأستاذ الخاص هو الذي يملي عليه آراءه لا ذوقه الفني

إن المسألة ليست مسألة ضيق في أفق الذوق الفني فقط ، ولكنها « حالة مزاجية » خاصة تتحكم في هذا الأفق الضيق بطبيعته . وأخشى أن تكون حادثة ما أو عدة حوادث كامنة في ماضي الأستاذ مندور تتحكم في نفسه دون شعور . وهذا ما يدعو إلى الحذر الشديد في تقبل هذه الآراء !

وقصة « النثر المهموس » ؟ إنها كقصة «الشعر المهموس» . وأريد أن أقول للأستاذ مندور إن الفقرات الأخيرة من قطعة « يا أمي » لأمين مشرق هي فقرات طيبة في إحساسها وفي أدائها ، ولكن الفقرات الأولى « تقليدية » من أدب « القوالب » المحفوظة . وكناقد كان يستطيع أن يفرق بين هذا وذاك ؛ ولكنه كصاحب مزاج خاص لم يستطع التفرقة . ففيها جميعاً تشيع روح « الأسى المنهوك » وهذا يكفي !

* * *

وإذ انتهيت إلى هذا الحد أحب أن أعرض على الأستاذ مندور وعلى القراء ألواناً من الشعور البسيط الأليف الذي لا نفقده بساطته وألفته قوته وسلامته وصحته . وهو من عمل أدباء مصريين من أولئك المتخلفين قروناً في نظره

وهذا النموذج الأول لأديب شاب من رثاء لأمه : (وقد اخترتها لمناسبة قطعة أمين مشرق) :

« من نحن اليوم يا أماه ؟ بل ما نحن اليوم عند الناس وعند أنفسنا ؟ ما عنواننا الذي نحمله في الحياة ونعرف به ؟

« إننا لم نعد بعد أسرة ، ولم يعد الناس حين يتحدثون عنا يقولون : هذه أسرة فلان . بل أصبحوا يقولون : هذا فلان . وهذا أخوه . وهاتان أختاه !

« اليوم فقط مات أبى ؛ واليوم فقط أصبحنا شتيتاً منثوراً . وإنى لأضم اليوم إلى صدرى ابنكما وابنتيكما . أضمهم بشدة لأستوثق من الوحدة ، وأشعرهم بالرعاية . ولـكن هيهات هيهات . فأنا وهم بعدك أيتام يا أماه !

« لقد شعرت اليوم فقط بثقل العبء . وعلمت أننى لم أكن أنهض به وحدى ، وأننى كنت أرعاهم وأرعاكِ معهم ، لأننى قوىٌّ بك . أما اليوم فالعبء فادح ، والحمل ثقيل ، وأنا وحدى ضعيف هزيل !

« إن الشوط لطويل . وإنى لوحدى فى الطريق ، وأخى وحده كذلك ، وأختاى وحدهما أيضاً ، وإن كنا نقطعه جميعا ! والعش الذى خلّفته ستظل فراخه زغباً مهما امتد بها الزمن ، لأن يدك الرفيقة لا تمسح ريشها وتباركه ، وكفك الناعمة لا تدرب أجنحتها على التحليق ، وروحك الحنون لا تـكلؤها فى أجواز الفضاء !

نحن اليوم غرباء يا أماه

لقد كنا — وأنت معنا — نستشعر فى القاهرة معنى الغربة فى بعض اللحظات ، وكنا نشبه أنفسنا بالشجرة التى نقلت من تربتها ، والتى ينبغى لها أن تـكثر من فروعها لتتقى الاندثار فى غربتها !

أما نحن اليوم فغرباء فى الحياة كلها . نحن الأفرع القليلة ذوى غصنها ، بعد اغترابها من تربتها . وهيهات أن تثبت أغصان فى التربة الغريبة ... بلا أم !

« أماه ...

من ذا الذى يقص على أقاصيص طفولتى كأنها حادث الأمس القريب ، ويصور لى أيامى الأولى فيعيد إليها الحياة ، ويبعثها كرة أخرى فى الوجود ؟

لقد كنت تصوريننى لنفسى كأنها نسيج فريد منذ ما كنت فى المهد صبياً ! وكنت تحدثيننى عن آمالك التى شهد مولدها مولدى ، فينسرب فى خاطرى أننى عظيم ، وأننى مطالب بتكاليف هذه العظمة التى هى من نسيج خيالك ووحى جنانك ! فمن ذا يوسوس إلى بعد اليوم بهذه الخيالات الساحرة ؟ ومن ذا يوحى إلى بعد اليوم بتلك الحوافز القاهرة ؟

لمن أصعد درج الحياة بعدك يا أماه ؟ ومن الذى يفرح بى ويفرح لى وأنا أصعد الدرج ، ويمتلئ زهواً وإعجاباً وأنا فى طريقى إلى القمة ؟

قد يفرح لى الـكثيرون . وقد يحبنى الـكثيرون . ولـكن فرحك أنت فريد ، لأنه فرح الزارع الماهر يرى ثمرة غرسه وجهده ... وحبك أنت عجيب ، لأنه حب مزدوج : حبك لى ، وحب نفسك فى نفسى ... !

أماه ...

عندى لك أنباء كثيرة . كثيرة جداً ومتزاحمة . تواكبت جميعها فى خاطرى على قصر العهد بغيبتك . وإنه ليخيَّل إلى فى لحظات ذاهلة : أننى أرقب عودتك لأسمعك هذه الأنباء ، وأحدثك بما جد فى غيبتك من أحداث ؛ وأنك ستسرين ببعضها وتهتمين ببعضها .. وهى مدخرة لك فى نفسى يا أماه . ولن تدب فيها إلا حين أقصها على سمعك ... ولـكن هيهات فسيدركها الفناء ، وستغدو إلى العدم المطلق ، لأنك لن تنصتى إليها مرة أخرى ...

أماه . أماه . أماه ... »

* * *

وموعدنا العدد التالى لتقديم نماذج أخرى من الشعر المصرى « المتخلف قرونا »

سيد قطب

في التصوير الاسلامي

ليـــلى والمجنون

للدكتور محمد مصطفى

— ٢ —

جاء قيس محتفاً ما تمناه والداه ، لا يعرف قلبه سوى أخلص الحب ... يعشق الجميل ويحب الجمال ... فكان وهو في مهده يتطلع إلى الفتيات الجميلات المليحات ، ويرنو إليهن في شغف ونهم ، كأن في منظرهن ما يجلب السرور إلى قلبه ، أو ما هو غذاء لنفسه الصغيرة ، يصيح في طلبهن إذا ابتعدن عنه ، ويبكي في توجع وتوسل ليقترب منهن إذا لم يستطع رؤيتهن . ثم صار يجالسهن ويحادثهن ويستنشدهن الشعر ، حتى حفظ منه الكثير ، فاكتسب حديثه طلاوة ولباقة ، وأسلوبه أناقة وطرافة ، وأخذ على صغر سنه يقرض شعر الغزل وينشده ، ويغازل به الفتيات ويشبب بهن ، وكأنه جاء من عالم آخر لا يعرفه بنو عامر ، ولا عهد لهم به ، فالحب والغزل في رأيهم « إنما يكون في اليمانية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصعلة رءوسها » .

ولما كبر الصبي وفات سن الطفولة ، أرسله أبوه إلى المدرسة مع أقرانه الصغار من الفتيات والفتيان . وبين الفتيات كانت فتاة تسمى (ليلى) ، كان أبوها شيخاً لبطن أخرى من بطون بني عامر ، ووقعت ليلى موقعاً حسناً من قلب قيس فمال إليها وأحبها وقال في وصفها[1] :

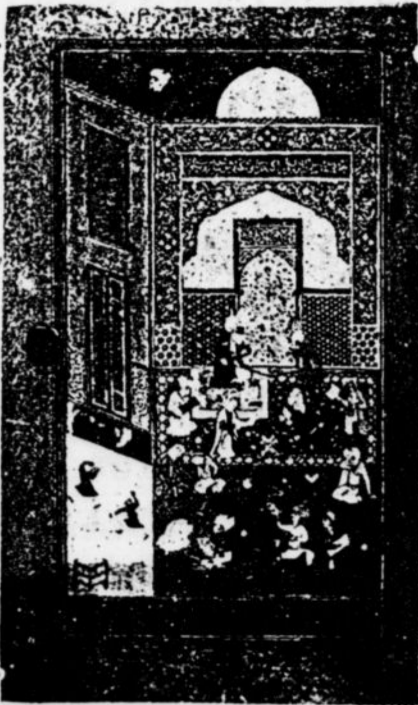
بيضاء خالصةُ البياض كأنها ... قمرٌ توسّط جُنحَ ليلٍ مُبرَدِ
موسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسدٍ ... إنّ الجمالَ مَظِنةٌ للحسّدِ
وترى مدامعُها ترقرقُ مُقلةً ... سوداءَ ترغبُ عن سوادِ الإثمِدِ
خودٌ إذا كثُرَ الكلامُ تعوذت ... بحِمى الحياءِ وإن تكلّم تقصدِ

ووقع لقيس في قلب ليلى مثل ما وقع لها في قلبه ، فكانا يجتمعان كل يوم في المدرسة ليدرس كل منهما ما يتجلى في نظرات صاحبه وقسماته من الحب والهيام . وحاولا أن يخفيا حبهما عن أصحابهما ... ولكن عبثاً ... فإن الحب يشبه الطيب أو المسك إذا وجد في بيت لا يمكن إخفاء رائحته . ففي ذات يوم أرادت ليلى أن تعلم ما لها في قلب قيس ، فأعرضت عنه ، وأقبلت بحديثها على غيره ، فلما رأى ذلك جزع جزعاً شديداً حتى خافت عليه فقالت له[1] :

كلانا مظهر للناس بغضاً ... وكل عند صاحبه مكين
تبلغنا العيون بما أردنا ... وفي القلبين ثَمّ هوى دفين

فلما سمع قولها سرى عنه وعلم ما له في قلبها ، وانصرف عنها وهو من أشدّ الناس سروراً وأقرّهم عيناً ، وقال :

أظن هواها تاركي بمضلة ... من الأرض لا مال لدي ولا أهلُ
ولا أحدٌ أفضي إليه وصبتي ... ولا صاحب إلا المطيّة والرحل
محا حبها حب الأُلى كن قبلها ... وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل



(شكل ١)

ولما سمع جلساؤهما ذلك فطنوا إلى أمرهما ، وشاعت قصة

(١) الأغاني ص ٨٣ ، وتزيين الأسواق ص ٦١

(١) الديوان ص ٣ ، والأغاني ص ٤٦ ، وتزيين الأسواق ص ٥٤

غرامهما بين الناس حتى بلغت مسامع والد ليلى ، فأبعدها عن المدرسة وحجبها عن قيس ، ومنعه من رؤيتها والتحدث إليها ، وتوعده بالشر إذا اقترب منها ، فقال قيس فى ذلك[1] :

ألا حجبت ليلى وآلى أميرُها ... علىَّ يميناً جاهداً لا أزورُها

وأوعدنى فيها رجالٌ أبوهُمُ ... أبى وأبوها خُشِّنتْ لى صدورها

على غير جُرم غير أنى أحبُّها ... وأن فؤادى رهنها وأسيرها

وفى (شكل ١) منظر داخلى للمدرسة يبين قبة يجلس تحتها المعلم بلحيته البيضاء الطويلة ، وعلى رأسه عمامة كبيرة ، وفى يده عصا لتأديب « أشقياء » التلاميذ ، وأمامه تلميذ يتلو عليه ما حفظه من الدروس . ونرى قيساً جالساً إلى اليمين فى معزل عن زملائه ، يسند رأسه على ذراعه غارقاً فى تأملاته كأنه يفكر فى حبيبته ليلى التى تجلس إلى اليسار بجانب صديقة لها تواسيها وتعطف عليها . ويقرأ أو يكتب بعض التلاميذ الآخرين فى كتبهم ويتجادل آخرون . وإلى اليسار يتقاذف « شقيان » بأدواتهما المدرسية ، غير عابثين باحتمال إصابة « زير الماء » الموضوع فى الركن الأيسر على كرسى حامل له ، وما قد تجلبه هذه الإصابة على جسديهما من آثار عصا المعلم . ولم ينس المصور أن يخفف من حدة « عصا » المعلم ببيت شعر كتبه على مدخل القبة يناشده فيه ألا يعلم الفتاة الشقراء ذات الوجه الجميل سوى كل شىء حسن هي جديرة به . وهذه الصورة[2] فى مخطوط من المنظومات الخمس للشاعر نظامى الكنجوى كتبه الخطاط سلطان محمد نور ، ومؤرخ سنة ٩٣١ هجرية (١٥٢٥ م) ، وقد اختلف مؤرخو الفن الإسلامى فى نسبة الصور التوضيحية التى به[3] ، ولكنا نرجح ما يقوله الأستاذ كينل[4] فى نسبتها إلى المصور شيخ زاده تلميذ المصور الكبير بهزاد الذى هاجر معه إلى مدينة تبريز . وهذا المخطوط محفوظ فى متحف المتروبوليتان للفنون الجميلة بنيويورك

(١) الديوان ص ٤ ، والأغانى ص ٦٨

(٢) منقولة عن : Dimand, Pl I

(٣) أنظر : زكى محمد حسن ، التصوير فى الاسلام ص ٦٠

(٤) فى : S. P. A, III, p. 1872, 1873, n. 2.

— ٣ —

بعد أن حجبت ليلى فى منزل أبيها ، حزن قيس وضاقت الدنيا فى عينيه ، ولما لم يجد فى المدرسة ما يرفِّه عن نفسه الحزينة ويسرى عنه ، هجرها وهام على وجهه يبحث عن حبيبته فى منزل والديها . ولما أعياه ذلك عمد إلى الحيلة فتزيا بزى درويش عجوز أعمى قد أناخ عليه الدهر بكلاكله ، وسار يتلمس طريقه بعكاز فى يده حتى وصل إلى بيت ليلى ، فألقى بنفسه على عتبته متصنعاً الإعياء . وخرج أهل الدار لمساعدة هذا الدرويش البائس الذى أنهكه السير الطويل وشقة الطريق ، وكانت بينهم ليلى فعرفته وأمسكت يده وشدت عليها لتعلمه أنها ما زالت على عهده بها ، ولكى تجدد ما قطعته على نفسها من ميثاق الإخلاص له فى الحب . ولاحظ والدها ذلك وتعرَّف على قيس ، فنهر ابنته وطرد قيساً ، فزاد ذلك من شدة حزنه ويأسه . وعاتبه أصحابه ورموه بالجنون لما رأوه فى مسلكه من شذوذ ، فقال لهم[1] :

وإنى لمجنونٌ بليـــلى مُوكَّلُ ... ولستُ عَزوفاً عن هواها ولا جَلْدَا

إذا ذُكرتْ ليلى بكيتُ صبابة ... لتَذكارها حتى يبل البكا الخدَّا

وسماه أصحابه « المجنون » وصار يعرف بين قومه بهذا الإسم .

واشتد به الحزن واليأس فاعترض على قضاء الله بقوله[2] :

خليلى لا والله لا أملك الذى ... قضى الله فى ليلى ولا ماقضى ليا

قضاها لغيرى وابتلانى بحبِّها ... فهلاَّ بشىء غير ليلى ابتلانيا

فسلب عقله ، وهجر أهله وذويه ، وانفرد فى جنبات الحىّ عارياً ، لا يلبس ثوباً إلا خرَّقه ، يخطط بأصبعه فى التراب ، ويجمع العظام حوله ، ولا يجيب أحداً سأله عن شىء إلا إذا ذكروا له ليلى ، فيرجع إليه عقله ويخاطبونه فيجيبهم جواباً صحيحاً . ولما يئس من لقاء ليلى بارح الحىّ ولجأ إلى البرية وهو يقول[3] :

(١) الأغانى ص ٣٧

(٢) الديوان ص ٦٨ ، الأغانى ص ٥٤ ، تزين الأسواق ص ٥٨

(٣) الديوان ص ٣٤

فن أجلها ضاقت علىّ برحبها   بلادى إذا لم أرض ممن أجاوره
ومن أجلها أحببت من لا يحبنى   وباغضت من قد كنت حيناً أعاشره

وكان المجنون وليلى وهما صبيان يذهبان إلى جبل قريب يقال له « التوباد » فذهب إلى هنالك وجلس على ربوة منه فأتته ذكريات الصبا فقال(1) :

هذه الربوة كانت ملعبا   لشبابينا وكانت مرتعا
كم بنينا من حصاها أربُعا   وانثنينا فمحونا الأربعا
وخططنا فى نقا الرمل فلم   تحفظ الريح ولا الرمل وعى
لم تزل ليلى بعينى طفلة   لم تزد عن أمس إلا أصبعا
(شوقى)

وخرج الملوح بن مزاحم ومعه بعض أولاده وذويه يبحث عن ابنه قيس ، فوجده هائماً على وجهه فى جبل التوباد ، وكان فى حالة يرثى لها ، عارياً ، نحيل الجسم ، طويل الأظافر ، يخط بأصبعه فى الرمل وهو تائه الفكر ، وقد طال شعر جسده وتوحش وألفته الظباء والوحوش فكانت تجالسه وتلازمه ، فلما اقترب ذووه منه لم يعرفهم ونفر منهم ، فناداه أبوه : قيس ، أنا أبوك الملوح وهذا أخوك ، فطب نفساً وابشر فقد وعدنى أبو ليلى أن يزوجكها . فأقبل إليهم وأنس بهم ، فقال له أبوه : ياقيس ، أما تتقى الله وتراقبه ؟ كم تطيع هواك وتعصينى ، فقد كنت أرجى ولدى ، أفضلك عليهم وأوثرك ، فأخلفت ظنى ولم تحقق أملى ، فليت شعرى ما هى أراها ممن يوصف بالجمال والحسن ، وقد بلغنى أنها فوهاء قصيرة جاحظة العينين شهلة سمجة ، فعدّ عن ذكرها ولك فى قومك من هو خير لك منها . فلما سمع ثلبه فيها أنشأ يقول(2) :

يقول لى الواشون ليلى قصيرة   فليت ذراعاً عرض ليلى وطولها
وأن بعينيها لعمرك شهلة   فقلت كرام الطير شهل عيونها
وجاحظة فوهاء لا بأس أنها   منى كبدى بل كل نفسى وسولها
فدق صلاب الصخر رأسك سرمدا   فانى إلى حين الممات خليلها

فاضطر أبوه أن يعده بالسعى لدى والد ليلى كى يزوجه إياها ، واستطاعوا بذلك أن يأخذوه معهم ويردوه إلى الحيّ وأهل بيته .

(1) مجنون ليلى لشوقي ص ١١٤
(2) الديوان ص ٢٠٦

ولما رأته أمه بكت لحالته البائسة التعسة ، وحاولت جهدها أن تروّح عن نفسه ، فألبسته ملابس جميلة ، وأصلحت من شكله وهندامه ، وجعلت تواسيه وتشمله بعطفها ورعايتها عساها تجلب إلى قلبه العزاء والسلوة .



(شكل ٢)

وفى (شكل ٢) ينام المجنون إلى جانب مجرى ماء ، ويسهر على حراسته الوحوش من كل جانب ، فيربض الأسد والفهد إلى اليمين ، والثعلب والظباء والوعول إلى اليسار . وجاء ذووه وضربوا خيامهم بالقرب منه ، وقد خرج الرجال وانتشروا فى المكان ، بينما نرى والده بلحيته البيضاء قادماً نحوه . وقد أجاد المصور تصوير الحياة المنزلية لنساء البدو فى بيوتهن ، فرسم إحداهن وهى تحلب بقرة ، وأخرى تغزل على مغزل أحضرته معها وهى تستعين فى عملها بيديها وقدمها ، واثنتين جالستين فى مدخل إحدى الخيام وقد احتدم بينهما الجدل . وهذه الصورة(1) من تصوير المصور الإيرانى قاسم على أحد تلامذة المصور الشهير بهزاد ، وهى فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر نظامى الكنجوى كتب فى سنة ٩٠٠ هجرية (١٤٩٤م) باسم أحد أمراء السلطان حسين ميرزا . وهذا المخطوط محفوظ فى المتحف البريطانى .

(يتبع)

محمد مصطفى
مساعد فنى بدار الآثار العربية

(1) منقولة عن : Sakisian, Pl. LII, fig. 91 ; أنظر أيضا : S. P. A, III, p. 1866

أغرودة الليـــل

« إلى وردتى الشقراء ! »

لشاعر العاطفة والوجدان جان ريشبان

JEAN RICHEPIN

بقلم الأستاذ عبد العزيز العجيزى

أواه ألحانى ، غردى ، غردى ! واسكبى الخمر عذباً ، صداح الأغانى ، إلى من تغنى بها الحبُ فى روض جنانى ، وسَكبَت نشيد الهوى فى كأس وجدانى !

***

هام النور على جيد ليلاى ، ناشراً حلو الضياء ، وغنى سناه على جبين دنياى ، شادياً لحن الصفاء ، وداعب السحاب غصن مناى ، بأنامل النور والبهاء ، لما ارتقينا معراج السماء ، صوب المشرق الوضاء ، فانتشت بسلافه أفاويق الطرب ، ومراشف السرور ، واحتست شعاع النور بأقداح البسمات !

***

الدجى وسنان ، والليل سكران ، والكون نعسان ، والوسن هيمان ، وشمسى الذهبية أشرقت فى رقة وحنان ، وبدت غدائرها العسجدية تهفو بنفح العبير وشذى الربيع النشوان . فدانيتها عن كثب مازجاً أشواقى بأزهار جمالها ، ناهلاً النور من نجوى محياها ، راشفاً الضياء من سحر سناها ، الهاتك حجب الدجى وجحافل الظلام .

***

ويصوغ خاطرى نجوم الكواكب الساطعة من درر ذلك النهر الباهرة ، قلادة ماسية متألقة ، ذات فتنة ووضاء ، وظلال ساحرة زرقاء ، ودرة يتيمة رائعة تزهر بسناها فوق أديم جيد الحبيب ، الندى الرطيب .

***

أواه ألحانى ، غردى ، غردى ! فروض ليلاى زاهر بأنواره كسنا التاج ، باهر بجلاله كأبهة المُلك ، وحبيبتى بين أطيافه ملك تحف به مراته . . .

***

ليلاى ! أنا هائم بترتيل أبهى الأغانى ، والترنم بأعذب الألحان ! فحسبك أن تكونى يا حبيبتى وحى أشعارى ، ولحن قيثارى ، ومحراب إلهامى ، وناى أنغامى !

***

حنانيك حنانيك يا وردتى الشقراء ! كونى لجمالك راعية ، ولدلالك رانية ؛ وابسمى ، وهيمى بنغم القوافى الراقصة فى موكب حبنا ، ولحن الأغانى الشادية حول أجسادنا ! إسمعى أغاريد الصبوة الهائمة ، وأناشيد قيثارة الأشعار المترنمة ! إستمعى إليها . . . فقد هصرتها كلها من جنى الخيال ، وشهى الجمال !

***

أرهفى السمع لسحر الأغانى ، وشيق المعانى ، وحلو النغم وجرس الكلم . . . قد ملأت أقداحى بها من سلسبيل الفكر ، وعناقيد الغزل ؛ فارشفى منها رحيق القبل واقطفى منها جنى الثمر ! وأذنى لورد شفتيك بالتفتح ، ليفضى عبيره بسر حبك ، ويهفو أريجه عن مكنون سحرك ، فيسعد طالعى ، وينعم خاطرى . . .

***

وتنساب الأناشيد إثر وقع خطواتك الراقصة ، تناجى خيالك ، وتناغى جمالك فى حنان الأم لرضيعها . . . فتصدح الأشعار بغرامك ، منشدة أهازيج هيامك . . . ؛ أنى شاقتك الأغانى ، وطاب لك النغم . . .

***

ليلاى ! تغرك النضيد حلو كالزهرة الباسمة ، ذات الفتنة والنقاء ، والسحر والصفاء . . . قد مزج بها منذ فضت عنك التمائم : ترنمت الأشعار بسنا جمالك وسجعت أغاريد الصيف البهى لصدى ضيائك وبهائك ، ولرجع جلالك ودلالك

***

ترنمت الأشمار بجمال صدر فينوس الكاعب لصدى روعة نديك الناهد ؛ سجمات قلبك الباسم ، وخطرات قدك النامي هي تآلف أنغام غصنك الناني وفرعك الدانى باللحن السامى

* * *

ترنمت الأشعار بخمر لحظك الوسنان ، وسلاف سحرك الفتان ، فسكرت الروح الهائمة بوصلك ، وثملت النفس الولهى بقربك ، وانتشت بخمر آثر من عتيق المدام ... ترنمت الأشمار يا ليلاى بفتنة غدائرك الذهبية المترجرجة ؛ وروعة خصلات شعرك الأرجوانى المنساب على عنقك العاجى ... فهام القلب بالسّ.ر المسجدى ، وقدّم العمر قرباناً على مذبح الحب القدسى ، فى معبد الهوى العذرى !

* * *

وأخيراً صدحتْ الخواطر شجى الأغانى ، وغرّدت الأشمار رقيق المعانى ، مشدوهة هالمة عند ما تغنّيْتُ مترنماً : « أنا المتيَّمُ بهواكِ ، المعذَّب بضناك ، الشادى بجمالك ، اللحن عذب ألحانك ! »

* * *

واهاً من الحب والهوى ! الأشمار ظمأى لسلاف أغانيه ، وألحان مغانيه ، وشدو أنغامه على قيثار قوافيه ! ولا تسخرى يا حبيبتي من حمق مجاليه ؛ إذا تآلف لحنها ولم يتباين سجمها

* * *

ليلاى ! اهجمى أنى طاب لك الرقاد ! فالأشمار هى وثير فراشك ومثوى جسدك بين رياشك ، وحلم راقص على أهدابك الوطف الساجية ، بين أنغامه الحالمة ، وألحانه السامية . . .

* * *

أواه ألحانى ؛ غردى ، غردى ! واسكبى الأحلام صداحة الأغانى ! وانشدى الأنغام سكرى بخمر الوصال فى دنيا الخيال ؛ ليتغنى النسيم على مسارح الغابات ، ويهفو بعبير النفحات ! ويصفق الهزار بجناحيه غرداً ، معرباً عن شجوه ، ويرقص الموج طرباً ، مغنياً فى كرنفال غديره .

عبد العزيز الفيرزى

إلى زهرتى اليتيمة

[من دموع لم تذرف]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

لَئِنْ مَاتَ حَوْلَكِ نُورُ الضُّحَى وَرَانَتْ عَلَيْكِ سُتُورُ الظَّلامْ
فَلَا تحزَنِي .. فَالْهَوَى فِي دَمِي صَبَاحٌ يُزَلْزِلُ هَـذَا القَتَامْ
وَفَجْرٌ مَدَى الدَّهْرِ يَبْقَى لَكِ
تُشَعْشِعُ أَنْوَارُهُ حَـوْلَكِ
وَتَسْقِى أَبَارِيقُـهُ لَيْلَكِ ...
... سَنَا خَمْرَةٍ لَمْ يَذُقْهَا الأَنَامْ !

* * *

وَإِنْ مَاتَ حَوْلَكِ سَاقِى النَّدَى وَفَحَّتْ لَدَيْكِ أَفَاعِى الْهَجِيرْ
فَلَا تجزَعِى ... إِنَّ رُوحِى بِهَا لِآهَاتِ رَوْضِكِ نَبْعٌ غَزِيرْ
يُفَجِّـرُهُ عَانِياً سِـحْرُكِ
وَيُسْـكِرُ أَمْوَاجَهُ عِطْرُكِ
فَتَجْرِى وَيَجْرِى بِهَا نُورُكِ ...
... إِلَى أَنْ نُلَاقِى الرِّكَابَ الأَخِيرْ !

* * *

وَإِنْ مَاتَ حَوْلَكِ شَاجِى الظِّلَالْ وَنَاحَتْ بِأَرْضِكِ ثَـكْلَى الرِّيَاحْ
فَلَا تجزَعِى ... فَأَنَا نَسْمَةٌ وَظِلٌّ عَلَيْكِ رَطِيبُ الْجَنَاحْ
وَطَيْرٌ نَمَـا عُودُهُ فِى يَدَيْكِ
فَإِنْ أَوْمَأَ الْحُزْنُ يَوْماً إِلَيْكِ
عَصَفْتُ بِلَحْنِى وَعُشِّى وَأَيْـكِى ..
... لِأَفْنَى وَأَشْرَبَ عَنْكِ الْجِرَاحْ

* * *

وَإِنْ مَاتَ حَوْلَكِ زَهْرُ الرُّبَى وَكُنْتِ الْيَتِيمَةَ فَوْقَ الْهِضَابْ
فَلَا تَذْرُفِى دَمْعَةً ... إِنَّنِى خُلِقْتُ لِأَحْمِلَ عَنْكِ الْعَذَابْ



الى الأستاذ دريني خشبة

قرأت فى مقالكم القيم عن « مجلاتنا الممتازة ونصيب المسرح والسينما والغناء منها » فعنت لى الملاحظات الآتية :

١ — التأليف — سواء فى المسرح أم فى السينما — لم يتحقق وجوده بعد . ومن يعرفون بالمؤلفين فى هذين الفنين يعيشون فى الواقع عالة على الترجمة والاقتباس ولا أقول أكثر من ذلك !

٢ — صلة المسرح بالأدب وثيقة بل ذاك فرع من هذا ولذلك أشارك الأستاذ رأيه فى وجوب عناية مجلاتنا الممتازة به والاهتمام بنقده وتقويمه ، وفضلاً عن ذلك فللمسرح رجاله من الممثلين الذين يستحقون التنويه والذكر

٣ — أما السينما فبحكم مواجهتها المباشرة للملايين من الشعب تنقطع بها الأنفاس دون أهداف الأدب السامية ، ففكاهتها تهريج ، وعلاجها للمشكلات الاجتماعية يقوم على التمحل والمبالغات السخيفة والأخيلة السقيمة ، وفيما عدا هذا من الغايات الأدبية فهى عاجزة عنه غاية العجز . ألا ترى يا سيدى الأستاذ أن السينما الأمريكية والأوربية نفسها ٩٠ ٪ منها غث تافه إذا قومته بحساب الأدب الفنى ، وأن الـ ١٠ ٪ الذى يتصدى لإخراج أعمال فنية عالية يعرض جسدها دون روحها ، أو بمعنى آخر يظهر الحادثة التى توافق « الحركة السينمائية » دون التحليل والوصف ، وهما لباب الفن الأدبى عامة ، والحديث منه خاصة ؟ . . . فالسينما فى الواقع إخراج وتمثيل ، وصلتها بالأدب الرفيع مقطوعة أو واهية

٤ — أرجو ألا ينسى الأستاذ أن مجلات لا حصر لها — وهى فى انتشارها تسبق المجلات الممتازة وأسفاه بمراحل — لاهم لها إلا تسويد صفحاتها بأخبار أبطال السينما والمسرح سواء من يستحق منهم الذكر أو غالبيتهم الكبرى الغارقة فى أمية اللغة وعامية العقل والذوق ، وهى أخبار لا تشرف مجلة لها من الاحترام والوقار ما لمجلاتنا الممتازة

٥ — وأما الغناء فمن نجومه فئة يسمو بها فنها إلى مرتبة الأساتذة الأجلاء الذين يغذون المجلات الممتازة بنفحات أرواحهم وعقولهم وعلى رأس هؤلاء أم كلثوم وعبد الوهاب والقصبجى وزكريا والسنباطى !

والسلام عليكم ورحمة الله .

حافظ القاهرى

كِلانَا غَرِيبٌ يَتِيمُ الزَّمَانْ

فَهيَا نُجَدِّدُ زَهْرَ الجِنَانْ

وَنقْطِفُ مِنْ قَبْلَ يَمْضِى الأَوَانْ . . .

. . . . وَتَقْطِفُنَا قَبْضَةٌ مِنْ تُرَابْ

* * *

وَإِنْ مَاتَ حَوْلَكِ مَنْ فِى الثَّرَى ... وَأَصْبَحْتِ مُفْرَدَةً فِى الجِبَالْ

فَلَا تَنْدُبِى فَانِياً . . . إِنَّنِى ... أَرَى فِيكِ خُلْداً يُذِيبُ الزَّوَالْ

فَفِيكِ الإِلَهُ الَّذِى أَعْبُـدُ

وَفِيكِ الخَيَالُ الَّذِى أَنْشُرُ

وَفِيكِ الهَوَى وَالصِّبَا وَالغَدُ . . .

. . . دَعِينِي أُسَبِّحْ بِهَـذَا الجَمَالْ

محمود حسن اسماعيل

الى الأستاذ العلامة الشيخ محمود شلتوت

فى العالم كله تنتشر المصارف المالية لتقرض الناس لأجل معين بفائدة صريحة تقل وتكثر قيمتها بين ٦ — ٩ ٪ بحسب درجة عملاء البنك

والاقتراض من البنك يفيد المقترض فائدة مادية عظيمة إذا تيسر له القيام بمشروع له فى بنائه وتنفيذه وإدارة شؤونه خبرة وإلمام كبير ، وخصوصاً فى أيام الحرب التى بها أصبح منتوج الأرض ذا قيمة كبيرة

فهل ما يأخذه البنك من الفائدة هو الربا كما يفهمه الناس : آكله ملعون وموكله ملعون ، وملعون شاهده وكاتبه ، أم هذه الفائدة الخفيفة ليست أضعافاً مضاعفة ، ويحل التعامل على صورتها ؟ وإذا ثبتت حرمة الفائدة سواء أقلت أم كثرت فهل يستثنى

من ذلك أحد من الناس أو طائفة من الناس لسبب من الأسباب أو فى حالة من الحالات أو لغرض من الأغراض ؟ ومتى وكيف يباح ذلك ؟ وفى حالة التحريم القطعى هل يعد المال المقبوض من البنك من المال الحرام كأن يكون مسروقاً مثلاً ولا يحل الانتفاع به أم يصبح ملكاً حلالاً للمستدن مع تحريم المعاملة ؟

(قلقيلية — فلسطين) محمد عبد الفتاح محمود الحسن

إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوى

كيف يمكن التوفيق بين الآية الكريمة : « يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى » وبين قول علماء الحياة : « الأحياء لا تنتج إلا من أحياء » ؟

(القدس) حافظ عبد النبى

« أرواح وأشباح » على المسرح

أقام الفرع المدرسى لمعهد فؤاد الأول للموسيقى العربية حفلته السنوية لتوزيع الشهادات على طلابه المتخرجين ، وكان أطرف ما فى برنامجها الحافل فاصل تمثيلى غنائى عنوانه (ابن السماء) من كتاب (أرواح وأشباح) للأستاذ الشاعر على محمود طه ، وضع ألحانه وموسيقاه الفنان الدكتور محمد شرف الدين ، وتولى إخراجه الفنان عثمان أباظة ، ومثله طلاب المعهد ، فكان تأثيره على النظارة عجيباً دعا القائمين على شئون الفرقة المصرية أن يفكروا فى إخراج هذه الملحمة الجميلة على مسرح دار الأوبرا الملكية لتكون أروع إخراجاً وأبرع تمثيلاً وأكمل عدة ؛ وهى فكرة موفقة نرجو أن يصاحبها العزم حتى تصل إلى دور التنفيذ .

كلمة أخيرة أيضاً فى ضبط الخلاف بين العربية والعامية

قرأت ما كتبه الأستاذ الفاضل عبد الحميد عنتر فى العدد (٥١٤) من مجلة « الرسالة » الغراء ، فوجدته يعتمد فى إبطال الاقتراح المقدم إلى المجمع اللغوى فى ضبط الخلاف بين العربية والعامية على أنه يخالف الضابط الذى أجمع عليه العلماء منذ ١٣٦٢ عاماً هجرياً ، ويقوم على رأى جديد متطرف لا يعتد به لخروجه على ذلك الإجماع ، وما كنت أظن أن مثله يفوته أن صاحب الاقتراح يعرف أن رأيه يخالف ما أجمع عليه العلماء قبله ، ولكنه يؤمن مع هذا بما قاله الأُوَلُ : كم ترك الأول للآخر . وبما قاله الإمام على رضى الله عنه : لا تكن ممن يعرف الحق بالقائلين له ، إعرف الحق تعرف أهله

وقد كان إجماع العلماء القدماء على أن العناصر البسيطة أربعة ، فلم يمنع هذا مخالفة المتأخرين لهم ، وأن يثبتوا أن هذه العناصر الأربعة مركبة لا بسيطة ، وأن العناصر البسيطة لا تحصى ولا تعد . وبعد فإن ذلك الاقتراح ليس فيه إلا مخالفة ذلك الإجماع ، ولا شك أن هذا لا يجعله من الاستحالة فى شىء .

(. . .)

تراجم المعاصرين

أثير هذا الرأى فى إحدى المجلات المصرية منذ زمن غير بعيد ؛ ولقد انشرح صدرى لتقبُّل المجلة التى أثير فيها أن تساهم فى هذه الغاية بنشر هذا اللون من الأدب المؤرخ . وأيقنتُ أن ذلك سيعود على تاريخ الأدب العربى بفوائد جمة إن يُشرع فى تحقيقه . ذلك لأن تدوين حياة الأديب الكبير ودراسة أدبه : أفكاره وأسلوبه ، فى حال حياته ، أسهل وأصدق مما لو عُمِدَ إلى ذلك بعد موته . فإن دراسته إذ ذاك تكون أوفى وأقرب إلى الحقيقة .

أقول هذا وبين يدىّ الآن العدد الأخير من مجلة « الصباح » الدمشقية (عدد ٢٩ آذار ١٩٤٣) أطالع فيه دراسة مستفيضة عن الشاعر احمد الصافى النجفى .

حرَّر هذا العدد الخاص الأستاذ فؤاد الشائب فاستخلص شخصية الصافى من دواوينه التى أشهرها « الأمواج » و « أشعة ملونة » فتحدث عن حياة الصافى الحرّ البعيد عن الدنيا ، القريب منها ، وقدَّم لبحثه بهذه الكلمات :

« قرأت فى حياته ، وقرأت فى ديوانه ، فلم أجد أحفل منها حياة ، ولا أصدق منه كتاباً ... نغمتان أختان ، وصورتان توأمان للنفس البشرية فى أعمق شعورها وأصدق حكمتها ...

فلا أدري أيهما كتاب الشاعر، وأيهما حياته ... »

تكلم الأستاذ الشائب عن خصائص الصافى الشعرية، وعن تحرره وعدم تقيده وإبداعه وعن روحه الشعرية، ودلل على أنه شاعر لا ناظم، ووصف شعره « بالبساطة الحلوة النافذة إلى غرضها بلا عنف أو جهد » وأوضح أنه اقترب أعظم الاقتراب من الإنسانية، وأنه وإن لم يَبلُ الحب ويخبره، فقد بلا الألم وخَبِرَهُ أكبر الخبر، فجاء شعره وليد نفس ثائرة متألمة ملتاعة

نرجو أن نستمع إلى من يحدثنا عن العقاد، والزيات، وطه حسين، واحمد أمين ... وغيرهم من زعماء الأدب العربي ... أما الدكتور المبارك، فلا بأس من أن نستمع إلى من يحدثنا عنه، ولو أنه هو نفسه تحدث كثيراً عن نفسه، وكتب ما ينبغي أن يُكتب عن حياة أديب، بل وأكثر ...

(بيروت) سهيل ادريس

تصحيح أجزاء بحر الخفيف

كتب الأديب حسين البشبيشي تحت عنوان شعر منشور بالعدد ٥١٤ من قصيدة الأديب مصطفى محمد أن الشطرتين اللتين بين القوسين خطأ، وذلك لأن القصيدة من بحر الخفيف

وقد أصاب فى ذلك ولكنه أخطأ فى أجزاء البحر حيث قال إن أجزاءه (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن). والصواب (فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن) بالوتد المفروق وهو ما كان ثلاثة أحرف وسطها ساكن. وكم من فرق بين مستفعلن بالوتد المجموع ومستفع لن بالوتد المفروق فقد قال العروضيون هناك فرق بينهما من جهة موقعهما في البحور، ومن جهة الخط، ومن جهة اللفظ، ومن جهة الحكم. أما من جهة الفرق فى موقعهما فى البحور أن مستفعلن أحد أجزاء البسيط ومخلعه والرجز والسريع والمقتضب. والثانى أحد أجزاء الخفيف والمجتث. والفرق بينهما فى الخط أن الأول وهو مستفعلن لا وقف فيه. والثانى يوقف على آخر وتده المفروق. والفرق بينهما فى اللفظ أنه يجب صناعة على قارئ الأول ألا يقف على الرابع ليعلم السامع أنه ذو الوتد المجموع بخلاف الثانى فيجب عليه أن يقف ليعلم السامع أنه ذو الوتد المفروق، وأما من جهه الحكم أن الأول يجوز طيه وهو حذف الرابع الساكن بخلاف الثانى فلا يجوز طيه. لهذا كله ولما لهذه الفروق من الأهمية كتبت هذا إعلاناً للحق. وإلى الأديب عاطر التحية وأزكى السلام

(معهد الاسكندرية) عبد الفضيل يوسف

جماعة نشر الثقافة

تواصل جماعة نشر الثقافة نشاطها الأدبي لتساهم بجهودها فى تقوية الحركة الفكرية بالأسكندرية، وستقيم مهرجاناً للربيع بمسرح نادى موظفى الحكومة عند الساعة الخامسة من مساء يوم الإثنين الموافق ٢٤ مايو ١٩٤٣؛ إذ يشترك الفن والأدب فى الاحتفاء بفصل الجمال والحياة.

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 516

Lundi - 24 - 5 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥١٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٤ مايو سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهرس

صفحة		
٤٠١	أخطار الطعام الواحد ..	: الدكتور زكي مبارك ....
٤٠٦	العقيدة الدينية وطريق ثبوتها	: الأستاذ محمود شلتوت ..
٤٠٩	أدباؤنا والمسرح	: الأستاذ دريني خشبة ...
٤١٢	بحث لغوي أنف	: الأستاذ عبد القادر المغربي ...
٤١٤	كيف عرفت الرافعي . .	: الأستاذ محمود أبو رية
٤١٥	ذكريات [قصيدة] ...	: الأديب أحمد أحمد العجمي ...
٤١٦	الأحلام	للكاتب هنري برجسون .. بقلم الأستاذ ألبير نادر ...
٤١٨	من أزهار الشر	للشاعر « شارل بودلير » ... بقلم الأستاذ عثمان علي عسل
٤١٩	الاصلاح والحرية . .	: الأستاذ حلمي الادريسي ...
٤١٩	فائدة القرض من المصارف المالية	الأستاذ محمود شلتوت ..
٤١٩	عــثرات	: الأستاذ محمد محمود رضوان .
٤٢٠	في القصة والمقامة	: الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
٤٢٠	تراجم المعاصرين	: الأديب حسين محمود البشبيشي
٤٢٠	جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية	: ... .

أخطار الطعام الواحد

[رسالة مهداة إلى جار الشجرة الزهراء]

للدكتور زكي مبارك

أكاد أحكم بأن جمال الحياة من صُنع أيدينا ، وأن الله لم يجعل الإنسان خليفته في الأرض إلا بعد أن زوّده بالقدرة على تجميل الحياة بأغرب وألطف ألوان التجميل

ومَلَكات الإنسان تؤهله للغرور القائم على أساس ، فمن حقه أن يزعم أنه يَهَبُ الحياة للحياة ، وأن يقول في بعض حالات التمرد إنه خالق لا مخلوق

ولن نؤمن بالله حق الإيمان إلا يوم نعرف على وجه التحديد أو التقريب قيمة ما خصنا به من القدرة على تلوين الوجود بأشتات من الألوان

والواقع أن العزة الإلهية دانت الإنسان بديون تعجز عن حلها الجبال . ولا يعاب على الإنسان إلا غفلته عن استثمار ما في صدره وروحه وعقله من كنوز تفوق الذخائر المعروفة والمجهولة في جميع بقاع الأرض ... هو يملك ثروة معنوية في غاية من النفاسة ، ولكنه قد يجهلها بعض الجهل أو كل الجهل فلا يبذل في استكشافها أي مجهود ، ولا يؤذيه أن يعيش على الفِطرة كما يعيش سائر الحيوان

كل أمة من الخلائق تنقرض بالموت ، إلا الأمة الإنسانية ، فهى تترك شواهد خوالد على ما قدمت للحياة من أفانين العقل والذوق ، وهل كان من المصادفة أن تتفق الديانات على أن البعث بعد الموت مقصور على الأمة الإنسانية ؟

وأنا مع هذا أفترض أن البعث لن يكون عامًا ، وسأحرص على هذا الافتراض لغاية أخلاقية توضحها السطور الآتية :

يوم البعث هو يوم الحساب ، ومعنى ذلك أنه خاص بمن كانت لهم إرادات ذاتية تدرك معانى الثواب والعقاب ، ومعناه أيضاً أن الذين مرّت حياتهم بلا إدراك قد يضافون إلى الخلائق المنسية ، إن صح هذا الافتراض

ولكن ما هذا التهيب فى عرض هذه النظرية ؟

هل أخاف من أن يعترض معترض وبيده الأثر الذى يقول : أكثر أهل الجنة هم البُله والمجانين ؟

هذا أثر مصنوع ، اختلقه واضعه لغاية مدخولة يراد بها صد الناس عن الاحتكام إلى العقل فى مختلف المعضلات ، وإلا فما قيمة الجنة إذا كان أكثر ساكنيها من قدماء البُله والمجانين ؟

مزية الإنسان هي قوة الشعور بالمسئولية ، وهذا الشعور قد يسوقه إلى البحث عما فى صدره من المكنونات ، فإن فعل فقد يصل إلى منافع لا تخطر فى البال

الحياة لا تقاس بالطول والعرض ، وإنما تقاس بالخصب المنوى ، وهو أطيب الأرزاق ، فمن واجبنا أن نزوّد أنفسنا بالكثير النافع من الأزواد العقلية والذوقية عساها تجود بإبراز تلك المكنونات

النفس كنز تحرسه أقفال وأرصاد . وقد تعب الناس منذ أزمان فى التعرف إلى كنوز النفوس ، بأساليب تختلف باختلاف الأقاليم والأفهام ، فأهل الهند يرون الصوم عن الطعام والشراب هو الوسيلة إلى كشف أسرار النفس ، وكان بعض فلاسفة اليونان يرون الطعام والشراب من وسائل الوصول إلى أسرار النفس ، وفريق من رجال الإسلام يرون النفس لا تتفتح إلا فى أعقاب الصلوات عند هدأة الليل

ما ذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد النص بصراحة على أن الرقي الإنسانى لم يبدأ إلا بعد التحرر من الطعام الواحد ، وذلك لم يقع إلا بعد أن عرف الإنسان كيف ينتقل من أرض إلى أرض . ودليل ذلك أن الأمم القليلة المعارف والقليلة الحيوية هى الأمم التى ألفت الاستقرار فى وطنها الأول ، لأن الاستقرار يخمد شهوة التطلع ، بسبب الركود الذى يصحب توحّد المطعومات والمرئيات

والمعروف أن حواس الطفل أقوى من حواس الكهل ، فكيف يكون ذلك ؟

قد يقال إن الحواس تضعف مع الزمن ، وذلك أسهل التعاليل ، ولكنى أرجح أن قوة الحواس عند الأطفال ترجع إلى أن كل شيء فى نظرهم جديد ، فهم يتطلعون إلى كل أفق ، ويتشوفون إلى كل مجهول ، ولا كذلك حال الكهل الذى ألف ما حواليه من الأشياء ، فهو ينظر ويتأمل بفتور وبطء ، ثم ينتهى به الأمر إلى تبلد الإحساس

والمعروف أيضاً أن النبوّات لا تظهر إلا فى البلاد التى يكثر فيها الاعتراك والاقتتال حول المبادئ والآراء ، فما كان يمكن لمكة أن تكون مهبط الرسالة الإسلامية لو أنها كانت قرية منعزلة لا تشتبك فيها المنافع ، ولا تصطرع فيها العقول . وهل ننسى كيف منّ الله على قريش برحلة الشتاء والصيف ؟

إن تلك الرحلات هيأت القرشيين لما صاروا إليه فيما بعد ؛ وفضلُ الإسلام على العرب لا يقتصر على تزويدهم بعقيدة التوحيد ، فهنالك فضلٌ عظيم ، وهو تمكين العرب من الاتصال بأكثر الأمم المعروفة لذلك العهد ، وهذا الاتصال خلق فى العرب حيويات جديدة ، وأيقظ فى نفوسهم كثيراً من القوى النائمة ، وأمدهم بأزواد عقلية وذوقية لم يعرف مثلها العرب القدماء

والمدنية الإسلامية تمتاز بهذه الميزة ، فهى ليست وليدة العقل العربى الصرف ، وإنما هى مدنية دولية أخذت زاداً من كل أرض ، فقد كان المسلمون إنجليز زمانهم ، وكانت لهم مسالك إلى كل بلد عُرفت أرضه بالثمرات

هل تعرفون السر فى أن نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام كان يوصى بالزواج من غير القريبات ؟

تعليل ذلك سهل : فالتزاوج فى البيئة المحصورة ينتهى بضعف النسل ، لأن كثرة الألفة تضعف الشهية ، ولأن الاكتفاء بالقريبات يضيع فرصة الموارد الجديدة من الطبائع والأذواق .

العاهات الموروثة تكثر فى البيئات التى تتزاوج فيما بينها كثرة تنذر بالخطر المبيد . وقد تعرض اليهود لهذا الخطر فى الأزمان الحوالى فكثرت فيهم العاهات الحسية والمعنوية ، ثم

أقلقتهم الحوادث فشردتهم فى الأرض ليجدوا أجواء تطب لمرض القرار والاطمئنان

وقد أكثر اليهود من المطالبة بالوطن القومى ، وهو عندهم فلسطين ، فإن عادوا إليها جميعاً فستكون عودتهم المرموقة نذير انحلال ، ومن قال بغير ذلك فهو يجهل خطر الطعام الواحد على الجسوم والعقول

وقد صرخ اليهود لعهد موسى من الطعام الواحد ، كما قص علينا القرآن ، فأوصاهم موسى بهبوط مصر ، لأن مصر منوعة الفواكه والحبوب والبقول ، وهذا سر القوة التى جعلت المصريين بمأمن من طغيان الأمراض الفواتك على اختلاف الأجيال

قال العباس بن الأحنف وقد آذاه تقلب محبوبته فوز :

يا فوزُ لم أهجركمُ لملالةٍ ... منى ولا لمقال واشٍ حاسد
لكننى جربتكم فوجدتكم ... لا تصبرون على طعام واحد

وقال شاعرٌ آخر :

ومُظهِرةٍ لخلق الله ودًّا ... وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لقلبها أشكو إليه ... فلم أخلُص إليه من الزحام
أيا من ليس يكفيها محبٌّ ... ولا ألفا محبٍّ كل عام
كأنك من بقية قوم موسى ... فهم لا يصبرون على طعام

وبقليل من التأمل ندرك أن هذين الشاعرين فى غفلة عن تلوين العواطف والأحاسيس . وهل يتعلق العاشق بمعشوقته إن أمن عليها الشركاء كل الأمان ؟

التعقيد فى الميول والأهواء هو سبب الحيوية فى الميول والأهواء . ومزية الإنسان أنه منوّع المطاعم والمشارب ، فهو يأكل ما تأكل السباع والأنعام والحشرات ، وهو لذلك يواجه مكاره الحياة بالقوة المستمدة من تلوين الطعام والشراب . إن مزية الإنسان أنه حيوان عارم لا تصده حدود ولا سدود ، وأنه يجد طعامه ولو سكن فوق رؤوس الجبال

هل سمعتم خبر الوزير الإنجليزى الذى اختبر معدته بالأكلة الهندية ، الأكلة المركبة من توابل حرِّيفة لا يقدر على ابتلاعها غير الهنود ؟

كان يقال إن العائلة الإنجليزية إذا استقرت مئة سنة فى الهند فستنقرض ، لأن جو الهند يخالف جوّ الجزر البريطانية ، ثم ظهر أن هـذا القول يعوزه الدليل ، فقد تأصلت فى بلاد الهند عائلات بريطانية ولم تنقرض

والوثائق تحت يدى ، فالإنجليزى المقيم فى الهند تصل إليه أزواد من كل أرض ، فهو هندى الوطن، ولكنه دولىّ الطعام والشراب ، وبذلك تأخذ أمعاؤه وقودها المنوع من هنا وهناك

والإنجليزى المقيم فى الهند لا يكتفى بقراءة ما تخرج مطابع الهند . وإنما تنتقل إليه المطبوعات الأوربية والأمريكية بأيسر عناء ، فيرى وجوه الآراء الغربية قبل أن يرى وجوه الآراء الشرقية ، ويعيش بملء روحه وعقله عيشاً لا يعرفه جيرانه من الهنود

قلّت أملاك الآساد فى الأرض ، لأنها أكلة لحوم ، وقلت أملاك الغزلان فى الأرض ، لأنها أكلة أعشاب

هل تعرفون الظباء فى حياتها اليومية ؟

إنها تتمرن على الجرى فى كل وقت ، لتحسن الفرار من هجوم الآساد ، وكان ذلك لأن فطرة الظباء فطرة غبية ، فهى لا تحب غير حياة التوحش والتوحد ، وهذه الحياة فرضت عليها الذل ، كما فرضته على الآساد . أليس من بلاء الأسد أنه لا يستطيع العيش بأرض خالية من الحيوان ، ولو أخرجت أطيب الثمرات ؟

واكتفاء أكثر أنواع الحيوان بالطعام الواحد قضى بأن تعيش فى ظل الوهم الأول ، فهى جميعاً تخاف من النور حين يسطع بالليل . ولو دخل إنسان غابة وحشية وبيده مصباح لأزعج ما فيها من الكواسر والجوارح ، لأن تلك الخلائق ترى أن النور قوة سماوية لا أرضية ، وأنه لذلك أمضى سلاح

وقد تحرر الكلب من الطعام الواحد بعض التحرر لا كل التحرر ، ولهذا ظل على أشياء من المخاوف الحيوانية ، فهو ينزعج من الليل أشد الانزعاج ، وهو لا يكف عن النباح إن قضى الليل فى العراء

والطعام الواحد يؤذى الأرواح ، كما يؤذى الأبدان ، والعقل يُعطب بالطعام الواحد كما يُعطب الجسم . فمن الواجب أن نزود عقولنا فى كل يوم بأزواد مختلفات . ورياضة العقل على تقبل الآراء لا تقل عنفاً عن رياضة الجسم على تناول الطعام الحِرِّيف

لاحظت أن البهائم تميز بين الطيب والخبيث من الأعشاب بدون تعليم ، وهل سمعنا أن بهيمة أكلت عشباً ساماً فاتت ؟

ولكن هذه الغريزة الهادية من أسباب الانحطاط فى طوائف من الحيوان ، فبها تنعدم فرص التجاريب ، والتجربة خصيصة إنسانية وهى أعظم تمرين لتقوية عضلات العقل ، وللعقل عضلات !

ولاحظت أن المواليد الحيوانية تعرف طريقها إلى الحياة منذ ساعة الميلاد ، فهى تأكل وتشرب وتمشى وتلعب من أول يوم

فكيف ضاع هذا الحظ على المواليد الإنسانية ؟

وكيف جاز أن يحتاج المولود الآدمى إلى شهور طوال قبل أن يعرف كيفية الوقوف ؟

قالت إحدى الجرائد الإنجليزية فى وصف الملك فيصل الثانى « هو طفل فى غاية من الذكاء ولكن لا تظهر عليه علامات النُّضج المبكِّر »

فا معنى العبارة الأخيرة ؟ هل ترونها ترمى إلى التهوين من شأن ذلك الطفل ؟

لا ، إنها غاية فى المدح ، لأن النضج المبكر ليس علامة حسنة فى حيوات الأطفال

الإنسان الجيد كالشجرة الجيدة ، يحتاج فى تكوينه إلى متاعب ، وقد حدثتكم مرة أن الشجر الجيد هو الذى ينمو فى بطء وتمهل . وأحدثكم اليوم أن السوس لا يعض غير الخشب المأخوذ من شجر سريع النماء

أقول هذا لأقرر حقيقة طُفْتُ حولها عدداً من السنين ، ولم أستطع التعبير عنها بوضوح وبيان

تلك الحقيقة هى أن العقل لا يخاف عليه من اصطراع الآراء إلا إذا فاتته فرص التدريب على الاصطراع ، وهذه الفرص تفوت العقل إذا اكتفى بالطعام الواحد فى المعقولات ، كما يتعرض الجسم للخطر إذا اكتفى باللون الواحد فى المطعومات

ألم تلاحظوا أن خواطر الشك والريب والإلحاد لا تساور غير المبتدئين ؟

إذا رأيت شخصاً يجادل فى آيات الله فاعرف أنه طفل ، لأن هذا النوع من الجدال مألوف عند الأطفال

وإذا رأيت شخصاً يناقش فى أمور فرغ منها الباحثون فاعرف أنه طفل ، والطفولة فى العقول قد تطول فى حياة بعض الناس !

***

أما بعد فا الذى أوحى هذه الأفكار بهذا الأسلوب ؟

أوحاها ضيفٌ رحل إلى غير مَعاد ، وما أصعب فراق الضيف المحبوب إلى غير مَعاد !

موضوع المقال هو الصفحات الآتية ، أما الصفحات الماضية فقد أنشأتها على سبيل التمهيد ، على قلة ما أصنع فى تحرير المقال على دفعات

وسأترك الصفحات الآتية على ما كانت عليه فى الوضع الأول ، لأنى أخشى أن يصيبها التزييف بالتعديل

وفى ترجمة خبرك ، أيها الفارق إلى غير مَعاد ، أسوق الحديث :

فى جُنح الليلة الماضية مات العصفور . وفى صبيحة اليوم دفناه فى حديقة البيت بجوار شجرة زهراء ، ضنًّا على جسمه اللطيف بأن يكون طعمة لفرد من الحيوان أو لطائفة من النمل ، إن ألقينا به فى الصحراء . . . فا تاريخ ذلك العصفور الصريع ؟

كان هدية من صديق راقه ما كتبت فى خصائص الطير والحيوان ، يوم كنت أنشر بمجلة الرسالة قصة آدم وحواء ، هدية لطيفة من صديق عُرِف أهله بلطافة الأذواق

دخل العصفور المنزل بعد الغروب ، وهو يغفو بعد الغروب ، ولكنه استيقظ حين بهره نور الكهرباء ، فتلفَّت حواليه تلفُّت المتأمل ، عساه يتعرف إلى مأواه الجديد

وانتظر الأطفال تغريده فى الصباح ، وكانوا سمعوا أنه يستقبل الصباح بالتغريد ، ولكنه آثر الصمت ، كما يصمت كل غريب !

وبعد يومين بدأ يرسل تغاريده بقوة أغنت الأطفال عن صلصلة « المُنبِّه » وحببت إليهم انتظار تباشير الصباح

كانت حياة هذا العصفور فى طعامه عجباً من العَجب ، كان طعامه حبَّات تُشبه حبات البرسيم ، ومع هذا كان يقزقزها قزقزة غريبة فيفصل القشور عن اللباب فى لمحات وهو يتناول الغداء ، وكانت هذه المهارة من طرائفِ ما ترى العيون . . .

كان مُقامه فى مدخل البيت ، وهو مكان يواجه هواء الشمال ، ويشعر من يقيم فيه بقسوة الشتاء ، فاقترحت أن يقيم

ساعتين من كل صُبحية بشرفة الغرفة الشرقية ، وهى مأواى فى الشتاء

فرح العصفور بالشمس فغرَّد وغرَّد ، والتفتُّ فرأيت جماعة من العصافير تحيط بالقفص لتستمتع بالحفلة الموسيقية ، الحفلة التى تُقدم كل صباح بالمجان !

عند ذلك أشرت بأن يبقى العصفور فى تلك الشرفة ساعات من كل يوم ، إكراماً لهذه العصافير المرهفة الأحاسيس !

ثم وقع مالم يكن فى الحسبان ، فقد سُمع صراخ العصفور ، سُمِع من الدور الأول وهو يصرخ بشُرفة فى الدور الثانى ، مع أن التليفون لا يسمع فى الدور الأول إلا بتوصيلة كهربائية تمنح التليفون لقب الهتّاف

أسرعت الروح التى تهيمن على البيت لتعرف سبب الصراخ فرأت صقراً بسط جناحيه على قفص العصفور ، وأخذ ينقره من جانب إلى جانب ، والعصفور يعلو ويهبط فى ذهول ، فلطمت الصقر بيدها لطمة قهرته على الفرار ، ثم أنزلت العصفور إلى مكانه بالدور الأول ، بعد أن ترك الصقر برأسه جرحاً صار فى صورة « الشوشة » التى تزدان بها رءوس بعض الشبان

بدا لى بعد ذلك أن أقيم العصفور فى الشرفة لحظات من كل صباح وأنا أتهيأ للخروج ، لعل الصقر يدنو فأصطاده ، وأنا مولع باصطياد الصقور والنسور ، ولكن الصقر كان أمكر منى فقد كان يقف من بعد ، ثم ينصرف حين يعرف ما أريد

قلت لأبنائى : إن الصقر لن ييأس ، وهو يتحرق شوقاً إلى لحم العصفور المفرد ، وفى هذه المنارة لوح من الزجاج حطمه رصاص المدافع أيام الغارات الجوية ، فانتظروا نزول الصقر من هذا المكان لتصطادوه ، إن اجترأ على النزول

* * *

ثم كانت العجيبة الآتية :

جاء عيد الفصح ، ومضى أبنائى إلى سنتريس ، ليشهدوا مطلع الربيع فى الحديقة التى تنتظر قدومهم فى كل صباح ، الحديقة التى أعدّ أشجارها من أبنائى

ونظرت فرأيتنى فى البيت وحدى ، ورأيت العصفور فى إملاق ، فلم يكن أمامه غير حبات لا تدفع غوائل الجوع ، وهو أضعف من أن يحتمل الجوع

مضيت إلى دار ابنى الأكبر أستشيره فيما أصنع ، وكان العصفور غرَّد بعد الغروب ، وهو لا يغرِّد بعد الغروب إلا فى توسل الملهوف

وخرجنا فطوفنا بشوارع مصر الجديدة وبعض شوارع العباسية فلم نجد طعام العصفور فى أى مكان

وبعد متاعب وجدنا نوعاً من السمسم يصلح لاقتيات العصافير ، فيما قيل

أقبل العصفور على السمسم يلتهمه بلا احتراس ، ليأمن غائلة الجوع ، ألم أكن أقدم إليه أغصاناً يابسة فينقرها بشهية لأنها تذكره بعهد أجداده فى حضانة الغابات ؟

ولكن نشاط العصفور أخذ يضعف من يوم إلى يوم ، وانتهى الأمر بموته فى جنح الليلة الماضية ، فما العِبرة من ذلك الموت ، ولكل موتٍ عبرة ؟

أماته الاكتفاء بالطعام الواحد ، والطعام الواحد يميت الجسوم والعقول

الآن عرفت كيف كان يغرِّد بأسلوبٍ رتيبٍ لا يعرف تلوين الألحان

الآن عرفت كيف تقترب طرائق الصوت عند أكثر صنوف الحيوان ، فما كان ذلك إلا لأن كل أمة حيوانية لها طعام واحد ، ولو بَعُد ما بينها بعد الشمال من الجنوب

الآن عرفت كيف امتاز الإنسان باختلاف الألوان فى الملامح والطبائع والأصوات ، وكيف يختلف رجل عن رجل وأمة عن أمة فى طرائق التعبير عن المعانى

تلوين الطعام يلون الأهداف والأغراض والآراء والأهواء

وذلك كنز وصلت مفاتيحه إلى بعض الشعوب فهى تُلقى بأبنائها فى مجاهل الشرق والغرب ، لترتاض أمعاؤهم على الحياة ، ولو فوق متون البراكين

كم تمنيت أن أعيش أياماً فى سفح فيزوف ، وكان يستهوينى حين تمر عليه الباخرة بالليل ... ولكن لا بأس ، فقد أمتعتنى الحياة بصنوف من المضجرات والمزعجات والأحابيل .

هل يمر يوم بلا متاعب على من يعتشق القلم فى كل يوم ؟

زكى مبارك

العقيـــدة الدينية
وطريق ثبوتها

للأستاذ محمود شلتوت

التكاليف علمية وعملية — العقائد — طريق ثبوتها — النظريات الخلافية الاجتهاد فيما لا قاطع فيه يمنع التأثيم — أثر التعصب المذهبى — تطبيق

قال العلماء : إن للانسان قوتين ؛ إحداهما نظرية ، وكمالها فى معرفة الحقائق على ما هى عليه ؛ والأخرى عملية ، وكمالها فى القيام بما ينبغى من الشئون فى الحياة . وقد قرر الإسلام هذا المبدأ أساساً لسعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة فجاءت تكاليفه نوعين : منها ما يطلب علماً ، ومنها ما يطلب عملاً . ونرى ذلك واضحاً جلياً فى هذه الكثرة من الآيات القرآنية التى تجمع بين الأيمان والعمل وتربط بهما النجاة والسعادة : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ، « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً » . « والعصر إن الإنسـان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ... الخ

وقد اصطلح العلماء على تسمية التكاليف التى تطلب علماً « بالعقائد » أو « أصول الدين » كما اصطلحوا على تسمية التكاليف التى تطلب عملاً « بالشريعة » أو « الفروع »

ولما كانت الحقائق التى يمكن أن يعلمها الإنسان كثيرة ، وكان أكثرها لا يتصل من قريب بالسعادة التى يقصدها الشارع قضت الحكمة أن يبيِّن للناس ما يجب عليهم أن يؤمنوا به فى سبيل الحصول على تلك السعادة . وذلك عند التحقيق يرجع إلى الأصول التى اشتركت فيها الأديان السماوية جميعها من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . . . الخ

حدد الشارع هذه الأمور ، وطلب من الناس الإيمان بها . والإيمان هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل . ومن الواضح أن هذا الاعتقاد لا يحصله كل ما يسمى دليلاً ، وإنما يحصله الدليل القطعى الذى لا تعتريه شبهة

وقد اتفق العلماء على أن الدليل العقلى الذى سلمت مقدماته ، وانتهت فى أحكامها إلى الحس أو الضرورة يفيد ذلك اليقين ويحقق الإيمان المطلوب

أما الأدلة النقلية فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تفيد اليقين[1] ولا تحصل الإيمـان المطلوب ، ولا تثبت بها وحدها عقيدة . قالوا : وذلك لأنها مجال واسع لاحتمالات كثيرة تحول دون هذا الإثبات . والذين ذهبوا إلى أن الدليل النقلى يفيد اليقين ويثبت العقيدة شرطوا فيه أن يكون قطعياً فى وروده ، قطعياً فى دلالته . ومعنى كونه قطعياً فى وروده ألا يكون هناك أى شبهة فى ثبوته عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك إنما يكون فى المتواتر فقط . ومعنى كونه قطعياً فى دلالته أن يكون نصاً محكما فى معناه ، وذلك إنما يكون فيما لا يحتمل التأويل . فإذا كان الدليل النقلى بهذه المثابة أفاد اليقين وصلح لأن تثبت به العقيدة . وأمثلة ذلك فيما ورد إلينا آيات القرآن التى تحدثت عن التوحيد والرسالة واليوم الآخر وما إلى ذلك من أصول الدين ؛ فقد جاءت — كما هى قطعية فى ورودها — قطعية فى دلالتها ، لا تحتمل أكثر من معناها : « فاعلم أنه لا إلـه إلا الله » . « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » . « قل بلى وربى لتبعثن » . « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » . « آمن الرسول بمـا أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » . « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين »

هذا هو شأن العقائد وطريق ثبوتها . ولا بد أن يعم العلم بها جميع الناس ولا يختص بطائفة دون أخرى ، لأنها أساس الدين وبها يكون المرء مؤمناً فكيف يتصور فى مؤمن أن يجهلها ؟ ومن مقتضيات هذا العلم العام بهـا ألا يقع خلاف بين العلماء فى ثبوتها أو نفيها

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن العلميات التى لم ترد بطريق قطعى ، أو وردت عن طريق قطعى ولكن لابسها احتمال فى الدلالة فاختلف فيها العلماء ، ليست من العقائد التى يكلفنا بها الدين ، والتى تعتبر حدًّا فاصلاً بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون ! .

(١) أنظر محصل الرازي ومقاصد السعد وغيرهما من كتب الكلام والأصول

وإنك لتجد كثيراً من هذا النوع فى كتب التوحيد إلى جانب العقائد التى كلفنا الله أن نؤمن بها ، فعى تذكر إلى جانب وجود الله ووحدانيته والرسل واليوم الآخر مسائل : رؤية الله بالأبصار ، وزيادة الصفات على الذات ، ومرتكب الكبيرة ، وما يكون آخر الزمان من ظهور المهدى والدجال والدابة والدخان ونزول عيسى وما إلى ذلك مما يذكر فى مثل « خريدة الدردير » و « جوهرة اللقانى » وغيرهما

والتاريخ العلمى يدل على أن هذه مسائل جر إليها البحث فى العقائد حين تعددت الفرق وكثرت الآراء والمذاهب الكلامية ، فكانت محل اجتهاد بين العلماء كل يرى رأيه فيها ، ويدلى بحجته على ما يرى ملتمساً الوصول إلى ما يلائم فى نظره العقيدة المتفق عليها

وأمثلة ذلك كثيرة ، منها أن المسلمين جميعاً قد اتفقوا على أن الله تعالى منزه عن كل نقص ، متصف بكل كمال . فهذه عقيدة قاطعة يعلمها كل مؤمن ولا يختلف فيها عالم مع عالم ، ولكن البحث جر إلى مسائل تتصل بها : هل يجب على الله أن يفعل الأصلح لعباده ؟ هل العبد خالق لأفعال نفسه الاختيارية ؟ هل المعاصى التى يفعلها العباد مرادة لله ؟ فاختلف العلماء فى هذه المسائل : رأى المعتزلة أن ترك الأصلح ، وتعذيب العبد على شىء لم يفعله ، وإرادة القبيح ، نقص لا يليق بجلال الله وكماله ، فذهبوا إلى وجوب الأصلح على الله ، وإلى أن العبد خالق لأفعال نفسه ، وإلى أنه تعالى لا يريد المعاصى . ورأى غيرهم أن إيجاب شىء على الله ، وعجزه عن خلق ما يفعله العبد ، وحصول ما لا يريد فى ملكه ، نقص لا يليق بجلال الله وكماله فذهبوا إلى أن الله لا يجب عليه فعل الأصلح ، وإلى أنه خالق أفعال العباد ، وإلى أنه يريد المعاصى . فأنت ترى أن هؤلاء جميعاً لم يختلفوا فى الأصل الذى كلفنا الله الإيمان به وهو تنزيه الله تعالى عن النقص ووصفه بالكمال ، ولكنهم اختلفوا فى أشياء : هل هى نقص فلا يتصف الله بها ، أو ليست بنقص فيتصف بها ، وقد ذكرت كتب التوحيد ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه ، وأوردت الأدلة النقلية التى استدل بها كلٌّ على ما يرى .

على هذا النحو جرى الخلاف بين الفرق الإسلامية فى المسائل التى جر إليها البحث فى العقائد ، وهو خلاف كخلاف الفقهاء فى أحكام الفروع التى لم يرد فيها نص قاطع محكم . خلاف لا يصح أن يُرمَى أحد فيه بأنه حاد عن الصراط المستقيم ، أو ضل ، أو فسق ، أو أنكر مسألة من مسائل الدين ... الخ (1) ولكن عصور التعصب المذهبى المنيف حملت للمسلمين تراثاً بغيضاً من التراشق بالتهم ، والترامى بالفسوق والضلال ، فتبادل الفقهاء أصحاب الفروع نوعاً من التهم ، وتبادل المتكلمون أصحاب العقائد مثل ذلك ، وتلقف المخدوعون من الخلَف هذه التهم وملأوا بها كتبهم ، وأسرفوا فى الاعتداد بها حتى جعلوها مقياس ما يقبل من الآراء أو يرفض

من هذا كله يتضح :

١ — أنه لا بد فى العقيدة من أن يكون دليلها قطعياً فى وروده وفى دلالته

٢ — وأن ما لم يكن دليله قطعياً ، فاختلف فيه العلماء ، لا يصح أن يعد من العقائد ، ولا أن يكون رأىُ طائفة معينة فيه هو الحق دون سواه

٣ — وأن كتب التوحيد لم تقتصر على ذكر العقائد التى كلفنا الشارع بها ، وإنما ذكرت بجانبها بعض النظريات العلمية التى تعارضت فيها ظواهر النصوص فكانت محل اجتهاد بين العلماء

ونتيجة هذا كله : أن القول بأن كذا عقيدة يجب الإيمان بها لأن ظاهر الآية أو المروى من الحديث يدل عليه ، أو لأنه رأى أهل السنة والجماعة مثلاً ، أو لأنه مذكور فى كتب التوحيد . كل ذلك قول من لا يفهم معنى « العقيدة » ولا يعرف أساسها الذى تبنى عليه .

* * *

لا شك أن هذه المبادىء التى ذكرنا تنير سبيل البحث لمن يريد معرفة الحق فيما هو من العقائد وما ليس منها ، وهى مبادىء مسلمة عند العلماء يعرف كل مطلع على كتبهم ومناقشاتهم أنه لا نزاع فيها . وعلى ضوء هذه المبادى نستقبل قول الذين زعموا « أن رفع عيسى ونزوله آخر الزمان ثابتان بالكتاب والسنة والإجماع » ولنا فى ذلك نظرات ثلاث : نظرة فيما

(1) أنظر « الملل والنحل » لابن حزم ، و « القواعد الكبرى » لعز ابن عبد السلام ، وغيرهما من كتب الأصول والكلام

ذكروا من آيات ، ونظرة فيما ساقوا من أحاديث ، والنظرة الثالثة فيما ادعوا فى هذا المقام من إجماع

فأما الآيات التى تذكر فى هذا الشأن فنحن نرجعها إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : آيات تذكر وفاة عيسى ورفعه ، وتدل بظاهرها على أن الوفاة قد وقعت ، وهذه الآيات هى :

١ – قوله تعالى فى سورة آل عمران « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ »

٢ – قوله تعالى فى سورة النساء : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم » إلى قوله : « وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه »

٣ – قوله تعالى فى سورة المائدة « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم »

وقد تناولنا هذه الآيات فى الفتوى ودرسناها دراسة علمية واضحة ، وعرضنا إلى آراء المفسرين فيها ، وبينا أنه ليس فيها دليل قاطع على أن عيسى رفع بجسمه إلى السماء ، بل هى – على الرغم مما يراه بعض المفسرين – ظاهرة بمجموعها فى أن عيسى قد توفى لأجله ، وأن الله رفع مكانته حين عصمه منهم ، وصانه وطهره من مكرهم . ولسنا فى حاجة إلى أن نعيد شيئاً مما ذكرناه(١)

النوع الثاني : آيات ما كان ليخطر بالبال أن لهـا صلة بموضوع البحث ، فلذا لم نفكر فيها ، وحسبنا الآن أن نمثل لهذا النوع بمـا قال أحدهم :

« ولك أن تضم إلى ما ذكرناه قوله تعالى عنه عليه السلام « وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » . ففى قوله « ومن المقربين » إشارة إلى رفعه إلى محل الملائكة المقربين »

والشيخ يريد السماء طبعاً ، وهو لىٌّ للكتاب غريب ، فقد وردت كلمة « المقربين » فى غير موضع من القرآن الكريم : « والسابقون السابقون أولئك المقربون » . « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم » . « عيناً يشرب بها المقربون » وإذن فليس عيسى وحده هو الذى يعيش بجسمه فى السماء ، بل معه أفواج من عباد الله يعيشون فيها ويزداد عددهم يوماً بعد يوم . وهكذا فليكن المنطق !

ثم يقول : « بل فى قوله تعالى « وجيهاً فى الدنيا والآخرة » إشارة إلى ذلك ، لأن الوجيه بمعنى ذى الجاه ، ولا أدل على كونه ذا جاه فى الدنيا من رفعه إلى السماء »

وهذا كلام لا يقال ، فإن وجاهة عيسى فى الدنيا هى الرسالة المؤيدة بالمعجزات البينات « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بنى إسرائيل : أنى قد جئتكم بآية من ربكم » فكيف تذكر بجانب هذه الوجاهة قصة الرفع إلى السماء التى يزعمون هذه الآية على إفادتها أو الإشارة إليها ؟ وكيف يكون وجيهاً فى الدنيا من غادر الأرض وترك أهلها الذين يحسون وجاهته ؟ . وهكذا ينتزع القوم من كل عبارة إشارة أو تلميحاً ليؤيدوا ما زعموا أنه عقيدة يكفر منكرها ؟

النوع الثالث : آيتان قد اختلفت آراء المفسرين فى بيان المراد منهما ، وجاء فى بعض ما قيل أنهما تدلان على نزول عيسى وهما :

١ – قوله تعالى فى سورة النساء : « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته »

٢ – وقوله تعالى فى سورة الزخرف : « وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها »

ولا نحب أن نطيل اليوم على القراء بالبحث فى هاتين الآيتين وبيان درجتهما فى الدلالة على ما زعموا ، فليكن ذلك فى حديثنا المقبل إن شاء الله :

محمود شلتوت
عضو جماعة كبار العلماء

(١) غير أنهم تمسكوا بقوله تعالى : « بل رفعه الله إليه » بعد قوله « وما قتلوه يقيناً » فقالوا : إن الرفع بعد نفى القتل هو رفع الجسم حتما ، وإلا لما تحققت المنافاة بين ما قبل « بل » وما بعدها ، ونحن نقول لهم إن المنافاة متحققة ، لأن الغرض من الرفع رفع المكانة والدرجة بالحيلولة بينهم وبين الايقاع به كما كانوا يريدون . والمعنى : إن الله عصمه منهم فلم يمكنهم من قتله بل أحبط مكرهم وأنقذه وتوفاه لأجله فرفع بذلك مكانته . وقد قلنا فى الفتوى : إن الآية بهذا تتفق تماما مع ظاهر قوله تعالى « إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا » وهـذا احتمال قوى فى الآية يمنع الزعم بأنها نص أو ظاهر فى رفعه بجسمه حيا . ويقول الامام الرازى فى تفسيره « ومطهرك : مخرجك من بينهم ومفرق بينك وبينهم . وكما عظم شأنه بلفظ الرفع إليه أخبر عن معنى التخليص بلفظ التطهير ، وكل ذلك يدل على المبالغة فى إعلاء شأنه وتعظيم منزلته . ويقول فى معنى قوله تعالى « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا » : القول الثانى : المراد من هذه الفوقية الفوقية بالحجة والبرهان » ثم يقول : واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفعه فى قوله « ورافعك إلى » هو رفع الدرجة والمنقبة لا بالمكان والجهة ، كما أن الفوقية فى هـذه الآية ليست بالمكان بل بالدرجة والرفعة » ا هـ

أدباؤنا والمسرح

للأستـــاذ دريني خشبة

أخذنا على مجلاتنا الممتازة ، فى كلمة سابقة ، انقطاع الصلة بينها وبين الفنون المصرية الحديثة ، وأكبر مظاهرها المسرح والسينما والغناء والموسيقا ؛ ونريد فى هذه الكلمة بحث العلل التى تصرف كبار أدبائنا عن التأليف أو محاولة التأليف ، للمسرح المصرى

والملاحظ فى مصر اليوم تلك الحركة الطيبة فى كتابة القصة ، وإقبال القراء على القصة المصرية ذلك الإقبال الكبير المشجع الذى أوشك أن يكون منافساً خطراً لقراء القصة المترجمة . ولدينا ولله الحمد عدد لا بأس به من كتاب القصة المصرية الشائقة التى لا تقل رونقاً ولا بهاء عن القصة الأجنبية وإن لم تبلغ مرتبتها بعد فى الطول ولا فى التماسك ولا فى الصبر على معالجة الأدواء الاجتماعية ... ولا بأس من أن نسجل هنا أن جل كتابنا ، إن لم يكن كلهم ، أميل إلى كتابة الأقصوصة منهم إلى تأليف القصة ، وقد بلغ بعضهم فى ذلك حد الكمال ، وهو ما يفخر به الأدب المصرى الحديث

وقد يحار الإنسان فى انصراف أدبائنا هؤلاء عن التأليف المسرحى ، وإمداد المسرح المصرى بما يفتقر إليه من المسرحيات التى تساعده فى شق طريقه بين مسارح العالم الناجحة المحترمة . ولعلنا سائرون فى نهضتنا الأدبية الحديثة فى مثل الطريق التى سار فيها الأدب الإنجليزى خاصة والآداب الأوروبية على العموم ؛ فلقد لاحظ مؤرخو الأدب الإنجليزى أنه لم يتفق أن ازدهرت القصة إلى جانب ازدهار الدرامة فى عصر ما من عصور هذا الأدب ، ففى عصر إليزابث مثلاً كانت الدرامة هى التى تحتل المقام الأول فى انجلترا ، بينما كانت القصة متخلفة نوعاً ما . أما فى العصر الفكتورى ، فقد حدث العكس ، إذ ازدهر أدب القصة ، وغاض أو كاد أن يغيض الأدب المسرحى ، حتى رد إليه برناردشو وسير جيمس بارى ، وطائفة أخرى من الكتاب المسرحيين شبابه الذى ولى ، ويتنبأ بعض مؤرخى هذا الأدب أن نهضة التأليف المسرحى الحديثة التى بدأها شو ونفخ فيها بارى وجولز ورثى وموجهام و كوارد ، ومن إليهم دورة من هذه الدورات فى تاريخ الدرامة والقصة ، تلك الدورات التى تجرى إحداها فى إثر سابقتها حتى إذا حلت محلها لم تلبث أن تخلى لها الطريق ردحاً من الزمن لتعود إلى مسرح الحياة مرة أخرى ، وهكذا دواليك ... ويعللون ذلك بروح العصر أولاً ، وبما كان من تحريم التمثيل وإغلاق جميع المسارح الإنجليزية خلال الحروب الأهلية ثانياً ؛ لكنهم لم يعللوه قط بكسل الأدباء ، أو تكاسلهم ، أو ازدرائهم للمسرح كما يخيل للانسان أن يعلل كساد الإنتاج المسرحى عندنا ، وتراخى كبار الكتاب فى مصر فى مد المسرح بما هو جد محتاج إليه من الدرامات بأنواعها ...

وبعد ، فلنكن صرحاء فى تعليل عقمنا فى الإنتاج المسرحى ، هذا العقم الذى يضع أدبنا فى مؤخرة آداب العالم بالرغم من تقدم فن القصة المصرية الذى لا يسع المنصف إلا أن يعترف به

فأول أسباب ذلك العقم هو تأخر الترجمة فى مصر ، وضآلة النقل الفنى المسرحى ، إن لم نقل انعدامه ... ويحار الإنسان على من تقع جريرة تأخر الترجمة وضآلة النقل الفنى المسرحى ؟ ! أتقع جريرة ذلك على الأدباء المصريين ذوى الثقافة الأجنبية والبصر بمختلف آداب العالم ! أم تقع على كلية الآداب المصرية ؟ أم تقع على وزارة المعارف العمومية وإدارة الترجمة بها ؟ أم تقع على دور النشر ولجان الترجمة والتأليف ؟ أم تقع على أغنيائنا الذين يصمون آذانهم عن الحركات الأدبية فى مصر ؟ أم تقع على أمرائنا الذين لا يشملون بالرعاية (مساكين الأدباء) كما كان يصنع أمراء أوروبا فى عصر النهضة ؟

١ — على من تقع جريرة تأخر الترجمة فى مصر ؟ لا جرم أن شطراً كبيراً من تلك الجريرة يقع على عاتق الأدباء المصريين الذين لهم دراية كاملة بالتيارات الأدبية الحديثة فى العالم كله ... فأولئك الأدباء — وهم كثيرون جداً والحمد لله — يعلمون مما درسوا من آداب الأمم المختلفة أن لا بد لكل نهضة

أدبية فى مدارج ارتقائها الأولى من لقاح أجنبي تستفيد به ، وينير لها السبيل إلى الكمال ، ويوقيها الوقوع فى التجارب الفاشلة التى مرت بها الأمم الأخرى — وهم يعلمون كذلك أن الأمة التى لا مسرح لها لا أدب لها ، مهما كثر عندها كتاب المقالات ومؤرخو الأدب العربى وناظمو القصائد والموشحات ، فالمسرح اليوم عند جميع الأمم ، وكما كان فى معظم العصور ، هو المظهر الأول من مظاهر النشاط الأولى عند أى شعب من الشعوب ، وقد أسلفنا القول فى كلمة سابقة أن نصف ، أو ثلاثة أرباع الآداب العالمية هو أدب مسرحى صرف .

فإذا كان الأمر كذلك ، فإلى متى يا ترى نظل بأدبنا الحديث فى مؤخرة آداب العالم ؟ . . . ليس معقولاً ولا مقبولاً أن يمارى أحد فى قيمة المسرح ومساسه بالتربية الشعبية ، ومجرد المماراة فى ذلك ضرب من الجنون أو النقص الذهنى لا يليق بأمة ناهضة طامحة إلى الكمال ... فلماذا لا يترجم كبار كتابنا مع ما لهم من الإلمام باللغات الأجنبية ؟ ... إن الذى له دراية بأية لغة أوربية من اللغات الكبيرة يستطيع أن يقرأ روائع الآداب العالمية منقولة إلى تلك اللغة نقلاً يشبه الأصل إن لم يفقه جمالاً وروعة ... فمتى يستطيع القارئ العربى الاطلاع على روائع آداب العالم منقولة إلى اللغة العربية ؟ متى يستطيع أدباء الأزهر ودار العلوم وطلاب الثقافة العامة من جمهور القراء الاتصال بالأذهان العالمية دون أن يتجشموا تعلم اللغات الأجنبية ؟ متى يستطيع المسرحيون فى مصر الاطلاع على تاريخ المسارح العالمية وروائعها وتراجم أبطالها ، ومعظمهم على ما نعرف من الأمية والعجز والفقر الأدبى والثقافى ؟ ... ثم ماذا يمنع كبار أدبائنا من الترجمة وأنا أعرف منهم أربعين أو خمسين على الأقل يستطيع الواحد منهم أن ينقل إلى العربية ثلاث مسرحيات كل عام على أن يشتغل بكل يوم ساعة ، فإذا انتهى العام قدموا للقارئ العربى وللمسرح المصرى مائة أو مائة وخمسين من روائع درامات العالم . فماذا تكون هذه الثروة الأدبية يا ترى ؟ وماذا يكون أثرها فى خلق النهضة المسرحية وتوجيهها فى مصر ؟ ... وأعود إلى التساؤل عما يمنع هؤلاء الأدباء الكبار من الترجمة ؟ إنى أجلهم عن أن يكون ما يحول بينهم وبين ذلك هو الكسل ، أو التعلل بالعوامل المثبطة التى سنتناولها فيما بعد !

٢ — أما نصيب كلية الآداب من جريرة تأخر الترجمة فى مصر فهو كبير بلا شك ، وإن كان فى رأيى فى المرتبة الثالثة أو الرابعة بعد نصيب الكبار من أدبائنا . فخريجو كلية الآداب ولا سيما خريجو أقسام اللغات الأجنبية . ما يزالون قلة فى مثقفى هذه الأمة ، ولست أريد أن أنتقص من أقدار هؤلاء الخريجين حين أقرر أن معظمهم ضعاف أشد الضعف فى اللغة العربية ، وأن كثيرين منهم — إن لم يكن أكثرهم — ينصرفون عن القراءة وإدمان المطالعة والاتصال بما أخرجته المطابع الأوربية ، وما تزال تخرجه من روائع الأدب ، والأدب المسرحى بوجه خاص . على أن كثيرين من هؤلاء الخريجين يجيدون أكثر من لغة أجنبية ، كما يجيدون العربية إجادة تامة ، فماذا يمنع هؤلاء من النقل المسرحى إلى اللغة العربية ؟ إنهم أعرف من جمهور القراء بما نقوله هنا عن المسرح والأدب المسرحى ، فهل الذى يحول بينهم وبين هذا العمل هو نفسه ما يحول بين كبار الأدباء فى مصر وبين المسرح والدرامة المسرحية ؟ على أننا نعفى من ذلك هيئة خريجى قسم اللغة الإنجليزية التى تنفى عن نفسها تهمة الكسل بما تقدمه لنا أحياناً من إذاعات تمثيلية جيدة وإن تكن مقتضبة ...

٣ — أما جريرة وزارة المعارف فى تأخر الترجمة فهى بلا شك أعظم شأناً من جريرة كبار الأدباء ، ومن جريرة كلية الآداب ؛ ومن المؤلم جداً أن يكون ذلك كذلك ، وفى وزارة المعارف إدارة للترجمة يرأسها مدير مجد صبور على العمل ، ويشرف عليها رجل ارتبطت به نهضتنا الأدبية الحديثة إلى حد بعيد ، وكان من حسن حظ هذه النهضة أن يتزعمها من نحو عشرين عاماً ... ذلك هو عميد الأدب العربى ، ومؤلف «مستقبل الثقافة فى مصر» ومستشار وزارة المعارف الفنى . وقد يخيل لى أن الكلام هنا لا بد أن يكون شائكاً لأنه يتناول الإدارة التى أعمل فيها منذ

عهد قريب ، ولذلك أعتذر مقدماً عن صراحتى التى جرّت علىّ كل مصائبى فى هذه الحياة ، لأنى إن لم أكن صريحاً فى الكلام عن هذه الإدارة فماذا أكون ؟ إن إلْوَاء الكلام لم يكن قط من سجاياى ، وإن كان – قبحه الله – من أحسن فضائل العصر الحديث ! وقبل أن أخوض فى نقد المنوال الذى تسير عليه إدارتنا المحترمة أنقل للقراء ما يأتى من كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » الذى ألفه الدكتور طه حسين بك . قال حضرته فى الفصل الثالث والخمسين (جـ٢ – ص٤٩٦ ومابعدها) :

« وفى حياتنا العقلية تقصير معيب يصيبنا منه كثير من الخزى كما يصيبنا كثير من الجهل وما يستتبعه الجهل من الشر . ولا بد من إصلاحه إن كنا نريد أن ننصح لأنفسنا ونعيش عيشة الأمم الراقية . وإن كنا نريد أن ننصح للعلم نفسه ونشارك فى ترقيته وتنميته . وإن كنا نريد أن ننصح للشعب فنخرجه من الجهل إلى المعرفة ، ومن الخمود والجمود إلى النشاط والإنتاج . ومظهر هذا التقصير المخزى إهمالنا الشنيع للترجمة والنقل عن اللغات الأوروبية الحية ... إلى أن يقول ... ونحن من غير شك أقل الأمم حظاً من الترجمة ، وأقلها علماً لا أقول بدقائق الحياة العقلية الأوربية بل أقول بأيسر مظاهرها . . . وينشأ عن هذا أننا لا نترجم ؛ وكيف نترجم إذا كنا لا نقرأ ؟ وكيف نقرأ إذا كنا لم نثقف هذه الثقافة التى تجعل القراءة جزءاً مقوماً لحياتنا اليومية ؟ وينشأ عن هذا خطر عظيم جداً وهو أن القارئين الكاتبين منا على قلتهم يجهلون الحضارة الحديثة جهلاً تاماً ، لأن كثرة هؤلاء القارئين الكاتبين يجهلون اللغات الأجنبية جهلا تاماً ، ولأننا لا نترجم لها إلى اللغة العربية ما لا تستطيع أن تقرأه فى اللغات الأجنبية ... ثم يقول ... وقد قلنا غير مرة فى غير هذا الحديث أن من غير المعقول أن تكلف كثرة القارئين الكاتبين فى أمة من الأمم إتقان اللغات الأجنبية ؛ فلا بد من أن تنتقل لها خلاصة هذه اللغات إلى لغتها العربية . ذلك حق لها على الدولة ، وهو حق لها على المثقفين القادرين على الترجمة ... إلى أن يقول : فلنترجم إذن ولنكثر من الترجمة ، ولنبذل فى ذلك أقصى ما نملك من الجهد وأكثر ما نستطيع من المال . وعلى الدولة المسكينة يقع هذا العبء كما يقع عنها كثير من الأعباء وقتاً طويلاً ، لأن ظروف الحياة المصرية تقتضى ذلك وتفرضه فرضاً . وإذا كانت وزارة المعارف تمنح الإعانات لكثير من الجماعات والهيئات التى يُنشك فى نفعها ، فلا أقل من أن تنشئ مكتباً للترجمة على أن يكون عمله منوعاً بعض الشىء ، فينهض بنقل الآثار الأدبية والعلمية والفلسفية الخالدة التى أصبحت تراثاً للانسانية كلها والتى لا يجوز للغة حية أن تخلو منها . يترجم هذه الآثار لإغناء اللغة نفسها ومنحها ما تحتاج إليه من المرونة ، ولإرضاء الكرامة القومية ... ثم يقول ... وواضح جداً أن هذا المكتب لن يستطيع وحده أن ينهض بهذه الأعباء الثقال ، فلا بد من تشجيع المترجمين وإغرائهم بالمال ... الخ »

وليس يخامرنى شك فى أن الدكتور طه هو أقدر الناس فى التعليق على هذا الكلام الحماسى عن الترجمة ومكتب الترجمة الآن ، فقد عبر ، عند ما كان يؤلف كتابه ، عن أمانى مصر والمصريين وعن حاجة النهضة المصرية إلى هذه الثقافة التى تعتمد – أول ما تعتمد على شىء – على الترجمة ، وعبّر عن حاجة اللغة إلى ما يغنيها حين ينقل إليها من اللغات الأجنبية ويكسبها المرونة اللازمة لها ... ثم هو قد رسم المنهاج لمكتب الترجمة الذى هو ضرورة الضرورات لمد النهضة واللغة وجماهير المثقفين والقارئين الكاتبين بروائع الآداب العالمية وإن لم يستطع وحده أن يضطلع بهذا العمل ... وها هى الأيام قد دارت ووقع اختيار الدولة على الأستاذ الدكتور ليكون مستشارها الفنى فى تطبيق برنامجه الحافل الذى رسمه فى كتابه الجليل ... والدولة – والله المحمود – سخية أعظم السخاء على جميع المشروعات الحيوية هذه الأيام ، وقد بلغت ميزانيتها من الضخامة هذا العام مبلغاً لم تعرفه من قبل ، فماذا صنع الدكتور لمكتب الترجمة ؟ هل نال هذا المكتب بعض ما تناله قنطرة أو مصرف أو تطهير ترعة أو مدرسة إلزامية ولا أقول ابتدائية أو ثانوية ؟ وهل أصبح هذا المكتب – الذى هو ضرورة الضرورات لنهضتنا الثقافية – من الأشياء التى لا نفكر فيها إلا ذلك التفكير الخفى ؟ وبهذه

بحث لغوى أُنُف

للأستاذ عبد القادر المغربى

كنت ألقيت فى ردهة المجمع العلمى العربى بدمشق محاضرة فى غريب اللغة قصصت فى آخرها خبر الأميرة العمانية (ابنة الجلندى) ، وكانت تحمق ، أى تنسب إلى الحمق . وقد ذكروا من حمقها أنها أرادت يوماً أن تلهو ، فألبست سلحفاة لها حلىّ زينتها ، ونزّلتها تسرح فى حديقة قصرها . وكانت الحديقة على شاطىء البحر ، فانسابت السلحفاة إلى الشاطىء وغاصت فى الماء بما عليها من الحلى . فأمرت الأميرة جواريها أن يغترفن ماء البحر بأكفهن ، ويصببنه على رمل الساحل . وكانت تقول لهن منشطة (نَزافِ نَزافِ ، لم يبق غير قُدافِ) أى لم يبق غير غرفة ؛ فعيروها بحمقها ، وضربوا به المثل . فتخيلت أنها دافعت عن نفسها بقولها : إن الحروب البشرية التى يقع فيها التغريق والتدمير ، لم ينسبوا أهلها إلى الحمق ، فكيف يحمقونها هى ؟ ثم قلت على لسانها (أنا غرّقتُ وهم غرّقوا ، وشتان بين ما حمّقت وحمّقوا ، أفيكون من العدل أن أحمّق ولا يحمقّوا ؟) فاستعملت فعل (حمّق) من باب (التفعيل) ، وعلى أثر ذلك كتب الأستاذ صلاح الدين المنجد فى مجلة الرسالة الزاهرة (العدد ٤٤١ من السنة التاسعة) مقالاً أثنى فيه على المحاضرة ، ولكنه انتقد استعمالى لفعل (التحميق مكان (الحمق) وسأل عما إذا كان يصح هذا الاستعمال ، فأحببت أن أجيبه عل نقده بالكلمة التالية :

حقاً إن فعل الحمق لا يجىء فى كلام العرب إلا ثلاثياً ، ونقل بعضهم مجيئة من باب الإفعال ، لكنهم اتفقوا على أنه لغة رديئة بل أنكرها الأصمعى بالمرة . هكذا قال أصحاب اللسان والصحاح ومختار الصحاح والمصباح ، فإنهم جميعهم ذكروا (الحمق والإحماق) ولم يذكروا التحميق . وقد خالفهم فى ذكره صاحب القاموس وشارحه

السرعة ننسى الأحلام التى يزخرفها لنا الخيال ونحن نؤلف ؟ وهل يستطيع هذا المكتب ولما يبلغ أعضاؤه العشرة ، أن يؤدى للنهضة حقوقها عليه ؟ وهل العمل الذي فرض على هذا المكتب ، والذى لن ينتهى فى أقل من عشر سنوات هو من قبيل التنويع الذى أشار إليه الدكتور للنهوض بنقل الآثار الأدبية والعلمية والفلسفية الخالدة ؟ وأخشى أن يكون الدكتور قد نسى تلك المثل العليا التى كان يغازلها خياله الخصب وهو يكتب فصوله الشائقة عن الأدب والأدباء والترجمة والمترجين والتمثيل والممثلين فى كتابه الجليل . لقد كان الأجدر بإدارة الترجمة أن تكون شيئاً آخر غير هذا الشيء الذى لن تشعر به الأمة إلا بعد عشرات السنين ... لماذا نفرغ إلى هذا العمل البطىء السلحفائى الذى يخمد الأنفاس ولا تعطى لنا الحرية فى نقل روائع الآداب العالمية التى أشار إليها الدكتور فى كتابه ؟ . . . إنى لا أجادل فى قيمة الموسوعة التاريخية التى نقلها إلى العربية ، ولكنى أجادل فى عدم الملاءمة بين احتياجاتنا وبين أعمالنا ... وليس يجادل أحد فى أننا أحوج ألف مرة إلى روائع المسرح العالمية وروائع القصص العالمية منا إلى هذا التاريخ العام الذى يأتى دوره بعد أدوار الآداب المختلفة بمراحل شاسعة . فإن لم يكن بد من القيام بكل ذلك ، فلنمعن على الأقل بهذه الإدارة الضيقة (ولتبذل لها الدولة أقصى ما تملك من جهد وأكثر ما تستطيع من المال) كما يقول الدكتور فى كتابه . أما أن نحلم بأشياء جميلة فتتاح لنا الفرصة فى إنشائها فنوجدها ولا نوجدها فى وقت واحد ، فهذا من التناقضات التى ينبغى ألا نقع فيها ، كما يجب ألا تتبعثر جهود تلك الإدارة التى يرأسها أقدر رجال الترجمة فى مصر فيما هو بالمحل الثانى أو الثالث مما نحتاج إليه أصلاً . إن الساعات الثمينة التى يقضيها شباب المترجين يومياً فى نقل هذه (الأضابير) التاريخية إلى اللغة العربية كانت تتيح لهذه اللغة عشرين أو ثلاثين دراما كل سنة من أروع الدرامات التى تمد المسرح والقراء فى وقت معاً بثروة لا تعدلها ثروة .

(للحديث بقية)

دريني خشبة

وهذه عبارتهما : (محقه كمنعه محقاً أبطله ومحاه ، كمحّقه تمحيقاً للمبالغة . ومنه قراءة عبد الله بن الزبير « يمحق الله الرِّبا ، ويُربِّي الصدقات ، يمحق من التمحيق ويربى بتشديد الباء من التربية) ه وظاهر هذا القول أن التشديد لغة فى التخفيف

وأرى أن قول أرباب المعاجم هو الحق ، وأنه لا (تمحيق) فى اللغة ، وإنما الذى فيها هو (المحق) وقد سها صاحب القاموس فقال بالتمحيق ، وما استشهد به من قراءة ابن الزبير ليس محلاً للاستشهاد ، وإن صحّت القراءة .

وبيان ذلك أنّ (يمحِّق الله الربا) المشدّد الحاء فى قراءة ابن الزبير إنما جاء مشدداً للمزاوجة بين فِعْلَىْ (يمحِّق) و (يربِّى) فيصبحان كلاهما مشددين

والتزاوج بين كلمات اللغة فى الكلام الفصيح مذهب للبلغاء معروف وطريق مطروق . ومنه الحديث الشريف (إرجعن مأزورات غير مأجورات) فقوله (مأزورات) إنما هُمِزَ ليواخى ويزاوج (مأجورات) فلا يُقال إن الفعل من (مأزورات) هو (أزر) بالهمز وإنه بمعنى (وزر) . ثم لا يجوز استعمال أزر فى الكلام من دون غرض المزاوجة المذكورة ، كما لا يجوز تدوين فعل (أزر) فى المعاجم فى مادة (أ . ز . ر) . ومثله (محّق) بالتشديد فهو إنما ورد فى قراءة ابن الزبير لغرض المزاوجة وليس هو لغة للعرب . ولذا لا يجوز استعماله فى جملة لا ازدواج فيها ، كما لا يجوز تدوينه فى المعاجم . وهذا ما جعل أرباب المعاجم يهملونه

فأستنتج من كلّ ما مرّ أنه تجوز تخطئة صاحب القاموس فى تدوينه فعل التمحيق وتخطئة شارحه فى عدم الإشارة إلى أمر المزاوجة ، كما يجوز لى أن أعتذر لنفسى فى استعمال فِعْلَىْ (محّقتُ ومحّقوا) بالتشديد ، أعتذر بأنى إنما ذكرته مزدوجاً بأشباهه من الأفعال المشددة قبله وبعده ، (أنا غرّقتُ وهؤلاء غرّقوا ، وشتان بين ما محّقت ومحّقوا ، أفيكون من العدل أن أحمّق وما يحمقوا !) :

وهناك وجه آخر لصحة فعل التمحيق ربما ذهب بعضهم إليه ، وهو أن علماء الصرف ذكروا أنه يؤتى بالفعل الثلاثىّ من باب التفعيل لإفادة المبالغة تارة والتعدية تارة ؛ فلم لا يكون محق إنما شُدد لهذا الغرض ، أى غرض المبالغة لا غرض المزاوجة ؟ والجواب على ما يذهبون إليه هو أن هـذه المسألة ، أى مسألة ما يقوله علماء الصرف فى قياسية صيغ الأفعال المزيدة على اختلافها ، وما تفيده تلك الزيادات من الدلالة على التعدية والمبالغة وغيرها ـ هذه المسألة ما زالت ولا تزال موضعاً للأخذ والرد بين العلماء وبين أعضاء مجامعنا العلمية خاصة . وكل ما فعل مجمع مصر من التوسعة والترخيص فى زيادات الأفعال المزيدة ، أنه قرر قياسية تعدية الفعل الثلاثى بالهمزة (مجلة المجمع ج ١ ص ٢٣٠) ولم يبت الرأى فى ما وراء ذلك بعد . ولعله يعود إلى الترخيص فى قياسيّة التضعيف لإفادة المبالغة فى مثل أفعال (حلّل ، برّر ، عضّد ، نقّد ، وصّف) فإن فى الترخيص بذلك سداً للثلمة ، ووفاء للحاجة ، وتأدية لأغراض المتكلمين فى العلوم العصرية والفنية وماله اتصال بها من صناعات واختراعات

وما قلناه فى عدم جواز استعمال (التمحيق) هو رأينا ، ما دمنا لم نجد نصًّا على جوازه غير قراءة ابن الزبير فإذا وُجد النص فنحن له تَبَع .

(دمشق) عبد القادر المغربي

نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

كيف عرفت الرافعى

للأســتاذ محمود أبو رية

[ننشر هذه الكلمة بعد انقضاء ستة أعوام على وفاة أديبنا الكبير مصطفى صادق الرافعى طيب الله ثراه ، ونرجو أن تكون تحية طيبة منا نقابل بها ذكراه ، وآية صادقة على أنه مهما باعدت بيننا وبينه السنون فانا لن ننساه .]

(أبو رية)

رغب إلىّ بعض إخوانى من الذين يعرفون ما كان بينى وبين أديبنا الكبير مصطفى صادق الرافعى رضى الله عنه من وُصْلة الصداقة ، وما ربطنى به من آصرة المحبة ، أن أنشر بعض ما لدى من كتبه الخاصة التى كان يرسلها إلىّ ؛ فصادفت هذه الرغبة منى قبولاً وارتياحاً ، لأنها من أمانىَّ العزيزة ، التى كنت أود من قبل أن أقوم بها مع ما هو واجب علىّ أداؤه للناس فى هذه الحياة لولا ما رمتنى به الأقدار من مصائب فى أولادى ومصاعب فى حياتى حتى أصبحت ممزق القلب مشرد اللب لا أكاد أحسن عملاً أتولاه ، ولا أجيد أمراً أقوم به

ولقد كان أشد هذه الضربات على تلك التى نفذت إلى صدر أكبر أولادى بعد أن أتم دراسته العالية فخر منها صريعاً

وإذا كان نشر هذه الكتب سيكون فيه شيء من الخير للأدباء بما سيرون فيها من آراء أديبنا الرافعى وفتاواه فى أغراض كثيرة من الأدب ورجاله ، فإنه سيكشف لهم كذلك عن جوانب جديدة من أدبه وحياته لم يطلعوا عليها من قبل ، ويعرفون كيف كان يكتب رسائله الخاصة التى تصدر فى الغالب بغير أن ينالها تهذيب أو يصيبها تنميق ، وإنما ترسل إرسالاً من عفو الخاطر وصفو الهاجس ، وهذه ناحية لا يتم تأريخ رجال الأدب وأمراء البيان إلا بمعرفتها والاطلاع عليها

ولقد كنت أظهرت الأستاذ الكبير صاحب الرسالة فى بعض أحاديثى معه على هذه الأُمنية فرحب بها وطلب منى تحقيقها .

على أنى رأيت أن أقدم لما سأنشره من كتب الرافعى كلمة أذكر فيها كيف عرفت هذا الأديب الحجة ، والسبب الذى جعلنى أتصل به ذلك الاتصال الذى نما حتى صار صداقة وثيقة امتدت بيننا أكثر من ربع قرن خلطنى فيها بنفسه ، واصطفانى لصحبته ، حتى لقد كان يشاورنى فى خاص أحواله ، ويظهرنى على مكنون أسراره

وليس من همى اليوم أن أعرض لتأريخ هذه الصداقة ، ولا يتجه قلمى لبيان ما كان لها من أثر وما كان فيها من خير لأن لذلك يوماً أرجو أن أبلغه

ترجع معرفتى بأديبنا الكبير إلى أوائل سنة ١٩١٢ . ذلك أن الحرب الطرابلسية كانت حينئذ مستعرة بين الترك والطليان . وكان الأمير الجليل شكيب أرسلان قد ألم بمصر فى سفره مع بعثة الهلال الأحمر إلى طرابلس الغرب ، وما كاد يحط بها رحاله حتى أشرق على الناس نور بيانه فاستنارت به الأندية واستضاءت به وجوه الصحف ، وكنت يومئذ فى صدر شبابى والأدب العربى قد غلب على حبه حتى أغرمت به غراماً ؛ ولكنى لم أكن أعرف كيف السبيل إلى دراسته ولا قرأت من مصادره إلا كتباً قليلة كان قد أشار علىّ بقراءة بعضها العالم الكبير محمد فريد وجدى بك حفظه الله .

ولما رأيت الأبصار قد اتجهت إلى الأمير شكيب أرسلان ، وذكره قد استفاض حتى نفذ إلى كل مكان ، وأن رجال الأدب قد ذهبوا فى الإعجاب به إلى أن لقبوه بأمير البيان ، دفعتنى الرغبة المشبوبة بين جوانحى لدراسة الأدب إلى أن أتوجه له بكلمة أرغب إليه فيها أن يبين لى وللذين هم مثلى فى هوى الأدب كيف يبلغون منه غايتهم ، فأجابنى حفظه الله بجواب طويل ملأ صدر العدد الذى خرج من جريدة المؤيد فى ١٩ فبراير سنة ١٩١٢ وكان صدر هذه الجريدة يزين كل يوم بمقال ممتع من تحبيره فى الأدب والسياسة ؛ وكان المؤيد يقدم لكل مقال له بهذه العبارة :

« لسعادة الكاتب العثمانى الكبير صاحب الإمضاء » أما الأمير فكان يرمز لاسمه فى أعقاب ما يكتب بهذا الحرف (ش) وقد ساق الأمير الجليل فى هذا الجواب القيم الذى لا زلت أحتفظ به وأعده من نفائس البيان نصيحة غالية لكل من يريد دراسة الأدب ، ثم أنشأ بعدها يبين للناس طريقته هو التى اتخذها فى دراسته . ولما عرض للمصادر والكتب التى يجب على كل أديب أن يقرأها أخذ يثنى ثناء طيباً على كتاب « تاريخ آداب العرب للرافعى » وكان قد صدر يومئذ الجزء الأول منه ، فكان مما قاله هذه العبارة البليغة : « لو كان هذا الكتاب خطًّا محجوباً فى بيت حرام إخراجه منه لاستحق أن يحج إليه ، ولو عكف على غير كتاب الله فى نواشئ الأسحار لكان جديراً أن يعكف عليه »

ومن ثم عرفت الرافعى وفضله ولم ألبث أن أقبلت على ما له من كتب أدرسها وأنتفع بها . وبعد انقضاء بضعة شهور على ذلك رأيت أن أجاذبه حبل المودة وكان ذلك فى أواخر سنة ١٩١٢ ولكن أنى لى ذلك وأنا لا أعرف أين مكانه ولا بأى عمل يعمل ؟ على أنى استخرت الله وأرسلت إليه خطاباً جعلت عنوانه على القاهرة إذ ظننت أنه من أهلها وما كان أشد فرحى إذ تلقيت منه بعد أيام قليلة أول جواب وهذا الجواب مؤرخ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٢

وقد امتدت بينى وبينه بعد ذلك أسباب المراسلة طوال السنين التى صادقته فيها حتى بلغ ما لدى من كتبه أكثر من ثلاثمئة خطاب ، منها نحو مائتين فى شؤون أدبية وغير أدبية يصح نشرها كلها وإن كان فى بعضها ما قد يؤلم بعض أدبائنا المعاصرين بما جاء عنهم فيها

أما سائر الكتب وهى أكثر من مئة فهى فى أمور خاصة بى وبه لا يمكن نشرها ولا يصح إظهار أحد على ما جاء فيها .

(المنصورة) محمود أبو رية

أغنية

ذكريات . . .

حِينَمَا كُنْتُ أَرَاهَا وَتَرَانِى — مِنْ بَعِيدٍ كَلُتَمَاعَاتِ الْأَمَانِى
فَتَقَارَبْنَا عَلَى بُعْدِ الْمَكَانِ — وَتَحَابَبْنَا عَلَى رَغْمِ الزَّمَانِ
وَبَعَثْنَا مِنْ أَمَانِينَا مَدَاهَا
فَتَلَاقَيْنَا عُيُونًا وَشِفَاهَا !!

لَسْتُ أَنْسَى وَقْفَةً عِنْدَ الْغَدِيرِ — وَهَجِيرُ الصَّيْفِ كَالشَّوْقِ الْمُثِيرِ
فَخَلَقْنَا نَحْنُ مِنْ نَارِ السَّعِيرِ — جَنَّةً لِلْحُبِّ فَاضَتْ بِالْعَبِيرِ
قَدْ خَلَقْنَاهَا وَسَوَّيْنَا رُبَاهَا
وَعَلَيْنَا حَرَّمَ اللهُ جَنَاهَا !!

لَسْتُ أَنْسَى فِى صِبَانَا مَرْبَعًا — كَانَ مَلْهَانَا نُقَدِّيهِ مَعًا
فَرَكِبْنَا اللَّهْوَ وَالدَّهْرُ سَعَى — لَا الصِّبَا دَامَ وَلَا الصَّفْوُ رَعَى
رَبَّةَ الآمَالِ وَاسْتَبْقَى صِبَاهَا
وَكَأَنِّى لَمْ أَكُنْ قَبَّلْتُ فَاهَا !

أَيْنَ مِنِّى جَنَّةُ الْأَمْسِ الْقَرِيبِ؟ — أَيْنَ مِنِّى خَمْرَةُ الثَّغْرِ الشَّنِيبِ؟!
أَيْنَ مِنِّى رِقَّةُ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ — يَا حَبِيبِى أَيْنَ مِنِّى يَا حَبِيبِى
جَلْوَةُ الْحُبِّ وَإِشْرَاقُ ضُحَاهَا !
خَيَّمَ اللَّيْلُ عَلَيْهَا فَمَحَاهَا !!

أَصْبَحَ الْحُبُّ وَأَمْسَى ذِكْرَيَاتْ — وَانْقَضَى عَهْدُ الْهَوَى وَالصَّبَوَاتْ
وَتَوَلَّى الْعُمْرُ إِلَّا زَفَرَاتِ — لَمْ تَزَلْ تُشْعِلُ قَلْبِى بِشَكَاتِى
أَيْنَ عَيْنَاهَا وَأَيَّامُ هَوَاهَا ؟؟
لَيْتَنِى كُنْتُ ، أَنَا وَحْدِى ، نِدَاهَا !

(كوم النور) أحمد أحمد العجمى

الأحـــلام

للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون

بقلم الأستاذ ألبير نادر

[ترجمة المحاضرة التي ألقاها الفيلسوف هنري برجسن في دار المعهد العام لعلم النفس]

إن المحاضرة التي عُهد إليَّ بإلقائها معقدة ومثيرة لمسائل عديدة : منها ما يتعلق بعلم النفس ، ومنها ما يتعلق بعلم الحياة وأيضاً بما وراء الطبيعة . والموضوع يتطلب شرحاً طويلاً ولدينا القصير من الوقت ، لذلك أطلب إليكم أن تعفونى من كل مقدمة حتى نبحث الموضوع مباشرة

هاك حلم : أرى أشياء مختلفة تمر أمامى وليس واحد منها موجوداً فعلاً — يخيل إلى أننى أغدو وأروح ، أمر بسلسلة من الحوادث بينما أنا نائم فى فراشى بكل هـدوء . أصغى إلى نفسى تتحدث وأسمع من يجيبنى ، ولـكن أنا لا أفوه بشىء . فمن أين هذا الوهم ؟ لِمَ ندرك أشخاصاً وأشياء كأنها موجودة حقيقة ؟

ألا توجد أشياء حقيقة ؟ أليست هناك بعض المواد الحسية تتهيأ أمام السمع أو البصر أو اللمس الخ ... في وقت النوم كما هو الشأن فى وقت اليقظة ؟

لنغمض أعيننا ونرى ماذا يحدث . كثيرون من يقولون إنه لا يحدث شىء لأنهم لم يتبصروا فى الأمر ، ولـكننا فى الحقيقة نرى أشياء عديدة : أولاً نرى قاعاً أسود ثم بقعاً مختلفة الألوان باهتة حيناً وبراقة حيناً آخر ، وهذه البقع تتمدد وتنقبض ، تبدل ألوانها وتتحدى الواحدة منها الأخرى . وهذا التبدل يمكن أن يكون بطيئاً متدرجاً ويمكن أن يتم فى بعض الأحيان بسرعة شديدة . فمن أين هذه التخيلات ؟ . تـكلم علماء الحياة وعلماء النفس عن « غبار منير » وعن « طيفٍ بصرى » وعن « شرار العين » فتراهم ينسبون هذه الظواهر إلى التغيرات البسيطة التى تحصل باستمرار فى الدورة الدموية فى شبكة العين ، أو إلى الضغط الذى يسببه الجفن المقفل على المقلة والذى يؤثر تأثيراً آلياً على العصب البصرى — ولـكن قلما يهمنا شرح الحادث أو الإسم الذى يطلق عليه — إن هذا الحادث عام لدى الجميع ويقدم بلاشك المادة التى تنقش عليها كثير من أحلامنا .

لاحظ ألفريد مورى كما لاحظ فى نفس الوقت المركيز درفى دى سان دينى أن هذه البقع الملونة ذات الأشكال المتحركة المتقلبة يمكنها أن تثبت عند ما نحلم ؛ فترسم حينئذ دوائر الأشياء التى تـكون الحلم . ولـكن علينا أن ننظر إلى هذه الملاحظة بعين الحذر لأنها ناتجة عن علماء نفس أنصاف نُيَّم . تصور الفيلسوف الأميركى لاد الأستاذ فى جامعة يال طريقة أكثر إحكاماً ولـكنها صعبة التطبيق لأنها تتطلب شيئاً من المران . تنحصر هذه الطريقة فى إبقاء العينين مقفلتين عند ما نستيقظ والمحافظة مدة لحظات على الحلم الآخذ فى الزوال من حقل البصر وبالتالى من حقل الذاكرة . نرى عندئذ موضوعات الحلم تتحول إلى شرار العين وتمتزج بالبقع الملونة التى كانت تشاهدها العين حقيقة عند ما كان الجفنـان مغلقين . فاذا كنا نطالع جريدة مثلاً فها هو الحلم يتكون ثم نستيقظ وتبقى من الجريدة التى ارتسمت سطورها فى العين بقعة بيضاء وبعض السطور السوداء المبهمة . هذا ما فى الواقع . أو إذا كنا نتنزه فى عرض البحر بالحلم ، وعلى مدى البصر كان المحيط ينشر أمواجه الرمادية التى تـكللها رغوة بيضاء . فعند اليقظة كل هذا يتلاشى فى بقعة كبيرة اللون الرمادى الباهت تتخططها نقط براقة . البقعة موجودة وكذلك النقط اللامعة ؛ إذاً يوجد غبار بصرى بدا لإدراكنا أثناء النوم وهذا الغبار استعمل فى صنع الحلم

هل يستعمل هذا الغبار وحده فقط ؟ لـكى نختصر الحديث على حاسة البصر نقول إنه بجانب الإحساسات البصرية الصادرة من الداخل توجد إحساسات أخرى صادرة عن سببٍ خارجى . مهما يكن الجفنان مغلقين فالعين لا تزال تميز بين النور والظلام وتتعرف أيضاً — إلى حد ما — على نوع النور ؛ لـكن الإحساسات الناتجة عن نور حقيقى هى أصل لـكثير من أحلامنا ، فشمعة تضاء فجأة تحدث عند النائم عدة رؤى تسود فكرة الحريق ويذكر تيسيه مثلين لذلك : « فلان يحلم أن النار تلتهم مسرح الإسكندرية واللهب يضىء حياً بأثره ، وفجأة يجد نفسه قد انتقل إلى ميدان القناصل ، وهناك يرى شريطاً من النار يجرى على مدى

السلاسل التي يربط بعضها ببعض علامات الحدود الغليظة الموجودة حول الحوض، ثم يجد نفسه في باريس في المعرض وقد التهمته النار ... يشاهد مناظر مؤلمة الخ ... فيستيقظ بغتة: إن عينيه كانتا متأثرتين بحزمة النور المنبعث من مصباح الواعية وهي تمر في جولتها الليلية وكانت قد سلطت المصباح على السرير

فلان آخر يحلم أنه التحق بوحدة مشاة البحرية حيث خدم سابقاً — يذهب إلى نور دي فرانس، إلى طولون، إلى لوريان، إلى القرم، إلى القسطنطينية، يشاهد برقاً، يسمع رعداً، ثم يشاهد معركة يجد فيها النار تخرج من أفواه المدافع فيستيقظ — ومثل فلان الأول استيقظ بسبب النور المنبعث من مصباح الواعية عند مرورها » — هذه هي الأحلام الناتجة عن نور شديد مفاجئ.

لكن الأحلام الناتجة عن نور مستمر ولطيف (خفيف) مثل نور القمر فتختلف عن الأولى بعض الاختلاف — يذكر كراوس أنه ذات ليلة عند ما استيقظ لاحظ أنه لم يزل يمد ذراعيه نحو ما كان يظنه في حلمه غادة، ولم تكن سوى القمر يرسل له شعاعه — إن هذه الحادثة ليست فريدة في نوعها. يظهر أن شعاع القمر عند ما يداعب أعين النائم يمكنه أن يثير رؤى طاهرة. أليس هذا ما تذكره قصة أنديمون: « الراعي النائم دائماً الذي تحبه الإلهة سيلينيه (أي القمر) حباً جماً؟ ...

للأذن أيضاً إحساساتها الداخلية مثل الطنين والرنين والصفير التي لا تقوى على تمييزها وقت اليقظة ولكن النوم يبرزها بكل وضوح — لا نزال ونحن نائمين نسمع بعض الأصوات الآتية من الخارج مثل طقطقة دولاب أو تلألؤ النور أو صوت المطر المنهمر على النافذة أو الريح المتقلب النغمات؛ فكلها أصوات تصدم الأذن ويحولها الحلم إلى محادثة وصراخ وألحان الخ ...

حك بعضهم مقصاً بملقط أمام أذن الفريد موري وهو نائم، ففي الحال حلم أنه يسمع صوت المدفع ويشاهد حوادث ١٨٤٨ — ويمكنني أن أسرد لكم أمثلة أخرى ولكن يجب أن يكون للأصوات نفس الأهمية التي للأشكال والألوان في أغلب الأحلام — إن الإحساسات البصرية لها الأسبقية وفي غالب الأحيان نرى فقط حينما نظن أننا نسمع أيضاً ..

ويلاحظ مكس سيمون أننا نقوم بمحادثة كاملة في الحلم، ونلاحظ بغتة أنه لا شخص يحدثنا ولا أحد يتكلم — لقد كان هناك بيننا وبين محدثنا تبادل مباشر في الأفكار، محادثة ساكنة — إنه لحدث غريب ولكنه سهل التفسير — فلكي نسمع أصواتاً في الحلم يجب أن تكون هناك دائماً أصوات حقيقية نحس ونشعر بها لأن الحلم لا يصنع شيئاً من لا شيء؛ وإن لم تقدم له مادة رنانة فيصعب عليه أن يصنع ما هو رنان.

ومن جهة أخرى يتدخل اللمس بقدر ما يتدخل السمع، فأي لمس وأي ضغط مهما قل يصل إلى الوجدان أثناء النوم فحاسة اللمس تقمر بتأثيرها الصور الموجودة حينئذ في الحقل البصري؛ وعليه يمكنها أن تُغيِّر شكل هذا الحقل ومعناه. لنفرض أننا نشعر فجأة بملامسة الجسم مع القميص فالنائم يتذكر أن ما يرتديه من ملابس خفيف. وإذا ظن حينئذ أنه يتنزه في الشارع فإنه سيظهر أمام أعين المارة في هذا اللباس البسيط جداً. ولكن المارة لا تتأثر من هذا لأنه نادراً ما تبدو الأشياء الخارقة التي نستسلم إليها في الحلم، مثيرة لدهشة المراقبين بينما نحن يعترينا منها الحياء والخجل.

(يتبع)

ألبير نادر

من أزهار الشر

للشاعر شارل بودلير

شبح

١ – الظلمات

فى غيران الحزن الذى لا قرار له ، حيث رمانى القدر ، وحيث لا ينفذ شعاع وردى مرح ، أرانى وأنا منفرد مع الليل ، هذا الزائر العبوس ، كمصور قضى عليه إله ساخر أن يرسم ويا للأسف ! صورة على الظلمات ، أو كطاه ذى شهوات كئيبة تقضى إلى الموت ، أغلى قلبى وأجعله أكلتى

وفى لحظة تألق طيف صيغ من الرواء والجلال ، وعندما بلغ آية روعته فى مشيته الشرقية الحالمة ، عرفت زائرتى الجميلة : إنها هى ... ! سوداء وإنها لسنية

٢ – العطر

أيها القارىء ألم تستنش ، فى شىء من السكر والنهم المتمهل ، رائحة البخور التى تملأ جو المعابد ، أو عطراً معتقاً من مثبنة حسناء ؟

إنها لفتنة عميقة سحرية ، تبعث فى نفوسنا النشوة بالماضى الذى يعود فى اللحظة الحاضرة ! كذلك يجنى العاشق الزهرة الناضرة من ذكرياته النايرة ، وبين يديه جسد معبود

فمن جدائلها اللدنة الجثلة ، هذه المثبنة الحية ، هذه المبخرة التى تملأ جو المخدع ، كانت تفوح رائحة وحشية ضارية

ومن ثيابها الحريرية والمخملة ، العامرة بشبابها الناضر ، كان ينبعث أريج الفراء

٣ – الإطار

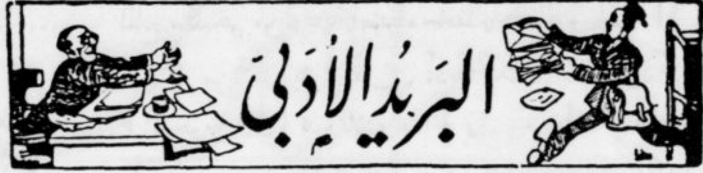
مثل الإطار الجميل الذى يضيف إلى الصورة الجميلة ، وإن كانت بريشة رسام عظيم ، ما لا أدرى من الغرابة والسحر حين يعزلها عن الطبيعة الهائلة ، مثل ما حولها من الحلى والأثاث والمعادن والطلاء ، فإنها كانت تتسق مع جمالها النادر . فلم يحجب وصفانها الساطعة شىء ، وقد بدا كل شىء كزينة أحاطت بها حتى خالت ذات يوم أنها تريد أن تتعلق بها حباً ، فأغرقت جسمها العارى باشتهاء فى قبلات الأطلس والكتان ، وكانت كلما تمايلت فى أناة أو سرعة تبدى فى لفتاتها رشاقة القرد الساذجة

٤ – الصورة

إن العلة والمنية تحيل النار التى تشتعل بها حياتنا إلى رماد . فماذا تبقى من هذه العيون النجل المتوهجة الوردية ، ومن هذا الثغر الذى كان يغرق فيه قلبى ، ومن هذه القبل القديرة كالسلوان ، ومن هذه النظرات التى تفيض بالحياة أكثر من الأشعة ؟ ماذا تبقى ؟ إنه لمروع يا نفس ! فماذا تبقى غير صورة شاحبة من ثلاثة خطوط ويحى ! من مثلى يموت فى الوحدة ، ومن مثلى يلطمه الدهر ، هذا الظالم المسن ، كل يوم بجناحه القوى ؟

أيها القاتل الأسود ، يا غاصب الحياة والجمال ، لن تقضى ، فى ذاكرتى ، على تلك التى كانت بهجتى ومجدى !

ترجمة
عثمان على عسل



الإصلاح والحرية

اطلع قراء الرسالة فى العدد ٥١٢ على تنبيه للبحث الذى اعتزم الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت نشره فى الرسالة ، مدافعاً عن فتواه بشأن « نزول عيسى » ، داحضاً أقوال مخالفيه فى هذه المسألة . وقد فوجئنا فى العدد التالى ، بأن أسباباً قاهرة حالت دون نشر الرسالة لهذا البحث القيم ، وهى إشارة لا تستبهم على من تتبع حركة الإصلاح الدينى فى مصر ، وما لقيته فى العهد الأخير من تعنت الجامدين ، ومناهضتهم كل رأى جديد وبحث حر ، مهما كان نصيبه من الإخلاص والغيرة على الشريعة السمحة التى أطلقت العقول من عقالها ، وجعلت حرية التفكير من ألزم خصالها

وبينما يتطلع العالم الإسلامى إلى مصر لتكون موئل التفكير الحر ، ومثابة الإصلاح المثمر لدينه وتقاليده وآرائه ، ويتاق بشغف بالغ الدعوات الكريمة والأبحاث الجريئة التى يتقدم بها أساطين العلم وجهابذة الفكر من رجالات مصر - يقف مبهوتاً كلما علم أن هذا الباحث أو ذلك المصلح قد حيل بينه وبين ما يريد من إبلاغ دعوته ونشر أبحاثه ، وهذا فى مصر التى حدثنا التاريخ أنها وسعت كل مذهب ، وآوت كل حر طريد

نحن نعلم أن الخلاف لا بد منه بين أهل البحث ، ولا ننكر على مصر وجود طائفة تناهض الإصلاح وتخاصم المصلحين ، ولكننا ننكر على هذه الطائفة أن تخاصم بالوقيعة وتستغل عواطف العامة ، مستمدة فى ذلك أسباب الغلب عندما تعوزها الحجة والبرهان .

ونفهم أيضاً أن يعرض أولو الأمر لحماية العقائد وصيانة الأخلاق ، ويحولوا دون إفسادها بالآراء الشاذة والنشرات الخبيثة ؛ ولكننا لا نسيغ أن يمنع عالم مصلح كالأستاذ شلتوت من الدفاع عن رأيه فى مسألة دينية ، وهو يتمتع بمركز علمى يعلو صاحبه عن كل شبهة تحول دون نشر أبحاثه على الناس ، لا سيما فى عهد الإمام المراغى الذى يرتقب فيه المسلمون خيراً كثيراً ، ولن يبلغ المسلمون أمنيتهم من الإصلاح ما دام أنصار الجمود يملكون من النفوذ ما كانوا يملكونه فى عهد ابن تيمية ومحمد عبده « هم العدو فاحذرهم » .

(نابلس - فلسطين) حلمى ابو دربس

فائدة القرض من المصارف المالية

قرأت السؤال الذى وجهه إلى الفاضل « محمد عبد الفتاح محمود الحسن - من فلسطين » فى البريد الأدبى بالعدد ٥١٥ من الرسالة الغراء ، فيما يتعلق بفائدة القرض من المصارف المالية ، وإنى لا أشك فى شدة الحاجة إلى وضع حد بين فى هذه المسألة المتصلة اتصالاً وثيقاً بحياة المسلمين الاقتصادية فى هذا العصر ، وأقرر فى الوقت نفسه أن وضع هذا الحد فى مثل تلك المسألة التى تشعبت فيها الآراء قديماً وحديثاً ، واتخذت على ألسنة بعض الناس فى جميع فروعها صفة العقيدة ليس من السهل أن يبادر به فرد واحد ، وإنما ينبغى أن يصدر عن هيئة دينية كجماعة كبار العلماء فى الأزهر ، حتى تكون له قيمته العملية وتتلقاه القلوب بصدق وإذعان

ولقد توجهت منذ عامين إلى جماعة كبار العلماء باقتراح يتضمن أن تعالج الجماعة أمثال هذه المسألة مما « جد ويجد فى المعاملات ويحتاج المسلمون إلى معرفة حكم الشرع فيه » . ولا يزال هذا الاقتراح بين يدى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس الجماعة الموقرة . هذا ما أراه الآن وللسائل الفاضل تحياتى محمود شلتوت

عثرات ...

أما الأولى ففى كلام أديبنا الكبير الدكتور زكى مبارك :

« يا مهاة لا تخطر إلا فى البال »

كلام جميل ... لكنه غير دقيق ، فى العبارة ما يسميه علماء المعانى « القصر »

وفى قصر خطور هذه المهاة على « البال » نظر ، كما يقول سادتنا الأزهريون ، إذ أنه يقتضى جواز خطورها بشىء آخر غير البال ...

أفهم أن يقال : « لا تخطر إلا فى بالى » فالقصر واقع على باله وحده دون بال غيره من الناس . وإن كان فى هذا المعنى غض من جمال هذه المهاة الذى لا يؤثر إلا فيه وحده ، أما قصره الخطور على « البال » دون سائر جوارح البدن ، فهو قصر لا معنى له .

وأما الثانية ففى كلام فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت إذ يقول : « وهل إذا قال المسلمون فى مسألة ... وهل إذا أنكر عالم ... وهل إذا قال قائل ... الخ »

وعلماء المعانى — وعلماء النحو أيضاً كصاحب المغنى —

يقولون : إن هل الاستفهامية لا يقع بعدها الشرط أبداً ... وهذا فرق بينها وبين الهمزة ...

وأما الثالثة ففي كلمة الأديب حسين البشبيشى التى يخطئ فيها شعراً نشرته « الثقافة » ، وذلك إذ يقول : « والأعجب من كل ذلك هو هذا البيت الغريب ... الخ . »

ولو أن الأديب البشبيشى رجع إلى أبيه – أستاذنا الفاضل – لدلّه على أن أفعل التفضيل إذا كان محلى بأل امتنع الإتيان بعده بالمفضل عليه مجروراً بمن ، وأن الصواب إن أراد ذكر المفضل عليه أن يقول : « وأعجب من كل ذلك » بتجريده من أل .

محمد محمود رضوان
المدرس ببني سويف الابتدائية

فى القصة والمقامة

أهدى إلى الأستاذ الفاضل محمد جميل سلطان الدكتور فى الآداب وعضو المجمع اللغوى للدراسات السامية فى باريس ، وأستاذ الأدب العربى فى تجهيزى دمشق الرسميين وفى الكلية الشرعية الإسلامية ، رسالته فى « القصة والمقامة » ، وهى رسالة صغيرة تقع فى ٥٦ صفحة من القطع الصغير . وقد طبعت فى مطبعة الترقى بدمشق فى هذه السنة

وهى تتضمن بحثاً طريفاً فى القصة وشروطها ، وتبين كيف تدرجت القصة حتى وصلت إلى المقامة فى عصر الهمذانى والحريرى وكيف اهتدى إلى هذا بديع الزمان ، وهل هو الذى اخترع فن المقامة ، وما الفرق بينها وبين القصة ، وبين عمل الهمذانى وعمل الحريرى فيها . فإذا انتهت من هذا كله فى دراسة دقيقة مستفيضة انتقلت منه إلى بيان ما طرأ على المقامة بعد الحريرى ، فذكرت فى هذا من تناولها من الأدباء إلى عصرنا الحاضر ، وبينت حالها فى ذلك من قوة وضعف واستقامة وانحراف ، وقد ختمت ببحث طريف فى المقامات عند غير العرب ، بين فيه أثر هذا الفن العربى فى الأدب الفارسى والأدب السريانى والأدب العبرى ؛ فجاءت بهذا كله رسالة جامعة لكل ما يتعلق بموضوعها . ولهذا نحث المشتغلين بالأدب على اقتنائها .

عبد المتعال الصعيدى

حول تراجم المعاصرين

أمنية يطيب للنفس أن تتعلق بها ولكن الشواهد التى حولنا توشك أن تثبط الهمم . فمن كان يتوهم أن أديباً فاضلاً سيعجز عن جمع طرائف المرحوم حافظ ونوادره ؛ وأن هذه الملح ستتبخر من واعية أصدقاء حافظ وجلسائه وخاصته !!

بل من كان يتوهم أن أديباً يكتب كتاباً فيذكر فيه « المرحوم فلان ! » وفلان هذا لم يزل ينعم بأنفاس الحياة ! ! وأكثر من هذا . فإن الكثير من شعرائنا لا يقيمون وزناً لتاريخ ظروف قصيدهم مما يضيّع على الأدب فوائد يدركها الناقد الفطن

ولقد كان الظن أن تقوى هذه الناحية من الأدب فى عصر الطباعة والراديو ! ولكن الشاهد غير ذلك ... وتلك هى المسألة ، كما يعبر الغربيون ... أفيكون هناك أثر نفسى خطير « لانتشار الطباعة » سبّب ضعف الذاكرة وتهاونها ، وقعد بالناس عن مسايرة الأخبار وروايتها ؟

إنا لنعتقد ذلك ... فإن وفرة المطبوعات أيقظت فى الناس رغبة الخمول والاعتماد على « الغير » ممن يؤلفون ... وهؤلاء نفر قليل قد لا يلازمهم التوفيق فى كل الأحايين . ومع هذا فإننا لنعتقد أن باب النقد والتحليل فى كبريات مجلاتنا كالرسالة والثقافة والمقتطف والهلال يقدم صورة مصغرة لتراجم المعاصرين . وبعد فما من شك فى أننا نجهل الكثير من أطوار حياة كتابنا ، ولقد كنت إلى عهد قريب أجهل أن أستاذنا الكبير الزيات يحمل شهادة الحقوق ، وأن هناك بعض كتب ألفها ليضع غيره عليها اسمه ! لو أننا اهتممنا بتراجم المعاصرين لانكشفت لنا أسرار وأسرار ، ولتركنا لخلفنا آثاراً أدبية واضحة التقاسيم سديدة المرامى

حسين محمود البشبيشى
(الاسكندرية)

جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية

أعلنت جماعة نشر الثقافة عن إقامتها لمهرجان الربيع بمسرح نادى الحكومة عند الساعة الخامسة من مساء يوم الإثنين الموافق ٢٤ مايو ٩٤٣ ، وسيكون شعراء الحفل وخطباؤه وفنانوه الأساتذة الأفاضل :

(١) محمود البشبيشى	(٧) حسين محمود البشبيشى
(٢) خليل شيبوب	(٨) فرقة موسيقى نادى الموظفين
(٣) مصطفى على عبد الرحمن	(٩) صلاح الدين طاهر
(٤) حسين جنيد الموسيقار	(١٠) عثمان حلمى
(٥) أحمد الطاهر	(١١) أحمد السمره
(٦) السيدة منيرة توفيق	(١٢) المطرب طاهر القرضاوى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 517
Lundi - 31 - 5 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

AKRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥١٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٢ — الموافق ٣١ مايو سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة		
٤٢١	بيفردج والمرأة	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٤٢٤	آينشتين	الأستاذ محمود شلتوت ..
٤٢٧	الحديث ذو شجون : حياة أسيوط . الدفع مقدماً . بلادة أدبية ! . المعارك الكلامية في مصر . الطبيعة والناس ...	الدكتور زكي مبارك ... ...
٤٣٠	أدباؤنا والمسرح	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٤٣٢	ليـلى والمجنون	الدكتور محمد مصطفى ... ...
٤٣٦	من تحت الأنقاض [قصيدة]	الأستاذ محمود محمد شاكر ...
٤٣٧	الأحلام	للفيلسوف الفرنسي « برجسون » بقلم الأستاذ ألبير نادر . .
٤٣٩	النسل وصفاته المتوارثة ...	الأستاذ محمود عزت عرفة ..
٤٣٩	نظرات في مهرجان الربيع	الأديب عبد العزيز البيسى . .
٤٤٠	عـبرات	الأستاذ محمد محمود رضوان ...
٤٤٠	من شعر الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا	... ...

بيفردج والمرأة

للأستاذ عباس محمود العقاد

قال لي صاحبي وهو يوشك أن يلقي بالصحيفة من يده : وما شأن بيفردج بهذه المسألة ؟ ما شأنه بالمرأة وما يقوله الحكماء والشعراء في النساء ؟

بيفردج والمشاكل الاقتصادية مفهوم ؛ أما بيفردج والمشاكل العاطفية فغريب غير مفهوم ، لأنه يبدو للأكثرين في هذه الحالة كمدير المصرف الذي ينظم ديواناً من الشعر على هامش الميزانية ! أو كالسياسي الذي يسوق العواطف في خطاب رسمي من خطب الأزمات والمعضلات ! وكل ذلك غريب أو « نشاز » كما يقال في لغة الفنيين

كان الذين يعرفون بيفردج قبل هذه السنة يعرفونه قطباً من أقطاب الاقتصاد السياسي ولا سيما في مسألة البطالة ومسائل التأمين الاجتماعي والتموين على الإجمال . فلما ظهر بمشروعه المشهور منذ بضعة شهور ظهر في ثوبه الذي يعهده الناس ، وعرفه الأكثرون في أنحاء الأرض كما كان يعرفه الأقلون في البلاد الإنجليزية ، رجلاً من رجال الحساب أو الإصلاح المبني على الحساب

أما صاحبي الذي كان يقرأ الصحيفة وأوشك أن يلقيها من يده دهشة فقد خيل إليه أنه يراه في غير زيه ويلتقي به في غير

مكانه ؛ لأنه رآه فى كتاب عجيب صدر قبل ثلاثين سنة ولم يحفل به أحد غير قراء الأدب يومذاك . وهو كتاب جمع فيه المصلح الكبير طائفة مختارة من أقوال الحكماء والأدباء والمفكرين من أقدمين ومحدثين ... فى أى موضوع ؟ ... فى موضوع لا يتخلله رقم واحد من أرقام الحساب ، وهو موضوع المرأة والحب والعاطفة والمناجاة !

قلت لصاحبى : الرجل على حق ! ... وأنت المخطئ فى هذه الدهشة التى فوجئت بها كما يفاجأ المرء بالمتناقضات . وليس فيها من التناقض شىء على ما أعتقد . بل هى أدل الدلائل على طبيعة الإصلاح المتأصلة فى هـذا الرجل من أوائل عهده بالاشتغال بالمسائل الاجتماعية ، لأنه جمع الإصلاح الاجتماعى من يمينه وشماله ، واحتواه فى جميع أحواله وأشكاله . فاهتم بمسألة الرجل والمرأة ، كما اهتم بمسألة الفقر والغنى ، وهما الإصلاح الاجتماعى بحذافيره من قديم الزمان ، وفي كل ما تنزل من الأديان أو المذاهب والدعوات

العظات التى نسمعها من عشرة آلاف سنة يبدأها الواعظون ويعيدونها من جديد عصراً بعد عصر وجيلاً وراء جيل ، على أى شىء تدور وفى أى معنى تقال مع اختلاف الكلمات والأساليب ؟ على العلاقات المشروعة أو غير المشروعة بين الرجل والمرأة ، على البيوت والآباء والأمهات ، على الرحمة والإحسان أو على الإنصاف فى توزيع الأرزاق

وهذه هى خلاصة الإصلاح كله ، وهـذه هى المسائل التى شغل بها صاحبنا بيفردج واهتم بها وهو يلهو فى شبابه كما اهتم بها وهو يعالج المعضلات فى مشيبه ، كأن أعصابه موصولة بأعصاب المجتمع الإنسانى فهو يهتدى إلى المواضع الحساسة بإلهام البداهة

وأعجب من إحساسه البديهى بأصول الإصلاح دقة إحساسه فى اختيار الحكماء والشعراء ثم دقة إحساسه فى اختيار مايقولون . فيخيل إليك أنه لا يختار من الحكماء والشعراء إلا الذين لمسوا مشكلة المرأة فى حياتهم الخاصة ، ولا يقع من كلامهم إلا على الكلمة التى تمثلهم فى الصميم

فمن حكمائه تولستوى الفيلسوف الروسى المشهور الذى خانته امرأته فوصف هذه الخيانة فى قصة من أشهر قصصه الصغيرة ، وراحت امرأته تبرئ نفسها بعد موته فتصدت لها بنته تكذبها وتأخذ بناصر أبيها وترثى له مما لقيه من خيانة أمها

ومنهم رسكن الناقد الفيلسوف الفنان الإنجليزى الذى سرح امرأته بيديه لتتزوج من عشيقها

ومنهم هازليت ملك النقاد فى العالم الذى فشل أفجع الفشل فى حبه كما فشل فى زواجه

ومنهم روسو ورابيليه وسقراط وأمثالهم من حكماء الأمم الذين عرفوا هذا الجانب من الحياة بالذكاء والفطنة كما عرفوه بالخبرة والمحنة ، وهم كثيرون

فالفيلسوف الروسى تولستوى يقول : « إن النساء يعرفن جيداً أن ما يسمى حبًّا علوياً أو حبًّا شعرياً لا يتوقف على الفضائل الأخلاقية كما يتوقف على المقابلات الكثيرة ، وعلى « تسريحة الشعر » وألوان الملابس وطريقة تفصيلها »

وروسو يقول : « إن الذكر إنما يكون ذكراً فى بعض أوقاته . أما المرأة فهى أنثى فى جميع حياتها أو على الأقل فى جميع أيام شبابها . فكل شىء يذكرها ولا يزال مذكراً لها بجنسها »

وهازليت يقول : « النساء لا يعتمدن على التفكير أو القياس المنطقى أبداً ، وإنما يحكمن بالغريزة على ما يشعرن به مباشرة ولا يشغلن أنفسهن بالعواقب البعيدة . فإذا فاتهن المثور على الأفكار العظيمة فهن أيضاً لا يتورطن فى السخافات الضخمة ، وإنما هو العقل وحده — أو القياس المنطقى — الذى يجعل الإنسان مثلاً فى أصالة الرأى أو مثلاً فى الحماقة »

وشستر فلد الذى كتب رسائله المشهورة إلى ابنه غير الشرعى يقول : « اثنتان من النساء يحسن تمليقهما بوصف الذكاء واللباقة ، وهما المرأة التى لا شك فى جمالها ، والمرأة التى لا شك فى قبحها . أما المتوسطات بين الجمال والقبح فهن اللواتى يخدعن بوصف الجمال أو على الأقل بوصف الملاحة »

وهولمز يقول : « الإفراط فى قلة الكلام من المرأة التى نحبها خير من الإفراط فى كثرة الكلام . فإن الطبيعة تعمل لها وتغنيها عن العمل لمصلحتها وهى ساكتة ، ولكنها إذا تكلمت فهى تعمل لنفسها (ولن تدرك فى ذلك شأو الطبيعة) والحب على ألسنة الرجال عسير الذوبان فهم يكثرون من الكلام فيه ،

ولكن الكلمة الواحدة تقولها المرأة قد تذيب منه ما يعجز قلب الرجل عن احتماله »

وديوجين — الكلبي — يقول : « إياك أن تأمن المرأة ولو ماتت ! »

أما سيجوس فيقول : « لنكن للنساء منصفين ، فإنهن لا يزلن على طول الزمن مصدر العزاء الصحيح لجنس الإنسان . إنهن أقدر منا على الشعور بحاجة من يرونه محتاجاً إلى العزاء »

ويقول رسكن مثله : « في المجتمع الذي يبلغ فيه الرجال والنساء غاية المقدور لهم من الكمال تتولى النساء رسالة الهداية والتطهير . أما في المجتمعات الهمجية أو المتأخرة فهن يعانين الظلم جهرة كأنهن من العجماوات ، ثم هن يعانينه خلسة — مضاعفاً — في المجتمعات التي يشيع بينها الفساد والسقوط »

وبمود رابيليه فينقض هذا الرأي وما شابهه حيث يقول متهكماً : « يزعمون أنهم قلما يعثرون بحسناء يقيدها العرف أو القانون بقيد الواجب المفروض »

* * *

ويتعرض كولردج الشاعر الإنجليزي غريم نابليون للملكات الفنية في المرأة فيقول : « إن النساء روائيات مجيدات ولكنهن شاعرات مخفقات ، وذلك لأنهن يفرقن نادراً — أو لا يفرقن أبدا — بين الواقع والاختلاق »

أصحيح هذا ؟

الأمثلة المتواترة أمامنا تدل على أنه صحيح كل الصحة . لأننا عرفنا كثيراً من النساء النابغات في كتابة القصة والرواية ، ولم نعرف قط شاعرة عظيمة نبغت في أمة من أمم العالم قديمها وحديثها

فهن روائيات مجيدات وشاعرات مقصرات ، ولكن لغير السبب الذي يراه كولردج فيما نرجح ، وهو قلة التفرقة بين الواقع والاختلاق أو التأليف

والذي نرجحه أن المرأة تحسن كتابة القصة لأنها مطبوعة على الفضول والاستطلاع والخوض في أسرار الملاقات بين الرجال والنساء، والإطالة في أحاديث هذه الأسرار مع الاشتياق والتشويق . وهذا كله هو معدن القصة التي تصاغ منه ، وهو جوهر من جواهر الرواية قد يغنيها عن المزايا الأخرى من تحليل وتعليل وإبداع في الوصف والتمثيل

أما الشعر فهو ابتكار واقتدار على الإنشاء ، وليست المرأة مشهورة بالابتكار حتى في صناعاتها الخاصة بها كالطهي وصناعة الملابس والتزيين

والشعر — وأساسه الغزل — هو وسيلة الرجل لمناجاة المرأة ، وقد تعودت المرأة بفطرتها أن تكون مطلوبة مستمعة في هذا المجال . فهي لا تحسن الشعر كما يحسنه الرجل ، وعلى هذه السنة تجري جميع الذكور في أنواع الحيوان حين تسترعي أسماع الإناث بالغناء أو الهتاف والنداء

ولا عجب لهذا أن يخلو تاريخ الإنسان من شاعرات مجيدات بل من شاعرة واحدة مجيدة بغير استثناء في جميع اللغات . وحتى « سافو » الشاعرة اليونانية التي ذاع صيتها في الزمن القديم لا تحسب بين الطراز الأول في الشعراء . وإن حسبت من الطراز الأول ؛ فهي في شعرها — المعكوس — تمثل الرجال أكثر من تمثيلها النساء ، لأنها كانت تنظم الغزل في البنات

* * *

هذه طرائف من الآراء التي حام بينها بيفردج لتصوير المرأة بألسنة الحكماء والشعراء في الأمم كافة . ثم لم يمنعه ذلك آخر المطاف أن يلتمس لها المعونة والعذر والإنصاف . وهكذا تكون رحمة العليم ومعذرة الحكيم

قيل في نقد مشروعه الاقتصادي الكبير أنه لم يأت فيه بجديد ولم يجاوز أن يستقصى فيه ما تقدم من خطط الإصلاح مع قليل من التنقيح والزيادة هنا وهناك

ويمكن أن يقال في فلسفته عن المرأة أنها على هذا النحو فلسفة الجمع والتوفيق بين مختلف الآراء

وعلى هذا وذاك يجب أن يقال إنه قد أفاد وأعان على فهم جوانب الإصلاح

ويجب أن يقال بعد هذا وذاك أنه كان مثلاً من أمثلة عدة في الحرب الحاضرة على اتساع آفاق الحياة عند الغربيين . فهم على قدر أعباء الحياة التي ينهضون بها يقابلونها بما يكافئها ويلاقيها في كل ناحية من نواحيها ، لا يشغلهم اليوم عن الغد ، ولا الجد عن اللهو ، ولا العظيم عن الصغير ، ولا أحاديث الأزمات والمعضلات، عن أحاديث المساجلة والمناجاة .

عباس محمود العقاد

آيتان ...

للأستاذ محمود شلتوت

كان فيما قررناه سابقاً : أن القرآن كله قطعي في وروده ، وأنه في دلالته نوعان : قطعي لا يحتمل التأويل ، وغير قطعي يحتمل معنيين فأكثر ، وأن هذين النوعين قد وجدا في العلميات والعمليات ، وأن النوع الثاني لا يصلح أن يتخذ دليلا على عقيدة يحكم على منكرها بأنه قد كفر . قررنا هذا ثم أخذنا في تطبيقه على الآيات التي أوردوها في شأن عيسى من رفعه أو نزوله ، فأرجعنا هذه الآيات إلى أنواع ثلاثة بيّنا بطلان رأيهم في نوعين منها ، واليوم نذكر النوع الثالث وهو آيتان زعموا أنهما تدلان دلالة قاطعة على نزول عيسى :

إحداهما : قوله تعالى في سورة النساء « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً »

والأخرى : قوله تعالى في سورة الزخرف « وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها »

***

ما غاب عنا ، وقت أن كتبنا الفتوى ، النظر في هاتين الآيتين وفي درجة دلالتهما على نزول عيسى ، وما غاب عنا ما ذكره المفسرون من الآراء والأفهام المختلفة فيهما ، وما كنا نحسب — ونحن بصدد البحث عن دليل قاطع يحكم بالكفر على مخالفه — أن أحداً يعرض لهاتين الآيتين وقد رأى فيهما ما رأينا من أقوال المفسرين المختلفة في ذاتها ، والمختلفة في ترجيحها ، فيقول إنهما نصان قاطعان في نزول عيسى ! ولذلك آثرنا إذ ذاك أن نترك الكلام عليهما اكتفاء بظهور درجتهما في الدلالة لكل من يقرأ شيئاً من كتب التفسير . ولكنهم أبوا إلا أن يذكروا هاتين الآيتين ويزعموا أنهما تدلان دلالة قاطعة على نزول عيسى ، فلسنا نجد بداً من أن نضع بين يدي القراء خلاصة لآراء المفسرين فيهما ، ثم نقفي على ذلك بما نرى ليتبين الحق واضحاً :

الآية الأولى :

للمفسرين في هذه الآية آراء مختلفة وأشهرها رأيان :

الأول : أن الضميرين في « به » و « موته » لعيسى . والمعنى : ما من أحد من أهل الكتاب يهوديهم ونصرانيهم إلا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى . قالوا : أخبرت هذه الآية أن أهل الكتاب سيؤمنون بعيسى قبل موته ، وهم لم يؤمنوا به إلى الآن على الوجه الذي طلب منهم ، فلا بد أن يكون عيسى إلى الآن حياً ، ولا بد أن يتحقق هذا الإيمان به قبل موته ، وذلك إنما يكون عند نزوله آخر الزمان

الثاني : أن الضمير في « به » لعيسى ، وفي « موته » للكتابي . والمعنى : أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى . والإخبار بإيمان أهل الكتاب على هذا الوجه لا يتوقف على حياة عيسى الآن ، ولا على نزوله في المستقبل ، لأن المراد أنهم يؤمنون عند معاينتهم الموت بأنه نبي الله وابن أمته

هذان رأيان مشهوران في الآية عند المفسرين ، ولكل منهما من يرجحه . وقد ساقهما ابن جرير ، وذكر الآثار التي تدل لكل منهما ثم قال : « وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك ، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى . وإنما قلنا ذلك لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم بحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلاة عليه وإلحاق صغار أولاده بحكمه في الملة ؛ فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته لوجب ألا يرث الكتابيّ إذا مات إلا أولادُه الصغار أو البالغون منهم من أهل الإسلام ... وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره ، لأن من مات مؤمناً بعيسى فقد مات مؤمناً بمحمد . . . وقد أجمع أهل الإسلام على أن كل كتابي مات قبل إقراره بمحمد صلوات الله عليه ، وما جاء به من عند الله فحكوم له بحكم ما كان عليه أيام حياته غير منقول شيء من أحكامه في نفسه وماله وولده صغارهم وكبارهم بموته عما كان عليه في حياته ، فدل هذا على أن المعنى : إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وإن ذلك عند نزوله »(١)

ويريد ابن جرير بهذه العبارة أن الإيمان بعيسى يلزمه الإيمان بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، لأن رسالة محمد مما جاء به عيسى ، وعليه يكون من آمن بعيسى مؤمناً بمحمد فيكون

(١) عن ابن جرير ببعض تصرف

مسلماً له أحكام المسلمين فى التوارث والصلاة عليه وغسله ودفنه فى مقابر المسلمين ... الخ . وهذا يخالف إجماع المسلمين على عدم ثبوت شىء من هذه الأحكام للكتابى الذى يموت ، وإذا كان هذا يخالف الإجماع فقد بطل أن يكون معنى الآية ما ذكر ، وكان «أولى الأقوال بالصحة والصواب» فى نظر ابن جرير هو الرأى الأول الذى لا يترتب عليه مصادمة الإجماع

إلى هنا ، وقبل مناقشة ابن جرير فيما رجح به ، ليس فى الأمر أكثر من أن مفسراً من بين المفسرين قد اختار رأياً من رأيين حكاهما عن أهل المأثور ورجح ما اختاره بما رأى ، ولكن القوم تلقفوا هذا عن ابن جرير وصوروه بما يريدون موهمين الناس أن الآية صارت بترجيح ابن جرير دليلاً قاطعاً على ما يزعمون من نزول عيسى . ونحن نلخص ردنا عليهم فى النقط الآتية التى غفلوا أو تغافلوا عنها :

١ — إن ابن جرير يذكر احتمالين فى الآية ، ويذكر الآثار الدالة لكل منهما ، ويصل بالرأى الثانى إلى ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، فكيف يعد نصاً قاطعاً غير محتمل لأكثر من معنى ما خالف فيه ابن عباس ومجاهد وغيرهما ؟

٢ — إن ابن جرير كما وجه الرأى الذى اختاره وجه الرأى الثانى أيضاً «بأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل فى دينه» . وهذا فيما أرى هو الذى جعل ابن جرير يقتصد فى التعبير عن ترجيح ما اختاره فيقول : «وأولى الأقوال» دون أن يقول مثلاً : والرأى الصحيح

٣ — إن يكن ابن جرير قد رجح أحد المعنيين فقد رجح غيره من العلماء المعنى الآخر ومنهم الإمامان : النووى والزمخشرى وغيرهما . قال ابن حجر فى فتح البارى : «ورجح جماعة هذا المذهب — يريد الثانى — بقراءة أبى بن كعب «إلا ليؤمنُنَّ به قبل موتهم» أى أهل الكتاب . قال النووى : معنى الآية على هذا : ليس من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى وأنه عبد الله وابن أمته ، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان فى تلك الحالة كما قال تعالى : «وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن» ثم قال : وهذا المذهب أظهر لأن الأول يخص الكتابى الذى يدرك نزول عيسى وظاهر القرآن عمومه فى كل كتابى فى زمن نزول عيسى وقبله»

وقد ذكر صاحب الكشاف قريباً من هذا وأطال فيه ونقله عنه الإمام الرازى فى تفسيره فليرجع إليهما من شاء

بهذا يتبين : —

١ — أن هذه الآية ليست نصاً فى معنى واحد حتى تكون دليلاً قاطعاً فيه

٢ — أن ما تمسك به ابن جرير فى ترجيحه للرأى الأول غير مسلم له ، فقد بناه على أن المراد بالإيمان فى الآية هو الإيمان المعتبر الذى ينفع صاحبه وتترتب عليه الأحكام ، مع أنه إيمان — كما قرره العلماء ، ومنهم ابن جرير نفسه — لا يعتد به ولا يقام له وزن ولا تترتب عليه أحكام لأنه إيمان جاء فى غير وقته

٣ — أن من ينظر فيما تمسك به أصحاب المذهب الثانى : من العموم الواضح فى قوله «وإن من أهل الكتاب» ومن قراءة أبى «إلا ليؤمنُنَّ به قبل موتهم» ومن أن إيمان المعاينة لا ينفع صاحبه عند الجميع ، لا يسعه إلا أن يخالف ابن جرير فيما ذهب إليه وأن يقول مع النووى عن المذهب الثانى : «وهذا المذهب أظهر» .

والنتيجة الحتمية لهذا كله أن الآية ليست ظاهرة فيما يقتضى نزول عيسى فضلاً عن أن تكون قاطعة فيه !

الآية الثانية

للمفسرين فى هذه الآية أيضاً آراء مختلفة ، ومن هذه الآراء أن الضمير فى قوله تعالى : «وإنه لعلم للساعة» راجع إلى محمد صلى الله عليه وسلم أو إلى القرآن ، ولكننا نستبعد هذا ونرى أن الضمير راجع إلى عيسى كما يراه كثير من المفسرين ؛ وذلك لأن الحديث فى الآيات السابقة كان عن عيسى . ومع ذلك نجد خلافاً آخر يصوره لنا بعض المفسرين بقوله : «وإنه : أى عيسى لعلم للساعة : أى أنه بنزوله شرط من أشراطها ، أو بحدوثه بغير أب ، أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث»[1]

ومن ذلك يتبين أن فى توجيه كون عيسى علماً للساعة ثلاثة أقوال :

(١) تفسير أبى السعود

الأول : أنه بنزوله آخر الزمان علامة من علامات الساعة

الثاني : أنه بحدوثه من غير أب دليل على إمكان الساعة

الثالث : أنه بإحيائه الموتى دليل على إمكان البعث والنشور

ولقد كان فى احتمال الآية لهذه المعانى التى يقررها المفسرون كفاية فى أنها ليست نصاً قاطعاً فى نزول عيسى ، ولكننا لا نكتفى بهذا بل نرجح القول الثانى وهو « أن عيسى بحدوثه من غير أب دليل على إمكان الساعة » معتمدين فى هذا الترجيح على ما يأتى :

١ – إن الكلام مسوق لأهل مكة الذين ينكرون البعث ويعجبون من حديثه ، وقد عنى القرآن الكريم فى كثير من آياته وسوره بالرد عليهم واقتلاع الشك من قلوبهم . وطريقته فى ذلك أن يلفت أنظارهم إلى الأشياء التى يشاهدونها فعلاً أو يؤمنون بها « يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب » « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » . « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها . إن ذلك لمحيي الموتى » وقد عرضت سورة الزخرف التى وردت فيها هذه الآية إلى هذا المعنى فى أولها « والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون »

وهذه هى الطريقة المستقيمة المنتجة فى الاستدلال المقتلعة للشك ، أما أن يلفت أنظارهم إلى أشياء يخبرهم هو بها كنزول عيسى ، وهى أيضاً فى موضع الشك عندهم ، ويطلب منهم أن يقتلعوا بهذه الأشياء ما فى قلوبهم من شك فذلك طريق غير مستقيم ؛ لأنه استدلال على شىء فى موضع الأنكار بشىء هو كذلك فى موضع الأنكار !

٢ – ومما يؤيد هذا قول الله تعالى تفريعاً على أن عيسى علم للساعة : « فلا تمترن بها » فإنه يدل على أن الكلام مع قوم يشكُّون فى نفس الساعة ، والعلامة إنما تكون لمن آمن بها وصدق أنها آتية لا ريب فيها ؛ أما الذى ينكر وقوعها أو يشك فيها فهو ليس بحاجة إلى أن يتحدث معه عن علامتها ، بل لا يصح أن يتحدث فى ذلك معه ، وإنما هو بحاجة إلى دليل يحمله على الإيمان بها أولاً ليمكن أن يقال له بعد ذلك : هذا الذى آمنت به علامته كذا

٣ – ثم إنه من الأصول المقررة فى فهم أساليب اللغة العربية أن الحكم إذا أسند فى اللفظ إلى الذات ، ولم تصح إرادتها معنى ، قدر فى الكلام ما كان أقرب إلى الذات وأشد اتصالاً بها . فإذا طبقنا هذه القاعدة على قوله تعالى : « وإنه لعلم للساعة » وعلمنا أن ذات عيسى من حيث هى لا يصح أن تكون مرادة هنا ، وإنه لا بد من تقدير فى الكلام ، ثم وازنا بين النزول ، والخلق من غير أب ، وإحياء الموتى ، فلا شك أننا نجد الخلق من غير أب أقرب هذه الثلاثة إلى الذات ، لأنه راجع إلى إنشائه وتكوينه لا إلى شىء عارض له ، وحينئذ يتعين الحمل عليه ويكون معنى الآية الكريمة : « لا تشكّوا فى الساعة ، فإن الذى قدر على خلق عيسى من غير أب قادر عليها »

وبهذا يتبين :

أولاً : أن الإخبار بنزول عيسى لا يصلح دليلاً على الساعة يقتلع به ما فى نفوس المنكرين لها من شك ويصح أن يقال عقبه (فلا تمترن بها)

وثانياً : أن جعل عيسى بنزوله آخر الزمان علامة من علامات الساعة لا يستقيم هنا ، لأن الحديث مع قوم منكرين للساعة فهم بحاجة إلى دليل عليها ، لا مع قوم مؤمنين بها حتى تذكر لهم علاماتها

وثالثاً : أن أقرب ما تحمل عليه الآية هو المعنى الثانى الذى بيّناه .

***

أما بعد فهذه هى الآيات التى أوردوها فى شأن عيسى من رفعه أو نزوله . ولا شك أن القارئ المنصف بعد عرضها على هذا النحو وتطبيقها على المبادئ التى ذكرنا لا يخامره شك فى أنه « ليس فى القرآن الكريم ما يفيد بظاهره غلبة ظن بنزول عيسى أو رفعه فضلاً عما يفيد القطع الذى يكوّن العقيدة ، ويكفر منكره كما يزعمون »

محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء

اتهم حامد منصور محمد جزار بالسيدة زينب بأنه فى ١٠ – ٧ – ٤٠ باع لحماً بأزيد من التسعيرة وحكم عليه استئنافياً من محكمة مصر فى الجنحة رقم ١٧٥٣٦ سنة ٩٤٠ فى ٣٠ – ١٢ – ٩٤٠ بغرامة ١٥٠ قرش صاغ وتعليق الحكم على باب متجره والمحافظة والنشر على نفقته فى جريدتى الرسالة والجامعة الاسلامية .

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

حياة أسيوط — الدفع مقدماً . . . — بلادة أدبية ! — المعارك القلمية في مصر — الطبيعة والناس

حياة أسيوط

كان من المنتظر أن يتأذى قومٌ من الكلمة التي كتبتها عن أسيوط ، وفى دفع تلك الكلمة تلقيت خطابين كريمين ، أحدهما من الأستاذ أحمد فتحي القاضي المحامي ، والثانية من الآنسة «ليلى» فاذا أقول في مناقشة هذين الخطابين ؟

أذكر أولاً أن لى غاية من التجنى على أسيوط ، فأنا أريد التنبيه إلى أن هذه المدينة لا تأخذ حظها من الاهتمام الواجب لمدينة في مثل مكانتها التاريخية . وأنا أريد أيضاً تأييد الرأى الذى يقول بإنشاء جامعة فى أسيوط لتسترد المدينة حيويتها العلمية والأدبية . وهل ينكر أحدٌ أن من واجب الكاتب الوطنى أن يدعو قومه إلى المبادرة بتزويد الحواضر الكبيرة بأزواد العلوم والآداب والفنون ؟

إن أكابر أسيوط يهجرونها طائعين ، رغبةً فى الحياة القاهرية ، حياة السيطرة على المجتمع السياسى ، وأنا أحب أن تعيش العصبيات الإقليمية على نحو ما كانت عليه قبل سنين ، وأعنى أن يرى الرجل فى بلده من قوة الذاتية ما يغريه بالزهد فى صوت القاهرة الصخّاب

وتقول الآنسة « ليلى » إنى لو درست حياة أسيوط بعناية لأدركتُ أنها أعظم من سنتريس . وأقول إن البلاد تحيا بحب أهلها ، وأنا أحب بلدى بأكثر مما يحب الأسيوطيون بلدهم الجميل

حدثنى أحد أساتذة الكلية الأمريكية بأسيوط قال : إن الكلية دعت معالى الأستاذ نجيب باشا الهلالى ليكون خطيب الحفلة الختامية فى هذه السنة فتفضل بالقبول ثم اعتذر بعد ذلك

فقلت : الكلية لم تراع ظروف الخطيب ، فإن الهلالى باشا نفسه حدثنى أنه لم يزر أسيوط منذ عشر سنين ، ومن المؤكد أن هذه المدة الطويلة مرّت فيها مناسبات تفرض عليه زيارة وطنه الأول ، مناسبات عائلية فى الأفراح أو الأتراح ، فكان يكتفى بالبرقيات فى التهنئة أو العزاء ، فمن العسير عليه أن يعود فى مناسبة وقتية لإلقاء خطاب يستطيع إرساله بالبريد إن أراد

وأعجب ما فى هذه القضية أن للهلالى باشا مصالح فى أسيوط تعطلت بسبب انصرافه عن زيارة تلك المدينة ، فله دار فخيمة تعرّضت للتصدع بسبب هذا الانصراف

قلت لصاحبي وأنا أحاوره : هل تعرف أن للديار أرواحاً يؤذيها الجفاء ؟

فقال : المعروف أن الديار مجموعة أحجار وأخشاب ، فهى جمادات لا تتأثر بالهجران

قلت : هذا وهمٌ فى وهم ، فالديار تتأذى بالهجر كما يتأذى الأحباب ، وليس فى الوجود كائنٌ بلا روح ، ولو كان فى الاصطلاح من الجماد

يستطيع الهلالى باشا أن يعتذر لداره بالشواغل التى تصده عن زيارة أسيوط ، ولكن لى رأياً آخر ، هو أن نجعل زيارة دورنا بالأقاليم النائية من شواغلنا الأساسية ، فلتلك الديار حقوق ، وهى أيضاً من ضمائر الوطن الغالى

وبماذا يجيب الهلالى باشا لو دعوته إلى بناء دار بأم درمان أو الخرطوم ؟

لو التفت هذه الالتفاتة لكان من السهل عليه أن يخلق لمصر صداقات جديدة فى السودان

بإحدى المحاضرات الافتتاحية فى الكولليج دى فرانس التى علينا السيو ماسّينيون محاضرة عن مشاهداته فى إيران ، وبعد المحاضرة سألته عن السبب فى كثرة أسفاره إلى إيران ، فأجاب : ألا تعرف أن لى داراً هنالك ؟

وفى مقابل هـذا أذكر أن كبيراً من كبرائنا باع أملاكه فى بلده لتكون ثروته فى القاهرة ، عساه يشرف عليها بلا عناء

ومع هذا يعاب علىّ أن أقول إن أكابر أسيوط يهجرون أسيوط ! يجب أن نقول ونقول ثم نقول بأن الإقبال على الحياة القاهرية سيؤذى الأقاليم المصرية أشد الإيذاء

هذا مع أن النيل يرشدنا إلى الواجب فى كل لحظة باختياره

الموفَّق لأطايب البقاع ، ولو سايرْنا النيل فى هواه لـكان عندنا مئات من غُرر البلاد

وهل ننسى أننا لم ننشىء مدينة جيلة فى « القناطر الخيرية » وهى بقعة لا نظير لها فى أى أرض ؟

وقطار الإسكندرية يمر بنا على مدينة اسمها « كفر الزيات » على موقع من أجمل مواقع النيل ، فما تلك المدينة ؟ ومتى تخطر فى البال ؟

والنيل بين زفتى وميت غمر على جانب المَعظَمة الطبيعية والجمال الأصيل ، فأين من فكر فى الاستظلال بتلك العظمة وذلك الجمال ؟

إن الحمائم والعصافير تعرف من سرائر بلادنا ما لا نعرف ألم أحدثكم مرة أن لها مغانى فى أكثر البقاع المصرية ؟

لـكل مكان فى مصر روح وأرواح ، وبلادنا نشأتْ أول ما نشأت على فِطرة الاستقلال ، فقد كان لـكل قطر من أقطار مصر سيادة محلية ، وكان بكل قطر من أقطار مصر سادة يتعالون باسم الشرف والجود ، فـكيف نحوّل هذه القُـوى إلى بقعة واحدة هى البقعة القاهرية ؟

هل نتعزّى بأن يقال إن القاهرة أعظم مدينة فى الشرق ونحن نعرف أنها تجنى على الحواضر المصرية بغير حق ، كما تجنى أسيوط على منفلوط ؟

وهنا يجىء حديث المناطق فى وزارة المعارف ، وقد سمعت أن نظام المناطق فى طريق الإلغاء

وأقول بصراحة إن أول وزارة عرفت نظام المناطق هى وزارة الداخلية ، وهى لا تستطيع التخلى عنه بأى حال ، لأنه أفضل الأنظمة فى صيانة الحياة الداخلية ، ولأن المشرفين عليه كانوا السبب فى تنظيم حواضر البلاد

وإذا استطاعت وزارة المعارف أن تمنح ممثليها بالأقاليم قوة تشبه القوة الممنوحة لممثلى وزارة الداخلية فستظفر الأقاليم بإصلاحات قائمة على أساس الفهم والذوق ، وقد تفك الحصار المضروب على رجال التعليم ، وهم رجال عوّقتهم الظروف عن تحقيق ما يريدون فى إصلاح الأقاليم

هل يعرف أحد كيف يجوز أن يكون ممثل وزارة الداخلية هو الرجل الأول فى المديرية ، ولا يكون مثل هـذا الحظ لممثل وزارة المعارف ؟

نحن إخوة ، فكيف نفترق فى الواجبات ولم نفترق فى الحقوق؟ ما الذى يمنع من إعطاء مدير التعليم فرصة الإصلاح الممنوحة لمدير المديرية ؟

أنا أوجه القول إلى وزير المعارف ، وأسأله برفق عن تعطيل مواهب رجال التعليم فى الأقاليم ، وفى مقدورهم أن يخدموا الإصلاح خدمات عظيمات ؟

لقد اقترحت أن يكون وزير المعارف هو الوزير الأول ، ليكون المعلم هو الرجل الأول ، فهل كنت فى هذا الاقتراح من المسرفين ؟

إن كان ذلك فأنا أطالب معالى وزير الأشغال بأتعابى ، وقد وجهت إليه كلاماً عن « نفَق شبرا » يستحق ألوفاً من الجنيهات فليدفع الأتعاب قبل أن أقاضيه بمحكمة مصر الجديدة ... وهل فى مصر الجديدة محكمة أهلية ؟

هذا إشكالٌ جديد ، وسأخاصم فيه وزير العدل بعد حين ! ثم ماذا ؟ ثم يبقى القول فى رد ما جاء بالخطابين الـكريمين ، خطاب ابن منفلوط ، وخطاب بنت أسيوط ، فإلى اللقاء !

الدفع مقدماً ... !

من العبارات المألوفة فى البيع والشراء عبارات : الدفع مقدماً ، والدفع فوراً ، والدفع بالتقسيط

والمفهوم أن الدفع مقدماً أدل على النفاسة من الدفع فوراً ، أما العبارة الثالثة فهى شاهدة بهوان المعروض . وكل معروض مهان

ولـكن ما الرأى إذا كان التقسيط من تلطف البائع ، لا من هوان المبيع ؟

ما الرأى إذا كانت السِّلعة المبذولة غنيمة وجدانية لا تقوَّم بالمال ، وإنما تقوَّم بقصيدة أو مقالة تؤخذ أقباسها من لهيب الروح؟

ألا يكفى أن تصبح ذمة الـكاتب والشاعر فى غنى عن الضمان؟

سأرى كيف أصنع فى سداد الديون بالتقسيط . ولعلى أسارع ليكون من حقى أن أطمع فى غنائم جديدة من غنائم الوجدان ، فى المدينة التى قال فيها أحد الشعراء :

ولا عيب فيها غير أن نسيمها   يزيد سمير القلب وقداً إلى وَقد

بلادة أدبية

هى بلادة الأدباء الذين يسألون من وقت إلى وقت عن السبب فى خمود نار الخصومة بينى وبين الدكتور طه حسين . وإنى لأنظر فأرى لهم غاية من تأريث تلك الخصومة ، لأنها تشفى صدوراً يعجز أصحابها عن الوقوف موقف الخصماء

إن خصومتى للدكتور طه حسين خصومة أدبية لا شخصية ، وسأخاصمه كلما لاحت فرصة لنقد ما يصدر عن قلمه من آراء ، وهو لا يزال فى الميدان فليس من البعيد أن أرجع إليه بعد أسبوع أو أسابيع

المهم هو تسجيل هذه الظاهرة الغريبة ، ظاهرة البلادة الأدبية عند بعض الأدباء البهاليل ، فما الذى يصدهم عن نقد الدكتور طه بأقلامهم إن كانوا يرون فى مذهبه الأدبى شيئاً من الاعوجاج ؟

إن الذين يتوهمون أن فى مقدورهم أن يثيرونى على الدكتور طه حسين بمثل ما توسل به أحدهم من النمائم لفى ضلال ، فما يستطيع قلمى أن يصول بغير الحق ، ولو فى مناوشة أعدى أعدائى ، على فرض أن الدكتور طه من الأعداء ، وله فى قلبى مكان

المعارك القلمية فى مصر

لخصت مجلة الصباح الدمشقية ما دار بينى وبين الأستاذ عباس العقاد من صيال ، ثم قالت :

« هذا نمط من المعارك القلمية التى تثور فى مصر اليوم ، ويمثل هذا النقد اللاذع يتراشقون »

والجواب حاضر ، فصاولة الأدباء المصريين بعضهم لبعض لا تغض من النهضة الأدبية فى الديار المصرية ، وإنما هى شاهد صادق على حيوية الأدباء المصريين

قلت مرة ومرات : إننا نختلف أقل مما يجب ، ويا ويلنا إذا لم نختلف !

فإن شاء رفاقنا فى دمشق أن يعدّوا الاختلاف من عيوبنا فهم مخطئون

ألم أقل لكم : إن السلام ضربٌ من الموت ؟

الطبيعة والناس

فى اللحظات التى يتزحزح فيها برد الشتاء من وضع إلى وضع تبدأ الطبيعة باعداد الخلائق الجديدة فى عوالم الشجر والنبات والطير والحيوان

والأمر كذلك فى حياة الناس ... ألم تسمعوا بهجوم الربيع فى دنيا الحرب ؟

كان ذلك لأن الربيع يوقظ القُوى النافية ، قُوى الحب والبغض ، والصلح والقتال

أكتب هذا وقد سمعت ما سمعت وقرأت ما قرأت من أخبار العراك فى مجلس النواب . فما دلالة هذا العراك ؟ وهل يحط من أقدارنا فى أنظار أهل الشرق والغرب ، كما قيل ؟

الرأى عندى أن مصر غنمت بهذا العراك غنائم لم تكن تخطر فى البال ، فقد ظهر جليًّا أن عندنا خطباء من الطراز الأول فى اللغة العربية ، وظهر جليًّا أن عندنا رجالاً من أصحاب الأعصاب الحديدية . وهل من القليل أن يكون عندنا وزراء يقضون نهارهم فى مكاتبهم على خير حال من النشاط ، ثم يقضون صدر الليل فى مصاولات برلمانية تفلّ الحديد ؟

ماذا يقول الجيل المقبل حين يرى مضابط البرلمان ؟ ماذا يقول ؟

كل ما أتمناه أن تدوم هذه اليقظة العقلية والروحية على نحو ما رأينا من القوة والحيوية ، ليعرف الجيل المقبل أن آباءه كانوا أحياء فى الأرواح والعقول ، وأنه جدير بأن يخلفهم فى ميادين المنطق والفكر والبيان

أظهرُ ما عِيبتْ به تلك المصاولات هو صدور ألفاظ نابية على ألسنة بعض النواب ، فهل تفردنا بخلق تلك الألفاظ ، ولها نظائر فى جميع اللغات ؟ وهل كان مجلس النواب مجلس سَمَر لا يدور فيه غير مصقول الأحاديث ؟

إن خصوم الحكومة قالوا فيها ما قالوا ، وقالت فيهم ما قالت ، وعرف الجمهور عن طريق العلانية كل شىء ، برغم قيام الأحكام العرفية •

إن موقفى موقف المؤرخ لمهد من عهودنا الأدبية فى البلاغة البرلمانية ، وهى بلاغة وصلتْ إلى غاية من أرفع غايات البيان ، وشهدت بأن للفكر فى مصر أقطاباً وأساطين .

زكى مبارك

٢ـ أدباؤنا والمسرح

للأستاذ دريني خشبة

تكلمنا فى الكلمة السابقة عن السبب الأول من أسباب عقم الإنتاج المسرحى بين أدبائنا المصريين ، وذكرنا أن هذا السبب الأول هو تأخر الترجمة فى مصر ، وضآلة النقل الفنى المسرحى ، إن لم يكن انعدامه ... ثم وزعنا جريرة هذا التأخر فتكلمنا عن نصيب كل من كبار أدبائنا ، وكلية الآداب ، ووزارة المعارف ممثلةً فى إدارة الترجمة من هذه الجريرة ...

٤ — وتأتى بعد ذلك جريرة دور النشر ، ودور النشر مع الأسف الشديد يملكها ويسيطر عليها تجار لا يعرفون للأدب طعماً ولا لوناً ، ولا يفهمون منه إلا أنه مغنم لهم ومغرم على الأدباء المساكين ، فهم دائماً يلقون فى روع الأديب أن طبع كتابه مجازفة قد تجر على داره الخسارة إن لم يدع أنها تجر عليها الخراب والإفلاس ، وأنه ـ أى صاحب الدار يريد أن يضحى والسلام ، فإما أفلحت التضحية وإما (آهى خدمة للأدب والسلام ! !) ـ والسلام الذى يتمشدق به هذا التاجر أو ذاك من أصحاب دور النشر هو السم الذعاف الذى يجرعه للأدباء . على أننا لا ندرى لماذا تقف لجان الترجمة والتأليف والنشر من شباب الأدباء نفس الموقف الذى تقفه منهم دور النشر التجارية ، مع ما تبذله الحكومة لهذه اللجان من المعونات المتواضعة أحياناً السخية أحياناً أخرى ؟ ولا ندرى أيضاً لماذا تتفشى روح البيرقراطية الأدبيـة بين السادة القائمين بأمر هذه اللجان ؟ إن الشباب من الأدباء يداولون فيما بينهم ألواناً من الشكاوى التى لها ما يبررها بلا ريب ، وقد أثبتت أحوالنا الأدبية أن مشايخنا الأدباء المصنفين لا يصلحون بحال للانتاج المسرحى لما صح من أنهم عاشوا أعمارهم الطويلة المباركة هذه ولم يلتفتوا قط إلى أهمية الأدب المسرحى بدليل أنهم لم ينتجوا فيه شيئاً قط ولم يترجموا له شيئاً قط . والذى لا شك فيه هو أن الشباب من الأدباء أقدر على هذا كله من أساتذتهم أدباء أمس الدابر . فإلى أن ينظم أدباء الشباب أمورهم يجب أن يتقدموا إلى الدولة بطلب المعونة التى تبذلها لمشايخ الأدباء ، ولكن عليهم قبل ذلك أن يستعدوا ... فلا يتقدموا لطلب هذه المعونة وأيديهم فارغة ، وإلا أضحكوا الدنيا كلها عليهم ... وإذا هم أقبلوا على نقل المسرحيات الأجنبية إلى اللغة العربية فإنهم بذلك يؤدون خيراً مزدوجاً لنهضة المسرح المصرى أولاً ولأنفسهم ثانياً

٥ — أما نصيب أغنيائنا من هذه المسئولية فنحن نكتب عنه ، ثم نمضى ، لأننا أعرف بالنتيجة ، ولكنها فرصة طيبة للتكلم عن نصيب الأغنياء فى بعض الأمم وفى عصور التاريخ المختلفة فى إحياء النهضة الأدبية على العموم ، والأدب المسرحى على الخصوص . ففي اليونان القديمة كان الشاعر من شعراء المآسى ينظم مأساته ثم لا يذهب إلى بيوت الأغنياء كى يبذل لديهم ماء وجهه ابتغاء أن يتولى أحدهم الإنفاق على إخراج هذه المأساة ، وكان إخراجها يقتضى القناطير المقنطرة من المال ، بل كان الأديب لا يلبث أن يذيع فى الأوساط الأدبية أنه يوشك أن يتم مأساته التى نظمها فى موضوع كذا حتى يتهافت عليه الأغنياء يعرضون العروض السخية لكى يتم لأحدهم شرف إخراج هذه المأساة ... وإذا علمنا أن كلاً من إسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز وأرستوفان (وعشرات غيرهم من رجال المسرح اليونانى) قد ألف أكثر من مائة مأساة أو ملهاة ، وأن الدرامة الواحدة كانت تكلف الموسر الذى يتولى الإنفاق على إخراجها أكثر من ثلاثة آلاف من الجنيهات ، عرفنا كيف كان أغنياء اليونانيين يجودون بملايين الجنيهات . ولا نقول بمئات الألوف ـ فى سبيل تشجيع الأدباء والنهضة المسرحية فى ذلك العصر اليونانى القديم ـ ولا يحسبن القارئ أننا ننفخ فى كلمتنا هذه روح المبالغة بذكر تلك الأرقام التى كان سراة اليونانيين يسخون بها على مسارحهم وتيسير أحوال شعرائهم ، فقد كان الشاعر ومساعدوه ورجال الخورس ـ ويتراوح عددهم بين الخمسين والثمانين ـ يأكلون ويشربون ويسكنون ويقبضون

أحسن الرواتب لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر حتى يتم إخراج الرواية على حساب هذا المثرى كما كان يدفع لهم ثمن الملابس التمثيلية (أربعة أطقم لكل منهم) وأثمان الملابس التنكرية التى كانت مرتفعة جداً . فإذا بدأ التمثيل تولت الدولة الإنفاق على هؤلاء الممثلين وإعطائهم رواتب حسنة ، كما كانت تسبغ على الشاعر أجزل المكافآت (غير راتبه الخاص)

كان هذا فى اليونان من أربعمائة وألفين من السنين ...

أما فى أوربا ، فقد لقى المسرح ما يقرب من هذا التشجيع فى جميع الممالك وفى فرنسا وانجلترا خاصة ... ففى انجلترا مثلاً كانت تتكون النقابات التمثيلية Gilds أو Guilds من أرباب الحرف المختلفة ، وذلك بعد أن انتقل زمام التمثيل إليها من أيدى رجال الأكليروس فى الطور الثانى من أطوار حياة المسرح الإنجليزية . وكان لكل طائفة من الصناع نقابتها التمثيلية الخاصة بها ، فثمة نقابة للدباغين وثانية للسقائين وأخرى لتجار الأقمشة ... الخ . وكان أصحاب رؤوس الأموال ومديرو المصانع ينفقون على هذه النقابات ويمدونها بالأموال الضخمة لما اضطلعت به من إخراج الروايات القديسية أو الكرامية Miracle Plays ، فكانت النقابات بدورها لا تألو جهداً فى الإنفاق عن سعة على الإخراج حتى تبلغ به حد الإتقان استعداداً للمواسم التمثيلية التى تشبه ما كان يقام منها عند اليونانيين القدماء فى أعيادهم الدينية ، والتى كانت تقام فى الأعياد الدينية الإنجليزية أيضاً ، مثل عيد الميلاد وعيد الفصح وأحد العنصرة وعيد الجسد أو القربان المقدس ... الخ . وقد نالت نقابات بعض المدن شهرة كبيرة أدت إلى تنافس شديد بين المدن الإنجليزية كى يبز بعضها بعضاً فى الكمال التمثيلى . وكان هذا التنافس الشديد سبباً فى أن تضاعف النقابات ، وبالأحرى الأغنياء من أصحاب رؤوس المال ، ما ينفقون على فرقهم التمثيلية ... فهذا اتحاد نقابات لندن ينافس اتحاد كوفنترى ، كما ينافس اتحاد دبلن اتحاد يورك ، وكما تتنافس شستر ولانكستر وبرستون ... وهكذا كانت جميلة رائعة حرب السلام والفن والفكر والأدب هذه بين سائر المدائن الإنجليزية فى فجر النهضة التمثيلية فى القرن الرابع عشر .

وأظرف من هذا التنافس بين المدن ، التنافس المحلى الذى كان ينشب بين أحياء المدينة الواحدة لكى يفوز أحدها بتمثيل الرواية فيه دون الأحياء الأخرى ، فكانت الأحياء تتبارى فى إجزال العطاء لفرق النقابات كي تفوز بهذا الشرف ، وكانت الفرق مطلقة الحرية فى قبول العطاء الأسخى ، وكثيراً ما كانت العطاءات تنيف على الخمسمائة جنيه للحفلة الواحدة ، وكثيراً ما كان العرض يستمر لمدة ثمانية أيام متتالية للرواية الواحدة كما حدث فى رواية « طوفان نوح » التى مثلت فى إسخلين بلندن سنة ١٤٩ فى عهد الملك هنرى الرابع . فهاتان منافستان . ثم كانت هنالك منافسة من نوع ثالث بين المنازل نفسها ، فالمنزل الذى يساهم فى العطاء بأكبر مبلغ هو الذى يفوز بتمثيل الرواية أمامه ، وكان أصحاب المنازل يتبارون من أجل ذلك فى الدفع حتى كان أحدهم يدفع قرابة الخمسمائة جنيه حتى لا ينتصر عليه فى مضمار المباهاة أحد أعيان الناحية !! وكانت أجور الممثلين والمنشدين Choristers مرتفعة جداً حتى كانت تصل إلى خمسة جنيهات عن الحفلة الواحدة وذلك بعملتنا الحاضرة ، وقد كان ذلك سبباً فى دخول الاحتراف المسرحى فى انجلترا . ولما حدث هذا الإقبال العظيم من الشعب على شهود التمثيل اضطرت النقابات إلى المؤلفين الذين ينتجون الروائع فى سرعة فنشأ الاحتراف فى التأليف أيضاً . غير أن مؤرخى المسرح الإنجليزى يقررون بكل أسف أن النقابات كانت تمتص دماء المؤلفين بالثمن البخس ، وكان عنصر الربا يدخل فى المعاملة بينها وبين المؤلفين لتذلهم إذلالاً ، وتربط حياتهم بها ربطاً محكما حتى لا تغر بهم النقابات الأخرى بالعطاء الأجزل ... وذلك من قبيل ما تبديه دور النشر عندنا من جشع

ذلك بعض ما كان يسخو به الأغنياء الإنجليز لتعضيد المسرح وما كان يحدث أعظم منه فى فرنسا ، فمتى يصل هذا الصوت إلى أغنيائنا فيشاركوا فى صناعة الذوق العام لهذه الأمة بإحياء المسرح المصرى ؟

٦ – وإذا كنا نطمع أن يعضد أغنياؤنا الأدب المسرحى – وسيضحك القراء جميعاً حين يقرأون هذا الهذيان ! – فنحن نطمع فى أن يتشبه أمراؤنا بأمراء أوربا فى عصر النهضة ، وذلك بحماية المؤلفين ورعاية الأدباء المسرحيين بوجه خاص . فالأمير الذى يساعد مؤلفاً أو يوفر الراحة الذهنية لشاعر ، إنما يقدم لأمته أثمن هدية فى الحياة ... إنه يقدم لها قلباً من القلوب النابضة ، وقريحة من القرائح الخصبة التى تشيع فيها النشاط وترد إليها العزة ... وكل من درس تاريخ النهضة وإحياء العلوم فى أوربا يذكر أن هذه النهضة العجيبة التى عم خيرها جميع شعوب الأرض هى من صنع أمراء فلورنسا من أسرة دى مديتشى تلك الأسرة التى كانت تنفق معظم أرباحها التجارية فى شراء الكتب والمخطوطات مهما كانت أثمانها عالية باهظة ، كما كانت تحمى العلماء والأدباء ورجال الفكر ، والتى أنشأت فى فلورنسا تلك الأكاديمية الفلسفية لدراسة آراء الفلاسفة الإغريق فكانت أول منارة شع نورها فى ظلمات أوربا السادرة فى الجهالات . وستظل أسماء كوزيمو وحفيده لورنزو وابن لورنزو الثانى جيوڤانى دى مديتشى كواكب ساطعة على الزمن فى سماء النهضة العالمية ، فإليهم يرجع الفضل فى إحياء التراث اليونانى الخالد من فلسفة وأدب ، وذلك بما أنفقوا من حر مالهم فى سبيل الحصول على مخطوطات أفلاطون وأرسطو وأدباء المسرح اليونانى القديم ، مما قدره علماء البيبليوزلزم (جمع الكتب والمخطوطات القديمة) بملايين الجنيهات

كذلك يعلم كل من درس تاريخ النهضة ما كان لأمراء باڤاريا وغيرها من الولايات الجرمانية من فضل على النهضة الألمانية . وكان لحماة الأدباء من لوردات انجلترا أكبر الأثر فى رعاية المسرح الإنجليزى ، وكل من له معرفة بشيكسبير يعلم تلك الصلة الخالدة التى كانت بينه وبين هنرى ريوتسلى (إرل أوف سوثمبتون) .. الحق . . . أنه قد آن أن يكون للوطن حق معلوم فى الأموال المصرية التى تفتقر إليها العبقريات المصرية . ولن تنسى مصر تلك اليد التى أسداها إلى الفنون الرفيعة واحد من أبر أمرائها

وبعد ، فقد أطلنا القول فى أسباب تأخر الترجمة وما جرت إليه من تأخر الآداب المسرحية فى مصر ، وما أدى إليه ذلك من فقر الأدب العربى الحديث بالقياس إلى آداب الأمم المتحضرة ، إذ نكاد نكون الأمة الوحيدة – بين جميع الأمم – التى ليس لها أدب مسرحى تقريباً .

ومن أسباب عقمنا فى الإنتاج الأدبى المسرحى هذا التهيب الذميم الذى نتناول به تاريخنا الدينى والسياسى . والمدهش أن الأدباء إنما يخشون رجال الدين وما عساهم أن يحدثوا من ضجة إذا هم وضعوا درامات مشتقة موضوعاتها من أحداث التاريخ الإسلامى ، وما أروع أحداث هذا التاريخ ! وهذا الذى يخشاه الأدباء فى مصر ، حدث ضده فى تاريخ المسرح الأوربى الحديث ، فقد نشأ التمثيل أول ما نشأ فى أوربا فى الكنائس والبيع ، وكان الأحبار والقسيسون والرهبان والعرفاء هم الذين ابتدعوا الدرامات الانجيلية Mysteries والدرامات الكرامية Miracles وأخذوا موضوعات النوع الأول من الكتاب المقدس مع المحافظة على حرفية القصص ، كما أخذوا موضوعات النوع الثانى من خوارق القديسين ومعجزات الأنبياء وكرامات أهل التقى والورع . ولما رأى رجال الدين إقبال الشعب على شهود تمثيلياتهم الدينية هذا الإقبال العظيم فكروا فى تنشئة صبيان البيع على هذه الصناعة الجديدة فكان الاحتراف فى التمثيل ، وبذلك وجد عمل شريف عظيم لهذه الكثرة من رجال الدين – غير المتفقهين – ممن عندنا منهم آلاف مؤلفة احترفت قراءة القرآن بأبخس الأثمان على المقابر والزارات وفى المنازل والمتاجر للتبرك مما يستنكره ديننا وتأباه كرامة الإسلام وتألم له روح نبينا العظيم ويبغضنا الله من أجله . . . فلو أن الذى حدث فى أوربا حدث بعضه عندنا لخلصنا من هذا الخزى المنتشر بيننا مما جعلنا أمة جنائزية عجيبة الأحوال ... وإذا كنا نحرص على عدم تمثيل شخصيات الرسل الكرام توفيراً للوقار الذى ينبغى لهم ، مع أن القصص العظيم

في التصوير الاسلامي

ليـــلى والمجنون

للدكتور محمد مصطفى

— ٣ —

أقام المجنون بين أهله وذويه ، يواسونه ويعطفون عليه ، ويخصونه برعايتهم وعنايتهم ، حتى تاقت نفسه إلى رؤية حبيبته ليلى ، فاصطحب بعض أصحابه المخلصين ، وذهب معهم إلى حي قبيلتها ، فوجدوها جالسة أمام بيتها مع بعض أهلها . وعرفته ليلى فحيته وحياها ، ولكنه لما أراد أن يقترب منها ليحادثها منعه ذووها . فأعاده أصحابه إلى بيت والديه مهموما حزيناً متفكراً . وظل يتفكر في أمرها حتى منعه ذلك من الطعام والشراب ، وترك محادثة الناس ، وصار في حدّ يرحمه كل من رآه من عدو وصديق ، فكان يقول[1] :

ما بال قلبك يا مجنون قد خُلعا ... في حب من لا ترى في وصلها طمعا
الحب والود نيطا بالفؤاد لها ... فأصبحا في فؤادي ثابتين معا

(١) الديوان ص ٨ — ٩ ، والأغاني ص ٣٧

ولامه أهله وعذلوه وقالوا : لا خير لك في ليلى ولا لها فيك ، فلو تزوجت واحدة من بنات عمك ، نرجو أن يذهب عنك بعض ما بقلبك من حب ليلى ، فأنشأ يقول[1] :

قضى الله بالمعروف منها لغيرنا ... وبالشوق مني والغرام قضى ليا
أراني إذا صليتُ يممتُ نحوها ... بوجهي وإن كان المصلّى ورائيا
وما بي إشراك ولكن حبها ... وعظم الجوى أعيا الطبيب المداويا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها ... وأشبهه أو كان منه مدانيا

واشتد بالمجنون الأمر حتى خاف عليه أهله ، فذهب معه أبوه وبعض رجال عشيرته إلى والد ليلى وقالوا له[2] : إن هذا الرجل لهالك ، وإنك فاجع به أباه وأهله ، فننشدك الله والرحم أن تزوجه ليلى ، فوالله ما هي أشرف منه ، ولا لك مثل مال أبيه ، وقد حكمك في المهر ، وإن شئت أن يخلع نفسه إليك من ماله فعل . فأبى وحلف بالله وطلاق أمها أنه لا يزوج ابنته هذا الرجل المجنون أبداً ، فقال قيس[3] :

ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى ... شقيتَ ولا هنّيتَ من عيشك الغضّا
شقيتَ كما أشقيتني وتركتني ... أهيم مع الهلاّك لا أطعمُ الغمضا

(١) الديوان ص ٦٩ ، والأغاني ص ٦٨ ، وتزيين الأسواق ٦٩
(٢) الأغاني ص ٢١
(٣) الديوان ص ٥٥ ، والأغاني ٩٠ ، وتزيين الأسواق ص ٦٥

الذي جاء به القرآن هو أسمى ألوان القصص التمثيلي الذي تندق دون تقليده أعناق المقلدين ، فما بالنا جعلنا الانصراف عن ذلك عاماً بحيث شمل جميع الموضوعات الدينية والشخصيات الدينية ؟ إن في سير صحابة الرسول الكريم آيات من القصص التمثيلي لو عرفنا كيف نبرزها على المسرح لتوفرت لنا مئات من التمثيليات الرائعة التي تزرى بما هو نوعها عند الأمم الأخرى . . . وأقول مرة أخرى إنني وأنا أكتب ذلك الكلام الآن ألمح هذه الابتسامات الساخرة ترقص على بعض الشفاه التي لم تشد قليلاً ولا كثيراً من تاريخنا الاسلامي — على أنها شفاه جاهلة لا تزن ما للدين من أعمق الأثر في توجيه الأمة المتدينة — على أنني أيضاً لست أريد أن نبدأ في نهضتنا المسرحية من حيث انتهت أوربا ، وإلا تكون دعوة إلى نكسة لا تليق بنا ، لكنني أرى استغلال الروائع العظيمة من سير الصحابة الذين يجلهم الشعب في إيجاد مسرحيات دينية تمس روح الشعب الدينية وتلعب على أوتاره الحساسة في سبيل النهوض به وهدايته إلى مثله الأعلى الذي يرفعه إلى منازل العز والسؤدد الأخلاق . يجب أن نفهم روح العصر ونتخذ الوسائل المستحدثة في الوصول إلى روح الجماهير ، ويجب ألا نتخلف عن موكب الانسانية فنتخذ وسائل عقيمة غير التي يتخذها هذا الموكب وإلا كنا شذاذاً — ويجب أن نصنع ذلك ما دام لا يناقض ديننا . . . إن رواية القصة على الأسماع ليس له من السحر في النفس والأمر في القلب ما تحدثه مشاهدتها على المسرح تتحرك شخصياتها ، وتتحرك وقائعها ، وتتحرك مشاهدها ، فتثبت في الذاكرة إلى الأبد . يجب ألا نكون أميين فنسد آذاننا عن هذه الحقائق

دريني خشبة

كأن فؤادي في مخالب طائر إذا ذكرت ليلى يشدّ بها قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم عليّ فما تزداد طولاً ولا عرضا

وسمعه أبوه الملوّح فأشفق عليه ، وقال إن ابنه عاقل وليس به جنون ، ثم التفت إليه وناداه أن يتقدم ويخاطب والد حبيبته ليثبت له عقله ورشاده ... وتقدم قيس ... وإذا بكلب ليلى يظهر بغتة ، فيعرف فيه حبيب سيدته ، ويبصبص له بذنبه ... فلم يتمالك المجنون من أن يلقي بنفسه على الأرض ، إلى جانب الكلب ، ليحتضنه ويناجيه ويسأله عن ليلى ... فكان في ذلك أكبر دليل على جنونه . ورجع أبوه معه إلى بيته حزيناً وقد خاب أمله



(شكل ١)

ولما حاول أهله مرة أخرى أن يزوّجوه إحدى بنات عمه ، مزق ملابسه ، وفر هارباً ... إلى حيث تأتيه ذكريات ليلى ... إلى جبل التوباد ... ولما دنا منه قال[1] :

وأجهشتُ للتوباد حين رأيته وكبّر للرحمن حين رآني
وأذريتُ دمع العين لما عرفته ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له أين الذين عهدتهم حواليك في حفظ وطيب زمان
فقــال مَضَوْا واستودعوني ديارهم
ومَنْ ذا الذي يبقى على الحدثان

ثم خر مغشياً عليه ، فوجده بعض عابري السبيل ، فأشفقوا عليه ، وحملوه إلى منزل والديه

وفي (شكل ١) اجتمع الملوّح بن مزاحم وبعض أقاربه بوالد ليلى يخطبونها لابنهم قيس . ويرى قيس وقد ألقى بنفسه على الأرض يحتضن كلب ليلى ويناجيه ، ويحاول أخوه عبثاً أن يجره إلى الخلف ليبعده عن الكلب . وجلس والد ليلى في الوسط وقد ثبت ما قاله عن جنون قيس ، وإلى يمينه الملوّح وقد ظهر على وجهه الحزن والأسى . ووضع بعض الحاضرين أصابعهم السبابة في أفواههم دلالة على ما اعتراهم من دهشة لهذا المنظر الغريب الغير مألوف لديهم . وهذه الصورة[1] في مخطوط من منظومات الشاعر هاتفي الجامي ، مؤرخ سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٥م) ومحفوظ في مكتبة الدولة ببرلين .

***

أفاق المجنون من غشيته حائل اللون ذاهلاً ، فوجد نفسه في منزل والديه وقد جلسا إلى جانبه مع إخوته وابن عمه زياد بن مزاحم وبعض أقاربه ، يبتهلون إلى الله تعالى أن يخفف عن قيس ويرد إليه عقله . وأجال المجنون بصره فيمن حوله ، فتبينهم وعرف فيهم أهله وذويه ، فترك لنفسه العنان ، وجعل يبكي أشد بكاء وأوجعه للقلب ويقول[2] :

صريع من الحب المبرح والهوى وأي فتى من علة الحب يسلم

وتقدم الناس إلى أبيه أن يخرجه إلى مكة ، ويعوّذه ببيت الله الحرام ، لعل الله يعافيه مما ابتلي به . فخرج به أبوه ، وسار معه ابن عمه زياد ، الذي جعل يلازمه ويدوّن ما يقول من أشعار وأناشيد . ومروا في طريقهم بحمامة تنوح على دوحة ، فوقف

(١) الديوان ص ٢٥ ، والأغاني ص ٥٢ — ٥٣ ، وتزيين الأسواق ص ٥٩ — ٦٠ ، وانظر أيضاً شوقي ص ٨٣

(١) منقولة عن : Arnold and Grohmann, Pl 52
(٢) الديوان ص ٤

المجنون صاغياً لما يبكي ، وتخلّف معه زياد وقال له : ماهذا الذى يبكيك ؟ سر بنا نلحق الرفقة . فأنشد المجنون[١] :

أأن هتفت يوماً بوادٍ حمامة
بكيتَ ولم يعذرك بالجهل عاذرُ
دعت ساقَ حرٍّ[٢] بعدما علت الضحى
فهاج لكَ الأحزانَ إن ناح طائرُ
يقول زيادٌ إذ رأى الحيَّ هجّروا
أرى الحيَّ قد ساروا فهل أنت سائرُ
وإنى وإن غالَ التقادمُ حاجتى
مُلِمٌّ على أوْطان ليلى فناظرُ

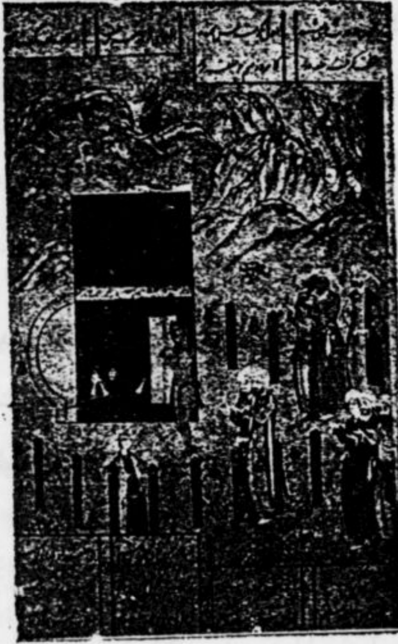
ولما دخل مكة أمره أبوه أن يدعو الله أن ينسيه ذكر ليلى ويبغضها إليه، فقال المجنون : اللهم زدنى لليلى حبّاً ، وبها كلفاً ، ولا تنسنى ذكرها أبداً . فزجره أبوه وأخذه حتى أمسكه أستار الكعبة وقال له : قل اللهم أرحنى من ليلى وحبها . فتعلق المجنون بأستار الكعبة[٣] ...

ولكن قال يا ربُّ ملكت الخير والشرّا
فهات الضرَّ إن كان هوى ليلى هو الضرّا
وإن كان هو السحر فلا تُبطلْ لها سحرا
ويا رب هب السلوى لغيرى وهب الصبرا
وهب لى موتة المُضْنى بها لا ميتة أخرى
(شوقى)

فلما سمعه أبوه رق له ، وأخذ بيده نحو « منى » يريد رمى الجمار . وكان الوقت موسم الحج ، والطريق غاصة بقوافل الحجاج ، تغدو وتروح بين بيت الله الحرام وجميع بلاد العالم الإسلامى . وكان قيس يسير بين أهله متفكراً ، يستقبل الريح التى تهب من ناحية نجد ، وإذا به يسمع صوت حادٍ يتجه صوب تلك الناحية ، حيث مضارب بنى عامر على سفح جبل التوباد . ثم يتعالى الصوت قليلاً قليلاً حتى يظهر الحادى ومن ورائه قافلة تسير ، وأنصت قيس ، وإذا بالحادى ينشد فى صوت عذب حنون[١] :

هلا هلا هيّا ، إطوى الفلاطيّا ، وقربى الحيّا ، للنازح الصب جلاجل فى البيد ، شجية الترديد ، كرنة الغرّيد ، فى الفنن الرطب
هلا هلا سيرى ، وامضى بتيسير ، طيرى بنا طيرى ، للماء والعشب طيرى اسبقى الليلا ، وأدركى الغيلا ، العهد من ليلى ، ومنزل الحب
بالله ياحادى ، فتش بتوباد ، فالقلب فى الوادى ، والعقل فى الشعب
(شوقى)

(١) الأغانى ص ٥١ — ٥٢ ، وتزيين الأسواق ص ٥٩
(٢) ساق حر : أصله صوت القمارى أنظر الأغانى ص٥١٠ م ٣
(٣) شوقى ص ٣٨ — ٣٩



(شكل ٢)

ولما سمع المجنون الحادى يردد في أنشودته ذكر ليلى والتوباد ، صرخ صرخة مدوية وخر مغشياً عليه . واجتمع عليه قومه ، وأبوه باكٍ حزين ، وجعلوا يروحون له ويرشون على وجهه الماء إلى أن أفاق مصفر اللون وأنشأ يقول[٢] :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منى
فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما
أطار بليلى طائراً كان فى صدرى
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه
وليلى بأرض الشام فى بلد قفر

(١) شوقى ص ٣٩ — ٤٠
(٢) الديوان ص٥ ، الأغانى ص ٢٢ ، ٥٥ تزيين الأسواق ص ٥٩

عرضت على قلبي العزاء فقال لى من الآن فاجزع لا تمل من الصبر

وفشا أمر المجنون بين الحجاج ، فلامه بعض قومه وطلب منه أن يستشعر الصبر ويستبقى مودة الحبيب بكتمان الحب ، فكان من جوابه أن قال[1] :

إن التوانى قتّلت عشاقها يا ليت من جهل الصبابة ذاقها

فى صدغهن عقارب يلسعننا ما من لسعن بواجد ترياقها

إن الشقاء عناق كل خريدة كالخيزرانة لا تمل عناقها

زانت روادفها دقاق خصورها إنى أحب من الخصور دقاقها

إن التى طرق الرجال خيالها ما كنت زائرها ولا طرّاقها

ثم انسل من بين أهله ، ومزق ملابسه ، ولجأ إلى جبل التوباد ، حيث جعل يخطط بأصبعه فى التراب ، ويجمع العظام حوله ، ويباشر الظباء والوحوش .

وفى (شكل ٢) نرى الناس وقد أحاطوا بالكعبة الشريفة رافعين أيديهم بالدعاء لقيس أن يمن الله عليه بالفرج . بينما تعلق قيس بأستار الكعبة وهو يقول[2] :

أتوب إليك يا رحمن مما عملت فقد تظاهرت الذنوب

فأما من هوى ليلى وتركى زيارتها فإنى لا أتوب

وقد صور المصور الإيرانى الكعبة الشريفة بأستارها كما هيأها له خياله ، وجعل الحمام يطير حولها ويحط عليها فى أمن وسلام . وهذه الصورة[3] من تصوير المصور حيدر قولى فى أسلوب المصور الشهير رضا عباسى . وهى فى مخطوط من المنظومات الخمس للشاعر الكنجوى كتب حوالى سنة ١٠٣٤هـ (١٦٢٤م) فى مدينة أصفهان . وهذا المخطوط محفوظ فى المكتبة الأهلية بباريس .

(يتبع)

محمد مصطفى

مساعد فنى دار الآثار العربية

(١) الديوان ص ٦

(٢) الديوان ص ٦

(٣) منقولة عن : Blochet, Musulman Painting, Pl. CLXIII

من تحت الأنقاض

«. . . . . . .»

للأستاذ محمد محمود شاكر

حَسْرَةٌ وَلَّتْ، وَأُخرَى أَقبَلَتْ، كَيفَ؟ مِن أَينَ؟ مَتَى؟ لم أَعلَمِ!
مَوْجَةٌ سَوْدَاء تَنقَضُّ عَلَى مَوْجَةٍ فى بَحْرِ لَيْلٍ مُظْلِمِ
تَتَفَانَى وَهْيَ لَا تَفْنَى ، وَكَمْ رَدَّهَا تَيَّارُهَا كالضَّيْغَمِ !
صَمَّمَتْ ، حَتَّى إذَا مَا الْتَهَمَتْ نُورَ أَيَّامِيَ طَاشَتْ فى دَمِي
فَهْوَ أَمْوَاجُ ظَلَامٍ : لا تَرَى، لا تُبَالِي، لا تَعِي، لا تَحْتَمِي

* * *

زَهْرَةٌ حَنَّتْ ، فَبَاحَتْ فَذَوَت أَذْبَلَتْهَا نَفْحَةٌ لم تُكْتَمِ
شَكَتِ الْبَثَّ لِنَجْمٍ سَاطِعٍ ، ثُمَّ ظَنَّتْ فى شُعَاعٍ مُلْهِمِ
نَمْنَمَتْ عِطراً ، فَلَمْ يَعبأْ بِهِ لَيِّمَ الْمَوْطِئِ أَمْ لَمْ يَلْثِمِ
فَضَّ سِرٌّ سِرَّهَا ، فَانْتَفَضَتْ ، فَهَوَتْ سَاجِدَةً لَمْ تُرْحَمِ
وَرَمَى النَّجْمُ شُعَاعًا وَسَنًا . ثُمَّ ضَاعَ النَّجْمُ بَيْنَ الأَنْجُمِ

* * *

قَدْ جَلَا الْوَهْمُ عَرُوساً زُيِّنَتْ لَبِسَتْ حِلْيَتَهَا لِلْمَأْتَمِ
إنَّمَا أَثْوَابُهَا أَكْفَانُهَا ، وَالأَغَانِي لَحْنُ قَبْرٍ مُعْتِمِ
وَوُجُوهٌ أَشْرَقَتْ مِن نَشْوَةٍ لَمْ تَكَدْ... ثُمَّ هَوَتْ لم تَسْلَمِ
شَهَوَاتٌ أَشْعَلَتْ ثُمَّ خَبَتْ : لم تَكُنْ إلَّا شَكَاةَ الْمُغْرَمِ
نَظْرَةٌ ، ثُمَّ هَوًى ، ثُمَّ مُنًى ، ثُمَّ ... وَانْفَضَّ كَأَنْ لم تَحْلُمِ

* * *

لَا أَرَى إلَّا فَنَاءً أَوْ سُدًى ، فَبَصِيرٌ فى ضَلَالٍ أَوْ عَمِ
وَلَيَالٍ أَظْلَمَتْ أَنْوَارُهَا ، وَلَيَالٍ نُورُهَا لم يُظْلِمِ
وَهُمَا الدَّهْرُ ... فلا لَيْلَ وَلَا صُبْحَ ، بَلْ وَالِدَةٌ لم تَعْقَمِ
وَحَيَاةٌ مِنْ فَنَاءٍ فُجِّرَتْ لِفَنَاءٍ فى حَيَاةٍ يَرْتَمِي
كُلُّهُ لَمْحٌ وَمِيضٍ خَاطِفٍ ثُمَّ ... لا شَيْء... نَجَاهِدُ أَوْ نَمِ

محمود محمد شاكر

٢ - الأحلام

للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون

بقلم الأستاذ ألبير نادر

سبق أن ذكرت حلماً مشهوراً، وها كم حلماً آخر ربما رآه الكثير منكم. موضوعه أن يشعر الإنسان بأنه يطير ويرفرف ويمر بالفضاء دون أن يلمس الأرض. فإذا ظهر هذا الحلم مرة فني الغالب يحاول أن يظهر مرة أخرى، وفي كل مرة تقول: « كثيراً ما حلمت أنى أطير فوق الأرض، ولكننى فى هذه المرة مستيقظ تماما — الآن أعرف وسأبين للآخرين — أنه يمكننا أن نتحرر من قانون الجاذبية. فإذا استيقظت فجأة أظن أنك تجد الآتى: تشعر بأن قدميك فقدتا نقطة ارتكازها، بما أنك كنت متمدداً فعلاً. ومن جهة أخرى اعتقادك بعدم نومك هو عدم شعورك بالنوم. كنت تقول فى نفسك إنك لم تلمس الأرض بالرغم من أنك كنت واقفاً. هذا هو الاعتقاد الذى كان يزيده فيك حلمك فى الحالات التى تشعر فيها أنك تطير. لاحظ أنك تظن أنك تقذف بجسمك إلى الجانب يميناً أو شمالاً وأنت ترفعه بحركة ذراع فجائية كأنها ضربة جناح، ولكن هذا الجانب هو نفسه الجانب الذى كنت نائماً عليه، استيقظ تجد شعورك بمجهودك لتطير هو نفس الشعور بضغط الذراع والجسم على السرير، وضغط الذراع والجسم هذا إذا فصل عن سببه لم يعد إلا شعوراً غامضاً ناتجاً عن التعب وسببه المجهود. وإذا ارتبط هذا الشعور بالضغط باعتقادك بأن جسمك ترك الأرض، يتحول هذا الشعور إلى شعور واضح بمجهود للطيران

من المهم أن نلاحظ كيف أن إحساسات الضغط عند ما تصعد إلى الحقل البصرى وتستفيد من الغبار المضيء الموجود فيه يمكنها أن تتحول حينئذ إلى أشكال وألوان. حلم ذات يوم ماكس سيمون أنه أمام كومتين من قطع الذهب، وأن هاتين الكومتين غير متساويتين، وكان يحاول أن يسويهما ولكن عبثاً. فشعر بانقباض شديد، وازداد هذا الشعور من لحظة إلى أخرى حتى أيقظه. فلاحظ حينئذ أن ساقاً من ساقيه كانت معاقة بثنايا الغطاء، وأن قدميه لم تكونا فى مستوى واحد، وكانت كل واحدة تحاول عبثاً الاقتراب من الأخرى، فبدون شك نتج عن ذلك شعور مبهم بعدم المساواة، وانتشر فى الحقل البصرى حيث قابل (وهى النظرية التى أقدمها) نقطة صفراء أو أكثر، وظهر على شكل بصرى بواسطة عدم التعادل هذا بين كومتى قطع الذهب. فيوجد إذاً فى باطن الإحساسات اللمسية أثناء النوم استعداداً لكى تتحول إلى إحساسات بصرية وتدخل على هذه الصورة فى الحلم

وأهم من هذه الإحساسات الخارجية إحساسات اللمس الداخلى الناتجة من جميع أجزاء الجسم، لا سيما الحواشى. فالنوم يمكنه أن يمنحها، أو بالأحرى أن يهبها دقة وحدة فريدتين، أن هذه الإحساسات موجودة بدون شك زمن اليقظة، ولكننا نكون غافلين عنها بسبب الحركة لأننا نعيش حينئذ خارجا عن أنفسنا، ولكن النوم يجعلنا نعود إلى أنفسنا

يتفق أن بعض الأشخاص المرضين لالتهاب الحلق أو الغدد يشعرون بأن هذه النوبات انتابتهم ضمن حلم، ويشعرون حينئذ بوخزات مؤلمة جهة الحلق. وعند ما يستيقظون يقولون إنها وهم وحسب؛ ولكن مع الأسف سرعان ما يتحقق هذا الوهم. يذكرون أن أمراضاً وعوارض خطيرة مثل ذبحة صدرية ونوبة قلبية ... كانت قد ظهرت وتنبأ عنها فى الحلم. فلا نندهش إذا رأينا فلاسفة مثل شوبنهور يقولون إن الحلم يشخص أمام الوجدان اهتزازات صادرة من الجهاز العصبى السمبتاوى، وإذا رأينا علماء نفس مثل شرنر يقولون إن كل عضو له مقدرة خاصة لينتج أحلاما نوعية تمثله تمثيلاً رمزياً، وأخيراً إذا رأينا أطباء مثل أربتج يكتبون مجلداً عن « قيمة الأحلام وما تنبيء به »، وعن طريقة استعمال الحلم لمعرفة نوع الأمراض، وحديثاً بتين تيسيه : كيف أن خللاً فى الهضم، أو فى التنفس، أو فى الدورة الدموية، يظهر فى أحلام معينة

خلاصة ما تقدم: أننا أثناء النوم الطبيعى لا تكون حواسنا مقفلة تماماً للتأثيرات الخارجية. نعم إنها حينئذ لا تكون على نفس الدقة التى لها زمن اليقظة، بل عوضاً عن ذلك تصادف كثيراً

من التأثيرات الشخصية التي لم نكن نشعر بها أثناء اليقظة عندما كنا نتحرك في عالم خارجي مشترك لجميع الناس، ولكنها تظهر أثناء النوم حيث أننا لا نعيش عندئذ إلا لأنفسنا فقط. ولا يمكننا أن نقول إن إدراكنا يتقيد عندما ننام بل بالعكس فالإدراك يوسع حقل عمله في بعض الاتجاهات على الأقل. نعم إنه يفقد دقة ما يكسبه في التوسع لأنه لا يأتي إلا بالمبهم والمبهم مما يدل على أننا نصنع الحلم بواسطة إحساس حقيقي

كيف نصنع الحلم؟ إن الإحساسات التي نستخدمها كمادة تكون مبهمة وغير معينة. لنأخذ مثلاً الإحساسات التي تبدو في الصف الأول أي البقع الملونة التي تتطور أمامنا عندما يكون جفنانا مغلقين — ترى سطوراً سودا على مسطح أبيض يمكنها أن تمثل سجادة أو صفحة مخطوطة أو عدة أشياء أخرى أيضاً. من الذي سيجري الاختيار؟ أي شكل سيعين هذه المادة غير المعينة؟ هذا الشكل إنما هو التذكر — لنلاحظ أولاً أن الحلم عادة لا يخلق شيئاً. نعم يذكرون بعض الأمثلة عن عمل فني أو أدبي أو علمي نُفّذ أثناء الحلم، ولا أذكر هنا إلا المثل الأكثر شيوعاً: كان تارتيني — وهو موسيقي عاش في القرن الثامن عشر — يجدُّ في تأليف قطعة موسيقية، ولكن قريحته كانت عاصية، فنام. وها هو الشيطان قد ظهر له بنفسه واستولى على القيثارة وعزف القطعة المنشودة. ولما استيقظ تارتيني سطَّر هذه القطعة من ذاكرته ووهبها لنا تحت اسم «أنشودة الشيطان». ولكن لا يمكننا أن نستخلص شيئاً من قصة مختصرة كهذه. يجب أن نعرف هل كان تارتيني جاداً في إتمام هذه الأنشودة عندما كان يتذكرها؟ إن مخيلة النائم الذي يستيقظ تضيف في بعض الأحيان شيئاً إلى الحلم وتبدله بمقتضى فاعلية رجعية وتسد ثغراته التي يمكنها أن تكون عديدة. بحثت عن ملاحظات أدق وخصوصاً أكثر صدقاً فلم أجد سوى ملاحظة الروائي الإنجليزي استيفنسن في كتاب عنوانه «فصل في الأحلام»: يخبرنا استيفنسن أنه ألف أو بالأحرى رسم في الحلم قصصه الأكثر غرابة. لنقرأ بإمعان الفصل نجد أن المؤلف عاش فترة من حياته بحالة نفسية لم يتمكن أثناءها أن يعرف ما إذا كان نائماً أو مستيقظاً. إني أعتقد أنه ليس هناك نوم عندما تخلق (تبدع)

النفس شيئاً، وعندما تقوم بالمجهود الذي يتطلبه تأليف عمل أو حل مسألة. وعلى الأقل جزء النفس الذي يعمل ليس هو الجزء الذي يحلم. فالجزء الأول يعمل في ثنايا الوجدان الخفية (العقل الباطن) باحثاً ولكن بدون أي تأثير على الحلم، وهذا البحث لا تظهر نتيجته إلا عند اليقظة... أما بخصوص الحلم ذاته فما هو إلا إحياء الماضي. ولكن هذا الماضي يمكننا أن نتعرفه، فيكون في غالب الأحيان حدثاً قد نسيناه، أو ذكرى يبدو لنا كأنها زالت ولكنها في الحقيقة كانت متوارية في أعماق الذاكرة. وفي الغالب تكون الصورة المتذكرة صورة شيء أو حدث نظرناه ونحن غير مبالين وبدون أن نشعر به تقريباً وقت اليقظة. وتوجد خصوصاً أجزاء ذكريات مشتتة تجمعها الذاكرة من هنا وهناك وتقدمها إلى وجدان النائم على شكل غير متماسك. فأمام هذه المجموعة التي لا معنى لها يبحث العقل عن معنى (والعقل يستمر في التعقل مهما قيل في ذلك) والعقل ينسب عدم التماسك هذا لثغرات يسدها بمناجاة ذكريات أخرى تبدو غالباً بدون نظام، وتتطلب بدورها تعبيراً جديداً، وهكذا دواليك. ولكني لا أريد الشرح الآن وإنما أقول إجابة عن السؤال الموجه منذ لحظة: أن التذكر هو القوة التي ترشد إلى المواد الصادرة عن أعضاء الحس، والقوة التي تحول إلى أشياء واضحة ومعينة تلك التأثيرات المبهمة الصادرة عن العين والأذن وعن كل مدى الجسم وعن داخله

(يتبع) ألبير نادر



النسل وصفاته المتوارثة

أشار الأستاذ الجليل الدكتور زكي مبارك في مقاله عن : أخطار الطعام الواحد ؛ إلى وصية الرسول عليه الصلوات بالزواج من غير القريبات

وهذا الحديث المشهور : « لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا » قد أصبح — رغم الشك في صحة نسبته إلى الرسول — منبعَ حقيقة اعترف بها القدماء جيماً وسجلوها في غير موضع من مؤلفاتهم ؛ ثم جاءت علوم الأحياء الحديثة ودراسة طبائع أجسام الحيوان والنبات ، مؤيدة لصحتها تمام التأييد

وقد عقد الغزالي في باب النكاح من كتابه « إحياء علوم الدين » فصلاً تحت عنوان : الخصال الطيِّبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ... فجعل ثامنةَ هذه الخصال ونهايتها : ألا تكون من القرابة القريبة ؛ وأورد الحديث الذي ذكرناه ، ثم علل لذلك بضعف الشهوة بين المتقاربين ...

وقد أورد الدكتور في مقاله مثل هذا التعليل ؛ ثم زاد على ضعف النسل بسببه جسمياً ، آفةً أخرى نفسية فقال : إن الاكتفاء بالقريبات يضيع فرصة الموارد الجديدة من الطبائع والأذواق ...

ونقول إننا مع اعترافنا بالعلاقة الوثيقة القائمة بين الأجسام — في قوتها وضعفها — والطبائع والأذواق — في رقيها وانحطاطها — نحبُّ أن نسجل حقيقة استرعتْ نظرنا أثناء مطالعاتنا المختلفة حول هذا الموضوع

فقد أشار الدميري صاحب حياة الحيوان عند حديثه عن « البغل » إلى تركُّبه من الفرس والحمار ؛ ثم قال : لذلك صار له صلابة الحمار وعِظَم آلات الخيل ... وهذا يؤيد الحقيقة التي ألمعنا إليها . ولكنه عاد فوصف هذا الحيوان برداءة الأخلاق والتلوُّن (لأجل التركيب) ، ثم قال : وشر الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادة ، والأخلاق المتباينة ، والعناصر المتباعدة ... وذكر في موضع آخر أن « أكثر الحيوانات المركبة من نوعين من الحيوان أخبث طبعاً من أصولها التي تتولد منها وأشد شراسة ، كالسِّمع والمسبار ونحوهما » — وكلاهما يتولد بين الضبع والذئب —

وظاهر من هذا أن تحسُّن « النسل المتولد من متباعدَيْن » في صفاته الجسمية ، لا يستتبع تحسنه في صفاته النفسية ، أو فيما ركب فيه من طبائع وأذواق ... بل على العكس من ذلك ، ينشأ النسل الجديد أخبث في الطبائع من أصوله ، أو هو يكتسب أسوأ ما في أبويه من صفات نفسية ؛ وهذا متحقق — على الأقل — في أنواع الحيوان المركب من نوعين ، وفقاً لما قاله الدميري

بقي أن ننظر في نسل الآدمي المتولد من متباعدين ... أي الصفات النفسية يجتمع فيه ؟ وهل هو في اكتسابه أحسن الصفات الجسمية من أبويه ، يكتسب أيضاً أفضل ما فيهما من صفات عقلية وخلقية ؟

وإذا كان الأمر كذلك ، فلم هذا التفريق — من هذه الوجهة — بين الإنسان والحيوان ؟

على أنه إذا نفينا هذا التفريق ، فماذا يبقى من الثقة بكلام الدميري في طبائع الحيوان المركب ، وهو قد ضرب لإثباته الأمثلة المحسوسة من طبائع البغل والسمع والمسبار وغيرها من هذه الأنواع ؟

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

نظرات في مهرجان الربيع

أمسى ثغرنا السكندري على حفل أدبي كبير زفت فيه تحايا الربيع في أثواب من النغم الشعري البديع ، وآيات من الكلم النثري الرفيع ... ولعل السر في هذا يتمثل في اشتراك نفر من أسرة « الرسالة » الغراء في هذا المهرجان ، فقد مثلها من شيوخها الأستاذ الكبير محمود البشبيشي ، والأستاذ الفاضل خليل شيبوب ؛ ومثلها من شبابها الأستاذان : حسين البشبيشي ، ومصطفى علي عبد الرحمن . وكان لا بد للناقد من التأثر فالتأمل فالتعبير ... وكان لا بد لتعبيره أن يتناول الهنات قبل المحاسن ، ويحق لنا أن نقول إن بعض الخطباء قد أصاب ، وبعضهم قد تردد في النطق واضطرب في الإبانة ... وزل لسان بعضهم بلحنات يجدر بالخطيب الحق أن يتفاداها . ولكن الذي يخفف من تلكم الهنات ويذهب بها ذلكم البيان الدافق والقدرة الخطابية العجيبة التي

غمر بها الحفل أستاذنا القدير محمود البشبيشى ، الذى عرض فيها لمجهودات الجماعة فى بيان جامع ، وحيا الربيع بأسلوب رائع !

ولقد كان جيلاً من الأستاذ البشبيشى ذلك الوفاء لإخوانه القاهريين « أعضاء رابطة العروبة » الذين ذكرهم بكل خير

أما عن الشعر فقد أوشك أن يحتكر المهرجان لذاته ، إذ رأينا فيه اتجاهين من الشعر يعرضان لونين مختلفين : الشعر الذى يحافظ على الديباجة ويلمس المعانى بهوادة . ثم الشعر الذى تغلب روعة معانيه على حيوية ألفاظه ، وينطلق فى جواء من الخيال الوضىء . ولقد مثل النوع الأول الأستاذ خليل شيبوب ، ومثل النوع الثانى الأستاذان مصطفى على عبد الرحمن وحسين البشبيشى

ومن قصيدة الأستاذ شيبوب قوله :

عيد الطبيعة والشباب كأنه فطر يعيد بعد صوم شتائه
والشاطئ المسحور دار كأنه أفق الجمال حنا على دأمائه

ومن قصيدة الأستاذ مصطفى على عبد الرحمن قوله :

على الشاطئ المسحور دنيا رحيبة عليها الجمال العبقرى تجسما
أرى الموج فيها والرمال تعانقا ولم يعبآ بالناس ترنو إليهما
وحولك جنات تفيض عيونها وتندى بشاشات وتورق أنعما

ولقد كانت ربيع الحفل ، ودرة القصائد بحق ، قصيدة الأستاذ حسين البشبيشى الذى وفق فيها إلى مقارنة ربيع الطبيعة بربيع قلبه إذ قال :

ربِّ هبنى الحياة كى أصحب الدنيا إلى مولد الربيع الثانى
آه ...! عاد الربيع وانطلق الحب وراء المنى بكل مكان
يا ربيعى الذى انطلقت ولم ترجع بقلب ممزق حيران
أنت دنياى والربيع الذى يهفو إلى ورده فؤادى الفانى

عبد العزيز البيسى
عضو جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية

هنات (1) :

جاء فى المقال الأول من الرسالة :

« هبنى سألت حضرة القاضى المحترم : ألا تزال تضرب امرأتك ؟ فبماذا يجيب ؟ إن كان لم يضربها قط ثم قال « لا » فنى هذا النفى معنى الاعتراف بالضرب فيما مضى وإنكاره الآن ، وإن قال « نعم » فقد خالف الحقيقة ... الخ »

والصواب أن همزة الاستفهام إذا دخلت على النفى كان الجواب بالحرف « بلى » إثباتاً وبالحرف « نعم » نفياً . أما « لا » فلا موضع لها هنا

وأما الثانية ففى كلامه أيضاً :

« فلا نخالنا ننسى شيئاً كثيراً إذا حصرناها فى ثلاث مسائل كبريات »

وصواب الكلام « ثلاث مسائل كبار » إذا لم يرد التفضيل ؛ فإن أراده قال « مسائل أكبر » وذلك لأن « كبريات » جمع « كبرى » مؤنث أكبر ، فهى اسم تفضيل ؛ وهو يجب إفراده وتذكيره إذا كان مجرداً من (أل) والإضافة ، فإذا أضيف إلى المعرفة جازت المطابقة والإفراد مع التذكير .

وأما الثالثة ففى كلام الأستاذ سهيل إدريس « وأيقنت أن ذلك سيعود على تاريخ الأدب العربى بفوائد جمة إن يشرعْ فى تحقيقه »

والصواب « إن شرع فى تحقيقه » لأن جواب الشرط لا يحذف إلا إذا كان فعل الشرط ماضياً ، وما عدا ذلك فهو شاذ لا يقاس عليه .

محمد محمود رضوان
المدرس ببنى سويف الابتدائية

من شعر الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا

حدثنا صديقنا الأستاذ الزناتى عن عطار يمنى لقيه بالفشن أن الشيخ (شعيب) عمدة ﮪِلّية من بلاد الصعيد مدح صاحب السعادة الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا بقصيدة فرد عليه بهذين البيتين :

أبديتَ من خِدْر فكرٍ سامى المقام عروسا
هى ابنة لشعيب فأين فى الناس موسى

وقصة زواج الرسول موسى من ابنة النبى شعيب معروفة .

(1) راجع العدد ٥١٥ من الرسالة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 518

Lundi - 7 - 6 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥١٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ جادى الآخرة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٧ يونية سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهرس

صفحة
٤٤١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٤٤٣ السنة وثبوت العقيدة .. : الأستاذ محمود شلتوت ...
٤٤٦ الحديث ذو شجون : في دار المفوضية الأفغانية . مع النحاس باشا . مع الدكتور طه حسين . مع مصطفى عبد الرازق باشا . نفحات عراقية ... ... } الدكتور زكي مبارك ... ...
٤٤٩ موسيقا ... ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٤٥١ الأدب المهموس والأدب الصادق ... ... } الأستاذ سيد قطب ... ...
٤٥٤ إنشاء معهد لفنون التمثيل ضرورة لاغنى عنها ... } الأستاذ زكي طليمات ... ..
٤٥٦ الصديق أبو بكر : بين العقاد وهيكل ... ... } الأستاذ محمود أبو رية ... ..
٤٥٨ حصاد القمر ... [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن اسماعيل
٤٥٩ من شعر الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا ... ... } الأستاذ محمود أبو رية ...
وزير سوري يؤلف معجماً زراعياً : .. ..
إلى الأستاذ محمود شلتوت : الأديب دسوقي ابراهيم ...
دفع لاعتراض ... ... : الأديب محمد أبو سريع حسين
ذكرى السيد جمال الدين ... : الأستاذ عبد الكريم الدجيلي

١١ ـ دفاع عن البلاغة

٣ – الأسلوب

أجل ، إن الذين آمنوا بالصياغة ودعوا إليها ، كانوا أفهم لمعنى البلاغة من الذين كفروا بها وزرَوْا عليها . ذلك لأن تجويد الصور يستلزم تجويد الفِكَر وليس كذلك العكس . والعناية الدقيقة بالعبارة سبيل إلى إجادة التفكير وإحسان التخيل كما يرى فلوبير . وفلوبير هذا كان إمام الصناعة في فرنسا ، أخذ نفسه بالتزام ما لا يلتزم غيره ، فكان لا يكرر صوتاً في كلمة ، ولا يعيد كلمة في صفحة . وكانت أذنه هي الحكَم الأعلى في صوغ الكلام ، فلا تسيغ منه إلا ما حسن انسجامه وتعادلت أقسامه وتوازنت فِقره . قال فيه تلميذه ومواطنه موباسان : « كان يرفع الصحيفة التي يكتبها إلى مستوى نظره وهو معتمد على مرفقه ، ثم يتلو ما كتب جاهراً بتلاوته ، مصغياً لإيقاعه ؛ فكان في نَبْره وإرساله يوفق بين السكنات والحركات ، ويؤلف بين الحروف والكلمات ، ويضع الفواصل في الجملة وضعاً دقيقاً محكماً فكأنها الاستراحات في الطريق الطويل »

وقال هو لبعض أصحابه : « تقول إنني شديد العناية بصورة الأسلوب ، والصورة والفكرة كالجسد والروح هما في رأيي شيء واحد . وكلما كانت الفكرة جميلة كان التعبير عنها

أجل . إن دقة الألفاظ من دقة المعاني ، أو هذه هي تلك »(١) .

وقد غالى علماؤنا البيانيون فزعموا أن المعاني شائعة مبذولة لا يملكها المبتكر ولا السابق ، وإنما يملكها من يحسن التعبير عنها . فمن أخذ معنى بلفظه كان له سارقاً ، ومن أخذه ببعض لفظه كان له سالخاً ، ومن أخذه فكساه لفظاً أجود من لفظه كان هو أولى به ممن تقدمه(٢) . على أن هذا الرأي الجرىء لم يكن رأي العرب وحدهم ، وإنما رآه معهم (بوفون) وأشياعه من كتاب الفرنج ؛ فقد قرر في خطبته عن الأسلوب التي ألقاها يوم دخل الأكاديمية الفرنسية ، أن الأفكار والحوادث والمكتشفات شركة بين الناس ، ولكن الأسلوب من الرجل نفسه

نعم قال بوفون : إن الأسلوب من الرجل نفسه (le style est de l'homme même) ، ولم يقل : إن الأسلوب هو الرجل (le style c'est l'homme) كما شاع ذلك على الألسنة . ولم يرد بما قال أن الأسلوب ينم عن خلق الكاتب ويكشف عن طبعه كما فهم أكثر الناس ، وإنما أراد أن الأسلوب ، ويعني به النظام والحركة المودعين في الأفكار ، هو طابع الكاتب وإمضاؤه على الفكرة . ومعنى ذلك أن الأفكار تكون ، قبل أن يفرغها الفنان في قالبه الخاص ، من الأملاك العامة ؛ فإذا عرف كيف يصوغها على الصورة اللازمة اللائقة تصبح ملكا خالصاً له ، تسير في الناس موسومة بوسمه ، وتعيش في الحياة مقرونة باسمه . فالأسلوب وحده هو الذي يملكك الأفكار وإن كانت لغيرك(٣) . ألا ترى أن أثر الأخلاق في بقاء الأمم وفنائها معنى من المعاني المأثورة المطروقة ؛ فلما أجاد شوقي سبك اللفظ عليه في بيته المشهور أصبح بهذه الصيغة من حسناته الممدودة وأبياته المروية ؟

***

على أنك مهما استقربت لا تجد امرأً سليم الملكات ينكر ما لحلاوة الجرس وطلاوة العبارة من الأثر الفعال في بلاغة الكلام . وعلماء البيان مجمعون على أن (الكلام إذا كان لفظه غثاً ، ومعرضه رثاً ، كان مردوداً ولو احتوى على أجل معنى وأنبله)(٤) . ومنذ تنزلت الشياطين بالسجع والقصيد على كهان الجاهلية الأولى لم يقل أحد غير كتاب آخر الزمان أن البلاغة هي الفكرة وأن البليغ هو المفكر . وفيما سلف من العهود التي صحت فيها القرائح وسلمت الأذواق كان الرجل ينصرف عن الكتابة أو الشعر إذا لم يجد في طبعه براعة الأداء ولا في نفسه ملكة الفن . إنما يحاجك في العناية بالأسلوب من اضطر إلى مزاولة الكتابة وهو مدفوع عن البلاغة بوهن سليقته وجفاء طبعه . ولهم في الحجاج رقاعات سبيلك أن تسلم بها لتسلم منها . يقولون مثلاً : إن الناس يتكلمون ليفهم الشاهد ، ويكتبون ليفهم الغائب ؛ فلماذا لا نكتب مثل ما نتكلم ؟ لماذا نؤثر أن يقال : وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ، على أن يقال : كبرت سني وشاب رأسي ، والجملتان الأخيرتان أخصر لفظاً وأيسر فهماً ؟

على أن من أعداء العناية بالأسلوب قوماً جادّين ليسوا من أبناء العربية ذات الأناقة الذاتية والتلاؤم المطبوع ، ولكن لهم آثاراً تقرأ وآراء تناقش ، أولاهم بالذكر الكاتب الفرنسي إميل زولا . فلقد مكن الله لهذا الكاتب في دولة الكتابة وآتاه أسباب النبوغ ، ولكنه ابتلاه بشيء من خشونة الطبع وفجاجة الذوق فلم يستطع مجاراة البلغاء من أنداده ومعاصريه في رونق البيان وروعة الأسلوب ، فأخذ يهوّن من شأن الصور الفنية في العبارة بمثل قوله : « ليس من مطلق الحق - وإن عارض بوفون وبوالو وشاتوبريان وفلوبير - أن الكاتب يكفيه أن يعني كل العناية بأسلوبه ليشق له في الأدب طريقاً يبقى على الأبد . إن الشكل عرضة للتغير والزوال بسرعة . ولا بد للعمل الكتابي قبل كل شيء أن يكون حياً ؛ ولا يمكن أن يكون حياً إلا إذا كان حقاً . والكاتب لا يظفر بالخلود إلا إذا استطاع أن يوجد مخلوقات أحياء » ثم يقول بعد ذلك : « وهل نستطيع أن نتبين الكمال الفني في أسلوب هوميروس وفرجيل ونحن نقرأهما مترجَمين ؟ » وهذا القول ظاهر البطلان ، لأن المخلوقات الحية التي يلدها ذهن الكاتب لا يتسنى لها البقاء على توالي الأعقاب والأحقاب إلا بالأسلوب كما قال شاتوبريان . ومن هنا قل اهتمام الناس بكتب زولا بعد موته ، وإن ظلت في تاريخ الأدب هرماً شاهقاً ضخماً يدل على جبروت الذهن وقوة القريحة ، لأنها فقدت النبل في الموضوع والبلاغة في الأسلوب ، وبغير هاتين الصفتين لا يخلد كتاب ...

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

(١) Strowski. Tableau de la littérature française au XIXe siecle et au XXe siecle P. 402

(٢) الصناعتين ص (١٤٦)

(٣) Des granges. Histoire de la littérature française P. 6 2

(٤) الصناعتين ص (٤٩)

السنة وثبوت العقيدة

للأستاذ محمود شلتوت

منشأ ظنية السنة — التواتر والآحاد — الآحاد لا تفيد اليقين — ندرة المتواتر — الاسراف في وصف الأحاديث بالتواتر وأسبابه — تطبيق

بينا فيما سبق أنه « ليس في القرآن الكريم ما يفيد بظاهره غلبة ظن برفع عيسى أو نزوله فضلاً عما يفيد اليقين » وتمت بذلك النظرة الأولى من النظرات الثلاث التي وعدنا بها

وسنعرض في هذا الفصل للمبادئ التي تنبني عليها « قطعية السنة أو ظنيتها » ثم نطبق هذه المبادئ على الأحاديث التي زعموا أنها تدل دلالة قطعية على نزول عيسى ، وهذه هي النظرة الثانية

وأول ما يجب التنبه له في هذا المقام أن « الظنية » تلحق السنة من جهتي الورود والدلالة : فقد يكون في اتصال الحديث برسول الله صلى الله عليه وسلم شبهة فيكون ظني الورود ، وقد يلابس دلالته احتمال فيكون ظني الدلالة ، وقد يجتمع فيه الأمران : الشبهة في اتصاله ، والاحتمال في دلالته ، فيكون ظنياً في وروده ودلالته . ومتى لحقت «الظنيةَ» الحديثُ على أي نحو من هذه الثلاثة فلا يمكن أن تثبت به عقيدة يكفر منكرها ، وإنما يثبت الحديثُ العقيدة وينهض حجة عليها إذا كان قطعياً في وروده وفي دلالته

ولكي يتضح مناط « القطعية والظنية » في ورود الحديث ينبغي أن نبين ما قرره العلماء في « التواتر والآحاد » ليكون مناراً يهتدي به من يريد الوصول إلى الحق :

قسم العلماء « السنة » إلى قسمين : ما ورد بطريق التواتر ، وما ورد بطريق الآحاد . وضابط التواتر أن يبلغ الرواة حداً من الكثرة تحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب . ولا بد أن يكون ذلك متحققاً في جميع طبقاته : أوله ومنتهاه ووسطه ، بأن يروي جمع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يروي عنهم جمع مثلهم ، وهكذا حتى يصل إلينا ، وهو عند التحقيق رواية الكافة عن الكافة

ويقول بعض علماء الأصول : « الخبر المتواتر هو الذي اتصل بك من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصالاً بلا شبهة حتى صار كالمعاين المسموع منه ، وذلك أن يرويه قوم لا يحصى عددهم ، ولا يتوهم تواطؤهم على الكذب لكثرتهم وعدالتهم وتباين أماكنهم ، ويدوم هذا في وسطه وآخره كأوله ، وذلك مثل : القرآن والصلوات الخمس ، وأعداد الركعات ، ومقادير الزكوات »[1]

هذا هو التواتر الذي يوجب اليقين بثبوت الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما إذا روى الخبر واحد ، أو عدد يسير ولو في بعض طبقاته ، فإنه لا يكون متواتراً مقطوعاً بنسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما يكون « آحاديا » في اتصاله بالرسول شبهة فلا يفيد اليقين[2]

إلى هذا ذهب أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة : مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه ، وقد جاء في الرواية الأخرى خلاف ذلك ، وفيها يقول شارح مسلم الثبوت « وهذا بعيد عن مثله فإنه مكابرة ظاهرة » وقال البزدوي : « وأما دعوى علم اليقين — يريد في أحاديث الآحاد — فباطلة بلا شبهة لأن العيان يرده ؛ وهذا لأن خبر الواحد محتمل لا محالة ، ولا يقين مع الاحتمال . ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأضل عقله »

وقال الغزالي : « خبر الواحد لا يفيد العلم وهو — أي عدم إفادته العلم — معلوم بالضرورة . وما نُقل عن المحدثين من أنه يوجب العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل إذ يسمى الظن علماً ، ولذا قال بعضهم : خبر الآحاد يورث العلم الظاهر ، والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظن »

وقال الأسنوي : « وأما السنة فالآحاد منها لا يفيد إلا الظن »

وقال البزدوي تفريعاً على أن خبر الواحد لا يفيد العلم : « خبر الواحد لما لم يفد اليقين لا يكون حجة فيما يرجع إلى الاعتقاد لأنه مبنى على اليقين ، وإنما كان حجة فيما قصد فيه العمل »

وقال الأسنوي : « إن رواية الآحاد إن أفادت فإنما تفيد الظن والشارع إنما أجاز الظن في المسائل العملية وهي الفروع دون العلمية كقواعد أصول الدين »

وهكذا نجد نصوص العلماء من متكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين ، فلا تثبت به العقيدة ، ونجد

(١) البزدوي

(٢) ولا فرق في ذلك بين أحاديث الصحيحين وغيرهما . أنظر مسلم الثبوت والتحرير

المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد في شيء منه ، ويحملون قول من قال[1] : « إن خبر الواحد يفيد العلم » على أن مراده العلم بمعنى الظن كما ورد ، أو العلم بوجوب العمل . على أن الكلام إنما هو في إفادته العلم على وجه تثبت به العقيدة ، وليس معنى هذا أنه لا يحدث علماً لإنسان ما ، فإن من الناس من يحدث العلمُ في نفسه بما هو أقل من خبر الواحد الذي نتحدث عنه ، ولكن لا يكون ذلك حجة على أحد ، ولا تثبت به عقيدة يكفر جاحدها ، فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألا يفيد إلا الظن . ومن هنا يتبين أن ما قلناه في الفتوى من « أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات »[2] قولٌ مجمع عليه وثابت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء !

***

وإذ قد عرفنا الفرق بين مناط القطعية في الورود وهو التواتر ، ومناط الظنية وهو الآحادية ، فهناك بحث آخر يتصل بالتواتر ولا بد من النظر فيه ، هذا البحث هو : هل يوجد المتواتر في الأحاديث المروية في الكتب المدونة ؟ وقد اختلف العلماء في الجواب عن ذلك : فذهب قوم إلى أنه لا يوجد حديث متواتر فيما روى لنا من الأحاديث ودون في الكتب ، ولعل هؤلاء بنوا رأيهم هذا على اشتراط عدم الإحصاء في رواة المتواتر ، وهو مذهب لطائفة من العلماء كما تبين مما نقلناه في تعريف المتواتر . وقال ابن الصلاح : « لا يكاد يوجد المتواتر في رواياتهم ، ومن سئل عن إبراز مثال له فيما يروى من أهل الحديث أعياه تطلبه ، وحديث « إنما الأعمال بالنيات » ليس من ذلك السبيل وإن نقله عدد التواتر وزيادة ، لأن ذلك طرأ في وسط إسناده ولم يوجد في أوله . نعم حديث « من كذب علي » نراه مثالاً لذلك ، فإن رواته أزيد من مائة صحابي وفيهم العشرة المبشرون بالجنة ، ولا يعرف حديث يروى عن أكثر من ستين صحابيا إلا هذا الحديث الواحد »

وذهب آخرون إلى أن المتواتر كثير في هذه الكتب . قالوا : « إن هذه الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً مقطوع بصحة نسبتها إلى مصنفيها ، فإذا اجتمعت على إخراج حديث ، وتعددت طرقه تعدداً تحيل العادة معه تواطؤهم على الكذب إلى آخر الشروط أفاد ذلك العلم اليقيني بصحة نسبته إلى قائله ، ومثل ذلك في الكتب كثير »[1]

وليس بنا حاجة إلى أن نعرف مدى هذه الكثرة التي يراها هؤلاء ، ويذكرونها في مقابلة القول بالعدم ، أو في مقابلة القول بالندرة وإعياء تطلب المثال ، وإنما يهمنا أن نلفت النظر إلى أنه لا يحكم لحديث بالتواتر — حتى على أكثر هذه المذاهب توسعاً — إلا إذا اجتمعت فيه الشروط الآتية :

١ — أن تخرجه جميع كتب الحديث المشهورة المتداولة

٢ — أن تتعدد طرق إخراجه تعدداً تحيل العادة معه التواطؤ على الكذب

٣ — أن يثبت هذا التعدد في جميع طبقاته : أوله وآخره ووسطه

وإذن : فالحديث الذي لم تخرجه جميع الكتب المتداولة المشهورة ، أو أخرجته جميعها ولكن لا بطرق متعددة ، أو أخرجته بطرق متعددة ولكن لا في جميع الطبقات ، بل في بعضها دون بعض ، لا يكون متواتراً باتفاق العلماء أجمعين !

***

ويجدر بنا بعد هذا أن نعرض لظاهرة غريبة شاعت في الناس ، وإن الحق ليتقاضى فيها واجبه من العلماء المسئولين أمام الله وأمام الرسول : تلك الظاهرة هي أنه على الرغم مما قرره العلماء في شأن المتواتر تحديداً ووجوداً ، وعلى الرغم من هذا التحفظ الشديد في الحكم لحديث مما دون في الكتب بالتواتر ، نرى بعض المؤلفين قديماً وحديثاً يسرفون في وصف الأحاديث بالتواتر ، وقد يقتصدون فيخلعون عليها أوصافاً أخرى كالشهرة والاستفاضة والذيوع على ألسنة العلماء ، وتلقي الأمة إياها بالقبول والثبوت في كتب التفسير وشرح الحديث ، أو في كتب التاريخ والمناقب ... الخ . وقد ينشط « أناس » في سلوك هذه السبيل ، فتراهم يتتبعون مع هذا أسماء الصحابة والتابعين والأئمة والمؤلفين الذين جرى ذكرهم على ألسنة النقلة في رواية الحديث ، وهم يعلمون أنها روايات ضعيفة لا تصبر على النقد ، وأن هذه الأسماء التي يحرصون على جمعها توجد في كل حديث حتى

(١) كابن حزم في كتابه « الاحكام »

(٢) العدد ٤٦٢ من الرسالة

(١) أنظر مسلم الثبوت ، والتحرير ، ومقدمة ابن الصلاح

فى الأحاديث الموضوعة ، ولكنهم مع ذلك يجمعونها ، ويجتهدون فى عدها وإحصائها وذكر الكتب التى اشتملت عليها لأنهم يريدون أن يخطفوا أبصار العامة ، ويستغلوا عاطفتهم الدينية ، ويزعموا لهم أن هذا الحديث أو تلك الأحاديث قد وردت عن نبيكم فى هذه الكتب الكثيرة وعلى لسان هذا الجم الغفير من الرواة بين صحابة وتابعين فهى متواترة لا شك فى تواترها ، وهى متصلة بالرسول لا شك فى اتصالها ، ومن حاول الطعن فيها ، أو الحط من درجتها ، فقد ضل ضلالاً بعيداً ، وحاد عن سبيل المؤمنين !

ولهذه الظاهرة أسباب :

منها ، وقد يكون أقلها خطراً ، اشتهار الحديث فى طبقة أو طبقتين فتسحب الشهرة على جميع طبقاته ، ويحكم عليه حكما عاماً بالتواتر أو الشهرة من غير تحقيق ولا تمحيص ، وقد لا يصل الحديث إلى حد الشهرة فى طبقة ما ، ولكنه جاء فى « الخلافيات » فقهية أو كلامية فتعصب له أتباع المذاهب وخلعوا عليه وصف الشهرة أو التواتر تأييداً لمذهبهم ، وتناقلته الكتب ، موصوفاً بذلك منسوباً إلى جمع من رجال الرأى والمذهب فيخاله الناس مشهوراً أو متواتراً وهو ليس بمتواتر ولا مشهور !

ولقد كان للقائمين « بالترغيب والترهيب » ونقل الملاحم والفتن وغرائب الأخبار التى تميل النفوس إلى التحدث بها والاستماع إليها ، أثر عظيم فى خلع أوصاف الشهرة والتواتر على أنواع خاصة من الأحاديث التي ليست بمشهورة ولا متواترة بل ربما كانت غير صحيحة[1] ، وقد تأثرت بذلك طبقة من الخاصة لم تعن بتحقيق الرواية ، ولا بمعرفة درجة الحديث ، واكتفت بنقل ما يقوله هؤلاء وإجرائه على ألسنتهم وفى كتبهم حتى شاع واشتهر

وإنما استباحوا ذلك معتمدين على ما قرره بعض علماء المصطلح من « جواز التساهل فى الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع[2] من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما ، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب مما لا تعلق له بالأحكام والعقائد »[3]

(١) وقد روى عن الامام أحمد أنه قال : أربعة أحاديث تدور بين الناس فى الأسواق ولا أصل لها ... الخ

(٢) وفى نخبة الفكر عن بعض الكرامية والمتصوفة « إباحة الوضع فى الترغيب والترهيب » انظر مسلم الثبوت

(٣) انظر مقدمة ابن الصلاح

وبذلك رووا الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة ، ثم توسعوا فوصفوا الآحاد بالتواتر ، والضعيف بالصحيح ، وتناسوا مقاييس التواتر والآحادية ، ومقاييس الصحة والضعف ، ومن هنا رأينا من يصف « المعجزات الحسية » كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وكلام الغزالة وحنين الجذع بالتواتر مع أنها غير متواترة ، وإنما هى آحادية كما قرره علماء الأصول . وكذلك رأينا من يصف أخبار المهدى والدجال ويأجوج ومأجوج وما إلى ذلك مما يذكر باسم « أشراط الساعة » بالشهرة أو التواتر

ولعل أحقر ما رأينا من أسباب الإسراف فى وصف الأحاديث بالتواتر أن قوماً من المرتزقة باسم الدين وباسم الغيرة على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم استباحوا لأنفسهم فى سبيل أغراضهم الدنيا أن يصطنعوا كل أساليب التلبيس والتمويه فى شأن أحاديث عيسى التى لا يمكن أن يكون منها متواتر حتى على أوسع الآراء فى تحققه ، وهى مع آحاديتها يكثر ويشتد فى معظمها ضعف الرواة واضطراب المتون ونكارة المعانى ، فتراهم يقولون هي متواترة قد رواها فلان وفلان من الصحابة والتابعين ، وذكرت فى كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين ، فإذا رأوا فى بعضها ضعفاً أو اضطرابا أو نكارة حاولوا التخلص من ذلك فقالوا : إن الضعيف فيها منجبر بالقوى ، وأن العدالة لا تشترط فى رواة المتواتر . وهكذا يخلعون عليها ثوباً مهلهلاً من القداسة لا رغبة فى علم ولا غيرة على حق ، ولكن مكابرة وعنادا ، وإصراراً على التضليل ، وليقال على ألسنة العامة وأشباه العامة إنهم حفاظ وإنهم محدثون !

* * *

بقى بعد هذا أمر لا بد من تقريره : وهو أن تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل المحكم الذى لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعية الدلالة ، فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً ولم يجدوا مانعاً من تأويلها . وقد جاء فى شرح المقاصد بعد أن قرر مؤلفها أن جميع أحاديث أشراط الساعة آحادية ما نصه : «ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة ... وأول بعض العلماء النار الخارجة من الحجاز بالعلم والهداية سيما الفقه الحجازى ، والنار الحاشرة للناس بفتنة الأتراك ، وفتنة الدجال بظهور الشر والفساد ، ونزول عيسى صلى الله عليه وسلم باندفاع ذلك وبدو الخير والصلاح ... الخ . » . ومن ذلك نرى أن السعد لا يقرر وجوب حملها على ظواهرها حتى تكون من قطعي الدلالة الذى

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

في دار المفوضية الأفغانية — مع النحاس باشا — مع الدكتور طه حسين — مع الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا — نفحات مراقبة

في دار المفوضية الأفغانية

كانت عصرية الخميس الماضى موعد الاحتفال بعيد استقلال أفغانستان ، فأقبل على دار المفوضية الأفغانية بالزمالك جمهور من رجال السياسة والأدب والدين ، وشعر الزائرون جميعاً بأنهم فى دارهم ، بفضل المودة التى يضمرها سعادة السيد محمد صادق المجددى لأهل هذه البلاد ، وبفضل ما يكنه المصريون لهذا الرجل من الإجلال

ولكن ما القيمة الصحيحة للسيد المجددى ، القيمة التى توجب أن يبقى فى مصر مدة لم تتفق لغيره من السفراء ؟

التوفيق بيد الله ، ومع هذا فمن الواجب أن نحاول وزن الرجل من الوجهة الأخلاقية ، فقد يكون فى ذلك ما ينفع بعض الديبلوماسيين من رجال الشرق

المجددى ذكىٌّ جدًّا ، ولكنّ ذكاءه يشبه النبع الذى يترقرق تحت الرمال ، فهو يرى الأمور على ماهى عليه من قُرب أو من بُعد ، ثم يؤدى واجبه بلا جَلَبة ولا صياح

والمجددى سفيرٌ مسلم فى أمة إسلامية ، مسلم صادق إلى أبعد حدود الصدق ، وقد يُعَدّ من النوادر فى بعض السِّمات ، وإلا فمن يصدّق أن وزيراً مفوّضاً ينزل من سيارته ليساعد على حمل نعش ، عساه يظفر بموعود الثواب ؟

والمجددى يقيم حفلات موسمية متصلة بالأعياد القومية فى أفغانستان ، ولكنه لا يُلقى خطبة إلا فى الحفلة التى يقيمها بمناسبة المولد النبوى

وهو يعتكف أياماً من كل سنة فى أحد المساجد اعتكافاً لا يسمع به غير الخواصّ . وأين من يصبر على الاعتكاف بالمساجد في هذا الزمان ؟

وإسلام المجددى إسلام لطيف فهو يحيا حياة ذوقية قليلة الأمثال دخلت المفوضية الأفغانية مع السيد خالد الشوربجى ، فلما جاء السيد المجددى لاستقبالنا قدّم إليه الشوربجى سبحة ، فقال المجددى : وأين القرنفلة ؟

وكان ذلك لأن المجددى نسِىَ فى المفوضية العراقية سبحة وقرنفلة ، ولم يفته حين تردّ إليه السبحة أن يذكر القرنفلة ، كأنها أُهديتْ إليه فى ساعة صفاء

ويظهر ذوق المجددى فى أحاديثه الإخوانية ، الذوق المطلول بندى الوجدان ، فهو يحادثك بروحه وقلبه حديث الرجل المفطور على صدق الطوية ، ولا تلمح فى بشاشته أى تكلف أو افتعال

وقد ربى أبناءه فى مصر تربية عربية إسلامية ، ليكون اتجاههم إلى المشرق لا إلى المغرب ، وليضمن انتفاعهم بالإقامة فى وطن الأزهر الشريف

لم تكن لمصر مفوضية فى أفغانستان ، فسعى السيد المجددى لحمل الحكومة المصرية على إنشاء مفوضية هناك ، ثم لاحظ أنها تتردد ، فأعلن أن هذا التردد قد يقهره على مفارقة مصر بعد أن أحبها أصدق الحب . وبهذه اللمحة الوجدانية وصل إلى ما يريد

أما بعد فهذه كلمة نكتبها لوجه الله في تحية رجل من المؤمنين بالله .

مع النحاس باشا

كانت مصادفة جميلة فى ذلك اليوم الجميل ، فقد جلست مع رفعة النحاس باشا على مائدة واحدة وتجاذبنا أطراف الأحاديث

يمتنع تأويله ، وإنما يقرر بصريح العبارة « أنه لا مانع من حملها على ظواهرها » فيعطى بذلك حق التأويل لمن انقدح فى قلبه سبب للتأويل ، ثم يحدث عن بعض العلماء أنهم سلكوا سبيل التأويل فى هذه الأحاديث فعلاً ، ويبين المعنى الذى حملوها عليه ، ولا شك أن هذا لم يكن منه إلا لأنه يعتقد — كما يعتقد سائر العلماء الذين يعرفون الفرق بين ما يقبل التأويل وما لا يقبله — إن ما تدل عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها ، فمن أداه نظره إلى أن يؤمن بظاهرها فله ذلك ، ومن أداه نظره إلى تأويلها فله ذلك ، شأن كل ظنى فى دلالته

ومما تقدم يتبين جلياً « أنه ليس فى الأحاديث التى أوردوها فى شأن نزول عيسى آخر الزمان قطعية ما ، لا من ناحية ورودها ولا من ناحية دلالتها » . والسلام على من اتبع الهدى

محمود شلتوت
عضو جماعة كبار العلماء

والنحاس باشا يترسل حين يتحدث ، ويحرص على أن يقدم لمحدثه أطايب من المعانى اللطاف

مرَّ اسم « عبّاد الشمس » بالحديث فقال إن اسمه بالفرنسية tournesol لأنه يدور مع الشمس ، وهو رمز الرياء

فقلت : إن عباد الشمس يدور مع الشمس بإرادة لا تعرف التقلب ، فمن الظلم أن نضيفه إلى زمرة المرائين ، وإن سمح رفعة الرئيس فأنا أذكر أن رمز الرياء هو « أبو رياح » لأنه يدور مع الرياح بلا إحساس ، وبهذا الوصف عرفه العرب ، وكان له مكان فوق أبواب القصوز وأسوار البساتين

وعند ذلك قال عبد الفتاح باشا الطويل ، ولا يزال أبو رياح معروفاً عند باعة الحلويات ، ويكثر وجوده فى الموالد والأسواق

وسأل أحد الحاضرين من الأجانب رفعة الرئيس عن موعد اصطياف الحكومة بالأسكندرية فأجاب : سُيحدَّد الموعد بعد استئذان جلالة الملك فى أن يكون انتقال الحكومة إلى هناك بصفة رسمية ، فقال السائل : وما الفرق بين الصفة الرسمية وغير الرسمية فى الاصطياف ؟ فأجاب رفعة الرئيس : الاصطياف الرسمى يوجب انتقال الهيئة الديبلوماسية إلى هناك

فقلت فى نفسى : هذا بعض ما كنت أجهل من تأثير الرسميات

ثم اعتذر الرئيس بأن عليه أن يحضر حفلة يونانية وانصرف قبل نهاية الاحتفال .

مع الدكتور طه حسين

والتفت فرأيت الدكتور طه بك قريباً منى فمضيت للتسليم عليه ، ودار الحديث :

— هل يعرف سيدى الدكتور أن ورق الطباعة قد انعدم أو كاد ؟

— إنها فرصة ثمينة جدًّا

— انعدام الورق فرصة ثمينة جدًّا ؟

— بالتأكيد ، لأنه يريح الناس من مؤلفات زكي مبارك سنة أو سنتين !

— ولكن ما رأيك فى الكتب المدرسية ؟

— هذا ما نفكر فيه ؛ وقد نصل إلى شىء ، فليس من الصعب أن تقنع الحكومة بأن استيراد السماد لا يغنى عن استيراد الورق

— وهل يعرف سيدى الدكتور أن إرسال المطبوعات المصرية إلى الشرق قُيِّد بقيود ثقال ؟

— أعرف ذلك وقد انتهينا إلى حَلّ

— ما هو ذلك الحل ؟

— قيدنا إصدار المؤلفات القديمة ، وأبحنا إصدار المؤلفات الحديثة بلا قيد ولا شرط ، تشجيعاً للتأليف الحديث ، فليس من الرفق ولا من العدل أن تصد المواهب المصرية عن الاتصال بأمم الشرق ، ويكفيها ما تعانى من أزمة الورق وغلاء المطبوعات

— ولكن ما الموجب لتقييد التصدير بالنسبة للمؤلفات القديمة ، ولبعضها أهمية لا تحتاج إلى بيان ؟

— المؤلفات القديمة موجودة فى أكثر بقاع الشرق ، فمن واجب كل أمة عربية أو إسلامية أن تنشر ما تحتاج إليه من تلك المؤلفات . وهل تظن أن الجاحظ مثلاً يحتاج إلى تشجيع الحكومة المصرية ؟ إنما يحتاج إلى التشجيع جماعة المؤلفين من الأحياء ، وقد نشأوا فى زمن لا ينقل فيه الفكر بغير الطباعة والتوزيع .

وما كدنا نفرغ من هذا الحوار الهادئ حتى رأينا رجلاً يقول : يا دكتور طه بك ، عندى مؤلفات عميقة جداً لا يفهمها أحد غيرك ، فتى أعرضها عليك ، لأعرف رأيك ؟

فقلت : إسمع يا حضرة المؤلف العميق ، إن الدكتور طه مشغول فى هذه الأسابيع ، فانتظر إجازته الصيفية ليَفرُغ لك ولأمثالك من أهل العمق العميق !

وتفضل حضرة المؤلف فمنح الدكتور طه بطاقته الغالية ليذكره حين يستريح فى إجازة الصيف !

قال الجرَّاح الدكتور محمد كامل حسين وهو يتأمل تلك البطاقة المزخرفة : يجب على وزارة المعارف أن تؤلف لجنة لدرس مؤلفات هذ المؤلف العميق !

فقلت : ومن أجل هذا المؤلف توصد الأبواب فى وجه الجاحظ !

وأسرع الدكتور طه فانصرف قبل أن يتم الحديث

مع الشيخ مصطفى باشا

ولقيت فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا عند الباب فرجعت معه لآنس بحديثه لحظات ، ولم أكن رأيته

منذ شهور طوال فاقترحت عليه أن يقيم فى كل سنة موسماً دراسياً بالرواق العباسى ، إحياء لذكرى الشيخ محمد عبده ، فقال إن ذكرى الشيخ تقع فى يونية . فقلت ليس المهم ذكرى الوفاة وإنما المهم ذكرى الدرس ، وهى مقيدة بالعام الدراسى

— فى النية أن تقام فى مبانى الأزهر الجديدة قاعة محاضرات باسم الشيخ محمد عبده

— أهم من هذا أن يقترن الرواق العباسى باسم الشيخ محمد عبده ، ففى ذلك الرواق تألق نجم الشيخ ، وفيه دارت المساجلات بين طلاب الحق واليقين

— ما الذى يمنع من أن تقدم هذا الاقتراح لفضيلة الشيخ المراغى ؟

— الشيخ المراغى يرحب كل الترحيب ، فاستعد أنت ، وليستعد من انتفعوا بآراء الشيخ محمد عبده ، عساكم تحيون ذكراه بأبحاث متصلة بالمعضلات العقلية فى هذا الجيل

ثم تحدثنا فى تأثير الشيخ عبده فى زمانه ، فقال الشيخ مصطفى : كان السلطان حسين كامل يحمل المصحف دائماً . وكان يقول : أنا مسلم على مذهب الشيخ عبده

وتحدثنا عن صنيع الشيخ رشيد رضا فى نشر مؤلفات الأستاذ الإمام فقال الشيخ مصطفى : خدمات الشيخ رشيد لا تنكر ، ولكنه ظل بعيداً عن روح الشيخ عبده ، فقد كان يسرع إلى تكفير المسلمين لأقل الشبهات ، مع أن الشيخ كان يحكم بأن الرأى الذى يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً ويحتمل الإيمان من وجه واحد يجعل صاحبه من المؤمنين

وعرفت من حديث الشيخ مصطفى أن أوراق الشيخ عبده قدمت إلى الشيخ رشيد لينتفع بها فى تدوين تاريخه بعد أن اعتذر الشيخ عبد الكريم سلمان ، وأن تاريخ الشيخ عبده روعيت فى تدوينه أشياء ، فلم يدوّن على الوجه الصحيح فيما يمس تلك الأشياء

ثم ماذا ؟ ثم أذكر أن المستر بلنت قال فى مذكراته : لقد وجب على أن أسجل شعورى نحو الشيخ محمد عبده ، فهو فى نظرى أصدق رجل عرفته فى الشرق

وأنا أشعر بمثل هذه العاطفة نحو الشيخ مصطفى عبد الرازق فهو فى نظرى أصدق الأوفياء ، وهو معى فى كل وقت ، وإن كنا لا نلتقى إلا فى القليل من الأحايين

الصديق الحق هو الذى يحمل الصداقة فى مكانة من القدسية لا تتأثر بالقرب أو البعد ، ولا تختلف باختلاف الظروف ، ولا يزيدها تقادم العهد إلا صفاء إلى صفاء

نفحات عراقية

أصدرت مجلة « الغَري » عدداً خاصًّا بالوفد العلمي ، وفد الأساتذة المصريين إلى النجف ، وهو مجموعة من الخطب النفيسة والقصائد الجياد ، وفيه ذُكِرَتْ مصر بالخير على ألسنة فصاح ، وأفئدة صحاح

قرأت تلك المجموعة حرفاً حرفاً ، ومتعت خاطرى بذكريات النجف والموصل والبصرة والحلة وبغداد ، وهى بلاد الأهل والأحباب ، ثم سرنى أن أرى خطباء النجف وشعراء النجف بعافية ، وإن لم أر اسم السيد عبود شلاش بين الخطباء

وتذكرت الصديق الذى زرت معه النجف ، فمن ذلك الصديق ؟

لن أنسى أبداً أنى زرت النجف مع السيد صادق الوكيل ، ولن ينقضى حزنى عليه ، وكان أكرم صاحب وأكرم أليف

لو عاش هذا الفتى لوصل إلى خفايا الدقائق من التاريخ الإسلامى

ولو كنت أعرف أنه سيُختَضَر لأديت إليه بعض حقوق الوفاء

كان طيِّع القلم فى الرسائل الإخوانية ، فكنت أتلقى منه خطاباً فى كل أسبوع ، برغم تقصيرى فى الجواب ، لأنه كان يعرف أن الوقت لا يوافينى بما أريد ، والصديق الذى يعتذر عن أخيه نادر الوجود

إن زرت العراق بعد حين أو أحايين فسأمر على كربلاء ، لأقرأ الفاتحة على قبرك يا صادق ، ولأعزى أهلك ، إن جاز لمن يفقدك أن يجد العزاء

أترك هذه اللواعج وأشكر لمجلة الغَرّى لطفها مع الأساتذة المصريين ، راجياً أن تلوح فرصة قريبة نجزى فيها العراق لطفاً بلطف ، وجميلاً بجميل

زكى مبارك

حكم فى القضية ن ٣٤٨ سنة ١٩٤٣ جاليه العسكرية ضد ابراهيم حسين عامر بحبسه ثلاثة أشهر مع الشغل وتغريمه مائة جنيه والمصادرة وإغلاق المحل لمدة ثلاثة أيام ونشر الحكم بجريدتى الرسالة والكاتب وتعليقه بمتجر المتهم والقسم التابع إليه لمدة شهر على نفقته لبيعه الشاى والسكر بأزيد من السعر المحدد

موســـيقا ...

للأســتاذ دريني خشبة

كلما جلست وحدي تحت قبة السماء ، لا يمضي غير قليل حتى تملأ أذني موسيقا الأفلاك ... الأفلاك العلوية ... التي تسبح فوقها الملائكة !

ما أطيب الوحدة في هذا الزمن ! إنها تصلنا بالأول والآخر، والظاهر والباطن ... إنها تصلنا بالله !

ما أجمل موسيقا هذا الوجود المشرق بنور ربه ! النور الذي يُدوّي بأعذب الألحان في قلوب الشعراء والمؤمنين والمحبين ! النور الذي يفيض على الخمائل فيغني الورد ، وتصدح البلابل ، وتسقسق العصافير ، ويهتز الأيك ، ويستيقظ الوادي النائم ، ويصحو النهر الوسنان ، وتهرول الأنجم الحيرى ، ويقف البدر الخجول مستأذناً عند أبواب المغرب الفضية !

غنّ يا قلبي فكل ما في الوجود يغني !

هات ألحانك فكل ما في الكون ألحان !

ألحان صامتة هنا ، وألحان مُدوّية هناك ؛ وألحان من ألوان الزهر الضاحك ، والفنن المورق ، والبلبل الشادي ، والخرير المترقرق ، والنسيم العاشق ، وعبير الحب في القلوب اليافعة ، وابتسام الأمل في قلوب العذارى ، وبراءة الحمل وهو يقضم الكلأ ، ثم يحسو جرعة من صفحة الغدير !

تلك موسيقا الخلود أيها الفؤاد المعمود !

ألست ترى إلى قطرات الكد التي تتحدر فوق جبين العامل ! وتفيض ملء أسارير الفلاح ؟ . . . إنها صلوات الرجاء الذي لا ينقطع ، وأدعية الأمل الذي لا يخيب ... إن لها بين يدي الله لغناء تردده الملائكة من حول العرش ، كما تردده الأطفال من حول الأم ... أما في قلوب العمال والفلاحين ، فهي موسيقا الإيمان الذي لا ينقم ، والرضى الذي لا يسخط ، والقناعة التي لا تضيق ، والتسليم الذي لا يعرف الحسد

كل ما في الكون ألحان فتغن يا فؤادي

ليست ألحان الرياح في أوتار الدوح ، ولا هديل الحمائم في ضحى القرية ، ولا موسيقا الكروان في هدأة الليل ، ولا نهدة الحسناء في ضوء القمر ، ولا تناجي المحبين في غفلة الرقباء ، ولا همس القُبَل المذعورة في أول لقاء ، ولا رعشة الشفاه الظامئة وهي تمترف ، ولا المعاني الراقصة وهي تنازل خيال الشاعر ، ولا مس فم الأم وهي تسجل أسرار قلبها فوق جبين الطفل ، ولا قطرات الندى وهي تُفتّح أكمام الورد ، ولا آراد الشمس وهي توشي أذيال السحاب عند ما يتنفس الصبح ، ولا حفيف الريشة في يد المصور وهي تجمش اللوحة ، ولا صلاة الناسك وقد فني في الله في سكون الخلوة ، ولا تبرج الموج وهو يعانق حسان الصيف قريباً من الشاطيء ، ولا براءة الطفلة وهي تضم القطيطة إلى صدرها النابض ، ولا غناء القلوب الملتاعة حين تلتقي ، فتتماس ، وتخفق ثم تهدأ ...

ليس هذا كله إلا موسيقا الوجود المتحد ، فغن مع القافلة يا قلبي ! ...

إتحد بالأغنية الكبرى التي تصغي إلى موسيقاها المذبة الحنون ترددها قرائح الشعراء ، وتصدح بها أسراب الطير ، وتنفخ في نايها أنفاس الريح ، وتستروح إليها قلوب المدنفين ، ويستجيب لها بيان الأديب الذي يغدو لهـا مزماراً ، ويقدم من روحه لجرمها قيثاراً ، فيجملها دموعاً في أعين المحبين ، أو رحمة في جوانح الحزانى ، أو حمرة في شفة كل عذراء ، أو سحراً في أهداب كل حورية ، أو نفحة في فؤاد كل مبتئس ... أو ما شاء له فنه الذي جعله الله مرآة هذه الحياة الدائبة ، ولسان هذا العالم الشادي

* * *

لله ما في حناياك من حناياي يا وتر !

تعال أسمعك أناتي التي هاجت حرّها أناتك ... أنت أيها المعجب المطرب ، إن عندي ما يشجي وما يبكي ! ... إن هـذا النغم الحلو النحيل الذي يمس الشاعر المترنحة كما يمس الفراش أفواف الزهر ... إن هذا النغم الذي يشبه الأهداب الطويلة الناعسة ، هو نغم ضحوك طروب ثمل ، يصدر عنك ولا يرتد إليك . إنه يمس القلوب مساً خفيفاً ثم يمضي كما تمضي الذكريات السعيدة ، ويتبدد كما تبدد الاحلام الفضية ، وقلما يبقى منه شيء في السويداء تستعين به على تخفيف آلامها وتلطيف مآسيها ... وإن بقي منه شيء فإنما يكون أطيافاً . أطيافاً من آهات ولوعات

ولهفات، تزيد الشجا فى صدر الشجى، وتؤجج اللظى فى قلب المشتاق. إنها تزيد المواجع ولا تشفيها، وتثبتها ولا تنفيها، إنهـا تفجر دموع الضعفاء الذين يعتزلون الدنيا من أجل غادة، ويلبسون المسوح من أجل حب خائب، وغرام تعس

أما موسيقاى يا وتر! فمن لى بكلمات أعصرها من قلبي دماً، إذا جملته سطوراً على أديم طروسى، وقرأها الناس، ملأت قلوبهم، قبل أن تملأ أسماعهم ...!

هذاك قلمي يا وتر! إنه أشبه اليراعات بالناى الذى يبكى معك ليبكى الناس! أليس ينفث من شباته ما تتغنى به الإنسانية من ألحان هذا الزمان المضرج بالدماء، مثل ما ينفث نايك من ألحانه الحجرية التى يتغنى بها السهاة اللهاة العرابيد!

اسمع إلى موسيقاى يا وتر، تحملها الصبا من جوانح الأمهات والأيامى والمنكوبات فى جنبات الفستولا وحفافى اليانج وضفاف الرومر. ثم من مغاور الأولمب وكهوفه، وليس من شمافه ومشارفه التى كان يصدح فوقها أبوللو، إذ تهدهد مركبته أورورا الوردية فوق السحب مطلع كل شمس

هَـلُمَّ أسمعك موسيقاى يا وتر!

هلم أسمعك دقات القلوب النابضة ... القلوب المجروحة ... قلوب العذارى البولونيات اللائى لَدَىَّ من همس عيونهن، ومشبوب ضلوعهن، ما لا يدور لك فى خلد! تعال ... أرهف آذانك التى يملؤها الشدو دائماً بما تتشكى هذه الفتاة التى تقول لى وهى تبكى: « لقد كان لى أب ... لقد كان لى أم ... لقد كان لى حبيب ... والآن ها أنذى جائعة ... ها أنذى ظمآى ... ظمآى إلى كل شىء ... إن صدرى يمزقه الظمأ، وتشويه الحُرَق، وتفقات به الآلام ... وإن جمالى الذى كان العالم يفتتن به، قد ذبل، إنه يدمى الآن فى أسمال الفاقة، وفى وادى الموت والتشريد. إنه يبكى على الآباء والأمهات والأخوة ... وعلى كناره الذى كان يملأ جنة حبه بالشدو، ويغسل أرضها بالدمع، ويورق أغصانها بالتغريد ... يارب أين ذهب كنارى ... لم لم يفرد جناحيه للريح حين هبت زوابع الهون؟ هل ظن أنه يحول بينى وبينهم بأغنياته؟ ما كان أرق فؤاده يا ربى؟ ... ولكن مالى أذكر كنارى الحبيب ولا أذكر بيانكا ... بيانكا الصغيرة ذات العامين، التى ظلت تحت الردم يومين، ولما أخرجت فى الثالث سألتنى بصوتها النحيل الباكى الذى يتحشرج: ماما ... أين ماما؟ فلما أنبأتها أنها تنتظرها فى الجنة ... تلك الحديقة الكبيرة اليانعة التى غرستها يد الله، تبسمت، وأطبقت جفنيها وأسلمت آخر أنفاسها وصعدت إلى الله القادر اللطيف لتقابل أمها فى الحديقة الكبيرة اليانعة ... ولعلها تتذكر حينما تلتقي البستانى فتروى له ما صنع الهون

ولأترك لك بقية القصة، قصة البولونية تلحنها أنت وتغنيها أنت ... وتزفر بها أنت. ثم تبكى بها ملء عيون الإنسانية وملء قلوبها يا وتر!

***

تعال ... تعال أسمعك من أناشيدى الباكية يا وتر!

هل سمعت ما قالت كيتى اليونانية، عذراء كوريتزا، وهى تبكى؟! إن أنين القيثار كله يذهب فى بعض أنينها يا وتر ... لقد كانت تذيب روحها قطرات من الدمع المختنق ترسله قطرة فقطرة من عينيها الترنين، إذ هما ترويان مأساتها ... مأساة أفروديت وپاللا وسيرز وبندورا ... بل مأساة الجمال والحكمة والخير والأمل!!

أسكبى دموعك يا ورود الحديقة على فينوس الجميلة التى أثخن الأعداء جسمها البض بجروح الوحشية المتبربرة المزهوّة بالطائرات والدبابات والغواصات والطرابيد!

أسكبى دموعك يا ورود الحديقة على أدونيس الغرانيق الذى جندله الخنزير البرّى وراح يلغ فى دمه، ويسلب القوت من أطفاله العُراة الظِّماء الجياع الذين هبّوا يردّون عن عرينهم الضبع، فهب الخنزير البرىّ إلى معونة ابن عمه ... لكنه ذاده آخر الأمر عن الجثة التى غرز فيها أظافره، ووقف على رمتها يُقهقه ويُغنى

اسمع إلى كيتى عذراء كوريتزا يا وتر، وهى تروى مأساتها: « لقد كان لى أب ... لقد كانت لى أم ... لقد كان لى كِنارٌ حبيب يملأ حديقة حياتى ترجيعاً وتسجيعاً ... يبتسم لى وأبتسم له ... ويملأ قلبي بالمُنى البيضِ، وأفعم حياته بغر الأمانى ... ثم جاءت القائمة السوداء تنعيه من ميدان المجد والشرف ... فلبست عليه البياض الذى ترى يا وتر ... لأنه

على هامش النقد

الأدب «المهموس»

والادب الصادق

الأستاذ سيد قطب

قلت فى كلمتى السابقة عن اللون المفضل من ألوان الأدب الذى يدعو إليه الأستاذ مندور

« من جميع النماذج التى اختارها حتى الآن — والنموذج كما قلت أكثر دلالة من الشرح العام - أستطيع أن أسمى هذا اللون باللون « الحنَـيِّن » حسب تعبير أولاد البلد من القاهريين ! الذى تحس فيه « بالحنية » أو بالهمس والوداعة الأليفة حسب تعبيره هو »

ولست أحب أن أظلم الأستاذ « مندور » ولا أن أشوه صورة اللون الأدبى المفضل لديه . فليس فى الأمر ما يدعو إلى هذا العناء ، أو هـذا الالتواء . فأنا أسجل له هنا — فى الرسالة — بعض الشرح لما يريده نقلاً عن « الثقافة » . قال فى أحد الأعداد :

« الهمس فى الشعر ليس معناه الضعف ، فالشاعر القوى هو الذى يهمس ، فتحس صوته خارجاً من أعماق نفسه فى نغمات حارة ؛ ولكنه غير الخطابة التى تغلب على شعرنا فتفسده ، إذ تبعد به عن النفس ، عن الصدق ، عن الدنو من القلوب »

ثم قال فى عدد آخر :

« وبعد ، فهناك شعر صادق جميل ، وهناك نثر صادق جميل ، سميتها مهموسة لأعبر عما يثيره التعبير الفرنسى « à mi-voix » الذى نستطيع ترجمته حرفياً بـ « نصف الملفوظ » والمعنى فى نفسى ليس واضحاً تمام الوضوح ، لأنه فى الحق إحساس أكثر منه معنى ، وإنما أستطيع أن أوحى للقارىء بشىء منه . إن قلت إننى أقصد إلى ذلك الأدب الذى سلم من الروح الخطابية التى غلبت على شعرنا التقليدى منذ المتنبى »

ثم يقول فى نفس المقال :

« لست أدرى أأفصحت أم لا . ولكنى فى الحق أعتمد على نفاذ روح القارىء ، لأنى يائس من أن أحمل إليه ما فى نفسى حملاً تاماً ، ولهذا أترك له دائماً مشاطرتى التفكير والإحساس .

قَدَّم قلْبَينا قرباناً للوطن ... ولما مضيت فى إثره أقتل الهون البرابرة الذين قتلوا كنارى ، قبض علىّ سفاحهم فى طريق الجومة ، ولما أقتلْ من كلابهم غير عِلْجَيْن ... فوا أسفاه على أن لم أروِّ الأولمب بدمائهم جميعاً ... »

***

إسمع إلى لحن الإنسانية المجنونة يا وتر !

الإنسانية التى أصابها هذا السُّعار المحزن الذى جرَّح القلوب وقرَّح العيونَ وبرَّح بالقافلة ...

ألا أيها الليل الطويل متى ينبلج الفجر ؟

إلا أيتها العِير الضالة متى تطلع الشمس ؟

ألا أيها الوتر الماجن متى نجد فتسمع قوى هدير الموج الصخاب وهزيم الريح الصَّرصر وانفطار قلب الإنسانية الباكية . .

الإنسانية التى تدفن أطفالها تحت الردم ، وتهوى جواريها فى بطن اليم ، وتبث ألغامها فى البحر واليَبَس ...

الإنسانية التى تضحك وتبكى ، وتنوح وتغنى ، وتلبس السواد وتلبس البياض ، وترقص فى العُرس كما ترقص على القبرة ، وتتحمّس فى الخندق كما تتيه فى الحانة ...

ما هذا ؟

ما ذا تسمع يا وتر ؟

ما هذا الصوت العذب الجميل الذى يقول :

أيها الخفاق فى مسرى الهواء ؟

ولمن هذا اللحن الخلاب :

يا شباب النيل .!

يا عماد الجيل ؟ !

يا للموسيقا ؟ !

أين هو اللواء الخفاق ؟ وأين هم شباب النيل عماد الجيل ؟

اصدق يا موسيقا ... اصدق ... اصدق فقد جد الجد ، وآن أن يزهق الباطل !

دريني خشبة

عليه أن يصل ما أقطع ، وأن يفصل ما أجمل ، وأن يضفى على الإشارة كل ما خلفها ...

وقد عنيت أن أسجل هذه الفقرات ، ولعلها أقوى وأوضح ما يصور فكرة الأستاذ مندور — أو إحساسه بتعبير أصح — وهذا اللون الذى يدعو إليه فى الأدب ، لون حبيب ، ما فى ذلك شك ؛ ولكنه ليس اللون الوحيد الذى نعادى كل ما سواه ، لأنه ليس الصورة الوحيدة للحياة .

ولم يكن خطأ الأستاذ مندور فى هذا التضييق وحده — عند رسم آفاق الأدب — ولكنه كان كذلك فى رسم صورة واحدة لهذا اللون الواحد عند اختيار نماذجه — والنموذج الواحد هو الذى يكشف عن الصورة الباطنة فى نفس المتحدث — فإذا جاز لى أن أعد النماذج التى جاء بها صورة للون الذى يدعو إليه، لم أكن حينئذ ظالماً له ، ولا مشوهاً لغرضه حين سميت الأدب المهموس بالأدب « الحنين » !

وأحب أن أطمئن الأستاذ مندور على أننى أحس ما فى نفسه مما لا يستطيع أن يحمله إلى القارئ حملاً تاماً — كما يقول — ولا أرى فى استنجاده بإحساس القارئ لتكملة ما يريد وتفصيله ، عجزاً ولا قصوراً — كما رأى البعض — فالحس الفنى لا تستطيع الألفاظ دائماً أن تحمل معانيه كاملة بوضوح ، وحسبها أن تشير إليه وأن تستثير فى نفوسنا المعانى والأحاسيس والذكريات الخاصة به

وهو فى شرحه للأدب المهموس ، كان أوسع أفقاً وأرحب صدراً ، من الأمثلة التى جاء بها جميعاً من لون واحد ، ولو كانت المسألة مسألة علمية أو فكرية لكان هذا الشرح هو كل شىء . ولكنها مسألة فنية ، فالمثال هو الأصدق والأصح فى تصوير الشرح العام

وإذا قلت : كان أوسع أفقاً وأرحب صدراً ، فإنما أقيسه إلى نفسه فى فهم الأدب . ولا أحتاج أن أقول : إن ذلك الأفق ليس وسيماً ، وهذا الصدر ليس رحيباً ، بالقياس إلى الفهم العام الذى يجب أن تمنيه جميع الألوان الصادقة من الفنون ، لا لون واحد قد يكون أفضل الألوان ، وقد لا يكون !

وقد قلت فى الكلمة السابقة : « إنه كان موفقاً فى اختيار بعض النماذج ، غير موفق فى اختيار بعضها ، فقصيدة « يا أخى » لميخائيل نعيمة ، وقصيدة « ترنيمة سرير » لنسيب عريضة يعدان نموذجاً طيباً لهذا اللون بذلك القيد . ولكن ما عداهما من مختاراته كان نماذج رديئة للشعر عامة ، ولهذا اللون من الشعر كذلك ، لا فى الأداء وحده ، ولكن فى حقيقة الشعور »

فأحب أن أفصل هذا القول بعض التفصيل

يقول الشاعر « نسيب عريضة » بعنوان « ترنيمة سرير » :

ظلام الليل قد جنا ... وبوق الهم قد رنّا
فنم يا طفل لا يهنا ... غنى بات شبعانا

فتنام اليأس غطّانا ... فنمْ ، لا عين ترعانا
إذا ما صبحنا حانا ... حسبنا الصبح أكفانا

ألا يا همُّ يكفينـا ... لقد جفّت مآقينا
لو ان الدمع يغذونا ... أكلنا بعض بلوانا

فتنال هذه القطعة إعجاب الأستاذ « مندور » وحبه ، وهى حقيقة أن تنال هذا منه ، ومنا نحن أيضاً — بوصفها لوناً من ألوان الأدب ، لا بوصفها اللون الوحيد الذى يحب —

ولكن الشاعر يقول قطعة أخرى بعنوان « يا نفس » لا تبلغ أن تكون فى هذا المستوى ، ولا أن تكون نموذجاً شعرياً ، فتنال إعجاب الأستاذ مندور كذلك لأسباب سنذكرها بعد . وهذه بعض مقطوعاتها :

يا نفس مالك والأنين ... تتألمين وتؤلمين
عذبت قلبى بالحنين ... وكتمته ما تقصدين !

قد نام أرباب الغرام ... وتدثروا لحف السلام
وأبيت يا نفس المنام ... أفأنت وحدك تسهرين؟

والليل مر على سواك ... ألفا دهاهم ما دهاك
فلم التمرد والعراك ... ماسور جسمى بالمتين

ولا يعلو مستوى بقية القصيدة عن هذا المستوى ، الذى لا شعر فيه ولا حرارة . وأحسب أن وضع القصيدتين متقابلتين — وهما لشاعر واحد — يكفى للاحساس القوى الواضح بما بين مستواهما من فروق . ولكن الأستاذ مندور يصب إعجابه عليها جميعاً ، ورائده فى ذلك أمران :

الأول : أن القصيدتين لشاعر من شعراء المهجر . وهو يحب شعراء المهجر ، لأنه حين ذهب إلى أوربا كان يحمل بعض أدبهم ، وبعد أن عاد إلى مصر لم ينفسح له الوقت ليقرأ الشعراء المصريين المحدثين !

والثانى : أن فى كلتا القصيدتين نغمة أسى دفين متهالك . وهو لا يحوجنا فى هذا إلى التخمين إذ يقول عن القصيدة الأولى : « أعود أنصت إليه — أى إلى نسيب عريضة — يهدهد طفله فى « ترنيمة سرير » حزينة بموسيقاها المطردة ! » وكان قد قال عن المقطوعة الثانية : « وها نحن منذ المقطوعة الأولى فى جو الشعر فالنفس تئن »

يكفى إذن عند الأستاذ « مندور » أن تكون القصيدة لأحد شعراء المهجر ، وأن يكون فيها حزن وأنين ، لتنال منه الحب والاستحسان ! ومرد هذا كما قلت إلى « مزاج خاص » هو إلى الحالات المرضية أقرب فيما أعتقد

هناك عقدتان نفسيتان لعلهما تلتقيان عند عقدة واحدة . فالأستاذ — كما لمحت فى أحاديثى القصيرة معه — حاد المزاج ، سريع التأثر ، شديد الحنين والألفة ، وهى صفات إنسانية تحب ، ولكنها لا تصلح للناقد ولا يستقيم معها النقد . وهو يقول فى إحدى مقالاته :

بلغنى أن « أمين مشرق » قد قتلته سيارة بأمريكا ، فحزنت وراجعت نفسى فى سر ذلك الحزن ، وهذا رجل ما رأيته قط ، ولا حدثنى عنه أحد ، وإنما هى مصادفات الحياة ساقتنى وأنا طالب ، إلى كتاب به مختارات لشعراء المهجر ، فتفتحت لنغماتهم نفسى ، واصطحبت الكتاب إلى أوربا سنوات ، وعدت « بكتابى » القديم كما ذهبت به ، وإن تكن جلدته قد ضاعت ، وأوراقه الأولى قد تآكلت ، وأصبحت لا أعرف له عنواناً . ولكننى أفزع إليه كلما ضاق الصدر أو عض الألم ، فأجد بين صفحاته من عبير الروح ما يحيى الإيمان

« أمين مشرق ، بين من يضمهم « كتابى » . له فيه صفحات من الشعر والنثر . كم آنست من وحشتى ورفعت من قلبى . إنه صديق قديم »

هكذا كتب الأستاذ « مندور » وأنا « أحب » هذه النغمة منه . ولكنى من أجلها لا أثق بأحكامه الأدبية — وبخاصة فى الشعر — ومن أجلها كذلك أحذر القراء من الاطمئنان إلى هذه الأحكام !

فى « مندور » حنان وألفة ، وهو قد « هاجر » إلى أوربا وحمل معه إلى المهجر كتاباً يضم مختارات لشعراء « المهجر » وكان هذا وحده يكفى لأن يحب هذا الكتاب وشعراء هذا الكتاب . ولكنه كان كذلك كتاب الصبا الذى رافقه وهو « طالب » ، وجلدته قد ضاعت ، وأوراقه قد تآكلت . ولكنه عاد « بكتابه » القديم كما ذهب به ، فزاده ذلك إعزازاً لديه وأثارة عنده . وصار يفزع إليه كلما ضاق الصدر أو عض الألم . وكان « أمين مشرق » بين من يضمهم كتابه فاستحق لقب « الصديق القديم » وكان سواه من شعراء المهجر كذلك . فكل منهم إذن هو « صديق قديم » !

ولقد قلت إننى « أخشى أن تكون حادثة ما أو عدة حوادث كامنة فى ماضى الأستاذ مندور ، تتحكم فى نفسه دون شعور » فهذه حادثة من تلك الحوادث التى افترضتها ومن يدرى فلعل وراءها من نوعها الكثير !

على أن هناك عاملاً آخر تتأثر به أحكام صاحب « الميزان الجديد » ؛ فقد عاد إلى مصر قريباً ، ولم يتسع له الوقت بعد ليقرأ الشعراء والأدباء المصريين ؛ إذ كان مشغولاً فى الوقت القصير الذى تلا عودته بكتابة رسالة يتقدم بها إلى الجامعة . فهو — كما فهمت من حديث سريع معي — كان يحسب الشعر المصرى هو ذلك الذى تنشره الأهرام فى بعض « المناسبات » ، فأصدر عليه حكماً جازماً سريعاً . كما أنه عند ما تحدث عن « بيجماليون » لتوفيق الحكيم ، لم يكن قرأ كل مؤلفاته فأصدر عليه حكماً جازماً سريعاً . وهكذا كان أمره ـ فيما أحسب ـ مع شعر العقاد وشعر سواه : نظرة خاطفة سريعة ، وحكم جازم سريع ! وليس هكذا يصنع « أصحاب الموازين » !

* * *

وبعد فلقد كان اليوم موعدى مع القراء لعرض نماذج من الشعر الهامس الصحيح ؛ فمعذرتى إليهم أن الفرغ المتاح قد استغرق كله . وإلى اللقاء القريب .

(حلوان)

سيد قطب

إنشاء معهد لفنون التمثيل

ضرورة لا غنى عنها

للأستاذ زكي طليمات

المدير الفني للفرقة المصرية للتمثيل والسينما

[تحية للأستاذ دريني خشبة الذي يعنى بشئون المسرح المصري ويفسح لها من عمله وأدبه]

إن ما تجري عليه الحكومة من وسائل ترقية فن التمثيل وتشجيع القائمين به - وأبين مظاهرها قيام الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى - إنما هو علاج مؤقت لحالة يجب أن يشملها إصلاح واسع يرتكز على سياسة إنشائية ترسم الوجهة التي يجب أن يولى المسرح المصري وجهه شطرها، ويكون من أول ما تسعى إلى تحقيقه إنشاء معاهد لفن التمثيل تعلم فيها فنونه وصناعاته على حقيقتها، وتكفل نشر ثقافة حقة لهذا الفن الجميل

وإنا إذ نقرر هذا ونشير به لا ننسى اعتباراً آخر له أهميته في تدعيم أساس لفن التمثيل وأدبه، وأعنى به المسرحية المحلية ومؤلفها، بيد أن إيجاد هذا المؤلف النابه لا يتم بمجرد استشعارنا الحاجة إليه والبحث عنه، إذ أنه من فعل البيئة الثقافية وصنع الواعية الباطنة للمجتمع، وهذه أشياء تخرج على طوقنا لا حيلة لنا في السيطرة عليها. غير أنه مما لا شك فيه أن إذاعة ثقافية منظمة لهذه الفنون وتنظيم فرق تمثيلية تتسامى في عملها على الارتجال والجهل والتهويش والعرض الزائف لما يساعد على خلق البيئة الفنية الصالحة التي قد ينجم منها المؤلف المسرحي الذي يسجل سمات الإنسانية العامة في معالم جيله، ويكشف عن القلب البشري في مسرحياته. لهذا نتجاوز عن هذا الاعتبار على أهميته، لنعالج عنصراً آخر له أيضاً أهميته لأنه مما يقوم عليه المسرح في كل زمان ومكان، ألا وهو الممثل والمخرج

إن إنشاء معاهد للتمثيل ضرورة ملحة مأتاها أن فن التمثيل باللسان العربي ليس أصيلاً في الأدب العربي، ولا هو من مرائي الحياة الاجتماعية في مصر، بل هو لون من الفن والأدب منتحل من الغرب، دخيل على المجتمع المصري منذ أن تفتحت أبواب من الأدب العربي على الأدب الغربي في أواسط القرن الماضي، فتقاليده غير ممتدة في التربة المصرية، وفنونه وصناعاته غير مستبطن دخائلها، والقائمون بأمره ليسوا كلهم مما يرتفع بهم هذا الفن ويسمو، وذلك لخفة مؤونتهم من التعليم العام والثقافة الفنية. وإن ما انتهى إليه المسرح المصري في شتى نواحي هذا الفن، ولا سيما فن الأداء التمثيلي والإخراج، إنما هو ثمرة الجهاد الذي يقوم على الموهبة العاجزة والميل الشديد أكثر مما يقوم على الموهبة المثقفة والدراية الكاملة بمعارف هذه الفنون ولتقاليدها، وهو جهاد كان يسفر ولا شك عن مستوى أرفع مما انتهى إليه لو أنه أحيط بالدراسات التي تنمي مواهب القائمين به وتوسع في آفاق تفكيرهم وتردهم دائماً إلى الموثوق بصحته من التعاليم الفنية، إذ أن كل فن جميل إنما يقوم على عمادين: الدراسة والميل، ولا يقوم على واحد منهما

ولا أغالي إذا قررت أن فن التمثيل في مصر يتفرد بين جميع الفنون بأنه قائم من غير مدرسة ولا خطة تعليمية ما، وهذه حال تثير العجب والأسف في وقت واحد.

وليس فن الأداء التمثيلي وصناعات المسرح وفن الإخراج مما يرتجل ارتجالاً بدفعة الميل والرغبة، وإمداد الجرأة، ومواتاة المدارك فحسب، وإنما هي فنون تقوم على التثقيف النظري الواسع والممارسة السليمة من الزيف، بعد أن تنارلها العلم بالصقل والتوليد، فقعّد لها القواعد وأصّل الأصول

نقرر هذا من غير أن نجحد ما للمواهب التي تركبها الطبيعة في الخلق من أثر كبير في نتاج الفنان، فقد وعت حافظة المسرح في مختلف الأقطار أسماء ممثلين اتسم عملهم بالنبوغ من غير أن يخضعوا لتعاليم معهد أو كتاب فن، ولكن هذا النبوغ قليل، يكاد يخرج على كل قاعدة وتعليم، فهو أمر خارق وشاذ لا يؤخذ به في وضع النظم التعليمية العامة

وفن الأداء التمثيلي وفن الإخراج، عنصران لهما خطرهما وأهميتهما في هذا الفن. وذلك باعتبار أنهما أداة الاتصال بين المسرحية والجمهور. المخرج والممثل: الأول يرسم وينشىء، والثاني يؤدي ويطالع الجمهور، فبطريقيهما يجري التأثير وتتم الفائدة من حضور الرواية

وقد سبق لوزارة المعارف العمومية أن أخذت بوجهة النظر

هذه بعد أن سجلتها فى تقريرى الذى قدمته إليها مفصلاً معززاً بأقوال الثقاة من رجال الفن المسرحى فى أوربا ، وهو تقرير قدمته عام ١٩٢٩ عقب عودتى من البعثة الفنية فى مسارح أوربا ومعاهدها، فكان أن أنشأت معهداً حكومياً للتمثيل عام ١٩٣٠ ، ولكن هذا المعهد لم يقطع من سنى حياته غير العام الأول ، ثم ذهب ضحية المنازعات الشخصية التى كان يحتاج بها صدر الوزارة فى ذلك الوقت ، فأغلقت أبوابه بدعوى أنه مخالف للتقاليد الشرقية !

وكان من جراء هذا أن انهار ركن كبير من سياسة إنشائية مرسومة ، وحرم المسرح العربى من أن تعمل فيه وجوه جديدة لها مستواها الثقافى العالى ومواهبها الممتازة ، فكان ذلك القصور المشهود فى فنون المسرح ، وكانت هذه المداناة فى سبيل إصلاحه . وها قد مرت اثنتا عشرة سنة منذ أن أغلق المعهد الحكومى أبوابه ، بذلت أثناءها جهود مختلفة للارتقاء بمستوى المسرح ، ولم تسفر عن شىء فى سبيل تحقيق هذه الغاية ، وبقيت الفرق العاملة تشكو ما كانت تكابده من ضعف فى وسائل الأداء ، وما تعانيه من افتقار إلى وجوه جديدة تحمل المشعل بأيد فتية وتواصل الجهاد إلى جانب ذلك النفر العزيز من الممثلين والممثلات المقتدرين ، وهم نفر قليل عددهم قد برزوا فى فنهم بخصب مواهبهم وفيض مؤهلاتهم . وإننى أتساءل ما ذا يحل بالمسرح المصرى فى ناحية فن الممثل لو أن هذا النفر العزيز تنحى عن خدمة المسرح مختاراً بدافع الشبع والزهد ، أو مجبراً بعامل المرض أو الوفاة ؟.

إن إنشاء معهد للتمثيل أصبح ضرورة لا مندوحة عن مواجهتها لوزارة الشئون الاجتماعية التى آل إليها أمر الفرقة المصرية وإعانات التمثيل والموسيقى

وما دامت الوزارة قد أولت المسرح المصرى هذه العناية المأثورة إذ تتعهد الآن بنفسها أمر توجيهه وتقويمه ورعاية القائمين بأمره ، فما أظن أن رعايتها تقصر عن إنشاء معهد للتمثيل يكون حجر الزاوية لمرحلة جديدة ينتقل إليها المسرح وقد رسخت له قدم ثابتة فيها هى جوهر له وأساس .

زكى طليمات

الصديق أبو بكر
بين العقاد وهيكل
للأستاذ محمود أبو رية

كانت هذه الكلمة فى أصلها ستخرج خالصة لكتاب (عبقرية الصديق) الذى أخرجه الكاتب الكبير عباس محمود العقاد، ولكن عرض ما غير وجهة القول، وجعلنى أتناول بالحديث كتاباً آخر معه، ولعل الخيرة فيما وقع

ذلك أن أحد الأدباء واجهنى بسؤال قال فيه: ترى ماذا بقى من تاريخ أبى بكر بعد ما أتى به هيكل باشا فى كتابه، فيجرى به قلم غيره؟ وإنى أجيبه هنا فأقول: إن هيكل باشا قد عنى فى كتابه بذكر الأخبار وإيراد الوقائع التى حدثت فى عهد أبى بكر متبعاً فى ذلك سَنن من قبله من المؤرخين الذين ينقل بعضهم عن بعض

وعلى أنه قد أطال فى النقل حتى خرج عمله فى سفر ضخم، فإنه - كما قال صديقنا الكاتب السيد محب الدين الخطيب - قد فاته الاطلاع على مراجع وثيقة واعتمد على مصادر واهية لا يصح التعويل عليها (المقتطف والفتح)

ومن أجل ذلك ترى كتابه قد حمل أخباراً ما كان لمؤرخ محقق أن يأخذ بها، مثل ما روى أن علياً حمل فاطمة على دابة وخرج بها يطوف على الناس يجر هذه الدابة وهى تناشد الرجال وتتوسل إليهم أن ينصفوا بعلها وهم يعتذرون آسفين. وقد عجب الكاتب الكبير إبرهيم عبد القادر المازنى فى البلاغ من إيراد هيكل باشا لهذه القصة وقال «إن المرء لا يحتاج إلى ذكاء أو علم ليدرك أنها مختلقة من أولها إلى آخرها»

ومن الأخبار التى نقلها هيكل باشا إلى كتابه وهى إلى الخرافات أدنى منها إلى الحقائق أن العنكبوت خيمت على الغار لتحجب النبي وصاحبه عن الناس. ومن العجيب أن ما أتى به فى كتابه من مثل هذه الخرافة قد عابه على الدكتور طه حسين يوم أن نشر الجزء الأول من كتابه (على هامش السيرة) وكان مما قاله فى ذلك: «إن هذه الأمور إنما وضعت لإفساد العقول والقلوب من سواد الشعب ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة إلى نفوسهم فى شأن الإسلام ودينه» (السياسة الأسبوعية)

هذا هو كتاب هيكل باشا ونحن بما أظهرنا من نقد - لنا ولغيرنا - لا نغض منه، وإنما نقول إنه قد أصبح مصدراً من المصادر التى يجد فيها الباحث تاريخ الإسلام فى عهد أبى بكر وبخاصة تاريخ حروب الردة

أما العقاد فقد اتخذ فى تأليفه منهجاً جديداً يباين ما ذهب إليه رجال التاريخ الإسلامى جميعاً، ذلك أنه جعل وجهته دراسة شخصية أبى بكر وتحليل ملكاته. وقد بين هذا المنهج بقوله: «إننى لا أكتب ترجمة للصديق رضى الله عنه، ولا أكتب تاريخاً لخلافته وحوادث عصره، ولا أعنى بالوقائع من حيث هى وقائع، ولا بالأخبار من حيث هى أخبار، فهذه موضوعات لم أقصدها ... ولكنما قصدت أن أرسم للصديق صورة نفسية تعرفنا به وتجلو لنا خلائقه وبواعث أعماله كما تجلو الصورة ملامح من تراه بالعين، فلا تمنينا الوقائع والأخبار إلا بمقدار ما تؤدى أداءها فى هذا المقصد ... وهى قد تكبر أو تصغر فلا يهمنا منها الكبر أو الصغر إلا بذلك المقدار، ولعل حادثاً صغيراً يستحق منا التقديم على أكبر الحوادث إذا كان فيه دلالة نفسية أكبر من دلالته، ولمحة مصورة أظهر من لمحته» (ص ٣)

وهذا المذهب الذى اتخذه لدراسة أبى بكر هو ما نحتاج إليه ولا ريب فى هذا العصر وما يجب على كل كاتب مجيد أن يسلكه، لأنه كما يقول العقاد: «أوجب مما كان فى الأزمان الغابرة لأن الأسباب التى تغض من وقار للعظمة لم تزل تتكاثر منذ القرن الثامن عشر إلى الآن ... وأن الإنسانية لا تعرف حقاً من الحقوق إن لم تعرف حق عظمائها، وأن الإنسانية كلها ليست بشىء إن كانت العظمة الإنسانية فى قديمها أو حديثها ليست بشىء» (ص ٦ و ٧)

ولكى يُحكم التصوير ويُوفى بعمله على الغاية جعل من عقله وفكره وعلمه مجهراً جعله أمام شخصية أبى بكر ثم أجرى قلمه على القرطاس ليرسم ما يستعلن فى هذا المجهر حتى خرجت هذه الشخصية فى صورة «صادقة كل الصدق فى جملتها وتفصيلها»

وإذا كانت الصورة الجميلة التى تفترق العين لا يمكن لواصف أن يجلوها على حقيقتها فإنا نشير إلى بعض ملامح تلك الصورة التى أبدعها قلم العقاد إشارة عابرة تومىء ولا تغنى

لقد جعل العقاد من مذهبه إذا ما ترجم لعظيم أن يستقصى

فى الدرس ويمعن فى التحليل حتى يقبض بيده على مفتاح شخصيته ثم يعطيه لكل باحث لكي ينفذ به إلى سر عبقريتها ، ويكشف عن دخائل ملكاتها . وقد كشفت له دراسته لأبى بكر عن مفتاح شخصيته فإذا هو « الإعجاب بالبطولة » وقد تحدث عن هذه البطولة فقال : إن البطولة التى أعجب بها أبو بكر هى البطولة التى ليس أشرق منها ، بطولة تعرفها النفس الإنسانية ، هى بطولة الحق وبطولة الخير وبطولة الاستقامة ؛ وهى بعد هذا وفوق هذا بطولة الفداء يقبل عليها من يقبل وهو عالم بما سيلقاه من عنت الأقوياء والجهلاء ، تلك هى بطولة محمد » ص٦٨

ولما عرض إلى ما بين أبى بكر وعمر من تقابل قال : « كان أبو بكر نموذج الاقتداء ، وكان عمر نموذج الاجتهاد » ص ٨٤ وبعد أن بين ما بينهما من اختلاف فى الصفات قال تلك الكلمة الحكيمة : « وموضع العبرة بل موضع الإعجاز هو تلك الدعوة التى شملت هذه القوى كلها فى طية واحدة ، وضمت هؤلاء الرجال حول رجل واحد ، وجذبت إليها أكرم العناصر التى تأنى بالعظائم وتصلح للخير وتقدم على الفداء » ص ٩٥

وإذا كان مما لا ريب فيه أن أهم الأحداث التى نجمت بعد وفاة الرسول إنما هو أمر الخلافة وأمر الردة ، فإن العقاد بعد أن استقصى الأمور كلها – فى الأمر الأول – وقلبها على جميع وجوهها قال : « ومصلحة المسلمين فى ولايته راجحة فى كل حساب ؛ لأن المسلمين كانوا يومئذ أحوج إلى عهد يكون امتداداً لعهد النبي حتى يحين وقت التوسع والتصرف الخ ص ٣٣

ولقد أصاب العقاد فى ذلك ، إذ ما كان أحد يصلح للخلافة أو ينهض بأعبائها بعد رسول الله غير أبى بكر ، لا لأنه أفضل الصحابة – فما ذلك قصدنا – ولكن لما كان عليه العرب حينئذ عامة ، وبنو أمية خاصة ، هؤلاء الذين كانت عصبيتهم المكبوتة تنتهز الفرصة للوثبة . فإذا أتيح لها أن تتولى الأمر بعد وفاة الرسول لأعادتها جاهلية ، ولصار أمر الإسلام إلى زوال . وناهيك بما فعلوه بعد أن تولى عثمان أمر المسلمين ، وكانت الدعوة قد استقرت والأمور قد تمهدت ! وإذا كان عهد أبى بكر كما قال العقاد آنفاً امتداداً لعهد النبي فإنه كان كذلك عهد تمحيص وتثبيت . وكذلك ما كان يَصْلح للأمر بعد أبى بكر غير عمر ولا يتولى بعده إلا من يكون فى مثل قوته وصرامته حتى يكون أمر المسلمين بعيداً عن أعاصير الأهواء وعواصف الفتن

أما أمر الردة فبينا ترى هيكل باشا يكتفى بأن يقول فيه عن الذين ارتدوا « إن كثيراً منهم راجعهم الحنين إلى عقائدهم الأولى فلم يلبثوا حين علموا بوفاة رسول الله أن ارتدوا عن دين الله » ص ١٤ . ويقف فى التعليل عند ذلك ، إذ بك تبصر العقاد قد أرجع هذا الارتداد إلى علل منطقية ودلائل عقلية لا نطيل بذكرها . ص١٤١ وهذا هو فرق ما بين من يأخذ الأمور من ظواهرها وبين من يوغل فى دراستها إلى أن يصل إلى بواطنها

بقى أمر لا بد من أن نقول فيه كلمة صريحة ، ذلك هو موقف أبى بكر من فاطمة بنت الرسول رضى الله عنها وما فعل معها فى ميراث أبيها . وهذا أمر نخالف فيه الأستاذ العقاد وكل من يرى رأيه ؛ لأننا إذا سلمنا معهم بأن خبر الآحاد الظنى يخصص الكتاب القطعى ، وأنه قد ثبت أن النبى قد قال إنه لا يورث . وإنه لا تخصيص فى عموم هذا الخبر ، فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطى فاطمة رضى الله عنها بعض تركة أبيها كأن يخصها بفَدَك ، وهذا من حقه الذى لا يعارضه فيه أحد ، إذ يجوز للخليفة أن يخص من شاء بما شاء ؛ وقد خص هو نفسه الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبى . على أن فَدَك هذه التى منعها أبو بكر من فاطمة لم تلبث أن أقطعها (الخليفة) عثمان لمروان

هذه لمحات قصيرة من ملامح صورة أبى بكر التى صورها العقاد ؛ أما هذه الصورة على حقيقتها فإنه لا يغنى القول فيها عن الاطلاع عليها

ولعل القارىء قد أدرك بما بيناه بعد ما بين عمل هيكل باشا وعمل العقاد ؛ فذاك قد آثر حشد الأخبار وسوق الأحداث فعل الإخباريين ، وهذا قد أبدع مذهباً جديداً فى التأليف أعانه عليه أنه لم يتوله إلا وهو مستحصد المِرَّة من عقل وفكر ، مستكمل الأداة من اطلاع وعلم . وقد خرج هذا النحو من التأليف فى عبارة محكمة السرد لم يستلهم فيها وحى الخيال ، وإنما استعان بمنطق الفيلسوف الذى يفتح من آفاق الحقائق مالا يبلغه خيال الشاعر أو الكاتب

وإذا كانت مؤلفات العقاد تعمل على تربية العقل وتنمية الفكر فإن ما يكتبه عن عباقرة الإسلام يربى على ذلك بأنه خير دعاية للدين الإسلامى وأنجع وسيلة لإظهار فضل رجاله الذين هم أهل لكل تعظيم .

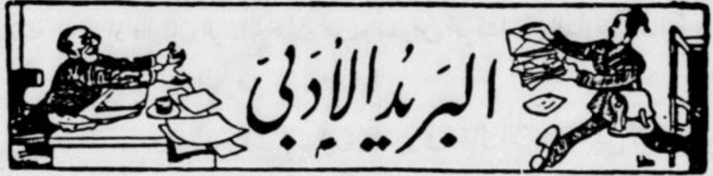
(المنصورة) محمود أبو رية

حصاد القمر ... !

[وحي سياحة قرية فى ليلة من ليالى الحصاد بين حقول القمح ، والنخيل . حيث كان الشاعر ضيف القمر بقرية « أم خنان » الهاجعة فى مروج الجيزة الخضراء]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سِيَّانِ فى جَفْنِهِ الإغفاءُ وَالسَّهَرُ — نَامَتْ سَنَا بِلُهُ وَاسْتَيْقَظَ القَمَرُ !
نَعْسَانُ يَحْلُمُ وَالأَضْوَاءُ سَاهِدَةٌ — قَلْبُ النَّسِيمِ لَهَا وَلْهَانُ يَنْفَطِرُ
مَالَ السَّنَا جَاثِيًا يُلْقِي بِمَسْمَعِهِ — هَمْسًا مِنَ الوَحْيِ لَا يُدْرَى لَهُ خَبَرُ
وَأَطْرَقَتْ نَخْلَةٌ قَامَتْ بِتَلْعَتِهِ — كَأَنَّهَا زَاهِدٌ فى اللهِ يَفْتَكِرُ
إِنْ هَبَّ نَسِيمٌ بِهَا، خِيلَتْ ذَوَائِبُهَا — أَنَامِلًا مُرْعَشَاتٍ هَزَّهَا الكِبَرُ !
كَأَنَّمَا ظِلُّهَا فى الحَقْلِ مُضْطَهَدٌ — ضَمَّتْ السَّكِينَةُ عَنْ جَانِبِهِ يَعْتَذِرُ
الدَّوْحُ نَشْوَانُ ! فَاخْشَعْ إِنْ مَرَرْتَ بِهِ
فَضَيْفُهُ البَاطِشَانِ : اللَّيْلُ ، وَالقَدَرُ !
كَأَنَّ أَغْصَانَهُ أَشْبَاحُ قَافِلَةٍ
غَابَ الرَّفِيقَانِ عَنْهَا : الرَّكْبُ ، وَالسَّفَرُ
مَبْهُورَةٌ شَخَصَتْ فى الجَوِّ ذَاهِلَةً — كَأَنَّهَا لِحَبِيبٍ غَابَ تَنْتَظِرُ !
أَوْ أَنَّهَا نَسِيَتْ عَهْدًا ، وَأَنْعَشَهَا
شَجْوُ الرِّيَاحِ فَهَاجَتْ قَلْبَهَا الذِّكَرُ
أَوْ أَنَّهَا وَالأَسَى المَكْبُوتُ فى فَمِهَا — بَنَاتُ وَعْدٍ بِهَا عُشَّاقُهَا غَدَرُوا
عَجْمَاءُ تَنْبِسُ كَالتَّمْتَامِ عَاتِبَةً — وَمِلْءُ أَفْوَاهِهَا التَّهْوِيمُ وَالخَدَرُ !
يَا سَاكِبَ النُّورِ لَا يَدْرِي مَنَابِعَهُ — لَأَنْتَ قَلْبٌ يُشِعُّ الحُبَّ، لَا قَمَرُ !
هَيْمَانُ تَحْمِلُ وَجْدَ اللَّيْلِ أَضْلُعُهُ — وَاللَّيْلُ تَقْتُلُهُ الأَشْجَانُ وَالفِكَرُ
كَأَنَّهُ زَوْرَقٌ فى الخُلْدِ رِحْلَتُهُ — تَيَّارُهُ مِنْ ضِفَافِ الحُورِ مُنْحَدِرُ
يَا طَائِرًا فى رُبَى الأَفْلَاكِ مُخْتَفِيًا — يَمْشِي عَلَى خَطْوِهِ الإِجْفَالُ وَالحَذَرُ
أَرِخِ اللِّثَامَ ، فَمَهْمَا سِرْتَ مُحْتَجِبًا — نَمَّتْ عَلَى نُورِكَ الأَسْدَالُ وَالسُّتُرُ
عَلَامَ ضَنَّتْ بِالأَنْوَارِ فى زَمَنٍ — إِلَيْكَ يَظْمَأُ فِيهِ الرُّوحُ وَالبَصَرُ !
الأَرْضُ مُظْلِمَةُ الأَسْرَارِ سَاخِرَةٌ — كَأَنَّهَا شَيْخَةٌ بِالنَّاسِ تَتَّجِرُ !
تَقَبَّلَتْ كُلَّ مَوْلُودٍ بِقَهْقَهَةٍ — وَقَهْقَهَ اللَّحْدُ لَمَّا جَاءَ يَنْدَثِرُ !
يَا طَائِفًا لَمْ يَنَمْ سِرٌّ عَلَى كَبِدٍ — إِلَّا وَحَقَّكَ مِنْ أَحْلَامِهِ أَثَرُ
تَمْشِي الهُوَيْنَا ، كَمَا لَوْ كُنْتَ مُقْتَفِيًا
آثَارَ مَنْ دَنَّسُوا مَغْنَاكَ وَاسْتَتَرُوا
لَيَلَاتُكَ البِيضُ وَالأَيَّامُ تَحْسُدُهَا — عَرَائِسٌ عَنْ صِبَاهَا انْحَلَّتِ الأُزُرُ
سَمِعْتُ سِحْرَكَ فى الأَضْوَاءِ أُغْنِيَةً
حَيْرَى تَأَوَّهَ عَنْهَا الرِّيحُ وَالشَّجَرُ !
وَعَيْتُهَا وَنَقَلْتُ السِّرَّ عَنْ فَمِهَا — لِمَنْ أَبُوحُ بِهِ وَالنَّاسُ قَدْ كَفَرُوا ؟!
آمَنْتُ بِاللهِ ! كُلُّ الكَوْنِ فى خَلَدِي
هَادٍ إِلَيْهِ ... الحَصَى، وَالذَّرُّ ، وَالحَجَرُ !
ذَرَتْ عُيُونُكَ دَمْعًا لَيْسَ يَعْرِفُهُ — إِلَّا غَرِيبٌ بِصَدْرِي حَائِرٌ ضَجِرُ !
قَلْبٌ ، كَقَلْبِكَ مَجْرُوحٌ ... وَفِي دَمِهِ
هَالَاتُ نُورٍ إِلَيْهَا يَفْزَعُ البَشَرُ !
إِنَّ العَذَابَ الَّذِي أَضْنَاكَ فى كَبِدِي
مِنْ نَارِهِ جَذْوَةٌ تَغْلِي وَتَسْتَعِرُ
سَرَى كِلَانَا وَنَبْعُ النُّورِ فى يَدِهِ
أَنْتَ السَّنَا ! وَأَنَا الإِنْشَادُ وَالوَتَرُ !
وَأَشْرَبَتْنَا اللَّيَالِي السُّودُ أَدْمُعَنَا . — وَأَنْتَ سَالٍ وَنَفْسِي غَالَهَا الشَّرَرُ !
كَأَنَّ وَجْهَكَ فى الشُّطْآنِ حِينَ غَدَا
إِلَيْكَ يُومِئُ مِنْ أَدْوَاحِهَا نَفَرُ . . .
مُبَشِّرٌ بِنَبِيٍّ . . . ذَاعَ مُؤْتَلِقًا — عَلَى العَوَالِمِ مِنْ أَضْوَائِهِ الخَبَرُ !
أَللهُ أَكْبَرُ ! يَا ابْنَ اللَّيْلِ . . يَا كَبِدًا
لَمْ يُضْنِ أَسْرَارَهَا التَّطْوَافُ وَالسَّهَرُ !
بَكَى الحَيَارَى عَلَى الدُّنْيَا مَوَاجِعَهُمْ
وَصَرَّعَتْهُمْ بَلَايَا الدَّهْرِ وَالغِيَرُ
وَأَنْتَ حَيْرَانُ مُنْذُ المَهْدِ . . . لَا وَطَنٌ
وَلَا رَفِيقٌ ، وَلَا دَرْبٌ ... وَلَا سَفَرُ !



من شعر الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا

نشرت الرسالة فى العدد الماضى بيتين من الشعر لسعادة الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ، وقد يحسب بعض القراء أن هذين البيتين يتيمان ليس له غيرهما ولكنا نقول لهم إن لسعادته أشعاراً كثيرة ولكنه لم يُعن بنشرها ، ونحن نذكر هنا بضعة أبيات من قصيدة مدح بها الأستاذ الإمام محمد عبده عند عودته من أوروبة وتونس والجزائر سنة ١٩٠٣ (أى منذ أربعين سنة) وها هى ذى :

أقبل عليك تحية وسلام ... يا ساهراً والمسلمون نيام
تطوى البلاد وحيث جئت لأمة ... نشرت لفضلك بينهم أعلام
كالبدر أنّى سار يشرق نوره ... والحق أنّى حل فهو إمام
إن يقدروا فى الغرب علمك قدره ... فلمصر أولى منهم والشام
فيك الرجاء لأمة لعبت بما ... يُلهى الصغار وجدت الأيام
لا زلت غيظاً للضلال وأهله ... والله يرضى عنك والإسلام

وقد كان جزاءه من شيخه أن كتب إليه كتاباً رقيقاً هذه نسخته :

ولدنا الأديب ...

خير الكلام ما وافق حالاً ، وحوى من النفس مثالاً ، تلك أبياتك العشرة رأيتنى والحمد لله متربعاً فى سبعة منها كأنها الكواكب تسكنها الملائكة وما بقى كله كأنه الشهب ، نور للأحباء ، ورجوم للأشقياء ، ما سررت بشىء سرورى بأنك شعرت من علم حداثتك بما لم يشعر به الكبار من قومك . فلله أنت ولله أبوك ![1] ولو أذن لوالد أن يقابل وجه ولده بالمدح لسقت إليك من الثناء ، ما يملأ عليك الفضاء ، ولكنى أكتفى بالإخلاص فى الدعاء ، أن يحتمى الله من نهايتك ، بما تفرسته فى بدايتك ، وأن يخلص للحق سرك ، ويقدرك على الهداية إليه ، وينشط نفسك لجمع قومك عليه

محمود أبو رية

وزير سورى يؤلف معجماً زراعياً

عرف الأمير مصطفى الشهابى وزير الدولة فى حكومة سورية المؤقتة بأنه من الأعلام الثقات فى وضع مصطلحات عربية للعلوم الزراعية ، وقد شرع معاليه الآن يطبع معجمه المسمى «معجم العلوم الزراعية» بالفرنسية واللاتينية والعربية وهو معجم يضم نحو عشرة آلاف كلمة .

إلى فضيلة الأستاذ الكبير محمود شلتوت

ملكتْ قلوبنا بحوثك الممتعة فى : نزول عيسى عليه السلام وتقرير العقيدة الدينية على أساس من العلم كما هو متفق وأصول

(١) كان والده المغفور له حسن عبد الرازق باشا صديقاً حميماً للأستاذ الإمام

لـكِنَّ طَرفَكَ نَشوَانُ السَّنَا ، ذَهَبَتْ ... مَنَابِعُ السِّحْرِ مِنْ بَنْوَاهُ تَنْهَمِرُ !
قِفْ مَرَّةً فى سَمَاءِ النِّيلِ وَاصْغَ إلى ... مُحَيَّرِينَ سَرَوْا فى الْحَقْـلِ وَانتَشَرُوا
قَوْمٌ ... هُمُ الدَّمْعُ وَالآهَاتَ تَحْمِلُهَا ... أَقفَاصُ عَظْمٍ لَهُمْ مِنْ خَطْوِهَا نُذُرُ !
كادَتْ مَنَاجِلُهُمْ وَاللهُ مُشْرِعُهَا ... بَأْسَ الْحَدِيدِ مِنَ الْبَأْسَاءِ تَنْصَهِرُ !
مَشَوْا بِهَا فى مَغَانِى النُّورِ تَحْسَبُهُمْ ... جَنَائِزاً ... زُمَرٌ أَنَّتْ لَهَا زُمَرُ !
جَاسُوا الْحُقُولَ مَسَاكِيناً جَلَابِيبُهُمْ ... تَوْرَاةُ بُؤْسٍ عَلَيْهَا تَقْرَأُ الْعِبَرُ
يَجْنُونَ أَيْدِيَهُمْ ضَنْكاً وَمَسْغَبَةً ... مِمَّا أَفَاءَ لَهُمْ وَادِيهِمُ النَّضِرُ !
سَاءَلْتُ سُنْبُلَهُمْ : مَا سِرُّ شِقْوَتِهِمْ ... وَمِنْ غُبَارِ يَدَيْهِمْ مَرْجُكَ الْعَطِرُ ؟
فَمَالَ وَاسْتَرْجَعَتْ عِيدَانُهُ نَغَماً ... يَلْغُو مِنَ الْمَوْتِ فى أَصْدَائِهِ سَمَرُ !
وَإِذْ بِهَا فى تُرَابِ الْحَقْلِ نَائِمَةً ... تَحْكِى تَوَابِيتَ لَمْ تُوجَدْ لَهَا حُفَرُ
بَكَى الْحَصِيدُ عَلَى أَحْزَانِ غَارِسِهِ ... مَتَى سَيَخْضَدُ هَذَا الدَّمْعُ ... يَا قَدَرُ ؟!

الدين : وإيماناً بما أفاضت علينا الرسالة الغراء من سامى تحقيقك وخالص نصحك أرجو إفادتى عن :

١ — قول بعض العلماء المتقدمين كالنووى والقاضى عياض بصحة الأحاديث الواردة فى نزول عيسى واستدلالهم عليه بأهل السنة

٢ — إذا ثبتت صحة الأحاديث الواردة فى نزوله ، ولكن لم تنهض دليلاً لاعتقاد ذلك لأنهما لم تبلغ حد التواتر الذى تبنى عليه عقائدنا ، فما موقفنا إزاء تلك الأحاديث الصحيحة ؟

دسوقى ابراهيم

رفع لاعتراض

أخذ الأستاذ محمد محمود رضوان على الأستاذ العقاد أنه استعمل الحرف « لا » جواباً لسؤال هو « ألا تزال تضرب امرأتك ؟ » وحقيقة أن همزة الاستفهام إذا دخلت على النفى كان الجواب بالحرف « بلى » إثباتاً وبالحرف « نعم » نفياً . ولكن العبارة التى معنا لم تدخل فيها الهمزة على نفى ، بل دخلت على إثبات ، لأن لا للنفى وتزال للنفى ، ونفى النفى إثبات ، فهى فى قوة قولك « أتضرب امرأتك إلى الآن » فكيف تكون الإجابة بعد ذلك بنعم ويكون المراد بها نفى الضرب ؟ لعل هذه القاعدة مقيدة بما إذا كان النفى لم ينتقض .

محمد أبو سريع حسين
بمعهد القاهرة

ذكرى السيد جمال الدين

بهذا العنوان قرأت أول ما قرأت بشوق ولهفة مقال الأستاذ محمود شلبى فى عدد الرسالة ٥٠٦

فهو لعمر الحق مقال ممتع قوى التعابير ، محكم التراكيب تعلوه موجة أدبية لا يشعر بها إلا من منحه الله ذلك الإحساس الفنى والشعور الأدبى .

وكيف نستكثر على الرسالة واتجاهها هذا اللون الإنشائى وهى قد مهدت الطرق لرفع مستوى الأسلوب الفنى فى مصر والأقطار العربية ؟ وإنى لا زلت أتذكر جيداً كلمة أستاذنا محمود البشبيشى فى موضوع الرسالة ، وقد كان يدرس لنا الإنشاء إذ قال إن الرسالة حملت عبء مدرس الإنشاء فى المدارس العالية ، وقد كان الدرس ينوء بحملها

وقد استرعت تفكيرى أمور فى مقال الأستاذ شلبى لا يحسن السكوت عليها ، فقد ذكر أن السيد جمال الدين ولد فى قرية (أسعد أباد من قرى كنر) ولا أعلم من أين أخذ الأستاذ هذه المعلومات فى حياة هذا الفيلسوف العظيم . وعلى فرض أنه استند إلى جريدة أو مجلة فإن قراء الرسالة لا يغتفرون له هذا الاستناد بل يرجون منه ومن غيره تحقيقاً وتمحيصاً فإن آذانهم مرهفة ، وأبصارهم شاخصة لكل ما يكتب فى الرسالة

وكان الواجب على الأستاذ أن يطلع على الكتاب الذى أصدره منذ سنيات عن السيد جمال الدين ومحمد على الكبير مساعدُ أستاذ فى الجامعة الأمريكية ببيروت باللغة الفارسية واسم الكتاب (مودان نامى شرق) فهذا الكتاب منجم ثرى لمن أراد الكتابة عن السيد جمال الدين وفيه مراسلات جميلة وطريفة بينه وبين العالم السيد مرزا حسن الشيرازى

أما ولادته ففى قرية (أسداباد من قرى همدان) لا فى قرية (أسعد أباد من قرى كنر) وفى هذه القرية اليوم مدرسة اسمها (الجمالية) تخليداً لذكرى السيد جمال الدين

ودراسته الأولى كانت على والده ثم رحل إلى النجف ، وله فيها حتى الآن أصهار وأقارب . وإذا أراد الأستاذ التعرف إلى أقاربه فإنى أحيله على الأستاذ المحامى السيد صادق كمونة فى النجف فهو خير من يعرف عنهم

أما قبره ففى تركيا وقد كان مهجوراً دارساً إلا أن المستر كراين الأمريكى تبرع لبنائه لما زار تركيا . وللأستاذ شلبى منى ألف تحية .

(بغداد) عبد الكريم الدجيلى
المدرس بدار المعلمين الابتدائية

في يوم ٢٦ يونيه سنة ٩٤٣ الساعة ٦ أفرنكي صباحا كطلب عبد الغني عبد الواحد خير الله والست خديجة أحمد الروبى من زاوية الكرادسة فيوم سيباع علنا زراعة قمح ملك الشيخ سليمان أحمد الروبى والشيخ روبى أحمد الروبى من زاوية الكرادسة مركز الفيوم وفاء لسداد مبلغ ٣٣٠م ٩٢١ج قيمة المحكوم به والمصاريف خلاف النشر نفاذا للحكمين ن٥٣٠٢ سنة ٩٣٦ كلى بنى سويف ورقم ١٦ سنة ٩٩ قضائية استئناف مصر فعلى راغب الشراء الحضور للمزايدة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 519

Lundi - 14 - 6 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥١٩ «القاهرة في يوم الإثنين ١١ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٤ يونية سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة

٤٦١ المرأة والفن ... . : الأستاذ عباس محمود العقاد
٤٦٤ الاجماع وثبوت العقيدة .. : الأستاذ محمود شلتوت ...
٤٦٧ الحديث ذو شجون : هنا نقرأ الرسالة . تمثال سعد باشا منارة أبي العباس . عهود ومواثيق . ... : الدكتور زكي مبارك .. ...
٤٧٠ المسرح في أوربا بين حربين : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٤٧٣ عبد الحميد الديب ... ... شاعر البؤس والفاقة والحرمان : الأستاذ علي متولي صلاح ...
٧٦ الأحلام ... . : للفيلسوف الفرنسي «برجسون» بقلم الأستاذ ألبير نادر ...
٤٧٨ روسيا والثقافة العربية ... : ... .
٤٧٨ مشكلة النظافة في مصر .. : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٧٩ ديوان «زهر وخمر» ... : الأديب زكريا إبراهيم ..
٤٨٠ «محمد بن عبد الوهاب» .. : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٤٨٠ نداء ... . : الأستاذ سراج الدين ... ...

المـــرأة والفن

للأستاذ عباس محمود العقاد

ليس أكثر من المرأة في هذه الدنيا

وليس أخطأ ولا أضل مع هذا من الكلام عنها بين الرجال والنساء على السواء

كأنهم يتكلمون جميعاً عن «عينة» نادرة في بقعة من بقاع الأرض النائية ، أو عن بقية من مخلفات العصور الأولى في قارورة مغلقة عليها ، أو كأنما هذه المرأة التي نحسبها آدمية — كما قال بعض العلماء — إن هي إلا أنثى حيوان داثر تغلب عليه الإنسان وانتزعها منه لفاقة أصابته في نسائه . وليست هي في النوع الإنساني بالأنثى الأصيلة فيفهمها الرجل وتفهمه كما يتفاهم الزوجان من جنس واحد

وسر هذا الخطأ والضلال فيما نرى هو أن المرأة خلاصة الحياة الحسية كلها ، فلا محيص من الخطأ فيها إذ لا محيص في الحياة الحسية من التجدد والتناقض ، ومن رؤية الشيء الواحد على شتى الوجوه ، حسبما تعرضه لنا المناسبات والطوارق التي لا يضبطها عنان

ومن أكثر الأهداف عرضة للخطأ في موضوع المرأة كلام الناس عن نصيبها من الفنون الجميلة ونصيب الفنون الجميلة

منها . نلمح ذلك كلما كتبنا عن المرأة ووحى الفن ، أو المرأة وحقيقة الجمال ، أو المرأة والشعر والشعراء ، ولمحناه فى العهد الأخير بعد مقالنا فى الرسالة عن « بيفردج والمرأة » حيث نقول إن النساء روائيات مجيدات وشاعرات مقصرات ؛ لأن الشعر ابتكار واقتدار على الإنشاء ، وليست المرأة مشهورة بالابتكار حتى فى صناعاتها الخاصة بها كالطهى وصناعة الملابس والتزيين ، وزدنا فقلنا : إن الشعر وأساسه الغزل « هو وسيلة الرجل لمناجاة المرأة ، وقد تعودت المرأة بفطرتها أن تكون مطلوبة مستمعة فى هذا المجال . فهى لا تحسن الشعر كما يحسنه الرجل ، وعلى هذه السنة تجرى جميع الذكور فى أنواع الحيوان حين تسترعى أسماع الأناث بالغناء أو الهتاف والنداء

قلنا هذا فلم نر أكثر من المستغربين أن تكون المرأة عالة على الشعر وهى مصدر وحيه إلى الشعراء فيما يقولون . مع أن المسألة هنا مسألة واقع محسوس وعلة معقولة ، وليست مسألة فروض أو مذاهب تفكير . فنحن نقول : إن إجادة المرأة للشعر نادرة فى آداب الأمم قاطبة ، فمن شك فى ذلك فعليه أن يذكر أسماء الشواعر الكثيرات اللوائى يكذبن ما نقول من ندرتهن فى الآداب العالمية . فأين هن أولئك الشواعر الكثيرات المجيدات ؟

لا يزدن على الأربع أو الخمس عداً فى آداب العالم من قديمها وحديثها . وفى إجادتهن للشعر مع هذا شك كثير يطول فيه الخلاف ، وإن بطل الخلاف فى إجادتهن فأيسر الأشياء أن ترد هذه الإجادة إلى شذوذ فى بعضهن يلحقهن بالرجال ، ولا يقصرهن على طبائع النساء

ونحن نقول إن علة القصور الذى يلاحظ على المرأة فى ميدان الشعر أنها لا تحسن الابتكار والإنشاء حتى فى صناعاتها الخاصة بها كالطهى وصناعة الأكسية والزينة . فمن شك فى ذلك فعليه أن يقول لا : بل تحسن المرأة هذه الصناعات ولهذا تتقدم الطاهيات على الطهاة ، وتتقدم مخترعات الأزياء على مخترعيها ، وتتقدم المشتغلات بالتجميل على المشتغلين به ، ولا سيما فى العصر الحديث

فهل يقول ذلك القول أحدٌ وله سند من الواقع الذى نراه كل يوم ؟

إن الواقع الذى نراه كل يوم هو أن الطهاة المقتدرين أكثر جداً من الطاهيات المقتدرات ، وإن اختراع الرجال للأزياء وأدوات الزينة أكثر جداً من اختراع النساء ، وإن معاهد التجميل لا تعتمد على فنون النساء كما تعتمد على فنون الرجال . ولو انعكس الأمر لما كان عجباً للوهلة الأولى مع المتبادر إلى الأذهان من اختصاص المرأة بهذه الصناعات .

* * *

ونحن نقول إن الشعر أساسه الغزل ، وإن الغزل من عمل الرجل وليس من عمل المرأة . لأن المرأة خلقت مطلوبة تستمع النداء فتجيبه ، وسنتها هذه هى السنة التى تجرى عليها جميع الذكور فى أنواع الحيوان حين تسترعى أسماع الأناث بالغناء أو الهتاف والنداء

فمن شك فى ذلك فسبيله أن يقول لا : بل هناك باب من الشعر هو أحق من الغزل بأن يكون أساساً للشعر كله ، وهو أقرب إلى ملكات المرأة منه إلى ملكات الرجل

وسبيله أيضاً أن يقول لا : بل الأناث هى التى تدعو الذكور وليست الذكور هى التى تدعو الأناث

فأما والقول بذلك بعيد التصديق بعيد المرجع والبرهان فليكن الواقع إذن عمدتنا فى نصيب المرأة من الفنون ، ولا يكن عمدتنا الفرض والظن والجدل الذى يحيط بالفروض والظنون .

* * *

والواقع ينتهى بنا إلى حصر الفن الأنثوى فى مجالين اثنين نصيبهما من التقليد والمحاكاة أكبر من نصيب الابتكار والإنشاء ، وهما مجال الرواية ومجال التمثيل

أما الرواية فالذى نرجو كما قلنا : « إن المرأة تحسن كتابتها لأنها مطبوعة على الفضول والاستطلاع والخوض فى أسرار العلاقات بين الرجال والنساء والإطالة فى أحاديث هذه الأسرار مع الاشتياق والتشويق ، وهذا كله معدن الرواية الذى تصاغ منه ، وهو جوهر من جواهرها قد يغنيها عن المزايا الأخرى من تحليل وتعليل وإبداع ، فى الوصف والتمثيل »

وأما التمثيل فالإجادة فيه قائمة على قدرتين أو على نوعين من القدرة لا على نوع واحد : قدرة الخلق والإنشاء كأنما يخلق

الممثل حياة بطله مستمداً لها عناصر الخلق من حياته . فهو لا يحاكى رجلاً بعينه رآه أو قرأ وصفه وعرف سيماه من الصور والتماثيل ، وإنما يعمد إلى صفات هذا الرجل فيفرغها فى بوتقة من حسه وخياله ويخرجها من هنالك إنساناً حياً جديداً لا موضع فيه للمحاكاة والتقليد

والقدرة الأخرى هى قدرة التقليد والتصنع وسهولة اتخاذ المظاهر والألوان على حسب الدواعى والبيئات ، وهـذه القدرة فى المرأة على أوفى نصيب ، فهى مطبوعة على التصنع والمداراة وإظهار الحب فى موضع البغض والتمنع فى موضع الإقبال ، وهى تتلقى الأحاسيس التى توائم طبيعة الأنوثة لأنها مستغرقة فى الحس طوال حياتها فلا يجهدها كثيراً أن تحضر على المسرح إحساساً من الذى جربته أو تقدر على تجربته فى عالم الحقيقة

ولهذا نبغ فى العالم روائيات وممثلات ، وإن لم يعرف عن ممثلة نابغة أنها خلقت دوراً من محض خيالها وتفكيرها كما يتفق لنوابغ الممثلين من الرجال

* * *

أما الشعر فلم يكثر فيه نبوغ النساء لما قدمناه من الأسباب ، بل هن لم ينبغن فيه حتى فيما هو أقرب إليهن وأحرى أن يتفوقن به على الرجال

خذ مثلاً لذلك شعر الرثاء وهو أقرب إلى المرأة التى تطيل الندب والعويل على موتاها . فهل فى آداب العالم كله شاعرة رائية تفوق بالرثاء طاقة الشعراء من الذكور !

الخنساء التى يضربون بها المثل بين الشواعر لا تخرج من ديوانها بأكثر من أبيات متفرقات فى بكائها على أخيها قلما ترتقى إلى منزلة الشعر الجيد السيار ، وما عدا ذلك من قصائدها العديدة فكله تكرير وترديد وإعادة وإبداء فى معنى واحد ، بل فى ضرب من القول واحد لا يصح أن يقال عنه إنه معنى من معانى القريحة والخيال

وعلى إدمان المرأة البكاء والرثاء لم توجد قط رائية بلغت فى هذا الباب ما بلغه رجل كالشريف الرضى فى رثاء أمه ، أو رجل كابن الرومى فى رثاء أولاده ، أو رجل كالمعرى فى رثاء أصدقائه ، سواء وجهنا إلى وصف الشعور أو إلى معانى الحكمة ومعارض الاعتبار

وإذا كان هذا شأن البكاء والرثاء فما بالك بالمطالب الأخرى التى لا تقترب من طبائع المرأة هذا الاقتراب

* * *

وقد يظن أن التصوير مخالف للفنون الأخرى فى هذا القياس لأن النقش والتطريز من معدن واحد على ما يخيل إلى بعض الناظرين ، وللمرأة حظ من إجادة التطريز والوشى قد تضارع به حظوظ الرجال فى هذه الصناعة الآلية

ولكن الحقيقة بعيدة مما يتخيله هؤلاء الناظرون ، لأن التصوير كالتمثيل يعتمد أيضاً على نوعين من القدرة لا على نوع واحد ، وهما الخلق والتقليد

فأما التقليد فهو لا يعدو صبغة الألوان وظاهر الأشكال ، وقد يتاح للمرأة أن تجيد نقل الألوان ومحاكاة الأشكال فيقال إذن إنه تطريز بالريشة يجرى على منوال التطريز بالإبرة ولا يزيد

وأما الخلق فهو صوغ المرئيات فى بوتقة النفس والخيال ثم إعادتها على اللوحة صورة نفسية خيالية ليس نصيب العين منها إلا نصيب الأداء والإبلاغ

وهذا هو الجانب الذى لم تنبغ فيه المرأة بين المصورين ، ولا نحسب أننا عرفنا مثلاً هاماً من الأمثلة الدالة على إجادتها فيه

وفحوى هـذا جميعه أن المرأة موضوع حسن للفن وأهله ، وأنها قد توحى إلى أهل الفن معانى يرتفعون بها إلى مراتب النبوغ ، ولكن الموضوع لا يخلق شيئاً إلا بخالق ، ولو جاز أن يكون إيحاء المرأة للفن حجة على نبوغها الفنى لجاز كذلك أن تنبغ البساتين والبحار وكواكب السماء مثل هذا النبوغ

واستحضار هذه الحقيقة لازم جد اللزوم فى عصرنا هذا ، لأننا نسمع المذاهب الاجتماعية حولنا تمارى على حسب أهوائها ومراميها فى تقويم الجنسين بين قائل بالتشابه الكامل وقائل بالفوارق والمزايا التى يقتضيها توزيع العمل واطراد الخلق فى طريق التخصيص والامتياز ، ورأينا نحن أميل إلى هذا المذهب القائل بالفوارق والمزايا ، لأنه الحق الواضح أمامنا ، ولأنه العـدة التى ندرع بها أذهاننا للقاء فوضى المذاهب التى فيهـا الضير أكبر الضير على المجتمع الإنسانى وخلائق الإنسان

عباس محمود العقاد

الاجماع وثبوت العقيدة

للأستاذ محمود شلتوت

آراء العلماء فى الاجماع : حقيقته وحجيته وما يكون فيه — شيوع حكاية الاجماع فى المسائل الخلافية وسببه — الاجماع عند المحققين — تطبيق

نظرنا — على ضوء المبادىء العامة لثبوت العقيدة — نظرتين فى الآيات والأحاديث التى زعموا أنها تدل دلالة قاطعة على حياة عيسى الآن ونزوله آخر الزمان ، وبينا مدى ما تفيده الآيات والأحاديث فى ذلك ، وبقى أن ننظر النظرة الثالثة فيما زعموا من إجماع فى هذا المقام

ويحسن بنا — جريا على ما اتبعناه فى هذه البحوث — أن نقدم للقراء العلميين مقدمة إجمالية تصور لهم موقف العلماء من الإجماع : حقيقته ، وحجيته ، وما يكون فيه من أحكام ، ثم نتبع ذلك بما نريد من إبطال زعمهم الذى يزعمون

إنى لا أكاد أعرف شيئاً اشتهر بين الناس أنه أصل من أصول التشريع فى الإسلام ، ثم تناولته الآراء واختلفت فيه المذاهب من جميع جهاته كهذا الأصل الذى يسمونه «الإجماع»

فقد اختلفوا فى حقيقته : فمنهم من رأى أنه « اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى عصر من العصور على حكم شرعى » ، ومنهم من رأى أنه « اتفاق أكثر المجتهدين فحسب » ومنهم من ذهب إلى أنه اتفاق طائفة معينة » فلا يعد اتفاق غيرها إجماعا . ثم اختلف هؤلاء فى هذه الطائفة مَن هى ؟ فقيل « الصحابة » وقيل « أهل المدينة » وقيل « أهل البيت » وقيل « الشيخان : أبو بكر وعمر » وقيل « الأئمة الأربعة » الخ

واختلف الذين قالوا بالجميع : هل الإجماع بهذا المعنى ممكن متصور الوقوع ، أو هو غير ممكن لأن الاجتهاد ليس له مقياس بارز متفق عليه بين العلماء ، ولأن المجتهدين غير محصورين فى بلد واحد أو إقليم واحد ؟

واختلف الذين قالوا بإمكانه وتصور وقوعه : هل يمكن معرفته والاطلاع عليه أولا ؟ وممن روى عنه المنع الإمام أحمد رضى الله عنه إذ يقول فى إحدى روايتين عنه : من ادعى وجود الإجماع فهو كاذب

واختلف الذين قالوا بإمكان معرفته والاطلاع عليه : هل هو حجة شرعية فيجب العمل به على كل مسلم أو ليس حجة شرعية فلا يجب العمل به ؟

واختلف الذين قالوا إنه حجة شرعية : هل ثبتت حجيته بدليل قطعى يكفر منكره ، أو بدليل ظنى فلا يكفر ؟ وهل يشترط فى وجوب العمل به أن ينقل إلينا بالتواتر أو يكفى أن ينقل ولو بالآحاد ؟ وهل يشترط أن يبلغ المجمعون عدد التواتر أو لا يشترط ؟ وهل يشترط أن يصرح الجميع بالحكم مشافهة أو كتابة ، أو لا يشترط فيكفى تصريح بعضهم وسماع الباقين مع سكوتهم ؟ ...الخ

وكما اختلفوا فى حقيقته وفى حجيته اختلفوا فيما يكون فيه من أحكام : فقال قوم : إنه حجة فى العلميات والعمليات جميعاً . وقال غيرهم : إنه حجة فى العمليات فقط . ومن ذلك كله يتبين أن حجية الإجماع فى ذاتها غير معلومة بدليل قطعي فضلاً عن أن يكون الحكم الذى يثبت به معلوماً بدليل قطعى فيكفر منكره .

* * *

ولعل اختلاف العلماء فى الإجماع على هذا النحو يفسر لنا ظاهرة منتشرة فى كتب القوم وهى حكاية الإجماع فى كثير من المسائل التى ثبت أنها محل خلاف بين العلماء ، وذلك من جهة أن كل من حكي الإجماع فى مسألة هى محل خلاف قد بنى حكايته على ما يفهمه هو أو يفهمه إمامه أو الطائفة التى ينتمي إليها فى معنى الإجماع وما يكفى لتحققه

وعلى الرغم من ظهور السبب فى تلك الظاهرة قد تأثر بها كثير من المتأخرين فخضعوا لها ، وتوسعوا فيها تأييداً لآرائهم فى المسائل الخلافية : فتجدهم فى علم الفروع يحكون الإجماع على إلزام الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ، وعلى تحريم لحم الخيل ، وعلى حل أكل الضب ، وغير ذلك . وتجدهم فى علم أصول الأحكام يحكون الإجماع على العمل بخبر الواحد ، وعلى تقديم الإجماع على النص عند التعارض ، وعلى العمل بالقياس . وتجدهم فى علم الكلام يحكون الإجماع على رؤية الله بالأبصار ، وعلى ظهور المهدى والدجال ونزول عيسى ، وما إلى ذلك من المسائل العلمية والعملية التى ثبت فيها الخلاف ولم تكن محل قطع وإجماع ،

ولقد كان فى وسعهم أن يقيدوا ذلك بالإجماع الطائفى أو المذهبى ولكنهم قصدوا أن يرسلوا كلمة الإجماع ليسجلوا على المخالف لوازمها الشائعة بين الناس : من مخالفة سبيل المؤمنين ، ومشاقة الله ورسوله ، وخرق اتفاق الأمة ، إلى غير ذلك مما يتحرجه المسلم ويخشى أن يعرف به عند العامة . وكثيراً ما نراهم يردفون حكايتهم للاجماع بقولهم : « ولا عبرة بمخالفة الشيعة والخوارج » أو « بمخالفة أهل البدع والأهواء » أو « بمخالفة المعتزلة والجهمية » ونحو ذلك مما يخيفون به ، وبهذا امتنع كثير من العلماء عن إبداء رأيهم فى كثير من المسائل التى هى محل خلاف ضناً بسمعتهم الدينية ، فوقف العلم ، وحرمت العقول لذة البحث ، وحيل بين الأمة وما ينفعها فى حياتها العملية والعلمية . ونحن معشر الأزهريين لا ننسى شيوع القول بحرمة الاشتغال بالعلوم الرياضية والكونية والحكم بالزندقة والإلحاد على من شذ فتعلمها أو أباح تعلمها !

وفى مثل هؤلاء الذين يحكون الإجماع فى مواضع الخلاف يقول ابن حزم : « ويكفى فى فساد ذلك أنا نجدهم يتركون فى كثير من مسائلهم ما ذكروا أنه إجماع ، وإنما نحوا إلى تسميته إجماعا عناداً منهم وشغباً عند اضطرار الحجة والبراهين إلى ترك اختياراتهم الفاسدة »(١)

* * *

وقد كشف جهابذة العلماء عن حقيقة الإجماع التى تسمو عن الخلاف والتى هى حجة ملزمة عند الجميع ؛ قال الشافعى : « ولست أقول ، ولا واحد من أهل العلم : هذا مجمع عليه ، إلا لما لا تلقى عالماً أبداً إلا قاله لك ، وحكاه عمن قبله ، كالظهر أربع ركعات وكتحريم الخمر وما أشبه هذا »(٢) . وقال ابن حزم : « وصفة الإجماع هو ما تيقن أنه لا خلاف فيه بين أحد من علماء الإسلام ونعلم ذلك من حيث علمنا الأخبار التى لا يتخالج فيها شك مثل أن المسلمين خرجوا من الحجاز واليمن ففتحوا العراق وخراسان ومصر والشام ، وأن بنى أمية ملكوا دهراً طويلاً ثم ملك بنو العباس ، وأنه كانت موقعة صفين والحرة وسائر ذلك مما يعلم بيقين وضرورة »(٣)

(١) مراتب الاجماع
(٢) رسالة الشافعى
(٣) مراتب الاجماع

ولا يخفى أن معنى ما ذكره الشافعى وابن حزم أن الإجماع لا يكون إلا فيما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وفيما كان طريق العلم به هو التواتر الذى يفيد قطعية الورود وانتفاء الريب ، فهذا هو الإجماع الذى تتم به الحجة ولا يصح أن يخالف ، ولا ريب أن العمل فى مثل هذا لا يكون عملاً بالإجماع من حيث هو إجماع وإنما هو عمل بما تلقته الكافة عن الكافة مما لا شبهة فى ثبوته عن صاحب الشرع ، وأن الإجماع فيه لم يكن إلا أثراً من آثار الثبوت على هذا الوجه فلا يكون مصدراً له ولا أصلاً فى ثبوته

ومن هنا قرر العلماء أن منكر حجية الإجماع لا يكفر فى حين أنهم حكموا بالكفر على من أنكر المجمع عليه

هذا وقد رأى بعض الباحثين أن الإجماع الذى كان يرجع إليه ويجرى على الألسنة فى الصدر الأول حيث لا نص هو إجماع بمعنى آخر غير هذا الإجماع الذى اصطلح عليه الأصوليون واشتهر بين الناس أنه حجة شرعية ، واعتمدت عليه عصور التقليد فى سد باب الاجتهاد ، وعصور التعصب فى الرمى بالتضليل والتفسيق والخروج عن سبيل المؤمنين . ونرجو أن تهيأ لنا فرصة قريبة نشرح بها نظرية هؤلاء الباحثين ونبين ما لها من الآثار الطيبة المباركة على الشريعة وعلى الأمة الإسلامية.

* * *

نعود بعد هذا إلى موضوعنا فنقول : إن الذين ذهبوا إلى حجية الإجماع لم يتفقوا على شىء يحتج به فيه سوى الأحكام الشرعية العملية ، أما الحسيات المستقبلة من أشراط الساعة وأمور الآخرة فقد قالوا : « إن الإجماع عليها لا يعتبر من حيث هو إجماع لأن المجمعين لا يعلمون الغيب ، بل يعتبر من حيث هو منقول عمن يطلعه الله على الغيب ، فهو راجع إلى الإخبارات فيأخذ حكمها ، وليس من الإجماع المخصوص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم لأن الحسى المستقبل لا مدخل للاجتهاد فيه ، فإن ورد به نص فهو ثابت به ولا احتياج إلى الإجماع ، وإن لم يرد به نص فلا مساغ للاجتهاد فيه »(١) وعلى هذا تخضع جميع الأخبار التى تتحدث عن أشراط الساعة ومن بينها نزول عيسى إلى مبدأ القطعية والظنية فى الورود والدلالة ، وقد سلف بيان ذلك فى موضوع « السنة وثبوت العقيدة »

(١) التحرير

وعلى فرض أن أشراط الساعة مما يخضع للاجماع الذى اصطلحوا عليه نقول : إن نزول عيسى قد استقر فيه الخلاف قديماً وحديثاً :

أما قديماً فقد نص على ذلك ابن حزم فى كتابه « مراتب الإجماع » حيث يقول : « واتفقوا على أنه لا نبي مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا بعده أبداً ، إلا أنهم اختلفوا فى عيسى عليه السلام : أيأتى قبل يوم القيامة أم لا ؟ وهو عيسي بن مريم المبعوث إلى بنى إسرائيل قبل مبعث محمد عليه السلام » كما نص عليه أيضاً القاضى عياض فى شرح مسلم ، والسعد فى شرح المقاصد ، وقد سقنا عبارته فى البحث السابق وهى واضحة جلية فى أن المسألة ظنية فى ورودها ودلالتها !

وأما حديثاً فقد قرر ذلك كل من الأستاذين المغفور لهما : الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ، وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى :

فالشيخ عبده رضى الله عنه يذكر وهو بصدد تفسير آية آل عمران « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ » « أن للعلماء هنا طريقتين : إحداها وهى المشهورة أنه رفع بجسمه حيًّا وأنه سينزل فى آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى ... والطريقة الثانية أن الآية على ظاهرها ، وأن التوفى على معناه الظاهر المتبادر منه وهو الإماتة العادية وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح ... الخ » ثم يذكر « أن لأهل هذه الطريقة فى أحاديث الرفع والنزول تخريجين : أحدهما أنها آحاد تتعلق بأمر اعتقادى ، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي وليس في الباب حديث متواتر . وثانيهما تأويل النزول » بنحو ما سبق نقله عن شرح المقاصد[1]

وقد ورد على المغفور له السيد رشيد رضا سؤال من «تونس» وفيه « ما حالة سيدنا عيسى الآن ؟ وأين جسمه من روحه ؟ وما قولكم فى الآية (إنى متوفيك ورافعك) . وإن كان حيًّا يرزق كما كان فى الدنيا فمن يأتيه الغذاء الذى يحتاج إليه كل جسم حيوانى كما هى سنة الله فى خلقه ؟ » فأجابه السيد رشيد إجابة مفصلة عما سأل عنه نقتطف منها ما يأتى :

قال بعد أن عرض للآيات وآراء المفسرين فيها « وجملة القول أنه ليس فى القرآن نص صريح فى أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيا حياة دنيوية بهما بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى إلى غذاء فيتوجه سؤال السائل عن غذائه ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء وإنما هذه عقيدة أكثر النصارى وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها فى المسلمين » ثم تكلم عن الأحاديث وقال : « إن هذه المسألة من المسائل الخلافية حتى بين المنقول عنهم رفع المسيح بروحه وجسده إلى السماء.»[1]

أما فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى فقد كتب بمناسبة السؤال الذى رفع إلى فضيلته وكان سبباً فى فتوانا ، إجابة جاء فيها : « ليس فى القرآن الكريم نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه ، وعلى أنه حى الآن بجسمه وروحه . وقول الله سبحانه : « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا » الظاهر منه أنه توفاه وأماته ثم رفعه ، والظاهر من الرفع بعد الوفاة أنه رفع درجات عند الله كما قال فى إدريس عليه السلام : « ورفعناه مكاناً عليا » وهذا الظاهر ذهب إليه بعض علماء المسلمين فهو عند هؤلاء توفاه الله وفاة عادية ثم رفع درجاته عنده فهو حى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء . لكن جمهور العلماء على أنه رفعه بجسمه وروحه فهو حى الآن بجسمه وروحه ، وفسروا الآية بهذا بناء على أحاديث وردت كان لها عندهم المقام الذى يسوّغ تفسير القرآن بها » ثم قال فضيلته : « لكن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التى توجب على المسلم عقيدة ، والعقيدة لا تجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر » ثم قال : وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه السلام حى بجسمه وروحه ، والذى يخالف فى ذلك لا يعد كافراً فى نظر الشريعة الإسلامية »

هذه نصوص صريحة يقرر بها هؤلاء العلماء قديماً وحديثاً أن مسألة عيسى مسألة خلافية ، وأن الآيات المتصلة بها ظاهرة فى موته عليه السلام موتاً عادياً ، وأن الأحاديث الواردة فيها

(١) الجزء الثالث من تفسير المنار

(١) الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين للمنار

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

هنا تقرأ الرسالة – تمثال سعد باشا – منارة أبي العباس – عهود ومواثيق

هنا تقرأ الرسالة

بهذه الجملة هتفتُ حين سمعت النداء بالرسالة صباح الأحد فى شاطىء ستانلى ، وحين رأيت مع بائع الجرائد كمية من أعداد الرسالة لم أكن أنتظر أن أراها فى ذلك المكان . وقبل ذلك بيوم رأيت فى مكتب « بريد سيدى جابر » جماعة من أفاضل الموظفين يحدثوننى عن مقال أسيوط . ومن هذا وذاك فهمت أن المجلات التى تُعنَى بالأدب الصِّرف أخذت تسيطر سيطرة روحية على أكثر الميادين ، وكانت فيما سلف مقصورة على طوائف قليلة من الخواص

إن وصول المجلات الأدبية إلى الشواطىء له دلالة معنوية ، فهو شاهد على رقىّ الذوق ، ودليل على أن روّاد الشواطىء ليسوا جميعاً من اللاهين ، فقد ظهر أن فيهم من يتخير المكان الذى يقرأ فيه ، كما يتخير الكاتب المكان الذى يكتب فيه . والقراءة كالكتابة تحتاج إلى جوّ يسود فيه الجمال

أقمت بالشاطىء ساعتين مع جماعة من رجال الأدب ومحبيه ، فدار الحديث حول كثير من المعضلات ، ودار أيضاً حول اللآلىء المنثورة فوق الرمال ... وأُخِذتْ صور ، وأُنشِدتْ قصائد ، وتجاوبتْ عيونٌ وقلوب

ثم أنظر فأرى رجلاً ملء العين والقلب يشرِّف الشاطىء ، وهو سعادة الأستاذ الجليل محمد العشماوى بك ، فيقع هذا السجال :

– ما ذا تصنع هنا يا دكتور مبارك ؟

– جئت أحاول إتمام الصنيع الذى بدأته قبل أربع سنين

– وما ذلك الصنيع ؟

– هو تأليف كتاب عن « أدب الشواطىء »

– وما أساس الفكرة فى ذلك الكتاب ؟

– أساس الفكرة أن المصريين أنشأوا فنًّا جديداً فى الأدب العربى هو أدب الشواطىء ، وقد يكون ابتكارهم لهذا الفن جديداً بالنسبة لسائر الآداب

– تريد أن تقول إنه فنٌّ لم يوجد فى الفرنسية أو الإنجليزية مثلاً ؟ ...

– هو ذلك ، مع الاعتراف بأن لشعراء فرنسا وانجلترا أفانين متصلة بالحياة البحرية ، ولكنها تخالف إحساس المصريين بالشواطىء فى مواسم الاصطياف

– وهل تفردت الشواطىء المصرية بخصائص ؟

– هذا مؤكد ، فأنت لا تستطيع أن تحدد موعد لقاء على شاطىء فرنسى أو انجليزى بعد أسابيع ولا بعد أيام ، لأن الطبيعة هنالك مفطورة على التقلب ، أما فى مصر فتستطيع أن تحدد موعداً على أحد الشواطىء بعد سنة أو سنتين ، لأن جو مصر مفطور على القرار والاطمئنان

– إن كان الأمر كذلك فكيف تأخر أدب الشواطىء فى مصر ، ولم نر له بوارق فيما مضى من العهود ؟

– بدعة الاصطياف على الشواطىء بدعةٌ حديثة العهد فى الشرق والغرب

– تَعنِى أنها لم توجد قبل أن يوجد الشيخ أبو العيون ؟

أحاديث آحاد لا تثبت عقيدة وهى مع هذا تحتمل التأويل ، وأنه لا تكفير لمسلم بإنكار رفع المسيح أو نزوله ، فأين مع هذا كله ما يدعونه من إجماع ؟

ولعلنا ، بعد إظهار فتوى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، نستريح من لغط بعض العلماء الرسميين الذين عرف عنهم أن تمسكهم بالرأى وما يزعمون أنه دين ليس إلا بمقدار جهلهم برأى فضيلته «وهو شيخ الجامع الأزهر» فإذا ما عرفوا رأيه وهو شيخ الجامع الأزهر خلعوا أنفسهم من ربقة رأيهم الأول وسارعوا إلى اعتناق رأيه بل تسابقوا فى توجيهه وتأييده « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا »

محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء

حاشية : لعل الأستاذ الفاضل « دسوقي ابراهيم » قد وجد فى بحثنا السابق « السنة وثبوت العقيدة » وفى بحثنا هذا جواب ما سألنا عنه فى بريد الرسالة بالعدد الماضى ، وله منا الشكر والتحية .

— الشيخ أبو العيون وجد قبل قرون !

— متى ؟

— وُجد باسم السخاوى

— وكيف ؟

— كان السخاوى مولعاً بعدّ هفوات ابن خلدون ، فطاب له أن يدون فى كتاب « الضوء اللامع ، فى أعيان القرن التاسع » أن ابن خلدون كانت له جولات فى الشاطئ السكندرى أيام الصيف

وما معنى هذا ؟

— معناه أن شواطئ الإسكندرية كانت مراتع صبوات فى ذلك الزمان

— وهل قال ابن خلدون شعراً أو نثراً فى الشواطئ ؟

— حكاية ابن خلدون غريبة جداً

— وما وجه الغرابة فى حكاية ابن خلدون ؟

— حدثنا الأستاذ محمد المهدى بك فى إحدى محاضراته بالجامعة المصرية سنة ١٩١٧ أن السفينة التى أقلت ابن خلدون من تونس إلى الإسكندرية غرقت وهى مشرفة على الشاطئ ، فهلك أهله وأصحابه ، ونجا بعد أن كاد يمسى من المغرَقين

— وإذن تكون جولات ابن خلدون على شواطئ الإسكندرية مناجاة لتلك الأرواح ، وهذا معنَى جهله السخاوى ولن يجهله أبو العيون

— فى هذا الكلام لواعج ذاتية ، فهل كان لك مع شواطئ الإسكندرية تاريخ ؟

— كان ذلك أيام الاعتقال

— هل اعتُقِلْتَ يا دكتور ؟

— قال ناسٌ إنى كنت من خطباء الثورة المصرية ، وإننى استصبحت بغياهب الاعتقال

— وأنا أيضاً لم أسمع به قبل اليوم

— تلك إذن دعابة من دعاباتك ؟

— هى دعابة من دعاباتى ، بلا جدال ، ولكن لها عقابيل

— لا تؤاخذنى يا دكتور فى جهل هذا الجانب من حياتك

— أى جانب ؟ أنا أمزح !

— وأنا أحب أن أسمع هذا المزاح

— دخلت الإسكندرية أول مرة فى سيارة مغلقة من سيارات الجيش البريطانى ، دخلتها بعد انتصاف الليل وفى أعنف وقت من قسوة الشتاء ، فاجتهدت فى زحزحة الأحجبة عسانى أرى وجهاً من وجوه الحياة فوقع نظرى على غابة من النخيل

— وأين كان المعتقَل فى الإسكندرية ؟

— لا أدرى أين ! كنا فى «سيدى بِشْر» ، ولكن أين ؟

— هل فكرت فى التعرف إلى مكان الاعتقال ؟

— فكرت وفكرت ، ولكنى لم أستطع الاهتداء إليه ، برغم الشوق إلى المكان الذى أودعت فيه ذخائر شبابى

— هذه رموز تحتاج إلى تفاسير

— كنت بطل البحر فى ذلك العهد ، ولعلنى أول سابح عرفته البحار على نحو ما كنت

— وكيف ؟

— كنت أثبتُ قدمىّ فى الماء بصورة لا تختلف عمن يثبت قدميه فوق الجبال ، وكان من المستحيل أن أتزحزح ولو صارعنى أمهر السابحين ، فأين الماضى الجميل لعهد فتوّتى وشبابى ؟ أنا اليوم أزور الشاطئ زيارة الطيف ، وكل ماضىّ فيه أننى أنقذت من الغرق جماعة فيهم فلان ، وهو مخلوق لا يؤذيه أن يُذكر فضلى عليه وبعض الناس يكربهم الوفاء !

— وبمثل هذه الخواطر تزور هذا الشاطئ ؟

— ينبغى أن أقول كلاما من هذا الطراز ، ليندى الناس أننى قلت فيه :

رعاه الحب من شطٍّ جميل ... خفيف الروح مصقولٍ أنيقِ
بهىّ الرمل تحسبهُ سُجُوفا ... مطرَّزةً بحبات العقيق
أطوف به فيغلبنى خشوعى ... كأنى طفت بالبيت العتيق

— هذه شيطنة شعراء !

— وماذا يصنع الملائكة لو طافوا بهذه الشواطئ ؟ هل ينسون أن الله هو الذى جمَّل هذه الخلائق ؟ هل ينسون أن أعظم نعمة من نِعم الله هى نعمة الجمال الوهّاج ؟ هذه الشواطئ كنوزٌ أتحف الله بها هذه البلاد ، فلنشكر لله هذه التحفة الغالية ، ولنسأله أن يجعل أيامنا مواسم لشيطنة الشعراء

ثم انتقل الحوار إلى مسائل سأعود إليها بالتفصيل بعد حين

تمثال سعد باشا

أعجب ما يقع في مصر أن يفاجأ الجمهور بأشياء لم يؤخذ فيها الرأى ، كالذى وقع في تمثال سعد باشا زغلول ، وإلا فمن يذكر أن تمثال سعد أخذت فيه الآراء قبل أن يقام في القاهرة والإسكندرية على ذلك الوضع الغريب ؟

قاعدة التمثال يعاب عليها ما يعاب على قاعدة التمثال القائم بميدان باب الحديد ، فهى مرتفعة بطريقة لا تخلو من عنجهية

والتمثال نفسه سيىء التعبير فى أكثر نواحيه ، فمزية سعد باشا تتمثل فى يده الشمال ، وقد أرخيت يمناه بصورة لا تليق

وهنالك لوحة جانبية تفرض على سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى أن يقدموا مطالب الأمة إلى رجل قاعد وهم وقوف ، فهل كان السير ونجت قاعداً وهو يستقبل أولئك الرجال ؟

وفى هذه اللوحة يقف عبد العزيز فهمى وقفة غير مقبولة ، فما الموجب لذلك ؟

وهنالك لوحة ثانية جانبية حمل فيها سعد على أعناق مريديه ، وقد برز نعلاه بروزاً يأباه الذوق

أعيدوا النظر فيما رسم على جوانب ذلك التمثال

منارة أبى العباس

قلت مرة إن منارة أبى العباس المرسى ستشهد بإسلام الإسكندرية حين تنار بعد الحرب ، وستكون على الشاطئ المصرى نظيرة لبرج « نوتردام دى لاجارد » على الشاطئ الفرنسى . والتنافس بين الإسلام والنصرانية سيمتد إلى آخر الزمان .

واليوم أذكر أن سعادة الأستاذ عبد الهادى الجندى باشا أسدى خدمة جليلة إلى الإسكندرية الإسلامية قبل أن يترك وزارة الأوقاف ، فقد كلف الأستاذ حسن السندوبى تأليف كتاب تفصل فيه أخبار أبى العباس وأخبار مريديه من الصوفية ، ليوزع على المصلين يوم يتفضل جلالة الملك بافتتاح ذلك المسجد البهيج

فما مصير ذلك الكتاب ، وقد راعنى ما فيه من تفاصيل ؟

أيهمل باستقالة الوزير الذى أشار بأن يؤلف ؟ أيوضع عليه اسم جديد إن كتب له البعث من مرقد وزارة الأوقاف ؟

إن معالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق فى غنى عمن يذكره بأن الإسكندرية الإسلامية منسية فى عالم التأليف ، فليس من الكثير أن يذاع كتاب يؤرخ عهداً يفوق فى الروحانية عهود اليونان والرومان ، وهو أيضاً فى غنى عمن يذكره بأن إسلام الإسكندرية ينتظر الإحياء

عهود ومواثيق

لم أسمح لنفسى يوماً بالراحة باسم المرض ، ولم أشك لغير الله ما يعترينى من التعب فى بعض الأحايين ، فكيف جاز أن أفكر فى الرجوع إلى القاهرة قبل أن أقضى فى الإسكندرية لحظات بين هدير البحر وظلام الليل ؟

وما ذا يقول أبنائى حين أرجع إليهم بعد يوم وأنا مكروب ؟

بينى وبين الله عهود ومواثيق ، والمهد بينى وبينه أن أقضى العمر ساجعاً فوق ما أبدع من أفنان الجمال ، فأنا واثق بأن العافية لن تضيع من يدى ، وهل يرضى الله أن أسجع سجع الجريح ؟

سأفارق الإسكندرية حزيناً هذه المرة ، وسأجد فى أصدقائى بها من يعتذر عنى ، فما عندى بسمات ولا ضحكات ألقاهم بها لقاء الحبيب المحبوب

سنلتقى حتما يا أحبابى ، وسنلهو معاً بمصارعة الأمواج ، وسنسير أحاديث تصغى إليها ضمائر السماء ، فمن المستحيل أن ينفصم ما بينى وبين الله من عهود ومواثيق

زكى مبارك

حكم فى القضية ٣١٩ سنة ٩٤٣ عسكرية شبرا بحبس محمد السيد خلاف ثلاثة شهور بالشغل وغرامة ١٠٠ جنيه والمصادرة والنشر والتعليق لحيازته خيوط غزل بقصد البيع بلا ترخيص

حكم فى الجنحة رقم ٩٧٢ عسكرية السيدة سنة ١٩٤٢ بحبس سيد على عبد لمدة أربعة شهور مع الشغل والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لبيعه زيت أمريكانى بأزيد من السعر المحدد

لكى ننتفع بتجاريب غيرنا

١ ـ المسرح فى أوربا

بين حربين

للأستاذ درينى خشبة

« تحية وشكرى للأستاذ الصديق زكى طليمات أحد الذين تدخرهم مصر لنهضتها المسرحية »

لم تمض سنوات قلائل بعد إذ وضعت الحرب الكبرى أوزارها حتى أخذ النقاد المسرحيون — ولا سيما فى أمريكا — يتلفتون حولهم ، ويتساءلون ماذا أصاب المسرح بعد الذى أصاب العالم من تقتيل وتخريب ؟ وقد ذهب كثير من النقاد الأمريكيين إلى أوربا يجوبون أطرافها ويدرسون أحوال المسرح فيها ، مارين بانجلترا بادىء الرأى ، حيث هالهم ما أصاب المسرح الإنجليزى من الانتكاس المؤلم ، وما عراه من الشعبذات التى لم تكن قط مما يروج فى سوقه ، أو ينفق فى ناديه ... ثم ذهبوا بعد ذلك إلى فرنسا ثم إلى إيطاليا ، فإلى بلجيكا ، فإلى ألمانيا وروسيا ... ثم عادوا أدراجهم إلى أمريكا ليكتبوا ، ولينقدوا المسرح الأوربى ، ولينشروا فى ذلك المؤلفات القيمة وغير القيمة ، ثم ليثنوا على هذا المسرح ، وليقدحوا فى ذاك ، مما أوجد فى أوربا رد فعل عظيم أرهف الآذان وفتح الأعين ، وكان سبباً فى حركة اصلاحية مباركة تضافرت جميع القوى فى القيام بها بالاشتراك بين الهيئات الحرة وجهات الاختصاص الحكومية

ولقد كان الناقدان الأمريكيان : كِنث ماك جوان ـ و ـ روبرت إدموند جونس فى مقدمة الذين ألفوا فى هذا الموضوع ، إذ أصدرا كتابهما الفذ المسمى : (البراعة الأوربية فى الإخراج المسرحى Continental Stage - craft الذى صرحا فيه بانحطاط المسرح الإنجليزى وتخلفه عن المسرح فى القارة الأوربية واضطرارهما إلى تجنب الكلام عنه وتناول الإخراج فيه تبعاً لذلك فى حين أنهما أثنيا الثناء العطر على المسرح الأوربى فيما عدا انجلترا من الممالك الأخرى . وقد جاء إلى أوربا ناقد أمريكى آخر هو الأستاذ ستارك يونج فجاب معظم ممالكها ، متفقداً حالة المسرح فى كل منها ، ثم عاد ليكتب فصوله البارعة فى مجلة أمريكا الشمالية N. A. Review وهى تلك الفصول التى أقامت انجلترا وأقعدتها لما صرح فيها بمثل ماصرح به الناقدان الأسبقان من مر القول عن المسرح الإنجليزى الذى انحط بكل عناصره جمهوراً وروايات وإخراجاً وغرضاً ، عن سائر المسارح فى أوربا . وقد انبرى للرد على هؤلاء النقاد الأمريكيين عدة كتاب من المشتغلين بالمسرح الإنجليزى وفى مقدمتهم الأستاذ جون إرفن St. John Ervine الذى ألف كتابه The Organised Theatre وقد جمع فيه ما ألقاه من المحاضرات عن المسرح الإنجليزى فى انجلترا رداً على المستر ستارك يونج وأضرابه ، ودفاعاً عن المسرح الإنجليزى وتاريخه العتيد . والذى حدا بنا إلى الاهتمام بما كتبه المستر أرفن هو انطباقه على المسرح المصرى انطباقاً يوشك أن يكون كاملاً ؛ مع أنه ألقى محاضراته سنة ١٩٢٣ ونشرها فى كتابه سنة ١٩٢٤ وقد تكلم فيه عن .

١ — المسرح الإنجليزى والمسرح الأوربى إجمالاً

٢ — جمهور النظارة من الإنجليز

٣ — انحطاط الدرامة الإنجليزية بعد الحرب الكبرى وتعليل ذلك

٤ — المسارح التجارية واضطرارها إلى النزول إلى مستوى الجماهير ، وعدم محاولتها إطلاقاً أن ترتفع بهم حتى لا يختل ميزانها الاقتصادى

٥ — نتائج الحرب الكبرى الاقتصادية والأخلاقية والفنية وأثر ذلك فى المؤلف والنظارة ، ومديرى المسارح والإنتاج المسرحى وفى الذوق العام للشعب الإنجليزى

٦ — موازنات طريفة بين الذوق الزراعى والذوق الصناعى والثقافة الزراعية والثقافة العمالية ... أى بين الريف والمدن

٧ — تطبيق هذه الموازنات على انجلترا فى عصر إليزابث وانجلترا فى القرن التاسع عشر إلى اليوم

٨ — العوامل التى تتحكم فى حياة المسرح بعد الحرب الكبرى

غير العوامل التي أنتجت العبقريات الخالدة في عصر إليزابث

٩ – نفقات الإخراج وإيجار المسارح وأجور الممثلين وأثمان الملابس والمناظر والإضاءة والدرامات مما يبهظ عاتق المديرين ويضطرهم إلى اعتبار العامل الاقتصادى قبل أى اعتبار فنى آخر

١٠ – واجب الحكومة ، وواجب الشعب ، وواجب الفرق التمثيلية

وقد تناول الكلام عن مثات من الأسباب والنتائج غير هذه القضايا العشر حيث عرض الموضوع عرضاً عادلاً ووفاه حقه من البحث بطريقة تبدأ فى نظر القارئ خطأ فى خطأ ، وشروداً عجيباً عن الموضوع الذي زعم لنا أنه بسبيله ، ثم لا يفتأ أن يدخل بنا فى الحقائق التى مهد لها بالمقدمات التى وهمنا أنها شاردة ، فإذا هى تبدهنا ، وإذا نحن منها فى النور الساطع .

١ – ولقد تناول المستر أرفن تاريخ المسرح فى أوروبا قديماً وحديثاً ، وقبل الحرب الكبرى ثم بعدها ، فقرر ما سبق إلى تقريره مؤرخو الأدب المسرحى من ازدهار المسرح فى الأمم التى تشتغل غالبية سكانها بالزراعة ، حتى إذا بدأت هذه الغالبية تتحول إلى غالبية صناعية أخذت دورة الفلك تتبدل ، وأخذ الانتكاس المسرحى يعمل عمله ، ولا سيما فى الأمم التى أخذت نفسها فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين بالصناعات الكبيرة التى ترمى إلى سرعة الإنتاج وكثرته والتى تخصص من أجل ذلك الأيدى العاملة آلافاً آلافاً لصنع جزء من ألف جزء من السلعة بحيث يقضى العامل كل حياته وهو لا يدرى من الصناعة شيئاً غير عمل رأس دبوس أو خرم سَمّ الخياط (عين الإبرة) أو تلوين جزء خاص من صورة من صور الشوكولاتة بالأزرق أو الأحمر ، أو عملية بعينها من مئات العمليات فى مصنع للنسج أو الغزل ، أو تركيب مسمار بعينه فى مدفع يتركب من مئات الأجزاء فى مصنع للأسلحة المختلفة ... إلى آخر ما هنالك من أمثال هذه الصناعات المركبة ... ويقيم المستر إرفن الدليل على أن أمة تشتغل الكثرة الساحقة من أبنائها فى مثل هذه التفاهات هى بلا شك أمة من الأميين الفقراء فى ثقافتهم ، الفقراء فى أمزجتهم ، الفقراء فى صحتهم ، الفقراء فى تقديرهم للحياة الفنية ، الفقراء فى مساكنهم التى يتراكم فوقها الدخان ويزيدها الضباب واكفهرار الجو المستديم بلاء على بلاء ... أما الأمة التى تكون غالبية أفرادها من الزراع – كاليونان القديمة وانجلترا فى عصر إليزابث ، وفرنسا فى القرن الثامن عشر ، وروسيا وإيطاليا . فهى أمة ذات مزاج رفيع وذوق سام ، وتقدير متئد للفنون بكل أنواعها وإن كانت غالبية سكانها أميين كذلك ، لأن الزارع الأمى أوسع ثقافة من غير شك من الصانع الذى شدا هذا اللون الفقير من ألوان التعليم الإجبارى حتى إذا بلغ سناً معينة وابتلعه المصنع ، لم يبق فى رأسه شىء مما شداه فى المدرسة ، خصوصاً بعد أن يصبح عبداً للآلة على النحو الذى أسلفنا . . .

أما لماذا يكون الزارع الأمى أوسع ثقافة من مثل هذا الصانع ، فذلك لأنه نشأ على حسن الملاحظة فى الريف الزراعى الجميل ، فهو لا يحبس نفسه فى المصنع طول حياته ليثقب إبرة أو ليصنع رأس دبوس ، بل هو ينطلق حراً فى فردوسه الشاسع الواسع يشق الأرض بمحراثه ، ثم يخططها بالسليقة تخطيطاً يعجز عنه المهندسون ، ثم يقسمها أحواضاً ليس فيها حوض أوسع من حوض ، ثم هو يلاحظ خروج الشطء من البذر ، ويعرف متى ينبغى سق الزرع ، ويقوم بالحصاد حين يأتى الزرع أكله ، فيبدأ الدرس . . . إلى آخر هذه السلسلة من الأعمال التى يلاحق بعضها بعضاً ... ثم هو يربى الماشية ويتخذ من ألبانها صناعات مختلفة ، كما يربى الشاء والخنازير ويعرف من طباع الطير ما لا يعرف أهل المدن ، بله الصناع ، ثم هو يستمتع فى كل ذلك بالصحة الكاملة والحرية المطلقة ، ولا يعيش فى جنته عبداً لآلة تجعل الصناع بعد قليل قطعة منها لا قيمة لها لأنها ربما استطاعت الاستغناء بنفسها عنهم ... وليس المسرح وحده هو الذى يرق فى الأمم الزراعية وينحط فى الأمم الصناعية ، بل سائر الفنون والآداب ، فها هو ذا فن النحت فى مصر القديمة واليونان القديمة ، وهو ذا فن التصوير فيهما وفى إيطاليا ، وها هو ذا الشعر اليونانى القديم والشعر الرومانى القديم ... شعر فرجيل وهوراس وأوفيد وكاتولوس ، وها هى ذى الفلسفة اليونانية القديمة ، وفلاسفة النهضة الأوربية الذين نشأوا فى حمى الأستقراطيين الزراعيين ... وها هى ذى روائع الفن القديم التى

لا يسمو إليها شيء من شوائبه النحت الحديث أو التصوير الحديث. ثم ها هي ذي موسيقا القرنين السابع عشر والثامن عشر الزراعيين ... تلك الموسيقا العلوية التي نشتاق بها ونسكن إليها في القرن العشرين ...

ومن أجمل ما قرره المستر إرڤن هو إقبال الشعوب ذوى الثقافات الزراعية على المأساة المسرحية في حين لا تقبل الشعوب الصناعية إلا على الملهاة ... والملهاة الخفيفة المرحة التي ترتكز على الشعبذة والنكات الطائرة التي تخلقها المناسبات إن لم تقحم هي نفسها في تلك المناسبات إقحاماً ... والعجيب أن تروج المأساة في العصور الذهبية للأمم، كعصر بركليس العتيد وعصر إليزابث البهي، حتى إذا أخذت الشيخوخة تحل محل الفتوة في حياة الأمة من الأمم، أخذت المأساة تنزل عن عرشها، متخلية عنه للدياة الخفيفة الطائشة التي تتخذ مادة تهريجها من شخصيات العظماء والمصلحين ... فقد ارتفع المسرح اليوناني إلى الذروة في أعظم فترة من فترات القوة في التاريخ اليوناني الحافل بالأمجاد، وكانت المأساة هي مادة ذلك المسرح في هذا العهد، فلما أخذت الروح اليونانية تفسد، وتسرب الضعف إلى روح الشعب، بدأت الملهاة تنتعش، وأخذ أرستوفان يكتب ملاهيه الساخرة، متخذاً من يوربيديز نخر المأساة اليونانية، ثم من غيره من المصلحين، مادة لتهريجاته ... أما في عصر إليزابث فقد كتب شيكسبير وبن جونسون وأضرابهما عدداً كبيراً من المآسي والملاهي، إلا أن الشعب أقبل إقبالاً منقطع النظير على المآسي ولم يقبل ذاك الإقبال على الملاهي، مع أنها كانت من الملاهي الجميلة العميقة التي ترتفع درجات فوق ملاهي أرستوفان ... وقد علل إرڤن ذلك بأن روح الشعب الزراعي أقوى من روح الشعب الصناعي، وأعصابه أقوى من أعصابه، فهو يستطيع أن يتفرج بالآلام ويصبر على مشاهدتها تمثل أمامه ويتسلى بذلك جيداً كما يحلو له أن يتأسى أيضاً، ويشعر خلال ذلك بأضعاف اللذة التي يشعر بها المتفرج بالملهاة ... أما الشعب الصناعي فهو مركب من كثرة منهوكة الأعصاب مختلة التوازن الفكري، ومن قلة من أصحاب المصانع والتجار رفعتها المضاربات فجأة فوق أكداس من الثروة الطائلة ومن أوساط عجماء عادة، إن صح هذا التعبير ... فالكثرة تريد الترويح الخفيف عن أعصابها المتعبة، وذلك إنما يكون بالملهاة ذات التهريج الزائف من مناظر الرقص والافتتان في الشعبذة، والنكات التي تداعب الأسماع وتثير أعصاب الضحك، كما تثير حركات (البهلوان) أعصاب الضحك عند الأطفال. أما القلة من الأغنياء فهي فقيرة بثقافتها وأسلوب حياتها عن أن تسيغ المأساة؛ وهي تحمل عقلية وضيعة لا تسمو كثيراً فوق عقلية الكثرة من الصناع. ولذلك فهي تشاطرها ميولها وأهواءها

أما في فرنسا، فقد أوشك تاريخها في المائة سنة الأخيرة أن يكون حلقة متصلة من الحروب المستمرة، ولذلك أصبحت الأعصاب الفرنسية أكثر تأثراً وأشد نصباً من غيرها، ولذلك أيضاً أصبح لا يمثل على المسرح الفرنسي إلا نوع واحد من الدرامات المتشاكلة التي تتناول موضوع الحب غير الشرعي. ولعل إرڤن نسي أن يعلل ذلك بكثرة الأزواج الذين فقدوا في حروب الثورة وحروب نابليون وحرب السبعين والحرب الكبرى، مما كان سبباً في كثرة الأرامل وكثرة العوانس وقلة الأزواج ... هذا وإن يكن الإخراج في المسرح الفرنسي قد بلغ الأوج الذي لم يبلغه قط في أي من مسارح العالم

أما في ألمانيا فقد ظهرت جماعة (التعبيريين) Expressionists التي تدعو إلى أن تكون الدرامة من مناظر كثيرة متعددة، لا من فصول، كما أصبحت الحال في السينما، على أنه لا في ألمانيا ولا في روسيا كان المسرح أحسن حالاً منه في انجلترا أو فرنسا فقد خرجت ألمانيا المهزومة من الحرب كما خرجت روسيا بروح جديدة ونظام من الحكم جديد حوّر مرافق الدولة جميعاً وأخضعها لأغراضه واستعان بكل شيء، ولا سيما بالمسرح، في تثبيت دعائمه والوصول إلى أهدافه. والاشتراكية في ذاتها تنكر الفنون والآداب كما تجحد الأديان والأخلاق، وذلك أنها لا تعترف إلا بالعلم، وهي تعتبر هذه الأشياء آخر ما يشغل العالم به نفسه. كما تفسرها على أنها ألوان من الخبز واللحم حتى إن الألمان ليقولون في أمثالهم « يكون الناس كما يأكلون! »، والاشتراكية في إنكارها للفنون والآداب والأديان والأخلاق لا تغض من قيمتها، ولكنها تتركها في مؤخرة برنامجها لتأتي

عبد الحميد الديب

شاعر البؤس والفاقة والحرمان

للأستاذ علي متولي صلاح

من أراد أن يلتمس حظ الأديب في الشرق ، وما يلاحقه من فاقة وحرمان ، وما تضطرب به حياته من أوجاع وآلام ، فيلتمس ذلك كله في حياة عبد الحميد الديب

ذلك شاعر قطع حياته غريباً عن هذا العالم الذي يعيش الناس فيه ، لم يكن يدري أنه حيّ ، لأنه لا يُرزق والأحياء يرزقون !

صدفتْ عنه النعم جميعاً ، وحلّتْ به النقم جميعاً . عاش لا يعرف السكن ، ولا يعرف الأهل ، ولا يعرف الوطن

حاول مرةً أن يتخذ لنفسه سكناً كما يفعل الناس ، وأن يعيش مثلهم ذلك العيش الرتيب المريح ، فجمع كل عزمه ، واستأجر غرفة في أحد الأحياء الوطنية بالقاهرة ، وأقام بها أياماً يفترش أرضها ويلتحف سماءها ، ثم تأمّل حياته فيها ومُقامه بها فقال :

أراني بها كلّ الأثاث فمطفئ ... وساد لرأسي أوْ وقاء من البرد !

وهجرها إلى غير رجعة وعاد إلى ضلاله وتيهه !

عاش هذا الفنان البائس لا يعرف المال إلا من فضل ما يمنحه إخوانه من دراهم معدودات يسد بها بعض رمقه ، ويقضي بها بعض لباناته ، ولكنها لا تكاد تفي له بشيء ، فعاش على الجوع والطوى ، إنْ أصاب طعام يومه ففي ذمة الحظ والمصادفة طعام غده ، وأخيراً جدًّا أرادوا به خيراً ، فوظفوه في وزارة الشؤون الاجتماعية براتب هو جنيهات خمسة ! فقبل الوظيفة راضياً شاكراً ، وذهب إلى « الديوان » نشوان فرحاً ، حامداً الله على نعمته ، والتمس كرسيًّا يجلس إليه ، ومكتباً يعمل عليه فلم يجدْ ، فأرسل إلى الوزير يقول :

بالأمس كنت مشرّداً أهليًّا ... واليوم صرت مشرداً رسميًّا !

وبعد ثلاثة أشهر من توليه هذه الوظيفة ، لفظ الشاعر آخر أنفاسه ، وقضتْ عليه علّة طارئة لم تجد العلاج النافع

كانت هذه المحن التي ألمت بهذا الشاعر ، وطاردته طول حياته لا يكاد يفر منها إلا إليها ، وهذه النكبات التي انصبت على رأسه لا يعرف عنها منصرفاً . كان كل ذلك مُلهِباً لنفسه ، مثيراً لحفيظته . رأى الحرمان الشامل يحيط به ويُلازمه فحقد على المجتمع ووجد عليه ، وهو الأديب الفنان ذو الحس المرهف ، واستحال الشاعر جحيماً من العداوة والكره والبغضاء للناس ، تغنّى آلامه وأوجاعه بالبليغ الجزل مما عرفت العربية من شعر الشكوى والأنين ، كنتُ - وأنا بعدُ في صدر الشباب - أغشى مجالس الأدباء والشعراء في العاصمة فما رأيتُ - علم الله - مصدوراً يُنفّس عن كربته إلا بشعر عبد الحميد الديب ، ولا مُؤلماً يشكو آلامه ، ولا متعباً يشكو أوجاعه إلا بشعر عبد الحميد الديب وهو هو النكرة المجهول المحروم المقصيُّ عن الناس بفقره وخصاصته

لك الله أيها الأدب ، ولكم الله أيها الأدباء ، أنتم بحوزة

من نفسها طائفة مختارة[1] كما يدعون ، وعلى كل فلم تنتج النازية كما لم تنتج الشيوعية بطلاً من أبطال الدرامة أو المسرح يعتد به ، ولعل هذا راجع إلى أنهما لم تسلخا في التجربة أكثر من ربع قرن بعد . وها هي ذي تلك الحرب العالمية القائمة قد أخذت تحصد الأرواح الفينانة التي أبقت عليها الحرب السالفة ، كما أخذت تضاعف آلام الإنسانية وأحزانها في كل مكان ، ولم تتوحش هذه الحرب بعد كما توحشت في الأعوام الثلاثة الماضية بين النازية والشيوعية . أليس كل من النظامين إنما يؤمن بالعلم وحده ويريد أن تأتيه الفنون والآداب والأخلاق والأديان طائفة مختارة ؟

(يتبع) دريني خشبة

(١) معرض الآراء الحديثة لدكنسن ترجمة الأستاذ محمد رفعت

جنود هذا المجتمع المجهولون ، تحترقون أيها الأدباء لتنيروا للناس، وتجوعون أيها الأدباء لتشبعوا الناس ، وتعرون أيها الأدباء ليكتسي الناس، وأنتم ـ بعد ـ لا تنالون منهم جزاء ولا شكوراً

شدّ ما منّى غروراً نفسه … تاجر الآداب فى أن يربحا !

أما أنت يا عبد الحميد ، فهيات أملك وصفك الحق للناس — وقلّ فيهم من يعرفك — هيهات يا عبد الحميد أن أعطيهم عنك صورة صادقة صحيحة سليمة لنفسك ولمتاعبك وشقائك ، فلأعرض عليهم بعض شعرك ليعرفوا يا عبد الحميد من أنت

١ — دمع المنازل

بوادٍ كدار الخلد برّ المنازل … حييتُ فما لى لا أفوز بنائل ؟
أقاسى به فى ليله ونهاره … معيشة أفّاق ووحدة ناكل
وكم سألونى كيف تشقى مع الحجى … وفى شعرك الهامى عِذاب المناهل ؟
فقلت بهذا الشعر بؤسي وشقوتى … كما قتل الصدّاحَ زهرُ الخمائل
فلا تسألونى عن دمائى وسفكها … سلوا بدمى الغالى جريمة قاتلى
فكم مرّت النعمى علىّ بسيمة … فأبعدنى عنها وضيع الوسائل
ورفض لئيم كاشح القلب حاقد … منالى أرزاق بهمة عامل
بكت بلدتى حزناً علىّ وحسرةً … وأحزن ما أبصرت دمع المنازل
وكم ندبتنى فى حمـاها ضريرةٌ … تنوح بصوت خافت الصوت ذابل
وشيخ أبىّ الدمع إلا بمحنتى … وفى ثوبه مجد الكرام الأماثل
هما والداى الصالحان : كلاهما … على شدة البأساء موئل سائل
فيا ربّ إما نعمة من حصافتي … وإما حياةٌ فى حماقة جاهل ! !

٢ — الطلل الباكى

لو أستطيع البكا يأيها الطللُ … بكيت حتى شكت من دمعى المقل
أرى الحوادث ذؤباناً مقذفةً … علىّ دون الورى تعدو وتقتتل
فكم تصوّح عودى بعد نضرته … وكم خبا فى دياجى عيشى الأمل
وكم دعت لى أمى وهى باكيةٌ … وكم دعا لى أبى يقظان يبتهل
وأجلس الليل فى صحبى أسامرهم … وكلهم بمجالى رقتى حفل
حتى إذا سلموا للعود وانصرفوا … سريت جوعان يفرى عزمى الطلل
جوعان! يامحنةً أربت على جلدى … كأن ليلى يوم البعث متصل
كأن حظى رحيق الدهر يشربها … بكراً معتقة فالدهر بى ثمل
فإن تطلبت عيشى مت من كمد … وإن تطلبت حينى يبعد الأجل

٣ — البائس

أذله الدهر لا مال ولا سكن … فتى تزيد على أنفاسه المحن
إذا سعى لجميع الأرض قبلته … وإن أقام فلا أهل ولا وطن
مهاجر بين أقطار الأسى أبداً … كأنه بيد الأرزاء مرتهن
كأنه حكمة المجنون يرسلها … من غير قصد فلا تصغى لها أذن
ثيابه كأمانيه ممزقةٌ … كأنها وهو حى فوقه كفن
هو الهدى صرفتكم عنه محنته … إن العزيز مهين حين يمتحن
ألا فصونوه من عزائه كرماً … ولا تخلوه يورى شره الزمن
فرب عزم يثير البؤس فيصله … فينبرى لسبيل الشر لا يهن

٤ — مصرع الحظ

حظى ومصرعه فى لين أخلاقي … وفيض عطفى على قومى وإشفاقى
ومن حبته الطلى أخلاف نشوتها … عدا على الكأس طوراً أو على الساق
بين النجوم أناس قد رفعتهمو … إلى السماء فسدّوا باب أرزاقى
وكنت نُوح سفين أنشئت حرماً … للعالمين فجازونى بإغراق
وكم وقيت الردى من بتّ مضطرباً … فى أسره المرّ لم أظفر بإطلاق
يا أمة جهلتنى وهى عالمةٌ … أن الكواكب من نورى وإشراقى
أعيش فيكم بلا أهل ولا وطن … كعيش منتجع المعروف أفاق
وليس لى من حبيب فى ربوعكمو … إلا الحبيبين : أقلامى وأوراقى

ريشت لحظي سهام من نميمتكم فصارعتني وما لي دونها واق
لم أدر ماذا طعمتم في موائدكم لحم الذبيحة أم لحمي وأخلاقي
قالوا: غويٌ شقيٌ قلت يا عجبا قد امتُحنت بكفار وفساق
وما تألمت من خطب ضحكت له كما تألمت من خطي بمشاق
أنا على القرب منهم كل متهم وإن نأيت حبوني فيض أشواق
فالهم قد أشاعوا كل مخجلة عني، وقد أعلنوا بؤسي بأبواق
كصاحب الطير لا ينفك يسجنه سجنين من قفص مضن وأطواق
حظي هو الأيكة الخرساء ذابلة هو النسيم سموحاً غير خفاق
هو السحاب جهاماً والندى أسفاً هو الضياء لهيباً حين إحراق
كأنه أذرع شلاء راحتها أو أنه أعين من غير أحداق
لا تسألوني عن بؤسي وعلته سلوا به الحظ ميتاً فوق أعناق!

والسلام عليك يا صديقي ما انبعث أنين، وصرخت شكوى والتهبت صدور.

(المنصورة) علي متولي صالح

٣ ـ الأحـــلام

للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون

بقلم الأستاذ ألبير نادر

التذكر !

فى حالة اليقظة تمر بنا ذكريات تظهر وتغيب متطلبة انتباهنا على التوالى وعلى الدوام . ولكنها ذكريات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحالتنا وعملنا . إنى أتذكر فى هذه اللحظة كتابَ المركيز درنى فى الأحلام لأنى أبحث فى موضوع الحلم وأنا الآن فى معهد الدراسات النفسية ومحيطى ومشاغلى وما أراه وما أنا قائم به من عمل ، كل هذا يوجه نشاط ذاكرتى نحو اتجاه معين . إن الذكريات التى نناجيها وقت اليقظة ، مهما تبدو غريبة عن مشاغلنا الوقتية فإنهـا تمت إليها دائماً بصلة ما . ما هى وظيفة الذاكرة عند الحيوان ؟ هى أن تُذكره فى كل مناسبة العواقب النافعة أو المضرة التى سبق أن تلت حوادث متشابهة للحوادث الحاضرة ، وتخبره عندئذ بما يجب عليه عمله . ـ عند الإنسان ـ اعترف بأن الذاكرة تكون فى حالة تحرر عن العمل أكثر مما هو الحال عند الحيوان ؛ ولكنها لا تزال مرتبطة بالعمل ، فإن ذكرياتنا فى وقت ما تكون كلاً متماسكا . قل إذا شئت هرماً قمته فى حركة مستمرة ومتفقة مع وقتنا الحاضر وتغوص معه فى وقتنا المستقبل . ولكن خلف الذكريات التى ترتكز هكذا على مشاغلنا الحاضرة وتظهر بواسطتها ، توجد ذكريات أخرى ـ آلاف وآلاف أخرى ـ موجودة فى الأسفل ، خلف المسرح المضاء بواسطة الوجدان . أجل أظن أن ماضينا موجود هناك محفوظ حتى أقل جزء منه ، وأننا لا ننسى شيئاً ، وأن كل ما أدركناه ، وكل ما فكرنا فيه وأردناه منذ أول فجر وجداننا فإنه يدوم أبداً . ولكن الذكريات التى تحافظ عليها ذاكرتى هكذا فى أظلم أعماقهـا موجودة هناك على شكل أشباح خفية ـ ربما تتشوق إلى النور ولكنها لا تحاول أن تصعد نحوه فهى تعرف أن هذا من المستحيل ـ وإنى أنا الكائن الحى الفعّال لدىّ مشاغل أخرى تنهانى عنها . ولكن لنفرض أنه فى وقت ما أكف عن حالتى الحاضرة ، عن العمل الملح أى عن كل ما كان يحصر فى نقطة واحدة كل نشاط ذاكرتى . لنفرض باختصار أنى نائم ـ فحينئذ تتحرك تلك الذكريات الثابتة عند ما تشعر بأنى نزعت العائق ورفعت الحاجز الذى كان يجعلها ملازمة قاع الوجدان ، فتنهض وتهب وتضطرب وتقوم برقص قبرى عظيم فى ظلمات الوجدان ـ وجميعها تتجه نحو الباب الذى انفتح ، تريد أن تمر كلها ولكنها لا تقدر لكثرة عددها . فما هى الذكريات المختارة من هذا الحشد المدعو ؟ أنكم تدركونها بسهولة . منذ لحظة ، عند ما كنت فى حالة اليقظة ، كنت أختار فقط الذكريات التى تمت بصلة قرابة إلى الحالة الحاضرة ، أعنى مداركى الحالية . وإنها الآن لأشكال أكثر إبهاماً ترتسم أمام عينىّ وأصوات أقل وضوحاً تؤثر فى أذنىّ ؛ ولمس أقل وضوحاً مبعثر على طول مساحة جسمى ولكنها أيضاً إحساسات أكثر عدداً تأتينى من داخل أعضائى . ولكن من بين هذه الذكريات الشبحية التى تحاول أن تكتسب ثقلاً بواسطة اللون والرنين والمادية ، فقط تظهر تلك التى يمكنها أن تمثل الغبار الملون الذى أشاهده ، والأصوات الخارجية والداخلية التى أسمعها الخ . والتى تتفق أيضاً والحالة العاطفية العامة التى تكونها التأثيرات العضوية ، ومتى حصلت هذه الصلة بين التذكر والإحساس ينتج الحلم .

فى صفحة شعرية من صفحات كتاب التساعيات يشرح لنا الفيلسوف أفلوطين — مترجم أفلاطون ومتممه — كيف يولد الناس وينالون الحياة ـ يقول : تبدأ الطبيعة فى صنع الأجسام الحية ولكنها تبدأ فقط ، وإذا تركت الطبيعة وشأنها فلا يمكنها أن تصل إلى النهاية . ومن جهة أخرى تسكن الأرواح فى عالم المُثل حيث لا يمكنها أن تعمل ، وهى لا تفكر فى العمل فترفرف مرتفعة عن الزمن خارجة عن الفضاء ـ ولكن بين الأجسام ما يكون أكثر ملاءمة بفضل أشكالها لأغراض هذه الأرواح أو تلك ـ ومن بين الأرواح ما يجد نفسه أكثر ملاءمة ليحل فى هذه الأجسام أو تلك ـ والجسم ـ وهو لا يخرج حياً تماماً من بين أيدى الطبيعة ـ يرتفع نحو الروح التى تهبه الحياة الكاملة . والروح تنظر إلى الجسم الذى تظن أنها ترى فيه صورتها فتنجذب وتنخدع كأنها أمام مرآة وتترك نفسها تندفع نحوه وتنحنى وتسقط ـ وسقوطها هو ابتداء الحياة ـ إنى أشبه الذكريات التى تنتظر فى ثنايا الوجدان الخفية بتلك الأرواح المنفصلة ـ وهكذا إحساساتنا الليلية فإنها تشبه هذه الأجسام

فى بداية تكوينها . الإحساس حار ملون رنان ، وتقريباً هى كذلك ولكنه غير مستقر ـ والتذكر واضح معين ولكنه فارغ وبدون حياة . يبحث الإحساس عن شكل يثبت فيه خطوطه المتقلبة . والتذكر يبحث عن مادة تملأه وتمطيه ثقلاً حتى يتحقق فيجذب الواحد الآخر ، والتذكر الشبحى يتخذ شكلاً مادياً فى الإحساس الذى يقدم له الدم واللحم ويصير كائناً يعيش عيشة خاصة أى حلماً

فتولد الحلم ليس بأمر غريب . إن أحلامنا تتكون تقريباً مثل ما تتكون رؤانا للعالم الواقعى . إن آلية العملية واحدة بالإجمال . فما نراه من أشياء أمام أعيننا ، وما نسمعه من كلام أمام أذننا ، ما هو إلا الشىء القليل بالنسبة إلى ما تضيفه الذاكرة . عندما تطالع جريدة أو تتصفح كتاباً أتعتقد أنك ترى فعلاً كل حرف وكل كلمة أو كل كلمة ضمن كل جملة ؟ إذا كان الأمر كذلك فلا يمكنك أن تطالع الكثير فى جريدتك ـ فى الحقيقة أنت لا ترى من الكلمة أو من الجملة سوى بعض الأحرف أو بعض العلامات المميزة ، وهو ما يلزم حتى تخمن الباقى . يبدو لك أنك ترى كل الباقى ولكنك فى الواقع تتوهمه — هناك اختبارات عديدة ومتفقة لا تترك أى مجال للشك فى هذا الصدد

ولا أذكر هنا سوى اختبارات جلوشيدر وموللر : إنهما كتبا أو طبعا صيغة دارجة عادية وهى مثلاً « ممنوع الدخول بتاتاً » أو « مقدمة الطبعة الرابعة » الخ . ولكنهما أخطآ بتبديل الحروف أو بحذف بعضها . ثم يوضع الشخص الذى سيعمل بواسطته الاختبار أمام هذه الصيغة فى الظلام ، وهو يجهل طبعاً ما كتب على اللوحة أمامه . ثم تضاء هذه الصيغة المكتوبة مدة قصيرة من الزمن حتى لا يتمكن الشاهد لها من أن يرى جميع الحروف . وفعلاً كانا قد توصلا إلى معرفة الوقت اللازم لمشاهدة حرف من حروف الأبجدية وذلك عن طريق التجربة . فمن السهل إذاً عمل الترتيب اللازم حتى لا يتمكن الشاهد من أن يميز أكثر من ثمانية حروف أو عشرة مثلاً من الثلاثين أو الأربعين حرفاً التى تكون الصيغة . ففى غالب الأحيان يقرأها بدون صعوبة ، ولكن ليست هذه النقطة هى المهمة فى الاختبار — إذا سألنا الشاهد ما هى الحروف التى شاهدها بكل تأكيد ، فالحروف التى يذكرها يجوز أن تكون موجودة فعلاً ولكنه سيذكر أيضاً حروفاً كانت ناقصة أو استبدلت بحروف أخرى . هكذا يبدو له أنه شاهد الحروف الناقصة ترتسم فى الضوء لأن الحس يتطلب ذلك .

فالحروف التى شاهدها فعلاً ساعدت على تذكره شيئاً ما . ووجدت الذاكرة الباطنية مرة أخرى الصيغة التى بدأت تحققها هذه الحروف فتبعث بها التذكر إلى الخارج على شكل وهمى . فالشاهد رأى هذه الذكرى بقدر ما رأى وأكثر ما رأى الصيغة المكتوبة نفسها . فالمطالعة العادية باختصار عمل تخمين ولكنها ليست مجرد تخمين . إنها انبعاث ذكريات إلى الخارج أى مجرد تذكر إدراكات غير واقعية تنتهز فرصة تحقيق جزئى تصادفه هنا وهناك حتى تتحقق بأكملها

هكذا فى حالة اليقظة تتطلب معرفتنا لشىء ما عملية مشابهة للعملية التى نقوم بها فى الحلم . إننا لا ندرك من الشىء إلا ابتداءه ؛ وهذا الابتداء يتبعه تذكر الشىء بأكمله . والذكرى الكاملة الكامنة فى عقلنا والتى كانت فى الباطن مجرد نكرة تنتهز هذه الفرصة لتندفع إلى الخارج . ونحن عند ما نرى الشىء نتوهم هذا النوع من الوهم المحاط بحاجز واقعى . ويمكننا أن نقول الكثير فى تصرف الذاكرة أثناء هذه العملية . لا يجب أن نعتقد بأن الذكريات الموجودة فى ثنايا الذاكرة تبقى فيها ساكتة جامدة وغير مكترثة ، لا بل إنها صاغية وفى انتظار . إذا كان عقلنا مشغولا بعض الانشغال وفتحنا جريدة يقع بصرنا صدفة على كلمة تتفق تماماً ومشغلتنا ؟ لكن ترى الجملة عارية عن كل معنى وسرعان ما نلاحظ أن الكلمة التى قرأناها لم تكن الكلمة المطبوعة . فقط توجد بينهما بعض العلامات المشتركة أو تشابه ضئيل بين شكليهما . فالفكرة التى كانت تشغل بالنا أيقظت فى خفايا شعورنا جميع الصور المتجانسة وجميع الذكريات عن الكلمات المتشابهة ، وعللتها ، بنوع ما ، بالعودة إلى الوجدان ، والذكرى التى تعود إلى حقل الوجدان هى التى بدأ فى تحقيقها إدراك وقتى لشكل من أشكال الكلمة

هذه هى آلية الإدراك الحقيقى وآلية الحلم - يوجد فى الحالتين تأثير حقيقى على أعضاء الحس من جهة ومن جهة أخرى توجد ذكريات تنضم إلى التأثير وتنتفع بحيويته لكى تعود إلى الحياة (يتبع) ألبير نادر

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٣ أبريل سنة ٩٤٣ فى القضية رقم ٢١٣٦ سنة ٩٤٢ بتغريم إبراهيم علبوه إبراهيم الجزار من القطاوية خمسة جنيهات وإغلاق المحل ثلاثة أيام لبيعه لحوم بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٣ أبريل فى القضية رقم ١٤٧ بندر الزقازيق سنة ٩٤٣ بحبس محمد حسن عمر خباز بالزقازيق ثلاثة شهور بشغل وتغريمه ١٠٠ جنيه وإغلاق المحل ثلاثة أيام والمصادرة لعرضه للبيع خبز بأزيد من التسعيرة



روسيا والثقافة العربية

روت وكالة الأنباء العربية أن الأستاذ أجناتى كراشوفسكى — العضو فى المجمع العلمى ، ومن أنصار العرب المعدودين — تلا بياناً عن الجهود التى بذلها أنصار الشؤون العربية ، أمام معهد اللغات لشعوب الجمهوريات السوفيتية فى موسكو ، متحدثاً فيه عن مبلغ العناية التى وجهت إلى دراسة لغة العرب وثقافتهم وتاريخهم ، مسترعياً أنظار المستشرقين الروسيين إليها قائلاً : إنها أساس الثقافة الإسلامية القديمة الفنية التى تعتنقها شعوب كثيرة تستوطن آسيا الوسطى كالقوزاق والتتر الذين يؤلفون جزءاً من جامعة الأمم السوفيتية وإن آثاراً عديدة عن الثقافة العربية تقوم فى آسيا السوفيتية والقوقاز . وما زال بعض سكان داغستان وشيستو ينجوشتيا يتكلمون بلغة عربية قديمة إلى جانب لغتهم الأصلية ، ويستخدمونها فى التخاطب والكتابة ، حتى فى نظم الشعر وفق الأوزان العربية القديمة . ويعتبر قسم أنصار العربية فى معهد الدراسات الشرقية وفى جمعية أنصار العربية التى تضم بين أعضائها علماء من كافة أنحاء روسيا دليلاً على الاهتمام الكبير الذى تبديه روسيا بشأن مسائل الثقافة العربية . ورغماً من ظروف الحرب لا يزال العمل مستمراً فى تنفيذ مشروعات عربية أدبية وتاريخية . وقد تمت فى الأعوام الأخيرة أعمال كثيرة بفضل دراسة الموضوعات العربية باعتبارها من الموارد التى يستقى منها تاريخ الشعوب الروسية

ولم تكن الحرب عائقاً كبيراً لتطور هذه الأبحاث العربية ، بل اقتصر أثرها على إرجاء صدور بعض المؤلفات التى تم وضعها وبخاصة فى ليننجراد ؛ ولم يفقد أو يضع منها أى مؤلف برغم أخطار الحياة ومتاعبها فى هذه المدينة وقت الحصار الذى كان مضروباً حولها ، فقد حفظت هذه المؤلفات جيماً بعناية كبرى

ولا يزال يواصل أنصار العربية فى روسيا عملهم فى هذه الأبحاث

مشكلة النظافة فى مصر

أعجبنى وأثار تفكيرى استطراد الأستاذ الجليل أحمد أمين بك إلى مسألة — النظافة عند المصريين — وهو يسوق حديث المرحوم الشيخ رفاعة الطهطاوى فى إعجابه بنظافة (الفرنساوية) وقد امتطى ظهر سفينتهم إلى أوربا ، واستنكاره لقذارة المصريين وهو يعترف بها فى حديثه على مضض

والحق أن للمصريين شهرة بعيدة بقلة النظافة لا يفيدنا فى شىء أن ننكرها أو نتصام دون سماعها . وقد رد الأستاذ ذلك إلى سببين : أولهما « الفقر المنتشر والبؤس الشائع » اللذان يحولان بين عامة الشعب واستكمال وسائل نظافته ؛ وثانيهما تقصير الحكومة فى الدعوة الصحية و « عدم تدخل أولى الأمر فى نظافة الشعب وتعويده أن يقوّم النظافة قيمتها الحقة »

والواقع أن كلا السببين ينقصه الوجاهة ، ويعوزه شىء من صدق التأييد . فالفقر والبؤس لا يغرسان عادة القذارة فى نفوس طبعت على حب النظافة ، وليس صحيحاً هذا الارتباط الذى نتوهمه بين الفقر والقذارة أو بين الغنى والطهارة !

بل إن الأستاذ لينقض رأيه هذا فى نفس الكلمة حين يقول : « ومن نعم الله أن تكاليف النظافة رخيصة إذا وجدت نفوساً تأنف القذر » أما الحديث عن مهمة الحكومة فى تنظيف الشعب فحديث عجيب ، حتى لكأننا — نحن أفراد هذه الرعية — من طينة ، ورجال حكومتنا من طينة أخرى

وهب الأمر كذلك ، فما قيمة الشعرة الواحدة البيضاء فى أديم الثور الأسود ؟ ما أثر دعوة الحكومة إلى النظافة إذا صح أن نرجع بالقذارة إلى أسباب طبيعية أقوى من أن تخضع للارشاد أو تتأثر بترجية المقال ؟

ولتوضيح هذا نقول : إن جذور القذارة عندنا أعمق

مما يبدو فى كلام الأستاذ ؛ ومنبعها — فيما أرى — يرتد إلى أسباب طبيعية ثابتة قوامها البيئة والمهنة ، أكثر مما يرتد إلى هذين السببين العارضين اللذين ساقهما خلال حديثه

فطبيعة الطقس فى مصر ، بين شدة حرّ وندرة مطر ، مما يلوث الجو ويوبئه ، ويهدم سياج النظافة ، بل ويضاعف المشقة على من يتحرى ذلك فى ملبسه أو فى جسمه ، بله المسكن وسائر الأدوات والمرافق الأخرى . ولو راقبنا الأجنبي عندنا فى صيف أو شتاء لرأيناه راضياً لنفسه بمستوى من النظافة يقل عما يألفه فى بلده ، وإلا فهو مرغم على بذل مجهود أكبر ، ليصل إلى الدرجة التى كان يبلغها هنالك بأيسر المجهود

هذا ولمهنة المصريين الطبيعية أثر لا يقل عما ذكرناه وضوحاً ؛ فالفلاحة لا تترك لدى الزارع المخلص مجالاً للتحرز من أوساخ الأرض . وليس صميماً فى مصريته من يكره الخوض فى الأوحال أو يضيق ذرعاً بهذا الطمى العالق بماء النيل ، وإنه لسبب حياتنا ونعمتنا ، بل سبب الرزق الذى يتحدر من أيدينا إلى لهوات شعوب وشعوب

وإن قولتنا المشهورة — أرض مصر من ذهب — لحقيقة صادقة لا يعلق بها مجاز ، أو يقلل من تصريحها كناية . فليس بضائر فلاحنا أن يوشى ثوبه بالطين والغبار ، إذا توشت ثياب غيره بخيوط الذهب ، وتزين صدره بقلائد النضار

وأخلص من كل هذا إلى تقرير أمرين : الأول أن النظافة — نخلق أو عادة أو سمها كيف شئت — تخضع فى كل أمة إلى ظروف من بيئتها ومن طبيعة عملها خضوعاً تقف معه عند مقاييس خاصة ، وتضطرب بسببه فى مجال محدود وأفق معين ، يختلفان ضيقاً وسعة عن مثلهما فى الأمم الأخرى . والثانى : أن إهمال الحكومة وتفشى الفقر . . . هما داعيان — فقط — من دواعى استدامة هذه الحال التى نشاهدها من قذارة أغلب العامة من أهل مصر ؛ ولكنهما ليسا العلة الأساسية فى وجود هذه الحال التى قد ترتقى فى بعض الأحيان إلى مستوى (العادة) المتأصلة ؛ ولكنها تزول مع ذلك — فى سهولة ويسر بالغين — إذا نحن هيأنا لأقذر من نختار من المصريين شيئين اثنين فقط : هما الجو اللطيف ، والعمل النظيف

(جرجا) محمود عزت عرفة

٢٠ ، ٣١

ديوان زهر وخمر

إن من عرف ديوان الملاح التائه فقد عرف الأستاذ على محمود طه على حقيقته : ذلك لأن روح القلق المشوب بالمرح تغلب على شعر صاحب الجندول حتى لتكاد تجعل منه نغمة واحدة تجمع بين الحيرة والفرحة ، وهذه الروح التى تعبر أصدق تعبير عن طابع الحياة العام ، يلمسها قارىء ديوان « زهر وخمر » فى سهولة ويسر ؛ فإن ثمة موجة هائلة تغمر بفيضها كل شىء فى الوجود ، عند صاحب هذا الديوان ؛ إذ ينظر المرء فيرى المجداف يمرح ، والزورق قد رنحته الأمواج ، والأضواء ترقص مع الموج ، والشماع يمرح مع الأمواج الحليمة ... إلى آخر تلك التعبيرات التى تضفى على كل شىء روحاً من البهجة والمرح ... وما عسى أن يكون هذا إلا صدى لروح الملاح التائه الذى يستعذب القلق والحيرة ، ويجد فيهما الفرح والبهجة ؟

إن الأستاذ « على محمود طه » ليصور لنا فى ديوانه الجديد روح الملاح التائه ، فيعرض لنا فى قصيدته « سارية الفجر » صورة جميلة لغادة فاتنة عبرت به فى الصباح الباكر ؛ وهنا نراه ينظر إليها نظرة الملاح التائه أيضاً ، إذ ينبئنا بأنها عرضت له عند الفجر حتى لقد عجب لهذه الغادة وقال :

هذه الساعة تسرى امرأة حين لم يخفق جناح الطائر !

وهو لا يقف عند هذا الوصف ، وإنما يضيف إليه وصفاً جديداً تكتمل به صورة الحيرة والقلق ، فيصور تلك الغادة وقد أخذت تقطع الإفريز كالأسير الهارب من الأسر ، وهي تتقى الأعين أن تبصرها ، وتلتفت إلى العابرين التفات الحائر ، ولا تعبأ بالمطر الذى يصيبها والبرد الذى يلفحها ... الخ . وينظر المرء مرة أخرى فلا يرى فى هذه الصورة غير طيف لتلك الصور التى عرضت لصاحب « الجندول » حين كان يلتقى بغادات أوربا الجميلات فلا يستطيع أن يظفر منهن بغير اللفتة العاجلة والنظرة العابرة ! وهل كان الحب عند الملاح التائه غير هذا القلق المغلف بالمرح والبهجة ؟

إنى لأكاد أجزم بأن الحيرة والمرح هما كل شىء فى « شاعرية » الأستاذ على محمود طه ؛ ومن أجل ذلك فإننا نراه يعنف حيناً فى تصوير موقف الإنسان أمامَ الطبيعة ، ونراه يفرط حيناً آخر فى تصوير متعة الإنسان التى يجدها فى الطبيعة . وهو فى كلتا الحالتين يعبر عن روح الملاح التائه التى قد يطغى

عليها القلق حيناً فتعنف وتشتد ، ولكنها لا تلبث أن تعود إلى مرحها فتطرب وتبتهج . والظاهر أن المرح أغلب على تلك الروح ، فإن الحيرة تمتزج بالحب فتذهب مرارتها فى عذوبته . والحب عند الملاح التائه ينزع إلى أن يصبغ كل شىء فى الوجود بصبغته الجميلة المستحبة . وهل ننسى أن صاحب الجندول هو الذى يقول :

كل نجم مهجة تهفو   وعينٌ لا تنــامْ
وشعاع البــدر معشــوق به جُنَّ الغمامْ
يا حبيبى كل عَيْش ما خلا الحبَّ حرامْ

أجل ! هذا ما يقوله صاحب « زهر وخمر » ؛ ومن قبله قال جيته شاعر الألمان : « ليس ثمة نعمة فى هذه الحياة ، أعظم من أن يَعشِق المرء ويُعشَق »

زكريا ابراهيم

محمد بن عبد الوهاب

أصدر صديقنا الأستاذ الفاضل أحمد عبد الغفور العطار الأديب الشاعر الحجازى المعروف كتابه الجديد عن هذا الزعيم العربى المصلح ، فسد فى كتب التراجم فراغاً ملموساً وأسدى به إلى الزعيم المسلم الصادق يداً سيذكرها له المعجبون بمحمد بن عبد الوهاب فى جميع الآفاق . والكتاب برغم المآخذ القليلة التى يمكن تداركها فى الطبعة الثانية هو مصدر نافع يفيد كل من يريد الإلمام بالمصلح النجدى كما يلقى الضوء على هذه الشخصية العربية التى جددت سنة الرسول الكريم ودعت إلى العود بدينه إلى الفطرة التى صدر عنها وبشر بها ، واتخذ من رسول الله أسوته الحسنة فى كل ما تجشمه بسبيلها . ونحن فى مصر نرحب كل الترحيب بالكتاب الجديد ونتمنى له الذيوع والانتشار فإنه لها أهل .

د . بنى هشة

ندائى

عزيزتى (ن)

أين أنت ؟ تجاهلتنى ونسيت نور الماضى . انطفأ ذلك النور الذى كان يبدد لى غسق الحياة . انتهى كل شىء وحل الظلام ، الظلام الأبدى ... انتظرى خطابى الأخير

وعند ما يتحقق لى أنك بريئة سأذرف عليك دموعى الباقيات يا أملى الوحيد .

سراج الدين

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 520 — Lundi - 21 - 6 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الحادية عشرة «القاهرة في يوم الإثنين ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢١ يونية سنة ١٩٤٣» العــدد ٥٢٠

الفهــرس

صفحة
٤٨١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٤٨٣ الحديث ذو شجون : بين الحب والإعجاب . شبهة لغوية . غناء وغناء ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٤٨٦ المسرح في أوربا بين حربين : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٤٨٩ الأدب المهموس والأدب الصادق . .. . : الأستاذ سيد قطب ... ...
٤٩١ الشعر الخطابي ... ... : الدكتور محمد مندور ... ...
٤٩٤ تشارلز دكنز ... ... مواهبه وخصائص فنه ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٤٩٦ أغاريد بليتيس .. ... . : للشاعر الفرنسي « بيير لويس » بقلم الأستاذ عبد العزيز العجيزي
٤٩٨ من رسائل الرافعي : « دراسة الأدب العربي » ... .. : الأستاذ محمود أبو رية ...
٤٩٩ معنى قوله تعالى : يخرج الحي من الميت ... ... : الدكتور عباس محمود حسنين
٤٩٩ بنو إسرائيل والطعام الواحد : الأستاذ (س) ... ...
٤٩٩ في الأدب المصري : فكرة ومنهج .. .. : بقلم الأستاذ محمود عبد المنعم مراد

١٢ ـ دفاع عن البلاغة

٤ ـ الأسلوب

أما قول إميل زولا[1] : « وهل نستطيع أن نتبين الكمال الفني في أسلوب هوميروس وفرجيل ونحن نقرأهما مترجمين » فرماه أن روائع اليونان والرومان لم تخلد على الدهر إلا بمعانيها المبتكرة ، ووقائعها المشوقة ، وعواطفها الصادقة ، وشخوصها الحية ، بدليل أننا نقرأها اليوم بمعانيها لا بمبانيها ، وبفكرها لا بصورها . فلو كان خلودها منوطاً بدقة الصياغة وجودة الصناعة لما عاشت بالترجمة . ثم يترتب على ذلك خطأ القول باتحاد الصور والأفكار في الأسلوب ؛ لأننا حين نقرأ الإلياذة مثلاً في الفرنسية أو في العربية لا نقرأ منها غير الموضوع

والحق الذي تؤيده الدلائل أن جمال الأسلوب وحده هو الذي ضمن الخلود لهذه الروائع ؛ فإن الثابت بالسند المتصل والخبر المتواتر أنها كانت آية عصرها في البلاغة ، ولولا ذلك ما روتها الرواة ولا ترجمتها التراجم . واللفظ كما يقول الجاحظ : « إذا لم يكن رائعاً والمعنى بارعاً لم تصغ له الأسماع ، ولم تحفظه النفوس ، ولم تنطق به الأفواه ، ولم يخلد في الكتب »[2]

---

(١) راجع العدد ٥١٨ من الرسالة

(٢) رسالة الشكر ، صبح الأعشى ج ١٤ ص ١٧٣

والترجمة الصحيحة لا تنقل أفكار الكاتب أو الشاعر وحدها عن الأصل؛ إنما تنقل مع ذلك إشراق روحه، وسمو إلهامه، ولطف شعوره، ونمط تفكيره، وخصائص أسلوبه. فلو أن ترجماناً ضعيف العربية من تراجم المحاكم حدثته نفسه أن يعرض لإحدى روائع شكسبير فنقلها نقلاً لفظياً بأسلوبه الذي يترجم به عُروض الأحوال أو أصول الأحكام، فهل تقول إذا استطعت أن تقرأ ما كتب إنك قرأت شكسبير، أم ترى أنك قرأت ألفاظاً كالعظام المروقة المبعثرة لا تمثل من أي حيوان معنى من معانيه ولا صورة من صوره؟ إن بلاغة التوراة والإنجيل في العبرية لا مساغ للشك فيها، ولكنك تقرأهما في العربية فلا تجد أثراً لهذه البلاغة؛ ذلك لأن الذين ترجموهما إلى لغة القرآن لم يكن لهم بآدابها علم، فوضعوا لفظاً مكان لفظ، ولم يضعوا أسلوباً مكان أسلوب؛ فجاءت الترجمة كما ترى موضوعية عجماء لا تشبه لغة من لغات الناس في لون ولا طعم ولا شكل

فأنت ترى أن الترجمة التي يسوقونها دليلاً على أن الروائع الأدبية تحيا بصدق موضوعها، وأن الأفكار تنفصل عن الصور وتنتقل بدونها، هي نفسها الدليل الناهض على أن الموضوع لا تتحرك الهمم لنقله، إلا إذا راع النفوس بشكله، وأن الترجمة لا تكون صحيحة إلا إذا نقل المترجم أسلوب الكاتب أو استبدل به مثله

***

إذا حَلِيَ في صدرك بعد ذلك أن تذهب إلى ما ذهبتُ إليه من أن تجويد الأسلوب يتضمن تجويد الفكرة ويضمن خلودها؛ فدعك من أولئك الذين عادَوا الكمال الفني بطبائعهم فآثروا جانب التسمح والتجوز والمجازفة والمعافاة: كزولا، وبلزاك، واستندال، وسائر الذين زآهم فُلتير يحاصرون (معبد الذوق)(١) ثم لا يستطيعون أن يَظْهَروه ولا أن ينقبوه ولا أن يمنعوه. ولا تبال أولئك الذين نزلوا بقصورهم عن طبقة البلغاء، فتنطعوا بركيك الألفاظ، وتكثروا بسخيف التراكيب، كهذه الكثرة الكاثرة من كتاب العربية وشعرائها في هذا العصر، فإنهم كما قال ابن قتيبة في أهل زمانه: «قد استطابوا الدعة، واستوطأوا مركب العجز، وأعفوا أنفسهم من كد النظر، وقلوبهم من تعب الفكر، حين نالوا الدرك بغير سبب، وبلغوا البغية بغير آلة»(١). دعك من هؤلاء وأولئك وانظر أنت في الأسلوب الذي ارتضيته لنفسك فتعهده بالتصحيح والتنقيح ما استطعت، ولا تحفل الزمن الذي تنفق فيه؛ فإنك تخلق الخلق ليعيش، وتبدع الأثر ليخلد. والزمن لا يُبقى على عمل يتم بدونه. وما العبقرية كما يقول بوفون إلا صبر طويل. ولا عليك أن يقال عنك إنك بطيء بكيء؛ فإن زهيراً لم يسبه أحد بحولياته، وابن المقفع لم ينقص من عبقريته قلة مؤلفاته، وأبو نواس شهر بالتخير والتفكر، كما شهر أبو العتاهية بالارتجال والاقتضاب، فجاء شعره كله من حر الكلام ومختاره، كما جاء شعر الآخر على رأي الأصمعي «كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى». وللابروبير كتاب واحد، ولفلوبير كتابان؛ ولو كان لبلزاك كتاب من طراز (الشمائل)، أو كتابان على أسلوب (مدام بوفاري) و (سلامبو) لما قلت شهرته بهما عن شهرته بمجلداته الخمسين

والروية والعمل والتهذيب والتأنق تشف عنها العبقريات الخالدات للعباقرة الخالدين. فهنا تجد الفرزدق ومسلم بن الوليد وأبا تمام وأبا العلاء وسهل بن هرون وأحمد بن يوسف والجاحظ وابن العميد والحريري؛ وهناك تجد بوالو ولافونتين وتين ولابروبير وبسكال ومنتسكيو وفلوبير وشاتوبريان وإدمون رستان!

كان لافونتين ينظم المثل ثم ينظر فيه عشر مرات، وفي كل مرة يحرر ويغيّر، ويحذف ويضيف. وكان شاتوبريان يبدي الصفحة ثم يعيدها على نحو ما كان يفعل لافونتين. ويقول بسكال إنه حرر بعض فصول (البروفنسيات) خمس عشرة مرة. ولو كشف أفذاذ الكتاب عن عاداتهم في الكتابة لما وجدت فيهم من يرسل الكلام كما يجيء، ويقيد الفكر كما يعن

(البقية على صفحة ٥٠٠)

احمد حسن الزيات

(١) قصيدة نقدية لفولتير تخيل فيها أن يونان وروما وفرنسا أقاموا (معبد الذوق) وأنه حج إليه فوجد ضفة الكتاب قد حاصروه ولكنه على الرغم منهم دخله واجتمع فيه بعباقرة الفن

(١) مقدمة أدب الكاتب

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

بين الحب والاعجاب — شبهة لغوية — غناء وغناء

بين الحب والإعجاب

الصلة بين الكاتب والقارئ منوّعة الألوان ، فهنالك كاتب يحبه القارئ ، وكاتب يعجب به القارئ ، وكاتب يظفر بالحب والإعجاب

ومَرَدُّ الأمر إلى ذاتية الكاتب ، فإن كان أدبه أدب وجدان فهو جدير بالحب ، وإن كان أدبه أدب ذكاء فهو خليق بالإعجاب ، وإن جمع بين الوجدان والذكاء فهو الكاتب المنشود ، وهو الذاتية الكاملة فيما يرى أصحاب الأذواق وأرباب العقول

والظاهر أن الأدب الحق يأخذ زاده من الذكاء ومن الوجدان ، فإن خلا من أحد هذين الزادين فهو عُرضة للضعف ، وإن خلا منهما معاً فهو إلى فناء

وقد يظن بعض الناس أن الذكاء والوجدان من المواهب الثوابت ، وأن من حق الموهوبين أن يتكلموا حين يريدون . وهذا توهم ، فما يستطيع أعظم عقل أو أكبر قلب أن يجود بالمعاني في كل وقت ، وإنما هي بوارق تَصدُر عن العقل والقلب من حين إلى أحايين

ومع هذا فمن المؤكد عندي أن العقول تُراض وأن القلوب تُراض ، ولكن كيف ؟

هنالك أغذية لا يعرفها مؤتمر الأغذية ، وهي التأملات في دقائق الفروق بين الحيوات الحسية والمعنوية ، وهي فروق لِطاف لا يدركها غير قلب الأديب وعقل الفيلسوف

والظاهر أيضاً أنه لا بد من التزود بما سميته « الحاسّة الفنية » وهي حاسة لا توهب لجميع الناس ، وإنما يختص الله بها من يشاء ، وإلا فكيف جاز أن يكون النوابغ في كل أمة آحاداً وإن زاد أبناؤها على عشرات الملايين ؟

إن الوجود كتابٌ مفتوح ، ولكنه لا يُقرأ بسهولة ، ولا يجتلي أسرارَه غيرُ أفراد ، فكيف نصل إلى لُبابه المكنون ؟ أعتقد أن مسئوليتنا نحو أنفسنا خطيرة ، فنحن نضيع فرص التأمل ، ونحن نتهيّب ما يُغضب المجتمع ، ونحن نحمل السلامة شارة النصر المُبِين

الأصل في الأدب أن يكون ثورة عقلية وذوقية ، والأصل في طبيعة الأديب أن تكون قوة موحية ، قوة تُعطي وتَمنح ، وعنها تصدر أقباس الفكر وألوان الخيال

وليس معنى هذا أن يعيش الأديب عيش المحادّة للمجتمع ، فالمحادّة المقصودة عناد بغيض ، ولكن معناه أن يستقل الأديب عن الوحيات الخارجية ، موحيات الظروف ، بصورة تجعل أدبه من وحي الخلود

ويظن ناسٌ أن الكاتب المحبوب هو الذي يحدّث قراءه عما يألفون ، وهذا خطأ في خطأ ، وإنما الكاتب المحبوب هو الذي يمضي بقرائه إلى شِعاب من الفكر والروح والوجدان لا يصلون إليها بغير دليل . فمن غفلة بعض الكاتبين أن يأنسوا إلى العامية الفكرية ، عامية الرأي المبذول بغير حساب على اختلاف عهود التاريخ . وما قيمة الكاتب إن لم يُشعر القارئ بأنه هداه إلى أفق جديد من آفاق العقل والروح ، ولو بلمحة سانحة في أثناء الحديث ؟

يجب أن تكون للكاتب ذاتية عقلية وروحية ، عساه يخلُق في القارئ وجداناً يحس به حقائق الوجود . فليس بكاتب ولا مفكر من يكون محصوله نُفاضة من أضابير زهد فيها المنكبوت

والأدب عند كل أمة وفي كل عهد سموٌّ وعَلاء ، أو هو التعبير الصحيح عن المطامح الكريمة في السمو والعلاء ، ولهذا كان من آساسه الأصيلة أن يكون طريف الفكرة جميل الأسلوب

وليس المراد من طرافة الفكرة أن تكون رأياً لم يسمع بمثله الناس ، لا ، وإنما المراد أن يكون تعبير الكاتب عنها تعبيراً ذاتياً يجعلها من الطريف ، بحيث لو تحدث عنها غيره لعُدَّت من الحديث المعاد

أما جمال الأسلوب فله عندي مقياس يخالف المعروف من المقاييس ، والكاتب صاحب الأسلوب في نظري هو الكاتب الذي يشغلك بنفسك حين يوجه إليك الحديث ، ومعنى هذا أن تبرز الفكرة بصورة قهّارة ينسى فيها القارئ أنه في صحبة كاتب ، ولا يدرك إلا أنه يواجه معضلات يشترك فيها العقل والوجدان . وهذه البراعة لا تتفق للكاتب ولا تنصاع إليه

إلا بعد أن يكون إماماً فى لغته ، إمامة صحيحة كونتها الرياضات الطوال على الأداء المبين بالأسلوب الرشيق

شبهة لغوية

هى شبهة من يتوهمون أن اللفظة الفصيحة هى اللفظة المحدَّرة ويريدون بها اللفظة التى لا يعرفها سواد الناس ، فالكاتب العظيم فى نظر هؤلاء هو الكاتب الذى يتحامى المأنوس من الألفاظ ، ويؤثر الألفاظ التى عاشت فى المعاجم بقوة التحنيط وإن حُرمت الحياة منذ أزمان

وأنا لا أقيم وزناً لهذا الرأى ، وأضيف أصحابه إلى الجهلاء ، ولا يؤذينى أن يتهمونى بالتسامح فى اللغة ، كما طاب لأحدهم أن يقول ذلك فى إحدى المجلات

الألفاظ تتقاتل فى سبيل العيش كما يتقاتل الناس ، فينتصر فريق وينهزم فريق ، ثم يجىء الكاتب الحصيف فيعانق اللفظ المنتصر ، ويتقدم الكاتب المخذول فيعانق اللفظ المخذول

كان أحد أعضاء المجمع اللغوى ــ وهو السيد حسن القاياتى ــ أنكر علىّ فى مقال نشره فى جريدة البلاغ منذ سنين أن أستعمل لفظة « يستأهل » بمعنى « يستحق » فكتبت فى الرد عليه مقالاً بعنوان : « والله تستأهل يا قلبى »

واستعملت مرة كلمة « شافَ » بمعنى « رأى » فثار خلْقٌ من خلق الله وعدونى من المتسامحين فى اللغة ، فسألتهم عن « تشوَّف » وهى كلمة كثيرة الورود فى قصائد التشبيب ، ثم أكدت لهم أن العرب فى جميع الأقطار يقولون : « شافه » بمعنى « رآه » وقد « شفتهم » بعينى !

أتريدون الحق ؟

الحق أن النقد اللغوى غلبت عليه الصبغة الببغاوية ، وإليكم هذا المثال :

قضى علماء البلاغة نحو عشرة قرون وهم يقولون فى مؤلفاتهم وفى دروسهم بأن المتنبى أخطأ فى جمع بوق على بوقات حين قال :

فإن يك بعض الناس سيفاً لدولة ... ففى الناس بوقاتٌ لها وطبول

وكان العجب كل العجب أن يتحامل علماء البلاغة على المتنبى نحو عشرة قرون ، ولا يجدون من يهديهم إلى الصواب

وأثنى على نفسى « للمرة الأولى بعد الديشيليون » فأقرر أنى تفردت برفع الظلم الذى عاناه المتنبى فى تلك القرون ، ولكن كيف؟ ليست البوقات جمع بوق ، كما توهموا ، وإنما هى جمع بوقة ، والبوقة هى اللفظة الاصطلاحية فى موسيقا الجيش العربى ، كما تشهد نصوص رأيتها فى بعض كتب التاريخ

وهنا أسوق فائدة لا أذكر أنى رأيت من نبه إليها فى كتب الصرف ، وهى جعل التأنيث من صور التصغير ، فالبوقة أصغر من البوق ، والطبلة أصغر من الطبل ، والبحرة أصغر من البحر ، وقد بولغ فى تصغيرها فصارت بحيرة

و « طُونس » الساقية فى عُرف أهل الريف له وصلة يسمونها « الفرخ » إن كانت طويلة ، ويسمونها « الفرخة » إن كانت قصيرة وفى شوارع القاهرة نجد بائعاً يتغنَّى :

« حَبُّ العزيز الرُّبعة بقرش »

فما الرُّبعة ؟ هى مصغَّر الرُّبع ، بلا جدال

إن الصفة البيغاوية فى النقد اللغوى أضرت باللغة وآذتها أعنف الإيذاء ، فقد كتب كاتب فى الرسالة ينقد استعمال كلمة « مَرِير » بمعنى مُر ، وحجته أن المرير هو الحبل المحكم الفتل ، ثم اتفق أن رأيت الشريف الرضى يستعمل كلمة المرير ويريد بها المر ، فنظرت فى أساس البلاغة فوجدت الزمخشرى نص عليها بوضوح لا يحتمل الخلاف

وأنكر قومٌ جمع صناعة على صنائع ، وألحوا إلى أن حملوا وزارة المعارف على تغيير اسم مدرسة الصنائع ، مع أن لهذا الجمع شواهد تفوق العدّ ، وعلى أقلام كبار البلغاء

وأنكروا أن تنسب إلى الطبيعة فتقول طبيعى ، مع أن العرب لم يقولوا طبَعى ، ومع أن « فَعَلى » فى « فَعِيلة » هو فى ذاته شذوذ والجرائد تقول « القتيل » وهى تريد القتيلة ، لأن قائلاً قال بأن « فعيل » يستوى فيه التذكير والتأنيث ، وهذا خطأ ، إذا كان فعيل بمعنى مفعول ، وهل أخطأ صاحب لسان العرب حين قال : رجل دفين وامرأة دفينة ؟

ولم يفهم النحويون علة التذكير فى آية « إن رحمة الله قريب من المحسنين » فعدوه تذكيراً أوجبته المجاورة ونسوا أن « قريب » فى معنى الفاعل لا معنى المفعول

والمراد من الصفة البيغاوية فى النقد اللغوى هو أن يحكى بعض الناس ما يقرأون حكاية الببغاوات . فأكثر ما نرى من اعتراض هو ألفاظ منقولة عن ناس تعرضوا للنقد اللغوى بلا بصيرة ولا يقين

لغة العرب لغة آبائنا وأجدادنا ، فليعرف من لم يكن يعرف

أن خطأنا فيها أفصح من الصواب . وإننا لن نستمع لأى اعتراض بعد أن ركزنا الراية فوق ناصية الخلود

غناء وغناء

فى مكان يستبق إليه ضياء الشمس ، ونور القمر ، وهدير الأمواج ، وقفت أنتظر وفاء بميعاد هو الميعاد

وأقبلت الروح الملائكية فى سمة إنسانية ، كما يطيب للملائكة أن تتشكل بصور الناس فى بعض الأحيان

ودار حديثٌ أعذب من رنين الكؤوس ، وأرقّ من وسوسة الحلىّ ، فى لحظات الصفاء

ثم دار عتابٌ كتاب القلوب للعيون ، فماذا قلت وماذا قالت تلك الروح ، وقد أصغى البحر واستمع الوجود ؟

لو تجمّع ما أثار البحر من عواطف على اختلاف الأجيال ، ولو اعتصرت الحياة ما يجرى فى أعوادها من رحيق الحب ، لكان هذا وذاك دونَ ما أضفينا على الكون من بهجة النعيم ...

ولو دُعينا لأداء الزكاة عن تلك اللحظات لكان من القليل أن نقضى العمر فى شكران من قضت حكمته أن يجعل الحب سيطرة روح على روح ، وانجذاب روح إلى روح

كان ضجيج المدينة أضعف من أن يحجب أسرار القلوب ، وكان القمر بفضل عليائه أشرف من أن ينمّ عن خلوة حبيب بمحبوب

فى شهر يونية تقوم غمامة تحجب القمر فى لحظة لا تنتظر ظلال السحاب ، فنفهم أن للحب والشعر آلهة ، كما تقول أساطير القدماء

كانت الدنيا كلها فى يدى ، وكان هواى هو الهوى ، وزمانى هو الزمان ، وكانت لغة الوجد فوق الأصوات والحروف ، وهل يعرف أحدٌ ما لغةُ الأنفاس الحِرار ؟ وكيف وما كانت اللغات إلا تعابير عما يجوز البَوْح به من سرائر الأرواح ؟

وأين اللغة التى تعبّر عن فرحنا بالحب فى تلك اللحظة الوجدانية ؟

أين أين ... وهى لحظة ما ظفر بمثلها عاشق فى قديم ولا حديث ؟

هى زاد العمر كله ، فليتمرّد الهجر كيف شاء بعد ذلك الوصال .

لو مرّت تلك اللحظة بالناس فى ماضيهم البعيد لظفرت اللغات بألفاظ وتعابير تفوق الوصف ، ولكان من السهل أن أشرح ما يوحى به ذَرْع « الرمل » على نغمات الموج فى صمت الليل

ثم نفترق ، فتى نلتقى ، يا روحاً لا يحيا بدونه روحى ؟

للوجود كله غِناء ، ولنا وحدنا غناء ، ورروحك هو غَريد البلبل ، وحفيف النسيم ، وهدير الموج ، وعربدة الكهرباء

ثم نفترق وقد تحيرنا بين النور الأحمر والأزرق ، وهذه إشارة لا يفهمها غير أسارى هذين النورين فى « دار الوجد والمجد » ، عليها أطيب التسليمات !

فمن فاته أن يعرف سر هيامى بوطنى فليقرأ هذه السطور بروحانية وإخلاص

الإسكندرية هى المثال المصوِّر لسرائر النعماء ، ومن لم يزر الإسكندرية فليس من حقه أن يزعم أنه عاش لحظةً من زمان

ولى فى الإسكندرية دارٌ تشكو جفائى ، ولم أكن من الجافين ، دارٌ أساورها بلا استئذان حين أريد ، كأنها دار الهوى فى سنتريس أو بغداد أو باريس

فى الصبح قرأت مقالاً فى جريدة الأهرام عن إيطاليا بعد ثلاث سنين ، وفى الظهر قرأت مقالاً فى جريدة الريفورم عن إيطاليا بعد ثلاث سنين ، فتذكرت أنى عرفت تلك الروح فى اليوم الذى أعلنتْ فيه إيطاليا الحرب قبل ثلاث سنين

وما أبعد الفرق بين إيطاليا وبينى !

مرّت بها موجاتٌ هزمتها ، ومرت بى موجات نصرتنى

أفى الحق أننا لم نتعارف إلا قبل ثلاث سنين ؟

أنت يا جِنيّة الشاطىء رفيقة روحى منذ أزمان وأجيال ، وأنت مُناى من الهوى قبل أن يتنفس صبح الوجود

لا بدّ للاسكندرية من حبيبَيْن ، فلنكن هذين الحبيبين ، ولتفرح بنا الإسكندرية فرح الأليف بالأليف

يا مثال الُحسن ومثال اللطف ، ويا ريحانةً مطلولة فى صباح من أصبحة آذار !

يا تلك الروح فى تلك المدينة ، تذكرى ثم تذكرى ، تذكرى « سبعة أبحُر » فى لغة العراق و « سبعة أرادبّ » فى لغة السودان ، وتذكرى الأبيات التى أمليتها عليك من لغة الفرنسيس .

وإلى اللقاء فى شِعاب الوجدان

زكى مبارك

لكى ننتفع بتجارب غيرنا

٢ - المسرح فى أوربا

بين حربين

(فى انجلترا)

للأستاذ دريني خشبة

رأينا فى الكلمة السابقة كيف علل إرڤن عوامل الرق والانحطاط فى المسرح الأوربى بوجه الإجمال ، وعرفنا وجهة نظره فى جمهور النظارة ؛ وسنرى كيف يربط وجهة نظره تلك بتأخر الدرامة بعد الحرب الكبرى فى أوربا عامة وفى انجلترا على وجه الخصوص ، ثم ما نشأ عن انحطاط حاسة هذا الجمهور الفنية من قيام المسارح التجارية التى أجهزت على البقية الباقية من السمو المسرحى الذى ورثته أوربا عن جهابذة كتاب الدرامة وشعرائها قبل تحول هذه القارة من الزراعة إلى الصناعة ، ثم ما صنعته الحرب الكبرى من التحلل فى أعصاب الأوربيين وما أفسدت به أرواحهم من انتشار الخلاعات فى معظم شعوبهم ولا سيما فى شعوب البحر الأبيض المتوسط أو الشعوب اللاتينية على وجه التخصيص

لم تعد تروج المأساة فى مسارح هذه الشعوب المحتاجة إلى ما يرفه عنها . . . لقد فقدت انجلترا قرابة المليون من زهرة شبابها المثقف اليانع ، وقل الرجال فى فرنسا التى فقدت فى تلك الحرب المشئومة أكثر من مليونين ، وكان لقلتهم أوخم العواقب الاجتماعية والأخلاقية ، فقد فشت الخلاعة ، وانتشرت الرشوة ، ونفقت السوق السوداء ، وخربت الأمم ، واختلت معايير الفضيلة ، وأصبحت الخيانة الوطنية أبسط الجرائم التى تقترف دون مبالاة . أما فى إيطاليا فقد خنقت الحريات باسم الإصلاح الفاسستى ، ذلك الإصلاح المادى الذى ملأ روح الأمة بالخيلاء والزهو الكاذب وأفسد فيها مثُل غاريبلدى العليا . . وفى أسبانيا حدثت القلاقل التقليدية فى تاريخها المفعم بالأعاجيب ، فطاح عرش ألفونسو ، وشبت الحرب بين الاشتراكيتين اللتين تصطرعان الآن فى روسيا وألمانيا ، وانصرف الجمهور عن المسرح بعد إذ كان يشارك الجمهور الإيطالى فى الذهاب إليه (بالجلمة) حيث كانت العائلات تقصد بكامل هيئاتها لشهود الروايات التمثيلية حاملة معها عشاءها أو غداءها فلا تجد بأساً من تناوله أثناء التمثيل . أما فى روسيا وألمانيا فقد عرفنا رأى الاشتراكية فى الفنون والآداب والأخلاق والأديان فى الكلمة السالفة ، وعرفنا كيف خضع المسرح فيهما لخدمة الدعاوة السياسية مما حاد به عن الجادة

فمن غير المعقول أن يرقى التأليف المسرحى فى شعوب هذه حال الكثرة الساحقة من أفرادها ، وإذا قدر لنوع من التأليف أن يروج فيها فلا بد أن يكون النوع الذى ينحط إلى مغازلة هذه الأذواق المريضة والأعصاب المنهوكة والأرواح المتعبة ؛ ومؤلف الدرامة مضطر إلى أن ينصاع للخطة التى تمليها عليه الظروف المسرحية والتى ترسمها وتتحكم فيها نقود ذلك الجمهور ، تلك النقود التى أتلفت الدرامة الفنية وخلقت المسارح التجارية فى طول أوربا وعرضها ولاسيما فى فرنسا وفى انجلترا . إننا نردد فى مصر دائماً أن واجب رجل المسرح سواء أكان مؤلفاً أو مخوجاً أو ممثلاً هو أن يرتفع دائماً بالجمهور لا أن ينحط إلى مستوى الجمهور ، ثم ننسى أن ذلك الارتفاع بالجمهور الذى ننادى به هو عمل شاق يتعرض دائماً لظروف تجعل المهمة تنتهى دائماً إلى الفشل الذريع ، لأننا نتعامى عن عيوب جمهورنا الذى كان ينبغى إصلاحه وتهيئته لشهود الروائع المسرحية . إن جمهورنا بثقافته التى لا نجهلها غير مستعد لشهود الدرامة الهادئة التحليلية ذات القضايا التى تنتهى إلى نتائج ترضى العقل ولا تستفز القلب ، وتقنع التفكير ولا تحرك العاطفة . ولقد حاولت الفرقة القومية المنحلة القيام بهذا العمل الجليل ، فماذا كانت النتيجة ؟ ... إنها لم تجد جمهوراً ... لأنها نسيت طبائع هذا الجمهور فلم تعالجها العلاج المعقول ولم تزخرف له من المغريات ما تجذبه بواسطته إليها ... ولو أننا الآن بسبيل الكلام عن المسرح المصرى لخضنا فى الحديث عن الفرقة القومية التى أدى إلى حلها ، كما أدى إلى إلغاء معهد التمثيل ، تفكير أمىٌّ مرتجل يدل على قصر النظر إن لم يدل على العمى المطلق الذى يصيب سياستنا الإنشائية دائماً ... ولما كان لهذا الحديث حينه إن شاء الله فنحن نرجئه لوقته ...

يحكم العامل الاقتصادى إذن فى خلق المسرح التجارى فى أوربا جميعها ، وفى انجلترا خاصة ، ولكى نعذر مديرى

المسارح التجاوية فى الازلاق بالدرامة وبالمسرح فى هذه الهوة التى لم تكن تليق بأسمى الأعمال الفنية الثقافية . نذكر أن متوسط نفقات المسرح العادى فى انجلترا فى الأسبوع الواحد هو أربعمائة جنيه ، ويقفز هذا المبلغ في مسارح الوست إند West End الإنجليزية إلى ١٢٠٠ جنيه أو ١٣٠٠ جنيه فى الأسبوع ، إذ يقدر إيجار المسرح بما يتراوح بين ٢٥٠ و ٦٠٠ جنيه فى الأسبوع الواحد ، ومتوسط إيجار أحد المسارح اللندنية اليوم هو ٤٠٠ جنيه فى الأسبوع ، وبإضافة أجور الممثلين والإداريين ومصممى المناظر ومهندسى الإضاءة والخدم والمستخدمين الآخرين ورجال الأركسترا وأجور الإعلان والنور والتدفئة الصناعية وثمن الدرامة وضريبة الملاهى (وإن تكن محتسبة على النظارة) يقفز المنصرف على المسرح أسبوعياً إلى ما ينيف على الألف جنيه بكثير . وإذا علمنا أن ثمن تذكرة الكرسى الممتاز هو ستون قرشاً (١٢ شلناً) ، وأن ثمن الكرسى العادى هو تسعة قروش عرفنا أن إيراد المسرح متوقف إلى حد بعيد على ثمن الكراسي الممتازة (الألواج والبناوير والكراسى الأمامية) وهى الكراسى التى يدفع ثمنها الأغنياء من الجهور الذى وصفنا ، فإن لم يعمل مدير المسرح حساباً لذوق هؤلاء الأغنياء انصرفوا عنه بطبيعة الحال وتكون النتيجة المنطقية هى الخراب والإفلاس إذ تسقط الرواية من الوجهة الاقتصادية ، والمدير محتاج - كي يغطي مصروفات الإخراج فقط - إلى أن تباع جميع كراسيه فى حفلات شهرين على الأقل، لأن فترة الإخراج لا تدر عليه إيراداً ، وهى عادة تكلفه ثلاثة أسابيع، أى أنها تكلفه حوالى أربعة آلاف أو خمسة آلاف من الجنيهات . ومن أظرف ما يورده إرفن بهذه المناسبة أن جميع المديرين فى مسارح لندن ، بل فى جميع المسارح الإنجليزية هم رجال متقفون ثقافة ممتازة ، وهم لهذا يخجلون من أنفسهم كلما بالغوا فى الإسفاف بالدرامة إلى حضيض التهريج والشعبذة ليضمنوا إقبال الطبقة الخاصة من هؤلاء الأغنياء التى تشترى التذاكر ذات الأثمان المرتفعة

« وليس أحب إليهم ، لهذا السبب ، من أن يقدموا للجمهور درامات من عصارة الفكر ولباب الفلسفة لو ضمنوا جمهوراً من الأغنياء الفلاسفة ؛ إذ لو تأخر الزمن بشيكسبير وأقبل بعد الحرب الكبرى وفى يده روايته الخالدة هملت ليعرضها على أحد هؤلاء المديرين لألقوه جيماً من نوافذ مسارحهم ، إن لم يلقوه فى شىء آخر داخل هذه المسارح (!!) وذلك لأن فى رواية هملت ثلاثين بطلاً يقتل معظمهم ، ثم منظر هذا الشبح المفزع كفيل بتمزيق أعصاب المترفين من جمهور النظارة ... فما لهم ولهذه المهلكات التمثيلية ، وما جاءوا إلا ليلهوا هذا اللهو الخفيف الظريف الذى لا يسيل دموعاً ولا ينكأ فى القلوب أوجاعاً !! ولا شك فى أن شكسبير كان يرتد على عقبيه كسير الفؤاد كاسف البال فينطوى إلى الأبد على نفسه ، وتضيع عبقريته التى تألقت فى عصر إليزابث هباء منثوراً »

وقد عولج هذا الخطر فى انجلترا علاجاً جيلاً ، إذ أنشئ فى كل مدينة انجليزية هامة مسرح من المسارح باسم The Repertory Theatre أو المستودع — إن جازت هذه الترجمة السقيمة — أو مسرح الروايات التى سبق تمثيلها . وتمتاز هذه المستودعات بقلة النفقات ، إذ لا يتجاوز مصروفات أحدها المائة من الجنيهات كما تمتاز بتفاهة أجور الممثلين وثبات ما تنفقه على الناظر لأنه لا يتكرر إلا كما رث وأصبح غير صالح للاستعمال ، ثم هي معفاة تقريباً من مصروفات الإخراج . فمن أشهر تلك المسارح مسرح برمنجهام الذى يدين ببقائه لكرم المستر بارى جاكسون ؛ ثم مسرح منشستر .The Gaiety Th الذى كان يدين بوجوده للمنح الكبيرة السخية التى تنفحه بها الآنسة هورنيمان .Miss H تلك الإنجليزية العجيبة التى كانت تنفق من حر مالها على مسارح كثيرة حفظاً لها من الانحلال ؛ فمن تلك المسارح التى كانت تنعم بأعطياتها مسرح دبلن بإيرلندة .The Abbey Th أما مسرح ليفربول The Playhouse فكان هو الآخر يعتمد فى مواصلة أعماله على كرم اثنين من أسخياء الإنجليز ... وقد كانت معظم هذه المسارح تستمد قوتها من مسرح الكورت The Court بلندن الذى كان يأذن لها جيماً في تمثيل رواياته بل كان يمدها ببعض ممثليه ... على أن مسارح المستودعات كثيراً ما كانت تحيد عن تقاليدها فتخرج روايات جديدة للمؤلفين المبتدئين . ومن هنا كانت فائدتها الجزيلة فى إظهار عبقريات انجليزية لم تكن لتبرز إلى الوجود لو لا هذه المسارح . وحسبك أن تعلم أن برمنجهام كان الحقل الأول الذى نما فيه جون درنكووتر حيث أخرج له روايته المعروفة (أبراهام لنكولن) ، كما نما فيه أيضاً شاعر الأوبرا المشهور (رتلاند باوتن) ؛ وأن مسرح دبلن كان الحقل

الأول الذى ازدهر فيه الماهل الدرامي الكبير جون . م . سينج Synge والمستر لِنكس روبنسن والليدى جريجورى . والذى يهمنا من هؤلاء الثلاثة هو سينج الذى يسمو إلى مرتبة شو فى المسرح الإنجليزى الحديث ؛ ولولا مسرح دبلن لما ظهر فى الوجود . وفى مسرح منشستر : ال Gaiety ظهرت عبقرية ستانلى هاوتن ، شارلز ماك إڤوى Mc Evoy ومستر ألان منكهوس .

وفى ليڤربول تألق نجم المستر رونالد جينس الناقد المسرحى اللامع ... أما فى مسرح الكورت بلندن فقد وثب إلى قمة المجد مستر شو وجولذ ورثى وجرانفيل باركر وچون هانكن ... وكما كانت هذه المسارح وسيلة لإظهار هذه الطائفة الضخمة من كبار المؤلفين فكذلك كانت سبباً لظهور أكابر الممثلين الإنجليز . وقد كان مسرح ليڤربول أعظم مدرسة إنجليزية لتخريج أحسن ممثلى الطراز الأول كما بدأ نبوغ الممثلة الذائعة الصيت سيبيل تورنديك فى مسرح منشستر وهى التى أصبحت درة مسارح الوست إند فيما بعد ... وكذلك أخرجت تلك المسارح طائفة عظيمة من كبار المخرجين وعلى رأسهم المستر باسل دين Basil Dean ؛ كما أخرجت الكثيرين من مصورى المناظر وفى مقدمتهم المستر چورج هارس Harris

أما ما كان يعاب على مسارح المستودعات هذه فجملة أمور أهمها ضآلة أجور الممثلين وضآلة المكافآت التى كانت تمنحها للمؤلفين الناشئين — وكثيراً ما كانت المس هورنيمان وغيرها من أسخياء الإنجليز هم الذين يشترون الروايات الجديدة ويمنحونها للمسارح على سبيل الهدايا ومن باب التشجيع ، — وكانت هذه المسارح كلها متقاطعة فيما بينها ، فلا يتصل أحدها بالآخر ، ولا تقوم فرقها بزيارات إقليمية ، وكانت عنايتها بالروايات الجديدة تافهة كما قدمنا . ولعل هذا كان سبباً فى تخليد تلك الثروة العتيدة الضخمة من الروائع المسرحية القديمة التى لولا مسارح المستودعات لاختفت إلى الأبد أو لأصبحت محبوسة فى بطون الكتب لمن شاء أن يقرأها لا لمن يحاول أن يمثلها أو يشهدها على خشبة المسرح قطعة فنية حية تتحرك بأشخاصها ومناظرها وعنصرها وموضوعها . على أن أكبر عيوب تلك المسارح هو الملل الذى يتسرب إلى نفوس النظارة من كثرة مايشهدون ممثليها ، إذ يتفق للمتفرج أن يشهد الممثل ثلاثين أو أربعين مرة (هذا فى انجلترا !) فى السنة الواحدة ، وفى ذلك من الأملال لنفس المتفرج ما فيه ، والتفرج — بل كل نفس بشرية — محتاجة إلى التشويق بالأشخاص الجدد حاجتها إلى الهواء الجديد والمناظر الجديدة والموضوعات الجديدة . ولعل هذا الركود فى وحدة أشخاص الممثلين هو الذى أوشك أن يقضى على تلك المسارح بانصراف الجمهور عنها — ولعل هذا أيضاً هو أحد العوامل التى هونت على الجمهور المصرى شأن المسرح وسببت انصرافه عنه .

وهم يقترحون لاستدراك هذا الخطر — فى انجلترا طبعاً — تسهيل تزاور هذه الفرق ليعرض كل منها رواياته فى مسارح البلدان الأخرى ، على ألا تتحمل الفرق مصروفات الانتقال أو أجور المسارح التى تزورها ما دام التزاور سيكون على قاعدة التبادل النفعى ... ومن عيوب مسارح المستودعات أيضاً سرعة تغيير البرنامج الذى يقتضيه الفرار من إملال الجمهور المتشوق إلى رؤية الجديد دائماً ... وسرعة تغيير البرنامج تؤدى إلى أخطار كثيرة منها عدم عناية الممثل بدوره لكثرة إرهاقه بالعمل . وكان المسرح الألمانى يتخلص من نتيجة ذلك بتمثيل الرواية الواحدة فى أكثر مسارح ال Prepertory فى وقت واحد ولمدة طويلة معينة ربما امتدت إلى أكثر من خمسة عشر أسبوعاً ، وبذلك يضمن ربحاً معقولاً للمؤلف الذى تخصص له حصة معلومة من جميع المسارح ، كما يضمن الراحة لجميع أفراد الممثلين الذين يتمكنون بذلك من أداء أدوارهم على خير وجه مضمون . على أن الألمانيين ، قبل الحرب الكبرى ، كانوا يعرفون للمسرح قدره ، وقد ضاقوا ببطء الأساليب المسرحية الإنجليزية فأنشأوا مسارحهم الخاصة على منوال جديد وذلك بتشييد المسارح الشعبية الحرة Free Peopl's Th. التى كانت بلديات المدن الكبرى تمدها بإعانات على جانب كبير من السخاء كما كانت هى تتألف عن طريق الاشتراك من آلاف الأعضاء الذين كانوا يمنحون امتيازات عظيمة لشهود الروايات ، وكان أجر الدخول لا يتجاوز الخمسة قروش قط ، كما كانوا ، مقابل جنيه واحد فى السنة ، يحصلون ، يحصلون على مجلة مسرحية ثقافية ويملكون الحق فى شهود عدة محاضرات ثقافية تلق

على هامش النقد

الأدب «المهموس»

والأدب الصادق

للأستاذ سيد قطب

أرجو أن تكون هذه الكلمة هي الكلمة الأخيرة عن «الأدب المهموس» . وبرنامجها يتناول ثلاثة أغراض :

فأما الغرض الأول : فهو أن الأدب المصرى لم يخل من صور من ذلك اللون المحبب إلى الأستاذ «مندور» ، وهى صور منوعة وأكثر سلامة من النماذج التى استهوته هناك . ولكن عجلته فيما يصدر من الأحكام ، وعدم انفساح الوقت أمامه ليدرس قبل أن يحكم ، وتشيعه الواضح المفهوم لشعراء المهجر ... هذه الأسباب جميعها جعلته ينادى بأن الشعر المصرى متخلف قروناً عن شعر المهجر ، وأنه شعر خطابى لا يستهويه

وأما الغرض الثانى : فهو أن هذا اللون من الأدب ، ليس هو اللون الوحيد الذى يستحق الإعجاب ، وقد لا يكون أفضل الألوان ؛ فالتشيع له إلى أقصى الحدود ، وإنكار ما عداه من ألوان الأدب الأخرى ، مسألة «مزاج» خاص ، له دوافعه الخاصة ، وليس حكماً أدبياً يركن إليه النقد الفنى

وأما الغرض الثالث : فهو الحديث عن «النماذج البشرية» الحبيبة إلى الأستاذ مندور وعلاقتها فى «مزاجه» بحكاية «الأدب المهموس» من بعض النواحى . وهو ما أرجو أن يتفسح له المجال فى هذا المقال

***

ليس من الضرورى أن يستتبع الهمسُ الأسى ، وليس من الضرورى أن يكون الأسى متهالكا ليكون حبيباً إلى النفوس . ولكننا – مع هذا – نعرض للأستاذ مندور صورة من صور الشعر الهامس فيها الأسى وإن لم يكن فيها التهالك ، لشاعر مصرى كبير تحت عنوان «السلو»

أذن الشفاء . فما له لم يحمد ؟ ودنا الرجاء وما الرجاء بمسعدى
أعدوت أم شارفت غاية مقصدى ؟

برد الغليل اليوم وانطفأ الجوى وسلا الفؤاد فلا لقاء ولا نوى
وتبـدد الشملان أى تبدد

قذفت بنا الأيام فى غمراتهـا ورمت بنا فى التيه من فلواتها
فردين لم يتلاقيـا فى موعد

لا أنت أكرم من أحب ولا أنا سلوا ك دون الناس فى هذى الدنى
تفدين حبى بالحيـاة وأفتدى

ما كنت أحسب أن أبيت عشية أبدَ الزمان ولا أراك نجية
تحت الظلام ولا أضيق بمرقدى

يأتى الأصيل ولا نراقب وعده ويلى الظلام ولا نحاذر سهده
وإذا انقضى يوم فليس : إلى غد

وإذا رأيتك فى الطريق فعابر يجتاز عابرة ، وطرف ناظر
يرنو لناظرة تروح وتغتـدى !

عجباً لغابرنا وحاضر أمرنا ! أكذا تمرّ بنسا معالم عمرنا
وتزول حتى لا دليـل لمهتـد ؟

هذى الشفاه فهل على بسماتها أثر يشف اليوم عن قبلاتها
فى ذلك الماضى الذى لم يبعد ؟

هذى العيون فأين من نظراتها لسات رحمتها ووحى هناتها
لم يبق من خبر ولا من مشهد !

عليهم بانتظام ، هذا إلى حضور أربعين حفلة تمثيلية بالمجان موزعة على الفصل التمثيلى السنوى . والعجيب فى ألمانيا أن برلين نفسها كانت متخلفة فى الحركة التمثيلية وراء جميع المدن الألمانية الكبرى فلم تكن تفرض هذا الذوق الـ Metropolitan أو العاصمى الذى تفرضه العواصم الأخرى على المدن الأقل شأناً فى المملكة ؛ فكان لمدينة كولونيا مسرحها الشعبى العتيد الذى كانت بلديتها تمنحه سنوياً مبلغ خمسة وعشرين ألفاً من الجنيهات ؛ وكذلك كان لمدينة تورن ، وهى من أصغر المدن الألمانية ، مسرحها الشعبى الذى كانت تمنحه بلديتها مبلغ ألف جنيه سنوياً . وقد مثل مسرح كولونيا رواية المعركة لجوالذورثى الإنجليزى فربح منها أضعاف ما ربح فى انجلترا .

دريني خشبة

ذكرى تودد فى الحياة سقيمة   وتعيش فى كنف الهوان يتيمة
وتمر ذاهبة كأن لم توجد

ترى يستطيع الأستاذ مندور أن يحس بهذه القطعة وما يغشى جوها كله من أسى شفيف وهمس عميق ؟ ثم تراه حين تقلب الصفحة الأخرى على صورة هامسة ذات لون آخر ، يستطيع كذلك أن يحس بالصفحتين المتقابلتين ؟

إذن فليسمع هذه المقطوعة الأخرى لنفس الشاعر الكبير ! تحت عنوان « الكون جميل »

صفحة الجو على الزر   قاء كالخد الصقيل
لمعة الشمس كمين   لمت نحو خليل
رجفة الزهر لجسم   هزه الشوق الدخيل
حيث يمت مروج   وعلى البعد نخيل
قل ولا تحفل بشىء   إنما الكون جميل

ونلمح هنا « ألفة » عميقة بين الشاعر وبين الطبيعة ، هى ألفة الحبيب العاشق المتفتح الحس والنفس ، المنهوم القلب والجوارح ؛ ونكاد نلمحه متسع الحدق مفغور الفم ، متوفز الإحساس ، وهو ينشق بل يلتهم ما فى الطبيعة الحبيبة من روح وجمال

قل ولا تحفل بشىء   إنما الكون جميل

قلها وأنت تستنشق ملء رئتيك ما فيه من روح وحلاوة ، ثم تستريح بنفس طويل ! . قلها فإنها لحظة تجلٍّ لروح ذلك الكون الجميل

وقصة ثالثة ذات لون ثالث ، لا هو بالأسى الشفيف ، ولا هو بالحس المنهوم ؛ ولكنها اللهفة الآسفة ، والحيرة الخاطفة فى « الحلم الضائع » لشاعر من شعراء الشباب المصريين :

أين حلمى وغرامى ونشيدى ؟   أين آمالىَ فى الأفق المديد ؟
أين دنيـاى التى جسَّمتها   فى خيالى ، فتوارت من بعيد !

ومضة كالبرق مرت فى حياتى   أيقظت قلبى وحثَّت أمنياتى
وكما يخبو شـعاع بارق   لم أجد حولىَ إلا الظلمات

أين عش كان فى نفسى دفيئاً   أين أفق كان فى قلبى وضيئا
وحياة عشتها فى خاطرى   قبل أن تولد ، نشوان هنيئا ؟

أهو حلم أم ترى كان عيانا   عشنا النائم فى دفء هوانا
وسياحات لنـا فى عالم   نحن أبدعناه فى الحلم فكانا ؟

أين يا أحلام واديك الجميل ؟   أين ظل عند واديك ظليل ؟
أين ؟ فالجدب يغشى عالمى   وخريف العمر والصمت الثقيل

أين أين ؟ كل ما قد كان فات   لم تعد فى النفس إلا الذكريات
وحنين فى الحنايا موغل   وظلام غارق فى الظلمات

ولدى من هذه الصور عشرات ، ولكن الفراغ محدود ، فبحسبى هذه الصور الثلاث من الشعر المصرى المتخلف قروناً ، لأنه ليس من عمل شعراء المهجر لسوء الحظ !

* * *

وبعد . فليس هذا اللون من الشعر — على تمدد صوره — باللون الوحيد الذى يعجب الناقد الفنى ذا الآفاق الوسيعة ، والنفس الرحيبة . وقد لا يكون أفضل الألوان حين يكون المقياس هو صدق التعبير عن الحياة ، لا إرضاء الأمزجة الخاصة المتأثرة بمزاج خاص

ومن الذى يقول : إن الهمس والوسوسة فى الطبيعة أصدق من الجأر والجهر ؟ إن بغام الظباء ليس آصل فى الحياة من زئير الآساد ؛ وإن خرير الجدول ليس أعمق فى النفس من هدير الشلالات ؛ وإن وسوسة النسيم ليست أوقع فى الحس من زمجرة العاصفة

والموسيقى ؛ ما شأنها فى هذا المجال ، (وهو خاطر جال فى نفس الموسيقى المصرى المبدع الأستاذ الشجاعى بهذه المناسبة) أنقضى مثلاً على موسيقى « واجنر » وكثير من سيمفونيات بتهوفن وسواء فى سبيل الهمس الذى تلجأ إليه الطبيعة مرة ، كلما لجأت إلى مختلف النغمات والطبقات مرات !

كل مقاييس الفنون تنكر أن يكون الهمس أجمل أو أصدق أو أعمق . وإن هو إلا « حالة » من حالات ، بل حالة لا تلجأ إليها الطبيعة والحياة إلا فى فترات الراحة من عناء الضجيج ! وليست الحياة كلها راحة إلا أن تكون حياة مزاج خاص يرى الدنيا من زاوية واحدة صغيرة !

ألا وإن الدنيا لحفية بالهامسين والجاهرين وإنهم لأبناؤها المخلصون فى جميع نغماتهم وطبقاتهم ما داموا صادقين . وإن هذه

الشعر الخطابى

للدكتور محمد مندور

يريد الأستاذ السيد قطب أن يجمل مما سميته الهمس فى الشعر نوعاً من الأدب يتميز بالإحساس الذى يغذيه فهو شعر الحنين أو « الحنية » كما يقول ، وهو يحذر القراء من آرائى لخضوعها لطبع خاص أقرب إلى المرض منه إلى الصحة ، ولكننى بحمد الله لست مريضاً ، ولا أذكر أننى مرضت يوماً ما ، وأنا على العكس سليم الجسم صلب البناء متمتع بكل قواى الجسمية والعقلية ، وشخصي بعد ليس موضع الحديث ، والهمس فى الشعر ليس « الحنية » ، ولا هو خاص بنوع من الإحساس ، وإنما هو مذهب فى الفن ، مذهب عام لا يتقيد بمادة

أما تحذير القراء من آرائى فهذا ما أدعو إليه أنا أيضاً لأننى أمقت مبدأ « السلطة » principe d'authorité ، وأعرف ما أصاب الإنسانية من أضراره المميتة خلال القرون الوسطى يوم كان الناس يؤمنون بآراء أرسطو لأنهـا صادرة عن المعلم الأول ، لا لما تقوم عليه من بينات . ونحن فى الشرق أحوج ما نكون إلى تحطيم هذا المبدأ الذى يشل عقول الناس فتستسلم لآراء هـذا أو ذاك ، والأمر فى المسائل الفنية أشد خطورة ، وذلك لأن الأذواق الفنية لم تتكون بعد لسبب واضح هو جهلنا بالآداب الأجنبية أو معرفتنا بها معرفة أضر من الجهـل بها ، وليس من سبيل إطلاقا إلى الادعاء بأن أدبنا العربى يكفى لتكوين ذوق أدبى صحيح

وإذن فأنا لا أريد أن أملى ذوقى على أحد ؛ وذلك لأن الذوق وإن يكن من أعمق ملكاتنا البشرية فى إدراك مواضع الجمال والقبح ، إلا أنه لا يمكن أن يصبح وسيلة مشروعة للمعرفة التى لدى الغير ، إلا إذا علل بأسباب عقلية وفنية ونفسية تستطيع أن توحى بمثل ما نحس به ، وإلا أصبح ما نقول ادعاء كاذباً إن لم يكن نصباً .

ولقد حاولت تمييز « الشعر المهموس » بمعارضته « بالشعر الخطابى » ، ولكننى فيما يظهر لا أزال محتاجاً إلى مزيد من الإيضاح . وها أنا اليوم أتناول قصيدة للأستاذ محمود حسن إسماعيل ، وجدتها مصادفة فى عدد ٧ يونية سنة ١٩٤٣ من « الرسالة » بعنوان « حصاد القمر »

النغمات والطبقات لكثيرة منوعة تنوعَ النفوس ، بل تنوعَ الحالات النفسية فى الإنسان الواحد . وإننا لنعجب بالمتنبى مثلاً حين يجهر بأعلى صوته :

أفكر فى معاقرة المنايا ... وقود الخيل مشرفة الهوادى

زعيم للقنا الخطى عزمى ... بسفك دم الحواضر والبوادى

إلى كم ذا التخلف والتوانى ... وكم هذا التمادى فى التمادى

وشغل النفس عن طلب المعالى ... ببيع الشعر فى سوق الكساد

كما نعجب به حين يهمس فى حنين :

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا ... لفارقت شيبى موجع القلب باكياً

أو حين يهمس فى ألم مرير :

وحيد من الخلان فى كل بلدة ... إذا عظم المطلوب قل المساعد

فهو هو المتنبى فى جهره وهمسه ، ذو الطابع الواضح ، والصدق الأصيل

وبهذه الرحابة يجب أن ننظر إلى أنماط الفنون ، وأنماط النفوس فى هذه الحياة التى تتسع للجميع ، وتحفل بالجميع ، ولا تتطلب منهم إلا التعبير الجميل عن الشعور الصادق ، وليكن فى هذه الحدود الرحيبة ما يكون

***

فأما النماذج البشرية ، التى يهفو إليها الأستاذ « مندور » وبعض زملائه فى هذه الأيام ، فيمهلنى القراء أسبوعاً آخر لإدارة الحديث عليها ، بعد أن استغرق المقال كل المجال !

(حلوان) **سيد قطب**

ملاحظة : كنت قد ذكرت — نقلا عن الأستاذ مندور — أن قصيدة « ترنيمة سرير وقصيدة « يا نفس » لشاعر واحد هو « نسيب عريضة » وقلت : إن بينهما فارقاً بعيداً فالأولى شعر يستحق الحب والاعجاب ، والثانية لا تبلغ أن تكون شعرا

وفى عدد الثقافة رقم ٢٣٠ كتب حضرة الفاضل « عزمى يوسف » يصحح ما ذكره الأستاذ مندور من نسبة « ترنيمة سرير » إلى نسيب عريضة ويقرر أنها للشاعر « إلياس فرحات » وأنا أرجح هذا ، للفارق البين بين روحى القصيدتين الذى أشرت إليه فى المقال السابق

الأستاذ محمود حسن إسمعيل يذكرنى دائماً بالمتنبى ، فى شعره رنين قوى تجده فى بسطة أوزانه وضخامة ألفاظه بل فى بعض صوره الشعرية المجتلبة على نفس النحو الذى كان المتنبى يصطنعه متتلمذاً لأبى تمام . ولكنى أبادر فأقرر أن شعر المتنبى غير شعر محمود إسمعيل فى معدنه النفسى وفى رؤيته الشعرية

شعر المتنبى كشعر محمود إسمعيل من النوع الخطابى ولكن شاعر الحمدانيين كان شاعراً كبيراً . وأما صاحب « هكذا أغنى » فشاعر يعيبه أمران خطيران :

١ — أولهما أن المتنبى نفس قوية عاتية متماسكة . عاطفة المتنبى مغلقة مركزة عميقة ولهذا قلما تلوح كاذبة . عاطفة المتنبى نار داخلية لا تراها وإن ألهبت اللفظ أو أوقدت الصورة . وأما إحساس محمود حسن إسمعيل فمفضوح ؛ ويأبى شاعرنا إلا أن يزيده افتضاحاً بقصاصات النثر التى يعلقها فوق قصائده . وفى هذا ابتذال ، للنفس عنه نفرة . عاطفة محمود إسمعيل « معارطشة » حتى لتلوح « سراباً عاطفياً » pathetic fallacy كما يقول نقاد الإنجليز

٢ — ثانيهما اضطراب الرؤية الشعرية vision poëtique عند محمود إسمعيل ، بل إننى لأخشى ألا يكون له حقل شعرى على الإطلاق ، وهذا أمر يتضح لمن يراجع صوره فى أية قصيدة من قصائده ، فإنه لا بد واجد بينها من التنافر ما يقطع بأنه لا يرى الأشياء رؤية شعرية صحيحة . تراه يجمع بين صور لا يمكن أن تكون وحدة للموصوف ، ولو أنه حرص على الرؤية الشعرية الصادقة لرأيت التجانس الذى يعوزه . وأنا بعد أرجح أنه يلتمس الصور من ذاكرته لا مما يراه ببصره أو يدركه بحسه

ونحن عند ما لا نجد لدى الشاعر العاطفة المتماسكة والرؤية الشعرية لا نستطيع أن نحكم بتفوق فنه ؛ وذلك لأن الرنين الخطابى مهما بلغت قوته لا يمكن أن يسمو بالشعر . فلنيرى إذن أن يعجب بقوة أسر محمود اسماعيل واستحصاد لفظه وغرابة صوره . وأما أنا فما دمت لا أستطيع أن أدرك ببصرى حقيقة ما يصف ولا أن أسكن إلى نوع إحساسه ، فإننى لا أتردد فى رفض شعره وتفضيل (نعيمه) أو (عريضة) عليه وذلك لصدق شعراء المهجر فى فنهم

وأنا بعد مؤمن بأن محمود اسماعيل يستطيع أن يصبح شاعراً كبيراً جداً وذلك لأنه يملك هبتين لا شك فيهما

١ — أولاهما روح الشعر . روح غفل ولكنها قوة من قوى الطبيعة . قوة تحتاج إلى التثقيف الصحيح . ولو جاز لى أن آمل من هذا الشاعر الإصغاء إلى موضعى النقص الكبير اللذين أشرت إليهما فيما سبق لرجوت أن نجد فيه شاعراً يعتز به عصرنا

٢ — وثانيهما قدرته على الانفعال ، وفى هذا ما يلهب الحس فيدرك المرء بقلبه ما لن تدركه العقول . وما يحتاج إليه محمود اسماعيل لاستغلال قدرته إنما هو نوع من النظام يركز به إحساسه ويرد ما فيه من فضول

ثم إننى أريد أن يطمئن الأستاذ قطب إلى أن أحكامى على أدباء المهجر ليست سريعة ولا هى عن جهل ، فقد قرأت الكثير مما كتب وإن لم أتحدث عنه ؛ وأمر اشتغالى بالدكتوراه حدث عارض لم يستوعب قط كل وقتى ، وأنا لا زلت عند رأيى فى أدب الحكيم ومحمود طه وغيرهما مع تحفظ واحد هو أننى اقتصرت فى مقالاتى على كتب بعينها ليكون النقد موضعياً ومن ثم منتجاً . ولقد قرأت لكل كاتب معظم كتبه الأخرى فوجدت الخصائص التى ذكرتها واضحة وإن تكن ثمة اتجاهات أخرى تحتاج إلى علاج خاص كتصوير الحكيم لبعض الشخصيات تصويراً ناجحاً فى « عودة الروح » وكاستخدامه لليومى فى « أهل الفن » ، ولكن أدبه كما قلت فى جملته أدب فكرة ، أدب رمزى allegorique

وكذلك الأمر فى حديثى اليوم عن محمود اسماعيل هذا الحديث الذى لا أبغى من ورائه لجاجة وإنما أبغى الخير ، خير الشاعر وخير أدبنا الجديد . فأحكامى عنه تستند إلى قراءة شبه شاملة لما كتب ، وإن كنت سأكتفى اليوم بنقد قصيدة واحدة من قصائده حرصاً على الدقة

القصيدة كما يقول الشاعر فى بطاقته وحى سياحة قرية فى ليلة من ليالى الحصاد ... » وها هو شاعرنا يبدأ بوصف الحقل : « سيان فى جفنه الأغفاء والسهر » وإذن فنحن فى حالة

هيام شعرى تستوى فيه اليقظة والنوم . نحن إن أردت فى حلم يقظة « نعسان يحلم والأضواء ساهدة » وهذا لا ريب جو الإلهام الشعرى ، ولكنه جو قد قيد الشاعر ؛ ونحن لا يعنينا منه صدقه أو تصنعه ، فالشاعر يدعونا إلى هذا الجو وقد أعاننا على أن نحيط أنفسنا به لنخلق فيها جواً مشابهاً وننظر مع الشاعر فاذا نرى : نرى أن السنابل قد نامت واستيقظ القمر فإذا بنا أمام مقابلة مصنوعة ، لأننا لا نرى نوم السنابل بوضوح ولا يقظة القمر . القمر الذى ينشر الأحلام . وهذا يسلمنا إلى ملاحظة عامة خطيرة على شعر محمود اسماعيل وهى مصدر ما فيه من تنافر وأعنى بها « تشخيصه » للأشياء ؛ والتشخيص لا ريب من وسائل الفن القوية ، ولكنه لا يمكن أن يكون مجرد عبث أو مهارة ، بل من الواجب أن تمليه الأشياء إملاء يقربه الفن وقد مسه بجناحه فإذا به كالحقائق . والفن إلى حد بعيد إيهام ، إيهام بالخلق ، خلق واقع شعرى ، فهل نجح الشاعر فى ذلك ؟

إننى أنظر فأرى « قلب النسيم ولهان ينفطر للأضواء » وأرى « السناقد مال جاثياً » وأرى « نخلة قد أطرقت بتلعة » وأرى ظل النخلة كأنه «مضطهد» ، ثم أرى « الدوح نشواناً » ومع ذلك يدعونا الشاعر إلى أن نخشع إن مررنا بالدوح النشوان . ما هذا التنافر ؟ « لماذا ينفطر قلب النسيم ولهاً بالأضواء » ، أهذا تجسيم لإحساس الشاعر ؟ أهو تصوير لرقة النسيم تصويراً مجتلباً ؟ و « لماذا يجثو السنا » وهو يحنو على الشاعر وينساب إليه من السماء ؟ ثم إن الجو كله جو أحلام هادئة فيها لا ريب حزن خفيف melancholie ومع ذلك فجأة نرى الدوح نشواناً . وكل هذا تخبط فى الرواية الشعرية أو انعدام لها . ومن عجب أن تجد وسط هذا التنافر الكاذب البيت الرائع بتصويره :

إن هب نسم بها خيلت ذوائبها أناملاً مرعشات هزها الكبر

وأن يجاور هذا التصوير الجميل تشبيهه لظل النخلة « بمضطهد » وأغصان الدوح بأشباح قافلة غاب عنها الرفيقان « الركب والسفر » وقد نزل على الدوح ضيفان « الليل والقدر » ليتم الازدواج الكاذب : الليل والقدر والركب والسفر . أما الليل فنستطيع أن نفهمه ، ولكن ما شأن القدر هنا ، وما الرأى فى « غياب السفر » كناية عن ثبات الدوح وعدم تحركه . قد يكون فى غياب الركب ما يشعر بالوحشة ولكننى فى الحق لا أدرك العبارة عن السكون بغياب السفر . والأغصان « مبهورة ذاهلة » ولكنها مع ذلك قد تكون « منتعشة بشجو الرياح » وما أريد أن أدركه هو وضع تلك الأغصان . كيف كانت أو كيف رآها الشاعر . « ذاهلة أم منتعشة » أننى لا أطيق ما يلقيه الشاعر فى نفسى من عجز عن إدراك ما رأى

ثم إن القمر « هيمان يحمل وجد الليل أضلعه » وقديماً قاتل النقاد أبا تمام لقوله « ماء الملام » وثار به الآمدى إذ وصف حمرة الخدين بـ « ملطومة الخدين بالورد » فماذا يقول المسكين الآمدى لو سمع محمود اسماعيل يتحدث عن « أضلع القمر »

وأنا لا أريد أن أطيل فقد أبنت بالأمثلة السابقة عما أريد من « الرواية الشعرية » ؛ وأما «طرطشة» العاطفة فليست واضحة فى هذه القصيدة الوصفية وضوحها فى قصائده العاطفية وهى كثيرة بديوانه « هكذا أغنى » ومع ذلك نجد فى هذه القصيدة أيضاً كثيراً من « التأوه » و « الآهات » و « الكبد » و « كبدى » و « يا كبدا » وما إليها

أنظر مثلاً إلى قوله يخاطب القمر :

« قلب كقلبك مجروح » . وقوله لنفس المخاطب : « إن العذاب الذى أضناك فى كبدى » ثم حدثنى عما تستطيع أن ترى من جروح فى قلب القمر الهادئ البارد الحالم الحزين حزناً رفيقاً لا يعرف الدماء . ثم ما هذا الضنا الآخذ بكبد الشاعر وكيف يوحى به القمر ؟ أليس هذا إسرافاً معيباً ووضعاً للاحساس فى غير موضعه ؟

« الله أكبر ! يا ابن النيل ... يا كبدا » . أو ما تحس بنفرة نفسية من « يا كبدا » هذه . وكيف تخاطب القمر « بيا كبدا »

وبعد فأنا لا أدرى كيف يجوز لنا أن نضع هذا الفن الذى نرده اليوم فى مستوى فن شعراء المهجر للرهف القوى المباشر . كيف نقارن هذا الضجيج بهمسهم الفنى ؟ وأما عن النثر فما أظن

تشارلز دكنز

مواهبه وخصائص فنه

للأستاذ محمود عزت عرفة

حلم ... يتحقق

كان جمال الطبيعة وفتنة المناظر فى الطريق بين بلدتى شاتهام وجريفسيند مما يملك لب الصغير « تشارلى » ويستثير عنده أدق الأحاسيس بالجمال . وكان أحب شىء عنده أن يقف ويستوقف أباه لدن هذا الصرح المرد القائم على قمة الربوة ... صرح جادز هيل ؛ حيث كان يربض فيما مضى قاطع الطريق فالستاف مع رجال عصابته ليسلب المسافرين والمنقطعين ؛ وحيث تنبسط اليوم على مدى البصر السهولُ الآمنة الخضر والمروج الأواهل الفيح .

قال الوالد الفقير المثقل بأعباء الحياة لطفله ذات يوم ، وهو يحاول أن يبعث فى قلبه الصغير بصيصاً من الأمل :

أترى هذا القصر الأنيق يا تشارلى ؟ إنك لتستطيع أن تكون مالكه يوماً ما ، إذا أنت أخذت نفسك منذ اليوم بالجد والدأب ، وسلكت فى حياتك مسلكا ناجحاً شريفاً حتى تنال ما ينبغى لك من الجاه والثراء جميعاً ...

وما من شك فى أن الأب كان يرتاب فى إمكان تحقيق هذا الأمل الذى داعب به مشاعر غلامه ؛ ولكن مشيئة القدر، وانطواء الزمن تلو الزمن كانا كفيلين بتحقيق هذه الأمنية النفيسة ، فى جملتها وفى تفصيلها . فقد جد تشارلز ودأب ، وسلك فى حياته سبيلاً ناجحاً شريفاً ، ونال الجاه والثراء جميعاً ... ثم امتلك قصر جادزهيل بمروجه ومزارعه ، وقضى فى رحابه أجمل أيام حياته . ولكن لم يتم له ذلك إلا فى أعقاب أربعين سنة كاملة تجرع فيها كؤوس الآلام مترعة دهاقا ...

لم يكن تشارلز من مواليد شاتهام وإنما انتقل إليها مع والده وهو فى الرابعة من عمره ؛ وكان مولده فى لاندبورت بجزيرة بورت سى يوم الجمعة السابع من فبراير عام ١٨١٢ م .

وكان والده — وهو كاتب ببعض خزائن الأسطول — رجلاً ممتلىء النفس بالعطف البالغ على أسرته ، وتلمس أسباب السعادة والنعيم لها ، إلى الحد الذى لا يفي به دخله ، أو تتسع له ذات يده ، فأقبل يستدين ويستدين حتى اضطرب ميزان حياته ، وحتى جنى بهذا التصرف على أسرته أكثر مما أفادها ! ولم تُتح بذلك أدنى فرصة لتشارلز يتلقى فيها من العلم ما يشبع بعض نهمه أو يُروى القليل من غلته

وبلغ العاشرة من عمره دون أن ينتظم فى سلك مدرسة أو يتلقى دروساً بالمعنى المفهوم ؛ ولكنه كان قد لقن من الحياة دروساً نافعات ، واستنبط من الإهمال والجهالة اللذين اكتنفاه علماً ولقانة قل أن أتيحا لغيره ؛ وكان أثر هذه السنوات الست التى قضاها فى شاتهام بالغ الوضوح فى تفكيره وإنتاجه الأدبى فيما بعد . ففيها ثقب فكره وتفتحت مداركه ، وفيها اكتسب دقة فى النظر وقوة فى الملاحظة شعَّ سناها على سائر تآليفه ، وفيها عرف من بأساء الحياة وذاق من مرارة العيش ما أجداه ذوقه ومعرفته كثيراً ، وتقلب فى أحضان الفاقة والضر إلى الحد الذى مكَّن له من أن يصف ذلك فى رواياته أبلغ الوصف وأصدقه ؛ حتى لأصبح البؤس مادة لفنه والبائسون أبطالاً لقصصه ، يفصح فى التعبير عن أشجانهم ، ويجلّى فى الإبانة عما دق أو عظم من أحداث حياتهم .

القراء فى حاجة إلى أن أدلهم على أن « رثاء أحد الشبان لأمه » الذى أورده الأستاذ قطب لا يمكن بحال من الأحوال أن يقارن « بأمى » لأمين مشرق . فرثاء الشاب المذكور لا إيقاع فيه ولا نبل فى الإحساس ولا توفيق فى الاختيار للتفاصيل . وكيف تريد من شاب يؤله من موت أمه أنهم لم يعودوا يعرفون « بأسرة » أن يصل فى فن الكتابة إلى مشرق الذى يذكر « فستانها العتيق » و « يديها اللطيفتين » « ووقع قدميها حول سريره » و « غابة السنديان » وما إلى ذلك من فتات الحياة التى يعرف كبار الشعراء — كما قلت — كيف يلتقطونها بأنامل ورعة فيصلون من التأثير فى نفوسنا إلى ما لا تصل إليه « الأبواق والطبول » .

محمد مندور

من شاتهام إلى لندن

انتقل تشارلز وهو فى العاشرة من عمره مع أسرته إلى لندن. وكان الجو من حوله يزداد قتاما، ومشاكل الأسرة المالية تهدد بقية نعمتها بالزوال؛ فألحقه قريب له بمخزن لبعض معامل الصباغة لقاء أجر أسبوعى يقل عن ثلاثين قرشاً!

وبدأ تشارلز يتذوق نوعاً من الشقاء لم يألفه من قبل؛ ولقد كتب مرة يقول وهو يسترجع ذكريات هذه الفترة من حياته: إنى لأعجب كيف كنت مطرحاً منبوذاً بمثل هذه السهولة وفى مثل تلك السن. أعجب كيف أن إنساناً واحداً لم تحركه دواعى الشفقة والرحمة فيرى تدارك ما فات من أمرى بإرسالى إلى أية مدرسة عامة!

... وقبض على والد تشارلز بعد قليل وأُتى به مع زوجه فى معتقل المدينين؛ فتقوضت بهذا الحادث دعائم الأسرة الصغيرة، وقطن تشارلز بالكراء فى بيت عجوز لم تكن لتعنى به فى كثير ولا قليل

ولقد رسم لنا تشارلز فيما بعد صورة صادقة لهذه المرأة فى روايته الموسومة بعنوان: دومبى وولده!

كان فى هذه الفترة من حياته يعتمد على نفسه اعتماداً تاماً، ولا يكاد يحظى بكلمة عطف من مخلوق، إذا استثنينا هذه الفترات المتباعدة التى كان يُسمح له فيها بلقاء أبويه

وإن من المؤلم حقاً أن نتصور طفلاً فى الحادية عشرة من عمره يعانى وحده أعباء مثل هذه الحياة الشاقة المريرة؛ ولكن يبدو أن أباه فى معتقله كان يحاول تسوية مشاكله المالية، ولم يكن النظام فى معتقلات المدينين يحول بينهم وبين محاولة ذلك... ويبدو أيضاً أن تشارلز كان يتاق من عطف أبويه ومن معونتهما ما يخفف عنه أعباء المسكن ويعفيه من مؤونة الكسوة. وكان يزورهما فى نهاية كل أسبوع فيقضى بينهما سحابة يوم الأحد سجيناً مختاراً...

ويصف تشارلز بعد سنين ما ألم به فى هذا الطور من حياته فيقول: لقد أعتمد على نفسى فى تهيئة طعام إفطارى الذى لا يعدو خبزة بلدية بأربعة مليمات وبمثل هذه القيمة لبناً. وكنت أحتفظ بخبزة أخرى مع ثلاث أواق من الجبن فوق رف لى من خزانة خاصة، ليكون ذلك عشائى عند ما أعود ليلاً. وكان هذا القدر الضرورى من الانفاق يستغرق جانباً كبيراً من شلناتى الستة التى ينبغى أن أعتمد عليها طوال الأسبوع. وأحسب أن أجر المسكن كان يدفعه أبى، لأنى لم أكن أسأل عنه ألبتة. ولم أكن أتاقى أى مساعدة أخرى كيفما كانت — عدا ملابسى على ما أذكر — من صبيحة الإثنين إلى مساء السبت من كل أسبوع. وما أذكر أنى حظيت من أى مخلوق بأيسر شىء من الترفيه أو الإرشاد أو المعونة، أما أيام الآحاد فكنت أقضيها إلى جانب أبوىّ فى السجن

ولقد طالما تسكعت فى الطرقات والجوع يقض أحشائى؛ وأعرف أنه لولا رحمة من الله تداركتنى لكان من أيسر الأمور أن أتحول على يد من يريد، لصاً متمرداً أو عياراً متشرداً...

انتقل تشارلز بعد حين إلى مسكن قريب من سجن مارشالسى حيث كان هو أول الداخلين من الباب صبيحة كل يوم، لينعم بلقاء أبويه ويتناول معهما إفطاره، وكان فى هذا أكبر العزاء لنفسه المحرومة المستوحشة

حياة جديدة

على أن هذه الحياة المؤلمة انتهت عند حد، وكأن طبيعة دكنز كانت قد صهرت فى بوتقة الآلام إلى القدر الكافى، وتهيأت لأن تتجلى فى عنصرها المشرق الوضاء، فها هو ذا والده يغادر السجن وقد سوى مشاكله المالية. وها هو ذا تشارلز يجد نفسه فى الثانية عشرة من عمره تلميذاً بإحدى المدارس بعد أن كان عاملاً فى مخزن صباغة! واستمر به الحال على ذلك سنتين

وإنه ليصور لنا، فيما بعد، هذه الفترة من حياته تحت عنوان (مدرستنا) ويصف لنا شخصياتها وحوادثها وقد استقر عليها غبار ربع قرن كامل من الزمان

... والآن وقد بلغنا تلك المرحلة من حياة دكنز لا نجدنا بحاجة إلى الإطناب فى تتبع بقية المراحل لسبب واضح: ذلك أن خصائص دكنز الأدبية وعناصر تفكيره، وكل مقومات حياته الفنية إنما تكونت فى هذه الفترة التى ألممنا بها من سيرته؛ أما ما تلا ذلك من أحداث فهو أشبه شىء بالحاشية تحت المتن، أو الإطار حول الصورة. ولكن الإشارة إليه مع ذلك أمر

من الغرب

أغاريد بليتيس (*)

لشاعر الهوى والغزل بيير لويس

« إلى شادية الأغاني ! »

بقلم الأستاذ عبد العزيز العجيزي

« بليتيس »

فتاة غيداء فاتنة ، مزملة بالصوف ، وكاعب حسناء ساحرة ، مدبجة بالدمقس والحرير ، وغادة زهراء شائقة ، متشحة بالكروم والأزهار ، وغانية هيفاء رائعة ملتفة بأوراق الأشجار ... أما أنا ، فسافرة المحيا ، عارية الجسد ، خالعة العذار ، حاسرة الإزار ، ممزقة الغلف ، هاتكة سادل الحجب ، متجردة من الحلي والذهب ، ومن نعل يقي قدمي . ها أنذا بليتيس يا حبيبي ! خذني بين أحضانك ، عارية بلا ثياب تستر غصني المتدل الفارع ، ولا دثار يغطي قوامي المشوق البارع .

***

حبيبي إن ليل شعري ناشر ظلال حلكته ، ودجي غدائري منساب حول قدي ، مسترسل على جسدي كأبهى الرياش ... وثغري الدقيق ، يقطر الشهد والرحيق ، من بين فمي عقيق ! حبيبي ؛ خذني بين ذراعيك ، وضمني إليك ، واهصر عطفي بساعديك ، ثم انهل رحيق ورودي ، واقطف جنى ثماري ، وارشف خمر أزهاري ...

***

ها أنذا عارية كما جاءت بي أمي في نزوة من نزوات الهوى الجامح والهيام الدافق . . . فانشد بالأغاني إذا فتنك هيف قوامي ، واصدح بالأماني إذا سحرك أضحيان جمالي ، وترنم بالألحان والأنغام ، ترنم النشوان بالمدام !

(*) شاعرة خرافية ، إبداع الشاعر الفرنسي بيير لويس . تتغنى بالحب المستعر ، والغزل الملتهب ، والشهوة المتأججة بين بنات حواء .. أسلوب الشاعر مشرق ، وألفاظه سهلة ، ومعانيه واضحة . . . (العجيزي)

محتوم لإتمام هذه الهالة المشرقة التي نريد أن نرسمها لدكنز غير مباهين كي تتسنى لنا رؤيته على وضعه الحقيقي وهو في عنفوان مجده وقمة شهرته ... فها هو ذا يغادر مدرسته بعد عامين ليعمل في مكتب أحد المحامين عاماً وبعض العام . ثم تتجه به نزعته الأدبية إلى الصحافة فيعمل مندوباً برلمانياً لبعض الصحف ، وتتفتح أمامه في هذه الفترة من حياته آفاق جديدة . فهو يدرس فن الاختزال Stenography ليستعين به على أداء مهمته الصحفية ويتعرف إلى بعض الشخصيات البارزة بحكم عمله وطبيعة مهنته ، ولكن أهم ما يستحق التسجيل في نظرنا هو انصرافه في ذلك العهد إلى التزود بأنواع العلوم والمعارف المختلفة ، وتردده الطويل على قاعة المطالعة بالمتحف البريطاني . ويبدو أن هنا كانت مدرسته الحقيقية التي اضطلع فيها بمهمة المعلم والتلميذ معاً ...

وفي عام ١٨٣١ — وكان في التاسعة عشرة من عمره — أصبح مندوباً لصحيفة ترُوصَن True Sun ؛ وبعد سنيات قليلة كان المحرر الدبلوماسي للمورننج كرونكل ... منصب وثب به إلى الأمام وثبات بعيدة .

وكان أول إنتاج دكنز الأدبي مجموعة مقالات نشرها في (المجلة الشهرية) بتوقيع Boz[1] ثم ضمنها كتاباً في مجلدين أصدره في ربيع عام ١٨٣٦م .

وقد أعجب الناس من هذه المقالات بروح التهكم اللاذع الذي يسيطر عليها ، وبالفكاهات الرقيقة الحلوة يرسلها دكنز خلال عباراته من غير تصنع ولا كلفة ، ثم بقوة ملاحظته التي تجلو له الحقائق فيبسطها أمام القارىء بسطاً رفيقاً دقيقاً

وكانت هذه خصائص دكنز وسماته الفنية في سائر ما كتب ، يضاف إليها خبرته الدقيقة الواسعة بحياة الطبقتين الوسطى والفقيرة من أبناء وطنه ، وتسجيله البارع لآلامهم وآمالهم ، وكفاحه الدائم في سبيل النهوض بهم ورفع أعباء الحياة ومظالم المجتمع عن كواهلهم ، مما صير لأدبه قيمة اجتماعية وأخلاقية كبرى ، قد تساوي قيمته الفنية لدى الكثيرين إن لم تفقها .

(للكلام بقية) محمود عزت عرفة

(١) استوحى دكنز هذا التوقيع من لقب كان ينبز به أخاه صغيراً

« تسابيح الليل »

امتدت ظلال الأشجار القاتمة ، وأشباحها القائمة ، كما يمتد الطود الراسخ . وانتشرت الكواكب متألقة فى مسارى الأفلاك ومسابح الأملاك ؛ ولاطف النسيم الحالم أهداب الجفون الناعسة ، وداعب العبير اللافح ورود الخدود الزاهرة ... بينما الليل ساج ، يوحى الأشعار بسكونه ، ويلهم الأفكار بصمته ، والدجى ساهر يردد ترانيم قيثارى ، ونسيمه الرقراق هائم يداعب غدائرى ، والظلام ناشر على قدى غلالة من السحر والفتون ... فتأخذنى روعة جلاله ، وتهيجنى فتنة جماله . هنالك ... يجود سنا محياى الباهر ، بربيع موفق زاهر ، تتفتق فيه الورود ، وتتفتح الأزهار ، ويفوح النسيم معطراً من شذى نسماتى ، وعبير نفحاتى ؛ وتذيع نسمات الروض همسات شوقى وحنينى ، ويرتل هزار الأيك شكاة تأوهى وأنينى ؛ ثم تسطع النجوم ، وتتألق الكواكب من سنا عينىّ ، وضياء محياى !

***

واهاً حبيبتى ! أترانيم صوتك العذب الندى ، من شدو خرير المياه المترقرقة ، أم من سكون الطبيعة الصامتة ؟ ! واهاً لصوتك الحلو الرنين ! واهاً لنغمك الشجى الرخيم ! واهاً لغنائك الذى يهز أحاسيس نفسى وحياً وإلهاماً ، ويثير أهازيج قلبى طرباً وإعجاباً ...

« آهات »

علت وجهى حمرة الخجل ، ولم ألب نداء الغزل ، لرشف سلاف القبل ... فارتعشت كزهرة بللتها حبات الندى ، واضطرب قلبى ؛ وخفق لخفقان فؤادى صدرى ونهداى . . . وبعد دلال يثير الوجد ، وإعراض يذيب الكبد ، قلت : أواه . لا . لا ! ... ثم أسندت رأسى إلى الوراء . ولكن لم تغادر قبلة الحب شفتىّ ، ولم تفارق رعدة الهوى ساقىَّ !

***

حينئذ ، عانق رأسى مستعطفاً ، طالباً عفوى وصفحى ... فتنسمت شذى أنفاسه ، ونشقت عبير أنسامه ، وتأرج النسيم بنفح زفراته ؛ ثم مضى عنى وارتحل ... !

***

أواه ! ها أنذا وحيدة حزينة ، أبكى ربيع حبى الراحل ، وأندب زهر عمرى الذابل ، بعد أن طوح بى البعد فى بيداء الهجر ، بين تأوهات الحسرات ، وتناوح العبرات !

أواه ! ها أنذا راسفة بين أكداس آلامى وأحزانى ، غارقة فى خضم أسقامى وأشجانى ؛ شاكية لوعة هواى ، باكية هوى صباى ! وقت أنشد حبى الثاوى فى الغاب المهجور ، والربع القفر ؛ ورحت أناجى شبابى الهاوى فى الرياض الموحشة ، والمسالك الواجمة التى كتمت سر غرامنا مذ وطئتها أقدامنا ! فلم أر من الأطياف إلا أشباح الذكريات ، ولم أسمع من الأصوات إلا أصداء التأوهات !

***

أواه ! لقد نعشت كظيم لوعات حيرى حزينة ، وزفرت أليم آهات حرّى كليمة ، تهاوت بين الحشائش متهالكة ، يذيبها الجوى ، وتوارت بين الأعشاب غضبى كسيفة ، يدميها الضنى !

« أمطار »

ترقرق المطر فبلل الكون برذاذه ، ولامس الأرض بقطراته ، ثم جادت السماء بماء منهمر ؛ وطاب لى السير تحت وابله وطله ، متفيئة بوارف الشجر وظله .

***

واهاً للمطر فى الربيع ! ما أرقه وأعذبه ! ما أروع الأغصان الدانية ، وقد كللها الزهر الزاهى ، وتهاوت عليها ظلال النوّار الضاحى ، وماء المطر الضافى ؛ فانتشر منها أريج يفوح بالعطر الزكى ، والعرف الندى ؛ وطاف بالنفس الولهى فأطربها ، وحلق فوق الروح الحيرى فأنعشها . ولاح سنا محياى مشرق الضياء ، ساطع اللألاء !

***

واحسرتاه ! كم من الأزهار النضرة مبعثرة فى الفضاء ؟ كم من الورود العبقة ملقاة فى مدارج الفناء ؟ فرحمة بها يا حبيبتى ورفقاً ! إدخريها للنحل ، كى لا تهب عطرها للريح ، وتذهب أدراجها برياها وجناها ، ملوثة بطين الأرض وأقذارها .

عبد العزيز العميزى

حكم فى الجنحة العسكرية ٧٦ الفشن سنة ٩٤٣ بجلسة ١٩ – ٥ – ٩٤٣ بحبس أحمد على محمد البنان بالفشن ستة شهور شغل وتغريمه ٢٠٠ جنيه والمصادرة وذلك لاختزانه كميات من الشاى الناعم والسكبريت مما يزيد عن حاجته العادية لاستهلاكه وحبسها بقصد التأثير فى الأسعار

حكم فى القضية ١٩٠٨ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤٢ ضد حميده أدريس برقى بحبسها ثلاثة شهور بالشغل والنفاذ والنشر والتعليق وذلك لبيعها دره بسعر أكثر من المحدد



من رسائل الرافعى — دراسة الأدب العربى

عنّ لى أن أعرف رأى الرافعى فى دراسة الأدب ، فكتبت إليه خطاباً فى ذلك كان الجواب عنه هذا الكتاب :

طنطا فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٢

أيها الفاضل

إن أعمالى كثيرة فى هذه الأيام ، ولذا أرانى أبطأت فى الرد على كتابك ، وإنى مجيبك عنه بإيجاز لأن ما سألت عنه يصعب التبسط فيه على وجه واحد

إنك تريد امتلاك (ناصية الأدب) كما تقول ، فينبغى أن تكون لك مواهب وراثية تؤديك إلى هذه الغاية وهى مما لا يعرف إلا بعد أن تشتغل بالتحصيل زمناً ، فإن ظهر عليك أثرها وإلا كنت أديباً كسائر الأدباء الذين يستعيضون من الموهبة بقوة الكسب والاجتهاد ، فإذا رغبت فى أقرب الطرق إلى ذلك فاجتهد أن تكون مفكراً منتقداً . وعليك بقراءة كتب المعانى قبل كتب الألفاظ ، وادرس ما تصل إليه يدك من كتب الاجتماع والفلسفة الأدبية فى لغة أوربية أو فيما عرب منها . واصرف همك عن كتب الأدب العربى بادىء ذى بدء إلى كليلة ودمنة والأغانى ورسائل الجاحظ ، وكتاب الحيوان ، والبيان والتبيين له . وتفقه فى البلاغة بكتاب المثل السائر ؛ وهذا الكتاب وحده يكفل لك ملكة حسنة فى الانتقاد الأدبى وقد كنت شديد الولوع به

ثم عليك بحفظ الكثير من ألفاظ كتاب نجعة الرائد لليازجى والألفاظ الكتابية للهمذانى ، وبالمطالعة فى كتاب يتيمة الدهر للثعالبى والعقد الفريد لابن عبد ربه وكتاب زهر الآداب الذى بهامشه

وأشير عليك بمجلتين تعنى بقراءتهما كل العناية (المقتطف والبيان)[١] . وحسبك (الجريدة)[١] من الصحف اليومية ، والصاعقة[١] من الأسبوعية ، ثم حسبك ما أشرت عليك به فإن فيه البلاغ كله . ولا تنس شرح ديوان الحماسة وكتاب نهج البلاغة فاحفظ منهما كثيراً

ورأس هذا الأمر بل سر النجاح فيه أن تكون صبوراً وأن تعرف أن ما يستطيعه الرجل لا يستطيعه الطفل إلا متى صار رجلاً ؛ وبعبارة صريحة إلا متى انتظر سنوات كثيرة

فإن دأبت فى القراءة والبحث وأهملت أمر الزمن طال أو قصر انتهى بك الزمن إلى يوم يكون تاريخاً لجدك ، وثواباً لجدك ، والسلام عليك ورحمة الله . (الرافعى)

(المنصورة) محمود أبو رية

معنى قوله تعالى : يخرج الحى من الميت

إن الله تعالى جعل أساس الخلقة فى مختلف أنواع الحيوان والنبات هو حفظ النوع . ولحفظ النوع يجب أن تتوافر جملة عوامل أهمها المحافظة على الجنين حتى ينمو ويقوى ، ومنها إيجاد نسل قوى يصلح لهذه المحافظة وهذا النمو . وهذان العاملان جليان فى الحيوان — أما فى النبات فيحتاج الأمر إلى بعض الشرح . خذ مثلاً شجرة النبق تجد أن ثمرتها فاكهة صغيرة داخلها نواة تحتوى على جزأين أحدهما غلاف صلب متين يحتاج فى كسره إلى مجهود ، والجزء الآخر داخل هذا الغلاف الصلب وهو حبة صغيرة مستديرة هشة ضعيفة تسمى الجنين ؛ وهذا الجنين وما يحيط به من غلاف صلب متين يشابه الجنين فى بطن أمه فى عالم الحيوان ؛ لأن الله تعالى خلق حوله هذا الغلاف للمحافظة عليه من يد عابث أو أسنان آكل أو أن تهضمه معدة الطيور إذا ابتلعته لأنه لا يتأثر بعصيرها الهضمى . أما الحكمة فى خلق الجزء الفاكهى فهى تبادل المنفعة ، فيأكله الآكل هنيئاً ثم تنتفع النواة من هذا الآكل بإلقائها فى الأراضى النائية لتنبت فيها ، وكذلك الطيور تبتلعها ثم تتبرز النواة سليمة

(١) (البيان) مجلة شهرية أدبية كان يصدرها الأستاذ الكبير عبد الرحمن البرقوقى (والجريدة) صحيفة يومية كانت لسان حال حزب الأمة ، وكان محررها الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد باشا (والصاعقة) صحيفة أسبوعية كان يصدرها المرحوم أحمد فؤاد

فى جهات نائية لتنبت فيها ؛ وهـذا سر من أسرار الـكون ، لأنه إذا سقط كل حب الشجرة تحت غصونها وحول جذعها ولم يفرق بهذه الطريقة الحكيمة هنا وهناك فإنه يتراكم بعضه فوق بعض ويفقد قوة إنباته ، وإذا نبت البعض منه فإنه ينبت ضعيفاً إلى حين ثم يموت

ولنفكر فيما يحدث فى هذه الثمرة الصغيرة بعد أن تنزع من الشجرة ؟ الذى يحدث هو أن يموت بها الجزآن : الفاكهة وغلاف النواة الصلب ، ويفقدان الخواص الحيوية كالأنبات والتمثيل النباتى وامتصاص الغذاء وما إلى ذلك ، بدليل أنهما إذا وضعا فى الأرض للأنبات بعد تجريدهما من الجنين يصيبهما التعفن . أما الجنين فيبقى حياً وفيه كل معانى الحياة النباتية ولكنه ضعيف ومحاط بغلاف قوى صلب متين ؛ فإذا استمر الحال على هذا المنوال استحال الأنبات ؛ ولذا شاءت إرادة الله تعالى أن ينشق هذا الغلاف الصلب من تلقاء نفسه بعد مدة معينة من وضعه فى الأرض ليسمح بنمو الجنين إلى خارج النواة . وهذا يفسر ما جاء بالشطر الأول من الآية الشريفة (أى يخرج الجنين الحى من الغلاف الصلب المحيط ؛ وهو ميت وذلك بقدرته وإرادته) أما الشطر الثانى فهو مكمل لهذه العملية ، لأن هذا النبات بعد أن ينمو من الجنين خارج هذا الغلاف الصلب يتخلص منه نهائياً إذ يصبح لا فائدة منه بعد أن قام بمهمته (أى ويخرج الغلاف الصلب الميت من الجنين النابت الحى بدون أن يعيق نموه) وقس على ذلك فى عالم النبات على اختلاف أشكاله وأنواعه . والذى يؤيد ذلك ما جاء فى نفس السورة وبعد بضع آيات من الآية التى نحن بصددها قوله تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء ، فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكبا ... أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ، إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) ففي هذا إشارة صريحة إلى الإنبات بعد أن يفلق الحب والنوى ويخرج الحى منها من الميت فيها فينبت الحى بالماء فينتج ويثمر ويأتى منه كل الثمرات وهذه قدرة بالغة

أما ما جاء بقول السائل من أن الحى يخرج من الحى فهذا لا علاقة له بهذا الموضوع . والذى أوجد هذا اللبس هو أن المفسرين قد تركوا الشطر الأول من الآية الشريفة وهو (إن الله فالق الحب والنوى) وراحوا يفسرون الجزء الثانى على حدة ويطبقونه على نظريات بعيدة كل البعد عن القصد المطلوب .

أما الذى ينطبق هنا على نظرية العلماء هو الجنين الذى بالحبة فإنه حىّ ولا يتكون طبعاً إلا من شجرة حية .

دكتور
عباس محمود حسين
كبير أطباء منطقة التعليم بأسيوط

بنو اسرائيل والطعام الواحد

جاء فى مقال الدكتور زكى مبارك (أخطار الطعام الواحد) هذا الكلام : « وقد صرخ اليهود لعهـد موسى من الطعام الواحد ، كما قص القرآن ، فأوصاهم موسى بهبوط مصر ، لأن مصر منوعة الفواكه والحبوب والبقول ، وهذا سر القوة التى جعلت المصريين بأمن من طغيان الأمراض الفواتك على اختلاف الأجيال »[1] . والآية المشار إليها هى قوله تعالى : « اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم » . وظاهر أن « مصراً » فى الآية مرادفة لكلمة (بلد) . والمعنى : اهبطوا أى مصر من الأمصار تجدوا طلبتكم . أما « مصر » النيل المبارك فهى علم ممنوع من التنوين وليس مراداً فى الآية . وظاهر أيضاً أن الدكتور مبارك قد سها فى فهمه الآية وبنى على هذا السهو النتائج التى تقدمت

(دمشق) (س)

فى الأدب المصرى « فكرة ومنهج »

صدر أخيراً هذا الكتاب ، لأستاذنا الفاضل أمين الخولى ، وكتب مقدمته تلميذ من تلاميذه فى الجامعة اقتداء بسنة السلف من العلماء

وفى الكتاب دعوة حرة إلى دراسة الأدب المصرى دراسة خاصة وبيان المنهج الذى يجب أن يتبع فى هذه الدراسة

فهو إذن قسمان : فكرة ومنهج . أما الفكرة ، فقد أملتها اعتبارات قومية مصرية خاصة وأخرى فنية أدبية عامة

يقول المؤلف فى الاعتبار القومى الخاص « إن حياً لن يكفر بنفسه وهو حى ، لأن إيمان الحى بنفسه سر وجوده الفطرى ، ومصر لم تكفر بنفسها لحظة ما ، فكيف لا تؤمن بشخصيتها فى الفنون بعامة ثم فى الأدب بخاصة . وفى هذا العصر الإسلامى الذى ظلت فيه كدأبها شاعرة بنفسها يقظة لذاتها ، فهي لهذا تصر على أن تدرس وجودها الأدبى فى العصر الإسلامى »

ثم تناول المؤلف الاعتبارات الفنية العامة فبين الخطأ الشائع

---

(١) الرسالة العدد (٥١٦)

فى تحديد العصور الأدبية تحديداً زمنياً كالأموى والعباسى دون نظر إلى المكان الذى يشغله هذا الأدب كالعراق أو مصر ، فذلك إخلال بالتحديد والضبط وإهمال للمؤثرات الطبيعية القاهرة مع الاهتمام بحالة أيسر الأثر وهو الحكم السياسى وزمنه . فالبيئة الطبيعية لها أثرها القوى على ما يعيش فيها من ماديات ومعنويات والأدب من أشد هذه المعنويات تأثراً بالبيئة والإقليم .

ويقول المؤلف إن مصر بوصفها الطبيعى الفطرى قد تميز كيانها الاجتماعى واستقر ماضيها التاريخى فتوافرت لها مقومات البيئة المتفردة الواضحة . فدرس أدبها عمل على صحيح الأصول .

وأنكر الأستاذ وحدة الثروة الأدبية العربية وحدة تامة ، وبيّن ما يتميز به أدب أمة عن أدب أخرى ، وأوضح كيف تكون الإقليمية منهجاً واضحاً صحيحاً مع الطموح إلى دعوة أدبية إنسانية عامة ، ومشاركة الأمة فى الحياة الأدبية العالمية مع وضوح مشخصاتها الأدبية المميزة لها

والقسم الثانى من الكتاب رسم للمنهج الصحيح فى دراسة الأدب المصرى . فبين المؤلف معنى الأدب وتاريخه وما بينهما من صلة ، ثم قسم منهجه إلى خطوات ثلاث : « ما حول الأدب » وهو ما يتيسر به درس النص الأدبى حتى يفهم المتن فهماً مجدياً له أثره فى تكوين الذوق الأدبى ومعاونته الهامة فى تحقيق تاريخ الأدب ، ثم « المتن الأدبى » وهو فهم النص بهداية الأضواء التى تحف به مع الاعتماد على وسائط هـذا الفهم من علوم العربية وفنونها الأدبية

ثم ندرس « تاريخ الأدب » فنستطيع أن نلمح على مصور الحياة مناطق متميزة وفوارق واضحة ، نستطيع بها نأريخ الحياة الأدبية ووصف أدوارها وبيان مسالك الحياة الأدبية فيها وسبيل تطورها وموقع حاضرها من ماضيها ؛ وأى مستقبل فنى وراء ذلك ينتظرها

ذلك بيان لما ورد فى الكتاب من آراء جريئة سديدة لم أشأ أن أنقدها ، لأنى أوافق عليها جملة وتفصيلاً . ولن يكفى هذا العرض السريع عن قراءة الكتاب ، فهنالك قضايا تستحق اهتمام الباحثين ، لأنها تتصل بدعوة فنية قومية من جهة ، وتتصل من جهة أخرى بما ينادى به الناس الآن من ضروب الوحدة .

محمود عبد المنعم مراد

ليسانس فى الآداب من جامعة فؤاد

دفاع عن البلاغة

(بقية المنشور على صفحة ٤٨٢)

ومعاذ الله أن تحمل هذا الكلام الواضح على محمل العجزة الكسالى من مفاليك الأدب وصعاليك الصحافة ، فتفهم من الروية التكلف ، ومن العمل الجهد ، ومن التهذيب الصنعة المكشوفة ، ومن التأنق الزخرف الكاذب . تلك عيوب سيجيئك الحديث عنها فيما يجىء . ولسنا اليوم بصدد الإفاضة فى تحليل الصفات الفنية التى تميز كلاماً من كلام ، وتقفى لأسلوب على أسلوب . ذلك موضوع الحديث القبل ، وإنما كان ما ذكرناه من ضرورة المعالجة والمراجعة والتخير، تذييلاً لا بد منه لمناقشة الخلاف بين أنصار الجمع بين الفكرة والصورة ، وبين أنصار التفريق بينهما على الوجه الذى رأيت ؛ فإن من لوازم الجمع التروية والتجويد والعناية ، ومن لوازم التفريق التساهل والإهمال والارتجال ومجافاة القواعد ؛ وكلها من أعراض السرعة التى جعلناها فى حديثنا الأول إحدى البلايا الثلاث التى تكابدها البلاغة فى هذا العصر .

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

11 me Année No. 521

Lundi - 28 - 6 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٢١ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٨ يونية سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة
٥٠١ عرض واحد ... . : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٥٠٤ الحديث ذو شجون : نفحة اليمن . مكانة مصر بين الأمم العربية . محاسبة النفس . معادن الأرواح والعيون .. : الدكتور زكي مبارك ... ...
٥٠٧ المسرح في أوربا بين حربين : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٥١٠ الخطابة بين الحرب والسياسة : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٥١٢ موريس ماترلنك ... ... : الأستاذ صلاح الدين المنجد
٥١٤ الأحلام ... . : للفيلسوف الفرنسي « برجسون » بقلم الأستاذ ألبير نادر ...
٥١٦ المؤلفات العربية القديمة وما نشر منها في سنة ١٩٤٢ : الأستاذ كوركيس عواد ...
٥١٨ معنى قوله تعالى : يخرج الحي من الميت ... . : الدكتور حامد البدري الغرابي
٥١٩ من رسائل الرافعي : ألفاظ العلوم . الترادف في السجع . الشعر الجاهلي ... . : الأستاذ محمود أبو رية ...
٥١٩ تصحيح اسم طبيب . ... : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٥٢٠ « إبليس يغني » للأستاذ صلاح الدين المنجد ... ...
٥٢٠ بنو إسرائيل والطعام الواحد : الأستاذ إبراهيم السيد عجلان

عرض واحـــد

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان خلاصة ما قلناه في مقالنا السابق عن المرأة والفنون أن نصيب المرأة من الفنون محدود لا يرتقي بها إلى مراتب النبوغ العليا بين الشعراء والمصورين والموسيقيين ، وختمناه بقولنا :

« إن استحضار هذه الحقيقة لازم جد اللزوم في عصرنا هذا ، لأننا نسمع المذاهب الاجتماعية حولنا تمارى على حسب أهوائها ومراميها في تقديم الجنسين بين قائل بالتشابه الكامل وقائل بالفوارق والمزايا التي يقتضيها توزيع العمل واطراد الخلق في طريق التخصيص والامتياز . ورأينا نحن أميل إلى هذا المذهب القائل بالفوارق والمزايا ، لأنه الحق الواضح أمامنا ، ولأنه العدة التي ندرع بها أذهاننا للقاء فوضى المذاهب التي فيها الضير أكبر الضير على المجتمع الإنساني وخلائق الإنسان »

***

أما المذهب القائل بالتشابه الكامل بين الرجال والنساء فهو مذهب الشيوعية ، وهو ينزع هذا المنزع في تقديم الجنسين لأن فلسفة كارل ماركس تقتضيه ولا تستقيم بعضها مع بعض إلا إذا فرضنا أن الجنسين متماثلان متشابهان في الواجبات والحقوق . وآفة كارل ماركس وأتباعه أنهم يريدون أن تتحول

الحقائق ليصبح مذهبهم صحيحاً قابلاً للتنفيذ ، ولا يريدون أن يتحولوا هم فى آرائهم وفروضهم وتقديراتهم لتصبح الحقيقة هى الحقيقة بمعزل عن المذاهب والفلسفات

فالعائلة عندهم هي أساس الاستغلال

وقيام المرأة بشئون البيت هو أساس العائلة

والتفرقة بين الرجل والمرأة فى الواجبات والحقوق إنما تنشأ من قيام المرأة بشئون البيت وانصراف الرجل وحده إلى الأعمال الخارجية

لهذا يجب أن تكون المرأة مساوية للرجل ، وألا يكون بينهما فارق فى كفاءة من الكفاءات ، لأنهم مضطرون إلى هذا القول فى طريق إلغاء العائلة

فلتكن الحقيقة إذن هكذا لأنهم هكذا يريدونها ، لا لأن قوانين الخلق والتكوين منذ وجدت الذكور والأناث فى الحياة الحيوانية والنباتية تشهد بالتفرقة بين الجنسين ، وتشهد بأن الحياة ماضية فى طريق تقسيم العمل والاختصاص ولا تمضى فى طريق التشابه وإلغاء الفروق

وبلغ من سخف الغلاة منهم فى هذا الباب أنهم يسمحون للمرأة بالإجهاض ولا يرون فيه وجهاً للعقاب ، لأن الرجال والنساء متساوون

وأنت تسأل : وما شأن هذه المساواة فى إباحة الإجهاض ؟ فيقولون لك نعم ؛ إن الرجل لا يكرهه أحد على إنتاج النسل فلماذا يفرض على المرأة أن تحمل على غير إرادتها ؟

حقارة فى التفكير هنا لا تقل عن الحقارة فى الشعور ، لأن هؤلاء الشيوعيين ينسون أساس مذهبهم وهم يلغطون بهذا اللغو السخيف : ينسون أن مذهبهم كله قائم على تغليب المجتمع على حرية الفرد فى تصرفاته العامة . فكيف يتفق مع هذا المذهب أن تكون حرية الفرد غالبة حتى على حفظ النوع وتجديد الحياة ؟

وليس هذا كل ما هنالك من حقارة التفكير وحقارة الشعور ، لأن القياس العقلى معدوم هنا لا يستند إلى برهان . إذ الإكراه وعدم الإكراه إنما يكونان فى دور الإرادة والرغبة ولا يكونان بعد خلق الجنين ووجود هذه الحياة الجديدة . والمرأة تستطيع كما يستطيع الرجل أن تمتنع عن العلاقة الجنسية فلا فرق فى هذا بين الرجال والنساء ، ولكن المسألة إذا وصلت إلى جنين يخلق وحياة جديدة تظهر فلا الرجل ولا المرأة يملك هنا أن يريد أمام إرادة الحياة وأمام القانون الطبيعى والقانون الإنسانى اللذين يحميان كل حياة

وهكذا تلتقى فى كثير من الآراء الماركسية حقارة الفكر وحقارة الشعور

وهكذا ينبغى أن نحرس عقول الشبان ونفوسهم من هذه الحقارة فى شعورهم وهذه الحقارة فى تفكيرهم ، وأن نضع أيديهم على موطن الداء الذى ليس به كثير خفاء

وموطن الداء فيما نعتقد إنما هو الكسل والحسد

وصدق « فرويد » وأصحابه حين قالوا إن المرتبة الأولى من مراتب الشفاء فى العقد النفسية إنما هي كشف العلة الحقيقية لعين المريض المصاب بها

والعلة الخفية التى تجنح ببعض الشبان عندنا إلى التفكير الشيوعى هى أنهم يحسدون وأنهم يكسلون ، وأنهم يريدون من المجتمع أن يعطيهم جميع حظوظ الحياة ؛ ويخيل إليهم أن المجتمع الشيوعى كفيل بتحقيق هذا المطلب ، وإذا لم يكن كفيلاً بتحقيقه

فاقتلونى ومالكا   واقتلوا مالكا معى

على حد قول الشاعر العربى ، أو « علىّ وعلى أعدائك يا رب » كما قال شمشون الجبار

وكلمة وجيزة تفتح عيون هؤلاء المخدوعين على الحقيقة التى تبدو من وراء ستار رقيق

هذه الكلمة الوجيزة هى أن المجتمع الشيوعى لا يدعى أية دعوى فى الإصلاح الاجتماعى إلا سمعنا دعوى مثلها من ناحية الفاشيين والنازيين

فمحاربة البطالة وإسعاد المرأة وإنصاف الفقراء وما شابه هذه الدعاوى ذائعة بين الفاشيين والنازيين ذيوعها بين الشيوعيين ، والإحصاءات التى يسردها هؤلاء تشبه الإحصاءات التى يسردها هؤلاء ، وكلها فى الواقع تمثل حالة طارئة أمكن فيها تشغيل معظم الأيدى من الذكور والإناث ، وهى حالة الإنتاج الحربى التى تتعلق بعوارض الحرب ولا تتعلق بنظام السلام والاستقرار

ومما يؤسف له أن تسرى هذه الخدعة إلى نفوس نفر من الشبان الأدباء فينخدعوا بالدعاوى الطوال العراض التي يروجها الشيوعيون عن الحياة الأدبية أو الحياة الفنية بينهم ، ويحسبونها الفردوس الموعود لكل أديب أو كل مشتغل بفن جميل

والآفة هنا كالآفة هناك هى الأخذ بالسماع وقلة الاطلاع على حقائق الأمور من وراء الدعاوى والأقاويل

ولو اطلعوا على تلك الحقائق لعلموا أى جو خانق هو ذلك الجو الذى يعيش فيه الأدباء الملهمون من الشيوعيين

ولا ضرورة للإطالة فى هذا الصدد لأن كلمة وجيزة قد تغنى فيه غناء الإطالة فى البحوث والفروض . وما حاجتنا إلى بحث أو فرض بعد أن نعلم أن ثلاثة من فحول الشعراء عندهم قد انتحروا فى فترة واحدة ، وأن شاعراً آخر هو أكبرهم وأفحلهم قد مات فى عنفوان الرجولة ميتة تحيط بها الشبهات ؟

أما الشعراء الثلاثة الذين انتحروا فهم مايكوفسكى Mayakovsky ويسنين Yessenin وباجرتسكى Bagritsky

وأما الشاعر الذى مات فى عنفوان الرجولة فهو ألكسندر بلوك Alexander Block ولعله الشاعر الوحيد الذى يقارب فى أفقه شعراء النهضة الأولى بين الروسيين

ولو كان هؤلاء الشعراء من أعداء الشيوعية لقلنا إنهم برموا بالحياة لاختلاف العقائد والأمزجة والآمال

ولكنهم جميعاً من الغلاة فى الدعوة الشيوعية ، وممن ظهروا واشتهروا بعد الانقلاب الأخير

كذلك لو كانوا من طبقة واحدة لأمكن أن يقال إن الشيوعية تلائم طبقة ولا تلائم طبقة أخرى ، ولكنهم متفرقون فى النشأة ، منهم العامل الذى يبشر بالمدينة ، والفلاح الذى يبشر بالقرية والمعيشة الريفية ، وكلهم كرهوا الحياة فى المصانع وفى الحقول . وأصدق ما يقال فى هذا أن الشيوعية جو خانق لكل قريحة ملهمة ، ولو كان صاحبها من دعاتها الغلاة

***

ونعود فنقول : « فتش عن الحسد والكسل » لأنهما على التحقيق علة كامنة وراء كثير من الظواهر الغريبة التى تلاحظ على بعض الناشئين فى الجيل الحاضر ، وبهذه العلة نستطيع أن نهتدي إلى تفسير نزعات كثيرة غير الجنوح إلى الشيوعية وما شاكلها من المذاهب الاجتماعية ، ومنها تلك النزعة - أو تلك الضجة - التى ترتفع ثم تخفت آونة بعد أخرى باسم أدب الشيوخ وأدب الشباب

فهى ضجة غير مفهومة إلا أن تكون حسداً معيباً مقروناً بكسل ضعيف

وكل حجة تساق فى تسويغها لا تؤيدها بل تنقضها وتكشف عن الباعث الخفى من ورائها وهو باعث الحسد المعيب والكسل الضعيف

سئلت أخيراً رأيى فى بعض الأدباء الكبار من المصريين نقلت عن الدكتور طه حسين إن قدرته فى تاريخ العصور الأدبية « تأتى بعد قدرته فى القصة أو الكتابة القصصية ، فهو يحسن إقامة الحدود بين العصور ويحسن تمييز كل عصر بمزية عامة ، ولكنه أقرب إلى حدود العالم منه إلى حدود الفنان ، ويأتى طه حسين الناقد بعد طه حسين المؤرخ وبعد طه حسين صاحب القصة ؛ لأن المدار فى النقد كله على مقاييس الشعر والبلاغة الشعرية ، وليس نصيب الدكتور طه حسين فى هذه المقاييس بأوفى نصيب »

كتبت هذا الرأى فعقب عليه بعض الحانقين على شيوخ الأدب بقول : « ونحن إذ ننشر هذا الرأى نوجه إلى الأستاذ العقاد السؤال الآتى : كيف تحتفظ بأمارة الشعر التى خلعها عليك طه حسين ونصيبه من مقاييس الشعر والبلاغة الشعرية ليس بأوفى نصيب ؟ رجعة إلى الحق يا عميد الأدب ويا أمير الشعر ويا ... أدباء الدعاية ... »

هذا هو التعقيب العجيب

فهل ركب على كتفى إنسان رأس يفهم مما كتبناه عن الدكتور طه حسين أننا أدباء دعاية لو كانت المسألة مسألة رؤوس تفهم وبراهين تساق ؟

إن الذى كتبناه لينقض صفة الدعاية خاصة دون غيرها من الصفات

لأنه يدل على أن أدباء الشيوخ لا ينسون آراءهم من أجل دعاية بعضهم إلى بعض ، وإننى لا أنسى الحق من أجل الدعاية

لنفسي ، وإلا لقلت عن الذي سماني أميراً للشعراء أنه الحكم الوحيد في قيم الشعر وأقدار الشعراء

فهل هي إذن مسألة فهم وصدق ، أو مسألة حسد وكسل ؟

كلا . إنما هي مسألة حسد وكسل ولا زيادة ! ولولا الحسد والكسل لخجل هؤلاء المساكين من أنفسهم إذ يهجمون في مراقدهم وينعون على الكتاب المشهورين شهرتهم ولا ذنب لهم إلا أنهم يصدرون الكتاب بعد الكتاب وأولئك المساكين يقلبون شهادة ميلادهم ولا يزيدون

إنه عرض واحد هذا الحسد وهذا الكسل اللذان يفسران النزوع إلى الشيوعية ، ويفسران استعجال الشهرة ، ويفسران كل انتقاد مريض لا يصحبه عمل ولا تصحيح

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

نفحة اليمن — مكانة مصر بين الأمم العربية — محاسبة النفس — معادن الأرواح والعيون

نفحة اليمن

منذ أعوام لا أدرى كيف مضت وانقضت كان في الديار المصرية كتابٌ منشور اسمُه « نفحة اليَمَن ، فيما يزول به الشَّجَن » ، وهو كتاب في المواعظ كان له في نفسي تأثير . ولو شئت لقلت إن إحدى المواعظ التي وردت فيه كانت دستوراً لحياتي في البيت ، ولأسلوبي في معاملة الأهل . فأين من ينشر هذا الكتاب من جديد ، عساه يؤدى خدمة يحتاج إليها الناس في هذا الجيل؟

ومنذ أعوام لا أدرى كيف مضت وانقضت كان اسم « حَسَّان اليماني » هو اسم الحكيم الذي ألهمته الغيوب مصاير الناس في أواخر الزمان ، وكانت أحكامه المنظومة تُنشَد على « الربابة » في سهرات الريف

ومنذ أعوام لا أدرى كيف مضت وانقضت كانت رحلة مُعاذ بن جبل إلى اليمن مما يتداوله أكثر الناس ، وكانت فيها عظات قليلة الأمثال

واليوم تلقيت نفحة جديدة من نفحات اليمن جاد بها أحد أعضاء « نادى الإصلاح العربي » في عَدَن وهو السيد محمد بركات ، فهل تصل مجلة الرسالة إلى عدن كما تصل إلى السيد عثمان شبيكة في ملكال بالسودان ؟

كانت أخطار الحرب أوهمتنا أن الصلة انقطعت بيننا وبين اليمن والهند ، وأن التخاطب مع سكان تلك البلاد لن يتيسر إلا بعد حين أو أحايين

فيا فرحة القلب لخطاب يصل من عدن بعد أن قيل إن وسائط النقل البرى والبحرى والجوى قُصِرت قصراً على معدات الحرب !

لليمن تاريخ في العمران يجهله أكثر الناس ، فلنفصّله في كلمات :

أهل اليمن هم أول أمة في التاريخ نظّمت الريّ ، بفضل ما عملوا في سَدّ مارِب[1]

ومن أبناء اليمن كان من نظّموا الريّ في الأندلس ، والأوربيون يعترفون بأن تنظيم الريّ في بلادهم منقول عن عرب الأندلس

وأول من فكر في إقامة خزان أسوان هو الحسن بن الهيثم ، وهو عربيٌّ وَفَد على مصر من العراق منذ نحو عشرة قرون ، ولعله يمنيٌّ الأصل

واليمنيون هم أقطاب الفاتحين لجزر البحر الهندى ، ولهم أيادٍ في مدّ لغة العرب إلى الهند والصين

والظاهر أن التنافس بين أبناء الجزيرة كان له صدًى في العالم القديم ، فكان أبناء الشمال وهم الفينيقيون يهتمون بتحضير أوربا الشرقية ، وكان أبناء الجنوب وهم الحضرميون يهتمون بتحضير آسيا الغربية ، ومن هذا الجهاد وذاك رسخ السلطان الحضرى لعرب ذلك الزمان

والمفهوم أن قصة السندباد البحرى هي أغرب قصة روتها السياحات البحرية ، ولعلها أظرف وألطف من بعض قصص الإغريق ، فهل تكون إلا من إنشاء حضرميّ مفطور على مقارعة الأمواج فوق ألواح هي بالنسبة إلى بواخر اليوم خيوط من المنكبوت ؟

(١) مارب بدون همز ، ويخطىء من يهمزه فيقول مأرب ، لأنه غير مهموز في لغته الأصلية وهي الحميرية ، كما أفادني الدكتور نالينو في محاضراته بالجامعة المصرية

وهنا لطيفة من اللطائف لم يتحدث بهـا متحدث ، وهى ديباجة الشعر فى مصر لآخر أيام العهد الفاطمى وأوائل العصر الأيوبى ، وهى ديباجة أذاعها الشاعر عُمارة اليمنى ، وعن هـذا الشاعر أخذ شاعرنا أحمد شوقى عبارة أو صورة سأذكرها يوم يجيء مكانها فى هذه الأحاديث

ثم ماذا ؟ ثم كان اليمن يد مصر فى التعرف إلى الشرق البعيد ، فبفضله وصلت السفائن المصرية إلى آفاق لا نعرف مداها اليوم إلا بأجنحة الخيال

ثم ماذا ؟ ثم أعتذر لأستاذنا أحمد زكى باشا ، فقد عبت عليه أن يقول فى محاضراته بالجامعة المصرية إن صنعاء كانت فى قوة باريس أو برلين

وهل حفظنا حق اليمن فى التاريخ ؟

قيل وقيل إن سقوط بغداد بأيدى المغول أوجب رحلات علماء العراق إلى مصر فكانت النهضات العلمية والأدبية بالديار المصرية

فأين من يذكر أن سقوط سدّ مارب أوجب رحلات العلماء من الجنوب إلى الشمال فكانت النهضات الأدبية والعلمية بالديار العدنانية ؟

أجمع مؤرخو الأدب على أن امرأ القيس هو فاتحة الشعر العربى فى العهد الجاهلى ، ونصُّوا على أنه يمنىّ العِرق ، فأين من يذكر أنه من كِنْدة ؟ وأين من يذكر أن كندة كان لها محلة بالكوفة نُسِب إليها المتنبى فكان الكِندى ؟

لنا فى اليمن كلام يضيق عنه هـذا المجال ، وسنرجع إليه بتفصيل وتفاصيل

مكانة مصر بين الأمم العربية

فى جرائد سورية وفلسطين ولبنان والعراق كلام كثير عن مكانة مصر بين الأمم العربية ، وجرائد تلك البلاد تذكر بالخير مؤازرة مصر لفكرة الحِلف العربى

ويجب أن نذكر جميعاً أن ما يدور حول الوحدة العربية ليس إلا تمهيدات ، ولا يعرف أحد متى تتحقق تلك الوحدة على الوجه المنشود

محاسبة النفس

بدأت أشعر بضجر فى هذه الأيام ، وأخذت أشعر بانقباض الصدر من حين إلى حين ، فما سبب هذه الحال ؟ وما هو الدواء ؟

يخيَّل إلىّ — ولعل هذا هو الواقع — أنى لا أؤدى حقوق القلم كما يجب ، فأنا أتحامى شؤوناً كثيرة ، وأسكت عن آراء لو دونتها لكان لها فى عالم الفكر مكان

ويزيد فى الضجر أن لحياتى ألواناً جديدة بأن تقدم أثمن الغذاء لقلمى ، فكيف يفوتنى أن أنتفع بتلك الألوان ؟

قد يقال إن ظروف الحرب لهـا دخلٌ فى الحدّ من الحرية القلمية ، لأنها تقهرنا على مراعاة أمور لم يكن من الحتم أن نراعيها فى أيام السلام

وهذا عذر غير مقبول ، لأن الشؤون التى تمس الحرب ليست كل ما يعتلج فى صدور الرجال ، فهنالك معضلات إنسانية تساور العقول والقلوب فى كل زمان ، وهى معضلات لا تهادن الناس ولو كانوا فى ميادين القتال

وربما قيل إن الشؤون التى تعفيها ظروف الحرب لا تعفيها ظروف المجتمع ، فقد تكون الرقابة التى يفرضها الجمهور على الأقلام أقسى من الرقابة التى تفرضها الحكومات فى أيام الحروب

وهذا أيضاً عذر غير مقبول ، ففى مقدور الفكر أن يعالج شؤون المجتمع بأسلوب يخلق الحب ويبعد العِداء

يظهر أن الآفة هى فى طريقة الطب للمجتمع ، الطريقة التى تلبس ثوب السيطرة بأقلام الناصحين ، ونحن فى الأغلب ننسى أن فى فطرة الناس ميلاً إلى الدفاع عما يتورطون فيه من ضروب الانحراف ، ونجهل أن العنف فى النصح قد يخلق للعيوب أنصاراً يجعلون سيئاتها حسنات

أنا موقن بأن سياسة القلم تعوزنا فى أكثر ما نكتب ، وسياسة القلم معنًى لم نلتفت إليه . ألا ترى كيف نقضى العمر فى شقاق مع القراء ؟

أين الذى حاول أن يقدم النصيحة المرة فى كلمة مغلفة بمجاج النحل ؟

وأين الذى واجه الجمهور بأسلوب منزه عن الاستعلاء ؟

هذه الحال تشبه أن تكون مرضاً من الأمراض القلمية ، وللأقلام أمراض

وأعترف بأن تحرير القلم من الآفات النفسية يحتاج إلى رياضات لا نقدر عليها فى جميع الأحايين ، لأن الرجل قد يقدر على محاسبة الجمهور ثم يعجز عن محاسبة النفس

وهنالك آفة أخطر وأفظع ، وهى آفة المبالغة فى تصوّر الكمال الذى ننشده للانسانية ، كأن ننتظر أن يعيش الناس بلا أحلام ولا أوهام ، وكأن نرجو أن يسلموا جميعاً من طغيان الأهواء ، كأن الناصحين سلموا جميعاً من طغيان الأهواء !

أيكون من الخير أن ندعو إلى تجفيف البحار والأنهار ليأمن الناس الغَرَق ؟

أم يكون من الخير أن نعلّم الناس السباحة ونسكت عن تجفيف البحار والأنهار ؟

هنا مَناط المعضلة الأخلاقية ، المعضلة التى حيّرت كرائم الألباب

الشخصية الخُلقية هى الشخصية المزوّدة بموجبات الجذب والدفع ، وهى الشخصية السليمة من الضعف ، ولن تكون كذلك إلا حين تحارب فى ميدان من ميادين الأهواء

ولهذه الفكرة شروح سنعود إليها يوم نستطيع محاسبة النفس على التهيب والترقب ، ويوم يكون الصدق هو أشرف ما نسمو إليه فى عالم البيان

معادن الأرواح والعيون

لكل روح معدن أو جوهر أو عنصر ، إلى آخر الألفاظ التى تعبر عن الأصول

والأرواح توحى بأساليب لا تعرفها العيون ، وهل كانت العيون إلا وسائل الأرواح فى الإيحاء ؟ أستغفر الحب ، فقد قلت من قبل إن للعين وجوداً ذاتياً يستقل عن الروح بعض الاستقلال فى بعض الأحيان

وما سِرُّ العيون على التحقيق ؟

هل يعرف أحد كيف كُوِّنت تلك الخلائق اللطيفة بهذا الوضع اللطيف ؟

الوجود كله مدين للعيون ، فهى التى شهدت بما فيه من جمال وجلال ، وهى التى قالت إنه وجود

وما هذا الصُّنع العجيب ، صنع الله فى إبداع العيون ؟

ينقضى الدهر ولا ينقضى العجب من القدرة المطوية فى سريرة مخلوق رقيق اسمه العين ؛ وستمر أزمان وأزمان قبل أن يُعرف سر هذه الجارحة الظَّلوم

وما قدرة الطب فى تعليل هذه القوة الصمدانية ؟

هل يعرف كيف تنظر حتى يعرف كيف توحى ، وهى أعجوبة الأعاجيب فى النظر والإيحاء ؟

ومع هذا فقدرة الأرواح أعجب وأغرب ، فهى ترسل السهام من إقليم إلى إقليم ، وقد تصادق وتعادى وأصحابها أموات فى عرف الناس

ذلك الفكر الذى يعبر الآفاق لغزو العقول بعد أن تمر على موته آلاف السنين . ماسر قوته الروحية ؟ ماسرُّه وقد اجتاز أسوار روما بعد ألفى سنة ليقتل أحد تلاميذى بالقاهرة ؟

وذلك الشاعر الذى قال :

إذا نُشِرَتْ ذوائبُه عليه حسبتَ الماءَ رفَّ عليه ظلُّ

هل كان يتوهم أن المطربة فتحية أحمد ستنقل خياله بالمذياع إلى جميع الأقطار العربية بعد أن نسيه القاهريون ؟

سمعت هذا البيت مع الأستاذ سعد كامل فعجبنا من قدرة الأرواح على اختراق الأزمان

وقال الشريف الرضىّ :

سهم أصاب وراميه بذي سَلَمٍ من بالعراق لقد أبعدت مرماكِ

فهل كان يخطر فى بال الشريف أن هذا المعنى سيكون حقيقة لا مجازاً فيما سيخلف عصره بأجيال طوال ؟

وقال شاعرٌ قديم :

غَنَّتْ سُلَيمى بالحجا زِ فأطربتْ من فى العراق

فهل كان ينتظر ذلك الشاعر أن تصح نبوءته فأسمع من القاهرة صوتاً يغزو روحى وأنا فى سهرة بمدينة النجف ؟

لقد قضى ذلك الصوت بأن تكون ليلتى ليلاء ، وأن أعود إلى بغداد وأنا مفطور الفؤاد

وما معنى قول البهاء زهير شاعر الفطرة المصرية :

إنّ حالى لعجيبٌ ما يُرى أعجب منه

كلُّ أرض لى فيها غائبٌ أسألُ عنه

أليس شاهداً على استبداد الأرواح بالقلوب ، وإن تباعدت البلاد ؟

أما بعد فهذه الكلمة تحية للروح التى يئست من وفائى ، الروح التى ضَنَنْتُ عليها بإعلان حبى ، لتعيش فى أمان من سفاهة الرقباء

يا مصدر الوحى ، على رغم البعد واليأس ، ويا روحاً هى الروح ، ويا تحفة فنية صاغها الفنان المعبود ، ويا من لا أسمّى ولو سُئلتُ يوم الحساب فى حضرة صاحب الجبروت ، سلام عليك وألف سلام

أنت أمامي حيثما توجهت، وغضبك عليَّ أعذب من الرضوان يا مهاة لا تخطر إلا في البال

ثم أما بعد فأنا مؤمن باختلاف المعادن في الأرواح والقلوب، وروحك يا شقية هي الروح، وسبحان من لو شاء لجعلني من عينيك في أمان!

متى نلتقي على الشط، بالرمل، لأقول مع الشريف:

ولو قال لي الغادون ما أنت مشتهٍ غداة جزعنا «الرمل» قلت أعود

قال بديع الزمان في المقامات على لسان أبي الفتح الاسكندري:

إسكندرية داري لو قر فيها قراري

ويرى الأستاذ إسعاف النشاشيبي أنها اسكندرية مصر في مقال نشره بالرسالة وهو يحيى الشوارب باشا. ويرى الشيخ محمد عبده في شرح مقامات البديع أنها بلد بالأندلس، ورأيت بعيني وقلبي أن اسكندرية أبي الفتح بلد بالعراق

فمتى نلتقي في إحدى الإسكندريات الثلاث، بغض النظر عن اختلاف الأقوال؟

إن رمل الإسكندرية هو «الرمل» الذي عناه الشريف وسنلتقي هناك بعد أسابيع.

زكي مبارك

لكي ننتفع بتجاريب غيرنا

٣ـ المسرح في أوربا بين حربين

(في ألمانيا والنمسا)

للأستاذ دريني خشبة

ألممنا في الكلمة السابقة إلى انتشار المسارح الشعبية الحرة في ألمانيا، وعرفنا ما يدخل في صناديق هذه المسارح من الإيراد الضخم بطريق الاشتراك بين الأعضاء، ويبلغ عددهم في أحد مسرحي برلين حوالي ستين ألفاً معظمهم من العمال! أي أن المبلغ المتحصل من الاشتراك فقط يربو على ثلاثة آلاف من الجنيهات شهرياً ـ إذ يدفع العضو شهرياً خمسة قروش أو نحوها ـ أضف إلى ذلك مثل هذا الإيراد من غير المشتركين، وأضف إليه أيضاً إعانة البلدية للمسرح؛ وقد عرفنا أن بلدية كولونيا تعين مسرحها الشعبي بخمسة وعشرين ألفاً سنوياً، كما أن مدينة تورن، أو بالأحرى قرية تورن، تعين مسرحها الصغير المتواضع بألف جنيه كل عام... وقبل أن نتكلم عن المذهب التعبيري Expressionism الذي يسود المسرح الألماني والذي ارتفع به إلى الأوج قبل قيام الاشتراكية الوطنية لا نرى محيصاً من الرجوع قليلاً... إلى ما قبل الحرب الكبرى، وربما إلى ما قبلها بخمسين سنة أو نزيد... إلى هذا الوقت الذي كانت فيه فينا ـ عاصمة النمسا ـ هي مركز المسرح الألماني العتيد، حينما كان الأدب المسرحي في شمال ألمانيا ما يزال في المهد، وما يزال أدباً رومانتيكيا (إبداعياً) يقصد به التلهي وإشباع غريزة التشوُّف الأدبي فحسب... وقد كنا نؤثر أن نرجع إلى أكثر من ذلك... إلى أيام عاهل الدرامة النمسوي الأكبر فرانز جرلپارزر Franz Grillparzer الذي بدأت تباشير عبقريته تظهر في مشارق القرن التاسع عشر، لولا ما ننتويه من إفراد فصول مستقلة لكتَّاب الدرامة في الأمم الأوربية المختلفة وذلك بعد الفراغ من هذا الاستعراض السريع لحالة المسرح الأوربي بعد الحرب الكبرى، والذي نريد به استخراج العبرة التي نهتدي بنورها في تشييد دعائم المسرح المصري وخلق العنصر المسرحي المنعدم في الأدب العربي

فحسبنا إذن أن نبدأ من تلك السنة اللامعة ذات البريق في التاريخ الألماني ـ ألا وهي في سنة ١٨٧١، تلك السنة التي تم فيها تكوين الإمبرطورية الألمانية، بعد الانتصارات السبعينية على الجيش الفرنسي. والعجيب أن تلك الانتصارات، بالرغم مما صحبها من الزهو العسكري، لم تستطع أن تمحو من نفوس الشعب الألماني روح التشاؤم الذي أشاعته فيها فلسفة شوبنهاور، والتي تمكنت من ألباب الخاصة المثقفة تمكناً كان يوشك أن يؤدي إلى اليأس المطلق، لولا ما اضطلع به أدورد فون هرتمان من تلطيف تلك الموجة من الشعور الأسود، ولولا أن أصاخ إليه شباب الجامعات وأساتذتها الذين رسموا الطريق للنهضة الذهنية الألمانية، فانحرفوا بها عن طريق الأدب ـ إلى حين ـ إلى طريق العلوم، فازدهرت الفلسفة وفقه اللغات والتاريخ والعلوم التجريبية، حتى إذا أينع هذا الشباب ودوت في أسماعه الصيحات الآتية من خارج ألمانيا... تنبه إلى صوت كَنْت العظيم فترك هيجل الألماني وراءه، ولم يلبث أن أتاه الصوت العظيم الآخر من داخل ألمانيا نفسها، فتلفت فرأى ڤيثارة

الشعر والأمل ترقص فى يدى جوته الخالد ، كما رأى فيلسوف القوة الألمى فردريك نيتشه ينهض جباراً مرعداً ليهدم شوبنهاور ، وليهدم تقاليد الماضى العتيق الذى كان يجثم كابوسه المخيف فوق الذهن الألمانى ، ثم ليخاصم فى سبيل ذلك صديقه الأعز رتشارد ڤاجنر Wagner ، ثم لينشر إنجيله الجديد : هكذا تكلم زورستر Also sprach Zarathustra فيقلب به الفكر الألمانى ويجعله عدواً لكل قديم ؛ ثم ليطلع على الناس بهذه الطوبى الجديدة ، طوبى الإنسان الأعلى — أو السبرمان — الذى يعد الناس بالنسبة إليه « حبلاً ممتداً بين الحيوان وبين السبرمان » ثم ليجدف ضد أديان السماء تجديفاً هداماً لا يعرف القيود ، ثم ليحدد وظيفة الرجل ووظيفة المرأة ، فيجعل الأول للحرب والثانية لتكون متعة لرجل تلك الحرب ، فإذا رأى أحداً يقصد إلى زوجه أوصاه ألا ينسى سوطه ! ؛ ثم ليبرر تسلط القوى على الضعيف وتحكمه فيه ، لأن الذى لا يستطيع القيام على شأنه ينبغى عليه أن يسلم قياده للغير . ثم ليعتبر هذه الطائفة من الفضائل المتعارفة بين الناس ، كالرحمة واحترام العهود وخفر الذمم والتواصى بالضعفاء ، رذائل نشأت عن ضعف كامن فى سويداء هذا الحيوان الذى نسميه الإنسان ... الخ ويفتتن أدباء الشباب بهذا الإنجيل الجديد ويبشرون به ويصفقون له ، لأنه فى زعمهم جعل الأدب الألمانى أدب (أفكار) جريئة حرة لا تعرف هذا الإله التنين الذى يقول : هذا كفر فدعوه ، وذاك إلحاد فلا تخوضوا فيه ... هذا الإله (الشرقى !) الذى يلوح بالنار ويغرى بالجنة لا لشىء إلا ليشل تفكير الإنسانية ... إلى آخر هذا الضلال ... وقد ترددت أصداء هذا الصوت الجديد فى المسرح الذى أخذ بدوره يتحلل من الدرامة الإبداعية (الرومانتيكية) متأثراً بالدرامة الواقعية التى نفذت إليه من فرنسا وسكنديناوه (النرويج والسويد) وأول ما ظهر هذا التأثر فى روايات إرنست فون ويلدنبرخ Wildenbruch تلك الروايات التاريخية التى هاجم فيها كاتبها روح التشاؤم على هدى من تعاليم نيتشه . على أن معاصراً نمسوياً لهذا الكاتب وأعظم منه نشاطاً وأغزر فناً وأوفر مقدرة ، اسمه لدفج أنزنجروبر Anzengruber قام يخلص الدرامة الألمانيـة من الإسفاف الذى تردت فيه بالمبالغة التى لا مبرر لها ، واستثارة عواطف الجماهير (بالبهلوانيات !) . . . استبدل لدفج بهـذا النوع المشهر المألوف — Volksstück — روايات واقعية مستمدة من صميم الحياة الريفية الهادئة وإن تكن لم تخل من التأثر بنيتشه —

وفى سنة ١٨٨٨ افتتح برلين المسرح المستقل Freie Bühne على غرار المسرح الفرنسى Théâtre Libre ، وذلك برواية إبسن النرويجى « الأشباح » التى أثرت تأثيراً كبيراً على المؤلفين الثوريين الشباب ، ونخص بالذكر منهم جرهارت هوبتمان ، ثم هرمان سودرمان Sudermann وقد ألفا لمسرح برلين المستقل كثيراً من الروايات التى كانت نواة الأدب المسرحى الألمانى الحديث . ولقد كان سودرمان يتأثر الدرامة الواقعية الفرنسية ويجرى دائماً فى أذيال دوماس ، وقد بلغ من ظهور طابعه على المسرح الألمانى أن اعتبره النقاد المثل الأعلى الذى يقاس عليه ، ولا يجوز أن يحاد عنه حتى انتهى الأمر إلى تفشى الروايات المتشابهة ذات الموضوع الواحد Stereotyped التى كأنما صبت جميعها فى قالب بعينه ، وهو نفس المآل الذى انتهت إليه الدرامة الفرنسية الـ Analogique التى كانت تؤلف دائماً فى موضوع الحب الخاطىء مما أشرنا إليه فى الفصول السابقة . وقد فطن سودرمان إلى هـذا الخطر فحاول هجر ميدان الدرامة الواقعية إلى المأساة السيكلوجية ، ثم إلى تقليد شيلر فى دراماته الكلاسيكية إلا أنه فشل فى ذلك . أما هوبتمان فكان أضعف شخصية وأوهى استقلالاً من سودرمان ... كان يقلد كل من تدخل سمعته فى المسرح الألمانى من الخارج على حد ما عبر بعض نقاده . وكان تأثره بكتاب سكنديناوه أوضح من غيره ، على أنه بتجاوب أصداء المسرح فى أوربا عن طريقه داخل ألمانيا قد خدم المسرح الألمانى من غير شك . فهذان هما أشهر مؤلفين واقعيين ظهرا فى ألمانيا فى تلك الفترة من فترات الانتقال الهامة هناك . على أن الحركة الواقعية لم تلبث أن انكمشت ثم أخذت تختفى جميع المسارح الألمانية ، وحلت محلها الدرامة الغامضة الرمزية المجازية . وقد سبقت النمسا كعادتها جميع الشعوب الجرمانية ، ولا سيما شمالى ألمانيا إلى الأخذ بهذا النوع الجديد من الروايات الرمزية ، حيث ظهر فيها مؤلفون أحيوا درامات القطولة القـديمة التى اشتهرت فى المسرح الفرنسى فى القرن السابع عشر مع فارق واحد ، هو أن أبطال هذه الدرامات لم تظهر على المسرح الألمانى كأنصاف آلهة منزهة ، ولكن كرجال ونساء ذوى عواطف مشبوبة ولهم مشكلاتهم التى يعرفها

الإنسان فى كل زمان ومكان . وهكذا لم يلبث المسرح الألمانى أن استقل بأد به عن جميع المسارح الأوربية ، وأصبح له مذهبه الدرامى الخاص الذى يتفرد به بين هذه المسارح حتى صار فى مقدمتها افتناناً من وجهتى الشكل والموضوع ، وحتى صار معهداً دائب الحركة ، محتفظاً بجمهوره المشغوف بكل جديد وبكل شاذ . ولا جرم أن مذهب « التعبيرية Expressionism » قد ينشأ من مذهب الرمزية إن لم يكن هو نفسه هذه الرمزية بعينها ، وربما اضطر إليه المؤلفون ليخفوا وراءه ما أشربت به قلوبهم من فلسفة نيتشة الكفرية ، وذلك اتقاء مجابهة الجمهور المتدين إلى حد ما بأفكارهم الثورية ضد « الشرق » بأديانه وتقاليده ، وضد الضعف الذى شقيت به ألمانيا قبل أن تتوحد ، وليستطيعوا بذلك أن يبثوا فيه تلك النُّعرة الجرمانية التى تدعى أن الألمان هم أقرب الأجناس البشرية إلى « السبرمان » وأنهم أولى الأمم بالتحكم فى بقية القافلة الإنسانية ... والدرامة التعبيرية لا تُصرح بأسماء الأعلام فى فصولها — أو فى مناظرها بتعبير أدق — فلا تسمي أبطالها زيداً أو عمراً أو إدورد أو شرلوت بل تسميهم الرجل الأول والرجل الثانى والخادم والصانع والمرابى والحبيب والحبيبة والقاتل ... الخ وهى في ذلك تشبه الدرامة الأخلاقية Morality التى نسخت الطورين الأولين من أطوار نشوء الدرامة الإنجليزية والفرنسية ، ألاوهما طور الدرامة السممية أو الإنجيلية Mysteries والطور النقابى إذ لا نسمع فى الدرامة الأخلاقية أسماء أعلام قط ، بل تحل حلهم أسماء الفضائل المجردة والرذائل المجردة ، فهذا ممثل يمثل الأمانة وذاك ثان يمثل الشر وهذا ثالث يمثل الصدق ، وذاك يمثل الكذب وهكذا

ويأخذ النقاد الإنجليز والفرنسيون على هذه البدعة من بدع الدرامة الألمانية أنها إحياء لمذهب قديم ثبت فساده ، لأن الأسماء المجسمة — أى أسماء الأعلام — أثبت فى الذهن من هذه الرموز التى لا تؤثر فى الجمهور ، حتى ولا فى الخاصة ، كما تثبت وتؤثر أسماء الأعلام ... فشخصيات هملت وعطيل وشيلوك وروميو ولير وطرطوف وما إليها من الشخصيات الخالدة لم يكن من الممكن أن تكسب هذا الخلود لو سميناها الشباب والغيرة والربا والحب ... الخ أو لو سُمِّيت الشاب والأسود واليهودى والعاشق ... الخ

وذلك لأن الرابط التذكرى فى أسماء الأعلام أقوى منه فى الصفات والمصادر . ويتساءل النقاد الذين ذكرنا فيما كانت النقلة من الدرامة الأخلاقية التى لا نذكر فيها أسماء الأعلام والتى استوعبت الطور الثالث من أطوار نشوء الدرامتين الإنجليزية والفرنسية إلى المأساة التى استوعبت الطور الرابع العظيم من تأريخ تلكما الدرامتين ؟ لا بد أن التجربة قد دلت على فساد تلك الرموز التى كانت تطلق على شخصيات الدرامة الأخلاقية ، ولا بد أن الجمهور قد مل هذا الألغاز الذى لا مسوغ له ولا ضرورة تلجىء إليه ولا خير يرجىء فيه إلا أن يكون وسيلة لذلك الغرض الخفى المستتر الذى أشرنا إليه ، وهو الخوف من مجابهة الجمهور بالحقائق السافرة ، وإيثار اللف والطرق الملتوية على الجادة الواضحة والنهج السوى . ولو فطن مبتدعو المذهب الرمزى — والتعبيرى — ممن يدينون بنيتشه ، لآثروا الصراحة على الالتواء ، لأن فيلسوفهم دعا إلى الشجاعة قبل أن يدعو إلى فضيلة أخرى من الفضائل ... وأى شجاعة ، بل أى تهور ، أشد من الدعوة إلى الثورة على الله !

يتساءل هؤلاء النقاد : لم لم ترتفع أية درامة تعبيرية — درامة واحدة — إلى الأفق السامى الذى ارتفعت إليه درامات شيكسبير وبن جونسون وسنج وشو وشريدان وإبسن ومترلنك وشيكوف وموليير وساردو وسارسى وبيراندلو وجاكنتو بيناڤنت إلى آخر هذا الثبت الحافل العظيم من مؤلفى الدرامة الأوربية الخالدة من غير المؤلفين الرمزيين ؟ ... وهذا فى الواقع سؤال له وجاهته . ويزيد فى دلالته على أنه الحق ، أن مسارح المستودعات prepertory ما تزال قائمة فى ألمانيا وما تزال تعرض درامات هؤلاء المؤلفين الذين سمينا هنا وغيرهم فيقبل عليها الشعب الألمانى إقبالاً عجيباً يترجم عما يكنه هذا الجمهور من النظارة من الشغف بتراث الإنسانية العظيمة النيرة و « لسنا نقول هذا غضاً لقيمة الدرامة الرمزية فى ألمانيا ؛ إذ أن لها جمهورها الراقى المثقف الذى يتألف من خلاصة رجال الفكر الألمانى ... إلا أننا نرى أنها ليس مما يلائم جماهير النظارة ممن يقصدون إلى المسارح الشعبية »

دريني خشبة

حكم فى القضية ٢٧٣ سنة ١٩٤٣ جنالية العسكرية ضد محجوب أحمد محجوب بحبسه ثلاثة أشهر مع الشغل وتغريمه مائة جنيها والمصادرة ونشر الحكم بجريدتى المباحث القضائية والرسالة وتعليقه ببلدة المتهم والمركز التابع له لمدة شهر لنقله أذرة إلى خارج منطقة مدينة القاهرة بدون ترخيص من وزارة التموين

الخطـــابة

بين الحرب والسياسة

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

تستند الخطابة إلى الإقناع والتأثير ، فلهـا سبيلان العقل المقتنع والقلب المتأثر . وهى فى كل أمة وعصر اتخذها الرومان فى دور القضاء وساحات العدل دفاعا عن مظلوم ، أو تبرئة لمتهم ، أو إدانة لمسيء . واتخذها العرب فى الجاهلية سجعاً لكاهن ، أو عدة لواعظ ، أو نصيحة لحكيم . كما فعل قس بن ساعدة الأيادى فى خطبته المروية فى كثير من كتب الأدب . تلك الخطبة التى ذكر الناس فيها بالسماء ذات الأبراج ، والأرض ذات الفجاج ، والبحار ذات الأمواج . وكما فعل أكثم بن صيفى فى خطبته التى اشتملت على الموعظة الحسنة والحكمة البالغة

واتخذها الإسلام فى أول أمره نشراً للدعوة وتشجيعاً للجنود المقاتلة ، وتأليفاً للقلوب ، وتذكيراً للغافل ، وتنبيهاً للخامل

وتروج سوق الخطابة فى المنازعات والخصومات عند اختلاف الرأى وتنوع الفكر وتعدد المذاهب ، كما حدث بين العلويين والأمويين والزبيريين والخوارج ، وكما حدث فى انجلترا بين المحافظين والأحرار ، وكما حدث فى أمريكا بين أهل الجنوب وأهل الشمال

ومن الطبيعى أن يظهر عند احتدام الفكر واصطراع الرأى قوتان متعارضتان تمثل كل منهما رأياً معيناً . وهنا يظهر الخطيب فى جانب ، ويبرز فى الجانب المقابل من يبطل دعوته ويبطل حجته . ففى القرن التاسع عشر كان فى انجلترا غلادستون زعيم الأحرار وخطيبهم الذى لا يجارى . وأمامه فى الخصومة بيكونسفلد لسان المحافظين ومدرههم

ولا تجد الخطابة فرصة أكثر صلاحا لها وأحسن ملاءمة من الثورات العنيفة والتيارات القوية الشديدة . وقد تصنع الأقوال فى خلال الثورات مالا تصنع الفعال . وأصدق شاهد على ذلك ثورة المجر فى منتصف القرن التاسع عشر . فقد كمت النمسا الأفواه وألجمت الألسن إلا لساناً واحداً تأبى على القيد وامتنع على المقاومة ؛ هو لسان كوشوت الزعيم المجرى ؛ فرحل عن وطنه مجاهداً فى سبيله بجنان فتى ولسان عضب قوى ، فأكرمت انجلترا وفادته ، كما أحسنت أمريكا ضيافته . فكان فيهما حر اللسان طلق البيان ، حلو العبارة صريح الإشارة . وأقام متنقلاً بين الأمتين زماناً أسمع الشعوب الحرة خلاله صوت أمته المهضومة وبلاده المظلومة . ولم يطل على الأمة المجرية أمر الكفاح حتى استعادت قوتها واستردت حقوقها ، وأصبحت شريكة فى مملكة النمسا والمجر

وقد تساعد الثورات نفسها على تقدير خطباء لم يتح لهم من مواهب الخطابة ما يسمو بهم إلى مراتب التقدير . فهذا كرومويل زعيم الثورة الإنجليزية فى عصر الملك تشارلس الأول ملك انجلترا . كرومويل هذا كان ثائراً أكثر منه خطيباً . إلا أن روح الثورة واتجاهها وعنفها جعلته من الخطابة فى المحل الأول . وجعلت الشعب يجد فى الاستماع إليه لذة وميلاً . مع أن كارليل الناقد المشهور يقول عنه فى إحدى مقالاته : « إن خطب كرومويل لا تجرى على أساليب صحيحة من البلاغة أو قواعد مرتبة من التفكير المنطقى . فهي تخالف كل أسلوب معروف فى الخطابة إلا أنها أتيح لها من الشأن فى حينها ما لا يقل شأناً عن خطب ديموستين فى أثينا »

وقد تتمخض بعض الثورات العنيفة عن زعماء يؤثرون العمل على الكلام أو يفضلون النضال على المقال وطعن السنان على وخز اللسان . والثورة الفرنسية أصدق دليل على ما تقول . فلقد كان من زعمائها دنتون وروبسبير ومارا الذين ضج الناس مما سفكوا من دم وأزهقوا من روح . وكانوا يعتمدون فى الثورة على القتل أخذاً بالظنة ورمياً بالشبهة ؛ حتى شك الناس فى أخيرهم مارا ورموه بالتهم فدافع فى إحدى خطبه عن نفسه . إلا أن ذلك لم يجد عليه فقتلته فتاة فى الحمام وأراحت الناس من شره

ولقد قالوا إن الأمة العربية لم تنكب بخطيب مثل الحجاج ابن يوسف الثقفى فى حبه لسفك الدماء وإذلال النفوس وإرادتها على القسر والإرغام ، وفى شراسة الطبع وغلظ الكبد . وهذا كلام ينطبق على مارا فى الأمة الفرنسية ، وفرق ما بينهما أن الثقفى كان يرتكب جرائمه باسم الاستبداد ، ومارا الفرنسى كان يرتكبها مع صاحبه باسم القانون

والخطيب السياسى يعتمد على الشجاعة والجرأة الأدبية فى كل ما يصدر عنه ، سواء أكان حاضاً على ثورة أم حاثاً على جهاد

أم مدافعاً عن رأى ، أو مبطلاً لبعض الرأى . ولقد تتحرج أمام الخطيب السياسى الساعات ويحزب الأمر فلا يزيده ذلك إلا شجاعة وجراءة وإليكم مثالين :

١ — وقف الحجاج على منبر الكوفة فقال: « والله لأحزمنكم حزم السلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل »

٢ — ووقف مارا الفرنسى يدفع عن نفسه بعض التهم التى جزاؤها الإعدام فقال في شجاعة نادرة لهيئة القضاة التى تحاكمه : « لقد كان هذا رأيى يعرفه من اتصل بى أو قرأ لى ، ولقد كنت أصدر الآراء مشفوعة بتوقيعى ، مصحوبة بإقرارى . وما أنا ممن يخشون الجهر بآرائهم . وإذا كنتم أنتم لا تفهمون ذلك ولا تعرفونه منى فتباً لكم وسحقاً »

وإذا اقترنت شجاعة الخطيب الأدبية بحسن القريحة وسرعة البديهة وحلاوة النادرة كان ذلك أوقع فى نفوس السامعين وأشد تأثيراً فيهم . والمستر لويد جورج الخطيب الإنجليزى المشهور فى ذلك الميدان مجال أى مجال

حدثوا أنه كان يخطب مرة فى الحكم الذاتى فقال : سنعطى الحكم الذاتى لكندا وسنعطيه لإرلندا وسنعطيه لـ ... ولم يكد يكملها حتى قال رجل من السامعين ... لجهنم فرد عليه لويد جورج قائلاً : هو ذاك . يعجبنى أن يتذكر كل إنسان وطنه

وقد يكون فى بعض السامعين للخطباء من يغمزهم بكلام أو يتعرض لهم بملام . وهنا تظهر مقدرة الخطيب على سرعة الرد وحسن الدفاع ومواتاة الجواب . فقد حدثوا أنه وفد جماعة من العرب على كسرى وفيهم من النادرة الخطباء من انتهى إليه الشرف وبلغ السيادة فى قومه والمنزلة فى قبيلته . وأخذ كل منهم يتكلم بما يعرف لأبانة ما للعرب من فضيلة . حتى انتهى الدور إلى الحارث بن ظالم فأجاد الكلام وأحسن الدفاع . فقال له كسرى : من أنت ؟ قال : أنا الحارث بن ظالم . قال كسرى : إن فى أسماء آبائك لدليلاً على قلة وفائك وأن تكون أولى بالغدر وأقرب من الوزر ! قال الحارث : إن فى الحق مغضبة ، والسرو التغافل . ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة . فلتشبه أفعالك مجلسك

وخطب الوفود هذه من الخطب السياسية التى لا يغفل شأنها . وقديماً استعملها النعمان بن المنذر ليدفع عن العرب ما رماهم به كسرى وما تجناه عليهم ، وليعلمه أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه . فاختار جماعة من خيارهم فيهم أكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة والحارث بن عباد وقيس بن مسعود والحارث ابن ظالم . فتكلموا ودفعوا عن مآثر صالحات ، وحموا عن نسب صحيح

وكان الروم والهند والصين يفدون على كسرى وفيهم الخطباء المصاقع فيذكرون من بلادهم ما يدخل اليوم فى باب الدعاية السياسية . ولا شك أن هؤلاء الرسل كانوا يختارون من أحسن الناس كلاماً وإلا ضاعت الحكمة من إيفادهم وذهبت المزية من اختيارهم

والخطابة تروج فى زمن الحروب وتصادف من الآذان سمعاً واستجابة . وسيسجل تاريخ الحرب الحالية أسماء صفوة من الخطباء من أنصار الديمقراطية ومن أعدائها . وكم يكون الأدب سعيداً لو أن هؤلاء الخطباء أنجبتهم ظلال السلامة ومنابت الأمن والطمأنينة . ألا إن الدفاع عن الحرية يتطلب دائماً ثمناً غالياً .

وقد يكون القائد المحارب نفسه خطيباً مفوهاً ومتكلما فصيحاً ؛ فيمسك قائم سيفه بيده ولسانه بفمه يحض الجنود على القتال ويشجعهم على المصابرة كما فعل خالد بن الوليد فى معركة أجنادين بين الروم والعرب حين قال فيما قال : (اقرنوا المناكب ، وقدموا المضارب ، ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة ، ولتكن السهام مجتمعة إذا خرجت من القسى كأنها تخرج من كبد قوس واحدة . فإنه إذا تلاحقت السهام رشقاً كالجراد لم يخل أن يكون فيها سهم صائب)

أو كما فعل طارق بن زياد حين عبر العدوة من الأندلس وبلغه دنو (الذريق) فخطب خطبته المشهورة التى أولها (أيها الناس ! أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر)

ومن الخطب السياسية خطب الفتوح وتلقى عادة عند إتمام فتح أو إكمال غزو . والغرض منها بالطبع الدعوة للفاتح الجديد وتهنئته وإدخال الناس فى طاعته . وضمهم إلى حوزته . وأشهر الخطب من ذلك النوع خطبة القاضى محيى الدين بن على المعروف بابن الزكى التى ألقاها فى مسجد القدس مهنئاً صلاح الدين بأخذ بيت القدس من الصليبيين . وهى خطبة تاريخية طويلة تمتاز بقوة عبارتها ألا إن السجع يفشو فيها جريا على طريقة عصرهم وأسلوب زمانهم

أدباء عالميون

١ – موريس ماترلنك

للأستاذ صلاح الدين المنجد



ماترلنك من الأدباء الذين فتنوا بآثارهم القلوب ولذّوا العقول، بلغ من شأنه أن خصّ بآثاره نهاد المئة من الدراسات الطوال

وهناك طائفة من الخلفاء تغلب الصنعة الخطابية عليهم؛ فلقد كان الخلفاء الراشدون خطباء فُصحاء كما كان معاوية وعمر بن عبد العزيز الأمويان والمنصور المهدى والرشيد العباسيون وقد يجتمع الشعر والخطابة فى واحد كما كان ذلك عند العرب فى قطرى بن الفجاءة شاعر الخوارج وخطيبهم وعلى ابن أبى طالب. وعند الفرنجة فى لامارتين وفكتور هوجو. ومن الوزراء الخطباء وليم بت واللورد جون رسل أكبر زعماء الأحرار فى القرن التاسع عشر، وغلادستون، ولويد جورج وتشرشل

ولا بد للخطيب على كل حال من الصوت الحسن وحلاوة الألقاب وحسن النغم. وممن أوتوا تلك الموهبة جون برايت الإنجليزى مناصر غلادستون، وأنجرسول الأمريكى الذى كان يستهوى سامعيه بحسن إيقاعه وحلاوة صوته؛ وغلادستون الذى له فى السياسة الإنجليزية فى القرن التاسع عشر مواقف مأثورة.

محمد عبد الغنى حسن

الجياد فى لغات مختلفات. فقد أوتيت آراؤه من الأصالة والواقعية والخيال ما جعلها تأسر وتُعجب، فهى سحر من السحر لا يقاومه إنسان

ولد ماترلنك فى «غاند» من أسرة فلامندية. فنشدا طرفاً من العلم على الآباء اليسوعيين. وكان له هوى شديد إلى القراءة فكان لا يدع كتاباً وقع بين يديه حتى يفرغ منه، غير آبهٍ بموضوعه، ولا حافل بجودته وغثاثته. ولم يستطع الآباء اليسوعيون أن يؤثروا فيه فنشأ عزوفاً عن الدين ضعيف الإيمان. فلما فرغ من دراسة الإنسانيات، انصرف إلى دراسة القانون، لا رغبة منه فيه، ولكن ابتغاء مرضاة ذويه. على أنه لم يُرافع أمام المحاكم إلا مرات معدودات. ثم صدف عن القانون ويمم وجهه إلى باريس (١٨٨٦) فأقام بها وعرف أدباءها. فاجتمع «بسان بول رو Saint Pol Roux» و«كيار Quillard» و«إفرام ميكائيل Ephraïm Mikhaël»، واستطاع «ﭬيلير دُليل آدام Villiers de l'Isle Adam» أن يملك قلب هذا الفلمندى الشاب بقوة شخصيته وخصب قريحته. وكان ﭬيلير من أدباء المذهب الرمزى، فنحا ماترلنك نحوه، ونشر فى مجلة «البلياد Pleïade» قصة سماها «مذبحة الأبرياء» فأعجب بها الناس، وتطلعوا إلى هذا الأديب الجديد

وقضى ماترلنك فى باريس سبعة شهور، ثم مضى إلى الفلاندر فكان يقطع الشتاء في «غاند» ربع ميلاده، والصيف فى «أوستاكر Ostacker» فى مزرعة ريفية، حيث يعنى بغرس الأزاهر وتربية النحل، وهو يصف لنا حياته فيها بصفحات ممتعات من كتابه «حياة النحل Vie des abeilles» ويظهر أثر الطبيعة الفنانة فى تأريث وحيه الأدبي

أخذ يكتب ماترلنك لمجلة بلجيكا الفتاة La Jeune Belgique فنشر فيها مأساته الأولى «الأميرة مالين Princesse Maleine» ولم تثر هذه المأساة اهتمام الناس، عند نشرها، حتى أتيح لها ناقد ينقدها، وإذا بماترلنك يسمو إلى ذروة المجد، وإذا بصيته يذيع وبشهرته تستفيض. فلقد كتب عنها آنئذ الروائى أوكتاف ميربو Octave Mirbeau هذا الهجاء اللاذع، والأديب الذى أخرج أروع المآسى الحديثة. رأى ميربو ما فى مأساة ماترلنك من جمال وكمال، فتكلم عليها بمقال ظهر فى «الفيغارو» سنة ١٨٩٠

وما ظهرت المقالة حتى تردد اسم ماترلنك ، وإذا بالناس يقبلون على مأساته يقرأونها ويناقشونها ، ويجعلون كاتبها من العباقرة الخالدين

لقد كتب ميربو يومئذ يقول : « وما أدرى إن كان هذا المؤلف شيخاً أم شاباً ، غنياً أم فقيراً ، ولكنى أعلم أن ليس بين الأدباء رجل مغمور مثله ، وأعلم أنه أتى بمأساة رائعة ، تضمن له الخلود ، وتضمن له إعجاب أولئك الذين يتتبعون الجمال ، وأعلم أنه أخرج لهم مأساة فتانة كتلك التى يحلُم بها الفنانون الملهمون فى ساعات الحماسة ، وكالتى لم يكتب أحد مثلها حتى اليوم . لقد قدّم لنا موريس ماترلنك أعظم أثر عبقرى فى زماننا ، لا أغالى إذا قلت إنه يسمو فى جماله على ما فى آثار شكسبير من جمال ، هذه المأساة ، هذا الأثر يسمى « الأميرة مالين » ، فهل فى هذا العالم عشرون رجلاً يعرفها ... ؟ »

ولم يصرف هذا النجاح المتألق ماترلنك ، عن طريقه التى سار فيها ، وشمر يدافع يدفعه نحو الصوفية ... ودأب على إصدار درامات طريفات ، ليس فى أدب من آداب الأمم مثلها ، وسنلخصها ونبين ما فيها من سحر وجمال

ولا بد من الإشارة قبل المضى فى تحليل آثار ماترلنك ، إلى أن قليلاً من الكتاب مَنْ يستطيع أن يجارى ماترلنك فى سلاسة أسلوبه وصفائه ، وخصوبة ألفاظه وبراعته ، وسحر الجو الذى يحيط به دراماته . وقد يكون من العسير أن أبين لك صفات الأشخاص نفسها ، فهى مخلوقات ، فوق المخلوقات البشرية extra humaines لا تحس إحساسنا ولا تشعر بما نشعر به من عواطف دنيا . بل تهزها أبداً عواطف نبيلة سامية ، أكثر رفعة ، وأكثر صفاء من العواطف التى تغمرنا . ومع ذلك فإنك لترى ألفاظاً عميقة تصف هذه العواطف النبيلة لا تجدها عند غيره . ولقد استطاع أن يصور الحب والقلق والحسد والألم والرعب والطمأنينة بما لم يصفه بها أحد . وهو فى أكثر دراماته يحاول أن يبين تلك القُوى العلوية التى تؤثر فى مصيرنا وأعمالنا وحياتنا ، وهو لا ينصح ولا يدعو إلى الأخلاق ... عمداً ، فقد يضحّى من أراد ذلك بجمال المأساة أو القصيدة الفنى « ولكن ما على الشاعر أو الأديب من حرج إذا أوصلنا إلى حقائق أخلاقية مقبولة دون أن يُفقِد القصيدة شيئاً من زينتها فى شكلها وفكرتها »

وإذن ، فنحن إلى جانب عنايتنا بتبيان الناحية الفنية فى آثار ماترلنك سنعنى بتبيان آرائه الفلسفية التى يسوقها عن تلك القوى العلوية ، عن العالم المجهول .

* * *

كانت أولى دراماته ، كما ذكرنا ، الأميرة مالين . فهى التى دفعت به إلى قمة المجد ، بعد أن كتب عنها ميربو ما كتب . فى هذه الدرامة تشعر بجو غريب لا عهد لك به ... بلاد واسعة لا نهاية لها ، تحسبها فى آن واحد ، بلاداً خرافية ، وحقيقية ... وفيها يدع ماترلنك الإنسان والطبيعة يقدمان الأدلة على الشك فى قوتهما وضعف إرادتهما ، وعبوديتهما . فى هذه البلاد ، ترى بحيرات راكدة محاطة بالغابات ، وقصوراً شماً ذات دهاليز مظلمات ، وأقبية سوداً مخيفات ؛ وترى بروجاً مهدمة تريد أن تنقض تحت ثقل القرون الطوال . وترى حدائق غُلباً لا تطأها قدم إنسان ، وقد ألفها الحزن والظلام . هذه القصور التى تجثم فوقها ذكرى الجرائم الخاليات ، والآلام الدائمات ، هى فى آن واحد عظيمة وحقيرة ، مأهولة ومقفرة . يروع أهلها ذات يوم خوف شديد ، فيجتمع شبانها وشيوخها يتبادلون الرأى ، ويبحثون فى الأمر ويتحاورون محاورات يظهر فيها ماترلنك البعد الساحق بين هؤلاء وهؤلاء فى أفكارهم وأعمالهم ومصائرهم

ويبقى القارىء فى جو غامض لا يدرى أنى يخرجُ منه . وفجاءة تبرز له المشكلة التى بنيت عليها الدرامة . لقد وقف الموت : هذه القوة التى لا ترى أمام الحب والسعادة ، لأن هذه القوة الفاجعة ، تبغض هذه السعادات ؛ هى تبغض الحب ، والأمن والهدوء ، فهى أبداً تسعى لتهديمها . وهنا يظهر ماترلنك متشائماً ، فأى سعادة ترجيها والموت حيال عينيك لا يزول ؟

والحق أنه ليس أدعى إلى التشاؤم واليأس من قدَر مالين . لقد كانت تحب . وكانت تُحَب . لقد سميت على ولى العهد ؛ حبيبها وخطيبها . ولكنها ، وهى فى فوران الهناءة والسرور ، تسمع بخيانة خطيبها ؛ فتجن وتموت بالخناق دون أن تتثبت مما سمعت ؛ ويعلم خطيبها « هجالمار » بما فعلت حبيبته فينتحر

والفكرة بسيطة كما رأيت ؛ ولكن ماترلنك يوقظ فيك وأنت تقرأها أدق المشاعر ، وأخص العواطف ؛ ويؤثر فيك تأثيراً بالغاً . وهى لعمرى درامة شكسبيرية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى

(للبحث بقية — دمشق) صلاح الدين المنجد

٤ ــ الأحـــلام

للفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون

بقلم الأستاذ ألبير نادر

أين الفرق بين الإدراك والحلم ؟

ما هو النوم ؟ إنى لا أتساءل طبعاً ما هى الشروط الجسمية للنوم ـ هذا أمر يبت فيه الأطباء ولم يفصل فيه بعد . أتساءل كيف يجب أن نتصور الحالة النفسية لرجل نائم لأن النفس تستمر فى العمل أثناء النوم . فالنفس ـ كما سبق أن ذكرنا ـ نائمة كانت أو يقظة ، تربط الإحساسات بالذكريات التى تدعوها ـ وآلية العمليتين تبدو واحدة فى الحالتين : حالة اليقظة وحالة النوم ـ ولكن يوجد الإدراك الطبيعى من جهة والحلم من جهة أخرى ـ فآلية العملية لا تقوم بنفس العمل فى الحالتين ، فأين الفرق إذاً ؟ ما هى الميزة النفسية للنوم ؟

دعونا ، لا نثق كثيراً بالنظريات . يقولون إن النوم عبارة عن انفراد عن العالم الخارجى ، ولكننا بينا أن النوم لا يمنع الحواس تماماً من التأثيرات الخارجية ، لكنه يستمد منها مادة الكثير من الأحلام . ثم بينا أن وظائف العقل السامية أثناء النوم تستريح ويتسبب عن ذلك توقف فى التعقل . لا أظن أن الأمر كذلك . إننا أثناء الحلم نصبح غير مكترثين بقوانين المنطق ؛ ولكننا لا نكون عاجزين عن كل منطق ، وأكثر من ذلك ، وهنا أخشى أن أدهشكم ، أن ذنب النائم هو أنه يعقل أكثر من اللازم . والنائم يتجنب المحال إذا كان مجرد مشاهد لاستعراض رؤياه — ولكنه عند ما يريد ، بقدر المستطاع أن يعبر عنها ، يكون منطقه المخصص لربط الصور المبعثرة بعضها ببعض غير قادر إلا على تقليد منطق العقل ، ويتلمس حينئذ المحال . نعم إن وظائف العقل السامية تنحل أثناء النوم ؛ وإن ملكة التعقل تلهو أحياناً بتقليد التعقل الطبيعى ولو لم تشجعها على ذلك الصور المتماسكة . ويمكننا أن نعمم هذا القول فيما يخص الملكات الأخرى . إننا لا نعلل الحلم بانعدام التعقل ولا بإغلاق الحواس ولنترك جانب النظريات ونتصل مباشرة بالواقع

يجب أن نقوم باختبار حاسم فى أنفسنا . عند ما نخرج من الحلم سنراقب انتقالنا من حالة النوم إلى حالة اليقظة ، إذ أننا لا نستطيع أن نحلل حالتنا أثناء الحلم نفسه . ولنتتبع هذا الانتقال بقدر المستطاع — لنوجه التفاتنا إلى حالة عدم انتباه عندنا ، ولنأخذ على غرة الحالة النفسية لإنسان لم يزل نائماً ، ولكنه فى طريق اليقظة . نعم إن هذا العمل عسير ولكنه ليس بالمستحيل لمن مرن نفسه عليه بكل صبر . اسمحوا لى أن أقص عليكم حلماً من أحلامى وأقول لكم ماذا ظننت عند ما استيقظت . ظننت أنى على منبر أخاطب حشداً من الناس ، فصمدت تمتمة مبهمة من مؤخرة المستمعين ، ثم أخذت فى الوضوح ؛ وأصبحت رعداً ، ثم نباحاً ، ثم ضجيجاً فظيعاً ـ ثم دوى من كل جانب وعلى وتيرة منظمة صراخ يقول : إلى الباب إلى الباب . استيقظت فجأة عندئذ ـ وكان كلب ينبح فى الحديقة المجاورة ، وكلما كان يعوى كان الصراخ القائل : إلى الباب يمتزج بكل عوية من عواء الكلب — هذه هى اللحظة التى يجب انتهازها . فشخصية اليقظة التى ظهرت الآن تتحول نحو شخصية الحلم التى لم تزل موجودة وتقول لها : « أقبض عليك متلبسة بجرمك ؛ تظهرين لى حشداً يصرخ وليس هناك إلا كلب يعوى ! لا تحاولى الهروب . إنى قابضة عليك . ستدلين لى بسرك وأمرك — ستدعيننى أرى ماذا كنت تصنعين » وشخصية الحلم تجيب قائلة : أنظرى ! إنى لم أكن أفعل شيئاً ؛ ولأجل ذلك كانت شخصيتانا مختلفتين ، فتقول لها شخصية اليقظة : أتظنين أنك لا تفعلين شيئاً وأنا أسمع كلباً ينبح وأفهم أن من ينبح هو كلب ؟ إنه لضلال مبين ... أنت تبذلين مجهوداً كبيراً بدون أن تشعرى بذلك — يجب أن تجمعى كل ذاكرتك وكل تجاربك المتراكمة وتقوديها بواسطة حصر مفاجىء حتى لا تقدم للصوت الذى تسمعينه سوى جزء من هذه الذاكرة أعنى الذكرى التى تكون أكثر شبهاً بهذا الإحساس والتى يمكنها أن تعبر عنه أحسن تعبير : فحينئذ تنطبق الذكرى الإحساس . ثم يجب أن تكون هناك الموافقة التامة حيث لا يترك أى فرق بين الذكرى والإحساس (وإلا فستكونين فى حالة حلم) .

لا يمكنك أن تضمن هذه المطابقة وهذه الموافقة التامة إلا بواسطة الانتباه أو بالأحرى بواسطة مجهود مشترك من قبل الإحساس والذاكرة . هكذا يفعل الخياط عندما يجرب لك رداء قصه فقط ، فهو يضع الدبابيس ويشد بقدر الإمكان القماش على

الجسم حتى ينسجم عليه تماماً . وحياتك فى حالة اليقظة هى حياة عمل وإن ظننت أنك لا تعملين شيئاً . وذلك لأنه يجب عليك فى كل لحظة أن تختارى وأن تعزلى . إنك تختارين بين إحساساتك لأنك تبعدين عن الوجدان آلاف الإحساسات الشخصية التى تعود إلى الظهور حينما تنامين . إنك تختارين بكل دقة وتأن من بين ذكرياتك بما أنك تبعدين كل ذكرى لا تنسجم وحالتك الحاضرة . هذا الاختيار الذى تقومين به بلا انقطاع ، وهذه المطابقة (بين الذكريات والحالة الحاضرة) المستمرة والدائمة التجدد هما الشرط الأساسى لما يسمونه الصواب . ولكن المطابقة والاختيار يجعلانك فى حالة إجهاد غير منقطع أنت لا تشعرين به فى الحال كما أنك لا تشعرين بالضغط الجوى ولكنك تتعبين إذا ما طال . والصواب متعب جداً

« لقد قلت لك توا : إنى أتميز عنك لأنى لا أفعل شيئاً . والمجهود الذى تبذلينه بدون انقطاع أنا أمتنع فقط عن بذله . أنت تتمسكين بالحياة وأنا أنفصل عنها . لم أعد أكترث بشىء ولا أهتم بشىء . النوم عدم اهتمام ونحن نيام بقدر ما نكون غير مبالين . الأم النائمة بجانب طفلها يمكنها ألا تسمع قصف الرعد ، بينما تنهدة واحدة من تنهدات طفلها توقظها . فهل كانت غافلة (نائمة) حقاً بالنسبة لطفلها ؟ إننا لا نغفل عما يزال يهمنا

« تسألينني عما أفعل عند ما أحلم ؟ سأقول لك ماذا تفعلين أنت أثناء اليقظة . تأخذينني أنا شخصية الأحلام ، أنا مجموعة ماضيك وتقودينني ، مضيقة على الخناق ، حتى تحصريني داخل الدائرة الضيقة التى تخطينها حول عملك الحالى ، هذه هى حالة اليقظة : الحياة النفسية الطبيعية ، الجهاد ، الإرادة . أما الحلم فهل أنت بحاجة لأن أعبر لك عنه ؟ إنها الحالة التى تلاقين فيها نفسك فى حالتها الطبيعية عند ما تتركينها على غاربها ، عند ما تهملين حصرها فى نقطة واحدة ، عند ما تكف الإرادة عن العمل . وإذا ألححت أو أصررت فى طلب شرح أى شىء فسلى كيف تعمل إرادتك فى أى وقت من أوقات اليقظة حتى يمكنها أن تحصر كل تحمله فيك فى نقطة واحدة تهمك وذلك بدون أن تشعرى واسألى فجأة حينئذ حالتك النفسية وقت اليقظة ، ووظيفتها الأساسية أن تجيبك لأن اليقظة والإرادة شىء واحد »

هذا ما تقوله شخصية الأحلام ، وإنها لتقص علينا أشياء أخرى كثيرة إذا تركنا لها المجال لذلك . لكن لقد حان الوقت للوصول إلى نتيجة . ما هو الفرق الجوهرى بين الحلم واليقظة ؟ سنلخص ما سبق قائلين إن القوى نفسها تعمل سواء كنا فى حالة اليقظة أو فى حالة الحلم . فقط فى الحالة الأولى تكون هذه القوى منحصرة وفى الحالة الثانية تكون منطلقة

الحلم هو الحياة العقلية بأكملها ينقصها مجهود الحصر . فلا نزال ندرك ولا نزال نتذكر ولا نزال نعقل . والحالم يمكنه أن يدرك ويتذكر ويعقل كثيراً . والإكثار فى هذه العمليات لا يعنى أن النفس تبذل مجهوداً لأن ما يتطلب المجهود إنما هو الدقة والتأنى فى الانسجام . فنحن لا نعمل شيئاً ولا نبذل أى مجهود ليرتبط نباح الكلب صدفة بذكرى حشد متضجر ، ولكن يجب بذل مجهود فعلى حتى يتصل هذا النباح بذكرى نباح الكلب وحتى يمكننا التعبير عنه أنه فعلاً نباح . ولكن لم تبق عند الحالم أى قوة لبذل هذا المجهود ، فبذلك وبذلك فقط يتميز الحالم عن اليقظان

هذا هو الفرق ونحن نعبر عنه بطرق مختلفة . وإنى سأتجنب التفصيلات ؛ فقط ألفت نظركم إلى نقطتين أو ثلاث وهى : عدم استقرار الحلم ، والسرعة التى يمكنه أن يسرد بها ، والأفضلية التى يعطيها للذكريات التافهة

من السهل التعبير عن عدم الاستقرار ، إذ أن الحلم من خاصيته ألا يجعل الإحساس ينطوى تماماً على الذكرى ، بل يترك فى ذلك مجالاً للعب ، فعليه يمكن لذكريات مختلفة تمام الاختلاف أن تنطبق على الحلم . إليك مثلا بقعة خضراء منتشرة عليها نقط بيضاء ، وذلك فى حقل البصر — فيمكنها أن تحقق ذكرى جزء مزدهر فى حديقة أو ذكرى مائدة لعب الكرات مع كراتها ، أو أشياء أخرى كثيرة . وجميع الذكريات تريد أن تعود إلى الحياة فى هذا الإحساس وكلها تعدو وراءه . فى بعض الأحيان تبلغه الواحدة تلو الأخرى ، والجزء المزدهر فى الحديقة يصبح مائدة لعب الكرات ، ونشاهد حينئذ تطورات مدهشة . وفى بعض الأحيان تبلغه جميعها فيصير الجزء المزدهر مائدة لعب الكرات ، ويحاول الحالم أن يرفع عنه هذا التناقض بواسطة تفكير يزيد فى دهشته

(البقية فى العدد القادم)

ألبير نادر

المؤلفات العربية القديمة

وما طبع منها في سنة ١٩٤٢

للأستاذ كوركيس عواد

في غير موطن من هذه المجلة[١]، نشرنا قوائم بالتصانيف العربية القديمة التي طبعت في السنوات ١٩٣٩ و ١٩٤٠ و ١٩٤١ مما كنا وقفنا عليه بالذات أو ما كان اتصل بنا خبره. وها نحن أولاء نواصل ما بدأنا به سابقاً، مع علمنا بصعوبة إدراك ما نتمناه في هذه السبيل وهو الوقوف على كل ما يطبع منها وحصره حصراً تاماً. ولعل ذلك التقصير راجع في أغلبه إلى الظرف الذي يلابسنا، فقد تعسر فيه سير البريد بين بعض الأقطار وتعذر في غيرها، ذلك بعد أن كان فيما مضى من أيام السلم مضرب المثل في انتظامه وسرعته

وعلى كل حال، فإننا نذكر فيما يلي ما انتهى إلينا من مطبوعات سنة ١٩٤٢، ثم نردفها ببعض المستدركات على مطبوعات سنة ١٩٤١، متبعين في سياقتها الترتيب الهجائي لعناوين الكتب، شأننا فيما فعلناه في القوائم السالفة.

أولا : مطبوعات سنة ١٩٤٢

١ — الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ. نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد في أربعة مجلدات، صحائفها على التوالي ٣٤٠ و ٣٣٤ و ٣٠٣ و ٢٥٣

٢ — الأفعال : لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي اللغوي المعروف بابن القطاع الصقلي المولد، المتوفى بمصر في سنة ٥١٥ وقيل ٥١٤ هـ نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد. ظهر منه مجلدان (٣٩٨ و ٤٩١ ص) فيهما ذكر الأفعال المبدوءة بالهمزة فالباء إلى الفاء. وسيظهر المجلد الثالث وبه يكون تمام الكتاب

٣ — الألحان واختلاف الناس فيه : هو قسم من كتاب الياقوتة الثانية في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٢٨ هـ. نقله إلى الإنكليزية[١] المستشرق فارمر (H. G. Farmer) وطبعه في مدينة برسدن باسكتلندة ضمن المجموع الموسيقي الموسوم

Collection of Oriental Writers on Music (Vol. 5; 27 p.)

وقد ظهرت هذه الرسالة أولاً في المجلة الأسيوية البريطانية[٢]

٤ — الإمتاع والمؤانسة : لأبي حيان التوحيدي، المتوفى بعد سنة ٤٠٠ هـ الجزء الثاني، صححه وضبطه وشرح غريبه الأستاذان أحمد أمين بك وأحمد الزين (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ٢٠٥ + ٢٦ ص) الجزء الأول صدر سنة ١٩٣٩ [٣]

٥ — بلاغات النساء وطرائف كلامهن ومُلَح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام : لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المعروف بطيفور، المتوفى سنة (٢٨٠ هـ). نشرته المكتبة المرتضوية ومطبعتها الحيدرية في النجف في ٢٢٦ صفحة

٦ — التاريخ الكبير : للامام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ. القسم الثاني من الجزء الرابع، نشرته دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد في ٤٦٥ ÷ ١٩ ص. وفيه تراجم رجال الحديث من باب « مدرك » إلى باب « يونس ». القسم الأول من الجزء الرابع ظهر سنة ١٩٤١ ولم يطبع شيء مما قبله

٧ — التصوير عند العرب : للمغفور له العلامة أحمد باشا تيمور، المتوفى سنة ١٣٤٧هـ. أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات الدكتور زكي محمد حسن (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٥ ÷ ٣٢٤ ص منها ١١٤ ص للمتن الأصلي والباقي للناشر. والكتاب مزدان بصور عديدة

٨ — تفسير سفر هُوشع (أحد أسفار التوراة). تأليف

(١) الرسالة في أعدادها ٣٠٤ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٥١ و ٤٧١

(١) يرى المتن العربي في طبعات العقد الفريد. وقد اعتمد فارمر في رسالته على طبعة القاهرة سنة ١٣٠٥هـ (٣ : ١٧٦ وما بعدها)

(٢) Journal of the Royal Asiatic Society, 1941—42

(٣) لقي هذا الكتاب عناية الكتبة والباحثين وإقبالهم عليه. وقد نشر غير واحد منهم فصولا ونبذا في تقريظه ونقده وأهم ما نشروه يرى في « الرسالة » و « المقتطف » و « مجلة المجمع العلمي العربي »

يافث بن عليّ القرّائي (من أهل المائة العاشرة للميلاد) نشره المستشرق برنبام P. Birnbaum مستنداً إلى ثماني نسخ خطية لهذا الكتاب، ومضيفاً إليه تعليقات ومقدمة بالإنكليزية. (فيلادلفية «الولايات المتحدة» ٦٢ + ٢٧٤ ص)

٩ — الجرح والتعديل: لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧ هـ، الجزء الثالث، نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، في قسمين صحائفهما ٤٣٥ و ٣٤٠. أما سائر الأجزاء فلم تطبع

١٠ — ديوان أبي تمام: لأبي تمام الطائي الشاعر المشهور، المتوفى سنة ٢٢٨ هـ. باب الهمزة منه، شرحه ودرسه الأستاذ أحمد عثمان عبد المجيد (طبع في القاهرة)

١١ — رسالة في اتصال العقل بالإنسان: لابن باجة الفيلسوف الأندلسي الشهير، المتوفى سنة ٥٣٣ هـ، خاطب بها بعض إخوانه. نشرها المستشرق أسين بلاثيوس Miguel Asin Palacios في مجلة الأندلس الإسبانية؛ Al-Andalus, VII, 1942 pp. 1—47 بعنوان:

Tratado de Avenpace sobre la union de intelecto con el hombre

١٢ — السلوك لمعرفة دول الملوك: لتقي الدين المقريزي، المتوفى سنة ٨٤٥ هـ القسم الثاني من الجزء الثاني، عني بتحقيقه الدكتور محمد مصطفى زيادة على غرار الأجزاء السابقة. وهو يشتمل على بقية عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ٢٥٠ ص)

١٣ — ضوء الصباح في مدح الوزير عبد الفتاح: وهو ديوان شعر محمد بن مصطفى الغلامي الموصلي (من أبناء المائة الثانية عشرة للهجرة)، أهداه إلى الوزير عبد الفتاح باشا بن إسماعيل باشا الجليلي سنة ١١٨٣ هـ، نشره الأستاذ محمد رءوف الغلامي في آخر كتاب «العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي» (مطبعة أم الربيعين بالموصل الصفحة ٢٩٨ ـ ٣٦٠)

١٤ — علم البيان: رسالة صغيرة كتب على غلافها أنها «تأليف العلامة أبي بكر» نشرها الأستاذ عبد المجيد الملا. (مطبعة الفرات، بغداد ٣٢ ص)

١٥ — كتاب الكنى: هو جزء من التاريخ الكبير للامام للبخاري (٢٥٦ هـ) نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد في ٩٨ صفحة

١٦ — المزهر في علوم اللغة وأنواعها: لجلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ عني بشرحه وتصحيحه الأساتذة محمد احمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي نشرته دار إحياء الكتب العربية (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة، في ٦٥١ صفحة)

١٧ — المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: لأبي منصور الجواليقي، المتوفى سنة ٥٤٠ هـ. حققه وشرحه الأستاذ العلامة احمد محمد شاكر (مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ٤٠ + ٤٥٦ ص)

١٨ — المفضليات: جمعها أبو العباس المفضل الضبّي، المتوفى سنة ١٦٨ أو ١٧٠ هـ. الجزء الأول، حققه وشرحه الأستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. (مطبعة المعارف ومكتبتها بالقاهرة، ٢٠٠ ص)

١٩ — المفضليات الخمس: للمفضل الضبي (١٦٨ أو ١٧٠ هـ) حققها وشرحها الأستاذ عبد السلام محمد هارون (مطبعة المعارف ومكتبتها بالقاهرة، ٤٨ ص)

٢٠ — من شعر أبي تمام: فيه نصوص من شعر أبي تمام والقصائد الخمس الأولى من المفضليات. ضبطه وشرحه وعلق عليه الأستاذ محمد محمد رضوان (طبع في القاهرة)

٢١ — نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة. للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ الجزء الثاني بتحقيق المستشرق مرجليوث D. S. Margoliouth نشر في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق، في أعداد المجلد ١٢ منها (سنة ١٩٣٢ ـ والمجلد ١٣ (سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٥) والمجلد ١٧ (سنة ١٩٤٢) إن الجزء الأول من هذا الكتاب النفيس، نشره مرجليوث (القاهرة ١٩٢١)، والجزء الثامن منه نشره المستشرق المذكور والمجمع العلمي العربي (دمشق ١٩٣٠) ولا يعلم اليوم من أجزاء النشوار، التي تبلغ أحد عشر مجلداً، غير هذه الثلاثة، الأول والثاني والثامن

٢٢ — هزريات أبي تمام: شرحها وحققها الأستاذ



معنى قوله تعالى (يخرج الحى من الميت)

لقد اطلعت فى مجلة الرسالة الغراء على تفسير لهذه الآية الكريمة ، ولما كنت قد فسرتها فى كتابى « الحمل وخلقة الإنسان بين الطب الحديث والقرآن » تفسيراً آخر رأيت أن أدلى به على صفحات هذه المجلة

فالمقصود من قول الله تعالى « يخرج الحىّ من الميت » أى أنه تعالى يخرج الإنسان الحى من الطين الميت ؛ ويشير إلى ذلك قول الله تعالى : « إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين » ثم يجعله يتكون وينمو من أشياء ميتة ؛ فالإنسان الحى يقتات من المواد النباتية وهى غير حية كما يقتات من لحوم الحيوانات بعد ذبحها وموتها وموت خلاياها موتاً كلياً ، فيحول الله تعالى هذه الأشياء الميتة فى جسم الإنسان إلى جسم حى فينمو الإنسان ويكبر . فالإنسان يستمد حياته من الحيوان والنبات ، والحيوان يبنى جسده من النبات ، والنبات ينمو من مواد الأرض فلا شك أن جسم الإنسان كله ينمو من الطين . وهذه معجزة الله الخالق العظيم الذى بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل بناء جسمه من الطين

فالمواد التى تدخل فى تركيب أجسامنا موجودة فى حفنة من تراب أو فى حثوة من طين ، ولكنا لا نستطيع الانتفاع بها مباشرة وإنما ننتفع بها عن طريق النبات . فعلى ذلك يحول الله تعالى المادة غير الحية إلى مادة حية فى أجسامنا ، وهذا هو إخراج الحى من الميت

وإما إخراج الميت من الحى فهو مثل خروج الإفرازات كاللبن وهو شىء ميت من جسم حىّ

أما قول كثير من المفسرين من إن إخراخ الحى من الميت وإخراج الميت من الحى هو إخراج الإنسان من النطفة وإخراج النطفة من الإنسان على اعتبار أن النطفة شىء ميت ، فأعتقد أن ذلك لا يساير الحقيقة وقد ثبت أن النطفة جسم حى بحيواناتها المنوية الحيّة .

(بنى سويف)

الدكتور

حامد البدرى الفرالى

عبد السلام محمد هارون (مطبعة المعارف ومكتبتها بالقاهرة ٧٩ص)

٢٣ — وجائب الضمير : تأليف بحيا بن يوسف بن بقواد (المتوفى نحوسنة ١٠٥٠م) نقله من أصله العربى إلى اللغة العبرية يهوذا بن تبون Jehudr ibn Tibbon ونقله إلى الإنكليزية هيامسن M. Hyamson . وقد نشرت الترجمتان معاً فى نيويورك ، فى ٥ + ١٥٦ص

ثانياً : المستدرك على مطبوعات سنة ١٩٤١

١ — الإبانة فى أصول الديانة : لأبى الحسن على بن اسماعيل البصرى الأشعرى (قيل إنه توفى سنة ٣٢٤هـ) نقله من العربية[1] إلى الإنكليزية المستشرق كلاين W. C. Klein وأشفعه بمقدمة وتعليقات ، فى المجلد ١٩ من مجموعة American Oriental Series (نيوهافن ١٣ + ١٤٣ ص)

٢ — أزهار الرياض فى أخبار عياض : لشهاب الدين المقرى التلمسانى ، المتوفى سنة ١٠٤١هـ الجزء الثانى ، نشره وعلق عليه الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، طبع على نفقة بيت المغرب (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ٤٣٠ص) الجزء الأول ظهر سنة ١٩٣٩

٣ — إنباط المياه الخفية : لأبى بكر محمد بن الحسن الحاسب الكرخى (من أهل المائة الخامسة للهجرة) نشرته مطبعة المعارف العثمانية بحيدر آباد بعناية الأستاذ السيد هاشم الندوى (٧٤ صفحة فيها أشكال توضيحية)

٤ — أولياء حلب فى منظومة الشيخ أبى الوفاء الرفاعى (١٧٦٥ — ١٨٤٧م) نشرها الأب فردينان توتل اليسوعى ، بمقدمة وتعليقات وفهارس (المشرق ٣٨ [بيروت ١٩٤٠] ص ٣٢١ — ٤٢٢) . وقد وضع الناشر ترجمة أبى الوفاء فى المشرق (٣٩ [١٩٤١] ص ١٦٤ — ١٨٤) .

(بغداد)

كوركيس عواد

(١) المتن العربى ، طبع فى حيدر آباد سنة ١٣٢١هـ

من رسائل الرافعي . ألفاظ العلوم . الترادف في السجع

الشعر الجاهلي

منع الجاحظ أن يستعمل الخطيب — إذا كان متكلماً — ألفاظ المتكلمين إلا إذا عبَّر عن شيء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً ؛ وحرم العسكرى على الأديب استعمال تلك الألفاظ فى أى غرض ؛ وأوجب ابن الأثير على الكاتب أن يعرف مصطلحات كل صناعة وأن يلم بكل علم وفن . فسألت الرافعى رحمه الله عن هذه الآراء الثلاثة ، وسألته كذلك عما أخذه ابن الأثير على الصابى من أنه يرادف السجع فى المعنى الواحد ؛ ثم طلبت بعد ذلك أن يفضى برأيه فيما ذكره المنفلوطى رحمه الله من أن الشعر الجاهلى شعر ساذج . فجاءنى هذا الجواب الشامل :

« أيها الأخ : السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فإنه يسرنى أن أعرف لكم هذه العناية بالأدب والتوفر عليه ، ولعلكم واجدون فيه شيئاً من التعزية عما ترونه فى حادثات الدهر من سوء الأدب ... أما الأسئلة فإنى مجيبكم عنها بإيجاز .. ولو أعان الله على إظهار ما بقى من أجزاء تاريخ آداب العرب لرأيتم فيها الجواب مطولاً مبسوطاً

أما كلام الجاحظ فصحيح ؛ لأنه يريد « بالمتكلم » الرجل من أهل الجدل وعلماء الكلام ؛ وهذا إذا هو استعمل ألفاظ صناعته فى مخاطبة الناس من أهله وجيرانه ، أو الكتابة إلى من هو فى حكمهم والخطابة عليهم ، كان ذلك مرذولاً منه وعُدَّ متكلفاً ودخل فى باب الغريب الذى يسمونه الغى الأكبر ؛ ولكن الجاحظ لم يمنع أن يفيض المتكلم مع المتكلمين بمثل تلك الألفاظ بل هو نبه على أن ذلك محمود منه

والأصل هو ما ورد فى الحديث : خاطبوا الناس على قدر عقولهم . وصاحب المثل السائر لا يرمى فى كلامه إلى ما أراده الجاحظ بل هو يريد أن يلم الكاتب بمصطلحات كل صناعة ويشارك فى كل علم وفن ، إذ يجد فى ذلك مادة ربما احتاج إليها فى توليد معنى ، أو فى الكتابة عن واحد من أهل تلك الصناعات أو فى ديوان من دواوين الإنشاء القديمة التى كانت تتناول أكثر أمور الدولة يومئذ ، ففيها كاتب الرسائل وكاتب الخراج وكتّاب آخرون ، وكانت تلك أغراض الكتابة من حيث هى صناعة . على أن ألفاظ العلوم الخاصة بها مما يصطلح عليه لا يجوز أن يستعان بها فى الإنشاء إلا لغرض يستدعيها وإلا كانت من العى والفهاهة ونزلت منزلة الحشو ووقعت أكثر ما تقع لغواً . وهذا هو غرض العسكرى

وأما عيب صاحب المثل على الصابى فى ترادف السجع فأنا أراه فى موضعه من النقد ، لأن السجع صناعة لا سجية ، والترادف قد يحسن الأسلوب المرسل لمتانة السياق وقوة السرد كما تجده فى كتابة الجاحظ وغيره ، ولكن الذى يسجع لا يضطر إليه لأن كل سجعة فاصلة فهو من باب الحشو لا غير . والصابى على قوته فى الترسل ضعيف فى السجع لا يبلغ فيه منزلة البديع ، ولا جرم كان ذلك من ضعفه فيه

وأما شعر الجاهلية وسذاجته فلم أقرأ ما كتبه المنفلوطى فى ذلك ، ولكن شعر الجاهلية كشعر غيرهم إنما يصف أحوال الحياة التى شهدوها فيقع فيه ما يقع فى سواه من القوة والضعف ويكون فيه الجيد والسخيف . على أن شعر فحول الجاهلية لا يتعلق به شىء من شعر غيرهم فى صناعة البيان لا فى صناعة الشعر إذ هم أهل اللغة وواضعوها

وفى الجزء الثالث من تاريخ الأدب زهاء أربعمائة صفحة فى تاريخ الشعر العربى وفلسفته وأدواره الخ

على أنى أحب لك ألا تحفل كثيراً بأقوال المتأخرين وكتاباتهم ومحاوراتهم فيما يختص بالأدب العربى وتاريخه لأنهم جميعاً ضعاف لم يدرسوه ولم يفكروا فيه ، فابحث أنت وفكر واجتهد لنفسك فهذه هى السبيل ...

كتبت على عجلة ساعة الانصراف ، ففكر فى الجواب واستخرج من قليله مالا يكون به قليلاً . والسلام عليكم ورحمة الله

١٤ اكتوبر سنة ١٩١٦ (مصطفى صادق الرافعى)

(المنصورة) محمود أبو ريه

تصحيح اسم طبيب

كتب صديقنا القديم الدكتور باول كراوس المدرس بكلية الآداب مقالين نفيسين فى الثقافة الغراء عن (هبة الله بن جميع الإسرائيلى المصرى طبيب الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب . وضبط الدكتور الفاضل اسم الطبيب المصرى هكذا « ابن جميع أو جُمَيِّع »

وعجبت جداً كيف يغفل صديقنا المحقق عن صحة اسم هذا الطبيب الإسرائيلى المصرى فيرويه على وجهين ، مع أن النصوص والأخبار جميعها متفقة على رواية واحدة وهى ابن جميع بفتح الجيم لا غير . فلا حاجة بنا إلى تشديد الياء

قلت إن الأخبار الأدبية والتاريخية تؤيد هذا الوجه ولا تعرف

فيه وخاصة أن هذه الأخبار لأعلام عصر المؤلف وشعرائه المشهورين

ودليلنا على ذلك ما قاله ابن النجم المصرى الشاعر المشهور فى عصر صلاح الدين وكان معاصراً لابن جميع فى هجائه :

دعوا ابن جميع وبهتانه ... ودعواه فى الطب والهندسة

فما هو إلا رقيع أتى ... وإن حل فى بلد أنحسه

وقوله من أبيات أخرى .

لابن جميع فى طبه حمق ... يسب طب المسيح من سببه

وقوله من أبيات أخرى

كذبت وصحفت فيما ادعيت ... وقلت أبوك جميع اليهودى

فهذه النصوص كلها تدل على أن اسمه ابن جميع بفتح الجيم لأن الشعر لا يستقيم وزنه على الوجه الثانى (ابن جُمَيِّع) الذى ذكره الدكتور

بقى أن هذه الأبيات التى أوردتها هى فى هجاء ابن جميع ، وقد صدرت عن شاعر خبيث اللسان كما يعترف بذلك ابن أبى أصيبعة صاحب طبقات الأطباء ج ٢ ص ١١٣ ، ولكنها على كل حال لا تغض من قيمة ابن جميع العلمية ولا تنقص من قيمة رسالته الصلاحية النفيسة التى أورد الدكتور كراوس نبذاً منها فى عدد الثقافة الأخير

محمد عبد الغنى حسن

« إبليس يغنى » للأستاذ صلاح الدين المنجد

الأستاذ صلاح الدين المنجد فى طليعة الشباب السورى الممتاز بالجمع بين الثقافتين العربية والغربية . وقلما تجد هذا الجمع على نسبة عادلة فى غير هذه الفئة الصالحة التى تنتج الأدب السورى اليوم وتجدد فيه وتقوم عليه ؛ فهى تمتاز من غيرها بإشراق الديباجة وسلامة البيان من جهة التصوير ، وبشمول الثقافة وجِدّة الفكرة من جهة التصوُّر . والمتتبع لمقالات الأستاذ المنجد فى الرسالة يلاحظ هذه المزايا واضحة جلية . وقد أصدر اليوم بعنوان « إبليس يغنى » ثلاث روايات قصيرة هى : إبليس يغنى ، وإبليس يلهو ، وحسناء البصرة . نقلها عن حكايات قديمة « كتبت فى عصر يباين عصرنا فأصبح يعوزها أن تعرض برشاقة ، وتهذب بذوق ، وتصقل بفن ، وتثقف بدقة ... »(1) وقد قال الأستاذ : « فوضعت حوارها على طراز تمثيلى حديث ، ولم أشأ أن أبدل فى جوهرها ، ولكن تصرفت بعض التصرف فى ترتيبها وتفصيلها وتبويبها ، فجاءت كتاباً خاصاً ما أحسب أن أحداً أفرد مثله لمثلها ... أقدمه رياً للقلب الرغيب فى التماس الجمال فى أدب القدامى ، ومتاعاً للنفس المطوف على الفن أنى كان ، ووسيلة لتحبيب الشباب فى أدبنا القديم »(1) . والكتاب مطبوع فى مطبعة الترقى بدمشق طبعاً جميلاً على ورق جميل . فللأستاذ المنجد الشكر على كتابته ، ولجمهور القراء التهنئة بقراءته

(1) مقدمة الكتاب

(1) من المقدمة أيضاً

بنو إسرائيل والطعام الوافر

قرأت ما رد به الأستاذ « س » على الدكتور زكى مبارك فى فهم الآية الكريمة : « اهبطوا مصراً ... » فراعنى منه أن يبنى وجه التخطئة على ما يأتى :

أن « مصر » النيل المبارك فهي علم ممنوع من الصرف ...

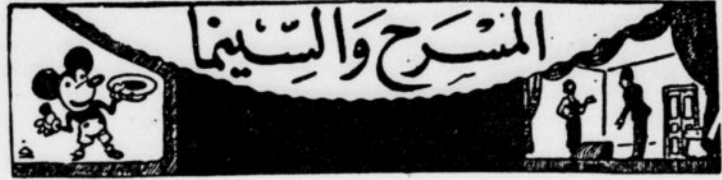
كيف هذا وصاحب الكشاف يقول ما نصه ... ويحتمل أن يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله : نوحاً ولوطاً ... وأن يريد مصراً من الأمصار . وفى مصحف عبد الله وقرأ به الأعمش : اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله : ادخلوا مصر اهـ

وعندى لتعليل تنوين مصر مع كونه علماً وجه آخر ذكره النحاة فى كتبهم ، وأظنه لا يغيب عن مثل حضرة الأستاذ ، وهو أن العلم إذا أريد به البقعة لم يصرف لأنه اجتمع فيه التأنيث مع العلمية ، وإن أريد به المكان صرف

والذى يرجح أن المراد بمصر مصر النيل قوله سبحانه « فإن لكم ما سألتم » إذ المعنى أنهم إذا نزلوا هذا البلد المعين فإنهم سيجدون سؤلهم ، وسيكون المعنى على فهم الأستاذ الجليل أنهم إذا نزلوا أى مصر من الأمصار وجدوا ما يطلبون . فأى المعنيين أليق بعظمة القرآن وجلال التبيان ؟!

ابراهيم السعيد عجلونه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



الفرقة المصرية

قالوا إن الفرقة القومية (القديمة) لم تؤد رسالتها ، ولم تقم بواجبها ، ولم تفعل شيئاً مما خلقت له . والحق أنها وقفت جامدة فى مكانها فلم تتقدم خطوة واحدة ، وكان ذلك راجعاً إلى سوء الإدارة — كما أعتقد —

... وقالوا إن الفرقة المصرية (الجديدة) ستكون مثلاً أعلى للنهضة بفن التمثيل فى مصر بعد ما أدخل عليها من تعديل وتبديل ، وبعد ما أثير حولها من قال وقيل ، فماذا فعلت الفرقة المصرية الجديدة ؟!

أشهد أنها قد أجادت فى الإعلان عن نفسها وسلكت فى الدعاية لأعمالها كل السبل ؛ ولكنها — وا أسفاه لم تعمل شيئاً غير ما كانت تعمله الفرقة المنحلة اللهم إلا الدعاية ... والدعاية فقط

قدمت الفرقة فى الأسبوع الماضى مسرحية (مروحة الليدى وندرمير) للكاتب الإنجليزى المعروف أوسكار وايلد ومن تعريب الأستاذ عباس يونس وإخراج الأستاذ فتوح نشاطى . وقد اشترك فى تمثيلها لفيف من ممثلى الفرقة نذكر منهم الأساتذة : حسين رياض وسراج منير وفؤاد شفيق وفؤاد فهيم ، والسيدات زينب صدقى ونجمة إبراهيم وإحسان شريف وسامية فهمى وغيرهم . وقد جاء الإخراج غاية فى الإتقان والتمثيل غاية فى المقدرة . ولكن المسرحية — للأسف — بعيدة كل البعد عن مجتمعنا فهى لا تلائمه ، ولا تدور حوادثها فى مثل بيئتنا . ولست أدرى لماذا قدمت الفرقة هذه المسرحية التى لا تمت إلى أخلاقنا وعاداتنا بصلة ؟ ! أعجز الكتاب والمؤلفون المصريون عن خلق الرواية المصرية حتى تلجأ الفرقة إلى أدب الغرب تستعير منه وتأخذ عنه ؟ ! أم ماذا ؟ ! ...

نحن لا نعارض فكرة الترجمة فى حد ذاتها . وإنما نعارض أن تترجم للفرقة (المصرية) روايات لا تلائم ولا تتفق مع الخلق المصرى فيكون تمثيلها نوعاً من العبث لا يؤدى إلى الغرض المقصود الذى من أجله تنفق هذه الأموال الطائلة .

ونحن لا نريد أن ننتقص من مجهود القائمين على أمر الفرقة ولا نريد أن نجحدهم فضلهم ، وإنما نريد أن نشير عليهم بالوجهة الصحيحة حتى يتلافوا الوقوع فى أخطاء الماضى

وأخيراً نتمنى للفرقة المصرية الجديدة كل تقدم وارتقاء

كلمة واجبة

ليس أفسد للفن ولا أضر على البلد من مصيبة مصر بأدعياء كبراء فى الادعاء هرولوا سراعاً إلى مراكز فنية فرضوا نفوسهم عليها بالمال ، ويا لضيعة الفن من أصحاب المال !

إن فى مصر فوضى كبيرة فى السينما مبعثها ومثيرها ومديرها أمر واحد هو أن كل تاجر يريد الربح العزيز يلقى ببعض ماله مكوناً شركة سينمائية ، يؤلف قصصها ، ويمثل أدوارها ، ويخرج أفلامها فارضاً نفسه (كفنان) على الشعب ناسياً (أو) متناسياً أنه ينقصه الطبيعة الفنية ، والحاسة ، والذوق ، والإلهام

لست أدرى على من ألقى التبعة فى هذا المقام ؟ ! أعلى الشعب الذى يلقف كل ما يلقى إليه لأن السينما فن جديد ؟ ! أم على أولى الأمر الذين يصرحون بعرض مثل هذه السخافات على الناس فيكونوا بذلك قد جنوا على أذواق الجماهير وعلى رسالة الفن فى ذاته ؟ ! أمر محير فهل يمكن تداركه قبل أن يستفحل ؟ ! ليس أمامى مفزع سوى وزارة الشئون الاجتماعية ووزيرها أضرع إليه فى أن يوجه عنايته إلى أمر الفوضى الضاربة فى الفن السينمائى ويجتث أصولها حتى يضمن للفن المعافى أن يقيم أبنيته على أساس نقى نظيف

عبد الفتاح متولى غبن

حكم فى القضية رقم ٦٠ مركز أبنوب عسكرية أسيوط سنة ١٩٤٣ ضد مريد اسكندر سند من ابنوب حبسه ثلاثة شهور شغل وغرامة ١٠٠ جنيه والمصاريف لبيعه بترول بازيد من التسعيرة بجلسة ٣٠ / ١٢ سنة ١٩٤٢

11 me Année No. 522

Lundi - 5 - 7 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٥٢٢ — « القاهرة في يوم الإثنين ٢ رجب سنة ١٣٦٢ — الموافق ٥ يولية سنة ١٩٤٣ » — السنة الحادية عشرة

١٣ - دفاع عن البلاغة

٥ - الأسلوب

خلص لنا من مخض هذه الأحاديث أن الأسلوب الفني يتكوّن من الصورة والفكرة كما يتكوّن الماء القَراح من الهدروجين والأكسيجين. وكما استحال في فن الطبيعة أن يتكون الماء من أحد عنصريه، فقد استحال في فن الإنسان أن يتكون الأسلوب من أحد جزأيه. ولا أقصر وجه الشبه بين الأسلوب والماء على أن تركُّب هذا وذاك من عنصرين ضربةُ لازب؛ إنما أمد الشَّبَه إلى أن نسبة الصورة إلى الفكرة في الأسلوب يجب أن تكون كنسبة الهدروجين إلى الأكسيجين في الماء[1]. وإذن لا يعد من الأساليب الفنية تلك المعاني الحكيمة التي تُعرض في معرض بشع من الركاكة والغثاثة والتعقيد والخطأ، ولا تلك الصور المموهة التي تنتفخ انتفاخ الفقاقيع، وتبرق بريق الشرر، ثم لا يكون من ورائها غير فراغ وظلمة. قال ابن رشيق: «ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب، قياساً على ماقدمت من أدواء الجسوم والأرواح. فان اختل المعنى كله وفسد، بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأى العين إلا أنه لا يُنتفع به ولا يفيد فائدة. وكذلك

(١) نسبة الهدروجين إلى الأكسيجين في الماء هي نسبة اثنين إلى واحد

الفهـرس

صفحة
٥٢١ دفاع عن البلاغة .. ... : أحمد حسن الزيات .. ...
٥٢٣ الحديث ذو شجون : الحياة والموت في الآية القرآنية. احترسوا من الأموات. الغصن الوريق ... . : الدكتور زكي مبارك .. ...
٥٢٦ ألف ليلة .. .. : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٥٢٩ النماذج البشرية المهموسة! : الأستاذ سيد قطب .. . .
٥٣١ موريس ماترلنك ... ... : الأستاذ صلاح الدين المنجد
٥٣٣ مناهضة أزياء النساء قديماً : الأستاذ كوركيس عواد ...
٥٣٥ تشارلز دكنز : مواهبه وخصائص فنه ... . : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٥٣٨ قطرة دمع ... [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن اسماعيل
٥٣٨ كانت لنا أيام « : الأستاذ حسن كامل الصيرفي
٥٣٩ من شاعر إلى شاعر ... : الأستاذ إلياس أبو شبكة ..
٥٣٩ تصويبات شعرية في كتاب « السلوك » للمقريزي ... : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٥٤٠ إلى الأستاذ العقاد . ... : حافظ ... . , ...
٥١٠ إلى الدكتور محمد مصطفى ... : (ابن الطاهر) ... .

٢١٠١

إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصحّ له معنى ، لأنا لا نجد روحاً فى غير جسم ألبتَّة »(١)

***

على ذلك نستطيع أن نتحدَّث إليك اليوم عن صفات الأسلوب الذى عرَّفناه وآثرناه . وحاشاك أن تفهم مما قدمتُ أن فى ذهنى أسلوباً معيناً جعلته النموذج ، وأن فى بالى نموذجاً خاصاً جعلته المقياس ؛ فإنى ذكرت لك من قبل أن الأساليب تختلف باختلاف الذهن والثقافة والنوع والغرض والحال والشخص الذى يتحدث . فأسلوب القصة غير أسلوب الرواية ، وأسلوب العتاب غير أسلوب الشكر ، وأسلوب التأثير غير أسلوب الإقناع ، وأسلوب العالم غير أسلوب العامل ؛ وكل أسلوب بليغ فى بابه ، مقبول من أصحابه . ومن العسير علىّ فى هذه اللمحات أن أستوعب الصفات الخاصة بكل أسلوب لكل نوع ؛ فإن موضع ذلك عند تفصيل القول فى الأنواع الأدبية وقواعدها الثابتة وشروطها المميزة ؛ ولكن لهذه الأنواع مهما تعددت واختلفت صفات مشتركة من جهة الأسلوب ، كما أن لها ملكات مشتركة من جهة الذهن . هذه الصفات المشتركة هى التى تَعنينا وتُعنينا ، وهى التى سنحاول بسط الكلام فيها

تقرأ فى كتب النقدّ والبلاغة فتجد من صفحة إلى صفحة سلاسل من الوصف الجُزاف تتلاحق على الكلام البليغ فلا توضحه ولا تحدده . ذلك لأن أكثرها من الألفاظ التى أشاعها الكتاب فى الناس من غير تقييد ولا تحديد فظلت معانيها مبهمة ودلالتها شائعة . من ذلك قولهم : الجزالة والسهولة والعذوبة والرقة والدقة والخفة والقوة والسلاسة والرصانة والنصاعة والوضوح والصدق والطلاوة والحلاوة والرونق والمائية والطبَعية والسبك والحبك والشرف والسمو والجمال والجلال ، إلى آخر هذه النعوت المتداخلة التى لا تعين حداً ولا تبين مزية

وأنت إذا تدبّرتَ هذه الصفات على علاتها ثم عرَّفتها وصنَّفتها لا تجدها تخرج عن صفات ثلاث هى جملتها وجمّاعها : تلك الصفات الجامعة هى الأصالة ، والوجازة ، والتلاؤم . ويقابلها فى الفرنسية (L'originalité, la concision, et l'harmonie) وسنفيض القول فى كل صفة منها ما وسعنا البيان والجهد

يُراد بالأصالة فى الأسلوب بناؤه على ركنين أساسيين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة . وتلك هى الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ ، والسِّمة المميزة للكاتب الحق . وملاك الأصالة ألا تكتب كما يكتب الناس . إلا كما أن تكون أصيلاً فى نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك ، فلا تستعمل لفظاً عاماً ولا تعبيراً محفوظاً ولا استعارة مشاعة . ولعلك قرأت فيما قرأت كلاماً يرضى اللغويين ويعجب النحاة ، ولكنه مضطرب الدلالة مختلط الألوان تفه المذاق لا تستقله روح ولا تمثله صورة . ذلك هو الأسلوب الذى صدر عن الذاكرة ولم يصدر عن الذهن ، ونقل عن الناس ولم ينقل عن النفس ، وعبر بالجمل لا بالكلمات ، وأبان بالتقريب لا بالدقة ، وصور بالسوقى المبتذل لا بالأصيل المبتكر

أما خصوصية اللفظ فدلالته التامة على المعنى المراد ووقوعه الموفَّق فى الموقع المناسب . وآية مطابقته لمعناه ومبناه أنك لا تستطيع أن تُبدله ولا أن تنقله . والخصوصية فى اللفظ أصل الدقة فى التعبير والوضوح فى المعنى والصدق فى الدلالة ؛ لأن الكلمة إذا تمكنت فى موضعها الأصيل دلت على المعنى كله ؛ فإذا حُشرت فيه حشراً ، أو قسرت عليه قسراً ، دلت على بعض المعنى أو أبانت عن غيره

وفى اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع وخَلق ؛ لأن الكلمة ميتة ما دامت فى المعجم ؛ فإذا وصلها الفنان الخالق بأخواتها فى التركيب ، ووضعها فى موضعها الطبيعى من الجملة ، دبت فيها الحياة ، وسرت فيها الحرارة ، وظهر عليها اللون ، وتهيأ لها البروز . والكلمة فى الجملة كالقطعة فى الآلة ، إذا وُضعت فى موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب تحركت الآلة وإلا ظلت جامدة . وللكلمات أرواح كما قال (موباسان) . وأكثر القراء ، وإن شئت فقل أكثر الكتاب ، لا يطلبون منها غير المعانى . فإذا استطعت أن تجد الكلمة التى لا غنى عنها ولا عوض منها ، ثم وضعتها فى الموضع الذى أُعدّ لها وهُندِس عليها ، ونفخت فيها الروح التى تعيد لها الحياة وترسل عليها الضوء ، ضمنت الدقة والقوة والصدق والطبَعيّة والوضوح ، وأمنت الترادف والتقريب والاعتساف ووضع الجملة فى موضع الكلمة . وذلك فى الجهاد الفنى فوز غير قليل .

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

---

(١) كتاب العمدة ج ١ ص ٢٨

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الحياة والموت فى الآية القرآنية — احترسوا من الأدوات — الغصن الوريق

قرأت السؤال الموجّه إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوى من أحد أفاضل القراء، وقرأت إجابة حضرة الدكتور عباس محمود حسين، وإجابة حضرة الدكتور حامد البدرى الغرابى، ثم رأيت أن أشترك فى الإجابة، لأن عندى آراء ترفع اللبس عن الآية القرآنية، وتُلقى على الموضوع بوارق من الضياء

القرآن يقول «يُخرج الحىّ من الميت» والعِلم يقول إن الحىّ لا يخرج من الميت، فكيف نوفق بين قول العلم وقول القرآن؟

إن هذا الخاطر حيَّر البرية منذ أزمان، فقد قال أبو العلاء:

والذى حارت البرية فيه   حيوانٌ مستحدَثٌ من جماد

وأسارع فأقرر أن مصدر الحيرة يرجع إلى عدم فهم المراد من الميت، وعدم فهم المراد من الجماد

وبيان ذلك أن الموت فى الآية القرآنية ليس هو الموت الذى ينافى الحياة كل المنافاة، وإنما هو الحالة التى لا تتمثل فيها خصائص الحيوان والنبات من الإحساس والنماء، وكذلك يقال فى الجماد وهو الطين فى بيت العلاء، فالطين ليس له فى الظاهر إحساس ولا نماء، ولكن فيه حيوية تظهر فى قدرته على تحويل البذور إلى نبات، فهو يحتضنها بحرارة تشبه احتضان الطير للبيض، وتلك الحيوية متفرعة عن أسباب جوية، ولكنها أصيلة فى الطين بدليل قدرته على اجتذاب وسائل الإنضاج، فإنه لا يمكن تصور الفاعلية بدون تصور القابلية، والقابلية استعداد يشهد بالحيوية

يُروَى أن أستاذنا الروحى فى التصوف وهو أبو الحسن الشاذلى قال: «نحن كالسُّلحفاة تُربِّى أبناءها بالنظر»، وهى عبارة فى غاية من الجمال

ومع أنى لم أفكر فى تحقيق هذه الظاهرة الطبيعية فقد سمعت أن النعامة تحتضن بيضها بالنظر فقط، لأنها لا ترقد عليه وطريقتها فى الاحتضان أن تنظر إلى البيض باستقامة لا يعروها التفات إلى اليمين أو الشمال، فإذا تعبت جاء الظليم فوقف مكانها وصوَّب نظره إلى البيض بنفس الأسلوب، لأنه إذا انحرف يمنة أو يسرة خفّت الحرارة فبرد البيض

وعن هذه الصورة نقلت بعض الكنائس وضع بيضة النعامة فى المحراب، لتوحى إلى المصلين أن الصلاة لا تقبل إذا اعترى المصلى أى انحراف

فنظرة السلحفاة للتغذية ونظرة النعامة للاحتضان، هاتان النظرتان فيهما حيوية لا يرتاب فيها مرتاب، وهما تشبهان احتضان الطين لبذور الشجر والنبات

قلت مرة إنى أنكر أن يكون فى الوجود شىء ميت، وهذا رأىٌ كوّنته بعد تجارب، وهو فى يقينى صحيحٌ صحيح، وعندى على صحته براهين

ما رأيكم فى الغبار الذى يثور فيسدّ مسامّ الأجسام ويقذى العيون؟

فى ذلك الغبار حيوية تسبب ذلك الإيذاء، وإن سكت عنها الباحثون، وبرهانى على هذا القول أن القابلية لا تتأثر بدون فاعلية، ومعنى ذلك أن الغبار من الأحياء لأنه فعّال

يقول الدكتور حامد البدرى:

«الإنسان الحى يقتات من المواد النباتية وهى غير حية، كما يقتات من لحوم الحيوانات بعد ذبحها وموتها وموت خلاياها موتاً كلياً»

وأنا لا أقول بهذا القول، فالنباتات التى نأكلها حيةٌ وليست بميتة، ولحوم الحيوانات لا تموت خلاياها موتاً كلياً بذبحها وموتها، كما يقول هذا الطبيب، وإنما هى لحوم حية وإن أنضجناها بالنار، وإلا فكيف يمكن أن تعود على أجسامنا وعقولنا بالنشاط والأريحية؟

إن حياة الدجاجة، حياتها الطبيعية، لا تقاس إلى حياتها المعنوية بعد أن تذبح وتؤكل، فقد يكون آكلها قائداً فينتصر فى موقعة، وقد يكون شاعراً فينظم قصيدة بليغة، وقد يكون باحثاً فينشط ذهنه لحل أصعب المعضلات

هل تعرفون شيئاً عن طمى النيل، وإلى ذلك الطمى يرجع خصب الأرض المصرية؟

ذلك الطمى ليس غباراً تسفيه الرياح كما يقول جماعة من المهندسين ، وإنما هو محصولٌ حيوانىٌّ ونباتىٌّ تنظمه خلائق صغيرة لم يتحدث عنها العلم ولا التاريخ ، ولهذا السبب نجد في الفلاحين من يأكل طمى النيل بشهية ، لأنه فى الواقع طعام لا تراب ، وهو لدسامته المُفْرطة يؤذى الأمعاء ، ويصيب الفلاحين بمرض الرَّهَقان

والفلاح بطبعه يترك الماء المقطَّر ، ويُقْبل على الماء المعكَّر لأن عكارة ماء النيل غذاء ، وهى السبب فيما نتمتع به من الخيرات . لا تنسوا أن تلك العكارة هى فى الأصل عناصر نباتية وحيوانية ، وإن سكت عنها الأطباء فى القديم والحديث

ثم ماذا ؟ ثم أمضى إلى نهاية الشوط فأقول :

ما الذى يوجب أن تكون الرسوم الهوامد من أسباب الإيحاء ، إلى الشعراء ؟

تذكروا الفاعلية والقابلية ، لتعرفوا أن الرسم الهامد لا يخلو من حياة . وهل يوحى الأمواتُ إلا وهم فى بعض أحوالهم أحياء ؟

الناس فى جميع العهود يؤمنون بالعين ، أو يخافون العين ، وتلك أسطورة معروفة عند بنى إسرائيل ، وعنهم نقلها أكثر شعوب الشرق ، وما سميتها أسطورة إلا تلطفاً مع العلم الحديث ، وإلا فهى حقيقة من الحقائق ، فعينُ الحاسد يَصدُر عنها شعاعٌ محرِق ، شعاع يحسه الحاسد نفسه ، كما نصَّ بعض القدماء ، وهذا الشعاع يُسلِم الرجل إلى القبر ، والجمل إلى القِدر ، كما جاء فى بعض الأحاديث المنسوبة إلى الرسول

قال يعقوب لبنيه عند دخولهم عاصمة مصر لذلك العهد : « يا بَنىَّ لا تدخلوا من باب واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة »

فما معنى هذه الوصية ؟ قال جماعة من المفسرين : إنه خاف عليهم عيون الحاسدين

ولنفرض أن الحسد خرافة فى خرافة ، وأن الجاهلين افتروا على النبى محمد والنبى يعقوب ، فكيف تفشَّت تلك الخرافة فى أكثر الشعوب ؟

هل تصدر الخرافات بدون أصل ؟

إن كان ذلك فحدثونى عن سر التوافق بين المصريين والفرنسيين فى هاتين العبارتين :

إن خاف المصرى الحسد قال : عين الحسود فيها عود . وإن خاف الفرنسى الحسد قال : إلمس الخشب Touchez le bois

فما معنى هذا التوافق العجيب فى الفكرة والصورة ؟

هل كان المصريون والفرنسيون يدركون قيمة الخشب فى دفع بأس الكهرباء ؟

هذه والله إحدى العجائب

المهم هو أن أقرر بصراحة أنْ ليس فى الوجود شىء ميت ، وأن القرآن حين قال : « يخرج الحىَّ من الميت » لم يكن يريد الموت المطلَق ، وإنما كان يريد الموت الاصطلاحى ، وهو الحالة التى لا تتمثل فيها خصائص الحيوان والنبات من الإحساس والنماء

وما هو الموت إذا أريدت حقيقةُ الموت ؟

إن كان الموت هو الفناء فلا فناء

قال القرآن المجيد : « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد »

ومع هذا فالله لن يتركنا أبداً ، فالكتب السماوية صريحة فى أنه سيردنا إليه ، للثواب أو العقاب ، وعلى هذا لن يكون الموت غير غفوات قصار أو طوال

ثم ماذا ؟ ثم أسأل عن التفسير الصوفى لعبارة « يخرج الحى من الميت » وهو تفسير سكت عنه أساتذتى فى التصوف ، ومن حقى أن أتأدب بأدبهم فأدير الحديث بالرمز والإيماء

الميت فى التصوف هو الإنسان الفانى ، والحى فى التصوف هو الإنسان الباقى ، ومن فضل الله على عباده الفانين ، أن يجعل منهم عباداً خالدين

فإن قيل : وكيف يخرج الله الميت من الحى على الطريقة الصوفية ؟ فأنا أجيب :

الحىّ فى هذه المرة هو الدنيوىّ المفتون ، وسينتقم الله منه فيجعله ميتاً بالعقاب يوم الحساب

أما بعد فهذه كلمات لم أُرد بها تفنيد ما قال ذانك الطبيبان الفاضلان ، وإنما أردت أن أقدم إلى قرائى حقائق تعتلج فى صدرى ، وهى حقائق متصلة بالشروح التى أبدتُ بها نظرية وحدة الوجود

لا موت ولا فناء

فاسمعوا كلامي واعتقدوا أن فى مقدور كل مخلوق أنْ يظفر بالخلود إن أراد

جاهدوا لتحيَوْا ، فلا حياة بدون جهاد

لا تكونوا صحراوات لا يترقرق فيها غير السراب ، وإن كان للصحراء حياة تتمثل فى قدرتها على تفويف ألوان السراب

كل شيء حيٌّ ، حتى الصحراء التي تبدع السراب ، فأين من سمع قبل اليوم أن الصحراء تؤيد غناها الموهوم بتث الأحابيل ؟

وكيف يكون غنى الصحراء غِنًى موهوماً وهى لا تقلّ فى الثروة والمناعة عن البحر المحيط ؟

أنا لا أخاف عليكم الموت ولا الفناء ، لأنى أنكر الموت والفناء ، وإنما أدعوكم إلى التسلح بسلاح الفاعلية لا القابلية

لا تكونوا مقابر توحى فكرة الخوف والخذلان ، وكونوا آساداً توحى فكرة السيطرة والافتراس

القبر يُوحى والأسد يوحى ، فاختاروا الأفضل والأشرف من الوحيَيْن

لا موت فى الوجود ولا فناء

ولكن الميت قد يحيا ، والحىّ قد يموت

أموركم بأيديكم ، فاصنعوا بأنفسكم ومصايركم ما تريدون ، فقد بلغت فى نصحكم غاية ما أملك من عافية الروح وصراحة البيان

احترسوا من الأموات

وراء كل إنسان حىّ إنسان ميت يسوقه بعنف إلى مصاير فيها المقبول والمردود ، تبعاً لما يملك الميت من آراء وأهواء

ومن غرائب ما يقع فى القدوة الفكرية أن الناس فى الأغلب لا يحترمون رأى المفكر إلا بعد أن يموت . هل التفت الناس إلى آراء الشيخ محمد عبده إلا بعد أن مات ؟

إن الشيخ عبده كان يتندر بمعاصريه فيقول إنهم لا يحترمون غير الرأى المنصوص عليه فى كتاب قديم بعُد عهد صاحبه بالحياة والأحياء

وغفلة بنى آدم من هذه الناحية أوضح من أن تحتاج إلى بيان ، فقد أشاع أبو نواس وأصحابه أن الخمر لا تجود إلا إن قدُم عهدها بالوجود ، ولهذا نجد تجار الخمر يعفّرون الزجاجة بالتراب ليوهموا الغافلين أن جوهرها عتيق ، كما كنا نرى فى بعض مخازن الخمور بمدينة باريس

والقديم فى الأدب هو الأصل ، فقد مرت أزمان والناس يعتقدون أن أشعار الجاهليين أقوى وأروع من أشعار الأمويين والعباسيين

القدم فى عرف بنى آدم يمنح صاحبه قدسية تفوق الوصف ، وهو شارة من شارات النضج العبقرى فى الأشخاص وفى المعانى بسبب ما درج عليه الناس من احترام الأموات

أى العبارتين أقوى : عبارة قال القدماء ، أو عبارة قال المعاصرون ؟

وازنوا بين هاتين العبارتين من الوجهة النفسية لتصدقونى

وأى الحفظين أنفع فى نظر المتأدبين : حفظ ديوان المتنبى ، أم حفظ ديوان شوقى ؟

إن الأموات يسيطرون على الجماهير سيطرة روحية وعقلية لا يرتاب فيها إنسان ، ولو كان من أكابر الحكماء

فكيف ننكر أن يخرج الحىّ من الميت ، وهذا هو الحال فى تصورات الأفهام والعقول ؟

للموت قدسية رائعة ، فهو يرفع الأموات إلى آفاق لم تخطر لهم فى بال ، ألم تسمعوا أن كلمة الموت أصبحت مرادفة لكلمة الخلود ؟

تبارك من يخرج الحى من الميت ، وعفا عن صاحب ذلك الاعتراض !

الغصن الوريق

هذا الغصن هو مصدر الوحى ، وهو أنضر فنن من أفنان الجمال جماله عندى ليس جمال الشراب المعتق ، وإنما هو جمال الماء الصافى فى بحر سنتريس

أهفو إليه وهو سرحة ناشئة لم يغرِّد فوقها غير شعرى وخيالى ، وأشتاق رؤيته لأحميه من رقة النسائم فى لطائف الآصال

فوق أوراقك أيها الغصن الوريق تراق دموع الهوى ، وهى أرق من قطرات الندى ، ومن أجل الوفاء لهواك يفتضح من يكره الافتضاح

وهل عرف أحد هويتك ، أيها الغصن الوريق ؟

أنت نفسك لا تعرف أنك المعنىّ بما يهتف به روحى فى رسائلى وأشعارى ، يا أجمل جاهل فى هذا الوجود

هل تعرف أيها الغصن رفقى بك فى القريب من أيامك ولياليك ؟ كان بيدى أن أصيِّرك سرحةً لا يترنم فوقها بلبل ، ولا

ألف ليـــلة . . .

للأســـتاذ دريني خشبة

كلما تعبت الإنسانية أو جثمت على صدرها الهموم والآلام ، لجأت إليك يا ألفَ ليلة الحبيبَ تخدّر بك أعصابها المنهوكة ، وتحسو من نهر أحلامك تلك الجرعة السحرية العجيبة ، فتستسلم للأحلام . . .

أنت أيها الأغنية الخالدة التي تترقرق في أرواح المحزونين ما أبدع شاديك وما أملأ بالفتنة ناديك !

لله حوريّاتك التي تثبُ كالقطا نحو أبواب المشرق بعد إذ فتّحتْ أكمام الورد ، وغسلت بالندى أحداق النرجس ، ووسوست في صدور العرائس ، وأيقظت الحياة في القرية الحالمة ، وداعبت كل أم بالأماني ، وجشّمت الديَكة فأطلقت حناجرها للريح تتأذن للشمس أن تشرق ، وللبدر أن يغيب ، وللأنجم الظالمةِ أن تغرق في فيض الضوء الذي يَفتَرّ عنه فم الصبح !

لله عذاراك يا ألف ليلة الحبيب ! إن في عيونهن كحل الشرق ، وفي وجوههن صَباحتـه التي لا تعرف الدمام ! إنهن يسبحن فوق السحاب المُوَشّى بأجنحةٍ من ذهب لا تُقفل له ... لأنه ذهب مما تصب سبائكه أخيلة الشعراء والحالمين والظامئين ، تلك الأخيلة التي تصنع الطوبى ، وتنبت الجنان ، وتوسل الألحان الصامتة ، وتنحت التماثيل الحية ، وتفرش أديم الأرض الطيبة بأوراق الورد والبنفسج ، وتفجر فيها أنهار المعرفة ، وتعطر نسيمها بعبق الزنبق ، وتملأ أرجاءها بألسن الموسيقا ، وتبنى فيها القصور للعشاق والمحبين من البلّور واللؤلؤ المنثور ...

أملأ كأسك السحرية يا ألف ليلة الحبيب لتشرب الإنسانية المتعبة نخب أحلامك ... إنها تود أن تنام فلا تصحو ... إن الأشباح الكريهة الشائهة قد ملأت عليها عالم الحقيقة ، وهجمت عليها فجأةً من الغابة المظلمة الفاحة أفاعى الأحقاد ... ها هى ذى الضباع الجائعة التي أصابها السعار تنوشها من كل فج ، وتتلقفها في كل مكان ... في البر ... في البحر ... في الهواء ... تحت الماء ... في المخابئ ... في الخنادق ... في البروج المشيدة ... في البيداء ... في القرية ... في المدينة ... في كل مكان يا ألف ليلة الحبيب تجد الإنسانية الأشباح ذات الظفر والناب ... أشباح السباع والضباع وعفاريت الجن والسحراء والأفاعى والرّخاخ الهائلة التي تحمل فراخُها الفيلة ، والتّنانينُ الطائرة التي تنزع الأشجار وتحطم المدن وتجعل العامر يباباً داثرا

لشد ما تفزع الإنسانية يا ألف ليلة الحبيب بهذه الرُّؤى التي زحمت حولها عالم الحقيقة ، فهبها كأسك السحريةَ مترعةً لترسل بها إلى وادى أحلامك ... وادى البدور والحور والعطور والبخور ... وادى الأشجار والأزهار والأثمار والأطيار ... الوادى الجميل الذي لا لُغوب فيه ولا كُروب ولا حروب ... الوادى الأخضر السندسى الذي يستطيع كل شيء فيه أن يبتسم وأن يغنى وأن يتكلم بلغة الموسيقا ... لأن كل شيء فيه يستطيع أن يُحِب ...

يفرح بمداعبتها نسيم ، ولا يتطلع إليها نور الصباح

كان بيدى أن أهصرك ، أيها الغصن الوريق ، فكيف جاز أن أسلك مسلك الزهادة فيك ؟

رأيت أن أجملك فوق مشتهيات العيون والقلوب ؛ يا أجمل وأظرف ما تشتهيه العيون والقلوب

كان رأيك أننى ترفقت بنفسى فلم أقل إنك هواى ، وكان رأيى أنى أرحمك فلا أقول إنك هواى ، لأنى أقدر منك على مقاومة الرقباء

فيا أنضر غصن في أجمل شجرة تتخايل في أعظم بستان ، ما رأيك فيمن يكتم هواك ؟ ألا يكفى أن الفناء بحبك صيّرنى أشقى الأشقياء بالحب في زمانى ؟

سكتُّ فقال العاذلون أنت ، ونطقتُ فقال الكاشحون أنت ، فمن أنت ؟

آفتى في زمانى أنى أحب الغصن الوريق ، فليعرف من لم يكن يعرف أن هواى مقصور على الأغصان الوريقة بحديقة دارى في سنتريس ، مع الأدب في حق من زار تلك الدار وكأنه طيف من أطياف الخلود

زكي مبارك

الوادى الذى تبتسم شُطئانه ، وتَبْغمُ غزلانه ، وتغازل الأرواح ألوانه ، ويُثلج الصدور ريمانه ... نضر ريّان ، حُلو فينان ؛ حينما تدخله الإنسانية الباكية تَطَّرِحُ أشجانها ، وتنسى عند بابه أحزانها ، فتمشى فيه بقدميها الورديتين ، اللتين أرهقهما المشى فى تلك الطريق الجافة الجافية المضرجة بالدماء ، تبكى أطفالها ، وتضحك من رجالها ... ولا من يرثى لحالها .

***

حينما يداعب الحب قلوب العشاق ، لا يقنع إلا أن يترك فيها ندوباً يجرى منها الدم . فتارة يلون هذا الدم خدود العذارى وثغورهن ، إن كن رقيقات رحيمات ... أما إن كن قاسيات عاتيات ، لا قلوب لهن ، فإنهن يتركن الدم الشهيد المسكين يسقط ليروى الأرض . وقد يمشين فيه ويتلاعبن فيه حتى يخضب أقدامهن وبنانهن ، فيخيل للمخدوعين أنها وردية

ومن حسانك يا ألف ليلة الحبيب من يملأن دنياك مباهج ومسرة . إنهن أرأف بالمدنفين من النسيم الغزل بالزهرة الظامئة ؛ حين يبل صداها بالرذاذ النحيل الذى تحمله أجنحته ذات الزَّغب فيطبعه كالقبل فوق أوراقها التى ترتعش

أولئك المُحْصنات المُحسنات الحسّانات يا ألف ليلة ، اللائى يمهدن للانسانية طريق الخير ، ويُنْبتن فيها الورود والرياحين وأفواف الزهر

ومن حسانك يا ألف ليلة من يشببن حرب الحياة جذَعة . هن جميلات ذلك الجمال الفائر المتأجج الذى كل من مسه يحترق وجميع من دخل تيهه يضل ، ولا بد لمن يضرب فى بيدائه من التعاويذ والطلسمات والرقي ... تلك البيداء المسبعة المحوّاة(1) التى تعزف فى جنباتها الجن ، وتفح الأفاعى ، وتعربد الغيلان والسّعالى ...

الجمال الخطر المتبرج الذى صنعته يد الشيطان ، وباركه إبليس الأكبر ، فقصر من ذيله ، وحسر عن ساقه ، وأرسل شعره كالزوابع الموج تعصف بالقلوب الرطبة ، وتزيغ العيون الجائعة ، وتحرق العواطف المحرومة . ثم جعله سائباً طليقاً فى الطرقات ليهدم فيها ما تبنيه الآداب والأديان والمدارس ، وليثير غرائز الحيوان فيعود بالإنسانية إلى الغابة

***

هات يا ألف ليلة الحبيب من جرعتك السحرية فقد طال الانتظار بمعروف المسكين الإسكاف !

لقد ضاق بالشدتين : صنعته وزوجه ، فابعث إليه بهذا العفريت من الجن يحمله إلى بلاد الصين ، حيث يتزوج من ابنة الملك ! وحيث يحمل علاء الدين مصباحك السحرى إلى أمه فيرد بأساءها رخاء ، ومتربتها هناء وفقرها غنى ... ويطلب إليها أن تخطب عليه ابنة الملك ! بالضبط كما تتهيأ الفرصة لمعروف الإسكاف . ولكل بائس محروم يفكر فى الناحية الأخرى المقابلة ، حيث الفرج والسخاء والرضا ، حيث طاقية الإخفاء وخاتم الملك والعصا السحرية ومصباح علاء الدين ، حيث الأرض الطيبة ، وجنة الأحلام ، والطوبى السعيدة الخالية من الآلام .

ألا ما أحوج الإنسانية إلى طاقيتك اليوم يا ألف ليلة الحبيب ! ما أبدع أن تلبسها لتستخفي من الطائرات والغواصات والطرابيد ومدافع الهاون ومدافع الميدان والمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية وقنابل الثمانية آلاف رطل !

إنك إن تفضلت بها اليوم تخلعها على رأسها الذى يضطرب داخله ذلك البركان الأحمق ، فإنك تريحها من أبنائها الحمق ، وأطفالها السكارى العرابيد !

إنها تستطيع إذن أن تتخلص من مارس المتوحش الدموى وعمّاله المتوحشين الدمويين ، ومن تلك المجزرة المجنونة التى صنعت فى معمل الأبالسة ، وأُعِدّت فى جُبّ الشياطين ! إخلع عليها تلك الطاقية يا ألف ليلة وليلة لتصل إلى خزائن الأسرار الحربية ، فتريحنا من اختراعات الأبالسة ، ولتضع مكانها أشباح تيمورلنك وجنكيزخان وهولاكو وأتالاكى تصيح فى أوجه الجبابرة : « مكانكم ، مكانكم ، ما هذا الدمار وما ذاك التخريب ؟ لقد دمرنا من قبل ، وخرّبنا من قبل ، وحرّقنا المدائن والقرى ... ثم دمرنا الزمان وأحرقنا التاريخ ، فلم نك شيئاً »

إخلع عليها طاقيتك يا ألف ليلة الرحيم لتصل إلى خزائن البخلاء ، والمنهومين ومُختزنى الأرزاق والأقوات ، أولئك الذين تركوها تتضور جوعاً وترتعد عُرْياً ، ... وتذوب من

(1) التى تكثر فيها السباع والحيات

الاستحياء والتعفف لا لشيء ... إلا لتمتلئ بطونهم بنار الذهب الوهاج ... ليقتنوا الدور ويشيدوا القصور ... وليضاعفوا بعد من آلامها ... تلك الآلام التي يشربونها في كؤوسهم خمراً لذة ، وسُلافةً مَزّة ، وشراباً لا بارداً ولا طهوراً !

لقد طال بكاء معروف ومسغبته يا ألف ليلة ، فامنحه طاقيتك ليستخفي بها قليلاً من عصا زوجه وثقلها ... فما جنى شيئاً ؛ ولكن جنت عليه تلك الحرب التي لم يشمل نارها وهو يصلى بأوارها

* * *

أين الخاتم يا ألف ليلة ؟ خاتم الملك العجيب الذي يملك الدنيا من مَلَكه ؟ أين خادمه الجبار لينقل الإنسانية إلى كوكب غير هذا ... كوكب بعيد قصي ... كوكب غير قريب من المريخ فلا يراها مارس وأعوانه المردة الذين لا ري لهم إلا من دماء الأبرياء ، ولا شبع إلا ... بأكباد الأمهات والأيامى والمساكين وقلوب اليتامى والحزانى

أين خَبَأتَ هذا الخاتم يا ألف ليلة ؟ لماذا تبخل به على إصبع الإنسانية المرفوعة إلى السماء ، والدم يقطر من بنانها ؟ مُنّ به عليها لتكتم أنفاس المدافع ، ولتوزّع على الجائعين أرغفة بدل هذه القنابل والمنشورات التي تلقيها عليهم الطائرات ؟

لقد ضلت الإنسانية سبيلها في تلك المفازة ، فألق إليها بالخاتم يا ألف ليلة . . . ولقد اشتد الظلام الذي تضرب فيه على غير هدى ؛ فأشعل لها مصباح علاء الدين لحظات حتى تتبين سبيل الرشد ، وحتى تنوء إلى الحق ، وحتى تعود لها نعمة الحياة التي يعدها المَرَدَة من سخافات الماضي

* * *

« لماذا هذا الحديث الطويل عن الدم والآلام والحَلَبة ؟ أليس في الدنيا ركن أختبئ فيه بهذا الناى الذي في يميني ، وذاك القرطاس الذي في شمالي ، حيث أخلو إلى أناشيدي التي أملأ بها أسماع الرياح وآذان الآرام ؟

لماذا يُعوزني التحدث إلى الإنسانية ذات الأسمال ، وها هوذا الورد يصغي إلى ألحاني ، ويعطر الحديقة الضاحكة بعبير بياني ؟ »

هكذا وقفت شهرزادك تسائل نفسها يا ألف ليلة :

« سأمشي على ثبج هذا البحر بقدميّ الجميلتين ، فتُهرع إليّ جنيّاته وعرائسه .. وسأسبح على رؤوس الآكام في الهواء فتثب إليّ بنات الغاب وعذارى الخمائل . . . ثم أسبح فوق السحاب ... في صميم الأثير ، فتقبل إلى ملكات العَلالى . .

أما جنيات البحر وعرائسه فتقبّل قدميّ وتتلقى أوامري . . . فوَجمالي ومفاتني لا يأذنّ لغواصة أن تلج فيه ولا لبارجة أو منقية طوربيد أو نحوها . . . ولتمخر فيه الجواري المنشئات كدأبها من قديم آمنات مطمئنات

وأما بنات الغاب وعذارى « الخمائل » فتقبّل بناني ، ثم لا يأذن لمدفع أو دبابة أن يشوه جمال دنياي الخالدة ... لن تصعد لآهات المكروبة من خرائب المدن الباكية بعد اليوم ... ولن تكون هناك أطلال تذكر بتلك الجزرة المجنونة

وأما ملكات العلالي فتقبل يدي ، وتنثر على الأرض المتعبة لآلئ الحكمة ، وتنشر في الهواء لواء السلام ، وترد إليها المحبة والإخاء »

* * *

ما أجمل ما تغنّى شهرزاد يا ألف ليلة الحبيب ؟ !

شهرزاد ! روايتك الخالدة ! مخترعة الطاقية والخاتم ومصباح علاء الدين والعصا السحرية ... مسخرة الجن ، وصانعة التعاويذ والطلسمات والرقى

شهر زاد ! حلم الإنسانية الجميل !

متى تصحو شهرزادك يا ألف ليلة الحبيب ؟!

درينى خشبة

حكمت محكمة مديرية جرجا العسكرية في الجنحة رقم ١٤٩ سنة ١٩٤٣ عسكرية مركز طهطا المتهم فيها غيطاني محمد عبد الله حضوريا بحبسه ثلاثة شهور شغل وغرامة ١٠٠ مائة جنيه والمصادرة والنشر والتعليق لبيعه قمحاً بأكثر من السعر

حكم في القضية ٤٠٥ سنة ١٩٤٣ بولاق العسكرية ضد سيد محمد مصطفى بحبسه ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه والمصادرة وإغلاق المحل لمدة ثلاثة أيام ونشر الحكم بجريدتي الأهرام والرسالة وتعليقه بمحل المتهم والقسم التابع له لبيعه السكر بأزيد من السعر المحدد

حكم في الجنحة رقم ٩٦٣ عسكرية السيدة سنة ١٩٤٢ بتغريم محمود حسن غانم خمسين جنيها وبكر إبراهيم حسن مائة جنيه والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لبيعهما لحم جملي بأزيد من السعر المحدد

على هامش النقد

النماذج البشرية المهموسة !

للأستاذ سيد قطب

حينما يذكر هذا التعبير « نماذج بشرية » تتواكب على النفس ، وتخطر فى الخيال ، عشرات أو مئات أو ألوف من السحن المتمايزة ، والملامح المتغايرة . سحن الأجسام والطبائع ، وملامح النفوس والجوارح ، من هؤلاء البشر الذين نلتقى بهم فى الحياة اليومية ، أو نسمع عنهم فى القصص والتاريخ ، أو نستشرف إليهم فى الأساطير والخيال

وكل نموذج من هـذه النماذج « أصيل » فى بابه — حين ننظر إلى الحياة بعين فنان — وكلها جدير بأن « يسد خانته » ويؤدى دوره على المسرح الحافل الرحيب الذى تعرض فيه الحياة شتى النماذج وشتى الأدوار .

فإذا أردنا أن نضيق من هـذه النظرة ، فننظر بعين الفرد الإنسانى ورغباته وميوله وما يحب فى هـذه الحياة وما يكره من الطبائع والأشكال ؛ فلنا حينئذ أن نحب نموذجاً ونؤثره على نموذج ؛ ولكن ليس لنا أن نطلب من النماذج الأخرى جميعاً أن تستحيل إلى المثال الذى نحبه ؛ لأن فى هـذا تضييقاً لمسرح الحياة !

ولكن الأستاذ « مندور » كما يستهويه لون واحد من ألوان الأدب ، لا يفرق بين الجيد والردىء من أمثلته ، ما دام الجيد والردىء فيه ملونا بهذا اللون الخاص الأثير عنده المحبب لديه . يستهويه كذلك لون واحد من ألوان النماذج البشرية ، هو « الشخصيات المهموسة » التى لا تجهر مرة واحدة فى حياتها ، والتى تنزوى دائماً وتتضاءل وتتفانى وتخنس ، والتى يتوافر فيها الحنان أو الحنين فى همس واستخفاء .

ولقد كتب فى مجلة الثقافة بضع مقالات يستعرض فيها أعمالا فى القصة والرواية لأدباء مصريين وأوربيين . والقارىء لهذا الاستعراض لا يحتاج إلى كبير عناء ، ليعرف أن آثر شخصية من شخصيات القصص قد أنس إليها وأحبها ، وأطنب فى عرضها والتذ هـذا الإطناب . هى شخصية « فيليستيه » التى صورها الروائى الفرنسى الكبير « فلوبير » فى قصة بعنوان : « قلب ساذج »

تلك الشخصية التى يقول عنها هو : « فى عنوان القصة ، وفى اسم البطلة ما يشخص هذا الأنموذج المؤثر . ولو أنك طلبت إلىّ أن أترجم هذا الاسم وكان ذلك من حق لما وجدت خيراً من « أم السعد » . فإنا نحس فى هذا اللفظ سذاجة القلب وطيبته .

« فيليستيه » خادمة من خدم الريف . عقل محدود وقلب رحب . وعن هذه المفارقة يشع نبل حياتها المتواضعة الحزينة ... مثلها كمثل كلب أمين لأن الأمانة من طبعه ، يقاتل دون سيده ، ولقد يمسه الأذى ويعود من المعركة لا يذكر إلا ما به من جراح يحييها أمله ... »

ولا علاقة لى هنا بقيمة هذه القصة من الناحية الفنية ولا بمقدار إجادة المؤلف فى رسم هذه الشخصية . وإنما يعنينى فقط إعجاب الأستاذ مندور بشخصية معينة

إنها ليست مصادفة عارضة أن تكون شخصية « فيليستيه » أو « أم السعد » هى أحب شخصية من شخصيات القصص إلى الأستاذ مندور بما فيها من « سذاجة وطيبة » و « بحياتها المتواضعة الحزينة » وبما فيها من شبه بالكلب الجريح « تحيى آلامه جراحه » . وأن يكون آثر ألوان الأدب لديه هو « الشعر المهموس » والنماذج التى اختارها خاصة من هذا الشعر بما فيها من « نفس تئن » و « موسيقى حزينة » . وأن تكون دعوته إلى الأدباء ، هى الهمس والتواضع والاختفاء . وأن يكون المتنبي والعقاد بما فيهما من فحولة وضخامة وجهارة من الشخصيات التى لا تقع بينه وبينها ألفة فى الأدب أو الحياة ! إنما هى تلبية لمزاج خاص يهفو إلى الحنان والحنين ، ويستنيم إلى الهمس و « الوشوشة » والتهويم !

ولم تكن كذلك ملاحظة عابرة تلك التي لاحظتها على « مزاجه » فاجتماع هذه المصادفات كلها لا يجعلها مجرد مصادفة ، إنما يوحى بدلالة خاصة واضحة !

ولا أعيد هنا ما سبق لى تقريره من حاجة الذى يتصدى للنقد إلى أن يوسع آفاقه فينظر إلى ألوان الأدب وإلى نماذج الشخصيات وأنماط الطبائع من زوايا كثيرة مختلفة ، لا من زاوية واحدة صغيرة

فشخصية « فيليستيه » بصفاتها تلك ، قد تكون شخصية محبوبة تستدعى العطف والرثاء ، ولكن الحياة ليست مطالبة أن تحيل الناس جميعاً « فيليستيهات » ! لتعجب الأستاذ مندور فهناك شخصيات جهيرة جاهرة ، وشخصيات عظيمة شاعرة بما فيها من عظمة ، وشخصيات ضخمة جبارة ، وشخصيات طاغية عاتية ؛ بل هناك شخصيات مربدة شريرة ، وشخصيات دعية داعرة . وكلها جديرة بالحياة ، وجديرة بريشة الفنان . وليس نموذج منها بأكثر أصالة من نموذج آخر فى عرف الفن ولا فى عرف الحياة . ولم يقع أن التذ الأستاذ مندور نموذجاً آخر من هذه النماذج البشرية الكثيرة أو عنى باستعراضه فيما كتب ولهذا دلالته بلا جدال !

و « الأدب المهموس » قد يكون لوناً محبوباً من ألوان الأدب — مع وجوب التفرقة بين الصحيح منه والمريض — ولكن الحياة ليست مطالبة كذلك أن تحيل الفنون جميعها همساً ، لأنها لا تستطيع أن تحيل الطبيعة كلها همسات خافتة أو حشرجات لاهثة لتعجب الأستاذ مندور ، فالحياة أرحب من ذلك وأكبر وأعرف بقيمة الأنماط المختلفات !

***

ونشاء المصادفات أن يكتب الأستاذ مندور فى عدد الرسالة الماضي كلمة فى الرد علىّ ، فتتضح بدليل جديد على هذا المزاج الخاص حين يقول :

« وأما عن النثر فما أظن القراء فى حاجة إلى أن أدلهم على أن « رثاء أحد الشبان لأمه » الذى أورده الأستاذ قطب لا يمكن بحال من الأحوال أن يقارن « بأمى » لأمين مشرق . فرثاء الشاب المذكور لا إيقاع فيه ولا نبل فى الإحساس ولا توفيق فى الاختيار للتفاصيل . وكيف تريد من شاب يؤلمه من موت أمه أنهم لم يعودوا يعرفون « بأسرة » أن يصل فى فن الكتابة إلى مشرق الذى يذكر « فستانها العتيق » و « يديها اللطيفتين » و « وقع قدميها حول سريره » و « غابة السنديان » وما إلى ذلك من فتات الحياة » ؟

وأريد أن أتجاوز عن شىء من الالتواء فى اختيار الأستاذ مندور لإحساس واحد من أحاسيس الشاب المصرى فى رثاء أمه ليس هو أبرز أحاسيسه تجاه الفاجعة ، وحشده فى مقابل هذا الإحساس الواحد خلاصة أحاسيس أمين مشرق كلها ليصل إلى غرض خاص فى الموازنة !

أريد أن أتجاوز عن هذا الالتواء فى العرض ، وأكتفى بأن أضع بإزائه تصرفى فى عرض رأيه هو ، وعودتى فى المقال الثانى من مقالاتى إلى توضيح هذا الرأى كاملاً بفقرات ونصوص حين أحسست أننى فى مقالى الأول لم أعرضه العرض الكافى لتحقيق الأمانة الأدبية !

أتجاوز عن هذا لأتحدث فى لب الموضوع فأثبت أولاً للقراء ذلك النص الذى يعنيه من رثاء الشاب المصرى لأمه :

« من نحن اليوم يا أماه ؟ بل ما نحن اليوم عند الناس وعند أنفسنا ، ما عنواننا الذى نحمله فى الحياة ونعرف به ؟ إننا لم نعد بعد أسرة ، ولم يعد الناس حين يتحدثون عنا يقولون : هذه أسرة فلان ، بل أصبحوا يقولون : هذا فلان ، وهذا أخوه ، وهاتان أختاه ! »

هذا هو الإحساس الذى لا يعجب الأستاذ مندور : شعور الأبناء - بعد أمهم — بأنهم فقدوا عنوانهم فى الحياة أمام أنفسهم وأمام الناس ، وأنهم لم يعودوا يعرفون من هم ، بل لا يعرفون ما هم !

وفى هذا الرثاء أحاسيس أخرى صادقة عميقة . تجاوزها ولم يشر إليها ؛ ففيه الإحساس بالتناثر ، والإحساس باليتم ،

أدباء عالميون

٢ – موريس ماترلنك

للأستاذ صلاح الدين المنجد



وأخرج ماترلنك ، بعد « الأميرة مالين » درامته المسماة :

« بالدخيل Intruse » ، وهى ذات فصل واحد ، تجرى حوادثها فى بهو مظلم ، من قصر قديم . أما أشخاصها فقلال : جد أعمى ، وأب ، وعم ، وثلاث فتيات . كما رأيت أن أشخاص الأميرة « مالين » هما الملك والملكة ... فالملكة تجن ، والملك يموت ... ولكنهما يختفيان وراء شخصيهما أمراً ، ذلك أن الناس كلهم أمام تلك القوة الخفية التى تؤثر فينا متشابهون ، سواء أنسبوا ذلك للمصادفة أو الحظ أو الشقاء أو الموت ... لأن أشد الناس اختلافاً وتبايناً يصبحون متساوين متشابهين أمام العَدَم ...

إذن فأشخاص الدرامة الثانية قليلون . وهاهم أولاء فى غرفة يكاد مصباحها لا يضىء ... يتكلمون وأصواتهم لا تسمع ... يقطعون الليل قَلِقين مضطربين وفى غرفة مجاورة تنام تلك التى يقلقون عليها ويضطربون ... تلك المرأة المشرفة على الموت . لقد كانت تجود بنفسها ، فى حين كان للأب والعم ، والفتيات يطمئن بعضهم بعضاً :

— لقد تكلمت هذه الأمسية

والإحساس بالغربة فى الحياة كلها . وفيه الأسى على صور الأمومة الحية النابضة حين يقول :

« من ذا الذى يقص على أقاصيص طفولتى كأنها حادث الأمس القريب . ويصور لى أيامى الأولى فيعيد إليها الحياة ، ويبعثها كرة أخرى فى الوجود »

وحين يقول :

« عندى لك أنباء كثيرة . كثيرة جداً ومتزاحمة . تراكبت جميعها فى خاطرى على قصر المهد بغيبتك ، وإنه ليخيل إلىَّ فى لحظات ذاهلة : أننى أرقب عودتك لأسمعك هذه الأنباء ، وأحدثك بما جدَّ لنا فى غيبتك من أحداث ، وأنك ستسرين ببعضها وتهتمين ببعضها ... وهى مدَّخرة لك فى نفسى يا أماه ، ولن تدب فيها الحياة إلا حين أقصها على سمعك ... ولكن هيهات فسيدركها الفناء . وستغدو إلى العدم المطلق ، لأنك لن تنصتى إليها مرة أخرى »

هذه الأحاسيس ، وهذه الصور لا تعجب الأستاذ مندور :

« ولا إيقاع فيها ولا نبل فى الإحساس ولا توفيق فى الاختيار للتفاصيل » ولا تعدل بحال من الأحوال ذكر « الفسطان العتيق » ولا « اليدين اللطيفتين » ولا « وقع القدمين حول السرير » ولا « غابة السنديان »

لماذا ؟ لأن فى القطعة الأولى معانىَ كبيرة وأحاسيس عميقة ، وليس فيها « فُتات » . ولهذا دلالته القوية فيما نحن بصدده . فهنا مزاج موكل بالأحاسيس الصغيرة الهامسة والمظاهر التافهه الساذجة ، لا يستقل حسه بإحساس ضخم ، ولا بصورة مركبة ، ولا يطيق أن يرى فى الحياة إلا الأطياف الباهتة ، ولا أن يسمع فى الطبيعة إلا الهمسات الخافتة . وتلك الجزئيات المفردة تستلفت نظر المرأة بشدة فى الحياة ، ونظر ذوى الأمزجة الخاصة كذلك

والأستاذ مندور كرجل ذى مزاج خاص مطلق الحرية فى أن يختار ما يطيق حمله وما يستطيع أن يقله ، ولكنه لا يصلح حَكما يشرع للآخرين من أقوياء البنية القادرين على حمل ما يؤوده حمله ، وعلى إدراك ما يقصر عنه حسه !

أما ما قاله عن الأستاذ محمود حسن إسماعيل فليس اليوم مجال الحديث فيه ؛ وحتى التسليم به لا يؤثر فى الحكم على الشعر المصرى كله

سيد قطب

— « إنها تنام نوما عميقاً

— « هذه أول ليلة نشعر براحة فيها ...

— « أحسب أن لنا الحق بالضحك أيضاً بلا خوف ... »

ولكن الجدُّ العجوز ، لا يزول اضطرابه ولا قلقه ؛ ولا يخفف من قلقه واضطرابه هذا الهراء الذى يسمعه ، لأن عينيه لا تريان هذه المظاهر الخارجية التى تمنع الروح من الجوَلان ، فهو متصل بالكون بروحه ، يلتقط بها الأشياء ويدركها . هى كلاقطة المذياع ... يعلم بها ما سيقع وسيكون . لا جرم أن لدينا جميعاً هذه اللاقطات ، ولكنها تختلف فى قوتها ؛ فكلما كانت الروح قوية كان هذا الإدراك أو ذاك الشعور قوياً . ولكننا لا نفيد منها جميعاً ... لأن بصرنا يقف عند ظاهر الأشياء . فالواقع reel الذى نشاهده يمحو الحق vrai . وهذه الفكرة ملازمة لآثار ماترلنك يعرضُها ويفصلها ويشرحها . وإن ما نعتبره أدوات كشف وفهم كالبصر والنطق ، لهى عاهات ... فالأعمى فى هذه الدرامة يرى ببصيرته ، يرى ما لا يراه أولئك الذين يثرثرون من حوله ... ويتكلمون

ويمضى ماترلنك فى درامته هذه ، فيصور لنا وساوس الجد المسكين وقلقه . إنها لم تشعر بالروح والنشاط كما زعموا .. لا ... ولكن ماذا حدث ... ؟ فلقد هب الهواء ... وخرست العنادل ، وها هو ذا خفق أقدام البستانى يرتفع . لقد بدأ عمله .. ويثرثر الفتيات ؛ ويضطرب الشيخ ، فقد شعر بدخول مخلوق لا يستطيع أحد أن يراه ... إنه يرى ... يرى ما لو تكلم به لسخروا منه ... دخل هذا المخلوق الرهيب ... إنه هنا ، فى الدار ، يحس به ويضطرب قلبه له . ويطرق الشيخ الأعمى لحظة ، وتدخل الراهبة فترسم الصليب ... لقد ماتت المرأة ...

ويجهد ماترلنك فى إفهام القارئ أن الموت دخل إلى غرفة أولئك الأحياء ، وكان بينهم ، كما أنه فى كل ساعة ، وفى كل مكان ، يستطيع أن يدرك المخلوقات كلها

وماترلنك يُدخل الموت فى جميع مسرحياته ، فالموت يسدد ضرباته دائماً للشباب والنعيم والحب ، لا لأن السعادة أو الحب تصابان بما لا يصاب به الحقد والألم والبغض ، بل لأن ضرباته شداد فى السعادة والحب ... خِفاف فى الشقاء والحقد .

* * *

وينحو النحو نفسه فى درامته « العميان Les aveugles » فمن هم هؤلاء الإثنا عشر أعمى : ستة عميان ، وست عمياوات ، التائهون فى غابة من غابات إفريقية الاستوائية ، تحت سماء صافية مزدانة بالنجوم . ينتظرون عودة الكاهن الذى قادهم إلى تلك المناطق البعاد ، فتركهم فيها ومضى . هؤلاء العُمى رمز الإنسانية القلقة الحائرة ، التى تجهل الطريق الواجب اتباعها ، وترتقب نجدة خارجية من دين أو فلسفة ، فتنقذها مما هى فيه . إن أولئك العميان وهم فى تلك الغابة ، لا يجهدون ولا يتحركون لأشد ضعفاً من الأطفال ... ما ذا يفعلون وقد غاب الدليل ... إن صخوراً شُمًّا ، وهُوى سِحاقاً تحيط بهم . لقد حُكم عليهم أن يبقوا فى هذا السجن وسُلِّط عليهم الموت ، فهم يشعرون به عند ما يفقد بعضهم بعضاً ولكنهم لا يجدون إلى رؤيته سبيلاً .

* * *

على أن درامته المسماة « بيلّياس وميليزاند Pelléas et Mélisande » أشد سحراً ورقة ، وأقرب ما كتب ماترلنك من الواقع . وقد افْتَنَّ الموسيقيون فى وضع ألحانها ، فجعلها موسيقى « De bussy » شعبية ذائعة . حتى أن سلطان النغم أكسبها قوة ورقة ، وإن كانت هذه الموسيقى قد أوضحت بعض ما كان ينبغى أن يبقى غامضاً ، كالألم والقلق والخيبة ... هذه الأشادى التى يجب أن تظل كالظِلال ... وراء الاقوال ... يدركها المرء بروحه ويستخرجها بنفسه ...

لقد تزوّجت « ميليزاند » الحسناء « جالود Galaud » الأمير وكان هذا صياداً ماهراً ، ذا بأس وقوة . وكان أخوه بيلّياس فتى غرانقاً ، فأحبته ميليزاند ، وأحبها . وإنهما لفى خلوة من خلوات الحبّ ، إذ يفجؤها خولود ... فيثور ويغضب ويشهر سيفه ويطعن ميليزاند فتجرح ، ويحاول أن ينتحر ... ويفرّ بيلياس فيرمى بنفسه فى هوة سحيقة ... فتتناثر قطع جسمه فى جنباتها . وتموت ميليزاند بعد أن تضع غلاماً ... وهنا تزداد الدرامة رفعة بالموسيقى ... على أن بيليّاس وجولود وميليزاند

مناهضة أزياء النساء قديماً

للأستاذ كوركيس عواد

بلغت النساء فى عصرنا مبلغاً عظيماً من التفنن فى ضروب الملبس وابتكار صنوفه . فأصبحنا نرى أو نقرأ بين الفينة والأخرى عن زى جديد يشيع بين طبقات منهن ، ثم لا يلبث أن ينقلب أمره فيصبح قديماً مستهجناً فى أنظارهن ، فيهمل استعماله ويعدل عنه إلى غيره

ومثل هـذا التقلب بين الأزياء لا يمكننا عده بدعة جديدة أو أمراً مستحدثاً ؛ فإن من يتصفح الأسفار القديمة ، لا يعتم أن تستوقفه أخبار من هذا القبيل . ومما يلفت الأنظار إليه بوجه خاص ، ما كانت تلقاه بعض الأزياء من معارضة واستنكار ممن كانت بأيديهم مقاليد الحكم والتدبير . وقد وجدنا أحد المؤلفين الأقدمين ، وهو ابن الأخوة القرشى الشافعى ، المتوفى سنة ٧٢٩ للهجرة (١٣٢٨م) ينعى على نساء عصره ما انتهين إليه من سوء الحال فى الأزياء المتكلَّف فيها والتصنع الممقوت فى المظهر ، كما يبدو من عبارته التالية :

« والنساء فى هذا المقام أشد تهالكاً من الرجال ، ولهن محدثات من المنكر أحدثها كثرة الإرفاه والإتراف ، وأهمل إنكارها حتى مرت فى الأوساط والأطراف . فقد أحدثن الآن من الملابس ما لا يخطر للشيطان فى حساب ، وتلك لباس الشهرة التى لا يستتر منها اسبال مِرْط[١] ولا أدنى جلباب . ومن جملتها أنهن يعتصبن عصائب كأمثلة الأسنمة ، ويخرجن من جهارة أشكالها فى الصورة المعلمة »[٢]

وكانت بعض أزياء النساء قد أصابت مقاومة عنيفة ، لما كانت تنطوى عليه من غرابة وتبذُّل ، فعمد أكابر القوم إلى إبطالها بما وسعته طاقتهم وأسعفهم سلطانهم . ومن الشواهد على ذلك ما رواه ابن إياس فى حوادث سنة ٧٥١هـ (١٣٥٠م) من أن السلطان الملك الناصر أبا المحاسن حسن بن الملك الناصر محمد بن المملوك المنصور قلاوون « أبطل ما أحدثه النساء من القمصان التى خرجت فى كبر أكمامها عن الحد ، وأبطل ما أخرجوه من الأزر الحرير والأخفاف الزركش ؛ فأشهروا المناداة فى القاهرة بإبطال ذلك ، فرجعت النساء عن ذلك »[٣]

ونظير ذلك ما حكاه ابن كثير فى أحداث سنة ٧٦٢هـ (١٣٦٠م) أن « فى العشر الأوسط من جمادى الآخرة ، نادى مناد من جهة نائب السلطنة حرسه الله تعالى فى البلد [دمشق] ، إن النساء يمشين فى تستر ، ويلبسن أُزُرَهنَّ إلى أسفل من ثيابهن ، ولا يُظهرن زينة ولا يداً . فامتثلن ذلك »[٤]

ومثله ما رواه شمس الدين محمد بن طولون ، عن ناصر الدين ابن شبل المحتسب أنه فى سنة ٨٣٠هـ (١٤٢٦م) « أنكر على النساء لبس الطواق ، ومنعهن ، وبالغ حتى أحرق بعض

(١) المرط : الثوب الفاخر الناعم والجمع المروط
(٢) معالم القربة فى أحكام الحسبة (ص ١٥٧ من طبعة كمبردج)
(٣) بدائع الزهور فى وقائع الدهور (١ : ١٩٣)
(٤) البداية والنهاية فى التاريخ (١٤ : ٢٨٠)

ليسوا أشخاص الدرامة الأوائل ... وإنما كان صاحب (الدور) الأول ، ذلك المجهول الذى لا يُرى ، رغم وجوده

كان ماترلنك ، عند ما كتب هذه الدرامة ، متشائماً . فهو يصور القدَر يسيِّر الكون ، فلا يستطيع أى مخلوق أن يقف فى وجهه . فالقدر هو الذى سلط على ميليزاند الآلام القتالة بعد فرارها من زوجها ؟ وهو الذى وصل بين قلبيها وقلب بلياس بالحب ... هذا الحب العنيف الذى لا يقاوم ، وهو الذى دفع جالود إلى القتل ، وحال دون سعادة مخلوقين بريئين ، ثم هو الذى ضرب العاشقين ضربات مؤلمات على جريمة لم يرتكباها ... فهذه القوة التى لا ترحم ... هى التى فعلت هذا كله . والعقيدة المسيحية (تبرر) الألم بأنه عقاب أو تكفير عن ذنوب . ولكن بلياس وميليزاند لم يرتكبا جريمة ، إنهما بريئان ، وإنما تحابا ... فكأن الحب جريمة لا تغتفر .

(دمشق — البحث بقية) صموح الدرب المنير

القِـصع (1) من على رؤوسهن بما عليها من المناديل ، فامتنع النساء من الخروج » (2)

وكانت بعض النساء ينتهزن الفرص للخروج إلى المتنزهات والظهور بأزيائهن المختلفة ، بما لا يكون مرضياً فى بعض الأحيان ؛ فكن يلقين ممانعة من أولى الأمر وامتعاضاً من مسلكهن البعيد عن الاحتشام . فمن ذلك ما نقله المقريزى فى بعض كتبه ، واليك كلامه بحرفه :

« وقال جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون : وفى سنة ست وسبعمائة (١٣٠٦ م) ، رسم الأميران بيبرس وسلار بمنع الشخاتير (3) والمراكب من دخول الخليج الحاكمي [خارج القاهرة] والتفرج فيه بسبب ما يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات اللاتى تجمع الخمر ، وآلات الملاهى ، والنساء المكشوفات الوجوه ، المتزينات بأفخر زينة من كوافى الزركش (4) والقنابيز والحلى العظيم ، ويصرف على ذلك الأموال الكثيرة ، ويقتل فيه جماعة عديدة . ورسم الأميران المذكوران أن لمتولى الصناعة (5) بمصر أن يمنع المراكب من دخول الخليج المذكور ، إلا ما كان فيه غلة أو متجر أو ما ناسب ذلك . فكان هذا معدوداً من حسناتهما ومسطوراً فى صحائفهما » (6)

ومثل هذا الإنكار والمنع شيء كثير فى كتب التاريخ والأدب لا يسعنا استقصاؤه فى هذه النبذة . وقد اكتفينا بذكر بعض الأمثلة ، لما فيها من فائدة بكونها تطلعنا على بعض أصناف ملابس وأزياء النساء ، كانت شائعة بين القوم فى المائتين السابعة والثامنة للهجرة

ولا نريد أن نطيل الكلام الآن على الأوامر الجائرة التى أصدرها الحاكم بأمر الله فى هذا الصدد . فهى فى جملتها إجحاف بحقوق النساء وإرهاق لهن ، ولم يكن فيها ما يستند إلى عقل ويحتكم إلى منطق ، إنما كان ذلك دأبه فى غالب أوامره ونواهيه . من ذلك ما رواه ابن تغرى بردى فى حوادث سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ م) أن الحاكم بأمر الله « منع النساء من الخروج فى الطريق ، ومنع من عمل الخِفافِ لهن ، فلم يزلن ممنوعات سبع سنين وسبعة أشهر حتى مات » (1)

ثم قال فى موطن آخر من أحداث تلك السنة أنه « أمر بحبس النساء فى البيوت » (2)

وذكر فى أخبار سنة ٤٠٥ هـ (١٠١٤ م) أنه « منع النساء من الخروج من بيوتهن . وقتل بسبب ذلك عدة نسوة » (3)

(بغداد) كوركيس عواد

(1) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (٤ : ١٧٨ — ١٧٩)
(2) النجوم الزاهرة (: ٢٣٥)
(3) النجوم الزاهرة (٤ : ٢٣٦)

(1) القصع ، واحدتها القصعة : قطعة خشبية مستديرة بحجم أعلى الرأس ، تضعها المرأة فوق رأسها وتغطيها بالقماش وهي ما زالت متخذة عند بعض القرويات فى شمالى العراق
(2) اللمعات البرقية فى النكت التاريخية (ص ٦٣)
(3) الشخاتير ، واحدها الشختور : ضرب من السفن النهرية
(4) فى السلوك للمقريزى (٢ : ٢٩) : « بكوافى الذهب على رؤوسهن »
(5) يقصد به متولى دار الصناعة ، أى صناعة السفن
(6) الخطط المقريزية (٣ : ٢٣٣ مطبعة النيل) وقد ورد هذا الخبر ، بشيء من الاختلاف ، فى كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى (٢ : ٢٩ طبعة الدكتور زيادة)

تشارلز دكنز

مواهبه وخصائص فنه

للأستاذ محمود عزت عرفة

(تتمة ما نشر فى العدد ٥٢٠)

ضحك . . . وبكاء

قد تعجب للكاتب الواحد يجمع بين الجد الصارم والفكاهة المرحة ، أو يمزج فى حديثه بين الضحكات الهتانة والمدامع الهتانة : ولكن هكذا كان دكنز ! فهو فى ثانى كتبه (صحائف بكويك) يرتفع بأدب الفكاهة إلى القمة حتى لتكاد تلمح روحه المرح خلال كل حادث ، ومن وراء كل حوار . بل لقد أصبحت تلك الأساليب ذوات المعانى الطريفة الافتراضية التى أجراها دكنز على لسان بطله ساموبل بكويك رمزاً لكل أسلوب أو معنى ينضوى تحت هذا النوع ، مما يطلقون عليه اليوم اسم Pickwickian Sense . ولقد كان انسجام هذه العبارات دقيقاً وتواؤمها طريفاً مع فكاهات سام ويلز - بطل الرواية الثانى - التى جرت فى أعقاب ظهورها على كل لسان ، وأبهجت بطرافة معانيها نفس كل قارئ . حتى لقد قال أحد نقاد الإنجليز فى وصف هذا الكتاب : « إن الهدف الأسمى لصحائف بكويك إنما هو الفكاهة لذاتها ، وما نشك فى أن هذا الكتاب قد ابتعث فى صدور قرائه من الضحكات المرحة البريئة أكثر مما ابتعثه أى كتاب آخر فى لغتنا ... »

أما رواية (حانوت الطُرف المتيق) فإنها تعرض علينا صوراً محزنة من الحياة يسترعى التفاتنا ، من بينها قصة (نل الصغيرة) تلك التى أثارت أشجان الكثيرين وهى تطالعهم كل أسبوع بحوادث حياتها فى حلقات متتاليات

ويذكرون أنه عندما اتضحت خاتمة القصة ، وظهر للقارئين أن (نل) على وشك أن تموت ، بعث أحد أصدقاء دكنز إليه بكتاب يرجوه فيه أن يبقى عليها ولو إلى حين . ولكن عبثاً كان هذا الرجاء ، فقد تقرر مصير البطلة المسكينة ، وظهرت بعد قليل حلقة وفاتها ، فاستدرت الدموع ، وأشجت قلوب الآلاف من القارئين

الواقع أن مفارقات دكنز ومضحكاته . . . وصوره المؤلمة وأحزانه ، إنما هى سلاح واحد ذو حدين يرمى به إلى غاية بعينها ، ويهدف به إلى غرض واحد لا يبغى سواه

فهو قد نصَّب لأخطاء هذا المجتمع وأغرى بعيوبه ؛ وإنه ليحارب هذه الأخطاء والعيوب فى كل ما يكتب ؛ يتهكم منها أحياناً فيكشف عن سوآتها ، ويذيل بسخريته اللاذعة ستارها البراق بحالة تقزز منها النفوس ؛ ويصورها بصورة قاتمة محزنة أحياناً فيستثير عليها أعمق مشاعر البغضاء والكراهية . وهو فى كلتا الحالتين يعمل على هدمها ويجاهد فى تبرئة المجتمع من وصمتها . ومن يقرأ رواية (مغامرات أوليفر تويِسْت) يرَ كيف يضرب دكنز بسلاحه ذى الحدين فى مقتل واحد !

فعوامل البؤس التى ألمَّ بأوليفر من مبدأ طفولته تحلّق فى جو الرواية كالسحابات القواتم ، وتغمر نفس القارئ بصور من الوحشة والإشفاق والألم تطالعه خلال كل سطر ، وتبرز إليه من وراء كل عبارة

فيُتم أوليفر الباكر ، وحياته البائسة فى الملجأ ، ثم تحت رعاية مسز مانْ (تلك العجوز التى كانت تتخذ من تربية الأطفال تجارة مربحة !) انتقاله بعد ذلك للعمل فى حانوت مستر سوربرى ، وسوء المعاملة التى لقيها هنالك مما حمله على الهرب إلى لندن تحت جنح الظلام ، ووقوعه ثمة فى أيدى عصابة اللصوص التى أوشكت أن تقضى على آخر نوازع الخير فى نفسه ... كل هذه مشاهد أليمة محزنة تملأ النفس بالحسرة ، وتثقل على القلب بأشجانها ، فلا يخفف من وقعها إلا بعض تلك الجوانب المشرقة التى يعرضها دكنز خلال حديثه فينفس عن القارئ بعض التنفيس ... كشخصية مسز سوربرى — عنوان السلاطة — وابنتها شارلوت ، ومشهد اشتباكهما فى معركة مع أوليفر المسكين قبيل هروبه بهيئة تنتصب منا الابتسام وإن كانت القلوب مفعمة بالألم ؛ ثم منظر القبض على أوليفر فى لندن عند ما « نشل » زميلاه منديل المستر براونلو ، واندفاع المارة خلفه وهم يتصايحون بإيقافه وفى مقدمتهم اللصان الأصيلان ؛ وخروج جمهور مسرح

بنش(١) برمته والرواية فى أدق مواقفها للاشتراك فى مطاردة اللص المزعوم ... إلى آخر ماهنالك . فهذه كلها مواقف مرحة طريفة تستجلب الضحك وتقلل من عنف المأساة التى تمثلها حوادث القصة ، فيسير القارئ خلال فصولها وقد اعتدل مزاجه أو كاد ، وتوازنت دواعى القلق والارتياح فى نفسه

هذه الفكاهة

على هذا النحو البارع يجمع دكنز فى حديثه بين الجد القابض والفكاهة المرحة ، وفى وسعنا أن نتصور مبلغ الوحشة التى كانت تبدو فيهما روايته لو أنها خلت من هذا الروح الممتع الذى يتألق خلال حوادثها ، كما تتألق النجوم اللوامع فى ظلمة الليل البهيم

على أن ثمة علاقة وثيقة بين الفكاهة والألم يجتمعان لها فى أكثر الأحيان

فقد ذكرنا أن جهاد الرذيلة إنما يكون بأحد سلاحين ؛ عرض صورها المشوهة المؤلمة لتأليب النفوس عليها وحشد عوامل الكراهية والبغضاء فيما حولها ؛ أو غمزها والسخرية منها ومن مرتكبيها ، وإثارة روح التحقير والازدراء بها وبهم . وقد يكون السلاح الأخير أشد نكاية وأعمق أثراً ، فضلاً عن سلامة عقباه وسهولة متناوله . وللأستاذ الكبير (العقاد) كلام نفيس قرأته له فى الرسالة منذ سنوات فى تعليل انتشار الروح الفكاهى بمصر فى فترات الانحطاط السياسى وقيام المظالم الاجتماعية . على أنى لست أحاول هنا أن أفترض أن دكنز كان من أهل التقية فى محاربة المظالم التى نصب لها ، فقد كان له من طبيعة نفسه ، ومن حال بيئته ما يؤديه إلى أتم الصراحة ويحمله على أبلغ الجرأة ؛ ولكنى أقول إنه اجتمعت فى نفسه عوامل السخرية وبواعث الألم جميعاً ، وإنه استغل هذه الموهبة الفذة التى أوتيها : موهبة الذوق الفكاهى ، والقدرة على التهكم اللاذع القاسى ، استغلالاً أتاح له أن يخرج نوعاً من الأدب قل أن أتيح لغيره أن ينتج مثله

(١) بنش شخصية مشهورة فى التمثيل الفكاهى بانجلترا ، وقد كان بنش وجودى Punch and Judy أشبه شىء بما نسميه نحن اليوم عزيزة ويونس أو مشكاح وريعة أو غيرهما من أشباههما

أهداف واصابات

كان دكنز يهدف بكل كتاب يخرجه إلى غاية إصلاحية يضعها نصب عينه ، ويتجه فى الوقت نفسه نحو رذيلة من الرذائل يحاول أن يهدم كيانها ويجتث أعمق أصولها . فهو يحمل معول الهدم فى يد ومواد البناء والتجديد فى أخرى ؛ أو هو يهدم ، ثم يخطط الأوضاع – على الأقل – لمن يقوم بعده بمهمة البناء

ففى صحائف بكويك يعالج – فيما يعالج – مشكلة السجون ، ويكشف عن بعض مثالب النظام فيها . وفى مغامرات أوليفر تويست يندد بقسوة المجتمع على الأطفال المتشردين ، ويحمل أنظمته الجائرة تبعة انحدارهم إلى مهاوى الرذيلة والفساد . وفى (حياة ومغامرات نيكولاس نيكلباى) يكشف عن مساوىء التعليم الأهلى فى انجلترا ، ويوجه النظر إلى أشهر عيوبه كما أنه يعالج مشاكل الأسرة فى روايات (عيد الميلاد) ويحاول أن يضع نموذجاً عالياً لمجتمع فاضل قوامه التعاطف والتواد ، وملء أفقه السعادة والرضى وحب الإحسان ، مع الشعور بآلام الغير وبأفراحه ومشاركته فى بأسائه وفى ضرائه

ولقد عاش دكنز حتى شاهد بعينى رأسه جلّ نظرياته يتحقق ، وأكثر أمثلته العليا يصبح أمراً واقعاً ونهجاً فى الحياة مسلوكاً

وهو يُعد – إلى جانب ذلك – أولَ من رفع من شأن الروح « الفكاهى المرح » فى انجلترا وأحلّه فى الأدب مكاناً مرموقاً . فلقد كانت الشخصيات الفكاهية قبل دكنز أمثلة تامة للخيبة والجهالة ، ووسائل مصطنعة للاضحاك والترفيه ليس غير .. ! حتى جاء دكنز فنفض عن هذا الروح غبار الإهمال والتخلف . وهو فى ذلك لم يبتدعه من نسج خياله أو يخلق به شيئاً من العدم ؛ وإنما وجده بأتم أوضاعه فى أزقة لندن ، واقتبسه من صدور أبنائها – بل من صدره هو نفسه – ثم أظهر للناس قيمته فى تذليل مصاعب الحياة ومواجهة أحداثها

ويقول الإنجليز إن هذا الروح المرح ، روح أبناء لندن الصميمين ، أو مايسمونه : Cockney Spirit ، هو سر نجاحهم ودعامة انتصارهم فى كل معترك . وإنه – إذا حللناه – لمزيج عجيب التركيب من الهدوء والسخرية والصلابة والاستسلام

والتصميم جميعاً ، وذلك شيء قديم في طبائع القوم ، ولكن جاء دكنز فأعطى منه أمثلة روائع تنبض بالحياة ، فأبرز بذلك من قيمته ، ورفع من قدره كخلق اجتماعي نافع ، وسلاح في معترك الحياة لا يُفَل له حد أو تنبو عنه ضريبة .

مراحل أخرى

نشر دكنز جل رواياته في حلقات أسبوعية متتابعة ، فكان لا يُرى أكثر وقته إلا منهمكاً في تحرير أو غارقاً في تفكير ... ولقد أثر فيه هذا المجهود المضنى فألم به المرض غير مرة خلال عام ١٨٤١م

ثم رحل إلى أمريكا طلباً للاستشفاء والراحة فقوبل هناك بأجل مظاهر الحفاوة . ولما عاد أصدر كتابه (مذكرات أمريكية) ويبدو أنه كان فيه صريحاً إلى الحد الذي أثار عليه عاصفة قوية من الاحتجاج في سائر مدن الولايات المتحدة !

ومرت فترة قصيرة ظهر بعدها بقصته (أغنية عيد الميلاد) فكانت الحلقة الأولى من سلسلة روايات عيد الميلاد التي دأب على إصدارها في مثل هذه المناسبة من كل عام

وفي سنة ١٨٤٦م تولى رئاسة تحرير الديلي نيوز ، ولكنه تخلى عن هذا المنصب بعد قليل ليمضي في رحلة إلى سويسرا ، وهناك كتب روايته : دومبي وولده

وبدأ ينشر في عام ١٨٤٩م فصول أشهر رواياته على الإطلاق : دافيد كوبر فيلد ، وأنشأ في الوقت نفسه مجلة أسبوعية تحت عنوان : وصايا منزلية . واستبدل بها فيما بعد صحيفة أخرى سماها ، دورة العام الكامل

وقد استنفد هذا المجهود الهائل قواه ولكن لم يزده ذلك إلا تهالكاً على العمل

وبدأ في عام ١٨٥٣م يلقي فصولاً من رواياته في مجتمعات عامة ... بدأ ذلك في برمنجهام بروايته : أغنية عيد الميلاد ، واستأنفه في سائر المدن الإنجليزية إجابة لدعوات ملحة ، ولقد درت عليه هذه المحاضرات فيما بعد أرباحاً وفيرة

وفي عام ١٨٥٦م تيسر له — كما أشرنا من قبل — أن يشترى بيت أحلامه منذ الطفولة (قصر جادز هيل) حيث أنشأ في رحابه كوخاً على النسق السويسري chalet أتم بين جدرانه تأليف كثير من رواياته الخالدة . ولقد ارتفعت أرباح دكنز من قراءاته العامة خلال فترة ما إلى نصف ألف من الجنيهات كل أسبوع ؛ ولكن أوهن هذا المجهود المتوالي من صحته وأذال من قواه حتى اقتضب حبل حياته ، لا سيما وأنه كان يوالي إلى جانبه إصدار رواياته في فصول متلاحقة

وفي عام ١٨٦٦م شد رحاله مرة أخرى إلى أمريكا ليحاضر القوم برواياته ، ثم عاد إلى انجلترا مستأنفاً مهمته الشاقة حتى صرفه عنها المرض وفرط المجهود فأمسك مرغما .

النهاية

أقبل خريف عام ١٨٦٩ م فاعتكف دكنز في جادزهيل ليكتب روايته الأخيرة (سر إدوين درود The Mystery of Edwin fo Drood) ، ولكن تقطعت به أسباب العيش قبل تمامها ...

وكان موته فجائياً ، فقد أصيب بنكسة شديدة في اليوم الثامن من يونية سنة ١٨٧٠م وتوفى في مساء اليوم التالي

وكان لنعيه وقع شديد في كل مكان ، ورنة حزن قوية زلزلت قلوب المعجبين به ... وما أكثرهم

ولم يكن عجيباً أن تصل تعزية المليكة فكتوريا في أوائل الرسائل التي تدفقت من سائر الجهات تدفق السيل العرم ، وهي التي دعته في أخريات أيامه إلى التشرف بلقائها في قصر بكنجهام وتقبلت هديته التي رفعها إليها من مؤلفاته بأحسن قبول

وكان طبيعياً أن يكون مقر دكنز الأخير بين جنبات كنيسة وستمنستر مثوى الأبطال والزعماء والنابغين في كل فن

وقد احتفل بدفنه في بساطة وهدوء وفق وصيته الأخيرة ، ولم يخط على صفائح قبره إلا هذه الكلمات القصيرة :

« تشارلز دكنز : ولد في ٧ فبراير عام ١٨١٢ ، وتوفى في ٩ يونيه ١٨٧٠ » .

(جرجا) محمود عزت عرفة

قطرة دمع

[إلى روح صديقي شهيد الواجب .. المرحوم أحمد شلبي]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

أسكَنَتْهُ بغتةُ الموتِ الرَّغاما ... أيقظوهُ، فهوَ يأبى أن ينامَا !
أيقظوهُ، فهوَ يأبى أن يرى ... هامِدَ التُّربِ لجنبيهِ مقامَا
أيقظوهُ ! فهوَ فجرٌ راقدٌ ... لم يعوَّدْ نورُهُ هذا الظَّلامَا
لم يكدْ يشرقُ حتى اندفعتْ ... راحةُ التابوتِ تسقيهِ القتامَا
كيفَ لم يعصفْ بها وهوَ الذي ... لم يكنْ إلا مضاءً واعتزامَا ؟
في شبابِ العمرِ يغلي أملاً ... وحياةً، وانبثاقاً، واحتدامَا
لم يكنْ يدري الصِّبا إلا خطًى ... أرختِ الرُّوحُ لساقيها الزِّمامَا
في سماءِ المجدِ يمضي طائراً ... يهتكُ الرِّيحَ ويجتاحُ الغمامَا
لا هدوءٌ، لا وقوفٌ، لا هوًى ... يلفتُ الإعصارَ أن يمضي أمامَا
لا كلالٌ، لا ملالٌ، لا دجًى ... يوقفُ السَّاري أن يخشى الزِّحامَا
وإذا الكأسُ التي مِن فمِها ... تشربُ الأقدارُ آجالَ النَّدامى
فاجأَ الغيبُ بها أحلامَهُ ... فإذا هي بينَ كفّيهِ حطامَا
وإذا آمالُهُ فوقَ الثَّرى ... ركبُ أزهارٍ على قبرٍ ترامى
ذابلاتِ النُّورِ تبدو مثلما ... قرَّحَ الإثكالُ أجفانَ الأيامى
باكياتٍ... أنا أدري دمعَها ... وأراهُ بينَ جنبيَّ ضِرامَا !
وإذاهُ جذوةٌ هامدةٌ ... وصِباً في مضجعِ الهلكى أقامَا
لا تلوموهُ على رقدتِهِ ... غفوةُ الأكفانِ لا تدري الملامَا
واسألوا الغيبَ فإني عاجزٌ ... لم أجدْ إلا قبوراً ورمامَا ...
أينَ مِن دنياكَ قلبٌ ضاحكٌ ... أترعَ الأيامَ صفواً وابتسامَا ؟
أينَ آمالٌ ونفسٌ رفرفتْ ... كصباحِ الصيفِ نوراً وسلامَا
أينَ ؟ لا أينَ .. فماذا بعدَها ... غيرُ دمعٍ فاضَ مِن قلبي كلامَا ؟!
أنتَ أخرستَ بياني مثلما ... يخرسُ الإعصارُ في الدَّوحِ اليمامَا
مزَّقَ النعيُ سكوني ومضى ... أتُرى أغمدَ في الصمتِ حسامَا ؟!
جئتُ أرثيكَ فمالي ملجمٌ ... ترهقُ الأنغامُ في عودي إذامَا ..
يا ربيعَ العمرِ، يا نشوتَهُ ... كيفَ أطلقتَ بواديهِ الحمامَا ؟!
وهوَ فجرٌ منكَ مطلولُ الرُّبى ... وأذاهُ كانَ على الموتِ حرامَا

كانت لنا أيام

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

كانت لنا أيامْ ... يا طيبَ ما كانت !
لو هانت الأعوامْ ... باللهِ ما هانت !
مرّتْ بنا أحلامْ ... حتى إذا حانت
إشراقةُ الإلهامْ ... ولّتْ فما بانت
كانت لنا .. كانت !

كنّا مع الأطيارْ ... نغشى البساتينا
يهدهدُ الأزهارْ ... شدوُ أغانينا
ويفتنُ الفوّارْ ... سحرُ أمانينا
محتبسُ الأسحارْ ... همسَ تناجينا
وتكتمُ الأشجارْ ... سرَّ تلاقينا
وكانت الأنوارْ ... تغمرُ وادينا
نغفو على القيثارْ ... وهو يغنّينا
في غفلةِ الآلامْ
أغنيةَ الأحلامْ
كانت لنا أيامْ
يا طيب ما كانت !

متى يفيقُ النورْ ... من غشيةِ الإظلامْ
وتستعيدُ الدورْ ... عهدَ المنى البسّامْ
وتزدهي بالحورْ ... معارضُ الأجسامْ
ويهتفُ العصفورْ ... بأعذبِ الأنغامْ
ويُطلقُ المأسورْ ... سجّانُهُ الظلامْ
متى ؟ متى يا نورْ ... تبدّدُ الأوهامْ
وتهزمُ الديجورْ ... فتمّحي الآثامْ
وتنقضي الآلامْ !
لو صحّتْ الأحلامْ !
وعادت الأيامْ
تصفو كما كانت !



من شاعر إلى شاعر

تناولت أمس بالبريد مجموعة « زهر وخمر » للشاعر الساحر على محمود طه فصار عندي من مجموعاته الخمس اثنتان : الملاح التائه وزهر وخمر . أما ليالي الملاح التائه ، وأرواح شاردة ، وأرواح وأشباح فستصلني بالبريد حالما يقع نظر أخي الشاعر على هذه الكلمة ؛ فأنا أحبه وأحب شعره ، ولن أكلف نفسي مشقة إفهام خصومه لماذا أحب شعره ولماذا أحبه ، فإذا كان شعره لا يستطيع أن يضع في عيون أولئك الخصوم نوراً ، وفي أنوفهم عطوراً ، وفي قلوبهم شعوراً ، فلن يستطيع لساني

فياخصوم علي محمود طه ؛ ستموتون ويبقى هو حياً . فغراب الموت البشع يقعقع في سطوركم ، وعروس الحياة الجميلة تحلم في قصائده

ألا تعرفون حكاية الضفدع والحباحب ؟ إذن فاسمعوها : رأى ضفدع يوماً حباحباً يلمع على حافة غدير ، فخرج إليه قذراً ساخطاً وراح يبصق عليه . فقال الحباحب : « ماذا فعلت بك ؟ من أين جاءك هذا الغضب ؟ » فأجابه الضفدع : وأنت من أين جاءك هذا اللمعان ؟ »

على أن ما يعزيني ويطربني ويملأ نفسي رجاء أن الإقبال على شعر علي محمود طه كبير ، وفي هذا دليل كاف على أن الشعور بالجمال مطرد النمو في مصر كما هو في لبنان

فيا أخي الشاعر علي محمود طه ! أنا أقطن أجمل بقعة في الأرض : وزائي صنين شيخ الجبال ، وأمامي وحولي أروع وأعذب ما مهرت به الطبيعة بلداً من بلاد الله : شاطىء كشعرك ذهب وفضة : فضة حين أتركه في الصباح إلى المدينة ، وذهب حين أعود إليه في المساء ، وخليج كله فتنة كشعرك في « الجندول » أو في « كليوباترا » (فاتنة الدنيا وحسناء الزمان) ، ورواب كشعرك شماء وادعة ، وسماء . . . سماء كأنها شعرك : جمال وحب وإلهام ، وجو كله كشعرك غناء ؛ وماذا أقول بعد ؟ في هذه البقعة الطيبة في هذا الإطار الساحر قرأت شعرك أو قل تغنيت به وأحببتك . ويقيني أنك ستجيء يوماً إلينا ، فأصعد بك إلى الشيخ صنين وننحدر معاً إلى الروابي فالخليج فشاطىء الذهب والفضة . ويقيني أيضاً أن هذا الشاطىء سيظفر منك بأغنية أشجى من أغنية لامرتين في شاطىء سرنته ، أو « سرنت » على قافية « برلنت »

إلياس أبو شبكة

تصويبات شعرية في كتاب السلوك للمقريزي

يقوم الدكتور محمد مصطفى زيادة بنشر كتاب « السلوك في دول الملوك للمقريزي » نشراً علمياً مضبوطاً بالغاً غاية الجودة في التحقيق والتعليق . وحبذا لو نشرت كتبنا وتراثنا الأدبي العلمي بمثل هذه الدقة والتوفر على الضبط وحسن الإخراج ، حتى لو بعث المؤلف نفسه ما تمنى أن يخرج كتابه على خير من هذه الصورة . غير أنني لاحظت في الكتابين الأول والثاني من الجزء الثاني بعض هنوات في الشعر المروي أرجو أن يتسع لها صدر الناشر الفاضل لما أسمع عن رحابة صدره وحسن قبوله

جاء في القسم الأول من الجزء الثاني ص٢٦٣ س١٦ هذا البيت :

يا قاضيا شـــاد أحكامه على تقى من الله وأقوى أساس

والبيت مكسور ، وبحره السريع . وكلمة « من » في الشطر الثاني زائدة والفعل « شاد » يكسر الشطر الأول . ولعل الرواية الصحيحة التي يستقيم بها الوزن هي :

يا قاضيا شـــيد أحكامه على تقى الله وأقوى أساس

وذكر الدكتور زيادة في هامش صفحة ٢٩ (أن الموشحات يلتزم فيها اللفظ العربي الصحيح) وهذا كلام جرى فيه الناشر على رأي غير المحققين من الأدباء . وللمغفور له العالم الثبت الشيخ حسين والي كلام في هذا الموضوع من مخطوط له نفيس اسمه « عصا موسى » وهو تحت يدي الآن . ولعل الله يوفق أقارب الشيخ الجليل وهم من أفاضل العلماء لطبع هذا المخطوط

وفي القسم الثاني من السلوك جـ٢ ص٤٤١ س١٣ هذا المصراع

واردعه ردع كل مفسد

وهو مصراع مكسور ، لأن المخمسة التي هو منها من بحر الرجز ، فهنا كلمة ناقصة ولعلها « باغ » أو عاتٍ أو ما إليهما فيكون المصراع هكذا : واردعه ردع كل باغ مفسد

وفى صفحة ٤٧٦ سطر ٧ من هذا القسم خمسة أبيات وردت كأنها قصيدة واحدة ، والواقع أن فيها قافيتين مختلفتين ، فالبيتان الأولان قافيتهما الياء، والثلاثة الأخر قافيتها الشين ، وليست الهاء فى الخمسة الأبيات قافية . والبيت الأول منها هو هذا :

أيا ملكا أصبح فى نشوة من نشوة الظالم فى نشيه

والهمزة فى أول البيت زائدة ليصبح وزنه من السريع هكذا :

يا ملكا أصبح فى نشوة من نشوة الظالم فى نشيه

وعلى كلٍّ ، فالأول من السريع والأربعة الباقية من بحر الكامل وإيراد الأبيات الخمسة على هذه الصورة فيه هذه الأخطاء :

١ — الهمزة فى أول البيت الأول زائدة فى الطبع أو النسخ

٢ — البيت الأول بعد حذف الهمزة وزنه السريع

٣ — البيت الأول من بحر والأربعة الباقية من بحر آخر ؛ ولكن إيرادها على هذه الصورة يوهم أنها كلها من بحر واحد

٤ — البيتان الأولان من قافية والثلاثة الباقية من قافية أخرى . وأرجو ألا يفوت الدكتور الفاضل تصويب هذا الشعر وتصحيحه فى الجزء القادم خدمة للعلم واعترافاً بالحق وصوناً لجهده العظيم أن يُرمى بالتهاون فى التحقيق

محمد عبد الغنى حسن

إلى الأستاذ العقاد

يدل رأيكم عن الرواية والشعر فى مقاليكم الأخيرين على أنكم ترون الفن الروائى لا يقوم — كالشعر — على الإنشاء والابتكار ، وهذا رأى جديد ، والعهد بالفن عامة أنه يرجع إلى قوة الخلق والابتكار ، أو إلى الخيال الإبداعى ، لا فرق فى ذلك بين قصة وقصيدة ، أو صورة وسيمفونية . وبتلك النظرة يعالج النفسيون فصل الخيال فى كتب علم النفس كما يعالج بها فلاسفة الفن وعلماء الجمال فصل الخلق أو الإبداع الفنى فيستشهدون بأنواع الفنون على السواء ومنها الرواية والقصة . فكيف لا تعدون التركيب الروائى وتصوير الشخوص وتحليلها من الإنشاء والابتكار ؟ بل كيف فاتكم أن رواية كالأرض الطيبة أو الفندق الكبير وكلتاهما من تأليف امرأة — لا تقل منزلتها عن أية منزلة شعرية ؟!

حافظ . . .

إلى الأستاذ الدكتور محمد مصطفى

قرأنا على صفحات الرسالة مقالاتكم الرائعة « عن ليلى والمجنون » وقد كانت كلمة طيبة وتعبيراً جميلاً وتصويراً سامياً ، وكنا نأمل أن نقرأها حتى انتهاء القصة ؛ غير أنكم انقطعتم عن الكتابة . فنرجو أن تعاودوا النشر وأن تجمعوها متى انتهت فى كتاب ، والله يوفقكم .

(جنين — فلسطين) ابن الطاهر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 523 — Lundi - 12 - 7 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٢٣ — « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ رجب سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٢ يولية سنة ١٩٤٣ » — السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٥٤١ عيد ميلاد ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٥٤٤ الحديث ذو شجون : عصارة المتاعب . الانتاج والاستهلاك فى الحياة الأدبية . عتاب ! } الدكتور زكى مبارك ... ...

٥٤٧ القلب الشاعر ... ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...

٥٥٠ الخليل بن أحمد ... ... : الأستاذ طه الراوى ... ...

٥٥٢ موريس ماترلنك ... ... : الأستاذ صلاح الدين المنجد

٥٥٣ الأحلام ... ... } للفيلسوف الفرنسى « برجسون » بقلم الأستاذ ألبير نادر ...

٥٥٤ الساعة ! [قصيدة] ... : الأستاذ أحمد الصافى النجفى

٥٥٥ شكاة المغيب ! ... ... } للشاعر الفرنسى جان ريشبان بقلم الأستاذ عبد العزيز العجيزى

٥٥٧ « أعاصير مغرب » العقاد ... : الأستاذ على متولى صلاح ...

٥٥٩ جبرائيل تقلا باشا (وفاته) : ... ...

٥٥٩ إلى الأستاذ دريني خشبة ... : الدكتور بشر فارس ... ...

٥٥٩ معنى قوله تعالى « يخرج الحى من الميت » ... ... } الدكتور عباس محمد حسين

٥٥٩ إلى الدكتور زكى مبارك ... : الأستاذ عبد الحميد عنتر ...

عيـــد ميلاد

للأستاذ عباس محمود العقاد

لم يكن لى عيد ميلاد

ولكننى لم أنس قط أننى ولدت ، ولم أشعر قط بحاجة إلى تذكير ؛ فهذه الحادثة التى لا تتكرر ، وتقادم العهد بها وتعاقبت الأيام والسنون عليها ، ولا يلوح لى أننى نسيتها أو أستطيع نسيانها .

فما حاجتها إلى تذكار ؟ وما حاجتها إلى احتفال ؟ ومالى وقد أغفلتها سنين وسنين أبتدئ اليوم بإحيائها ، وأحصيها ولات حين إحصائها ؟

إنها العدوى

ولأعياد الميلاد عدواها كحوادث الميلاد . ألا يقول المعرى فى النسل والولادة :

تثاءب عمرو إذ تثاءب خالد بعدوى فما أعدتنى الثوَباء ؟

بلى . ولكننى أنا عُديت بعد طول التعرض والممانعة ، فاحتفلت بعد الخمسين بأول ذكرى ، واستغنيت عن إعادة الدرس خمسين مرة لأحفظه كما يحفظه المحتفلون به بعد طول التكرار

كنت أدعى إلى عيد ميلاد بعد ميلاد

وأكثر ما دعيت إلى أعياد الأبناء الذين يخمسون سنواتهم

أو يسدسونها أو يسبعونها أو لا يزالون فيها بين التثنية والتثليث

درس جديد لهم العذر أن يثبتوه فى الواعية وأن يستذكروه ويراجعوه ... ولكنى رأيتهم يكبروننى ويتقدموننى فى هذا المجال لأننى أبتدئ الآن وقد سبقونى مرتين أو ثلاثاً أو أربع مرات .

فأنا أسأل حيث لا يسألون ، وأراجع حيث لا يراجعون ، وأستخرج من الأضابير تذكرة جديدة هى عندهم أقدم مايملكون !

***

فى أى يوم ولدت !

لم أكن أدرى ؛ لأننى أذكر السنة على التحقيق ، وأذكر الشهر على الترجيح ؛ ولكننى لا أذكر اليوم بعد أن قرأته آخر مرة فى وثيقة الاستخدام ، ثم تركت الوثيقة وتركت الخدمة ، ووددت لو محوتها من عداد الذكريات

فأنا اليوم فى موقف من يكتب له شهادة جديدة بالميلاد ، وكأنى بهذه المثابة على عتبة الحياة

خير إن كانت الحياة خيرا ...

وليس بشر إن كنا غارقين من الحياة فى شرور

***

ونويت أن أسأل فى أول فرصة للسؤال ، ولكن فى غير اكتراث ولا استعجال ، فقصاراه أنه شىء فى البال ، ولقد تمضى عليه الأعوام وهو فى مكانه من البال !

وسنحت الفرصة على غير ما اشتهيت ، لأنها اقترنت بتشييع أخ إلى مثواه الأخير ، فى موطنى الذى درجت فيه خطواتى الأولى

وعند موقف الموت يسأل الإنسان عن موقفه من الحياة

فسألت ، وعلمت ، وطلبت المزيد من العلم ، فظفرت بالعلم اليقين من أضابير المحفوظات

بل ظفرت فى حياة واحدة بشهادتين للميلاد !

***

وكانت نوبة من نوبات الذكريات التى تساق إلينا على غير اختيار منا ، فكثيراً ما ذهبت إلى أسوان دون أن تعرض لى دواعى الإياب إلى معاهد الطفولة ، وتآلف الشباب . أما فى هذه المرة فندرُ معهد من تلك المعاهد لم أقف ساعة عليه ، ولم تجذبنى داعية من الدواعى إليه

ومنها المدرسة التى قضيت بها ما بين التاسعة إلى الثالثة عشرة ، ولا تزال فى جملتها على حالها المعهود

ذهبت إليها وأنا أحسبنى فى الطريق ذاهباً إلى دار كسائر الدور ، ولا إخالنى سأهجم فيها على لجة من أعمق اللجج النفسية ، ومفاجأة من أعنف مفاجآت الشعور

حتى وقفت عند الباب ، ونظرت إلى البواب

فإذا هو البواب الذى كان يستقبلنا هنالك قبل أربعين سنة فى ساعة الحضور

هو بعينه بوابنا الأول لم يتغير منه إلا قليل فى صورته ومعناه ، وإلا النظرة التى كان يعرفنا بها لأول وهلة ، وهى الآن لا تعرفنا إلا بعد تثبت واستغراب

قال : من هذا ؟ فلان ؟ لقد شبت كثيراً يا بنى !

وفى لمحة عين لا تتسع لقلب صفحة من كتاب ، تنقلب فى أعماق النفس صفحات من العمر تضيق بها أسفار كبار

لقد شبت كثيراً يا فلان !

ملاحظة صادقة وثبت إلى لسان الرجل كأنه لا يلفظها بل تلفظ نفسها بنفسها ، وكم تأخر بها الزمن مع هذا الوثوب السريع !

ولا أعرف فى الحياة شعوراً كثيراً أشبه به شعورى عند باب المدرسة التى كنت أدخلها عدواً وأنا الآن جامد لديها كأننى تمثال

ولكننى أذكر شعوراً موصوفاً أحسبه أقرب ما يكون إلى هذه المفاجأة العاصفة ، وهو شعور الطيار فى طوائر الانقضاض السريع ، وقد هبط إلى الأرض وارتفع منها صعداً فى خلال لمحات يختلف ضغط الهواء عليه ، فيتفجر الدم من قلبه ويطغى على عينيه ، فيوشك أن يحجب عنه الأرض والسماء

ولم يختلف هنا ضغط الهواء بل ضغط السنين !

أربعون سنة ترتفع عن كواهل النفس فى خفقة جناح ، وغشية كتلك الغشية التى تعصف بالطيار عصفت بى صعداً فارتفعت إلى أجواء الثالثة عشرة ، وطرحت عن كتفى أعباء أربعين سنة ، كانت ترين هناك

وجلست فى إحدى الحجرات أتحدث كما يتحدث النوم يتقهقر به منومه مرحلة بعد مرحلة من عهود العمر حتى يبلغ به سنة معلومة من السنين فيقول له : قف لديك ، وصف ما تراه !

فإذا وصف فهو لا يقول لنا : كان هنا وكان هنا قبل أربعين أو قبل كذا من السنين ؛ بل يقول : إنى لأرى الساعة وإنى لأسمع فى أذنىّ ما أروى ، وإنى هنا الآن ، ولا أعرف

ما وراء ذلك من مشهود ومسموع .

***

وانقضت على ذلك خمسة أشهر وجاء موعد اليوم الذى كان فى حياتى أول يوم . فلم أحتفل بشىء واحد حين احتفلت به ، بل كان أعجب العجائب أنه كان موعد ذكريات يضيق بها الإحصاء ، كلها من أخطر الذكريات وأكبر المواقف فى الحياة ، وآخرها فى السنة الماضية ذكرى العلمين !

فى هذا اليوم بعينه وصلت جيوش روميل إلى العلمين ، وأوشكت أن تعبرها إلى طريق العامرية فالقاهرة والأسكندرية

وهو الهوان على أيدى أناس هم أخبر الناس بالهوان ، ولا فرار من الموت إن وجب ، ولكن البقاء للهوان إخلال بكل واجب يحرص عليه إنسان

وإلى أين الفرار ؟ إلى وادى التيه الذى يرجع منه الغائب أو لا يرجع ، ولكنه لا يدرى أين يذهب ولا كيف يكون الرجوع

وليس هذا أفجع ما فى الصفقة الفاجعة

بل أفجع من الليلة التى قبلها ، أو هى ليلة المذبحة كما سميناها لأنها جرأة على الماضى يهون معها جرأة على المستقبل ، وعلى المجهول !

كل ما أتركه بعدى لا أباليه

الكتب يصنع الله بها ما يشاء . وما أكتم القارىء أننى على خطوة من إحراقها فى كثير من الأوقات ، غضباً على تكاليف المعرفة حيث يسعد الجهل بغير تكليف

وماذا أترك غير الكتب مما أباليه إن كنت أترك الكتب ولا أباليها !

هباء أو كالهباء !

إلا أوراقاً متفرقات فيها ودائع العمر التى يموت عنها الإنسان ولا تسخو نفسه بأن تموت قبله

وهى لا تنقل إلى حيث تفتح وتقرأ فى مدخل كل أرض مطروقة ، وهى لا تودع عند أحد كائناً من كان

فلا موئل لها أكرم من التمزيق ، ثم نار الحريق

وانقضت ساعتان قبل تمزيق الورقة الأولى

ولم تنقض إلا دقائق قبل تمزيق الورقة الأخيرة ، كالذى يأخذه التردد عند الضربة الأولى ثم يهيم به سعار الضرب بعدها فلا يبقى ولا يذر ، ويضرب ويضرب حتى يكل ساعداه وتخلو كفتاه ؛ ثم يستريح من فرط الإعياء وبهر السعار

وانجلت الثورة عن كومة من الورق كل قطعة منها موصولة بعرق ممزق ، وشعل من النار لم تكن من قديم عهدها إلا شعلاً من النار ، ولكنها حارت إلى رماد !

ويلك يا هتلر !

النار التى أشعلتها فى العالم لا تنسى ، ولا تنسى لك عندى هذه النار التى أشعلتها أنا بيدى

تلك أقرب ذكرى من ذكريات اليوم الذى كان فى حياتى أول يوم

وقبل ذلك نظائر لهذه الذكرى موزعة فى سنوات متعددات يوشك أن تقنعنى بصدق ما يقال من أن للنفس صيحة كصيحة الإهلال فى كل موعد ذكرى من ذكرياته !

فما كان خيراً لى إذن أن أنسى ذلك اليوم فى سنتى هذه كما نسيته فى السنوات الماضية ؟

وأن يكون لى ميلاد ، وليس لى عيد ميلاد ؟

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

عصارة المتاعب — الانتاج والاستهلاك في الحياة الأدبية — عتاب !

عصارة المتاعب

من عصارة المتاعب يصاغ إكليل المجد، ومن عصارة المتاعب يُرفع ناسٌ من التراب إلى السحاب

كذلك قلتُ وأنا أدفع وهماً رسخ رسوخ الحقائق، بحيث صار الأمل في زعزعته من أخيب الآمال، وهو الوهم الذي يزعم أن الحياة السعيدة هي الحياة الخالية من التكاليف، وهذا الوهم يحيط بنا من كل جانب، ويملأ حياتنا بالمنغصات، لأنه يفرض علينا أن نفهم أن الراحة هي الغرض المنشود، وأن كمية التعب تماثل كمية الشقاء في المدلول

ما هو الفرق بين الرئيس والمرءوس في وهم بعض الناس ؟

الفرق هو أن الرئيس يملك من الراحة ما لا يملك المرءوس، فهو لا يُسأل عن رعاية المواعيد، ولا يطالَب بالسرعة في إنجاز ما لديه من الأعمال (؟!)

وفي الأمثال المصرية كلمات تؤيد هذا المعنى، فالرجل السعيد هو الذي لا يستطيع أحدٌ أن يقول له : « قم من الشمس واقعد في الظل »، وهو الذي لا يُسأل عن « ثلث الثلاثة »، كأن المسئولية تكليف يكدّر صفو الهناء

ولنفرض أن الراحة هي الغاية، وأن كل رئيس يتمتع بها إلى أقصى حدود التمتع، فما السبب في أن تكون هذه المزية من حق بعض الناس لا كل الناس ؟ وما هو السبب في أن يقضي فلانٌ عمره وهو مرءوس وقد أصبح نظراؤه من الرؤساء ؟

الجواب حاضر : فكل تقدم يُسبَق بتزكية من عصارة المتاعب، ومن لم يقدمه جهاده فلن يتقدم، ولو كان أبوه أقدر الرجال على إحياء الأرض المَوات !

هل كانت الراحة من أنصبة الملوك، مع أنهم ملوك ؟

وهل ظفر عظيمٌ بالراحة في أي يوم ؟

إن الراحة متعة حقيرة لا يرغب فيها غير الحقراء

لقد امتلأت كتب الأدب بأخبار الملاهي التي كانت تقام في قصور الملوك. فهل فكر أحدٌ في أسباب تلك الملاهي ؟ وهل قال قائلٌ إنها ضجيجٌ يراد به ستر المتاعب ؟

التعب هو المقياس للقيمة الذاتية، والعمل المتعب هو الذي يرشح صاحبه لجلائل الأعمال، والذي لا يرحب بالتعب ولا يفرح به لن يصل إلى شيء . . . والطمع في الراحة هو طمع الأموات لا الأحياء . . . وهل يثق بك أحدٌ وهو يعرف أن الراحة من التعب هي غايتك، وأن التحرر من التكاليف هو مبتغاك ؟

عُصارة المتاعب

إحفظ هذه اللفظة جيداً، واكتب منها لوحات يزدان بها مكتبك، وانظر إليها في صباحك وفي مسائك، واعلم علم اليقين أنها مسطورة فوق كل قلب من قلوب المجاهدين الفائزين

عُصارة المتاعب نقلت خلائق من التراب إلى السحاب، فلا يخطر في وهمك أن إنساناً ارتفع بلا متاعب، ولا تصدِّق أن المناصب العالية تُمنَح كما تمنح الصدقات للمعوزين، ولا تتصور أن نظام الوجود يسمح بأن يرتفع طائر بلا جناح أو يرتقي رجل بلا جهاد

يقول الكسالى من حولك بأنْ لا نهوض بلا وسيط، وهم يردّون كل فوز إلى قوة الوساطات والشفاعات

ولنسلِّم بأن هذا القول صحيح في المطالب الهيِّنة، كأن يكون غرضك أن تكون موظفاً يأكل العيش بأحد الدواوين، فمن الذي يرشحك لأن تقوم بعمل عظيم ولست له بأهل ؟ من الذي يوصي بأن تكون قوة مسيطرة على زمانك وهو يدرك أنك تعجز عن السيطرة الفكرية أو الروحية في أي ميدان ؟

وكيف تصل إلى توصية من رجل عظيم وأنت مجرد من الكفاية الذاتية ؟

أقم الدليلَ أولاً على صلاحيتك للأعمال التي لا يقوم بها غير فحول الرجال، ثم انتظر نصيبك الحق، فقد تصل إليه بلا وسطاء ولا شفعاء

هل جال بخاطرك أن توازن بين رجلين أحدهما في مركز

فوق ما يستحق ، وثانيهما في مركز دون ما يستحق ؟ فأى الرجلين أعظم فى نفسك ؟ وأىّ حظ من هذين الحظين تريد لنفسك ؟

وهل فكرت يوماً فى غضب الله على من يأخذ أجراً بحق ؟

أنا أخشى أن يكون رزقك أكبر من جهادك ، فيكون فى طعامك شيء من الحرام ، والطعام لا يُسْمن إلا إن كان حلالاً في حلال

ثم ؟ ثم ما ذا ؟

هل فكرت فى منافع الأعضاء ؟[1]

كلُّ عضو بعرَّض للعطب إن لم يؤدّ أعماله الأساسية ، فالعين تضعُف إن صُرفت عن النظر ، والرجل تثقُل إن كُفّتْ عن المشى ، فما رأيك فى عزيمتك وهى جارحة معنوية ؟

أنا أعرف أنك تشتهي أن يحمل عنك الناس جميع أعبائك ، وأن تركب فرساً رِكبة الإعزاز لا رِكبة الفروسية ، وما أبعدَ الفرقَ بين الرِّكبتين !

الراكب الأول مخلوقٌ مدلَّل تُراضُ له الفرَس ، والراكب الثانى فارسٌ يروض الفرَس ، فانظر أين أنت بين هذا وذاك ؟

كن رجلاً فعّالاً يصنع العجائب فى تصريف دنياه ، كن رجلاً يفرح بالتعب ، فالتعب أعظم رزق من أرزاق الرجال

لم يتقدم فردٌ على فرد ولا شعبٌ على شعب إلا بفضل عصارة المتاعب ، ولا جاز أن يتقدم متخلف أو يتخلف متقدم إلا بسبب تفاوت الجهاد

والأقدار التى سمحت بأن يكون فلان وزيراً فى المملكة الفلانية — وكان فى صباه بائع جرائد — هذه الأقدار لم تحابِه بأى لون من ألوان المحاباة ، وإنما احترمت عصارة المتاعب فى الأعوام الشِّداد فصيرته من الوزراء

ولتعرف جيداً أنْ لا نهاية لفضل الله على المجاهدين ،فعنده طيبات تفوق الوصف والإحصاء ، وهو لا يتخلى عنك إلا يومَ تتخلى عن نفسك بإيثار الراحة من عناء الجهاد

إفرح بالتعب ، واسأل الله أن يكثر متاعبك فى أعمالك لا فى أوهامك ، فما شقى الناس إلا بالتعب فى الأوهام لا الأعمال

إفرح بالتعب ، قبل أن لا تفرح بالتعب ، فما يعانى التعب غير الأقوياء

وتذوَّق عَرَق الجبين من التعب قبل أن تعانيه من المرض

واحذرْ ثم احذر أن تمرّ عليك ساعة وأنت مستريح من هموم الرجال

هل سمعت باسم « الغرّازة » في عُرف أصحاب البساتين ؟

هى عُودٌ من الخشب تُسنَد به الشجرة الهيفاء ، ومن الهَيَف فى الأشجار ، جاء الهيَف فى النساء

ومزية الغرّازة أنها تغنى الشجرة عن جهد فى مقاومة الرياح إلى أن تستطيع المقاومة بعد حين ؛ وقد لا تستطيع بفضل هذا التدليل

والغرازة للشجرة كالمشّاية للطفل ، وفى الناس من يعيش طفلاً طول عمره ، لأنه لا يعيش بغير سناد

كن أنت أنت ، وقِفْ على قدميك ، واستفت ضميرك فى مصيرك ، ولا تجعل لغيرك فضلاً فى نقلك من حال إلى أحوال

لا تخف من التوحُّد . فما يتوحد غير الآساد ، واذكر دائماً أن الله جعل أمرك بيدك ، وأنه فتح لك خزائن الأرض والسماء

من هؤلاء : تشرشل وروزفلت وستالين ؟

هم ناس أمثالك ، ولكنهم اعتمدوا على عزائمهم فجعلهم الله من العظماء

وهل كانت البداية الأولى لهتلر وموسولينى تبشر بأن ستكون لهم فاعلية دولية فى السلم أو فى الحرب ؟

وهل كانت البداية الأولى للمسيو بونابارت توحى بأن سيكون الإمبراطور نابليون ؟

عصارة المتاعب هى التى صنعت الأعاجيب فحوّلت الأطفال إلى رجال ، وعصارة المتاعب هى التى نقلت هؤلاء من التراب إلى السحاب

إتعب قبل أن لا تتعب ، فالتعب أمضى من السيف فى اختراق المصاعب والأهوال

الراحة سمٌّ زعاف ، وهى شؤمٌ على الأعضاء والشرايين والأعصاب

(1) الغزالى يقول « منافع الأعضاء » فيما نسميه اليوم « وظائف الأعضاء »

لا تبتسم للراحة ، فلا راحة إلا بالتحرر من المسئولية ، وهذا حظ المجانين

إن آذاك نصحي فأنا أوجهه إلى نفسي لا إليك ، لأني أحوج منك إلى هذه الكلمات ، بعد أن كدت أرتاب في المنهاج الذي اخترته لحياتي

الإنتاج والاستهلاك في الحياة الفكرية

المنتج في عالم الاقتصاد هو الذي يصنع ويورد إلى عملائه هنا وهناك . والمستهلك هو الذي يشتري ما تنتج المصانع من صنوف البضائع . والصلة بين المنتج والمستهلك صلة طبيعية عرفها الناس من قديم الزمان ، وإن لم تخلُ من الشعور بأهمية الفرق بين الإنتاج والاستهلاك في وزن أقدار المتعاملين

والمنتج هو أيضاً مستهلك ، فمصانع « المحلة » بالديار المصرية ، ومصانع « منشستر » بالديار الإنجليزية ، هذه المصانع تنتج الأقمشة ، وهي مع ذلك تستهلك الخيوط فتحتاج إلى الأقطان التي تخرجها المزارع المصرية والأمريكية

ومن الواضح أن المنتج أقوى من المستهلك ، لأنه المتحكم الأول في الأسواق . ولأن المستهلك يعجز عن مقاومته في أغلب الأحيان

فما الرأي في الإنتاج والاستهلاك في الحياة الفكرية ؟

وما مركزنا الصحيح بين المنتجين والمستهلكين ؟

قضينا زمناً ونحن عملاء أمناء للثقافات المجلوبة من بلاد غير هذه البلاد ، فمتى ننتج بأكثر مما نستهلك ؟ ومتى نحاول غزو الأسواق الأجنبية بالفكر والبيان ؟

قد يقال إن الفكر المصري منتج بالنسبة لكثير من أمم الشرق العربي والإسلامي

وأقول إن هذا ميدان غير جديد ، فالعرب والمسلمون إخوة لنا بالشرق ، وما بيننا وبينهم من الجاذبية الروحية قد يوجب أن يرضوا منا بالقليل ، وإن لم ندخر جهداً في أن نلقاهم بأقوى مما يلقاهم به أقطاب الفكر من أهل الغرب

والحق أن الأديب المصري غاية في الحرص على التسلح بالجدية في الحياة الأدبية ، وقد يكون جهاده في الأدب أقوى من جهاد نظرائه في الأمم الأوربية والأمريكية ، بدليل ما نشاهد من سيطرته الروحية في الشرق ، مع أنه لا يعتمد على أي سناد ، ومع أن الأدب في مصر لم يصبح أداة من أدوات المجد ، في حدود ما يستحق من التبجيل

فماذا نصنع لنكون منتجين لا مستهلكين بالنسبة لأهل الغرب ؟

ما ذا نصنع ؟

هل نترجم لهم ما يصدُر عن أدباء مصر من الروائع ؟

هل نستجديهم الثناء على ما عندنا من الآداب والفنون ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما الرأي أن نعتز بالذاتية العربية ، وأن نحاول خلق جبهة أدبية من قراء العرب ، وهم يزيدون على الثمانين من الملايين

إن صنعنا — وسنصنع — فسيلتفت الغرب إلى الشرق ، وسيكون لنا في حياة الفكر والرأي تاريخ جديد

ما هذه الغطرسة التي يتمتع بها بعض أدباء الغرب ؟

وما هذه الهالة التي يحيطهم بها بعض المترجمين ؟

أنا أنتظر مساجلة دولية يشترك فيها أدباء مصر مع أدباء الفرنسيين والإنجليز والأمريكان والألمان

أنا أنتظر هذه المساجلة في أقرب وقت ، ليعرف العالم القديم والجديد مكانة مصر في فردوس الأحلام والعقول

مصر تجِدُّ ، وأدباؤها يجدُّون ، وهي تؤمن بأن مكانها في الفكر أعظم مكان ، فإن كنتم في ريب من عظمتها الفكرية فتعالوا إلى السباق في ميدان الرأي والبيان

عند أوربا وأمريكا مدافع وطيارات وأساطيل ، وتلك قوًى أنعم الله بها على الأوربيين والأمريكان ، والله يخص بالقوة من يشاء

ولكن مصر السلمية لا الحربية تقول إن مكانها في الأدب لا يدانيه مكان ، وإنها مستعدة لأعظم سباق في ميادين الروح والوجدان

في مصر اليوم عشرون أديباً من العظماء ، على أقل تقدير ، فأين الأمة التي تقول إنها تملك من عظماء الأدب عشرين ؟

مصر اليوم هي دولة الفكر والرأي ، وهي صلة الوصل بين الشرق والغرب ، وإنها المرجع في الفصل بين الحقائق والأباطيل

القلب الشـــاعر

للأستاذ دريني خشبة

جميع هذا العالم الأثيرى الذى لا نهاية له ، بكل ما يطن فيه من سُدُم وأنجم وأفلاك ، وكل ما يروح فى كواكبه ويجىء من خلائق ، وكل ما يسبح فى أجوائه من ملائك ، ويصدح ملئها من طير ... كل ذاك ، كل ذاك قطرة من بحرك الزاخر أيها القلب الشاعر !

أنت أكرم خلق الله على الله ... لأنك تتسع لكل ما لا يتسع له غيرك مما صنعت يداه

تتسع لما تضيق به العقول الضالة التى تتعالى فتنكره ، لأنها تُحصى عليه كل ما عُمِّىَ عليها فتجعله فى منطقها تضاربا ... وما دام هنالك تضارب فثمة جحود ونكران

تتسع لهـذا كله لأنك لا تعرف الحدود ، وهى مقيدة بالحدود ... أنت حر طليق ، وهى ذليلة مستعبدة ترسف فى الأصفاد والقيود ...

أنت أكرم خلق الله على الله ، لأنك تُلجم هذه العقول دائماً حينما تُطلق عليها عواطفك فتلسعها كما يلسع النحل ، ثم تُسائلها ساخرة : ما الحياة وما الجمال وما الحب ؟ ! وما وراءك أيتها العقول ؟ منذ الذى يُمسكك فلا تكونى هراء وجنوناً ؟ منذ الذى يمسك الأرض والسموات أن تزولا ؟ وما سر هذا الجمال الذى يبهرك ويورث منطقك البَكَم ، والذى يملأ الأرض والسموات ؟ ما سر هذه الألوان التى تُذَهِّب الشفق ، وتفضِّض السُّحب ، وتُموِّه صفحة اليمّ ، وأديم السماء بأصباغ البنفسج ، وتُزخرف بالدمام ثغور الزهر ، وتغازل بالسحر خدود العذارى ، وتملأ بالفتنة عيون الحسان ، وتُنضِّد بالجُمان ثنايا الغيد ، وتطبع بخاتم الحسن ثُدِىّ الكواعب ؟ !

ما سرُّ هذه الألوان يا عقول ؟

وما سر الجاذبية التى تربط الدُّنا بالدُّنا ، والعوالم بالعوالم ؟ ! الجاذبية التى هى سر الحياة وبقاؤها ، واستمرار الوجود وقيامه ؟ ! الجاذبية التى تشدُّ بين العيون والعيون ، وتُعاطف بين القلوب والقلوب ، وتربط الأرواح بالأرواح ؟ !

ما سر تلك الجاذبية التى تسيطر على سكان المدينة وسكان

أنا أنتظر مساجلة دولية تقول فيها مصر إنها مصر ، ويقول فيها النيل إنه النيل

فتعالوا ياهؤلاء ، إلى كلمةٍ سواء !

عتاب !

هو عتاب الطبيب الذى يُذكر عند المرض وينسى عند العافية

هو عتاب الصديق الذى يُذكر فى البأساء ، ويُنسى فى النعماء

هو عتاب النهر الذى تشتاقه الأرض فى الصيف وتنساه فى الخريف

هو عتاب من لم يبق له منكم غير العتاب !

وكيف أعتب على من يستغنى عن نور القمر بشعاع السِّراج ؟

جرِّبوا حياة العقوق ، جرِّبوها ، بعد أن جربتم حياة الوفاء لتعرفوا ما طعم الشهد وما طعم الصاب !

إن كان غرَّكم الصفح فلا صفح ، وإن كان غرَّكم الدمع فلا دمع ، فقد صِيغ قلبى من ضمائر الجبال

تلك أيامٌ خلَتْ ، وأنا أضِنُّ عليها بأن تضاف إلى التواريخ ، ولن أعترف بأنكم أسرتم روحى لحظة من زمان

فإن راعكم وفائى لدار الهوى بالمرور عليها فى الغدوّ والرواح ، فلا تعجبوا ولا تظنوا أنى أستهديكم تحية يجاد بها على عابر الطريق ، وإنما هى لفتة أريد بها أن تفهم الحجارة أنى لم أكن فى هواى من العابثين

إن دار الهوى لن تعرفكم بعد اليوم ، ولن تراكم إلا أبداناً بلا أرواح ، ولن تجود عليكم بالسعادة والصفاء ، ياجيرةَ آدم حفظ الجميل

سيصنع الدهر ما يصنع ، وسيفعل القدر ما يشاء ، وستفترون علىّ بقدر ما عندكم من كيد وجحود ، ثم يبقى وفائى لكم ولدار الهوى ، ياجيرةَ أطفأتم الجمال فتاهوا فى صحراوات الدلال

لن تضيعوا من يدى ولو فررتم إلى آفاق المرّيخ ، فارجعوا طائعين قبل أن ترجعوا كارهين ، فسرعة الظبى فى الجرى تنبهر حين يلمح وجه الأسد الصوّال

زكى مبارك

الخيلة وما تعج به الغابة ، وما يأوى إلى الكهف ، وما يخفق بجناحيه فى الهواء ، وما يتخذ سبيله سَرَباً تحت الماء ؟

وإلى أن تجيبي فاعزُبى ، ودعى القلب الشاعر يُغنى !

***

أىُّ القلوب يحب كما تحب يا مستودع الشعر ، وأيها يرحم كما ترحم ، وأيها يضطرب كالعاصفة كما تضطرب حين يحزُبك أمر ، أو حين تتحرق أسى على الإنسانية الضالة ؟

أى القلوب يفيض بالخير والنبل كما تفيض ، وأيها يبتسم لما يصيب الناس من سعة كما تبتسم ، وأيها يعبس وينقبض لما يؤودهم من شدة كما تعبس وتنقبض ؟

إنك تود حينئذ لو استطعت فسحرت لهم الجبال ذهباً ، والتراب فضة ... أو سخرت لهم الريح فأمطرتهم دنانير ودراهم ، أو أمرت البحر فحار ماؤه لبناً وعسلاً مصفى !

إلا أنك تعجز أيهـا القلب النبيل ... يا أكرم المخلوقات . فيذهب بك صاحبك ليجلس فوق ربوة ، أو فى منعزل من الناس ، لتخفق له ، وتغنى له ؛ وتنظم له ألحانك كي يهديهـا بعد إلى الناس . إلى الجائعين الظامئين الذين أضرت بهم المسغبة وأذاب أبدانهم الطوى ، وأضرت بهم تلك الريح العاصفة التى تلفح الإنسانية الضاوية وتتلقفها بالموت فى كل مكان

بَيْد أنك تعود أدراجك لتبكى يا أكرم المخلوقات ، لأن ألحانك لا تخفف من ألم الجوع ، ولا تروى من حر الظمأ ، ولا تستطيع أن تنسج نفسها ثوباً يرد عادية البرد ، أو يصد لفح الشمس ؛ ولا تستطيع الأم الفقيرة المعذبة أن تشترى بمعظم قصائدك قدحاً من اللبن لطفلتها الباكية التى يصهر الجوع أمعاءها ؛ ولا أن تبتاع بالباقى أرغفة من نخالة هذا المصر الأسود تملأ بها معدات أطفالها الآخرين

***

طالمـا يضحك العلماء من أحلامك ، والأغنياء من فقرك ، وطالما يستهزىء الخبراء فى الأرقام بعواطفك التى لا عدد لهـا ، لأنها عداد كل شىء ...

غير أنك تضحك منهم جميعاً ، وتستهزىء بهم جميعاً ؛ لأنك تعرف أنهم يعيشون اليوم ثم يموتون غداً ، فلا يذكرهم أحد ...

فهم ينتهون كما انتهى ألف مرة الطعام الذى طعموا ، والشراب الذى شربوا ، والملابس الزهية التى طالما تاهوا بها ودلوا ... وكما انتهت الأرقام الضخام التى طالمـا زحموا بها السجلات

أما أنت فتعيش اليوم ، وتعيش غداً ، ولسوف تعيش إلى الأبد . تعيش اليوم فى أفئدة المعجبين بك ، أولئك الذين تواسيهم دائماً بأناشيدك ، وترأب جرْحهم بأغاريدك ، وتجفف دموعهم بألحانك ، وتبدل جحيم الحياة من حولهم جنات تجرى من تحتها أنهار ـ حنانك ، وتتفجر فيها أمواه عطفك ، وتصدح فى أفنانها بلابل شدوك ، ويحمل إليهم نسيمها عذب غنائك فترد إليهم السعادة ، وتحيى فى نفوسهم الرجاء ، وتنعش فى قلوبهم خامد الأمل ، وتصلهم بعد القنوط بحبل من الله ، فتستنير بصائرهم ، وتهدأ أعصابهم ، وتفيق أرواحهم الخافتة من سكرات الجوع والظمأ والعرى بذكر الله ...

وأنت تعيش غداً بمثل هذا ، ولسوف تعيش إلى الأبد بمثل هذا . ستعيش فى قلوب القافلة التى يجد بها السير . القافلة التى ركبها المثون ، فيتصل به المثون والمثون حتى يجىء أمر الله ... ستعيش كما يعيش الصديقون والشهداء وقادة الإنسانية . قادتها إلى الطوبى التى طالما غازلت خيالك ، وعمرت أحلامك ، ورفّت كما ترف الجنة تحت شباة قلمك وفى صميم سُويدائك

ألا ما أسفه الذين ضحكوا منك ، واستهزأوا بك عند ذاك ! لقد فرغت الدنيا منهم ، بقدر ما امتلأت بك ، وهبطوا إلى التراب وسموت إلى عليين !

***

يمشى صاحبك أيها القلب الشاعر كما يمشى الناس فى الحدائق والطرقات ، ويقف كما يقفون عند شاطىء النهر ، وحفافى الغدير ، ويرى كما يرون بعينين ، ويتكلم بلسان وشفتين ، ويسمع بأذنين ، وله يد كما لهم أيد تمتد إلى طعام وإلى شراب وإلى .... كتاب

إلا أن صاحبك حينما يمشى فى الحديقة يكلم الورد ، ويكلمه الورد بلغة قد لا يعرفها الناس وقد لا يسيغونها ؛ لأنها لغة صامتة تتفاهم بها الأرواح التى من قبيل روح الوردة وروح الشاعر ...

ثم هو يكلم كل ما فى الحديقة ، ويفهم عنه ما لا يفهم الناس

إن الحديقة أغنيته الكبرى الخالدة ، التي يتنفس فيها كل شيء ، ليجاوب نبضاتك ، ويرقص على خفقاتك ، وليتحد بك

فإذا مشى صاحبك في الطرقات ، وتَبدَّتَ إلى عينيه أيها القلب ، يا أكرم المخلوقات ، وكما تثب إلى مسمعيه ، كي تنطبع على شغافك آلام القافلة المتعبة ، وتستقر في جوانبك أدعيتها ، فتعطي لها بما ترقرق من غناء وحداء

أما إذا وقفت عند شاطئ النهر أو حفافي الغدير ، فإنك تُسبِّح لله وتُثني عليه ، فتقبِّل قطرات الماء لتصلي معك ، وتنشد إنشادك ، وتتمنى لو تقبل قدميك ، أو تقبل فمك ، لتمتزج بروحك العلوية التي هي بضعة من الروح الأكبر ، وقبس من نور الخلود ، ونفس من أنفاس الرحمن ..

وإنما تتمنى قطرات الماء أن تصنع ذلك لأنها تحس كأنها تنبع من أعماقك ، وتنسكب من نفسك ، كما نبعت من السحاب الذي باركته يد الله ... وانسكبت من القمة الشامخة التي يداعبها البَرَد ويغسلها الثلج ...

ألست المرآة الصافية التي تجلو جمال هذا الكون للناس ، والعندليب المجلجل الذي يفتح آذانهم على ألوان من مباهجه لم يكونوا يفقهونها لولاك ؟!

ألست الناي الخالد الذي يسكب في أسماع الزمان ألحانه فينشط الركب ، وتتجدد عزمات القافلة ، وتفنى السنون ، وترقص الأيام !

ألست الطبيب النطاسي الذي يأسو جراحات الحزانى ، ويعالج لواعج المحبين ...

***

وقد تظمأ مع ذلك يا أكرم خلق الله ، فإن اشتد بك حرُّ الظمأ فاشرب ما شئت من سلافة العيون ... العيون الخضر الرمادية ، والعيون الزرق اللازوردية ، والمسلية الصافية التي فيها من مغناطيس الكهرمان ... واشرب ما شئت من العيون السود التي فيها ذلك المزيج العجيب من الدَّعج والحَوَر والوطف ما تسكر به وتسحر وتأسر ... العيون الجميلة النجل التي تغمزك . في هوادة ورقة ورفق مرة ، وفي عنف وقسوة مرات ... وهي في الحالتين أمواه حياتك ، وحدائق أحلامك ، ومشارق خيالك ، ومهابط وحيك ، ومراتع فتونك ، وملاعب هواك

العيون الموسيقية التي لا يتسع غيرها لملكوتك الرحب الذي لا يعرف الحدود !

إشرب منها ما شئت ، ثم تصدَّق بما تُنبته تلك المدامةُ في جناتك ذوات الجنا من موسيقا وألحان ...

تصدق بهما على المدنفين والمكلومين والمحرومين

تصدق بألحانك على العيون المتسهِّدة ، والجوانح المشبوبة ، والحَدَق الباكية ، والأنفاس المحترقة ، والفم الظامئ ، والمهجة الغرثى ، والروح الصادية ... على كل حمامة تنتظر ، وعلى كل ظبي غاب عنه أليفه ... فألحانك غذاء هذه الأرواح جميعاً ، وهي عصارة العيون التي شربت ، والخدود التي رعيت ، والأنفاس الطاهرة التي اختلطت بأنفاسك ، وشاعت حميَّاها في أعطافك

أيها القلب الشاعر ! يا أكرم المخلوقات وأنبلها ! لن أفرغ اليوم منك ، لن أفرغ منك غداً ولا بعد غد ، فإلى صلاة قريبة ، وإلى لقاء قريب !

دريني خشبة

من أدب التراجم

الخليل بن أحمد

للأستاذ طه الراوى

إذا افتخرت الأمم بالأفذاذ من رجالها الذين رفعوا مشعل العلم عالياً فأناروا للعقول مناهجها، وضاعفوا لذاتها ومباهجها؛ حق للعرب أن يكونوا المجلّين فى هذه الحلبة؛ ولهم من تأريخ المعارف الإنسانية شواهد خوالد تسطع أنوارها وتتجدد على الزمن آثارها. فتأريخ النتاج العقلى يفيض بما للعقل العربى من خصب فى الإنتاج، وبراعة فى الاختراع، ودقة فى الإبداع، وسعة فى التحقيق، وإنعام فى التدقيق مع صدق فى القول وأمانة متناهية فى النقل

ومن بين أولئك الأفذاذ الذين أقاموا للعلم مناره ورفعوا لواءه فى سماء الرافدين الخليل بن أحمد البصرى. وقد رأيت أن أترجم له بمقال مسهب أرسل به إلى مجلة الرسالة الغراء؛ وبعد أن تم المقال رأيت من الأصلح اختصاره رغبة فى دفع الملل عن القارىء لأنى أعلم أن الكثير من قراء المجلات فى هذه الأيام العصيبة يرغبون عن المطولات ويملون المسهبات

نسب الخليل

من أشهر قبائل اليمن قبيلة الأزد التى منها غسان، والأوس والخزرج اللتان عرفتا بعد الإسلام بالأنصار؛ ومن بطون هذه القبيلة الفراهيد، وكان الكثير من أفخاذها يقطن عمان والبصرة. وقد أنجبت عدداً كبيراً من المشاهير كان فى الطليعة منهم المترجم وهو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم البصرى الفراهيدى اليحمدى، وبعضهم يقول الفرهودى. قال الأصمعى: سألت الخليل بن أحمد ممن هو؟ فقال: من أدعمان من فراهيد. قلت: وما فراهيد؟ قال: جرو الأسد بلغة عمان. اهـ

مولده ونشأته

ولد الخليل فى البصرة حوالى سنة ١٠٠ هـ ونشأ بها، وترعرع فيها وهى يومئذ مهد العربية ومطلع أقمارها، وينبوع فياض بالمعارف ولا سيما الأدبية منها، فشب بين مربدها الذى أصبح عكاظ العرب بعد الإسلام، وحلقات أدبائها الذين كانوا مصابيح الدُّجى ونجوم الهُدى، فاقتطف من أزاهير المعارف ما شاء أن يقتطف، واجتنى من يانع ثمارها ما راق منظره وطاب مخبره، وبرّز على أقرانه أيما تبريز. ومن أشهر مشايخه فى الأدب أبو عمرو بن العلاء. ولما آنس من نفسه الكفاية رأى أن أخذ العربية عن الحضريين من العلماء والمتردّدين إلى الحواضر من الأعراب الذين لانت سلائقهم وضعفت طباعهم لا يوصل إلى اليقين ولا يهدى إلى مهيع الصواب، وعلم أن التبحر فى هذا الشأن لا يتيسر إلا بمشافهة الأعراب الخلّص الذين توحّت سلائقهم، وصفت عربيتهم، ومعايشتهم فى ديارهم، فشدّ الرحال، وضرب فى كبد الجزيرة، وطفق يفلى ناصية الفلاة ويتنقل فى الأحياء التى حلت فى سرّة البادية ولم يكدر صفاء لغتها مخالطة حمراء الأمم وصفرائها كقيس وتميم وأسد وغيرهم ممن خلصت عربيتهم، فكان يلتقط ما يعثر عليه من درر كلامهم وفرائد خطبهم ونوادر أخبارهم وعيون أشعارهم، وجليل آثارهم، ثم عاد إلى وكره حتى وهى فى حافظته أدباً غضاً وعلماً جماً، كم أوقر راحلته رقاقاً وطروساً ومهارق حشد فيها شوارد النثر وفرائد النظم فكانت تلك المنقولات عدته فى استخراج المسائل وبناء القواعد، وتبويب اللغة، وتصحيح القياس والإكثار من الشواهد والتوسع فى إبداء البراهين.

عقله

كان الخليل آية من الآيات فى الذكاء ودقة التصور، وتوقد الفطنة، وصدق الحِدس، وسعة الحافظة، وقوة الذاكرة، ورجاحة العقل، حتى كانوا يقولون: «لا يجوز على الصراط أحد بعد الأنبياء أدق ذهناً من الخليل» ولا حاجة بنا إلى برهان أنصع من هذه المبتكرات التى أخرجها للناس كما سيمرّ بك بعد. وقد نقل أهل العلم عنه حكايات من هذا الشأن تتجاوز حد التصديق لولا ثقة رواتها وتكاثر نقلتها. من ذلك أنه جاءته رسالة عربية مكتوبة بالحرف السريانى فقرأها وهو لا يعرف شيئاً عن الحرف السريانى ولكنه استعان بما عرف أنها تصدر عادة بالبسملة والحمدلة ونحوها

قال الرواة: اجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثان إلى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع؟ فقال: رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله. وقيل لابن المقفع: كيف

رأيت الخليل؟ فقال: رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه

وقال حمزة بن الحسن الأصفهاني:

« إن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل. وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه، ولا على مثال تقدمه احتذاه. فلو كانت أيامه قديمة، ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعته ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره، ومن تأسيس بناء كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة، ثم من إمداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام. »

مبتكراته

لقد أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها، واخترع علوماً أعجزت المتقدمين كما بهرت المتأخرين، فلا عجب إذا سميناه « شيخ المبتكرين من العرب »

(**علم العروض**): لو لم يكن للخليل من المبدعات إلا هذا العلم لكفاه منقبة، فإنه - لعمري - أبدع في تنسيق قواعده، وضبط أبوابه، كما بهر الألباب باختراعه. فقد حصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً على كيفية أدهشت الفِطن، وحيَّرت الأفئدة. ونحن نعلم أن كل مبتكر يعتريه في بادئ الأمر الاضطراب، ويحف بالنواقص، فلا تستقيم قناته ويلبس الحلة التي تليق به إلا بعد أن تختلف العقول على صقله وتثقيف أوده حيناً من الدهر؛ سنة الله في خلقه. ولكنا رأينا علم الخليل بلغ الرشد يوم ولادته، فلم يستدرك عليه من جاء بعده باباً أهمله، أو قاعدة أخل بها، أو فصلاً ذهل عنه، أو اصطلاحاً غيره خير منه — إلا ما كان من أمر البحر الذي زاده تلميذه الأخفش وسماه « الخبب »، ولا يعسر ردّ هذا البحر إلى واحد من بحور الخليل

(**الشكل**): كان الخط في صدر الإسلام خلواً من الشكل والإعجام؛ فوضع أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ علامات للحركات الثلاث، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة تحته، والضمة بين يديه، وجعل التنوين نقطتين، كل ذلك بمداد يخالف مداد الحرف. فلما وضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر من الحجاج نقط الإعجام اضطرب الأمر واشتبه الإعجام بالشكل فتصدى الخليل لإزالة هذا اللبس فوضع الشكل على الطريقة المعروفة اليوم، وبنى ذلك على مقاييس مضبوطة وعلل دقيقة بأن جعل للفتحة ألفاً صغيرة مضطجعة فوق الحرف، وللكسرة رأس ياء صغيرة تحته، وللضمة واواً صغيرة فوقه؛ فإذا كان الحرف المحرَّك منوناً كرَّر الحرف الصغير فكتب مرتين فوق الحرف أو تحته. ذلك لأن الفتحة جزء من الألف، والكسرة جزء من الياء، والضمة جزء من الواو؛ ووضع للتشديد رأس شين بغير نقط (ّ)، ووضع للسكون دائرة صغيرة وهي الصفر من الأرقام العربية القديمة؛ وذلك لأن الحرف الساكن خلو من الحركة، ووضع للهمزة رأس عين (ء) لقرب الهمزة من العين في المخرج. هكذا قالوا. والذي أراه أن هذه الشكلة إنما هي الميم المتوسطة في لفظ (همزة) لأنك إذا كتبت هذا اللفظ وحذفت الهاء من أوله والزاي والتاء من آخره ظهرت هذه الشكلة واضحة. ووضع لألف الوصل رأس صاد هكذا (ص)، توضع فوق ألف الوصل مهما كانت الحركة فيها؛ وللمد الواجب ميماً صغيرة مع جزء من الدال هكذا (~) فكان مجموع ما تم له وضعه ثماني علامات: الفتحة والكسرة والضمة والسكون والشدة والهمزة والصلة والمدة، كلها حروف صغيرة أو أبعاض حروف بينها وبين ما دلت عليه أجلى مناسبة وأوضح صلة، بخلاف علامات أبي الأسود وأتباعه فإنها مجرد اصطلاح لم يبن على مناسبة بين الدال والمدلول. وألف الخليل في هذا الموضوع كتاباً نفيساً فلم يزد أحد على طريقته هذه شيئاً ولا أصلح منها رأياً فكأنه ابتدأها وبه ختمت

(**الموسيقا**) لم يكن الخليل يعرف لغة أجنبية وليس فيه ميل إلى اللهو والقصف ولكنا رأيناه ألف كتاباً في الموسيقا جمع فيه أصناف النغم وحصر أنواع اللحون، وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ أقسامه ونهايات أعداده فصار الكتاب آية في بابه. ولما وضع إسحق بن ابراهيم الموصلي كتابه في النغم واللحون عرضه على ابراهيم بن المهدي فقال له: أحسنت!... فقال إسحق: بل أحسن الخليل لأنه جعل السبيل إلى الإحسان. فقال بعض أهل العلم: إن مهارة الخليل في علم الألحان هي التي أعانته على إبداع علم العروض.

(البقية في العدد القادم)

طه الراوي

أدباء عالميون

موريس ماترلنك

للأستاذ صلاح الدين المنجد

[تتمة]



إن درامة ماترلنك « بلياس وميليزاند »(١) لتقطر سحراً وجمالاً ... وفيها مشاهد مترعة متعة ولذة ؛ تمثلهما وهما يتناجيان هذه النجوى :

— أنتِ لا تعلمين لِمَ يجب عليّ أن أبتعد ... أنا أحبكِ !

— وأنا أحبُّكَ أيضاً ... !

— آه ... ! ما ذا تقولين يا ميليزاند ؟ ... لم أسمع ، لم أسمع ما تفوهت به ، كأنما حطم الجليد بالحديد المحمر ... أأنت تقولين هذا بصوت كأنه آت من اللانهاية ... لم أسمعك يا ميليزاند . أتحبينني ... ؟ تحبينني أيضاً ... ؟ منذ كم وأنت تحبينني يا ميليزاند ...

— منذ بعيد ... منذ رأيتُك !

— آوه ! أنتِ تقولين هذا ... كأنما صوتك فوق البحر ، في الربيع . كأن غيثاً هطل على قلبي ... بصراحة تقولين هذا ؟ أنا لا أصدق ! ميليزاند لم تحبينني ؟ ألا تخدعينني بقولك ، ألا تكذبين لأمر ؟

— لا ، لا أكذب أبداً عليك ، ولكن أكذب على أخيك ...

— يا لصوتك ، يا لصوتك ! إنه ندى مبلل ، أندى من الماء ، كأن الماء يجرى بين شفتيك

أفرأيت إلى هذه السذاجة الحلوة ، وهذا الطهر الناعم ، وهذا السحر الأخاذ . إنها نجوى واحدة من النجويات !

* * *

وأخرج ماترلنك بعد ذلك درامته المسماة Interieur ، وقد بلغت هذه الدرامة الصغيرة الكمال ، فهو يصور لنا فيها حياة أسرة برجوازية تصاب بالمصائب ، ويسلط عليها الرعب والخوف ...

وقد تجد في هذه الدرامة من الطرافة ما لا تجده في غيرها . فأشخاصها خرس مجتمعون في غرفة تكاد تكون مظلمة ، وهم أب وأم ، وبنتان وطفل . « أما الأب فجالس إلى النار يشيعها بالحطب ، وأما الأم فقد ارتفقت الطاولة ، وأخذت تنظر من خلال النافذة ساهمة في حين ارتدت البنتان ثوبين أبيضين ، وجلستا تطرزان »

كل شيء يبعث في النفس الطمأنينة ، ولكن لا ... أنظر ، فها هو ذا عجوز يدب في الحديقة ، يتبعه جمهور من الناس يمشون بحزن ووجوم . إنهم يعلمون ما كان يجهله أولئك المطمئنون الهادئون .

أتدرى ما ذا وقع ؟ لقد غرقت الأخت الثالثة في النهر ، وها هم أولاء يحملونها جثة هامدة . ليت شعرى كيف يطلعون عليهم بهذا النبأ الفاجع وهم ينتظرون عودتها ؟ ويمعن ماترلنك في تصوير أولئك الوادعين الذين كانوا يفعلون في هذه الليلة ما فعلوه ليلة أمس ، ويظهر الفرق بين ما هم فيه ، وما هم آتون عليه ، بين الواقع الذي يجهلونه ولا يحسبون له الحساب ، وبين ما هم مطمئنون إليه

(١) ترجمت بالرسالة في العدد ١٤ وما بعده (السنة الأولى)

الأحـــلام

للفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون

بقلم الأستاذ ألبير نادر

(تتمـة)

السرعة التى تسرد بها بعض الأحلام تبدو لى كأنها نتيجة أخرى لنفس السبب : الحلم يمكنه أن يقدم لنا فى بضعة ثوان مجموعة حوادث تتطلب أياماً عديدة لتتحقق فى حالة اليقظة . كتب الفريد مورى فى هذا الصدد يقول : « كنت نائماً فى حجرتى ووالدتى على قمة السرير . حلمت بالثورة وكنت أشاهد حوادث الذبح ثم مُثلت أمام محكمة الثورة ، ورأيت روبسبيير ومارا وفوكييه تنفيل . . . أخذت أجادلهم ، ثم حُكم علىّ بالإعدام وقادونى فى عربة إلى ميدان الثورة ـ صعدت إلى المقصلة وربطنى الجلاد على اللوح ثم دفعه والمقصلة هبطت علىّ ؛ فشعرت بأن رأسى قد انفصل عن جسمى واستيقظت وأنا فى حالة يأس شديد وشعرت بسهم السرير فوق عنق ، وكان هذا السهم قد انفصل من موضعه ووقع على فقرات عنقى مثل ما تقع مقصلة الشنقة على العنق ـ حصل هذا فى الحال كما أثبتته لى والدتى . فأنا اتخذت هذا الإحساس الخارجى بداية لحلم تعاقبت فيه حوادث متعددة . اهـ (من كتاب مورى : النوم والأحلام) .

ومهما يُقل عن ملحوظة مورى هذه فى أيامنا الأخيرة فأنا أراها ممكنة التحقيق ، لأنى وجدت حوادث مماثلة لها فى أدب الأحلام ـ وتوالى الصور السريع هذا ليس بأمر قريب ، فإن صور الحلم تكون بنوع خاص صوراً بصرية . والحادثات التى يظن الحالم أنه سمعها تنظم وتتم وتتضخم غالباً عند اليقظة . وربما لا تكون صور الحلم سوى فكرة الحادثة فقط أو معناها الكلى الذى صاحب الصور . فجمع كبير من الصور البصرية يمكنه أن يبدو دفعة واحدة على شكل منظر ، وبذلك لا يحتاج إلا لبضع لحظات . فلا ندهش إذا جمع الحلم فى بضع لحظات ما يتطلب عدة أيام أثناء اليقظة . إن الحلم يرى الشىء مصغراً فهو يعمل كما تعمل الذاكرة . فى حالة اليقظة يلزم الذكر البصرية التى تعبر عن الإحساس البصرى أن تنطبق تماماً على هذا الإحساس البصرى ؛ ومن ذلك ينتج سرد الحوادث وهو يدوم بقدر الزمن الذى يدومه هذا الانطباق . وبالاختصار يدوم إدراك الحوادث الخارجية تماماً قدر ما تدوم هذه الحوادث . لكن فى الحلم تكتسب الذكرى المعبرة عن الإحساس البصرى حريتها ، وعدم استقرار الإحساس البصرى يجعل الذكرى

ويتقدم الموكب ، وراءه الجيران ، وتثرثر جارتان :

— آوه .. يالكثرتهم .. إنهم يسرعون

— سيأتون .. وأنا أراهم أيضاً ، إنهم يقربون !

لقد كانت المصيبة تسعى ... « فالقدر يمشى ... لا يتعب ولا يمل ... »

والحق أن هـذا المنظر الفاجع ليبعث فى الأنفس القلق . هـذا مصيرنا نحن أيضاً . إننا نستسلم جميعاً للطمأنينة والراحة . وإننا لنفرح ونضحك ... بل نعتقد أحياناً أننا سعداء ، ولكن الموت والألم والمصائب ، تسعى نحونا مسرعة لا يوقفها إنسان ، ونحن غافلون مطمئنون

لقد كانت هذه الفكرة تهيمن على آثار ماترلنك حتى مطلع هـذا القرن . . . ولقد حاول فى روايته « أجلافين وسيليزيت Aglavine et Selysette » أن يجعل الألم والموت يتراجعان أمام الحياة والفرح . ولكنه لم يدرك ما ابتغاه ، ووجد نفسه مجبراً على أن يصوِّر هـذه المصائب التى تنغص عيش الإنسان فى هذه الحياة الدنيا

هذه أشهر آثار ماترلنك فى الحقبة الأولى من تفكيره الفلسفى . فلما طلع هذا القرن ، كان لماترلنك وجهة أخرى سنعود إلى التكلم عليها بعد حين

(انتهى البحث الأول — دمشق) صموع الدبه المجد

لا تنطبق عليه . ووتيرة الذاكرة المميزة لا بعد لها أن تختار وتيرة الحقيقة . والصور يمكنها إذا شاءت أن تندفع بسرعة جنونية كما تتعاقب الصور السينمائية إلا إذا نظمنا تعاقبها . فلا التدفق ولا الغزارة يبرهنان عن قوة في محيط النفس ، إلا أن الضبط والدقة في الانسجام يتطلبان مجهوداً . أما إذا تمردت الذاكرة المميزة والتفتت إلى الحياة وخرجت عن حالة الحلم فالحوادث الخارجية تقسم حينئذ مجراها وتخفف وطأتها مثل رقاص الساعة يقسم أجزاء ويوزع على عدة أيام تمدد الزنبرك مع العلم بأن هذا التمدد يصير في الحال إذا ترك وشأنه

بقي لنا أن نبحث لماذا يختار الحلم هذه الذكرى أو تلك مفضلاً إياها على الذكريات الأخرى التي يمكنها أن تنطبق أيضاً على الإحساسات الحالية . لا يمكننا أن نعبر عن خاطر الحلم ولا يمكننا أن نعبر عن خاطر اليقظة ، لكن يمكننا أن نشير إلى اتجاههما البين . ففي أثناء النوم الطبيعي تعيد لنا أحلامنا في الغالب الأفكار التي مرت بنا كالبرق ، أو الأشياء التي أدركناها بدون أن نعيرها انتباهاً . وإذا حلمنا أثناء الليل بحوادث النهار فالحوادث التافهة لا الحوادث المهمة هي التي يكون لها حظ الظهور . وإني أؤيد نظريات دلاج ورووبرت وفرود في هذا الصدد . أنا في الطريق أنتظر الترام ولا يمكنه أن يمسني لأني واقف على الرصيف ؛ ولكن إذا طرأت علي فكرة خطر ممكن عند ما يمشي الترام . لا بل أكثر من ذلك : إذا تراجع جسمي بدون انتباه وبدون أن أشعر بأي خطر فيمكن أن أحلم في الليلة السابقة أن الترام قد دهمني . أعود أثناء النهار مريضاً حالته تدعو إلى اليأس ، ويكفي أن يمر شعاع أمل بسيط ولمدة لحظة وجيزة — شعاع أكاد أشعر به — حتى يظهر لي حلمي أثناء الليل أن المريض قد شفي ، وعلى كل حال سأحلم بشفاء لا بمرض أو موت ، بالاختصار ما لم نعن بمشاهدته له الأفضلية في الرجوع والعودة . ولا غرابة ، فالشخصية التي تحلم هي شخصية ساه تتمدد . والذكريات التي تتفق أحسن اتفاق مع هذه الشخصية هي ذكريات السهو التي لا تحمل منها علامة المجهود

هذه هي الملاحظات التي أردت أن أقدمها لكم في موضوع الحلم . أنها غير وافية . فنحن لا نبحث إلا في الأحلام التي نعرفها اليوم وفي الأحلام التي نتذكرها والتي ترجع إلى النوم الخفيف ؛

ولكن إذا كان النوم عميقاً فربما نحلم أحلاماً من نوع آخر ولا يبقى منها شيء عند اليقظة

وأنا أميل إلى الاعتقاد وخصوصاً لأسباب نظرية ومحض اقتراح بأن رؤيانا حينئذ تكون أكثر تمدداً وأكثر إيضاحاً لماضينا . فعلى علم النفس أن يوجه مجهوده نحو هذا النوم العميق ، لا ليدرس فيه فقط كيان الذاكرة الباطنية وعملها ، بل ليفحص العوامل الخفية التي تتعلق بالبحث النفساني . أني لا أريد المغامرة في هذا المضمار ولكن لا يسعني إلا أن أهتم بالملاحظات المتجمعة بفضل مجهود « جمعية الأبحاث النفسية » الذي لا يعرف الكلل ، فالتنقيب عن العقل الباطن والبحث عن أعماق النفس بواسطة طرق مخصوصة هو عمل علم النفس الأساسي في فجر هذا العصر . ولا أشك أن هناك اكتشافات بديعة تنتظره وأهميتها تضاهي أهمية العلوم الطبيعية في العصور الماضية ، وهذا ما أتمناه لكم في ختام حديثي هذا .

(تم)

ألبير نادر

الساعة . . . !

عزيزي الدكتور طه حسين بك

في المحاورات الممتعة الطريفة التي دارت بينك وبيني — في خريف السنة الماضية بالقدس — والتي استمع إليها جمهور من نخبة أدباء فلسطين كنت ثائراً على الشعر العربي الحديث منكراً الابداع الفني في صوره وتهاويله ، فاسمح لي اليوم أن أقدم إليك — على أسبوعين أو ثلاثة — طرائف من شعر أحمد الصافي النجفي لم تنشر بعد لأرى رأيك الجديد .

القدس — عبد القادر جنيدي

يا ساعة أتبعها النظام ... عليك كل راحة حرام

تجرين لا يوقفك الزحام ... مسرعة كأنك الحمام

هذي الليالي لك والأيام ... تفنينها كأنها أخصام

النوم من أعمارنا انحسام ... ألا تنامين كما ننام

أسقيك لو تسكرك المدام ... فتسكر الشهور والأعوام

وتهجعون إن غفا الأنام ... وترقد الخمر ويغفي الجام

والليل والنهار إن تناموا ... هما لكم في نومكم أحلام

ونحن في أحلامكم أوهام

أحمد الصافي النجفي

من أدب الشاطئ

شكاة المغيب !

« إلى العروس النائية »

لشاعر الوجدان جاد ريشبان (*)

للأستاذ عبد العزيز العجيزى

أين منى الليالى الزُهر ، والسنا النشوان ! أين منى بهجة الدنيا وابتسامة الزمان ! أين منى يا ليلاى أيامك الخوالى ، ومغانيك الحسان ! أين منى الهوى ، والصبا ، والمنى ، وروضك الفينان ؟

آه لقد كدّر الفراق صفو المعانى ، وأشقى البعد مهجة العانى ! وبقيت وحيداً أعانى الشوق والأشجان ، وأقاسى الهجر والحرمان !

أين الزمان الذى قد كنتِ ناعمةً مُهلةً بدُنوِّى منك يا سندى

***

هاج شوقى لوكر إلهامى وروض إنشادى ، وزاد حنينى لمهد أحلامى وظل ودادى . وفررت من عيش كئيب تكتنفه أكدار وتمازجه آلام ... وسِرت بقلب يذوب جوًى ، ونفس تتأجج لوعةً ، وكبد تتلظى كمداً ... إلى أطلال حبى الغابر ! فلاحقتنى أطياف الأسى المتفجر ، وأشباح الجوى المتسعر ، وقد أهلكها النحيب وأزهقها الوجيب ، من ضناها وتوجعها ، وأساها وتفجعها !

طليحُ شوقٍ بنار الحب محترق تقتاده زفرات إثر لوعات

***

واحسرتاه على شباب نضب معينه وهو فى غضارة الإهاب ، وذوى زهره فى ربيع الصبا ! والهفى على أمسياتٍ ساحراتٍ ولّت تشيعها أنين الحسرات وكمين العبرات ! واأسفاه على ضياء خبا سناه من تفجع الذكريات ثم ما لبث أن عاد النور إلى الظلمات ! واشجنى على نفس ترسف فى أغلال همومها ، ومهجة حرّى تذوب من سعير خطبها ، وروح صرعتها أهوال القضاء ، وأنشبت فيها أظفار الشقاء !

فيا هجر ليــلى قد بلغت بى المدى
وزدت على ما لم يكن بلغ الهجرُ

(*) راجع لنا أعداد : ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٥ ، ٥٢٠ من « الرسالة » الغراء . (العجيزى)

لقد أبلى السقام جسدى النحيل ، وأضنى الهيام بدنى العليل ! فأين منى رحمتك وحنانك ، وأين منى سحرك ودلالك ؟ ! ...

لقد كنت يا ليلى أستشفى بوصالك وأستهدى بجمالك ، فأنت شفاء العانى المولّه ، ورواء المحب المدله

وما عبد العزيز طبيب قلبى ولكن الطبيب هو الحبيب

فوا حزناه على معذب محروق أذابه لهيب الشجون ، وأضنته أسقام المنون !

***

أواه ليلاى ! لقد أدمى البعد فؤادى ، وذهب الجوى برشادى ، وقضيت أيامى حليف سهادى ... ونأيت بنفسى بعيداً عن صخب الحياة ولغوب الناس حتى . . . .

أخلو بذكرك لا أريد محدثاً وكفى بذكرك سامراً وسروراً

فلا يقع بصرى على إنسان ، وأكون بنجدة من همسات الحسان ، وخلوة فى ذكر ، وحنان ، وأمان !

***

واهاً لذكرى الجالى بين أفنان الجمال ، تتابعنى أشباحها أينما سرت ، وتلاحقنى أطيافها أنّى حللت بين زفرات التأوّه وحسرات التوجع !

أردد سُهاداً على حيران مكتئب يمسى ويصبح فى هم وتذكار

واهاً لمحب عربيد عربيد ، ترك رحبه صريع الجوى ، شهيد الهوى ، تنزف منه دماء قلبه المكلوم ، ثم يفر هارباً كجبان رعديد دون أن يرحم جرحاً دامياً ، أو يغيث قلبا عانياً !

***

لقد فررت بنفسى إلى جزيرة نائية كى أكون بمنجاة من سَخَر الرجال وأضاحيكهم ، وبمأمن من رياء النساء وأكاذيبهن ! فيطمئن القلب ويهدأ الجنان ؛ فى عالم قدسى موفور الأمان !

دلفت كابياً فى سكينة هذه الجزيرة الوادعة ، وأقمت فيها كاسفاً بين وحشة الصمت ورهبة الموت كبوم لفّه البؤس والوجوم والوجوم فى وادى الآلام والهموم !

واهاً لوحدتى ، ومهدى ، وانفرادى ! ها قد جلست منعزلاً وللحياة معتزلاً . لا أرى إلا بحراً مضطرب الأمواج ، ولا أسمع إلا إعصاراً يبج يصارع الأنواء صراعاً رهيب الأصداء ، واصطفاق لجج على ثنايا الشاطئ فى إزباد وإرغاء !...

ولا مُؤنسٌ إلا شهيق وزفرة ولا مسعدٌ إلا دموع وأشجان

أطلق النسيم أنفاسه العذاب ، وسرى يختال فى أردية العباب ، وسجن البحر، وترقق الموج نائراً رذاذاً كحباب الصهباء وشدت قيثارة الريح ألحان الصفاء . ولكن ، ما أسكرتنى خمرة الألحان ، ولا أنعشتنى لذة الوجدان ، وما أطربنى صداح الأغانى ولا هاجنى لماح الأمانى : إذ

كيف السرورُ وأنت نازحـةٌ
عنّى وكيف يسوغ لى الطرب

أجل . لا شىء فى الحياة يسرى عنى هموم الوصب إلا ورقاء حزينة هى مسلاة غرامى ومتنفس آلامى ، تؤنسنى فى وحدتى ، وتسليني فى عزلتى ، وشدوها سلوان خاطرى وألحانها عزاء شاعر

فكأنهـــا صاغت على شجوى شجا تلك اللحون

* * *

أواه ! لقد جنت التأوهات من فرط جواها ، وهامت الهفات من فيض ضناها ، ورفرفت أحلام الهوى العذرى على الرمال الشقراء . فتغنى البحر بأنين الزفرات ، وأنشد الموج على الصخر أناشيد العبرات . أخذت صخور الشاطىء تبكى وتنتحب رحمة بى وشفقة على ، وترقرقت القطرات على خدها كحبات لؤلؤ وضاح . فناض الأسى بجفونى ، وفاضت مدامعى عقيقاً وتهللت على الخدين والنحر ...

علّ ماء الدموع يخمد ناراً من جوى الحب أو يبل غليلاً

* * *

أجل إنه لسراب يخدع النظر ، وعبث لا ينيل الوطر ! حقاً إنه خداع كاذب ووهم باطل اعترانى فى حمى قطيعة لا تجدى نفعاً إذ علام الحياة فى خراب مقفر ، ويباب موحش ، أمل امتلاك ناصية ضالة خادعة !؟

أسجناً وقيداً ، واشتياقاً وغربة ونأى حبيب إن ذا لعظيم

* * *

لكن ! كيف المفر من ذكريات أضنت صباى وأضاعت مناى ؟! كيف النجاة من طيفك يا قاسية ؟ إنك قد نزلت من مهجتى فى كل مكان ؛ وغداً خيالك يتمثل لناظرى ويسبح فى خاطرى ، ويسطو على مشاعرى ويهيج سرائرى !

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ومثواك فى قلبى فأين تغيب

(شاطىء رأس البر) عبد العزيز العجيزى

١ - «أعاصير مغرب» للعقاد

للأستاذ على متولى صلاح

عند ما شرعتُ القلم لأكتب عن ديوان العقاد الفذّ «أعاصير مغرب» قرأت مقالاً للدكتور مندور فى مجلة الثقافة عن «ترنيمة السرير» يقول فى نهايتها: «لقد تصفحت «أعاصير مغرب» فعجبت لمن يجرؤون على تسميتها شعراً وهى نثرية فى مادتها، نثرية فى أسلوبها، نثرية فى روحها. ونثريتها بعد متبذلة سميكة، حتى الإحساس فيها شىء لا تطمئن إليه النفس، شىء ناب. الأدب الجيد لا بد أن يلونه الإحساس، وصاحب «أعاصير مغرب» من الكتاب الذين قد بهرتْ مهارتهم العقلية فى التخريج، ولكننى لا أذكر إلا فى النادر الذى لا يذكر أنه قد استطاع يوماً أن يحرك فى نفسى إحساساً فكيف له بقول الشعر؟ وكيف لنا أن نقارن شعراً كالأعاصير ونحوها بشعر المهجر الحى»

فعجبت بدورى من الدكتور مندور كيف يمسك سيفه بيده ويضرب فى الهواء عن يمين فيحسب أنه قتل ألفاً، ويضرب فى الهواء عن يسار فيحسب أنه قتل ألفا! الدكتور مندور شاب نرجو منه الخير الكثير للأدب إن فارقته نزعة التعقب والرغبة فى الهدم بلا استقصاء ولا روية ولا تأن ولا دراسة شاملة لمن يتعقبهم ويحسبه قادراً على هدمهم! ذم أدباءنا وشعراءنا جميعاً: العقاد والزيات والحكيم ومن إليهم عنده طبول وأبواق؛ وعلى طه ومحمود حسن إسماعيل ومن إليهم خطباء منابر لا شعراء يصدحون! اللهم إلا شعراء المهجر؛ فهم عنده فى القمة والذؤابة ومن خلاهم هباء!

وأعاصير مغرب بعد هو - عندى - أعظم وأرق وأجمل دواوين العقاد جميعاً. قرأت كل ما قال العقاد من شعر فما اجتمع لديوان من دواوينه القديمة والحديثة ما اجتمع لهذا الديوان - فى رأيى - من روعة ورونق وصدق عاطفة، وجمال أسلوب وإشراق ديباجة

ولم أفهم بعد لماذا سمّاه العقاد «أعاصير مغرب» ولو أنه شرح ذلك بعض الشرح فى مقدمته إلا أنه لم يقنعنى ولم أسترح إليه إلا فى نصفه الأول «أعاصير» فالديوان فى مجموعه أعاصير عاتية عارمة، نظمه العقاد إلا أقله وعالم الدنيا مضطرب بأعاصيره، وعالم النفس مضطرب بأعاصيره. بيد أنها ليست أعاصير «مغرب» إن كان العقاد التمس الغروب من «توماس هاردى» الذى ينظر إلى المرآة فيرى بشرته الذابلة تتقبض فيتوجه إلى الله مبتهلاً يقول: «أسألك يا رب إلا ما جعلت لى قلباً يذبل مثل هذا الذبول، إننى لأحس برد القلوب من حولى فلا آلم ولا أحزن، وإننى لأظل فى ارتقاب راحتى السرمدية بجأش ساكن، وصمت وقور. غير أن الزمن الذى يأبى لى إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شىء، ويترك فلا يترك كل شىء. ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة فى مسائها بأقوى ما فى الظهيرة من خلجة واضطراب» ... أو كان التمسه عند «بيرون» الذى نظم قصيدة «عيد ميلاد أخير» وهو فى السادسة والثلاثين من عمره وقال: «آن لهذا القلب أن يسكن مذ عز عليه أن يحرك سواه؛ ولكنى وقد حرمت من يهوى إلى، حسبى نصيباً من الحب أن أهوى. إن أيامى لمكتوبة على الورقة الذابلة الذاوية. إن زهرات الحب وثماره ذهبت إلى غير رجعى، إنما السوس والديدان وحسرة الأسى هى لى ... لى وحدها يحيي ... تلك القدرة على الهيام والهوى ليس لى منها حصة تبقى، فما لأغلالها فى عنقى لا تنزع ولا تبلى؟ ...»

ما هاردى ولا بيرون بشبيهين للعقاد فى هذا الذى يقولان. العقاد ذو قلب شاب فتىّ قوىّ متفتح للحياة، مقبل عليها، نهم بها، كلف بألوان الجمال وأنماط الحسن فيها، فأين يكون الغروب منه؟ العقاد يسير قلبه دائماً إلى الشباب حيث تسير قلوب الناس إلى الهرم والشيخوخة، ويصبو قلبه إلى الحياة حيث تزهد القلوب الفانية فى متاعها. العقاد يصغر حيث يكبر الناس، والشاعر - بعد - طفل كبير!

لو أنه سماه « أعاصير قلب » لكان أدنى إلى الصدور وأقرب إلى الحق من اسمه الذى اختار ، اللهم إلا أن يكون استطراداً لفظياً مع دواوينه السابقة : يقظة الصباح ، ووهج الظهيرة ، وأشباح الأصيل ، ووحى الأربعين ، التى يعبر بها عن الزمن والأيام والسنين لا عن القلب وما به من صبّي وشباب أو كهولة وفناء ، وهل غرب قلب الذى يقول :

هى قبـلة ضمّتْ عرى   عامين فاتّصلا اتّصالا
ومُنى الخواطر في غـدٍ   عام كسابقه مآلا
لا تعجلنّ به فـا   أقسى الحياة على العجالى

* * *

لا لا فهـذا يومنا   وغد وبعـد غدٍ خفاء
أنا مغمض عينى   ومستمع إلى حادى الرجاء
فإذا سمعت حـداءه   فدعيه يمضى حيث شاء !

و الذى يقول :

أهلاً بعام ثالث   يتلوه عام رابع
بل خامس فيما عهد   ت وسادس أو سابع
ما ضاقت الدنيا وفى   جنبيْك قلب واسع !

أو الذى يقول :

سنةٌ كان لها نجم فريد
هات منها أيها النجم وهات
سنة ثانية بل سنوات
وانا منك مزيد المستزيد ... !

أو الذى يقول :

وفى كل يوم يولد المرء ذو الحجي
وفى كلّ يوم ذو الجهالة يُلحد !

بل إنى لألمح بين سطور الديوان غراماً حقيقياً وقع فيه العقاد ! ولعله وقع أخيراً فى « فخ » جعل هذا الشعر الغزلى الرائع ينساب من قلبه انسياباً

والعقاد إذ يكتب الشعر إنما يكتبه بعاطفته وبعقله معاً ، وتلك ميزة تفرّد بها العقاد ، فهو يكتب مدفوعاً بعاطفة أصيلة صادقة دفاعة ، فإذا بدأ يكتب جاء عقله من وراء الستار فصقل الفكرة وهذب الرأى ، وأخرجه للناس فى رواء بهيج من الفلسفة والشعور معاً ، وما أحسب ذلك قد توفر لغير العقاد . خذ مثلاً شعره الغنائي فى هذا الديوان ، فهو جماع من اللفظ الصادح ، والعقل الراجح ، والقلب المحب الولهان ، وإنك لواجد فى هذا الديوان مجموعة طيبة جداً من شعر العقاد مثل قصيدة « عمر زهرة » :

فريدة فى روضها   أخيرة فى الموسم
عيشى وأهدى غيرها   فى كل عيد واسلمى
ألست أنت مثلها   علمت أو لم تعلمى
هدية الخلاق لى   وقدرٌ أن تنسمى

* * *

زهرتك البيضاء هلّا   تذكرين نشرها ؟
حفظتها فى خدرها   هل برحت مقرها ؟
حفظتها حفظتها   فهل حفظت سرها ؟
قصصتُ منها عقدة   لكى أطيل عمرها

ولا أدرى ما الهمس الذى يقولون به إن لم يتوفر كله فى هذه الأبيات ، أو تلك القصيدة الأخرى « الطير المهاجر » التى غناها الفلسطينيون فى محطتهم فكانت بحق درة الغناءعندهم :

علمتنى مواسم الروض أن الطير   سر شتّى : مهاجرٌ ومقيمُ
أترانى لا أسمع الطير إلا   فى رياضى مغشمشاً لا يريم
رب شاد فى هجرة يتغنى   وعليه السلام والتسليم
من جنوب إلى شمال وحيناً   من شمال إلى جنوب يحوم
فله حين يستقل وداع   وله حين يقبل التكريم
خذ من الطير كل يوم جديداً   فسواء جديده والقديم
كم مولٍّ وصفوه لا يولى   ومقيم وصفوه لا يقيم !

وأنا ـ بعد ـ أسأل الأستاذ الدكتور محمد مندور أمثل هذه القصيدة نثرية فى مادتها ، نثرية فى أسلوبها وروحها ، ونثريتها متبذلة سمجة ؟؟

(المنصورة)   على متولى صلاح



جبرائيل تقلا باشا

فى ليل الأربعاء الماضى رُوِّعت الصحافة العربية بفقد رجلها وعميدها المأسوف عليه « جبرائيل تقلا باشا » صاحب (الأهرام) . وقد أجمع الذين لابسوا هذا الرجل من قُرب أو عاملوه من بُعد أنه كان أصدق المُثُل الشريفة للعقلية اللبنانية العاملة المثابرة الثابتة ، وأنه كان فضلاً عن ذلك موصوفاً بالتواضع الجم والحياء الكريم والسمت الحسن ، وذلك بالطبع سر أبيه فى تكوينه ، وأثر أمه فى تربيته . وأسرة تقلا من الأسر اللبنانية القليلة التى غذّت عروقها فى التربة المصرية بالخلق الكريم والعمل الدائب . وإن فى حياة الأهرام الطويلة الحافلة بالجد والصدق والعفة والشجاعة فى بلد من أشد البلاد اضطراباً بالمنافع المختلفة والأهواء المتباينة لشاهداً على أن الفرد متى توفر له رأس المال الطبيعى من العمل والخلق والقدوة قام بما لم يقم به حزب ، وقوى على ما لم تقو عليه أمة

وفى الحق أن الأهرام الخالصة بطبيعتها للجهاد الصحفى القومى هى من عمل الخلق المتشابه والغرض المتحد فى تقلا وبركات والجميِّل . وذلك توفيق من الله نرجو أن يديمه على هذا العمل الجليل ، ما دام على السبيل القصد والغرض النبيل .

إلى الأستاذ دريني خشبة

أخى الأستاذ دريني خشبة

أحييك ألطف تحية . وبعد فإنى قرأت ناشطاً ما سطّرته بحذق فى قصة المسرح الإفرنجى . وإنى لأهنئك بهذه الوجهة فلا يكتب عندنا فى ذلك الفن إلا الأقلون . وقد وقفتنى أشياء فيما سطرت ، وفيها شىء لم أر معدلاً عن الكتابة إليك فى شأنه ، وهو قولك فى خاتمة المقال الثالث : « يتساءل هؤلاء النقاد ... الرمزيين » . فإنى معرض عن الغرابة التى فى ترتيب الأسماء لأسألك من أين استقيت « تساءل هؤلاء النقاد ، ثم من هم ؟ » فإنى والله ليدهشنى أن يقحم (ساردو) على وجه التخصيص فى الثبت الحافل العظيم من مؤلفى الدرامة الأوربية » وقد التصق فى ترتيبك بالعظيم حقاً : موليير ، واساه الله ! وليدهشنى بعد هذا أن يُسل (ميترلنك) من الرمزيين . وأما پيرندللو فقد شرحت سنة ١٩٣٨ فى الرسالة كيف يدخل فى الطور الثانى من الرمزية الباحثة عن حقائق النفس لا عن خفايا العالم . ثم إنى ما عرفت من هو « سارس » ؟ أتريد Sarcey أم هى هفوة من هفوات الطبع وقعت على غرار (شيكوف) بدلاً من (تشيكوف)

فى هذه الأيام الفاترة المفتّرة أحببت أن أثاقفك ، وأن أكاشفك بعد ذلك بتقديرى وودى

بشر فارس

معنى قوله تعالى « يخرج الحى من الميت »

اطلعت على ما نشر فى الرسالة الغراء عدد (٥٢١) وملاحظاتى على ذلك ما يأتى :

١ — الآية خاصة بالحب والنوى بدليل النص الصريح

٢ — لفظة يخرج تؤدى معنى استخلاص شىء من آخر ولو أراد الله تعالى غير ذلك لقال يخلق أو يُنشئ أو أى معنى آخر يفيد الحدوث فقارن بين جلال المعنى فى قوله تعالى : (إنى خالق بشراً من طين) بما لو قال إنى مخرج بشراً من طين

٣ — إذا أكل إنسان أو حيوان طعاماً أو امتص نبات مواد من الأرض فليس معنى هذا خلق حياة جديدة فى هذه المواد الأولية التى يتحال إليها الطعام فى الجسم لتدخل فى تركيب الخلايا فى عملية النمو أو التعويض . ولو كان الأمر كذلك لأمكن لهذه المواد أن تنشئ حياة إذا وضعت فى درجة الحرارة المناسبة ، مثال ذلك البيضة الغير ملحقة بذكر الدجاج

٤ — يحدث النمو والتجديد والتعويض فى الأجسام بواسطة انقسام الخلايا الحية الواحدة إلى اثنتين ثم إلى أربعة ، وهكذا تتضاعف ، وفى الجنين تتضاعف إلى علقة ثم إلى مضغة الخ

٥ — الحياة شىء والمادة شىء آخر ، فالمواد الأولية التى تنتج من تحليل الغذاء فى الجسم تساعد على تكوين المادة بخلايا الجسم ولكنها لا تخلق فيها حياة

٦ — إفراز اللبن وكل الإفرازات الأخرى من الجسم كالدمع والعرق والبول والبراز والعصير الهضمى يمكن تطبيق الجزء الثانى من الآية عليها ، إلا إن ذلك على سبيل التوسع فى الشرح والمجاز فى التعبير .

دكتور
عباس محمد حسين
(أسيوط)

إلى الدكتور زكى مبارك

١ — أخالفك كل المخالفة فى قولك : إن (شاف) بمعنى

(رأى) يستعمل فى اللغة ، بدليل (تشوف) بمعنى نظر ، وأن العرب فى جميع الأقطار يقولون (شافه) بمعنى (رآه) ، وقد (شفتهم) بعينك . وأقول : الحق أن العرب العرباء لم تستعمل شاف بمعنى أبصر لا فى شعر ولا فى نثر ، ولو كان ذلك لنقل إلينا فى معاجم اللغة ؛ أما الذين سمعتهم يلفظون هذه اللفظة فهم عرب فى النسبة لا فى اللغة الصحيحة الفصيحة !

وفى قولك : إن علماء البلاغة منذ عشرة قرون أخطأوا فى تخطئة المتنبى حين جمع بوق على بوقات فى قوله :

فإن يك بعض الناس سيفاً لدولة ... فنى الناس بوقاتٌ لها وطبول

وأنك تفردت برفع الظلم عن المتنبى ، وجعلت البوقات جمع (بوقة) مصغر بوق ، وهى لفظة اصطلاحية فى موسيقا الجيش العربى ، كما يؤخذ ذلك من نصوص فى بعض كتب التاريخ .

وأنا أقول : إن كتب التاريخ ليست متون لغة يعتمد عليها فى إثبات الكلمات العربية . وأضيف إلى ذلك أن لفظة (بوقة) بمعنى مذكر « البوق » لم ترد فى كلام العرب بهذا المعنى

بقى يا دكتور أنك سقت فائدة صرفية لم تر أحداً من الصرفيين نبه عليها فى كتب الصرف . وهى (جعل التأنيث من صور التصغير . فالبوقة أصغر من البوق ، والطبلة أصغر من الطبل ، والبحرة أصغر من البحر ، وقد بولغ فى تصغيرها فصارت بحيرة . وما الربعة إلا مصغر الربع بلا جدال

ولكن ما قولك فى أن الأمثلة التى سقتها لما فيه التأنيث غير صحيحة ؟ فليس فى لغة العرب (بوقة ولا طبلة ولا بحرة ولا رُبعة) بالمعانى التى تريدها ، حتى يحتاج الصرفيون إلى التنبيه على أن التأنيث قد يكون من صور التصغير . أما لفظ « بحيرة » فهو من الكلمات التى لم تستعمل إلا مصغرة كقولهم : كُميت للفرس ، وكُميت وجُعيل لطائرين صغيرين

ثم قلت : وأنكر قوم جمع صناعة على صنائع ، فحملوا وزارة المعارف على تغيير اسم مدرسة الصنائع ، مع أن لهذا الجمع شواهد تفوق العد . والواقع يا دكتور أن صناعة لم تجمع فى لسان العروبة على « صنائع » لا فى منثور الكلام ولا فى منظومه .

وليعلم أن « صنائع » فى كلام العرب جمع صنيع أو صنيعة وفيه الحديث « صنائع المعروف تقى مصارع السوء » على أن لفظ « صناعة » من مصادر الحرفة ، وهى لا تجمع فى اللغة على « فعائل » . فكما لا يقال فى تجارة (تجائر) لا يقال فى صناعة (صنائع) .

عبد الحميد عنتر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 524 — Lundi - 19 - 7 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٥٢٤ — «القاهرة في يوم الإثنين ١٦ رجب سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٩ يولية سنة ١٩٤٣» — السنة الحادية عشرة

الفهــرس

صفحة
٥٦١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٥٦٣ الحديث ذو شجون : جبرائيل تقلا باشا . مصادر الثروة اللغوية . محاكمة العقاد ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٥٦٦ وفود العرب على كسرى ... : لأستاذ جليل ... .
٥٦٧ المسرح المصري وكيف نشيده على دعائم ثابتة ... ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٥٧١ إيضاح أخير ... ... : الدكتور محمد مندور ...
٥٧٣ الخليل بن أحمد ... ... : الأستاذ طه الراوي ... ...
٥٧٥ كتب التراجم ... .. : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٥٧٨ اليتيم ... ... [قصيدة] : الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان
٥٧٨ عودة إلى الوكر « : الأديب حسين محمود البشبيشي
٥٧٩ إلى الدكتور بشر فارس ... : الأستاذ دريني خشبة .. ...
٥٧٩ بوق وبوقات ... . : الأستاذ علي الجندي ... ...
٥٧٩ مثال من تداعي الأخطاء ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٥٨٠ « الشاعر الرجيم : بودلير » : الأديب زكريا ابراهيم . ...

١٤ - دفاع عن البلاغة

٦ - الأسلوب

سمع ابن هَرْمة أديباً ينشد قوله :

بالله ربك إن دخلت فقل لها   هذا ابن هَرْمةَ (قائماً) بالباب

فقال له : لم أقل (قائماً) . أ كنت أتصدق[1] ؟ قال : قاعداً ؟ فقال : أ كنت أبول ؟ قال : فماذا ؟ قال : واقفاً . وليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى !

ذلك مثال من أمثلة كثيرة تريك كيف يميز الفنان اللفظ ويختاره . وتمييز اللفظ واختياره شديدان على من لم يؤته الله العلم بمعاني الألفاظ ، والبصر بفروق المعاني . ولم يقع صاغة الكلام في البهرج والزيف إلا بمجافاة الذوق ومخالفة اللغة . فإن اللفظة الحوشية أو السوقية أو الطفيلية أو النابية أو الركيكة أو المبهمة أو العليلة لا تسقط في الكلام إلا إذا كان العلم الذي يميز قد فقد ، والذوق الذي يختار قد فسد . وإذن تكون الكلمة التي انتُخبت بذوق ، واستعملت بحذق ، هي الكلمة الضرورية الطبيعية التي تتحقق بها خصوصية اللفظ وهي الركن الأول لأصالة الأسلوب . أما الركن الآخر وهو طرافة العبارة فأسُّه الابتكار في حكاية الخبر وتصوير

(١) تصدق : طلب الصدقة

الفكر وتقويم الموضوع . وهيهات أن تجد الجملة المبتكرة التي تثير الإعجاب ، وتحدث الأثر ، وتحرك الفتنة ، إلا إذا وجدت الكلمة الخاصة التي تحدد الفروق ، وتجدد العلاقة ، وتبعث الحركة . والأسلوب كما قلت من قبل خَلق مستمر : خلق للفكر بطرافته ، وخلق للترتيب بتنسيقه وتشويقه ، وخلق للأداء بألفاظه ولهجاته وصوره . وعلى قدر ما يتضح الخالق في الكتابة ، تتضح العظمة في الكاتب . أما القوالب الموضوعة والرواسم المصنوعة فقد كانت فيما مضى قطعاً من أعصاب الذين صاغوها ، ثم قُطعت بهم وبها أسباب الحياة فضمِنتهم القبور وضمِنتها الكتب . فكما لا ينفعك أن تستعير أعضاءهم لجسدك ، لا ينفعك أن تستعير تراكيبهم لأسلوبك . ولكن أدعياء الكتابة يعيشون على هذه الرواسم كما يعيش أدعياء التصوير على نقل الروائع الفنية باليد ، أو تصويرها بالآلة . وكثيراً ما يسرفون على أنفسهم فينتحلون القصيدة بنصها أو المقالة بلفظها . ولا أزال أذكر صفقةَ الأستاذ إبراهيم ... وقد دُعى ذات ليلة إلى حفلة زفاف . وأبى ولاؤه للعريس ووفاؤه للفن إلا أن يسجل اسمه بين خطباء العرس . وذهب إلى كتاب (أبدع الأساليب ، في إنشاء الخطب والمكاتيب) فحفظ منه خطبة رنانة فيها السجع المرصع ، وفيها الشعر البديع . ثم أخذ مكانه المرموق فوق المنصة . وتعاقب الخطباء والشعراء على المنبر المزدان بالرايات والثريات والرياحين . حتى إذا لم يبق بينه وبين الكلام غير خطيب واحد ، تبحبح وتنحنح ، ثم تجهز وتحفز ؛ ولكنه لم يكد يصغي إلى الخطيب الذي قام قبله حتى حملق إليه وقد انتُسف لونه ، وانفغر فه ، وارفضّ عرقه ، وتمنى لو ساخت به الأرض ! لقد كان الخطيب السبّاق قد اقتنى الكتاب نفسه ، وانتقى الخطبة عينها ، ثم سبق الأستاذ إبراهيم إلى القول فانطلق يلقيها عن ظهر الغيب لا يتلعثم ولا يتوقف ولا يخرم منها حرفاً ! وبينما كان المنبر يهدر بالأسجاع ، والسرادق يدوى بالتصفيق ، والبيت يلعلع بالزغاريد ، كان الأستاذ إبراهيم قد أخذ بطنه بيديه ، ومشى مشية الشيخ الأحدب ، يتأوه ويتلوى ويسأل الذين لجئهم بهذه الوعكة الغريبة عن بيت (الأدب) !

ثم نعود فنقول إن الأصالة هي الكلمة الخاصة والعبارة الجديدة . وبخصوصية الكلمة وجدّة العبارة تتحقق الطبْعية في الأسلوب . وليست الطبعية أن ترسل الكلام على سجيتك من غير روية ولا تنقيح ، إنما الطبعية نتيجة النظر الطويل والجهد المتصل . فهي على الرغم من اسمها تُكسب ولا توهب . وشرطها الذي لا بدّ منه أن يختفي فيها الفن كما تختفي دودة القز في الشرنقة . فإن من الفن ألا يظهر الفن ، كما قال شيشرون . ومن اختفاء الجهد البالغ في سراح الطبع ، وكون الصنعة الدقيقة في سهولة العبارة ، ينشأ ما يسمونه بالسهل الممتنع . والأصل فيه قول ابن المقفع لمن سأله عن البلاغة : « هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها ، فإذا حاول عجز »

ومن كلام بسكال أنك « تقرأ الأسلوب المطبوع فتعجَب منه وتُعجب به ، لأنك تتوقع أن تجد فيه الفنان ، فإذا بك لا تجد إلا الإنسان »

ومن الطبْعية بمعناها الفني تكون الدقة . وما الدقة إلا ترْك فضول الكلام وتوخى صواب اللفظ . وهي تختلف في أسلوب الشاعر والخطيب عنها في أسلوب الفيلسوف والمؤرخ . ولكن القدر المشترك منها في أساليب هؤلاء هو أن يعرف كل منهم كيف يمضي قُدُماً إلى الغاية . وكل ما يجعل الفكرة نيرة مؤثرة ، والصورة حية قوية ، والعاطفة أخاذة نفاذة ، هو في الحقيقة داخل في القدر المشترك لكل كاتب

والدقة المشتقة من الطبع سبيل الوضوح . لأن غموض الكلمة ينشأ من غرابتها أو اشتراكها ، وغموض الكلام ينشأ من تعقده أو فساده . والغرابة والاشتراك والتعقد والفساد هي الأضداد الطبيعية لمانى الأصالة

ومن بداهة العقل أنك تفهم لتكتب ، وتكتب لتُفهم . ولكن من الكتاب من ينسج قبل فرز الخيوط ، ويكتب قبل درس الفكرة ، فيلتاث عليه الأمر . وإن منهم من يحسب أن الوضوح ينافي العمق ، والبساطة تجافي الدقة ، فيُغْرب ولا يعرب ، ويجمجم ولا يترجم ؛ ثم يسمى هذا الغموض فنا وذلك العجز رمزاً . على أننا لا نقصد بالوضوح أن يسفر لك الكلام عن معناه كله لأول وهلة ؛ إنما نقصد به الوضوح الفني الذي يتراءى خلال النقاب الشفاف والظلام المضيء والعمق الصافي ؛ وهو بالطبع أكثر دلالة وأشرق بياناً وأروع جمالاً وأطول وحياً من ذلك الوضوح الساذج الذي يعرفه الكاتب الجاهل ، ويطلبه القارئ الغبي .

(الكلام بقية) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

جبرائيل تقلا باشا — مصادر الثروة اللغوية — محاكة العقاد !

جبرائيل تقلا باشا

قرأت أكثر ما كُتب في رثاء الصحفي الكبير جبرائيل تقلا باشا ، ورأيت كيف خُتمت حياته بتبجيل وتعظيم وإجلال ، فاذا بقى من القول بعد تلك الصحائف من جميل الرثاء !

لم يبق إلا أن أشير إلى بعض السر في نجاح ذلك الرجل ، لأن حياته تصلح قدوة لرجال الأعمال

أذكر أولاً أن الرجل جعل الغاية من حياته أن يكون صاحب أكبر جريدة في الشرق ، وهي غاية تمثلت له بوضوح ، وبدت له في عظمةٍ تستحق بذل العمر كله في صيانتها من عوارض الضعف والاضمحلال

وأذكر ثانياً أن الرجل رأى أن الأعمال العظيمة لا تنهض بغير معاونين أمناء ، فجعل من خطته أن يكون الاشتراك في تحرير « الأهرام » ضمانة من المتاعب المعاشية بحيث لا يحتاج من يعمل معه إلى التفكير في صحبة غيره ، ولو كان ذلك الغير شخصية تحمل أضخم الألقاب

وأذكر ثالثاً أن الرجل نزّه جريدته عن الأذى بجميع صوره فعاش بلا أعداء ، وهذا الجانب من الحياة الصحفية يوجب ألواناً من جهاد النفس لا يصبر عليها غير كبار القلوب

والذي يتصور ما صنع هذا الرجل لجريدته يعجب من براعته وقدرته على التصرف ، فللأهرام مكاتب كثيرة في الغرب والشرق ، وما كان يمكن أن تقوم تلك المكاتب بدون أن تكون الثقة بهمته وكفايته وأمانته مضرب الأمثال

وهنالك جانب سكت عنه من رثوا هذا الرجل ، فما ذلك الجانب ؟

هو فهمه الدقيق الأحوال الجوية ، فكان يعرف ما يُلبس لكل وقت ، فلم يتعرض للحر ولا للبرد ، وكانت الحكومات المتعاقبة تعجب من فهمه ذلك ، ولا يؤذيها أن يكون في مصر صحفي يعرف اتجاهات الرياح قبل الهبوب

ومع هذا قتلته مروحة خزت صدره بهواء عجز عن دفعه الأطباء ، ولكل أجل كتاب . وسبحان من تفرد بالبقاء

مصادر الثروة اللغوية

من الكلمة التي نشرتها « الرسالة » لحضرة الأستاذ عبد الحميد عنتر فهمت أنه يَقصر المحصول اللغوي على المأثور عن « العرب العرباء » وهي الأمة التي شهدت العصر الجاهلي وصدر العصر الإسلامي ، وفي هذا القول رجعة إلى أقوال كانت ترى أن اللغة خُتمت بالأقفال بعد هذين العصرين ، وهو قول كان يجد من يطمئن إليه قبل أن تتفتح العقول إلى النظر الصادق في العصر الحديث

وأقول إن مصادر الثروة اللغوية عندنا هي ما نطق به العرب في جميع العصور وفي جميع البلاد ، ولو كان فيه دخيل ، وأقول أيضاً إن وجود الألفاظ الدخيلة في أي لغة يشهد لها بالحيوية ، لأنه يدل على أنها أخذت وأعطت ، واللغة التي تسلم سلامة تامة من الألفاظ الدخيلة لا توجد إلا في القبائل المحصورة بين جدران من الجهل والركود

وعندي أنه يمكن الحكم بأن شعراء الجاهلية لم يكونوا يملكون من الثروة اللغوية مثل الذي نملك ، لأنهم عاشوا في آفاق محدودة ، ولأن التفوق اللغوي لم يكن من المقاصد التي يشغل بها الناس في القديم على نحو ما يُشغلون في هذا الزمان

فكلمة « العرب العرباء » كلمة طنّانة ، ولكنها لا تنفع بشيء ، فمجد العرب الحق ، المجد الذي يجّله التاريخ ، هو مجدهم بعد الفتوحات الإسلامية ، وبعد أخذهم ما استطابوا من مواريث الشعوب

وهنا حقيقة لم تأخذ قسطها من الالتفات ، وهي فضل الدخيل في إمداد اللغة العربية بالثروة لعهد الجاهلية . وبيان ذلك أن جاهلية العرب الملحوظة هي جاهلية قريش ، وقريش لم

تعرف حياة العزلة بسبب « البيت » ، فقد جمع حولها الناس ، وعرّفها ما لم تكن تعرف من طرائق المعاش ، وطرائف الخيال

كان للعرب فى الجاهلية ما يزيد عن سبع لغات ، وكان من الصعب أن يتفاهم أهل الشمال مع أهل الجنوب ، فكيف ضُمضمت تلك اللغات وبقيت لغة قريش ؟ يرجع الفضل إلى « البيت » أولاً وإلى الإسلام ثانياً ، ولكن كيف اتفق ذلك ولم تكن مهمة البيت مهمة لغوية ولا كانت رسالة الإسلام رسالة لغوية ؟

يرجع السبب إلى أن الضجيج الاجتماعى والجدال الدينى والسياسى مما يزيد فى ثروة اللغات . ومن هنا نجد فى القرآن وفى الأحاديث ألفاظاً أجنبية منقولة من اللغات الفارسية والعبرانية واليونانية والحبشية والمصرية ، لأن ذلك الضجيج وذلك الجدال قَضَيا باقتباس تلك الألفاظ من تلك اللغات . وكذلك الحال فى كل لغة تعرّف أهلها إلى طوائف من الشعوب

قولوا الحق ، أيها الناس

هل كان العرب الذين تلقوا القرآن يلتفتون إلى أن كلمة « سُندس » كلمة فارسية وأن كلمة « اليمّ » كلمة مصرية ؟

إن تنقية اللغات من الدخيل فكرة حديثة العهد بالوجود فى أكثر بقاع الأرض ، ولعلها لم تعرف إلا بسبب العصبية المنصرية ، كالذى وقع حين رأى الفردوسى أن تخلو « الشهنامة » من الألفاظ العربية فيما قبل ، وكالذى وقع من الأتراك فيما بعد ، وهذه وتلك من النزعات الشعوبية ، وهى نزعات تزيد فى نفرة الأمم بعضها من بعض ، بلا نفع ولا غناء

وإذا جاز هجر الألفاظ المنقولة من لغات أجنبية فكيف يجوز هجر الألفاظ الأصيلة فى اللغة العربية ؟

أنا أشُوف أن الأستاذ عنتر يجانب الصواب حين ينكر كلمة « شاف » بمعنى « أبصر » مع أن العرب قالوا تشوّف بمعنى تطلّع

وأنا أشُوف أنه أخطأ حين قال : « إن كتب التاريخ ليست متون لغة يُعتمد عليها فى إثبات الكلمات العربية » ، فأكثر المؤرخين أدباء فُضلاء ، ومُؤلفاتهم تُعدّ من المراجع اللغوية

قال ابن مِسكويْه « وخرج الجند بالبوقات والطبول » وهو كاتب فحلٌ يكاد يعاصر المتنبى ، أفلا يكون كلامه شاهداً على أن « البوقات » كانت كلمة اصطلاحية فى ذلك الحين ؟ وهل كان يصعب على المتنبى أن يقول « أبواق » لو كانت هى الكلمة التى يريد ؟

وهل نخطّىء المتنبى لنصوِّب من نقدوه عن جهل ، ولنصوّب من نقلوا ذلك النقد المنحرف بلا بصيرة ولا يقين ؟

وما الرأى فى كلمة « مستشزرات » التى عابوها على امرىء القيس منذ اشتغلوا بعلم البلاغة إلى اليوم ؟

ما الرأى وهى أفصح كلمة فى هذا البيت :

غدائره مستشزراتٌ إلى العُلا
تضلّ المدارى فى مثنًّى ومُرسَل

ثَقُلت عليهم الكلمة فعابوها ، مع أن ثقلها مقصود ، لأنها بهذا الوصف تمثل ما أراد امرؤ القيس

ولو طاوعناهم لحذفنا من اللغة كل لفظة تعوزها النعومة واللين ، وهذا مطمح لن يصلوا إليه ، لأن اللفظ الوعر فى موطنه مقبولٌ ومنشود

وأنكر الأستاذ لفظة بحرة وقال إنها لفظة لا تعرفها لغة العرب ، فليرجع إليها غير مأمور فى القاموس المحيط

وأنكر كلمة طبلة . فهل يرى الاستغناء عنها بكلمة طبل ؟

وأنكر كلمة بوقة ، فهل يرجع إليها فى تاج العروس ؟

وأنكر كلمة رُبْعة ، فهل يضع مكانها الربع وهى أصغر من الربع ؟

وقال إن جمع صناعة على صنائع لم يرد فى منظوم الكلام ولا منثوره ، فهل يدفع ديناراً على كل شاهد لأظفر منه بمئة دينار أطبع بها كتاب « أدب الشواطىء » ؟

أما بعد فإن مصادر الثروة اللغوية عندنا هى ما نطق به العرب فى جميع العصور وفى جميع البلاد ، ونحن نكره أن يكون محصولنا اللغوى محصول جيل أو جيلين ، ونحن مع هذا لا نرحب إلا بالكلمات المأنوسة التى صارت نصًّا فى الدلالة على أشياء لا يُدلّ عليها بغير تلك الكلمات

الكاتب البليغ والشاعر المجيد هما أعرف الناس بسرائر اللغة ، وإليهما يرجع الفضل فى إقرار الحقائق اللغوية والأدبية

ولا يجوز لمن حُـرِم ذوق الشعر والكتابة أن يتعرض للنقد اللغوى والأدبى ، فهذا مجال الذوق لا مجال النقل ، وبين الذوق والنقل مراحل طوال

ومَن علماء البلاغة الذين استباحوا التطاول على المتنبى وامرئ القيس ؟

هل قرأتم مقدمات الكتب البلاغية لتعرفوا ما يملك بعض معلمى البلاغة من القدرة على الإنشاء البليغ

قال قائل : إن كتب التاريخ ليست متون لغة ، فما رأيه فى كتب الفقه الإسلامى ؟

أنا أشوف أن كتب الفقه تحوى ذخائر لغوية نفيسة جداً ، ولعلها أدت للغة خَدمات لم تؤدها كتب الأدب الصِّرف ، لأنها أذاعت مرونة التعابير فى كثير من البيئات ، ولأنها حوت الدقائق من محاورات الناس فى الأسواق

وخلاصة القول أنى لا أعترف بما يسمونه عهد « العرب العرباء » ولا أدير بالاً لمن يدعو إلى الاكتفاء بما عرفت العرب العرباء ، فلو بعث عرب الجاهلية لعجبوا من الثروة اللغوية فى هذه الأيام ، واعترفوا بأن أحفادهم نجباء نجباء

ثم ماذا ، يا حضرات الأفاضل بالأزهر الشريف ؟

أنتم توجبون أن يطبع المصحف بالرسم العثمانى ، فما حجتكم وهو رسم مُهجَر منذ أزمان ؟

أكان الخليفة عثمان بن عفان يختار ذلك الرسم لو عاش فى هذا الوقت ؟

وهل ترضون أن نرجع فيما نكتب إلى الخط العربى فى عهد عثمان ؟

كان يكفى أن تكون للمصحف نسخة تسمَّى النسخة التاريخية ، ثم تُرسم جميع المصاحف وفقاً للرسم الحديث ، الرسم الذى اصطلحت عليه جميع البلاد العربية ، لتسهُل تلاوة القرآن على جميع الناس

ثم ؟ ثم أقول إن الأدب لن يلتفت إلى حذلقة اللغويين المتكلفين ، لأن الأدب هو مبدع اللغة ، وهو المهيمن على تراثها الثمين .

اللغة مِلكٌ لكتابها وشعرائها وخطبائها ، وليس لقراء المعاجم منها خَلاق

مَلَكة اللغة تسمى بالفرنسية Sentiment فما شأن من يناقش فى اللغة وليس له فيها عاطفة ولا وجدان ؟

كونوا كتاباً وشعراء وخطباء قبل أن تكونوا ناقدين

والا ... وإلا ... عندكم جواب هذا السؤال

محاكمة العقاد !

دعتنى المجلة الفلانية إلى محاكمة الأستاذ العقاد بالأسلوب الذى أريد ، فقضيت بتأجيل الحكم إلى حين !

والحق أنى لا أستسيغ مذهب المجلات التى ترى من البراعة الصحفية أن تؤرث الخصومات بين رجال الأقلام ليتفرَّج القراء ، كأن الصحافة صارت ملاعب لا تكلف المتفرجين غير ملاليم !

إن الخصومات الأدبية لا تُقترَح ، وإنما تخلقها الظروف ، فليصبر المتفرجون قليلاً . ألم يسمعوا أن الله مع الصابرين ؟

نحن لا نختصم لنقدم الغذاء لأهل الفضول ، وإنما نختصم لنؤدى خدمة للفكر والرأي والوجدان ، وسأخاصم العقاد ويخاصمنى حين تسنح فرصة يكون فيها الخصام من أوطار العقول

ما هذه الشهوة التى لا يغذيها غير عدوان بعض الأقلام على بعض ؟ وما هذا الشوق السخيف إلى رؤية مناظر الحرب فى غير ميدان ؟

لا قيمة للخصام الأدبى إن لم ينته إلى نتائج صحاح ، فإن لم يكن بد من خصومة بينى وبين الأستاذ العقاد فسأبحث عن مجال يحترب فيه المنطق ، ويتصاول البيان

ولكن متى ؟

ذلك إلينا لا إليكم ، يا جماعة المتفرجين بملاليم لا قروش !

النقد الأدبى لن يرخص إلى الحد الذى تصورتموه ، ولن يكون إلا نضالاً فى ميادين ترفرف عليها أعلام الآراء والأذواق

زكى مبارك

وفود العرب على كسرى

لأســـتاذ جليل

الشاعر الناثر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى مقالته اللطيفة (الخطابة بين الحرب والسياسة) فى الرسالة (٥٢١) ص (٥١٠) يشير إلى قصة (وفود العرب على كسرى) ويستشهد بكلام للحارث بن ظالم دليلاً على حذق الخطيب وسرعة خاطره. ولا ريب فى أن الأستاذ قدّر فى نفسه صحة الحكاية. والحق — والحقيقة إن ساءت سرت — أن هذا الخبر الذى أورده ابن عبد ربه فى (العقد) وصاحب (تحفة الإخلاء) فى كتابه أسطورة مصوغة. وقد كان هذا الضعيف أول من عالن بصوغ الخبر فقال سنة (١٣٤٣):

« ... وإن كتب العلم لتنبئنا بأن الرواة كانوا يتقربون إلى الخلفاء والسلاطين والنبهاء فى الدولة برواياتهم، فكانوا يضمون الأحاديث، ويختلقون مالم يكن ابتغاء خير يأملونه عند من يحملون سلعتهم الأدبية إليه أو أجلَ تبريزهم على أقرانهم برواية قول أو شعر استبدوا هم بمعرفته. وربما صاغ العلماء والأدباء الحديث لينصروا مقالة لهم أو نحلة ... وعُدّ من الموضوع أيضاً مقالة النعمان فى النضح عن أحساب العرب وكلام الذين أوفدهم ابن ماء السماء إلى سلطان فارس فإنه مزور مختلق لم يقله النعمان ولا جماعته ولن يستجرئوا على مثله، ولن يجوز العقل أن يقعد ابن الأكاسرة لاستماع ثرثرة كل مهذار نفّاج[1] ويفرغ لشهود مجرفة المتعجرف وعنجهيته. ومن الموضوع أيضاً كلام وفود قريش على سيف بن ذى يزن، وحديث عبد المطلب بن هاشم، وحديث عبد المسيح بن نفيلة مع خاله سطيح، وحديث خُنافر الحميرى مع رَئيّه شُصار[2] فإن هذه الأحاديث أعرق قول فى الاختلاق. والدليل على ذلك على عقلى فليرجع إلى كتاب العقد والأمالى من أحب وليتأمل ذلك بعين العقل، ولا يسألنا سرد الأدلة فالموقف حرج، واللبيب تكفيه اللمحة الدالة[1]، و (من لا يعرف الوحى (الإشارة) أحمق) »

ثم جاء عالم من علماء القاهرة مشهور فأيد فى مصنف له القول فى اختلاق تلك الحكاية، حكاية الوفود. ولن يضير — إن شاء الله تعالى — تلك الأخبار من الوجهة اللغوية والأدبية ضائر. ومما يسر أنها لفقت والعربية بليغة فصيحة صحيحة قوية. وإن خيل أن أولئك الصواغين أو الصياغين قد أحفظوا طلاب الحقائق التأريخية بما وضعوا، فقد أحسنوا بما صنعوا، إذ خدموا — والحق يقال — لغة (الكتاب) وهل كان لنا هذا التراث، هذه الثروة اللغوية الثمينة لولا تلكم المصوغات المزخرفات؟

وإنا لموقنون أن القوم ما قصدوا فى كثير مما لفقوا إساءة و « إنما الأعمال بالنيات »[2] وإن أساءوا وأحسنوا فـ « إن الحسنات يذهبن السيئات »

وبعد فمن مبدع ذلك الخبر؟

ابن عبد ربه وصاحب (تحفة الأخلاء) نقلة. وقد روى ياقوت فى سيرة (الزبير بن بكار بن عبد الله القرشى) أن من تصانيفه كتاب وفود النعمان على كسرى

فهل صاحب هذا الكتاب هو « الصائغ » الحسن؟

***

قال الذهبى فى (الميزان): الزبير بن بكار الإمام صاحب النسب[3]، كان ثقة من أوعية العلم، لا يلتفت إلى قول أحمد بن على السليمانى حيث ذكره فى عداد من يضع الحديث، وقال مرة: منكر الحديث

---

(١) النفاج: المتكبر المفتخر بما ليس عنده

(٢) رئيه: تابعه من الجن (شصار): اسم جنى

(١) يعد بعضهم مثل هذه الأخبار من دلائل النبوة لما فيها من الأعلام بالبعثة المقدسة قبل ظهورها، وقد سلكت هذه الطريقة فى القول يومئذ ثم جاهرت بما جاهرت به فى مؤلفاتى ومقالاتى فى هذه المجلة وغيرها

(٢) وإنما لكل امرئ ما نوى هذا من الأحاديث التى صحت عند الامام أبى حنيفة، ومقدارها معلوم. وقد ذكره ابن خلدون فى المقدمة

(٣) كتاب أنساب قريش وقد جمع فيه شيئاً كثيراً، وعليه اعتماد الناس فى معرفة نسب القرشيين (ابن خلكان)

المسرح المصرى
وكيف نشيده على دعائم ثابتة
للأستاذ دريني خشبة

لا بد أن يكون لنا مسرح إذا أردنا أن ندخل الأدب المسرحي في الأدب العربي ، وسوف يظل الأدب العربي في مؤخرة آداب العالم ما لم يدخله الأدب المسرحي ، ذلك الأدب الذى يشغل النصف وأكثر من النصف من آداب الأمم الحية التى تفرض نفسها وثقافتها وفكرها على غيرها من الأمم ، وهى إنما تم لها تلك السيطرة الذهنية بما يبذله أدباؤها المسرحيون من إنتاج عجيب لا يعرف الكسل ، ويأبى إلا أن يعطى أكثر مما يأخذ ، بل هو فى الغالب يُعطى كثيراً ولا يأخذ شيئاً ...

وإن لم يكن بد من أن يكون لنا مسرح فليس الشعب وحده هو الذى يضع دعائمه ، وليست الحكومة وحدها هى التى تضطلع بكل شىء فيه ، وليست جهود الأفراد المتواضعة هى التى تكفل قيام هذا الصرح الذى نريد أن يكون رمز نهضتها كما هو رمز نهضة تلك الأمم التى تكتسح آدابها — عن طريق السينما والمسرح والكتب — حياتنا المصرية خاصة ، وحياة الأمم العربية على وجه العموم ... بل يجب أن تتضافر الجهود جميعاً فى إنشاء هذا المسرح ، على أن تكون القيادة العليا بيد الدولة مؤقتاً ، وعلى أن تكون تلك القيادة العليا قسمةً بين وزارتى المعارف العمومية والشئون الاجتماعية ... قسمةً فى الاختصاص ، وليست قسمة فى الهدف ؛ فتنشئ وزارة المعارف المعاهد الكثيرة للتمثيل لتمد وزارة الشئون بمن تحتاج إليهم من الممثلين والمخرجين ومصورى المناظر ومهندسى الإضاءة وغيرهم ممن تفتقر إليهم مسارحها التى يجب أن تنشئها فى طول البلاد وعرضها لتثقيف الشعب وتهذيبه ، ولنشر الدعايات الوطنية والأخلاقية التى ينبغى بثها فى طبقاته

لقد آن الأوان لإصلاح الغلطة الكبرى التى وقعت فيها إحدى الوزارات الانقلابية الرجعية السابقة ... تلك الوزارة التى سوَّغت لها التقاليد التى كانت تحرص عليها فى جهل هو أقبح من العمى فألغت معهد التمثيل ، وحرمت بذلك نهضتنا

(قلت) : لا يضير أن يلتفت إلى ما ذكره السليمانى ، وإذا ثبت قوله فى ابن بكار فمن يضع الحديث النبوى يضع الحديث الأدبى

وذكر ابن خلكان وياقوت هذه القصة وخلاصتها أن الزبير دخل على محمد بن عبد الله بن طاهر فأكرمه وعظمه ، وقال له إن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بيننا الآداب . ولما ودعه قال : إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئاً نرويه عنك

قال : أحدثك بما سمعت أو بما شاهدت ؟

قال : بل بما شاهدت

قال : نعم ، بينا أنا فى مسيرى هذا أبصرت جماعة مجتمعة ، فأقبلت إليهم ، وإذا برجل كان يقنص الظباء ، وقد وقع ظبى فى حبالته ، فذبحه فانتفض فى يده فضرب بقرنه صدره فنشب القرن فيه فمات ، وإذا بفتاة أقبلت كأنها المهاة ، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت أبياتاً منها :

أضحت فتاة بنى نهد علانية ... وبعلها فى أكف القوم محتمل

ثم شهقت فماتت . فما رأيت أعجب من الثلاثة : الظبى مذبوح ، والرجل جريح ميت ، والفتاة ميتة . فلما خرج قال الأمير محمد بن عبد الله : أى شىء أفدنا من الشيخ ؟

قالوا : الأمير أعلم

قال : قوله (أضحت فتاة بنى نهد علانية) أى ظاهرة ، وهذا حرف لم أسمعه فى كلام العرب قبل اليوم

(قلت) : إنها لقصة كيسة[1] وإن فيها الفائدة وإن لم يكن مما خرف[2] الشيخ به شىء (م)

---

(١) العامة تقول : كويسة

(٢) حدث ، أخبر . مولدة مشتقة من الخرافة أو من خرافة المشهور . وهى فى كلام الامام العبقرى ابن حزم (الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٤ وفى كلام القرويين فى بعض الأقاليم العربية . وقد رأيت بعث الكلمة ، لأن هذا الزمان وكتاب القصة المخرفين فيه — فى حاجة إلى التخريف

من الممثل للثقف الذى هو المادة الأولى للحياة المسرحية

لقد آن لنا أن ننظر إلى المسرح نظرة فيها جد وفيها احترام وفيها تقدير للرسالة التى يقوم بها بيننا رجاله الأوفياء المجاهدون

يجب أن تكفل الدولة العيش الهانئ الرغيد لكل المسرحيين من مؤلفين ومخرجين وممثلين ومهندسين حتى تضمن إخلاصهم لفنهم ، وحتى لا تسلمهم آخر المطاف للفقر والفاقة ، وتسلم أبناءهم للجوع والعوز

التمثيل فن ومهنة ورسالة ... وهو لم يعد تلك المتمة الرخيصة المبتذلة التى كانت تبحث عن أبطالها بين الطبّالين والزمّارين والراقصين

التمثيل من أشرف المهن إن لم يكن أشرفها جميعاً ، وهو لم يعد يهدف إلى إمتاع الناس فحسب ، بل هو يعمل على رفع مستواهم وإصلاح حالهم بطرق لا يستطيع غيره أن يحسنها ... فالمسرح يستطيع أن يؤدى من الخير للأمة مالا تستطيع المدرسة أن تؤديه ... ولتكن هذه المدرسة أية المدارس شئت ... ورب درامة تشير من بعيد إلى أحد الأمراض السرية ، تقى الناس من تعريض أنفسهم لهذا المرض ، فتنجو الأمة من شروره ، وتوفر على كلية الطب جهوداً تستطيع أن تصرفها إلى ميادين أخرى

ورب درامة تؤدى لأمن هذه البلاد وسلامها مالا تستطيع مائة كاملة من دور البوليس أن تؤديه ؛ لأن الدرامة تعالج الجرائم قبل وقوعها ، فإما أن تمتنع امتناعاً تاماً فلا يقع منها شىء ، وإما أن يقع العدد القليل منها فى صور مخففة . أما دور البوليس ومحاكم القضاء فتعالج الجرائم بعد وقوعها ، ثم هى تعالجها علاجاً سلبياً قد ينتهي إلى شرور مضاعفة تزيد فى متاعب الأمة وتعقد أمورها تعقيداً شديداً

ورب درامة ترفع من مستوى الأمة الصحى بما لا تستطيعه تلك المئات من المكاتب الصحية المنتشرة فى البلاد ، وذلك بما توحى به من العناية بالنظافة وإنقاذ الطبقات من عاداتها المستهجنة

ورب درامة تبث من روح الجندية والاستبسال الوطنى أضعاف ما تستطيعه تلك الأناشيد البيضانية التى يرددها الجنود ترديداً أصم دون أن يفقهوا لها معنى

ومن المؤلم حقاً أن نورد هذه البراهين التى هى بالموضوعات الإنسانية أخلق لكى نقنع أنفسنا بقيمة المسرح ... ولكن ما الحيلة وقد أشرنا فى كلمة قديمة إلى انحطاط المستوى الثقافى بين رجال المسرح المصرى ، وما ينتهى إليه انحطاط هذا المستوى الثقافى من انحطاط الممثل فى أخلاقه وسلوكه وعدم تقديره لمكانته أو انخداعه فى تقدير تلك الملكات ، وما يؤدى ذلك إليه من زراية الناس به وإزرائهم عليه وهوانه عندهم ، وما يصيب المسرح من جراء ذلك من التأخر والانتكاس ، بل الموت والفناء ، فجادلنا بعض الأصدقاء فى حقيقة المسرح ، وأنكروا وجوده على الإطلاق ، وذهبوا فى عدم اعترافهم به إلى أبعد حدود المغالاة . ونحن ما زلنا عند ما أثنينا به على الكثيرين من القائمين بأمر المسرح المصرى ، لأننا نعدهم أبطالاً شهداء استطاعوا أن يقفوا فى تيار الزراية بهم حتى فتحوا أعيننا على حقيقة المسرح ، وما ينبغى له من عناية وإصلاح ... أو تجديد كامل إن اقتضى الأمر التجديد الكامل ، لأن هذا لا يضيرهم فى شىء ، ما دامت الدولة ستعرف لهم سابقة الفضل وأولوية الجهاد ، والبدء بالتضحية التى بخلت بها العائلات المحافظة فضنت بأبنائها وبناتها على المسرح الناشئ جهلاً منها وعدم عرفان بقيمته ، وإن خرج بعض الشباب من أبناء أرق الأسرات المصرية على هذا التقليد ، فأقدموا إقدام الأبطال على الاحتراف المسرحى ، فأعلوا من قدر المسرح ، وارتفع بهم شأن التمثيل

ولقد عرضنا على القراء فى كلمات سابقة بعض الخطوات التى خطاها المسرح فى عدد من الممالك الأوربية بين الحرب الكبرى والحرب العالمية الحاضرة ، وكان عرضنا لها بقصد الانتفاع بها فى تجديد المسرح المصرى ، وإقامة دعائمه على ضوء التجارب التى نضج بها المسرح الأوربى حتى نوفر على أنفسنا مشقة الوقوع فى أخطاء لا داعى للوقوع فيها ما دام فى مستطاعنا أن نهتدى بما تم من ذلك فى الممالك الأخرى . وقد اتفقت

الآراء على وجوب إنشاء أكثر من معهد واحد للتمثيل لتخريج الممثل المثقف الذى يجيد لغة أجنبية واحدة على الأقل ، والذى له نصيبه من الثقافة العامة التى ينبغى ألا تقل عن القدر الذى يتم به الطالب علومه الثانوية ، يضاف إلى ذلك ما يلقاه فى المعهد من تاريخ المسرح وفن الإلقاء ، وما يمارسه فيه من أداء عدد من (الأدوار) فى مختلف العصور المسرحية ، ومن مختلف أنواع الدرامة ، إلى ما يحسن أن يعرفه أو يتقنه من أصول الموسيقا والإنشاد وما إلى ذلك مما لا تكمل ثقافة الممثل إلا به ، وماينبغى له من الرياضة البدنية والتمرن على إطلاق النار والمبارزة مما تتم به مرونة الجسم ويتفادى به ذلك الاستكراش والترهل الذى يعيب جسوم الكثيرين من ممثلينا

ولا يُعقل أن ننتظر حتى تنشئ وزارة المعارف معاهد التمثيل هذه ، وحتى يتخرج الممثل المثقف الذى نريده لنهضتنا المسرحية لا يعقل أن ننتظر حتى يتم ذلك وغيره لتشيد مسرحنا الجديد ... بل ينبغى على وزارة المعارف أن تسارع فتنشئ اتحاداً للممثلين الحاضرين - ولنسمِّهم القُدامى مع تقديم اعتذارنا - على أن تقدم لهذا الاتحاد داراً فخمة تصلح أن تكون نادياً لهم ، كما تصلح أن تكون معهداً تلقى عليهم فيه محاضرات منظمة فى كل ماله علاقة بفنهم وكل ما من شأنه أن يضمن لهم قدراً من الثقافة التى حرم أكثرهم منها - وفى مصر والله الحمد عدد لا بأس به من رجال المسرح المثقفين ثقافة عالية يستطيعون أن ينظموا هذه المحاضرات ، أو الدروس ، وأن يلقوها على فترات متقاربة مقابل مكافئات طيبة ، (ويجب أن تكون طيبة !) ... ولا بأس مطلقاً ، من سبيل التشجيع للمثلين على الاهتمام بتلك المحاضرات ، أن يعقد لهم امتحانات بعد مدة معينة ، فمن جازها منهم منح شهادة فنية تحميه فى المستقبل من كبرياء الخريجين الجدد فى معاهد التمثيل ، حتى يقف معهم حين يجد الجد على قدم المساواة ، وبذلك لا تقع الدولة فيما وقعت فيه من قبل مع المحامين الذين لم لم يحصلوا على شهادة الحقوق القديمة والذين حصلوا عليها ، ثم مع المدرسين الذين لا يحملون مؤهلات فنية والمدرسين الذين يحملون هذه المؤهلات

ولا محيص أيضاً من تشجيع الإقبال على معاهد التمثيل بربط درجات فى ميزانية الدولة لخريجى هذه المعاهد ، ولا بد من أن تكون تلك الدرجات مساوية على الأقل لدرجات الشهادات العالية ، على أن ينال الممثلون القدامى ممن منحوا الشهادات الفنية الحق فى التمتع بتلك الدرجات وعلى أن يمتازوا أيضاً بفرق الأقدمية تكريماً لهم وتعويضاً عن جهادهم الشاق الطويل

ولا يحق لوزارة الشئون أن تعتبر المسارح منشئات تجارية تدر الربح ، بل يجب أن تعتبرها مدارس شعبية ينفق عليها وتربط لها الميزانيات الضخمة كما تنفق وزارة المعارف على التعليم الإلزامي والتعليم الأولى ، وكما تساهم فى نفقات التعليم العام والتعليم العالى بأكثر مما يدفعه الطالب وبأضعافه فى بعض كليات الجامعة ... مما يبلغ اللايين الضخمة سنوياً ... يجب أن تتناول وزارة الشئون مسئلة المسرح على هذا النحو من الوجهة الاقتصادية ، ولتذكر أن دولة أثينا القديمة كانت تعتبر المسرح هو المدرسة الشعبية العامة ، وكانت تخفض أجرة الدخول إلى الحد الذى لا يرهق أحداً حتى أفقر أفراد الشعب ، إذ كانت تلك الأجرة لا تتجاوز ثلاثة أوبولات أى ما يساوى قرشين تقريباً ، وكان من حق العمال جميعاً أن يأخذوا من خزانة الدولة هذه الأجرة على ضآلتها ، وذلك لكى يتسنى لهم شهود درامات آلهة المسرح الإغريقى العتيد من أمثال : سخيلوس وسوفوكليس ويوريبيدز وأرسطوفان . وكان بركليس يباهى بذلك قائلاً : « إننا هنا ، وبتلك الوسيلة ، نستطيع أن نخلق شعبنا على المثال الذى نريد ! » ومن رأينا أن نحتذى حذو أثينا ونقتدى بما كانت تصنع ، فنخفض أجور المسارح إلى الحد الأدنى ، على أن يكون للعمال حق الدخول مجاناً أو بنصف الثمن أما من أين توفر الدولة ما يقتضيه ذلك من الأموال الضخمة فأمامها بلديات المدن المصرية جميعاً . لتفرض على ميزانيات تلك البلديات دفع إعانات خاصة ، وعلى حسب مقدرة كل منها ، لتشجيع المسرح ، ولنتخذ من ألمانيا قبل الحرب الحاضرة مثالاً نحتذيه ، فلقد ذكرنا فى مقالاتنا السابقة أن بلدية كولونيا كانت تعين مسرحها المحلى بخمسة وعشرين ألفاً من الجنيهات سنوياً ، وأن قرية تورن كانت تعين مسرحها المحلى المتواضع بألف من الجنيهات سنوياً ، وقس على ذلك جميع المدن والقرى الألمانية ؛

فإذا ساهمت بلديات المدن المصرية بمبلغ إجبارى تدفعه سنوياً لوزارة الشئون لتوفر لديها مبلغ ضخم يربى على الملايين يفعل الأعاجيب فى نهضتنا المسرحية ، إذ تسدد منه جميع النفقات ، كما تضمن للمثلين علاوات كبيرة ، وللمجيدين منهم منحاً عالية وبـمنها فى الوقت نفسه أن تجزى المترجمين الذين ينقلون الدرامات الأجنبية إلى العربية ، ثم المؤلفين المصريين والمؤلفين العرب الذين يمدون المسرح بثمار قرائحهم ، عاملين جهدهم على خلق الدرامة المصرية أو العربية وسلكها فى الأدب العربى الذى لا يعرفها ... ولتذكر وزارة الشئون بهذه المناسبة - مناسبة المؤلفين - أن حكومة أثينا كانت تعقد الباريات بين المؤلفين اليونانين فى العصر القديم - القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد - وأنها كانت تجزى الفائزين بمكافآت سخية تربى الواحدة منها على المائتين من الجنيهات عداً ونقداً

وقد يلاحظ بعضهم أن ما نقترحه هنا يدور كله عن المسرح الحكومى ، وإننا لم نُشر إلى وجوب وجود المسرح الحر الذى تنطلق فى جوه الحرية بأوسع معانيها ... ونحن بالطبع لم نغفل ذكر هذا المسرح إلا ونحن نمهد هذا الإغفال الآن ، حتى يكثر عدد خريجى معاهد التمثيل ، وحتى تأخذ القاعدة الاقتصادية الخاصة بالعرض والطلب مجراها ، فتضيق المسارح الحكومية بالخريجين وتوجد الفرصة بالضرورة لقيام المسرح الحر على مثال الـ Théatre Libre فى فرنسا والـ Freie Bühne فى ألمانيا والنمسا والمسرح الحر الإنجليزى بكل أنواعه ، ثم تنشأ المنافسة البريئة بين المسرحين على أن تكون منافسة ترعاها الحكومة وتتولاها حتى لا تنتهى إلى ما انتهت إليه فى أوربا من قيام المسرح التجارى الذى ينحط بجمهوره ولا يحاول الارتفاع به ، لأن أقصى ما يعنيه هو الربح والربح وحده - ويستطيع المسرح الحر حين يقوم أن يعتمد على موارد ثابتة وموارد متقلبة يفطى بها نفقاته ويضمن لأصحابه أرباحاً ضخمة يسيل لها لعاب أصحاب رؤوس الأموال . أما الموارد الثابتة فتتألف من الإعانات الحكومية ومن اشتراكات أعضاء المسرح المحليين ، وذلك على نحو ما كان حاصلاً فى ألمانيا قبل الحرب الحاضرة وقبل قيام الحكم النازى على وجه التحقيق . وينبغى ألا تكون الإعانات الحكومية هبة تمنح فى كثير من التردد والمن ، بل يجب أن تكون شيئاً مقرراً لا تملك الحكومة رفض صرفه أو قطعه لغير أسباب لها وجاهتها ، كما يجب أن تكون هذه الإعانات ضماناً لحسن سير العمل بالمسارح فى أول الأمر ، فلا يتحكم المديرون فى الممثلين ولا ينصبوا من أنفسهم طغاة عليهم ...

أما نظام الاشتراك المسرحى الذى يجب أن يأخذ به مسرحنا الحر عن المسرح الألمانى ، فهو نظام عتيد يضمن للمسرح إيراداً ضخما يتجدد من اشتراكات ضئيلة لا ترهق الأفراد ، فلقد ذكرنا أن أحد مسرحى برلين يضم أعضاء من العمال يبلغ عددهم ستين ألفاً يدفعون ستين ألفاً من الجنيهات سنوياً - أى أن العضو يدفع جنيهاً سنوياً على أقساط - مقابل شهود أربعين رواية فى كل موسم تمثيلى ، ومقابل امتيازات أخرى عالية منها حضور محاضرات ثقافية منظمة والحصول على مجلة شهرية تعنى بأمور كثيرة أهمها المسرح والرياضة . ونحن نستطيع أن نُعدل فى نظام الاشتراك المسرحى ما نشاء بحيث نبق على روحه لينفع مسرحنا الحر من الوجهة الاقتصادية . أما الموارد المتقلبة فأهمها (إيراد الشباك) والإعلانات التجارية التى نشهد منها نماذج فى دور الصور بالقاهرة اليوم ، وهى تدر أرباحاً لا بأس بها تضيف إلى إيراد المسرح .

(يتبع) دريني خشبة

إيضاح أخير

للدكتور محمد مندور

الحنية :

قلت إننى لا أحب اللجاجة فكيف إذا انقلبت مزيجاً من المهاترة والمغالطة . وهاهو الأستاذ سيد قطب يعود إلى « مزاجى » الخاص فيدعى أن آثر شخصية لدى من شخصيات القصص التى حللتها فى سلسلة « النماذج البشرية » بالثقافة ، هي شخصية « فيلستيه » للكاتب الفرنسى « فلوبير » ، وذلك لما بها من « حنية » كما يقول

ولكننى لم أوثر شخصية على أخرى إلا أن مريد الأستاذ قطب حملى على ذلك الإيثار . و « فلستيه » بعد ليست النموذج الوحيد الذى تحدثت عنه ، فثمت « فاوست » يمثل الإقبال على الحياة والنهم إلى المعرفة عن سبيل المغامرات ؛ و « دون كيشوت » الساخر من الحياة ، المجالد للشر رغم إيمانه ببطلان جهاده . و « هملت » العقل النافذ نفاذاً يشل الإرادة . و « جوليان سوريل » الثائر على مواضعات الحياة الاجتماعية . و « السست » الناقم على البشر انحلال أخلاقهم . و « فيجارد » المنتقم من الحياة بالسخرية . و « إبراهيم الكاتب » الذى تملق بالحياة حتى مجها و « جفروش » الطفل الباسم عن جسارة قلب وغيرهم ممن لا صلة لهم « بالحنية » والمزاج الخاص

لقد حللت هذه النماذج مظهراً ما فيها وهى عندى سواء ، فلا محل إذن لمغالطة الأستاذ قطب وإصراره على زعمه أنى لا أوثر إلا لوناً واحداً من الإحساس

ويأبى الأستاذ قطب إلا أن يضيف إلى المغالطة المهاترة بحيث لا أرى بدأ من أن تكون هذه الكلمة آخر حديث لى فى هذا الموضوع :

يرى الأستاذ قطب أن نوع الإحساس الذى أوثره فى زعمه خاص بالنساء وبذوى الأمزجة الخاصة . وأنا لا يرهبنى أن يكون إحساسى على هذا النحو ، ويعصمنى من تلك الرهبة جهل نفضته عن نفسى وبربرية لا يزال يسدر فيها الفطريون من الناس

لقد سمع الأستاذ قطب أستاذه العقاد يكتب مقالات يثبت فيها أن المرأة غير رجل ، وأن بينهما اختلافاً سحيقاً فى الطبيعة .؛ وسمع الغفل من الرجال يزدرون المرأة ويعتبرونها مسبة أن يشبه الرجل المرأة فى شىء ، فلم ير سبيلاً للمهاترة خيراً من أن يرد إحساسى إلى المرأة وإلى ذوى الأمزجة الخاصة

وأنا أحب أن يعلم الأستاذ قطب ، وأن ينقل إلى الأستاذ الكبير العقاد أن الحياة البشرية ليست من البساطة بحيث يظنان ؛ وليس بصحيح أن بين الرجل والمرأة اختلافاً فى الطبيعة . وقديماً زعم اليونان — وزعمهم الحق — أن الآلهة عند خلقها للبشر لم تخلق الرجل والمرأة دفعة واحدة ، بل خلقت أعضاء مختلفة ثم جمعت بين تلك الأعضاء لتسوى الرجل والمرأة ، وهى لسوء الحظ أو حسنه لم تحرص على نقاء الرجل من عنصر المرأة أو نقاء المرأة من عنصر الرجل . ولهذه الخرافة الرمزية دلالتها ، فليست هناك امرأة كاملة الأنوثة ، وليس هناك رجل كامل الرجولة ، ومن يدعى غير ذلك إنما يصدر عن عقل باطن أمرضته سخافات العقلية الاجتماعية التى نحيا بينها

واليونان لا ريب كانوا فى خرافتهم هذه أنبه منى ومن العقاد ، وطبعاً من الأستاذ قطب . وإنه لمن الحمق أن نحاول تنقص الرجل برد إحدى أحاسيسه إلى المرأة ، والشعوب المتحضرة ترى على العكس من ذلك أن فى إحساس الرجل كالمرأة موضع فخار لكبار رجال الفن والأدب . ولعل الأستاذ قطب قد سمع من العقاد أن رينان قد وصف بأعظم الصفات كفنان عند ما قيل عنه «أنه كان يفكر كرجل ، ويحس كامرأة ، ويتصرف كطفل»

الفتات

وأما فتات الحياة « التى يعرف كبار الأدباء كيف يلتقطونها بأنامل ورعة » فالظاهر أن الأستاذ قطب لم يدرك ما أردته منها . وها أنا أبسط القول . والأستاذ قطب لا بد قد فهم عن الأستاذ الكبير العقاد أن كل فن اختيار للتفاصيل الدالة . فالمصور يختار من الألوان والأضواء وتفاصيل المنظر أقدر الجزئيات على الإيحاء ، وكلما سما الفنان فى فنه ورهف فى وسائله عرف كيف يختار تلك الجزئيات الصغيرة ، وليس ثمت علاقة بين « فتات الحياة » التى يختارها « وضخامة الإحساس » الذى يريد أن يثيره ، فالإحساس من الواجب طبعاً أن يكون قوياً ؛ وموضع الإعجاز هو أن يثير الفنان هذا الإحساس القوى «بالفتات» التى لن يدركها الأستاذ قطب ؛ بل أن جميع المثقفين فى حقائق الفن والأدب ليعلمون لخبرتهم الطويلة بكافة الفنون فى العالم

المتمدين أن إثارة الإحساسات القوية لا يمكن أن تكون بغير فتات الحياة الأليفة الوثيقة الصلة بالبشر؛ وأما الطنطنة وأما تضخيم التوافه وأما مجيج الألفاظ وأما التبجح بالقوة الجوفاء فهذه وسائل العجز والادعاء والجهل

أضرب الأستاذ قطب مثلاً بسيطاً أختاره من السما لنبعد عن الأدب العسير الفهم

فى أحد الأفلام أراد مؤلف القصة أن يحمل المشاهدين على إدراك ضيق بطل الرواية لطول انتظاره أمراً يهمه فلم ينطقه بخطبة، ولم يعبث بملامحه، ولم يحمله على تمزيق ملابسه أو شد شعره، ولا حمله على الصياح فى أجواز الفضاء، بل عرض على الشاشة بطننا وأمامه منفضة سجاير خالية، ثم غير المنظر وعرض الرجل فى نفس الجلسة، وأمامه المنفضة وقد امتلأت بأعقاب السجاير حتى فاضت. هذه المنفضة المليئة بأعقاب السجاير لا شك من فتات الحياة بل من هيناتها، ولكن أو ما يرى الأستاذ قطب أنها وسيلة قوية من وسائل الأداء، وأنها قد حملتنا على إدراك نفسية البطل إدراكاً لن تبلغه قصيدة طويلة من قصائد الأستاذ قطب أو قصائد غيره؟

هذه هى «فتات الحياة» التى يجب أن نعرف قدرها فى الفن؛ ولكننا قوم فطريون نظن الفن ألواناً فاقعة وضجيجاً خاوياً. نعم يا أستاذ قطب أنا أوثر «الأطياف الباهتة» لأنها نسيج كل فن رفيع؛ وأما «الأطياف الزاهية» فلا تسر غير البدائيين من الناس. أو لا ترى إلى زنوج أفريقيا كيف يستهويهم الأحمر القانى والأصفر الكركم؟

وأعود فأكرر أننا فى سبيل الحديث عن طرق الأداء فى الفن؛ وأما قوة الإحساس المثار فلا دخل له بالفتات إلا أن تكون هذه الفتات مبعث ذلك الإحساس القوى

وأما أننى أستطيع أن أستقل بالشاعر الضخمة وبالفحولة والجهارة أو لا أستطيع فهذه دعوى لا أحب أن أناقشها لأنها صغيرة، ولسنا فى مجال مبارزة أتحدر إليها ورحم الله من قال: «أسرع الناس إلى القتال أقلهم حياء من الفرار». ونحن نناقش مسائل فنية يدور حولها الأستاذ قطب. يدور من الخارج.

مختارات الأستاذ قطب

قلت: إننى أحب المتنبى وأرى فيه شاعراً كبيراً ويأبى الأستاذ قطب إلا أن يقول ويكرر أننى لا أحبه؛ وهو يقرن العقاد إلى المتنبى، وفى هذا ظلم المتنبى وللعقاد، فالمتنبى شاعر والعقاد لا شأن له بالشعر، ولا أدل على ذلك من مختارات الأستاذ قطب نفسها

لقد أتى الأستاذ قطب بنموذج للنثر المصرى الجيد رثاء أحد الشبان لأمه؛ والشاب صاحب الرثاء هو الأستاذ قطب نفسه؛ واحتجاج الإنسان بنثره الخاص شيء سمج؛ وأمعن فى السماجة أن يتحدث المرء عن نفسه فى مناقشة الغير فيدعى أن فى نثره «معانى كبيرة وأحاسيس عميقة» هذا الأسلوب ليس من آداب المناقشة، ولهذا أهمل نثر الأستاذ قطب كله وأترك له مهمة الحديث عن نفسه

وأما مختاراته الشعرية فهى أولاً لشاعر مصرى كبير، وثانياً لشاعر من شعراء الشباب المصريين. فأما شاعر الشباب فهو أيضاً الأستاذ قطب ولهذا أهمله وأهمل شعره لأننى لا أطيق هذه الصفاقة، ثم أننى لا أرى من اللياقة أن أناقش أشعار التلميذ بينما لدى أشعار الأستاذ نفسه، لدى أشعار الشاعر المصرى الكبير العقاد فالشعر له والأستاذ قطب فى ركابه

ولنأخذ من الصور الشعرية التى أوردها الأستاذ قطب للشاعر الكبير العقاد قصيدته «الكون جميل» (الرسالة عدد ٥٢٠). قال الشاعر:

صفحة الجو على الزر	قاء كالخد الصقيل
لمة الشمس كمين	لمت نحو خليـــل
رجفة الزهر كجسم	هزه الشوق الدخيل
حيث يمت مروج	وعلى البعد نخيل
قل ولا تحفل بشيء	إنما الكون جميل

وقال الأستاذ قطب معلقاً على جمال هذه الأبيات أن فيها ألفة وأنه يكاد يلمح الشاعر «متسع الحدق مفغور الفم وهو ينشق بل يلتهم ما فى الطبيعة» وأنا لا أدرى أى ذوق أدبى ذلك الذى يحمل الناقد على تصور الشاعر «متسع الحدق مفغور الفم»، وهل يستطيع القارئ أن يتصور هذه الصورة القبيحة دون أن يملكه الاشمئزاز والضحك. تصور شاعراً مفتوح العينين فاغر الفم. هذه صورة أبله لا صورة شاعر

ثم أين الجمال فى هذه الأبيات؟

يا لله! ما هذه الصفحة؟ أهى السحب؟ أهى الأثير؟ وهل هذه الصفحة غير الزرقاء؟ وهبها كانت غيرها أهى كالخد

من أدب التراجم

الخليل بن أحمـــد

للأستاذ طه الراوى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

كتاب سيبويه من وحى الخليل

الخليل أول من فتق معانى النحو وضبط أصوله ، وبسط فروعه ، واستخرج علله وأسبابه ، ووسع فصوله وأبوابه ، وأوضح سبله ، وعبّد مناهجه حتى بلغ أقصى غاياته ؛ ولكنه ترفع عن التأليف فيه لأنه منهل كثر وراده فأوحى إلى تلميذه وخريجه « سيبويه » من دقائق مسائله وبنات أفكاره وأبكار تصوراته ما جعله حرياً بأن يشار إليه بالبنان ، وجديراً بوضع كتابه المشهور الذى أصبح للنحاة إماماً يقتدون به ويهتدون بهديه ، فمعظم ما فى الكتاب مغترف من سلسال علم الخليل ، ومقتبس من مصباح ذكائه . وكلما قال سيبويه : « سألته » أو « قال » من غير أن يذكر أحداً فإنه يعنى « الخليل »

كتاب العين أو « أبو المعاجم كلها »

علمنا أن الخليل قد طالت صحبته لخلص الأعراب وكثرت إقامته بين ظهرانيهم ، ثم إنه كان يحج بين العام والعام ، وكان يقابل فى طريقه إلى مكة فصحاء العرب وأقطاب بلغائهم فاجتمع لديه كثير من مفردات اللغة وفرائد دررها ، فعزم على جمع ذلك فى كتاب لم يسبق إلى مثله ، فرسم الخطة ورتب الأبواب على طريقة ابتدعها ، وأسلوب لم يسبق إليه ، وكان قد افتتحه بحرف العين فسماه (كتاب العين) على عادة الكتاب فى ذلك العصر ، فإنهم يسمون الكتاب بأول أبوابه ككتاب الجيم وكتاب الميم وكتاب الغين وكتاب الحماسة وغيرها . وهذا الكتاب أول كتاب ألف فى متن اللغة مرتباً على الحروف جمع فيه الخليل ١٢٫٣٠٥٫٤١٢ كلمة ، بعضها مستعمل وأكثرها مهمل . والذى حدا به لذكر المهمل استيفاء التقاسيم العقلية لكل كلمة ، فمثلاً كلمة (كتب) يحتمل فى الكاف الفتح والضم والكسر ويحتمل فى التاء الحركات الثلاث والسكون وثلاث فى أربع اثنتا عشرة صورة فيذكر الاثنتى عشرة صورة ويقول هذه الصورة مستعملة لمعنى كذا ، وهذه الصورة لم تستعملها العرب .

هذا الفضاء الرحب ، الفضاء المترامى الذى تسبح فيه الروح فلا تنتهي إلى غاية . هذا الفضاء خد . وكيف نصقل الأثير ، الأثير اللين الشفاف الخفيف ؟

لمة الشمس كعين لمعت نحو خليل

هل يرى القارئ عين الحبيب وهى تلمع نحو الخليل فتشبه لمة الشمس ؟ لا بد أنها عين حمراء تقدح الشرر وترسل اللهيب

رجفة الزهر لجسم هزه الشوق الدخيل

أنا أعلم أن الدخيل معناه الطفيلى فما هذا الشوق الطفيلى ؟ أهو الشوق الداخلى ؟ وهل ترى الجسم يهتز كرجفة الزهر ؟ لو أن الهزة كانت فى القلب لقلت شاعر يشارك الطبيعة باحساسها ولكنه الجسم كله . يخيل إلى أننى أرى فيلاً يهتز بجوار وردة تمايل على غصنها

حيث يممت مروج وعلى البعد نخيل

مروج ونخيل لا تخصيص فيها ولا اختيار . أين الفن فى يممت نحو المروج وعلى البعد نخيل . هذا نثر لا روح فيه

وأما غاية العجب فتأخذك من قوله :

قل ولا تحفل بشىء إنما الكون جميل

تسمع قل ولا تحفل بشيء ، فتتنبه حواسك ، ويستيقظ إحساسك ، ويصحو عقلك لهذا التحدى القوى وتلك الشجاعة النادرة ، وتحسب أن الشاعر سيخرج على قانون من قوانين الوجود أو على حقيقة من الحقائق الإنسانية الثابتة ، ثم تنظر فإذا به لا يأتيك بغير هذه الجملة المبتذلة « إنما الكون جميل » . وأنت تتساءل عن سر هذا القصر وذلك التأكيد فلا تهتدى إلى شيء .

هذا هو شعر الشاعر الكبير فما بالك بشعر الشاعر الصغير ؟

محمد مندور

وقد جمع الخليل فى كتابه هذا من غرر الشواهد ، ونوادر الفوائد ، وضروب الحصر ، ورصين القواعد ، وجليل المسائل ما يعز وجوده فى معجم غيره . على أنه تضاربت آراء العلماء فى نسبة هذا الكتاب إلى الخليل أو إلى بعض تلاميذه أو إلى الليث . وقد ألف ابن درستويه كتاباً خاصاً فى شرح هذا الخلاف واستقصى الجلال السيوطى فى المزهر جميع ما دار فى هذا الموضوع من أقوال . ولكن نحن لا نرتاب فى أن الخليل هو الذى رسم خطط هذا الكتاب ورتب أبوابه ووضع حجر الزاوية بيده ، أما أن غيره أكمله وزاد فيه فذاك أمر محتمل ، ولكنه لا يدفع الخليل عن كونه المجلّى فى هذه الحلبة وأنه أول واضع لمعاجم اللغة مرتبة على حروف المعجم ، وأن من جاء من بعده إنما اقتبس من مصباحه واهتدى بمناره . ولم يزل جمهور الأدباء وأرباب البحث لهذا العهد يظنون أن هذا المعجم الجليل اغتالته أيدى الأيام فيما اغتالت من نفائس الأسفار وجليل الآثار ، ولكن من يمن الطالع أن عثر على نسخ منه أحد أدباء الحاضرة الهاشمية ، فسعى البحاثة المشهور صاحب (لغة العرب) بمقابلة تلك النسخ وتصحيحها باذلاً الجهد فى تحرى الصواب على عادته ، ثم شرع فى طبعه ولكن بعد أن أنجز منه بضع كراريس حالت الحال ، وعرضت دون ذلك أهوال . ولا ندرى هل بقى لتلك النسخ من أثر بعد أن تفرقت كتب الرجل أيدى سبا ومزقت كل ممزق ؟

جرى كل ذلك قبل نحو بضع وعشرين سنة

وقد سلك الخليل فى ترتيب حروف الهجاء مسلكا لم يسبق إليه، ذلك أنه رتبها حسب المخارج مع تغيير طفيف فجاءت على هذا الوجه : ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ى

قال الخليل : لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالألف لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة ، ولا فى اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الحيز الثانى وفيه العين والحاء فوجدت أنصع الحرفين فابتدأت بها ليكون أحسن فى التأليف . اهـ

هل كان الخليل يقرض الشعر ؟

قالوا : كان ينظم البيتين والثلاثة كما سيأتى . وروى الإثبات أنه سئل لماذا لا تقرض الشعر مع سعة علمك بالعربية وتبحرك فى علومها ؟ قال : « يأبانى جيده وآبى رديئه » وهذا الجواب على إيجازه غاية فى البلاغة وآية فى الحكمة وحصافة الرأى

مؤلفاته

للخليل مؤلفات أبدع فيها أيما إبداع ولم يحتذ فى تأليفها وتبويبها حذو من سبقه من أهل العلم . والذى يجيل النظر فى سيرة هذا الرجل يتبين له أنه كان يربأ عن سلوك المناهج المعبدة فى كل ما يكتب ويصنف ، ولذلك كان يسلك فى التأليف طرقاً خاصة يؤم فيها الناس ولا يأتم بأحد . فمن تصانيفه :

١ — كتاب العين . وقد مرّ بك بعض أوصافه

٢ — فائت العين

٣ — كتاب الإيقاع . وهو فى الموسيقا العربية ويظهر من مراجعة فهارس المؤلفات فى هذا الباب أن الخليل يعتبر مجلى الحلبة فى هذا المضمار

٤ — كتاب النغم . وهو فى الموسيقا العربية

٥ — كتاب الجمل

٦ — كتاب الشواهد

٧ — كتاب العروض

٨ — النقط والشكل وقد أشرنا إليه آنفاً . وذكر الفاضل جورجى زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ما نصه : « فى المكاتب الكبرى فى أوربا مما ينسب إلى الخليل

١ — كتاب فى معنى الحروف فى مكتبة ليدن ومكتبة برلين

٢ — « شرح حروف الخليل فى مكتبة برلين قطعة منه

٣ — « جملة آلات العرب فى مكتبة أياصوفيا فى الآستانة

٤ — قطعة من كلام عن أصل العقل فى مكتبة اكسفورد (بودليان) ... »

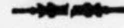
زهده وورعه

كان الخليل من أولئك الفلاسفة الذين نظروا إلى هذا العالم نظر الازدراء ، ولم تخدعهم بهرجته ، ولا غرتهم زخارفه . أجل كان الخليل أحد زهاد الدنيا المتبتلين إلى الله تبتيلاً . ومن أنصع البراهين على ذلك أن أمير الأهواز « سليمان بن على » أرسل إليه يلتمس منه الشخوص ليقيم بحضرته ويؤدب أولاده فأخرج

كتب التراجم

بمناسبة كتاب روزفلت (*)

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن



قد تستهوى الإنسانَ سيرة عظيم من العظماء ، أو أديب من الأدباء ، أو عالم له فى ميدان البحث العلمى مجال ، أو مغامر له فى الكشف مصاولة ، فيقرأ عنه ويتتبع حياته ، ويجد فى مثله العالى ما يستحق العرض والتجلية . ثم يحمله الإعجاب به والاتصال به - من قريب أو بعيد - على الكتابة عنه والترجمة له ووصف الظروف التى كونته ، والأقدار التى أحاطت به ، والأحداث التى ألمت بعصره ، والمبادئ التى تحدرت عنه

وقد يكون ذلك العظيم - موضوع الترجمة - شرقياً فيجد الكاتب الشرقى فخراً فى الكتابة عنه والترجمة له ، مدفوعاً إلى ذلك بعامل الاشتراك فى الجنس أو اللغة أو الدين . ويجد الكاتب الغربى فى الترجمة له إنصافاً لعظمته وإظهاراً لفضله . وقد يكون ذلك العظيم غربياً فيجد الكاتب الشرقى لذة وفائدة لبلاده ومعرضاً لعرض المثل الصالح والأسوة الحسنة

وكتابة التراجم المطولة ، والدراسات الشخصية المعتدلة المنصفة لا تتقيد بوطن ولا جنس ، ولا شرق ولا غرب ، ولا دين ولا مذهب

فأميل درمنجهم كتب عن حياة النبى محمد ، وأميل لدويج كتب عن حياة المسيح ، وفيليب جوادالا كتب عن حياة نابليون الثالث ، وماريوس أندريه كتب عن حياة خريستوف كولمب ومغامراته فوق أثباج المحيط ، والسير والتر سكوت كتب عن حياة نابليون بونابرت ، وتوماس كارليل الإنجليزى ترجم لفردريك شيلر الشاعر الألمانى ، وآرم سترونج كتب عن الذئب الأطلس أتاتورك ، وكرابيتس كتب عن ابراهيم باشا واسماعيل باشا المصريين

لهذا ليس عجيباً فى باب التراجم أن يكتب مصرى عن غير مصرى ، أو يترجم عربى لحياة غير عربى كما صنع الدكتور

(*) كتاب روزفلت للأستاذ فؤاد صروف طبع مطبعة المعارف

الخليل للرسول خبزاً يابساً وقال : كل فما عندى غيره . وما دمت أجده فلا حاجة بى إلى سليمان . فقال الرسول : فماذا أبلغه ؟ فقال له :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة ... وفى غنى غير أنى لست ذا مال
شحاً بنفسى أنى لا أرى أحداً ... يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر فى النفس لا فى المال نعرفه
ومثل ذاك الغنى فى النفس لا المال

وكان سفيان بن عيينة يقول : من أحب أن ينظر إلى رجل من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل . وقال تلميذه النضر ابن شميل أقام الخليل فى خص بالبصرة لا يقدر على فلسين وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال الطائلة

ومن أوابد حكمه :

وقبلك داوى المريض الطبيب ... فعاش المريض ومات الطبيب
فكن مستعداً لدار الفنا ... ء فإن الذى هو آت قريب

وبالجملة فقد كان الخليل إحدى حسنات هذه الأمة وقمراً من أقمارها ، ودرة فى تاج مفاخرها

وفاته

اختلف المؤرخون فى السنة التى انتقل فيها الخليل إلى جوار ربه ، فذهب جمهورهم إلى أنه توفى سنة ١٧٠ هـ . وقال آخرون سنة ١٧٥ هـ وقال بعضهم سنة ١٦٠ هـ وأغرب خطأ وقع فى ذلك هو قول ابن الجوزى فى كتابه شذور العقود أنه مات سنة ١٣٠ هـ وهو منقول عن الواقدى . قال المحقق ابن خلكان أنه خطأ قطعاً والصواب ما أثبتناه أولاً

وكانت وفاته فى البصرة مسقط رأسه فكانت البصرة مشرق هذا الكوكب الوقاد ومغربه . وقد ضمته تربتها إلى من ضمت من أعلام العلم وأقمار الفضل ونجوم الهدى ورجال التقى الذين حلوا الآداب بأنفس الحلى ، ونهضوا بالمعارف الإنسانية إلى مراتب العلا ، فكانوا للعلم جمالاً ، وللتاريخ أبهة وجلالاً ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ولقاهم فى دار رضوانه تحية وسلاماً

(بغداد) طه الراوى

محمد حسين هيكل مع جان جاك روسو ؛ وعبد الرحمن بدوى مع نيتشة واشبنجلر وغيرهما من أعلام الفكر والفلسفة ؛ وحسن محمود مع ديستويفسكى ، وفؤاد صروف مع روزفلت

وقد يقال إن كتاب الأستاذ فؤاد صروف عن فرانكلين روزفلت هو من قبيل السياسة . وهو كلام فيه كثير من الحق . ولكن ما أحوجنا نحن قراء العربية إلى كتب من هذا الطراز فإن الفقر يضرب على مكتبتنا العربية فى هذا الباب لولا ما أخرج العقاد عن سعد زغلول ، وما أخرج عبد الرحمن الرافعى عن الزعيم الوطنى مصطفى كامل ، وما صنعه محمد فريد أبو حديد مع السيد عمر مكرم ، وما كتبه كريم ثابت عن فؤاد الأول

إلا أن هؤلاء استوحوا وطنهم واستمدوا من تاريخ بلادهم وترجوا لأعلام رجالهم ، ولكن فؤاد صروف استشرف إلى ما وراء العباب ، واستكفَّ ما خلف السحاب ، فكتب كتابه الأول عن تشرشل (وقد كتبتُ عنه فى حينه بالرسالة الغراء) وأخرج كتابه الثانى عن روزفلت . ولكن ذلك لا ينقص من شأن كتابه ، بل على الضد من ذلك يرفع من قيمته ويُغلى من بضاعته . لأن حياة روزفلت وسيرته وقصة كفاحه هى شطر من حياة الديمقراطية وقصتها . ومن منا اليوم لم تشغله قضية الديمقراطية ولم تفتنه قصتها ؟ ومن منا لم تذهب نفسه اليوم حسرات على المحنة التى تبتلى الحرية اليوم بها وتصلى بنارها ؟

ولا يرجع إعجاب فؤاد صروف بشخصية روزفلت إلى زمن اشتراك أمريكا فى الحرب ، ولا إلى اندلاع الشرارة الأولى لها حتى يقال إنه حب طارئ وإعجاب عارض ؛ ولكنه حب متمكن وإعجاب قديم دفين يرجع إلى أكثر من عشرين عاماً حين رشح الرئيس روزفلت نفسه لوكالة الجمهورية . فقد تابعه المؤلف منذ ذلك الحين وشغف به وتحمس له وتقصى كل نبأ عنه أو خبر له ، وطوى نفسه على متابعته والقراءة عنه حتى تهيأ له اليوم أن يخرج كتاباً قيماً فى مائتين وأربعين صفحة من القطع الكبير

ولقد كانت تجرى كتابة التراجم فى اللغة العربية على نسق محدَّث ممل يعنى بالسرد والقص والحكاية والجمع والترتيب والتأريخ ولا يعنى بالدراسة والسيكلوجية والتحليل والنظارة العامة أو المقارنة . وكتب المؤرخ ابن الجوزى عن العمرين (ابن الخطاب وابن عبد العزيز) . وكتاب يوسف بن شداد عن صلاح الدين الأيوبى خير مثال لهذا النسق المتيق

أما اليوم فقد تغيَّر المجرى واستقام النسق وتأثر كتاب العربية بكتاب الفرنجة فى هذا الباب ، وأخذوا عنهم طرق الدرس ومناهج البحث ، وظفرت المكتبة العربية بما كتب هيكل عن النبى محمد وأبى بكر ، وبما كتب العقاد عنهما وعن عمر وسعد زغلول ، وبما كتب الرافعى عن مصطفى كامل ؛ وفؤاد صروف عن روزفلت

وكتابة التراجم لها فى الآداب الأوربية اعتبار أى اعتبار ، ولا يكاد يخلو إنتاج أديب ملحوظ من ترجمة شخصية أعجب بها وتوفر على درسها ، مهما كان لون هذه الشخصية ومزاجها ومجالها الحيوى فى السياسة أو العلم أو الفن . فلويس ديمبيه يكتب عن ديكارت الفيلسوف ، وهنرى بيرو يكتب عن روبسبيير ، وفرانسوا مورياك عن راسين ، ورائول أرنو عن كاميل ديمولان ، وأميل لدويج عن روزفلت

ومن كتب التراجم ما يتحدث فيه المرء عن نفسه ويترجم لذاته . وهذه التراجم غير كتب المذكرات التى يدون فيها رجل ممتاز حوادثه اليومية كذكرات اللورد جراى . وقد تكون هذه التراجم الذاتية قطعاً أدبية ممتازة كترجمة (لى هانت) لنفسه وهو من كتاب الإنجليز فى القرن التاسع عشر ، وترجمة دى كوينسى التى كانت سابقة على كتابه المشهور « اعترافات آكل أفيون » ، وترجمة جيبون المؤرخ الإنجليزى التى حكم لها النقاد بالامتياز فى نوعها وأسلوبها الذى يعد بحق مزية ذلك المؤرخ العظيم

والترجمة للأناس تتطلب فناً غير ترجمة الحيوان الأعجم . لأن ترجمة الناس تقتضى الاختلاط بهم أو السماع عنهم أو القراءة لهم أو رؤية آثارهم . أما الترجمة للحيوان فتقتضى ملاحظة أقوى وجلداً أكثر ، وعلماً أغزر ، وإحساساً أعمق . وتوفر الكثير من هذا فى موريس مترلنك ، فترجم لحياة النحل وحياة النمل

بما لا يتهيأ لكاتب عادى أن يصنعه . ولكن لدويج ترك ترجمة الحيوان إلى ترجمة الذوات ... فكتب عن « النيل » كتابه الذى جسّد فيه هذا النهر الخالد كأنما كان يترجم لإنسان

ولكتابة التراجم سبيلان : سبيل الاتصال الشخصى بالمترجم له والاختلاط به والعمل معه أو تحت ظله وفى ذراه ؛ وسبيل القراءة عن المترجم له وذلك لبعد الزمان بين الكاتب وبينه كما صنع ارفنج ودرمنجهم عن النبى ، أو لبعد المكان كما صنع فؤاد صروف مع روزفلت اليوم

وإذا جمع كاتب التراجم بين قرب الزمان والمكان من المترجم له كان ذلك أقرب إلى الصدق وأدنى إلى الحق ، وخاصة إذا كان الكاتب غير ميال إلى الهوى فى حكمه أو الغرض فى رأيه . ولكن بعد الزمان وحده خير ضمان للاعتدال فى الحكم لبعد الكاتب عن المؤثرات والمغريات

فسيرة ابن شداد عن صلاح الدين هى أقرب السير زماناً ومكاناً من المترجم له . فالمؤلف معاصر لصلاح الدين وقاضى عسكره وناظر أوقاف بيت المقدس فى عهده . وهى سيرة صادقة إلا أن فيها بالطبع بعض الميل

***

جرت عادة القراء أن يبدأوا الكتب من أول فصولها . ولكننى قرأت « روزفلت » من الفصل الثالث . وهو عندى خير فصول هذا الكتاب القيم . فهنا سيرة زكية من النضال والكفاح . هنا قوة تسرى من الكتاب إلى القارئ فتوحى إليه أن الضعف ليس عدة الرجال ولا أداة الأبطال . هنا جسد اصطلح عليه المرض ومشى فيه الشلل ، ولكن عزيمة صاحبه كانت أقوى من أن تخضع للحوادث . هنا سيرة يقرؤها المريض فيصح ، والضعيف فيقوى ، والهيابة النكس فيتقدم

وقد تمد فصول الكتاب الخمسة عقل القارىء بألوان من العلم والسياسة والمعرفة بأحوال العالم الجديد ونظمه ودستوره ومجلسيه التشريعيين وحكومته ونظام اقتصاده ؛ ولكن الفصل الثالث يمد قلب القارئ بالشجاعة ويملؤه بالقوة ويجعله موصول الآمال ، حتى فى الساعات الحرجة واللحظات العصيبة ، لأن الإرادة القوية تغلب كل حرج ؛ وتتحكم فى كل شدة . فهذا الرجل المشلول لا ينطوى على نفسه كمن تقعدهم الأدواء ولكنه طلعة دءوب ، فكيف تصده آفة جسدية عن تحقيق مطامعه القوية ؟

ومزية كتاب « روزفلت » أنه ليس من الأدب المحض وحده أو الفن الصراح وحده ، فليس من نوع النثر الفنى المقصود لذاته ؛ ولكنه فكرة قبل أن يكون كتاباً ، ومعنى قبل أن يكون لفظاً ، فهو طراز عال من كتب السياسة الأدبية التى اتجه إليها الكتاب فى العصر الحديث . فلم يحاول فؤاد صروف فيه أن يكون عالماً فحسب أو سياسياً فحسب أو أديباً فحسب ، ولكنه كان مزيجاً من ذلك كله . فهنا علم بالنظم الأمريكية ، وهنا معرفة بتيارات السياسة الدولية ؛ وهنا إحاطة واسعة بأشتات التاريخ الذى وعاه المؤلف فى صدره ؛ وهنا أدب يتجلى فى تعبير مترسل مستقيم المنطق صحيح التسلسل ؛ وهنا ريشة مصور لا أقول إنها عنيفة ولكنها صادقة ترسم الحدود وتوضح المعالم فى بيان وجلاء

وهو كتاب يذكرنى بكتاب أندريه موروا الفرنسى فى تاريخ انجلترة

محمد عبد الغنى حسن

اليتيم . . .

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

هاضه الوهن وأعياه الألم   وسطا الضعف عليه والسقم

خاشع الأطراف من إعيائه   ما به يقلب كفا أو قدم

متداع جسمه منخذل   لجت الحمى عليه فاضطرم

ساكن الأوصال إلا بصرا   زائغا يطرف حينا ويجم

ابن سبع برح اليتم به   رحمة الله له نضو يتم

كسرت من طرفه مسكنة   لبست هيئته منذ فطم

واحتناه لأم أيم   طوت النفس على خوف وغم

فنضت عنها الثياب السود، لا،   تظنوا جرحها الدامى التأم

بل لدفع الشؤم عن واحدها   يا لقلب الأم إن أشعر هم

وبدت فى البيض من أثوابها   من رأى إحدى حمامات الحرم

عطفت من رحمة تحضنه   إنما دنيا اليتامى حضن أم

ومضت تمسح بالكف على   جبهة رهن اشتعال وضرم

ولقد تندى فتتخضل له   وفرة مثل الظلام المدلهم

نظر الطفل إليها صامتا   وبعينيه حديث وكلم

ليت شعرى ما به ؟ ما يبتغى ؟   أبنفس الطفل سؤل مكتتم

لو أراد النجم لاحتالت له   كل سؤل هين مهما عظم

وحنت تسأل عن طلبته   فرنت عين له وافتر فم

قال : يا أمى ، ألا أين أبى   لم لا يرجع من حيث اعتزم

ناشديه واسأليه رجعة   فلكم يفرح قلبى لو قدم

لا تسل عن جرحها كيف همى   من هنا أو من هنا ينزف دم

ضمت الطفل إليها بيد   وبأخرى مسحت دمعا سجم

عز ما يطلبه واها لها   كيف تأتى برفات ورمم ؟

قلب البؤس على أوجهه   لن ترى كاليتم بؤسا محتكم

ينشأ الطفل ولا ركن له   ركنه من صغر السن انهدم

خائضا فى لجج العيش على   ضعفه ، والعيش بحر محتدم

تائها فى ظلم ما تنتهى   حائرا يخبط فى تلك الظلم

ليس فى الدنيا ولا فى ناسها   فهو يحيا فى وجود كالعدم

أخذ الله بأيدى معشر   كلهم مسباق غايات علم

جعلوا شأن اليتامى همهم   فاليتامى منهم فى معتصم

أدركوا منهم جناحا واهيا   هو لو لم يدركوه لم يقم

رأبوا صدعا إذا أهمل فى   أمة يوما تداعت فى الأمم

أغنية

عودة إلى الوكر

للأديب حسين محمود البشبيشى

ها هنا كنا وكانت أمنيات الحب تسرى

وهنا عينك أجرت فتنة الدنيا بشعرى

ما لعينى اليوم لا تشهد أوكارى وزهرى

أطواها من طوانى ؟ أم ترانى لست أدرى ؟

يا حبيبى عدت للوكر وأحلام الأمانى

مثلما كانت وفى عينيك أسرار الزمان

تسكب الخلد بروحى وفؤادى وبيانى

وتذيب الحب نجوى من معان وأغان

الندى النشوان يهفو فوق زهرى لجمالك

والشعاع السمح يسرى من ضميرى لظلالك

والنشيد العذب يجرى فوق ثغرى لدلالك

وفؤادى زورق بالشوق يسرى لخيالك

ها هنا المحراب يهفو للتصابى والتنادى

هاجه الشوق إلى نجوى فؤاد لفؤاد

وصلاتى لعيون ألهمتنى أن أنادى

يا حبيبى لك روحى وضميرى وفؤادى . . .

أيها الوكر أتنسانى وتنسى ذكرياتى

حين جن الشوق فى قلبى وجنت قبلاتى

وحبيب القلب هل يذكر يا وكر صلاتى

وفنائى بين عينيه كهمس فى فلاة



إلى الدكتور بشر فارس

أخي الأعز الدكتور بشر فارس

لك حق يا أخي في تساؤلك عن هؤلاء النقاد من هم ... ولست أدرى لماذا لم تتول الرسالة الرد وهي التي حذفت فِقَراً من مقالي لتوسّع على مقالات أخرى . . . أضف إلى ذلك اختلافي كل أسبوع مع رئيس العمل بالإدارة من جراء الأخطاء المطبعية التي أخذت تضايقني مضايقة شديدة . وكنت ألح وأنا أراجع مقالاتي بعد صدور المجلة نظرات أمثالك من القراء الحنابلة المحترمين الذين لا يرحمون ، وهي تهزأ بي مرة وترثى لي مرة أخرى ، وأنا والله لا ذنب لي مطلقاً لو فطنت هذه النظرات

أما سؤالك عن ابن المنجّد العبقرى موليير فلم أفهمه على وجهه ... لقد وضعته في ثبت الدراميين فهل هذا خطأ ؟ وهل عفّى الزمان على روائعه الكوميدية الخوالد التي تجعل منه نداً لشيكسبير في المآسي ؟ ...

وما سؤالك عن السيد المحترم مترلنك ؟ هل ظننت أنني نزعته من ثبت الرمزيين إطلاقاً ؟ كلا يا أخي ... فـظلم مقالي منصب على التعبيريين Expressionists الألمان الذين هم أقرب أصحاب المذاهب إلى الرمزيين كما نوهت في المقال الثالث ، ولو أنني قصدت إلى الرمزيين إطلاقاً لما وضعت ـ أو لما حشرت ـ بينهم إبسن زعيم المذهب الواقعي وقد كانت معظم دراماته رمزية ...

وأما السيد Sarcey فلم أكتبه سارس على نحو ما جاء في كلمتك ، وأما تشيكوف فضم تحريفه إلى الخمس عشرة غلطة المطبعية الواردة في صلب المقال نفسه

وأما الكتب التي أعتمد عليها فلن أذكرها لك الآن حتى أنتهي من مقالاتي . وحسبك أن تتفضل بزيارتي لأكسب كنز إخوتك الثمين ، أو تتفضل بزيارة دار الكتب المصرية ومكتبة الجامعة — ثم مكتبتي — لتلمس العناء الشديد الذي نلقاه في كتابة هذه المقالات وهو ما جربته أنت وبلوت منه الشيء الكثير ...

أما الحر الشديد ، وأما المثاقفة ... فلست أدرى كيف نسيت أيامك ببطن خبت ، وكيف ما زلت تحن إلى لقاء الأسود لتقد من ضلوعها عشرات وعشرات ؟

يا أخي الهزبر الأغلب ، إعلم أن الزمان قد تغير ، وأن وسائل الحروب قد تبدلت . وها هي ذي أصوات الطرابيد والقنابل لا تبالي ببطن خبت وسكان بطن خبت ... ولم يعد المحاربون يمتطون ظهور الجياد ولا ظهور البوادي إلا نادراً ، فقد وجدوا ظهور الدبابات أثبت ظهراً من كل ذي ظهر ...

ثم السلام عليك من المشوق إليك .

دريني خشبة

بوق وبوقات

يقول الدكتور زكي مبارك : إن علماء البلاغة قضوا عشرة قرون يخطئون المتنبي في جمعه « بوقاً » على « بوقات » في بيته المشهور .

ثم يقرر أنه انفرد برفع الظلم عنه بجعل بوقات جمعاً لبوقة لا بوق الخ .

وأقول : إنه لا حاجة بالمتنبي الشاعر الثبت الحجة إلى من يرفع الظلم عنه بعد هذه القرون المتطاولة ، لأنه لم يظلم السماع ولا القياس في جمعه هذا (بوقات) ، وإنما ظلم البلاغيون أنفسهم في تخطئته لقلة نصيبهم من اللغة . وأخطأ المدرسون حتى اليوم في السير على هذا الخطأ لأنهم لم يتحرروا من أسر التقليد

أما السماع فقد جاء في مادة (بوق[1]) من المصباح المنير « البوق » بالضم معروف والجمع بوقات وبيقات بالكسر

وأما القياس فقد جاء في مادة (ابن[2]) من المعجم نفسه . قال ابن الأنباري : واعلم أن جمع غير الناس بمنزلة جمع المرأة من الناس . تقول فيه : منزل ومنزلات ومصلى ومصليات .

على الجندى

مثال من نواحي الإغفال

في ترجمة المعري بالجزء الثالث من معجم ياقوت (طبع دار المأمون) إشارة إلى القاضي أبي المجد محمد بن عبيد الله (حفيد

(١) ج — ١ — ص — ١٠٦ (٢) ج — ١ — ص١٠١

أخى المعرى) ورد فيها من حديث الأمير أسامة بن منقذ عنه ، قوله : ... ولما فارق أهله بالمعرة وبقى منفرداً (يعنى فى قلعة شيْزَر التى هاجر إليها بعد دخول الإفرنج المعرة) وكان له غلام اسمه شَمْيا ، قال :

زمانٌ غاض أهلُ الفضل فيه   فسَقْياً للحِمام به ورَعْيا
أسارَى بين أتراكٍ وروم   وفقدُ أحبةٍ وفراقُ شَميا

وقد أشار المصحح فى هامشه إلى كلمة (وفراق) فقال : « فى الأصل ورفاق ، وهو تحريف » ! والرأى عندى فى ذلك أن التحريف هو ما أثبته المصحح لا ما ورد بالأصل . إذ (الرفاق) هنا بمعنى المرافقة وقد اشتُق كلاهما من الفعل (رافق) كما يُشتق الخِطاب والمخاطبة من خاطب . والقاضى هنا يشكو صحبة خادمه شميا ومرافقتَه لا فراقَه

والدليل على ذلك ما قاله الأمير أسامة مستأنفاً حديثه عن القاضى : « ... وقد سبقه إلى هذا المعنى الوزير المغربى ، فإنه لما تغيرت عليه الوزارة وتغرب ، كان معه غلام اسمه داهر فقال :

كفى حزَنَاً أنى مقيم ببلدة   يعللنى بعد الأحبة داهرُ
يحدثنى مما يجمِّع عقلُه   أحاديثَ منها مستقيم وجائر »

فالوزير هنا يشكو صحبة غلامه داهر الذى يرمض نفسه بأحاديثه الجامعة بين الغث والسمين ؛ ومثل ذلك تماماً شكوى القاضى من غلامه شميا

ذلك خطأ وقع فيه المصحح ؛ وقد انجرّ بسببه إلى ارتكاب خطأ آخر أبينه فيما يلى .

قال الأمير أسامة متابعاً حديثه : لما بليت بفرقة الأهل ، كتبت إلى أخى أستطرد بغلامىْ أبى المجد والوزير المغربى ، اللذين ذكراهما فى شعريهما :

أصبحت بعدك ياشقيق النفس فى   بحرٍ من الهم المبرِّح زاخرِ
متفرداً بالهم ، من لىَ ساعةً   برفاق شميا أو عُلالة داهرِ !

فقد قال الأمير مرة أخرى (برفاق) شميا ؛ وكأن المصحح لم يجرؤ هنا على معاودة التغيير ، لما يؤدى إليه من إخلال بالمعنى الذى يقصده الشاعر ، ثم لما قد يوهمه ذلك من ادعائه أن التحريف وقع فى كلام القاضى مرة وفى كلام الأمير أسامة مرة أخرى .

فدفعه كل هذا إلى إبقاء كلمة (رفاق) على حالها ثم التعليق عليها بقوله : يعنى أمثال شميا وداهر ؛ يزعم بهذا أن رفاقاً جمع رفيق بمعنى المثل . وواضح تمام الوضوح وجه الخطأ فى كل ما ذكره .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

« الشاعر الرجيم : بودلير »

كتاب الأستاذ عبد الرحمن صدقى عن بودلير يعد من خير ما كتب عن هذا الشاعر من الدراسات الأدبية . فقد عنى الكاتب بترجمة حياة بودلير ترجمة مفصلة أقام على أساسها كل أحكامه التى قررها عن شعره ، ودرس شخصية بودلير على اعتبار أنها شخصية مركبة جمعت بين الاستهتار والتصوف فى وقت واحد . والواقع أن شخصية بودلير التى حيرت معاصريه وسائر الكتاب الذين تصدوا لتحليل أشعاره ، هى شخصية لا يستعصى أمرها على التحليل النفسى ، وإنما يمكن أن تدرس على ضوء البحوث السيكولوجية دراسة تكشف غامضها وتجلى سرها . وهذا هو ما قام به الدكتور « رينيه لافورج » فى كتابه الموسوم باسم : « هزيمة بودلير » فقد نظر إليه على اعتبار أنه ليس إنساناً سويّا وإنما هو شاذٌ يجب أن تحلل حالته المرضية . واستدل « لافورج » (وهو من الأطباء المختصين بالتحليل النفسى) من الدراسة التى قام بها ، على أن شعر بودلير يعكس الصراع العنيف الذى كان يعانيه فى قرارة نفسه . وقال إن بودلير كان مريضاً بتعذيب نفسه ، فلذا كان يميل إلى تهجين سمعته وتشويه صورته ، والتهويل بخبايا دخيلته . وذلك كله لم يكن إلا نتيجة الفشل الذى لقيه الشاعر فى حبه مما جعل غرامه الشاذ يحبب إليه خيبته ويميل به إلى تمجيد خذلانه !

درس الأستاذ عبد الرحمن صدقي « شارل بودلير » على هذا الوضع ، فجاءت دراسة موفقة طيبة . وقد نقل الكاتب إلى العربية كثيراً من أشعار بودلير ، وكانت ترجمته أنيقة ، وإن كانت غير دقيقة . أما عنوان كتابه ، فقد كنا نؤثر أن يرفع الكاتب منه عبارة « الشاعر الرجيم » لأن هذا أليق بالدراسة العلمية .

زكريا ابراهيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 525 — Lundi - 26 - 7 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر المالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٢٥ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ رجب سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٦ يولية سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهرس

صفحة

٥٨١	حكمة الصين	الأستاذ عباس محمود العقاد
٥٨٤	الحديث ذو شجون : إلى الأستاذ إبرهيم المازنى	الدكتور زكى مبارك ... ...
٥٨٧	المسرح المصرى وكيف نشيده على دعائم ثابتة	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٥٩٠	كيف بدأ الاصلاح فى الأزهر وكيف نصل الآن إليه .	الأستاذ عبد المتعال الصعيدى
٥٩٢	أقوياء الأبدان فى العصور الاسلامية	الأستاذ كوركيس عواد ...
٥٩٤	من ميدان الحياة	الأستاذ شكرى فيصل ...
٥٩٥	حلة صقلية	الأديب محمد شاهين الجوهرى
٥٩٧	تهنئة الجبل ... [قصيدة]	الأستاذ أحمد الصافى النجفى
٥٩٨	الوشوشة والهينمة	لناقد جليل ... ...
٥٩٨	إصلاح التعليم فى مصر ...	الأستاذ حسنين حسن مخلوف
٥٩٩	من رسائل الرافعى : اللفظان بمعنى واحد فى القرآن . معنى بيت للنابغة . قصة الجارية وعمر	الأستاذ محمود أبو رية ...
٦٠٠	نقدة نحوية	الأديب حسين محمود البشبيشى
٦٠٠	تصويب	... ...

حكمة الصين

للأستاذ عباس محمود العقاد

في الحروب شر يتبعه أو يتخلله بعض الخير

فالشر المحض ليس له وجود، ولاسيما فى الحوادث الكبيرة، ومن الخير الذى فى الحروب أنها تعين على تعريف الأمم بعضها ببعض، وتعليم الناس ما لم يكونوا يعلمونه من شئون البلاد الأخرى. فلا تنتهى حرب بين أمتين أو أمم شتى إلا تركتها وهى أعرف بأحوالها ورجالها مما كانت قبل اشتعالها، ومصداق ذلك ظاهر فى الحروب الأوربية القريبة، وفى كل حرب من الحروب الموزعة فى جوانب الكرة الأرضية

ومنها حرب الصين واليابان

فالأوربيون كانوا يذكرون الصين فى القرن الماضى فلا يذكرون بها غير الأفيون والخطر الأصفر، والحائط الأعظم الذى يحيط بها منذ قرون. وقد يذكرون الرسوم والنقوش والآنية وطرفا من الحكمة التى تنسب إلى كنفشيوس، فاذا بهم قد ذكروا عنها كل ما يعرفون، أو كل ما أرادوا أن يعرفوه!

أما اليوم فالصين بلاد مكشوفة يكتب عنها فى لغات العالم كما يكتب عن البلاد الأوربية، ويقرأ الناس ما يكتبه أدباؤها وما يكتبه أدباء العالم عنها، ويحسب جمهور القراء فى المسائل

الصينية بمئات الألوف بين جميع الأجناس والألوان

وأشهر أدباء الصين الذين عرفناهم بعد حربها الأخيرة هو لن يوتانج غير مدافع

وآخر ما قرأناه له مقال فى مجلة أمريكية عنوانه « ما بالك لست بفيلسوف ؟ » :

خلاصته أن الشرق والغرب يجب أن يلتقيا ، أو هما قد التقيا ، وأن التقاءهما ضروري لأن إدراك العقل لطبيعة الإنسان قد تغير ، كأنك قد عمدت إلى بناء فحطمت قواعده فهو لا يتماسك ولا يعاد تعميره ليسع العالم الجديد حتى يشترك فى بنائه كل من سيأوى إليه ، وهم الشرقيون والغربيون

قال ما فحواه : لما قرأت أن وندل ويلكى كان فى شنكنج يوم الجمعة وعاد إلى أمريكا يوم الإثنين ذعرت ! . . . أهى فسحة آخر الأسبوع بين قارتين ؟ إن الشرق والغرب إذن لملتقيان

واستطرد قائلاً : إن عالماً جديداً ينبغى أن يسبك من عناصر الثقافات الإنجلوسكسونية والروسية والشرقية ؛ وأن حكمة الشرق هنا ذات غناء كبير

وراح يسأل : هل للصين فلسفة أو مذهب فلسفى كمذهب ديكارت مثلاً أو كانت أو غيرهما من المذاهب التى تقيم لنا بناء منطقياً شامخاً للتعريف بأسرار الكون ؟

ثم أسرع يجيب : كلا ، مع الفخر !

فأما « كلا » فهذا صحيح وينطبق على الصين كما ينطبق على بلاد شرقية كثيرة

وأما « مع الفخر » فهذا الذى فيه قولان أو أكثر من قولين

* * *

والواقع أن فلسفة الصين كلها تنحصر فى موضوعين متقاربين : أحدهما آدب السلوك ، والآخر رياضة النفس على علاج الأهواء ومسايرة الحياة

ومن كلام لن يوتانج هذا : « إننى — حين أتكلم بلسان الرجل الصينى — لا أحسب أن حضارة من الحضارات تسمى كاملة ما لم تنتقل من التكليف إلى رفع الكلفة ، وترجع عن وعى وشعور منها إلى بساطة التفكير والمعيشة ، ولا أصف رجلاً بالعقل ما لم يكن قد تقدم من حكمة الحصافة إلى حكمة الحماقة ، وأصبح فيلسوفاً ضاحكا يشعر بمأساة الحياة ثم يشعر بمهزلتها . إذ لا بد لنا من البكاء قبل الضحك ، لأن الحزن يصير إلى اليقظة واليقظة تصير إلى ضحك الفيلسوف ، وملء هذا الضحك ولا ريب الرحمة والسماحة

وهذا الذى يقوله فيلسوف الصين الحديث هو إعادة عصرية لما كان يقوله فيلسوفها القديم كنفشيوس ، أو هو إعادة لكل فلسفة صينية حفظت لنا مسطوراتها إلى اليوم ، وخلاصة رياضة النفس والتغلب على الأحزان

فنى بعض أيام كنفشيوس بلغت به المحنة أن أهدر دمه بين أميرين متنافسين ، كلاهما يقصده بالسوء وليس منهما من يحميه . ومضت عليه سبعة أيام بغير طعام غير حساء الأعشاب التى تجمع من الخلاء ، فشحب وجهه وهزل بدنه ولكنه لم يزل فى مجلسه يترنم على قيثاره . فلما تبرم تلاميذه بهذه المحنة ، دعاهم إليه وناداهم : « ما هذا الذى تقولون ! ... إن المصاعب هى التى تعلمنا الهداية إلى الطريق ، وإنما فى صبارَّة الشتاء تعرف حق المعرفة نضرة الربيع . وإن هـذه الفتنة بين الأميرين لهى حظى السعيد » واستدار مترنما إلى كوخه وهو محبور الفؤاد

هذه هى حكمة الصين بحذافيرها : آداب سلوك ورياضة نفس وخروج من ذلك كله بالصبر على مصاعب الحياة

ولم انحصرت حكمة الصين فى هذين الموضوعين ؟

لأن « البلاط الملكى » فيها قديم ، وما زال البلاط الملكى هو المصدر الأول لآداب السلوك وأصول الكياسة ورياضة النفس على السمت اللائق والعرف الجميل

فأصبحت القدوة المطلوبة هى الأخلاق التى تحمد فى معاشرة الملوك ، وأصبح قوام الحكمة كلها هو السلوك والرياضة ، بل أصبح الرجل الذى يروض نفسه على مسايرة الناس واحتمال سيئاتهم مرشحا للأمارة والملك ، حيث يخفق الرؤساء والكبراء

ومن النوادر التى تساق فى معرض هـذا المعنى نادرة فى كتابهم المشهور « سفر الأسانيد » تجرى على النحو الآتي :

قال الأمير : من يجد لى رجلاً أرفعه إلى مرتبة الوكالة عنى ؟

فقال له بعض الحاشية : ابنك يا مولاى تلوح عليه مخائل الذكاء

قال الأمير : كلا فإنه شكس عنيد . أتراه يصلح لما نمهده إليه ؟

وقال غيره من رجال الحاشية : إن الوالى فلانا يصلح لها

فقال الأمير : كلا . لأنه يتكلم عن الأعمال العظيمة ولا يعمل شيئاً ، وأمانته ظاهرة ليس لها قرار

قال بعضهم : ليس لها إلا « كون » المدبر القدير

فأجابهم الأمير : كلا . كلا إنه بعيد عن القانون ويبنى القناطر لنفسه إذا عم الفيضان . يعنى أنه يجر النفع إلى ناحيته ولا يحفل بمصالح الناس

وعاد يسألهم أن يجدوا له رجلاً قديراً على ما يرجوه منه ولو لم يكن من النابهين الذين تقلدوا المناصب واشتهروا بين ذوى المقامات

فذكروا له رجلا من عامة الناس

قالوا للأمير حين سأل عنه إنه ابن رجل ضرير من الأجلاف أمه صخابة سبابة ، وأخوه صلف شديد الخيلاء ، ولكنه عاش معهم ووفق بينهم وأبطل شكايتهم ونزع منهم داعية الشر ، فهم هادئون وادعون

قال : إنه طلبتى ، وعلى اختباره

* * *

فحكمة الصين برعت فى أدب السلوك ورياضة النفس لأنها نشأت من البلاط العريق ولم تزل منذ نشأتها تدور حوله وترجع إليه

لكن هذا يفسر لنا نشأة الفلسفة السلوكية ولا يفسر لنا امتناع الفلسفة الكونية ، فلماذا امتنعت الفلسفات التى تبحث فى نظام الكون وسر الحياة وموضع الإنسان من هذا الوجود ؟

لماذا لم توجد فى الصين فلسفة أو مذاهب فلسفة كمذهب ديكارت وكانت وهجل وبرجسون وغيرهم من فلاسفة أوربا فى العصر الحديث ؟

الكهانة العريقة إلى جانب البلاط العريق

فالكهانة العريقة تفسر لنا امتناع الفلسفة الكونية ، لأن الكهانة تستأثر بأسرار الخلق وعبادة الخالق ولا تطيق المزاحمة من المفكرين فى هذه الصناعة

وقد امتنعت الفلسفة الكونية في أوربا حين قامت الكهانة ودانت لها الشعوب بالصولة ورجع إليها الأمر كله فى العلم والتعليم والبحث عن حقائق الأشياء

فلما زالت هذه الصولة ظهرت الفلسفات الكونية بمقدار زوالها ، واشتهر القرن الثامن عشر وما بعده بتلك الفلسفات لأن العقول انطلقت فى القرن الثامن عشر من حكم الكهانة العريقة واستباحت البحث فيما كان قبل ذلك حكراً موقوفاً على رجال الدين .

* * *

وعلى هذا ليست المسألة مسألة فخر للصين أو لغير الصين لأنها برعت فى حكمة السلوك ولم تبرع فى الحكمة الكونية ؛ وإنما هى مسألة موانع طبيعية عاقت الوظائف العقلية عن غايتها التى ينبغى أن تتجه إليها ولا تحتبس دونها ، فهى نقص وليست بكمال ، وهى ضرورة مفروضة وليست بالمزية المقصودة ، كما أراد أن يصورها فيلسوف الصين الحديثة

وفى العهد الذى تتعاون فيه العقول على بناء العالم الجديد من عناصر الثقافات المختلفة ينبغى أن نتمثل لنا هذه الحقيقة ولا نغفل عنها

ينبغى أن نعلم أن حكمة السلوك ورياضة النفس إنما هى حكمة تراد لتيسير « المعيشة » أى للمنفعة والراحة

ولكن « المعيشة » ومنافعها دون « الحياة » ودوافعها

فنحن نحسن السلوك ونروض النفس لنعيش فى سلام

ولكننا نفسر نظام الكون ونستجلى أسرار الطبيعة لنفقه نصيبنا من الحياة ، ونتجاوز تيسير المعيشة إلى تحقيق معنى الوجود

والعالم الجديد ينبغى أن يكون عالم معيشة وحياة ، وأن يسمو فيه الإنسان عن طلب الراحة إلى طلب الكمال ، وعن تهدئة خواطره إلى توسيع تلك الخواطر وتقريب ما بينها وبين المثل الأعلى

وإلا فهو عالم « مادى » محدود وإن تظاهر بالزهد والحكمة ، ولا فرق فى الجوهر بينه وبين النازية والفاشية والعسكرية اليابانية ، وهى العلة التى من أجلها نلتمس الخلاص من العالم المتداعى إلى العالم الجديد

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

الى الأستاذ إبرهيم المازنى

صديقى

حدثتنا مجلة آخر ساعة أنك سُئلت عنى فأجبت « لو أخلى زكى مبارك كتابته من الحديث عن زكى مبارك لكان أحسن مما هو الآن »

وبمثل هذا أجاب الأستاذ عباس العقاد حين سألته عنى مجلة الإثنين ، فكيف تمّ التوافق بينك وبين صديقك فيما كتبتما عنى ؟

أهو من باب توارد الخواطر ، ووقوع الحافر على الحافر ، كما كان يقال ؟ أم هو موصول بقصة المسيو ديبون ؟ ... ومن ديبون ؟

هو رجلٌ فرنسىٌ صنع شراباً سمّاه باسمه وأعلن عنه فى جميع البقاع الفرنسية ، فما تسير فى شارع ولا تدخل قهوة ولا تركب قطاراً إلا وجدت اسمه مسطوراً بأحرف كبيرة تبهر العيون . ولم يكتف بذلك ، بل وضع لوحة مسجوعة بهذا الوضع الطريف :

Chez Dupont, tout est bon !

وقد هالنى هذا الإسراف فى الإعلان فسألت صديقاً فرنسيًّا عن السرّ فيه فأجاب :

ذلك رجلٌ نفسانىٌ Psychologue هو يعرف العادة المتبعة فى القهوات الفرنسية ، العادة التى توجب أن يسألك غلام القهوة عما تطلب قبل أن تجلس ، فتنطق بأكثر الأسماء وروداً على بالك وهو ديبون !

والأمر كذلك فيما يتصل بحياتى الأدبية ، فقد قال الدكتور طه حسين مرة : إن أكثر أدب زكى مبارك فى الحديث عن زكى مبارك . فلما سُئل الأستاذ العقاد عنى وجد هذه العبارة فى باله فأجاب . ولما سئل الأستاذ المازنى عنى وجدها فى باله فأجاب

وكذلك تعاد قصة المسيو ديبون فى القاهرة بعد أن سئمها الناس فى باريس

وهنا مشكلة لا أكتمها عنك ، وهى الخوف منك ، ولكن كيف ؟

أنا لا أبالى نقد الدكتور طه حسين إياى ، لأنى نقدته بمقالة ومقالة ، فمن السهل أن يقول الناس إنه ينتقدنى وفى نفسه أشياء

وأنا لا أبالى نقد الأستاذ العقاد إياى ، لأن بيننا أحقاداً تُنشر فى حين وتُطوى فى أحايين

الخوف كله من نقدك ، لأنك صديق حميم ، ولن أجد من يتهمك بالتحامل حتى أطمع فى أن يكذّب الناس ما تقوله عنى

يضاف إلى هذا أنك مسموع الكلمة ، وأن الجمهور لا يفطن إلى قدرتك على قلب الحقائق . وهل أنسى ما صنعت بنفسك وبصديقك العقاد ؟

كانت العيون ترى قبل عشرين سنة أنك طويلٌ جدًّا ، وأن العقاد قصيرٌ جدًّا ، فشاء برُّك بصديقك أن تزعم أنك القصير وأنه الطويل ، ومازلت تُبدئ وتعيد حتى آمن الناس بقولك وظنوا أنك قزم وأن العقاد عملاق !

وبنو آدم يصدقون مايسمعون وما يقرأون ، قبل أن يصدقوا ما تحدثهم به العيون والقلوب

من أجل هذا أنقض حكمك علىّ ، وأرجو أن تكف عنى شرّك وإن لم تكففه عن نفسك ، فما بى حاجة إلى صديق يسير على طريقة المسيو ديبون

وماذا تنكر من حديثى عن نفسى ؟ وماذا ينكر صديقك العقاد ؟ وماذا ينكر الدكتور طه حسين ؟

هل كان أدبك يا صديقى المازنى إلا دوراناً حول نفسك ؟ وهل كتب الأستاذ العقاد مقالاً أقوى من مقاله الأخير فى مجلة الرسالة عن الأزمة التى صاولت روحه يوم احتلال العلمين ؟ وهل كتب الدكتور طه أقوى مما كتب فى الحديث عن طفولته وصباه ؟

إن تصوير هموم النفس وما يحيط بها من مخاوف وآمال هو أدب صحيح جعلته الكتب السماوية من شمائل الأنبياء ، فما العيب فى أن يكون الحديث عن النفس من خصائص أدبى ؟

وهل يمكن أن أتعرّف إلى الوجود قبل أن أتعرّف إلى نفسى ؟

وهل كانت روائع الأدب فى جميع الأمم إلا أحاديث نفسية ؟ ما هو سِفر أيوب الذى تُرجم إلى أكثر اللغات ؟

ألم تكن أصالته فى التعبير عن المخاوف الروحية ؟

وهل كانت أكثر القصائد الخوالد إلا إفصاحا عن عواطف ذاتية ؟

قال ديكارت : أنا أفكر ، فأنا إذاً موجود

Je pense, donc je suis

ومن معانى هذه العبارة أن الشعور بالنفس هو أساس الشعور بالوجود

لا موجب للمداورة فى محاورتك ، فأنت لم تنكر علىّ الحديث عن النفس بمدلوله المعروف عند رجال الأدب ، ولا كان هذا ما أنكره الدكتور طه والأستاذ العقاد ، وإنما تنكرون الثناء على النفس ، وهذا يقع من حين إلى حين ، والثناء على النفس يضايق الناس حين يكون ثناء بالحق ، وإلا فمن الذى استطاع أن يكذّبنى حين أثنيت على نفسى ؟

ولكن هل جال فى خاطرك أن تبحث عن السرّ فى هذه النزعة النفسية ؟

هل حاولت إدراك الأسباب للتكبر الذى أقع فيه كارهاً غير طائع ؟

لو أنك فعلت لعرفت أنى لا أتكبر إلا متحدّياً ، والتحدى نزعة طبيعية تطوف بالنفس حين تفكر فى دفع الجحود والعقوق

وإليك شاهداً من مقالك بجريدة البلاغ فى مساء هذا اليوم « ١٨ ـ ٧ ـ ٤٣ »

فى كلامك عن « قصة الأدب فى العالم » أثنيت على رأى المؤلفين الفاضلين أحمد أمين وزكي نجيب حين قررا أن عمر بن أبى ربيعة لم يقتصر على معشوقة واحدة ، وإنما تبيع الحسنَ أنّى كان ، بخلاف ما كان عليه أمثال قيس وكثيّر وجميل

ثم تحمست للأمانة الأدبية والتاريخية فقلت :

« وهذا تفريق سَبق إليه العقاد فى كتابه (شاعر الغزل) وقد بسطه بسطاً وافياً وتوسع فى بيانه . ولست أقول إن المؤلفين الفاضلين أخذا هذا التفريق عنه ، فليس ما يمنع أن يتنبها إليه ، ولكنى أقول إن الأستاذ العقاد سبقهما إليه ، فمن الإنصاف أن يُذكر له فضل السبق ويُسجّل »

وهذه حماسة مشكورة ، وهى من بعض صفاتك الطيبات ، ومن الواجب أن نتلقاها بالترحيب ، ولكن هذه الحماسة نفسها تقابَل بالإنكار حين تصدُر عنى ، كأن أقول فى الرد عليك إن أول من سجل هذا الرأى فى كتاب طبع ثلاث مرات هو المبارك لا العقاد

إن كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » طبع أول مرة أوائل سنة ١٩١٩ ، وهذا الرأى مدوّن فى أول طبعة ، فهل تكره أن أثنى على نفسى فأقول إنى سبقت العقاد إليه بأكثر من ثلاثة وعشرين عاما ؟

وما أقول إنى كنت فى بالك حين سجلت للعقاد ذلك السبق ، فمن المحتمل أن يغيب عنك أنى أول من أصدر كتاباً عن شاعر الغزل ، وأن كتابى كان المنار لكل من تحدثوا عن ذلك الشاعر الفنان .

وأنا فى الواقع أتعجب من استهانة الباحثين بالأمانة العلمية فى هذا العهد ، فما يمرّ أسبوع بدون مفاجآت غريبة تتمثل فى سرقات جريئة من مؤلفاتى ومقالاتى ، وأنا مع هذا أسكت لئلا يقال إنى أكثر من الحديث عن نفسى !

وإصرارك وإصرار صديقك على أن هذا من عيوبى لن يصدنى أبداً عن النص الصريح بأن خلائق كثيرة تنهب آرائى علانية وتعيش بها عيش السعداء

هل تذكر ما قال بعض الناس حين جازيت العقاد قتالاً بقتال ؟

قالوا إننى أثنيت على العقاد من قبل ، فكيف أهدم ما بنيت بالأمس ؟

والاعتراض صحيح ، ولكن المعترضين غفلوا عن أسباب ذلك الثناء ، فقد أردت أن أشرح لطلبة السنة التوجيهية عناصر الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربى ، وعند ذلك تذكرت أنى مدرس يعلّم تلاميذ ، ومن واجب المدرس أن ينزه أحكامه عن الأهواء

وأثنى على نفسى فأقول إن تلك الدراسات نفعت المتسابقين أجزل النفع ، وقد شكا الدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ ابراهيم مصطفى من تأثير تلك الدراسات فى عقول الطلاب ،

وقالا فى دعاية إنهما سيرجوان وزير المعارف أن يشير بأن لا تماد تلك الدراسات فى مجلة الرسالة ، بعد أن ظهر أنها تكثر من عدد الفائزين !

بهذا الصدق فى الأحكام الأدبية أنصفت نحو عشرين باحثاً من رجال هذا الجيل ، وفيهم خصوم ألداء يشرقون بريقهم حين يسمعون اسمى

فأين من يملك من الصدق بعض الذى أملك ؟

المازنى وحده يستطيع أن يجازينى صدقاً بصدق ، فقد وقف بجانبى وقفة كريمة ، يوم قال الدكتور طه على صفحات الرسالة إن كتاب النثر الفنى كتاب من الكتب أخرجه كاتب من الكتّاب

ولكن هل يستطيع الأستاذ المازنى أن ينصف خصومه كما أنصف أعدائى ؟

لقد يئست من إنصاف الناس ، فكيف لا أنصف نفسى ؟

فى كتاب « ملامح المجتمع العراقى » ثناء على الأستاذ المازنى والأستاذ الزيات ، فهل قدمت نسخة من هذا الكتاب إلى أحد هذين الرجلين ؟

عزّ علىّ أن أظهر بمظهر من يمن على الصديق ، واستغنيت عن تقريظ الرسالة وتقريظ البلاغ ، اكتفاء بما أثنيت به على نفسى فى مقدمة الكتاب !

وأعجب العجب أنى أهديت كتابى إلى رجل لا ينتظر منى أى معروف ، ولا أنتظر منه أى جزاء ، ليكون فى عملى شىء لوجه الله ولوجه الوطنية ، وهو رجل سبقنا جميعاً إلى التشرف بخدمة العلم فى العراق ، ولم يحفظ له مواطنوه بعض ما حفظ له العراقيون

وأنا بعد هذا أسأل من يؤذيهم ثنائى على نفسى ، أسألهم متى يجاهدون فى الأدب كما أجاهد ؟ ومتى يعانون فى سبيل الأدب ما أعانى ؟

أين الزميل الذى يقول إنه أحرص منى على الوفاء بحقوق القلم البليغ ؟

وأين الشخص الذى يملك الزعم بأنه نفعنى ؟ ومن هو المخلوق الذى يتوهم أن له ديناً فى عنقى ؟ ومن هو الروح الطاهر الذى يطمع فى السيطرة على شيطانية روحى ؟

كانت الغاية عندى أن أقيم الدليل على أن لوطنى وجودية تحميه من الأباطيل ، وكانت حياتى شاهداً على صحة ما ابتغيت ، فما استطاعت قوة أن تهدمنى ، ولا جاز فى وهم مخلوق أن يرانى من أتباعه ، ولو كان أعظم العظماء

أنا أخاطب رجلاً هو الأستاذ المازنى ، أخاطب رجلاً يسره أن يعلم أنى أسيطر على شآبيب من الدواهى الواحق ، وسأصبها على أعدائى حين أشاء

إن أدبى من صُنع الله ، وثقة الجمهور بأدبى من فضل الله ، ولن أرتاب لحظة فى أنى أول كاتب وأول مؤلف وأول شاعر فى هذا الزمان

هاتوا برهانكم بإخصومى إن كنتم صادقين !

هاتوا برهانكم ، هاتوه ، إن استطعتم الاعتصام بخيوط الأحلام أنا أثنى على نفسى ؟ ؟

هو ذلك ، لأنى أسهر الليل فى مسامرة قلمى ، ولأنى أومن بأن الاعتماد على الماضى هو ثروة السفهاء من الوارثين

سنلتقى غداً وبعد غد ، وسيكون صرير الأقلام أخطر من قعقعة السيوف

وإلى اللقاء ، ولعله قريب ! زكى مبارك

٢ – المسرح المصرى
وكيف نشيده على دعائم ثابتة

للأستاذ دريني خشبة

بينا فى الكلمة السابقة ما ينبغى توفيره لجميع رجال المسرح من الكرامتين المادية والمعنوية ، وبينا نصيب كل من وزارتى المعارف والشئون من مهمة إنهاض المسرح المصرى وموالاة العناية به حتى يقوى عوده ويشتد ساعده ؛ لأنه بذلك يكفل لنا نهضة اجتماعية ونهضة إصلاحية ونهضة فى اللغة ونهضة فى الأدب ونهضة فى الأمن ونهضة فى الذوق العام ونهضة فى جميع فروع الحياة المصرية ، بل نهضة الأمم العربية قاطبة فى كل فروع حياتها

وبينا كذلك ما يجب على بلديات المدن المصرية جميعاً أن تساهم به فى هذا السبيل ، وما يجب أن يفهمه أعضاء تلك البلديات من أن مهمتهم لا تقف قط عند حدود مراعاة النظافة فى مدنهم وتجميل شوارعها ، وغرس الأشجار على جوانب الطرقات ، وما إلى ذلك من عمليات الكنس والرش والإضاءة وتوفير المياه المرشحة وإنشاء المجارى ... كلا ... إن مهمة أعضاء البلديات لا تقف قط عند حدود هـذا الجهاد الأصغر ، كما قال مرة أحد مشجعى النهضة المسرحية فى ألمانية ... بل إنها تتعدى تلك الحدود إلى جهاد أكبر يفوقها قيمة وجدوى ... ذلك هو العمل على رفع مستوى الشعب وحياته الاجتماعية ... فيجب ألا يقتصر الكنس على شوارع المدينة وحاراتهـا ، بل ينبغى أن يتناول القاذورات المختبئة فى نفوس الأفراد أيضاً ... وإذا نجحنا فى إزالة هذه القاذورات استطعنا أن نضاعف نظافة المدينة وأن نزيد فى جمالها ورونقها ... والحمد لله ، فلقد تنبهت بلديات كثيرة مصرية إلى واجبها نحو الثقافة العامة ، فأنشأت دور الكتب والمسارح التى اقتصرت إلى الآن على عرض الصور المتحركة ، فلتكن هذه باكورة نهضة مسرحية إقليمية تحكي بها ما قام فى انجلترا من المسارح المتنقلة ، ال circuits ، ومسارح المدن الخاصة التى سمينا الكثير منها فى الفصول السابقـة عن المسرح فى أوربا

فإذا وُجد المسرح المصرى على هذا النحو ، فلا مندوحة من أن يبدأ حياته على صورة ما من صور مسارح المستودعات ، وذلك إلى أن توجد الدرامة المصرية الحقة التى يمكن أن تأخذ مكانها بين الدرامات العالمية المثالية ، والتى نستطيع إخراجها على صورة تمثل مصريتنا تمثيلاً صادقاً لا بهرج فيه ولا تهريج

ولما كانت مسارح المستودعات الـ Prepertory تعنى بتمثيل الدرامات العالمية – أو الوطنية – التى سبق تمثيلها قبل عنايتها بإخراج روايات جديدة فسيواجه مسرحنا مشكلة نقـل طائفة كبيرة من أشهر الدرامات الأجنبية إلى اللغة العربية ... وقد عرضنا فى كلمة سابقة لهذه المشكلة وأثبتنا تقصير الهيئات جميعاً فى معالجتها ... ونحن ما نزال عند الذى قلناه فى هذا الصدد ، ولن يضيرنا أن ينقم علينا من ينقم ما دمنا نقول الحق وننشد الخير ... فالدولة – ممثلة فى وزارة المعارف – لم تتناول بعد مشكلة الترجمة بما ينبغى لها من عناية ورعاية ... وتقصير الدولة فى ذلك يؤخر نهضتنا ويقعد بها ويؤذيها ، كما يؤخر الأدب واللغة ويقعد بهما ويؤذيهما ... وإن تأخرت نهضتنا وتأخر أدبنا ولغتنا تأخرت عجلة الحياة فى مصر بل فى الشرق العربى عامة

إنه لا بد من حركة ترجمة واسعة شاملة للأدب الأوربى بوجه عام ، وللآداب المسرحية بوجه خاص ... يجب أن تتصل نهضتنا بأقطاب الفكر العالمى عن طريق ترجمات عربية قوية لروائعهم التى تمد مكتبتنا بثروة ليست بعدها ثروة ، فيجد شبابنا ما يثقف به نفسه من ذلك الغـذاء الروحى العظيم الذى سيظل محروماً منه ما دام محبوساً عن لغتنا ... يجب أن تعرف المكتبة العربية جميع روائع شكسبير ومارلو وبن جونسون وتشايمان وشريدان وكونجريف وبارى وشو وجولذورثى وويلد وباركر وماسفيلد وسينج وييتس وروبنسن وغيرهم من أساطين الدرامة الإنجليزية

يجب أن تعرف المكتبة العربية جميع الطُّرف السامية التى أنتجتها قرائح آلهة المسرح الفرنسى من أمثال : موليير وراسين وهاردى وكورنى وجان روترو وكوينولت وكريبلون وهوجو وسكريب وروستان

إلى متى تحرم المكتبة العربية من درامات المسرحيين الأسبان

أمثال : ناهارو ، ولوب دى رودا ، ودى أرجنسولا ، وما أبقت عليه يد العفاء من درامات سرفنتس ، ثم لوب دى ڤيجا العظيم الذى يؤثر أنه ألف للمسرح ألفاً وثمانمائة درامة بقى منها أكثر من أربعمائة إلى يومنا هذا ، ثم تروسو دى مولينا ، وكالدرون ، والاركون ، وزورللا ، ودى جويفارا ، ودى موراتان ، وتامايو ، وچوسى إشجارى ، وپلايو ، وبلاسكو إبانى Ibanez

ومتى يستطيع القارىء العربى أو المسرح العربى الاستمتاع بدرامات المسرحيين الإيطاليين أمثال : ترسّينو ، تاسو ، أريوستو ، مكياڤللى ، جواربنى ، ماڤى ، زينو ، ألفييرى ، جولدونى ، كارلو جوزّى ، متاستاسيو ، مونتى ، فوسكولو ، مانزونى ، نيكولينى ، كوسّا ، دانتزيو وپيراندللو ؟

ولنذهب فى برقشة مقالنا بأسماء المؤلفين المسرحيين فى الأمم المختلفة إلى حد المغالاة ، فنذكر والحسرة تملأ جوانحنا أن المكتبة العربية محرومة من ترجمات لدرامات النوابغ الجرمانيين : يعقوب ومفلنج ، سلتس ، كرشماير ، لسنج ، ويس ، إشنبرج ، جوته ، كلنجر ، مللر ، شللر ، كورنر ، شليجل ، جرلپارزر ، هيل ، جراب ، موسن ، لدفج ، هالم ، رايموند ، لوب ، أنزنجروبر ، سودرمان ، هرشفلد ، ويلدنبروخ ، هوپتمان ؛ كما أنها محرومة حتى من نموذج واحد من الدرامات التعبيرية التى وضعها چورج قيصر ، وأرنست تُللر ، وسترنهايم ، ويولنبرج ، وهاردن ، وپول إرنست ، وفرانز ورفل

وماذا نقل إلى اللغة العربية من درامات المسرحيين الهولنديين هامسُن ، وشمل ، ونوهايز ، ودى كو ، وهايرمانز ، وسيمونز ميز ، وألفونس لودى ؟

وماذا تعرف العربية من درامات هولبرج ، وإبسن ، وهيبرج ، وبجار ، وبراتمان ، وهانز كنك النرويجيين ؟

وهل تعرف المكتبة العربية درامات بلانشن ، وسترندبرج السويديين ؟

وهلْ تعرف مكتبتنا الدّراميين الروس مايا كوفسكى ، وترتيا كوف ، وليولنتس

وهل نقل إلينا شىء من درامات التشكيين لفوڤيك ، ودفوراك ، وفشر ، وكارل كاپك الذى مثلث جميع دراماته فى جميع مسارح العالم ؟

وبعد :

فلقد تعمدت أن أسلم القارئْ العربى لهذا التيه المضل من أسماء كتاب الدرامة وشعرائها ليعلم إلى أى حد نحن محرومون من هذه الثروة الذهنية الهائلة التى ينعم بها أهل اللغات الأخرى لأنها مترجمة إليها ... وأننا محرومون منها بسبب إهمال وزارة المعارف وتكاسل الجامعة وكبار الأدباء الذين لا يجدون تشجيعاً ولا حافزاً

لقد أهملت مئات من كتاب الدرامة فلم أذكرهم لأنهم ممن كتبوا أقل من عشر روايات ... ومع ذلك فقد ذكرت أشهر المكثرين فقط ، ولو أراد أحد سرد أسمائهم جميعاً لضاق بهم نطاق أعداد عديدة من هذه المجلة ... وكنت أوشك أن أسرد عشرات من كتاب الدرامة اليابانية التى لا تقل رونقاً عن الدرامة الأوربية ، إلا أننى حسبت حساب تلك الابتسامات العريضة المتورمة التى تؤول ما أردت من ذكرها أسوأ تأويل ... ولهذا أيضاً غضضت الطرف عن أبطال الدرامة الأمريكية فى كل ممالكها

إن فى عالم الأدب دنيا بأكلها من الدرامة الراقية واكَبَتْ كل عصور التاريخ ... فمتى تكوَن لنا درامة عربية ياترى ؟! وكيف تكون لنا درامة عربية ونحن لم ننقل مائة أو مائتين من عشرات آلاف الدرامات العالمية لينسج كتابنا على منوالها ، وليكب شبابنا على قراءتها فتترك فى قرائحهم خمائر التفكير اللازمة للانتاج الذى نطمع به ونفكر فيه ، ثم هى تعلمهم كيف يقسمون فكرة الرواية إلى فصول ، وكيف يقسمون الفصول إلى مناظر ، وكيف يمهدون للفاجئات ، وكيف يسلسلون الحوار ...ثم كيف يخلقون لنا درامة مصرية تعالج مشكلاتنا وتتناول قضايانا وتسلك أدبنا فى موكب الآداب العالمية الراقية التى يمثلها الأدب المسرحى أحسن تمثيل وأصدقه

إلى متى ياترى يظل أدبنا يباباً فارغاً هكذا ؟

على رسلك أيها القارىء الذى يظن بى الظن ، فأنا لا أقل

عنك غَيْرةً على الأدب العربى ، وبالأحرى على الأدب المصرى ؛ وأنا أقدر لغتي العربية بل أقدسها ، لكني مع ذلك أعترف بأن الأدب العربى سيظل وسوف يظل وراء الآداب العالمية قاطبة ، ما لم نسلك فيه الأدب المسرحى وآداباً أخرى غير الأدب المسرحى ليس هنا مقام ذكرها . . . والسبيل إلى أن نسلك فى أدبنا هذه الألوان من الأدب لا بد أن تبدأ بالترجمة ... لنترجم عن أدباء انجلترا وإرلندة وفرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وأسبانيا والسويد والنرويج وتشكوسلوفاكيا وبولندة وروسيا وأمريكا . وعن أدباء اليابان والصين إن وجدنا إلى الترجمة عنهم من سبيل لنترجم عن هؤلاء وهؤلاء ، فلقد أصبح لكل أمة أدب قومى مستقل كما أصبح لكل أمة مسرح قومى مستقل ... إلا مصر وإلا الشعوب العربية قاطبة ، فأدبها ما يزال أدب تراجم وقصائد ومقالات . . . وإن شدا من القصة نصيباً ضئيلاً لا غناء فيه بعد

وما دامت الترجمة هى السبيل الوحيدة الآن أمامنا لنخدم أدبنا المصرى وأدبنا العربى ولنخدم مسرحنا ولنخدم لغتنا ، فماذا يقعدنا عن التوسع فيها توسعاً لا نبخل عليه بجهد أو مال ، ولا يصح أن نبخل عليه بجهد أو مال ، وإلا أثبتنا أننا أمة من الأميين ... ممن يفكرون كثيراً وينفذون قليلاً ... بل لا ينفذون شيئاً

كيف يستكثر علينا مستكثر أن نصرخ فى آذان وزارة المعارف لكى تقوم بواجبها فى هذه السبيل فتولى عنايتها إدارة الترجمة بها وتشجع المترجمين بالمبالغ الضخمة التى تحفزهم وتشحذ هممهم

لماذا لا ترفع عدد المترجمين الفنيين إلى مائة أو مائتين بدل هذا العدد الذى لم يرتفع إلى عشرة بعد ؟

لماذا لا يتنوع المترجمون فينقلون من الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية واليونانية القديمة ومن اللاتينية والروسية ؟

لماذا لا ترصد المبالغ الضخمة لهذه الإدارة التى لا تقل فائدتها للبلاد واللغة والأدب والعلم عن الجامعة ولا عن مجمع اللغة ولا عن مصلحة الآثار ؟

ومتى يتاح لوزارة المعارف عصر كهذا العصر الديمقراطى الذى يعنى بصالح الأمة فيهيىء لأدبها ولغتها هذا الإصلاح ؟

ومتى يتاح لوزارة المعارف رجلان كالرجلين اللذين يرسمان سياستها ويقودان سفينتها ، فتكون فرصة إدارة الترجمة ، وفرصة الأدب العربى ، وفرصة اللغة ، وفرصة المسرح ، وكل فرص الحياة الثقافية العامة فى وجودهما . ولتعز إدارة الترجمة ، وليعز الأدب العربى ، ولتعز اللغة العربية ، وليعز المسرح المصرى ورجاله الشهداء الأوفياء ؟!

... ليقل جاهل أو غبى كما قال من قبل ، إن هذا كلام له ما وراءه ... لا ... فنحن بحمد الله مستعدون للارتداد إلى خطوطنا الأولى ... ولذلك فإنا لا نبالى بأن نلاحظ على وزارة المعارف تقصيرها فى العمل للنهضة الثقافية بمصر ، بالرغم مما هيىء لها من زعامة أدبية خالصة كانت لمصر فيها آمال كبار ؛ وما تزال لها فيها تلك الآمال الكبار . وإنا لن نمل من الكتابة فى هذا والتبشير به والإلحاح فيه ، حتى تبلغ منه نهضتنا ما تريد

على أن التفكير في إنشاء معاهد كثيرة للتمثيل ، لا بد أن يسبقه تفكير فى نقل عدد كبير من الدرامات الأجنبية الرائعة لأشهر الكتاب الدراميين كى تجد المعاهد ثروتها من الروايات التى تتخذ نماذج لتطبيق دراساتها كما تجدها مهيأة للتمثيل ... وإلا فهل نحن معتزمون أن تكون الدراسة فى تلك المعاهد بالعربية ثم يكون التطبيق العملى بلغة أجنبية ؟

وإذا نحن سلمنا بهذا ونقلنا عدداً كبيراً من الدرامات الأجنبية ، لزم أن نلخص تاريخاً عاماً للمسرح فى الممالك المختلفة ليلم الممثلون بتاريخ المؤلفين وتاريخ التطور المسرحى فى كل منها . والقيام بعمل هذا الملخص لتاريخ المسرح يصح أن يوكل لهيئة من المترجمين ، أو أن يكون قسمة بين إدارة الترجمة ومدرسى معاهد التمثيل .

(يتبع)

دريني خشبة

كيف بدأ الإصلاح فى الأزهر

وكيف نصل الآن إليه

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

كلما صرفت نفسى عن الكلام فى إصلاح الأزهر عاودها الحنين إليه . وكيف أنسى عقيدة أشربت حبها منذ الطلب ، ومضى على جهادى فيها أكثر من عشرين عاماً ، ولقيت فيها من العَنَتِ ما لقيت ، وبذلت من التضحية ما بذلت ، خالصاً لوجه الإصلاح ، لا أبتغى بذلك عوضاً ، ولا أقصد أن أجر به مغنما

وقد قرأت ما كتبه صديقى الأستاذ الجليل محمد المدنى تعليقاً على محاضرة صديقى الأستاذ الكبير محمود شلتوت ، فوجدتهما يرجعان بقاء الأزهر على جموده فى هذا العهد إلى الكتب القديمة ، لأن الأزهريين لا يزالون يعولون عليها فى جميع مراحل التعليم ، ولا تزال الدراسة فى المعاهد الدينية متجهة إلى شرح ألفاظها ، وتضييع الزمن فى مماحكاتها اللفظية التى لا طائل تحتها . وقد ذكرنى هذا بما نشرته فى أوائل هذا العهد على صفحات مجلة الرسالة وغيرها ، وذلك حين قمت بنقد ما يشكوان الآن منه بعد فوات الوقت ، فغضب لذلك من كان يناصر هذا العهد لغير الإصلاح ، وكان لهذا الغضب أثره فى حرمانى من بعض حقوقى ، فقبلت ذلك راضياً ، وصبرت عليه إلى وقتنا هذا فى غير شكوى ولا تألم ، لأن من ينصب نفسه للجهاد لا تؤلمه التضحية ، وقد يسر بها كما يسر أصحاب الدُّنيانات بقضائها . ولو أن الصديقين الفاضلين ضما صوتيهما إلى صوتى فى ذلك الوقت لكان لذلك منا شأن آخر ، ولم ينظر إليه تلك النظرة التى قوبل بها صوتى ، لأنهما كانا محل الثقة من رجال هذا العهد ، وكانت كلمتهما مسموعة عندهم

وما علينا من هذا كله ، فما نريد الآن إلا أن نبين كيف نصل الآن إلى إصلاح الأزهر ، وقد مضى على معالجته نصف قرن أو أكثر ، وهو ما يقرب إلا ليبعد ، ولا يسهل أمره إلا ليعسر . وها نحن أولاء الآن لا نزال كما كنا قبل معالجة ذلك الإصلاح ، نألف الجمود ونعض عليه بالنواجذ ، ونقف من الإصلاح الذى يقضى على هذا الجمود موقف المعارض المعاند . ولا يزال الذين يؤمنون بيننا بهذا الإصلاح يعدون على الأصابع ، وليس لديهم من القوة ما يمكنهم أن يقضوا به على ذلك التعصب للجمود ، وقد بذلوا من التضحية فى الإصلاح ما بذلوا ، ولكن التضحية وحدها لا تفيد فى القضاء على التعصب ، وإنما يفيد فى ذلك القوة الغالبة ، والسلطان القاهر ، والتاريخ على ذلك شاهد عادل

ومن ينظر إلى بدء الإصلاح فى الأزهر يجده لم يتم إلا بتلك القوة ، ولم يأخذ سبيله فيه إلا بعد أن تدخلت الحكومة فى أمره ، وقد كان تدخلها فى ذلك بعد أن لجأ إليها المصلحون من رجال الأزهر ، وأقنعوها بصواب ما يدعون إليه من الإصلاح ، ولو لا تدخلها فى ذلك ما خطا الأزهر فى الإصلاح تلك الخطى ، ولبقى إلى وقتنا قابعاً فى عزلته ، راضياً بالانكماش الذى كان راضياً به ، ولم يكن هذا الانكماش فى شىء من ديننا ، وإنما هو من الرَّهْبانيَّةِ التى أباها الإسلام لأهله

وكان الذى قام بإقناع الحكومة بذلك هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، فقد ذكر السيد محمد رشيد رضا فى تاريخه أنه لما جلس عباس باشا حلمى على كرسى الخديوية تجددت للبلاد المصرية آمال ، وتوجهت إلى أعمال يقصد منها إزالة الاحتلال ، وكان الشيخ محمد عبده يرى أن إزالة الاحتلال لا يمكن أن يحل بوسيلة السياسة إلا باتفاق الدول ، وأن الرجاء فى اتفاقهم على ذلك بعيد ، فأراد أن يكون حظه من حب الخديو للعمل السعى فى إصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية والأوقاف ، فاتصل به وحظى عنده وكاشفه برأيه فى إصلاحها ، فقال له : إن لدى أفندينا هذه المصالح الثلاث العظيمة ، فيمكنه أن يصلح الأمة كلها بإصلاحها ، وهى دينية ويجب المبادرة بإصلاحها . ثم ذكر له كليات هذا الإصلاح ، ولم يخرج من عنده حتى أقنعه به

فمن هذا الوقت أخذت الحكومة فى إصلاح الأزهر، وقد بدأت أولاً بتأليف مجلس إدارة للأزهر مؤلف من أكابر علماء المذاهب الأربعة، وأضيف إليهم الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الكريم سلمان على أنهما عضوان من قِبَل الحكومة، فسار هذا المجلس بهمة صادقة فى إصلاح الأزهر، وسلك فى ذلك سُنَّة التدرج ليأمن الاصطدام بأعداء الإصلاح، ويأخذ الأزهريين به شيئاً فشيئاً، وكانت الحكومة من ورائه ترعاه بالمساعدة، وتصد عنه كيد هؤلاء الأعداء، وتأخذهم بالشدة إذا جنحوا إلى الثورة، حتى لانوا واستكانوا. ونجح هذا المجلس فى إقامة الدعائم الأولى للإصلاح، فألف أهل الأزهر النظام فى أعمالهم ودروسهم، وأقبلوا على دراسة العلوم الحديثة التى كانوا ينفرون من دراستها

وكان الشيخ محمد عبده يرى أن ما نجحوا فيه من ذلك يجب أن يكون وسيلة لا غاية، لأن الإصلاح الحقيقى لا يصح أن يقف عند هذه الحدود، بل يجب أن يتعداها إلى فتح الأذهان المقفلة فى الأزهر، وكسر قيود التقليد فى العلوم القديمة، حتى تدخلها آثار التجديد، وتخلع تلك الأثواب البالية، وتعود إلى ما كانت عليه علوماً تفتح العقول، وتربى العلماء المُجَدِّدين، والأئمة المُبَرِّزين. وقد سأله السيد محمد رشيد رضا عن رأيه فيما قاموا به من إصلاح الأزهر، فذكر أنه لم يحصل شىء من الإصلاح يذكر إلى ذلك الوقت، وأنه أراد أن يبدأ بأعمال عظيمة فى الإصلاح اغتناماً للفرصة، فأشير عليه بوجوب التدرج فى الإصلاح، وأنه لا بد له من المسايرة، وإن كان يخشى أن تضيع الفرصة بما يسمونه التدرج

وقد أتى القوم بعد الأستاذ الإمام فساروا فى ذلك على أنه غاية لا وسيلة، ووقفوا عند هذه الحدود التى لا يصح أن يقف عندها الإصلاح، فلم ينهضوا بالأزهر إلى ما يرجى له فى هذا العصر، وبقيت علومه القديمة فى أثوابها البالية التى تزهد الناس فيها، وتجعلها مماحكات لفظية لا فائدة فى دراستها. وقد نبهتهم إلى ذلك بكتابى (نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف) فقامت على قيامتهم، ولم تهدأ ثائرتهم إلا بعد أن أنزلوا بى من العقاب ما أنزلوا، وكانوا يريدون عزلى من المعاهد الدينية، فتداركنى لطف الله تعالى، وبقيت إلى وقتنا هذا مخلصاً لعقيدتى لا يثنينى عنها ما يفوتنى بسبب إخلاصى لها

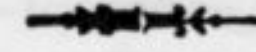
وقد أراد أستاذنا الشيخ المراغى فى عهده الأول أن يصل بالإصلاح إلى هذه الغاية التى أرادها الأستاذ الإمام، وأن يخطو فى الإصلاح خطوة جريئة يقصد بها وجه الله تعالى، ولا يُبالَى بما تحدثه من ضجة وصريخ، فقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة فى العالم بمثل هذه الضجة، ولكنه اعتزل منصبه بعد فترة وجيزة

وها هو ذا قد عاد إلى منصبه مرضياً عنه كل الرضا من ولى الأمر، فما عليه إلا أن يستغل تلك الفرصة السانحة كما استغلها الأستاذ الإمام من قبله، ويستدرك بهذا ما فاته فى المرة الأولى، وقد هُيِّئت له أسباب النجاح، ومُدَّ له فى منصبه حتى ذلت له العقبات، وزال ما كان يعترض تلك الخطوة الجريئة فى الإصلاح

عبد المتعال الصعيدى

أقوياء الأبدان في العصور الإسلامية

للأستاذ كوركيس عواد



للمؤرخين روايات ونوادر كثيرة بشأن بعض جبابرة الناس الذين أوتوا من ضروب القوى البدنية ، ما أبقت لهم ذكراً وشهرة في صحائف الكتب . ونحن نأتي في هذا المقال بشيء مما انتهى إلينا من طرائف أخبارهم في ميادين البطولة . فمن ذلك ما ذكر عن مبلغ قوة الأمين ، سادس خلفاء بني العباس (١٩٣ — ١٩٨هـ = ٨٠٩ — ٨١٣ م) من أنه كان « في نهاية القوة والشدة والبطش والبهاء والجمال ، إلا أنه كان عاجز الرأي ضعيف التدبير غير مفكر في أمره . ويروى أنه اصطبح ذات يوم وقد كان خرج أصحاب اللبابيد والحراب على البغال ، وهم الذين كانوا يصطادون السباع ، إلى سبع كان بلغهم خبره بناحية كُوثى والقصر[1] ، فاحتالوا في السبع إلى أن أتوا به في قفص خشب على جمل بختي ، فحط بباب القصر وأدخل ، فثل في صحن القصر والأمين مصطبح . فقال شيلوا باب القفص وخلوا عنه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنه سبع هائل أسود وحش ، فقال : خلوا عنه ، فشالوا باب القفص ، فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور ، فزأر وضرب بذنبه الأرض ، فتهارب عنه الناس ، وغلقت الأبواب في وجهه ، وبقي الأمين وحده جالساً في موضعه غير مكترث بالأسد ، فقصده الأسد حتى دنا منه ، فضرب الأمين بيده إلى مرفقة أرمنية[2] وامتنع منه بها ، ومد السبع يده إلى الأمين ، فجذبها الأمين وقبض على أصل أذنيه وغمزه ثم هزه ودفع به إلى خلف ، فوقع السبع إلى مؤخره ميتاً . وتبادر الناس إلى الأمين ، فإذا أصابعه ومفاصل يده قد زالت عن مواضعها ، فأتي بجابر ، فرد عظام أصابعه إلى مواضعها ، وجلس كأنه لم يعمل شيئاً . فشقوا بطن السبع ، فإذا مرارته قد انشقت على كبده »[1]

(١) موقعان قديمان في أرض بابل . تعرف أطلال الأول منهما اليوم بتل إبراهيم

(٢) المرفقة : المخدة . والأرمني : نسيج فاخر متين ، عرف بذلك لأنه كان يصنع في بلاد أرمينية

ونظير ذلك ما عرف من تناهي قوة الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨ — ٢٢٧ هـ = ٨٣٣ — ٨٤٢ م) ، فإنه « لم يكن في بني العباس من قلبه أشجع منه ولا أتم تيقظاً في الحرب ولا أشد قوة . قيل إنه اعتمد بأصبعه السبابة والوسطى على ساعد إنسان فدقه . وكان يلوي العمود الحديد حتى يصير طوقا ، ويشد على الدينار بأصبعه فيمحو كتابته »[2]

ومثل ذلك ما تناقله بعض المؤرخين بصدد قوة المعتصم ومتانة جسمه ، وإليك الخبر : « قال ابن أبي دؤاد : كان المعتصم يخرج ساعده إليّ ويقول : يا أبا عبد الله ، عض ساعدي بأكبر قوتك ، فأقول : والله يا أمير المؤمنين ، ما تطيب نفسي بذلك ، فيقول : إنه لا يضرني ، فأروم ذلك ، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة فضلاً عن الأسنان »[3]

وزاد السيوطي على الخبر المتقدم ما هذا نصه : « وقال نفطويه : وكان [المعتصم] من أشد الناس بطشاً ، كان يجعل زند الرجل بين إصبعيه فيكسره »[4]

وروى الخطيب البغدادي أن المعتصم « انصرف يوماً من دار المأمون إلى داره ، وكان شارع الميدان منتظما بالخيم فيها الجند . فمر المعتصم بامرأة تبكي وتقول : ابني ابني ! وإذا بعض الجند قد أخذ ابنها . فدعاه المعتصم وأمره أن يرد ابنها عليها ، فأبى . فاستدناه فدنا منه ، فقبض عليه بيده ، فسُمع صوت عظامه ، ثم أطلقه من يده فسقط ، وأمر بإخراج الصبي إلى أمه »[5]

ومما حكاه ياقوت الحموي عن ابن زُهر الطبيب الأندلسي الشهير ، المتوفى سنة ٥٩٥ أو ٥٩٦ هـ (١١٩٨ — ١١٩٩م) ،

(١) مروج الذهب للمسعودي (٦ : ٤٢٢ — ٤٣٣ طبع باريس)

(٢) خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الاربلي (ص ١٦٢)

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣ : ٣٤٦)

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ٢٢٢ طبعة المنيرية بالقاهرة)

(٥) تاريخ بغداد (٣ : ٣٤٦)

أنه « كان شديد البأس ، يجذب قوساً[١] مائة وخمسين رطلاً بالاشبيلي ، وهو ست عشرة أوقية »[٢]. وهذا الخبر عينه نقله ابن أبي أصيبعة بأن زاد في التعريف أن : « كل أوقية عشرة دراهم »[٣]

ونظير ذلك ما روى عن بكتمر السلاح دار الظاهري المنصوري ، المتوفى سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣م) من أنه كان « حسن الرمى ، يرمى على ستة وثلاثين رطلاً بالدمشقي »[٤]

ومثلهما في هذا الباب ، أنس بن كتبغا الملقب بالمجاهد ، المتوفى سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٣م) ، فقد « عاني الفروسية ورمى النشاب ، حتى صار أوحد عصره فيه ، يُقال رمى على قوس زنة مائة وثمانين رطلاً »[٥]

وقد عُرف غير واحد من هؤلاء الأبطال الأشداء ، فكان من جلتهم كُستاى أمير السلاح المتوفى سنة ٧١٦هـ (١٣١٦م) فإنه « كان شديد البأس قوى البدن ، كان يأخذ العظم الكبير من الشاة فيكسره بيده قطعتين »[٦]

ومن الغرائب في هذا الباب ، ما حكي عن قطليجا بن بلبان الجوكندار ، المتوفى سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠ م) ، من أنه « كان فارساً بطلاً خفيف الحركات ، يقال إنه ساق فرسه ، فأخذ نصف سفرجلة من غصنها ، وبقى نصفها الآخر مكانه »[٧]

ومثله في هذا الميدان ما نقله ابن رافع السلامي في ترجمة عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عمر بن شهاب بن عليّ الواسطي ، الذي كان حيًّا سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٧م) من « أنه قوى شديد البطش ، يضرب الآجرّة بيده فتصير فلقاً ، ويضرب الجوزة

(١) أي يرفعه ويدفعه

(٢) معجم الأدباء (٧ : ٢١ طبعة مرجليوث = ١٨ : ٢١٧ — طبعة رفاعي)

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٢ : ٦٨)

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ١ : ٤٨٣

(٥) الدرر الكامنة ١ : ٤١٧

(٦) الدرر الكامنة ٣ : ٢٦٨

(٧) الدرر الكامنة ٣ : ٢٥٥

بكسرها ... قال أبوه : ودخل اللصوص داره وأخذوا المتاع ، فتركهم حتى خرجوا ومشى خلفهم إلى الصحراء فبقر منهم واحداً وهرب الباقون وتركوا المتاع »[١]

وممن وُهب قوة بالغة واشتهر بأمور من هذا القبيل ، أحمد ابن أبي بكر بن محمد بن محمود الحلبي ، المتوفى سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) ، فقد « كان قويّ اليدين جداً ، حتى كان يأخذ الحية فيحملها بذنبها ويرفعها إلى فوق ويقصفها إلى أسفل ويرميها وقد انقطع وسطها وانخلعت فقرات ظهرها »[٢]

ونظيره في هذا الأمر ، أبو بكر زكيّ الدين الخروبي رئيس التجار بالديار المصرية ، المتوفى سنة ٧٨٧هـ (١٣٨٥م) ، فقد كان أيداً شديد القوى . حكي لنا أنه كان يقبض على الركب الحديد فتتمصر رجل الراكب »[٣]

(بغداد) **كوركيس عواد**

(١) تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار لابن رافع السلامي انتخبه التقي الفاسي المكي (ص ٨٠ طبع بغداد)

(٢) الدرر الكامنة ١ : ١١٣

(٣) الدرر الكامنة ١ : ٤٥٠

من ميدان الحياة

للأستاذ شكرى فيصل

هذه الأمانى التى تمتادنى اليوم ... ما بالها تزدهر فى خاطرى من جديد ، وكنت أحسب أنها الفرقة التى لا رجعة وراءها ، والهجر الذى لا لقاء بعده ، والأسباب التى انقطعت فلا سبيل إلى صلتها ؟ وما أنا وهذه الأمانى التى تتفتح فى أعماق من جديد مع الورد الناشئ ، وتنطلق فى عالمى مع الربيع الطلق ، وتتألق فى دنياى مع الزهر النيِّر ، وكنت حسبتنى انصرفت من دنياى الكبرى لأعيش فى دنيا الناس الضيقة ، وخرجت من عالمى الفسيح لألقى هذا العالم المتقارب ، وهجرت الأرض الخصبة لبدى كفاى وقدماى بالفأس القاسية والأرض الغليظة ... وما رجعتى إلى رؤاى هذه ؟! ... كانت لى معها ليالٍ أزهى من النور وأوضح من الصبح ... وأيام أنضر من الورد وأحلى من الربيع ... لكأنى أذكر الساعة أوديتها الخضر العامرة ، وجنباتها الغر الزاهرة ... وهذه الفضة فيها كالحصى ... وهذا الصليل كالأمواه ... وهذا الذهب المنتشر كأنه أوراق زهر الدراق ... وذلك الزمرد الذى يطرز حواشيها كأنه أعشاب الجنة ... لكأنى أثب معها الساعة فى تطواف بعيد ، لا أحس له الجهد ، ولا ألقى فيه العناء ، ولا أكاد أمس الأرض إلا المسَّ الهين الرقيق .. فأجوز السهل والجبل ، وأمر بالهضبة والوادى ، وأطوى البيد الفساح ، ويحملنى النهر على سرير ناعم من نسماته اللطاف ، وبصوغ لى البحر فلكا طيِّعة من أمواجه الخفاف ، وينشر لى الأفق بساطه المسجدى ... أكان الجبل إلا السبيل المذلل المنقاد .. أكانت الصحارى إلا المسالك المذهبة المبسوطة ؟ أكان العالم إلا جنة من السحر الحلال ؟!

تلك ليال وأيام ... ما أمرُها ، تطرقنى مبكرة ، وتسمو إلى هذا السمى الهادئ مع مولد الفجر ... تنشر لعينى الصور ، وتلقى فى أذنى الأحاديث ، وتفجِّر فى قلبى الأصم ينابيع متدفقة من الذكريات ... أتراها تريد أن تفسد علىَّ حياتى بالنعيم ، وتثير منى عاطفتى بالذكرى ، وتنال من بعضى ببعضى ... أتراها تودُّ أن تطفئ ظلماتى السود بشعاعها المتقدة ، وتخفت أنفاسى الخرس بأغانيها العذبة ، وتطمس أنغامى الباردة بأنفاسها المشتعلة ؟

***

... وما أنا وهذه المواكب التى تتهادى من أمامى ، وهذه الحسناء التى تنظر إلىَّ ... لكأنى عشت معها دهراً طويلاً ... أذكر ... لقد كان بينى وبينها عهود ! وكان لها فى عنقى ذمم ، وكان لى فى رقبتها وجائب ... ثم ... ألم تكن من بيننا فرقة ، فتتاركنا على غير شىء ... كأنما لم ترع طفولتى بالهدهدة الناعمة ، ولم ترف على فتوتى ظلالها الهادئة ، ولم تسكب فى قلبى خمرها المسكرة ... وكأن لم يكن بين دمشق والقاهرة أنيس ، ولم يسمر فى مرابع الجيزة سامر ، ولم تهتف فى دمشق هواتف ، ولم تثر فى الغوطة أصداء ... فما بالها اليوم : هذه المواكب توحش صمتى السادر بالنشيد ، وتفزع أمنى القلق بالسلام ، وتمشى عينى المظلمتين بالجمال ، وتفسد على مقامى الخشن بالموكب اللاهى ؟! ... أتراها تبتلينى من جديد بسحرها العابث ؟! تلك مواكب وأغانٍ وأناشيد قد خلت . . . فما مثارها عندى اليوم ، ومالى من موكب وأغنية ونشيد ... ؟

وهذه الذكريات التى تغزونى فتلح علىَّ وتأخذنى من بين يدى وخلفى ... ما أنا وهى وقد استرقنى حاضرى ، فإذا هو علىَّ مطبق لا ينفرج ، رتق لا ينكشف ، ضيق لا يكاد يتسع لغير هذا الذى أنا فيه ؟ وما أنا فيه إلا الآلة الصماء تغدو مطلع النهار مع الصباح لتعود فى صفرة اليوم مع المساء ، وتظل على ذلك تحرك فى غير حراك ، وتدور على غير حس ، وتمضى وكأنما تدفعها يد قادرة إلى غير ما أحبت وما كانت تقدر أنها تحب ... ما أنا وهذه الذكريات ، تجد السبيل إلى كهفى العميق ، ثم تتحسسنى من بين هؤلاء الساكين الذين قدر لهم أن يعيشوا معى فى هذا الكهف . كيف استطاعت أن تجوز هذه الأبواب الحديدية الضخمة ، وأن تفلت من هؤلاء المردة الذين يحرسونها ، وأن تبلغنى فتمزق هذا الغشاء الصفيق الذى أسدلت بينى وبينها ؟! ما شأنها ، تملأ على جنبات هذا الكهف ، فى يديها البضتين هذه الأعواد الرقيقة المشتعلة ينتشر منها هذا الدخان اللطيف المعطر الذى ينفث فىَّ روح الماضى . لكأنه هذا البخور الذى

عهدته في ليالي الخاليات . إن سحبه لتتلوى هادئة رفيقة فتبدد كل ما حولي . لا الناس الهرالى الذين أعهدهم ، ولا المتعبون الذين آلفهم ، ولا هذه الأردية السود التي تتحرك إلى جانبي ؛ وإنما هي أطياف حلوة كريمة ، أحس كأنما كان من بيني وبينها سبب ، ومغانٍ رائعة بهيجة كأنما كان لي بها عهد . أتراها تود أن تلقف بسحرها الحائل هذا الواقع المتورد ، وأن تطرد بأطيافها القاتمة هذه الأشباح الناعمة ، وأن يذهب عطرها الهفاف بالحاضر المتماسك ؟! أتراها تود أن تعيد حياتها الأولى في حياتي الجديدة لتثير الأماني والأوهام ؟!

وهذه الأحلام التي تشق عني ظلمة الليل ... ما أنا وهي ... وقد انعتقت منها وانصرفت عنها . ألست أعمل نهاري المتصل ليميتني الليل ، وأجهد شمسي الطالعة ليواريني المساء ، وأنطلق مع الغراب المبكر كيما أنسى بعد في العتمة كل شيء . ما شأن هذه الأحلام تراودني عن نفسي ، فتطرقني منذ أيام ، وتنشر في مسائي الكالح أفقاً ورديّاً زاهياً ، وتبعث في ليلي البهيم أضواء رفافة نيرة ، وترسم على غبش العتمة أنوار النجم . أتراها تود أن تؤرقني فلا أغفو ، وأن تهزني فلا أغفل ، وأن تمتادني فلا أجد الهدوء !... أتراها تملك أن تفسد على راحتي التي لا حس فيها بالحس الذي لا راحة معه ، واطمئناني الذي لا شعور فيه بشعور لا اطمئنان معه . وما عساها تبغي مني ، وإنها لتعلم أن الدنيا قد جعلت مني غير الذي عهدت فيّ : لا هزة الطروب ، ولا رفة المرح ، ولا استيفاز الشاعر . فقد ذهبت الحياة بالهزة والرفيف والحس المستوفز . وما يكون للذين تضطرهم الحياة أن تذهب بنفوسهم في سبيل العبء الذي لا بد منه ، والعيش الذي لا مناص من تداركه إلا أن يرتقبوا اليوم القريب والساعة الدانية

***

لا يا أماني التي تزدهر الساعة في خاطري ! ما كان لي أن أغفل عن الماضي ، أو أنصرف عن العهود ، أو أهدر هذه الفترة الحلوة من حياتي القريبة . وإنما هي ويلات الحاضر التي لا بد من النجاة منها ، وضرورات الواقع التي لابد من الاضطراب فيها

إن تكاثف السحاب لا يذهب بنور الشمس ، وإن قتام الضباب لا يحول دون إيماضة البرق ؛ وإنما يتفتح الشتاء القاسي — بإرادة الله — عن الربيع المتدفق

(دمشق) شكري فيصل

حمـــلة صقلية

الجبهة الثانية . أين ومتى تفتح ؟

هذا هو السؤال الذي تردد على ألسنة الناس في الأسابيع الأخيرة والذي كان موضع اهتمام العسكريين وبحثهم في كلا المعسكرين ، وكان في غزوة الحلفاء لصقلية الجواب على هـذا السؤال . وللمعركة التي تدور رحاها الآن في هذه الجزيرة أهمية كبرى للطرفين ؛ فالإيطاليون من جهة ، يرون أن غزو هـذه الجزيرة خطر يهدد كيان إيطاليا نفسها ويجعلها الهدف التالي بعد صقلية ، ويرون أن القرار الحاسم فيما يتعلق بالحرب كلها سيتخذ على سواحل صقلية ؛ وهم واثقون بأن كل قوة للحلفاء ستجد مصرعها على سواحل إيطاليا . أما اهتمام الحلفاء فيتجلى في النداء الذي وجهه الأميرال كننجهام لجنوده ساعة الغزو : « إن نجاح الحلفاء في غزو صقلية يعد بمثابة فتح جبهة ثانية كما أنه سيكون الخطوة الأولى في سبيل هزيمة سريعة للأعداء »

قبيل انتصاف ليل الجمعة التاسع من يوليو أخذت جنود المظلات البريطانية والأمريكية تنهال على أرض الجزيرة وهبطت على أثرهم الجنود الذين كانت تقلهم الطائرات الشراعية وأسرعوا في الزحف لتعزيز مراكزهم وراء استحكامات المحور لتدمير منشئاته وشل حركة مطاراته حتى يحال بين المدافعين وبين القيام بعمل جوي منظم ضد القوات الكبيرة التي كانت تقلها سفن الغزو

وفي فجر يوم السبت ، أي بعد هبوط قوات المظلات بساعات قليلة ، أخذت السفن المحملة بالجنود والأمداد تقترب من موانى الجزيرة منتشرة في الاتجاهات التي رسمت لها من قبل .

ولم يكن غزو صقلية بالأمر المفاجئ للمحور فقد صرح الجنرال إيزنهاور منذ أكثر من شهر لمندوبي الصحف بأنه لن يمض الشهر حتى تكون الأعمال الحربية ضد صقلية قد بدأت ، وكذلك كانت الغارات المنيفة التي ظلت الطائرات المتحالفة تشنها على النقط الحيوية والمواقع الرئيسية في الجزيرة بمثابة مقدمات لهذا الغزو ، وهو عين ما حدث في جزيرتي بنتلاريا

ولبيدوزا حين سبق احتلال الجزيرتين غارات على مثل هذه الصورة من العنف والشدة

وقد وقع الغزو بعد أقل من أسبوع لبدء الهجوم الذى قام به الألمان فى الجبهة الروسية ، فقد انتظر الحلفاء حتى إذا ضمنوا اشتباك القوات الألمانية فى معركة الروسيا الطاحنة شنوا هم هجومهم ؛ وبذلك ضيعوا على الألمان فرصة تقديم مساعداتهم الجدية لإيطاليا فى صقلية

أما مواقع الهجوم فقد اختارها الحلفاء فى جزء كان خبراء المحور يرون أن نزول الحلفاء فيه أبعد احتمالاً من غيره ، فاختاروا الركن الجنوبى الشرقى للجزيرة ، وذلك لأن وعورة أراضيه وكثرة مرتفعاته وقربه من قواعد المحور الجوية فى جنوب إيطاليا تجعل من العسير نزول قوات كبيرة من المشاة والدبابات كما تجعل القوات النازلة أكثر عرضة لضربات العدو الجوية وأقرب منالاً للقوات البرية التى تأتى عن طريق خليج مسينا . لهذه الأسباب كان نزول الحلفاء فى هذا الجزء غير متوقع

وقد تطور القتال منذ بدء الغزو تطوراً يعتبر فى صالح الحلفاء الذين استولوا على معظم المدن المهمة هناك ولم يبق أمامهم سوى قطانيا حيث تدور بعض المعارك فى السهل الذى يحيط بها . ويرجع عدم وقوع معارك كبيرة حتى الآن إلى أن القيادة الإيطالية فى الجزيرة تراقب الحالة بعين يقظة حتى تقف على المكان الذى يجب أن توجه إليه قواتها الرئيسية

وبديهى أنه حين يفرغ الحلفاء من هذا الركن فسيحاولون الزحف بقواتهم داخل الجزيرة للاستيلاء على المواقع الهامة التى تجمل خليج مسينا فى قبضتهم ، وذلك ليتسنى لهم عزل صقلية عن إيطاليا ووقف سيل الإمدادات التى يوالى المحور إرسالها ، وحينئذ يسهل السيطرة على باقي أجزاء الجزيرة الغربية

وتعتبر صقلية أول ثغرة يحاول الحلفاء فتحها فى القلعة الأوربية ، وستختبر على هذه الجزيرة قوة استحكامات أوربا الدفاعية ، فإذا نجح الحلفاء فى غزوها فسيتخذون منها نقطة للهجوم على إيطاليا نفسها ، كما أنها ستصبح أعظم قاعدة بحرية للأساطيل المتحالفة فى البحر الأبيض المتوسط

ويظهر للمتتبع لسير الأعمال الحربية أن الحلفاء يحتفظون بقوات احتياطية كبيرة فى شمال أفريقيا حيث تصل إمدادات متوالية من بريطانيا وأميركا

ويمكن التكهن بأن هذه القوات يحتفظ بها لغرضين : أولهما أن القيادة المتحالفة تعمل لمواجهة احتمال قيام المحور بحركة تركيز أو تطويق قد تؤدى إلى الإحداق بقواتهم ، فوجود هذا الاحتياطى يمكن الحلفاء من إفساد أية محاولة فى هذا الصدد

أما الغرض الثانى فينحصر فى الإبقاء على هذا الاحتياطى لاستخدامه فى مهاجمة جزيرتي سردينيا وكرسيكا اللتين سيكونان بلا شك الغرض التالي للحلفاء بعد صقلية ، إذ أن احتلال هاتين الجزيرتين لازم للهجوم المنتظر على ساحل فرنسا الجنوبى

وستؤدى الأعمال الحربية فى جزيرة صقلية والمحاولات التى سيقوم بها الحلفاء للسيطرة عليها وعلى غيرها من الجزر فى البحر الأبيض المتوسط إلى تطورات جديدة سيكون للقوات البحرية منها أوفر نصيب .

محمد شاهين الجوهرى
بكالوريوس صحافى

تينة الجبـــل!

للأســتاذ أحمد الصافى النجفى



[... وهذه طرفة ثانية* من طرائف « الصافى » نقدمها للدكتور طه حسين بك . ولعل من الخير أن نذكر أن (الدكتور) ينكر على شعرائنا المحدثين فيما ينكر عليهم انعدام « الوحدة الفنية » فى أكثر منظوماتهم . ولقد فهمنا من محاوراته معنا أن من أظهر خصائص الشاعر الأصيل فى رأيه وضوح المثل الأعلى الذى يدور عليه فلك وحى الشاعر ، واستحضاره فى فترات الخلق والانتاج . وليس هنا محل مناقشة الدكتور فى هذا الرأى ؛ ولـكنى أضع يده على هذه الطرفة البارعة التى تمثل مذهبه فى الشعر أصدق تمثيل

و (تينة الجبل) شجرة عجيبة شاذة معروفة فى سورية لا يطيب لها أن تنمو وتستطيل إلا فى جو قاس من العزلة والتوحد والانزواء ، فتراها بعيدة عن مجارى المياه العذبة والأعشاب الندية والطيور المغردة ، فهى تعيش دائماً فى صمت وسكون . ولـكن أى فوز تناله يوم عرض الثمار ؟ هذا ما نترك الاجابة عنه لحضرات القراء وهم ينعمون بتلاوة هـذه القصيدة الرمزية البارعة]

القدس — عبد القادر جنيدى

نبتتْ فى الجبال دَوحة تِينٍ   وقفت مثل وقفة الجبار
ألِفت وحشة الدجى واستمرّت   فى صراع مضنٍ مع الإعصار
فهى أخت الثلوج والأمطار   وهى نبت الهـــواء والتزآر
وهى تحيا كراهب فى قفارٍ   دون ديرٍ يضمه أو دار
وإذا ما هفتْ لنجوى سمير   رنَّ فى سمعها صدى الأدهار
أينما تلتفتْ فليس تلاقى   من سمير لها سوى الأحجار
حرمتها يد الطبيعة حتى   من غناء الحفيف فى الأسحار
لم تظلّل غصونُها ندماء   لا ولم تُسقَ منهم بعقار
وهى لم تستمع لنجوى حبيـ   ـبين وما أعلناه من أسرار
لا ولا أمّها هزارٌ يغنى   فانتشى سمعها بشدْو الهزار
ما وعتْ حين أينعت للعصا   فير سوى لحن نقرة المنقار
ما جلتْ جسمها ليوم ازدهاء   أو رأت وجهها بنهر جار
فهى تبدو كأشعث ذى سفار   وهى تحكى فلاّحة فى القفار
أنفت من تمايل واختيال   وسمتْ عن تجمّل وازدهار
أصبحت لا ترى سوى البرّ حلياً   لا ولم تشتمل بغير الوقار
إن تردّى دوح الرياض اخضراراً   فهى لا ترتدى بغـــير الغبار
لم تفاخر بالمجد دوحاً ونالت   قصب السبق يوم عرض الثمار
ولو أنى أتيت للدوح باسمٍ   قلت هذى أميرة الأشجار
فهى بنت الجبال ذات وقار   وهى بنت الصخور ذات اصطبار
وهى تسعى للـــبرّ دون ضجيج   وهى تعطى الخيرات دون افتخار
وهى طيُّ الخفاء تدأب كدْحاً   مستمراً فى ليلهـــا والنهار
تصهر الشمس رأسها كل صيف   وتلاقى الشـــتا بجسم عار
قـــد تلقّت حوادث الدهر تترى   دون أن تشتكى من الأقدار
ما الذي ساقها لنفع البرايا   دون ما دافع ولا إجبار
هم ذووها إن أطعمتهم وإلا   قطعوها فعذّبت فى النار
كم لها من يد علينا ولـكن   ما علينا يدٌ لغـير البارى
لم تزل تأكل التراب ولـكن   تطعم الخلق أطيب الأثمار
ليتنا مثلهـــا فنعطى جَنانا   لا لنفع يُرجَى ولا استثمار
وأرانى كالدوح شأناً ولـكن   ما جَنَا دوحتى ســـوى الأشعار
ولـكلٍّ فى الـكون شأنٌ به خُصّ   وخُصّ الفنـــــاء بالأطيار

أحمد الصافى النجفى

(*) راجع عدد (الرسالة) رقم ٥٢٣



الوشوشة والهينمة

الكاتب الباحث الأستاذ (سيد قطب) فى مقالته البليغة (النماذج البشرية المهموسة) حوّط (الوشوشة) ـ قد توسطت الهمس والتهويم ـ بالأقواس أو الأهلة ـ كأنهن تحويطة[1] ـ فإن كان قد جاء ذلك لفرط اهتمامه بهذه اللفظة فلا ملام ؛ وإن كانت الأقواس إعلاماً أن الوشوشة من العاميات لا من قبيل العربيات ولا من بنات المعجمات ففى (النهاية) فى حديث سجود السهود : « فلما انفتل توشوش القوم » وروى القول (اللسان) ؛ وفى (القاموس) : « توشوشوا تحركوا وهمس بعضهم إلى بعض » وفى مستدرك التاج : « الوشوشة الكلام المختلط ، وقيل : الخفى ، وقيل : الكلمة الخفية »

وجاء (التهويم) بعد الوشوشة ، والتهويم ـ كما قالوا ـ : أول النوم ، أو النوم الخفيف ، أو هز الرأس من النعاس . فهل المراد أحد هذه المعانى أو المقصود (الهينمة) أخت الهمس ؟

ناقد

إصلاح التعليم فى مصر

فى اليوم الذى أغادر فيه مصر إلى مدينة الخرطوم بالسودان مقر عملى رأيت أن أقدم تحيتى إلى الرسالة وصاحبها الجليل لما لها من أثر فى الثقافة العامة فى السودان ، ولما للمتأدبين وأهل العلم هناك من عناية فائقة بما تنشر الرسالة من بحوث قيمة وأدب بارع

وبينما كنت أقلب الأوراق استعداداً للسفر وقع نظرى على مقال فى مجلة (الإثنين) فى أواخر مايو الفائت لصاحب المعالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الأوقاف بعنوان (ثورة على المدرسة المصرية) كان قد نشره قديماً وقال : إنه لا يزال عند رأيه هذا . جاء فيه (والواقع أن موقف المدرس من الطلبة كوقف « سواقى الأنفار » سواء بسواء . يرى أنه أدى واجبه حينما يقطع مقداراً معيناً من الدروس لا حينما يلمح نجاحه فى تربية عدد من الطلبة وتهذيبهم ، فهو بذلك خدم الدروس ، ويستخدم الطلبة للدروس ، ولكنه لا يخدم الطلبة)

وفى الليلة السابقة لكتابة هذه الكلمة خلوت إلى ولد من أولادى كان من تلاميذى فى الفرقة التى كنت أعلمها قبل سفرى إلى السودان فسألته أن يذكر لى بصراحة رأى طلبة الفرقة فى أبيه فقال :

كنت يا أبى توقظ أذهان الطلبة فى أول السنة الدراسية ، وتطيل المناقشة معهم ، وتتوسع فى الأدب العربى ، وتكثر من تنبيههم إلى ما فى أبيات النصوص الأدبية من معان وأغراض ، فيشغلون بدرسك ويقدرونه ، ولكن بعد أن مرت أشهر على ذلك أخذ الشك يساور نفوس الطلبة فى جدوى هذه الطريقة بالنسبة لضخامة المنهج الذى يجب أن يتم قبل نهاية السنة الدراسية بشهر على الأقل ، وكان من قولهم : يجب أن ننبه أستاذنا إلى ما فيه مصلحتنا بأن يقتصر على سرد ما فى الكتاب ، ويسألنا فيه فى اليوم التالى ، وهكذا دواليك حتى يتم المقرر فى حينه ونكون قد استوعبنا ما فى الكتاب ويكتب لنا النجاح فى الامتحان ، وأن نلفت نظره إلى أنه ليس الغرض من تعليمنا أن نكون أساتذة فى اللغة العربية . ولكن قبل أن تصل النصيحة إلى سمعى قبلت التعليم فى السودان ، وكفى الله المؤمنين القتال

هذه صورة مصغرة لميول الطلبة نحو تثقيف عقولهم وبخاصة فى المدارس الثانوية ، فهل لى أن أرجو وزارة المعارف فى ضجة العلاوات والدرجات أن تجهز جيوشها السلمية لإصلاح التعليم ، وتبسيط مناهجه وتحديد الغرض منه ، وأن تغير النظم القديمة البالية فى إدارة المدرسة وواجب المعلم والناظر والمفتش على أساس تمكوين الملكات وتهذيب الأخلاق وتربية النفوس على حب العلم والرجولة الحق فى الطلاب الذين تنشدهم مصر الحديثة ليستعدوا لحمل الأعباء المستقبلة . بل أقول إن ذوى المناصب الخطيرة فى وزارة المعارف يجب أن يخرجوا من حيز الأوامر والمنشورات والرأى الواحد المقلد إلى مصابيح تشع النور

(١) التحويطة اسم لما يعلق على الصبي لدفع العين

في معاهد التعليم ، فكل هذه الجولة والصولة الغرض منها معلم يحسن أثره في التلاميذ وأن يعالجوا الأمور في جراءة وصدق وإخلاص وهم أهل لذلك

وألا يختبئوا دائماً وراء الوزير والمستشار ، فإن واجب وزارة المعارف غير واجب الوزارات الأخرى

وأذكر أن في أدراج صاحب العزة الدكتور طه حسين بك مشروعاً شاملاً لإصلاح التعليم وبخاصة في اللغة العربية أعدته لجنة برياسته منذ زمن وأرجو أن يبعث من مرقده والله الهادي إلى سواء السبيل .

حسنين حسن مخلوف

من رسائل الرافعي : الألفاظ بمعنى واحد في القرآن . معنى بيت للنابغة . قصة الجارية وعمر

أخذ ابن الأثير في المثل السائر على الصابي — كما بينا — أنه يرادف السجع في المعنى الواحد ، وعد ذلك من عيوب البلاغة ؛ ولكنه لما سئل عن قول الله : « وكان رسولاً نبياً » والرسول لا يكون إلا نبياً ، رجع فقال : « إن إيراد لفظتين في آخر إحدى الفقر بمعنى واحد لا بأس به لمكان طلب السجع » ولما كان بعض الذين يدافعون عن بلاغة القرآن يقولون إنه لا توجد فيه لفظة زائدة ، ولا كلمة جاءت بمعنى ما قبلها ، فقد سألت الرافعي رحمه الله — وهو صاحب إعجاز القرآن — أن يذكر رأيه في هذا الأمر المهم

وسألته أن يبين معنى بيت النابغة :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

وكان حافظ إبراهيم قد ذكر في عمريته قصة الجارية التي كانت تضرب الدف أمام النبي وأبي بكر بغير خوف ولا وجل . فلما جاء عمر ألقت دفها وجلست ، فقال له النبي : إن شيطانها قد فر منك يا عمر . وذلك حيث يقول في هذه العمرية :

قد فر شيطانها لما رأى عمراً إن الشياطين تخشى بأس مخزيها

فسألت الرافعي عن هذه القصة التي تنبئ أن الشيطان يفر من عمر ولا يفر من النبي فتلقيت منه هذا الجواب :

طنطا في ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨

أيها الأخ

بعد السلام ، سرني من كتابكم أني أرى لكم شيئاً من التحقيق ودقة الفكر لم أكن أعهدها من قبل ، فإذا واصلت العمل والجد واستعملت ذهنك رجوت لك أكثر من هذا ورجوت لك مظهراً إن شاء الله

أما ذكر الرسول والنبي معاً في الآيتين فأقرب ما يظن من الحكمة في ذلك أنه تأكيد لشرف الموصوف واختصاص له بالذكر لصفات مميزة ، ولهذا جاءت العبارة معطوفة على صفة سابقة « وكان مخلصاً وكان رسولاً نبياً » . « كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً » . وقد كان يتوجه الانتقاد وحقيقته لو لم يكن هذا التنوين في لفظ رسول ، ولكن التنوين أضعف معنى الكلمة . والمراد من السياق أن يكون المعنى قوياً بالغاً في الوصف فوجب أن يُدَلّ على كمال الموصوف بكمال المعنى ؛ وليس في مذاهب التعبير عن هذا الكمال أدَلّ ولا أبين من لفظ النبي فجاء به نكرةً كذلك وترك العطف فيه ليعلم أن المقصود هو إتمام المعنى لأن لفظ الرسول متضمن معنى النبوة ، فذكر النبوة بعده على الوجه الذي في الآية يدل على أن المراد التوكيد في الصفة . ومن المعلوم أن التكرار يفيد التوكيد وله موضع معين في البلاغة لو ترك فيها لخرجت العبارة ضعيفة أو ناقصة . لو كان لفظ الآية (وكان رسولاً من الرسل) أو (وكان الرسول النبي) أو (وكان رسولاً ونبياً) لسقطت العبارة عن درجة الإعجاز ، ولجاز انتقادها ؛ ولكن هذا التنوين في هذا السياق هو الحكمة كلها . ولزيادة الإيضاح نضرب مثلاً : لو قلت عن رجل عظيم كالشيخ محمد عبده مثلاً إنه كان فاضلاً وكان فيلسوفاً فأي شيء يفيده هذا الوصف إلا أن الرجل كان كأحد الرجال المتازين ؛ ولكن لو قلت كان فاضلاً وكان فيلسوفاً حكيماً شعر السامع في نفسه وشعر القائل أيضاً أنه كان رجلاً ممتازاً كاملاً لأن العبارة جاءت من التكرار الذي فيها على وجه من الكمال يفيد التوكيد ، فكأن غيره من الفلاسفة يعبَّر عنه بلفظتين ، وأما هو فيعبر عنه بثلاث تصويراً لكماله في نفسه وامتيازه عن سواه ، مع أن لفظ الفيلسوف يقتضي معنى الحكيم . ولا يمكن أن تكون لفظة النبي جاءت في الآية

للسجع لأنها وإن وافقت ذلك ، ولكنها تكررت فى الآية الأخرى ومع ذلك لم يعبها تكرارها لأن سياق الوصف اقتضاها ، وما اقتضاه السياق فهو طبيعى ، لأنه من بنية الكلام ، بخلاف ما إذا سجع الكاتب فجاء بكلمة لا يراد منها إلا السجع ، وبعد سطر أو سطرين كرر السجعة نفسها لغرض السجع أيضاً فإنها تجىء أبرد كلام وأسخفه . هذا ما يحضرنى وكنت راجعت أمس الكشاف للزمخشرى وتفسير الطبرى الكبير فلم أجد لأحدهما كلاماً فى هذا المعنى ، وأظن أن الفخر الرازى ربما تكلم فيها ، وتفسيره عند فضيلة الوالد مع تفاسير أخرى كثيرة ، ولكنى لم أراجع لأن دماغى يتعب سريعاً ، ولأنى أرى أن ما ذكرته هو الحقيقة[1]

وأما بيت النابغة (ولست بمستبق أخاً الخ) فضبطه لا تلُمّه . ومعناه أن الصاحب إذا تفرقت أخلاقه فجاء بالحسنة والسيئة ثم أردت ألا تلم أخلاقه على تفرقها وتجمعه كما هو بل ذهبت تنتقى الحسنة فقط فإنه لا يبقى لك لأن كل إنسان يأتى منه الخير والشر ، فلا بد من احتمال هذا وهذا من الصديق إذا أردت أن يبقى صديقاً

وأما العمرية فإن حافظاً نظم وتصرف فى عبارة التاريخ فجاء بعض كلامه موهماً معانى غير صحيحة . والقصة التى أشار إليها يمكن أن يؤخذ منها كما هى فى نظمه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمع الغناء ويشهد الرقص النسائى . وكان أضعف فى الدين من عمر ، وكان وكان الخ : ولكن القصة فى نفسها لا تفيد شيئاً من هذا كله . فالرواية أن جارية سوداء جاءت النبى صلى الله عليه وسلم لما انصرف من بعض مغازيه فقالت : إنى كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف . قال : إن كنت نذرت فاضربى وإلا فلا . فجعلت تضرب ، ثم دخل أبو بكر ثم على ثم عثمان وهى تضرب . فلما دخل عمر ألقت الدف وجلست عليه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن الشيطان ليخاف منك يا عمر . فلم يفر الشيطان ولكنه خاف أو كأنه خاف . ولا يخفى أن اللهو من الشيطان ؛ فهى عبارة مجازية .

وأنت ترى أنها جارية سوداء ، وأنها لم تفعل شيئاً إلا الضرب بالدف . وكان هذا من عادات سائر العرب إذا انقلب أبطالهن من الغزو ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرخص للجارية إلا لتوفى نذرها لا غير . فأى شىء فى هذا كله ؟

وبالجملة فإن حافظاً إنما نظم تاريخاً موضوعاً وكان خليقاً به أن يضع تاريخاً جديداً كما يكتب رجل مثل كارليل فى كتاب الأبطال أو نحو ذلك

أما الكلام فى باقى القصيدة فليس من شأنى أن أخوض فيه . ولعل السيد البرقوقى يكفيك إذا وفى بما وعد قراءه والسلام عليكم ورحمة الله .

الداعى

مصطفى

(المنصورة) محمود أبو ريه

نقدة نحوية

جاء فى قصيدة الشاعر محمود حسن اسماعيل (قطرة دمع) المنشورة بالرسالة الغراء « العدد ٥٢٢ » هذا البيت

جئتُ أرثيك فما لى (ملجمٌ) تزهق الأنغام فى عودى إذا ما

مضبوطة فيه (ملجمٌ) بالرفع والمفهوم أنها وأمثالها فى هذا الموضع منصوبة على الحالية من الضمير المجرور باللام

يشهد لذلك قول فاطمة بنت طريف ترثى أخاها

أيا شجر الخابور مالك (مورقا) كأنك لم تجزع على ابن طريف ا

وقول المرحوم حافظ ابراهيم وهو يرثى الإمام الأستاذ محمد عبده : عليك سلام الله ، مالك (موحشاً)

عبوسَ المغانى مُقفر العرصات

وقد انتظرنا فى العدد التالى أن يصلح الشاعر هذا الضبط فلم يفعل فصار من حقنا أن ننبه على ذلك

(الاسكندرية) حسين محمود البشبيشى

تصويب

وقع خطأ مطبعى فى أحد أبيات قصيدة « اليتيم » ، للآنسة فدوى طوقان انكسر من أجله البيت وصوابه :

فنضت عنها الثياب السود ، لا ، لا تظنوا جرحها الدامى التأم

(١) لعلنا نجد من أحد شيوخ الدين ما يزيدنا فى هذا الأمر العظيم بياناً . (أبو رية)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 526

Lundi - 2 - 8 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٢٦ «القاهرة فى يوم الإثنين أول شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢ أغسطس سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٦٠١ وزارة الأوقاف الجـديدة : أحمد حسن الزيات ... ...
٦٠٢ الحديث ذو شجون : تحول جديد فى الجو المصرى . بين الشيخ محمد عبـده والشيخ رشيد رضا ... ... } الدكتور زكى مبارك ... ...
٦٠٦ المسرح المصرى : لغته وماذا تكون ؟ .. .. } الأستاذ دريني خشبة ... ...
٦٠٩ غلطة الآلهة ! وشتائم الأستاذ مندور ... ... } الأستاذ سيد قطب ... ...
٦١٠ وفود العرب على كسرى : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٦١٣ فى الشعر المهموس ... ... : الأستاذ حسين الظريفى ...
٦١٤ برنارد شو بمناسبة بلوغه السابعة والثمانين ... . } الأديب محمد شاهين الجوهرى
٦١٦ قبر من الأوحال ... ... } الكاتب التركى خالد ضيا ... للأستاذ برهان الدين الداغستانى
٦١٨ نهاية موسولينى [قصيدة] : الأستاذ على محمود طه ...
٦١٩ القصة والتجديد ... ... : لأستاذ جليل ... ...
٦١٩ إلى الأستاذ دريني خشبة ... : الأستاذ عبد الله اللحوق ...
٦١٩ أخطاء فى كتاب الامتاع والمؤانسة . ... } الأديب زكريا إبراهيم .. ..

وزارة الأوقاف الجديدة

أقول « الجديدة » وأنا أعلم أن بين هذه الصفة وبين وزارة الأوقاف نفوراً لا يزول إلا بمعجزة ! فهـل تمّت المعجزة ؟ أم لا تزال الوزارة القديمة قائمة فى مكانها الأثرى كالدير العتيق أو كالطلل الموحش تروع النفس القوية بمسالكها الضيقة المظلمة ، ومكاتبها الصامتة الرهيبة ، وأضابيرها المكتظة البالية ، فكأنما يجول الزائر فيها بين أجداث وأضرحة !

وليست الأضرحة بالكلمة الغريبة عن لغة الأوقاف ؛ فهناك الوقفيات بشروطها العجيبة ، والتصرفات بوجوهها المريبة ، والأنظمة التى تعقّد البسيط وتعوّق السريع وتصعّب السهل ! وهنالك القضايا التى تماطل الحق ، والشكاوى التى تنتظر العدالة ، والحقوق التى تتنكر المستحقين ؛ وكلها راقدة فى نواويسها الكرتونية رقود البلى لا تسمع دعاء الناس ولا تحس مرور الزمن !

نعم لا تزال الأوقاف القديمة تمثالاً للصدقات الجاريات والصالحات الباقيات والبر بأسمى معانيه ؛ ولكن التمثال على كل حال تمثال . كل ما فيه معانٍ من الخير تبيضّ من جسد أصم . أما وزارة الأوقاف الجديدة أو المرجوة فهى فى درج الوزير المصلح عبد الحميد عبد الحق ؛ وأما المعجزة التى ستؤلف بين الجدّة والأوقاف فهى عزيمة الشاب العامل عبد الحميد عبد الحق !

والرجل الذى استطاع أن يجعل من العدم وجوداً فى وزارة الشؤون ، يستطيع أن يجعل من الفساد صلاحاً فى وزارة الأوقاف . على أن الذين يعرفون فى الأوقاف تلك الصخور التى أدْمت أيدى المصلحين وفلّت معاول الإصلاح يقولون إن العمل هنا يختلف عن العمل هناك . كانت وزارة الشؤون أحاديث مُنى وأساليب بلاغة ، فجعلها بثاقب رأيه وصادق عزمه حركة تجديد ونهضة إصلاح . والبناء على الجَدَد أسرع من البناء على الأنقاض ، والتعمير الحر أسهل من الترميم المقيد . أما الأوقاف فهي أحد القروح الثلاثة التى أعضلت الأُساة وظلت الدهر الطويل تمج الصديد وتوهم الجهلاء أنه من الدين . ولكن المحاكم الشرعية بسبيل النهوض ، والأزهر الشريف بسبيل اليقظة ، فلم يبق غير هذا القَرح مضمومَ الفم على فساد ونَغَل . ولقد بلغ من سوء القيام على شؤون الأوقاف أنك لا تكاد تجد فى مصر كلها بائساً فى بيت كريم إلا من مستحقى الأوقاف ، ولا خربة فى مكان (مُقْفَع) إلا من أملاك الأوقاف . وكان السفهاء من الأجانب يرجعون عيوب هذه المؤسسات الثلاث إلى طبيعة الإسلام وهو الذى نشر العلم ورقّاه ، ومدّن العالم وحرّره . ومن هنا عُنى أولياء الأمر فى الدين والدنيا بالنظر فى إصلاحها على هدى المدنية الحديثة لتتسق مع الأداة المصرية الأوربية فى الإدارة والتعليم والحكم . فدُرست العلل ، وكُتبت التقارير ، ووُضعت الخطط ، وجاء دور التنفيذ فجاء معه الهوى المستبد ، والطمع المتهالك ، والجهل المتنطع ، والتردد الخوار ، والمصانعة الحقيرة ؛ فانهزمت فكرة الإصلاح وعادت كما بدأت أحاديث فى المجالس ، ومقالات فى الصحف ، وتقارير فى الأدراج ! فماذا عسى أن يصنع هذا الوزير الفعّال وإن أول ما عليه أن يهدم المتصدع ويقطع المؤوف ، وربما اتسع الأمر على معوله ومِبضعه فيستنفدان جهده ويستغرقان عهده . والهدم والقطع من وسائل الإصلاح لا من غاياته . على أننى شديد الثقة بكفاية هذا الرجل وإن كان الأمر كما ترى بلاء العقول الجبارة ومحنةَ النفوس الكبيرة . وفى يقينى أنه سيعمل لأنه يريد . وإرادته فى الأوقاف مطلقة على خلاف ما كانت فى (الشؤون) . وإن ما كان قد وجه إليه عزيمته من تحقيق الصلاح الاجتماعى بمجاهدة الجهل والفقر والمرض ، يستطيع أن يصل إليه من طريق الأوقاف ؛ لأن الأوقاف إنما حبسها المحسنون على كفاح هذه البلايا الثلاث . ولو اجتمع لهذه الأحباس التي تربى على مائتى ألف فدان وسبعة وثلاثين ألف عقار ، الرأسُ المدبر والعين الكلوء واليد المصرِّفة والضمير العف ، لهونت على المكدودين متاعب الحياة ، وسهلت على المنكودين مصاعب العيش . ولكن هذه الينابيع الفياضة بخير الله قد ردها وا أسفاه ! الإهمال والإخلال والعبث إلى أوشال من الرزق لا تكاد تفى بنفقات الإدارة وتكاليف الوزارة !

* * *

وزير الأوقاف القائم على شؤونها اليوم حقيق أن يكذب ظنون المتشائمين فى إصلاح هذه الوزارة . وإن فى ابتدائه بتنظيم الإدارة وإحياء الثقة واستثمار المتروك وتبسيط الإجراء وتعجيل التنفيذ لدليلاً على توخيه النجاح من أقرب طرقه . ولعل الأستاذ الوزير أول من أعلن أن لوزارة الأوقاف رسالة . ورسالتها كما جاء فى حديثه لممثلى الصحف أن تسير على هدى الروح التى تتجلى فى المدنية الإسلامية : مدنية العلم والخلق والتعاون ، فتهيئ للمساجد — وهى التى كانت فى صدر الإسلام مصدراً لكل ذلك — الوسائلَ الصحية والدينية والعلمية ، ليكون كل مسجد من مساجد الوزارة ، في كل قرية من قرى مصر ، مؤسسة ثقافية تدير الأبدان بالطب ، وتثقف الأذهان بالعلم ، وتطهر النفوس بالدين ، وتوثق الأواصر بين الناس بالمودة والمعونة . ووسيلتها رفع مكانة العاملين بالمساجد ليستطيعوا أداء هذه الرسالة ، وإنشاء قسم « الخدمة الاجتماعية بالمساجد » ليمهد لتنفيذ هذه السياسة . وسيجد الوزير العامل مع تراخى الزمن وتوفر المال أغراضاً شتى لرسالة الوزارة تجدد ببعض ما درس من رسالة الإسلام . وسيجعل (رجلُ الشؤون الاجتماعية) من الأوقاف بيتَ مالٍ لله يكون مثابة للفقير ومَصحّة للمريض ومدرسة للجاهل . وإن فى شتى الأغراض الخيرية التى قصدها الواقفون البررة متسَعاً لآمال الوزير . وإن فى ريع خمسين مليوناً من الجنيهات الموقوفة متّسعاً لأعمال البِر . ولقد كتبنا من قبلُ فى وزارة الأوقاف القديمة ما أملاه الألم والشكوى ، فعسى أن نكتب فى وزارة الأوقاف الجديدة ما يمليه الأمل والثقة !

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

تحول جديد فى الجو المصرى — بين الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا

تحول جديد فى الجو المصرى

أخذ الجو يتحول فى الأعوام الأخيرة بأسلوب لم نعهده من قبل ، فقد صار شتاء مصر عنيفاً جداً ، وصار صيفها أعنف ، وأصبحنا نتذوق الطعوم المختلفة للحياة الجوية على نحو ما كان يتذوق الآباء والأجداد قبل أجيال

والمنتظَر أن يكون لهذا التحول الجديد في الجو المصرى تأثيرٌ يزيد فى قوة الحيوية وقوة الشعور بالوجود ، فقد كاد اعتدال الجو فى مصر يخلق ألواناً من البلادة ، وكاد يضعف الإحساس بتغيّر الفصول

والمنتظر أيضاً أن يكون لهذا التحول فضلٌ فى التشويق لمعرفة الأجواء المختلفة بالديار المصرية ، فسيصير من المألوف أن تكون لنا مواسم فى الجنوب أيام الشتاء ، كما صارت لنا مواسم فى الشمال أيام الصيف ، وسيكون من الحتم أن نعرف الأقصر وأسوان كما نعرف الإسكندرية ودمياط

والواقع أن إقبال المصريين على مصايفهم الجميلة ليس إلا وثبة جديدة فى تذوق الحياة ، فما أعرف أن فى الدنيا مصيفاً يُشبه مصيف الأسكندرية ، ولا أعرف أن فى الدنيا بقعة يتجمهر فيها الجمال كما يتجمهر فى ذلك المصيف . والذى يقدر على قضاء أيام بالإسكندرية أو بور سعيد أو دمياط ثم يبخل على نفسه بذلك النعيم فهو من أعيان السفهاء !

صار الاصطياف بحمد الله من صميم التقاليد المصرية ، وصار من منهاج الحياة فى مصر أن يدّخر الناس ما يعين على الاصطياف ، ولم تعد الشواطيء مقصورة على من يعرف فضلها من الأجانب ، فقد أضحت ملاعب مصرية تحت سيطرة الشبان المصريين ، وصار من السهل أن ترى من كبار الرجال من يرتاد تلك الملاعب فى الضحى والأصيل

هل شهدتم ملاعب التنس فوق الشواطيء ؟

إنها مواكب من الحياة البهيجة تتهادَى فى كل صيف ، وتشهد بأن مصر مُقبلةٌ على فُتوةٍ مَرِحة سيزدهر بها الشعر والخيال

فى هذه اللحظة صلصل الهتّاف من الأسكندرية يحمل صوت الأستاذ محمد على حماد محرر مجلة الشعلة ، وهو يستعجل مقالاً وعدته به عن الديوان الجديد للشاعر على محمود طه فابتسمت وقلت : وحىُ الشاطىء هو الذى أثار العطف على الملاح التائه ، لَطَف الله به وهَداه إلى شاطىء الأمان !

إن مصر ديارٌ بحرية ، ديارٌ تحيط بها البحار من أكثر الجوانب ، وتجرى بها الأنهار فى كل جانب ، ومع هذا تقلّ فيها الآداب البحرية والنهرية ، فما هذا الجمود !

إن أسلافنا عاشوا بأفضل مما نعيش ، فقد كانت فى مدينة القاهرة مَشابه من مدينة البندقية ، يوم كانت القاهرة تتماوج بين الُخلجان ، ويوم كانت الملاهي بتلك الُخلجان فى أمائل الُجمَع والآحاد تزعج رجال الدين فيُفتون بأن النزهة فى السفائن حرامٌ لا حلال !

كانت حياة أسلافنا شعراً فى شعر ، وكان للنيل فى حياتهم وجود ، ألم تسمعوا أنهم أحاطوه بطرائف من الأقاصيص ؟

ومع هذا رأينا من يقول بأن « عروس النيل » أسطورة خلقها العرب لا الفراعين ، وحجتُهم أنها لم توجد فى غير الكتب العربية . فإن صح ما قالوه فالعرب أبلغ فى الشعر والذوق ، لأنهم تخيلوا النيل فتى لا يعيش بلا عروس ، وتلك وثبة من وثبات الخيال .

فى القاهرة حىّ اسمه « بركة الرطلى » ، فما تلك البِركة فى التاريخ ؟

نقل الدكتور عبد الوهاب عزام فى « مجالس السلطان الغورى » أن وصلها بالخليج الحاكمى فى أيام الفيضان كان يوجب إعداد عُرس تُزَفّ فيه نساء جميلات ، وأن السلطان الغورى قد استفتى الشيخ البلقينى فأفتى بأنها بدعة ، وكل بدعة ضلال(1)

ألا تكون عروس البِركة صورة جديدة من عروس النيل ؟

والشيخ البلقينى كان من ظرفاء المشايخ ، وهو الذى قال

(1) الخليج الحاكمى هو الخليج المصرى ، والتسمية الثانية جديدة

بأن الميت يُسأل في القبر باللغة السريانية لا العربية ، وفي هـذا قال أحد الناظمين :

ومن عجيب ما ترى العينانِ أن سؤال القبر بالسُّرياني
أفتى بهذا شيخُنا البُلقَيْني ولم أرهْ لغيرهِ بعَيْني

وقبر البلقيني معروف بالقاهرة ، وهو قريب من قبر الشعراني ، عليهما أطيب الرحمات !

قال الأستاذ حماد وقد راعه أن يعرف أني أكتب مقالاً في ظهيرة هذا اليوم القائظ : في مثل هذه اللحظة تكتب ؟

فقلت لأنها أنسب اللحظات لموضوع هذا الحديث ، فما كان أدبي إلا صورة من شعوري بالوجود

قال : متى تزورنا في الإسكندرية ؟

قلت : أنا أقضي في الإسكندرية عشرة أيام من كل أسبوع

قال : ولا نراك ؟

قلت : وهل أزور الإسكندرية لأراك ؟

في الإسكندرية ذخائر وجدانية يعرفها من يمشي على قدميه من محطة الرمل إلى المحطة الفلانية ، وفي صحبته الروح التي أوحت رسالة « غِناء وغَناء » ، وهل كانت « جِنّيّة الشاطيء » إلا مصدر نعيمي وعذابي ؟

روّاد الإسكندرية غرباء ولست فيها بالغريب ، فلي هنالك تلك الروح

ومن بيّنات الحب أنْ كان أهلُها
أعزَّ على قلبي وعينيَّ من أهلي

روّاد الإسكندرية غرباء ، أما أنا فالإسكندرية داري ، بفضل تلك الروح

أيجوز الارتياب في القوة الربانية ، ومن إبداعها ذلك التمثال من الجمال ؟

تبارك مَن هـذا فنُّه في تحويل الأنوار إلى شُخوص تصافحها القلوب !

إن إبداع الشمس والقمر والنجوم لا يدل على قدرة الله بأقوى مما يدل عليها إبداعه الفائق لتلك الروح ، بذلك اللطف الوهّاج

هي آية من آيات الله ، آيةٌ أعظم من البحر ومن السماء ، وأنضر من جميع ما في الوجود

أيكون الله أراد أن يجزيني جميلاً بجميل ؟

أيكون الله أراد أن يجمل ثوابي في الثناء عليه بخلق تلك الشواطئ المِلاح ثواباً روحيًّا يمثّله تفردي بالسيطرة على ذلك الروح المليح ؟

مَن كان له في الأسكندرية رمال وأمواج ، فلي فيها أرواح وأضواء

في هالة ذلك القمر أجد مؤلفاتي ومقالاتي وأشعاري ، وأجد حول كل سطر شروحاً تفضح المكنون من أسراري ، وأجد حول كل حرف نيراناً أرّثتها أشواق ، فأومن بأن لله فضلاً عظيماً في وصل روحي بتلك الروح

كان من حظ الشعر أن يكون لي في الأسكندرية مكان ، وأين الشاعر الذي يستطيع الإجادة وهو لم ير الأسكندرية في الصيف ؟

يا مدينة أحلامي ويادار هواي ، متى نلتقي ؟
وهل افترقنا حتى نفكر في التلاقي ؟
وهل فارقتني تلك الروح حتى أفكر في اللقاء ؟
هي في رحابي ولو مضيت لاستكشاف أقطار السماء

روح الشيخ رشيد

حوّل إليّ سعادة الأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق خطاباً وصل إليه من السيد عبد الرحمن عاصم بطرابلس الشام . وصاحب الخطاب يعترض على ما نشرناه من حديث دار بيني وبين الشيخ مصطفى حول تأثر الشيخ رشيد رضا بروح الشيخ محمد عبده ، وحول الدقة في ترجمة الأستاذ الإمام ، رحمه الله

وأقول إن ما نقلته من حديث الشيخ مصطفى راعيت فيه الأمانة العلمية ، فلم أضف إليه أيّ حرف ، ولم أشُبْه بأي عدوان ، لأني أعرف فضل السيد رشيد في إحياء مآثر الشيخ محمد عبده ، ولأن هذا الرجل كان من أعزّ أصدقائي

إن لهذه المسألة وضعاً آخر ، وهو تحري الصدق في تقدير الرجال ، وما كان يجوز أن أطوي حديثاً للشيخ مصطفى يزن به الصلة بين روح الشيخ عبده وروح الشيخ رشيد ، مع العلم بأن الشيخ مصطفى حجة في وزن هذين الرجلين ، لأنه تلميذ الأول

وزميل الثانى ، ولأنه معروف بكراهة التزيد على الناس

والذى عرفته وتحققته أن روح الشيخ رشيد شابته شوائب من العنف ، شوائب خلقها اتصاله بالمجتمع فى نواحيه الصواخب ، فلم تكن عنده تلك البشاشة الروحية التى اتصف بها الأستاذ الإمام فى جميع العهود

وإليكم النادرة الآتية :

قبل أن أكتب هذه الكلمة رأيت أن أحادث جماعة من محبى الشيخ رشيد ، عسانى أعرف من أحواله فى التسامح الدينى ما لم أكن أعرف ، وكانت النتيجة أن يقول فلان وهو رجل حصيف : كيف يجوز لسعادة مصطفى باشا أن يرتاب في تسامح الشيخ رشيد مع أن له حكاية تنقض ذلك الارتياب ؟

فما تلك الحكاية ؟

قال الأستاذ أسعد داغر للشيخ رشيد : أنا نصرانىٌّ يحترم الفضائل الإنسانية ويرى أن محمداً آية فى الكرامة الأخلاقية ، فكيف يجوز أن تُغلَق أبواب الجنة فى وجهي ؟

فأجاب السيد رشيد : ستدخل الجنة يا أسعد قبل كثيرمن فقهائنا

ذلك هو تسامح الشيخ رشيد فى نظر ذلك الرجل الحصيف .

وأنا أرى فى هذا التسامح دليلاً على التحامل ، التحامل على الفقهاء ، وكانت بينهم وبين صاحب المنار ضغائن وحُقود

ولأجل أن نفهم هذه الحقيقة يجب أن نرجع إلى مقالين فى رثاء الشاعر عبد المحسن الكاظمي ، المقال الأول فى مجلة « الرسالة » بقلم الشيخ عبد القادر المغربى ، والمقال الثانى فى مجلة المنار بقلم صاحبه السيد رشيد

فى المقال الأول عطفٌ ورفق ، وفى المقال الثانى قسوةٌ وعنف ، فقد قال الشيخ رشيد فى الكاظمى كلمات لا تليق ، وسلَّقه بقلم دُونَه بأس الحديد

أكانت إهانة الكاظمى بتلك الصورة فرضاً يوجبه التاريخ ؟

وما الذى يعكّر التاريخ الأدبى لو بقى الكاظمى كما صوره الشيخ عبد القادر المغربى ؟

الأمر كله يرجع إلى أن الشيخ رشيد عانى متاعب من معاصريه ، متاعب ثقيلة جداً ، فقد كان الناس يستكثرون عليه أن يتفرد بإعلان مآثر الشيخ محمد عبده والإفصاح عن آرائه الدينية والاجتماعية ، وكانوا يرون ظالمين أن الأمر لا يعدو المهارة فى الاستغلال

من خطاب السيد عبد الرحمن عاصم عرفت أن فضيلة الشيخ محمد شاكر كتب إلى الشيخ محمد عبده يدعوه إلى كف يده عن رعاية الشيخ رشيد ، وأن الأستاذ الإمام أجاب :

« كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار عنى وهو ترجمان أفكارى ؟ »

وأنا أعرف الشيخ محمد شاكر جيداً ، فقد كان على جانب من العنف ، وكانت عداوته مُرة المذاق ، وكان يحارب خصومه فى الرأى محاربة المستميت ، فمن المؤكد أن خصومته تركت فى نفس الشيخ رشيد عقابيل

أما جواب محمد عبده فهو جواب محمد عبده ، جواب فلاّح مصرىٌّ شريف يؤازر أنصاره ولو تألبت عليهم الأرض والسماء

مضيتُ عصرَ يوم لتنسُّم الهواء بحديقة الجزيرة فوجدت الشيخ عبد الرحمن قراعة هناك ، وكانت الشيخوخة لا ترحم يديه من الارتعاش ، فدار بينى وبينه حديث وأحاديث ، وجاءت قصة الشيخ محمد عبده فقال :

— هل تعرف أن الشيخ عبده لم يُعزّ أحداً كما أعزّنى ؟

— وكيف ؟

— لأنى زُرته أيام اعتقاله بعد انهزام الثورة العرابية

— ولتلك الزيارة هذه القيمة ؟

— أنا وجهت إليه هذا السؤال فكان جوابه أن هذه التفاتة لا ينساها كرام الرجال

ماذا أُريد أن أقول ؟

زيارة عابرة للشيخ محمد عبده فى معتقَله تُقرّر فى نفسه هذا الحق ، فكيف يكون نصيب الشيخ رشيد من نفسه وهو يرفع العَلَم لآرائه فى كل مكان ؟

أترك هذا وأذكر أن قول الشيخ مصطفى بأن تاريخ الشيخ عبده لم يدوَّن على الوجه الصحيح ليس معناه اتهام الشيخ رشيد ، ولكن معناه أن تاريخ الشيخ عبده رُوعِيَتْ فى تدوينه أشياء من الاعتبارات السياسية ، وهى اعتبارات يراعيها أكثر الباحثين فى التاريخ الحديث ، وعلى الأستاذ مصطفى باشا أن يحررها بقلمه إن تناسى أنه من السياسيين !

أما قول السيد عاصم بأن السيد رشيد لم يجد مَن يترجم له بعد أن يموت فجوابه حاضر : ذلك بأن الشيخ رشيد رضا ترجم لنفسه بنفسه ، ولم يمت إلا بعد أن إن كتب سطور حياته فى صفحات الخلود .

زكى مبارك

٣ – المسرح المصرى
لغته وما ذا تكون ؟

للأســتاذ درينى خشبة

الذين يزعمون أن اللغة العربية هى لغة أجنبية عن هذه البلاد هم قوم متعصّبون يتجنّـوْن على الحقيقة كما يتجنّـون على أنفسهم ، ويسيئون إلى الحقيقة بقدر ما يسيئون إلى بلادهم ... فلقد أثبتت اللغة العربية حيويتها وصلاحيتها لسكان وادى النيل فلم يمض قرن أو قرنان بعد فتح العرب مصر حتى كان المصريون جميعاً ... بمـا فيهم سكان الأديرة والواحات ، يتكلمون اللغة العربية ويعجبون بطواعيتها ، وقيامها بأغراض حياتهم قياماً كاملاً غير منقوص ، فأنسوا لغتهم الأصلية وآثروا عليها تلك اللغة اللينة السهلة التى مرنت بهـا ألسنتهم فى غير مشقة ، وأسلست لهم فى غير عسر ... ولتكن أسباب انتشار العربية فى مصر ما تـكون ، فما لا جدال فيه أن المصريين لم يرغموا على التكلم بها وأنهم لم يتعاظمهم أن يهجروا لغتهم إلى لغة الغزاة الفاتحين برغم ما فى هذا الترك من مرارة على أنفسهم ، وبالرغم مما فى تعلم لغة جديدة من عَنَت وإرهاق

إن انتقال أمة بأكملها ، بل أمم كثيرة ، من لغة إلى لغة هو ضرب من السحر لا يفسره إلا امتياز اللغة الجديدة وتفردها بفضائل ليست للغة القديمة . وإذا احتج أحد بالعامل الدينى لم يستطع تعليل إبقاء الملايين من مسلمى الهند والترك وغيرهم على لغاتهم ، ثم لم يستطع تعليل فناء اللغات القديمة فى العربية التى جذبت إليها الأقليات الدينية فعرّبوا كتبهم المقدسة وأغفلوا اللغات الأصلية التى كتبت بها مع ما يكنونه لأصول هذه الـكتب من إعزاز وتقديس

هذه مقدمة أوشكت أن تغرينا بكسر الـكلام على اللغة العربية وصرف النظر عن المسرح ... على أننا نعود فنتساءل : هل تصلح العربية أن تـكون لغة للمسرح المصرى ... ولست أدرى لماذا لا نتساءل : هل تصلح اللغة العامية أن تـكون لغة هذا المسرح ؟

أما السؤال الأول فله أعداء كثيرون قامت عداوتهم على روح شعوبية منكرة ، كما قامت على كراهية للغة العربية التى هم ضعفاء فيها أغلب الأمر ، والتى لا علم لهم بأسرارها ولا ذوق أصيل يغريهم بطلاوتها وحلاوتها ، وكل أولئك الأعداء هم ممن شَدَوْا لغة أجنبية فثقفوها وبرعوا فيها قبل أن يتاح لهم نصيب موفور من اللغة العربية . ومنشأ ذلك فساد نظام التعليم فى مصر ... ذلك النظام الذى أوهى من دعائم قوميتنا — ورمزها الأول اللغة — كما أوهى من عصبيتنا لـكل ما هو مصرى ... فإن مصر توشك أن تـكون الدولة الوحيدة — وربما يشبهها فى ذلك الشام — التى تسمح لعدد ضخم من أبنائها ممن يتعلمون بالمدارس الأجنبية أن يتعلموا جميع المواد التى تدرس فى هذه المعاهد بلغة غير لغة البلاد ... فالحساب والجغرافيا والتاريخ والعلوم والرسم والهندسة والأشـغال وما إلى ذلك يدرس كله بلغة أجنبية وبواسطة معلمين من الأجانب ... وهكذا يفقد هذا العدد الجم من أبنائنا مصريتهم ، وينسون لغتهم ، لأنهم يذهبون إلى تلك المدارس وهم صغار لم يعدوا الرابعة أو الخامسة من عمرهم ، أى فى السن التى يصلحون فيها للتكييف حسبما تشاء المدرسة وعلى الصورة التى تهوى سياستها وسبب إنشائها ... ولقد آن أن نفهم أن الاستمرار فى السماح لتلك المدارس بأن يظل منهاج الدراسة بها على هذا النحو هو أشنع ضرب من ضروب الخيانة الوطنية . ولا يقل عنه سماحنا لأبنائنا بالذهاب إلى تلك المدارس ... وهو هذا الجزء البغيض من تلك الخيانة الذى نصنعه بأيدينا . على أن الآباء الذين يدفعون بأبنائهم إلى تلك المدارس يدفعون اعتراض كل معترض بحجج لها وجاهتها أحياناً ... ولسنا نرى ما ذا يمنع وزارة المعارف من تدارك أوجه النقص التى تعتور نظام التعليم فى مدارسها حتى لا تنهض لأولئك الآباء حجة فى العدول بأبنائهم عن مدارسها ؟ على أن التفات المدارس الأجنبية إلى تعليم البنات وتطبيعهن على الطابع الأجنبى كان خليقاً أن يفتح أعين وزارة المعارف فتقاومه بفتح المدارس المصرية الراقية فى كل مدينة بها مدرسة أجنبية تنشأها الفتاة المصرية التى لا تجد مدرسة أخرى فى بلدتها لتتعلم بها ... والحق أنه لم يعد معنى مطلقاً أن توجه الدولة ٩٥ ٪ من اهتمامها إلى تعليم الذكور ، ولا توجه إلى ما تبقى من تلك النسبة المئوية التافهة لتعليم الأناث . وسنظل فقراء فى قوميتنا ، مدخولين فى مصريتنا ، بائسين فى لغتنا ، ما دامت الدولة تقصر هذا التقصير الشنيع

فى تعليم الفتاة المصرية ، صارفة معظم عنايتها إلى تعليم الذكور دون الأناث ، مع علمها بأن البنت هى التى تصنع الأمة ، وأن نصيبها فى ذلك هو أضعاف نصيب الذكر

ونحن إنما نسوق هذا الكلام فى معرض الحديث عن لغة المسرح لما له من الصلة الوثيقة به ... لأننا نتكلم باللغة العامية ونتعامل بها فى حين أننا نقرأ الكتب والصحف ونصغى إلى الراديو والخطب الضافية في المساجد والكنائس ، والمحاضرات الضافية فى النوادى ودور العلم ... ثم نحن نكتب فى مدارسنا وفى معاملاتنا ومراسلاتنا باللغة العربية الفصحى ، أو ما يقرب من اللغة العربية الفصحى ... وفى مصر اليوم أكثر من ثلثمائة جريدة ومجلة تصدر يومياً أو أسبوعياً أو كل شهر وكلها مدبجة بهذه اللغة العربية الفصحى ... ومن هذه الجرائد ما كان يصدر يومياً فى ست عشرة صفحة وفى ثمانى وأربعين صفحة محررة باللغة العربية الفصحى وندر ما كان يعثر القارئ فيها جميعاً بغلطة فى اللغة ... ومن مجلاتنا عدد لا بأس به يعنى بالأسلوب فلا يسمح بركاكة أو لحن أو إسفاف أو دنو من العامية حتى فى أبسط ألفاظها ... فهل قال أحد إن أى مستمع من عامة الشعب ممن لا يتكلمون العربية الفصحى وممن لا يخطر لهم استعمالها على بال ، لا يفهم ما يصغى إليه من موضوعات تلك المجلات وتلك الصحف وما يستمع إليه فى خطب المساجد وعظات الكنائس ومحاضرات الوعاظ العامة وإرشادات الإذاعة وأغانيها المنظومة بالعربية من قصائد وموشحات ؟

الحق أن عامة المصريين ، بل عامة الأمم العربية ، تجيد فهم الأساليب العربية وتسيغها ... ولو لم تكن هذه العامة متعلمة ، ولو لم يكن لها بصر بطبيعة تراكيب تلك الأساليب ... ومادامت هذه العامة تفهم تلك الأساليب ولا تضيق بها ، بل هى تلتذها أحياناً وترددها فى أغانى كبار المطربين وفى أحاديث الرسول الكريم التى تحفظها عن ظهر قلب ، وفى آيات القرآن التى ترددها وتمزج بها حياتها فى صلواتها وأدعيتها ، وفى آيات الكتب المقدسة الأخرى ... فليس من العسير أن تحاول الدولة التمهيد لإحلال العربية الفصحى محل هذه اللهجات الدارجة المتعددة ، وذلك بتعليم الفتاة المصرية وتنشئتها فى بيئة مدرسية عربية لا يؤذن فيها بتعلم لغة أجنبية حتى تبلغ الفتاة الثانية عشرة على الأقل ، وحتى تكون قد أنضجت فيها قوميتها المصرية التى تعتبر اللغة العربية أكرم مقوماتها ... ونحن نلاحظ أن الطبقات المتعلمة فى مصر وفى الشرق العربى عامة ، أقل استعمالاً للهجات الدارجة من سائر طبقات الشعب غير المتعلمة ... فمعظم طبقات المتعلمين فى مصر وفى الشام وفى العراق يداولون أحاديثهم بينهم باللغة العربية ، أو ما يقرب أن تكون لغة عربية خالصة ، اللهم إلا ما تقضى به العادة من استعمال العامية فى مجرى الحديث فى غير وعى ... فالتعليم إذن هو الوسيلة الوحيدة لإحلال العربية الفصحى محل العامية الدارجة ... أما عنايتنا بتعليم الفتاة خاصة فذاك أنها هى التى تتولى تربيب أطفالنا فى سنيهم الأولى ، فهى كفيلة إذن أن تصقل ألسنتهم ، وأن تفهم عن المدرسة ما تهدف إليه من مطامح وأغراض ، فهى على مساعدتها أقدر من الأم الجاهلة المغرقة فى الأمية ، ومن الأم التى تعلمت فى مدرسة مصرية عرجاء ، أو فى مدرسة أجنبية تعنى أول ما تعنى بمحاربة القومية المصرية فى كل مشخصاتها وأهم تلك المشخصات اللغة التى لا تستحى بعض طبقاتنا الراقية ممن تعلموا - أو تعلمن - فى مدارس أجنبية من هجرها واحتقارها ومداولة الحديث بلغة أجنبية حيث لا يكون فى المجلس أجنبي واحد ... هذه كارثة اجتماعية ينبغى أن تعالجها الدولة بما يجب لها من جهد ... وليس على الأرض قاطبة لغة أشرف من لغتنا لو وجدت من يخدمها فى إخلاص ونصح ...

وإلى أن يتم هذا الإصلاح ، وإلى أن تلتفت الدولة إلى خدمة اللغة العربية على النحو الذى نراه ، لا نرى مندوحة من الصراحة فى القول ونحن نتحدث عن لغة المسرح المصرى وما ينبغي لها أن تكون فى الوقت الحاضر ، من أن نوصى باللغة العامية خيراً فى هذا الحديث ... فللغة العامية محاسنها التى لا تنكر ، ومن هذه المحاسن ما تتفرد به ، وما لا يؤديه شىء فى العربية الفصحى إلا حينما تفشو ، هذه العربية الفصحى ، بين الناس بحيث تختلط بدمائهم وألسنتهم كما تختلط العامية الآن ... وليس الخير الذى نريد أن نوصى به للغة العامية هو الخير المطلق الذى يجعلها لغة المسرح عندنا ... كلا ... وإلا كنا ندعو إلى شر لا إلى خير ، وإلى نكسة لا إلى نهضة ، فليست لغة غير اللغة العربية تصلح للمسرح المصرى خصوصاً فى الروايات المترجمة التى كان يقبل الجمهور عليها إقبالاً شديداً فى فجر نهضتنا المسرحية التى كان يضطلع بها الشيخ سلامة حجازى وجورج أبيض وعبد الرحمن

رشدى والشيخ أحمد الشامى وأحمد سماحة ، والتى ازدهرت أيما ازدهار فى السنوات الأولى من حياة مسرح رمسيس قبل الانشقاق المشئوم الذى مزق وحدة الممثلين المصريين البارزين والذى انتهى إلى تلك العواقب المحزنة التى لم يسلم منها إلى اليوم .

ولا يفوتنا أن نذكر الفرقة القومية بهذه المناسبة ... فلقد كانت اللغة العربية هى لغتها الرسمية ، وكان يرجى الخير كل الخير من هذه الفرقة العتيدة التى قضت عليها سياسة قصر النظر ... تلك السياسة المرتجلة التى كانت تريد أن تجعل من هذه الفرقة مشروعاً تجارياً فلم تعرف لها حقها الثقافى ، ولم تعرف لأبطالها مقدرتهم على الاضطلاع بالنهضة المسرحية وحسن استعدادهم لأداء مهمتهم فضربت بهم عرض الأفق ، وقبضت عنهم كفها ؛ مما نرجو أن نعرض له عند الكلام عن فرقنا التمثيلية ... ونأمل ألا يغضب كلامنا هذا أحداً من أبطال التمثيل فى مصر ، وألا يترك تناؤنا على زيد غضاضة فى نفس عمرو ... فقد آن أن يكون عمل الجميع خالصاً لخير المسرح

وقصار النظر هم الذين يزعمون أن تمسك المهيمنين على الفرقة القومية باللغة العربية هو الذى قضى عليها ... بل قضت عليها عوامل أخرى سنعرض لها في حينها إن شاء الله ... فاللغة العربية يجب أن تكون اللغة السائدة فى جميع الروايات المترجمة . أما الروايات المصرية فمسألة فيها نظر ...

وإليك أيها القارئ بعض الأسئلة التى تتبادر إلى ذهنى وذهنك بهذه الناسبة :

هل يجوز أن يدير المعلم (فلان) الجزار أو البواب أو الخادم أو بائع المقانق (السجق ولا مؤاخذة !) حديثه باللغة العربية فى زماننا الذى نحن فيه ؟

وهل نستطيع أن نخلق جواً كوميديا (هزلياً) باللغة العربية الفصحى دون أن تنتهى جهودنا إلى الفثاثة والسخف ؟

وهل نستطيع الاستغناء فى جميع رواياتنا الكوميدية عن لهجاتنا المضحكة المرحة من (صعيدى وشرقاوى وبربرى وشامى ومغربى ؟)

وهل نستطيع الاستغناء عن أمثالنا العامية الفياضة بالحكمة وعن نكاتنا القومية التى لا يعقل أن ترسل بغير اللغة العامية ؟

وهل نستطيع الاستغناء عن الفولكلور المصرى كله طفرة من غير أن نمنح أنفسنا مهلة ليكون لنا فولكلور آخر لا غنى لحياتنا الأهلية عنه ، إلى أن نستعرب تمام الاستعراب ؟

... ولنسأل أنفسنا هذا السؤال أيضاً :

هل فى أوروبا أمة استغنت تمام الاستغناء عن لغتها الدارجة فى مسرحها المحلى ؟

وأحسب أن الإجابة هى بالنفى القاطع عن كل الاسئلة الأولى ، ولعل السؤال الأخير فقط هو الذى يحتاج لإيضاح ...

ولا مراء فى أن چورج برنرد شو هو أعظم مسرحى عرفه العالم فى العصر الحديث ، وأكثر النقاد على أنه من أعظم مسرحيي التاريخ ، ثم هو رجل تدين له اللغة الإنجليزية بفضل كبير . وهو فى الوقت نفسه من أكبر كتابها حيث لا ينازعه المرتبة الأولى إلا واحد أو اثنان من أساطين كتابها ... وقد استطاع شو أن يجعل للغة الإنجليزية الفصحى معيناً لا ينضب من اللغة العامية ، وهو يعتبر هذه اللغة ضرورة لا غنى عنها للكمال المسرحى خصوصاً لشخصيات الرعاع والغوغاء التى يصرح أنه إن أنطقها بالإنجليزية الفصحى التى لا تعرفها ولم يسبق لها أن لهجت بها فإنه يجافى الواقع وينافر الطبع ويقلق الذوق المسرحى ، ولذلك تراه فى عدد كبير من رواياته ، خصوصاً فى ملاهيه المرحة ، يرسل حديث أحد أبطاله الرئيسيين بالعامية من أول الرواية إلى آخرها ، كما فى ملهاته كانديد Candida[1] حيث لا يتكلم برجس Burgrss إلا بالعامية ؛ وكما فى روايته : Captain Brassbound Conversion[2] (هداية الكپتن براسبوند) ، حيث لا يتكلم البطل درنكووتر Drinkwater إلا العامية كذلك . ولو أردنا ضرب الأمثال من روايات كتاب آخرين يرتفعون إلى مستوى شو لما أعوزنا ذلك . على أن الكاتب الإنجليزى سويفت كان أول من تولاه القلق على ضياع العامية

---

(١) مجموعة الـ Pleasant Plays

(٢) مجموعة الـ Four Plays for Purtans

حول الأدب المهموس

غلطة الآلهـــة !
وشتائم الأستاذ مندور

للأستاذ سيد قطب

شاء الأستاذ مندور أن ينقلنا من الجو الأدبي الذي كنا نعيش فيه ، ومن اللغة الأدبية التي كنا نتجادل بها ، إلى جو آخر كريه ، وإلى لغة أخرى هابطة ، يبدو أنه يهرب إليهما كلما أحرج في جدل أدبي لا يملك أدواته

ولقد تحدث إليّ بعض الأدباء مستائين لانحدار أسلوب الجدل الأدبي إلى هذا المستوى الهابط ، فأحب أن أعتذر عندهم للأستاذ مندور : الرجل ذو حساسية مريضة في ناحية خاصة ، ولم أكن في أول الأمر أعلم موضع هذه الحساسية ، وإن كان حدسي قد هداني إلى شيء منها وأنا أتتبع ميله إلى « الحنية » في الأدب ، وطريقته في المناقشة .

فالأستاذ مندور معذور إذن إذا خرج عن طوقه ، ومعذور إذا لم يملك قلمه عن هذا الانحدار إلى شتائم شخصية لا يعسر على أي مخلوق أن ينحدر إليها ، وإن كان يعسر على بعض المخاليق أن يرتفعوا عنها لسبب من الأسباب

على أن الخرافة اليونانية التي ساقها الأستاذ مندور في العدد الأخير عن خلق الرجل وخلق المرأة تكفي وحدها لحل عقدة الخلاف بيني وبينه في فهم الأدب ودراسة الشخصيات . فيبدو أن هؤلاء الآلهة اللاعبين يزيدون في نسب المزج والتركيب وينقصون في كثير من الأحوال . ويبدو أن نسبة المزج في الأستاذ مندور تختلف اختلافاً بيناً عن مثيلتها في رجال أمثال العقاد وسيد قطب ، فطبيعي إذن أن تختلف الأمزجة والأحكام بنسبة هذا الاختلاف !

والغلطة — كما ترى — ليست غلطة الأستاذ مندور ، إنما هي غلطة أولئك الآلهة اللاعبين !

***

وقد اختار الأستاذ الفاضل في رده عليّ طريقة « الملاوعة والمكايدة » ، ففهم أنه « يغيظني » إذا راح يتحدث عني كتلميذ للعقاد ، ويصغر من شأني في أعين القراء . فأحب أن أقول له : إنني لسوء الحظ - لا أفهم الأشياء على النحو الذي يفهمه ، لأن الآلهة فيما يبدو لم تودع تركيبي تلك النسبة الكبيرة من الجنس الآخر ! فليس أحب إلى من أن أكون تلميذاً ناجحاً في مدرسة العقاد

وإنني لأؤكد للسيد مندور أن العقاد لو كان بين أساتذته هو أولئك الذين منحوه الدكتوراه أخيراً ، فصيروه دكتوراً (في الأدب على ما أظن) لكان خيراً مما هو الآن

الإنجليزية ، ولذلك أنشأ مجموعته الفاخرة منها ، والتي تعد اليوم معيناً لا ينضب لإمداد الإنجليزية الفصحى بما تفتقر إليه من ألفاظ قد لا تستطيع نحتها فتفضل استعمال المرادف العامي من أن تأخذ عن اللغات الأجنبية مع أنها لا تأبى أن تصنع ذلك . والحقيقة أننا نغلو غلواً لا معنى له في استهجان لغتنا العامية واستقباح استعمالها مع أنها كنز لم نعرف قيمته بعد نستطيع أن نسعف منه العربية الفصحى بما لم تسعفه به بداوتها الأولى التي حرمتها من كثير من مقومات الحضارة

وقصارى القول فيما ينبغي أن تكون عليه لغة المسرح المصري هو وجوب استعمال العربية الفصحى استعمالاً مطلقاً في الروايات المترجمة ، واستبقاء اللغة العامية لبعض شخصيات الملاهي ليمكن خلق الجو الكوميدي المرح ، كما يجب استبقاء اللهجات العربية الفكهة التي أشرنا إلى بعضها في مجرى الحديث لتساعد في خلق هذا الجو ... وإن كان رأينا هو أن تقوم الملهاة على موضوعها لا على نكاتها وشتائمها ولهجاتها كما هو شائع عندنا اليوم .

دريني خشبة

(يتبع)

وفود العرب على كسرى

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

وجّه إلىّ أستاذنا الجليل « ن » كلمة طيبة تحت هـذا العنوان بشأن ما نشرته فى « الرسالة » فى موضوع « الخطابة بين الحرب والسياسة »

وما بال السيد الجليل « ن » يخفى عنا اسمه ، وقد دلّت عليه عبارته وأشارت إليه مقالته ، كما يدل فتيق المسك على المسك ، ونضح بالأدب اللباب أناؤه كما ينضح الإناء بما فيه . وقلنا ونحن نقرأ مقاله ونتذوق بيانه : هذه نفحة من شيخ أدباء الجارة الشرقية والشقيقة العربية ؛ طالعنا بها على بُعد أمد ، وطول عهد ، والتزام صمت ؛ فوردت تمازجُ الروحَ لطافة ، وتجرى مع النّـفَس رقة

***

يتهمنى الأستاذ الجليل أننى قدّرت فى نفسى صحة حكاية وفود العرب على كسرى ، وهى تهمـة يشرفنى أن أكون بها مقترفاً ، ولها مكتسباً ؛ فقد أوردت قصة الوفود فى مقام يقتضيها وسياق يستدعيها ، ولم أتعرض لها من حيث صحة الوقوع وصدق الرواية ؛ فذلك لم يكن سبيلى فى المقال ؛ ولـكننى سقتها — على علاتها — كما ساقها صاحب العقد الفريد فى أول الجزء الثانى من كتابه .

وكان غايتى من سوْق خُطب الوفود فى مقالى بالرسالة أن أستشهد على حـذق بعض الخطباء وحضور بداهتهم وسرعة خواطرهم فى المقامات الضيقة التى يفرّجونها ببيان ولسان وجدل ، فلم أجد أحسن فى الاستشهاد ولا أطوع فى الانقياد من خطب وفود العرب على كسرى

وابن عبد ربه نفسه الذى نقل أخبار هـذه الوفود يمهد لها فى أول كتاب الجانة بقوله : « ... فإنها مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الـكلام ، وتستهذب الألفاظ ، وتستجزل المعانى . ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذى عن قوته ينزعون وعن رأيه يصدرون » . وهذا كلام من ابن عبد ربه له خبْ‘ ... معناه أنه مُقرّ بصحة ما ينقله ، وأن هذه الوفود الوافدة على ملك الفرس لم تـكن خبراً مصنوعاً ولا حديثاً موضوعاً . وأن غيرها من أخبار الوفود صحيح فى اعتبار المؤلف ،

بكثير ، ولمـا وقف تلك الوقفة النبية البليدة أمام مقطوعة (الـكون جميل)

ولاستطاع أن يدرك كما يدرك أصغر تلاميذ العقاد أن الشاعر الـكبير حين قال :

قل ولا تحفل بشىء   إنمـا الـكون جميل

كان يستعرض فى لمحة من لمحات الحس . . . كل ما يعترض الفرد ويعترض الإنسانية من هموم وأشجان فى هذا الـكون ، وكل ما ترمى به الحياة من تهم وشكايات ، وكل ما تذخره الدنيا من آلام وأشواك ؛ ويقابل هذا كله بذلك الجمال الـكونى الفتان ، فيقولها قولة الصوفى العابد لهذا الجمال :

قل ولا تحفل بشىء   إنمـا الـكون جميل

قلها على الرغم من كل شىء ، فإن للـكون شفاعة حاضرة من هذا الجمال ، بل إن الـكون لجميل على وجه القصر والتوكيد لا يغض من صنعته هذه شىء من تلك الأشياء

وهذا هو الذى يقف أمامه « الدكتور مندور » يقول فى غير استحياء :

« هذه جملة مبتذلة لأنك تتساءل عن سر هذا القصر وذلك التأكيد فلا تهتدى إلى شىء »

وبعد فلا حديث لى بعد الآن مع ضحية الآلهة اليونان

(حلوان)   سيد قطب

وخاصة بعد قوله فى التمهيد المشار إليه : « وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى . . . ملك جبار فى رغبة أو رهبة ، فهو يوطد لقدمه مرة ، ويتحفظ من أمامه أخرى ، أتراه مدخراً نتيجة من نتائج الحكمة ، أو مستبقياً غريبة من غرائب الفطنة ؟ »

ويقول الأستاذ الجليل « ن » ناقلاً كلاماً له فى موضوع الوفود على كسرى : « ولن يجوِّز العقل أن يقعد ابن الأكاسرة لاستماع ثرثرة كل مهذار نفّاج ، ويفرغ لشهود عجرفة المتعجرف وعنجهيته » . وأقول إن الأستاذ العربى الجليل قد رمى العرب فى هذه القالة بما لم يرمهم به أعداؤهم ، فكيف يفوت ذلك على فطنة أستاذنا وهو يعلم أنه إذا رَمَى فسيصيبه سهمه ، وأنه — أعزّه الله وشرّفه — من غزيَّةَ ... إن غَوَتْ غوَى . . . وإن تَرْشُدْ غُزيَّةُ يَرْشُدْ ... !

لقد كان النعمان من ملوك الحيرة ، ولهم الملك المؤثل كما كان الغساسنة فى الشام . وهذا كلام لا يغيب عن علم الأستاذ الجليل ولا يندُّ عن أبسط معارفه ، كما لا يغيب عنه شعر حسان ابن ثابت — فى الجاهلية — فى مدح الغساسنة ووصف بياض وجوههم ، وكرم أحسابهم ، وشمم أنوفهم ، وأولية طرازهم ... فهل يقل المناذرة عن الغساسنة شيئاً من مكارم العرب واعتدادهم بأنفسهم فى ساعة يحسُّون فيها انتقاص منتقص ، أو اعتداء معتد مهما كان شأنه ؟

وما الذى يمنع من وفود النعمان على كسرى وهو تابع له وفى ظل حمايته ؟ لا شىء يمنع عقلاً من حدوث الوفادة . ونحن نرى فى زماننا هذا الأمم المحمية ، يفد مندوبوها على الأمم الحامية القوية ... ويجلسون حول الأنضاد الكبيرة ، والموائد المستديرة !

فهل تعدم هذه الأمم المحمية اليوم رجلاً من أعز رجالاتها ؛ أو بضعة من أصدق ألسنتها يقولون ما يعتقدون ، ويدفعون عن أممهم وأوطانهم بحسن البيان ، ما لا يستطيعون دفعه بالسنان ؟

اللهم إن هذا يحدث اليوم تحت سمعنا وأبصارنا ، والأستاذ « ن » شاهد به غير منكر له ؛ وعنده من شعر صديقه شوقي وحافظ فى هذه الوفود الحديثة والموائد الخُضر نبأ يقين ...

فلماذا ينكر هذا القلب العربى المتوثب — قلب أستاذنا الجليل ن — على النعمانَ بن المنذر وأكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة والحارث بن عباد وقيس بن مسعود والحارث بن ظالم وغيرهم من سادات تميم ، وأشراف بكر ، وغطاريف عامر ، وجحاجحة زبيد — كيف ينكر عليهم أن يقولوا فى سبيل العروبة كلمةً يعتقدون حقيقتها ويؤمنون بصدقها ، إعلانهم بالمصطحبات من لصاف وثبرة يزرن ألالاً ويتدافعن فى سيرهن...؟

يقول الأستاذ الجليل « ن » (كلام الذين أوفدهم ابن ماء السماء إلى سلطان فارس مزور مختلق لم يقله النعمان ولا جماعته ولن يستجرئوا على مثله)

ونحن نقول إن العربى لا يستجرئ على إعلان حميته وإبائه إلا لما أودع الله فيه من صفات الأنفة العزيزة والكبرياء الرفيعة ؛ حتى ولو كان فى الأطمار والأسمال خاوى البطن عارى الشوى والمنكبين من الطوى ... وهو على عنجهيته ولوثته بصير بمواطن الكلام ، عليم بمرامي السهام ...

وإنى على ما كان من عنجهيتي ولوثة أعرابيتي لأديب

وقد انتقى النعمان لوفد كسرى جماعة وزنهم بميزانه ، وأنزلهم أقدارهم التى يعرفها عنهم ؛ وتوسم فيهم — لطول معرفة ، أو حسن سماع ، أو صدق جوار — حسن الجواب ولطف المخرج من مضايق الكلام . ولم يخترهم من أهل الغفلة والبله ، والسرعة والحمق ؛ وتلك حسنة أخرى من حسنات النعمان ، وفضيلة من فضائله ؛ فهو هنا محسن يحسن اختيار الرجال ، ويتنخَّل أعضاء الوفود الذين يصح أن توكل إليهم المهمات وتلقى عليهم التبعات ...

إذا كنت فى حاجة مرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصه

وفعلاً وحقاً وصدقاً ، لم يَكْذب النعمانُ قولَ الشاعر الإسلامي فأرسل مع الوفد حكيماً عربياً عُرفَ بالقصد فى الكلام واشتهر بالقولة السائرة والحكمة المرسلة ، وهو أكثم بن صيفى ، فلم يَعْدُ أن يكون حكيماً فى مقام المفاخرة . وتلك لطيفة من لطائف وفود العرب على كسرى ؛ فقد كانوا يستطيعون أن يكونوا كلهم أبواقاً — أو بوقات — يضربون على فضائلهم ، ويغنون على « ليلياتهم » ... ولكنهم قسَّموا العمل ، ووزعوا الخطة وأحكموا الطريقة فى هذا المؤتمر الذى يشبه مؤتمر « كذا » فى بلاد « كذا » فى عصرنا الحديث ...

فأكثم بن صيفي حكيم ينطق بقدر ، ويزن الكلام إذا

نطق ، فليس ثرثارة يخطب ، ولا مهذاراً يُكثر ؛ بل يرسل الحكمة تلو الحكمة ، والكلمة الصادقة أثر الكلمة ، ويوجه الكلام — على حد البلاغيين — فيأخذ منه كسرى ما يأخذ لنفسه ويدع ما يدع . والحكيم فى ذلك لم يُغلظ فى قول ، ولم يعنف فى كلام ، ولم يجهل أقدار الملوك ، ولم يخرج عن جادة الاعتدال . فكيف يقال بعد ذلك إن خطباء هذه الوفود لن يستجرئوا على مثل ما نُسب إليهم من الكلام ؟

ويقوم عمرو بن الشريد السلمي فيفتخر فى إيجاز ؛ ويهدد فى إيجاز . أما افتخاره فما كان فيه غالياً ولا مبالغاً ولا نفّاجاً ولا كذاباً ولا مسخطاً لكسرى ولا متنقصاً للفرس ؛ فهو يقول عن العرب بارك الله فيهم : (إن فى أموالنا مرتفداً ؛ وعلى عزنا معتمداً ، إن أوْرَينا ناراً أثقبنا ، وإن أودَ دهر بنا اعتدلنا . ألا إننا مع هذا لجوارك حافظون ، ولمن رامك مكافحون) . لا فُضَّ فوك يا ابن الشريد ! فما عدوتَ الصدق فى كلامك ، ولا جاوزت الحد فى افتخارك . فهو يعلن هنا فى كلمته الموجزة ميثاق الصداقة مع حليفته الكبرى ... وهذا كلام لا يؤلم الحلفاء ؛ ولا يوجع الأصدقاء وترجمته فى لغة السياسة الدولية الآن أنه إذا اعتُدى على بلاد الفرس فإن الأمة العربية الحليفة ملزمة بتقديم المعونة لها من المال والعتاد والرجال ...

فأين موضع الجرأة أو الكذب أو المغالاة أيها الأستاذ الجليل ، فى هذا الكلام الوفىّ الجيل ؟

* * *

بقى أن ذكرتَ أيها السيد العربى الكريم فى تساؤلك أن صانع خبر الوفود أو صائغه أو مختلقه أو مزوره هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشى . فقد ذكر ياقوت الرومى أن من تصانيف الزبير هذا كتاب (وفود النعمان على كسرى)

وأقول أنا : إن ياقوت الرومى ذكر ما ذكر نقلاً عن ابن النديم صاحب الفهرست الذى عاش قبله بقرابة قرنين من الزمان . ووصفه ابن النديم بقوله : كان شاعراً ، صدوقاً ، راوية ، نبيل القدر . فكيف يجوز لمن هذه أوصافه أن يضع الحديث الأدبى ويختلق الأخبار ؟ وقد كان الزبير قاضياً على مكة وتوفى وهو قاض عليها . فكيف صح فى القضاء رجل يتهمه أستاذنا الجليل اليوم بالوضع والاختلاق

وما حاجة الأستاذ الجليل أن يبنى كلامه فى اتهام الزبير بكار على الظن والفروض ما دام كتابه فى وفود النعمان على كسرى لم يصل إلينا

وفوق ذلك أن الزبير بن بكار عاش فى القرن الثالث الهجرى ومات سنة ٢٥٦هـ وفق رواية ابن النديم . فهو متأخر عن ابن القطامى والكلبى اللذين نقل عنهما ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد حكاية الوفود على كسرى . فإذا كان هناك وضع فى هذه الحكاية فأولى به أن يكون صاحبه ابن القطامى أو الكلبى وهما من رواة القرن الثانى الهجرى . أما الكلبى — سواء أ كان محمداً الكلبى أم ابنه هشاماً الكلبى — فلم يشتهر عنهما وضع وشهد لهما الأوائل بتقدمهما فى علم الأنساب

أما ابن القطامى فقد اشتهر عنه الكذب المقصود والاختلاق الممدود إليه ؛ مع غفلة وبلاهة وضعف فى الحكم وسقم فى الفهم وسرعة تصديق لما يسمع من غير تدبر وتفهم . ويحكون عنه فى ذلك حكاية فى الفهرست لابن النديم . ويجوز أن يكون هو الذى وضع أو صاغ حكاية وفود العرب على كسرى إن كان لا بد فى هذه الحكاية من وضع

أما رأيى أنا ... فحكاية الوفود صحيحة وليس فيها محل للانكار والاستنكار ، وهى جائزة الحدوث علماً وعقلاً ، فهى تتفق مع صراحة العرب وإبائهم وحسن قيامهم فى المواقف الضيقة وصدق حكمتهم ، والوفاء لأحلافهم ؛ ولو أن فيها بعضاً من زخرفة الرواة وتزيُّد أهل الأخبار .

محمد عبد الغنى حسن

فى الشعر المهموس

للأستاذ حسين الظريفى

ليس من البحث فى شىء أن نتناول الظاهرة فى العلم أو فى الأدب أو فى الاجتماع، ونغفل المصدر الذى انبعث عنه. كشأن الحديث الذى دار وما يزال دائراً على الشعر المهموس فى (الرسالة) و (الثقافة) دون أن يصل الناقد والمنقود إلى نقطة اتصال، يتم فيها بينهما التفاهم على ما اختلفا فيه ولا يزالان على خلاف

ولو أن كلاه منهما اتجه بالبحث إلى تعيين مصدر هذا الشعر فى أدب المهجر، لضاقت بينهما شقة الخلاف، ولقاما بتعليل جروح كثيرة. وما كان القول بتخلف الشعر فى مصر، أو بنفى هذا التخلف، إلا علة السير على الهامش وترك الصميم. وهذا ما رغبنى فى أن أقول كلمتى لإملاء فراغ الموضوع

والواقع أن لشعر المهجر طابعاً خاصاً يعرف به. لا من حيث مبانيه ومعانيه فحسب، ولكن من حيثية أخرى، هى ذلك الإيقاع الذى يقرع به الأسماع، أو مدى ذبذبته على حد التعبير العلمى. وهذا ما يحمل على استصواب تسمية هذا الشعر بالشعر المهموس، وتخطئة نعته بشعر الحنين. لأن هذه التسمية الأخيرة ترتكن إلى انفعال الشاعر بينما تعتمد التسمية الأولى على النزعة الشعرية العامة فى قطر بعينه. فالموضوع يدور على هذه الظاهرة العامة فى شعر المهجر، تاركا وراءه البحث عن كل انفعال خاص – كالحنين – لا يقوم إلا إذا قام الباعث عليه. وما يظهر إلا لحاجة ثم يختفى

وأنا أرد نزعة الهمس هذه إلى شعر الشقيقة سورية؛ لأنها هى الأخرى تتميز بهذا الضرب من الشعر، وإن كانت تسير فيه خلف الشعر فى المهجر. ويظهر أن شعراء الشقيقة وجدوا فى العالم الجديد ما غذا فيهم نزعة الهمس هذه، فإذا هى علامته الفارقة فى الشعر على اختلاف أغراضه وفنونه

ونحن نجد ظاهرة الهمس فى النثر إلى جانب ظهورها فى الشعر، ثم نجدها فى فنون الغناء السورى، كما نجدها فى لهجة التخاطب. فالقوة الموسيقية فى الإعراب عن الخواطر والانفعالات؛ وأعنى بها ما اصطلحنا عليه بكلمة (الهمس) لا تكاد تختلف فى ضروب هذه الأساليب البيانية من شعر ونثر وغناء وتخاطب

وقد أطلت التفكير فى مصدر هذه الطاقة الموسيقية فلم أجده إلا فى طبيعة البلاد السورية، فإنها هى المصدر الذى صدرت عنه هذه الظاهرة وانسجمت على كافة طرق التعبير. لقد فعلت طبيعة البلاد فعلها الخاص فى أعصاب هؤلاء الشعراء وتسربت منها إلى فنون القول موزوناً وغير موزون

يقابل ذلك ما ينتج من العراق من شعر ونثر، وما يألف من ضروب الغناء؛ فإنه يقف فى الطرف الثانى من المحور، حيث يقف على طرفه الآخر أدب المهجر. إن الأدب فى العراق كالغناء فيه، يعتمد فى إيصال الشعور على قوة اللهجة؛ فإذا كان أدب المهجر يمسّ شعور القارىء أو السامع برفق ولين، فإن أدب العراق لا يمسه إلا بشدة. ويقف بين هذين أدب مصر، فلا هو بالضعيف ولا بالعنيف

ولا محل للقول بتخلف الشعر فى مصر لأن رنة الإيقاع فيه غير هادئة؛ فالشعر لا يقاس بهذا المعيار، وإنما ينظر فى مدى ارتقائه على أنه أسلوب بيان ومجموعة خواطر. أما قوة اللهجة فيه فإنها مظهر الحالة العصبية التى كان عليها الشاعر عند بنائه بيوت الشعر. وليست هذه الحالة بجزء من الشعر لتكون جزءاً مما يقاس به مدى ارتقائه وطول بقائه، ويحكم له أو عليه

وقد نرى الهمس والجرس فى بعض قصائد الشاعر فلا يصطبغ شعره بهذا اللون، لأنه وليد حالة روحية خاصة تأتلف وطبيعة الموضوع المقول فيه. ومركز الثقل فيما دار ويدور عليه الحديث على لسان الرسالة وزميلتها الثقافة، هو ندرة ما فى مصر من هذا الشعر وكثرة ما فى أدب المهجر منه. تلك الظاهرة التى أرجعناها إلى طبيعة البلاد. فشاعر المهجر عاش فى وسط لا ترهق فيه الأعصاب، ومن ثم كان تصويره وتعبيره غير مرهق لأعصاب غيره. أما الشاعر فى مصر أو فى العراق فإنه محاط من حمّارة الصيف بما يتعب الأعصاب ويبعد بها عن أن تنفعل إلا بأبلغ المؤثرات. وهو بعدى تأثره هذه مسوق إلى التهويل عند محاولة التأثير فيمن سواه. فكان كل من أدبه وغنائه يعتمد فى التأثير على ارتفاع الصوت فيه وإن صم الآذان

وأعتقد أن حالة الأعصاب هذه كانت وما تزال حائلاً دون انتشار القصة والرواية فى أدب العرب ، وباعثاً إلى وضع تلك القواعد الأدبية التى تقول باختيار ما قل ودل ، وأن الإعجاز فى الإيجاز

فإذا اتفقت كلمة الباحثين على أن الشعر المهموس وليد طبيعة خاصة تفعل فى نفس الشاعر ، لا يبقى محل للنعى على الشعر فى مصر ، أو للقول بأن الهمس فيه فن من الفنون

إن الهمس أو الجهر فى الشعر أو فى غير الشعر ، لا يمكن اعتباره مظهر تطور أو تأخر ، لأنه لا يدل إلا على مقدار الطاقة التى بذلها صاحب الفن فى سبيل التأثير فى الآخرين

(بغداد) صبحي الظريفي
المحامي

برنارد شـــو

بمناسبة بلوغه السابعة والثمانين

فى السادس والعشرين من يوليو يبلغ برنارد شو عامه السابع والثمانين

وقليل من العظماء الذين يتاح لهم أن يعيشوا ليروا أسماءهم ترتفع إلى ذروة الشهرة ، وبرنارد شو هو أحد هؤلاء الذين قدر لهم أن يلمسوا شهرتهم العالمية بأنفسهم ، فلم تلق مؤلفات كاتب منذ شكسبير إلى الآن ما لقيته مؤلفات شو من الرواج والذيوع . فمؤلفاته تطبع منها الملايين وتمثل على أعظم المسارح وتعرض على الشاشة البيضاء فى جميع أنحاء العالم

ويعتبر شو أكبر كاتب وناقد اجتماعى وسياسى ودينى . ويمتاز بنظرته النافذة وأسلوبه التهكمى اللاذع وقدرته على مهاجمة النظم القائمة فى إقدام وجرأة

ولد جورج برنارد شو فى دبلن فى إيرلندا فى السادس والعشرين من يوليو عام ١٨٥٦ . وكان والده سكيراً لم يصادف فى عمله حظاً ولا توفيقاً

ولما كان شو الصغير فى الحادية عشرة أرسله والده إلى مدرسة ابتدائية فى دبلن ، فلم يظهر هو الآخر نبوغاً ولا تفوقاً ، بل كان كما قال أرشيبلد هندرسون مصدر قلق ومتاعب لمدرسيه وشغلاً لزملائه عن الدرس ، إذ كانوا يفضلون الانقطاع لسماع ما يرويه لهم من القصص على الانتباه إلى مدرسيهم

وكانت أمه — التى أخذ عنها ابنها الشىء الكثير — ذات خلق كريم وثقافة عالية ، تهوى الموسيقى ، وكان بيتها مزاراً لكبار الموسيقيين فى ذلك العصر وعلى رأسهم « جورج جون ڤاندليرلى »

وكانت نشأة شو فى هـذا الوسط سبباً فى اكتسابه كثيراً من المعلومات فى هذا الفن وهيأت له جواً من الجمال والخيال

ولما بلغ شو العشرين من عمره رحل إلى لندن حيث قضى الأعوام الستة التالية فى عوز وفاقة ، وأوشك أن يغلب عليه اليأس ، وكاد أمله فى الكتابة يتحطم إذ لم يربح من إنتاجه الأدبى طوال هذه المدة سوى جنيهات معدودة

ولما كان فى السادسة والعشرين استمع إلى محاضرة ألقاها الاقتصادى الكبير هنرى جورج عن الملكية الزراعية بين فيها رأيه فى مشاكل العالم الاجتماعية وقال إن الحل الوحيد لهذه المشاكل ينحصر فى جعل الأرض ملكا مشاعاً للجميع ، بينما تبقى رؤوس الأموال الأخرى فى يد الأفراد . فراقت شو هذه الآراء وقرر اعتناقها ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً بل تغير حين قرأ شو كتاب كارل ماركس عن الاشتراكية والرأسمالية وقد تأثر شو بهذه الآراء إلى حد جعله يقول إن كتاب كارل ماركس هو الزى الذى خلق منى رجلاً

وما حل عام ١٨٩٤ حتى كانت شهرة شو قد ذاعت ، فقد أضحى بعد هذا التاريخ كاتباً قصصياً يطلع برواياته على الجمهور مصدّرة بمقدمات تتضمن آراءه فى المسائل السياسية والاجتماعية . وإذا كانت هذه المقدمات لا تتصل فى الغالب بموضوع الرواية التى تتصدرها فإنها كانت لا تقل عنها قيمة إن لم تفقها

وفى عام ١٨٩٨ وهو فى الثانيـة والأربعين من عمره ، أصيب بجرح بليغ فى قدمه . وقد سهرت عليه أثناء مرضه سيدة إيرلندية ، وهيأت له جواً هادئاً مريحاً ، واختصته بالجانب الأكبر من عنايتها واهتمامها . وكانت هـذه الراحة والعناية سبباً فى أن يطلق شو مهنته السابقة كصحفى ويتفرغ للكتابة . ومنذ ذلك التاريخ كسب شهرته كأكبر ناقد اجتماعى وسياسى ودينى ، وكأعظم كاتب قصصى

ولنعرض الآن لبعض آرائه

لم يرق شو رؤية الكثيرين يعانون متاعب الفقر فى عالم غنى

بعوارده وثرواته ، وحاول أن يجد لهذه المشكلة علاجاً فرأى في الاشتراكية هذا العلاج

ويقول عنه الأستاذ جود أحد أعضاء جامعة لندن في هذا الصدد : « لقد كان برنارد شو في عام ١٩١٤ القائد الذي قادنا تحت لوائه إلى عهد الاشتراكية المنتظر ، كما كان اللسان الناطق بآمال من يعتنقون هذه المبادئ »

ولما بدأت الحرب الحالية أخرج شو مؤلفه « الشعور نحو الحرب » الذي حاول فيه أن يفسر الحرب تفسيراً على ضوء الاشتراكية ، ويرى أن رؤوس الأموال مكدسة في أيدي الرأسماليين الذين يستغلون بها العمال ويستعبدونهم ، فيجب أن توضع تحت رقابة الشعب .

وفي عام ١٩٢١ زار شو روسيا السوفيتية وقابل ستالين ، فلما عاد إلى انجلترا أخذ يشيد بهذا الرجل ورجال حكومته ويقول إنهم قد وفقوا لحل المشاكل التي واجهتهم

هذا طرف من آرائه السياسية . أما آراؤه الاجتماعية فتتلخص في أن ما يواجه العالم من مشاكل يرجع في الأصل إلى نظام الرأسمالية الذي يجعل الكثرة الغالبة في قبضة أفراد قلائل يتحكمون في مصيرهم . وهو لا يلقي المسؤولية على عاتق الرأسماليين وحدهم ، بل يشرك معهم العمال الذين يضعفهم انشقاقهم وافتراق كلمتهم . ولعل رواية « فوق الصخور » خير معبر عن آرائه في هذه الناحية

وفي رواية « مهنة مسز وارن » يحاول أن يصل إلى أن وزر الدعارة وحياة الرذيلة إنما يلحق هؤلاء الذين كانوا سبباً في الفاقة التي تدفع المعدمين إلى مثل هذه الحياة ، لأنهم إنما يعملون ذلك مدفوعين إليها ومرغمين عليها لكسب قوتهم . ويردد شو دائماً أن « لا جريمة إلا الفقر »

وتحمل كتابات شو كثيراً من التناقضات ، فتراه يعترض على الغبن الذي يقع على العمال ، ولكنه في الوقت نفسه يقر هذا الغبن إن كان لمصالح الإمبراطورية البريطانية . وتراه في قضية إيرلندا يقف إلى جانب بريطانيا مع أنه إيرلندي النشأة ومع اعتزازه بها . وبينما يتهم شو الإنجليز ويعيب عليهم عسفهم في مذبحة دنشواي ، تراه يعضدهم ويؤازرهم في اضطهادهم للبوير أثناء حرب جنوب إفريقيا

وبرنارد شو مقتنع بأن الكثيرين يخالفون مذاهبه وآراءه ويقفون دونها ؛ وفي هذا يقول في إحدى مقدماته : « إذا نطقت بكلمات تافهة تحت تأثير فكرة أو عاطفة سرت في صحف العالم سريان البرق ؛ أما إذا قلت خلاف ما يريد الرأسماليون كان صدى قولي صمتاً وسكوناً » .

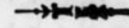
محمد شاهين الجوهري
بكالوريوس في الصحافة

صورة من الأدب التركى

قـــبر من الأوحال

للكاتب التركى خالد ضيا

بقلم الأستاذ برهان الدين الداغستانى



قد مضى عليه الآن بضع سنوات وهو يخرج كل صباح حاملاً هذه الرسائل التى تملأ حقيبته

إنه تعب من هذه الحياة ، وسئم جر ساقيه المتعبتين من كثرة المشى من إفريز إلى إفريز يتلمس الأبواب

نعم بلغ به الملل والسأم الآن حد النفور من توزيع هذه المزق من الأوراق التى تأتى من كل ركن من أركان العالم وتقتضيه الجولان من شارع إلى شارع ومن باب إلى باب

مضى عليه الآن أمد طويل وهو على حاله هذه : يحترق تحت أشعة الشمس اللافحة وتكاد أنفاسه تتقطع من حر السَّموم التى تقذف باللهب كأنها فيح جهنم

وفى الشتاء يتلقى ميازيب السماء التى تغسله من فرقه إلى قدمه . ويجر رجليه اللتين كاد يفقتهما البرد وسط الأوحال

إنه كره التسكع فى أزقة هــذه المدينة العظيمة التى لا حصر لها . كما كره منظر حقيبته التى لا تفارق جنبه . نعم إنه سئم السير آلاف الخطوات كل يوم ليوصل الأخبار إلى هذا وذاك

سنين ! . . . إن سلسلة أيام هذه السنين الطويلة الخالية من الإنصاف قد مرت عليه وهى تنزل به الضربة تلو الضربة فى كل يوم . وتحطم آماله وتهدم صرح أمانيه وتدفنها فى الرغام . مسكين ! إنه لا يكاد يجد بعض الراحة والهدوء لأعصابه المحطمة فى ظلمة الليل حتى تقول له الشمس التى تشرق فى مطلع كل نهار : « إنك اليوم أيضاً ــ كما كنت أمس وكما كنت فى كل الأيام الخالية ــ موزع بريد وستبقى كذلك ما دمت حيًّا »

• آه من هذه الحياة المريرة التى حكم عليه أن يقضيها متسكعاً الساعات الطوال ليجد شخصاً من الأشخاص ، يبحث عن أرقام المنازل تارة ، ويسأل أصحاب الدكاكين والحوانيت عن اسمه تارة أخرى . ويسير بخطوات مضطربة فى منحنيات هذه الشوارع والأسواق التى لا نهاية لها

ها هو ذا قد ثارت ثورته على الحياة وانفجر بركان نقمته من جراء هذا المطر الغزير الذى لا يرحم ، والذى ألصق أثوابه المبللة بعظامه ونفذ من حذائه الممزق إلى جواربه

إنه لم ير حاجة إلى الاحتماء فى مكان ما ولم يحاول الهرب من هذا المطر المنهمر وكأنه يريد مطاردته ــ حتى يخفف بعض أذاه عنه . بل جلس على حافة أحد تلك الحوانيت المغلقة وأخذ يتأمل هذه الطبيعة الثائرة . هذا الشارع الذى يخيل لناظره ــ من هول المطر وشدته ــ أنه أمام نهر من أنهار جهنم إبان فيضانه . هذه الأوحال التى تغلى وتقذف بحباب أسود من شدة وقع قطرات المطر . وبينما هو فى تأملاته رأى أولئك الذين يسيرون فى سكون ودعة مستظلين بمظلاتهم من غير أن تلوث الأوحال أرجلهم ، ولا أن تبلل الأمطار أثوابهم . ثم رأى تلك السيارات التى تشق الأوحال وتسير مندفعة كالسيل . لا جرم أن المطر لم يكن له أثر بالنسبة إلى هؤلاء وأولئك . إن أصحاب هذه المظلات وإن أرباب هذه السيارات هم أصحاب هذه الرسائل التى تملأ حقيبته . من يكون هو وما قيمته ومقداره بين هؤلاء وأولئك فى وسط هذه الحياة الصاخبة ؟ هل جاء إلى هــذه الدنيا لمجرد حمل رسائل هؤلاء السادة وتبليغها إليهم ؟

إنه لم يعد ينظر إلى الشارع وما فيه ، بل حول نظره إلى قطرات الماء التى كانت تتساقط حوله من أطراف ملابسه الممزقة ، وإلى حذائه الذى يخيل لرائيه أنه ينتحب تحت نقاب من الطين ! . . .

آه من هذه الرسائل ! هذه الأشياء التى تأتى من أى إنسان وتذهب إلى أى إنسان ! . . .

كان المسكين فى حاجة ملحة إلى رسالة من هذه الرسائل ، لأنه لم يتلق رســالة خاصة مدة حياته كلها ، بل كان مكلفاً

برسائل الآخرين فقط . كان وحيداً لا أهل له ولا أقرباء فأنى له بكتاب يأتيه أو ينتظره ؟

وكان كلما فتح هذه الحقيبة التى تملأ كل يوم وتفرغ أو أقفلها أرسل من أعماق قلبه آهة حزينة طويلة . كان يتحسر على هـذه الأشياء التى تمر بين يديه كل يوم من سنين طويلة ويتحرق شوقاً إليها . ماذا كان يحصل لو أن أحد هذه الرسائل — فى الفينة بعد الفينة — كان باسمه وله خاصة ؟ لا جرم كانت تـكون نوعاً من التسلية تخفف بعض أعباء الحياة عن كاهله

ماذا فى هذه الرسائل ، وما هى الأسرار التى تخفيها فى طياتها ؟ إنه يعرف سيدة تنتظره دائماً فى مدخل منزلها فى زقاق بعيد طويل ، لأنها كانت تتلقى رسائل من ولدها

ويعرف فتاة فى كلية الطب تأخذ كل أسبوع ثلاث . أو أربع رسائل دفعة واحدة . وكان يراها دائماً تسارع إلى غلاف ارجوانى وتفضه دون بقية الرسائل ويداها ترتعشان .

وعلى مر الأيام ألف هـذه الرسائل وكسب شيئاً من المرانة من طول التكرار وكثرة الممارسة ، فأخـذ يفهم أسرارها ومحتوياتها المختلفة ، فكان يعرف مضامينها من خطوطها تارة ومن أسماء أصحابها تارة أخرى . من ألوان أغلفتها والروائح المنبعثة من أوراقها المعطرة فى بعض الأحيان

ثم بدأ يعرف هؤلاء الذين يتبادلون الرسائل فيما بينهم ، أولئك الآباء والأبناء والأزواج والزوجات

وهؤلاء الشبان من الفتيان والفتيات الذين يتبادلون عواطف الحب ويتساقون أكؤس العشق والغرام

ثم أخذ يفهم أولئك الذين يمرون أمامه بمظلاتهم وسياراتهم من غير أن يكونوا مثقلين مثله بحقائب مملوءة برسائل الآخرين . . .

كان يفهم كل هؤلاء السادة أصحاب هذه الرسائل اللعينة وكان فى نفس الوقت يشعر شعوراً قوياً بأنه الوحيد الذى لاحظ له من نعيم ولا نصيب من راحة وسط هذا العالم الصاخب وبين هؤلاء السادة المترفين المنعمين

كان بائساً حقاً . فلم يكن له أن ينتظر وصول رسالة باسمه من أحد فى يوم من الأيام

وعند ما وصل إلى هذا الحد من تأملاته وخواطره كان المطر لا يزال يتساقط بشدة فوق طربوشـه المبلل وتنحدر قطراته إلى وجنتيه فتملك هذا الموزع المسكين البائس هذا القلب الحزين . هذا الذى فقد كل أمل فى الحياة تملكه شعور قوى من اليأس العميق والألم المبرح والحزن الشديد . وتمنى لو يستطيع اقتلاع هذه الحقيبة التى تحفظ رسائل الآخرين من على عنقه وقذفها فى الهواء . هـذه الحقيبة الملقة برقبته بسلسلة لا تطاق كأنها — لثقلها — تريد أن تجتذب رأسه إلى أسفل حتى تلصقه بالأرض

إنه يتمنى أن يدوس هذه الحقيبة برجليه حتى تتمزق إرباً إرباً وتنسحق سحقاً !...

وبعد ذلك يرجو — لينال بعض الراحة — أن ينغمس فى هذه الأوحال التى تنشق كالقبر ثم تلتئم كلما خاضها خائض .

ثم هنا وفى هذه الأوحال يريد أن يمد رقبته تحت عجلات السيارات ويموت

يريد أن يُدفن فى هذه الأوحال
إنه يتمنى قبراً من الأوحال

برهان الدين الداغستانى

نهـــاية موسولينى

للأستاذ على محمود طه

نبأ فى لحظة أو لحظتين   طاف بالدنيا وهز المشرقين
نبأ ، لو كان همس الشفتين   منذ عام ، قيل إرجافٌ ومَيْن !
وتراه أمـــة بالضفتـين   إنه كان جنين « العلمين »
موسلينى ! أين أنت اليوم ؟ أين ؟
حلم ؟ أم قصة ؟ أم بين بين ؟

قصرُ « فينسيا » إليكَ اليوم يهدِى
لعنةَ « الشرفة »[1] فى قرب وبُعْـدِ
عجباً ! يا أيُّهــذا المتحدِّى   كيف ساموك سقوط المتردِّى
إمبراطورك فى همٍّ وسُهدِ   صائحاً فى ليلِهِ لو كان يُجْدِى :
أين يا «فاروس»[2]» ولَّيتَ بجُندى ؟
أين ولَّيْتَ بسلطانى ومجـــدى ؟

أعتزلت الحكم ؟ أم كان فراراً   بعد أن ألقيتَ حوليْكَ الدمارا
سقت للمجزرةِ الزغب الصغارا
بعد أن أفنيت فى الحرب الكبارا
يا لهم فى حومة الموت حيارى   ذهبوا قتلى وجرحى وأسارى
يملأون الجو فى الركض غبارا   وقبوراً ملأوا وجه الصحارَى

أعلى « الصومال » أم « أديس ابابا »
ترفع الراية ، أم تبنى القبـــــابا
أم على « النيل » ضفافاً وعبابا   لمحت عيناك للمجـد سرابا
فدفعت الجيش أعلاماً عجابا   ماهذا الجيش فى الصحراء ذابا؟
بخرته الشمسُ فارتد سحابا   حين ظن النصر من عينيه قابا

---

(١) شرفة قصر البندقية التى كان يلقى فيها موسولينى خطبه الحربية

(٢) قائد جيوش الامبراطور الرومانى أغسطوس ذهب على رأس جحافل جرارة من الرومانيين لمحاربة الجرمانيين فى العام التاسع من الميلاد . فوقع فى كمين وأبيدت جيوشه الثلاثة الجرارة عن آخرها ، واستولى على الامبراطور حزن شديد ، فكان ينهض من نومه مذعوراً وهو يصيح : فاروس فاروس أين جيوشى ! أين ذهبت بجيوشى يا فاروس . . !

يا أبا «القمصان» جمعاً وفرادى   أحَمَت قمصانك السود البلادا ؟
لِمَ آثرت من اللون السوادا ؟   لونها كان على الشعب حدادا !
جئت بالأزياء تمثيلاً معادا   أى شعب عز بالزى وسادا
إنه الروح شبوباً واتقادا   لا اصطناعاً بل يقينا واعتقادا

موسلينى قف على أبواب روما   وتأملها طلولاً . ورســوما
قف تذكرها على الأمس نجوما   وتَنَظَّرْها على اليوم رجوما
أضرمت حولك فى الأرض التخوما
تقتفى شـــيطانك الفظ الغشوما
أو كانت تلك «روما» أم «سدوما»[1]
يوم ذاقت بخطـــاياك الجحيما ؟

هى ذاقت من يد الله انتقاما   لأثام خالد . عامًا فعاما
يوم صبت فوق بيروت[2] الحماما   لم تذر شيخا ولم ترحم غلاما
من سفين يملأ البحر ضراما !   ذلك الأسطول كم ثار احتداما
أين راح اليوم ؟ هل رام السلاما ؟   أم على الشاطئ أغفى ثم ناما ؟

أى عـدوان زرِى المظهر   بدم قانٍ ودمع مُهْـدَرِ
حين طافت بحمى (الإسكندر)   أجنح من طيرك المستنسِر
تنشر الموت بليـل مقمر !   يا لمصر ! أترى لم تثأر
بيــد المنتقم المستكبر ؟   أترى تذكر ؟ أم لم تذكر ؟ !

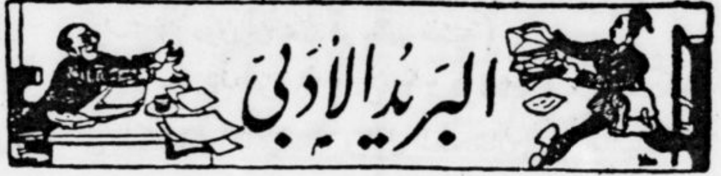
موسلينى لست من أمس بعيدا
فاذكر « المختار » والشعب الشهيدا
هو روح يملأ الشرق نشيدا   ويناديك ولا يألو وعيـدا
موسلينى خذ بكفيك الحديدا   وصغ القيد لساقيك عتيدا
أو فضع منك على النصل وريدا   فدنى يخنقك اليوم طريدا

على محمود طه

---

(١) قصة تدمير سدوم وعمورة من القصص الدينى المأثور . إذ سلط الله عليها الرجم النارية عقاباً لما اقترفه أهلها من الآثام

(٢) المأساة الدامية التى مثلها الأسطول الايطالى فى الحرب العثمانية الايطالية



القصة والتجديد

أردت أن أبعث الفعل (خرّف) الذي اشتقه الإمام ابن حزم من (الخرافة) أي الأسطورة أو ممن انتسبت إليه أعني المسمى (خرافة) فقلت فيما قلت :[1]

« إن هذا الزمان وكتاب القصة المخرفين فيه في حاجة إلى التخريف » وإنما عنيت الحُدّاث[2] (الذين يحكون ، يقصون) واحتياجهم إلى هذا الفعل . ولقد خشيت أن يُظن أني أحقر في هذه الجملة (القصة) وأنتقص كتابها ، وإني أنكر (تجديداً) في الأدب . فليعلم أني لا أمقت القصة بلينة مرصنة ، لا أمقتها ولا أكره التجديد مجوداً . فمن قص وجدد وأحكم وأفاد وهدى وجوّد تقبلت العربية قصصه ، ورضي الناقدون عن تجديده . ولم أستحدث في هذا الوقت في هذا الباب لي مقالة ، فذهبي (في المجدَّد المجود ، في التجديد مع التجويد[3]) اليوم هو مذهبي في الأمس . وفي خطبتين أو رسالتين قديمتين كلام واضح مفصل ، والحق لا يتحوّل ، الحق مثل ذي الخلق المتين وذي العقيدة ـ لا يتبدل .

م

إلى الأستاذ دريني خشبة

سيدي : قرأت مقالكم العظيم المنصب في بحثه على المذهب « التعبيري » في ألمانيا ، ولقد راعني أيها الفاضل أنكم تكررون لفظة « التعبيريين » في مقالكم كترجمة للفظ الإنجليزي Expressionists واللفظة الإنجليزية جمع لإسم الفاعل من الفعل Express ، واسم الفاعل في اللغة الإنجليزية يصاغ بطريقتين : الأولى : من الفعل بزيادة ing في آخر الفعل ؛ والثانية : من الإسم بزيادة ist والأولى مطردة ، والثانية سماعية ، قياسية في بعض الأسماء ، وعلى هذا فالترجمة الصحيحة للجمع Expressionists هي : « المعبرون — المتكلمون » لا كلمة « التعبيريين — الكلاميين » ، لأن كلمة « تعبيري » كلامي منسوبة إلى كلمة « تعبير Expression » والمنسوب كما تعلمون في القاعدة العامة ، ما لحق آخره ياء مشددة مكسور ما قبلها للدلالة على نسبته إلى المجرد منها للتوضيح أو التخصيص ، « والمُعَبِّر ـ المتكلم Expressionist » اسم فاعل من العبارة Expression بزيادة ists في المثنى والجمع .

عبد الله المحرون

أخطاء في كتاب الإمتاع والمؤانسة

كنت أطالع الجزء الأول من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » فعنَّت لي بعض ملاحظات أذكر طرفاً منها فيما يلي :

١ — جاء في ص ١١٧ س١٧ : « ... ومثل هذا كثير ، وهو كاف في موضع التكنية » ، ويقول المصححان للكتاب إن « التكنية » كانت في الأصل « التبكيت » وهو تحريف لا يستقيم به المعنى فلذلك غيَّراه إلى « التكنية » . ولكن الواقع أن عبارة الأصل هي الصواب ، لأن التبكيت هو أن يغلب الإنسان خصمه بالحجة ، ومن العبارات الجارية قولهم : « بكّته حتى أسكَته » . وفضلاً عن هذا فقد وردت هذه الكلمة بعد ذلك بقليل في كتاب الإمتاع ص ١١٩ س ١٥

٢ — جاء في ص ١٤٩ س٦ : « .. أعني أن كل ما يدور عليه ويحور إليه مقابل بالضد » ، وفي الأصل « يجوز عليه » فرفض الناشران رواية الأصل ، ولكن الصواب أن نُثْبِت ؛ لأن كلام التوحيدي في هذا الصدد ينصب على الفلسفة الخلقية ولذلك فقد استعمل فيه تعبيرات فلسفية . ومن الشائع في الفلسفة قولهم يجوز عليه التغيّر ، أو لا يجوز عليه التغيّر . (أنظر « الانتصار » للخياط (مثلاً) ص ١٦٢ س ١٨ ، ص ١٧٠ س٥ الخ)

٣ — وفي ص ١٥٥ س ٧ : « وللرأي والعقل فيهما مدخل قوي وحظ تام » ويقول المصححان الفاضلان إن « العقل » هي في الأصل « العقد » ، ونقول إن « العقد » صحيحة ، وهي

(١) الرسالة ٥٢٤

(٢) فضلت (الحداث) على (المحدثين) وهو جمع على غير قياس حتى لا تقع في ورطة جديدة فاضطر أن أكتب كلمة ثانية

(٣) مفهوم أن المقصود هنا هو التجويد في الكتابة لا التجويد في القراءة ، فن التجويد

من الكلمات المستعملة فى الفلسفة الإسلامية ، فلا موجب لرفضها ... يقول ابن سينا فى إلهيات « الشفاء » : إن الحق يفهم منه الوجود فى الأعيان مطلقاً ، ويفهم منه الوجود الدائم ، ويفهم منه حال القول أو العقد . ومعنى العقد فى عبارة ابن سينا الاعتقاد أو التصديق ، وأظن أن الاعتقاد (أو العقيدة كما نقول أحياناً) من الألفاظ التي يمكن أن توضح إلى جوار لفظ « الرأى » (كما فعل الأستاذ أحمد أمين نفسه فى مقاله الرأى والعقيدة بكتابه فيض الخاطر جـ ١)

٤ — وفى ص ١٥٩ س ٣ : « وإذا غلبت عليه اليبوسة يكون صابراً ... يضبط ويحتد » ، ويقول المصححان الفاضلان إن يحتد أصلها يحقد ، ونقول إن الأصل هو الصواب وإنهما أخطآ فى التصحيح : لأن المراد أن الإنسان إذا غلب عليه مزاج « اليبوسة » فإنه فى هذه الحالة يضبط نفسه ويكظم غيظه أو حقده (دون أن يحتد أو يظهر غضبه)

٥ — وفى ص ٢١٩ س ٣ : « لذلك عرفت الحكمة فى الكائنات الفاشيات » ويقول المصححان إن « الفاشيات » هى فى الأصل « الفاسدات » ونقول إن عبارة الأصل هى الصواب : (أنظر ص ٢٢٠ س ١٢) ، والفاشيات هنا لا معنى لها

هذه هى بعض الملاحظات التى عنت لى أثناء قراءتى للجزء الأول من كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ، وكلها تندرج تحت ضرب واحد من ضروب التصويب هو العودة إلى رواية النص إذ لا موجب لرفضها والتحكم فى لغة الكاتب الأصلى . أما الملاحظات الأخرى التى طويتها عن القراء فهى أدخل فى باب الذوق والاجتهاد ، وليس هذا مجالها

(مصر الجديدة) زكريا ابراهيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 527

Lundi - 9 - 8 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٢٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٨ شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٩ أغسطس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٦٢١ النظام والتربية القومية . . . : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٦٢٤ الصيد في الأدب العربي ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٢٦ الحديث ذو شجون ... ... : الدكتور زكي مبارك .. ...
٦٢٩ المسرح المصري والدرامة المنظومة . ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٦٣٢ مواكب الأعراس في عهد بني العباس ... .. . : الأستاذ يوسف يعقوب مسكوني
٦٣٤ تطهير العقائد وتحرير العقول أساس الإصلاح الاجتماعي : الأستاذ محمود أبو رية .. ...
٦٣٦ « أنات حائرة » ... . . : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٦٣٨ أقة ! ... ... [قصيدة] : الأستاذ أحمد الصافي النجفي
٦٣٨ أنة محزون ... ... : الدكتور محمد عبد المجيد القاضي
٦٣٩ لجنة لدرس حالة الكليات والمعاهد الأزهرية ... ... : الأستاذ (م ...) ... ...
٦٣٩ وشاية .. .. : الأستاذ عبد القادر جنيدي
٦٤٠ إلى الأستاذ عبد الله اللحوق : الأستاذ دريني خشبة ...

النظام والتربية القومية

للأستاذ عباس محمود العقاد

عاقبة موسليني السياسية لا تعنينا في هذا المقال ، لأن لها مجالا غير هذا المجال ، وإنما تعنينا هذه العاقبة هنا من حيث تتصل بالفلسفة الاجتماعية ومذاهب التربية القومية ، لأنها من هذه الناحية قد شغلت أناساً لعلهم مخلصون في نياتهم وتفكيرهم ولعلهم لا يخدمون غرضاً من الأغراض الموقوتة بما اعتقدوه ونزعوا إليه ، ترسما لخطوات موسليني ، ثم خطوات التابعين له في مضمار السلطان والاستبداد

***

بعد قيام النظم الفاشية في إيطاليا كثر القائلون بفائدة هذه النظم للأمم التي أصابها الانحلال على التخصيص ، وجنح بهم إلى هذا القول أن الفاشية ظهرت في زمن خيفت فيه أخطار الشيوعية أشد خوف ، فجعلها بعض الباحثين الاجتماعيين « جبيرة » لعظام الأمم المهيضة التي يخشى أن تصاب في حياتها القومية ، فتنقلب من الإيمان بالوطن إلى الإيمان بالشيوعية

وكان هذا وهما من الأوهام

لأن النظام وحده لا يخلق القوة ، وطنية كانت أو غير وطنية

والنظام وحده لا يجبر كسر الانحلال إذا كانت له أسبابه المتغلغلة في تكوين الأمة

فالسجناء أكثر الناس نظاما فى معيشتهم المفروضة عليهم ، لأنهم ينهضون من النوم فى موعد ، ويأكلون الوجبات الثلاث فى موعد ، ويخرجون إلى الرياضة فى موعد ، ويذهبون إلى النوم فى موعد ، ويتناولون من طعام واحد ويلبسون من نسج واحد وزى واحد ، ويزاولون عملا واحداً فى مكان واحد ، ولا يأتون بحركة من الحركات العامة إلا على نظام مفروض لا اختلال فيه

فلا يطمع أحد فى بلوغ النظام بين جماعة الناس مبلغاً أدق وأوفى من مبلغه بين جماعات السجناء فى العالم بأسره

ومع هذا لا يتخذهم أحد من الباحثين ولا غير الباحثين قدوة فى أخلاق اجتماعية ولا أخلاق فردية ، ولعلهم على نقيض ذلك مثل فيما يحذره الباحثون وغير الباحثين من مساوىء الأخلاق ؛ لأن النظام وحده لا يغنى فى تقويم فرد ولا فى إصلاح جماعة . ولا بد مع النظام من عقيدة صالحة لإحياء القوى الإنسانية .

فهل كانت للفاشية هذه العقيدة الصالحة ؟

كلا !

والاكتفاء بالنتيجة هنا أقرب وأجدى من متابعة الأقوال الفاشية والعقائد الفاشية والتعليقات الفاشية التى ملأوا بها المجلدات الضخام على غير طائل

فالنتيجة أن الفاشية لم تكن قط جبيرة لخلق مهيض ، ولم نعلم جباناً واحداً كيف يصبح من الشجعان وذوى البسالة والمفاداة .

فبعد تربية طويلة تبتدىء من الخامسة إلى العشرين لم يزل الجبناء الأولون على جبنهم القديم يفرون من الميدان بعد الصدمة الأولى ، وقد يفرون منه قبل اللقاء

فالحركة الفاشية مفلسة فى العقيدة التى تجبر كسر النفوس أو تبتعثها من جديد فى حياة جديدة ، وهى لا تزود أصحابها بشجاعة أدبية أو شجاعة عسكرية ، ولا تبث فيهم الإيمان الذى يغلبون به الجبن ويأنفون من عار الفرار

لأنها عقيدة تليق بالحيوان ولا تليق بالإنسان

أو لأنها عقيدة ترجع بالإنسان إلى الوراء وتلغى ما عمل لنفسه أو عملته له الطبيعة عشرات الألوف من السنين

فهى عقيدة قائمة على تقديس السلطة الفردية وتقديس القوة المادية التى تشبه القوة الحيوانية ، وكلاهما شوط تجاوزه الإنسان منذ أجيال ، ولم يتجاوزه عبثاً ليعود إليه بعد هذا الطواف الطويل

بل نحن نؤمن أن تقديس السلطة الفردية لم يوجد قط فى أبعد العصور الهمجية فضلا عن عصور الحضارة والنور

لأن السلطة لم تقم قط على إرادة فرد من الأفراد باعتباره فرداً من الأفراد ، وإنما كانت تقوم على إرادته لأنه يمثل إرادة الأرباب التى تؤمن بها الشعوب ، وكان الكهان هم الذين يترجمون الإرادة الإلهية فتصبح هى إرادة الشعب من هذا الطريق

فالسلطة الفردية — حتى فى أبعد العصور الهمجية — لم تكن خلوا من الاعتراف للأفراد بحرية اختيارهم لمن يحكمونهم ، وهى — أى السلطة الفردية — خليقة من أجل ذلك أن تفشل فى خلق العقيدة الصالحة بها بين أهل الحضارة من أبناء الزمن الحديث

***

أما الإيمان بالقوة المادية — قوة السيف والنار — فهو شوط تجاوزه الناس كذلك منذ عهد بعيد

تجاوزوه منذ عرفوا كلمة الحق أو عرفوا كلمة العدل بين الأقوياء والضعفاء

وقل ما شئت فى « الحق » أنه كلمة من الكلمات

وقل ما شئت فى « العدل » أنه لفظ من الألفاظ

فمهما يقل القائلون فى ذلك فالواقع الذى لا شك فيه أن الناس عرفوا كلمة « الحق » بعد أن جهلوها

فلماذا كانت هذه المعرفة وكيف جاءت إلى الألسنة أو إلى الضمائر ؟ ولماذا لم تظل كما كانت مجهولة لا يفهم الناس منها هذا المعنى الذى يفهمونه الآن ؟

أعن حاجة عرفوها أم عن غير حاجة إليها ؟

إن كانوا قد عرفوها عن حاجة إليها فالويل لمن ينكرها ويقف فى طريقها . وغير عجيب إذن أن تحق الخيبة على الفاشيين لأنهم يعارضون التيار الذى يندفع إليه الإنسان بوحى من طبائع الأشياء

أما أن الناس قد اخترعوا كلمة الحق وتشبثوا بها لغير حاجة إليها ولا لأنها تمثل شيئاً قائماً فى الحياة الإنسانية فهذا عجب لا يصدقه عقل عاقل . ولنا حين يزعمه الزاعمون أن نسأل :

ما بال أنصار القوة المادية يكتبون ما يكتبون ويصنعون ما يصنعون وينفقون الملايين فوق الملايين ليثبتوا أنهم على الحق وأن خصومهم هم المبطلون ؟

إن وهماً من الأوهام التي لا حاجة إليها لن يستحق كل هذا العناء ولا بعض هذا العناء

ولقد كانت القوة المادية أقدم شيء عرف في هذه الدنيا ، وكانت بين أيدي الناس يستطيعون أن يعبدوها كما يشاءون وأن يؤمنوا بها كما يحبون ، فلو كان في الإيمان بها غنى عن غيرها لما تركها الناس ليتحولوا إلى كلمة جوفاء أو إلى خيال ليس له قوام

إن الذي يدين بها بعد أن عرف كلمة الحق لا يفهم معنى ما يقول

والفاشيون لا يفهمون معنى ما يقولون ، بل لا يفهمون معنى ما يصنعون ، سواء رجعت من قبل إلى الرأي والبرهان أو رجعت الآن إلى الواقع والعيان

إنهم يقفون في وجه التيار

ومن وقف في وجه التيار أضاع الحق وأضاع القوة المادية معه ، إذ ليس في الأرض قوة مادية تقاوم التيار الذي تندفع به طبائع الأشياء .

***

ومن مبادئ السخف التي يبشر بها « الفلاسفة » الفاشيون أن الإخاء العالمي خرافة لا رجي لها تحقيق ، وأن الحقيقة التي قامت ولن تزال قائمة في كل زمان هي سيادة شعب على سائر الشعوب

والعجب أن سيادة شعب على سائر الشعوب هي الخرافة التي لم تصدق قط في زمن مضى ، ولن تصدق يوماً في زمن مقبل ؛ والناس لا يملكهم واحد مهما علا في ملكه واستطال

كما قلنا في أعقاب الحرب الماضية متخذين العبرة منها ومن حوادث التاريخ التي تقدمتها . وإن العبرة بهذا كله لأولى أن تتخذ من حوادث الحرب الحاضرة والحوادث التي تليها ، ولما تزل في عالم الغيب

فالعالم لم يحكمه المصريون كله ، والرومان لم يغلبوا قرطاجة حتى تصدى لهم من الشرق من ينازعهم ؛ ثم تصدى بعضهم لبعض فانقسموا على أنفسهم . وهكذا حدث لمن بعدهم حينما ظهرت في العالم قوة تنذره بالسيادة عليه

فالسيادة العالمية هي المذهب الذي شاخ ولم يثبت له وجود والإخاء العالمي — أو على الأقل تعود العالم على الخضوع لحكم واحد — هو المذهب الصادق الذي سبقت به البشائر وآذن في هذا العصر بمولد مرقوب

نعم إن الإخاء العالمي كلمة قديمة ، ولكن الوحدة العالمية لم تصبح حقيقة من الحقائق الملموسة قبل هذا الجيل

ففي هذا الجيل الذي نحن فيه تقاربت أجزاء العالم حتى تسنى لمن في الشرق الأقصى أن يسمع من في أقصى المغرب بإدارة لولب

وفي هذا الجيل تم السفر من أطراف العالم إلى أطرافه في أقصر من الوقت الذي كان أبناء القطر الواحد يسافرون فيه من إقليم إلى إقليم

وفي هذا الجيل أوشك الناس أن يتعاملوا بعملة مشتركة وأن يعتمدوا على سوق واحدة أو أسواق كأنها اجتمعت في سوق

وفي هذا الجيل أصبح الخطر من العدوان على أمة خطراً على الأمم كافة ، يتبينه الغافلون عنه بعد فترة تحسب بالشهور وقد تحسب بالأيام

فالوحدة العالمية الآن مولود مرقوب يستقبل الحياة ليدرج من الطفولة إلى الفتوة

والذي شاخ وعفى عليه الزمان هو سيادة شعب على سائر الشعوب ، أو هو استسلام العالم لحكم واحد متفق عليه ، كائناً ما كان الحاكمون

والفاشيون هم أصحاب أقدم كلام قيل ووجب أن يتبدل لأنه قد شاخ وهجره الناس والتفتوا إلى غيره وأوشكوا أن يحققوا ما التفتوا إليه

ولذلك فشلوا ويفشلون

وهذه هي عبرة الخاتمة التي ختمت بها دعوة موسوليني ثم ختم بها حكمه ، وإنها لتساوي في حساب الإنسانية ثمنها المجموع من الدماء والأرواح ، إذا هي حرصت عليها وفرغت من التجربة فيها .

عباس محمود العقاد

حكم في القضية ٢١٤١ سنة ٩٤٣ عابدين العسكرية بحبس سيد محمد عامر ثلاثة شهور مع الشغل وتغريمه مائة جنيه والمصادرة وإغلاق المحل ثلاثة أيام ونشر الحكم بجريدتي الرسالة والمحاكم وتعليقه بمتجر المتهم والقسم التابع إليه لمدة شهر على نفقته لبيعة لحماً بأزيد من السعر المحدد .

الصيد فى الأدب العربى

للدكتور عبد الوهاب عزام

أريد بهذا المقال التنبيه إلى موضوع من موضوعات أدبنا لا أعرف له نظيراً فى الآداب الأخرى، موضوع يجمع بين أوصاف الطبيعة وأعمال الفروسية، وحركات الرياضة، ويعرضها صوراً متتابعة كأنها مناظر السماء. ذلكم الصيد كما وصفه شعراؤنا وكتابنا منذ عصور الجاهلية. وسأعرض فى هذه الصفحات صورة منه مجملة

— ١ —

عرفت الأمم كلها الصيد فى بداوتها وحضارتها يدعوهم إليه ضرورات العيش وحاجاته، ليأكلوا لحم الحيوان ويتخذوا جلده ألبسة وأدوات ويسخروه فى منافعهم، ويدعوهم كذلك إليه اللهو والمتاع. والأمم فيه مختلفة اختلاف أراضيها واختلاف أطوارها فى الحضارة، وله فى تاريخ الأمم فصول طويلة لسنا فى مقام بيانها

وللفرس صلة الجوار والمخالطة بالأمة العربية؛ فقد عنى العرب بذكر ما أثر عن الفرس من رسوم الصيد وأخباره فوصلوه بالأدب العربى؛ فلا بأس أن نخصهم بكلمة قبل الإبانة عن موضوعنا:

قال الجاحظ[1]: « وزعموا، وكذلك هو فى كتبهم، أن ملوك فارس كانت لهِجة بالصيد، إلا أن بهرام جور هو المشهور بذلك فى العوام ...

قالوا: وكان الملك منهم إذا أخذ عَيرا أخدريا، فاذا وجده فتيا وسمه باسمه، وأرخ فى وسمه يوم صيده وخلى سبيله. وكان كثيراً إذا ما صاده الملك الذى يقوم بعده سار فيه مثل تلك السيرة وخلى سبيله. فعرف آخرهم صنيع أولهم، وعرفوا مقادير أعمارها»

ولبهرام جور سيرة فى الصيد ذائعة، وقد أضيف اسمه إلى حمار الوحش وكان كلفا بصيده. وهو بالفارسية « كور » فعرب إلى جور. وكان لسيرة بهرام فى الصيد وما أثر عنه من العجائب أثر فى الأدب الفارسى والتصوير، فكثيراً ما وصف الشعراء وصور المصورون بهرام فى أحوال مختلفة من مطاردة الحمر الوحشية والغزلان. وإذا عرفنا أن الروايات الفارسية مجمعة على أن بهرام نشأ فى الحيرة بين العرب وتأدب بآدابهم، وجدنا فى سيرته صلة أخرى تصل الصيد عند الفرس بالصيد عند العرب

— ٢ —

للعرب فى البوادى وفى البرارى المتصلة بالمدن والقرى ولع بالصيد منذ عصور الجاهلية. وقد عنى شعراء الجاهلية بوصف الصيد، أدواته وحيوانه وحركاته. فأما أدواته فالقسى والسهام والشباك والحبائل وغيرها. ويستعان بالخيل والكلاب لمطاردة الحيوان أحيانا. وأما الصيد فكل دابة وطائر، ولكن معظم عنايتهم كانت مصروفة إلى الحيوان الكثير اللحم. فعنوا بحُمُر الوحش وبقره والغزال. وضربوا المثل بحمار الوحش فقالوا: « كل الصيد فى جوف الفَرا »

ولسنا فى حاجة إلى ذكر طرف مما وصفوا به الخيل أو القسى والسهام، فقد كانت حاجتهم إليها شديدة فى الدفاع عن أنفسهم فوصفوها فى مقامات مختلفة أوصافا ذائعة معروفة

وإنما أذكر من الحيوان الذى يصاد به، الكلب. وقد افتنَّ العرب فى تعليم الكلاب ووسمها، ووصفوها وصنَّفوها ونسبوها وسمَّوها. قال الجاحظ: « ولكرامها وجوارحها وكواسبها وأحرارها وعتاقها أنساب قائمة، ودواوين مُخَلَّدة، وأعراق محفوظة، ومواليد محصاة، مثل كلب جذعان، وهو السلهب ابن البراق بن وثاب بن مظفَّر بن محارش. وقد ذكر العرب أسماءها وأنسابها ». وقال فى موضع آخر: والكلاب أصناف لا يحيط بها إلا من أطال الكلام. وفى الجزء الثانى من كتاب الحيوان فصل طويل عنوانه: « صفة ما يستدل به على فراهة الكلاب، وشياتها وسياستها ». وفى هذا وغيره مما نقل عن العرب دليل على عنايتهم بالصيد وكلابه عناية كبيرة. وقد أثبت الجاحظ فى الجزء الثانى من الحيوان قصيدة لمزرِّد بن ضرار فيها أسماء الكلاب وأنسابها وأوصافها. وسيمر القارئ بنبذ فى وصف الكلاب أثناء وصف الصيد

وقلَّ أن نجد فى الشعر الجاهلى وصف الصيد فى قصائد خاصة به كالطرديات التى ذاعت فى العصور الإسلامية؛ ولكن يذكر حين تذكر الفروسية والشجاعة، وحين يذكر الشباب ولهوه. وعجيب أن أكمل الصور فى وصف الصيد جاءت استطراداً فى وصف الإبل؛ يذكر الشاعر السفر ويصف ناقته فيشبهها بحيوان سريع قوىّ كحمار الوحش وثور الوحش، وأحيانا يشبهها

(١) « الحيوان » ج ١

بالغزال والنعامة . ولا يكتفى بهذا التشبيه حتى يصف هذا الحيوان القوى السريع وهو يعود فزعاً من الصيادين فيصف ما يقع بين الصيادين وكلابهم وبين الحمار أو الثور . وقد ألف شعراء الجاهلية هذا الوصف حتى توسلو إليه بالصلات الضعيفة وأطالوا فيه على غير ما ينتظر القارئ أو السامع

وامرؤ القيس أكثر الجاهليين وصفاً للصيد استقلالاً غير استطراد فى وصف الإبل . ولكنه يجمع بين وصف الصيد ووصف الحصان الذى يصيد عليه . ومن هذا قوله فى المعلقة :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

ويصف حصانه إلى أن يقول :

فعنّ لنا سِرب كأن نعاجه ... عَذارى دَوار فى الملاء المذيّل
فأدبرن كالجِزع المفصّل بينه ... بجيد مُعم فى العشيرة مُخول
فألحقنا بالهاديات ودونه ... جَواحرها فى صَرة لم تَزيّل
فعادى عداء بين ثور ونعجة ... دراكا ولم يَنضح بماء فيُغسل
وظل طهاة اللحم ما بين مُنضج ... صفيف شِواء أو قدير مُعجّل

يصف صيد بقر الوحش . والبقر الوحشى أشبه بالغنم منه بالبقر الأهلى ؛ ولهذا سميت الأنثى نعجة . وقال امرؤ القيس : وعادى عداء بين ثور ونعجة . وقد شبه سرب البقر بعذارى غلبها ملاء تجرّ ذيوله ويدرن حول صنم ؛ ثم شبهها حينما ارتاعت بالجزع المفصل لاختلاف ألوانها . وقال إن الحصان لسرعته أدرك الهاديات أى السابقات منها وترك المتأخرات حيارى لها صياح فأدرك ثوراً فنعجة ولم يعرق . وعكف الطهاة على اللحم ، منهم من يشوى ، ومنهم من يطبخ فى قدر

وقد أجمل وصف الصيد فى قصيدة أخرى إذ قال :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها ... لغيث من الوسمىّ رائده خال

ومعظم الشعراء الآخرين يستطردون فى وصف الناقة إلى تشبيهها ببقرة وحشية أو حمار فى قوتها وسرعتها ، ويصفون الحيوان المشبه به فى حال ذعره من الصيادين حين لا يدخر قوة ولا إسراعاً للنجاة . ويجمع الشاعر أحياناً بين تشبيه الناقة بالحمار وتشبيهها بثور الوحش ، ويصور حال كل منهما حين يروعه الصيادون كما فعل لبيد فى المعلقة . وقد ألف الشعراء هذا الاستطراد حتى سار عليه أبو ذؤيب الهذلى وهو يرثى أولاده فقال إن الدهر لا يبقى على حدثانه ثور الوحش ولا حماره . واستطرد فوصف كيف انتهى الجلاد بين الحمار والصيادين بأن أصابه سهم أرداه ، وكيف كان العراك بين الثور وكلاب الصيد فقتل بعضها حتى أدركها صاحبها فرمى الثور بسهم قتله . (للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

الوساطة بين الدكتور طه والأستاذ المازنى — عناصر الهجوم — كلمة الدكتور طه — حل الألغاز — غمزات الدكتور طه — الدكتور طه فى الأعمال الحكومية والأدبية — المازنى ضحية الأدب ، ولكنه لن يضيع — كلمة صريحة إلى الدكتور طه حسين

الوساطة بين الدكتور طه والأستاذ المازنى

لم يعد القراء يلتفتون إلى ما يقع فى الجرائد اليومية من المصاولات الأدبية ، فقد صنعت أزمة الورق ما صنعت فى صدّ الجرائد عن الآداب والفنون ، وبهذا أصبح مجال الأدب مقصوراً على المجلات الأدبية ، فمن الخير أن نحدث قراء الرسالة عما يفوتهم الاطلاع عليه ، مما يقع من الصيال الأدبى فوق صفحات الجرائد اليومية من حين إلى حين

وكلمة اليوم فى شرح مناوشة عنيفة ثارت بين الدكتور طه والأستاذ المازنى على صفحات جريدة البلاغ ، وهى مناوشة تمثل التجنى والتظالم على أعنف ما يكون بغيُ الرجال على الرجال . وسنقف من هذه المناوشة موقف القاضى العادل ، فقد ساءنا أن يتقارض هذان الرجلان الظلمَ والعدوان بلا ترفق ولا استبقاء ، بعد أن ظلا صديقين حيناً من الزمان

والذى يهمنى من هذه الكلمة هو أولاً تسجيل حادثة أدبية لا ينبغى أن تضيع . وهو ثانياً إنصاف رجلين عزيزين على الأدب وقد بغى كلاهما على أخيه بتحامل وإسراف . وهو ثالثاً توضيح لألغاز ساقها الدكتور طه بك مع اعترافه بأن فهمها لا يتيسر لأكثر القراء

وأصل القضية أن الأستاذ عزيز بك أباظة مدير البحيرة أصدر مجموعة شعرية سماها « أنات حائرة » مع تصدير بقلم الدكتور طه حسين . فلما بدا للأستاذ إبرهيم المازنى أن يتحدث عن تلك المجموعة بدأ بالهجوم على صاحب التصدير ، فغضب الدكتور طه وكتب رداً أراد به دفع العدوان بما هو أقسى من العدوان

ولأجل أن يدرك القراء حيثيات الحكم فى هذه القضية أسوق إليهم كلمات الخصمين قبل الشروع فى الحساب

قال الأستاذ المازنى بعد التمهيد :

« وتوكلت على الله فقرأت التصدير الذى كتبه الدكتور طه حسين بك فقلت لنفسى : لا حول ولا قوة إلا بالله ! هذا طه حسين يخسره الأدب ولا تكسبه الحكومة ، فما خلق لها بل للأدب . وإنه ليضيع نفسه فى هذه المناصب التى تشغله وتستنفد جهده ووقته ، فاذا كتب جاء بماذا ؟ جاء بمثل هذا الكلام الذى لا محصول وراءه ، ولا أعرف له رأساً من ذَنَب . فلماذا لا يستقيل ويريح نفسه من هذا العناء الباطل ويتفرغ للأدب ؟ ما ذا يفتنه من هذا العَرَض الزائل والذى أهمل أو ترك أبقى ؟ كيف يستطيع بالله أن يواظب على التحصيل وتغذية عقله ونفسه — وهو ما لا غنى بأديب عنه — وكيف يتسنى له التجويد حين يكتب وهو مشغول فى ليله ونهاره بهذا الذى لا آخر له من شؤون الوظيفة واللجان وما إليها ... وهو يتولى أعمالاً كل واحد منها كاف للارهاق : فمن جامعة فاروق إلى منصب المستشار الفنى لوزارة المعارف إلى عشرات من اللجان يشارك فيها وتأبى له كرامته أن يكون صفراً ، ولو اقتصر على الجامعة لكان خيراً ، ولو نفض يده من هذا كله لكان أفضل »

عناصر الهجوم

وخلاصة هذه الكلمة :

١ — أن الدكتور طه خسره الأدب ولم تكسبه الحكومة ، ومعنى ذلك أنه يتولى عملاً لم يُخلَق له . وسنرى كيف ثار الدكتور طه على هذه العبارة وعدّها تحدياً لقدرته على الأعمال الحكومية

٢ — وأن الدكتور يضيع نفسه فى مناصب تشغله وتستنفد جهده ووقته ، فإذا كتب جاء بكلام لا محصول من ورائه ولا يُعرف له رأس من ذنب

٣ — وأن الأفضل للدكتور طه أن يستقيل ويريح نفسه من العناء الباطل (وهو عمله فى الحكومة) ويتفرغ للأدب

٤ — وأنه لا يمكن للدكتور طه أن يزوّد نفسه بالتحصيل ، أو يتفرغ للتجويد حين يكتب وهو مشغول ليله ونهاره بأعمال كل واحد منها كاف للارهاق .

كلمة الدكتور طه

وجه الدكتور كلمته إلى صاحب البلاغ ثم قال بعد التمهيد :

« أؤكد للأستاذ المازني أني آسف أشد الأسف لأن الأستاذ عزيز أباظة لم يطلب إليه هو كتابة هذا التصدير ، إذن لكان له المحصول كل المحصول ، ولكان له رأس كقمة الجبل وذَنب كالذي خوَّف به المنجمون المعتصم حين همّ بفتح عمورية . وآسف أشد الأسف لأن الحكومة لم تكل إلى الأستاذ عملى فى وزارة المعارف وفى جامعة فاروق ، إذن لكسبته الحكومة والأدب جميعاً . والأستاذ المازنى يعرف أن لأبى العلاء قصة مع الشريف المرتضى ، وأظنه يأذن لى فى أن أسرق من هذه القصة شيئاً ، فالسرقة فى الأدب مباحة ، ولا سيما حين تكون فى العلن لا فى السر ، وهى حينئذ أشبه بالسطو . ولست أسرق من قصة أبى العلاء ، أو لست أسطو منها إلا بمقدار . فأنا أرجو أن يقرأ الأستاذ سورة الفَلَق ، وأن يقرأ مطوَّلة لبيد ومطولة طرَفة وعينية سويد بن أبى كاهل التى مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا فبسطنا الحبل منها ما اتسع

ورائية الأخطل التى مطلعها :

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بدر وإن كان حيَّانا عِدا آخر الدهر

ولامية المتنبى التى مطلعها :

بقائى شاء ليس هُمُ ارتحالا وحُسنَ الصبر زمُّوا لا الجمالا

وسيقول القراء إنى ألغز بهذا الكلام ، ولكنى أعتذر إليهم ، فإنى لا أكتب لهم وإنما أكتب للأستاذ المازنى . وأنا أسلك فى ذلك طريقة الأستاذ نفسه ؛ فمن المحقق أنهم لم يفهموا عنه ما قال أمس ، لأنهم لم يقرأوا التصدير الذى لا محصول وراءه والذى لا رأس له ولا ذنب ... وأحبّ إلىَّ بأن أستقيل وأفرغ للأدب ، ولكنى أود أن أستيقن قبل ذلك بأن الحكومة ستضع الأستاذ المازنى مكانى لنرى أيكتب كلاماً كالذى أكتبه أم يكتب كلاماً خيراً منه . . . أما بعد فأنا ضامن للقراء إحدى الحسنيين : فإما أن يسكت الأستاذ المازنى فيستريح من هذا السخف الذى نحن فيه ، وإما أن يكتب الأستاذ المازنى فيجدوا شيئاً يرفه عليهم من هذا القيظ المهلك ، ويقرأوا كلاماً له الرءوس كل الرءوس ، والأذناب كل الأذناب »

حل الألغاز

ونسارع فنذكر أن الإشارة إلى سورة الفلق منصبّة على آية « ومن شر حاسد إذا حسد » وأن الإشارة إلى مطولة لبيد تتجه إلى هذين البيتين :

فاقنعْ بما قسم المليك فإنما قَسمَ الخلائقَ بيننا علاَّمُها
وإذا الأمانة قسِّمت فى معشر أوفى بأعظم حظنا قسَّامُها

وأنه يريد من مطولة طرفة هذان البيتان :

فلو كنت وغلاً فى الرجال لضرنى عداوة ذى الأصحاب والمتوحد
ولكن نفى عنى الأعادى جرأتى عليهم وإقدامى وصدق ومحتدى

ومن عينية سويد أشار الدكتور طه إلى هذين البيتين :

رُبَّ من أنضجت غيظاً قلبه قد تمنَّى لىَ موتاً لم يُطَع
ويرانى كالشجا فى حلقه عَسِراً مخرجُه ما يُنتزَع

وأراد من رائية الأخطل هذين البيتين :

تَنِق بلا شىء شيوخ محارب وما خلتُها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت فدلّ عليها صوتُها حيةَ البحر

ومن لامية المتنبى أراد هذين البيتين :

أرى المتشاعرين غروا بذمى ومن ذا يحمل الداء العُضالا
ومن يكُ ذا فم مُرّ مريض يجد مُرًّا به الماء الزلالا

وما أردت تبليغ هذه التعاريض إلى الأستاذ المازنى ، وإنما أردت منفعة القراء ، والشر يتّسم بالخير فى بعض الأحايين !

غمزات الدكتور طه

١ — كان يستطيع أن يقول إنه « يستعير » قصة أبى العلاء مع الشريف ، و « يستعير » هى اللفظة المطلوبة فى هذا الموقع ، ولكنه قال إنه « يسرق » ليندد بالأستاذ المازنى . ولم يكتف بذلك ، بل جعل سرقته علنية ، وهى « حينئذ أشبه بالسطو » كما قال

٢ — صور الأستاذ المازنى بصورة الحاسد لمن كتب تصدير الديوان

٣ — وصوره بصورة من يعجز عن عمل المستشار الفنى بوزارة المعارف ، ومن يعجز عن إدارة جامعة فاروق

الدكتور طه فى الأعمال الحكومية والأدبية

لقد فصلنا الخصومة بين الرجلين بوضوح ، ولم يبق إلا أن

نكف شر الأستاذ المازني عن الدكتور طه ، وشر الدكتور عن الأستاذ المازني ، لأننا نكره أن تختل الموازين في هذه البلاد

وإذا كان الأستاذ المازني هو البادىء بالظلم فأنا أبدأ بالدفاع عن الدكتور طه ، والهجوم عليه ذو شُعَب : فهو تارة أديب أضاع نفسه بالأعمال الحكومية ، وتارة موظف لا يُحسن إدارة الأعمال ، وتارة حائر لا يهتدي إلى ساحل الأمان

وأشهد أن الدكتور طه من أقدر الرجال على إدارة الأعمال الحكومية ، فما تولى عملا إلا أقبل عليه بهمة وقوة ، ولا سما إلى مطلب إلا وصل إليه بأيسر أو أعسر مجهود . والدكتور طه مثالٌ نادر من أمثلة البراعة في الشؤون الإدارية ، وهو مفطور على سرعة التصرف ، وأخطاؤه القليلة أو الكثيرة لا تقاس إلى صوابه الملحوظ في الابتكارات الديوانية

وما الذي يمنع من الحكم بأن الدكتور طه دفع عن رجال الأدب قالة من أسوأ القالات ، فقد مرت أزمان والناس يتوهمون أن رجال الأدب لا يصلحون للأعمال الإدارية ، وكان من أثر هذا التوهم أن لم نر لأحدهم مكانا في المناصب العالية من الوجهة الرسمية ، فجاء نجاح الدكتور طه رداً حاسما على أوهام أولئك المتوهمين

وكذلك يقال في تولي الدكتور طه إدارة جامعة فاروق ، فذلك مغنم عظيم لرجال اللغة العربية ، وكانت الحكومة لا تكل إلى أحد منهم إدارة مدرسة ابتدائية . وهل ننسى أن مدرسة دار العلوم ظلت آماداً طوالاً تحت نِظارة رجال من غير أبنائها ، مع أن فيهم كثيراً من الأكفاء ؟

ويسرني أن تشهد البواكير بأن الدكتور طه سيفلح في إدارة جامعة فاروق ، كما أفلح من قبل في إدارة كلية الآداب بجامعة فؤاد ، وكما أفلح في أعماله بوزارة المعارف

أما قول الأستاذ المازني بأن شواغل الدكتور طه تصرفه عن تزويد عقله بالمطالعات والمراجعات فهو قول صحيح ، ولكنه لا يؤذي الدكتور طه في شيء ، لأن الدكتور طه قد اختار لنفسه أن يكون من رجال الدولة لا من رجال الأدب ، وهو لن يزاحم أحداً من الباحثين ، ولن يقول إنه أوحد الناس في جميع الفنون ، فما يجوز لمن يكون في مثل حصافته أن يتناسى أن الأستاذية في الأدب توجب الانقطاع إلى الأدب ، وتفرض الخلوة إلى النفس ساعات من كل يوم ، وذلك لا يتيسر لمن تكون الأعمال الإدارية عناءه بالنهار وهمه بالليل .

المازني ضحية الأدب ، ولكنه لن يضيع

من التقاليد الموروثة بمصر احترام الوظائف والموظفين ، وقد كان الآباء في عهد الفراعنة يوصون أبناءهم بطاعة الرؤساء ، ويحضونهم على تنفيذ الأوامر بلا اعتراض ، ليظفروا من مناصب الدولة بأكبر نصيب

وأنا لا أرى في هذا شيئاً من الذلة في طلب المجد ، كما رأى بعض الناس ، وإنما أراه شاهداً على أصالة المصريين من الوجهة النظامية ، فطاعة المرءوس للرئيس يوجبها نظام الأعمال إذا حَسُنت النيات وزال معنى الخضوع الممقوت

واحترام الوظيفة في مصر له أصل ، فقد كانت الوظائف من أنصبة الأغنياء والأقوياء ، وكان مفهوماً أن الرجل لا يظفر بوظيفة إلا إن كانت له عصبية تحميه من الكائدين ، أو تعينه على تحقيق السيطرة في الإقليم الذي يُشرف عليه بأي صورة من صور الإشراف

ونحن اليوم نخضع لتلك التقاليد خضوعاً يعترف به القلب وإن أنكره اللسان ، فمن السهل أن يسأل سائل عن مكانة الأستاذ المازني في الدواوين الحكومية ، وكان قبل ثلاثين سنة أستاذاً في مدرسة من كبريات المدارس الثانوية ، ومن زملائه من وصل إلى مكانة تضيفه إلى المحسودين بين كبار الموظفين ، فماذا صنع المازني بنفسه حتى تخلّف هذا التخلف وحتى صار من حق أي إنسان أن يقول له : داعبْ هذا المنصب إن كنت تستطيع ؟

حظ المازني يظهر واضحاً إن تذكرنا ما صار إليه ناصحه الأمين ، وهو الأستاذ عبد الفتاح صبري وكيل المدرسة السعيدية ، يوم كان المازني أستاذاً بالسعيدية ، فقد خضع الأستاذ عبد الفتاح صبري للأنظمة الإدارية خضوعاً وصل به إلى أرفع منصب في وزارة المعارف ، وثار المازني على الأنظمة الإدارية ثورة وصلت به إلى العيش من سنان القلم في الجرائد والمجلات

فما النتيجة وما الغاية في حياة هذا وذاك ؟

مات عبد الفتاح باشا صبري مِيتة الغريب ، فلم تبكه وزارة المعارف ، ولم يحزن عليه مخلوق ، ولن يُذكر بغير الملام إن تسامح معه التاريخ !

٤ – المسرح المصرى

والدرامة المنظومة

للأستاذ دريني خشبة

كان شوقي العظيم – عليه رحمة الله – لا يعجبنا !

وكنا نتهم شوقي بأنه كان يعيش معنا بجسمه ، ومع شعراء الأجيال السابقة بروحه وفنه . . . فهو يردد أوزانهم ويقلد قصائدهم ، ويتخذ مطالعهم ، ويغزل فى أول منظوماته كما كانوا يغزلون ، ويعارض الحُصْرى والبوصيرى وأبا تمام والبحترى

كنا نعيب شوقي لأنه كان يصنع هـذا ، وكنا نعيبه لأنه لم ينظم للمسرح ، فلما سمع إلينا ونظم للمسرح أخذنا عليه المآخذ ، وعددنا عليه الهفوات ... والرجل العظيم عليه رحمة الله يصبر على ذلك ويبتسم ، فلا يضيق بالنقد ، ولا ينقم على النقاد ، بل يبطل حججهم بإخراج القطعة بعـد القطعة ، ونظم الغُرة تلو الغرة ، والنقاد الظالمون ، لا غفر الله لهم ولا سامحهم ، وإن كنتُ منهم ، يلجّون فى غيهم ، ولا يعجبهم من شوقي العظيم العجب ، حتى أراحهم الله من شوقي ، فنظروا حولهم ، فاذا هم لم يستريحوا ، وإذا هم يشعرون بفدح الخسارة التى مُنى الأدب العربى بهـا ، والتى لم يستطع أن يعوّضها هـذا الجيش العرمرم من الشعراء والشويعرين والمتشاعرين ممن فيهم من زيد ومن عمرو ، ومن فيهم من هذا الذى كنا ، فى نوبة من الحماسة ، نفضله على شوقي ، ونزيف له أكاليل الغار ، فلما مات شوقي ، إذا إكليل الغار تمسخه الأقدار فيكون حزمة من القش . . . وإذا نحن نعترف فى ذهول وحزن بأن الشعر العربى — أو الأدب العربى — قد أصيب بنـكسة شديدة وارتـكاس مؤلم ، لأن النهضة التى بدأها شوقي وتركها وهي فى المهـد ، لم يُهيَّأ لها الشاعر الذى يرعاها ويبلغ بها شأو الطفولة ... ولا نقول الصبا ولا نقول الشباب ...

تلفتنا حولنا فرأينا الشعر العربى يعود إلى حدوده الضيقة التقليدية ، ورأيناه لا يعدو القصائد والمقطوعات والموشحات ، ورأينا تلك البداية المباركة التى بدأها شوقي تنطوى على نفسها فتصبح من المخلفات الأثرية فى المسرح المصرى ، حتى أوشك الممثلون الأفذاذ الذين أدوا الشوقيات الرائعة ينسون أدوارهم ، وحتى أوشك الناس ينسون تلك الشوقيات

ومع هـذا فما زلنا نسمع من يجرؤ على التشدق بأنه أشعر الشعراء وسيد الأدباء ، لا لشيء إلا لأن شعره يعجبه هو وإن لم يرق أحداً من الناس ، فان سألته وهل حاولت ما حاول شوقي ؟ سألك وماذا حاول شوقي ؟ شوقي المقلد . . . شوقي الرجعي . . . شوقي الصَّدَى . . . شوقي الذى لم تـكن فيه روح الشعر وإن

أما المازنى فلن يموت أبداً ، وهل يموت رجال الأقلام والآراء ؟

المازنى من أمجاد مصر الأدبية ، وصفحة واحدة من أصغر كتاب ألفه المازنى أبقى على الزمن من جميع المناصب ، والله عز شأنه أقسم بالقلم ولم يقسم بالجاه ولا بالمال

وهل كانت مصر ترضى أن يصير المازنى إلى وظيفة تقبره كما قبرت الوظائف مئات من المفكرين بهذه البلاد ؟

اقترحت مرة على صفحات الرسالة أن تقرر الدولة معاشاً للأستاذ المازنى ، بحجة أنه أدى للأدب خدمات لم يؤدها من تمتعوا بكرم الدولة باسم الأقدمية فى الوظائف

وأنا فى هذه اللحظة أسحب ذلك الاقتراح ، فلن يجوع المازنى وفى يده قلمه ، ولن يشيخ قلم المازنى ولو صار صاحبه فى ضمور طيف الخيال .

كلمة صريحة إلى الدكتور طه حسين

ولـكن ما الذى آذاك أيها الأستاذ الجليل من تلك الغمزة المازنية ؟ ما الذى آذاك منها وهى حق فى حق ؟

أتريد أن نعفيك من النقد الأدبى ؟

أتريد أن نتوهم أنك كنت معنا فَطِرت منا ؟

أيرضيك أن تتناسى اسمك فى المناوشات الأدبية ؟

إن كان هذا ما تريد فأنت وما تريد ، ولـكننا لن نحترم إرادتك إلا كارهين ، لأننا نرفض تسليمك إلى الحكومة بأى ثمن ، وسنجاهد إلى أن نستردك ، فجهز نفسك لوصل حاضرك بماضيك ، فى خدمة الأدب الرفيع .

زكى مبارك

أجاد بهرج النظم . إلى آخر تلك المهاترات الأدبية التي لم نتورع من إهدائها إلى شاعرنا العظيم حتى بعد أن ترك لنا الدنيا لنملأها نحن بالكمال الذي طالبناه به ...

ولست أدرى ماذا يصرف شعراءنا — أصلح الله بالهم — عن النظم للمسرح ، ومنهم طائفة مثقفة واسعة الاطلاع عظيمة الدراية بالأدب الأوربي ، اطلعت من غير شك على درامات شيكسبير وبن جونسون ومارلو وغيرهم من الشعراء المسرحيين ، وعرفت ما أفادته اللغة الإنجليزية وغير اللغة الإنجليزية من الدرامات المنظومة ، وما فتح الله على أيديهم للشعر الإنجليزى وغير الشعر الإنجليزى من هذا الفتح العظيم الذى كانت آيته ذلك الشعر الحر The Blank Verse الذى لا يعرف القافية ولا يتقيد بها ، بل ينطلق من الروح أنغاماً سحرية مشرقة ذات بهاء وذات لألاء ، دون أن تذهب بهجتها فى هذا الاطراد الطويل الممل الذى تجلبه القافية العربية

وقد يعترض معترض بأننا ندعو إلى شىء فرغ غيرنا منه ، حينما ندعو شعراءنا إلى نظم الدرامات للمسرح المصرى . . . إذ ما حاجة هذا المسرح إلى الدرامات المنظومة فى عصر سار فيه الأدب الواقعى ، وتحرر فيه التأليف المسرحى من القيود المادية التى كانت تجعل أداءه بطيئاً وحواره مملولا فيه كلفة وفيه تصنع . وهو اعتراض مردود ... ويرده أن الأدب المسرحى الذى ندعو إلى إدخاله فى الأدب العربى يجب أن يدخل إلى هذا الأدب بكل أنواعه التى عرفها الأدب الاوربى ، ثم نحن ندعو إلى وجوب نهضة الشعر العربى وتوسيع آفاقه . . . ولن تتسع هذه الآفاق ما دام الشعر العربى بعيداً عن المسرح ، إذ الدرامة المسرحية هى المجال الذى يتسع لأخيلة الفحول من الشعراء فيفيضون فيها من آرائهم فى الحياة وآرائهم فى الفن وآرائهم فى الجمال وآرائهم فى السلوك ، ويبدعون ما شاءت لهم تلك الأخيلة من الصور التى يعالجون بها جراح الإنسانية ويهذبون بها انحرافاتها ... كل ذلك فى الدرامة ... هذه القطعة الحية المتحركة فوق المسرح بأشخاصها الكثيرين ، ذوى المشارب المختلفة والميول المتباينة ، وبمناظرها الرائعة التى يكسبها الشعر جوها الساحر الجميل الخلاب ... نريد إذن أن يجد شعراؤنا وأن يوسعوا آفاقهم ، وأن يجعلوا للدرامة المنظومة شطراً كبيراً من جهودهم التى ينفقونها كلها فى الهنات الهينات من قصائدهم وموشحاتهم التى شبعنا منها إلى حد التخمة ... ومعاذ الله أن يظن أحد أننا نعرض بأحد من شعرائنا أو من شعراء العالم العربى . . . فنحن إنما نتهم هؤلاء ، وهؤلاء بأنهم كسالى ... وأننا حينما كنا ننقد شوقى ونهاجمه إنما كنا نتجنى على سيد شعرائنا غير مدافع ، وكنا نغمط حقه ونظلمه ... وإلا فأين من شعرائنا من استطاع أن يسمو إلى أفق شوقى أو أن يملأ هذا الفراغ الهائل الذى تركه وراءه ؟

لا بد إذن أن ينفض شعراؤنا غبار هذا الكسل ، ولا بد أن يحاولوا مثل الذى حاوله شوقي من قبل ، والذى حاوله ، ونرجو أن يستمر فيه ، الشاعر الشاب الأستاذ محمود غنيم اليوم . فإن لم يفعلوا فلسوف يظل الشعر العربى جامداً فى دائرته القديمة وهم بحمد الله لن يأتوا فى حدود تلك الدائرة بعشر معشار ما أتاه الأولون من جاهليين ومخضرمين وإسلاميين وأمويين وعباسيين وأندلسيين . ونحن إن كان لنا أمل فى أحد من شعرائنا المصريين أو الشعراء العرب عامة ، فالشعراء الشباب هم مناط ذلك الأمل . وكم كنت أود أن أوثر الفريق الذى يجيد اللغات الأجنبية منهم على الفريق الآخر الذى لا يجيدها ، لو لم يبرز الأستاذ غنيم فى الفريق الثانى ، فذهب بالفضل ، واستحق الثناء ، وجعلنا نتشوف إلى محاولاته التالية ... أما شعراؤنا الذين يجيدون إحدى اللغات الأجنبية ويقعد بهم الكسل دون محاولة النظم المسرحى ، فى مقدمتهم الشاعر الرقيق النابغة الأستاذ على محمود طه ؛ ثم الأستاذ الشاعر المطبوع محمود الخفيف ، ثم الأستاذان أحمد فتحى ومختار الوكيل . ثم الشعراء الجامعيون وشعراء المهاجر ... إن هؤلاء هم المسئولون قبل غيرهم عن نهضة الشعر العربى وفتح الميدان المسرحى له على مصراعيه ، لأنهم أعرف من غيرهم بماهية المسرح وما يستطيع أن يؤديه للغة وللشعر من أمجاد ، وذلك أنهم تأثروا بروح الغرب وأساليبه ، تلك الروح العالية نلمسها فى أشعارهم فنلمس فيها أثر براوننج وشلى وكيتس وبيرون ووردذورث ودى موسيه وليل وج . ب . روسو ولبيران ... فمتى يا ترى نلمس فيهم أثر بن جونسون وشيكسبير وراسين وكورنى ؟ إنهم يعرفون من تاريخ الآداب الأوربية كيف ثار الشعراء الإنجليز على القوافى الشعرية وكيف أقامت

عليهم عرائس القرائح بنعمة الشعر الحر التى اهتدى إليها مارلو الإنجليزى ، فأتى فيها بالأعاجيب ، وفتح باب جنتها الفيحاء لشيكسبير العظيم الذى ذلل قطوفها تذليلاً ... فتى يثورون فى الشعر العربى مثل تلك الثورة التى لا يحسن أن يقوم بها غيرهم ، لما تستلزمه من ذوق خاص أولاً ، ووقوف على تاريخ الآداب الأوربية ثانياً ، حتى يخطوا خطواتهم عن بصيرة وحسن دراية ، مهتدين فى ذلك بما تم من مثله فى الآداب الأخرى التى يثقفونها

أما شباب شعرائنا الذين لا يجيدون إحدى اللغات الأوربية بل لا يعرفونها ، فقد جنوا على أنفسهم وعلى ثقافتهم بإهمالهم تعلم إحدى تلك اللغات مع ما كانت تبذله لهم دار العلوم من العون والتشجيع . ولعل دار العلوم هى التى جنت عليهم فى ذلك ، لأنها جعلت تعلم اللغة الأجنبية اختيارياً ولم تفرضه على أبنائها فرضاً ، ولو أنها قسرتهم على تعلمها لحمل أبناؤها اليوم عبء الثورة على تقاليد الشعر العربى العتيق ، ولأتوا فى ميدان النظم المسرحى بالأعاجيب . على أننى لا أدرى ماذا يمنع شعراء دار العلوم من الإكباب على لغة أجنبية يدرسونها ويثقفون آدابها . ولست أدرى أيضاً ماذا يمنع هؤلاء الشعراء ، وفى مقدمتهم الأساتذة محمود حسن اسماعيل ومحمد عبد الغنى حسن وأحمد مخيمر ومن إليهم من أن يحتذوا حذو الأستاذ غنيم فى النظم المسرحى ؟ وللأستاذ محمد عبد الغنى حسن إلمام لا بأس به بالإنجليزية ، فما له لا يساهم فى النظم الدرامى بنصيب ؟

إننا حين نحاول سلك الأدب المسرحى فى الأدب العربى ، لا بد لنا من خلق حركة أدبية إبداعية لا يحسن أن ينهض بها غير شعرائنا الشباب . والأدب الإبداعى (الرومانتيكى) هو أدب الخيال والجمال والسحر والشعر والخلق والابتكار ... هو الأدب الذى يلون الحياة ويمد فى طرفيها ويزيدها علواً وسفلاً ، ويجعلها أعمق وأوسع آفاقاً ... إنه الأدب الذى تتضافر فيه جهود الفنانين من شعراء وموسيقيين ومصورين ورسامين وصانعى ملابس ... إنه أدب الألوان والعواصف والبرق والرعد والدموع والعواطف والأشجان ... إنه الأدب الذى لا يجيده غير الشعراء الموهوبين الذين يستطيعون أن يخلقوا لنا دنيا أجمل من الدنيا التى نعيش فيها ... دنيا ذات ألوان صارخة تتسع لأحلامنا التى نعجز عن تحقيقها فى عالم الواقع ... دنيا من الشعر والموسيقا والغناء ... دنيا نتفيأ فيها ظلال الرحمة والمحبة والحنان كلما بهظتنا دنيانا الشقية بالآلام والنكبات ... دنيا نتنفس فيها صعداءنا هانئين سعداء ، لا نخاف رهقاً ولا نخشى عنتاً ولا نفزع من شجو ولا نضيق فيها بأنفسنا كما نضيق بها فى دنيا الواقع

إن القصائد والموشحات وحدها لا تستطيع أن تصنع لنا من ذلك كله إلا لحظة عابرة ثم نتردى من جديد فى هوة آلامنا ... أما الدرامة المنظومة الإبداعية فكفيلة بأن تحملنا إلى السموات ساعات وساعات ، وكفيلة بأن تخفف من أعباء قلوبنا ، وما تنوء أرواحنا به من ضيق ... ما هذا ؟ أكلما أراد القارئ العربى المسكين أن يتسلى بشىء من الدرامة الإبداعية اضطر اضطراراً إلى اصطحاب شيكسبير ورهطه إن كان يحسن الإنجليزية ، أو راسين وكورنى إن كان يجيد الفرنسية ، أو سرفنتس ولوب دى فيجا إن كان ملماً بالإسبانيه ، أو شيلر ولسنج إن كان يعرف الألمانية ، أو يقعد حزيناً محسوراً إن كان لا يعرف لغة أجنبية ؟ ...

ألا إن هذا لهو أشنع الخزى فى أدبنا العربى ، وفى شعرنا العربى بوجه خاص ... إننا لن نغتفر مطلقاً لأدبائنا الكتاب تقصيرهم فى إمداد المسرح المصرى بدرامات مصرية ، وإننا لن نغتفر مطلقاً لشعرائنا الكهول تقصيرهم فى إمداد هذا المسرح بدرامات منظومة تغنى الأدب المسرحى وتمد الأدب العربى بثروة طائلة لا تمد لها تلك الثروة التى تشبه الفقر من القصائد والمقطوعات والموشحات ... إننا نتساءل فيم أنفق شعراؤنا الكهول أعمارهم ؟ لقد أنفقوها فى نظم القصائد والمقطوعات ، والقصائد والمقطوعات فحسب ... فلن تجد فى دووايتهم التى تعد بالعشرات ملحمة تشجيك ولا قصة تصبيك ولا درامة تسليك ، ولا تمثيلية ، ولو من فصل واحد ، يوسّع بها أحد هؤلاء الشعراء حدود الشعر العربى فى عصرنا الذى اتسعت فيه حدود كل شىء ... الحق أن حالة دواوين الشعر العربى محزنة جداً ، وهى محزنة بنوع خاص فى دواوين شعرائنا المعاصرين الذين عرفوا أوربا وعرفوا الثقافة الأوربية والأدب الأوربى ... وإن مقارنة سريعة بين ديوان شاعر أوربى مثل بيرون أو روبرت رونتج وبين أى ديوان من دواوين شعرائنا ، (فحلاً أو نصف فحل أو إمعة !) لتظهرك على هذا الفقر الشنيع فى إنتاجنا الأدبى ، وهو فقر يحس الإنسان منه الخزى الشديد ، فينصرف

مواكب الأعراس
فى عهد بنى العباس

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

من الحوادث التاريخية ما يبعث اللذة ويسلى فى أوقات الفراغ . ونحن فى درسنا للتاريخ نضيف إلى حياتنا اليومية ذكريات من الماضى تبعثنا إلى التأمل والمقايسة بين أمسنا وحاضرنا فيختار القارىء من هذه الصفحات ما تصبو إليه نفسه وما يسمو به عقله وما تنتعش به نفسه . وهذه صفحة من صفحات تاريخ الدولة العباسية التى شغلت العالم الشرقى والغربى قروناً كانت فيها أدوار عز وفخر . ولقد اخترنا لموضوعنا هذا ثلاث حفلات من أفخم الحفلات التى جرت فى عهد بنى العباس من أوائل أدواره وأواسطها وأواخرها فنقول : كانت أيام المأمون أيام عز وجاه ورغد ورخاء وتفوق وانتصار دوّنها المؤرخون بما فيها من الحلل القشيبة التى رفلت بها الدولة العباسية واعتزت أيما اعتزاز ، حيث كانت مناراً للعلوم وينبوعاً للثروة والمال . فبذخ الخلفاء والأمراء وأصحاب المناصب العالية . وتخرقوا بما يفوق وصفه فى كل حال من الأحوال . فكانت الحفلات والولائم والاحتفالات ذات مظهر فيه كل البذخ والإسراف يفوق ما يقوم به ملوك الأطراف تعزيزاً لهيبة الخلافة وعنواناً لسلطانها وجبروتها . ومن هذا ما جرى فى حفلة زواج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل الذى كان وزيره آنذاك . وها نحن أولاء نسرد ما جرى فى تلك الحفلة التاريخية التى فاقت الحفلات التى تقام عادة بين الملوك والأمراء .

وقد جرت تلك الحفلة فى منازل الحسن بن سهل السرخسى التى كانت بفم الصلح بالقرب من مدينة واسط[1] . وفم الصلح اسم نهر كبير كان فوق واسط بينها وبين جبُّل ، عليه عدة قرى ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون ، وفيه بنى المأمون ببوران . تزوجها المأمون لمكانة أبيها عنده ، واسمها الحقيقى خديجة ، وبوران لقبها . احتفل أبوها وعمل من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله فى عصر من عصور الجاهلية والإسلام . فقد سافر المأمون وحاشيته ورجال دولته من القواد والكتاب والوجوه إلى فم الصلح فنثر الحسن بن سهل بنادق المسك على رؤوسهم فيها رقاع بأسماء ضياع وأسماء جوار وصفات دواب وغير ذلك ، فكانت البندقة إذا وقعت فى يد الرجل فتحها فيقرأ ما فى الرقعة ، فإذا علم ما فيها مضى إلى الوكيل المرصد لذلك فيدفعها إليه ويتسلم ما فيها سواء كان ضيعة أو ملكا آخر أو فرساً أو جارية أو مملوكاً . ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك وبيض العنبر ، وأنفق على المأمون وقواده وجميع أصحابه وسائر من كان معه من أجناده وأتباعه وكانوا خلقاً لا يحصى حتى على الجمالين والمكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره . ولم يكن فى العسكر من يشترى شيئاً لنفسه ولا لدوابه . وذكر الطبرى أن المأمون أقام عند الحسن تسعة عشر يوماً يعدُّ له فى كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه . وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم . وكان رحيل المأمون نحو الحسن ابن سهل أى إلى فم الصلح لثمان خلون من شهر رمضان سنة عشر ومائتين . وفرش الحسن للمأمون حصيراً منسوجاً بالذهب ؛ فلما وقف عليه نثرت على قدميه لآلىء كثيرة . فلما رأى تساقط

[1] ذكرها السمعانى ونقل عنه العماد فى الخريدة ونقل عنهما ياقوت الحموى فى معجم البلدان مادة فاء ميم .

عن الشعر العربى والشعراء العرب وفى نفسه ما فيها من الحسرة والألم ... فماذا فى جميع دواويننا مما فى ديوان بيرون مثلاً ؟ إنك تقرأ فى بيرون تلك الملاحم الطوال والمنظومات القصصية الرائعة ، والتمثيليات الإبداعية الشائقة ... إنك تقرأ دون جوان ... تشيلد هارولد ... بِبّو ... الجزرة ... الجياؤور ... القرصان ؛ ثم تمثيليات مارينو فاليبرو ، ورنر ، قايين ، مانفرد ... إلى آخر تلك الروائع التى تكوّن ثروة بيرون الأدبية الهائلة ، وإنتاجه الشعرى العظيم ... وكل من تلك الملاحم أو التمثيليات يصلح لأن يكون مجلداً ضخماً يزرى وحده بأى ديوان من دواويننا . هذا عدا قصائده التى لا تعد ... وبيرون مع ذلك مات شاباً كما مات شلى وكيتس ، فلم تحل حياته القصيرة دون هذا الإنتاج البارع الغزير السامى ... ومن الشعراء الإنجليز والفرنسيين والأسبان عشرات يفوقون بيرون غزارة إنتاج ويرتفعون إلى أفقه إن لم يفوقوه جودة ... فتى نفتح دواوين شعرائنا العرب فنباهى بها ولا يتولانا هذا الخزى ؟ ومتى يتعاون شعراؤنا الكهول مع شعرائنا الشباب فى رأب هذا الصدع فى شعرنا ولا يستعلون عليهم ؟

دريني خشبة

اللآلىء المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال : قاتل الله أبا نواس كأنه شاهد هذه الحال حين قال فى وصفه الخمر والحباب الذى يعلوها عند المزج :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها
حصباء درٍّ على أرض من الذهب

وقال الطبرى أيضاً : دخل المأمون على بوران الليلة الثالثة من وصوله إلى فم الصلح ، فلما جلس معهـا نثرت عليها جدتها ألف درة كانت فى صينية ذهب ، فأمر المأمون أن تجمع ، وسألها عن عدد الدُّر كم ؟ فقالت : ألف حبة ؛ فوضعها فى حجرها ، وقال لها : هـذه نحلتك وسلى حوائجك . فقالت لها جدتها : كلمي سيدك فقد أمرك . فسألته الرضا عن إبراهيم بن المهدى عمه ، والسماح بالحج لأم جعفر ، وهى الست زبيدة . فقال : قد فعلت . فألبستها أم جعفر البدلة اللؤلؤية ؛ وأوقدوا فى تلك الليلة شمعة عنبر وزنها أربعون مَنًّا فى تور من ذهب . فأنكر المأمون ذلك عليهم وقال : هذا إسراف . وقد قالت الشعراء والخطباء فى ذلك فأطنبوا . ومما يستظرف فيه قول محمد بن حازم الباهلى :

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن
يا ابن هرون قد ظفر ت ولكن بينت مَن

فلما نمى هذا الشعر إلى المأمون ، قال : والله ما ندرى أخيراً أراد أم شراً ؟ وقد أمر المأمون للحسن عند منصرفه بعشرة آلاف ألف درهم ، وأقطعه فم الصلح ، فجلس الحسن وفرق المـال على قواده وأصحابه وحشمه . وقد كان الحسن كثير العطاء للشعراء وغيرهم ، فقصده بعض الشعراء وأنشده :

تقول خليلتى لمـا رأتنى أشد مطيتى من بعـد حل
أبعد الفضل ترحل المطايا ؟ فقلت نعم إلى الحسن بن سهل[1]

* * *

والحـكاية الثانية زواج الخليفة المقتدى بأمر الله بابنة السلطان ملـكشاه السلجوقى ، وهى من حوادث سنة ثمانين وأربعمائة ، على ما رواه ابن الأثير ، قال : فى المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملـكشاه إلى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومى . وكان أكثر الأحمال الذهب والفضة ، وثلاث عماريات ، وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملـكى وأجراسها

(١) الطبرى فى حوادث سـنة ٢١٠ هـ ومروج الذهب للمسعودى ج ٧ ص ٦٥ ، ٦٦ ط باريس وتاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٨٦ ، ١٨٧ ط النجف . والفخرى لابن الطقطقي ص ١٦٧ ط مصر . ووفيات الأعيان لابن خلـكان ج ١ ص ١١٦ ، ١١٧ ط بولاق ومختصر أخبار الخلفاء المنسوب لابن الساعي الخازن ص ٥٤ ، ٥٥

وقلائدها من الذهب والفضة ، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة ، لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى ، وبين يدى البغال ثلاث وثلاثون فرساً من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجوهر ، ومهـد عظيم كثير الذهب . وسار بين يدى الجهاز سعد الدولة كوهر آئين ، والأمير برسق وغيرهما . ونثر أهل نهر معلَّى عليهم الدنانير والثياب . وكان السلطان قد خرج من بغداد متصيداً ، ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع إلى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبيّـة ، ومثلها مشاعل ، ولم يبق فى الحريم دكان إلا وقد أشعل فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك . وأرسل الخليفة مع ظِفر خادمه محفة لم ير مثلها حسناً . وقال الوزير لتركان خاتون : سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . وقد أذن فى نقل الوديعة إلى داره ؛ فأجابت بالسمع والطاعة . وحضر نظام الملك فمن دونه من أعيان دولة السلطان ، وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير . وجاء نساء الأمراء الكبار ومن دونهم ، كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وتجمّلها ، وبين أيديهن الشموع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان . ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شىء ، وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الأتراك بالمراكب العجيبة وسارت إلى دار الخلافة . وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها . فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله ، حتى أن فيه أربعين مناً من السكر ، وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر ، وأرسل الخلع إلى الخاتون زوجة السلطان وإلى الخواتين ، وعاد السلطان من الصيد بعـد ذلك[1]

* * *

والحـكاية الثالثة وهى من أواخر عهد الدولة العباسية أى من حوادث سنة أربع وثلاثين وستمائة ، ذكرها ابن الفوطى قال : فى هذه السنة وصل الأمير عز الدين قيصر الظاهرى مخبرا بوصول ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . وكان قد نفذ لإحضارها لتزف على زوجها مجاهد الدين أيبك المستنصرى المعروف بالدويدار الصغير . فخرج إلى تلقيها بدر الظاهرى المعروف بالشحنة ـ أى رئيس الشرطة ـ أحد خدم الخليفة وفى صحبته ثلاثون خادماً ، والأمير بدر الدين سنقرجاه أمير اخور الخليفة

(١) الـكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ٤٨ ط ليدن ج ١٠ ص ٤٨ ط بولاق فى حوادث سنة ٤٦٤ هـ

تطهير العقائد وتحرير العقول

أساس الإصلاح الاجتماعى

للأستاذ محمود أبو رية

انبعث فى السنين الأخيرة بين جوانب البلاد صيحات مختلفة تدعو كلها إلى الإصلاح الاجتماعى ، وتسابق من ينشدون الخير لبلادهم فرادى وجماعات إلى المساهمة فى ذلك الإصلاح. ولما كان كل فريق قد اتخذ لنفسه مذهباً خاصاً لا يشاركه فيه سواه ولم يذهب إليه بعد درس أو تمحيص ، فإن طرق العلاج قد تعددت ومذاهبه قد تفرقت . وقد وجد أدعياء الإصلاح بين زحمة هذه الفوضى طرقاً ميسرة ليظهروا بين الناس أنفسهم وينالوا منهم مآربهم فيقف الواحد منهم على رأس طريق يتخذه لنفسه بعد أن يفتلذ من جسم الأمة فلذة ليكون مرشداً لها وهذا هو كل همه فلا تجد له ولا لمن حوله من عمل بعد ذلك إلا دعاوى ينشرونها ومزاعم يبثونها

وهذه الطوائف هى التى تعرف بين الناس باسم الجمعيات ، وما هى فى الحقيقة إلا (فرق) قد زادت فى تمزيق الأمة وتشتيت شملها بعد أن أصبح صدر البلاد ضيقاً حرجاً بتلك الفرق التى تعرف (بطرق الصوفية)

وإن قيام هذه الفرق المختلفة بيننا وما يدب بينها من عقارب الشنآن وما أصاب الأمة بوجودها من داء التفرق ومرض التشيع ليعيد إلينا ولا جرم عهد الفرق الإسلامية التى ذر قرنها فى صدر الإسلام فكانت من أسباب ضعفه وذهاب ريحه

على أنك لو بحثت عن عمل لهذه الفرق المستحدثة لما وجدت إلا صيحات عن بعض الذكريات الدينية ترسل بين الناس الفينة بعد الفينة ويحسبون أنها مجدية وهى لا غناء فيها

هذا هو كل عملها فلا تراها قد طهرت من أدران الوثنيات ولا فكت عن العقول أغلال الخرافات ، ولا أصلحت من الناس ما غشيهم من سيء العادات ، ولا حسرت عنهم ما غمرهم من أمواج المنكرات ؛ بل أنك لترى عللنا الاجتماعية قد زادت واشتدت ، وأمراضنا الاجتماعية قد عمت وانتشرت ؛ حتى لقد أصبح جسم الاجتماع المصرى بهذه الفرق — القديم منها

وجماعة من المماليك والحاجب أبو جعفر أخو أستاذ الدار ومؤيد الدين محمد بن العلقمى فتلقاها بدر الشحنة فى الزرفة وعاد والجماعة معه وانحدرت هى فى شبارة[1] حملت لها إلى هناك فى جماعة من خدمها وجواريها وصعدت فى باب البشرى ليلاً وقد أعد لها بغلة فركبت واجتازت دار الخلافة وخرجت من باب النوبى إلى دار زوجها مجاهد الدين بدرب الدواب وهى الدار المنسوبة إلى أحمد بن القمى فنثر عليها خادم لزوجها ألف دينار عند دخولها الدار . وفى رابع جمادى الآخرة خلع الخليفة على مجاهد الدين بين يديه وقدم له مركوب بعدة كاملة فخرج وقبل حافره وركب من باب الأتراك ورفع وراءه أربعة عشر سيفاً إلى غير ذلك من الحراب والنشاب وأشهرت السيوف من باب دار الضرب وخرج معه جماعة من خدم الخليفة والحاجب أبو جعفر بن العلقمى أخو أستاذ الدار ومهتر الفراشين وحاجب ديوان الأبنية وغيرهم . وتوجه إلى داره فلما اجتاز بباب البدرية نثر عليه خادم من خدم الشرابى أربعة آلاف دينار . ولما اجتاز درب الدواب نثر عليه فى عدة مواضع من دار الأمير جمال الدين قشتمر ودار ابنته زوجة الأمير نصرة الدين كنج أرسلان وكان وراءه الأعلام

(١) ضرب من السفن

والطبول والكوسات . وفى عشية هذا اليوم نفذ له أحد عشر طبلاً للخلق وأحد عشر قصعة وزوج صنج برسم طبل النوبة فى الصلوات الثلاث . وزفت عليه زوجته فاجتمعت له فرحتان فرح الإمارة وفرح العرس . ولم يبلغ أحد من أبناء جنسه مع حداثة سنه ما بلغ . ومن الغد عرضت عليه الهدايا من رقيق الترك والخدم والجيوش وأنواع الثياب والطيب والخيل وآلة الحرب وغير ذلك من جميع الزعماء وأرباب الدولة وخدم الخليفة وسائر المماليك ؛ ثم الوزير والشرابى وأستاذ الدار والدويدار الكبير ، ولم ينفذ له أحد شيئاً إلا وخلع على المنفذ على يده ثم ركب وبين يديه الأمراء والمماليك ورفع وراءه السلاح وقيدت بين يديه الخيول المجنونة وشهرت حوله السيوف وسمى الكيانية وبأيديهم الحراب والأطيار والجاووشية وبأيديهم الجوالكين الذهب والفضة وقصد دار الخلافة فخدم وعاد ثم ركب عشية هذا اليوم وقصد دار الخليفة فخدم وخرج وقت العشاء الآخرة فى الأضواء الشموع واستمر دخوله إلى دار الخليفة فى كل يوم بكرة وعشية على هذا الوضع[1]

(بغداد) يوسف يعقوب مسكونى

(١) الحوادث الجامعة لابن الفوطى المطبوع بعناية الأستاذ البحاثة الدكتور مصطفى جواد ص ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤

والحديث — كثل رجل ألحت على جسمه العلل وانتابته الأمراض فسعى لمداواته الطبيب النقريس والدعى الجاهل ، هذا ، يدس له ما يضره ، وذاك يقدم له ما ينفعه ؛ ووراء هذا وذاك أولياؤه وأقرباؤه يدخلون عليه من كل باب يحملون إليه من مختلف الهدايا ما يظنون أنه من دوائه ، وما هو فى الحقيقة إلا من بلائه ، فلا يلبث هذا المسكين أن تشتد عليه الأدواء ، وأن يُصبِح فى حال لا يرجى له معها شفاء

مما لا ريب فيه أن جسم الأمة مريض بعلل شتى قد غيرت القرون عليها حتى أعضل أمرها ، ولكن مما لا خلاف فيه كذلك أن لكل داء دواء يستطب به ، على أن يتولاه بالعلاج طبيب نطاسى يقوم عليه وحده ، ولا يشاركه فى تمريض المريض غيره

وإذا كنا ندعو بكلمتنا هذه إلى اتباع تلك الطريقة القويمة التى لا يؤخذ بأسباب أى إصلاح إلا باتباعها ، فإنا نذكر قومنا بأن لكل إصلاح (أساساً ثابتاً) يقوم عليه ، وأساس الإصلاح الاجتماعى — بل والدينى — فى بلادنا إنما يقوم على (تطهير العقائد من دنس الوثنيات ، وفك العقول من أغلال الأوهام والخرافات) ؛ وهذا الأساس لم نفتجره من عندنا ، ولا هو ببدع جديد لنا ، وإنما وضعه من قبلنا الأنبياء المرسلون والزعماء المصلحون . وبحسبك أن تعلم أنه لما قام رسول الله (ص) بدعوته جعل همه كله فى القضاء على البدع والوثنيات التي تدسست إلى العقائد فأفسدتها ، والأوهام والترهات التى غشيت الأفهام فكبلتها ، وقد جعل هذا الجهاد أساس دعوته فلم يأت للناس بشىء من التكاليف الشرعية ولا أمرهم بأداء فرض من الفروض الدينية ، إلا بعد أن خلصت العقائد من لوثاتها ، ونشطت العقول من أغلالها ، وأصبحت الأمة كلها على دين واحد من التوحيد الخالص . وأنه صلوات الله عليه لم يفعل ذلك إلا لأن التوحيد الخالص هو كما قال الأستاذ الإمام : « كمال الإنسان ، وأنه إذا سلمت العقائد من البدع تبعها سلامة الأعمال من الخلل »

وإذا أنت رميت إلى تاريخ (لوثر) مصلح أوربا العظيم تجد نور هذه الحقيقة أمامك ساطعاً ، إذ أنه بعد أن قام بدعوته وطهّر المعتقدات مما كانت قد تلوثت بها ، دخلت أوربا فى طور جديد من الإصلاح ظل يؤتى ثمره حتى صارت على ما هى فيه آلات مدنية وحضارة وعزة وقوة . ولقد قال توماس كارليل فى تاريخ لوثر فى كتاب الأبطال : إن على دعوته قد قامت دعائم الدستور الإنجليزى وبرلماناته والحرية الأمريكية واستقلالها والثورة الفرنسية ونتائجها

إن كثيرين ممن يتصدون للاصلاح (الكلامى) يستهينون بأمر البدع والخرافات ، وبعض هؤلاء يجعل من إصلاحه أن تظل هذه العلل تنخر فى عظام الأمة ، لأنها (بزعمه) مما ينفع العامة . ولو هو تدبر الأمر بفكر الحكيم لعلم أنه ما أنهك جسم الأمة ، ولا قضى على كل فضيلة فيها إلا تلك البدع والخرافات . ولقد أصاب السيد جمال الدين الأفغانى فى قوله : « إن خرافة واحدة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية وتدعوه بعد ذلك أن يحمل المثل على مثله فيسهل عليه قبول كل وهم وتصديق كل ظن ، وهذا مما يوجب بعده عن الكمال ، ويضرب له دون الحقائق ستاراً لا يخرق »

وإن للأستاذ الإمام محمد عبده لحكمة جليلة يجب على كل مصلح أن يتبعها ويسير على هداها وهي : « إن نجاح هذه الأمة إنما يكون بحسن التربية ، ولا سبيل إلى التربية فيها إلا بإصلاح معتقداتها وتصحيح ملكتها حتى تستقيم بذلك أعمالها وتصلح أحوالها »(١)

ولشيخه السيد جمال الدين منهج فى إصلاح الاجتماع وإسعاد الأمم جعل الأمر الأول منه « صفاء العقول من كدر الخرافات وصدأ الأوهام ، فإن عقيدة وهمية لو تدنس بها العقل لقامت حجاباً كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة الواقع ، ويمنعه من كشف نفس الأمر . وأول ركن يبنى عليه الدين الإسلامى (هو) صقل العقول بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الأوهام ، فمن أهم أصول العقائد أن الله منفرد بتصريف الأكوان متوحد فى خلق الفواعل والأفعال ؛ وإن من الواجب طرح كل ظن فى إنسان أو جماد علوياً كان أو سفليا بأن له فى الكون أثراً بنفع أو ضر أو إعطاء أو منع أو إعزاز أو إذلال »

ومن أجل ذلك كان أول عمل قام به هذا السيد بمصر أن « وجه عنايته لحل عقل الأوهام عن قوائم العقول فنشطت لذلك ألباب واستضاءت بصائر »(٢)

ولقد كان رحمه الله فى جميع أوقات اجتماعه مع الناس لا يسأم من الكلام فيما ينير العقل أو يطهر العقيدة أو يذهب بالنفس إلى معالى الأمور »(٣)

هذا هو أساس الإصلاح الذى يكون كل ما يبنى عليه قوى

(١) ص ٦٠٩ من الجزء الثانى من الجزء الثانى من تاريخ الامام
(٣،٢) ص ٣٢ ، ٣٧ من الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الامام

أنات حائرة

للشاعر عزيز أباظه بك

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

خطر لي موضوع هذا المقال وأنا أقرأ ديواناً من الشعر الحزين الرصين أهداه إليَّ الشاعر عزيز بك أباظة

وكثير من الناس لا يعرفون شيئاً عن قصة هذا الشاعر، ولا قصة ديوانه الجديد الذي أتحف به باب المراثي في الشعر العربي

أما الشاعر فقد سمعت عنه من بعض أفراد أسرته الكريمة فقلت في نفسي: قريب يحابي قريباً، ونسيب يزكِّي نسيباً؛ ولكنني لما قرأت ديوانه استصغرت ما سمعت من الأخبار

وأما قصة الديوان، فهي قصة الدموع والأحزان والهموم والآلام نظمها الشاعر في سلك وأهداها إلى مَن يجدون في دموع غيرهم شفاء لغليلهم، وراحة لصدورهم

والديوان كله دموع ذرفها الشاعر على زوجته التي اختطفها الموت أنضر ما تكون شباباً. وكل بيت من الديوان يحمل ذكرى. وكل قصيدة تحمل أثراً

وهذا شيء جديد في الأدب العربي؛ فما رأينا قبل اليوم — فيما نعلم — شاعراً عربياً اختص زوجته بديوان كامل من شعره يقدمه تذكاراً لأيام سعيدة وبشاشات من العيش مضت إلى غير رجعة

وأكثر المراثي في الأدب العربي هي من الرجال إلى الرجال؛ اللهم إلا مراثي الخنساء لأخويها صخر ومعاوية وأولادها الأربعة. فهي هنا الشاعرة الوحيدة التي تفردت بالبكاء حياتها.

ورثاء الرجال للنساء في الشعر العربي قليل، وأقل منه رثاء الرجال لزوجاتهم. ولعل ذلك محمول على المحافظة على صيانة المرأة وُبعدها أن يكون اسمها مضغة في الأفواه، وسيرة على الألسنة.

وليس في ذلك مناقضة لورود المرأة في شعر الغزل؛ فإن المرأة موضوع الغزل ليست مَحْرَمًا للرجل وليست من أهله، ولا يعيب الرجل أن يتحدث الناس عنها. أما الزوجة المرثية، فهي لزوجها أهل وأمٌّ أبناء، فيجد من الحرج أن يذكرها في شعره حتى ولو كان ذلك في مقام الرثاء وموضع البكاء. ودليلنا على ذلك أن الطغرائي أَنِفَ أن يذكر زوجته في معرض رثائها فعبَّر عنها أكثر من مرة بقوله «ستيرته»(1) والستيرة هي المرأة المستورة. وهذا الوصف يوحي بأن الشاعر قصد أن يجعل زوجته في ستر حتى على صفحات ديوانه المنشور.

واشتهر من الأزواج الراثين لزوجاتهم مسلم بن الوليد(2). ويظهر أنه كان ينوي أن يعرض عن رثاء زوجته — على عادة الشعراء قبله — ولكن حادثاً معيناً أغراه برثائها وهاج أحزانه فسجلها في أبيات رائعة. ويلخص هذا الحادث(3) في أن أصحابه لاحظوا عليه بعد دفنها شدة ألمه واستسلامه لأحزانه، فأرادوا أن يحملوه على الشراب حتى يتسلى بالخمر عن مصابها فرد عليهم بقوله:

بكاء وكأس كيف يتفقان ... سبيلاهما في القلب مختلفان

دعاني وإفراط البكاء فأنني ... أرى اليوم فيه غير ما تريان

غدت والثرى أولى بها من وليها ... إلى منزل ناء بعينك دان

فلاحزن حتى تنزف العين ماءها ... وتعترف الأحشاء بالخفقان

وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها ... وسهماهما في القلب يعتلجان

ولابن الزيات الكاتب الشاعر وزير المُعتصم والواثق العباسيين أبيات يرثي بها زوجته ويصور حال ولده منها وقد تركته طفلاً صغيراً، يقول فيها: (4)

ألا من رأى الطفل المفارق أمه ... بُعيد الكرى عيناه تنسكبان

(1) ديوان الطغرائي، ومختارات البارودي

(2) ديوان مسلم بن الوليد ومختارات البارودي

(3) كتاب الأدب التوجيهي، ومختارات البارودي ص ٢٩٩ ج ١

(4) مختارات البارودي

الأركان شديد البنيان، وكل إصلاح يقوم على غير هذا الأساس فإنما يكون مصيره ولا ريب الإخفاق والخيبة

وإنا نرسل اليوم هذه الصيحة من فوق منبر الرسالة لكي تبلغ المسئولين في بلاد الشرق كافة، فينهضوا جميعاً في حزم وقوة، وفي غير هوادة ولا لين، ليضعوا هذا الأساس بأيديهم ثم يقيموا عليه بعد ذلك ما يقيمون من إصلاح وما يبنون من أعمال

هذه هي صيحتي التي أبعثها إلى قومي. وأرجو أن أكون قد بلغت، وأن أكون قد ذكرتهم بما فيه الخير لهم، والذكرى تنفع المؤمنين

(المنصورة) محمود أبو رية

رأى كل أم وابنها غير أمه ... يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيداً فى الفراش تجنُّبه ... بلابل قلب دائم الخفقان
فلا تلحياني إن بكيت فإنما ... أداوى بهذا الدمع ما ترياني

ومن الشعراء من يتخذ له جارية أو أكثر وفق ما كان مألوفاً فى زمانهم وجارياً عليه عهدهم ؛ فإذا ماتت جارية من هؤلاء وكانت عزيزة على الشاعر حبيبة إلى نفسه رثاها كما رثى الزوجة ، وقد يذرف عليها من ساخن عبراته ما يعبر عنه شعره . كما فعل أبو تمام فى رثاء جارية له[1] يقول فيها:

أصبت بخود سوف أغبر بعدها ... حليف أسى أبكى زمانا زمانها
عنان من اللذات قد كان فى يدى ... فلما قضى الألف استردت عنانها
منحت الدُّمى هجرى فلا محسناتها ... أود ولا يهوى فؤادى حسانها
يقولون هل يبكى الفتى لخريدة ... إذا ما أراد اعتاض عشراً مكانها
وهل يستعيض المرء من عشر كفه ... ولو صاغ من حر اللجين بنانها ؟

وأبو تمام هنا يؤمن بالفردية وعدم القابلية للتعويض ، فقد يكون من الجوارى من يزدن حسناً على جاريته المرثية ، ولكنه لا يجد فيهن العوض منها لخصائص فيها ليست لواحدة منهن

والشريف الرضى يرثى (بعض أهله) بأبيات فيها أثر اللوعة والحزن الشديد ؛ ولعل بعض أهله زوجة له ، لأن العرب تعبر عن زوجة الرجل بأهله . قال الشريف :

ذكرتك ذكرة لا ذاهل ... ولا نازع قلبه والجنان
أعاود منك عداد السليم ... فيادين قلبى ماذا يدان
ونابى الجوى أن أسر الجوى ... إذا ملئ القلب فاض اللسان
وما خير عين خبا نورها ... ويمنى يد جذ منها البنان
فيا أثر الحب إنى بقيت ... وقد بان ممن أحب العيان
وقالوا تسل بأترابها ... فأين الشباب وأين الزمان ؟

والشريف صادق فى البيت الأخير ؛ فأين الشباب المسعف على اصطناع الحب من جديد ؟ وأين الزمان المعين على ذلك بعد أن ضاع من العمر غير قليل ؟

وأكثر الشعراء رثاء لزوجته فى الأدب العربى « الطغرائى » فله أكثر من خمس قصائد مختلفات فى الوزن والقافية . وكلها تدل على شديد حرقته . ولعله بذلك مهد السبيل لمحمود سامى البارودى باشا الذى رثى زوجته بقصيدة تعد أطول ما رثيت به امرأة فى الأدب . فقد بلغت أبياتها سبعة وستين بيتاً[1]

وقصيدة البارودى هذه لا تمتاز من مراثى النساء بطولها فحسب ، بل تمتاز بتعبيرها عن أحزان البارودى ونفسه المحطمة أصدق تعبير ، فقد كان منفياً بجزيرة سرنديب يوم ورد إليه نعيها . ولكنه على عزيمته القوية لم يستطع احتمال الصدمة فيها فيقول :

أيد المنون قدحت أى زناد ... وأطرت أية شعلة بفؤادى
أوهنت عزمى وهو حملة فيلق ... وحطمت عودى وهو رمح طراد

ويقول :

يا دهر فيم فجعتنى بحليلة ... كانت خلاصة عدتى وعتادى
إن كنت لم ترحم ضناى لبعدها ... أفلا رحمت من الأسى أولادى

ولكنه بعد أن يذيب قلبه حسرات عليها يعود فيرضى بقضاء الله الذى لا مرد منه ولا محيص عنه فيقول :

كل امرئ يوماً ملاق ربه ... والناس فى الدنيا على ميعاد

أما الطغرائى فكان على إكثاره من القصائد غير مرتفع إلى مستوى البارودى فى مرثيته الخالدة . وإذا كان الطغرائى هو شاعر الشكوى من الزمان ، فلم يستطع أن يكون بحق شاعر الرثاء . وأحسن أبياته فى رثاء زوجته قوله :[2]

إن ساغ بعدك لى ماء على ظمأ ... فلا تجرعت غير الصاب والصبر
وإن نظرتُ من الدنيا إلى حسن ... مذ غبت عنى فلا متعتُ بالنظر
صحبتنى والشباب الغض ثم مضى ... كما مضيتِ فما فى العيش من وطر
سبقتمانى ولو خيرت بعدكما ... لكنتُ أول لحاق على الأثر ...

وقوله :

وا بؤس منفرد عمن يضاجعه ... مشرد النوم بين الأهل والمال
يزيد حر حشاه برد مضجعه ... ويملأ القلب شجواً ربعه الخالى
يبكى ويندب طول الليل أجمعه ... فلا يقر ولا يهدأ على حال

هذه خواطر أملتها علىّ قراءتى لديوان « أنات حائرة » الذى نظمه عزيز أباظة الشاعر لذكرى زوجته . ومن حق ناظمه الكريم — بعد تعزيتنا له — أن يفاخر بأن ديوانه الجديد هو أول ديوان فى الشعر العربى يُعمل برمته فى رثاء زوجة .

محمد عبد الغنى حسن

(١) ديوان أبى تمام لناشريه عبد الفتاح مصطفى وعبد الحميد يونس .

(١) ديوان البارودى الجزء الأول لناشريه على الجارم وشفيق معروف ص ١٨٩ (٢) ديوان الطغرائى طبع الشام ، ومختارات البارودى

الله !...

للأستاذ أحمد الصافي النجفي

بلغت ما يصبو إليه الورى ... وغير ذا ما أتمناه
أرضيت بالشعر البرايا وما ... أرضاه إن لم يرضه الله
الله أستاذي وكل الذي ... خطّ يراعي فهو أملاه
لا مبدع إلاّه ، لا ناقد ... سواه ، ما يأباه آباه
أخجل من عرض فنوني له ... وإن تكن بعض عطاياه
أبدلت فني بخشوعي فإن ... يُقبَل فهذا ما أتوخاه
شوّهتُ فنّ الله إذ رمتُ أن ... أزيد بالفن مزاياه
أحتقر الناس وإعجابهم ... ومن همُ ؟ لا شيء إلاه
لو لا تجلّيه على خلقه ... لقلت هم والوهم أشباه
الله نور الأرض نور السما ... ما أنا ، ما العالم ، لولاه ؟
أعمى الورى من لا يرى نوره ... ألم يشاهد ؟ أين عيناه ؟
أعمته عيناه وأغنى على ... عمى فلم تصدُقه رؤياه
تاه من النور وكم معشر ... إن تزد النور لهم تاهوا
كم تكذب العين بما تدعّى ... فأوضح العالم أخفاه
أراه في الكون بعين الحجى ... لا أشرك العين بمرآه
إذا ادّعى عقلك إنكاره ... فأنكر العقل ودعواه
مُعظِمي كونيَ من فيضه ... مصغّري فهمي إياه
عجبت من ساع إلى غيره ... والكلّ لفظ هو معناه
تألّه البعض شعوراً به ... فصاح في جبّتيَ الله
ولو رآه لهوى مثلما ... موسى هوى من طور سيناه
أعرَف بالله امرؤ شاعرٌ ... يدرك في الكون خفاياه
آمنت بعد الكفر مستغفراً ... عن جهل عقلي وخطاياه
يأخذ مصنوع على صانع ... ما أحقر العقل وأغباه
وعدت للخالق أدعوه أن ... يزيد نوري يوم ألقاه
كهولتي بالله قد آمنت ... ضلّ شبابي ودعاواه
فإن تجد ذا شيبة جاحداً ... فقل إلى الموت أحلناه
روح المعرّي فيّ قد آمنت ... فأبصرتْ في الموت عيناه
عاشت بروحي روحه ترتقي ... مذ سمتْ لاح لها الله
بدأت تلميذاً على عقله ... ثم اعتلى عقلي فأعلاه
أنضجت روح الشعر في روحه ... فاستيقظت في العقل رؤياه
واستيقظ العقل بما قد رأى ... واتحد الرائي ومرآه
وضلّ أتباع المعرّي إذ ... ظنّوه قد ظلّ على ما هو
خالوه من جمودهم جامداً ... لقد أساءوا لمزاياه
ما هو إلا فكرةٌ تعتلي ... حتى ترى في الكون أعلاه
أفكارنا أفكار قوم مضوا ... يتّصل الأعلى بأدناه
مراحل الفكر بهذي الدنى ... مراحل العمر بدنياه
آخرة المرء كدنياه ... ومنتهى الفكر كمبداه
كانت بذوراً وغدت دوحة ... تثمر ما البذر خفاياه
ما نحن إلا فكرة لم تزل ... ترقى إلى ما قدّر الله
رسالة الغفران لم تغتفر ... للشعرا كفراناً به فاهوا
وجئت في شعري مستغفراً ... عن المعرّي وخطاياه

أنة محزون

للدكتور محمد عبد المجيد القاضي

(بمناسبة مرور الأربعين على وفاة المغفور له نيازي باشا)

قوضت يد المنون بالأمس — ويد المنون قوية لا ترحم — ركناً شديداً من أركاننا له في طوايا القلوب مركزه المنيع، وبين حنايا الضلوع مكانه الرفيع

عدّت المنون عليه رجلاً كامل الصحة ، كامل الرجولة ، كامل الخلق

وما زال حديثه العذب يرن في أذني ، ودرره الغوالي تتردد إلى ذهني ، وصورته الحبيبة ماثلة أمام عيني ، وروحه القوية متغلغلة بين وجداني . لك الله أيها الوالد ! فقد تركت في القلب جرحاً لا يندمل ، وفي النفس لوعة لا تخف . لك الله أيها الوالد الكريم ! فقد كنت لربك مخلصاً تقياً ، ولوطنك باراً وفياً ، ولأصحابك صديقاً وليّاً ، ولمرءوسيك رحيماً رضياً ، ولزملائك مكرماً حفياً ! لك الله أيها الوالد ! فهذه سيرتك عاطرة ، والحياة بين الناس سير . وهذه ذكراك باقية والحياة على ممر الأيام ذكرى

ففي ذمة الله أيها الراحل الكريم ! وفي جنات الخلد والفردوس مقرك ومقامك .



لجنة لدرس حالة الكليات والمعاهد الأزهرية

أصدر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بتاريخ ٢٦ يوليه سنة ١٩٤٣ قراراً بتأليف لجنة لدرس حالة الكليات والمعاهد الأزهرية هذا نصه :

« ظهر فى هـذا العام وبعض الأعوام الماضية ضعف نتائج الامتحانات فى الكليات والمعاهد وذلك يستدعى بحث حالة الكليات والمعاهد من جميع نواحيها . لذلك قررنا تأليف لجنة من :

ا — حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية رئيساً

ب — حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة :

١ — شيوخ الكليات الثلاث ٢ — الشيخ ابراهيم الجبالى
٣ — الشيخ محمود الغمراوى ٤ — « محمود شلتوت
٥ — « حامد محيسن ٦ — « عيسى منون
٧ — « الشيخ عبد العزيز مصطفى المراغى
٨ — « عبد الحميد ناصف ٩ — الدكتور محمد البهي قرقر

ومهمة هذه اللجنة المسائل الآتية :

١ — النظر فى أسباب ضعف نتائج الامتحانات فى الكليات والمعاهد

٢ — النظر فى المناهج والكتب فى الكليات والمعاهد

٣ — بيان طريق العلاج لهذه الحالة بما يحقق للأزهر دراسة مجدية تكفل الإحاطة بالعلوم وتحقق للطلاب ملكة البحث والتحصيل معتمدين على أنفسهم

٤ — النظر فى أقسام تخصص المادة ووضع النظم الكفيلة بتحقيق الغرض الذى من أجله أنشئت هذه الأقسام

« وللجنة أن تدعو من تشاء من حضرات أصحاب الفضيلة شيوخ المعاهد لأخذ رأيهم عند الحاجة » شيخ الجامع الأزهر

محمد مصطفى المراغى

ولا شك أن كل مخلص للأزهر يرجو لهذه اللجنة الموقرة التوفيق فى عملها والوصول إلى ما يصلح شأن الأزهر وينقذه مما ألمَّ به وشكا منه أهل الغيرة عليه ، ويهيئ له — كما يقول القرار — دراسة مجدية فى كلياته ومعاهده وتخصصاته ، ويحقق الغرض المرجو منه للدين والثقافة الإسلامية

ولا شك أيضاً أن الناس جميعاً فى الأزهر وفى غير الأزهر سينظرون إلى هذه اللجنة الموقرة نظرة ملؤها اليقين والثقة فى إخلاصها وصدق عزيمتها راجين أن تسرع بقدر الإمكان فى أداء مهمتها . وإن لجنة تتألف من هؤلاء الأساتذة الأجلاء وعلى رأسها هذا الرجل المخلص الغيور على مصلحة العلم والدين لجديرة بما يعقده عليها الناس من الآمال ، والله ولى التوفيق . (م ...)

وشاية

دكتورنا « المبارك »

لا أدرى أى شيطان يحركنى لأوقع بينك وبين أديب كبير تحبه أعنف الحب ، وتعجب به أبلغ الإعجاب ، ويخلع عليه قلمك المصوَّال أبلغ آيات الثناء

وأحب — قبل كل شيء — أن أطمئنك فأؤكد لك أنى مثلك « لا أستسيغ مذهب المجلات التى ترى من البراعة أن تورث الخصومات بين رجال الأقلام ليتفرج القراء »[1] وأنى أيضاً لا أحب أن يختصم الأدباء فيما بينهم ليقدموا النداء لأهل الفضول . ولكنى مع ذلك لا أتردد مطلقاً فى أن أنقل إليك هذه الوشاية التى أزعم أنها تمسك من قريب أو بعيد

فى بهو « الملك داود »[2] ، وفى متوع الضحى من كل يوم ينتثر على الموائد الأنيقة المترفة فريق من صفوة الشباب المتنور الراقى ، ينعمون ساعة بحديث الأدب والسياسة ، ثم يتفرقون على غير ميعاد . ومن عادتى كلما رأيت الأستاذ الكبير إسعاف النشاشيبى بك أن أتسلل إليه برفق وهوادة ، و(أطبَّ) على مائدته بدون بلاغ أو استئذان . وسرعان ما ينطلق لساننا فى التحدث عن الأدب والأدباء . وسرعان ما يجرى فى كلامنا أسماء المازنى والعقاد وطه حسين والزيات وزكى مبارك

وأشهد أن الأستاذ النشاشيبى محب للدكتور مبارك معجب بأدبه ونشاطه ، ولكن الشيء الذى يبلبل بالى ويحير لبى أن هذا الباحث اللغوى الجليل لا يذكر اسم زكى مبارك إلا مقروناً بكلمة « الخبث »

---

(١) راجع مقالة الدكتور مبارك فى العدد ٥٢٤

(٢) فندق فخم يقول عنه الفنانون من رجال البناء والهندسة إنه قطعة من فن البناء يقل شبيهه فى العالم

أقول له . الدكتور مبارك شعلة نشاط يا سيدى . فيجيبنى : أجل ، أما معك بأن « الخبيث » زكى مبارك شعلة وهاجة من النشاط . فكنت أعجب لذلك وأذهب من توّى أفتش على معاجم اللغة لأطمئن على أن لفظة « الخبيث » ترادف لفظة الدكتور أو تدل على معنى يقاربها فلا أرجع من هذه المعاجم بطائل ، ولا أرى فيها إلا ما يمزق الأحشاء ويفتت الأكباد

فما رأى سيدى الدكتور ؟

هل يجوز أن يكون عندك تخريج لمعنى هذه الكلمة التى يطيب لعلامة فلسطين أن يلصقها أبداً باسمك ؟

أما أنا فقد أقسمت أن لا أجلس إلى مائدة أستاذنا النشاشيبى فى بهو الفندق حتى أنقل لك هذه الوشاية وأسمع رأيك فى الموضوع . والسلام عليك من الصديق الجاد فى حديثه إليك :

(القدس) عبد القادر جنيدى

حاشية : يهم الدكتور مبارك أن أعلن أن الأستاذ النشاشيبي قد استبدل بالكوفية والعقال عمامة كبيرة ترف على رأسه تشبه عمامة السيد جمال الدين الأفغانى . ولعلى بهذا الخبر الطريف الذى أزفه للأندية الأدبية أكون قد قدمت للدكتور مبارك مادة غزيرة لجوابه المنتظر

الى الاستاذ عبد الله الملحوح

ليست Expressionist إسم فاعل من Express ولكنها نسبة من Expression كما تنسب Artist إلى Art وقد تواضع أصحاب المذاهب على النسبة إلى المصدر فيقولون مثلاً :

١ — التصوّريون Conceptualists وكان يسميهم ابن رشد المشبهة فعدل المحدثون عنها لأنها اسم فاعل

٢ — التجريبيون : أى أصحاب المذهب التجريبى Empiricists ولم يقولوا المجربون بصيغة اسم الفاعل

٣ — التجريديون : أى أصحاب المذهب التجريدي Transcendentalists ولم يقولوا المجردون

٤ — التغيّرون : أى أصحاب مذهب تعدد الأغراض Fluxionists ولم يقولوا المتغيرون أو المغيرون مثلاً

٥ — التطوريون: أى أصحاب مذهب التطور Evolutionists ولم يقولوا المتطورون

٦ — التشبيهيون أى القائلون بالتشبيه Anthropomorphists

وقد جروا على هذا حتى فى غير المصادر ، فيقولون :

١ — الأدريون أى الذين يقولون نحن ندرى كل شىء : Gnosticists

٢ — اللاأدريون Agnosticists إلى آخر تعبيرات أصحاب المذاهب ، وإليك تحيتى

دريني خشبة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 528

Lundi - 16 - 8 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٥٢٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

نهـــاية أستاذ . . .

مئاتٌ من المدرسين وآلافٌ من الطلاب يعرفون الأستاذ أحمد عثمان المهدى مدرس الفرير الثابر خمسا وثلاثين سنة . ولكن معرفتى إياه رفيقاً فى الدراسة ، وزميلاً فى التدريس ، يجعلنى أقدرَ من عرفوه جميعاً على حكاية مأساته ، وكشف ما خفى من أسرار حياته ومماته .

عرفته سنتين طالباً فى الأزهر يُعنى بتجويد الخط ، ويحاكى « أبناء البلد » فى الرواء والسَّمت . ومن كان ربيبَ أسرة المهدى[1] المترفة كان خليقاً أن ينشأ على حب الجمال فى الزى والمنظر

وزاملته سبع سنين مدرساً فى كلية الفرير بالخرنفش يُعلم العلوم العربية فى فصولها المختلفة ، وينسخ « للأخ بلاج » المفتش أصول (مؤلفاته[2]) فى النحو والبلاغة والأدب . وما كان أحذق المتنبئين ليستطيع حينئذ أن يتنبأ لهذه النفس الراضية والطبع المرح والثغر الضحوك واللسان الداعب ، بهذه الكهولة الأليمة والعاقبة المحزنة . نعم كان التفطن المستبصر يخشى أن تكون له فى بعض الأزمان زوجة وأولاد ؛ فقد كان يعيش عيش السمك فى الماء ، لا يكاد يعرف له مستقراً ولا غداً ولا غاية .

(١) كان أبوه من مماليك الشيخ المهدى ومن هنا كانت نسبته

(٢) من الانصاف للحقيقة والتاريخ أن أقول بهذه المناسبة أن الذى ألف كتابى (سفينة النجاة) و (سفينة البلغاء) هو الشيخ سيد الشاب ؛ وأن الذى حرر كتاب (بحر الآداب) فى أجزائه الخمسة ووضع نثره ونظمه فى هذا الأسلوب الأخير هو الشيخ أحمد حسن الزيات

الفهـــرس

صفحة

٦٤١ نهـاية أسـتاذ ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٦٤٣ الصيد فى الأدب العربى ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٤٤ عروس النيـل ... ... : الدكتور زكى مبارك .. ...
٦٤٨ أيها الأدباء أعصابكم ... : الأستاذ درينى خشبة ... ...
٦٥١ دراسات عن مقدمة ابن خلدون .. .. : الأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى ... .
٦٥٥ اللغة العربية .. .. : الأستاذ محمد عرفة ... ...
٦٥٧ فى استقلال القضاء [قصيدة] : الأستاذ محمود الخفيف ...
٦٥٩ (١) الشاعر ابن العرايش من هو ؟ .. ... (٢) آباء العلاء .... . . (٣) رباعيات الخيام . .. : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٦٥٩ قضية تحسر ... . : الأديب زكريا إبراهيم . ...

كان يقضي فراغه كله في المقاهي بين زمرة من الشباب الملق المتملق ؛ وكان العرق التركي الذي فيه لا يزال يضرب عليه بالشموخ والأبهة ، فلا يسمح لأحد من الجلاس أن يدخل يده في جيبه . وكان فضلاً عن ذلك مخروق الكف والكيس فلا يمسكان على ما يكسب ، ولا يبقيان على ما يملك . كان لا يسأله أحد إلا أعطاه ، ولا يُعرض عليه شيء إلا اشتراه . وكان أكثر ما يشتريه لا يحتاج إليه ، كأداة المطبخ وليس له بيت ، أو حاجة المرأة وليست له زوجة . إنما كان مولعاً بمساومة الباعة الجوالين ، ويسره أن يعلموا أنه خبير بالصنف فلا يُغش ، عليم بالثمن فلا يغبن . وقد فطن الخبثاء إلى هواه فكانوا يتغالبون له ويتشاكون منه ، وهو يشتري ويشتري ثم يودع ما اشتراه صاحب القهوة ولا يطلبه !

وكان لحبه الخير والشهامة يتمدح بما فعل وما لم يفعل منهما . ولخياله الخصب في هذا الباب حوادث وأحاديث يكون هو فيها البطل المرموق . وكان يكفي أن تحسن الاستماع وتظهر الاقتناع لتسلبه الإرادة وتقوده إلى حيث تريد . وضعف إرادته إنما كان يظهر في نواحي المروءة والرحمة ، أو في أمور المال والمعيشة . فكان لا بد له من قيم يدبر ماله وينظم أمره . ولكنه مع ذلك كان يعيش أرغد العيش ، وينعم أطيب النعمة ، لأنه كان يُخلف ما يتلف . كان يكسب من الدروس الخصوصية لليهود أضعاف ما يأخذ على عمله اليومي في المدرسة . وكان من الجائز أن يقضي العمر في ظلال هذا العيش النضير لولا أن وقع المحذور وتنبهت عيون الحوادث . تزوج المسكين ! ! وكانت زوجه لسوء حظه صورة مؤنثة منه . بل زادت عليه أنها من قوم فقراء يحبون الرفد والمعونة . وكانت كما شاء القضاء ولوداً ، فلم يأت على زواجهما بضع سنين حتى كانا في بضعة أولاد . وتظاهر ضعف الزوجين وإسرافهما الشديد ونزاعهما المتصل على حياة هذه الأسرة البائسة فلم تنعم بهدوء ولم تظفر بتربية . وأصبح كدح الرجل قليلاً على تسعة أفواه لا تحسن غير الخضم والهضم ؛ فكان يكد ويحتال ويتصرف ويقترض . ولكن الأمر كان فوق طاقته . ومن المحال أن يتعادل دخل المبذر وخرجه . والماء مهما زخر وارتفع لا يبقى إذا ما انتهى إلى بالوعة !

وتسابقت الأحداث إلى المسكين ففدحه الدين ، وركبه الهم ، وغاضت بشاشة وجهه ، وذهبت أناقة هندامه . وقسا عليه الدهر ذات مساء فانتحر ابنه البكر تحت الترام وهو معه ينظر إلى أشلائه المبددة ، ويستمع إلى أنانه المرددة !

ثم جاءت هذه الحرب بما نعرف من بلائها وغلائها ، وكانت عوارض الوهن والانحلال قد ظهرت على المعلم المكدود فاضطرب تفكيره وفتر نشاطه . وصعب على (الفرير) خدام الدين والعلم أن يعشوه عظماً كما نهشوه لحماً ، فأخرجوه بعد أربع وثلاثين سنة قضاها معهم في جهاد العجمة واللكنة لا يدخر جهداً ولا يبالي مشقة . أخرجوه وكل ما في يده مائة وخمسون جنيهاً كافأوه بها على ما أفنى من صحته وشبابه . وكانت هذه المكافأة طعام أشهر معدودة كان في أصباحها وأمسائها يطرق الباب بعد الباب عسى أن يجد السبيل إلى رزقه الهارب ، أو الوسيلة إلى عيشه المفقود . وتصامّ أكثر الأصدقاء فلم يستجيبوا لطرق الأنامل النحيلة على الأبواب الصقيلة . . . فباع الرجل فضول المتاع ثم باع حاجاته . وكادت الأسرة الشريدة تجوع وتعرى لولا أن قيض الله له صديقاً من ذوي الجاه والفضل فرشحه للتدريس في المدرسة الملكية بالمنصورة . ولهذه المدرسة شهرة بحب الجمع وكراهة القسمة ، فرتبت له ثمانية جنيهات في الشهر . وحاول البائس المضطر أن يسد بهذا المرتب أجرة مسكنه ونفقة عياله ، فاستحال ذلك عليه إلا أن يسكنوا نصف السكن ، ويأكلوا بعض الأكل ، ويخلصوا من عقابيل السرف القديم . فكان يقترض من المدرسة سبعة جنيهات في كل شهر على حساب الأشهر المقبلة ، حتى جاء شهر مارس الماضي وليس له من مرتب العام كله غير خمسة جنيهات ! نعم خمسة جنيهات هي كل ما بقي لسبعة الأشهر الباقية ! إذن ماذا يصنع ؟ لم يبق في المنزل ما يباع ، ولا في الناس من يعين ، ولا في الغد ما يُرجى !

وها هو ذا بعد أن نيّف على الخمسين في خدمة اللغة والأدب يجد نفسه على شفا الهاوية ممنوع الرزق مقطوع الرجاء لا منصبٌ يظل ولا ثروة تُغل ولا ولدٌ يعول ولا عشيرة تؤوي ولا أمة تساعد !

(البقية على صفحة ٦٦٠)

احمد حسن الزيات

٢ - الصيد فى الأدب العربى

للدكتور عبد الوهاب عزام

يصف لبيد صيد بقرة وحشية تخلفت عن القطيع تطلب ولدها وقد أكلته الذئاب ، ثم لجأت إلى شجرة مفردة فى الرمال فى ليلة مظلمة ماطرة . ولما أسفر الصبح شرعت تعدو حائرة ، فظلت سبعة أيام حتى يئست من ولدها وقطيعها ، فسمعت حس الإنس فخافت وترددت بها الحيرة بين العدو أمام وخلف . وأرسل الصيادون كلابهم فكانت معركة قتل فيها كلب وفرت البقرة . وهى أبيات جيدة لا يملك قارئها إلا الإشفاق والحزن لهذه البقرة وولدها .

وهذه أبيات للنابغة الذبيانى يصف معركة بين الثور والكلاب ، وهى تشبه فى الصورة العامة أبيات لبيد :

كأنما الرحل منها فوق ذى جُدَد … ذَبِّ الرياد إلى الأشباح نظَّار

مُطرَّد أُفرِدت عنــه حلائله … من وحش وَجرة أو من وحش ذى قار

مجرَّس، وَحَـد جَأْب أطاع له … نبات غيث من الوسمى مِبكار

بَمراته ما خلا لبانَه لهَق … وفى القوائم مثل الوشى بالقار

باتت له ليلة شهباء تسفمه … بحاصب ذات إشمان وإمطار

وبات ضيفاً لأرطاة وألجأه … مع الظلام إليها وابل سار

حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته … وأسفر الصبح عنه أى إسفار

أهوى له قانص يسعى بأكلبه … عارى الأشاجع من قُنَّاص أنمار

محالف الصيد هبَّاش له لحِم … ما إن عليه ثياب غير أطمار

يسعى بغُضف براها فهى طاوية … طولُ ارتحال بها منه وتسيار

حتى إذا الثور بعد النفر أمكنه … أشلى وأرسل غُضفاً كلها ضار

فكرّ محمية من أن يفر كما … كرّ المحامى حفاظاً خشية العار

فشك بالروق منه صدر أولها … شك المشاعب أعشاراً بأعشار

ثم انثنى بعد للثانى فأقصده … بذات ثغر بعيد القعر نعار

وأثبت الثالث الباقى بنافذة … من باسل عالم بالطعن كرار

وظل فى سبعة منها لحقن به … يكرّ بالروق فيها كرّ أسوار

حتى إذا ما قضى منها لبانته … وعاد فيها بإقبال وإدبار

انقض كالكوكب الدرى منصلتاً … يهوى ويخلط تقريباً بإحضار

لا يتسع المقال لتفصيل الصورة التى صورها النابغة وتفسير الألفاظ فحسبى أن أبين الصورة إجمالاً :

فى الأبيات الأربعة الأولى شبه الشاعر ناقته بثور وحشى ، ووصف لون الثور فى ظهره وقوائمه : ظهره أبيض وفى قوائمه خطوط سود ، وبين أنه قوى سمين قد رعى نبات الوسمى ، وأنه أفرِد عن البقر فهو نفور قلق

وفى الأبيات الثلاثة التالية بيّن أن المطر والريح ألجأا الثور إلى شجرة من الأرطي فبقى عندها حتى الصباح

وفى الأبيات الأخرى وصف الصائد وكلابه وما وقع بين الثور والكلاب المشرة ؛ قتل الثور منها ثلاثة ، ودفع السبعة التى لحقت به حتى :

انقض كالكوكب الدرى متصلتاً … يهوى ويخلط تقريباً بإحضار

ثم أراد وصل الكلام بأوله فرجع إلى ذكر الناقة قائلاً :

فذاك شِبه قلوصى إذ أضرَّ بها … طول السُّرى والسرى من بعد أسفار

وينتهى الوصف بنجاة الحيوان لأن مقصد الشاعر أن يشبه ناقته به وهو يجد فى الهرب ، إلا أبا ذؤيب ومن نهج نهجه فهم يختمون المعركة بقتل الحيوان لأن قصدهم أن يبينوا أن حوادث الدهر تنال حتى هذا الحيوان الوحشى القوى السريع

وقد وصف أحيحة بن الجلاّح صيد الظباء والأرانب بالكلاب وأثبت الجاحظ قصيدته فى كتاب الحيوان(١)

فى العصور الاسلامية

أباح الإسلام الصيد وأحل لحم الحيوان الذى يقتله السهم أو كلب الصيد . وفى القرآن الكريم : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم ، واذكروا اسم الله عليه »

(١) أنظر كتاب الحيوان ج٢

عروس النيــــل

[رسالة مهداة إلى روح الأب العظيم عبد السلام مبارك]

للدكتور زكى مبارك

في هذه السنة تخلَّف النيل ، وتخوَّفَ الناس عواقب الصدود من النهر الوفيّ المحبوب ، فتذكرتُ ما وقع في أيام سيزوستريس ، وتمنيت لو رجعنا إلى عهود الوثنية ، فأهدينا إليه صبية ، لينشرح فيعود !

وقبل أن أسوق الحديث عن عروس النيل أذكر أشياء من الحياة المصرية قبل إنشاء خزان أسوان ، وهي حياة تختلف عن حياة اليوم كل الاختلاف

لم يكن النيل يغمر أرض مصر أكثر من شهرين ، ثم ينحسر بعد أن يضيع منه في البحر ما يضيع ، ولكنه مع ذلك كان يترك ثروة عظيمة من المياه الجوفية ، المياه المخزونة في جوف الأرض ، وكانت تلك المياه زاد المصريين إلى أن يعود النيل من جديد

ولهذه الأسباب كانت مصر أقدم أمة أجادت طيّ الآبار والسواقي ، فكان في كل بيت بئر ، وفي كل مزرعة ساقية ، وكان في منازل المياسير ما يسمّى بالصهاريج ، وهي أحواض مسحورة تحفظ كميات عظيمة من الماء الزلال

والذين زاروا المعابد الفرعونية يذكرون أن بها آباراً في أكثر الجوانب ، وكذلك كان الحال في المعهد الإسلامي ، فلا تزال في منزل السحيمي بالقاهرة ساقية ، وإن طال على هجرها الزمان

وغيبة النيل شهوراً طوالاً من كل سنة لم تكن تؤذي المصريين بعد أن أجادوا طيّ الآبار والسواقي ، ولو شئت لقلت إن غيبة النيل كانت أداة من أدوات التحصين ، فقد كانت المواصلات في العهود القديمة تعتمد على الملاحة ، وكان من العسير على من يغزو مصر أن يتجه إلى الجنوب مع تعذر الملاحة في النيل ، بسبب الجفاف أيام التحاريق ، وخوفاً من عنف التيار أيام الفيضان ... وهذا في نظري أهمّ الأسباب في ميل الفراعنة إلى أن تكون عواصمهم بالصعيد ، فقد كان لهذا المعنى أمنع من نواصي الجبال

هل قرأتم في أي كتاب أن الفراعنة أجادوا تعبيد الطرُق الزراعية ؟

لقد تركوا هذا الجانب من النظام عامدين متعمدين ، ليكون التوغل في بلادهم باباً من العناء

وبمناسبة الآبار أذكر ما شهدت منها بمعبد الكرنك ، فقد كان المهندسون يثقبون الأحجار الكبيرة بنسبة معلومة ،

واستمر العرب على ما ألفوا من سنن الصيد في الجاهلية ؛ وزادوا ضروباً من السلاح ومن الحيوان الذي يستعينون به على الصيد . زادوا قوس البندق وغيرها ، وعلموا الفهود وكثيراً من الطير الجارحة . واحتفى الأمراء والكبراء بالصيد وأعدوا له عُدده من الرجال والحيوان والسلاح . وعنوا بتربية الحيوان وتضريته ، ووضعت الكتب في هذا الفن الذي عرف باسم البيزرة أخذاً من كلمة « بازيار » الفارسية ومعناها القيم على البازي أو البزاة . ولكشاجم الشاعر كتاب المصايد والمطارد . وبالرجوع إلى هذه الكتب أو كتب الأدب الجامعة مثل نهاية الأرب يتبين عناية العرب بهذا الفن وولع الشعراء به

افتن الشعراء ثم الكتاب في وصف الصيد وآلاته وحيوانه وحركاته ووصف المصايد . وقد استقل وصف الصيد في الأراجيز والقصائد التي عرفت بالطرديات فصار فناً أدبياً متميزاً .

ومن الشعراء المفتنين فيه أبو نواس . نظم فيه تسعاً وعشرين أرجوزة وأربع قصائد . وأبدع في وصف كلاب الصيد وطيره . قال الجاحظ في كتاب الحيوان عن أبي نواس :

وأنا كتبت لك رجزه في هذا الباب لأنه كان عالماً راوية . وكان قد لعب بالكلاب زماناً وعرف منها مالا يعرفه الأعراب وذلك موجود في شعره ، وصفات الكلاب مستقصاة في أراجيزه . هذا مع جودة الطبع وجودة السبك ، والحذق بالصنعة . وإن تأملت شعره فضلته

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

ثم يضعون حجراً فوق حجر ، كما يوضع الطوق فوق الطوق ، لتصير الآبار فى أمان من الاختلال

وكان للآبار فى مصر منزلة شعرية تفوق المنزلة النفعية ، فقد كان مفهوماً عند الجمهور أن لكل بئر ملائكة تختلف باختلاف المكان ، فهذا البئر مسكون بأرواح لطاف ، وذاك البئر مسكون بأرواح كثاف ، وباختلاف الروح يختلف طعم الماء فى الملوحة والعذوبة والكدر والصفاء(١)

وكانت هذه العقيدة ملحوظة فى تقدير السواقى من الوجهة الروحية ، فلا خطر من نزول هذه الساقية لأنها مسكونة بأرواح خيِّرة ، أما تلك الساقية فمسكونة بأرواح شقية ، ألم تسمعوا أنها قتلت فلاناً حين تجاسر على نزولها بالليل ؟

ومياه الآبار والسواقى باردة فى الصيف وحارّة فى الشتاء ، فما سبب هذه الظاهرة الغريبة ؟

يقول العلم إن مياه الآبار والسواقى بعيدة عن التأثر بالأحوال الجوية ، فهى لذلك باردة فى الصيف وحارة فى الشتاء ، فهل كان هذا هو الرأى عند أهالى الريف ؟

كان الرأى عندهم أن للأرض وجهاً آخر ، وجهاً يعانى برد الشتاء حين نعانى حر الصيف ، ويعانى حرّ الصيف حين نعانى برد الشتاء ، وكان مفهوماً أن السِّيخ الذى يفجّر العيون فى الآبار والسواقى يخرق القبة القائمة بيننا وبين البحار التى تسق الوجه الثانى من الأرض ، وكان ذلك هو السر فى أن يختلف الماء بالحرارة والبرودة باختلاف الجو هنا وهناك

هذه الأخيلة الطريفة كانت الزاد لأهل الريف منذ زمن وأزمان ، والفلاّح المصرىُّ شاعرٌ بالفطرة والطبع ، فما كانت الدنيا عنده إلا ميدان قتال بين الملائكة والشياطين

إن الأمم لا تعرف الأساطير إلا فى عهود الفتوّة ، فإذا اكتهلت عرفت الحقائق ، وسعادة الكهول بالحقائق لا تقاس إلى سعادة الفتيان بالأباطيل

كان أهل الريف سعداء بالجهل ، لأنه طوّف بهم فى آفاق شعرية ، فما فائدة العلم الذى يواجه أهله بحقائق أقسى من الجلاميد ؟

وهل أسعدَ العلمُ كبار أهله حتى يسعد صغار الفلاحين ؟

(١) البئر فى لغة أهل المنوفية مذكر لا مؤنث

ما القيمة الصحيحة لأن نعرف أن الزهرة مجموعة جراثيم ، وهى فى نظر الجهل خدٌّ وهّاج ؟

أين من يردنى إلى المهد الذى كنت فيه أجهل الجاهلين ؟
ليت الحوادثَ باعتْنى الذى أخذت
منى بحِلْمى الذى أعطت وتجريبى

عروس النيل

تضاربت الأقوال فى الأسطورة الشعرية ، أسطورة عروس النيل ، وانتهى الأمر بوزارة المعارف إلى حذفها من الكتب المدرسية ، لتصون الأبناء من السخرية بالأجداد . ولكنى مع هذا أرى من الخير أن يعرف أبناؤنا جميع الأساطير ، ليعرفوا حيرة الإنسانية بين الحقيقة والخيال

وسأسوق هذه الأسطورة كما رأيتها فى كتاب مخطوط لمؤلف مجهول ، ففيها طرافة فنية ، وفيها لفتات جديرة بالتسجيل :

فى العام الثالث من حكم رمسيس الثانى وهو عام ١٣٢٧ قبل الميلاد تخلّف النيل ، فلم تظهر طلائعه فى شهر أبيب ولا فى شهر مِسْرَى ، وامتدّ به التخلف إلى شهر توت ، فجأر المصريون بالشكاية ، وتجمهروا حول قصر الملك صارخين ضارعين

وماذا يصنع الملك ؟ ماذا يصنع والشعب يطالبه بما لا يطيق ؟ هل يصدّق الخرافة التى ذاعت فى ذلك الوقت عن أسر النيل بأمر ملك الأحباش ؟ وهل يستطيع ملك أن يأسر النيل وهو ملك الملوك ؟

إن النيل لا يقهره قاهر ، إن أراد الوفاء ، فما الذى صدّه عن الوفاء ؟

ثم دعا الملك أقطاب السَّحَرة ليرى ما عندهم فى حل هذه المعضلة ، فكان هذا الحوار الطريف :

الملك — ماذا ترون فى تخلف النيل ؟ أتظنون كما يظن الجمهور أنه فى أسر ملك الأحباش ، وأن من الواجب أن نجرّد حملة لتأديب ذلك الطاغية ؟

الساحر الأول — وماذا يملك عاهل الحبشة من أمر النيل ؟

الساحر الثانى — هو يملك الخاتم السِّحرى ؟

الملك — وما ذلك الخاتم ؟

الساحر الثالث — هو خرافة منقولة عن أساطير الأولين !

الساحر الثانى — أتكذبنى يا زميلى فى حضرة جلالة الملك ؟

الساحر الأول — إن تفضل جلالة الملك فأنا أفضى إليه بالسر فى تخلف النيل

الملك — من أجل هذا دعوناك

الساحر الأول — النيل عاشق غضبان

الساحر الثانى — النيل عاشق ؟ ما سمعنا بمثل هذا الكلام قبل اليوم !

الساحر الأول — أتظن أن النيل يوحى العشق وهو يجهل العشق ؟

الساحر الثانى — العشق يصدر عن أهل الذوق ، والنيل بلا ذوق

الساحر الأول — وما برهانك على أن النيل بلا ذوق ؟

الساحر الثانى — لأنه لا يستقيم فى سيره أبداً ، ولو كان من أصحاب الأذواق لعرف قيمة الطريق المستقيم ، وهو كما نرى غاية فى التخبط والاعوجاج

الساحر الرابع — لولا هيبة الملك لرميتك بالجهل

الملك — هيبة الملك لا تمنع من كلمة الحق

الساحر الرابع — إن زميلى يطالب النيل باستقامة الضعفاء وليس النيل بالضعيف

الملك — ماذا تريد أن تقول ؟

الساحر الرابع — أريد أن أقول إن استقامة الأقوياء فى ضمائرهم لا فى ظواهرهم ، واستقامة النيل تتمثل فى ذلك الاعوجاج

الملك — إن كلامك يحتاج إلى توضيح

الساحر الرابع — لن أوضح كلامى لجلالة الملك ، لأنه أقدر الملوك على فهم الرموز والتلاميح

الملك — أوضح لزميلك

الساحر الرابع — ما كان لى بزميل ، وهو بين السحرة دخيل

الملك — دَعُوا هذه اللجاجة وارجعوا إلى الحديث عن العاشق الغضبان

الساحر الأول — إن النيل لا يأخذ زاده من العواطف

الملك — كيف تقول هذا والصبايا يتهادين إليه فى الفَجريات والمَصريات ، وقد سقط النَّصيف ، وغفل الرقيب ؟

الساحر الأول — هو ذلك يا جلالة الملك ، ولكن الجمال المصرى جمالٌ لئيم ؟

الملك — ما هذا الذى تقول ؟

الساحر الأول — المقام لا يسمح بالرياء ، وكيف نرائى سيزوستريس وهو أصرح الملوك ؟

الملك — هات ما عندك يا كبير السَّحرة ، فقلبى مُصغٍ إليك

الساحر الأول — أنا رأيت وما سمعت

الملك — وماذا رأيت ؟

الساحر الأول — رأيت النيل هام بصبية ...

الملك — ثم ؟

الساحر الأول — ثم مد إليها ذراع الموج ليجذبها إليه

الملك — ثم ماذا ؟

الساحر الأول — ثم نفرت الصبية ولاذتْ بالشط ، فهو لذلك عاتب وغضبان

الملك — العلم الذى ورثناه عن الكَهَنة يحصر الحياة فى النبات والحيوان . فكيف يهيم النيل بصبية وهو ليس من الأحياء ؟

الساحر الأول — إن الله جعل من الماء كل شىء حىّ ، فكيف يكون الماء سبب الحياة إذا كان من الأموات ؟

الملك — ومعنى هذا أن الماء يَعْشِق ؟

الساحر الأول — ويُعشَق

الملك — ومن عاشق الماء ؟

الساحر الأول — تحدث عنه شاعرنا بنتاءور حين قال فى الصهباء :

مقطَّبةٌ ما لم يزرها مزاجُها ... فإن زارها جاء التبسُّم والبِشْرُ
فياعجباً للدهر لم يُخلِ مُهجةً ... من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

الملك — لن أكذب الكهنة فى قولهم بأن الماء جماد

الساحر الأول — أنا أوافق مولاى على أن الماء جماد ، ولكنى أرجوه أن يتفضل فيتذكر أخطار الجمال المصرى

الملك — وما أخطار ذلك الجمال ؟

الساحر الأول — لو صوّب الجمال المصرى ناره إلى هضاب الحبشة لأحالها إلى قطرات من الماء المبذول بغير حساب

الملك — وترى أن نداعب النيل بالجمال ؟

الساحر الأول — أرى أن يكون للنيل فى مصر هوًى وميعاد ، فما يعود حىٌّ إلى بلد إلا إن كانت له فيه أهواء ومواعيد

الملك — وعند النيل هذا الذوق ؟

الساحر الأول — وعنده الحقد على أهل العقوق !

الملك — وماذا يقول الشعب إن أقررنا مبدأ الاعتراف بالعشق ؟

الساحر الأول — سيقول الشعب إنه يعيش تحت راية العدل

الملك — والعشق عدل ؟

الساحر الأول — العشق من نتائج العدل

الملك — أوضِح ثم أوضح يا أعظم حكيم رآه سيزوستريس

الساحر الأول — العشق يا مولاى هو انجذاب روح إلى روح ، ولا صفاء بين عاشق ومعشوق إلا بحفظ الحقوق ، ولو وجّه العاشق إلى معشوقه كلمة تنغض من جماله لكان الفراق إلى آخر الزمان

الملك — أهذا هو العدل عندك يا كبير السحرة ؟

الساحر الأول — العدل هو مصدر الحب لجلالة الملك ، ولولا قولك بأن شعبك خُلق للسيادة على الأقطار الأفريقية والأسيوية لتخاذل الشعب عما أردت من الغزوات والفتوحات

الملك — الشعب يحبنى ؟

الساحر الأول — الشعب يحبك لأنك تحبه ، وأهل مصر يقولون : « إن أحببتك حية فتطوّق بها » ، ولهذه اللفتة صلة بوجود الحيات حول تيجان الفراعين !

الملك — أنت ساحر ، يا ساحر !

الساحر الأول — وعن لطف جلالة الملك أخذنا السحر والفتون

الملك — عنكم نأخذ طرائف المعانى يا أدباء وادى النيل ، وعنكم تلقّى الروح فلاسفة اليونان

الساحر الأول — ماذا يرى جلالة الملك فى اجتذاب العاشق الغضبان ؟

الملك — آه ثم آه من بلاد لا يستقيم فيها شىء بغير الحب والجمال !

الساحر الأول — تلك طبيعة بلادك يا مولاى

الملك — وإذن ؟

الساحر الأول — وإذن نترضّى النيل بصبية مليحة لتروضه على الوفاء

الملك — صبية تغرق فتموت ؟

الساحر الأول — إن من يَصدُق فى حب النيل لا يغرق ولا يموت

الملك — وما ذا تكون الحال إذا ترضّينا النيل بصبية مليحة ثم أصر على الجفاء ؟

الساحر الأول — نظرة واحدة من فتاة مصرية تزلزل رواسى الجبال

الملك — وأنا أرفض أن يكون الجمال المصرى من أدوات الاستغلال

الساحر الأول — الصبية المنشودة لن تعانق غير أبيها ، والنيل هو الأب الأول لجميع الأبناء بهذه البلاد

ثم نادى المنادى فى اليوم التالى بأن النيل لن يعود إلا إن ضمن الظفر بعروس خمرية اللون ، عروس عيونها عسلية ، عروس تؤمن بأن الفناء فى الواجب هو طريق الخلود

وبعد يومين اثنين تجمعت عرائس تفوق الإحصاء ، فما يمكن أن تخلو مصر فى أى وقت من عرائس جميلة تُعدّ بالألوف وألوف الألوف . فوقف سيزوستريس وقفة الحيران ، فى تخيّر ما يشتهى العاشق الغضبان

ثم التفت فرأى صبية تُلقى بنفسها فى اليم . وما كاد يتبيّن هُويّه الصبية حتى رأى النيل يتناغى بالأمواج فى كل مكان

مَن تلك الصبية ؟ لم يستطع أن يعرف ، وبهذا كانت مصر أول من ابتكر فكرة الجندى المجهول

ومضى سيزوستريس إلى المعبد فترنم بصلوات على روح تلك المليحة السمراء ، وسمع النيل صلواته فقال : الترحم لا يكون إلا على ميت ، ولا يموت من يكرم النيل

وتسامع المصريون بأخبار سيزستريس وهو رمسيس الثانى فأقاموا له فى كل بلد عدداً من التماثيل ، ودام ملكه ستين سنة أو تزيد بفضل عروس النيل

أما بعد فأنا لا أدعو وزير الأشغال إلى استعطاف النيل بضحايا

الجمال ؛ وإنما أدعو وزير المعارف دعوة فنية ، أدعوه إلى إقامة تمثال سيزستريس فى ميدان باب الحديد ، وهو تمثال لم يَجُد بمثله الفن فى شرق ولا غرب ، وهو الآية الخالدة على أن مصر دار الفنون

وإذا قيل إن الحفاوة بتمثال سيزستريس تنافى الدعوة إلى الوحدة العربية فسيكون جوابى أنه يشهد بقدرة العرب على امتلاك بلاد الفراعين

متى أرى تمثال سيزستريس فى ميدان باب الحديد ؟

ومتى يرى كل قادم عظمة مصر فى ذلك التمثال ؟

ومتى نفهم أنه أولى بالحفاوة من المسلة المصرية بميدان الكونكورد فى باريس ؟

لن أنسى أبداً أن بلدى أفضل البلاد ، وأنه المعلم الأول لجميع الشعوب

زكى مبارك

على هامش الخصومات الأدبية

أيها الأدباء أعصابكم !

للأستاذ دريني خشبة

الحكومة مسئولة عما شجر من الشر بين الأدباء ...

ونحن نلقى تبعة هذا الشر على الحكومة لأنها مقصرة فى حق الأدباء ، فهى لم تدبر لهم مصيفاً جميلاً فى رأس البر أو الإسكندرية كما دبرت لنفسها ذلك المصيف الجميل فى بولكلى تختلف إليه كلما شاءت ؛ وهى لم تبح لهم حمامات السباحة يغشونها بالمجان لتعينهم على حر القاهرة القائظ الذى ترك أدمغتهم تغلى وعَرَقهم يسيل ؛ وهى لم تفتح لهم خزائنها ينتهبون منها ما يشاؤون ويُريغون منها ما يريغون ؛ وهى لم تُبح لهم قطراتها وسياراتها يجيئون بها ويروحون دون أن يكلفهم التنقل السهل الرخى إلا ملء استمارة سفر لا ترهق جيوبهم ولا يثقل تحريرها على أقلامهم ؛ وهى لم تخاطب الدولة الحليفة فى شأن تلك الحدائق التى كانت تفرج كروبهم وتشرح صدورهم ، وهى لم توزع عليهم الحلوى والمرطبات التى تختص بها نفسها فى المواسم والأعياد وهم إليها ناظرون وإلى القليل منها يتلمظون ...

الحكومة لم تصنع شيئاً من هذا . . . بل هى تؤثر نفسها بكل مناعم الدولة من دون الأدباء ، وهى تتركهم لقيظ يوليو وأغسطس يشوى جلودهم ويذيب أعصابهم . . . ثم يتلاعب بأقلامهم فيشرعونها لمحاربة أنفسهم لأنهم لم يفطنوا لما صنعت الحكومة بهم فلم يطالبوها بشىء ، ولم يصرخوا فى آذانها كما صرخ الموظفون المنسيون ، وكما صرخ رجال التعليم الإلزامى والمدرسون المنقولون من مجالس المديريات ... وهم يخدعون أنفسهم حين تملأهم صاحبة الجلالة الصحافة غروراً وكبرياء ، وحين تصوّر لهم أنهم ملوك ، بل قياصرة غير خليق بهم أن يبثوا شكاة أو يظهروا أحداً على بلوى

لهذا خلا الأدباء إلى شياطينهم وفرغوا إلى أنفسهم ... فهم منقسمون إلى معسكرين ... معسكر الشباب ومعسكر الشيوخ . ومعسكر الشباب منقسم على نفسه لأن أجناده ثوريون ، فإن لم يجدوا ما يثورون عليه ثاروا على أنفسهم ، كالنار التى تأكل بعضها ، إن لم تجد ما تأكله

ومعسكر الشيوخ منقسم على نفسه أيضاً ، إلا أنه غير ثائر ، لأن الغالبية من أجناده تعرف الرزانة وتؤثر النظام ، إما للسن المتقدمة التى يُتعبها الجلاد ولا تصبر على الوغى ، وإما إيثاراً للعافية ، واعترافاً بما فطرت عليه من ضعف

والحكومة مع ذاك تنظر إلى كل هذا لاهيةً ساهية ، لا ترى أن تشغل الأدباء المسلَّطين على أنفسهم برحلة جميلة تدبرها لهم فى مواقع العَلَمين أو بين أطلال ستالينجراد ... ولا ترى ، إن لم يسعها الترفيه عنهم بالمصيف والمرطبات وحمامات السباحة ، أن تجندهم تجنيداً إجبارياً ليدرسوا لها مشكلات الأدب بعد الحرب ، بما تشمله تلك المشكلات من مسائل اللغة والتعليم والكتابة والتأليف والزواج والطلاق والهجرة والحد من نشاط المهاجرين إلى مصر من شُذاذ الأمم ولصوص البحار

الحكومة تنظر إلى الأدباء ساهية لاهية ، لا ترى أن تشغلهم بشىء من جد الحياة أو من لهوها . والأدباء مُسلَّطون على أنفسهم تشغلهم السفاسف ، وتنتهب فراغهم الهَنَاتُ الهيِّنات ، كأن هدير المدافع وقصف الطرابيد وأزيز الطائرات لا يصل إلى أسماعهم ، وكأن الدنيا التى تجدّ فى أوربا وفى المحيط الهادى تهزل فى مصر ، وكأننا فرغنا من علاج مشكلاتنا فلم يبق إلا أن نهدم أنفسنا !

فريق من أدباء الشباب برم ساخط ضائق بنفسه وبالدنيا لأن شيوخ الأدباء بارزون فى الحياة المصرية وهم غير بارزين ،

ولأن القراء مقبلون على هؤلاء الشيوخ الأدباء ولا يقبلون على أولئك الشباب ، فلا بد لهم إذن من أن يشبوها جذعة عليهم ، ولا بد لهم إذن من أن يخلو الدنيا من أولئك الشيوخ الذين بنوا النهضة الأدبية والنهضة الفكرية فى مصر وفى غير مصر من الأقطار العربية ، ولا بد من أن يخلو لهم وجه الأرض فى مصر وفى الشرق العربى يصولون وحدهم فيه ويجولون

ولكى يتم لهم ذلك فليس لهم بد من أن يكيلوا التهم لشيوخ الأدباء . فالعقاد عاجز ولا شأن له بالشعر ، وطه حسين له كتب ركيكة محشوة بالأغاليط ، والزيات يكتب بأسلوب معقد يعلو على أفهام القراء ، وأحمد أمين رجل مصنف لا شأن له بالأدب ولا مذهب له فى الكتابة ... والمازنى يلفق مقالاته من التفاهات ... وعنان يسطو على جهود المؤرخين ويعزوها إلى نفسه ، والجارم ينتهب معانى الشعراء وينظمها لنفسه ومع ذاك فهو يسفل بها ولا يعلو ، وهيكل مؤرخ عقيم لا يصبر على مرارة التمحيص ، ثم هو داعية متحمس ، والعلم ينافى الدعاوة وينافى التحمس ... ...

هكذا يقول أدباء الشباب ، وهكذا يكتبون فى صحفهم ، ويتحدثون فى مجالسهم ، ويسمرون فى نواديهم . والمدهش حقاً أنهم من كثرة ما يرددون هـذا اللغو أخذوا يظنون أنه الحق بل أخذوا يعتقدون أنه الحق

أما الأدباء الشيوخ فيغمزون الشباب دائماً ويلمزونهم دائماً ولكنهم قلما يصرحون بشىء فيما يردون به على تلاميذهم البرمين الثائرين المتسخطين ، وهم يلتزمون الصمت ويلوذون به لأن هؤلاء التلاميذ الخصوم لم يعودوا يعرفون التأدب والاحتشام فى مخاطبة أساتذتهم أو فى مقارعتهم ، فهم لا يبالون أن يقولوا إن هؤلاء الشيوخ أصبحوا أصناماً للأدب فى مصر يعكف القراء على عبادتهم ، وأنهم لا يتركون للشباب من الأدباء متنفساً من الهواء ، لا فى مصر ولا فى الشرق العربى ، وأن لا مخرج لهم من هذا الضيق ولا منفذ من هـذا الحرج إلا بتحطيم تلك الأصنام الطاغية العاتية ... ليخلو لهم وجه الأرض فيبيضوا ويصفروا !

وهذا التعبير القاسى هو من أيسر ما يقولون قدحاً فى الرجال الذين بنوا لنا نهضتنا الأدبية والفكرية . وهو دليل على أن المعركة بين الشيوخ والشباب قد انحرفت عما كنا نرجو من ورائها من خير

على أن واحداً أو اثنين من شيوخ الأدباء لم يصبرا على أن يبسط الشباب ألسنتهم على هذا النحو . وأحد هذين هو الأستاذ العقاد ، فقد كتب فى هـذه المجلة كما كتب فى غيرها يرد على هؤلاء الشباب فرجمهم رجماً موجعاً ... وأحسب أن الصيف كان يفعل أفاعيله فى أعصاب الأستاذ الجليل فانحرف به القيظ عن الجادة ، إذ راح يتهم هؤلاء الشباب بأنهم شيوعيون هدامون ، وأنهم يحسدون شيوخ الأدباء الذين يغمرون السوق الأدبية بالكتب ، والصحف والمجلات المحترمة بالمقالات ...

وتهمة الشيوعية هنا تهمة باطلة لا أساس لها من الحق ، وقد أرسلها الأستاذ إرسالاً لا تثبت فيه ولا روية ، وأكبر الظن أنها صائرة إلى ما صارت إليه تهمة الإلحاد القديمة التى سمجت حتى قضت على نفسها القضاء المبرم . ونحن نتمنى ألا نتراشق بالتهم ؛ وألا نبتدع فيها تلك الألوان المهلكة التى تنافى ثقافتنا وديننا وتضر نهضتنا وبلادنا ... وقد قرأت فى إحدى مجلات الشباب رداً على الأستاذ العقاد يشبه الهوس ، فقد ترك الكاتب الشاب موضوع النقاش وتناول العقاد جملة وتفصيلاً ، فنفى عنه أنه كاتب ، ونفى عنه أنه مفكر ، ونفى عنه أنه مؤلف ، ... ثم ضحك ممن يقولون عنه إنه شاعر ! وكل هذا هو الهَوَس بعينه ... ولن ينفى كل هذا أن العقاد كاتب كبير جداً ، ومفكر خصب التفكير جداً ، ومؤلف له كتب كثيرة جيدة جداً . ولن ينفى عنه أنه شاعر من أرق شعرائنا خيالاً وأخصبهم معانى وأدقهم تصويراً ، وإن لم يحدث فى الشعر العربى ، على حد ما بينا فى مقالنا السابق ، ثورة أو حَدَثاً كبيراً ذا بال

وقرأت فى المجلة نفسها إنذارات موجهة إلى طه حسين وأحمد أمين ، وهى إنذارات تدل على عدم نضوج الأقلام التى سوّدتها ، فهم ينذرون طه حسين بإظهار القراء على الأغلاط الواردة فى كتابه الأيام (الجزء الثانى !) كما ينذرونه بتعقب أغلاطه فى كتبه الأخرى . وهذه هى المهاترة التى لا تليق بنا لأننا لن نكسب شيئاً قط إذا هدمنا العقاد وطه حسين وأحمد أمين والزيات والمازني ... وهذه الطائفة التى أقامت نهضتنا الفكرية والأدبية وعلمتنا وسبقتنا إلى الميدان ... وقبل أن نحاول هدم هؤلاء جميعاً فواجبنا ألا نكون نِهلِستيِّين Nihilists نهدم ولا نضع شيئاً . بل نهدم ولا نبالى ماذا يكون بعد الهدم ... يجب أن نفكر طويلاً فى خطتنا قبل تنفيذها . فكروا أيها الشباب فيمن يخلف العقاد قبل أن تهدموا العقاد ،

إن استطعتم إلى هدمه سبيلاً . فكروا فى كاتب منكم يستطيع أن يتثقف بما تثقف به العقاد ويستطيع أن يكون عصامياً فى ثقافته كما كان العقاد عصامياً فى ثقافته ... وفكروا قبل أن تهدموا طه حسين فى الرجل الذى يستطيع أن يتزعم نهضة أدبية فى أمة بأكلها فيسهر عليها ويشقى فى سبيلها ويقامر من أجلها بسعادته وسعادة أهله كما صنع طه حسين ... ولكن لطه حسين عيوبه التى تشق المرائر كما تزعمون ، ولكن للرجل ماضيه ، وله حاضره أيضاً ، وأنتم أنفسكم من ثمرات ذلك الماضى فلا تتنكروا له ، فإن رأيتم فيه اعوجاجاً فقوموه بالحسنى ، وأمامكم ميدان النقد البرىء فخوضوه أبرياء واشتدوا فيه كما تشتهون

وأما محاولتكم هدم أحمد أمين فصغار لا يليق بكم أيضاً ، فقد أصبح أحمد أمين إماماً من أئمة نهضتنا ، وأستاذاً من أساتذة الجيل ، أعجبكم هذا الكلام أو لم يعجبكم ، ثم هو كان إماماً هادئاً متزناً رزيناً ، فهل فكرتم فى أحد منكم يستطيع أن يصنف ما صنف ويؤلف مثل الذى ألف ويجاهد فى سبيل النهضة الفكرية كالذى ناضل وجاهد ؟

وأما الزيات الذى تزعمون أنه يبرقش ويزركش ، ويتخذ (الكليشيهات) لأسلوبه فعذره أنكم لم تنضجوا بعد ، ولم تدركوا من طلاوة البيان العربى ما أدرك ... ذلك البيان الذى جدد الزيات شبابه وتزعم مدرسته وخلق لها مما كتب وما ترجم التلاميذ والحواريين . وها هو ذا يكتب آياته فى الدفاع عن البلاغة فينشىء لكم ما أنشأ سانت بيف وهازلت وأرنولد وغيرهم من زعماء النقد . على أن هذا الضيق الذى أحرج صدور بعضكم من الزيات ليس من صنعكم ، فقد صنعه لكم - وا أسفاه - أحد شيوخ الأدباء ، وهذا هو انشقاق الشيوخ على أنفسهم ... ذلك الانشقاق الذى أفادكم فى خصومتكم غير المبصرة ، والذى أفاد نهضتنا الفكرية بقدر ما أضرها . وحسبنا هذه الإشارة اليوم !

وأظرف ما فى معسكر الشيوخ من فتنة مكبوتة تلك النذر الضاحكة التى يلوكها الدكتور زكى مبارك ، والتى لا تجد لها صدى قط على صفحات الجرائد ... فزكى مبارك جرىء على المازنى جراءة لا حد لها ، والمازنى لائذ بأذيال الصمت ... والمازنى بهذا الصمت يمكر بزكى مبارك الذى لا ينال منه إلا صمت مناوشيه ، ولا يريحه إلا أن يردوا عليه فيرد عليهم ، ثم يردوا عليه فيرد عليهم حتى يخيل لنا أن المعركة لن تنتهى ... أما مع العقاد فلست أدرى لماذا تقدم زكى مبارك ثم تأخر ثم تقدم ثم تأخر ... هذا إن دل على شىء فهو إنما يدل على شىء يشبه الإشفاق أو يشبه الخوف ، أو يشبه حالة بين الإشفاق والخوف ، فقد نادى زكى مبارك مرة بأعلى صوته فقال : أنا أكتب منك يا عقاد ، وأنا أشعر منك يا عقاد ، ومؤلفاتى لا تسمو إليها مؤلفاتك ... ثم لم يلبث أن ختم صيحته بكلمات هن إلى الملاينة والاسترضاء أقرب منهن إلى ما هو دون الملاينة والاسترضاء ... ثم عاد فى كلمة أخرى فسأل بعض القراء ألا يوقعوا بينه وبين العقاد ليقعدوا هم ويتفرجوا ! ولست أدرى العلة فى جرأة زكى مبارك على المازنى وإشفاقه من العقاد على هذا النحو المكشوف ؟ أفصح يا دكتور زكى ... أفصح ... أفصح ولا تحسبن أحداً قد صدقك حينما رفعت عقيرتك بأنك أشعر شعراء هذا الزمان ... وإن كنا يسرنا جداً أن تكون كذلك ... يا دكتور زكى : أنت لست أشعر أهل هذا الزمان ولا أكتب أهله ... بل أنت أجرأ كاتب فى الشرق العربى فما علة إشفاقك من العقاد ؟

أما انشقاق معسكر أدباء الشباب فقد كان على أحره فى الملحمة الأخيرة التى دارت عن هذه القضية التى لم أفهمها إلى اليوم على وجهها ، وهى قضية « الأدب المهموس » ، فقد نزغ شيطان الجدل بين الأديبين المتحاورين ، إذ رمى أحدهما الآخر بما لا يليق أن يرمى به رجل رجلاً أبداً ... وقد ألفيت تلك الغمزة غير اللائقة فى أسلوب مكشوف لا يصعب فهمه على أحد ... وقد جاء رد الأستاذ الأديب الآخر رداً مراً مضحكاً ، فلم يضق بما رُمى به ، بل أجازه ، ثم علله تعليله العلمى اللبق الظريف ، إلا أنه لم ينس أن يجرح محاوره كما جُرح فرماه بالسماجة والصفاقة فى معرض الرد عليه بعدم استحباب أن يستشهد الأديب بكلامه من نظم أو نثر . ولو وقف الرد عند هذه الملاحظة لملك الأستاذ الدكتور (...) ناصية الحق ، إلا أنه برهن على صدق نظريتنا المتعلقة بأعصاب الأدباء فى الصيف ، فرمى مناظره بالسماجة والصفاقة ... ونحار نحن فى التعليق على ما حدث : أى المتناظرين جار قبل أخيه عن القصد ، وأيهما بدأ بالعدوان ... ولعل الذى سب أخاه فى كمال رجولته أظلم ، ولعله هو الذى انحرف أولاً فسبب انحراف صاحبه ، ثم زاد الطين بلة فسخر من كفايات زميله وهو ما لا يوافقه أحد عليه ، وهو أيضاً ما نرجو أن نتعالى فى جميع مناقشاتنا عنه ...

دراسات عن مقدمة ابن خلدون

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري

[أخرج هـذا الكتاب الفريد شيخ المربين الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصرى ، وقدم له بهذه المقدمة الشارحة ، فرأينا أن ننقلها إلى القراء ليتبينوا منها منطق الأستاذ فى تعليل الأشياء ، ومنهجه فى تحرير هذا البحث .]

— ١ —

دراسات عن مقدمة ابن خلدون ...

أسطر هذه الكلمات ، وكأنى أسمع همس معترض يعترض علىَّ ، قائلاً :

دراسات عن مقدمة ابن خلدون ؟ . . . ولماذا اخترت هذا الموضوع المبتذل المعاد ؟ إن مقدمة ابن خلدون منتشرة بين أيدى جميع المستنيرين من الناطقين بالضاد . وقد كتب الدكتور طه حسين أطروحة عن « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » كما نشر الأستاذ عبد الله عنان كتاباً عن « ابن خلدون ، حياته وتراثه الفكرى » ... وقد نشر عدد غير قليل من المفكرين والكتاب ، عدداً لا بأس به من البحوث والفصول والمقالات عن ابن خلدون ومقدمة ابن خلدون ، فى مختلف الكتب والجرائد والمجلات . فلا نعدُو الحقيقة إذا قلنا : ما من مفكر ولا مؤرخ عربي ، حظى من كثرة الذكر وذيوع الصيت بما حظى به ابن خلدون . فما الفائدة من العودة إلى هذا الموضوع بعد جميع هذه الكتابات والنشرات ؟ . ألم يكن من الأجدر بك ، ومن الأوفق لمصلحة قرائك ، أن تنتخب موضوعاً آخر أكثر جدة وطرافة من هذا الموضوع ؟

غير إنى لم أسلم بوجاهة مثل هذه الاعتراضات والملاحظات ؛ لأننى أعتقد بأن الطرافة فى الدراسات لا تأتى من جدة الموضوع وحده ، بل قد تتولد من طرافة الطريقة والاتجاه أيضاً . . .

وأنا ، مع احترامى للكتب والمقالات والدراسات التى نشرت بالعربية عن ابن خلدون ومقدمة ابن خلدون ، أرى أنها ظلت بعيدة عن استيفاء البحث فى هـذا الموضوع الخصب الهام من نواحيه المختلفة ، فأعتقد بأن هناك حاجة ماسة إلى إكمال تلك الأبحاث والدراسات وإتمامها ؛ كما أن هناك ضرورة قصوى لإعادة النظر واستئناف البحث فى معظم تلك الدراسات ، بطرق وأساليب أخرى وِفق وجهات نظر جديدة

ومما يظهر هذه الحاجة بجلاء أعظم ، ويبرهن على هذه الضرورة بوضوح أتم ، أن الأبحاث والدراسات المنشورة عن ابن خلدون باللغة العربية ، قليلة جداً ، بالنسبة إلى ما نشر عنه فى اللغات الأخرى ، ولا سيما فى اللغات الأوربية . وهناك عدد غير قليل من الدراسات العلمية القيمة عن ابن خلدون وآرائه المختلفة ، لم تنقل بعدُ إلى العربية

ومن الغريب أن أهم الدراسات التى كتبت بأقلام بعض الشبان العرب أيضاً ، ظلت خارجة عن نطاق « المطبوعات العربية » إلى الآن ؛ فقد نشر الدكتور كامل عياد – من الشام – أطروحة باللغة الألمانية ، سنة ١٩٣٠ عن « نظرية ابن خلدون فى التاريخ والاجتماع » ؛ كما نشر الدكتور صبحى المحمصانى – من بيروت – أطروحة باللغة الفرنسية ، سنة ١٩٣٢ ، عن « آراء ابن خلدون الاقتصادية » . . . وكلتا الأطروحتين لم تترجم إلى العربية ، بالرغم من مرور اثنتى عشرة سنة على نشر الأولى ، ومرور عشر سنوات على نشر الأخرى ؛ فاستفادة مستنيرى العرب من الأطروحة الأولى لا تزال موقوفة على معرفة الألمانية ،

ولا بد من كلمة هنا نوجهها إلى رؤساء تحرير مجلاتنا ... والكلمة رجاء مخلص نأمل أن يحققوه ، ونرجو أن يحققوه سريعاً وقبل أن يتصرم الصيف . وذلك ألا يسمحوا بنشر الفِقر الحارة الساخنة التي ترد فى سياق المناظرات والتى تهبط إلى مستوى الشتائم وتخرج عن دائرة الأدب ... ونحن بالطبع لا نعنى بدائرة الأدب دائرة الأخلاق

وبعد ... فلست أدرى لماذا لا يعالج الأدباء شباباً وشيوخاً أعصابهم ؟ ولماذا لا يذكرون أن الحكومة تركتهم وشأنهم فلم تتخذ أى إجراء للترفيه عنهم ولم تدبر لهم مصيفاً ولم تبح لهم القطارات والسيارات تنقلهم ولو إلى شواطئ المنزلة والبرلس وإدكو ومريوط ... وإن كان يسر الحكومة أن يشتغل الأدباء بأنفسهم عنها ، فلتشغلهم هى عن نفسها بالمفيد المجدى ... لتجندهم تجنيداً إجبارياً ليبحثوا لها كل ما يهمها البحث فيه من مسائل ما بعد الحرب ، وليدرسوا لها مشكلات الأمية وإصلاح البرامج والبطالة ومحاربة الفقر وهبوط الميزانية إلى حالتها الطبيعية فى السلم وإصلاح الكتابة العربية ...

وبعد أيضاً ... فهذا حديث من لغو الصيف ، نرجو ألا نلغو بحديث مثله . دريني خشبة

كما أن الاستفادة من الثانية لا تزال تتطلب معرفة الفرنسية ...

وإنى أعتقد، لذلك، كل الاعتقاد بأن الجيل المثقف الحاضر مقصر فى أداء واجباته نحو هذا الفكر العربى العظيم تقصيراً كبيراً

* * *

إن هذا التقصير الكبير، لا يتجلى فى « ضآلة الدراسات » فحسب، بل يظهر فى « رداءة الطبعات » أيضاً : فإن جميع طبعات المقدمة التى صدرت عن مطابع القاهرة وبيروت وانتشرت فى جميع أنحاء العالم العربى، مشوبة بنواقص كثيرة وأغلاط فادحة

ذلك لأن جميع هذه الطبعات منقولة عن طبعة بولاق التى قام بأعبائها الشيخ نصر الهورينى فى القاهرة، قبل مدة تزيد على ثمانية عقود من السنين . والشيخ الهورينى كان بعيداً — بطبيعة ثقافته — عن إدراك المبادىء الأساسية التى يجب مراعاتها فى نشر مثل هذه المؤلفات القديمة .

فجميع الطبعات الشرقية تكاد تكون خالية من الشروح والتعليقات : فإن الشروح القليلة المبعثرة فيها لو جمعت فى محل واحد لما ملأت أكثر من ثلاث صفحات . زد على ذلك أن هذه الشروح قلما تخرج عن نطاق « الإيضاحات اللغوية » فإنها لا تستهدف — على الغالب — شيئاً غير ذكر معانى بعض الكلمات . هذا مع أن الترجمة التركية موشاة ببعض الإيضاحات المطولة ؛ والترجمة الفرنسية مملوءة بعشرات ومئات من الشروح والتعليقات التى تحوم حول المعلومات اللغوية والأدبية والجغرافية والتاريخية الضرورية لفهم أبحاث المقدمة حق الفهم

ومما يلفت الأنظار فى هذا الصدد، أن الطبعات المتداولة مشوبة بعدد غير قليل من الأغلاط المطبعية التى تغير معنى العبارات تارة، وتجردها من كل معنى معقول تارة أخرى، وتقلب معناها رأساً على عقب فى كثير من الأحوال

مثلاً : إن بعض الطبعات مسخت كلمة « اليقين » إلى شكل « أينين » فابتدعت هذه العبارة الغريبة : « قال كبيرهم أفلاطون إن الإلهيات لا يوصل فيها إلى أينين » . كما أنها حرفت « الحقيقة المتعقلة » وجعلتها « الحقيقة المتعلقة » ، واستبدلت بعبارة « يحلق فوقها » عبارة « يلحق فوقها » . إنها مسخت « العلوم الآلية » مسخاً غريباً ، حولها إلى « العلوم الإلهية » ؛ وحرفت تركيب « سن بكره » وجعلته « بين نكرة » فجردته بذلك عن كل معنى معقول : كما حولت « عالم القردة » إلى « عالم القدرة » ، فغيرت المعنى المقصود تغييراً هائلاً[1]

وقد تطفلت بعض الطبعات بزيادة أداة « إلا » فى جملة نافية، فقلبت معناها رأساً على عقب ؛ وبعكس ذلك قد حذفت كلمة « ليس » من عبارة أخرى، فجردتها من كل معنى مفهوم، كما أنها أسقطت عدة كلمات من بعض العبارات، من غير أن تنتبه إلى أن ذلك قد جعل العبارة عديمة المعنى[2]

ومن الأمور الغريبة أن الطبعات المصرية والشامية ناقصة من حيث المتون والفصول أيضاً : فإذا قارنا إحدى هذه الطبعات بطبعة باريس التى تمهدها المستشرق « كاترمير » — فى نفس السنة التى كان قد أتم فيها الشيخ نصر الهورينى طبعة بولاق فى مصر — نجد أنه ينقص منها أحد عشر فصلاً كاملاً من الفصول المهمة، كما ينقص منها عدد غير قليل من الأبحاث والفقرات من الفصول المختلفة . وإذا أحصينا مجموع صفحات هذه الفصول والفقرات الناقصة نجدها تزيد على الستين

ومن الغريب أن طبعات مقدمة ابن خلدون المنشورة فى العالم العربى ظلت على هذه الحال من النقص المعيب منذ مدة تزيد على ثلاثة أرباع القرن ... ومن الأغرب أن الأبحاث والدراسات المنشورة بالعربية عن مقدمة ابن خلدون لم تنتبه إلى هذا النقص فلم تعمل على تلافيه، ولم تلفت الأنظار إليه إلى الآن

— ٢ —

هذا، وإننى أرى أن هناك قضية هامة أخرى تستحق الملاحظة والعناية أكثر من جميع الأمور التى ذكرتها آنفاً :

إن الذين يطالعون مقدمة ابن خلدون يقرأونها عادة كما نقرأ الكتب الحديثة، وينتقدونها بوجه عام كما ننتقد المؤلفات العصرية . ومعظم الذين يكتبون عن المقدمة أيضاً ينحون هذا

(١) راجعوا طبعة المطبعة الأدبية فى بيروت والمطبعة التجارية فى القاهرة : ص ٥١٧ ، ٣٨ ، ٣٦٢ ، ٥٣٦ ، ٤٠ ، ٩٦

إن الأغلاط الثلاثة الأخيرة موجودة فى طبعة المطبعة البهية (٣٩٦ ، ٢٩ ، ٦٨) ، وفى طبعة مطبعة التقدم (ص ٤٤٦ ، ٣٢ ، ٧٧) أيضاً وأما الغلطتان الأخيرتان فموجودتان فى طبعة بولاق أيضاً

(٢) طبعة المطبعة الأدبية فى بيروت والمطبعة التجارية فى القاهرة : (ص — ١٦٨) « إن الحيوانات المفترسة لا تسافد (إلا) إذا كانت فى ملكة الآدميين » والعبارة الصحيحة خالية من الأداة (إلا) (ص — ٤١٩) « والكمال فى الصنائع إضافى بكمال مطلق » والعبارة الصحيحة هى : « والكمال فى الصنائع إضافى، وليس بكمال مطلق » (ص — ٢٨) « حتى يكون مستوعباً لأسباب كل خبره » . فقد سقط من هذه العبارة خمس كلمات، وأما العبارة الصحيحة فهى : « حتى يكون مستوعباً لأسباب كل حادث، واقفاً على أصول كل خبره »

المنحى نفسه ، ويميلون إلى وزن الآراء الواردة فيها بموازين المكتسبات العلمية الحالية ، من غير أن يلتفتوا إلى عدد القرون التى تفصل بيننا وبين تاريخ كتابة المقدمة المذكورة ، فى حين أن قيمة المؤلفات القديمة ، ومنزلة المفكرين القدماء — فى تاريخ العلوم والأفكار — لا يمكن أن تقدر على هذه الطريقة

ذلك لأن كل عالم ومفكر يشترك — بوجه عام — مع معاصريه فى معظم آرائهم ، فيشاطرهم أكثر أخطائهم ، ولا يمتاز عنهم إلا فى « بعض الآراء » التى يوفق إلى ابتكارها ، و « بعض المعلومات » التى يصل إلى اكتشافها

ولهذا السبب ، نرى أن منزلة الباحث والمفكر فى « تاريخ العلوم والأفكار » لا تتعين بملاحظة « جميع الآراء الصائبة والخاطئة » المنبثة فى كتاباته ومؤلفاته المختلفة ، بل تتقرر بملاحظة « الآراء المبتكرة » التى يسمو بها على معاصريه ، و « الحقائق الجديدة » التى يضيفها إلى المكتسبات الفكرية البشرية ، و « الخدمات التى يقوم بها » بهذه الصورة ، فى سبيل تقدم الأفكار والعلوم ... كل ذلك بقطع النظر عن الآراء الخاطئة التى يبقى فيها مشتركا مع معاصريه بطبيعة الحال

إن عدم ملاحظة هذا الدستور الأساسى فى دراسة المفكرين والعلماء القدماء ، يحول دون تقدير منزلتهم العلمية حق تقديرها . ومحاذير ذلك تكتسب خطورة خاصة عندما يعود الأمر إلى عظماء المفكرين الذين يكونون فى منزلة ابن خلدون ، وإلى أمهات المؤلفات التى تكون على شاكلة مقدمته المشهورة ؛ لأن مقدمة ابن خلدون من المؤلفات الجامعة التى تتطرق إلى عدد كبير من المسائل والمواضيع . إنها تتناول بالبحث مسائل كثيرة ومتنوعة جداً ، من الديانة إلى التجارة ، من النبوة إلى الطبابة ، من الرؤيا إلى التربية ، من السياسة إلى النجامة ، من أوزان الشعر إلى عمران المدن ، من مبادئ الموسيقى إلى أساليب الحرب ، من موارد الدولة إلى أصناف العلوم . وخلاصة القول أن كل ما له علاقة بالاجتماع الإنسانى والعمران البشرى يأخذ نصيباً من بحوث المقدمة ... فلا ينتظر من مؤلفها أن يكون مبتكراً ومصيباً فى جميع هذه المواضيع المتنوعة ، بل لا بد أن يكون ناقلاً لآراء معاصريه فى معظم تلك المسائل والمواضيع

فإذا قرأ القارئ مقدمة ابن خلدون من غير أن يراعى هذا الدستور ، فقد يعود بفكرة خاطئة تماماً عنها وعن مؤلفها ، لأنه قد يبقى تحت تأثير مختلف الأخطاء المنبثة فى صحائف الكتاب ؛ والفكرة السيئة التى تستولى على ذهنه من جراء ذلك قد تؤثر على محاكمته ، فتحول دون التفاته إلى الآراء القيمة المنتشرة فى سائر أقسام الكتاب

إن أصول البحوث العلمية تتطلب من كل باحث يقدم على مطالعة كتاب قديم أن يتأمل فى كل موضوع من مواضيعه — وكل مسألة من مسائله — على حدة . وأن يعرف حق المعرفة بأن « خطورة الأخطاء » التى تأتى فى الكتب القديمة ، لا يجوز أن توزن بالموازين الفكرية العصرية ، بل يجب أن تقدر بموازين تاريخية خاصة . ولا حاجة لبيانِ أن هذه الموازين الخاصة لا يمكن أن تتقرر إلا بتتبع « تطورات الفكر البشرى » بوجه عام

هذا مبدأ هام يجب ألا نهمله أبداً عند ما نقرأ وندرس مقدمة ابن خلدون . يجب علينا ألا ننسى أنه من رجال القرن الرابع عشر للميلاد ؛ كما يجب علينا أن نرجع إلى تاريخ العلوم والأفكار عند ما نقرأ كل فصل من فصوله ، ونتأمل كل رأى من آرائه ، ونستعرض ما كان يقول به المفكرون فى هذا الصدد فى العصر الذى عاش فيه وفى العصور التى أتت بعده

— ٣ —

إننى لم أقل بهذا المبدأ ولم أضع هذا الدستور تعصباً لابن خلدون ؛ بل قلت بهذا المبدأ لأننى وجدته سائداً فى تاريخ العلوم والعلماء ؛ وسردت هذا الدستور لأننى رأيته رائد القوم على الدوام

وأقول بلا تردد : لولا ذلك ، لما استطاع أحد من المفكرين والعلماء السالفين ، أن يحتفظ بمكانته العلمية والفكرية فى هذا العصر ، بين تطور العلوم الهائل وتقدمها المستمر

هذا أرسطو الذى يعد أكبر المفكرين الذين عرفتهم البشرية ، والذى يلقب لذلك « بالمعلم الأول » . هذا أرسطو نفسه ، قد وقع فى أخطاء وأغلاط كثيرة وكبيرة جداً فى مؤلفاته المختلفة ؛ فإذا أراد أحدنا أن يحصيها ويجمعها ، استطاع أن يؤلف منها مجلداً ضخماً

إن بعض هذه الأخطاء والأغلاط كانت جوهرية خطيرة تتعلق بأسس العلوم نفسها

كان أرسطو يقول ، مثلاً — فى ميدان علوم الطبيعة — بنظرية العناصر الأربعة ، ويعتبر كلاً من الماء والهواء والتراب والنار عنصراً من عناصر الأشياء ... ومن المعلوم أن علمى الفزياء

والكيمياء، قد قاما على إنكار هذه النظرية من أساسها

وكان يقول — في ساحة علم الحياة — بنظرية « التناسل التلقائي » ، ويعتقد بأن الديدان والحشرات تتولد من تلقاء نفسها ، من الطين والجيف . ومن المعلوم أن علم الحياة الحالي ، قد برهن على بطلان هذه النظرية برهنة قاطعة

وكان أرسطو يقول — في ساحة الاجتماعيات — بضرورة الرق ، ويعتقد بأن الاسترقاق من ضرورات الحياة الاجتماعية ؛ وكان يملل اعتقاده هذا ، بقوله « إن بعض الناس خلقوا ليكونوا عبيداً » ؛ حتى كان يرى أن « الغزو للحصول على العبيد » مشروع بقدر « الصيد لاقتناص الحيوانات » ... ومن المعلوم أن تطورات الحياة الاجتماعية سارت دائماً على أساس إنكار هذا الرأي بوجه حاسم بات

وزيادة على كل ذلك ، فإن بعض الآراء التي قال بها أرسطو كانت من نوع السفسطات والمغالطات . فقد قال — مثلاً — : « إن الخط المستقيم لا يمكن أن يكون كاملاً ، بوجه من الوجوه ، لأن هذا الخط المستقيم إذا كان غير متناه كان غير كامل ، إذ أن الكمال في الخط لا يتم إلا عند ما يكون له شكل مرسوم بوضوح . وأما إذا كان الخط المستقيم المذكور متناهياً ، فلا يكون كاملاً أيضاً ؛ لأنه يبقى في هذه الحالة ، ما هو خارج عنه ، بطبيعة الأمر ... » ومن الواضح أن كل ذلك من لغو الكلام ، وهو يدل على المغالطة في البرهنة والبيان

فإذا كان أرسطو لا يزال يتمتع بمنزلة ممتازة ومكانة خارقة ، في تاريخ العلوم والأفكار ، فما ذلك إلا لأن التاريخ المذكور يراعي على الدوام المبدأ الذي ذكرته آنفاً

وما قلته عن أرسطو في هذا الصدد ، يصح في غيره من العلماء والمفكرين أيضاً . فليس بين هؤلاء — من سقراط إلى كونت ، ومن بقراط إلى فرويد — من يعد عظيماً لأنه لم يخطئ في آرائه وكتاباته قط ؛ بل إنهم يعدون من العظماء ، على رغم الأخطاء التي وقعوا فيها والأغلاط التي قالوا بها

— ٤ —

ومما تجب ملاحظته في هذا الصدد ، أن موقفنا — نحن الناطقين بالضاد — تجاه مقدمة ابن خلدون يختلف بطبيعته عن مواقفنا تجاه مؤلفات أمثاله من الغربيين . ذلك لأننا لا نطلع — عادة — على آراء القدماء من الغربيين إلا من خلال بعض المقتطفات والدراسات ، فنتوهم بأن كل ما قاله هؤلاء وكتبوه كان على ذلك الطراز . مع أن تلك المقتطفات والدراسات ، تستهدف — بوجه عام — إظهار منزلتهم العلمية ، فلا تحتوي في حقيقة الأمر إلا على الجوهر الهام ، والزبدة المنتقاة من آرائهم وكتاباتهم الأصلية . بينما نحن نطلع على ما قاله ابن خلدون من قراءة مقدمته مباشرة ، ونحيط علماً بكل ما جاء فيها من غث وسمين . . . فالمقارنة التي تحدث في أذهاننا بهذه الصورة ، بين ابن خلدون وبين أمثاله الغربيين ، تكون بعيدة عن الحق والحقيقة ، بطبيعة الأمر

إن مَثَلنا في مثل هذه المقارنات كمثل من يريد أن يقوم بمقارنة بين المناجم المختلفة ، فيقدم على الموازنة بين الفلز الطبيعي الموجود في أحدها ، وبين المعادن الصافية والجواهر اللامعة المستخرجة من غيرها ... من غير أن ينتبه إلى أن تلك المعادن والجواهر أيضاً كانت ممزوجة ومخلوطة بمواد ترابية وحجرية خسيسة ، وإنها لم تظهر بمظهرها الحالي إلا بعد تصفيتها من النفايات ؛ كما أن الفلز الطبيعي الموجود في المنجم الأول أيضاً يحتوي على جوهر ثمين — قد يبهر الأبصار — مثل تلك الجواهر ، بل أكثر منها ، إذا ما عولج وصفي مثلها

من البديهي أن المقارنات يجب أن تجرى تحت شروط متساوية : فعلينا إما أن نقارن الفلز الطبيعي بالفلز الطبيعي ، وإما أن نقارن المعدن المستخرج والمصفى بالمعدن المستخرج والمصفى . أما مقارنة الفلز الطبيعي المستخرج من منجم ما ، بالمعدن المصفى المستحصل من منجم آخر ، فما لا يتفق مع مقتضيات العقل والمنطق ، بوجه من الوجوه

فيجب علينا أن نتجنب سلوك مثل هذه الطرق في دراسة ابن خلدون . يجوز لنا أن نقارن المقدمة بكتاب من أمثالها مقارنة شاملة تامة ، كما يحق لنا أن نقارن الآراء الثمينة المستخرجة منها بما استخرج من أمثالها . وأما المقارنة بين المقدمة بهيئتها المجموعة وبين الآراء القيمة المستخرجة من الكتب المماثلة لها ، فما لا يجوز أبداً

***

إن المقالات التالية ، ترمي قبل كل شيء إلى تطبيق هذا المبدأ في دراسة مقدمة ابن خلدون ، وإظهار منزلة مؤلفها العظيم ، على هذا الأساس القويم

(بيروت) أبو خلدون

المشكلات

١ - اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفه

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

شعر رجال التربية والتعليم فى مصر منذ زمن طويل بإخفاق المعاهد المصرية المختلفة فى تعليم اللغة العربية ، فهبوا يتعرفون أسباب هذا الإخفاق ، ويعالجونه بالوسائل التى يرونها . ألفوا اللجان ، وعقدوا المؤتمرات ، وبحثوا البحوث المختلفة ؛ فمرة يرون الإخفاق من صعوبة النحو فينصرفون إلى تسهيله ، ومرة يرونه من كثرته فينصرفون إلى تقليله ؛ ومرة يرونه من قلته فينصرفون إلى تكثيره ، ومرة يرونه من مدرس اللغة العربية فيعمدون إلى إصلاحه وحسن اختياره والعمل على توسيع ثقافته ، ومرة يرى بعض الباحثين أن هذا الإخفاق إنما هو من آثار البعد ما بين العامية والعربية فيشير بالتقريب بينهما بأن تنزل كلتاهما عن بعض خصائصها لتقرب من الأخرى . وهذا معناه إعدام اللغتين واصطناع لغة لا هى بالعربية ، ولا هى بالعامية ، وليس هذا إصلاحا ، وإنما هو خضوع للحالة الراهنة ، وإقرار الخطأ ، والعجز أمام اللحن والتحريف

والاعتبارات الدينية والاجتماعية والتاريخية تقضى علينا بالاحتفاظ باللغة العربية كما هى تدب فى عروقها دماء القوة والحياة

أما الاعتبارات الدينية فإنها لغة القرآن والسنة ، ومنهما يأخذ المسلمون دينهم وعقائدهم وأخلاقهم وعباداتهم وأحكام معاملاتهم ، وهم يحرصون على اللغة العربية أشد الحرص ، ليفهموا بها كتاب الله وحديث رسوله ، ويبقى ذلك الينبوع الذى يستقون منه متدفقاً ثرارا ، ويخشون أعظم الخشية أن يصبح غورا فيفقدوه وهم فى مسيس الحاجة إليه

وهم لا يرضون أن تبيد اللغة العربية كما بادت أخواتها من اللغات السامية كالعبرانية ، فيصبح القرآن لا يتلى ولا يفهم إلا فى المساجد وعند أداء الشعائر ، كما صارت العبرانية لا تتلى إلا فى الصوامع والبيع

وأما الاعتبارات الاجتماعية فإن اللغة العربية الآن لغة عامة ، وهى لغة شمال إفريقية والجزء الغربى من آسيا ، وسكانها يبلغون أكثر من ثمانين مليونا من الأنفس ، إذ أن اللغة العربية لغة الكتابة فى هذه الأقطار جميعها ، ومنها تفرعت لهجاتهم ، ولحرصهم على اللغة العربية دائما لا تبعد اللهجات عنها ، وكذلك لا تبعد لهجات الأقطار بعضها عن بعض بعداً يجعل التفاهم بين أهلها متعذراً

وقد ربطت هذه اللغة بينهم برباط اجتماعى وثيق ، وسهلت سبل التعارف والتآلف ، فأصبح المصرى مثلاً يسافر شرقا إلى الشام أو الحجاز أو العراق ، ويسافر غرباً إلى لوبيا وطرابلس وتونس والجزائر ، ويسافر جنوباً إلى بلاد السودان وما وراءها فيرى أهلاً بأهل وجيراناً بجيران ، يحل بين قوم يفهم عنهم ويفهمون عنه ، ويألفهم ويألفونه ، وكأنه لم يبرح بلده ، ولم يفارق موطنه ، ذلك بفضل اللغة العربية وما يسرت من تفاهم ، وكذلك شأن السورى والعراقى والحجازى إذا حل بهذه الأقطار ، وقد كان ذلك سبباً فى زيادة التعاون وإحكام روابط الأخوة والحب بين شعوب الشرق العربى ، وفتح طريقاً إلى الوحدة العربية التى ينشدها كل محب للشرق وللعرب ، وستحقق إن شاء الله بفضل هذه اللغة

وقد أدى ذلك إلى سهولة التجارة وتبادلها بين هذه الأقطار كما أدى إلى تبادل الثقافة وسائر ألوان الإنتاج فى العلم والمعرفة والتفكير ، وصار المؤلف فى مصر لا يؤلف لوطنه وحده ، وإنما يؤلف لجميع هذه الأقطار ، كما صار طابع الكتب وناشرها لا يطبع أو ينشر لمصر فحسب ، وإنما يطبع لهذه الأقطار ولبلاد الهند والملايو وجاوه وسومطره وبلاد الصين ، كذلك شأن المؤلفين والناشرين فى هذه الأقطار ، وذلك كله بفضل اللغة العربية

وأما الاعتبارات التاريخية فإن علوم آبائنا وأجدادنا وثقافتهم وتراثهم العقلى قد وضعت باللغة العربية ، فنحن نحافظ عليها ما حافظنا على هذا التراث . وهذا هو أيضاً ردنا على النفر القليل الذين دعوا إلى العامية وإحلالها محل اللغة العربية

أتدرون ماذا نكون إذا نحن اتبعنا مشورة أولئك وهؤلاء ممن يشيرون علينا بأن تتنازل العربية عن بعض خصائصها لتقرب من العامية ، أو بأن نصطنع العامية بدل العربية ؟ إننا بذلك نعمد إلى تلك الصلات التى بيننا وبين جيراننا الشرقيين فنقطعها فنصبح نتكلم بلغة لا يفهمونها ويتكلمون بلغة لا نفهمها

وإلى تلك الصلات التى بيننا وبين أسلافنا الماضين فنقطعها أيضاً ونصبح لا نتصل بعلومهم ولا ثقافتهم ، لأنها باللغة العربية

ونحن نصطنع العامية؛ ونكون قد سجنا أنفسنا فى سجن العامية المظلم لا يفهمنا أحد ولا نفهم أحداً بعد أن كنا فى ميادين العربية الفسيحة التى تمتد شرقاً وتضرب فى بلاد الهند الصين، وتمتد غرباً وتضرب فى سواحل المحيط الأطلسى، وتمتد جنوباً وتضرب فى المحيط الهندى، وتمتد شمالاً وتضرب فى آسيا الصغرى وبلاد الأناضول، وتمتد فى الماضى وتضرب فى عهود العباسيين والأمويين والخلفاء الراشدين وعصر البعثة المحمدية وما قبل البعثة من عصر العرب الأولين

ومرة يرى بعض الباحثين أن يقرب بين العربية والعامية بأن يؤثر كل لهجة عربية توافق العامية، فيؤثر اللغة التى تلزم الأسماء الخمسة الألف، لأن العامية تنهج فى أسلوبها هذا النهج، ويؤثر اللغة التى تعرب جمع المذكر السالم إعراب حين، لأن العامية تفعل ذلك

وهذا لا يحل المشكلة، لأن العامية لا تلتزم نهجاً واحداً خاصاً فى أسلوبها ولا تلتزم لغة من هذه اللغات. وأيضاً فكثير من العامية ليس له نظير فى لهجة من اللهجات العربية

ثم ماذا يفعلون؟ أيوجبون هذه اللغة ويخطئون ما عداها، أم يجوزونها ويخيرون بينها وبين اللغات الأخرى؟ فإن كان الأول أدى ذلك إلى أن المتعلم على هذه الطريقة يخطئ القرآن وكلام رسول الله وكلام العرب إذا جاءت على غير هذه اللغة. وإن كان الثانى لم يعد ذلك تسهيلاً لأنه لم يفعل شيئاً سوى أن زاد فى الطنبور نغمة، فبعد أن كان يعلم لغة واحدة فى جمع المذكر السالم هى اللغة العامة القياسية أصبح يعلم اللغة العامة واللغات الأخرى القليلة

ثم هذا يضيع على المسلمين الغرض الذى يرمون إليه، ويحرصون عليه أشد الحرص، وهو الاحتفاظ بلغة القرآن ولهجته وطريق أدائه

والذين يدعون إلى تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة أقرب إلى الصواب؛ ونحن نؤمن كما يؤمنون بضرورة هذه الخطوة، وإن كنا نخالفهم فيما ذهبوا إليه من قواعد كما بينا ذلك فى حينه، ونرى أن التسهيل جزء من كل من الإصلاح المنشود

فأنت ترى من هذا كله أن المشكلة على ما هى عليه لم تحل ولم توشك أن تحل. وسنحاول إن شاء الله فى الفصول الآتية أن نحل هذه المشكلة التى استعصى على الزمن حلها

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

فى استقلال القضاء

[إلى حضرة صاحب المعالى المصلح الكبير الأستاذ محمد صبرى أبى علم باشا تقديراً لقانونه الفذ ، وتحية لشخصه الكريم]

للأستاذ محمود الخفيف

بَشَّرْتَ باستقلالِهِ الأجيالاَ   وجَعَلْتَهُ حقًّا وكانَ خيَالا

أَمَلٌ تطلَّعتِ البلادُ ليَوْمِهِ   مُنْذُ احتوى دُسْتُورُها الآمالا

ظمئت لهُ مِصْرٌ وطالَ أُوَامُها   حتى سَقَيْتَ بهِ العِطاشَ زُلالا

عجِبوا لِسَعْيِكَ إذ بلَغتَ بهِ المدى   ولطالما ألِفوا الوُعُودَ مِطالا

عَدوا لهُ الأيامَ فهِيَ قصيرةٌ   لكنَّهُمْ وَجدُوا خطاكَ طِوالا

وتلفَّتَ التاريخُ يكتُبُ صفحةً   غرَّاءَ ، جاءتْ شاهدًا ومِثالا

* * *

أمِنَ العَدالةِ أنتَ بانى رُكنِهِ   فابلُغْ بِهِ هامَ النُّجومِ كمالا

العَصْرُ تظْمَأُ لِلعَدالةِ رُوحُهُ   لما رأى الطُّغْيانَ ساءَ مآلا

هِيَ أصلُ كلِّ حضارةٍ وسكينةٍ   وَهِيَ الجمالُ لِمنْ أرادَ جمالا

ما قيمةُ الدُّنيا وما نِعَمُ الحيا   ةِ إذا الطُّغاةُ استعبدوا الأغلالا ؟

ولِمَ التفاوتُ فى سُلالةِ آدمٍ   أوَلَمْ يكونوا كلُّهُمْ صَلْصالا ؟

العدلُ إن قامتْ عليهِ جماعةٌ   لمْ تلقَ ذا خَتْلٍ ولا رِئْبالا

وإذا تنكَّبتِ العدالةَ أُمَّةٌ   فقدِ ارتضتْ هذى الحياةَ وبالا

يحيا على الطُّغْيانِ كلُّ مُسلَّطٍ   فيها ويُنْشِبُ ظُفْرَهُ مُغْتالا

فإذا الرِّجالُ بِها ضوارِي غابةٍ   وإذا المدائنُ أصبحتْ أدْغالا

* * *

رُسُلُ العدالةِ فى البلادِ قُضاتُها   أعلى الرِّجالِ مهابةً وجَلالا

بذلوا لِمِصْرَ جُهودَهُمْ موصولةً   وتحمَّلوا فى حُبِّها الأثقالا

تاللهِ ما وَهَنُوا ولا بَرِموا ولا   مَنُّوا ولا كانوا بِها بُخَّالا

لمْ يأمَنوا وهُمُ القضاةُ مُناجِزًا   غِرًّا ، يُدِلُّ بِبأسِهِ إدْلالا

أوْ يأمَنوا فى الحقِّ صَوْلةَ غاشِمٍ   لمْ يرْضَ إلاَّ ما يقولُ جِدالا

صَبَرُوا على الأعنَاتِ صَبْرَ أعِزَّةٍ   ولوْ أنَّهُمْ رُزِئوا بهِ أشكالا

أحْرَى بِمَنْ يحْمِى الحقوقَ قضاؤُهُ   ألاَّ يرَى عَنَتًا ولا إضْلالا

وبِمَنْ يُخيفُ الظالمين عِقابُهُ   ألاَّ يخافَ عُقوبةً ونَكالا

وبِمَنْ يَفُكُّ عَنِ السَّجينِ قيودَهُ   ألاَّ يهابَ شكيمةً وعِقالا

وبِمَنْ يُنيرُ لهُ السَّبيلَ ضميرُهُ   ألاَّ يُزيغَ لهُ الهوى استدْلالا

وبِمَنْ يُديرُ إلى المصاعِبِ بالَهُ   ألاَّ تَكِدَّ لهُ الشَّواغِلُ بالا

* * *

قُلْ لِلوزيرِ فعلتَ فِعلَ مُؤسِّسٍ   كانَ الأصيلَ العبقريَّ فَعالا

العَصْرُ لمْ يعرِفْ لِفضْلِكَ مُشْبِهًا   وتقِلُّ ، إنْ عدُّوا لكَ الأمثالا

فضلٌ يُضافُ إلى مآثِرِ ماجِدٍ   ما زالَ يُولى قومَهُ الأفضالا

للهِ إذْ يَسْعَى ويدأبُ جاهِدًا   ما كانَ ذا مَنٍّ ولا قوَّالا

مُتواضِعٌ حتَّى ليُخْفِي سَعْيَهُ   وترى الزَّمانَ بِسَعْيِهِ مُختالا

لولا شواهِدُ لا تكونُ لِغيرِهِ   نَسَبَ الرُّواةُ لِغيرِهِ الأعمالا

وإذا الرِّجالُ بنَوْا حقيقةَ مجدِهِمْ   تركوا الكلامَ وأنطقوا الأعمالا

* * *

هذا الذى هزَّ الوزارةَ باسْمِهِ   كمْ جالَ أيامَ الجِهادِ وصالا

لبَّى نداءَ الحقِّ فى أوطانِهِ   لمَّا دعا سَعْدٌ بِها الأشبالا

عَرَفَ الزَّعيمُ لهُ كريمَ خِلالِهِ   فرأى البشاشةَ مِنْهُ والإقبالا

وإذا نظرْتَ إلى العرينِ وجدْتَهُ   ورأيْتَ مِلْءَ إهابِهِ استبْسالا

وإذا الحماسةُ أنطقتْهُ سمِعْتَهُ   فى الحقِّ أروعَ ما يكونُ مقالا

الصِّدْقُ والإيمانُ فى نبَراتِهِ   ولقدْ تملَّكَ سَمْعَكَ استهلالا

ومضى فهزَّكَ بالبيانِ يسوقُهُ   سِحْرًا ترشَّفَهُ النُّفوسُ حلالا

مُتدفِّقًا كالموجِ يَهْدُرُ تارةً   وتراهُ حينًا هادِئًا سلسالا

نَبْعٌ تفجَّرَ مِنْ قرارةِ نفسِهِ   فأراكَ أوصافًا لهُ وخِلالا

نبه اسمُ صبرى فى الشباب فما ازدهى ... يوماً ولا باهى به واختالا

واليومَ ترمُقُ منه بدراً كاملاً ... قد تمّ فى أُفُقِ العلاء خصالا

سِمَةُ النبوغ على كريم جبينِه ... من يوم أن بهر العيونَ هلالا

هذا خليفةُ سعدٍ انظرْ هل ترى ... صبرى لديه تقدّمَ الأبطالا

لا غروَ إن هم قدَّموه فقد رأوا ... سيفاً تناهى روعةً وصقالا

ما فلَّ طولُ جهاده عزماً له ... يوماً ولا اطّرح الجهادَ ملالا

ملءُ القلوب رزانةً وجلالةً ... وحماسةً وتوثباً ونضالا

قد لازمَ الصدّيقَ فى وثباته ... أيامَ خاضَ إلى المُنى الأهوالا

ما كانَ إلا الحرُّ يحمى عزمُهُ ... فى الحادثات وقد عصفن سجالا

* * *

لما أدارَ إلى القضاء جهودَهُ ... نسىَ الكلالَ فما يُحِسُّ كلالا

ولكم تحمّلَ غيرَ هذا دائباً ... من قبلُ أعباءً وكُنَّ ثقالا

مدَّ الرئيسُ له يمينَ محرَّرٍ ... بالأمسِ حطّم فى الحِمَى الأغلالا

نصرَ القضاءَ وناصرَ استقلالَهُ ... من ألبسَ الأوطانَ الاستقلالا

الأروعُ المستبسلُ البطلُ الذى ... أعيت كبارُ جهودهِ الأقوالا

ماذا أقولُ ؟ وأينَ من وثباته ... شعرى ولو بلغ السماءَ وطالا

هذا الذى لاقى الخطوبَ ببأسِه ... فإذا بها قد زُلزِلت زلزالا

وإذا به الجبلُ الأشمُّ وحولَهُ ... أصحابُهُ وقفوا لديه جبالا

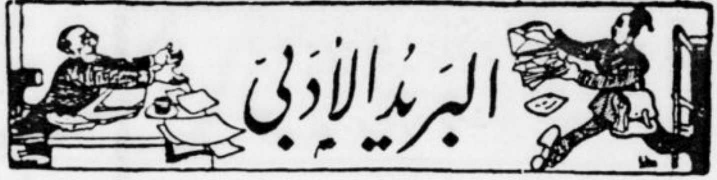
* * *

صبرى إليكَ تحيةٌ من شاعرٍ ... أملى عليه وفاؤه ما قالا

أنا من يُغنّى بالبطولة شعرُهُ ... وأصوغُ غالىَ درِّه إجلالا

لازلتَ فى سمعِ الزمان قصيدةً ... غنّى بها الأسحارَ والآصالا

الخفيف



١ – الشاعر ابن العرايش من هو ؟ ؟

نشرت البرقيات الخاصة والعامة أسماء الفائزين الأول فى مسابقة الشعر العربى التى نظمتها محطة الإذاعة اللاسلكية فى لندن . واسم الفائز الأول فى موضوع نهضة الشباب هو « ابن العرايش »

وليس (ابن العرائش) هذا اسماً ، ولكنه كنية اتخذها الشاعر الحقيق ، أما اسمه الكامل فهو « نجيب ليّان » من أهالى زحلة التى خلدها المرحوم شوقى الشاعر بقصيدته الفاتنة

والأستاذ نجيب ليان يشغل الآن منصب مدير قلم المطبوعات اللبنانى ؛ ولم أعثر له على ترجمة أو « لوحة أدبية فنية » فى كتاب « الرسوم » الذى ألفه الأديب اللبنانى المشهور إلياس أبو شبكة . فلعل الأستاذ « أبا شبكة » يصور لنا صديقه الشاعر نجيب ليان فى صورة طريفة لمجلة الرسالة الغراء

٢ – آباء العلاء

أنجبت المعرة شاعر العربية الحكيم أبا العلاء المعرى صاحب اللزوميات ، وسقط الزند والفصول والغايات وغيرها

وهناك غير واحد من أهل المعرة سمى بأبى العلاء ، ومن هؤلاء من كان معاصراً لأبى العلاء المشهور ومنهم من تأخر به زمانه عنه ؛ ومن « آباء العلاء » هؤلاء : أبو العلاء بن عبد الله ابن المحسن ، وأبو العلاء بن أبى الندى ، وأبو العلاء أحمد ابن أبى اليسر وأبو العلاء المحسن بن الحسين وأبو العلاء سعد ابن حماد . أما شاعرنا المشهور فاسمه أبو العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان التنوخى

٣ – رباعيات الخيام

يعرف قراء الرسالة أن كثيراً من أدباء العرب ترجموا رباعيات الخيام إلى اللسان العربى ؛ ومن هؤلاء المترجين المحسنين على تفاوق فى الإحسان ، أحمد رامى وأحمد زكي أبو شادى والبستانى وأحمد صافى النجفى . ولعل الأستاذ النجفى الآن على إخراج طبعة ثانية من ترجمته تكون أكثر دقة وأحسن إخراجاً . وقد نشرت مجلة « الصباح » الدمشقية الغراء – وهى التى ننقل عنها هذا الخبر إلى قراء الرسالة – أن الشاعر النجفى قدم لطبعته الجديدة قطعتين من الشعر رداً على من أساءوا فهم فلسفة الخيام . قال لا فض فوه فى أولاهما :

قد كنت من خمرة الخيام منتشياً ... وإنما خمرة الخيام إلهام
يظنه الجاهل المسكين منغمراً ... فى الراح يطفو به فى لجها الجام
فراح يدمن سكراً باسمه نفر ... كأنهم إذ تدار الكأس أنعام
ظننت ترجمة الخيام مأثرة ... أذابها لضعاف الرأى إجرام
إن كان هذا مآل الشعر فى نفر ... لا كان شعر ولا خمر وخيام
خالوه من شعره فى الخان منطرحاً ... وكم أساءت إلى الأشعار أفهام
ففتشوا عنه فى الحانات وانصرفوا ... وكل ما عرفوه عنه أوهام
لله درك يا خيام فى كلم ... يحيا بها الخاص بل يفنى بها العام

وهذا أجمل دفاع شعرى سمعناه – عن شاعر ظلمه الناس وشربوا الخمر باسمه ، واحتموا فى ظل رباعياته ، وهو من ذلك الخمار وتلك العربدة براء .

محمد عبد الغنى حسن

قضية تخسر !

ليست القضية التى انبرى الأستاذ سيد قطب للدفاع عنها بقضية خاسرة ، ولكنها – مع الأسف – قد لقيت الخسران على يديه ! وليس من عجب أن يجد الدكتور مندور منفذاً للطعن فى رد الأستاذ قطب ، فإن الواقع أن هـذا الرد لم يكن غرض صاحبه أن يدافع عن أدباء مصر بقدر ما كان غرضه أن يعلن عن نفسه . والحق أننى ما قرأت كلام الأستاذ قطب حتى استوقفنى فيه هذه الظاهرة ، إذ قد فاته أن يوجه كل همه لنصرة قضيته ، وإنما راح يحشد أقواله وأقوال الأستاذ العقاد ، كأنما ليس فى مصر غيرهما . وليست هذه هى المرة الأولى التى يسلك فيها الأستاذ قطب هذا المسلك ، بل إن كل من قرأ ديوانه : « الشاطىء المجهول » ليذكر جيداً كيف مهّد الشاعر « سيد قطب » لديوانه بمقدمة نقدية بقلم الناقد «سيد قطب» ، وكيف راح يثنى على نفسه فى هذه المقدمة بكلمات يعجب لها المرء عجباً يستنفد كل عجب !

أما الأستاذ العقاد الذى تصدّى الأستاذ قطب للدفاع عنه فإن القصائد التى اختارها له ليست من أجود شعره ، والحكم على العقاد بنـاء على قصيدة واحدة منها لا بد أن يكون حكما

جائراً . وفضلاً عن أن الأستاذ قطب كان سيء الاختيار ، فإنه يجب علينا أن نقرر أن الحكم على شعر العقاد إنما يكون بقراءة دواوينه كلها . لذلك أشير على الدكتور مندوو بقراءة « وحى الأربعين » وخاصة القصائد الآتية : « الغزل الفلسفى » « المعانى الحية » ، « ليلة البدر » فإن هذه القصائد تتضمن أشعاراً لا يمكن أن يقارن بها أى شعر من أشعار المهجر كله !

زكريا إبراهيم

نهاية أستاذ ...

(بقية المنشور على صفحة ٦٤٢)

وفى هوادى ليلة سوداء من ليالى مارس انفرد به الهم الملازم فى ركن منعزل من البيت النائم ، وكان مستقبله القريب الداهم قد تمثل فى ذهنه وبرز فى عينيه حجاباً من الظلام الكثيف يتدجّى بالمخاوف واليأس ، فلم يستطع أن يتبيّن من خلاله غير صفيحة من البترول صبّها عليه ، وغير ثقاب من الكبريت أشعله فيه ! فلما شاعت النار فى جسده خرج يعدو إلى الشارع وهو يستغيث بأبنائه واحداً بعد واحد فما أصاخت أذن ولا تنبهت عين . وسقط المسكين صريعاً أمام كنيسة المارون فى الحسينية ، وكان الصراخ الهالع قد أيقظ قسيسها فخرج يستطلع الخبر . وانحنى القسيس على المحترق يتأمله ، ورفع المحترق نظره إلى المنحنى يتبينه ، فإذا كلاهما يعرف الآخر ، وإذا القسيس تلميذ من تلاميذ الأستاذ القدماء !

— ما ذا صنعت بنفسك يا شيخ عثمان ؟

— تلك مشيئة الله !

ونقلت المحتضر عربة الإسعاف إلى المستشفى ليلفظ آخر أنفاسه حين تنفس صباح الجمعة . وأبطأت إجراءات النيابة والصحة حتى دخلت ليلة السبت . ولم يكن حاضر أمره غير ناظر المدرسة ووكيله . فاقترح الوكيل أن يبقى فى المستشفى إلى الصباح ليشيعه زملاؤه وتلاميذه ؛ وصمم الناظر أن يُقبر فى الليل ، لأن النهار يقتضى قماشاً وفراشاً وقهوة !!

وشيعت فى ظلام الليل وسكون الناس جنازة جندى باسل من جنود الأدب المجاهدين ، وليس أمامه إلا الناظر والوكيل ، وليس وراءه إلا أولاده وزوجه !

احمد حسن الزيات

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 529 — Lundi - 23 - 8 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٢٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهرس

صفحة
٦٦١ من طرائف المفارقات في بلد المفارقات ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٦٦٤ الصيد في الأدب العربي ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٦٥ حكاية الوفد الكسروي : لأستاذ جليل ... ...
٦٦٧ الحديث ذو شجون : جاذبية الشواطىء المصرية . أعجوبة الأعاجب ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ..
٦٦٩ الكأس المسمومة [قصيدة] : الأستاذ سيد قطب . . ...
٦٧٠ الأدب والسينما ... ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٦٧٣ اللغة العربية .. .. .. : الأستاذ محمد عرفة . . ...
٦٧٥ مقدمة ابن خلدون .. .. : الأستاذ محمود أبو رية ...
٦٧٦ تصحيحات واجبة في الأدب والأخلاق .. .. : الأستاذ سيد قطب ... ..
٦٧٧ الجريح .. ... [قصيدة] : الأستاذ محمود عماد .. ...
٦٧٨ لفظتان ... ... : لناقد جليل .. . ...
٦٧٨ إلى الدكتور زكي مبارك : الأستاذ حسن القاياتي ..
٦٧٩ اللجنة التي يحتاج إليها الأزهر : (ص) ... .
٦٧٩ حول المسرح المصري والدرامة المنظومة .. .. : الأستاذ محمد عبد الغني حسن ..
٦٧٩ إلى الأستاذ دريني خشبة : الأستاذ علي فودة ... ...
٦٨٠ المسرح المصري . . ... : الأديب كمال نشأت . . ..
٦٨٠ طبي وزير الصحة ... ... : الأستاذ عبد الرؤوف جمعة . .

من طرائف المفارقات في بلد المفارقات

للأستاذ عباس محمود العقاد

من طرائف ما يقال في بلد المفارقات كلمة كتبتها آنسة أديبة في « المصور » الأغر تقول فيها : « . . . سألني الأستاذ الكبير عباس العقاد عن رأيي في سارة فأجبته في صراحة أنه قد آن الأوان لتتحدث الأنثى عن الأنثى وتصور شعورها وتترجم عن عواطفها . فإن الرجل لا يعرف المرأة ولا يفهمها ، ولذلك يصورها في كتابته مخلوقة أخري غير التي نعرفها في نفوسنا ونحسها فينا ... »

وطريف كل ما في هذه الكلمة التي تتمثل فيها شتى المفارقات في بلاد النقائض والمفارقات !

فمن طرائفها قول الآنسة الأديبة أنني سألتها رأيها في سارة ، وأنا لا أعرف أنها قرأتها وأن لها رأياً فيها

ولو عرفت أنها قرأتها وأن لها رأياً فيها لما فاتحتها بالسؤال عنها ، لأن أصدقائي الكتاب والقراء كثيرون يعلمون مالم تعلمه الآنسة الأديبة ، وهو أنني لم أستبح لنفسي يوما أن أفاتح أحداً بالسؤال في موضوع كتاب ألفته أو قصيدة نظمتها ، لأن المفاتحة بالسؤال في هذا الصدد إما استجداء ثناء ، وهو لا يحسن

بالكاتب ، وإما إحراج للمسؤول إذا اضطره السؤال إلى إبداء رأى لا يروق ولا يطيب وقعه فى أذن السامع ، وهو كذلك لا يحسن بالكاتب ولا بكائن من كان

ومن شاء إبداء رأى فله من وسائل الإبداء ما يغنيه عن هذا الحرج ، وما يغنى الكاتب عن سوقه إلى الكلام فيما ليس من قصده أن يفتتح الكلام فيه

والآنسة الأديبة صحفية على اتصال بالصحف اليومية والأسبوعية ، فما رأيها فى سؤال قراء هذه الصحف عن قارىء فرد أو كاتب فرد شغلته فى مجلس من المجالس باستفساره الرأى فيما أكتب أو ما أنظم !

فلماذا أسألها هى إذا كنت لا أسأل أحداً غيرها ؟

أأسألها لأسمع منها الرد الذى لا يحمد من فتاة ولا فتى فى خطاب رجل يكتب قبل أن تدرج من مهدها ؟

أأسألها لأسمع منها أن هذا شأنى وليس بشأنك ، وأن الأمر يعنينى ولا يعنيك أنت ولا يعنى أحداً من الرجال ؟

وإذا نسيت الآنسة أن هذا جواب لا يحمد من فتاة ولا فتى ، فما الذى ينسينى أنا أن أرد إليها ذاكرتها فى أدب الخطاب ؟

***

طريف هذا وأطرف منه رأيها الذى بنت عليه جوابها ، وهو أن المرأة لا يكتب عنها غير المرأة ، وأن الرجل لا يكتب عنه غير الرجل ، وأن الطفل لا يكتب عنه غير الطفل على هذا القياس

فإذا كانت عندنا ، كما يقول وضاع المسائل الحسابية ، رواية مدارها على زوج وزوجة ، وولد وبنت ، وخادم وخادمة ، وحصان فى خدمة الأسرة ، ودجاجة وديك فى فناء الدار ؛ فليس فى وسع كاتب واحد إذن أن يؤلف هذه الرواية الشائعة بين الروايات ، ولكننا بحاجة إلى رجل فى سن الزوج ، وامرأة فى سن الزوجة ، وولد فى سن الإبن ، وبنت فى سن الإبنة ، وحصان ودجاجة وديك ، للتعبير عن حقائق هذه الأحياء ، ويبقى بعد ذلك أن يحتج الخادم والخادمة . . . لأن الزوج لا يغنى عن الخادم وإن كان رجلاً ، والزوجة لا تغنى عن الخادمة وإن كانت امرأة ، ولا يشعر السادة بشعور الخدم ولا الخدم بشعور السادة

أليس كذلك ؟

بلى كذلك وزيادة ! وإن كنا لا ندرى كيف يكون التأليف وأين يبدأ هذا وأين ينتهى من ذلك سلسلة السطور

***

الآنسة الأديبة لا تعلم الحقيقة فيجب أن تعلم الحقيقة كما خلقها الله وأقرها الواقع الذى لا حيلة لنا فيه

والحقيقة التى خلقها الله وأقرها الواقع الذى لا حيلة فيه أن المرأة لا تفهم من شئونها شيئاً إلا كان الرجل أفهم منها لهذا الشىء ولو كان من خاصة أعمالها وشواغلها

فالطهى من صناعات المرأة القديمة ، ولكن أمهر الطهاة فى الدنيا رجال وليسوا بنساء

والخياطة من صناعات المرأة القديمة ولكن المرأة لا تخيط ملابسها ولا تبتكر أزياءها كما يخيطها الرجل ويبتكرها ، والتوليد من صناعات النساء ولكن المرأة نفسها تثق بالطبيب المولد ولا تثق بالطبيبة المولدة

والمرأة تبكى منذ خلقت ولا تزال تبكى إلى يوم الدين ، وترثى الموتى منذ هلك ميت إلى أن يموت آخر الهالكين ، ولكنها كما قلنا مرة لم تخلد بكلمة واحدة إلى جانب الكلمات التى خلد بها الباكون والراثون من الرجال ، ولا استثناء فى ذلك للخنساء وهى التى كانت تفاخر النساء بالبكاء !

ونأتى إلى القصة نفسها وهى موضوع التعقيب أو موضوع الزجر والتأنيب للرجال الفضلاء الذين يدخلون فيما لا يعنيهم من شئون المرأة

فمن الحقائق التى يجب أن تعلمها الآنسة الأديبة أن الكاتبات الروائيات لم يشتهرن قط بخلق الشخوص النسائية الخالدة فى عالم الكتابة ، ويصدق هذا على السابقات من طراز مارى كوريلى وشارلوت برونتى كما يصدق على اللاحقات من طراز فيكى بوم وبيرل بك ، بل يصدق فى هذا المعنى أمر تستغربه الآنسة لو علمت به : وهو أن الرجال فى روايات الكاتبات أصدق صورة من النساء ، لأن المرأة على ما يظهر لا تحسن التعبير عن نفسها كما تحسن مراقبة الرجل والحكاية عنه ، وإن لم تقصد التحليل والتصوير

ولست أنا القائل إن المرأة لم تفهم نفسها كما فهمتها من

تصوير شكسبير لها ، وإنه صوّر خمسا وعشرين صورة نسائية لا تختلط واحدة منها بالأخرى ولا توجد امرأة واحدة تحصيها في وجوهها وملامحها ، ولكن الذي قال ذلك امرأة فاضلة هي أنا جمسن Anna Jameson في كتابها بطلات شكسبير

ولم توجد بعد المرأة الفذة بين النساء ، كما كان شكسبير الرجل الفذ بين الرجال

* * *

تلك طرائف آنسة في حديث الذكر والأنثى

ولهذا الحديث طرائف أخرى في « رجل » كشفه الأستاذ السيد قطب وقال هو عن نفسه إنه يفخر بمشابهة المرأة في تكوينها

هذا الرجل يقول لنا : « وأنا أحب أن يعلم الأستاذ قطب ، وأن ينقل إلى الأستاذ الكبير العقاد ، أن الحياة البشرية ليست من البساطة بحيث يظنان ... وقديماً زعم اليونان أن الآلهة عند خلقها للبشر لم تخلق الرجل والمرأة دفعة واحدة بل خلقت أعضاء مختلفة ثم جمعت بين تلك الأعضاء لتسوى الرجل والمرأة ، وهي لسوء الحظ أو حسنه لم تحرص على نقاء الرجل من عنصر المرأة أو نقاء المرأة من عنصر الرجل . ولهذه الخرافة الرمزية دلالتها فليست هناك امرأة كاملة الأنوثة وليس هناك رجل كامل الرجولة ... »

إلى آخر ما قال هذا الرجل الذي كشفه السيد قطب جزاه الله

ومنتظرون نحن حتى يجشم هذا الرجل نفسه مشقة الرسالة التي بعث بها إلينا من طريق الأستاذ سيد قطب لينقلها إلينا ... !

منتظرون تلك الرسالة منذ متى يا ترى ؟

منتظروها منذ سبع عشرة سنة يوم كتبنا نقول : « لا بدع أن يكون الأمر كذلك وأن نجد حب تاجور أقرب إلى عطف الأنوثة ورحمة الأمومة . فإن فاصل الجنس ليس من المناعة والحسم بالمكان الذي يتوهمه أكثر الناس . وليس كل رجل رجلاً بحتاً ولا كل امرأة امرأة صميمة ، وإنما تمتزج الصفات وتتفق المزايا ويكون في الرجل بعض الأنوثة كما يكون في المرأة بعض الرجولة ، ولا أرى في تصور ذلك أظرف ولا أدنى إلى الصدق من الأسطورة التي يروونها عن اليونان ويمثلون بها كيف كانت صنعة الإنسان وكيف كان هذا الخلط بين خلق الرجال وخلق النساء . فقد زعموا أن الإله الموكل بهذه الصناعة دعي إلى وليمة الأرباب فقضى ليله يقصف ويلهو ويعاقر ويتماجن ثم عاد عند الصباح مخموراً دهشاً فألفى عمل النهار بين يديه لا مناص من إنجازه ولا حيلة في تأجيله ، فأقبل على العواطف والجوارح يقذف ما اتفق له منها في الأهاب الذي يعرض له ، ويرمي تارة بقلب رجل في أديم امرأة ، وتارة أخرى بوجه امرأة على كتفي رجل ، وهكذا حتى أتم عمله ... »

إلى أن قلنا « وكأن (أوتو فيننجر) يقول ما تقوله هذه الخرافة حين شرح مذهبه في الحب ، وقرر في كتابه الجنس والأخلاق أن لا ذكورة ولا أنوثة على الإطلاق ، وإنما هي نسب تتألف وتتخالف في مقاديرها في كل إنسان ، ولا عبرة فيها بظواهر الجوارح والأعضاء »

فالرسالة إذن قد وصلت إلينا راجعة إلى الوراء ، وقد تعاد إلى مرسلها للاستغناء ، ومعها ما يستحقه من الجزاء

والجزاء الذي يستحقه أنه الآن لم يحسن أدب اليونان ولا أدب الخطاب ، وأنه لو تعلم هذه الخرافة كما تعلمها قراؤنا قبل سبع عشرة سنة لما لاكها في مقاله كما يلوكها الآن ، ولأكل رزقه حلالاً بتعليم الأدب اليوناني الذي يعلمنا إياه في هذه الأيام ، ويريد أن يعترف له بفضل فيه ، وهو ينكر فضل السبق على ذويه بله المفارقات ، وهذا الرجل كتلك الآنسة من هذه المفارقات ... !

عباس محمود العقاد

٣ - الصيد فى الأدب العربى

للدكتور عبد الوهاب عزام

وفى ديوان أبي نواس سبع وعشرون أرجوزة فى وصف الكلب، وهو تارة يصف خلقة الكلاب وطباعها، وتارة يصف سرعتها وعملها فى الصيد. منها الأرجوزة:

أنعتُ كلباً جال فى رباطه ... جَول مصاب فر من أسماطه
عند طبيب خاف من سِياطه ... مجنا به وهاج من نشاطه
كالكوكب الدرىّ فى انخراطه ... عند تهاوى الشد وانبساطه
لما رأى الملهب فى أقواطه ... سابحه ومرّ فى التباطه
كالبرق يذرى المرو بالتقاطه ... مثل قلىّ طار فى أنفاطه الخ

فهو يشبه الكلب فى نشاطه واضطرابه ومحاولة الإفلات من الرباط بمجنون يستعصى على طبيبه ويفر من دوائه ومن بطشه

ثم يشبهه فى انقضاضه سريعاً بالكوكب ويقول إنه حين رأى التيس البرّى فى قطمانه عدا فرّا معاً يسبحان عدواً، واستمر الكلب يضرب الأرض بيديه فيطير الحجارة الرقيقة كما تتطاير القفاقيع عن السمن الذى يغلى على النار. وهو وصف عجيب دقيق

ولا يتسع المجال لإثبات الأرجوزة كلها والتمثل بأبيات من الأراجيز الأخرى

ولأبى الطيب طرديات قليلة، منها أرجوزة يصف فيها كلباً يصطاد ولم يشهد الصيد ولكن أخبر به. وهو وصف إن فاته صدق المشاهدة فهو دليل على خبرة شعرائنا بالصيد وكلابه، ومعرفتهم بحركاته معرفة تيسر لهم الوصف بالغيب. قال واصفاً الكلب:

لحلّ كلابى وثاق الأحبُل ... عن أشدق مسوجَر مسلسل
أقبّ ساطٍ شرس شمردل ... مؤجّد الفِقرة رِخو المِفصَل
له إذا أدبر لحظُ المُقبل ... كأنما ينظر من سَجَنجَل
يعدو إذا أحزن، عَدوَ المُسهل ... إذا تلا جاء المدى وقد تُلى
يُقعى جلوس البدوى المصطلى ... بأربع مجدولة لم تُجدَل
يكاد فى الوثب من التفتُّل ... يجمع بين متنه والكلكل
وبين أعلاه وبين الأسفل الخ

فانظر كيف يصف خلقة الكلب وحركته، وتأمل الغلوّ فى قوله له إذا أدبر الخ فقد ادعى أن الكلب فى سرعة حركاته مقبل مدبر معاً فكأن الرائى يراه ويرى صورته فى مرآة فيرى شكلين أحدهما مدبر والآخر مقبل

وقد افتن الشعراء فى وصف حيوانات الصيد الأخرى كالفهد وجوارح الطير من البازى والباشق واليؤيؤ والعقاب الخ. ومن هذا وصف العقاب فى شعر أبى الفرج الببغاء:

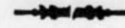
ما كل ذات مخلب وناب ... من سائر الجارح والكلاب
يدرك فى الجِد والطلاب ... أيسرَ ما يدرك بالعُقاب
شريفة الصبغة والأنساب ... تطير من جناحها فى غاب
وتستر الأرض عن السحاب ... وتحجب الشمس بلا حجاب
يظل منها الجو فى اغتراب ... مستوحشاً للطير كالمرتاب
ذكية تنظر من شهاب ... ذات جران واسع الجلباب
ومنكِب ضخم أثيث رابى ... ومَنسِر موثّق النصاب
وراحتى ليث شرًى غلّاب ... نيطت إلى براثن صلاب
مرهفة أمضى من الحراب ... وكل ما حلّق فى الضباب
لملكها خاضعة الرقاب

وأبو الفتح كشاجم من أكثر الشعراء ولعاً بالصيد، وله فيه كتاب. ومن شعره فى وصف الباشق، وهو ضرب من البزاة:

يسمو فيخفى فى الهواء وينكفى ... مجلاً فينقض انقضاض البارق
وكأن جؤجؤه وريش جناحه ... خضبا بنقش يد الفتاة العاتق
وكأنما سكن الهوى أعضاءه ... فأعادهن نحول جسم العاشق
ذا مقله ذهبية فى هامة ... محفوفة من ريشها بحدائق
ومخالب مثل الأهلّة طالما ... أدمين كف البازيار الحاذق
وإذا انبرى نحو الطريدة خلته ... كالريح فى الأسماع أو كالبارق
وإذا دعاه البازيار رأيته ... أدنى وأطوع من محب وامق
وإذا القطاة تخلفت من خوفه ... لم يعد أن يهوى بها من حالق

١ – حكاية الوفد الكسروى[*]

لأستاذ جليل



أنا ما جزمت فى عزو (الخبر) إلى ابن بكار بل سألت وفرضت : جئت بـ (هل) الاستفهامية ، و (إذا) الظرفية الشرطية فقلت : « هل صاحب ذلك الكتاب هو الصائغ المحسن » وقلت : « وإذا ثبت قول (السليمانى) فى ابن بكار فمن يضع الحديث النبوى يضع الحديث الأدبى » وأوردت حديث (العلانية) وتركت القضاء للوقت حتى يثبت أو ينفى . وفى هذا الأسلوب فى النقد الإنصاف كله . وبنيت على الشك والفرض لأنى لم أقف على (كتاب وفود النعمان على كسرى) ، ولم أجد رواية صحيحة تهدينى إلى الحق فى أمر النسبة . وإذا عز اليقين ظننا . وليس ظن الناقدين والباحثين فى العلم من الظنون التى ذمها (الكتاب) ، ولم أقصد زراية على القاضى فى كل ما خططت . وليست صفاته الطيبة بما نعته أن يضع ، فقد كان الوضع فى الحديث والأخبار والأشعار شرعة القوم . وهناك كثيرون من الواضعين هم أقضى من الزبير بن بكار وأتقى وأكبر وأشهر . وهذا بحث طويل أدعه اليوم فله زمان سيظهر فيه إن شاء الله

وقلت : هل ابن بكار صاحب كتاب وفود العرب على كسرى هو الصائغ . ولم أقل هل ابن الكلبى صاحب (كتاب الوفود[1]) هو الواضع لأسباب :

١ – عبارة الخبر أقرب إلى زمان ابن بكار ، وأسهل من عبارة ابن الكلبى

٢ – وضوح التسمية

٣ – تنسيق فى الخبر جلبه الوقت وارتقاء التأليف فقد كاد يكون رواية تمثيلية ، وقد أنشأ أديب عصرى منه رواية

٤ – لم أجد الخبر فى كتاب (الأغانى) ولم يرو أبو الفرج منه شيئاً ، ولم يشر إليه فى مكان ، والظن أن لو رآه فى (كتاب الوفود) ما كان فاته . وقد روى من دواهى ابن الكلبى ما روى

وأما عزو الخبر إلى ابن الكلبى أو أمثال ابن الكلبى[2] فهذا من براعة كل واضع بعده فقد اشتهر الرجل فى الأخبار والأسمار والأنساب ، والمنعنة أول شرط لمن يضع . والرواة المتقدمون كثيرون فلكل صائغ أن يربط خبره بمن أحب . فأبو حيان التوحيدى حين اتكل على الله وزخرف رسالة أبى بكر إلى على[3] (رضوان الله عليهما) أسندها إلى القاضى أبى حامد المروروزى يرويها عيسى بن دأب عن صالح بن كيسان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن أبى عبيدة بن الجراح

وهذا الإمام أبو بكر بن دريد ربط كثيراً من أساطيره المبثوثة فى كتاب (الأمالى) لأبى على القالى بابن الكلبى وربط طائفة منها بغيره . فما عزاه إلى هشام هذا أسطورة ما وقع من المفاخرة بين طريف بن العاصى الدوسى والحارث بن ذبيان عند بعض مقاول حمير ، وأسطورة ما وقع بين سبيع بن الحارث وميثم بن مثوب من المخاصمة بمجلس مرثد الخير وأسطورة حديث خنافر الحميرى مع رئيه شصار . وعزا أبو بكر غير ذلك من الأخبار إلى ابن الكلبى . ومما رواه عن العتبى عن أبيه (خبر غسان بن جهضم مع ابنة عمه أم عقبة) وهو رواية (Roman) ختمت حوادثها بالانتحار كما نشاهد فى روايات غربية تمثيلية

(*) تراجع الرسالة ٦٢٤ و ٦٢٦

(١) فى طبعة عندى (الوقود) بالقاف واليقين إنها الوفود

(٢) ابن القطامى فى الخبر هو قنطرة بين من وضع وبين ابن الكلبى

(٣) هى التى أولها : (البحر مغرقة والبر مفرقة) وقد رواها ابن أبى الحديد (المجلد ٢ ص ٥٩٣) ثم قال : الذى يغلب على ظنى أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع وإنه من كلام أبى حيان التوحيدى لأنه بكلامه ومذهبه فى الخطابة والبلاغة أشبه . وهذا كلام عليه أثر التوليد ليس يخفى . . ومن تأمل كلام أبى حيان عرف أن هذا الكلام من ذلك المعدن خرج ... (قلت) : ابن أبى الحديد يقبل ويرفض ، ويذكر وينسى وقد حاسبناه وسنزيد ...

وللأرجانى قصيدة وصف فيها من حيوان الصيد الطير والفهود والكلاب . مطلعها :

ولما نضا الأفق برد الظلام ساروا إلى خيلهم باللجم

وهى قصيدة ممتعة

وللشعراء أساليب فى وصف آلات الصيد والحيوانات التى تصاد لا يتسع المقال للتمثيل لها

وأبرع شعر الصيد ما وصف أفعال الصيد من الإحاطة بمواضع الصيد وحشر الوحش إلى المضايق ، ثم تسليط الحيوان والآلات عليها ، والعلاقة بين الصائد والمصيد ، وظفر الصائد بطلبته ، ونحو هذا . وفى شعرنا من هذا الضرب صور عجيبة رائعة نعرض فيما يلى صوراً منها .

(الكلام بقية)

عبد الوهاب عزام

١٠ ٠ ٢١

وأساطير ابن دريد فى الأمالى كلها هو أبوها وأمها . وقد قلت ذات مرة للعلامة الأستاذ الكبير أحمد أمين بك : هذه الأخبار التى أنشأها ابن دريد ورواها أبو على فى أماليه مصنوعة فقال (حفظه الله) : الذنب ذنب الناس هو قدمها أساطير وهم أخذوها حقائق أو كما قال

وأنا أسأل فى هذا المقام : هل أملى ابن دريد فى مجالسه هذه الأخبار على القالى وغيره من تلاميذه أساطير مصنوعة معلناً ذلك كما أملى البديع الهمذانى وابن الحريرى مقاماتهما فلما رواها أبو على فى كتابه تلقفها الناس أحاديث صحيحة ، والتبس الأمر ؟

وأما الصواغ العظيم ابن الكلبى فهذا مما قيل فيه :

وهشام بن محمد بن السائب الكلبى أبو المنذر الإخبارى النسابة العلامة روى عن أبيه أبى النضر الكلبي المفسر وعن مجاهد ، وحدث عنه جماعة . قال أحمد بن حنبل : إنما كان صاحب نسب وسمر ما ظننت أن أحداً يحدث عنه ، وقال الدارقطنى وغيره : متروك ، وقال ابن عساكر : رافضى ليس بثقة . ابن الكلبى عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس : وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً قال : أسر إلى حفصة أن أبا بكر ولى الأمر من بعده وأن عمر واليه من بعد أبى بكر ، فأخبرت بذلك عائشة رواه البلاذرى فى تاريخه . وهشام لا يوثق به وقيل : إن تصانيفه أزيد من مئة وخمسين مصنفاً ، مات سنة أربع ومئتين[1] »

وابن عبد ربه الذى نقل حكاية الوفد الكسروى مصدقها هو الذى روى خبرى (وفود عبد المسيح على سطيح ووفود قريش على سيف بن ذى يزن) مؤمناً بهما ، وهذان الخبران يوضحان حالها ، وينبئان بصدقهما . ويناديان أنهما قد سبقا فى الصحة والتحقيق خبر وفود النعمان وإضامته (جماعته) التى أوفدها على شاهنشاه لتثرثر قدامه متنفجة . ومن روى غير هياب تينك الأسطورتين روى هادئ البال الأسطورة النعمانية الكسروية ، وقد قلت من قبل[2] فى سطيح وصاحبه شق قولى ، فليعاود من أراد تلاوته . وهذا مما جاء فى قصة وفود قريش ، ذروايته محسبة كافية لا تسأل نقداً ولا تقييداً

« ... ثم انتبه (سيف) إليهم انتباهة ، فدعا بعبد المطلب من بينهم ، فخلا به ، وأدنى مجلسه ، وقال : يا عبد المطلب ، إنى مفض[1] إليك من سر علمى أمراً لو غيرك كان لم أبح به ، ولكنى رأيتك موضعه فأطلعتك عليه ، فليكن مصوناً حتى يأذن الله فيه ... إنى أجد فى العلم المخزون والكتاب المكنون الذى ادخرناه لأنفسنا ... خبراً عظيما ... فيه شرف الحياة ... للناس كافة ولرهطك عامة ولنفسك خاصة . قال عبد المطلب : ما هو ؟ فداك أهل الوبر قال ابن ذى يزن : إذا ولد مولود بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الإمامة إلى يوم القيامة . قال : أبيت اللعن . لولا إجلال الملك لسألته أن يزيدنى فى البشارة . قال : هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جده وعمه ... والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، ... يفتتح كرائم الأرض ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، يخمد الأديان ... ويكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن . قال : فهل الملك يسرنى بأن يوضح فيه بعض الإيضاح ، قال : والبيت ذى الطنب والعلامات والنصب[2] إنك يا عبد المطلب لجده من غير كذب قال عبد المطلب : أيها الملك ، كان لى ابن كنت له محباً ... فزوجته كريمة من كرائم قومه يقال لها آمنة بنت وهب ... فجاءت بغلام بين كتفيه شامة ، فيه كل ما ذكرت من علامة ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه ، قال ابن ذى يزن : إن الذى قلت لك كما قلت ، فاحفظ ابنك ، واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ... »

وسيد هذا الوجود ومعناه مستغن بالله وبكتاب الله عن تكهن المتكهنين ، وصوغ الصواغين ، وزخرفة محدثين

وسند ابن عبد ربه فى هذا الخبر : « نعيم بن حماد قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى . قال : قال ابن عباس »

وقد روى هذه الأحدوثة أبو الفرج فى أخبار أمية ابن أبى الصلت وسند « كتاب عبد الأعلى بن حسان قال حدثنا الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس » ، وحدث أبا الفرج به محمد ابن عمران بإسناد ليس يحفظ الاتصال بينه وبين الكلبى فيه كما قال

وأبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى هو الذى أفاد أدباء العرب وكتابهم وشعراءهم ، وشهر أمتنا وخلفاءها ورجالها برواياته المزخرفة[3] . (لا سامحه الله !) (له)

(١) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال جـ ٣ ص ٢٥٦
(٢) الرسالة ٢٤٩ ص ٦٠٥ السنة ٦

(١) فى الطبعات (مفوض) واليقين أنها مفض أفضى إليه سره وبسره أعلمه به .
(٢) يحاف فالم الغيب بالعلامات والنصب فياليت المختلق قوله قسما غيره
(٣) هو ناقل ، ولكن ذنب الراوى مثل جرم القائل

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

جاذبية الشواطئ المصرية — أعجوبة الأعاجيب

جاذبية الشواطئ المصرية

من الواضح أنى لا أستطيع الإجابة عن جميع أسئلة القراء، ولو أنى استطعت ذلك لتحولت مقالاتى إلى موضوعات يغلب عليها الضجيج، ومع ذلك فسأرد على الأستاذ أحمد فتحى القاضى، لأنه احتكم إلى الشريعة فى وجوب رد التحية، ولأن الرد عليه يوضح مشكلة تحتاج إلى توضيح

والأستاذ غاضب على ما وقع منى فى الدعوة إلى الاصطياف، ويقول إن كلامى فى التغنى بجاذبية الشواطئ لم يقع من أهل الصعيد موقع القبول، ويصرح بأنه كان ينتظر أن أكون من الثائرين على حياة الشواطئ، وقد صارت ملاعب للنساء العاريات، كما قال!

وأقول إنى أحترم عواطف قرائى كل الاحترام، ولكن مذهبى فى الأدب يأبى علىّ أن أبحث عما يُرضى قرائى، فالغاية عندى هى الصدق فى التعبير عما يختلج فى صدرى، ويطمئن إليه قلبى، ولو كان فيه ما يغضب جميع القراء... ألم أقل لكم إنى لست أسيراً للوطن ولا أجيراً للمجتمع؟

وما ذا أصنع إذا كنت أومن بأن الشواطئ المصرية من أجمل ما خلق الله؟

ما ذا أصنع وأنا أعتقد أن زيارة الشواطئ المصرية تزيد فى قوة العقل والفكر والذوق؟

وهل يرضينى أن أفعل ما يفعل الشيخ أبو العيون وهو يتوهم أن زيارة الشواطئ تفسد الأخلاق؟ إن الشيخ أبو العيون يغرق فى كوز ماء فكيف نسمع كلامه فى البحر المحيط؟

هل تعرفون أن الشيخ أبو العيون لم ير الشواطئ مع أنه يعيش فى الأسكندرية منذ سنين، ومع أنه أبو العيون؟

آن الوقت لأن نُسمع هذا الرجل الطيب كلمة الحق. آن الوقت لأن ننهاه عن النغض من حياة الشواطئ وهى نعمة عظيمة من بها المنعم الوهاب على أهل هذه البلاد

هذا الرجل الطيب يتكلم باسم الدين، فهل يستطيع أن يدلنى لأى حكمة خلق الله تلك الشواطئ بذلك المهاد الجميل؟

هذا الرجل الطيب يعرف أن السباحة رياضة بدنية، وهو مع ذلك يعجز عن السباحة فى الخيال

نفرض أن حياة الشواطئ تفتن بعض الناس، فهل يجب أن نقتلع الجذور من كل جمال يدعو إلى الفتون؟

ما رأيه فى القمر وقد قيل إنه يهيج الصبوات؟

أنجرد حملة لإسقاط القمر من أفق السماء؟

ما رأيه فى الأزهار وقد قيل إن عطرها يوقظ الشهوات؟

أنجتث كل شجرة مزهرة لتنام عيون أبى العيون؟

الآذان تؤهل لسماع النمائم، فهل نصلم جميع الآذان؟

والجسم السليم يؤهل للمعاصى، فهل نحول الخلائق إلى مهازيل ومعاليل؟

كل نعمة تعرض صاحبها لمتاعب أخلاقية، فهل نطلب زوال النعم لتستقيم الأخلاق؟

إن أبا العيون الواعظ يحتاج إلى واعظ، فأنا أخشى أن يغضب الله عليه إن استمر على هذا الأسلوب، من الوعظ المقلوب

أفى الحق أن الشواطئ ليست إلا مباءة رجس وخلاعة ومجون؟

أهذا كل ما يتصور الباكون على الأخلاق بدموع التماسيح؟

أين إذاً الشعور بجلال الله وجمال الوجود عند زيارة الشواطئ؟

أنتم تدعوننا لزيارة المقابر لنتعظ، ونحن ندعوكم لزيارة الشواطئ لتهتدوا

ضميرى لا يسمح بأن أرائى قرائى، فليسمعوا كلمة اللوم على غفلتهم عن الاصطياف، وليسمعوا كلمة الصدق فى دعوتهم إلى تنسم هواء البحر من حين إلى حين

أما الخوف من اللؤلؤ المنثور فوق الشواطئ فعلاجه سهل، وهل يصعُب عليكم أن تدخلوا الشواطئ بلا عيون؟

عندكم الأقنعة الواقية، وقد وزعتها عليكم الدولة بالمجان منذ سنتين، فالبسوها عند زيارة الشواطئ، لتكونوا فى أمان من سِحر الجمال

ولكن تلك الأقنعة فيها ثقوب تطل منها العيون، فماذا تصنعون؟

الرأى أن تظلوا فى مراقدكم ، وأن تتركوا هواء البحر ورمال الشواطىء لعقلاء الأجانب

ما ذا يقول أحفادنا إذا قرأوا هذه الكلمة وعرفوا أن الاصطياف كان معضلة تختلف فيها الآراء ؟

لو كانت الشواطىء المصرية بأيد غير أيدينا لأصبحت فراديس تصبو إليها نجوم السماء ، فما يمكن أن تكون فى الدنيا شواطىء فى سجاحة الشواطىء المصرية ، ولا يمكن أن تنعم بلاد بمثل ما ينعم به أهل هذه البلاد من شواطىء تفوق الإحصاء

وما ذا يرى الرأى فى الشواطىء ؟

قالوا إنه يرى أجساماً عارية

الآن فهمتُ وفهمت ، فقد طال غرام الناس بالتحجب والرياء ، لأن اعوجاجهم فى ضمائرهم فرض عليهم أن يعيشوا فى أسر الأثواب

الكلمة الصريحة لا تصدر إلا عن صاحب الرأى الصريح

والجسم العارى لا يتخايل به غير صاحب الجسم الجميل

والمصريون فكروا فى التزود من جميع الثقافات ، وأهملوا الثقافة الجسدية ، فما الذى يمنع أن يكون فى الشواطئ تذكير بما للجسد من حقوق ؟

فى رؤية اللاهين فوق رمال الشواطئ درس ينفع من تركوا أجسادهم بلا تثقيف ، وهو درس يحتاج إليه الشيخ أبو العيون

يجب أن نرى العراة فوق الشواطئ لنتذكر جنايتنا على أجسادنا بترك الرياضة البدنية !

هل تذكرون السيدة التى أثنت على القرار الخاص بتخصيص أحد الشواطئ لاستحمام النساء ؟

هى سيدة لا تستطيع البروز بلباس البحر ولو كان جوازاً إلى دار الخلود !

أكتب هذا الكلام وأنا أعرف أن أناساً من خلق الله سيعترضون ، كما اعترض المحامى الذى راسلنى من منفلوط ؛ أكتب هذا الكلام وأنا أعرف أنه يصورنى ظلماً بصورة الماجنين ، مع أنى صادق كل الصدق فيما أقول ، فالشواطئ المصرية نعمة من نعم الله ، وما يقع فيها من الشر لا يقاس إلى ما تسوق من منافع الخير الصحيح

لو شئت لعتبت على قرائى : فالشاعر أحمد المجمى يقول إنى مجّدت الإسكندرية أعظم التمجيد ، فهل زار الإسكندرية ليراها بعينى ؟ والمحامى أحمد القاضى آذاه كلامى عن الإسكندرية فهل زارها ليعرف حقيقة كلامى ؟

زوروا الإسكندرية ، وقفوا لحظات أو ساعات بمحطة الرمل

كان أبعد سفر عند أهل الصعيد هو زيارة طنطا فى مولد السيد البدوى ، فهل أستطيع نقل أهل الصعيد إلى زيارة أبى العباس المرسى ؟

إن كانت الدعوة إلى الحياة خلاعة ومجوناً فأنا راض بأن أضاف إلى الخلعاء والماجنين ... وهل يؤذينى الظن الآثم ، والجهل الطائش ؟

أنا أدعو إلى الحياة . أنا أدعو كل مصرى إلى تذوق الجمال بكل بقعة من بقاع هذا الوادى الجميل

فى السماء رزقى ، فما خوفى من أهل الزور والبهتان ؟

أعجوبة الأعاجيب

هى أن تكتب كلمة يفهمها جمهور القراء على الوجه الصحيح ثم تستغلق على محرر مجلة أسبوعية فيؤولها أسوأ تأويل ، وتكون النتيجة أن يبنى عليها أحكاماً أوهى من بيوت العنكبوت ، وهو يتوهم أنه غاية فى اللوذعية والذكاء

ولهذه الأعجوبة قصة غريبة ، فقد كنت كتبت فى رثاء تقلا باشا سطوراً أبرزت بها خصائصه الذاتية ، الخصائص التى جعلت حياته قدوة لرجال الأعمال ، وكان الروح الذى يسود تلك السطور يفيض بمعانى العدل والإنصاف والإجلال ، وإن خلا من الندب واللطم والصراخ ، على نحو ما صنع المحرر لتلك المجلة الأسبوعية

كان الظن أن يفهم بعض خلق الله أنى أرثى تقلا باشا فى مجلة الرسالة ، والرسالة تترجم من ترثيهم ، فجوها يصلح للترجمة ولا يصلح للبكاء ، وهل يحتاج تقلا باشا إلى من يبكيه ؟ إنما يحتاج مثل هذا الرجل إلى من يظهر الشمائل التى وصلت به إلى أن يكون فى الطليعة بين رجال الصحافة فى الشرق ، وليس ذلك بالجد الضئيل ، حتى نكمله بالتوجع والتفجع والأنين

ولكن ذلك المحرر رأى بذهنه الثاقب أن كلمتى تحتمل التأويل ، فانتهز الفرصة وتقرب إلى أقطوب صاحب « الأهرام »

بالشفقة المكذوبة والود المدخول ، فزعم أنى هجمت على ميت ، ثم تطاول فقال كلاماً يدل على أدبه الجيل

وأردت أن أصحح خطأه فكتبت كلمة تصحيح ، ولكنه عاند عناداً يقبل ممن يكون فى مثل عقله فألقاها فى سلة المهملات ، لأنى هددته بنشر ما اعترض عليه ، عسانى أجد الفرصة لتقويم بعض المحررين

وأحب أن أعرف ما هى الغاية من الإيقاع بين الناس ؟

قلت لذلك المحرر : إن لى أصدقاء فى جريدة الأهرام على رأسهم أنطون الجميّل وكامل الشناوى وعوض جبريل ، فكيف يسيغ ذهنك أنى أستبيح إيذاء أولئك الأصدقاء فى مناسبة لا يجوز فيها إيذاء الأعداء ؟

وقلت لذلك المحرر : إنى لا أهجم إلا على الأقوياء من الأحياء ، فكيف أهجم على ميتٍ لا أذكر أنى عاديته لحظة من زمان ؟

وقلت لذلك المحرر : إنى رثيت تقلا باشا وأنا أتمثل ما عانَى فى حياته الصحفية ، فما يجوز أن أقول فيه غير الجميل ، وإن التبس كلامى عليك

وقلت لذلك المحرر : إن لتقلا باشا أقارب من أصدقائى فى القاهرة وبيروت ، وأنا أتحيز دائماً لأصدقائى ، فليس من المعقول أن أوذيهم فى مثل هذا المقام الحزين

وبرغم هذه الشروح أصرّ المحرر على إغفال كلمة التصحيح ، فما الأخلاق عندكم يا محررى بعض المجلات الأسبوعية ؟

ما الأخلاق عندكم وقد أهمل ذلك المحرر رجائى فى أن لا يدس بينى وبين ناس محزونين ؟ وما هذا الإفك فى الإفساد بين الناس ؟

أنا حاضر لمخاصمة جريدة الأهرام ، ولكنى أرفض أن يقال إنى أخاصم صاحبها فى غداة الموت ، وليس لحىّ بقاء

وما قيمة التودد لجريدة الأهرام بمثل هذا الدس الممقوت ؟

أيكون لجريدة الأهرام قوة سحرية تمنع العواقب المقدورة على الدساسين ؟

القدرة الصحيحة هى قدرة الحق ، فما شأنك يا كاتباً أفلس فلم يجد زاداً غير الوقيعة بين كرام الرجال ؟ ما شأنك ولن تكون كاتباً ولو سودت وجهك بالمداد فى ألوف من السنين ؟

ما عتبى عليك ، وقد نصحتك فلم تنتصح ، بعد أن رأيت ما صنعت بنفسك ، يوم صورت شعورك بأول غارة جوية ؟

ما عتبى عليك ، وقد خاب أملى فيك ؟

لقد فكرت فى أن أشرح لك العبارة التى عجز عن وعيها فهمك ، ولكنى خفت أن تعجز عن فهمها بعد الشرح

وقد فكرت فى النص على المجلة التى تتسع لأوهامك وأحلامك ، ولكنى ترفقت فلم أدل على مجلة كان زادها ولن يزال من عبث الأطفال

إن كلمتى فى رثاء تقلا باشا كلمة حق ، لأنى رثيته باسم الحق ، فما قيمة كلماتك فى رثائه وأنت ترائيه فى الحياة وبعد الممات لغايات ؟

عفا الله عنك يا فلاناً بالمجلة الفلانية !

ونفعك الله بهذا الدرس البليغ !

زكى مبارك

الكأس المسمومة

للأستاذ سيد قطب

أفلاكِ أفلاكِ كالشيطان أفلاك   أفلاك كالسم يسرى جدّ فتاكِ
أفلاك : إنك فى نفسى وفى زمنى   وفى حياتى أفعى ذات أشواكِ
سممت عيشى وأحلامى وأخيلتي   وأنت شيطانة فى سمت أملاك
وعشتُ أرعاك فى قلبى وأنت بلا   قلبٍ يحس ويرعى كيف أرعاك
من أنت ؟ ا أنت ؟ إنى حائرقلق   أأنت أسطورة فى سِفرِ أفاكِ ؟

أنسى الليالى التى قضيتُها قلقاً   وأنتِ ساكنةٌ راضٍ مُحيّاك
أنسى الدموع التى أرسلتها غدَقاً   ولست لولا هواكِ المرُّ بالباكى
وكبريائى التى ما كنت أخفضها   من قبلُ أو بعدُ فى دنياى لولاك
أنسى . وأذكر أحلامى وأخيلتى   كأنهن نجوم بين أحلاكِ
وكلهن نسيجُ الوهم فى خلدى   ولسنَ غيرَ أحابيلٍ وأشواك

أفلاك ؟ ليت ! فإنى لست أفلاك   أهواك ؟ ليت ! فإنى لست أهواك
أهوَى وأقلَى وأيامى موزعة   بين الهوى والقِلى كالضاحك الباكى
هذا الرحيق وهذا السم قد مزجا   ولست أروَى بكأسٍ غير ريّاك
هاتى لىَ السمّ صرفاً لا يمازجه   هذا الرحيقُ فإنى لستُ بالشاكي
ملئتُ كأسكِ لا ألتذ نشوتها   ولا أحطمُها تحطيم سفاك

الأدب والسينما

للأستاذ دريني خشبة

استدرك أحد كرام القراء فنشر فى الرسالة تعليقاً على مقالى عن صحفنا الممتازة نفى فيه صلاحية السينما للأدب لانقطاع العلاقة بينهما فى زعمه ، وربما حدا به إلى هذا الرأى ما يظنه من أن الأدب إنما ينبغى أن يكون أسلوباً وتعبيراً كلامياً قبل أن يكون موضوعاً ، وإن لم يصرح بهذا فى الكلمة التى نشرتها الرسالة له . والعجيب أن يأخذ الكثيرون بوجهة النظر هذه فى العلاقة بين الأدب والسينما ، ولست أدرى ماذا تكون الرواية السينمائية إن لم تكن أدباً يختلف فى أدائه من الأدب المسرحى كما يختلف فى أدائه أيضاً من أدب القصة . ومعظم المتأدبين العرب ممن لا يعرفون الآداب الأجنبية ينظرون إلى الأدب فى هـذه الحدود الضيقة التى لا تخرج به عن المقالة أو القصيدة أو العظة القصيرة أو الرسالة أو المقامة أو ما شابه ذلك مما تحويه كتب الأدب العربى ، وقد مضت قرون طويلة قبل أن تدخل القصة فى أدبنا ، وإن تكن قد دخلته هذا الدخول المقدس عن طريق القرآن الكريم والأحاديث القدسية وعن طريق رواية أخبار المتقدمين ، تلك الرواية التى هى إلى التاريخ أقرب منها إلى الأدب ؛ فما دخلت القصة فى الأدب العربى عن طريق الترجمة فى العصر العباسى بكتاب كليلة ودمنة ، ثم بكتاب ألف ليلة فيما بعد ، لم تحفل بهـا تلك الطبقة المثقفة التى كانت مشغولة بالعلوم الدينية ورواية أشعار العرب عن كل شىء والتى كانت تعد كل شىء غير العلوم الدينية ورواية أشعار العرب وكل ما يصح أن تؤيد به الكتاب والسنة من فلسفة أو أثر لغوى ، عبثاً لا طائل وراءه ولا خير فيه ، ولذلك فشا كتاب ألف ليلة بين العامة الجاهلة وانصرفت عنه الخاصة المستنيرة ، كما حبس كليلة ودمنة على تأديب أبناء الملوك والخاصة من الوزراء ، فلم ينتشر فى دائرة واسعة من طبقة الأدباء التى كان يحتمل أن تقلد ما فيه أو تنشئ على غراره ، وتولى أدباء من المصريين والمغاربة تأليف قصص على نهج ما جاء فى ألف ليلة ، فحشدوا لها أساطير الجن والسحر ، وداعبوا بها الغرائز الجنسية ، مما يفتتن به غير العامة ، ويأنف من قراءته الخاصة ، ثم ألفت الملاحم العربية والمصرية على نحو المبالغة والتهويل كان سبباً فى استعلاء الخاصة عنها كذلك . وهكذا ظل أدب القصة غريباً على الأدب العربى حتى عصرنا الحديث الذى ترجمت فيه بعض الروائع من قصص العرب فأظهرتنا على الفرق الشاسع بين أدبنا والآداب الأوربية ... أدبنا القليل الغور ... أدبنا الممزق الذى لا تمسك أجزاءه وحدة ، والآداب الأوربية العميقة المتماسكة ، ثم كان أن أقبل بعض كتابنا على تأليف القصص فنجح منهم عدد غير قليل ، وإن كانت القصة الطويلة التى تضارع القصة الأوربية لم تدخل فى أدبنا بعد ... على أن الرواية التمثيلية ظلت بمنأى عن الأدب العربى على الإطلاق ، إلا ما حاوله بعض أدبائنا المجتهدين إبان نهضتنا التمثيلية من تلك الدرامات الفجة المسجوعة السمجة التى كانت تؤديها بعض فرقنا الإقليمية . ثم حاول بعض أدبائنا الجدد أن يغذوا المسرح المحلى بقطع من إنتاجهم ، ولم يكادوا يفعلون حتى ثبط هممهم بخس مديرى الفرق لجهودهم وعدم تشجيع الحكومة لهم ، ولأن الحركة المسرحية المنظمة التى من همها خدمة اجتماعنا وخدمة لغتنا وآدابنا لم تخلق بعد . فانصرف الأدباء عن التأليف المسرحى غير مأجورين ولا مشكورين ، بل انصرفوا والحسرة تملأ نفوسهم ، والغيظ يشق مرائرهم . وهذا كله هو الذى حفزنا إلى الدعوة للأدب المسرحى ، والإهابة بكل من يستطيع مؤازرتنا أن يعضدنا فى هذه الدعوة ، وأن يضم جهوده إلى جهودنا ، عسى أن تستيقظ وزارة المعارف وأن تنتبه وزارة الشئون ، فتعلما أن النهضة المسرحية هى أساس كل نهضة اجتماعية ، وأنها تخدم لغتنا وأدبنا وثقافتنا بمـا لا يستطيع أن يخدمها به شىء آخر . ولما كانت السينما اليوم أكثر انتشاراً فى مدننا من المسارح ، ولما كانت لهذا السبب أبعد خطراً فى نفوس الجماهير منها وجب ألا تقل عنايتنا بها عن عنايتنا بالمسرح ، ووجب أن نلفت أنظار الأدباء إلى الإنتاج السينمائى بقدر ما نلفتهم إلى الإنتاج المسرحى ، لأن الغاية واحدة وإن اختلف الأداء ، ولأن الأديب وحده هو الذى يستطيع أن

يضطلع بتأليف القصة المحبوكة الشائقة التي هي المدين الأول للرواية السينمائية ، تلك القصة التي يتولى إعدادها (عمل السناريو منها) للسينما فنان آخر غير المؤلف ، بحيث يكيفها تكييفاً لا يخرج بها عن الأصل قط وإن رتبها الترتيب السينمائي الذى لا بد منه لكمال هذه الصنعة ، فالقصة السينمائية من الوجهة الموضوعية أدب محض ، ثم هي أدب محض من حيث أسلوبها كذلك ؛ وهي ، وهم يشترطون أن يكون واضع السناريو من القصة الأدبية أو الدرامة المسرحية للسينما أديباً واسع الاطلاع له إلمام تام بأساليب الكتابة وأساليب الحوار على السواء ، كما ينبغى أن يكون قديراً فى دراسة الأشخاص متبحراً لذلك فى علم النفس ، بحيث يستطيع أن يفهم روح المؤلف الذى تعتبر القصة قطعة من نفسه ومرآة لفنه . ولذلك ترى القصة التي تعد للسينما عملاً أدبياً صرفاً من كل وجوهه ، بل هو عمل أدبى يصدر أولاً عن روح المؤلف ، ثم يتعاون فى إعداده واضع السناريو ثم المخرج ثم المصور ثم هذا الجيش العرمرم من العمال والمهندسين الذين يحسن ، بل يجب أن يكونوا ممن يتفهمون الأدب ويسيغونه لأنهم شركاء فى إنضاج هذه الثمرة الأخيرة التي تعرض على الشاشة البيضاء ، فإما أن تنجح كعمل أدبى وإما أن يقضى عليها بالفشل الذريع

فالمباعدة إذن بين الأدب وبين السينما وهم لا أصل له . ثم هو وهم أقصى عن التأليف للسينما كبار كتابنا وأحسن قصاصينا ، وإلا فما ذا كتب للسينما طه حسين ومحمود تيمور ولاشين ومحمود كامل ويوسف جوهر وتوفيق الحكيم ، ومن إليهم من الأدباء الشباب والأدباء الكهول على السواء ؟ لقد انصرف هؤلاء عن التأليف للسينما ، فكانت النتيجة أن وكلت شركات الصور إلى مؤلفى الدرجة الثانية كتابة قصصهم ، وكانت النتيجة أيضاً تلك الأشرطة المخزية بموضوعاتها وإخراجها وتهريجها ... وغاب عن أئمة كتابنا أن أدب هذه الأشرطة هو الذى يمثل اليوم أدب القصة المصرية فى الداخل والخارج أمام ملايين المتفرجين ، وهو تمثيل يضع أدب القصة المصرية السينمائية فى الوحل ، وينشر ضدنا دعاوة سيئة بين شعوب شقيقة كانت تقدرنا أحسن التقدير فانتهت إلى الرثاء لنا إن لم تكن السخرية بنا . ومما يدعو إلى الأسف أن يضطر الإنسان إلى تسجيل انصراف طبقة كبيرة من المصريين المثقفين الممتازين عن شهود الروايات المصرية التي تعرض فى دور السينما المختلفة . وذلك لما بلوه مراراً من انحطاط موضوعاتها وضعف تأليفها ، وبُعد الشقة بينها وبين الأفلام الأجنبية التي تغذو سوق السينما المصرية وتنهب أموال المصريين نهباً تستحقه أحياناً ولا تستحق منه مليما أحياناً كثيرة . . . والجيد من تلك الأفلام يفضح صناعة السينما فى مصر بقدر ما يفضح المؤلفين المصريين . وهذا الجيد كثير جداً مع الأسف ، وهو يعرض علينا ألواناً رائعة من الأدب الأمريكى والأدب الإنجليزى والأدب الفرنسى والأدب الروسى ، ومن سائر الآداب العالمية التي اشتهرت بثروتها فى القصص والدرامة بقدر ما اشتهر الأدب العربى فى هذه الناحية ، ذلك الفقر الذى عللناه فى صدر هذا المقال ، والذى لا يريد كبار أدبائنا إنقاذنا منه وستر فضيحتنا فيه ... ولست أدرى لماذا لا يتصل كبار أدبائنا بالسينما والتأليف السينمائى ؟ ولست أدرى كذلك لماذا لا يتصل مديرو الشركات السينمائية بهؤلاء الكتاب الكبار يغرونهم بالمال الوافر والثراء الجم والربح الكثير إذا هم كتبوا لهم قصصاً طويلة تمثل حياتنا وتصورنا التصوير الصادق الذى لا يعرف الشعبذة ولا يدنو من التهريج ولا يفضحنا بين الأمم . إن شركات كثيرة فى مصر تستطيع أن تسيل لعاب أحسن كتابنا بخمسمائة أو بألف من الجنيهات ثمناً لقصة يكتبها فى شهر أو شهرين أو فى ثلاثة أشهر ... ومن قصصنا الجاهزة عدد كبير يصلح جداً للعرض السينمائى ، وهو غنى بموضوعاته ، عظيم بأسلوبه ، ثم هو بحالته الراهنة يصور من الحياة المصرية ألواناً مختلفة صادقة بحيث يزرى بمثات من الروايات الأجنبية السمجة التي تغير تقاليدنا ، وتفتك بأخلاقنا ، وتشيع فى نفوس شبابنا الرخاوة والطراوة والاستخذاء . يجب أن يدرك كل أديب مصرى وطأة استعباد الأفلام الأجنبية لنا ، ويجب أن يتعاون الأدباء مع الشركات فى إنقاذنا من نير الأدباء الأجانب الذين يفرضون ثقافتهم وأفكارهم علينا ، بكل ما فى هذه الثقافة وتلك الأفكار من مزايا وأضرار ، والذين ينسخون أدبنا القومى الناشىء بآدابهم الفنية الناضجة . . . إننا نحمى الصناعات المحلية

الناشئة بزيادة المكوس ، فلا أقل من أن نحمى إنتاجنا الأدبى بإغراء كبار الكتاب عندنا بالمساهمة فى التأليف السينمائى ، وإقناع الشركات المصرية بمضاعفة الأجور لهؤلاء الكتاب حتى يرفعوا مستوى القصة السينمائية ويجنبوها هذا الإسفاف الذى ينتهى إلى الرثاء والسخرية ، وانصراف الطبقة المستنيرة عن شهود الروايات المصرية . . . على أن داعى الوطن واللغة والأدب كان ينبغى أن يقنع هؤلاء الكتاب وتلك الشركات بأن يسووا المسألة بينهم فيخدموا الوطن واللغة والأدب مخلصين ، كما كان ينبغى أن ينظر إلى القضية من زاويتها الاقتصادية أيضاً ، إذ أصبح من أشد الجهل أن تتعامى الدولة وتتعامى الأمة عن هذه الألوف الضخمة من الجنيهات التى تسلك سبيلها من جيوب المصريين إلى جيوب شركات السينما الأجنبية ، تلك الألوف من الجنيهات التى كان ينبغى أن يكون لأدبائنا وشركاتنا كِفل كبير منها إن لم يكن ينبغى أن يكون لهم معظمها ... إن معظم دور السينما فى القاهرة والأسكندرية وفى كثير من مدن الأقاليم هى دور أجنبية ونحن نشهد تلك الجموع الزاخرة من علية المصريين التى تتردد على تلك الدور يومياً ، وبالرجوع إلى دفاتر ضريبة الملاهى نعلم أن متوسط دخل إحدى دور السينما بالقاهرة يرتفع مرات كثيرة إلى خمسمائة جنيه مصرى كل يوم أى إلى خمسة عشر ألفا من الجنيهات شهرياً ، وفى القاهرة أربع من دور السينما يقرب إيرادها اليومى من هذا المستوى ، فإلى جيوب من تذهب هذه المبالغ الضخمة ؟ إنها تذهب إلى جيوب الأجانب ، وقل أن ينتفع المصريون منها إلا بأجور الخدم ! فأى هوان ينزل بالقومية المصرية والكرامة الوطنية بعد هذا الهوان ؟ هذا فى الوقت الذى يتضور فيه كثير من أحسن أدبائنا جوعاً ... وفى الوقت الذى يهدد فيه كبار الممثلين بهجر المسارح ... من أجل أزمتهم المالية ... ونحن لا ننكر أننا المسئولون قبل غيرنا عن هذه الكارثة ، والمسئولية موزعة على الدولة والأدباء والشركات ... فالدولة مقصرة لأنها تهمل المسرح المصرى على النحو الذى بيناه فى مقالاتنا الكثيرة السابقة ، والأدباء مقصرون لأنهم لا يساهمون فى التأليف القصصى والتأليف المسرحى ، وهما دعامتا الإنتاج السينمائى ، والأدباء الكبار يتركون للكتاب الصغار الذين لا يعرفون من فن القصة ولا فن الدرامة شيئاً مهمة إمداد السينما المصرية الناشئة بقصصهم المريضة الهزيلة ، والشركات السينمائية مقصرة لأنها كانت تستطيع أن تنازل أدباءنا الكبار بشطر من أرباحها الوفيرة فينتجوا لها القصص الشائقة التى تضاعف مكاسبهم وترتفع بمستوى الشريط المصرى الذى أصبح الشرق العربى كله يعتمد عليه فى تغذية جماهيره بهذا اللون الحبيب من ألوان المتعة الذهنية

وأخشى ما أخشاه هو أن يكون أدباؤنا الكبار أيضاً ينظرون إلى السينما كشىء لا تصله بأدبهم الرفيع صلة ... تلك النظرة الفجة التى من أجلها كتبنا هذا المقال ... وأخشى ما أخشاه هو أن يكون الحال كذلك ، لأنهم جميعاً ، إذا استثنينا الدكتور هيكل ، لم يساهموا قط فى نهضة السينما المصرية مع أن معظم الذين جربوا كتابة القصة من هؤلاء الكتاب قادرون على تغذية السينما بالروائع التى ترتفع كثيراً إلى أفق الرواية السينمائية الأجنبية ، بل إن كثيراً من قصصهم التى انتهوا منها وقدموها للسوق الأدبية صالح للسينما المصرية ، وهو إن قدم للسينما يرتفع بها ويستر هذا الخزى المؤلم الذى يشيع فى الأشرطة المصرية بلا استثناء ... وإنه لمن المضحك بل إنه لمن البَله ألا تخرج شركاتنا المصرية قصة لأحد من كبار أدبائنا أمثال المازنى وطه حسين ومحمود تيمور ومحمود كامل ولاشين وجوهر ومن إليهم ، فى حين أنها تنفق جهودها الكبيرة على هذه القصص الخائبة والروايات المخزية التمسة التى تؤذى الأبصار وتصدع الرؤوس وتحط من سمعة الأدب المصرى فى كل مكان تعرض فيه على أقل الناس بصراً بالنقد الأدبى ومعرفة بفن القصة أو الدرامة ... لقد آن أن ننظر إلى هذه القضية من ناحية الكرامة القومية أولاً ، ومن ناحيتها الاقتصادية ثانياً ... وقبل هذا وذاك ، ينبغى أن ننظر إليها من حيث علاقتها الوثيقة بالأدب وبالنهضة التمثيلية ... فالأشرطة السينمائية أدب صرف ، وهى المرآة الجديدة التى نطلع فيها على نقائصنا ومزايانا ، كما تطلع فيها جميع الأمم على تلك النقائص وهذه المزايا ... ثم هى تصلح أن تكون كتباً مصورة ناطقة حية يرانا فيها أحفادنا بعد مئات السنين ، فإما أن يقدروا جهودنا إذا رأوا شيئاً حسناً وإما

المشكلات

٢ – اللغة العــــربية

للأســتاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

بينا فى مقالنا السابق جهود رجال العلم والتربية فى سبيل إصلاح تعليم اللغة العربية ، تلك الجهود التى إن أخطأها التوفيق فلن يخطئها أن تكون حقيقة بالشكر وعرفان الجيل

إن هـذه الجهود المختلفة دليل على عنايتهم باللغة العربية ، وحرصهم عليها ، ومعرفتهم بقدرها ، ودليل على أنهم يحبون شباب هذه الأمة ، ويودون أن يسهلوا عليهم ما صعب ، ويقربوا إليهم ما بعد ، وأن يسهروا ليناموا ، وأن ينصبوا لهم ليجدوا السعادة والراحة

وهـذا وحده جهد مشكور ، وصنيع غير مكفور ، جدير بالإجلال والتعظيم ، سواء أوفقوا فيما حاولوا أم لم يوفقوا .

ورب قائل يقول : لقد وضمت أن المعاهد فى مصر أخفقت فى تعليم اللغة العربية ، وأخذتها مقدمة مسلمة ، وكانت بحاجة إلى أن تقيم عليها الدليل ، فلعلها لم تخفق فى تعليم اللغة ، ولعلها نجحت أعظم النجاح ، ولعل ما هو مشهور بين رجال التعليم من أنها أخفقت فى هذه المهمة — من القضايا التى اشتهرت لغرض من الأغراض ، فاذا نقدت تبين خطؤها . فلسنا نسايرك حتى تقيم الدليل على هذا الإخفاق

وأقول إنى أوافق هذا القائل أنه لا بد من أن يقام الدليل على هذه المقدمة ، ولا يصح أن تترك دون بيان

إن المرء يكون قد أتقن لغة ما إذا كان يتكلم ويقرأ ويكتب بهذه اللغة ، جارياً على قواعدها ، مراعياً قوانينها ، لا يلحن فيها ولا يخطىء ، وأن المدرسة تكون قد نجحت فى تعليم اللغة إذا كان الذين تخرجوا فيها جميعهم أو أكثرهم على هـذه الصفة ، فهل من تخرجوا فى مدارسنا كذلك ؟

أما الكلام باللغة العربية فلا تكاد تجد أحداً يتكلم بها ، فالشعب كله يصطنع فى التفاهم والتخاطب اللغة العامية ، وليس من الناس من يصطنع اللغة العربية إلا فى الندرة وعلى سبيل الشذوذ ، حتى أن دروس اللغة العربية تلقى بالعامية ، فقد دخلت العامية على العربية حجرات دروسها ، وغزتها فى معاقلها ، وأخص الأماكن بها

ومن المضحك حقاً أن تجد مدرس النحو أو الصرف أو البلاغة أو مفسر النصوص العربية من شعر ونثر يلقى دروسه وقواعده بلغة عامية ، لا يراعى ما يقول من قوانين ، ولا يقوم لسانه بما يسرد من قواعد

أن يضحكوا على جدودهم هازئين مستسخرين ، وأحسبهم لن يفعلوا غير ذلك إذا لم تصلهم عنا غير هذه الأفلام المخزية التى ألفها لنا ولهم أنصاف المتأدبين منا وأرباعهم ومن لا تصلهم بالفنون الأدبية صلة ما ... أما علاقة السينما بالنهضة التمثيلية فلا يجحدها أحد ... وأقسم لو أن لنا ثقافة مسرحية غبر عليها روح طويل من الزمن ، وأقسم لو أن لنا مسرحاً مصرياً محترماً يضارع فى رقيه المسارح الأوربية أو المسرح الأمريكى ، لكانت لنا نهضة سينمائية عالية كافية لأن تلفظ من ذاتها موضوعات تلك الأفلام المصرية التى أخرجت إلى الآن فى غفلة من تأخرنا فى هذا الميدان

ولا يفوتنى قبل أن أختم هذه الكلمة فى العلاقة بين الأدب والسينما أن أنوه بتاريخنا الملىء الحافل بالأحداث الجسام ، فقد آن لنا أن نخرجه مصوراً ناطقاً تشهده الجماهير فيثير فيها الكبرياء الوطنى ، وتطلع منه على ما لم تكن تعلم من مشاهد البطولة الوطنية وأمجاد العصور الخوالى ، وما عمل الآباء والأجداد فى سبيل مصر الخالدة من صنائع العزة وفعال العظمة ... نحن إن صنمنا ذلك خلقنا عملاً أدبياً جليلاً لجميع كتابنا وأدبنا لتاريخنا خدمة تخلد على وجه الزمان ، ثم يسرنا لناشئتنا استذكار هذا التاريخ الطويل الذى نرهقهم بمذاكرته فى بطون الكتب مع ما فى هذه المذاكرة الصامتة التافهة البليدة من منافاة لروح التربية الحقة ، وما تنتهى إليه من قلة الغناء ... بعكس مشاهدة التاريخ المصور الناطق السينمائى الذى يلصق بالذاكرة ، ويخلد فيها ، وينمى فى الطالب تلك الملكات التى يفتقر إليها معظم الطلبة المصريين .

دريني خشبة

فأما الكتابة والقراءة بها ، فلا يقرأ باللغة الفصحى ولا يكتب إلا فئة قليلة ، تمكنت من حفظ لسانها من الخطأ عند القراءة والكتابة ، وجمهرة المتعلمين لم يصلوا إلى هذه المنزلة ، فالشاب يتخرج في المدرسة ، أو فى المعهد ، ولسانه لا يكاد يقيم جملة ، أو يعرب كلاما ، ولا يستطيع أن يعبر عن خلجات نفسه بأسلوب صحيح مستقيم

وإذا لم يكن هذا إخفاقا ، فماذا يكون الإخفاق ؟

وكما لم توفق مدارسنا فى الغاية لم توفق فى الوسيلة ، أو قل أنها لم توفق فى الغاية لأنها لم توفق في الوسيلة ؛ فالوسيلة إلى تعلم اللغة هى دروسها ، ولما تستطع مدارسنا أن تحببها إلى التلاميذ ، فهم يأتون إليها متثاقلين ، ويستمعون إليها كارهين ، وهم يبغضونها بغضاً يملأ ما بين جوانحهم . فالنحو عندهم ثقيل بغيض ، وكذلك الصرف ، وعلم البيان الذى قال فيه بعض العلماء — أنه لا ثواب فى تعلمه — يشير إلى أنه لا مشقة فيه على المتعلم ، وهو يطلب لما فيه من لذة ، فجزاؤه فيه ، قد بغضته إليهم هذه المدارس أيضاً ؛ وليس العيب في ذلك على الشباب ، لأنهم يدرسون الهندسة والحساب والطبيعة فى غير ضيق ولا حرج ، بل يدرسونها فى شغف ومحبه ، إنما العيب علي دروس اللغه العربيه وحدها .

فلا عجب بعد ذلك إن لم ينتفعوا بهذه الدروس ، لأن الانتفاع بالشيء على قدر المحبة له ، والرغبة فيه

هذا شيء مخيف حقاً ، له نتائجه الخطيرة ، فإما أن نعمل على تسهيل الانتفاع باللغة العربيـة وتيسيرها على الدارسين والمتعلمين وتزيين علومها فى قلوبهم ، وإما أن نتحمل أمام التاريخ والأجيـال عواقب هذا التفريط والإهمال ، لأن الشيء البغيض المملول لا يعمر طويلاً ، ولا يمكن أن يكره الناس عليه دائماً

وهناك أمر آخر ينتج من الخيبة فى تعليم اللغة العربيـة ، يخشاه رجال الاجتماع أعظم الخشية ، ويشفقون منه أشد الإشفاق ، وهى بقاء الحال على ما هى عليه فى مصر ، من اصطناع لغة للخطاب ، وأخرى للكتاب ، بينها وبين جمهور الشعب بون شاسع ، وعقاب صعاب

وإنما كانوا يخشونه ، ويشفقون منه ، لأن ذلك يؤدى إلى إطالة أمد جهل الأمة وتأخرها ، لأن العلم والأدب قد كتبا بلغة لا يفهمها جمهور الشعب ، وهى العربية ، فلا سبيل إلى وصوله إليها

أما إذا نجحت المدرسة فى تعليم العربية ، وتكلم بها المتعلمون وهم يخالطون للشعب ، فعلى مرور الزمن يسهل عليه فهم اللغة العربية ويتسرب إليه كثير من مفرداتها وتراكيبها ، وربما علمها فصارت لغة الخطاب ، لغة الكتاب ، وهذا كسب ليس بالقليل ، فكل ما كتب من علوم وأخلاق وآداب يكون حينئذ فى متناول جمهور الشعب ، فيرق إلى الذروة التى ينشدها له المصلحون

وهناك طائفة من رجال الاجتماع ترى أنه إذا خابت المدرسة فى تعليم العربية ، وخابت الأمة فى اصطناعها ورفع لغة الحديث إلى اللغة التى تكتب بها العلوم والآداب ، فلا مناص من كتابة العلوم والآداب باللغة التى تفهمها الأمة ، لتنتفع بها ، ولتبلغ الأمل المنشود ، لأنه خير للأمة أن تخسر اللغة العربية وتكسب العلم الذى به نماء عقولها ، والآداب التى بها تقويم أخلاقها ، من أن تربح العربية وتخسر العلم والأدب

فأنتم ترون أن الأمر جد خطير ، وأنه يعنى حياة اللغة العربية أو موتها ، ونجاح المتعلمين فى تعلمها أو إخفاقهم ، ورقى الأمه أو انحطاطها

لذلك يجب أن نعمل جاهدين ، وأن نجهد مخلصين ، حتى نعرف الأسباب فى هذا الإخفاق ، وأن نفعل الممكن وغير الممكن لنجعل تعليمها ناجحاً ، ولنحبب درسها إلى التلاميذ ، وبذلك نتقى هذه النتائج السيئة ، ونوفر على الشباب وقته وجهوده ونحمى اللغة العربية من الضياع والموت

هذا ما دعا رجال العلم إلى معالجة هذه المشكلة

وهذا ما دعانى أيضاً إلى أن ألقى بدلوى فى الدلا ، وسأعرض بحثى على القارئين ، أو أولى الأمر فى مصر ، ولعل هذه الدعوة تلقى ما أقدره لها من توفيق — إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

مقدمة ابن خلدون

للأستاذ محمود أبو ريه

كنا نسمر فى إحدى الليالى مع الأستاذ الكبير صاحب الرسالة ، فكان من حديثه الممتع الهادىء أن العلامة المحقق ساطع الحصرى قد ألف كتاباً فريداً جعل موضوعه « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » تلك التى لم تخرج القرائح العربية مثلها ، وفى عبارات عذبة أنشأ الأستاذ الزيات يشيد بفضل هذا العمل الطريف . وقد أثار هذا الحديث المستوعب شوقنا إلى هذا الكتاب ، وزاد هذا الشوق لما قرأنا اليوم مقدمته النفيسة فى الرسالة

ولما كان العلامة الحصرى قد حدثنا فى كتابه « إن جميع طبعات المقدمة التى صدرت عن مطابع القاهرة وبيروت مشوبة بنواقص كثيرة وأغلاط فادحة — وإنها ناقصة — من حيث المتون والفصول معاً » فإنى أنشر كلمة لها علاقة بما حققه هذا العالم الجليل وفيها نفع لمن أراد أن يقف على تاريخ هذه المقدمة

فى صيف سنة ١٩٢٣ قرأت بإحدى المجلات كلمة لأحمد تيمورّ باشا رحمه الله ذكر فيها أن كل طبعات مقدمة ابن خلدون لا تطابق الأصل الصحيح منها ، وإنه يوجد بمكتبة زكى باشا نسخة خطية من هذه المقدمة صححها المؤلف بقلمه فسررت بهذا النبأ وتوجهت باستفهام إلى زكى باشا على جريدة المحروسة عما نشره تيمور باشا ، وكان ذلك فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٣ فأجاب رحمه الله ببضع مقالات على هذه الجريدة تكلم فيها عن طرف من تاريخ ابن خلدون ومقدمته . وأنا لا أعرض إلا لما قاله عن هذه المقدمة النفيسة ، وفيه الملاج لما نحن بسبيل الكلام فيه اليوم .

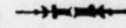
ذكر رحمه الله أن هذه المقدمة الفريدة قد ظل أمرها مهملاً خمسة قرون كاملة ، فقد تم تأليفها فى سنة ٧٧٥ هـ ، ولم تظهر إلا فى سنة ١٢٧٤ هـ : سنة ١٨٥٧ م [1] ويكن أول من عثر على هذا الكنز رجل نمساوى اسمه آمرى . فقد وقف فى دار كتب (ويانة) عاصمة النمسا على نسخة مخطوطة من هذه المقدمة ، ونقل كثيراً من فصولها ، وترجمها إلى اللغة الطليانية ، ثم نشرها مع بعض ملاحظات وتعليقات فى المجلة المعروفة باسم الخزانة الطليانية فكانت أبحاثه مدعاة لتنبيه علماء أوربة إلى العناية بهذا الأثر العربى الكريم « ولما جاء المسيو آمرى إلى مصر قنصلاً لدولته لدى محمد على باشا كان مما عمله أن حض محمد على باشا على الانتفاع بهذا الكتاب وطبعه فترجم إلى اللغة التركية وطبع بمطبعة بولاق وكذلك طبع الأصل العربى منها

وفى الوقت الذى طبعت فيه المقدمة فى مصر كان العلامة كترمير الفرنساوى يطبعها فى باريس وقد طبعت هذه المقدمة بالمطبعة الأميرية طبعة ثانية فى سنة ١٢٨٤هـ

وقد ذكر زكى باشا « إنه بعد ما تحقق وجود المسخ والبتر والتشويه والتحريف فى جمع ما صدر من الطبعات العربية لمقدمة ابن خلدون آلى على نفسه أن يبحث عن نسخة خطية تكون وافية بالمرام حتى قيض الله له الظفر بها فى خزانة المرحوم عاطف افندى بالقسطنطنية » . وهذه النسخة قد صححها ابن خلدون بقلمه ، وذلك أنه لما عاد إلى القاهرة من عند تيمورلنك طاغية التتار رأى الناسخين قد شوهوا محاسن مقدمة تاريخه ، فضاقت نفسه وتناول نسخة من التى أصابها المسخ وأقبل عليها بنفسه وتولى تصحيحها بقلمه ، وكان من هذا التصحيح أن حذف بعض الكلمات وطائفة من العبارات ووضع هوامش كثيرة بخطه . فإذا أعوزه المكان أضاف (طيارة) أى جزازة ويلصقها بين الصفحتين ويدل على موضعها دلالة ظاهرة واضحة ، وقد انتقلت هذه النسخة من مصر إلى الآستانة على أثر سقوط مصر بين يدى السلطان سليم سنة ٩٢٢ هـ ، وقد عثر عليها زكى باشا فى سنة ١٩١٠ ولم يلبث أن أخذ صورتها الفتوغرافية وبلغ ما أنفقه

(١) فى كتاب الأستاذ عنان أن ذلك كن فى سنة ١٨٥٨ م
(أبو رية)

تصحيحات واجبة
في الادب والاخلاق
للأستاذ سيد قطب



فى عدد الرسالة الماضى تعليقان على مناقشاتى مع الأستاذ مندور ، لا يخفى على القراء ما فيهما من تحامل مكشوف يرتدى مسوح النقد الأدبى

والذى يعنينى هنا هو إثبات بعض التصحيحات الواجبة لأوهام ومواضعات خاصة ، تجد لها صدى فى نفوس العوام وأشباه العوام

يقول الأستاذ دربنى خشبة فى مقال بعنوان : « أعصابكم أيها الأدباء » ضمن حديثه عن « قضية الأدب المهموس » : « نزغ شيطان الجدل بين الأديبين المتحاورين ، إذ رمى أحدهما الآخر بما لا يليق أن يرمى به رجل رجلاً أبداً . . . ولعل الذى سب أخاه فى كمال الرجولة أظلم »

هذه المسألة تحتاج إلى تصحيح ؛ فأنا لم أكن فى موقف سباب حين أشرت فى حديثى إلى هذا الشأن ، إنما كنت فى معرض تعليل نفسىّ لظاهرة خاصة مطردة فى فهم صاحبى للأدب والشخصيات ؛ وكنت ألمح آفة نفسية خاصة تجنح به إلى إيثار لون من الأدب على لون ، وشخصية أدبية على شخصية فى رتابة واطراد

ومما لا شك فيه أن لبعض الآفات النفسية أثراً حاسما فى الحكم على الأدب والأشخاص والحياة كلها ؛ ولا بد من تعليل هذا الأثر الخفى وكشفه للقراء ليأخذوا حذرهم من إنسان يقف نفسه موقف الناقد للفنون والرجال ، وطبعه مئوف متأثر بآفته فيما يصدر من أحكام

ففهمُ هذا التعليل على أنه « سب » عامية فى الذهن والنفس تحتاج إلى تصحيح . والخضوع لهذا الفهم والإحجام عن هذا التفسير تبعاً لذلك — عامية فى معايير الأخلاق لا أخضع لها وفى نفسي بقية من الارتفاع فوق مستوى العوام

والأستاذ دربنى هو و « الأديب زكريا إبراهيم » يأخذان على شيئاً آخر هو الاستشهاد بقطعة من شعرى بجانب قطع

عليها ستين جنيهاً كاملة ، وقد كتب على هذه المقدمة العبارة الآتية : « هذه صورة المقدمة من كتاب العبر فى أخبار العجم والبربر ، وهى علمية كلها كالديباجة لكتاب التاريخ قابلتها جهدى وصححتها ، وليس يوجد فى نسخها أصح منها وكتب مؤلفها عبد الرحمن بن خلدون وفقه الله تعالى وعفى عنه »

ولما وقفت من زكى باشا على نبأ هذه المقدمة ، وكان الشرق جميعاً فى حاجة إلى الصورة الصحيحة منها ، رجعت إلى الأستاذ الكبير رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ، راغباً إليه أن تقوم اللجنة التى من أغراضها نشر الأسفار القديمة النافعة بطبع هذه المقدمة ، وهى خير ما ينشر من ذخائرنا العربية ، فجاءنا منها جواب مؤرخ ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٧ تقول فيه : إن اللجنة ستضع هذا الاقتراح موضع البحث . ولما خاب رجاؤنا لدى اللجنة رجعنا إلى وزارة المعارف فطلبنا منها مراراً أن تعنى بنشر هذا الأثر النفيس فتطبعه طبعة صحيحة ، ولكنها أصمت آذانها ، وغبرت السنون على هذه المقدمة وهى على تحريفاتها وأغلاطها

هذا ما رأينا نشره ، ولعلنا اليوم - بعد أن رأينا من العلامة الحصرى تلك العناية الفائقة بهذه المقدمة - نطمع فى أن يزيد من فضله على العلم فيجمع بين النسخة المطبوعة بباريس وبين التى بالخزانة الزكية ، وبعد المقابلة بينهما يخرج منهما نسخة صحيحة يتولاها بما تحتاج إليه من الشرح والتعليق

هل رجاءنا اليوم يتحقق لكىْ نظفر بما كنا نطلبه منذ عشرين سنة ، وينتفع هذا الجيل المثقف بذلك الكنز الثمين ، ثم ينهض فيؤدى واجبه نحو مؤلفه العظيم ؟

(المنصورة) محمود أبو رية

أخرى للعقاد ، مشايعين فى هذا الأستاذ مندور

ولست أتردد فى مجابهة هذا الوهم بأننى لا أحفله ؛ لأنه نوع من عامية الذوق والتفكير . فأنا لم أكن فى معرض تعداد وبيان لمزايا جميع الشعراء المصريين ، وإنما كنت فى معرض استشهاد على وجود لون خاص من ألوان الأدب فى شعر المصريين ، ووجوده بصورة خير من الصورة التى يحبها الأستاذ مندور . فإذا وجدت فى شعر العقاد ما يصلح لإثبات الغرض فلن يقعدنى التحرج الاصطلاحى السخيف عن الاستشهاد به لمجرد أننى « تلميذ » للعقاد . وإذا وجدت فى شعر سيد قطب ما يصلح لإثبات هذا الغرض فلن يقعدنى التواضع الاصطلاحى الكاذب عن الاستشهاد به لمجرد أننى سيد قطب !

وهذا التواضع الكاذب وذلك التحرج السخيف نوعان من العامية فى التفكير والأخلاق أرتفع بنفسى عنهما ، لأننى لا أتلقى معاييرى الفكرية والخلقية من العوام وأشباه العوام

وقد يحسن من باب « التصحيح الواجب » كشف الأسباب الصغيرة الخفية التى تحمل بعض الناس على أن يلبسوا هذه المسوح !

فأما الأستاذ « دريني خشبة » فلتحامله أسباب ظاهرة يعرفها قراء الرسالة ، فيما شجر بينى وبينه من جدل على صفحاتها منذ أشهر ، على أنه إنما يصدر فى هذه المسألة عن الروح التى يصدر عنها فيما يقتحمه من مسائل النقد الأدبى كلها . ولست أدرى لم لا يعرف الناس أفضل مواهبهم فيستخدموها ويدعوا ما لا يحسنون من الأمور ؟ ولله فى خلقه شئون !

أما الأديب زكريا إبراهيم : فلست أعلم له أو عنه شيئاً سوى أنه يقول عنى : « إنما راح يحشد أقواله وأقوال الأستاذ العقاد ، كأنما ليس فى مصر غيرهما » . فقد كان يجب إذن أن أحشد أقوال الأديب « زكريا إبراهيم » هو الآخر !

وأنا أعترف لحضرته أننى مقصر فى البحث ، وسأسأل الإنس والجن عن شىء له ولأمثاله أحشده فى بعض المناسبات ! فإن لم أفعل ، فهو كاسب على كل حال بمناقشته فى هذا المقال !

سيد قطب

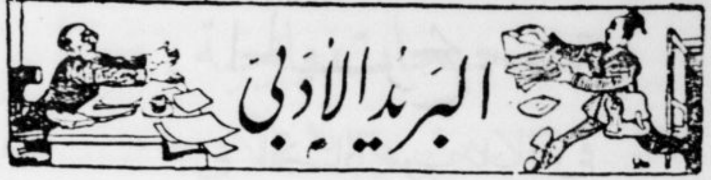
الجـــريح ...

للأستاذ محمود عماد

تَوَلَّى جريحاً مِنَ المعمعَهْ يُريقُ على دَمِــهِ أدمُعَهْ
ويحنو بقلبٍ له موجَــع على كبدٍ دونه موجَعه
ويُخفى بيُسراه موضعَ يُمنَى بها منه قد طاحت الموقعه
لقد غشِىَ الحربَ (كُلا) فضيـ
ـعَ (بعضاً) وعاد ببعض معه
إلى أين يمضى بتلك البقــايا
وما ذا انتوى اليومَ أن يَصنَعه ؟
ألِلطبُّ يُرجِعُــه (كاملاً) وهل يمكن الطبُّ أن يُرجعه ؟
ألِلقبرِ والقــبرُ رغمَ التأ هبِ لم يعتزمْ بعدُ أن يَبلَعَه ؟
لقد عزَّ حتى المماتُ عليــه وضاق به كونُه عن سَعه
ومِن بعدِ لأىٍ هداه الوَجَى لِصومعةٍ ، فإلى الصــومعه !
إلى حيث يَهرُبُ مِن أمسهِ ويهجرُ فى أسـفٍ مدفعه
ويَنْسى الذى كان فيما يكو ن ويَسحبُ فوق الحراك الدّعه
ويَسمعُ مِن (شِعرِه) أنَّ (ذِكرا)
يعوّضه بعــدُ ما ضيّعــه
وأنّ على شاطئ (الخالدِ) بيتاً سيأخذ فيه غــداً مضجعه
فأقنِعه ، أقنعه ، يا شِــعرَه إذا كان فى الطوقِ أن تقنعه !!

محمود عماد

حكم فى القضية ن ٢٣٠٥ سنة ١٩٤٢ عابدين العسكرية ضد فانيريس نيير صاحب بار بشارع شمبليون بتغريمه ٥٠٠ قرش ونشر الحكم فى جريدتى الرسالة وروز اليوسف على نفقته وتعليقه على محله والقسم لأنه باعتباره مدير محل من المحلات العمومية لبيع الوجبات والمأكولات والمشروبات بقصد تعاطيها فى نفس المحل (مطعم) لم يبلغ وزارة التجارة والصناعة وفقا للقانون بالأسعار فى محله



لفظتان

اللفظتان هما (الفزّاعة) فزاعة الزرع ، و (التحويش) تحويش المال أو غيره . وقد ظننا أنهما عاميتان ، وإنما هما عربيتان صحيحتان

جاء فى (أساس البلاغة) للامام الزمخشرى : « نصب خيالاً فى مزرعته وهو الفزاعة ، وعن الشعبى : وجدتُ رجال هذا الزمان خيالات ... »

ومثل الفزاعة والخيال[1] (المِجدار) قال الإمام التبريزى فى (شرح ديوان الحماسة) فى تفسير هذا البيت فى باب مذمة النساء :

إصرمينى يا خلقة المجدار   وصلينى بطول بعد المزار

المجدار شىء ينصب فى المزارع للسباع والطير يقال لها[2] « الفزاعة »

وقد وردت هذه اللفظة الأخيرة بالقاف والراء (القراعة) فى الطبعة القديمة والطبعة الحديثة التى حققها العالم الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد . وإنما هى الفزاعة . فزّع الله عن القلوب

وجاء فى اللسان عن الأزهرى صاحب تهذيب اللغة وفى القاموس والتاج : « حوّش إذا جمّع ، والتحويش التجميع » فيقال لكل عامل فى عمل ما : اقتصد أيها العامل فى معيشتك ، ووفّر من عمالتك ، وحوشْ ، حوش ؛ إن « المال سلاح المؤمن فى هذا الزمان » كما قال الإمام سفيان الثورى[3] ومن أمثال بغداد : المال ، المال . وما سواه محال

ناقد

الى الدكتور زكى مبارك

قالوا لى يا دكتور أنك تريد أن تهجم على « حسن القاياتى » الأديب الذى خلقته الظروف ، ورفعته السياسة ، وجاملته الأدباء بقدر ما لبيته القديم فى النفوس ، وألاعيب « مصطفى القاياتى » فى السياسة ... وأنت يا سيدى الدكتور قد آذيتنى أعنف الإيذاء يوم نشرت مقالك عن السهرات الأدبية فى رمضان فى جريدة « البلاغ » حيث قلت : إن البيت « القاياتى » قد خلا من الرائد . وعاف مجلسه الأديب . ولم يبق فيه إلا وجه السيد « حسن » أبقاه الله !

وهى غمزة أعرفها منك يا دكتور وأحتسبها عليك ، وأجازيك عليها جزاء من أخلص للأدب ، وامتزجت نفسه به طوال أربعين عاماً بين شاعر يدرسه ، أو بحث شائق فى اللغة يكتبه ... ثم ماذا ؟ ثم يكون حظه من ناشئة البيان منتكساً ، وقلمه بين تلاميذه منكسراً ، وأدبه بين الأدباء ضعيفاً ... مما جعل الدكتور تحدثه نفسه بالهجوم عليه ، والنيل منه !

لك الله يا دكتور مبارك ! فلقد كنت أود أن تكون ألاعيبك بين ناشئة الأدب فتحملهم على احترامك بالشدة ، وتروضهم على مطالعة أدبك بالعنف ... خير لك من أن تهاجم رجلاً قد هاجم شوقى وحافظ فى عنفوان أدبهما ، وضخامة شخصيهما ، وخلود اسميهما ، دون أن يتطاولا عليه ما تطاولت ، أو ينالا من شخصه ما نلت ... إن اللغة العربية يا دكتور لم تجد لها حصناً منيعاً من سنوات عديدة إلا الدار «القاياتية» ، ولن تجد من يذود عن حماها إلا القلم « القاياتى » العتيد ؟ !

فسلْ نفسك يا دكتور يوم أن كنت صديقاً وراوية للسيد « مصطفى » أن « حسن القاياتى » لن تنال قلمه هذه الترهات ، ولن تؤثر فى نفسه هذه الصرعات العنيفة التى ترسلها دون أن تذكر الدار القاياتية ، ومجدها القديم فى اللغة ، وحاضرها الجديد فى البيان ... ؟ ! تذكر كل هذا يا دكتور . وقد أعددت لكتابك الفريد « النثر الفنى » عشرين مقالاً أرجو أن يتسع صدر « الرسالة » فتنشر لى هذه المحاولات الجريئة فى النقد ، دون أن تجامل « محمد عبد السلام مبارك »

علها تظهر للناس الكاتب الأول والشاعر الأول زكي مبارك ؛ ولكن بعد أن أسمع منه على صفحات « الرسالة » الزهراء كلمة الحق ... والحق أحق أن يتبع ... ؟ !

« دار القاياتى »   حسن القاياتى

(١) الصحاح : الخيال خشبة عليها ثياب سود تنصب للطير والبهائم فتظنه إنساناً

(٢) فى الطبعتين (لها) وهى فى ظنى (له)

(٣) أحد الأئمة المجتهدين ، ومن أقواله العظيمة : من عرف نفسه لم يضره ما قاله الناس فيه

اللجنة التي يحتاج إليها الأزهر

ذكرت مجلة الرسالة الغراء في العدد (٥٢٧) أن صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، أصدر قراراً بتأليف لجنة لدرس حالة الكليات والمعاهد الأزهرية، وجعل مهمتها بحث الأسباب التي أدت إلى ضعف نتائج الامتحانات في الكليات والمعاهد، وإني أرى أن هذه الأسباب واضحة لا تحتاج إلى بحث، وقد بينها المصلحون فيما كتبوا عن إصلاح الأزهر، ولكن علاجها شائك يتهيبه من يعرفه، لأنها ترجع إلى كتب الدراسة التي قال الأستاذ الأكبر في مذكرته المعروفة إنه لا يوجد فيها روح العلم، ومتى كانت كتب الدراسة في المعاهد بهذه الحالة فكل فساد في المعاهد راجع إليها، ولكن الذي يشارك الأستاذ الأكبر في نظره إلى تلك الكتب قليل جداً، ومن هنا كان علاجها شائكاً يتهيبه كل من يعرفه، ويحتاج كما قال الأستاذ الأكبر في تلك المذكرة إلى خطوة جريئة يقصد بها وجه الله تعالى، ولا يبالي بما تحدثه من ضجة وصريخ، فقد قرنت كل الإصلاحات العظيمة في العالم بمثل هذه الضجة

فاللجنة التي يحتاج إليها الأزهر هي اللجنة التي تكون مهمتها وضع كتب يوجد فيها روح العلم، وتفتح في علومنا باب الاجتهاد والتجديد، وتقضي على ما فيها من جمود؛ وهنالك يصلح كل شيء في الأزهر، ويقبل الطلاب برغبة على العلم، فتحسن نتائج الامتحانات، ويعود إلى الأزهر مجده العلمي.

(ص)

حول المسرح المصري والدرامة المنظومة

إلى الأستاذ دريني خشبة

أشكرك على أنني خطرت ببالك وأنت تحثُّ شعراء الشباب على المشاركة في نظم الدرامة، وهي إشارة منك تدل على خلتين من خلال أهل الفضل في البحث: حُسْنِ تتبعك لما يُنشر ويُكتب؛ وحسنِ ظنك فيمن تراهم موضعاً لإحسان الظن

وكم كنتُ أود ألا أقوم بشكر ما أوليتني من حسن ظنك، وتمنى من رقيق عتبك إلا وفي يدي مسرحية من الشعر أهديها إليك جزاء ما أوليتَ المسرح المصري من جميل عنايتك؛ ولكنني راجٍ أن تُنظِرني حتى يتهيأ من الإنتاج ما يُحقق ظنك الحسن

ولقد فاتك – غيرَ عامد – أن تذكر الشاعر العربي الحضرمي «الأستاذ علي أحمد باكثير»؛ فهو شاعر أصيل الطبع، متمكن من لغة شاعر كبير، وله مسرحيات: أخناتون ونفرتيتي، سلامة القس، وا إسلاماه، وقصر الهودج؛ وكلها شعر طليق أو مقيد من طراز رفيع

على أن هذه مسألة شخصية دعاني إليها أن أُنصفَ شاعراً عربياً في معرض فتحته أنت بذكر الأشخاص وأخشى أن يتسع البابُ عليك ... أما مسألة المسائل فهي أن حبك للشعر العربي والمسرح العربي هو حب يحملنا على الاستجابة لفكرتك، والإعجاب بصدق دعوتك. والسلام.

محمد عبد الغني حسن

إلى الأستاذ دريني خشبة

كنت أيها الكاتب الفنان أطالع مقالك الممتع «المسرح المصري والدرامة المنظومة»، والشاعر «حسن القاياتي» في زهو بما بلغه نقدة المسرح من الرأي السديد والنظر الثاقب . . .

ولكنك أيها الكاتب قلت: إن المسرح قد خلا من التآليف المسرحية المنظومة بعد شوقي؟! ألم تقع عينك عند الوراقين على الرواية الضاحكة التي نظمها الشاعر «حسن القاياتي»؟ فجاءت تحفة للفن، ونجعة للرائد، وهدية قدمها صاحبها إلى مسرح الخيال المنشود؟

ولكنها لم تجد من يبعثها من مرقدها، ولم تمتد إليها يد النقاد حتى يقدرها الفن، ويرجع أصداءها الفنانون!

إن رواية «القاياتي» يا سيدي الكاتب مثلتها الفرق

اللاعبة في داره الأنيقة « بالسكرية » في شهر رمضان من العام الماضي . وستمثلها الفرق الحبيبة في داره في شهر رمضان من هذا العام

فهلا ! تتفضل أيها الكاتب الألمعي . فندعوك لمشاهدة عرضها على المسرح « القباني » المتواضع ، فتتبعها كما بعثت روايات عديدة حرية أن تتوارى أمام هذه المسرحية الفذة ... التي تمثل لونا من ألوان الخلاعة في « بلاط المأمون »

لنا أن ندعوك ، ولك تجيب . قبل أن تتحدى شعراء مصر النابهين .

علي فوده
بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

المسرح المصري

قرأت في العدد الأسبق من هذه المجلة الزهراء مقال الأستاذ دريني خشبة عن (المسرح المصري) ، فعنت لي بعض آراء أثبتها في هذه العجالة

كان مقال الأستاذ منصباً على ناحية خاصة دار الكلام حولها ولف ، وهي (كسل) شعرائنا وعدم اهتمامهم بنظم المسرحيات الشعرية

صحيح إن الدرامة الشعرية لها هذا التأثير الذي تحدث عنه الأستاذ دريني ، ولكن في أي البيئات والأحوال والظروف ؟

عندنا الكثير من الشعراء الواقفين على أحدث التيارات الفكرية ، ولكن أحدهم لم يفكر في نظم مسرحية ، فكل نتاجهم لا يخرج عن (القصائد والمقطوعات والموشحات) لماذا ؟

لأن أغلبية الشعب ـ حتى المتنور منه ـ لا تتذوق مسرحية يتكلم أبطالها بالعربية الفصحى ... فما بالك بالشعر ؟

أنقل كلمة الحق . . . إن جمهورنا يؤثر الأدب الضحل والمسرحيات الفكاهية ، على مسرحيات شكسبير وراسين وأضرابهم . وعند (الفرقة القومية) الخبر اليقين !

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ألا تحتاج هذه المسرحيات المنظومة إلى ممثلين مثقفين يفهمون الشعر ـ ولا أقول يتذوقونه ـ ليؤدوا أدوارهم على أكمل وجه ؟

فأين ممثلونا من هذا ؟ وهم لا يعرفون إلا مبادىء القراءة والكتابة ! ثم أين التشجيع المادي والأدبي الذي يغري الشعراء ويدفعهم إلى ميدان المسرح كما فعل غيرهم من شعراء الأمم الأخرى ؟ أليست هذه صعوبات تصدهم عنه ؟!

كمال نشأت
(بيت غمر)

ظبي وزير الصحة

[أهدى إلى معالي وزير الصحة ظبي فشكر مهديه ورجا منه أن يتركه حراً كما كان في رعاية الله ، فقلت في ذلك]

أكنت ترحمه لو أنه أسد   أم ضعفه شافع أم حسنه حكما
والضعف والحسن مرحومان من بطل   يمشي إلى الأسد في آجامها قدما
سحر لعينيه أم حسن لمقلته   أعاد عهد الهوى أم أشعل الضرما
أم خشية الله في عبد يراقبه   والله يرحم من للخلق قد رحما

عبد الرؤوف جمعة
المفتش بالمعارف

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 530

Lundi - 30 - 8 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٣٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٦٨١ عند ما رأيت الله جهرة ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٦٨٥ الحديث ذو شجون ... .. : الدكتور زكي مبارك ... ..
٦٨٩ الأعراب ... ... : لأستاذ جليل ... ...
٦٩٠ اللغة العربية .. .. : الأستاذ محمد عرفة ... ...
٦٩٢ طرائف عن الكتب والكتاب : الأستاذ محمد عبد الغني حسن ..
٦٩٤ الاسلام ومكافحة الأمية .. : الدكتور أحمد فؤاد الأهواني
٦٩٥ مسرحية أخناتون ... ... { تأليف الأستاذ علي أحمد باكثير / للأستاذ لبيب السعيد ...
٦٩٦ نار ... ونفس [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن اسماعيل
٦٩٧ كلمة تعزية ... « : الأستاذ خليل شيبوب ...
٦٩٧ ذكرياتي ... « : الأديب مصطفى علي عبد الرحمن
٦٩٨ إلى الأستاذ حسن القاياتي . : الدكتور زكي مبارك ... ...
٦٩٨ الشعر العربي في المهجر ... : الأستاذ كامل يوسف ...
٦٩٩ (١) إلى الأستاذ سيد قطب / (٢) إلى شعراء الشباب الأماجد / (٣) إلى أخي الأديب كمال نشأت } الأستاذ دريني خشبة ... ..
٧٠٠ إلى الأستاذ (...) .. : الأستاذ علي فودة ... ...
بين الشيخ شاكر والسيد رشيد : الأستاذ محمود أبو رية ...
تصحيح التصحيح ! ... : الأديب زكريا إبراهيم ...

عند ما رأيت الله جهرة

للأستاذ دريني خشبة

تحدث إلى أحد أصدقائي قال :

كانت أربعون ليلة من ليالي سيناء قد مرت على قلبي المضطرب الممزق وأنا لا أنفك أحملق في ذلك الشبح المفزع ... شبح ملك الموت عليه السلام ! إذ هو يُلم بالحجرة الرهيبة التي كنت أحبس فيها نفسي لأُمرض أعز المخلوقات عليّ وأحب الناس إلى قلبي ؛ وذلك أن الطبيب المعالج لم يأمن أحداً غيري على رعاية أوامره وتنفيذ إرشاداته ، فانفردت بالمهمة دون إخوتي ، واضطلعت بها وحدي ، وإن كانت إحدى أخواتي تريحني ساعة من نهار ، فكنت أقضيها نائماً ذلك النوم المشرّد المتلىء بالأحلام

وكنت دائم الصلاة لله أن ينقذ والدتي ، وكنت أدهش أحيانا كيف لا يجيب دعائي ... وكنت أعتب عليه ، أستغفره وأتوب إليه ، كيف يقضي على هـذا اللسان الذي طالما لهج بذكره ، وقدّس له ، وحمده وأثنى عليه ، بهذا الصمت الطويل المؤلم الذي كان يحاول أن يتشقق عنه كي يكلمنا ، فما يستطيع غير الإيماءة النحيلة يوزعها علينا في جهد وفي عناء . . . الإيماءة التي تسبح في فيض من الدمع ، وهي مع ذلك تبتسم لتخفف ما يعصف بأفئدتنا من وجد ، وتهوّن علينا ما يذيبنا من تبريح

أجل . لا أخفي عليك يا صديقي أنني كنت أشتد في مناشدة

الله الذى أستغفره وأتوب إليه ؛ كيف يرضى بأن ينعقد هذا اللسان الذى طالما ترطب بذكره والتسبيح له ، والذى قضى خمسين عاماً يؤدى الصلوات الخمس كأحسن ما يؤديها نبى ، وكأحسن ما يقوم بها صدّيق ؛ وهو مع ذاك يؤدى النوافل على اختلاف أنواعها ، ويردد الأدعية والأوراد ، ويتهجد ويعتكف ويصوم رمضان وغير رمضان ، ويعف فلا ينطق بهجر ، ويتورّع فلا يتحرك بأذى ، ويدعو لنا ولجميع الناس بالخير ، ويرتل آى الذكر الحكيم آناء الليل وأطراف النهار ... فكيف يصمت هذا اللسان الرحيم الكريم ، وكيف يغلبه ذاك الشلل الخبيث فينوء بالكلمة الواحدة ويعجز عن لا ونعم ، ومن حوله أحباؤه الأعزاء عليه يكلمونه فلا يكلمهم ، ويحاول أن يودعهم بكلمة واحدة فلا يستطيع إلى تلك الكلمة الواحدة من سبيل ، وأنا مع ذاك أدعو الله وأتوسل إليه بماضى هـذا اللسان أن يفك عقاله ، وأن يحسن حاله ، ثم يغشانى منه ما يشبه الليل البهيم ، والأشجانَ فتشيع ببرودة القبور فى عروق !

عجيب والله هذا الموقف من الأبالسة التى وقفت تترصد فؤادى ، وتغرى بالموبقات روحى ، وتداعب إيمانى فتهزه ذلك الهز العنيف القاسى !

ألم تعد فى السموات رحمة ؟ أهكذا تـكون خاتمة ذاك اللسان الرطب الـكريم ؟ وأين إذن قدرة الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ؟ وما ذا وراء هذا الوجود الذى يكظ ويزحم السموات ، ويملأ الدنيا والآخرة بما نعجز عن تعليله فنتهم عقولنا بالقصور ، ونعترف ضُعفاء مخذولين بوهن أفهامنا عن إدراكه والنفاذ إلى كنهه ؟!

وهكذا كانت الأبالسة ترقص فى رأسى المحزون ، وتوسوس فى قلبى المضطرب ، وتهتف فى أذنىّ الحائرتين ... وكنت أحاول أن أصرفها عنى فلا أستطيع ، بل كنت أتهم نفسى وأنا أحاول ذلك بالنفاق ، وأرميها بالرياء الدينى المصطنع ، وكان غرورى يأبى لى أن أكون منافقاً أو مرائياً

وسمعت أعز الأمهات تعالج فى صدرها شهقات وزفرات ، فأسرعت إلى سريرها وبى أنها سكرة الموت ، فأسندت الرأس الـكريم إلى صدرى ، وتناولت كوباً من الماء به قطرات من الدواء فوضعتها قريباً من شفتيها ... ولكنها لم تحسُ من الماء حَسْوة ! بل نظرت إلىّ بعينين تترقرق فيهما دموع الحنان ، فرحت أكلمها على عادتى كلاما كله ضحك يخنقه البكاء ، وكله فكاهة تلبس أردية الحزن القاتمة !

لشد ما تخنقنى عبراتى وأنا أحدثك بهذا أيها الصديق !

لقد حدث هذا منذ عشر سنوات ، فلم أخط فيه حرفاً ، ولم أحرك به لسانى لمخلوق ... ولولا أنك جادلتنى فى الله لآثرت أن أطوىَ عليه قلبى إلى الأبد ...

لقد كانت الأبالسة تأخذ علىّ مشاعرى فى تلك اللحظة ، وكانت تجمع أدلتها ضد السماء فى ثورة جارفة ... وكان فؤادى يتمزق كلما ذكرت أن أعز الأمهات ستقضى دون أن تودعنى بكلمة .

بيد أننى سمعت كلاماً عنيفاً يتردد في صدرها ، فلما أدنيت أذنى من فمها ، إذا هى تردد هذه الكلمة العظيمة الخالدة :

« الله ! الله ! الله ! »

فلما استيقنتها أخذ العرق يتصبب من جسمى كله ، وعرتنى رجفة قوية لم أبلها من قبل ... ثم ذكرت أبالستى . ولما أدرت وجهى من حولى ، رأيتهم ... رأيتهم رأى العين ... كاسفى البال ، شاحبى الوجوه ، وقد أخذوا ينفذون من جدران الحجرة الصماء ، وكان الضعفاء منهم يثبون من النوافذ المفتحة ... حتى لم يبق معنا منهم أحد قط !

لقد كانت هذه لحظة من لحظات الإيمان التى انتشلت روحى من ظلمات الأبالسة ...

لقد كانت من أسعد اللحظات فى حياتى !

لقـد كانت بارقة الأمل التى بدت لى فى تلك الصحراء المهلـكة من الشك الذى ران على قلبى وتغلغل فى أعماقى !

وقد زادها روعة وجلالاً وعظمة ذلك الصوت الناعم الباغم المصقول الذى أرسله المؤذن يشق هـدأة الفجر :

سبحان الكريم الحليم الفتاح ...

سبحان من شق الفجر فلاح ...

لقد أفاقت أعز الأمهات من سكرة الموت عند ما طرق سمعها ذلك النداء الحبيب الذى لبَّته هذه السنينَ الطوالَ ، فكانت تتجافى عن المضجع الدافئ فى الشتاء ... شتاء شمال الدلتا القارس ... كما كانت تتجافى عنه فى الصيف ، لتجيب دعوة ربها الكريم الفتاح ، فتتوضأ بالماء الذى يشبه الثلج ، ثم تلتفع بتلك « النطفة » البيضاء الناصعة التى تجعلها فى هيئة الملائكة ، ثم تكبر ، ثم تأخذ فى صلاتها الهادئة الساكنة المطمئنة ؛ حتى إذا سلمت أخذت تدعو ربها لنا جميعاً بالخير ، ولزوجها الراحل بالرحمة !

يا ويح لى يا صديق !

لقد كنت أنام معها فى ذلك المصلى نفسه فى سرير مقابل سنين عدداً ... وكنت أستيقظ على صلاتها ودعائها ... وكان ابتهالها يصك أذنى صكا ... لكنى كنت مع ذلك لا أتحلحل من مضجعى ، ولا أتأثر قط بتلك الصلوات وهذه الدعوات ... بل طالما كنت أستهزئ بهذا السلطان الدينى العجيب الذى يقتلع تلك العجوز من مضجعها فى مثل ذاك البرد ، لتتوضأ ولتصلى وتناجى ربها ...

ما كان أبدع صوت المؤذن وما كان أرقه !

لقد كان صوته العذب يجلو الصدأ عن روحى الآثمة ... تالله لقد كان صوت « الشيخ بكرى » رحمه الله ، هو صوت الله ، أليست أرواحنا من روحه تبارك وتعالى !.

ورفَّت ابتسامة حزينة على الثغر المحتضر !

ثم استطالت تلك الابتسامة ، وأروَتْها دموع الموت التى كانت تؤجج فى أضالى جمرات الحزن ... وكنت فى أثناء ذلك أتكلم بكلام لا أذكره . وربما كنت أهذى

ثم أسندت رأسها على الحشية ، واستأذنتها فى أن أدعو إخوتى ، فأشارت برأسها أن لا ! ففهمت أنها لا ترى إزعاجهم بما يعتريها الآن من حشرجة ... ومن يدرى ... فربما آثرت أن تصمد روحها فى غير ضجة ... ومن يدرى ؟ فربما آثرت أن تنتشلنى بهذه الخلوة المقدسة والسكينة السابغة مما كانت تعلم أننى أتردى فيه من ضلال وزلل ، وفساد فى معتقدى وخطل !

أليست كانت تلح على أن أهتدى فكنت أسخر منها

ألم أحلْ بينها وبين الحج إلى بيت الله بحجة أننى أحق بنفقة هذا الحج ، وهو كان أملها ومتمناها ؟ !

ألم تكن قد فرغت من شئون الحياة كلها إلا من شأنى ؟

... وكان جحودى يتعاظمها ويشق عليها ، فكانت تلجأ إلى فطرتها السليمة البسيطة التى لم تتلفها الفلسفات فى الرد على ، فتربكنى بهذا السؤال البسيط الذى تتخبط الفلسفات كلها فى الإجابة عنه : ومن أوجدك وأوجد هذا العالم ؟ ومن يسهر عليك وعليه ؟ ألم تفكر قط فى نفسك ؟ ما هذه الجارحة الصغيرة — وتشير إلى موضع قلبى — التى تخفق بالحب وتجيش بالأمل وتفيض بالخير ، والتى تربط الأسر وتحفز الدم وتسمو بالإنسانية وتبنى الملاجئ وتنشئ المستشفيات وتطعم الجائع وتنجد المضطر وتغيث الملهوف وتحرك الأيدى بالعطاء وتذيب الدموع فى المحاجر ، وتبسم فتبسم الحياة ، وتعبس فتعبس الدنيا ، وتبصر فيبصر السلام ، وتعمى فيعمى العالم وتعمه نيران الحروب ؟

أليس بحسبك يا بنى أن تكون تلك الجارحة برهاناً على وجود هذا الإله القادر الذى تنكره وتمارى فيه ؟

ثم أنا ... ثم أبوك رحمه الله ... ألم تفكر فى صيرورتنا بعد الموت قط ؟ ألا يعز عليك أن نموت فنصير إلى عدم فلا نلتقى أبداً ؟ ! أليس أخلق أن تؤمن بما تقوله لنا السماء ؟ أليس أن نلتقى هناك ... هناك ... فى تلك الجنة التى عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ؟ أليس أحجى أن نلتقى ثمة بين يدى اللطيف الحميد ... الجنة التى لا موت فيها لهذا الموت ، ولا فقر ولا مرض

ولا جوع ولا شره ولا بوائق ؟ ... الجنة الوارفة الظلال التى تلتقى فيها الأرواح السعيدة بعد هذا السفر الممل والغياب الطويل والنوم الهامد الخامد ... الجنة الجميلة الخالدة التى لا تذبل فيها زهرة ، ولا يظمأ فيها عصفور ، ولا يحسد فيها فقير ، ولا يعيش فيها بائس ، ولا يشقى فى رحابها يتيم ، ولا يكنز المال فيها قارون ، ولا يطالب فيها شيلوك برطل من لحم المدين ، ولا يقتل فيها عباد الأصنام أنبياءهم الصالحين !

إن الله يا بنى هو المثل الأعلا فلا يصوره لك ضلالك هولة أو غولاً أو وحشاً أو سعلاة . . . إن الذين يخافون الرحمن كما تخاف الجن والسعالى ، ويخشونه كما يُخشى القتلة والسفاكون ، هم غير جديرين بعبادته ، غير خليقين أن يعرفوه ، غير أحرياء أن يهتدوا بنوره

إن الخوف من الجن والسعالى لا يعلم فضيلة ، ولا يحض على خير ، أما الخوف من الله فيرفع الإنسانية إلى مثله الأعلا ... إلى الكمال الذى لا يعرف الغرائز الدنيا

إحذر يابنى أن تحسب عقلك أوسع من الدنيا أو أكبر من الله ! إن الجديد الذى يكتشفه بنو الدنيا من أسرارها كل يوم حرىٌّ أن يقتلع من نفسك الغرور ، ومن روحك الكفر ، ومن قلبك الضلالة

آمن بالله يا بنى ولا تكن لى خزياً بين يديه يوم القيامة !

هكذا كانت تجادلنى أعز الأمهات يا صديقى ، وهكذا كانت تنصح لى ... فلما رأيت الأبالسة تولى وتغور فى الجدران والنوافذ ، ولما رأيت الحجرة المباركة تخلو إلا منى ومن الأم المحتضرة ، خيل لى أن كل نصائحها تتردد فى مسمعى ، وخيل لى أننى أراها ألف ألف مرة وهى قائمة تصلى فى هدأة الفجر ، وعليها (غُطفتها) الناصعة ، وخيل لى أننى أسمعها وهى تدعو الله لى ولأخوتى ، ولزوجها الراحل

ثم سكت المؤذن الجليل لحظة ، ثم نادى :

الله أكبر ... الله أكبر ...

فوالله يا أخى لقد سمعت قلبى الذى أخذته رجفة هائلة يردد ما أذن به الشيخ بكرى عليه رحمة الله

ووالله يا أخى لقد تلفت حولى فتخيلت الملاك الكريم فى أجمل صورة يستطيع أن يتخيلها فنان وهو باسط يديه ، وقد رفت على فمه ابتسامة الإيمان التى سلحه بها ربه ... الملاك الكريم النورانى الذى كنت أحسبه تنيناً هائلاً مفزعاً ...

وانحنيت أقبل الجبين الذى ظل يقبل الأرض بين يدى الله خمسين عاماً ، ولما رفعت رأسى ، إذا نور له بهر شديد يملأ الحجرة المقدسة ، وإذا يد كريمة تلمس صفحة فؤادى ... وإذا المؤذن الجليل يملأ الدنيا بهذا النداء الرائع ، يختم به أذانه

الله أكبر ... الله أكبر ...

فهلا آمنت ؟ ! قلت : آمنت بنور السموات والأرض .

دريني خشبة

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

بين القاهرة وبغداد — فى رياض الزمالك — سهرة روحية — لمحة وجدانية — طبائع الأرض المصرية والعراقية — بين سنتريس ولبنان — أشجاع وأغاريد — منظر طريف — ماذا دها القمر — فائدة لغوية وتاريخية — مروءة مصرية

بين القاهرة وبغداد

سنحت فرصة ثمينة ، وما كنت أنتظر أن تسنح ، فقد ألفنا بُخل الأيام وشُحّ الليالى ، ورُضنا النفس على اليأس من كرم الزمان

وتلك الفرصة هى لقاء الأستاذ طه الراوى فى القاهرة بعد فراق طال ثم طال ، وبعد شوق لا يصوره القلم ولو جال وصال

قال الأستاذ الراوى عند التلاق : ماذا أصنع معك ؟ وكيف أجازيك ؟ أنت تعلن شوقك إلى إخوانك فى مجلة الرسالة فيصل صوتك إلى الشرق والغرب ، وأنا أضمر شوقي فلا يصل إليك منه قَبَس ، ولو أنى عبّرت عما فى نفسى لقلت إنى لم أجد أحداً غيرك يفوقنى فى الوفاء

كذلك كان الحديث عند لقاء الأستاذ طه الراوى صديق مصر الحميم ، والرجل الذى لا ينساه من يراه ، ولو طال البِعاد

تلاقينا وتسامرنا ، وقال وقلت : أين الأستاذ الزيات ليتمّ أُنس الحديث ؟ فقد سأل الأستاذ الراوى مرات عن الأستاذ الزيات ، وكان يشتهى أن يراه ليتحدث معه فى شؤون من شواجر الأدب القديم والجديد ، ورجانى أن أبلغه التحية إن لم يستطع رؤيته قبل الرجوع إلى بغداد .

فى رياض الزمالك

عرفت من المفوضية العراقية أن الأستاذ الراوى يقيم بفندق الكنتننتال ، فطلبته بالمِقْتاف ، فردّ صوتٌ محبوب هو صوت السيد خالد الشوربجى ، فعجبت من هذه المصادفة الغريبة ، وسألته عن الأستاذ الراوى فقال : تجده بكلية البنات فى الزمالك ،

ثم قال : وِين الأستاذ الزيات ؟ فقلت : تجده فى كلية الزراعة على شاطئ بحر شبين !

مضيت فى المصرية إلى الزمالك ، فكيف رأيت الزمالك ؟

إنى لمفتون بتلك البقعة التى يطوّقها النيل من أربع جوانب ، وإنى لمفتون بما فيها من قصور وبساتين ، وإنها الروضة من أنضر الرياض

أين الشاعر الذى يصوّر جمال الزمالك ؟

وأين الروح الذى يدرك معانى تلك الجزيرة الخضراء ؟

لن ينقضى فتونى بتلك الروضة المُهندَمة بأروع وأظرف ما تجود به الفنون ، فالزمالك تُرى وكأنها صُبّت مرة واحدة فى لحظة من لحظات الصفاء

لا تجد بيتاً يُبنَى ولا بيتاً يُهدَم ، ولا ترى إلا سَبيكة مقدودة من ضمير الحُسن الأصيل

هذه كلية البنات بشارع محمد أنيس ، وهذا بابها العالى ، فما أسعد بلداً يكون لبناته حظ التعلم فى مثل هذا المكان البهيج !

وأخطو خطوة فأجد الأستاذ الراوى فى انتظارى ، وأجد معه الأستاذ عبد الجبار الجلبى ، وأجد وجوهاً عراقية فى سُمرة النيل عند الوفاء

وأقول بعد التحية : جئت أدعوكم لزيارة سنتريس ، فما يجوز لمن يزور مصر أن يغفل زيارة سنتريس

فيقول السيد عبد الجبار الجلبى وهو يبتسم : إن مَثَل من يزور مصر ولا يزور سنتريس مَثَل من حَجّ ولم يعتمر ، وقد يكون حاله حال من اعتمر ولم يحج ، فلا بد من زيارة سنتريس

سهرة روحية

وبعد لحظات يتفرق الجمع ، لأن لجمهور الحاضرين مآرب من رؤية القاهرة بالليل ، وأنظر فأرى الأستاذ طه الراوى سيبقى بلا رفيق ، فأقرر البقاء لمسامرته إلى أن يعود الرفاق

قلت : أيسمح سعادة الأستاذ أن نخرج فنرتاض على ضفاف النيل ؟

فقال : أنت النيل ، ثم أنشد قول المتنبى :

مِن عَبيدى إن عشت لى ألف كافو
ر ولى من نداكَ ريفٌ ونيلُ

وانطلق فقص قصة المتنبي بعد أن رحل عن مصر ، قصها بصورة خلابة كأنه كان رفيق المتنبي حين فارق مصر في ليلة عيد

وخلاصة القصة أن المتنبي كان يعلق آماله على « فاتك » وكان فاتك يريد السيطرة على الصعيد ، فبث كافور ألوف العيون ليعرف من أحواله كل شيء ، وكان المتنبي يعرف هذه الحقيقة ، فكان يخرج بحجة الحرص على ترويض حصانه ليلاقي فاتكاً في مكان مجهول ، ثم هلك فاتك فلم يبق للمتنبي غير الرحيل ، ولكن إلى أين ؟

رحل إلى الكوفة ، وهي وطنه ، ولعله كان فيها من الفقراء ، فأرسل إليه سيف الدولة هدية يستعين بها على العيش ، فرد المتنبي بقصيدة منها هذا البيت :

مِن عَبيدي إن عشت لي ألف كافو
رٍ ولي من نداك ريفٌ ونيلُ

ومضى الحديث في شجون مصرية وعراقية ، فكان من ذلك دليل جديد على الثقة الموصولة بيني وبين هذا الرجل النبيل

— إحكي ، إحكي

وماذا أحكي ؟

أنا تعبت من الحكي ، فاحكي أنت

— ميعاد الحكي في سنتريس

وخرجت أبحث عن سيارة بعد انتصاف الليل وأنا في نشوة روحية قليلة الأمثال

رياض الزمالك وأحاديث الراوي في ليلة واحدة ؟ تبارك من جمل هذه الحظوظ من نصيبي في أوقات قل فيها الظفر بأطايب الحياة .

لمحة وجدانية

وقفنا على جسر الرّياح المنوفي بالقناطر الخيرية لحظات ، فقلت للأستاذ الراوي : ما رأيك في أن ننزل فنقطع هذا النهر سابحين إلى أن نلقى الاستاذ الزيات ؟

— إيش لون ؟

— هذا النهر يسمى هنا بالرياح المنوفي ، وبعد قنطرة النعناعية يسمى بحر سنتريس ، وبعد قنطرة القَرِينتَين يسمى بحر شبين ، ومنه تستقي مزارع الأستاذ الزيات

— أنتم تُسقون من نهر واحد ؟ الآن عرفت السر فيما بينكم من وفاق

— وهناك وشيجة ثانية

— ما هي ؟

— هي ما يوجب العقل من تلطف الشركاء بعضهم مع بعض ، فأنا أستطيع سد هذا النهر بنبابيت سنتريس

— ولا تخاف الحكومة ؟

— الحكومة تركت هذا النهر في حراستنا ، فنحن نملك من أمره كل شيء

— أنتم إذاً على استعداد لإساءة التصرف

— ومع هذا لم نسيء التصرف ، رعايةً لمعنى واحد ، هو البر بالصديق ، ولو كان الزيات عدواً لعاملناه معاملة الأعداء ، هذا مع العلم بأن الزيات صديق مضمون

— ما معنى هذه الكلمة الأخيرة ؟

— إن لها معنى ومعاني ، فالصديق المضمون هو الصديق الذي لا يُخشى تغيره بأي حال ، وإذن يجوز التحيف عليه باطمئنان ، فيكون البر به غاية في الوفاء

— هذا معنى طريف ، ولكنه يحتاج إلى بيان

— بيان ذلك أن من الاصدقاء من ينهاه قلبه وروحه عن مجازاة أصدقائه غدراً بغدر ، وإيذاء بإيذاء . والصديق الذي يكون في مثل هذه الروحانية يلقى من أصدقائه متاعب ومضجرات؛ فالوفاء بعهده يُعَد أعجوبة في الحياة الأخلاقية ، وأنا أطمع في الظفر بأكبر نصيب من مكارم الأخلاق

— نحن نسمع في مصر كلاماً جديداً

— ولكنه أقل من كلام العراق

— يعجبني تعصبك لأصدقائك ، يا دكتور مبارك

— ولمن أتعصب إذا لم أتعصب لأصدقائي ؟ لم يبق من الكرم غير حفظ العهد ، وكل ما أخشاه أن يكون حظي من هذا المعنى أقل مما أريد . إن الهجوم على العدو لا يحتاج إلى عناء ، لأنه ينبعث عن ثورة تعين على القتال ، أما ملاطفة الصديق فتَصدُر عن عواطف رفيقة لا تساعد على الاستبسال

لو بذلنا في ملاطفة أصدقائنا معشار ما نبذل في محاربة أعدائنا لرضى الله عنا واصطفانا لأشرف الأعمال

الأدب الحق هو أدبك فى معاملة من لا تخاف أن يثور عليك

— وهذا أيضاً كلامٌ جديد

— وهو أيضاً من وحى العراق

— طيَّبَ الله أنفاسك ، يا دكتور مبارك !

طبائع الأرض المصرية والعراقية

فى حديقة الدار فى سنتريس بَدَتْ الطُّلمبة أمراً عجبا ، فقد دهش الضيوف العراقيون من أن نستقى الماء بلا بئر ، فقلت إن هذا يتيسر فى العراق لو أردتموه . فقال الأستاذ طه الراوى : إن البئر فى العراق تكون مياهه غاية فى المرارة إن بَعُد عن الشط ، لأن أرض العراق كثيرة الأملاح

عند ذلك تذكرت عبارة المسيو دى كومنين حين رأى الطلمبة فى سنتريس ، فقد قال إن هذا يمتنع فى الأرض الفرنسية ، وإن لم يذكر الأسباب

وعند ذلك فهمت كيف كانت بغداد مملوءة بالأنهار ، وهى القنوات التى كانت تنقل الماء إلى المحلات المختلفة بدار السلام ، فكل مجرى ماء اسمه نهر عند أهل العراق ، ولو كان قناة لا يحتاج عبورها إلى أيسر مجهود ، ومن هنا جاز أن نرى فى كتب التاريخ أن البصرة كان فيها مئات أو ألوف من الأنهار الجاريات

لو سمعت كلام الأستاذ الراوى قبل أن أكتب مقالى عن « عروس النيل » لكان من الممكن أن أضيف إليه توضيحات ، فليكن ما هنا تكميلاً لما هناك

بين سنتريس ولبنان

قال الأستاذ الراوى : للنسائم هنا مَذَاقٌ لا نجد مثله فى لبنان ، فما الذى يمنع من أن تجعلوا بلدكم من بلاد الاصطياف ؟

قلت : إن هواء سنتريس أتعب أهل سنتريس

— وكيف ؟

— لأنه جعلها مَراداً لأصحاب الأذواق ، فهى المُلتقى لأكثر سكان المنوفية ، ومن أجل هذا عمَّ فيها الغلاء

أسجاع وأغاريد

وعند تناول العشاء سمعنا طيوراً تسجع وتغرّد بأنغام لا يسمع مثلها أهل العراق ، فقال الأستاذ عبد الجبار الجلبى : ما هذه الطيور ؟ فقال السيد عبد المجيد مبارك : هذه جماعة الكروان تَصدَح عند قدوم الليل

وتردد الأستاذ الجلبى فى تصديق ما يسمع ؛ فقال له الأستاذ الراوى : هذه بلابل تصدح بأنغام أهل سنتريس !

منظر طريف

حين مررنا بحدائق القناطر الخيرية نبهت رفاقى إلى غابة أبى قردان ، وقلت إنه طائر يصادق الفلاح ، فيرافقه فى الحرث والسقى ، ليلتهم ما فى الأرض من ديدان ، ولهذا يحرم صيده بأمر وزارة الزراعة المصرية

قال الأستاذ الراوى : هـذا اسمٌ عربىٌ ، فالقُراد يُجمع على قِردان كما يجمع الغلام على غِلمان ، ولعل هذا الطائر سُمِّى بذلك لأنه يطهّر الأرض من الحشرات

قلت : ومن العجيب أن يكون ملتقى هـذه الطيور البيض فى شجرة كريمة بأحد المنازل فى سنتريس ، وكأنها تقول :

من علم الورقاء أن محلكم حَرَمٌ وأنك موئلٌ للخائفِ

ماذا دها القمر ؟

كانت طلعة القمر طلعة بهية ، وكان لألاؤه فوق بحر سنتريس غاية فى البهاء ، فماذا دهاه قبل أن نقترب من قليوب ؟

قال السيد هاشم : القمر مخنوق

فوقفنا جميعاً وتطلعنا إلى وجه القمر فرأيناه فى حال تُشمت العُذّال !

حتى القمر تنال منه صروف الليالى ؟!

وتسمَّع السيد عبد الجبار ما يقول أهل قليوب ليوازن بين أقوالهم وأقوال أهل بغداد ... وتذكرت العبارة المصرية فقلت : « يا بنات الُحور ، سيِّبوا قمرنا ينُور »

فقال : إن عبارة أهل بغداد « ياحوتَه يامنحوتَه ، طلى قمرنا العالى »

وإذن تكون بنات الُحور هى التى تخنق القمر فى مصر ، وتكون الحوته المنحوته هى التى تخنقه فى العراق[1]

(١) المنحوته فى لغة أهل العراق هي المنحوسة

قلت : القمر عندنا معشوق تحتجزه الحوريات ، وهو عندكم مأسور بأيدى الحوتات المنحوتات ، عليهن اللعنات !

فقال السيد عبد الجبار : لقد راعنى هدوء الطبيعة المصرية ، ففى كل ماء تنق الضفادع بقمقمة مزعجة ، إلا ماء النيل

واستطرد الأستاذ الراوى فقال : أراد صوفى أن ينظر معشوقته من ثقب الباب فرآها عارية ، ولكنه انزعج حين رأى ضفائرها تحجب عنه جسدها الوهاج ، فصرخ :

ياحوته يامنحوته طامي قرنا العالي

قلت : وما شأن الصوفى بالأجساد العارية ؟

فأجاب : هل نسيت ما قررته فى كتاب التصوف الإسلامى ؟ ألم تقل إن الحب الحسى قنطرة إلى الحب الروحى ؟ ألم تقل إن الصوفية تبنوا أشعار الماجنين فحولوها إلى خطرات وجدانية ؟

فائدة لغوية

قال سعادة الأستاذ الراوى وقد شربنا القازوزة : إن العرب عرفوا القازوزة ، فقلت القازوزة التى نشربها كلمة فرنسية أصلها Gazeuse فما هى فى العربية ؟ فقال : وردت فى قول أحد الشعراء :

أفنى تلادى وما جمّعتُ من نَشَبٍ
قرعُ القوازيز أفواهُ الأباريق (١)

فقلت : هى القوارير بالراء فى المطبوعات المصرية ، وهى أفصح لأنها كلمة قرآنية . وبعد لحظة قال الأستاذ : المفرد قاقوزة ، فقلت : إذن يكون الجمع قواقيز

وبعد العودة راجعت القاموس فوجدت قاقوزة وقازوزة بمعنى واحد وهو المشربة أو القدح أو الصغير من القوارير ، وعلى ذلك يمكن أن يكون البيت رُوى بروايتين

وفائدة تاريخية

قال الأستاذ الراوى : سمعت اليوم تعليلاً أعجبنى فى تسمية شارع الموسكي ، فقد حدثنى أحد الأفاضل أنه جاء من الكلمة الفرنسية Mosquée وهى كلمة عربية الأصل معناها المسجد ، وسمي الشارع بذلك لأنه يوصل إلى المسجد الكبير وهو الجامع الأزهر

فقلت : الموسكى بفتح السين نسبة إلى مُوسَك أحد أمراء مصر فى الأيام الخوالى ، وسكنت السين للتخفيف

فضحك الأستاذ الراوى وقال : إذن كان ذلك المحدث من « الأفاضل » بالقول لا بالفعل

مروءة مصرية

رجعنا إلى القاهرة والقمر مخنوق ، والظلام يطمس المعالم بميدان باب الحديد ، ولابد من سيارة تنقل الضيوف إلى الزمالك

— تاكسى ، تاكسى ، تاكسى

هتفنا بهذه اللفظة أكثر من خمسين مرة ، فما سمع سامع ولا أجاب مجيب

ونظرت فرأيت فتى يخترق الظلام ليستوقف سيارة فظننته خادماً يبحث لسيده عن واسطة ، أداة النقل فى لغة العراق ، ثم ظهر أنه بائع متجول أراد أن يربحنا من ذلك العناء

هل قدمنا لهذا البائع قرشاً أو نصف قرش ؟

الجواب عند السيد عبد الجبار الجلبى فقد كان فى الزاوية الثانية ، ولعله نفحه بشىء ، وإلا فأنا حاضر لمكافأته على ذلك الصنيع الجميل .

زكى مبارك

(١) كلمة « أفواه » مرفوعة لأنها فاعل المصدر وهو « قرع » فقد رفع الفاعل بعد إضافته إلى المفعول

الأعــراب

نحن الذين بلغوا الرسالة

لأستاذ جليل

إلى الأستاذ صاحب مجلة (آخر ساعة)

يا أخا العرب

لكاتبين محررين فى مجلتك ولكتاب فى مصر وغير مصر أن ينقدوا (الأعراب)، وأن ينعوا عليهم عيوباً فيهم بل أن يبالغوا فى شتمهم أو هجوهم إذا اقتضت حال سبّا

إن لهم أن يقولوا: (أإسلامية وجاهلية) حين يروننا مستمسكين بعادات خبيثة بدوية، وأقضية منكرة عرفية تظاهر (الظهير البربرى ...)

وإن لهم أن يقولوا: (أمصرية وعداوة للجندية) حين نسأل أولى الأمر أن تميّز، أن نستثنى من سائر الأمة فى الأمر العمم كأننا ضَمْنى أو زَمْنى يلتمسون التزمين(1)

وإن لهم أن يقولوا: متى تتحضرون أيها الأعراب، وقد تبدلت الدنيا، وتدخلون فى دين الناس، وتسكنون بيت الحجر وتتركون بيت الشَّعر

إن لهم أن يقولوا الحق فى كل وقت، وللحق يعنو الصغير ويعنو الكبير

ومن أقوالنا قِدْماً: « اشتمْنى واصدقْ أيها الشاتم »،

ولكن هل يجوز لكاتب عندك اسمه (إحسان) أن يقول فى مقالته (حوادث وخواطر) ـ فى الجزء (٤٦٠) ص (١٠) فى ٢٥ يوليو (١٩٤٣): « كل هذه المدنية التى شيدناها لم تعجب الزائر الكريم وإنما أعجبه الأهرام وأبو الهول، أعجبته قطعة من الصحراء أُقيمت عليها أصنام وقفت حولها حمير وإبل وأعراب ... »

إن هذا لشىء إدّ، إن هذا لأمر نكر لم تقتضه حال، ولا دعا إليه داع. فما الذى دفع الكاتب إلى هذه القولة، وما كان ضره لو ترك (الأعراب) وخطبهم ولم يقرنهم وما سمّاها فى قرن

يا أخا العرب

أنت تدرى وكل الناس يدرون أن أجدادنا كانوا البعوث (الجيوش) التى قادها صاحب رسول الله أبو عبد الله (عمرو ابن العاص) العربى المصرى (رضوان الله عليه) يوم بادر إلى مصر كيما يحررها ويهديها

قائد آبائنا عمرو بن العاص هو سيدى، وهو سيد كل مصرى يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهو سيد كل مصرى ينطق بالعربية

من حرر مصر؟ من هدى مصر؟

عمرو بن العاص صاحب محمد، خادم دين محمد

يا أخا العرب

إن الأعراب (حيّا الله رَبْعك(1)) إذا تحضروا وتعلموا وتثقفوا جاءت منهم ملائكة. ومن الأعراب فى هذا العصر فى هذا الوقت فى مصر وفى العراق والشام والجزيرة وبلاد المغرب (تونس والجزائر والمغرب الأقصى) دكاترة فى العلوم والفنون، وأساتذة كبار، وزعماء عظماء، ومرشحون للزعامة ... من الطراز الأول

* * *

أدع الانتخاء، والمنجهية الأعرابية وأقوال العلماء والأدباء قديماً وحديثاً فينا، ووصية سيدنا عمر (رضوان الله عليه) بنا ووصفه إيانا. وأدع أبيات المتنبى فى البائية، وأبيات المعرى فى الرائية فى تقريظنا لشهرتها. وأختم هذه الأسطر بكلام الله، وأبيات لأبى إسحق ابراهيم بن عثمان الغزى (رحمه الله) حتى تكون قولاً بقول، والبادئ أظلم، وقضاء الله فى أمر الاعتداء هو القضاء: « ... فمن اعتدى عليكم الآية » ولئن أساء (إحسان) – غيرَ ناوٍ أن يسىء – لقد أحسن (ابن عثمان)

قال الله:

« ومنَ الأعراب من يؤمنُ بالله واليوم الآخر، ويتّخذُ ما يُنفقُ قُرُباتٍ عند الله وصَلَوات الرسول. ألا إنها قُربةٌ لهم، سيدخلُهم اللهُ فى رحمته؛ إنّ اللهَ غفورٌ رحيم »

قال الشاعر:

يا ربعُ، فيك الها والأُسد أحبابُ

فقل لنا: أكناسٌ أنت أم غابُ؟

(1) الضمانة والزمانة: العاهة. وهو ضمن وزمن ـ مثل كتف ـ والجمع ضمنون وزمنون، وضمنى وزمنى. وزمنه: كتبه فى ديوان الزمنى ليعذر عن الجهاد، ولم ترد هذه اللفظة فى المعجمات، وسيعاد إليها

(1) قومك

المشكلات

٣ – اللغة العـــربية

للأستـــاذ محمد عرفه

ماذا أخفقنا في تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

يتوقع القراء أنني سآتيهم في مشكلة اللغة العربية بحلول مطولة وآراء معقدة ، تثقل على العامة ولا يسيغها إلا الخاصة

وإني سآتيهم بالجديد الذي لم يقرع أسماعهم ، ولم يخطر لهم ببال

وأني أقول للقراء أن ما سأعرضه عليهم قسمان ، الأول نقد الطريقة التي تسلكها المدارس في تعليم اللغة ، والثاني نقد علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ، وإبطال الباطل من قواعدها ، وإحلال الحق محله

فأما نقد أسلوب تعليم اللغة فإني أحب أن أطمئن القراء من جهته ، فإن الحلول التي جئت بها سهلة لا غموض فيها ، بسيطة لا تركيب فيها ؛ وهكذا شأن الحقيقة تمتاز بالسهولة والبساطة ، وقد أخذتها من العامة وأشباه العامة ، أخذتها من الحائك إذ يعلم الحياكة ، والحداد إذ يعلم الحدادة ، والنجار إذ يعلم النجارة

وليس فيما جئت به في هذا الموضوع جدة ، وإنما هو قول معاد مكرور ، قاله علماء الشرق قديماً وعلماء الغرب حديثاً ، حتى أنني ترددت في عرضه على الناس ، ولكن يشفع لي في عرضه أن قومي لم يعملوا به كأنهم لا يعرفونه ، فقلت لعلهم يحتاجون إلى الإقناع به ، وإقامة الدليل عليه ، وإدارة الكلام على البرهان والإقناع ، ليوافق طبقات الناس ، وكذلك فعلت

وأما نقد القواعد وبيان الباطل منها ، وإحلال خير منها محلها . فهي مسائل فنية يصعب فهمها إلا على الدارسين ، وهي جديدة قد نشأت عن الدرس الطويل ، والتأمل والتنقيب في هذه العلوم ، وفيها لذة ومتعة ، فسيرى فيها القراء مصاولة العقول ومقارعة الآراء ، وسيرون علوما كانت تحاط بهالة من التقديس تنهار وتتهدم ، وعلوما أخرى حلت محلها وأخذت مكانها ، فبدت أعلى منها وأسمق ، وما نهدم ما نهدم إلا عن بينة وحجة ، وما نبني ما نبني إلا عن بينة وحجة . فما عدله الدليل فهو العدل الثقة ، وما جرحه الدليل فهو المجرح المدخول

فإن كان ما جئت به حقاً فللقراء خيره وبركته ، ولي ما كابدته من النصب والهم ، وإن كان باطلاً فعلي تبعته وعاره ، وخلاهم ذم

ربما لم تعن أمة في العالم بلغة ما كما عنيت الأمم الإسلامية باللغة العربية ، وقد عظمت هذه العناية واتصلت وتلاحقت مدة ثلاثة عشر قرنا ، فتوافر العلماء عليها في القديم يدرسونها من نواحيها المختلفة ، درسوا مفرداتها وعرفوا التغييرات التي تلحق المفرد ، والأوزان التي يكون عليها ، وكيف تتصرف الكلمة في الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة الخ . ، وعرفوا قواعد ذلك وسموه علم الصرف ، وعرفوا ما تدل عليه كل كلمة من معان ، والشواهد التي يستشهد بها على هذه المعاني ، ودونوا ذلك وسموه علم متن اللغة ، ودرسوا نظمها وتراكيبها المختلفة ، وما يفيده كل نظم وتركيب ، ووضعوا قوانينه وسموه علم النحو . ودرسوا فضيلة الكلام ، ووضعوا القواعد التي يحسن بها الكلام وسموها علم البلاغة . ودرسوا ما في لغة العرب من شعر ونثر وبينوا معانيه . ودرسوا أوزان الشعر وأعاريضه وقوافيه . وهلم جرا

وضعوا كل ذلك في قوانين ، ووضعوا هذه القوانين في كتب قد سطرت ، وصحف قد نشرت ، وكان كل جيل من الأجيال يزيد وينقص ، ويغير ويبدل على حسب ما يتراءى له ، ويضع الكتب الجمة والأسفار المختلفة ، وكانوا يعكفون عليها يتدارسونها يعلمها كبيرهم صغيرهم ، وعالمهم جاهلهم ، وقد ورثنا نحن هذه

بين الـكثيبين حيٌّ كَنَّوُهم أدبٌ
محضٌ ، وإيجازهم في القول إسهاب
خطُّوا وأقلامهم خَـطِّيـة سُلُبٌ
فهم على الخيل أميُّون كتَّاب(١)
أهل الإصابة إن قالوا ، وإن سمعوا
وللسماع كما للقـــول إعراب(٢)

غيرَ الهبيدِ ونَرْضِ البيد ما عرفوا
والعز يعذب في أكوابه الصاب(٣)
صدق الله ، ولم يكذب الشاعر(٤) ... ناقد

---

(١) سلب : طويلة أو تسلب الأنفس
(٢) الله أكبر !
(٣) الهبيد : حب الحنظل . ماء برض : قليل
(٤) تراجع في (العقد) في أخبار الرجل العظيم الحجاج بن يوسف (رحمه الله) قصة طرفة في آخرها صدق الله وكذب الشاعر

العناية فدرسناها فى جميع معاهد التعليم ، فهى تدرس فى وزارة المعارف ، فى الأقسام الابتدائية والثانوية وفى التعليم الأولى ، وهى تدرس فى المعاهد الدينية والأزهر فى الأقسام الابتدائية والثانوية ، وهى تدرس فى كلية اللغة العربية من كليات الأزهر ، وفى كليتى الآداب من جامعتى فؤاد وفاروق ، وهى تدرس فى دار العلوم ومدارس المعلمين والمعلمات ، ونصيبها من الحصص فى هذه المعاهد نصيب الأسد

عكفت مدارسنا على هذه القواعد التى استنبطها العلماء المتقدمون فى النحو والصرف والبلاغة والعروض والقافية تدرسها وتضبط شوارد العربية على المتعلمين

وكانت تقسم القواعد على سنى الدراسة قسمة تراعى فيها الحكمة ، فهى قليلة موجزة فى الأقسام الابتدائية ، وكثيرة مطولة بعض الشىء فى الأقسام الثانوية ، وهى مطولة كل التطويل ومستوعبة كل الاستيعاب فى المدارس العالية

إنى لأعجب كيف تخفق مدارسنا وتخفق الأجيال قبلنا فى تعليم هذه اللغة مع هذه العناية وهذا الجهد

أينجح الحائك فى تعليم الحياكة ؟ والبناء فى تعليم البناء ، والنجار فى تعليم النجارة ، وكل ذي صنعة فى الدنيا فى تعليم صنعته ، ويخيب رجل العلم والتربية فى تعليم اللغة العربية ؟

أينجح تلاميذ الصناع جميعاً إلا قليلاً ، ويخيب تلاميذ رجال العلم إلا قليلاً مع أن الأولين يبذلون أقل جهد ومشقة فى تعليم الصناع ولا يعللون المسائل ولا يفلسفونها ، ولا يعملون شيئاً إلا أن يأخذوا المتعلمين بأعمال كثيرة من صنعتهم ويمرنوهم ويكرروا ذلك ، فإذا هم قد حذقوا الصنعة وأجادوها ، ومع أن الآخرين يبذلون كل جهد ومشقة ، ويذكرون علل العربية ويفلسفونها ، ويطلعون تلاميذهم على دقائقها وخفاياها

لعل مازحاً يمزح ويقول أن سر هذا الإخفاق فى هذه العناية ، وسر هذا النجاح فى هذا الإهمال

وسنأخذ هذا المزاح جداً ، ونرى أنه يشير إلى الطريق ونضع أن سر نجاح أولئك فى طريقتهم وسر خيبة هؤلاء فى طريقتهم.

سر نجاح أولئك فى المرانة والتكرار حتى يكسبوا الصنعة ، وسر خيبة هؤلاء في الاعتماد على القواعد وترك الحفظ والمرانة والتكرار

ولو أخذ كل بطريقة الآخر لخاب الناجح ، ونجح الخائب لو علم الحائك تلميذه بطريق القواعد فحسب ، وظل طول عمره يقول له شد الخيط طولاً واسلك فيها الخيوط عرضاً ليتكون منها سدى ولحمة ولم يأخذه بأعمال الحياكة الكثيرة وتكرارها والمرانة عليها ، لخاب فى التعليم ولم يكسبه الحياكة ، ولو أخذ عالم العربية بطريق المرانة والتكرار والحفظ ، فحفظ تلاميذه أساليب العربية البليغة ، ومثلها الرائعة مما يعتاد فى الخطاب ، وأخذهم بالنسج على منوالها فى الحديث والكتابة والخطابة لنجح فى تعليمه

ولا عجب أن يكون هذا الصانع العامى أقرب إلى الحقيقة من هذا العالم المربى ، لأن هذا العامى يرجع إلى الواقع ويستملى منه وهذا العالم قد أغفل الواقع وقلد ما كان عليه الآباء والأجداد

هذا العامى يعلم أن قواعد الصنعة لا تعطى الصنعة ، ولا يعطيها إلا تمرين المتعلم ، وأخذه بنماذج كثيرة ، وتكرير ذلك حتى يتقنها

وهذا العالم أغفل هذه الحقيقة وظن أن قواعد اللغة تكسب اللغة وأن قواعد البلاغة تكسب البلاغة فأخذ يبدأ فيها ويعيد ، ويكرر ويكثر من التكرار ، فأكسبهم ملكة فى قواعد اللغة ، ولم يكسبهم ملكة اللغة

سيهول هذا أقواماً ويرونه سخفاً من القول . وقياساً مع الفارق ، ويقولون : إنك لم تعمل شيئاً سوى أن قست قياساً فقلت تعليم وتعليم ، ولغة وصنعة ، وكما أن الصنعة لا تكسب بالقواعد إنما تكسب بالعمل والتكرار كذلك لا تكسب اللغة العربية بالقواعد فحسب إنما تكسب بالعمل والتكرار والحفظ ، والقياس لا يفيد اليقين ، فطرق العلم مختلفة ، فهذا يعلم من طريق ، وذاك يعلم من طريق آخر ، فالروائح تعلم بالشم ، والطعوم تدرك بالذوق ، والألوان تدرك بالبصر ، فكما لا يصح أن يقال : إن الأحمر قد كان طريق العلم به البصر فيجب أن يكون الحامض طريق العلم به البصر كذلك لا يصح القياس الذى ذكرته ، فلعل هناك فارقاً بين الصنعة واللغة يجعل أحكامهما مختلفة ، فتكون الصنعة تكسب بالتكرار ، وتكون اللغة تكسب بالقواعد ، فالقياس لا يجدينا ولا ينفعنا ، فلا بد أن تأتي بالبرهان لنصدق به ، ولا نجد عنه معدى

وإنى أعد القراء أن أجىء بالبرهان على أن اللغة كسائر الصنعات لا تكتسب بالقواعد ، إنما تكسب بالحفظ والتكرار ، وأن أدير الحديث على طرق إقناعية شتى حتى أفوز بإقناع أولى الأمر فنحل مشكلة من مشكلاتنا العديدة ، لنفرغ لمشكلات أخرى .

محمد عرفة

طرائف:

عن الـكتب والـكتاب

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

نسخ الـكتب . تصحيح الـكتب . سرقة الـكتب . النار والمـكتبات

موضوع المـكتبة العربية – عامة أو خاصة – هو موضوع طريف سنعرض له بالتفصيل فى العدد القادم من « الرسالة »

أما موضوع اليوم فهو توطئة للموضوع الذى اعتزمنا الـكتابة فيه للأعداد المقبلة

ومن لوازم الـكتب وجود عدد من « النساخين » ومهمتهم أن ينسخوا من الـكتاب الواحد نسخة أو أكثر على حسب رغبة المؤلف أو وفق مقتضيات الأمور

وأول ما عرف من هؤلاء النساخين فى الأدب العربى الجماعة الذين كتبوا المصاحف الأربعة بأمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان؛ وهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث(١)

أما كتَّاب الوحى فلم يكونوا نساخاً ، بل كان الرسول يملى عليهم الآيات حين نزولها ، وشرط النسخ أن يكون عن كتاب أو صحيفة مكتوبة

وليس النسَّاخون مقصورين على الـكتاب العربى وحده أو المـكتبة العربية وحدها ، فهناك نساخون فى الـكتب الأوربية وكان يطلق على هؤلاء النسَّاخ كلمة الرهبان ، لأن الرهبان والقسوس كانوا مختصين فى العصور الوسطى بنسخ الـكتب(٢)

وبهذه المناسبة كان عند النساخين من الرهبان قانون وضعه « تريتم » رئيس الـكهنة فى عصره يقول فيه : « يجب أن يقطع أحدكم الرق قطعاً ، وآخر يصقلها ، وآخر يسطرها ، وآخر يبرى الأقلام يملأ المحابر ، وآخر يقرأ ويصحح كتابة الناسخ ، وآخر يزخرف الـكتابة بالمداد الأحمر وينقط الحروف ، وآخر ينقشها ، وآخر يلصق الورق ويحبك الـكتب على ألواح من الخشب »(٣)

فأنت ترى من ذلك كله أن عملية نسخ الـكتاب كانت عملاً منظماً توضع له القوانين وتقعَّد القواعد . وخاصة عند جامعى الـكتب من أمراء أوربا فى العصور الوسطى

ولهؤلاء النساخين – عرباً كانوا أو فرنجة – طرائف فى النسخ . ولـكنهم على كل حال كانوا آفة فى الـكتابة العربية : ونظرة واحدة فى الشعر الوارد فى كتاب « فوات الوفيات » لابن شاكر الـكتبى تؤيد هذا الـكلام ، فهو شعر مختل مكسور مسخه الناسخ . وجاء الطابع الحديث فأبقاه – لسقم ذوقه – على اختلاله وكسره . وجاء الدكتور العالم أحمد عيسى بك فنقله فى كتابه الجديد « معجم الأطباء » مختلاً مكسوراً . وليس ذلك من سبيل بحثنا اليوم ، ولـكننا سنفرد لتصحيح هذا المعجم الجليل مقالاً طويلاً فى « الرسالة »

ومن عجب أن الـكتب المنسوخة لم يقم لها مصححون يعنون بمراجعة أخطاء النَّسخ وضبط الـكتاب وتحقيقه ؛ أما الـكتب المطبوعة فقد قام عليها مصححون منذ عَرَف الـكتاب العربى الطبعة العربية فى مطلع القرن التاسع عشر ؛ وعند صديقنا العالم الراوية الأستاذ محمود حسن زناتى أنباء كثيرة وطرائف عن هؤلاء المصححين ؛ ولعله يتحف الأدباء قريباً بمقالاته فى هذا الموضوع . وأشهر هؤلاء المصححين التماعاً فى سماء الأدب الشيخ نصر الهورينى المتوفى سنة ١٨٧٤م ، كان هذا الشيخ عضواً فى بعثة أرسلتها الحـكومة المصرية إلى فرنسا(١) ؛ فلبث هناك مدة ثم عاد رئيساً للتصحيح بالمطبعة الأميرية ؛ وله تعليقات لطيفة على هامش القاموس المحيط للفيروزبادى ؛ كما أن له كثيراً من المؤلفات أشهرها « المطالع النصرية للمطابع المصرية »

ومن المصححين المشهورين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الشيخ أحمد البهى بن حسن عبد الصمد(٢) ؛ وكان موظفاً بالمطبعة الوهبية التى أنشأها الفاضل مصطفى وهبى . وللشيخ البهى فضل تصحيح كتاب « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة ؛ وهو من المطبوعات النادرة الآن . وقد تم طبعه فى سنة ١٨٨٢م ؛ ولم يطبع بعد تلك الطبعة إلى اليوم

ولم يكن عمل المصححين القيام على تصحيح الـكتب المطبوعة فحسب ؛ بل قام بعضهم بتنظيم الفهارس المختلفة للـكتاب المطبوع كما صنع الشيخ البهى فى كتاب طبقات الأطباء المذكور . فقد صنع فهرساً وافياً للأعلام ، وآخر للبلاد والمواضع والأماكن

(١) آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ص ١٨٧ ج ١
(٢) مجلة روضة المدارس المصرية من مقال لعلى رفاعة الطهطاوى
(٣) المصدر السابق

(١) الأعلام للزركلى ج ٣ ص ١١٠٣
(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء صفحة ٢٧٤ ج ٢

والمياه والأنهار[١] . وبلغت صفحات هذين الفهرسين وحدهما (١٢١ صفحة)

وليس عمل الفهارس للكتب المطبوعة القديمة أو الحديثة عملاً هيناً يسيراً ، ولكنه يقتضى دقة وبصراً من واضعه ؛ واشتهر من منظمى الفهارس اليوم الأستاذ محمد شوق أمين الموظف بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ؛ فله فهرس[٢] منظم لكتاب البخلاء للجاحظ الذى طبعته وزارة المعارف العمومية بعناية الأستاذين أحمد العوامرى بك وعلى الجارم بك ، وله فهرس لكتاب الحلل السندسية فى الآثار الأندلسية الذى يطبعه الأمير شكيب أرسلان

وللكتب - مطبوعة كانت أو مخطوطة - آفتان : السرقة والنيران . ولقد عرف اللصوص قيمة الكتب وخاصة بعد أن اعتنى أصحابها بتجليدها وتزيينها ؛ فارتفعت أثمانها عند الأمراء والأثرياء واضطر هؤلاء إلى العناية بحفظها والقيام عليها وكانوا يكتبون على أولها عبارات تتضمن لعنة السارق والسخط عليه . وقد وجد على أحد الكتب هذا البيت من الشعر على لسان صاحب الكتاب :

إذا غرك الشيطان أن تجترى على
كتابى فمقبى المجترين الفضائح

أما النيران فهى آفة الكتاب الكبرى وبليته . فلقد أحرقت مكتبة الأمير نصر السامانى على نفاستها[٣] . واتهم بعض ذوى الأغراض عمرو بن العاص بإحراق مكتبة الأسكندرية وهى تهمة لا تستند إلى الحق . وأحرق التتار مكتبة بغداد وأغرقوا كثيراً منها فى النهر سنة ٦٥٦ هـ[٤] ، وكانت الكتب النفيسة فى هذه الفتنة تباع بأوهى قيمة[٥]

ولما سقطت مدينة غرناطة فى يد الأسبان أمر البطريق إيكزامينيس بإلقاء الكتب الإسلامية وخاصة العربية فى النار . ونهب الأتراك فى القرن العاشر ما وقع لهم من كتب المماليك وأضرموا النار فيها . ولا يغرب عن البال ما صنعه « كرمويل » فى مكتبة اكسفورد فقد أمر بإحراقها وكانت أغنى المكتبات الأوربية فى حينها

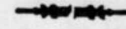
وهناك بلية ثالثة للكتب وهى العُثَّة التى تعيث فيها وتطيل ملازمتها لها بالاخراق والثَّقب ؛ واسمها بالإنجليزية : Moth-Worm . وقد أطلق الإنجليز على كل شخص يطيل ملازمة الكتب والتنقير فيها كلمة Book-Worm ، وهى كلمة يفتخر العلماء وأهل البحث بأنها من صفاتهم .

محمد عبد الغنى حسن

(١) ذيل طبقات الأطباء
(٢) كتاب البخلاء ج ٢ ص ٢٣١
(٣) مجلة روضة المدارس
(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٢٠٢
(٥) التجارب النافعة لابن القوطى طبع بغداد صفحة ٢٣١

الإسلام ومكافحة الأمية

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى



القراءة والكتابة هما أقوم السبل للتحصيل والمعرفة . وجاء عمل النبى صلى الله عليه وسلم من افتداء أسرى بدر بتعليم عشرة من أبناء المسلمين إشارة حكيمة إلى فائدة الكتابة وأثرها فى كسب المعرفة ، وعلى الأخص القرآن الكريم ، مما يؤدى إلى تثبيت الدين والعمل على انتشاره .

ثم اقتضى نظام العمران بعد انتشار الإسلام واستتباب أمره فى البلاد المختلفة شرقاً وغرباً ، إلى ظهور الكتاتيب لتعليم الصبيان القرآن والكتابة والقراءة وبعض النحو والعربية . وتناول معلم الكتاب الأجر نظير انقطاعه لهذا العمل بعد أن كان التعليم فى صدر الإسلام تطوعاً واحتساباً .

وظهور الكتاتيب الإسلامية أثر من آثار الإسلام اقتضته ضرورة الدين الجديد الذى يخاطب الناس كافة لا يقتصر على طبقة دون طبقة ، ولا يفرق بين الأغنياء والفقراء ، أو الأمراء والدهماء .

وكان الغرض الأول من التعليم دينياً خالصاً من شوائب الأهداف المادية التى تفسد على الناس أمورهم وتؤدى إلى الاضطراب والتنازع والفساد .

وقد سار الأمر فى مكافحة الأمية مع الروح الأولى الإسلامية تلك الروح المتدفقة القوية ، يصحبها العزم والإيثار والتطوع لتعليم الصغار والكبار . وليس فى القرآن نص على إلزام التعليم ولم يوجب الحديث ذلك . جاء فى الصحيح : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . وهو أقوى ما يؤثر عن الرسول بصدد التعلم والتعليم . وهذا الحديث يجعل من تعلم القرآن فضيلة ولا يرتفع بها إلى مرتبة الواجبات

وقد بحث أحد علماء المسلمين هذا الموضوع ، أى مكافحة الأمية ، إلى أن انتهى إلى القول بها . ذلك العالم هو أبو الحسن القابسى المتوفى سنة ٤٠٣ هجرية ، فى كتابه « المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » . قال إن الوالد مكلف بتعليم ابنه القرآن والدين ، وحيث أن الوالد مشغول بتحصيل المعاش ، فلا بأس أن يحمل عنه معلم الكتاب مؤونة التعليم بالأجر . وإذا مات الوالد فليبعث بالصبى إلى الكتاب وصيه إن كان للصبى مال ؛ فإن لم يكن له مال فليبعث به أحد الأقربين أو المحسنين أو يدفع له حاكم البلد الأجر من بيت مال المسلمين .

والقابسى يتلمس جميع الوسائل المؤدية إلى تعلم الصبيان . إلى أن قال : « فإذا تهاون والد عن تعليم ولده فى الكتاب بالأجر ، جُهِّل وقبِّح ووضُع حاله عن أهل القناعة والرضا » فهذا فقيه فى القرن الرابع الهجرى ينادى بالتعليم الإلزامى ، ويصور وسائله ، ويضع شروط الجزاء للمتهاونين فيه !

والفرق بين الإلزام الذى يقول به وبين الإلزام فى العصر الحاضر ، هو أن الدولة هى التى تنفق على التعليم ، وأن قوانينها تعاقب من يمتنع عن إرسال أبنائه بالحبس أو الغرامة ، أما القابسى فيضع جزاء أدبياً هو التجهيل والتقبيح .

على أن نداء القابسى لم يتبدد ، فقد وجد آذاناً صاغية من المحسنين والقادرين الذين حبسوا أموالهم على الكتاتيب ووقفوا لها الأوقاف ، وبذلك ازدهرت حياة التعليم فى القرنين الخامس والسادس .

فليذكر الذين يتأثرون خطى الغربيين ويأخذون بحضارتهم أن الإسلام نادى بالتعليم العام منذ ألف عام ، فى الوقت الذى كانت أوربا تعيش في التأخر والجهل

وليذكر الذين يعملون فى مصر الآن على « مكافحة الأمية » تلك الصفحة المجيدة فى حياة الإسلام ، لعلها تفيد فى رجع ما انقطع .

أحمد فؤاد الأهوانى

مسرحيـــة أخناتون

تأليف الأستاذ علي أحمد باكثير

للأستاذ لبيب السعيد

الأستاذ علي أحمد باكثير شاب حضرمي طوّف في الشرق ما طوف، ثم استقر في مصر يخدم الأدب والعلم. وقد بلوناه حيناً شاعراً له طابعه. وها نحن أولاء نرى فيه كاتباً تمثيلياً وقصاصاً يبشر إنتاجه بأن سيكون له في المستقبل الداني شأن أي شأن.

تُرينا هذه المسرحية أخناتون أميراً شاعري الروح، قضت زوجته (تادو) فكان حزنه عليها فوق الصبر، وداعياً للالحاد والكفر، ثم انثنى يتنكر لكل شيء، ويدرس الديانات والفلسفات مما أخاف كهنة آمون على سلطانهم أن يزول حين يؤتى الأمير الملك

وتزوجه أمه من (نفرتيتي) موهمة إياه أنها (تادو) عادت إليها الحياة، ويصدق هو ذلك لاعتقاده بإمكانه، ويسعد بالزوجة الجديدة التي نسخ الحب فيها روح (تادو)، ثم يضحى الأمير من بعد ملكا رسولاً. ولكن الرسالة التي فهم أن من مبادئها السلام تجنى على الملك الذي يقتضى الحرب، فتنبعث الفتنة في كل مكان، ويكيد الكهان لأخناتون، ويمضى هو مع ذلك في إخلاصه للسلم والحب، فإذا فشل أخيراً وآده اليأس ألحد في ربه، ثم يدرك وشيكا أن التسامي الشعري غير الواقعية، وأن لا مناص من السيف وحطم الظلم بالعدل. ويثوب إليه إيمانه وهو يحتضر

تومىء هذه المسرحية في ثناياها إلى أن الجمال الباهر والحزن العميق يستطيعان أن يدقا الشعور ويهيئا النفس لتلقى الرسالات

ومن حسناتها اللامعة التفاتها الخاص إلى السيكولوجية: ومن مصاديق ذلك غيرة «نفرتيتي» من مجرد ذكرى ضرتها الميتة، وأحزان «مي» أم أخناتون على زوجها بعد مماته، وحنينها المؤثر إلى أيامه، وغيرتها من كنتها، وتغير إحساسها نحوها، وموازنتها بين طاعة ابنها الذي يشفق على قلبها وطاعة زوجها الفقيد طاعة الحب العمياء، وفزع الكاهن «سادو» من ذكر الثعابين حتى ليكاد من جبنه يحس دبيب الحية في عنقه. هذه وغيرها صور وحالات استمدت جمالها وقوتها من اعتمادها على السيكولوجية

ومن أبرع وألذ ما حوت المسرحية ذكريات الأمير عن «تادو» بعد فجيعته فيها، ما كان أمضها ذكريات! ولكن ما كان أعذبها!

ومما يظفر أيضاً من القارىء برضاه واهتمامه شخصية «أمنوفيس» أبي أخناتون، وما كان فيه من مجانة وطرب، وفلسفته الظريفة في تذوق الملاحة النسائية، وتخريجه الساخر لمعنى الوفاء للمرأة، ثم ما كان في حياة أخناتون مع زوجته «نفرتيتي» من تعاطف رائع وأنس وسعادة، ثم سذاجة (تاي) المربية المسرفة في إعجابها بزوجها، والتي تحزن لمرض (أخناتون) الأخير. ولكنها لا تتمالك إذ تراه يطالع اللانهاية في عيني نفرتيتي، أن تقول: آه ... ياليت (آي) يطالع في عينيّ شيئاً! وكذلك شجاعة القائد (حور محب) وإخلاصه، وبلاهة (سمنتارا) وحقارته!

ونزعة المؤلف في الأسلوب تظهر في المسرحية إذ تقرر أن الديانات قد يعوزها أن تحمى نفسها بالسيف، وإن الركون إلى السلام مفض لا ريب لفقد الملك وسقوط الدين معاً

ورأى المؤلف في التناسخ طريف وجميل وليس فيه مايتحرج منه

* * *

وبعد، فأود أن أصارح صديقي المؤلف أنه كان أولى به أن يدع الأمير (أخناتون) يحدثنا بنفسه عن الآلام التي كان يصطخب بها قلبه في أعماقه بدل أن يحدثنا بها كبير الكهنة

حقاً لقد راقب كبير الكهنة الأمير من بعيد قرابة شهر بحيث يراه ولا يدرى مكانه، فهو يتحدث عنه على ضوء ما شاهد؛ ولكن هذه المراقبة إن كفلت له الحديث الصادق عن مظاهر أحزان الأمير، فليست بكافلة له أيضاً الحديث المسموع عن حشاشته التي تسيل زفرات، وصبره الصامت الذي يكبت من حزنه الصارخ، ونسيانه يومه وحنينه إلى أمسه الماضي وتفكيره في غده الآتي ووراء غده، وعن هفو أضالعه ... الخ

وأنا بعد أفهم أن الرسول هو بطبيعته وطوال حياته آخر من تعصف المصائب بإيمانهم ، ولكن أخناتون الذى تدور المسرحية على كونه رسولاً ، يسرف فى الكفر : يكفر عند موت زوجته الأولى كفراً هائلاً ، ثم يؤمن حتى يسعد بزوجته الجديدة ، ثم يضطلع برسالته مخلصاً مطمئناً ، فإذا أحس الفشل عاد كافراً يتشكك ، ثم تخر صاعقة بقرب القصر فيزداد كفراً ، وينسى رسالته فى صميمها ، فإذا استمع إلى كلام (حور محب) الذى يحاوره فى براعة ولطف عاد مؤمناً ، فاستغفر لذنبه ، وذكر أنعم ربه ...

وأشخاص الرواية هم أخناتون وأهله ورجال القصر والكهنة فأين ابن الوطن ؟ أين هو يسمعنا آراءه تلقاء الدعوة الجديدة ، ويرينا موقفه إزاء جهاد الرسول وكفاح الكهنة ؟

***

بقى أن أقول إن الذوق العربى لا يستطيع غالباً أن يسيغ (النظم المرسل المنطلق) المصوغة فيه المسرحية لأنه لم يألفه . والذى أعتقده أن ما عمد إليه المؤلف من إرسال القافية فى أغلب المسرحية وعدم المساواة فى العدد بين تفعيلات الأبيات إخلال بالخواص الجوهرية للشعر العربى لا يحسن اللجوء إليه . والظن أن طريقة كتابة هذه المسرحية وهى على نسق طريقة شكسبير تحمل القارىء على بذل جهد خاص فى القراءة كلما حرص على تفهم المعنى واستساغة النغم الشعرى . وعندى أنه لو كتبت المسرحية كالنثر ، بحيث تتصل الجمل دائماً حتى يستوفى المعنى ، وبحيث تستعمل علامات الترقيم أدق وأوفى استعمال لكان ذلك أدنى ألا يجهد القارىء فى الاستمتاع بما فى الرواية من بيان ومعان

على أن الإنصاف يقتضينا أن ننوه بالمقدرة الممتازة التى أتاحت للمؤلف صوغ مسرحيته كلها من بحر واحد ، فإن القارئ للمسرحيات الشعرية العربيـة التى سبقت (أخناتون) كان ينتقل فجأة من بحر إلى بحر ؛ فكان ذلك قاطعاً للذته ومزعجاً لخاطره

ذلك ولأخى المؤلف الناجح شكر مصر القادرة وفاءه وشكر الأدب الذى ينوط به آمالاً كباراً

(المنصورة) لبيب السعيد

نار . . . ونفس ! !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ظَمِئَتْ نَارِى ! وَلِلنَّار كما للنَّاسِ خَمْرٌ وَرَحِيقُ
ولها حَانٌ ، وخَمَّارٌ ، وأقداحٌ ، وإبريقٌ عَتِيقُ
ونداماها أسَى العُشَّاقِ ، والأحزانُ ، والسِّرُّ العميقُ ...

وَبكتْ نفسى ! وَللنَّفس دُموعٌ حَينَ تبكى وَشهيقُ
ولها كالحطَبِ المَشْبُوب أزٌّ فى حشاهَا وحَريقُ
ولها كالأُفُقِ الغَضبان إعصارٌ وَرعدٌ وبروقُ ...

فسأَلتُ النَّارَ : مَنْ أظمأ يانارُ عَلَى قلبى لَظاكِ ؟
كيْفَ أسْقيكِ ! وأىُّ الخمرِ ترجُو مِنْ زمانى شَفَتاكِ ؟
ما بكأسِىْ غيرُ نارٍ كالَّتى تحملُ بلواهَا حَشاكِ !

وَسأَلتُ النَّفسَ : مَنْ علَّمَ دَمْعَ العَينِ يجْرى فى حِماكِ ؟
كيف أسْقيكِ مِنَ السُّلوانِ والسُّلوانُ مَعنًى مِن أساكِ ؟
مَا بكأسِى غيرُ دمْعٍ أنزعَتْهُ مِنْ دَمِى يوْماً يَداكِ !

قَالتِ النَّارُ : فَضحْتَ السِّرَّ ، فاصْمُتْ ، لاتُحَدِّثْ عَنْ لَهِيبِى !
إنْ تكن نَارُكَ مِنْ نارِى فَلا تسْأَلْ عَن السرِّ الرَّهيبِ
وارْكَبِ الرِّيحَ ، وَخلِّ الجِنَّ يُسْرِجْنَ لها طَيْرَ الغيُوبِ
فإذَا شَارَفْتَ عَذرَائى تُناديكِ عَلَى شَطِّ الغرُوبِ ،
وَانْسَنى فى جَذْوةِ الأنفاسِ لاَ تزعجْ لَظَى خمرِىْ وكُوبِى

وَهفَا بالنَّفسِ مَا يَهفُو بِغُصْنٍ فى يد الإعْصَارِ يَغُولْ
ثم قالت : كَيفَ عنْ دمعى ومنكَ الدَّمعُ ياحَيْرانُ تَسأَلْ ؟
إنْ أكنْ فِيكَ سَكَنْتُ الجِسْمَ والجِسْمُ تُرابٌ يَتنقَّلْ ؟
فأنا طَيْرٌ بعرشِ الله لى عُشٌّ وبُسْتَانٌ وَجَـدْوَلْ
إنما أبكى لِهذَا القَفَصِ الدَّاجِى الكَئيبِ المُتَمَلْمِلْ
لَمْ يجِدْ أىَّ عزاءٍ فى وجُودِى ، كيْفَ يغْدُو حِينَ أرحَلْ ؟ !

محمود حسن إسماعيل

كلمة تعزية

[إلى حضرة صاحب العزة عزيز بك أباظة مدير البحيرة شكراً على هديته ديوان « أنات حائرة »]

للأستاذ خليل شيبوب

ربعَ قلبي من هذه الأنَّاتِ (1) تتَلظَّى تلظِّيَ الجمرات
نثرتها فى الشعر لوعةُ شاكٍ فجرت فى الدموع منتظمات
أكبرَ العصرُ آيةَ الخير فيها نزلت مثلَ مُحكَمِ الآيات
جدَّدت سُنَّةَ الوفاء وأحيت عُنصُرَ البرِّ والهدى والثبات
بعد ما قيل نحن فى عصر لهوٍ حافــلٍ بالمجون والشهوات

يا أليفاً يبكى فراق أليفٍ كلٌّ بين هَيِّنٌ إزاء الممات
تلك شمس أنارت العمرَ لـكن دهمتها مصارعُ النيِّرات
راعها الخسفُ بالبدور مُلِحًّا وذبولُ الغصونِ والزهرات
فهوت من سمائها وقضت فى موكبٍ من أشعةٍ غاربات
ذهبت بالشباب والطهر والحسنِ وخــيرِ الزوجات والأمهات
بسماء الهدى وروض الأمانى ونعيمِ الهــوى ومعنى الحياة
فإذا إلفها المحــيَّرُ لا يملك من أمره سوى الأنات
مرسلاتٍ على الأسى والتأسي فى قوافٍ مفجوعةِ النغمات
نَديَت بالدموع فهى أكاليلُ من الزهرِ بالأسى عطِراتِ
والفؤادُ المكلومُ لا يُحسن التعبيرَ إلا بساكبِ العــبرات

حسبكَ اللهُ يا عزيزُ ورفقاً بشبابٍ ترجــوهُ للنائبات
أنتَ من ترتجى البلادُ إذا ما حزَبتْها الأحداثُ بالأزَمات
إن من ودَّعتكَ لم تمضِ حتى أنبتَت بعدها كريمَ النبات
فهىَ اليــومَ حيَّةٌ فيهم لا تأتلى من رفَّافةِ الذكريات
نَاتق الله فيهم وتقبَّــلْ من محبيكَ أخلصَ التعزيات

خليل شيبوب

(1) راجع مجلة الرسالة عدد ٥٢٧

ذكرياتى . . .

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

يا ليالى النورِ فى صحو الشَّبابْ
ما الذى أغرى بنا كأسَ العذابْ
فشربناها حنيناً ونوى
أتناسيتِ الذى ولَّى وغــابْ
من نعيمٍ وفتونٍ وشراب
نتغنى كيفما شاء الهــوى

وعيون الدهر عنـــــا غافلاتُ
تُسكر الأرواحَ منـــــا قُبلاتُ
وتشيع الأنسَ فينـــــا صَبَوات
وكئوسٌ كلما نادى بها الداعى تدورُ
ومعانٍ من رحيق الخلد يرويها البشيرُ

كلٌ هذا كان يا دنيا لنا والليالى مثلما كنَّا سُكارى
ما الذى أغراكَ يا دهرى بنا فأحلتَ العُمر همًّا وادكارا
وتوارت بسمةٌ فى شفتينا
وانطوى الحُلم وولى من يدينا

***

يا حبيبى هل لأيامى الخوالى عودةٌ تحيي الذى ولَّى وغابْ
من أمان باسمات وليالٍ كنَّ أحلى من جنى الخمرِ المُذاب
فنغنِّى مثلما كُنا نغــنى
فوق أغصان الشبابِ المطمئن
بين صفوٍ ونعيمٍ وشراب

مصطفى على عبد الرحمن



إلى السيد حسن القاياتي

قرأت خطابك إلىّ فوجدته دون ما يحسُن صدوره عنك ، وإلا فكيف جاز لك التوهم بأنى أقول فيك ما دوّنته بقلمك نقلاً عن أراجيف المرجفين ؟

أنا أقول إنك أديب خلقته الظروف ، والأعيب مصطفى القاياتى فى السياسة ؟

هذا كلام لا يقوله من يعرفك ، كما أعرفك ، وهو أيضاً كلام لا يقوله صديق فى صديق ، وأنت تعرف جيداً أنى لا أقبل إيذاء أصدقائى بمثل ما نُقِل إليك ، ولا بأيسر مما نقل إليك ، فاقطع ألسنة الدساسين ، واحفظ ما بيننا من العهود . إحفظ أنت ، أما أنا فكما عهدت ، ولن أتحوّل ولن أخون

ثم تطلب إلىّ أن أسأل نفسى عن الصلات التى كانت بينى وبين الدار القاياتية ، وأنا أوجه مثل هذا السؤال إليك ، فما أظنكم عرفتم رجلاً أصدق منى ، ولا أحسبك تنسى أنى أديت للشيخ مصطفى جميلاً يفوق الوصف ويفوق الجزاء ، وهو جميلٌ سجلته أنت بقلمك فى مجلة الكشكول سنة ١٩٢٤ بإمضاء « العَقوق » يوم كان إيذاء الشيخ مصطفى من هواك

أينا أوفى لذكرى هذا الرجل : أنا أم أنت ؟

لو نطق التاريخ الأدبى لقال إنى لم أكن راوية يوم عرفت داركم ، وإنما كنت أستاذاً يساعد على خدمة أدبية تعرفها الجامعة المصرية ، يوم اختارت الشيخ القاياتى خلفاً للشيخ المهدى

وتقول إنك أعددت عشرين مقالاً فى نقد كتاب « النثر الفنى » وأنك ستنشرها فى الرسالة إن ضمنت أنها لا تجاملنى ، وأنك تنتظر منى كلمة الحق

وأقول إن الرسالة لا تجامل أحداً ، فقدّم إليها فى نقدى ما تريد . ثم أقول إن هذه الكلمة هى كلمة الحق ، فانقضها إن كنت تطيق

وجاء فى كلامك أن لى فى الأدب ألاعيب وتُرّهات ، فتى كان ذلك ؟

أنا يا صديق لا ألهو في الأدب ولا ألعب ، فجِدُّ الأدب جِدّ وهزله جِدّ ، ولا يَصدُر عن قلمى إلا ما يرضاه وجدانى

أما بعد فهذا ما تقرأ لا ما تَسمع ، فخذ عنى ما تقرأ ودَعْ ما تسمع ، فما أذكر أنى حادثت أحداً بالقاهرة منذ شهور طوال ، ولا أذكر أنك خطرت فى بالى قبل أن تنقل إلى « الرسالة » خصامك العنيف ، يا أعزّ الخصماء

أنا ما أسأت إليك ، وإنما أسأت أنت إلى نفسك بكسلك .

ومع هذا تقول إن اللغة العربية لن تجد من يذود عن حماها غير قلمك ، ونحن نعرف طاقتك في البيان

توكل على الله وانفض الغبار عن نفسك المكسال ، فقد تُصبح ولك مثلى تُرّهات وألاعيب . وليس من العسير جداً أن تكون فى منزلة الكاتب الأول والشاعر الأول .

زكى مبارك

الشعر العربى فى المهجر

قرأت رأى الأستاذ الظريفى فى تعليل طابع الشعر فى المهجر ، وأقرب إلى المعقول هو رأى قديم لى سبق أن أبديته فى مناسبات أدبية لأفراد الجالية اللبنانية بكوم حماده ، خلاصته أن هذا الأدب هو صراع عنيف بين عقليتين متباينتين : عقلية الشرق بما فيها من روحانية وسمو وتوكل ، وعقلية مادية قاسية لا ترحم المتوانى (خصوصاً فى أمريكا الشمالية حيث ظهر معظم أدباء المهجر) ، وكان نتيجة هذا الاصطدام الحنين إلى حياة الشرق بما فيها من دعة وبساطة ، وهذا الحنين ظاهر فى حياة أقطاب مدرسة المهجر ، فكتابات جبران الإنجليزية والعربية تترجم عن ذلك بجلاء ؛ وكأنى به يريد أن « يمشرق » أمريكا قبل أن « يتأمرك » هو وأبناء جلدته . وقد أقبل الأمريكان على فلسفته إقبالاً لا نظير له أصاب منه ثروة لا يحلم بها أديب من أدباء العالم .

ومن دواعى عظمة هذا الرجل أن طبيبا عالماً من كبار أطباء انجلترا وفيلسوفاً يشار إليه بالبنان هو هاڤولك إليس كان يستشهد بأقوال جبران فى كتابه العظيم « سيكولوجية الحب » ويدعوه بالشاعر النبى ، ومع هذا الجاه كان جبران يحن إلى الشرق بقلبه وروحه ويود لو أمضى بقية أيامه فى وطنه بين أحضان الطبيعة .

وقد فاوض ذوى الشأن فى شراء دير مارى سركيس بلبنان ليكون مقامه ولكن المنية عاجلته وقد نقلت إليه رفاته

مثل ذلك ما فعله ميخائيل نعيمة فقد أصاب ثروة فى أمريكا ولكنه آثر الدعة والبساطة فعاد إلى وطنه وعاش فى صومعة فى جبل صنين

ومنذ ربع قرن زار مصر فيلسوف الفريكة أمين الريحانى وقال فى حفلة تكريمه قصيدته المنثورة المشهورة : « أنا الشرق عندى فلسفات » وقد طلعت علينا وقتئذ مجلة السفور تندد بأدبه ، ومع أنه نال حظاً وافراً فى دوائر الأدب والنقد فى أمريكا كان يفر إلى منسكه بالفريكة كلما بهظه ثقل مادية أمريكا

هذه ظاهرة جلية لا يمكن تعليلها إلا بما أبديت من رأى . وما أشبه أدباء المهجر بروسيا فقد أخذت من الغرب مدنيته ، ولكنها ظلت شرقية بروحها . وكان نتيجة هذا الازدواج أن أخرجت كتاباً ملهمين أمثال تولستوى ودستفوسكى وتشيخوف تفيض كتاباتهم بالروحانية

(كوم حمادة – بحيرة) **ف. ل يوسف**

عضو بالمعهد البريطانى للأبحاث الفلسفية بلندن

١ – إلى الأستاذ قطب

ألم تصدق إذن أن أعصاب الأدباء فائرة ثائرة ؟ وهل عدوت الحق حين أشرت إليك تلك الإشارة اللطيفة الخفيفة فحمّلتك الحق فيما بدر منك فى حق محاورك حين أضفته إلى سيداتنا وحبات قلوبنا « النساء » . ومع هذا فقد لمتكما معاً فيما تراشقتما به من ألفاظ السماجة والصفاقة والمهاترة والنمز واللمز ، مما كنت أجلكما عن الوقوع فيه ... لولا هذا الصيف الجائر الذى جعلك تقول فى حبيبك وصفيك – دريني خشبة – إنه رجل عامى فى ذهنه وفى نفسه . . . وفى معايير أخلاقه ! ! بارك الله لك يا شيخ سيد فى ذهنك وفى نفسك وفى معاييرك الأخلاقية ... وبارك الله لك فى هـذا اللسان الطويل العريض الذى سينعقد لمحاكمته جلسة فى المكان الذى تعرف ، ومن الأصدقاء المحترمين الذين تعرف وأعرف ، ليقفوك – أو ليقفونى ! – عند الحدود التى أنساك الصيف ، كما أنسى الكثيرين من الأدباء ، أشراطها

٢ – إلى شعراء الشباب الأماجد

إلى إخوانى المحترمين باكثير والقاياتى وفوده والعجمى ، وإلى جميع شعراء الشباب الذين سهوت فلم أذكر أسماءهم فى مقالى عن الدرامة المنظومة والمسرح أقدم اعتذارى . ولن يُنقص جهلى بمجهودهم فضلهم الأدبى الذى لا يجحد . وأشكر للأستاذ الفاضل محمد عبد الغنى حسن تلك الالتفاتة الكريمة التى تدل على سمو إدراكه الأدبى ، والتى تجلت فى إشارته إلى أخى الأستاذ باكثير ذلك الشاعر المجد المجاهد الذى تفضل فكتب إلى ليرأب ما انصدع من مقالى ، ولسوف أفرغ لدرامات الأستاذ باكثير فى فصل أو أكثر من فصل إن شاء الله . وسيرى المظلومون كيف تنصفهم الرسالة فى القريب العاجل . أما الأستاذ فوده – ذلك الصديق العزيز – فأستعيذ بالله من (مقالبه !) ومع أنى أقر بفضل شاعرنا القاياتى فى المنظوم والمنثور فإنى آسف إذ لم أسمع عن درامته شيئاً . وأعود فأقول إن جهلى بها لا ينقص من قيمتها ، والقاياتى الشاعر ، وعماد الشاعر ، والنشار الشاعر والصيرفى الشاعر ، والأسمر الشاعر ، والعشرات من شعراء الإسكندرية والأقاليم ، والمئات من شعراء الإلزاميين ، ليس هؤلاء وهؤلاء فى حاجة إلى الإشادة بذكرهم فى مقال لم يقصد منه إلى الحصر ولكن قصد منه إلى التمثيل ... وأوشكت هنا أيضاً أن يفوتنى ذكر الشاعر السيد قطب فَتَسْوَدُّ منى وقعته أكثر مما اسودت ، وهو الشاعر الذى أحب شعره جدا بمقدار ما أمقت نثره جداً ... متى يا ترى ينهض هؤلاء الشعراء جميعاً بحمل أعباء نهضتنا الشعرية وتزويد هذه النهضة بالدرامات والملاحم ؟

٣ – إلى أخى الأديب كمال نشأت

يا أخى لقد ظلمت فى كلمتك بيئتنا وظروفنا وأحوالنا وأغلبية شعبنا الذى لم تستثن منه الأقلية المتنورة ... ولقد ظلمت أيضاً ممثلينا جميعاً فلم تستثن منهم أحداً حين رميتهم بالأمية الشنيعة . يا أخى لقد ألف شوقى رحمه الله دراماته فأقبل الشعب بجميع طبقاته على شهودها وسر منها وتقبلها أحسن القبول ، والذين مثلوا تلك الدرامات أحياء غير أموات ، وقد بلغوا بتمثيلها الذروة . ولم يكونوا يلحنون أبداً ، ولم يكونوا يكسرون الشعر قط ، ونحن حين ننكر عليهم تلك الإجادة نظلمهم ونبخسهم بطولتهم التى لو ظهرت فى أمة أخرى لرفعتهم إلى عليين ولأقامت لهم التماثيل ... يا أخى بحسبك ما يشقى به

ممثلونا من شقاء مادى فلا تُنشكل بهم تشكيلاً أدبياً ... يا أخي لا تنكر أن ممثلينا يوسف وهبي وأحمد علام وزكي طليمات وحسين رياض وفتوح نشاطى وأمينة رزق ونجيب الريحاني وعبد الفتاح القصري ومختار عثمان وفاطمة رشدي وأنور وجدي وغيرهم ممن تضيق تلك الكلمة عن إحصائهم ... أولئك الممثلون الذين لا نعرف كيف نجزيهم وهم لا يقلون عبقرية عن أحسن الممثلين العالميين . لقد ذكرت فى إحدى مقالاتى أن نسبة المتعلمين فى انجلترا فى عصر إليزابيث لم تكن تزيد عنها فى مصر اليوم ، فلم يمنع هذا من ظهور شكسبير وبن جونسون وأضرابهما ، ولم تمنع من ازدهار المسرح الإنجليزى الذى كانت كل دراماته شعرية فى ذلك الحين ... يا أخى لا تكن ظالماً وأوص من حولك بالإحسان إلى الممثلين

دريني خشبة

إلى الأستاذ ...

إلى هذا المجهول العلَم الذى تفضل فنشر بالرسالة (عدد ٥٢٩) كلاماً على لسانى موجهاً إلى الأستاذ دريني خشبة حول مقاله : « المسرح المصرى والدرامة المنظومة »

أما آرائى فى بحوث الأستاذ خشبة فأحسب أن ما بينى وبينه من أواصر الصداقة والود يجعلنى أوثر مشافهته

وأما أن يتفضل كاتب كريم فيذيل كلاماً باسمى وعنوانى لم أقله ، ولم أجرِه ، فقد مضى زمن — وما يزال — وهذه البراعة البرقبة حياء فى خدمة الكرام الكاتبين ، وما كانت يوماً بحاجة إلى عون سواها للتعبير عن رأى لصاحبها ، أو فكرة لحاملها

وأتقبل يشكرى وسرور هذه المداعبة الظريفة . وإلى اللقاء .

(المجمع اللغوى) على فروده

بين الشيخ شاكر والسيد رشيد

ذكر الدكتور مبارك فى كلمته التى نشرتها الرسالة بالعدد (٥٢٣) عن روح الشيخ رشيد أن فضيلة الشيخ محمد شاكر (كتب) إلى الشيخ محمد عبده يدعوه إلى كف يده عن رعاية الشيخ رشيد رضا ، فكان جواب الأستاذ الإمام : « كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار وهو ترجمان أفكاري »

وقد ذهب الدكتور إلى أن الشيخ شاكر إنما فعل ذلك لخصومة بينه وبين السيد رشيد ، ثم أخذ يعلل هذه الخصومة ويبين ما كان عليه هذا الشيخ من العنف وشدة العداوة الخ

ولكن الأمر يرجع إلى غير ما ذهب إليه الدكتور . ذلك أن الخديو عباس كان قد غضب على السيد رشيد لأمور لا نطيل بذكرها ، فكان بطرس غالى باشا والشيخ شاكر لكى يسعيا لدى الأستاذ الإمام فى أن يبعد هذا السيد عنه ، فكان جوابه لبطرس باشا : « إذا كنت رجلاً ذا قيمة فى الوجود فإنما ذلك بأخلاق لا بوظيفة الإفتاء ولا بغيرها ، وأى خلق يكون لى إذا تركت صحبة السيد رشيد لأجل الخديو ؟ إن هذا الرجل متحد معى فى العقيدة والفكرة والرأى الخ . وكان جوابه للشيخ شاكر تلك الكلمة المشهورة .

هذه هى الحقيقة نبينها للناس وما كان بين الشيخين الجليلين — شاكر ورشيد — إلا كل محبة وولاء . ورحم الله شيوخنا جميعاً

(المنصورة) محمود أبو رية

تصحيح التصحيح !

متى كان الطعن فى شخص الكاتب كافياً لهدم ما قال ؟ أليس الأحرى بالأستاذ قطب أن ينصرف إلى الرد على الأقوال بدلا من الطعن فى الأشخاص ؟ إن الأستاذ قطب يقول عن زكريا إبراهيم : إنه لا يعلم له أو عنه شيئاً ، فهل نسى الأستاذ قول القائل : « لا تنظر إلى من قال ، ولكن انظر إلى ما قال ! » ألا فليعلم حضرة الأديب الفاضل أنه ليس يضيرنى أنْ لا يعرفنى مثله ، فأنا لا أحفل بمعرفة مَنْ هو عند نفسه أكبر من نفسه ! ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه !

ولست أدرى بعد ذلك هل من قواعد المدرسة الحديثة أن يعلن الإنسان عن نفسه على حساب الأدب ، فيقول فى جرأة غريبة إن فى نثره « معانى كبيرة ، وأحاسيس عميقة » ... إلى آخر تلك الصفاقة الغريبة التى تفيض بها أيضاً مقدمة ديوان « الشاطىء المجهول » ؟ ! أما الجواب فهو عند الأخلاق الجديدة التى يضعها (لأول مرة) أستاذنا قطب ، هادما فيها التواضع الاصطلاحى الكاذب ! ... والرد حاضر أيضاً : فإن التواضع الذى ندعوك إليه — يا سيدى — ليس معناه أن ينزل الإنسان عن مستواه ، وإنما معناه أن ينزل إلى مستواه !

زكريا إبراهيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 531

Lundi - 6 - 9 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٣١ « القاهرة في يوم الإثنين ٦ رمضان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٧٠١ ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٧٠٤ الحديث ذو شجون : حياة الأديب . الصديق . قلدوا قلدوا . الشيخ المراغي . النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة : الدكتور زكي مبارك ... ..
٧٠٧ نشأة الدرامة الانجليزية ... : الأستاذ دريني خشبة ... ..
٧١٠ اللغة العربية .. .. : الأستاذ محمد عرفة ... ...
٧١٢ تصويبات في الذخيرة ... : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٧١٤ جان دولافونتين ... ... : الأستاذ محمد حسني عبد الله ...
٧١٧ بولاق ... ... : الأستاذ محمد رمزي بك ...
٧١٨ قبل براح الشباب [قصيدة] : الأستاذ حسين الظريفي ...
٧١٩ وما آفة الأخبار إلا رواتها : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
٧١٩ (١) إلى الأستاذ العقاد .. (٢) إلى الدكتور زكي مبارك : الأستاذ حسن القاياتي .. ..
٧٢٠ إلى الأستاذ دريني خشبة ... : الأديب كمال الحريري ...

ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب الأديب « إحسان » في مجلة « آخر ساعة » يروى عني أنني قلت له : « ... يكفي أن يتمتع الإنسان بحريته ليعيش سعيداً حتى لو كان فقيراً ، وأن أي نظام أو أية محاولة ترمى إلى إزالة الفوارق الاقتصادية بين الطبقات إنما هي ترمي في أساسها إلى تقييد حرية الفرد ... »

ثم سأل الأديب : « ولكن هل يملك الفقير حريته كما يقول الأستاذ العقاد ؟ هل أستطيع أنا مثلاً أن أسافر إلى الإسكندرية وألقى بجسدى التعب على شاطىء البحر كما يفعل صديقي عادل صدقي نجل دولة صدقي باشا ! ... لا نستطيع ، لأن حريتنا محدودة بجيوبنا . فالمفلس لا يملك حرية الخروج من منزله والجلوس على القهوة ، والذي في جيبه نصف قرش لا يملك حرية إشباع بطنه ... » الخ . الخ .

***

وفي نقل كلامي على هذه الصورة شيء من التحريف لأنني لا أقول إن الحرية وحدها تكفي الإنسان وتغنيه عن الطعام ، ولكني أقول إن المذهب السياسي أو الاجتماعي الذي يسلبنا الحرية يسلبنا أعز نعمة في الحياة الإنسانية ، بل يسلبنا كرامة الإنسان ويستحق منا المقت والازدراء

وأنا لا أقول إن إزالة الفوارق الاقتصادية بين الطبقات ترمى إلى تقييد حرية الفرد ، ولكنى أقول إن تقييد الحرية الفردية لإزالة هذه الفوارق نقمة لا يرحب بها رجل كريم

وأنا أدافع عن الديمقراطية لأنها تؤمن بحرية الفرد وتصلح الناس إصلاح الأحرار المكلفين لا إصلاح العبيد المسخرين

ولكنى أمقت المذاهب السياسية الأخرى لأنها تسلب الحرية الفردية ولا تحل المشكلة الاقتصادية ، فتحرمنا الكرامة ولا تكفل لنا الطعام ، وهذا هو الحرمان الذى لا عزاء فيه ولا موجب لاحتماله ، والصبر عليه إلى زمن طويل

فالنازيون والفاشيون والشيوعيون يستغفلون الناس حين يقولون لهم إننا سلبناكم الحرية ولكننا أرحناكم من البطالة ودبرنا لكم الرزق بتدبير الأعمال ، لأنهم فى الواقع كاذبون فيما زعموه من تدبير الرزق وتدبير العمل ، وإن كانوا صادقين جد الصدق فيما أعلنوه من سلب الحرية وتسخير الكرامة الإنسانية

والنازيون اليوم يحتاجون إلى مليون عامل بل إلى مليونين بل إلى ثلاثة ملايين لو وجدوهم من الألمان أو غير الألمان يحتاجون إليهم ويبحثون عنهم وينتصبونهم اغتصاباً من كل مكان حكموه أو سيطروا عليه

فهل نسمى حاجتهم هذه إلى العمال نجاحا في كفاح البطالة وتدبير الأرزاق ؟

وهل هذا هو العمل الذى يريح الفقراء من أعباء الفقر ويتيح لهم الاصطياف على شواطىء الإسكندرية ؟

فكفاح البطالة على هذا المنوال هو الكفاح الذى يستطيعه النازيون والشيوعيون والفاشيون ، وهو الدواء الذى يربى فى الشر والبلاء على عشرة أدواء

والنتيجة ماثلة أمامنا لا تذهب بنا إلى بعيد

فالحرب الحاضرة وما جلبته على الناس من الكرب والألم والضيق والغلاء هي ثروة العلاج الذى دبره النازيون والشيوعيون والفاشيون لمشكلة البطالة وأزمة الأرزاق

وقد استطاع النازيون وأمثالهم أن يديروا المصانع ويستخدموا الأيدى العاملة لأنهم أداروا المصانع جميعها على تحضير السلاح وأدوات القتال

فاستراح الشعب الألمانى من مليون عامل عاطل بضع سنوات ، ولكنه عرض للقتل خمسة أو ستة ملايين من أولئك الفقراء فى سنة واحدة ، وسيخرج من الميدان وفيه عشرة أضعاف العاطلين الذين كانوا فيه قبل دخوله ، وإلى جانبهم عشرة أضعافهم من القتلى والمفقودين والمشوهين

أى حل هذا لمشكلة البطالة ؟

أى علاج هذا الذى يريحك من مليون عاطل بخمسة مليون قتيل ، ثم يصبح الشعب كله أو جله من العاطلين ؟

وليست المسألة هنا مسألة النظام السياسى الذى يطلقون عليه اسم النازية أو اسم الشيوعية أو اسم الفاشية أو اسم العسكرية اليابانية ، فإن النظم السياسية جميعاً تتساوى فى هذه القدرة متى لجأت إلى تشغيل الأيدى فى الذخيرة والسلاح ، وإن الديمقراطية لأقدر من المذاهب الأخرى على تشغيل الأيدى جميعاً فى إبان الحروب التى تساق إليها كما نرى الآن فى كل مكان رأى العين .

فلا ينبغى إذن أن يقال إن تدبير الرزق بالإكثار من مصانع السلاح والذخيرة مزية من مزايا هذا النظام أو ذاك ، فهى مزية ميسورة لكل من يختار هذا العلاج أو يندفع إليه ، ولا يزال من المحقق بعد هذا كله أن الديمقراطية تفضُل المذاهب الأخرى من شتى نواحيها ، لأنها تعترف بالحرية الإنسانية ولا تعجز عن علاج مشكلة البطالة على هذا المنوال حين تشاء

***

وبعد فأين هو النظام السياسى الذى يسمح لكل من شاء أن يسافر إلى الإسكندرية ويلقى بجسده المتعب على شاطئها ؟

هب الفوارق الاقتصادية قد زالت كل الزوال ولم يبق فى الأرض إلا أنداد متساوون فى الثروة والقدرة على المتاع وأراد هؤلاء أن يذهبوا إلى الإسكندرية فكيف يذهبون ؟

أيذهبون إليها بالبطاقات على حسب الدور ؟ أيذهبون إليها دفعة واحدة فى أسبوع واحد ؟ إنهم على كل حال مقيدون بالإمكان الذى لا سيطرة لهم عليه ، ولو استراحوا من تفاوت المراتب واختلاف الأرزاق

***

يروى أبناء البلد قصة طريفة عن الكلب الرومى والكلب البلدى اللذين اصطحبا على الخير والشر وذهبا إلى سوق الجزارين يبغيان الرزق من وراء الأوضام والسواطير

ذهبا أولاً إلى سوق الروم فإذا الحواجز قائمة على الدكاكين وإذا هى لا تبيح مدخلها لإنسان ولا حيوان بغير حساب ، وإذا

العظام فيها توضع حيث تصان عن الخطف والاختلاس

وقال لهما صاحب الدكان « إكسو » فخرجوا محرومين جائمين ، وطافا النهار على الدكاكين ولم يظفرا بغير إكسو التى يعقبها نذير الخطر ، أو بالقليل من العظم المنبوذ الذى لا خير فيه

ثم أصبحا من الغداة على سوق أبناء البلد فلم يحجزهما حاجز عن اللحم والعظم ولم يلبثا هنيهة حتى أصابا الشبعة من اللحم والعظم بغير نصب ، وسرهما أن يسمعا صاحب الدكان يقول لصبيه « ناوله » ويشير إلى الكلب الرومى الذى أوغل فى داخل الدكان بغير مبالاة لاغتراره بقلة الحواجز والحراس ، فحسبا أنها مناولة إكرام وضيافة تغنيهما عن التسلل والاختلاس ، وانتظرا هذه المناولة انتظاراً غير طويل ، لأن الكلب المسكين لم يشعر بعد ذلك إلا بضربة من الساطور أوشكت أن تقصم صلبه ، وانطلق يعوى على غير هدى وهو يقول لصاحبه الذى طفق يناديه ويستعيده : لا لا يا صديق ... « عشرة إكسو ولا واحد ناوله ... »

والدجالون أعداء الديمقراطية قد لبثوا سنين عدة وهم يرفعون العقائر بحرب البطالة وهم يزعمون أنهم خلقوا عملاً لكل مستطيع لأنهم أداروا معظم المصانع على صنع الدبابات والمدافع والطائرات وأدوات الهلاك

وانظر أيها العالم الذاهل لقد هبط عدد العاطلين من ثلاثة ملايين إلى مليون !

وانظر مرة أخرى لقد هبط العدد من مليون إلى مئات قليلة من الألوف !

وانظر مرة أخرى لقد خلص الوطن من العاطلين أجمعين ، وزاد على ذلك أن استدعى إليه الملايين من عمال الأجانب المسخرين

ثم أفاق العالم من ذهوله على أضعاف أولئك العاطلين مقتولين ومجروحين ومشوهين ، ولن تنقضى مدة حتى تنجلى الهزيمة عن أضعاف أضعافهم من المساكين عالة على أوطانهم وعلى العالم كله عدة سنين

وهذه هى « المناولة » التى يحسنها الدجالون من أعداء الديمقراطية ، ويسمونها علاجاً لمشكلة الأرزاق ، وتسوية بين الطبقات ، وليست هى من ذلك فى كثير ولا قليل

خير من كل علاج كهذا العلاج أن يقوم المجتمع على تعاون الطبقات فيفرض المعونة على القادرين لينتفع بها الضعفاء حقاً مفروضاً لهم فى رقاب الأمة أو الدولة ، وأن يفتح للفقير باب السلم فيصعد عليه إلى الذروة حيثما استطاع ، وأن يتسابق العاملون فى ميدان الحياة كما يتسابق الأحرار ولا يستكينوا فيها كما يستكين العبيد

فالكرامة الإنسانية تأبى أن تحل مسألة الأرزاق كما حلتها مصالح السجون فى العالم المتمدن بأسره : كل مسجون ينام وهو شبعان ، وكل مسجون له عمل يحرك به يديه ، وكل مسجون يكسو جسده ويأوى إلى سقف يظله ويعرض نفسه على طبيب ولكنه لا يحسد على هذا النصيب

والعقل الإنسانى يأبى أن تحل مسألة الأرزاق بالإكثار من مصانع الذخيرة والسلاح ، لأن علاج البطالة بالموت والخراب طب مجانين

إنما الكرامة والعقل أن نحفظ الحرية وأن نطلب الرزق مع الحرية ، وأن نؤمن بأن أخطاء الديمقراطية فى تدبير مسألة الأرزاق أسلم من صواب مزعوم لا يثبت على التجربة برهة حتى يعصف بكل ما أفاد ، إن صح أنه أفاد .

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

حياة الأديب — الصديق — قلدوا قلدوا — الشيخ المراغي — النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة

حياة الأديب

دُعيت لإلقاء خطبة فى تأبين المرحوم عبد الحميد الديب فأجبت ، وكانت نيتى أن أقول رأيى علانيةً فى الحياة التى يحياها مثل ذلك الأديب ، لئلا يكون الإكثار من الثناء عليه إغراء بذلك اللون من الحياة القَـفْـراء

ثم رأيت الحفلة فوق ما كنت أنتظر ، فقد اشترك فيها خطباء وشعراء من الطراز الجيد ، وحضرها جمهور من أفاضل الناس ، وتُلِى فيها خطاب أرسله وزير الشؤون الاجتماعية وخطاب أرسله وزير الأوقاف . وتلك مظاهرة أدبية تمنع ما أردت أن أقوله فى نقد الحياة التى اختارها ذلك الشاعر المسكين

ولكن هذه المظاهرة بدت لى باعثاً جديداً على أن أقول ما نويت أن أقول ، فقد تجسَّم التخوف من شيوع البوهيمية بين فريق من أدباء الجيل الجديد ، وخِفتُ أن تكون هذه المظاهرة دعوة إلى تحلل الأديب من واجبات الحياة فى نظامها اللائق بأهل البيان

وكذلك انطلقت فقلت : إن عبد الحميد الديب كان على جانب من الأدب والذكاء ، ولكنه ظلم نفسه حين انخدع بالرأى المنحرف ، وهو رأى من يتوهمون أن البؤس يذكى المواهب ، ويزيد فى يقظة العقول . وقد آمن بهذا الرأى إيماناً فرض عليه أن يجعل همه فى الوصول إلى الظفر بلقب « شاعر البؤس » ، وهو لقبٌ لا يتمناه لنفسه إلا من حُرِم نعمة التوفيق . وماذا جنى عبد الحميد الديب من ذلك اللقب الطنّان ؟ كل ما جناه أن يعيش فى رحمة المترحمين ، ولا يحتاج إلى الترحم غير المساكين ، وإذا كان الأدب لا يمتع أهله بغير المسكنة فعليه اللعنة إلى يوم الدِّين !

ثم قلت :

أين الشريعة التى توجب أن نذل أنفسنا فى سبيل الأدب ؟

وما قيمة الأدب إن لم يجعلنا أعزّاء ؟

وما هذه الخرافة التى تقول بأن من حق الأديب أن يعيش بلا مهنة تغنيه عن سؤال الناس ؟

وكيف نهدى الناس إلى الخير ونحن نستهديهم المال ؟

هل ننسى قول أبى العتاهية :

لو رأى الناس نبيًّا سائلاً ما وَصَلوه

إن الاحتياج إلى الناس بداية الانخذال ، ولو كانوا من الأهل والجيران ، فإن احتاج الأديب إلى معونة إخوانه وهو قادر على كسب الرزق بعرق الجبين فهو أديب زائف لا أديب صحيح

من واجب الأديب نحو أدبه أن يصونه عن إفضال المُفضِلين ، لينطق بكلمة الحق فى حرية وصراحة وإخلاص ، وهذا لا يتيسر للأديب المحتاج إلى الإفضال

هل تذكرون ألقاب شعرائنا وعلمائنا فى العصور الخوالى ؟

كانت ألقابهم أنساباً إلى الحِرف والصناعات ، ففيهم الزّجّاج والقفّال ، والتمّار والوقّاد ، والصبّان والبنّان والسرّاج والحدّاد والزيات واللبان ، وكانت هذه الأنساب من أجل التشاريف ، وهى باقية على الزمان

وإذا كان التاريخ سجل أسماء تكسّب أصحابها بالأدب فقد كان أولئك المتكسبون من حواشى الملوك . وقد اصطلح الناس فى كل زمان ومكان على أن هبات الملوك تحيات لا معونات

وهل يتقدم ملك بتشجيع أديب إلا وهو يعرف أنه يضع جوهرة جديدة بين جواهر التاج ؟

وما حظوظ الأدباء الذين ظفروا بهبات الخلفاء والملوك والأمراء ؟ ما حظوظهم فى التاريخ ؟

كانوا من الموجِّهينَ فى الحيوات السياسية والأدبية والاجتماعية ، وكان إليهم المرجع فى تدبير شؤون الملك ، وكانوا المتصرفين فى شؤون السلم والحرب

فما هو حظ الأديب الذى ينتظر هبات من أدباء لا ملوك ؟

أعاذكم الله من احتياج الزميل إلى الزميل !

إن قتل النفس أهون من الاحتياج إلى الأخ الشقيق ، فكيف نستسيغ الاحتياج إلى الرفيق ؟

وفى أدبائنا من يتوهم أن نظم أبيات فى هذا الفلان أو ذلك الملان تمنحه الرزق ، فإن صح توهمه فسيكون رزقه من الرزق الحرام لا الحلال

إن رزق الأديب من الذوق ، واللمحة الواحدة من طلعة البدر قد تـكون زاده الروحى إلى آخر الزمان

إن الأديب الحق ليس أسيراً للوطن ولا أجيراً للمجتمع ، فـكيف يكون أسيراً لفلان ، أو أجيراً لعلان ؟

وعبد الحميد الديب لم يقتل نفسه عامداً متعمداً ، فأنتم خدعتموه وضللتموه ، وفرضتم عليه أن يستغيث بمعروفـكم يا أشحاء !

تقول العبارة المصرية « فلان يقتل المقتول ويمشي فى جنازته » وأنتم القَـتلة لذلك المخلوق الذى وثق بكم ، وأنتم حملة المصاحف أو القماقم بجنازته العجفاء ، فما قيمة براعتكم فى الرثاء !

إن دموعكم يا قاتليه لن تنجيكم من غضبنى عليكم

فاسمعوا هذه الـكلمة ، واعلموا أن بكاءكم فى هذا الاحتفال سيمر بلا ثواب ، وقد يكون مجلبة العقاب ، لأنكم تزينون لسامعيكم حياة لا ترضونها لأنفسكم إلا مكرهين

ثم قلت : وماذا فى خطاب وزير الشؤون الاجتماعية ؟

إن فؤاد باشا سراج الدين يعِـد بأن سيضع نظاماً يقى الأدباء شر التشرد ، وأنا باسمكم أعلن استقلال الأدب عن الحـكومة ، فـما يجوز أن نطالب الاستقلال لبلادنا ونطلب الحماية لأقلامنا

إن تطوعت الدولة برعاية أديب أعجزه المرض عن طلب الرزق فذلك عمل يستأهل الثناء ، ولـكننا نرفض حمايتها لأديب يستطيع كسب القوت ولو بالفأس والمحراث

نحن لا نطالب الدولة بشىء وإنما نطالب أنفسنا بـكل شىء ، فمن الواجب أن تـكون لنـا مشاركات فى جميع الميادين ، من الواجب أن نـكون رجال أعمال ، كالذى صنع شيخنا طلعت حرب ، فقد حوّل ذوقه الأدبى إلى الاقتصاد . وبهذا استطاع أن ينظم أعظم قصيدة عرفتها اللغة العربية ، وهى « بنك مصر » ثم أردف القصيدة بمقطوعات هى تلك الشركات

وإذا بدا لنا أن ننسحب من ساحات الثراء فليكن انسحابنا عن زهد لا عن يأس ، ولنـكن فى فقرنا نُسّـاكاً لا عاجزين ، فنية التجرد عن الدنيا نية مقبولة ، على شرط أن تـكون من وحى التحليق لا وحى الإسفاف

إن الأمم القوية تستطيع تلوين الأنظمة السياسية بشتى الألوان ، وتستطيع أن تبلغ صوتها إلى آفاق الشرق والغرب ، وتستطيع أن تعقد المعاهدات وتثير الحروب ، ولـكنها لا تستطيع خلق الأديب ، لأن الأديب لا يخلقه غير فاطر السماء

الدنيا لنا ، إن شئنا ، فالمواهب الأدبية أعظم المواهب ، ولو بذلنا فى طلب الدنيا معشار ما نبذل فى طلب الأدب لـكنا أغنى الناس ، فلتـكفَّ الدولة يدها عنا ، فنحن كأشجار الصحراء ، لا نرجو غير ندى السماء

أيجود الله علينا بالأدب ويبخل بالرغيف ؟

قولوا كلاماً غير هذا ، فلن يتخلى الله عنا ، وسنظل بفضله أغنى الأغنياء

المصريون

فى هذه اللحظة صلصل الهتّاف مؤذناً برحيل الأستاذ طه الراوى عن القاهرة بعد دقائق ، فما الوسيلة لتوديع رجل كانت داره ولن تزال دار المصريين فى بغداد ؟

حين تقرر سفر الأستاذ صادق جوهر إلى العراق كان من الواجب أن أقابله أنا والدكتور عبد الوهاب عزام لندله على أصدقائنا هناك ، وقد دللناه على رجلين : طه الراوى ورضا الشبيبى ، مع حفظ الحقوق لسائر من عرفنا من كرام الرجال بوطن دجلة والفرات

وقد كان عجباً للناس أن يرونى أذكر العراق بالخير فى كل وقت ، وفاتهم أن يعرفوا أن المصرى حين يشرّق لا يكون همه إلا معرفة الـكنوز المجهولة من فضائل الشرق

ونحن عرفنا العراق ، فهل رأينا فيه غير الجميل ؟ ولنفرض أن فريقاً ممن عاشوا فى العراق عانوا بعض المتاعب ، فمتى خلت الحياة مما يكدر الصفاء ؟

وهل نجد السعادة كاملة فى أى أرض حتى ننشدها كاملة فى العراق ؟

إذا عزّ علىّ أن أصافح الأستاذ طه الراوى وهو راجع إلى

بغداد فلن يعزّ علىّ أن أخلق ألف فرصة وفرصة للحديث عما يتحلى به من شمائل وآداب

قلدوا قلدوا

كان الأستاذ عبد الجبار الجلبي قد صارحني بأنه غيران عن القاهرة ، لأنها أصبحت صورة منقولة من المدائن الأوربية ، وقد أجبت بأن مزية مصر هي سرعة النقل ، وقد نقلت مصر فكرة الانتفاع بالسكك الحديدية قبل أن ينقلها الأتراك ، مع أنها كانت في ذلك الوقت ولاية تركية

وحين دخلنا سنتريس قال السيد عبد الجبار : إن مدخل منتريس مدخل قرية أوربية لا قرية شرقية ، فكيف انتقل التقليد إلى الريف ؟

فأجاب الأستاذ الراوى : لقد حان الوقت لتبديد النصيحة السخيفة ، نصيحة من يقول : لا تقلدوا مثل القرود ، فما كان القرد أذكى أنواع الحيوان إلا لأنه يقلد كما يقلد الإنسان ، وهل كان الحمار حماراً إلا لأنه يغفل عن التقليد ؟ وهل أفلحت انجلترا إلا بتقليدها ما يجد من الاختراعات الأوربية والأمريكية ؟ قلدوا مثل القرود ، ولا تغفلوا غفلة الحمير ، فنحن نرى قرداً يعلو ظهر حمار ، ولا نرى حماراً يعلو ظهر قرد

الشيخ المراغى

في محطة القاهرة رأينا شيخاً من بُعد ، فقال ضيوفي ؛ مَن هذا الشيخ المهيب ؟ فقلت : هو الشيخ المراغى ، فتعالوا نسلم عليه ، لتقولوا إنكم سلمتم على شيخ الأزهر الشريف

وأسرعت فاستوقفت الشيخ ليسلم عليه ضيوفي ، فقال الشيخ حين رآهم : هل جئتم للسؤال عن طبيب ليلى المريضة في العراق ؟

فقال الأستاذ الراوى : يا سيدى ، إن الناس « يقولون ليلى في العراق مريضةٌ » هم يقولون ، يقولون

فهتفتُ : وأنا أيضاً أقول ، وليلى تفهم ما أريد

وفي القطار قال الأستاذ الراوى : إن الأزهر لم يَرَ مثل الشيخ المراغى منذ ثلثمائة سنة . فقلت : وهل تنسى الشيخ محمد عبده ؟ فأجاب : الشيخ محمد عبده شخصية دولية لا أزهرية ، ولو كان الشيخ عبده في صبر الشيخ المراغى لأتى في إصلاح الأزهر بالأعاجيب . إن الشيخ عبده كان ثائراً ، والثُّوار لا يسلمون من أذى الجهلاء ، أما الشيخ المراغى فهادئ ، وهدوء المصلحين يُشبه هُدوء الينابيع المطمورة في جوف الأرض ، فهو يتحرك والناس يظنونه في سكون . ولقد قرأت له كلمات في تفسير بعض آيات القرآن تضمه في الصف الأول بين رجال الاجتهاد

قلت : والحكم بأن الأزهر لم يرَ مثل الشيخ المراغى منذ ثلثمائة سنة فيه جورٌ على أسلافه من الأكابر ، وفيه جورٌ على الذاتية المصرية ، وسأدعو الأستاذ الأكبر إلى وضع كتاب تُسجل فيه المناقب الكريمة لمن تولوا مشيخة الأزهر الشريف

النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة

منذ أعوام أخرج الأستاذ ابراهيم مصطفى بحثاً طريفاً سماه « إحياء النحو » فردَّ عليه الأستاذ محمد عرفة بكتاب جيد سماه « النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة » ، ومن ذلك البحث وهذا الكتاب ظفرنا بثروة أدبية تذكر بالجهود الكريمة للنحاة القدماء

وكان المنتظر أن يتشعب الجدل بين هذين الرجلين ، وأن تثور حربٌ نحوية تنتهي بأن يكون للمصريين مذهبٌ في النحو ينافس مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين

ثم لاحت فرصة الجدل حول « تيسير النحو » ، فظهرت أبحاث تبشر بطلائع جديدة في الدراسات النحوية ، وتبعتها تعقيبات في الجرائد العراقية والسورية

ثم ماذا ؟ ثم سكتت الأصوات ، وانصرف المجادلون عن حومة الجدال ، مع أن النحو لن يحيا إلا إذا صيرناه من المشكلات العقلية ، لنجذب إليه أنظار المتأدبين ، ولننفض عنه غبار الخمول ، فهل نرجو أن تثار معركة النحو من جديد ؟

زكى مبارك

١ ـ نشأة الدرامة الانجليزية

للأســتاذ دريني خشبة

لا نرى بدا ، ونحن ندعو إلى سلك الأدب المسرحى فى الأدب العربى ، من أن نضع موجزاً نافعاً عن نشأة الدرامة فى كل من المالك الأوربية بين أيدى أدبائنا الشباب الذين نعتمد عليهم فى إحداث تلك الثورة فى الأدب العربى ، أولئك الشباب الذين لم يتيسر لهم تعلم لغة أجنبية ينفذون منها إلى الثقافات الأدبية الحديثة ، أو الذين تعلموا إحدى تلك اللغات ، ثم صرفتهم شواغلهم الكثيرة عن التفرغ لدراسة آدابها ، وأدبها المسرحى بوجه خاص ، وسنحاول فى هذه الخلاصات أن نجعلها مشوقة مثيرة لحب الاستطلاع فى نفوس القراء ، بحيث نباعد بينهـا وبين الجفاء العلمى ما وسعنا إلى ذلك من سبيل ... أما لماذا آثرنا أن نبدأ بنشأة الدرامة الإنجليزية فذلك لما لها من المنزلة التى لا تجحد بين زميلاتها من الدرامات العالمية ؛ ثم لأنها فى نظرى على الأقل ، توائم الكثير من مشاربنا فى الحياة بما نتوخاه من الفضيلة ، وتفيض به من الرجولة الكاملة ، ولأنها فى الجملة ذات أغراض عالية ، وأهداف أرفع

***

وقبل أن نخوض فى تفاصيل نشوء الدرامة الإنجليزية ، نرى أن نلم شعث هـذا البحث الطويل المتشعب فى عجالة قصيرة نستعين بها فى ضبط الموضوع كله ، وإليك هذه العجالة :

١ — نشأت الدرامة الإنجليزية فى طورها الأول فى ظل الكنيسة ، وكانت تنقسم فى ذاك الطور البدائى إلى قسمين ، أو إلى نوعين : الأول ، النوع الإنجيلى ، أو السمى ، وكانت موضوعاته وشخصياته مستمدة من الإنجيل أو الكتاب المقدس بوجه عام . ويسمى هذا النوع بالإنجليزية : Mysteries . أما النوع الثانى فهو القديسى أو الكرامى . وموضوعاته وشخصياته مستمدة من حياة القديسين المسيحيين وكراماتهم ولذلك سماه الإنجليز Miracle Plays

٢ — أما الطور الثانى فهو الطور « النقابى » ، وهو الذى كان يتولى جميع شئون التمثيل فيه نقابات Gilds أو Guilds من أصحاب الحرف المختلفة ، وكانت معظم دراماتهم من النوع القديسى أو الكرامى

٣ — ثم الطور الأخلاقى ، وهو الذى ينسخ الدرامات الإنجيلية والقديسية ويحل محلها درامات أخلاقية أبطالها وموضوعاتها الفضائل والرذائل ، لا زيد ولا عمرو ، فيلبس رجل لباساً شنيع الهيئة ليمثل الشر ، ويلبس رجل آخر لباساً جميلاً ليمثل الخير ، وهلم جرا ، ويدعى النقاد الإنجليز المسرحيون المحدثون أن المذهب التعبيرى الذى قام في ألمانيا قبل الحرب الحاضرة إنما قام على أنقاض هذا الطور الأخلاقي من أطوار نشوء الدرامة الإنجليزية ، وقد أشرنا إلى ذلك فى كلامنا على المسرح الألمانى ، وسوف نعود إليه إن شاء الله فى حينه . وقد نشأ إلى جانب الدرامات الأخلاقية أو ال Moralities كما يسمونها نوع مستقل فكاهى من قبيل (الفواصل) المضحكة التى تعمل فى الحفلات عندنا ، ولذلك فهم يسمونه : Interludes . ولا بأس من الإشارة فى هذه العجالة إلى أن النوع الأخلاقى إنما نبتت جذوره فى النوع الإنجيلى ، وذلك لأنه يمثل الجد والوقار والاحتشام الذى يقتضيه الدين ويلازم كل ما له علاقة بالكتاب المقدس . وأن نوع الفواصل إنمـا نبتت جذوره فى النوع القديسى أو الكرامى ، لأنه يمثل الهزل ويعنى بالتضحيك والسخرية

٤ — أما الطور الرابع فهو طور المأساة العظيم الذى شق للأدب الإنجليزى طريقة إلى تسنم الذروة بين الآداب العالمية جمعاء

ويلاحظ فى هذا التطور أنه يشبه إلى حد بعيد تطور الأدب المسرحى عند اليونان القدماء ... ذلك الأدب الذى لخصناه لقراء الرسالة منذ ثلاث سنوات .

الطوران الأول والثانى

لمـا كانت أغلبية الشعب الإنجليزى أغلبية أمية لا تقرأ ولا تكتب ؛ ولما كان كتاب هذه الأغلبية المقدس مكتوباً لها إما باليونانية أو اللاتينية ، وذلك قبل أن يترجم إلى الإنجليزية ، فقد كان رجال الدين يلقون الأمرّين فى تلقين الشعب مبادئ

دينه ، كما كان يتعذر عليهم تلقينهم قصص التوراة وقصص الإنجيل ، مما لا بد لكل شعب متدين أن يلم به ، لما فيه من العبرة والموعظة الحسنة ، ولما له من الأثر فى غرس محبة الدين فى القلوب المؤمنة ، والتغلغل به فى سويدائها ... من أجل ذلك اضطر رجال الدين إلى استخدام التمثيل وسيلة فذة لبلوغ أربهم إلى ألباب الشعب والوصول فى سرعة ويسر إلى تثقيفهم بثقافة كتبهم المقدسة فنجحوا فى ذلك نجاحاً باهراً على الرغم من أن جميع الدرامات الإنجيلية Mysteries التى كان يمثلها القسس أنفسهم فى البيع والكنائس إنما كانت تمثل باللغة اللاتينية ، تلك اللغة التى كان الشعب قليل الإلمام بها ، حالة مسلمى الترك والهند والصين وجاوة اليوم باللغة العربية . وكان القسس يحافظون بقدر المستطاع على حرفية الكتاب المقدس فى التمثيل ، وإن كانوا أحراراً فى اختيار الملابس التى يرونها لائقة ووافية بالغرض . ولهذا لم تكن الدرامات الإنجيلية تصادف من النجاح وإقبال الشعب ما كانت تصادفه الدرامات القديسية أو الكرامية المستمدة من حياة القديسين وكراماتهم الخارقة ، لما كانوا يتمتعون به من حرية فى صوغ الحوار وتكييف الحوادث تكييفاً يسهل خلق الجو المسرحى ، ويطلق العنان للمبالغة فى الأداء لضمان السيطرة على ألباب الجماهير والضرب على أوتارهم الحساسة ، ثم لما فى الخوارق من عناصر الخيال والخروج على مألوف الحياة العادية مما يضمن نجاح ذلك النوع من التمثيليات بالقدر الذى لا يتفق للتمثيليات الإنجيلية . أما أمثلة الدرامات الإنجيلية فكثيرة . وهى تشمل كل ما جاء فى الكتاب المقدس من قصص رائع معروف من الجميع

أما الدرامات القديسية Miracles فقد زاد فى نجاحها وضاعف من إقبال الجماهير عليها أداؤها بلسان الشعب باللغة الأنجلوسكسونية ، وكان ذلك لأول مرة إبان حكم الملك إدورد الثالث (١٣٢٧ — ١٣٧٧) أى فى منتصف القرن الرابع عشر على وجه التقريب ، وهو التاريخ الذى يعتبر بحق فجر النهضة التمثيلية فى انجلترا . وكان لهذه الدرامات مواسم تمثيلية تشبه ما كان عند اليونان منها . وكانت هذه المواسم هى الأعياد الدينية بوجه عام مثل : عيد الميلاد ، وعيد الفصح أو عيد القيامة Easter وأحد العنصرة أو الـ Whitsuntide وعيد الجسد أو القربان المقدس Corpus Christi . ولا غرو أنه كانت هناك مناسبات خاصة لتمثيل هذه الدرامات ، فمن ذلك حفلات الزفاف واستقبال الملوك وقيام الحجاج إلى الأراضى المقدسة والمناسبات السياسية وتدشين البنايات الهامة ... الخ ...

ويمضى الزمن ، ولشدة إقبال الناس على التمثيل ، بحيث لم تعد هيئة الإكليروس كافية للقيام بتمثيل مئات الدرامات التى ظهرت بناء على قانون العرض والطلب ، انتقل زمام التمثيل من أيدى القسس إلى أيدى رجال النقابات Guilds التى كانت تمثل الطوائف المختلفة للعمال . وهذا هو الطور الثانى الذى ازدهر فيه التمثيل الإنجليزى أيما ازدهار ، وذلك لروح التنافس بين هذه النقابات ، ولما كانت تلك الطوائف تنفقه من المال والجهد والعناية وتحرى أصول الإخراج لتبلغ دراماتها القديسية حد الإتقان ، ولما حدث بعد هذا من التنافس بين المدن الإنجليزية للوصول بتمثيلياتها إلى حد الكمال . فهذه لندن ، وتلك دبلن ، ثم يورك وشستر وكوفنترى ولانكاستر ... وكل المدن الكبيرة وكثير من أمهات القرى الإنجليزية ، تبذل من العناية والمال فى ذلك ما كانت تبذله أثينا وغير أثينا من مدن اليونان القديمة . بل ربما زادت عليها كثيراً

وكانت كل نقابة تصنع مسرحاً متحركا فوق عجلات أربع أوست ، مركب من طابقين يستعمل الممثلون السفلى منهما لتبديل الملابس ولعمل الدمام (الـكياج) وتؤدى التمثيليات فى الطابق العلوى . وكانت هذه العربة أو الـ Pageant تطلى بألوان غريبة تلفت النظر ، وكانوا يستعينون على تكوين المناظر بوسائل فجة ، فكان السحاب مثلاً يرمز إليه بأقمشة داكنة أو بيضاء حسب المنظر المطلوب . فإذا كان المراد أن يبرز ملاك من بين السحب انفجرت سحابتان وبرز من بينهما تمثال خشبى لهذا الملاك ؛ أما الشجر فكان يمثل بأشجار اصطناعية ، وكذلك البيوت والمدن والقلاع والحصون . كما كان يرمز إلى الجحيم بوجه كبير مسخ ، ذى أنف أحمر ضخم ، وفم مهول تبرز منه أنياب مرعبة متحركة . أما العينان فكانتا كوتين كبيرتين فى هذا الوجه ، وكان يوضع خلفهما مشعلان فينفذ اللهب من الفجوتين فيضاعف فى شناعة ذاك الوجه . وكانوا يستعينون ببرميل ضخم يطبلون داخله بآلة لأحداث صوت الرعد ، أما العواصف فكانوا

يحدثونها بنفخ قرب كبار تشبه منفاخ الحدادين ، ثم يسلطون الهواء المنبعث منها على أقمشة رقيقة فتوهم الأثر المنشود

وكانت الجياد تجر هذا المسرح من حى إلى حى ، ومن ملتقى شارع كبير بشارع كبير آخر ، ومن ميدان إلى ميدان . وفى كل من هذه (المواقف) تمثل رواية من تلك الروايات القديسية فيجتمع الناس ، ويتزاحم الشعب بالمناكب ، ويتركون متاجرهم مدفوعين بعامل حب الاستطلاع ، والتفرج بالمجان بهذه الفُرَج المليحة التى تنشر الهدى ، وتسكب النور فى ظلمات القلوب ، وتفتح أبواب الجنة للضالين ، على حد ما وصف أحد القسيسين تلك المسارح . وكان الجمهور لهذا السبب ينتظر أعياده ويرتقبها بصبر فارغ وتشوف عظيم ، لينعم بشهود تلك الدرامات التى يلتمس فيها مُثُله . وكان التمثيل يبدأ قُبيل العيد بأيام وينتهى بُعيده بأيام أخرى ، ولذلك فطالما كانت الأعياد الدينية تنقلب فتكون مواسم تمثيلية يتثقف بها الشعب ويتصل فيها بالقديسين والشهداء من أبطاله الدينيين اتصالاً وثيقاً . وكانت النقابات تبتكر الوسائل الممكنة للحصول على المال الذى هو عصب كل مشروع يرجى نجاحه ، فلما آنست من الناس هذا الإقبال على شهود دراماتها ، لم تر ضيراً فى أن تنتهز تلك الفرصة لتعرض مشروع (المزاد التمثيلى !) وكان ذلك فى سنة ١٤١٧ فالحى الذى يعطى مزاداً أضخم من الحى الآخر هو الذى يفوز بتمثيل الروايات فيه ، والمنزل الذى يهب النقابة مبلغاً أكبر هو الذى يسعد بوقوف المسرح المتنقل قريباً منه ليسهل على أهله التفرج والاستمتاع فى هدوء وراحة وإدلال على الناس

وقد وفّقت النقابات إلى تنظيم العمل فيما بينها ، وتقسيمه تقسيما لا يضر بكيانها ، ذلك الأضرار الذى يسببه التنافس أحياناً مهما يكن تنافساً شريفاً مشروعاً . وكان يراعى فى ذلك التقسيم أن تتناسب الدرامات ونوع المهنة التى تمثلها النقابة ، ففى عيد الفصح Easter تمثل نقابة الدباغين درامة « سقوط الشيطان » The Fall of Lucifer ، وتمثل نقابة تجار الأقمشة درامة « الخلق والسقوط » Creation & Fall فى حين تمثل نقابة السقائين أو نقابة صيادى السمك دامة « طوفان نوح » . وكانت بعض هذه الدرامات تنال من استحسان الجمهور ما يقتضى استمرار عرضها وتمثيلها مرات متتالية أياماً متوالية ، فقد حدث أن استمر عرض رواية « أمور من قصة خلق العالم » ثمانية أيام متتالية ، وذلك فى عهد الملك هنرى الرابع سنة ١٤٠٩ فى حى إسلنجتن بلندن . ولم تكن هنالك أية عناية أو احتفال بالمناظر المسرحية المعروفة اليوم ، فى حين كانت العناية الفائقة قاصرة على الملابس ، والأدوات التى لم يكن بد من استعمالها أثناء الأداء ، فهنا كانت النقابات تنفق عن سعة ، ففى رواية « يوم العدالة » مثلاً ، وهى من أكثر الروايات فى الممثلين عدداً ، كان الممثلون الذين يؤدون دور « العاصين من أهل جهنم » يرتدون ملابس من الكتان صبغت بالأصفر والأسود والأحمر إشارة إلى الألوان السائدة فى الجحيم . أما الممثلون الذين يؤدون دور « الأرواح السعيدة الناجية » فكانوا يرتدون ملابس بيضاً من الجلد الرقيق المدبوغ ؛ وإذا تصورنا عدد أولئك الممثلين فى مثل هـذه الرواية ، أدركنا المبلغ الضخم الذى كانت تصل إليه أثمان ملابسهم المصنوعة من تلك الجلود الغالية ، وذلك بالإضافة إلى أجور الممثلين التى كانت تتراوح بين أربعة عشر بنسا وأربعة شلنات ، وهى تسوى عشرة أضعافها بعملتنا الحاضرة ...

ومن الروايات التى كان إخراجها يتكلف كثيراً من النفقات نوع تنكرى يسمى الماسك Masques ومنه النوع التنكرى الإنجليزى المسمى Disguising والذى كان الممثلون يرتدون فيه أغلى أنواع الملابس وأشدها بريقاً ولمعاناً ــ وقد أتى هذا الطراز إلى انجلترا من إيطاليا ثم انتشر فى عصر الملك إدورد الثالث ، ثم ألف فيه المسرحى الإنجليزى العظيم بن جونسون الروائع والغرر

ولعل أقدم الدرامات القديسية التى وصلتنا من هذه العصور هى تلك الدرامة المسماة « القديس نيقولا » St. Nicolas والتى ألفها باللاتينية أديب إنجليزى من أدباء القرن الثانى عشر اسمه هيلاريوس وقد أهداها إلى كنيسة القديس المسمى باسم درامته . وملخصها : أن رجال الكنيسة فى عيد هـذا القديس يرفعون صورة القديس نيقولا من موضعها فى الكنيسة ، ثم يجلس فى مكانها ممثل بارع يستطيع أن يضبط حركاته ويحبس أنفاسه بحيث يظن من يراه ، بل يتأكد ، أنه تمثال وضع هنالك للقديس صاحب الكنيسة ؛ وحينما تنتهى الصلاة وتعقبها تلك

المشكلات

٤ ـ اللغـــة العربية

للأســـتاذ محمد عرفه

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

فى الأمثال العربية — قتلت أرض جاهلها ، وقتل أرضا عالمها — ومعنى ذلك أن من سلك أرضا وكان جاهلاً بطرقها ضل وهلك ، ومن سلك أرضاً وكان عالماً بمسالكها قطعها ونجا منها . وهذا لا يختص بالأرض والمسافر ، بل يعم كل من يزاول أمراً من الأمور ، فإن زاوله عالماً به تغلب عليه ، وإن زاوله عن جهل خاب فيه

للعلم سلطانه القاهر ، والمتسلح به متسلح بسلاح الظفر ، وللجهل عثراته الموبقة ، والمتسلح به متسلح بسلاح مفلول . إن الأمم التى تحل مشاكلها مستضيئة بنور العلم تنجح فيما تحاول ، وتتغلب على الصعاب التى تعترضها ، والأمم التى لا تستهدى العلم ولا تستشيره فى مشكلاتها ، لا تكاد تحل لها مشكلة

وما الفرق بين الأمم المتحضرة والأقوام الهمج ، إلا أن الأولى آمنت بالعلم وبسيطرته على الوجود ، فسعت للكشف والمعرفة ، وكما علمت شيئاً استفادت منه فى حياتها ، وأن الثانية لا تؤمن هذا الإيمان بالعلم ، ولا تعترف له بهذه القدرة ، فهى تحل مشاكلها بما يأتيها به عفو الخاطر ، فتعثر دائماً ويلج بها العثار

وخير علاج ما يكون مبنياً على طبائع الأشياء ، فأول ما يبدأ به معرفة طبيعة الشىء ، ثم يعالج على حسب هذه الطبيعة وبنور هذه المعرفة

وعلى هذا فخير ما يعمل لحل مشكلة اللغة العربية أن نعرف طبيعتها ومن أى جنس هى ! وما خصائص هـذا الجنس ! وقد أدركت ذلك واقتنعت به ، ونريد أن نقنع به القراء

قضيتان إن آمنتم بهما سلمتم معنا بما نريد : إحداهما أن اللغة فى المتكلمين بهـا ملـكة . ثانيتهما أن الملكة لا تـكتسب إلا بالتـكرار لا بالقواعد فحسب

إذا استطعت أن أقيم الدليل على هاتين القضيتين وصدقتم بهما وجب أن تصدقوا أن اللغة لا تـكتسب بالقواعد فحسب ، بل بالتـكرار والحفظ والمحادثة ، وسأحاول ذلك فيما يأتى :

اللغة : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . والتعبير باللغة والفهم عنها يقتضى أمرين :

١ — السرعة ؛ فكلما خطر بباله معنى خطر اللفظ الدال على مفرداته ، وخطر التركيب الدال عليه فى وحاء ، وكلما سمع جملة فهم معانى ألفاظها وما يدل عليه التركيب

٢ — الإجادة ؛ وذلك بأن يكون جارياً على قوانين هذه اللغة لا يخطىء فيها ، وذلك لا يكفى فيه أن تـكون اللغة معلومة فحسب ، بل لا بد أن تـكون ملـكة ، أى حالة راسخة فى النفس ، لأنها إذا كانت معلومة علماً ساذجا ولم تصر ملـكة ، وأراد التكلم التعبير عن معنى ، فـكر وروى فى اللفظ الذى يدل على ذلك المعنى ، واستعرض الألفاظ المخزونة فى حافظته حتى يعثر به ، ثم فـكر فيما يعلمه من تراكيب هذه اللغة ليختار التركيب الذى يفيد ذلك المعنى ، ووضع اللفظ فى هذا التركيب ، وأعطاه الأحوال المناسبة ، وذلك يقتضى جهداً وزمناً ، وربما ينقضي بياض النهار وسواد الليل فى تعبيرين أو ثلاثة ، ما دامت اللغة علماً ساذجا . أما إذا عمقت إلى أن صارت ملـكة ، فانه إذا أراد التعبير عن معنى انثالت عليه الألفاظ ، وانثالت عليه التراكيب دون جهد ومشقة ، سريعاً لا يبطىء ، مصيباً لا يخطىء

وقياس ذلك قياس العامل الذى يصف الحروف للطبع ، فانه إذا كان مبتدئا واقتصر على العلم بأمكنة الحروف ، وأراد بعد هـذا العلم الساذج أن يصف حروف كلمة اقتضاه ذلك من

اللحظة من الصمت الرهيب ، يقبل رجل كافر لا دين له من أغنياء المدينة ، مختالاً فى ملابسه الزاهية ، حاملاً كيساً كبيراً فيه جواهره ونقوده ، حتى إذا وصل إلى حرم القديس ألقى حمله عند قدمي التمثال وسأله فى تأدب واحتشام أن يحرسه له حتى يثوب من سفره ... لـكن لصوصاً يسرقون ثروة الرجل ... ويعود الـكافر فلا يجدها ... ويجن جنونه لهذا السبب ، ثم يتناول سوطاً فيلهب به كتفى القديس الذى ينزل من مقامه فى تؤدة ووقار على الرغم من السياط التى تمزق جلده ويذهب نحو اللصوص فيخاطبهم ويعظمهم وما يزال بهم حتى يردوا كيس الرجل ... ويعود القديس إلى مجلسه ويتربع عليه ، فيخر الـكافر نادماً ... ويؤمن من فوره .

(يتبع) دريني خشبة

التفكير والجهد والزمن ما ليس بالقليل ، وربما انقضى اليوم ولم يصف إلا بضع كلمات

أما إذا تجاوز ذلك إلى أن صار ملكة ، فانك ترى يده تلقط الحروف من هنا ومن هنا ، وفكره يسبق يده ، ويده تسبق فكره ، حتى يصف فى الدقيقة عدة كلمات

وهذا شأن الملكات كلها تأتى بالشىء فى عجلة وإتقان ، وتريك العجب العجاب ، ترى الأمر الذى له أجزاء كثيرة ويحتاج إلى فكر فى هذه الأجزاء يأتى به صاحب الملكة دون فكر كأنما هو ساحر يأتى بالخوارق

رآني صديق أمي ، كان قد بدأ فى تعلم القراءة والكتابة أقرأ ، فهالته السرعة والإصابة ، فقال أظننى أصدقك فى أنك تقرأ من هذا الكتاب ؟ لا ، إنك تقرأ من حفظك . أمجنون أنا حتى أصدق أنك تقرأ ما لا تحفظ ؟ أفى هذه السرعة تعلم ما هذا الحرف وما الذى يليه وهكذا وتعلم حالاته أمفتوح أم مضموم أم مكسور أم ساكن ، وإن تركيب ذلك يكون كذا ؟ وهبك عرفت هذه الكلمة فكيف تعرف صاحبتها بهذه السرعة ، وكيف تجمع من الحروف كلمات ومن الكلمات جملاً ، منطلقا كالسهم ، مصيباً كالقضاء ؟

وهذا تفكير سليم لو أغفلنا من حسابنا أمر الملكات ، ولكن الملكات كائنات من كائنات هذا الوجود ، ولها هذا الفعل الغريب ، والسحر العجيب . إن النجار الذى اكتسب ملكة النجارة يأتى بأعمال أشد إتقاناً وأسرع ممن لم يكتسب ملكة النجارة . إنه يدق المسمار بالقدوم مائة مرة ، فلا تخيب منها مرة ، حتى أن صاحبه ليمسك له المسمار وهو يدق آمناً أن تفلت منه ضربة فتصيب يده ، ومن لم تكن عنده ملكة النجارة يدق مائة مرة فلا تصيب رأس المسمار منها واحدة

وإن المرء ليعجب للحائك كيف يسلك الخيوط فى الخيوط المشدودة بحركة سريعة وإتقان عجيب لا يدخل الخيط فى غير موضعه المراد له ، ولا يعقد ولا يقطع . وإن الملكة لتدخل فى أغلب أعمالنا فتجعلها أعظم إتقاناً وأسرع ، وتجعلنا نأتى من الأعمال ما نحتاج إلى آلاف السنين لنعمله لو لم تكن عندنا هذه الملكات . فبالملكة نكتب ونقرأ ونتكلم ونحسب ونعمل فى الصناعات المختلفة من حياكة وخياطة ونجارة وحدادة وطباعة مع الإسراع والإجادة والإحسان

ولولا الملكات لما قمنا بهذه الأعمال وسواها إلا مع الخرق والإبطاء كما أريناك فى صفاف الحروف الذى لم يكتسب ملكة فى صنعته . وإن الزمان لأسرع من أن ينتظرنا ، وحاج الحياة شديدة الإلحاح تتطلب السرعة والإجادة ، وإن قوة المرء محدودة لا تفى للعمل بدون ملكة لأن ما كان من الأعمال كذلك يقتضى من المرء جهداً ومشقة وتفكيراً تستنفد من قوته ومن دمه وأعصابه ما هو بحاجة إليه

وإنها لحكمة من الله عظيمة أن يخلق فينا الملكات فتجعلنا نجيب مطالب الحياة المتعددة بأقل ما يكون من الزمن ، وأيسر ما يكون من الجهد ، وأسرع ما يكون من العمل ، لا سيما حاجة التخاطب . فالله أرحم بعباده من أن يقف التخاطب على هذه الجهود المضنية ، والمتاعب الشاقة ، والتخاطب عمل دائم ، لا تنقضى منه حاجة حتى تتجدد حاج ، ولا يفرغ المرء من خطاب حتى يستأنف خطاباً آخر ، ولا يفرغ من فهم خطاب إلا إلى فهم مخاطبات أخرى وهلم جرا ...

لقد قلنا الآن ما يمكن قوله فى أن اللغات فى الناس ملكات يقتدرون بها على الإفهام والفهم ، وأظن أن القراء آمنوا بذلك لما أوردته من الأدلة

وقد بقى أن أقول فى القضية الأخرى وهى أن الملكة لا تكتسب بقواعد وإنما تكتسب بالمزاولة والتكرار

إذا استقريت الملكات ولاحظت كيف تتكون علمت أن الملكة لا تكتسب إلا بالدأب والمرانة وتكرار العمل لا بالقوانين والعلم المجرد . لاحظ صناعة صف حروف الطباعة تجد أن العامل إنما يكتسبها بمزاولة صف الحروف والتقاط الحرف من مكانه المخصص له وتكرار ذلك حتى تكتسب الملكة ، وليس يكسبها بالعلم المجرد بأن من أراد صف كلمة فليأخذ حروفها المتعددة من أماكنها المخصصة لها وهكذا فإذا أتم صفحة وضعها بين ضاغطين ليمنعاها من الشتات والانفراط

لاحظ صناعة الموسيقى تجدها لا تكتسب بقوانينها الفنية فحسب ، فلا تكتسب بقول الأستاذ اضرب بالخنصر والبنصر والسبابة وشد الأوتار ؛ إنه بذلك لا يكون عازفاً ولا موسيقياً إنما يكون موسيقياً إذا زاول هذا الضرب مراراً وتكراراً ، فأكسب أصابعه المرونة والسرعة والاستجابة لما ترسمه فى وحاء ، ثم أكسب نفسه وذوقه بذلك الملكة فى الموسيقى وفنها الجميل

تصويبات فى الذخيرة

لابن بسام ، المجلد الثانى ، طبع كلية الآداب

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

أخى الدكتور عبد الوهاب عزام

كان من حظى أن أكتب عن « الذخيرة لابن بسام » فى مجلة المقتطف شهر يوليو سنة ١٩٤٣ كتابة سمح بها المجال المحدود . وقد أثنيتُ فيما كتبتُ على جهدك وجهد إخوانك الذين قاموا بضبط هذا الكتاب النفيس وتحقيقه ، ولقد وعدت أن أبعث إليك بكتاب خاص أصحح فيه بعض أخطاء فى الطبع وقعت فى الكتاب على الرغم مما بذلتم من الجهد المشكور . إلا أننى فهمت من مقال لكم بالرسالة أنك بعيد عن القاهرة إلى ثغر لا أعرف عنوانك فيه ، فرأيت أن ألقاك على صفحات الرسالة لقاء عاماً لا يغضبك لأننى أعرف عن رحابة صدرك وسماحة خلقك وحبك للعلم ما لا يتزلك منازل الغاضبين من أهل الادّعاء

ولأننى لقيت قبلك الدكتور محمد مصطفى زيادة لقاء عاماً فى العدد (٥٢٢) بشأن تصويبات فى « كتاب السلوك » فما غضب ولا سخط كما يفعل المغرورون ، ولكنه سُرَّ وفرح وسعى إلى ليشكرنى أمام الأستاذ أحمد الشايب وبعض الزملاء ؛ فأكبرت علمه وتواضعه . ولا شك أنك ستهلل لهذا اللقاء لأنه يسرك أن يكون العمل الأدبى الذى أشرفت عليه أنت وإخوانك الكرام فى « كتاب الذخيرة » عملاً يقرؤه الأدباء والمتأدبون فيرضون عنكم ويستزيدونكم لتخرجوا كنوز تراثنا العربى سليمة مما يشوهها أو ينتقص من جمالها

ولا أحب فى هذا المقام أن أكون مذيعاً ، أو تفهم أنت يا أخى أنى مذيع لهفوات فى الكتاب لم تقصدوا إليها ؛ ولكن الله شاء — كما يقول محمد بك رشدى فى كتابه فن القضاء — أن يحكم على الكتاب العربى ألا يكون سليما من أخطاء الطبع وألا يخلو من جدول للخطأ والصواب ، وألا يسلم من قيام بعض القراء على تصحيحه مهما بذل فيه من جهد ..وذلك شىء لا يكاد يوجد فى الكتب الأجنبية التى تعرَفُ عنها كثيراً ، وتقرؤها كثيراً فلا تجد الـH وضعت فى موضع الـK ، ولا تجد الـM نزلت

ولو مكثت طول عمرك تقول لمتعلم الحياكة شد الخيوط طولاً وأدخل فيها الخيوط عرضاً ذاهباً يمنة وذاهباً يسرة لما تعلم بذلك شيئاً من الحياكة ؛ إنما يتعلمها بمزاولة هذه الأعمال حتى تكتسب يده الخفة والمرانة

ولو رددت على متعلم السباحة قولك اركض برجلك اليمنى فى الماء ، واضرب بذراعيك ، لما تعلم بذلك السباحة ، ولو سبح معتمداً على هذه القواعد لأدركه الغرق ولذهب ضحية القواعد والقوانين

الآن علمنا أن اللغة فى المتكلمين ملكة ، وعلمنا أن الملكة لا تكتسب بالقواعد ، إنما تكتسب بالمرانة والتكرار ، فيلزمنا شئنا أو أبينا الإقرار بأن اللغة لا تكتسب بالقواعد ، إنما تكتسب بالحفظ والتكرار وهو المطلوب الذى حاولنا إثباته

أرأيتم أننى كنت مصيباً حين قلت يجب أن نحل مشاكلنا بالعلم ، ويجب أن نعرف طبيعة الشىء وخصائصه لنبنى الحل على هذه الطبيعة ؟

أرأيتم كيف كنا نعلم اللغة على غير طبيعتها ، أرأيتم كيف كنا نمثل دوراً مخجلاً ، فكنا كمن يطرق الحديد وهو بارد فيشق ثم يشق والحديد لا ينطرق معه ولا يلين ، فيهزأ منه من يراه ، ويضحك ملء شدقيه ، ويرى كيف يشق الجهل بطبائع الأشياء صاحبه ، ثم لا يحظى بطائل ولا كبير فائدة

اكثروا من المطالعة فى كتب الأدب . احفظوا الكثير من أشعار العرب . احفظوا ما تقدرون عليه من الخطب . ارووا الأمثال السائرة ، والنوادر البارعة ، والرسائل البليغة ، والمحاورات العذبة . اخلقوا فى بيئتكم المدرسية جواً عربياً لا تتحاورون فيه إلا بالعربية ، فإن لم يكن ذلك فى جميع الدروس ففى دروس اللغة العربية

لتقوموا بروايات تمثيلية تحفظون أدوارها ، وتستظهرون محاوراتها ؟ وليمثل كل منكم دوره باللهجة العربية والتوقيع الخطابى

لا تكتفوا فى العام الدراسى بحفظ مقطوعة أو مقطوعتين ، ولا برسالة أو رسالتين ، بل فلوا دواوين الأدب واختاروا واحفظوا وأسرفوا فى الحفظ ، وطالعوا وأسرفوا فى المطالعة ، واكتبوا الرسائل ، وحبروا المقالات على نمط ما تحفظون وغرار ما تألفون

بذلك وبذلك وحده تحوزون ملكة اللغة ، وتملكون زمام البيان .

محمد عرفة

منزل الـ N ، كما نجد فى الكتاب العربى كلمة ميزاب وضعت موضع ميراث ... ولا أزيدك !

ورد فى صفحة ١٠ سطر ٤ البيت الآتى :

أبا لك أن يُهاض علاك عهدٌ هشامىٌّ وجدٌّ هاشمى

وأبا لك هنا فعل ماض يكتب بالياء لا بالألف ومضارعه يأبى . أى أن الذى منع علاك هيْض َ علاك علو شرف آبائك .

وفى ص ٣٨ س ١٧ « أعطى الملكَ محبٌّ » بشدة فضمة . والصواب بضمتين هكذا « محبٌ »

وفى ص ٣٩ س ٦ ذكرتم ابن فتُّوح بشدة على التاء . ولكن فى ص ٢٧٤ عدتم فذكرتموه ثلاث مرات بضمة على التاء من غير شدة ، فأيهما الصحيح ؟

وفى ص ٤٠ س ١٥ :

لما رمته العيون ظالمةً وأثَّرتُ فى جماله الحدقُ

والصواب : وأثَّرتْ بتاء التأنيث الساكنة لا بتاء المتكلم

وفى ص ٤٣ هذا البيت الناقص :

. . . . فقلت لها يا قلبها أحديد أنت أم حجرُ ؟

ولم تكملوا هذا البيت الناقص على كثرة المراجع فى مكتبة الجامعة وقد عجزت أنا وكثير من الأساتذة والأدباء عن إكماله . فلعل من قراء الرسالة من يكمله ؛ وهو ـ كما جاء فى الذخيرة ـ للمأمون الحارثى .

وفى صفحة ٤٤ س ١٣

قتلوا قرة عينى ومنْ أجلى قتلوه

ووضع السكون على من يكسر البيت والصواب وضع فتحة على النون وجعل الهمزة فى كلمة أجلى همزة وصل . ومثل ذلك ما حدث فى ص ٦٩ س ٤ ؛ فالشطر :

وخذ على الريق منْ أسبابه

صوابه : وخذ على الريق مِنَ أسبابه ـ بجعل همزة أسباب همزة وصل وفتح النون من كلمة من

وفى صفحة ٧٧ س ٢ ، ضبطتم الفعل مُت بضم الميم والأعلى كسرها كما فى قراءة حفص « يا ليتنى مِت قبل هذا »

وفى ص ١٣٣ س ١٠ « أن لم أجد التأبينَ فأجدْ البكاء والحنين ، وأن لم أحسن التملقَ والأطراء فأحسنْ الخلوص والدعاء » ، ولم أجد منكم تعليقاً على الفاء هنا فى جواب الشرط

فليس ذلك من مواضعها ، وما الذى جزم الفعلين أجدْ وأحسنْ ؟

وفى ص ٢١٥ س ١٦

عَساكِ بحق عيساكِ مَريحة قلبيَ الشاكى

بفتح الميم من مُريحة . والصواب ضمها لأنها اسم فاعل من الفعل أراح من الراحة

وفى ص ٢٢٢ س ١

فكم صافحتنى فى مُناها يد المنى

وكم هب عَرَفَ الهو من عَرفاتها

والصواب مِناها بكسر الميم ، وهو المكان المشهور فى الحجاز بدليل كلمة عرفات فى الشطر الثانى

وفى الصفحة نفسها س ١٢

ولى أمل أن يُسعِدَ السعد نلتُه

ويَفهَم سرٌّ النفس فى رمزاتها

والضبط كله مُختل وصوابه :

ولى أمل إنْ يُسْعِدِ السعدُ نلتُه

ويُفْهَمُ سرُّ النفس في رمزاتها

لأن كلمة إن فى الشطر الأول شرطية ، فهو يقول إن ساعدنى الحظ السعيد نلت أملى . والفعل يُفهمُ مبنى للمجهول وكلمة سر نائب فاعل ، والمعنى أن سر النفس يُفهم مما ترمز به . أما تعليقكم على هامش الكتاب رقم ـ ٥ ـ فلا معنى له .

وفى ص ٢٣٠ س ١٠

دوَيْنِ الكثيب الفرد قُضبٌ وكثبان

والصواب دُوَيْنَ بضم الدال وهى مصغر كلمة « دون »

وفى ص ٣٢٢ س ١١ هذا البيت

لم أر أن أكون من رواته إذ هو ممدود فى هناته

والبيت كما ترون مكسور فى شطره الثانى ، ولم أعرف صحته

وفى ص ٣٢٨ س ١٥ « ونورثها إذا مُتنا بنينا » والصواب مِتنا بكسر الميم كما تقدم

وفى ص ٣٣٦ س ١٠

لم يَحكِ نائلَك السحاب وإنما حُمَّتْ به فصبيبها الرخصاء

والصواب الرحضاء بالحاء المهملة والضاد المعجمة

وفى ص ٣٣٨ س ١

من نوابغ الأدباء الشعراء فى الأدب الفرنسى

جان دولافونتين

LA FONTAINE

(١٦٢١ — ١٦٩٥)

بنـــو آدم كالنبت ونبت الأرض ألوان
فنهم شجر الصنـد ل والـكافور والبان

للأستاذ محمد حسنى عبدالله

تمهيد لحياته العقلية بحياته العاطفية

كان لافونتين قد أربى على الستين من سنى حياته عند ما صادف ذات صباح الآنسة « بوليو » وهى فى جلال ربيعها الخامس عشر . فإذ ملأ عينيه من جمال لها يموج فيه الظرف ورواء وحسن يبهران الأبصار ، عرته بهتة وذهل عن نفسه ، فهام على وجهه على غير هدى حتى التوت به الطريق واستغلقت عليه معالمها . وما زالت به الهيمة وقصاراه ترديد صورتها إلى أن أطبق عليه المساء وهو بعد لا يشعر أنه قطع مسيرة يوم مذ صادفها من مطلع الشمس إلى مغربها . ولم يكن يومه شاقاً ولا عسيراً . فهو يوم للحسن ملـكت دولته خيال الشاعر كما فى أى يوم مضى من شبابه . فقد طالما تعود أن يتذوق الجمال وأن يمضى مع أحلامه وهو يُصوِّر روائعه لخياله غافلاً عن الوقت ومره ، والطريق ومعالمها ، والحياة وصخبها ما التذ بالسير والخيال . وإنما كان يومه غريباً فهو لم يضل سبيلاً قبله . فكم من أرض قطع وكم من حزن أجاز وبطن هبط وهو فى مسابح الأحلام ، وفى كل مرة كان أهدى إلى بيته من قطاة . ولـكن هزة الجمال الفتىّ أضلت ، هذه المرة ، الستين عاماً التى ينوء منكباه بحملها فما عاد يعرف سبيل الرواح حتى التقى بخادمه عند الطريق . فعاد به إلى وكره . فلم يك بعد هذا ليبرح فراشه أياماً ثلاثة وهو ما زال متأثراً بالوجه الصبوح الذى أهلت عليه فتنته بما لم يعهده من قِبل فى سلطان الجمال . وهكذا ما زال شيخنا مع الستين شاب القلب فتى العواطف . ولهذا معناه فما استهللت بهذه الأقصوصة إلا لتبيان أخص ما فى خلق هذا الأديب الشاعر .

فقد أصبح سهلاً الآن أن نستوضح تقديره للجمال لدرجة الافتتان به لمجرد الجمال ، إلى جانب بوهيميته ويسر أخذه للحياة من مجرد تصرفه حيال رؤيته للصبية ترفل فى الحسن . فهو إذ رآها قنع بمرآها وبصيان صورتها فى ذهنه وبالخلاص من هذا بلذة معنوية حرفة فلم يمدد إلى مجاذبتها الحديث وعقد أواصر المعرفة معها تمهيداً لحاجة مادية — فهذا أبعد ما يكون عن طبعه — فهو إذن معنى بالجمال لذاته . كذلك إذ قنع بهذه الشحنة المعنوية لأحلامه ، اندفع فى السير على غير متجه ، وخبط فى الأرض خبط عشواء ، وهذا يفسر جانب البوهيمية فى سجاياه . ثم أمضى يومه كله معنياً بما عاين لوقته ، يسرح فى رياضه سائم الطرف والبال ، فأضاع يومه حالماً وما أيسر تناول الحالمين

فان كسدت أعلاق على عليهم
فلا غرو أن يكسد لدى النعم الشذر
والصواب إن يكسد لأنها إن الشرطية

وفى ص ٣٨٦ س ١٣

أيهـا العائب العـذا ر وذو الجهـل عائبه

بتنوين اللام الأخيرة من كلمة الجهل ، والصواب حذف التنوين

وفى ص ٣٩١ س ١٥ « فشبه تبرك مُتـَلوًا » . ولم أفهم معنى هذه الـكلمة ولعلها مجلوًا كما فى الهامش

وفى ص ٣٩٤ س ١٥

أو تباكر صَيْدَ ألها فابنُ حجرٍ
أو تبـكِّى الديار فابن خـذام

وابن حجر هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلى فهل هو بفتح من حجر كما ضبطتم ؟ والياء فى الفعل تبكى لا داعى لها لأن الفعل مجزوم عطفاً على ما قبله . والصواب كتابتها هـكذا «أو تُبكِّ» ولا ينكسر البيت على هذا

وفى ص ٤٠٢ س ١٨

قل لأبى يوسـف المنتق الفاضل الأوحد فى عصره

وضبط الفاء من يوسف بالفتح خطأ ، لأن البيت ينكسر على هذا الضبط ، والواجب أن ينوّن هذا العَـلَم « أى يصرف » ليستقيم الوزن ، فالأبيات من بحر السريع كما لا يخفى

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد عبد الغنى حسن

للحياة . ولندعه الآن يسرد بقية القصة بنفسه لعلنا ندرك فى قوله مزيداً إذ فسر لصديق عاتبه ، سر انحجازه عنه هذه الثلاثة أيام التى توارى فيها فقال :

« لِمَ لم تتقصى يا صديقى أسباب انحجازى عنك طيلة هذه الأيام الثلاثة فأفضى إليك بدخيلة نفسى ؟ ... إذن لقلت لك بلا مواربة إننى وأنا المسن لم أملك دفعاً لإغراء صبية أغرانى بالحلم فيها جبينها وربيعها الخامس عشر ، وعيناها الزرقاوان ، وطراوة بشرتها الوردية ، وسحر قسماتها ولحاتها الذكية . ثم لأقتك بعد القول حكماً باسم الجمال »

إلى هذا الحد من قوله قد تُشتم رائحة الإعجاب البدنى حرفاً ولكنه يعود فيجلو لنا الجانب الساحر الرقيق من طبعه :

« ولكن ... لو أن هذا المخلوق الإلهى الصغير الذى عكر صفو راحتى وهدوء شيخوختى قد صادف نصفه الحقيق به ، لكنت أنأى الناس عن الحقد عليه . بل لكان هناءة لعينى أن أراه وحبيباً من لداته ... ولو أنه هزأ ضاحكاً من إعجابى به لما اضطغنت عليه ... وإلا فلم كان أمثالى من الشيوخ الوامقين ... أليس لإضحاك الحسان من الصبايا ؟ »

وههنا ما يستلفت الأنظار . فلافونتين لا تستأثر بقلبه الأثرة التى هى العنصر الغالب فى عاطفة المحب . فهو يتمنى لكاعب زلزلت عنده وقار الشيخوخة وألهبت فيه برد عاطفتها كل توفيق مع حب غيره يكون أصلح وأنسب لفتاها وأليق لصباها . ثم هو يسخر من نفسه فى يسر ورخاوة وقلة اكتراث كمن يهزأ من امرئ لا تربطه به رابطة أو صلة . ويصرح بعاطفة كان أولى به كتمانها فى سن تدعو تجاربها وحنكتها إلى صيان ما بالنفس للنفس والتزام جانب الصمت والظهور بالمظهر اللائق بها من الاتزان والرزانة والتعقل . وهذا كله شىء يجعل فهمه ميسوراً لأول وهلة

فقد عاش أبداً ، بوهيمياً ، صريحاً ، بواحاً بسره ، ينكره الاستقرار وتجافيه العاطفة الراسخة رسوخ الرواسى - فركب الهوى وأعجب بغادات الحسان مثل هذا الإعجاب العارض . ولكنه لم يصادف أبداً هذا اللون المنيف من الحب الذى يقتصر فيه صاحبه على واحدة يكاد حبها يُورده موارد البوار والتلف . فكان أبداً كالنحلة عسلها فى كل زهرة ، يرى هذه فيعلق بها فؤاده يوماً أو يومين ، يحلم خلالهما أحلاماً هنية ، ويرى تلك فينسى الأولى ، وهو بين هذه وتلك فى دولة الخيال فى شاغل عن الصلة البدنية بالصلة الروحية ، سعيد بصور الحسان تتوارد جملة على مخيلته . فكأن السعادة بذلك همه ، وخلو البال من الأزمات المقضة للمضاجع شاغله ، وكأنه من ذلك فى عالمه الخاص يُعد لرسالته الأدبية المتنوعة شحنة من الفكر المنطلق الحر فى نأى عن حب فرد ملح يحصر مناطق الفؤاد الذكى ويحدها .

لافونتين فى البحث عن لافونتين

وامرؤ لا يعرف قلبه وخياله الحد ليس من ريب فى أن عقله كذلك لا يعرف الحد . فآفاق العاطفة المترامية تفسح للعقل فى مدى واسع يحار فيه . لذلك جهد لافونتين فى تعرف هويته العقلية . ولم يكتب لهذا السبب عن نفسه إلا متأخراً فى الثامنة والثلاثين من عمره . فهو إذن قد صرف حقبة طويلة من عمره فى درك الأشياء ، وتفهمها والإلمام بحقائق الحياة عملياً . فمال مع كل ريح ، بين جد ولهو ، يمنى بالجد ، فيكد ويحصل ويقرأ ويدرس منقباً باحثاً ، ويمنى باللهو فيحياه ويفهمه ويستمرئه . والتشوف بين هذا وذاك رائده ، وحب الاستطلاع يعقد رويداً رويداً الصلة بينهما ويحكمها

فلم يستمر تردد عقله بين أن يعيش للهو حريفاً - وهذا شىء تدعو إليه طبيعته الحالمة - فيغنم الحياة من لذتها المادية ، وبين أن يعيش للعمل والجد فيغنمها من لذتهما المعنوية . واستقر أخيراً - ولا متأخراً - على أن يمزج اللهو بالعمل وأن يجعل من شواغله مسرات ومن جهده يسرا

ولم يكن بد من مراحل يجوزها حتى يصل إلى هذه الغاية من ترك طبيعته على سجيتها وأخذها بالملاطفة واللين حتى أنتجت فيما يشبه اللعب ما لا طاقة لكثير غيره على إخراج مثله للناس ، وهم ألصق بالجد خالصاً ، وألزم للتثقيل بمضايقه على النفس . فكانت أولى المراحل عنده الاقتصار على تفهم ما يدور حواليه من أحداث الحياة وإعمال الفكر فى ألوانها المتباينة ، دون أى تفرقة منه بين هذه الأحداث وهذه الألوان تدور على مسرح الحياة وبينها تمثل على خشبة المسرح . فكأنها فى عينيه وهى تأخذ مكانها من مجرى الحوادث ملهاة مسرحية تستتلى فصولها اهتمامه وتستتبع تفكيره . حتى إذا ما نال من أتحف الموارف

وألطف المعارف ، وأدرك ماهية الأشياء وجوامع الحكم ، كانت ثمة مرحلة أخرى تفتحت فيها لأحلامه دنيا ساحرة لا يطرقها غير من أمدته الطبيعة بموهبة فكرية وأعدته لرسالة سامية في هذه الدنيا : مثل مرثياته واستوعب ضروب المعاني التي مرت عليه . فإذا قرأ لمالرب ولأفلاطون ولباروك ولتاس ولبوكاس ، وافته غاية المراحل تجرر أذيالها ألا وهي مرحلة الإنتاج ـ هذه المرحلة التي مزج فيها اللهو بالجد وقرن فيها التسلية بالعمل . وإنه ليقال أنه غدا شاعراً عند ما قرأ لمالرب قصيدة تعهدها الليالي حتى حفظها عن ظهر قلب ومن ثم طفق ينشدها لكل من صادف من الأصدقاء

تيقظت إذن في لافونتين ميوله الأدبية بعد أن تذوق دنياه وأخذ للأدب عتاده من القراءات المختلفة . فشرع يبحث عن نفسه في هذه الميول . فتناول بادي ذي بدء « خصي تيرانس »(1) بالتعديل والتهذيب . غير أن ذلك لم يكن إلا محاولة فاشلة إذ تراوح فيها بين ترجمة وتقليد غير محكمين . ثم نظم ملحمة(2) ميثيولوجية تصويرية بذل في تأليفها من دهره ثلاثة أعوام ، وفاضل فيها بين آلهات الفلاحة والتصوير والعمارة والشعر إلا أنها ليست مما يعتز به الأدب كثيراً

واتجه بعد ذلك نحو « أبليه Apulée » فجهد أن يقلد قصته « بسيشيه »(3) ، ولكنه تعمل فيها الأسلوب وتصنع فيها المرح الذي عرف فيما بعد في خرافاته في أكبر وضوح وسلامة وجمال فلم يكن طبيعياً مع ما تتطلبه القصة القديمة من الوقار والجلال ، فإذا محاولته رواية حديثة في أردية إغريقية لم يكن همها الإضحاك فأضحكت ولكن في استخفاف وسخرية . ثم عهد إلى « أدونيس(4) » شكسبير فتخذها موضوعاً لروايته بهذا الإسم . ولكن كل من قرأ أدونيس شكسبير فاستطعم صنوف الفكر التي تختال فيها واستلذ الألوان المضطرمة الحارة التي تمتزج بها لا ينبغي له أن يطالع « أدونيس » لافونتين

فالحق أن تصوير معالم البطولة الإغريقية وتبيان عبقريتها المستعصية وإظهار جلالها وجمالها، كلها أعمال ليست من عمله . فرشاقته وظرفه ومرحه وخفته وملاحظته السريعة ، كل هذه لا تحتمل تجسم عود الشخصيات الإلهية وإبرازها في ملاحم طويلة مسهبة

طال إذن ما بحث لافونتين عن استعداده الأدبي فلم يعثر عليه في كل ما ردنا من أعماله وإنما عثر عليه بعد لأي في الخرافة فوجد في قصر نفسها ما يلائم مقدرته على النظم المحدود والمفردات السهلة . وصادف في موضوعاتها ما يوائم مرحه ـ مرح الروح الغالية ـ وظرفه وأحلامه . فالتقى فيها لافونتين بلافونتين

لافونتين والخرافة Fable

ولكن لا تقذفن في روعك ـ مع ذلك ـ إن الخرافة عمل استحدثه لافونتين من مبتكره ومبتدعه . فقد سبقه إلى هذا الضرب من الأدب أيسوب Esope الإغريقي ، وفيدر phedre اللاتيني ، وكثير غيرهما من شعراء العصور الوسطى والقرن السادس عشر عند الفرنسة ، فلم يزد على أن نسج على منوالهم ودرج على آثارهم وإنما في أكثر لباقة وبراعة وإبداعاً مما جعل الأذهان تنصرف ـ إن ذكرت الخرافة ـ إلى أنه مبتدعها الفرد . وليست الخرافة إلا قطعة شعرية مأخوذاً موضوعها من صميم الحياة في تصوير عابر سريع إلا أن أدوار البطولة فيها مسندة إلى الحيوان وإن قصد تطبيق حالته في القصة على حالة الإنسان في الواقع بالقياس والموازنة . وعلى الخرافة التي تستوفي شروطها أن تتضمن قصة أخلاقية . وفي مدها بهذا اللون الفني يمتاز كل هؤلاء الخرافيون فينبذهم أبو الخرافة لافونتين . فقد اهتم أيسوب وفيدر بجانب واحد من الخرافة فعنيا بالأخلاق وانصرفا عن الوقائع القصصية انصرافاً أفقدهم خرافاتهم عنصرها الفني . كذلك شعراء العصور الوسطى والقرن السادس عشر انصرفوا عن الأخلاق وعنوا بالتفاصيل القصصية عناية سلبت الموضوع لبه وجوهره ومسخت طعمه ومعناه . ولكن لافونتين ، شاعر القرن السابع عشر ، ألف بين الموضوع والأخلاق تأليفاً حقيقاً بالإعجاب والإكبار إذ جعل من الخرافة ملهاة أشبه بمسرحية أخلاقية مترامية المعاني من مائة فصل في بضع أبيات من الشعر الرائع .

(البقية في العدد القادم)

محمد حسني عبد الله

(1) L'Eunuque de Térence (2) L'élégie aux Mymphes de Vaux (3) La Psyché d'Apulée (4) Adonis

بولاق

للأستاذ محمد رمزى بك

كتب المستر شارل جون هزويل الذى كان مديراً عاماً لمصلحة تنظيم القاهرة مقالة تحت عنوان القاهرة واتساع نطاقها وملاحظات عن تأثيرات نهر النيل وتغيراته وأرفق بها بعض الخريطات ، ونشرها فى منشورات الجمعية الجغرافية فى المجلد الحادى عشر الصادر فى ديسمبر ١٩٢٢ ، وقام بترجمة هذه المقالة إلى اللغة العربية الأستاذ محمود عكوش ، ونشرها هى وما معها من الخرائط فى العدد السادس من مجلة الهندسة الصادرة فى يونية ١٩٢٣ ، وبالاطلاع على الخريطة رقم ٢ الخاصة بتأثيرات نهر النيل وتغيراته تجاه القاهرة ظهر لى أن المستر هزويل اعتبر أن مدينة بولاق مصر كانت جزيرة فى وسط النيل ، وأنها كانت مشغولة بالمبانى ومسكونة وقت أن كانت جزيرة . ولما كتب المسيو مارسيل كليرجيه كتابه فى سنة ١٩٣٤ سار على رأى المستر هزويل ، واعتبر كذلك بولاق جزيرة ، وأثبت ذلك على الخريطتين المواجهتين لصفحتى ٢٧ و ٢٩ من الجزء الأول من كتاب القاهرة المذكور

وأقول أن ما تصوره كل من المستر هازويل والمسيو مارسيل لا أساس له من الصحة للأسباب الآتية ، وهى :

أولاً : إنه لم يرد فى المراجع الجغرافية ولا التاريخية القديمة أن بولاق كانت جزيرة ، ولم يتكلم عليها أحد من أصحاب كتب الخطط بوصف أنها جزيرة ، مثل جزيرة الروضة وجزيرة الفيل وجزيرة إروى وغيرها من الجزاير التى تكلم عنها المقريزى وغيره فى كتبهم

ثانياً : اعتاد الكتاب السابقون أن يذكروا كل طرح يظهر فى النيل أو على شاطئيه باسم جزيرة ، سواء كان هذا الطرح منفصلاً فى وسط النيل أو متصلاً بالشاطىء ، ومع كل هذا فلم يذكر أحد من الكتاب أن بولاق كانت جزيرة

ثالثاً : لما تكلم المقريزى فى خططه على بولاق (ص ١٣٠ ج ٢) قال إن ساحل النيل كان بالمقس ، وأن الماء قد انحسر حول سنة ٥٧٠ هـ عن جزيرة عرفت بجزيرة الفيل ، وتقاص ماء النيل عن سور القاهرة الذى ينتهى إلى المقس ، وصارت هناك رمال وجزائر ما من سنة إلا وهى تكثر حتى بقى ماء النيل لا يمر بها إلا أيام الزيادة فقط ، وفى طول السنة ينبت فيها البوص والحلفاء وتنزل المماليك السلطانية لرمى النشاب فى تلك التلال من الرمل . فلما كانت سنة ٧١٣ هـ رغب الناس فى العمارة لشغف السلطان الملك الناصر بها ومواظبته عليها ، فأقبل الناس على الإنشاء والعمارة ، وجد الأمراء والجند والكتاب والتجار والعامة فى البناء ، وصارت بولاق المذكورة يزرع فيها القصب والقلقاس على النيل حيث جامع الخطيرى ، وامتدت الدور على النيل وسكنوا ورغبوا فى السكنى ببولاق من جامع الخطيرى إلى جزيرة الفيل ، وتفاخروا فى إنشاء القصور الفاخرة هناك ، وغرسوا من ورائها البساتين العظيمة

رابعاً : لما تكلم المقريزى فى خططه عن جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ١) قال بين سطور ما ذكره عن تلك الجزيرة : « وانحسر النيل عن جانب المقس الغربى وصار ما هنالك رمالاً متصلة من بحريها بجزيرة الفيل المذكورة ومن قبليها بأراضى اللوق فافتتح الناس باب العمارة فعمروا فى تلك الرمال المواضع التى تعرف اليوم ببولاق خارج المقس »

خامساً : ذكر ابن تغرى بردى فى كتاب النجوم الزاهرة (ص ٣٠٧ ج ٧) أنه فى سنة ٦٨٠ هـ ربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق واللوق وانقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المقس وساحل باب البحر والرملة وبين جزيرة الفيل وهو المار تحت منية السيرج ، وانسد هذا البحر ونشف بالكلية ، واتصل ما بين المقس وجزيرة الفيل بالمشى

سادساً : ليس من السهل إنشاء مدينة كبيرة مثل بولاق فى جزيرة بعيدة عن ساحل المقس فى حين أنه لم يكن بينها وبين ذلك الساحل كوبرى أو جسر تسير عليه الناس والدواب بين ميدان باب الحديد وبين شاطئ النيل الحالى حيث كانت توجد بولاق القديمة على ذات الشاطئ

ومما ذكر يتضح أن بولاق لم تكن جزيرة فى يوم من الأيام وإنما أنشئت على أرض ظهرت فى مجرى النيل ، وكانت تلك الأرض فى بدء تكوينها فى سنة ٦٨٠ هـ مكونة من الرمال الفساد اتصلت بحريها بجزيرة الفيل ومن قبليها بأرض اللوق ، ثم صار

قبل براح الشباب

للأستاذ حسين الظريفي

غيرُ مستنكر من الأيام ... ما لها من نقض ومن إبرام
سبقت حكمة الزمان سواها ... وإن استبهمت على الأفهام
لم يزل ينشئ الشباب ويبلى ... يا له من بانٍ ومن هدّام
إنما نحن في الحياة ضيوف ... لا يزادون حصةً من طعام
فاغتنم فرصة الشباب وبادر ... في ذراه إلى بلوغ المرام
كل يوم يمرّ، لم أقض فيه ... وطراً، لا يعدّ من أيامي
إنما العمرُ حاجةُ المرء تُقضى ... والذي بعد ذاك طيف منام

***

ربّ مستمتع بفضل صباه ... لم يكن آمناً من الأيام
ظل في صحة الصبا يتحامى ... ما وراء الصبا من الأسقام
وفراراً من القلى والتجني ... لم يكن بالمتيم المستهام
نظرات ضاق المجال عليها ... وهو رحب بغيرها مترام

***

لستُ ممن يبكي الشباب إذا ما ... ملك الشيب فيه كل زمام
قائلاً لو يعود يوماً شبابي ... ليرى ما للمشيب من آثام
أنا من يترك الصبا ليس فيه ... أمد لم يحلّ بالأحلام
حاملاً كل ما له من حقوق ... قائماً بالحقوق خير قيام
وفؤادي من الهوى بمكانٍ ... لم تصله ملامة اللوّام
أجد الغض من شبابي فيه ... ساحباً ذيله على الأيام
لي من ميعة الصبا يقظات ... كدن يذهبن فيه كالأحلام

***

ولقد راق شرحُ كل شبابٍ ... متسام بثغره البسام
فيه من كهرباءة ومضات ... دونها كل وامض من غمام
وتراه بالعبقرية يفري ... ما نبا عنه حدُّ كل حسام
وعليه روائع من معانٍ ... هنّ إلهام كل ذي إلهام
شاعرٌ جاء من عيون القوافي ... بالتي لم تكن بذات نظام
قد تجافت وزن الخليل وعافت ... ما وراء الخليل من أحكام
كبرت أن تكون في اللفظ معنى ... ربّ معنى من غير لفظ مقام
قد براها من مقلة وجبين ... وقوام يزري بكل قوام
وفؤاد ماضي العزيمة ثَبْتٍ ... لم يعوّد إلا على الإقدام
ودم من لظى أحرّ إذا ما ... ثار للحق ثورة الضرغام
ميزة إثر ميزة تلو أخرى ... لم تجابه بالنقص بعد التمام

***

أيها المزدهي بشرخ شباب ... في ثرى (مصر) أو (بدار السلام)
هذه فرصة الصبا فاغتنمها ... وارم ما أنت في شبابك رام
وابدُ في جانب الحمى أو حشاه ... مثل صدر المهند الصمصام
إنما يطلب الحمى أن يفدّى ... في عراك السيوف والأقلام

حسين الظريفي

النيل يطمي عليها تدريجياً فربت وارتفعت أرضها وصارت صالحة للزراعة والسكنى وفي سنة ٧١٣ هـ أنشئ في نهايتها الغربية الواقعة على النيل بلدة بولاق في المنطقة الواقعة الآن حول جامع الخطيري كما هو مبين على خريطة القاهرة رسم الحملة الفرنسية في سنة ١٨٠٠ بمقياس ١/١٦٠٠٠

وبالاطلاع على خريطة مدينة القاهرة رسم سنة ١٨٦٨ يتبين أن بولاق كانت لغاية تلك السنة بلدة صغيرة واقعة على النيل ولم تتجاز مبانيها المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشارع السبتية، ومن الجنوب بشارع اصطبلات الطرق، ومن الشرق بشوارع سيدي المليجي وعلوة الحجاج وتل نصر ووابور النور، وكانت الأرض التي بين بولاق القديمة وبين شارع الملكة نازلي كلها أرضاً زراعية وبساتين، ولم يحدث فيها البناء إلا في زمن الخديوي إسماعيل، ومن ذلك الوقت أخذت بولاق تتسع في العمارة حتى اتصلت مبانيها بمدينة القاهرة، وأصبحت بولاق قسما إداريا من أقسام القاهرة

محمد رمزي



وما آفة الأخبار إلا رواتها

حضرة العلامة الأستاذ صاحب مجلة الرسالة المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد : فلا فريق فى فندق (الملك داود) فى بيت المقدس يجتمع فى كل يوم فيبحث فى شىء كما جاء فى خبر فى عنوان (وشاية) فى الرسالة ٥٢٧ ص ٦٣٩ ولم يكن حديث عن أحد من السادة الفضلاء المصريين الذين وردت أسماؤهم فى الخبر .

محمد إسعاف النشاشيبى

١ — إلى الأستاذ العقاد

كتبت كلاماً فى مجلة « الصباح » حول بيت من الشعر قلت فيه : إن شاعرية العقاد الفذة ابتلعت هذا البيت بألفاظه ومعانيه من الأستاذ « على طه » ولم أقرأ رداً على هذه الكلمة من قلم « العقاد » الجبار بل قرأت كلاماً أملاه ضمير ملوث على لسان صنيعة من صنائعه ... فهلا تتفضل أيها العملاق فتنازل « حسن القاياتى » الكاتب الكسال كما قال « زكى مبارك » ليبين للناس فى الساحة الكبرى لهذه الخصومة : أى الفريقين أحق ؟ فريق القاياتى . أم فريق العقاد ... آمل ... أن يسلك الناس طريق الحق ليرفع هذا القناع الأسود الذى احتجب من ورائه أدباء رفعتهم الأمة الجاهلة وغيرتهم من دون الرحمن ... العقول السقيمة ... !

٢ — إلى الدكتور زكى مبارك

قرأت بإعجاب خطابك الأسيف الذى تواضعت « الرسالة » فنشرته لك ، وهى بعد — تعرف القاياتى الذى لا يود أن يحاط اسمه بهذا السياج الباهت من الدعاية الكاذبة . ويقحم اسمه بين الأسماء الشاعرة

إن القلم القاياتى يا دكتور نسيج وحده تعرفه الأسواق الأدبية الحرة يوم يكون فى مصر للقلم الكبير أسواق ... تجزى المحسن وتلفظ المسىء

القاياتى أيها الناس نظم الشعر و كثير من أدبائنا الذين تطنطن الصحف بذكرهم اليوم أسماء لا يحلو ترديدها إلا على ألسن اللوات فى الحارة . والأتراب فى القرية !!

القاياتي شاعر من شعراء المدرسة القديمة التى تلقى فيها الدكتور أول درس فى اللغة وآخر درس فى البيان

وليس يضير الشاعر أن يسلك به النشء هـذا المسلك الذى لا يحمده الأدب . ولا تسيغه أثلات الأقلام

إن الأدب يا دكتور ليس كلاماً ترجعه الصحافة كل يوم ويطالعه النشء كل ساعة . وليست الصحف التى تملأها بالصحف التى تروق الذين نحب أن تكون واسطة عقدهم « الأدب حساس » لا يزنه إلا الحس المرهف . ولا يفيد إلا المشاعر الحية . ولا يعرف النقد إلا الحساسية فى الأدب

أُخال فلاناً لا أرانى الله شخصه . وقد زكته نقابة الصحافة فى قاهرة الفاطمى بأنه أمى متسول . ثم يكون بعد اللتيا والتى من هيئة النقابة . وواحد الصحافة . وزعيم الأغلبية . لك الله يا بلد المعز . فقد جعلت دهماء الأدب يحكمون هذا الحكم الأعرج على جماعة الأدب فى الشرق ويزنون الناس بغير ميزان فتخاطبهم صعاليك الصحافة وتجهلهم الأخلاق المريضة وليس بكثير على الدكتور مبارك أن يرمينى بالكسل والكسل المازىء حتى تنجح قضيته الخلابة وروق منطقه الساخر

أجل أنا لا أريد أن أكثر يا دكتور . وفى كل يوم لى مقطوعة ستكون الشاهد لى يوم يحتاج الأدباء إلى شهود ترفعهم إلى درجات المجد وترق بهم إلى السماء

إن ديوانى « يا دكتور » يكلم الناس من أربعين عاماً ... وأنت بعد ما تزال حدثاً تكلم الناس بلسان الحكائين وتحدثهم بمنطق الأطفال . ثم ماذا ؟ ثم تكون لى ثروة شعرية تحت يدى تقع فى مجلدات ضخمة غير ديوانى الناشىء وباكورتى من نصف قرن . ثم هذه الكلمات العريضة التى اعترف بها البيان . وخلدتها الصحافة . وانتفع بها شيوخ الأدب . وكانت دروساً

ألقيت في مدارس البيان . «القاياتي» يا دكتور مبارك لا يعجبه هذا الأسلوب الخادع . فهو أعرف بطوايا قلمك . وخفايا نفسك ولقد توكل على الله يا ولدي العزيز قبل أن يعرفك . وكان قلمه من بين الأقلام المتوكلة عليه سبحانه فانتفع ونفع وجاهد في سبيل الأدب وخدمة اللغة وسيجاهد إلى أن يقضي الله عليه بالفناء والرسالة التي تقول عنها . أنها لا تجامل أحداً — أعتب عليها هذا العتب البريء — فأقول : أنها تجامل كثيراً أدباء عرفتهم الصحافة لهم حاضر في الأدب يحاول الشباب أن يهدمه بالحق . وللحق — ولكنها تطوي رسائله طياً وفي هذا موت للشباب . وحياة للمصانعة الخاتلة ورب رسالة شابة خير من جهاد شيخ يتوكأ على عصا الشهرة ويمشي على سراج خافت ولقد صدق الله إذ يقول :

« تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهبٍ ... !!!

(دار القاياتي) حسن القاياتي

عضو المجمع اللغوي

إلى الأستاذ دريني خشبة

يزعمون أن الحرب ليست شراً كلها . بل أن فيها للانسانية خيرات وحسنات ، وللمجتمع البشري « المأزوم » نفعاً وفائدة لحياته الاقتصادية والسياسية وحتى الصناعية والعمرانية . ولكن الأدب والفن . ما فائدتهما وعائدتهما منها ؟ ؟ إن معركة حقيرة « بالنسبة للحرب الجارية » هي « حروب طروادة خلقت للأدب هوميروس وأتحفت الأجيال بالألياذة » الباقية على الزمن . فهل تنجب هذه الحرب الطحون هوميروس جديد يخلق لنا إلياذة جديدة خالدة كتلك ؟ إن يكن هذا فإله الأدب والفن مستعد لمعانقة « مارس » إله الحرب إعترافاً بفضله وأياديه عنده . وإلا فهل ابتلي رحم الفن والأدب بالعقم والعُقر ؟ فإذا كان الأمر كذلك فلماذا ؟ وإلى أي الأسباب يعزو ذلك الأستاذ ؟ وهلا يرى معي أن الأدب الإنساني المادي الحاضر برقوده وجموده محتاج إلى مصل « إلياذة » جديدة تسكب في عروقه عناصر الانبعاث والفن والخلق ؟

ذلك ما استفتي به الأستاذ الكبير وأطلب فيه إبداء رأيه وأدلاء حكمه على صفحات الرسالة .

(حلب) كمال الحريري

11 me Année No. 532

Lundi - 13 - 9 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٣٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١٣ رمضان سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٧٢١	آباؤنا وأمهاتنا وأبناؤنا ...	: الدكتور زكي مبارك ...
٧٢٥	حكاية الوفد الكسروي	: لأستاذ جليل ... ...
٧٢٧	نشأة الدرامة الانجليزية ...	: الأستاذ دريني خشبة ...
٧٣٠	اللغة العربية	: الأستاذ محمد عرفة ...
٧٣٢	لافونتين	: الأستاذ محمد حسني عبد الله ...
٧٣٤	أعداء النساء	: السيدة وداد سكاكيني
٧٣٧	موكب الحسن .. [قصيدة]	: الأديب أحمد أحمد العجمي ...
٧٣٧	من شعر الأطفال «	: الأستاذ علي متولي صلاح ...
٧٣٨	كلمة بريئة	: الأستاذ أحمد فتحي القاضي ...
٧٣٨	الأعراب	: الأديب إحسان عبد القدوس
٧٣٩	من رسائل الرافعي : وحي القرآن باللفظ . القراءات ..	الأستاذ محمود أبو رية ...
٧٤٠	تنبيه وتنبيه	: الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٧٤٠	دراسات عن مقدمة ابن خلدون	: ... ...

الى الأستاذ الزيات

آباؤنا وأمهاتنا وأبناؤنا

للدكتور زكي مبارك

بعد منتصف الليل من هذا المساء (٢٩/٨/٤٣) وسوس الهتاف من جريدة الأهرام :

— ألو ، ألو !

— خير ، من المتكلم ؟

— صالح البهنساوي ، هل أزعجتُك بالحديث في مثل هذا الوقت ؟

— لم تزعجني ، ويسرني أن أسمع صوتك ، فما عندك من الأخبار ؟

— عندنا خبر يقول : إن والدة الأستاذ الزيات ماتت ، وأردنا أن نعرف منك مبلغ هذا الخبر من الصحة قبل أن ننشره في الوفيات

— لم أسمع هذا الخبر إلا منك ، فلا موجب لنشره قبل التثبت

ثم رجعت إلى نفسي أسأل عن مواساة الأصدقاء بعضهم لبعض ، فقد كان يجب أن أكون أول من يعرف هذا الخبر إن كان صحيحاً ، لأحضر دفن السيدة التي أنجبت هذا الصديق ، ولأشترك في مواساته مع الآخرين

وحانت منى التفاتة إلى الماضى يوم ماتت أمى ، فقد طلبت بالحاح أن ترانى قبل أن تموت ، وكان أبى يسوّف لأنه يعرف أنى أؤدى أول امتحان فى الجامعة المصرية ، وكانت النتيجة أن تدفن وأنا غائب ، وأن تبقى الحسرة على أن لم أحمل نعشها على كتفى

هل كان أبى يعرف أن توديع أمي فى لحظاتها الأخيرة أحبّ إلىّ من جميع المغانم العلمية ؟

لو أنه عرف لأعفانى من لوعة سأعانى نيرانها إلى آخر أيامى

وقد لطف الله بأمى فماتت قبل أن يموت أخى سيد بنحو سنتين ، فلم تشهد فجيعة الدار فى موت فتًى لم ينتصر عليه قاهر غير الموت

دخلت على أخى سيد وهو فى الحشرجة فنهض من فراشه ليقبّل يدى ، ثم أسلم روحه إلى بارئ الأرواح

وكانت الفجيعة الأخيرة هى موت أبى ، ولكنها فجيعة نفعتنى أجزل النفع ، فقد هوّنت الدنيا فى نظرى حين صورتها بالصورة الحقيقية ، صورة الصحراء التى لا تضمن لسكانها من الضراغم غير الفناء

وهل تعزيت عن أبى وقد طال الفراق ؟

أريد أن أخفف لوعتى فأذكر أنه عاش ما عاش وهو يعتقد أننى أوفى الأبناء : فما راجعته فى كلمة ، ولا رفضت له نصيحة ، ولا استجزت المخالفة عن أمره فى شأن من الشؤون

كنت ابناً باراً بأبيه ، وكان يرى بأبى يتمثل فى صورة لم تخف عليه ، فقد سمعت أنه تحدث بها إلى بعض الأصدقاء ، وهى أنى أخفى عنه همومى وأحزانى ، فما بات ليلة وهو مغموم بسببى ، ولا وصل إليه حزن من طريقى ، ولا عرف أن الأبناء قد يكدرون حياة الآباء

والحق أنى كنت أراعى معنًى هو غاية فى الخفاء ، ومراعاة هذا المعنى كانت أعظم عمل أديته فى حياتى ، فما ذلك المعنى الدقيق ؟

كانت الأقدار قضت بأن تمزّق أملاك جدّى كل ممزّق ، فلا يبقى منها غير أوشال ، وكان أبى آخر المنقود ، فلم تكن له مندوحة من أن يجاهد ليستبقى ومضات من الذهب المضاع

كان أعمامى جبابرة وكانوا قساةً وطغاة ، وكانوا أيضاً منجبين ، فلا يمشى الرجل منهم إلا وهو موصول الجناح بأبناء أشدّاء ، فماذا يملك أبى فى مقاومة أعمامى ؟

لقد ناضلهم وحاربهم ، واستطاع أن يستخلص بضعة فدادين يعيش من ريعها عيش الكفاف ، إلى أن يجود الله بالغنى حين يشاء

وكانت دار أبى هى الدار التى مات فيها جدى ، لأن جدتى كانت آخر زوجاته الغاليات ، وفى تلك الدار نشأت ، فماذا رأيت ؟

كنا نستيقظ على زلزال يتمثل فى سقوط إحدى القاعات ، فيخفّ إلينا الجار الأقرب وهو عمى الشيخ سيد أحمد وبيده فانوس ومعه أبناؤه ليعاونوا على رفع الأنقاض

كانت أخطر فاجعة تهون على أبى ما دامت بعيدة عنى

هل أستطيع تأدية واجب الوفاء لأبى ، ولو نظمت فى رثائه ألف قصيد ؟

وفى إحدى العصريات دخلت الدار فوجدت أمى تخرج وهى مذعورة ، فماذا وقع ؟

كانت أمى رأت ثعباناً فى أبراج الحمام فنزته بالنار ليختنق ، فامتدت النار إلى سقوف الدار فحوّلتها إلى نيران

وفى لحظة أو لحظتين بدت شهامة أهل سنتريس

لقد تجمعوا من كل جانب رجالاً ونساء ليخمدوا تلك النيران بالماء والتراب

وماذا يملك أولئك الأوفياء ؟

لم يكن فى بلدنا غير آبار معدودات ، فكان من الصعب إخماد نيران لا يخمدها غير البحر المحيط ، وكانت العاقبة أن يحترق البيت من جميع الجوانب وأن يمسى بلا سقوف ، مع قسوة الشتاء

ونظر أبى فرآنى بعافية ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم جلس على مصطبة المضيفة وهو فى غاية من الاطمئنان

وفى أعقاب السهرة الجيّاشة بكلمات المواساة سمعنا ضجيجاً يخطر فى البال فى مثل تلك الحال ، فما ذلك الضجيج ؟

رأينا جماعة العيسوية تنزو دارنا بركائب محملة بأقوات تكفينا عشر سنين ، فوقف أبى وقال : إن باب الدار لم يحترق ، وسأغلقه إن لم ترجعوا مشكورين

كان مقام أبى فى تلك الليلة مقاماً رهيباً ، فقد أتت النيران

على جميع الأشياء ، وتركتنا بلا قوت ، وإن لم أذكر أنى نمت فى تلك الليلة بلا عشاء

فما الذى كان يمنع من أن يَقبل أبى مواساة أعمامى ؟

منعه الخوف من أن يمنّ عليه أخٌ أو صديق فى الأيام المقبلات

كان أعمامى كراماً برغم ما أرادت الأقدار فى تحيّف ما ورثوا من الثراء العريض ، ولكن أبى رفض معروف إخوة سيحاربهم أو سيحاربونه بعد يوم أو يومين

تمثّلتْ لى متاعب أبى فى حياته حين شببت عن الطوق ، فقررت إعفاءه من التعب إلى آخر الأيام من حياته التالية

أردت أن أكون لأبى ابناً وأخاً وصديقاً فكنت ، وقد محوت عن صدر أبى تلك السطور السُّود ، سطور الشقاء بالأهل والأقرباء

هل عرف أبى أن له ابناً تمتحنه الحياة ؟

لقد أخفيت همومى عن أبى فكانت تصل إليه وهى أساطير ، وكان لا يتوهم أن كيد الدنيا يصل إلى من يكون فى مثل عنفوانى وأنا الرجل الذى عرفه أبى ، فلتحاربنى الدنيا الغادرة إن كانت تطيق

لم أنس يوماً أن أبى تعب فى شبابه حتى شبع من التعب ، ولم أنس لحظة أن تكدير كهولته بسببى قد يكون إثماً موبقاً يكدر ما أرجو لحياتى من صفاء ، ولهذا المعنى حرصت على أن يرانى باسماً فى كل وقت ، وأن يرانى غنياً عن الناس فى جميع الأحايين ، وهل يفتقر المؤمن إلى الناس ؟

لم تكن الدنيا سمحت بأن تخلو حياتى من متاعب ، ومع هذا أخفيت عنه جميع آلامى ، فلم يتصورنى إلا رجلاً خلَتْ حياته من المصاعب والأهوال

كان سلوكى مع أبى سلوكاً هو الصورة المنشودة لأدب النفس ، ولعل الله يتفضل فيتقبل دعواته الطيبات وهو يعانى مرض الموت ، فما مات أب راضياً عن ابنه كما مات أبى وهو راضٍ عنى

وهنا أتذكر أشياء تعدّ من الغرائب ، أشياء متصلة بحياة أمى ، فما تلك الأشياء ؟

كانت أمى تفرح بالمرض أشد الفرح ، لأنها كانت تؤمن بأن دعاء المرضى دعاء مستجاب ، فكانت تقضى لياليها الأليمة فى دعاء الله بأن يجعلنى من الموفقين . كانت تدعو الله وهى توقن أنه يسمع ويجيب ، ولم يخطر فى بالها أبداً شيء مما يخطر فى بال أهل الارتياب

كانت أمي سيدة مؤمنة ، وكان إيمانها موروثاً عن أمها وأبيها ، وكانا زوجين قانتين لا يعرفان غير فاطر الأرض والسماء

ومع أن المألوف فى كل أرض أن الأم لا تستريح كثيراً إلى زوجة ابنها ، فقد كانت أمى تحبنى فى زوجتى ، وتصفها بأجمل الأوصاف ، وتخصها بكثير من الدعوات ، بحيث عُدّ سلوكها من أندر ما يقع فى حياة النساء

وكذلك كان حال جدى لأمى ، فقد كان حين يزور دارنا بعد صلاة العيد يبدأ بالسؤال عن زوجات أبى ، سؤال الوفاء لا سؤال الرياء ، ثم يدعو الله أن يديم عليهن نعمة العافية والقبول

أما أمر أبى فى تربيتى ، فكان عجباً من العجب ، كان لا يتناول طعاماً بدون أن أشاركه فيه ، ولو كان طعاماً أعدته له إحدى الزوجات المحظيات

كنت أدخل الدار مع الليل ، والشَّواء يفوح والنوم فى جفونى ، فآوى إلى مضجعى وأنا أرجو أن يعفينى أبى من مشاركته فى عشائه المرموق ، ولكنه لم يكن يتناول طعاماً بدون حضورى ولو كان تحفة عروس

من الذى أوحى إلى أبى ما غاب عن كبار المربين ؟

كان أهلى يقولون إن الطفل يحتاج إلى تأسيس ، وكانوا يرون أن الطفل المؤسَّس يعيش فى قوة إلى آماد طوال

ثم دارت الأيام واستقللت عن أبى كل الاستقلال ، فقد أكرمه الله بالعيش إلى أن يرانى رجلاً له أهل وأبناء وأملاك ، ومع هذا كان يرانى ضيفه حين أزور سنتريس ، ويبالغ فى الكرم فلا يتركني لحسن الفهم فى رعاية ضيوفى ، وإنما يتقدم فيكرمهم بأسلوبه الجميل ، أسلوب الرجل المفطور على السخاء الفضفاض

ولن أنسى أنه كان يناجى المسيو دى كومنين مناجاة الرفيق للرفيق ، مع أن لغة التفاهم غير موجودة بأى شكل ، فكان

من ذلك دليل على أن الألسنة أقل إفصاحاً من القلوب

كان لى أب وكانت لى أم ، وأنا اليوم يتيمٌ كهل ، واليتيم الكهل أعرف باليُتم ، كما قال أخونا الأستاذ محمد الهراوى ، طيَّب الله ثراه !

أما بعد فأنا لا أوصى باجترار الأحزان ، ولا أدعو إلى أن نطيل البكاء على آبائنا وأمهاتنا ، فذلك يؤذيهم فى عالم الأرواح وإنما هى لوعة نزجيها كارهين لا طائعين ، وهى على قسوتها دون ما يجب فى تسجيل الوفاء

ثم ماذا ؟ ثم يكون الحديث عما نفقد من أبنائنا ، وأنا ذقت مرارة الثكل مرات ، إلى أن لطف الله فأعفانى من ذلك العناء وسيتفضل جل شأنه فيرحم جفونى من دموع الثاكلين ، لأنه أرحم الراحمين

ومن واجبى نحو قرائى أن أدلهم على المذهب الذى سلكته فى ذلك الجحيم :

حين ذقت الثكل أول مرة رأيت له طعما متفرداً بين طعوم الأحزان ، رأيته يقلقل أضراسى ويكاد ينقلها من مكان إلى مكان ، ورأيت تعزية المعزين تزيد أحزانى ، فقررت أن لا يقام للطفل الميت مأتم ولا عزاء ، وقررت أن لا أسمع بكاء أمه عليه ، وأن لا يُذكر اسمه فى البيت ، وأن يمضى إلى من وهبه ثم استرده بلا عويل ولا صياح

كنت أقول : هو لنا عند الله ، فلنتركه ذخيرة تنفعنا يوم الحساب ، إن كنا مؤمنين

والواقع أن هذه أعظم شجاعة بدت منى فى حياتى ، فالطفل لا يموت إلا بعد أن يتجلى تجلياً هو غاية فى الفتون ، فتكون حركاته وسكناته من الغرائب والعجائب ، ويكون تحفة طريفة تحول البيت إلى فردوس من أجمل الفراديس ، بحيث يقال فى وصفه إنه كان ابن موت ، وهذه عبارة مألوفة عند أهل الريف ، وهى غاية فى الصدق

وبقليل من التأمل نرى أن الطفل الذى يموت بعد سنة يكون استوفى من الحياة سنوات وسنوات ، لأنه فى عمره القصير يستوفى من حظوظ دنياه فى المرح واللعب والابتهاج ما لا يستوفيه كبار المعمرين . وهنا تكون الفتنة الدامية ، فذلك الطفل يَعد أهله وعوداً لا تخطر فى البال ، فهو فى إشاراته وعباراته يؤكد بأنْ سيكون أعظم العظماء فى القديم والحديث

وفى أقصر من لمح البصر يختضره الموت ، فتبقى له بوارق تذيب لفائف القلوب

ماذا أصنع والأطفال الذين تـكلتهم كانوا كذلك ؟

قدرت أنهم عاشوا حتى شبعوا من العيش ، والعيش تعبٌ فليستريحوا آمنين

دفنت بيدى أطفالاً كانوا أعز علىّ من نفسى ، ولكنى لم أبك عليهم كما بكيت على أمى وأخى وأبى ، لأنهم لا يطالبوننى بالوفاء ، فقد اختارهم الله إلى جواره قبل أن يعرفوا الفرق بين البر والعقوق

وما حاجة الأطفال إلى البكاء ؟

ألا يكفى أن الله أنجاهم من مكاره العيش ، فى دنيا أتعبت الأنبياء ؟

الدمع على الطفل الذاهب أغزر من الدمع على الكهل الذاهب ، فما الذى فاتهم من حظوظ البكاء ؟

بهذه السياسة فرضتُ على زوجتى أن تنسى الأطفال الذين فقدناهم فى مصر الجديدة وفى سنتريس ، فاكتفت واكتفيت بالشياطين الذين عاشوا ، وهم أبناء لم تغنمهم الشيطنة من أن يكونوا غاية فى أدب النفس وصفاء الروح

إذا راعى الابن واجبه نحو أبيه ، فما يضره إن نسى الواجب فى معاملة جميع الناس ؟

أنا لم أفعل خيراً فى حياتى أفضل من الأدب فى معاملة أبى وأمى ، وقد جازانى الله فجعلنى فى عصمة من دسائس السفهاء

الحجر الأول فى بناء الوطن هو الأسرة ، وأبنائى لا يحبوننى متفضلين ، وإنما يرون رجلاً يدبر لهم منافع لن يحتاج إليها قبل أن يموت ، ولو عاش عمر نوح ... وهل أعيش إلى أن أنتفع بما أدّخر لأبنائى ؟

ليت أبنائى يتأدبون بأدبى !

أنا أرى أن حيوية الرجل فوق الحدود ، والسر كله فى طاعة الله ، الطاعة التى يعرفها أصحاب العقول ، الطاعة التى تتمثل فى العمل الموصول بصدق وإخلاص

كونوا يا أبنائى مثل البحر ، فهو قد يغضب فى كل وقت ، ولكن كل قطرة من قطراته تشتمل على حيوات عظيمات

واذكروا دائماً أنى لم أنل رضا الله بالمجان ، فقد نلت رضاه بكفاح يؤيد كرمه فى صحة بنيانى ، وأنا بحمد الله غاية فى صحة البنيان .

زكى مبارك

٢ - حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

من صائغ أسطورة (الوفد القرشى) التى وردت فى العقد والأغانى؟

ابن عبد ربه يرويها عن نعيم بن حماد عن عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى عن ابن عباس . وأبو الفرج ينسخ الخبر من كتاب عبد الأعلى يحدثه الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس . . .

ابن عبد ربه أقدم من أبى الفرج ؛ فقد ولد سنة ٢٤٦ وتوفى سنة ٣٢٨[1] فى ذلك الإقليم النائى . وصاحب الأغانى ولد سنة ٢٨٤ وتوفى سنة ٣٥٦ . فقد يكون صاحب العقد وقف على مصنف أسبق مما وقف عليه أبو الفرج ، وربما اطلع هذا على مؤلف أثبت وإن تأخر وقته . فهل صاغها نعيم أو صائغ عزاها إليه أو[2] زخرفها الكلبى ، وإن كان سجعها يبدو بغداديا لا كوفيا ، وهل لشبل الكلبى . . . أعنى ابنه هشاما يد فيها ، وهل أودعها كتاب وفوده ؟

نقص الخزانة العربية اليوم يصدنا أن نجيب جوابا مضبوطا . فلعل بقيات مما نجا من الزمان والتتر والصليبيين والأسبان محرق كتبنا ومغرقيها - يظهر فيخرجنا من ظلمات حالكات نحن فيها

ولا ضرر - وقد عرفنا ذروا من أخبار ابن الكلبى - أن نعرف شيئا عن أبيه الكلبى . وهذا بعض ما جاء فى (ميزان الاعتدال فى نقد الرجال) ج ٣ ص ٦١ :

« قال الثورى : اتقوا الكلبى . فقيل : إنك تروى عنه . قال : أنا أعرف صدقه من كذبه . قال يحيى بن يعلى عن أبيه : كنت أختلف إلى الكلبى أقرأ عليه القرآن فسمعته يقول : مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ ؛ فأتيت آل ... فتفلوا فى فىّ فحفظت ما كنت نسيت . فقلت : لا والله لا أروى عنك بعد هذا شيئا ، فتركته . قال يزيد بن زريع : حدثنا الكلبى وكان سبئيا . قال الأعمش : اتق هذه السبئية ، فإنى أدركت الناس وإنما يسمونهم الكذابين . قال ابن حبان : كان الكلبى سبئيا من أولئك الذين يقولون : إن عليا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا ويملأها عدلا كما ملئت جورا ، وإن رأوا سحابة قالوا : أمير المؤمنين فيها[1] . التبوذكى : سمعت الكلبى يقول : أنا سبئى . ابن معين : الكلبى ليس بثقة . وقال الجوزجانى : كذاب . وقال ابن حبان : مذهبه فى الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من يحتاج إلى الإغراق فى وصفه ، يروى عن أبى صالح عن ابن عباس التفسير ، وأبو صالح لم ير ابن عباس ، ولا سمع الكلبى من أبى صالح إلا الحرف بعد الحرف ، فلما احتيج إليه أخرجت له الأرض أفلاذ كبدها ، لا يحل ذكره فى الكتب ، فكيف الاحتجاج به ... »

* * *

قولى منذ (١٩) سنة « ولن يجوّز العقل أن يقعد ابن الأكاسرة لاستماع ثرثرة كل مهذار نفاج ، ويفرغ لشهود عجرفة المتعجرف وعنجهيته » - لا يدل إلا على ما يدل عليه ، وهو شرح حال اقتضاه المقام ؛ وتقدّ رهط لنوا عن الصواب فى الخطاب لا يعم فصائلهم وعشائرهم ، دع عنك عمومه الجيل الذى أبدع (المبدع) منه تلك الأمة . والثرثرة والهذر والنفج فى أقوال الوفد الكسروى ظاهرة . فهل يعقل أن يستقبل مثل كسرى بها وهو سلطان زمانه ، وأقاليم فى الجزيرة من أعماله ، وأمثال النعمان من عماله . وقد تفطن الصباغ لشىء من ذلك فقوّل كسرى فى ختام الأسطورة ما قوّله ، وقوّله حين لغا أكثم بما لغا به[2] : « ويحك يا أكثم ، ما أحكمك وأوثق

(١) هذا فى (وفيات الأعيان) ، وفى أعلام الأديب الكبير الأستاذ الزركلى نيقصان سنة ، وقد بالغ العلامة الأستاذ فى تحقيق كتابه وإحكامه

(٢) جئت ب (أو) إذا لم أجعله استفهاما منقطعا وجملته كلاما واحدا . وفى (الكتاب) : هل يسمعونكم إن تدعون أو ينفعونكم أو يضرون . وقال زهير : ألا ليت شعرى ... البيت

(١) فى الرسالة ١٩٢ ص ٣٦٨ س ٩ جريدة لأكثر المهديين المنتظرين ، يراجع هذا الجزء

(٢) لغا بكذا : تكلم به

كلامك لولا وضعك كلامك فى غير موضعه »

وليست خطبة أكثم من إنشاء (الواضع) ولكنها أمثال قديمة متفرقة منسوب أكثرها إلى أكثم بن صيفي هذا ، وقد ألف بينها من صاغ الخبر فما تجاوبت ولا تناسبت

وأحب أن أقول اليوم : إن العربية الحقيقة بأن نستمسك بها ونتعصب لها هي التي ذكرت في (الرسالة) ٢٢١ص ١٥٦٢ السنة ٥ :

« وإذا ذكرنا العربية فإنما نعني هذه العبقرية ذات التعاجيب المحمدية ، وهذه القوة الخلقية ، وهذه المقاصد القرآنية ، وهذه الآداب الإلٰهية ، وتلك الحضارة والدنية ... ليست العربية نسبة ولكنها جامعة تؤلف بين القلوب ... فالعربي هو ذلك المتمدن المتحضر المهذب المثقف المتعلم العالم العزيز الأبي الناطق بلسان القرآن ، وليس بعرب (خُرّاب بادية غرثي بطونهم [١]) ولا قراضيب [٢] في (الجزيرة) ولا مُدلغِفُون [٣] ... »

وقد دفع أدباء وعلماء من السلف إلى تفخيم العربية الجاهلية عصبية أو ولع بتعظيم قديم ، ودعت إلى التنويه بها في هذا الزمان مقاصد خبيثة غربية

إن العربانيين المنتمين إلى دور السياسة و (التضليل) يقولون متوهين : كانت العرب في الجاهلية وكانت ، وكان عندهم ما كان ، فماذا عملت الإسلامية ، وبأي شيء جاء محمد ؟

« هم العدو ، فاحذرهم ، قاتلهم الله أنّى يُؤفكون »

***

خبر الوفود

إن هذا الخبر لا أصل له ، فلم يقل النعمان في وقت ما قال ، ولم يرسل من ذكرته القصة ، ولم تتحرك الألسنة قدام كسرى بشيء مما روى قط ، ولم يشر إلى هذه الواقعة مؤرخ أو أديب في مصنف عرفناه أقل إشارة . وقد زخرفه مزخرفه كما صاغ الصواغون من قبله وكما صبغ الصباغون من بعده ، وقد سيطرت

(١) المتنى . الخارب : اللص وخصه الأصمعي بسارق البعران

(٢) القرضوب : اللص

(٣) الأدلغفاف : المجيء للسرقة في ختل واستتار

عليه لغته ولغة وقته ، فلم تشبه نثر الجاهليين وإن كنا لا نعرفه إذ لم يثبت من النثر القديم إلا القرآن كما ذكرت ذلك منذ (١٩) سنة ، وإن كنا نجهل ذلك النثر [١] فإننا نتصوره ، ولا ريب في أن هناك نثراً بدوياً [٢] ونثراً حضرياً وقد نزل القرآن بالنثر الحضري لأنه إنما كان لكل جيل وزمان . ولم يشبه أسلوب الخبر أسلوب الإسلاميين ، ولدينا من هذا القرن ما قد يطمأن إليه بعض الاطمئنان

إن صائغه أنشأه (مقامة) لفقها ونمقها ، ولم يحتط ، ولم يفكر في أن يحتاط ، ولم ير حاجة إلى ذلك هو في منثور ينثره هو في (البلاغة) [٣] لا في تاريخ يحققه ؛ على أن التاريخ هو ابن عم الأسطورة : وفي الخبر أشياء أدل على الوضع من أشياء ، وهذه طائفة منها . (له)

(١) كلام الناس ، حديثهم من نثرهم ، وقصة ذلك القرني في تلك الرواية مشهورة

(٢) هناك نموذجات فندت النثر البدوي وهي غير المعروف قد تعين في مثل هذه المباحث

(٣) كانوا يسمون النثر في ذلك العصر بالبلاغة ، يدل على ذلك ما ذكره أبو بكر الصولي في كتاب الأوراق في أخبار أبي محمد القاسم ابن يوسف . قال أبو بكر : « حدثني الحسن بن يحيى قال : قالوا للقاسم ابن يوسف : أقبلت على الشعر وتركت البلاغة ، فقال امتحنوني . فقيل له فاكتب إلى محمد بن منصور ... فكتب .. الخ

٢ـ نشأة الدرامة الانجليزية

للأستاذ دريني خشبة

يحتفظ الأدب الإنجليزي من الدرامات القديسية بأربع مجموعات تنسب إلى مدن مختلفة هي يورك ويكفيلد وكوفنترى وشستر؛ كما يحتفظ بدرامة واحدة من كل من نيوكاسل ودبلن وإيست أنجليا ونورفولك. وتختلف هذه الدرامات طولاً وقصراً وجودة ورداءة، ويتركب بعضها من ثمانمائة بيت من الشعر، في حين يتركب البعض الآخر من ثمانين بيتاً فقط؛ ويتألف بعضها من نظم ونثر، أو نظم فقط، أو نثر فقط، وفي بعضها أغان جميلة كما تحوى بعضها الأغاني الغثة. على أن أجل هذه المجموعات كلها هي مجموعة يورك لتنوع موضوعاتها وجمال أسلوب الكثير من دراماتها، والحرية الظاهرة في تناول حياة القديسين بالتصوير الجريء وكثرة الحركة التي هي حياة التمثيليات جماء

أما أقدم درامة قديسية كتبت باللغة الإنجليزية فهي درامة (حَرْث جهنم) أو (إسلافُ جهنم) من سلف الأرض أو أسلفها أي أعدها للزرع بالمسلفة، وهي آلة ذات شعب The Harrowing of Hell ولا يعرف مؤلفها على وجه التحقيق. وقد ألفت في أواخر القرن الرابع عشر في عهد إدورد الثاني؛ وهي عبارة عن محاورات شائقة بين السيد المسيح عليه السلام وبين الشيطان عليه اللعنة تنتهي بهزيمة كبير الأبالسة، وتهليل البطاريق وتكبيرهم فرحاً بانتصار المسيح واغتباطاً بإجاباته الفحمة

هذا، وقد كانت عناصر شتى تشترك في تأليف الدرامة، فمن ذلك الموضوع، وهو أهمها بالطبع، ثم الأسلوب، وكان يراعى فيه السهولة واليسر، نظماً أو نثراً؛ وذلك بعد أن فشلت الدرامات التي ألفها جون للى بأسلوبه الجزل وعبارته الفخمة. وجون للى هو مبتدع أسلوب اليوفيوزم الرائع الأنيق المُرَوَّا في الأدب الإنجليزي ... ثم الموسيقا والألحان والأغاني ... بيد أن واحداً من هذه العناصر كلها يكاد يكون أهمها، لأنه يتفرد من بينها باهتمام الجماهير، إذ هو الذي يجذبهم لمشاهدة التمثيل، ثم هو بعد ذلك أقوى الأسباب في نجاح الدرامة أو سقوطها ... ذلك العنصر هو عنصر الهزل والتضحيك Farcical & Comic الذي لم تكن تخلو منه درامة قديسية قط. والعجيب الذي يلفت أنظارنا نحن الشرقيين خاصة جرأة رجال الدين والمؤلفين الدراميين على السواء في إشاعة هذا العنصر في تلك التمثيليات الدينية التي تتناول الأنبياء والقديسين ورجال الدين عامة ... حتى الملائكة ... فهم قد هتكوا تلك الهالة المقدسة التي ينبغي أن تكلل رؤوس هذه الشخصيات المبجلة، وهم قد هتكوها إلى حد التحقير وتهوين الشأن والزراية بما كان من شأن الدين أن يتصونوا في تناوله ... إسمع إلى هذا الحوار الذي نقتطفه لك من درامة «طوفان نوح» لترى إلى أي حد اجترأ المؤلف على شخصية هذا الرسول الكريم، أحد أولي العزم العظماء، من هداة البشرية الأولى ... أنظر إلى هذا الحوار لتعجب كيف أجاز رجال الدين تمثيل هذا العبث بين يدي الشعب:

— نوح: أعددت الفلك، وقد آن لنا أن نبحر، فهلمي يا زوجتي الصالحة!

— زوجة نوح: ماذا؟ أركب في هذه السفينة وأترك تلك الأرض الراسخة؟ أوه! كلا، كلا. إنها لم تصنع من أجلي؛ ومع ذاك، فلدي ما يشغلني يا صاح، فإني ذاهبة لقضاء حاجات كثيرة تلزمنا من السوق اليوم

— نوح: والطوفان؟! ألا تخافين أن تغرقي؟

— الزوجة: آه! كلا. لا عليك. إن هذا لا يخيفني!

— نوح: لقد هطلت شآبيب المطر، وتفتحت أفواه السماء، ولست أرى أنها ستقلع، فتعالي واركبي في الفلك معي!

— الزوجة: الفلك؟ ماذا تعني؟ ما هذا السر الذي أخفيته عني؟ لماذا لم تستشر زوجتك في أمره؟

— نوح: سر؟ ليس هناك سر قط! إنني لبثت أصنع هذه الفلك طيلة قرن بأكمله. ولقد شهدتني أصنعها طوال هذه المائة من السنين ألف ألف مرة بعينيك!

— الزوجة: حسن، بيد أنني لا أحفل كثيراً بالحياة في هذا المركب، إني سعيدة ههنا، ولست أستروح الحياة فوق الماء قط ... ثم إني ... لا أريد أن أصحبك!

— نوح: ولكن ... إنك تغرقين، ما من ذلك بد، إن لم تفعلي!

— الزوجة : ولكنك أفسحت فى مركبك المجال لخصومى والمتقولين علىّ من المؤمنين بك . . . وهم حفنة ! على أننى أعجب كيف تغرينى باصطحابك وترك كل هذا المجتمع ، لأعاشر فى فلكك الوحوش والطيور والزواحف ؟! أفٍ لك ! إن إغراءك إياى ليغثى نفسى ويكرب صدرى !

« وهنا تلكمه بقوة فوق أذنه »

— نوح : هدئى روعك أيتها الزوجة الصالحة . هدئى روعك ! ولا يزال بها نوح حتى تستسلم وتركب آخر الأمر ، لكنها تثير الشغب فى السفينة من أول الرحلة إلى آخرها ، فى مشاهد تضحيكية متصلة ، لا نرى أنها كانت تتناسب مع الوقار اللازم للرسل

فانظر كيف تلكم نوحاً زوجته فى تلك الدرامة الجريئة ، كما ساط اليهودى قديس الكنيسة فى الدرامة التى لخصناها لك سابقاً ... على أننا سوف نتناول هذا النوع من الدرامات الكوميك (التضحيكية) بالتفصيل فى موضعه من الطور الثالث

الطور الثالث

الدرامات الأخلاقية والفواصل Moralities & Interludes

ذكرنا فى الموجز الذى وضمناه فى مستهل هـذا البحث ، فى العدد السابق ، أن الدرامات الأخلاقية نسخت بالاشتراك مع الفواصل ، الدرامات القديسية وحلت محلها . وفى إيراد الكلام على هذا النحو شىء من المبالغة . وربما كان عذرنا فى ذلك أن خلافاً شديداً قام بين المؤرخين على أصل هذه الدرامات الأخلاقية ، فنهم ، وهم الأكثرية ، من يقولون إنها نشأت من الدرامات القديسية . ومنهم من يعارض هذا الرأى ، وينفى أن تلك فرع من هذه ، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ مورلى Morley من أساطين مؤرخى الأدب فى العصر الحديث . على أنه لا مشاحة فى أن الإنجيليات والقديسيات قد نشأت فى الأمم اللاتينية عامة وانتقلت مع رسل الكنيسة من فرنسا إلى انجلترا . أما الدرامات الأخلاقية Moralities فأكثر المؤرخين على أنهـا نشأت على أصول القديسيات ، وأنها ثمرة من دوحتها الباسقة . وندع بعد هذا الناحية العلمية من مناقشة الفريقين التناظرين ، لأنها ليست من شأننا فى هذا البحث . والدرامة الأخلاقية هى تلك الدرامة التى تعنى بالحقائق المجردة abstracts و truths من فضائل ورذائل ، فهى تجعلها أبطالاً وتتخذ منها شخصياتها وموضوعاتها ، ويرجع هذا التجديد إلى أواخر القرن الرابع عشر حينما انتشر الشعر المجازى المشتمل على الكنايات والاستعارات المختلفة .

وقد يكون لضيق الشعب بالدرامات القديسية أثر فى هذا التحول ، إذ أنه مل هذا النوع الواحد من التمثيليات الدينية التى أوشك أن يحفظها عن ظهر قلب لكثرة تكرارها ، فأراد المؤلفون أن يتساموا بالدرامة فاقتحموا ميدان الأخلاق ، لأنهم إنما كانوا ينشدون نشر الفضيلة — بعد تلقين دروس الدين — بما يقدمون للنظارة من هذه الدرامات . ولا غرو أن فرنسا كانت قد سبقت انجلترا فى ابتكار هذه الدرامة الأخلاقية ، ولا يبعد أن تكون قد اقتبستها عنها كما اقتبست الإنجيليات من قبل : أما أن الدرامات الأخلاقية قد نسخت ما قبلها ، فقد حدث ذلك بالتدريج فعلاً . فهم يذكرون أن آخر درامة قديسية قد مثلت فى أواخر القرن السادس عشر . أو بالضبط سنة ١٥٩٨ ثم ظلت الدرامات الأخلاقية تمثل بعد ذلك إلى أن ازدهر المسرح الإنجليزى بدرامات مارلو وشيكسبير وبن جونسون . ومن هذا يفهم أن القديسات واكبت الأخلاقيات زمناً طويلاً حتى تغلبت الأخيرة وحلت محلها . وقد كانت الرذيلة أقوى شخصيات الدرامة الأخلاقية . وكانت تحل دائماً محلاً هزلياً كما كانت الفضيلة توضع فى مواضع الجد . فكان يمثل الرذيلة معتوه أو ضحكة أو أبله يجيد صوغ النكات والحركات التضحيكية ، وكان يبدو دائماً وفى يده خنجر من الخشب ، كما كانت ملابسه تثير الضحك الشديد . ولم تكن شيمة من الشيم إلا ولها موضع من درامة من هذه الأخلاقيات التى تكون فيها الشخصيات قسمة بين الفضائل والرذائل . فقابل الطمع توجد القناعة ، ومقابل الزنا يوجد العفاف ، ومقابل الكذب يوجد الصدق ، وضد الظلم العدالة وهكذا دواليك . وكان مقصوداً بتمثيل هذه الرذائل أن يحدث تباين Contrast مع الفضائل حتى لا يمل النظارة من كثرة الحض على التمسك بأهداب الفضيلة . ولهذا السبب كان وكد المؤلف أن يجعل شخصية رذيلة ما من الرذائل — كالجبن أو الشح مثلاً — مثيرة للضحك الذى يهز القلب ويفجر

المشاعر ، فإذا نال السامعون هذا النصيب من الترويح انتقل بهم المؤلف إلى شخصيات الفضائل الرزينة العاقلة ـ كالشجاعة والجود مثلاً ـ فجعلهما يردان على الجبن والشح فى وقار وهَوْن ، ثم ينتقل إلى الرذائل ليعطى النظّارة نصيباً من الضحك وهكذا حتى تنتهى الدرامة

وكانت الفترة التضحيكية المخصصة للرذائل تسمى فاصلاً ـ أو استراحة ـ Inter lude . وظل هذا هو النظام المعمول به فى مزج الأخلاقيات بالفواصل حتى جاءجون هيوود Heywood (١٥٠٦ — ١٥٦٥) فألف فى الفواصل خاصة ، وبذلك أخذت تستقل عن الأخلاقيات وتكون نواة الملهاة Comedy . وقبل أن نتكلم عن الفواصل نلم إلمامة ختامية بالأخلاقيات لنعطى القارئ نماذج سريعة من أنواعها ليكوّن لنفسه صورة من النضال المتصل والجهاد الرائع الذى مهد للمسرح الإنجليزى المتيد فى عصر شيكسبير العظيم . فن هذه الدرامات الأخلاقية ما كان دينياً بحتاً مثل درامة قلعة المثابرة The Castle of Perseverance من عهد هنرى السادس ، وموضوعها الحرب بين النوع الإنسانى Human Genus وزملائه الفضائل السبع الرئيسية ، ضد الكبائر السبع بقيادة زعمائها الثلاثة : مندس وبليال وكارو الذين يحاصرون النوع الإنسانى فى قلعة المثابرة ، ثم نجاة النوع الإنسانى آخر الأمر . ومن هذا القبيل درامة « كل إنسان » وقد كتبت قبل سنة ١٥٣١ وفيها يُستدعى (كل إنسان) هذا أمام محكمة إلهية ليقدم حساباً على ما قدمت يداه فى الحياة الدنيا ... وهنالك تخذله رفاقه « الزمالة والخفة والقوة والسرور والجمال » فى حين لا يجد له نصيراً إلا حسناته التى تقدمه « إلى الاعتراف » الذى يبرئ ساحته

ومن تلك الدرامات أيضاً ما تلحظ فيه أثر حركة الإصلاح الدينى والروح البروتستنتى الجديد ، مثل درامة العرف الجديد New Custome أو درامة معركة الضمير . ومنها ما كان يتجه اتجاهاً علمياً يتمشى مع نور النهضة مثل درامة « العناصر الأربعة » وهى نضال بين العرفان وفضائله ، والجهالة ومضارها ؛ ونحوها درامة (الذكاء والعلم) . ومنها ما كان سياسياً ، مثل درامة (الفارس ألبيون) وهى تصور ذلك النضال الهائل بين الأشراف والعامة ، والصدام الذى انتهى بالإصلاح الدستورى الكبير فى بريطانيا . ونحوها درامة لوردات لندن الثلاثة وسيداتها الثلاث ، وهى ملهاة لكاتب اسمه روبرت ولسن . وكان يحترف التمثيل . والسيدات هن المنفعة الخسيسة والحب والضمير . أما اللوردات فهم السياسة والأبهة Pomp والسرور (وأولئك هم سادة لندن) ـ ثم الكبرياء والطمع والظلم (وأولئك هم سادة أسبانيا) ـ ثم الرغبة والمسرة والولاء (وهؤلاء هم سادة لِنكلن) وقد كتبت هذه الدرامة بعد تحطيم الأرمادة الأسبانية . وفيها تحقير شديد للأسبان وإشادة بالمجد الإنجليزى

هذا ، وقد أُلِّفت بعد هذه المرحلة درامات لا هى أخلاقية كلها ولا هى فواصل كلها ، بل كانت (بين بين) إن جاز هذا التعبير

أما الكلام عن الفواصل فيحسن أن يستقل بفصل خاص لأهميته ، ولأنه كان البذرة الأولى للملهاة الإنجليزية ، وهو ما سنتناوله فى الفصل المقبل .

دريني خشبة

المشكلات

٥ - اللغـــة العربية

للأستاذ محمد عرفه

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

ومن غريب الأمر أن الطريق الذى أشرنا بسلوكه ، والذى أبان العلم أنه لا طريق إلى تعلم اللغات سواه ، هو الطريق الذى هدت إليه الفطرة وسلكته فى تعليم الولدان لغات آبائهم ، وتعليم الأجيال لغة أممهم ، فالفطرة اصطنعت فى تعليم اللغات طريق الحفظ والتكرار ، والمرانة والاعتياد

ينشأ الطفل فيسمع أبويه وأهليه يتكلمون بمواضعات خاصة فيحفظها وتتكرر على سمعه ، ويعتادها لسانه فتصير ملكة ، وبذلك يحذق لغة قومه

كأن الفطرة قد علمت أن اللغة فى الإنسان ملكة ، والملكة لا تكتسب إلا بالتكرار فاستعملت ذلك فى تعليم أمم الأرض لغاتها ، ولم تخطىء مرة واحدة فتلجأ إلى طريق القواعد والقوانين لأنها لا تكسب الملكات

أما نحن فجهلنا ذلك ، وأخذنا نعلم اللغة بالقواعد والقوانين ، ولم نلجأ إلى تعليمها بالحفظ والتكرار ، فكانت الفطرة أقرب إلى الصواب ، وأبعد عن الخطأ ، وأثقب فكراً ، وأسد نظراً ، وكنا أقرب إلى الخطأ ، وأبعد عن الصواب ، وأعظم خرقا . وكانت الفطرة تعلم اللغة أثناء المعاملات اليومية من لعب وقضاء حاج ، وبيع وشراء ؛ أما نحن فقد أحطناها بالقوانين التى يفنى العمر ولا تفنى ؛ فكانت مقتصدة أعظم الاقتصاد ، وكنا مسرفين أشد الإسراف . كانت الفطرة تعلمها بالتدرج من الأسهل إلى الأصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، مراعية حال المتعلم فتعطيه ما يناسبه ولا يجافى عقله . أما نحن فلم نراع ذلك بل تعمدنا مضادته ، فعلمنا القواعد التى هى فلسفة اللغة ، تعلم بعد تعلمها ، ومرتبتها فى الوجود متأخرة عنها ، فلم تظهر إلا بعد ظهور اللغة بأزمان . أقول علمنا القواعد قبل تعلم اللغة وجعلناها وسيلة إلى تعلمها ، ولم نراع حال المتعلم فجئنا بأطفال الأقسام الابتدائية والتعليم الأولى ، وأخذنا نعلمهم القواعد ، ونعطيهم من العلم ما ينبو عن أذهانهم ؛ فكانت جارية على مقتضى الحكمة ، وكنا جارين على غير مقتضاها ، أو على مقتضى شىء آخر ، وكانت ميسرة كل التيسير ، وكنا معسرين كل التعسير

وكانت تعلمها أثناء سرد الحوادث اليومية ، وأخبار الجيران ، والأهل والخلان ، والمحادثات السارة والأخبار الممتعة ، وتاريخ الناس وملحهم ، وفى أثناء الأغانى والمدائح والمراثى . وكنا نعلمها فى قواعد جافة خالية من كل ذلك ، فكانت تعلمها مع المتعة والمسرة . وكنا نعلمها مع الضيق والحرج . ولما راعت ذلك كله كانت ناجحة فى تعليمها كل النجاح ، ولما أهملنا ذلك كله كنا مخفقين كل الإخفاق

أرانى فيما سبق قد أطلت المسافة فى الاستدلال ، وذكرت فى البين أن اللغة ملكة ، وأن الملكة لا تكتسب إلا بالتكرار ، وكنت أستطيع أن أختصر الطريق ، وأقول لننظر إلى الفطرة كيف تعلم اللغة ، ولنحا كها فيما تفعل ، ولنعمل كما تعمل

وإذا نظرنا هذا النظر وجدناها تعلم أبناءنا اللغة العامية بالتكرار والمحادثة ، وكذلك كانت تعلم أطفال العرب لغة آبائهم . كانوا يسمعون فى طفولتهم من آبائهم ومخالطيهم مفردات اللغة وأساليبها ، والبليغ المأثور من بيانها ، ويتكرر ذلك على أسماعهم ، فيحاكونه ويقلدونه ويتكلمون على نهجه ، فيكتسبون الملكة فى اللغة بالسماع والتكرار والحفظ ؛ فإذا الطفل الناشىء ولسانه البادىء جار على هذه اللغة لا يخطىء ولا يشذ ، ولو حاول جهده أن يحيد عن الصواب لاستعصى ذلك على لسانه ، ولوجد فى ذلك مشقة وعنتا

إن محاكاة الفطرة فى أعمالها داعية إلى النجاح والتوفيق ، وكلما كان المرء أقرب إليها كان أقرب إلى الصواب ، وأبعد عن الخطأ ، ويكون خطؤه بقدر بعده عنها ، ومجافاته لقوانينها

ومن سوء حظ المتعلمين أن ما فى المدارس المصرية مما له تعلق بالطريقة الطبيعية قد أهمل ولم يعن به ، وهو فيها صورة لا معنى ، وشكل لا حقيقة ؛ ففى المدارس المصرية حفظ ومطالعة ، ولكن التلاميذ يهملون ذلك النمد القليل الذى فرضته عليهم المدارس

المصرية من المحفوظات ، ولا يحفظون إلا النزر القليل ليقولوه أمام لجنة الامتحان الشفوى . وفيها مطالعة ، ولـكن عمر العام كله وهم لم يطالعوا إلا صفحات معدودة ، وفى الـكتب المقررة شواهد على النحو والصرف والبلاغة ، ولـكن التلاميذ لا يحفظون شاهداً ، ولا يستظهرون مثلاً

وضعت يدى على خمسة تلاميذ اتفاقا دون اختيار ، وكانوا من تلاميذ الثقافة ، وكان علم البيان مقرراً عليهم وفيه كثير من الأمثلة والشواهد ، وسألتهم واحداً واحداً عما حفظوه من شواهد البيان ، فلم يكن منهم من يحفظ بيتاً واحداً ، ومن المحزن أن الممتحنين لا يقيمون وزنا لذلك ، وأن المدرسين لا يقيمون له وزنا أيضاً ، فلا هؤلاء يحتمون عليهم حفظ الشواهد ، ولا أولئك يرون المقصر فى حفظها مقصراً فى الامتحان

وهذا إهمال عظيم فى الحفظ والتـكرار ، وهو وإن كان محزنا فان لهم العذر كل العذر فيه ، لأنه ثبت فى أذهان الجميع معلمين ومتعلمين أن المعول عليه إنما هو القاعدة ، فإذا فهمت وحفظت فما عداها من حفظ الشاهد والمثل فضل ، ولا يعلمون أن هذا الفضل هو الذى إذا عنى بحفظه وتـكراره رسم صورة ذهنية ، يكتب الناشىء على مثالها ، وينسج على منوالها

وقد علمتنى التجربة أن ما يؤخذ من المحفوظات فى المدارس لا يغنى التلاميذ شيئاً ، فمن الواجب أن يكلف التلاميذ أن يعكفوا على بعض دواوين الأدب ، فيقرؤوها ، أو يختاروا منها ، ويجمعوا ما يختارون فى كراسة ويحفظوه ويفهموا معناه ، وتـكون هذه الـكراسة بيد التلميذ عند الامتحان شاهدة على جده وعمله ، فيقدمها للممتحن فيرى أهى كافية أم غير كافية ، ثم يمتحنه فيها من أولها ومن وسطها ومن آخرها ليعلم هل حفظ ما اختار

وقد علمتنى التجربة أيضاً أن ما يؤخذ من المطالعة فى العام الدراسى أمام المدرس لا يغنى عن التلاميذ شيئاً ، فمن الواجب أن يكلفوا بكتب يطالعونها أثناء العام الدراسى ويكتبون آراءهم فيهـا ويلخصون محتوياتها ، وكذلك فى العطلة ، ويكون لهذا وذاك دخل فى تقدير الدرجات

كل ما فى الوجود يشهد لى أن اللغة إنما تـكتسب بالحفظ والتـكرار وأن القواعد لا تغنى فى اكتساب ملكة اللغة فتيلا

لعلك جلست إلى بعض المشيخ واستمعت إلى حديثه فرأيته يتـكلم بالعربية لا يكاد يخطىء : وينحدر كالسيل ، ويهدر كالرعد

ولعلك جلست إلى بطل من أبطال اللغة العربية يعرف قواعد النحو والصرف والبلاغة لا تـكاد تخفى عليه منها خافية ، فرأيته يتـكلم بالعامية لا يكاد يقيم جملة ، ولا يستطيع أن يلين لسانه بالعربية ، فعجبت كيف يملك الأول هذا القدر من العربية مع جهله ، وكيف يقصر عنه الثانى مع علمه

أتدرى لمَ هـذا ؟ إن الأول زاول اللغة العربية عملاً ، وحفظ أدواره فى الروايات ، وألقاها ومرن على ذلك فاكتسب ملـكتها ، فإن تـكلم بعدُ صدر عن الملـكة فأجاد ؛ أما الثانى فعلم قواعد النحو والصرف والبلاغة ، ولم يزاول اللغة حفظاً وعملاً ، فلم يكتسب ملـكتها فـكان هذا القصور المعيب

أجلست مع بعض العامة الذين يكثرون من قراءة الجرائد والروايات فرأيته يقيم لسانه بالعربية أكثر من ذلك النحوى الذى جعل همه فى القواعد والقوانين

ولعلك رأيت بعض من لا يعرفون علم العروض والقافية ، ولا يعرفون البحور وأوزانها ، ولا الخبن والطى ، إذا سمع بيتاً مكسوراً أدرك عيبه بمجرد سماعه ، وإذا سمع بيتاً صحيحاً أدرك صحته كذلك ؛ ولعلك رأيت بعض من يعرفون هذه العلوم لا يهتدون لعيب البيت أو صحته إلا إذا أخذوا يتعرفون من أى بحر هو ويجرونه على أوزانه . إن ذلك لأن الأول تربى عنده مقياس ذهنى لأوزان الشعر من كثرة قراءته وحفظه ، فإذا سمع شعراً اختل من هـذه المقاييس أدرك ذلك بذوقه ، والآخر لم تربَ عنده هذه المقاييس بل شغل بقواعد الشعر عن حفظه وقراءته والقواعد لا تربى الملـكة

إن كثيراً من علماء العروض لو حاولوا نظم بيت من الشعر أعجزهم ؛ وإن كثيراً ممن لا يعرفون هذا العلم يأتى لهم الشعر طيعاً منقاداً — والسر ما قلناه وكررناه من أمر الملـكة والتـكرار

لافونتين

LA FONTAINE

(١٦٢١ – ١٦٩٥)

بنو آدم كالنبت ونبت الأرض ألوان
فنهم شجر الصندل والكافور والبان

للأستاذ محمد حسني عبدالله

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

الخرافة وازدواج الشخصية عند لافونتين

ولقد عرف العشراء والأقربون في هذا الشاعر، من تصرفاته وأحواله، إنساناً قليل الانتباه لمجرى الحوادث، قليل الاحتفال بوقائع الحياة، منصرفاً عن حركات الناس وسكناتهم، متشاغلاً عن حديثهم ولغوهم، شارد الفكر فيما لم يكن في مستطاعه الدلالة عليه إذا بدهه سائل بالسؤال عما يشغله ويذهب بلبه. فكان يبدو ساذجاً أشبه بأبله، من العصي عليه أن يصف لأحد مشافهة ما رأت عينه أو يعيد عليه ما وعت أذنه. فهو لم يكن يُعنى – فيما ظن خلصاؤه وبطانته – بشؤون الناس في شيء، عَظُم أم حقُر – حتى ولا بشأنه؛ فكان همه في الحياة – كزعمهم – العيش فحسب؛ ومثله الأعلى – كحدسهم – الاستكانة للواقع والانصراف عن الجهاد والكفاح استمراء للكسل مضافاً إليه قليلاً من الحب ليمد العيش بالنضارة والحلاوة كقليل الملح إذ يصلح الطعام ويجمل له طعما سائغاً

ولكن كل من قرأ دواوين خرافاته وبحث فيها تصويرها الجامع لألطف المعاني والأخيلة، الحافل بأدق الأحداث وأشدها، تطلباً لليقظة، عرف فيه كما قد عرف مؤرخو الآداب والناس عامة، يَقِظاً مرهف الحس، فطناً لكل ما ظُن أنه غافل عنه

فللرجل إذن خلقان على طرفي نقيض: أحدهما واضح المعالم ظاهر للعيان ساخر من الحياة، غير عابئ بواجباتها حتى واجبات الأبوّة والزوجية؛ والآخر خفي مستبطن، ولكنه يقظ متنبه لكل ما يدور في ملعب الحياة. وثمة انسجام وتآلف بين هذين الخلقين ساق إلى تفادي أضرار هذا التباين بالتنفيس عن الجانب المستتر من خلقه في أدب الخرافة التي كان إخراجها للناس برهاناً على ازدواج الشخصية عنده وجمعه لمجانب الأضداد

خرافة لافونتين والناس

وكما أن إلياذة هوميروس وأوديسته هما سجل اليونان الحافل، وديوان أدبهم، المحدث في صدق عن معتقدهم، المصور في دقة لنظمهم ومراسمهم خلال حقبة طويلة من تاريخهم القديم، فكذلك خرافات لافونتين – هوميروس الفرنسي – مرآة صادقة للحياة الاجتماعية في عصر من أحفل عصور التاريخ السياسي والأدبي عند الفرنسيين، ومعبر صريح عن الروح الغاليّة الساخرة العابثة الفطنة في القرن السابع عشر، إذ أراد فيها لافونتين بتصويره حاشية الأسد وجماعته من الحيوان، مجتمع معاصره لويس الرابع عشر نفسه، بلاطه وشعبه

وما الصفات التي وزعها على الحيوان – كل بما يوائمه من صفة – كالكرم للأسد القوي، والحيلة للثعلب الماكر المستضعف، والغباء للحمار الأخرق، والطيش للأرنب المستهترة، والرياء للهر المتلون، والغرور للغراب المستغفر، إلا صفات إنسانية محضة خبرها في أهل عصره وصادفها في مجتمعه فوصفه بطريقته الخاصة – الجادة إذ عبثت – متلطفاً بالمداراة والتأدب في نقد الناس إذا قدح، متحامياً الملق والتقرب من أي كان إذا مدح. نخلق بذلك عالماً في ظاهره غريب عن الإنسان، وهو في مستسره وكيد الصلة به. فتهيأت من ذلك للصغار فرصة الإلتذاذ والتفكه

سلوا كل كاتب يحوك الوشي، وينفث السحر، وكل شاعر يقول الشعر، وينظم الدر، في مصر وفي بلاد الشرق، بماذا نلتم هذه المنزلة ووصلتم إلى هذه الدرجة من البيان يجيبوك بأنهم لم ينالوا هذه المنزلة إلا بالقراءة الكثيرة، والحفظ الكثير ومزاولة الكتابة والحديث

إن قوانين الوجود صارمة نافذة أبدية فمن سايرها وعمل على مقتضاها انتفع بها وسار على ضوئها إلى التوفيق، ومن جهلها لحقه الضرر بهذا الجهل، ومن أراد التخلص منها، وحاول أن يخضعها لإرادته عنى نفسه فيما لا يطاوعه ولا يجد إليه سبيلاً.

محمد عرفه

بشؤون هذا العالم الحيوانى العجيب والإفادة منه ، وللكبار فرصة إعمال الذهن وكدح الخاطر فى ربط الصلة بينهم وبين عالمهم واستخلاص الحقائق الواقعية التى أريد بها عصر لويس الرابع عشر خاصة ولكنها تصلح تصوراً أخلاقياً دقيقاً لكل عصر . وبهذا عدت الخرافات فى مجموعها ملحمة فرنسا الكبرى فكانت تراثاً أدبياً إذا أضيف إلى الألياذة والأوديسه والشهنامة وألف ليلة وليلة ، أعزّ جانب الأدب العالمى .

هوميروس الفرنسى والأخلاق

ولكن يصعب على المنقب فى هذه الخرافات أن يستخلص منها مذهباً أخلاقياً أو مبدأ مثالياً . فهوميروس الفرنسى قد قنع فيها بتصوير الحياة كما هى فأجملها فى قصائد منظومة لا تحسّن حسناً ولا تقبح مرذولاً . وإنما هدفها رسم الأحوال المختلفة وتصوير العواطف البشرية ، شرها وخيرها ، إذ الأمر يتعلق بوصف الحياة لا بنقدها . فالقوة والضعف والغنى والفقر والشر والخير هذه كلها ألوان ليس للحياة منها بد . بل لا محيد للضعيف عن الخضوع للقوى ، ولا مهرب للفقير من استعباد الغنى ، ولا حيلة للخير مع الشر

فلافونتين إذن لا يختط قواعد أخلاقية تتبع ، ولا يبين أغراضاً مثالية تُراعى ، إذ غرضه إزاحة الستار عن حقيقة الحياة الدنيا بغير أن يتطلع إلى خير منها . فإذا عرض للضعيف المغلوب فغالباً يجرده من معونة الغير ومن القدرة على الأخذ لنفسه . وإذا تكلم عن القوى المظفّر حشد فى ركابه الدنيا برجلها وخيلها ، وهيأ له النصر المحتوم من طبيعة الأمور . وهو يؤيد ما قيل من أن « جوبيتير » مد على البسيطة خوانين : خواناً للمجدودين أصحاب الجاه والنفوذ والقوة قد صفت عليه ألوان شهية من الطعام والشراب ، وخواناً للمخذولين الخاضعين ، لا يُلقى إليه إلا بالفضالة والفتات . بل المسألة – فيما يرى – أدهى وأمر ؛ فالصغار أنفسهم هم مأكول الكبار القادرين . وأيّاً ما كان الأمر فالامتثال والإذعان واجب الضعيف للقوى والمسود نحو السيد . وعلى الكلب ألا يجهل من يكون السبع الملك ، وأى فضائل تلك التى خص بها دون المخلوقات ، ومتى ينبغى توطين النفس على الرضاء بظلمه وحيفه

على أن الحياة كما هى لا بأس بها ، والألم فيها على أى حال خير من الموت . فشمار لافونتين – مع هذا – الخضوع المطلق للواقع . وهذا شمار لا يرضى الأراديين وأصحاب الخطة فى الحياة

وقد عاب عليه جان جاك روسو السخرية من الضعيف المغلوب . فبالإضحاك على حسابه يدعو إلى الإعجاب بالغالب المختال ، ويحث على المظلمة والجور . وذكر أن حِكمه وأمثاله ليست من النبل والبطولة فى شىء . فكثيرها ينصح بقبول الحياة حتى فى أحط الأوضاع ؛ ثم ينصح بأخذها بالملق والإذعان والدهاء . وما هذه إلا صفات الخاضع الذليل الذى لا يُرجى نفعه

على أن الخرافات فى الحق وإن سخرت كثيراً من الضعاف لا تخلو من الإشارة إلى الأخلاق . وكيف لا والسخرية نفسها سياط تحدو إلى التفطن والانتباه حذر الوقوع فيما يستوعبها من الغفلة والانخذال . وهل أدل على أن لافونتين قد قصد إلى الأخلاق والنصيحة من قوله هذا « ما أردت إلا الإفادة والإرضاء بهذه الصور الوهمية التى أقدمها للعالمين ، فالحكاية لمجرد التسلية شىء يبدو لى تافهاً صغيراً »

كلمة ختامية

ولئن كان أروج الأمور – فيما يرى لافونتين – التسليم للأمر الواقع فان ذلك لا يعنى عنده الغفلة عن المسرة واغتنام فرص الحياة . فهو – وهو أبيقورى المذهب – جد حريص على أن يهيب بالناس إلى الاستمتاع بثمرات العيش ما أسعفت الحيلة ومكنت الفرصة . فما للانسان سوى عمر واحد ، فإن هو بذله فى هم وأحزان ، إن كان وضع فى الدنيا موضع كد وحرمان ، فوالله قد عُرّى من دهره وحرم نعيم الرضاء بأية حال . فالمرء لا يعدم مع الفاقة والمسرة والإذعان للسيد المقتدر ، غبطة القناعة وسرور السلام . وهل استطعمت السباع التى خلفت وراءها ما فاض من مطعمها مذاقاً غير الذى ذاقته الثعالب فى هذا المخلّف ؟ على أن الدنيا فى واقع الأمر دار ضيافة ، وليس من عرفان الصنيع فى شىء أن نغادرها دون الشكر للمضيف أيا ما كان القرى الذى يتيسر لنا من حكم الأقدار

أعداء النساء

للسيدة وداد سكاكيني

أمر من الرجل قد وقع ، وقضاء قد حم على رأس المرأة . وكأن الدهر أبى منذ الأزل إلا أن يقطع أسباب المودة والصفاء بين الرجال والنساء ، فسخَّر من غلاظ القلب والحس من كاد لهن وتربص بهن ، وزعم متلطفاً أنهن شر لا مفر منه ولا غناء عنه ، فأساء الرجل إلى جنسه ، وإلى من خلقت من نفسه ؛ فكان كمن ضل وأضل . إذ كيف جاز فى شرعة الحق والرجولة أن يخلق هـذا الإنسان الجبار عداوة بين الجنسين ، أو فى دنيا مخلوقين بديعين ؟ ومذ بدرت من الطبائع بوادر الخصومة والخلاف هب نفر من الرجال ، وقد حسبوا أنهم يحسنون صنعاً ، فتنادوا إلى ملاحاة النساء والغض من حسناتهن ، ليقال إن العالم يشقى بشرهن ويعيا بأمرهن . وأخذ المتنادون والأشياع يهتفون فى كل جريمة وقعت أو خصومة قامت : فتش عن المرأة . ثم غدا الناقمون مباهين بعداوة النساء ، فروعت بنات حواء وفزعن إلى أخواتهن متسائلات :

— من الشاهر سيفه الكاشر عن أنيابه ، الناشر لمخالبه ، يريد بنا الأذى وينوى لنا الردى ... ؟

فقلن هـذا « أرثور » زائغ الفكر والشعور ، رفع صوته فى الغرب ، فثارت به المرأة تتمنى جلده وتحطيمه . وذلك « التنوخى » الضرير نفث نقمته فى أرجاء الشرق ، فودت له النساء كل شقاء وفناء . وخلف من بعد هذين الناقمين خلف ورثوا عنهما المكايد والضغائن وصار إليهم بحَوَرة الماكرين ...

وبعد فما لامرأة اليوم حيلة بالأعداء الغابرين ، فقد ماتوا وخلوا للشانيين تراث المداوة لها ؟ وكانت تحسب أنها استراحت من الأعداء ، فإذا هم اليوم خصوم ألداء وحقدة أشداء ، يتداولون بينهم ذلك التراث البغيض . من هؤلاء الخصوم فى ديار العرب توفيق بن سليمان الذى جدَّ فى عداوته للمرأة فطعن عليها ، ورماها بكل نقيصة فى كتبه ومقالاته . واليوم ظهر فى جنبه بوادى النيل عدو جديد . على أن أكثر هؤلاء الأعداء من الكاتبين والفلاسفة والكبراء ، ما شاع ذكرهم ولا ذاع صيتهم إلا حين تهجموا على النساء بالمثالب والتسفيه ، فإذا بمطاعنهم تدور وتحور ، ويتردد صداها فى كل مكان ، وينبسط مداها مع الزمان ، ويقبل على بضاعتهم الشامتون بالمرأة والغاضبون عليها ،

تلك وأشباهها أراء لم تكن إلا صدى لحياة لافونتين نفسها . فهو قد عاش قرير العين ، رخى النفس ، لا منفذ إلى قلبه للهم . وكانت له الضياع والعقار فى أراضى « شاتوتيرى Chateau Thierrey » حيث ولد ودرج وشب وعاش حتى الخامسة والثلاثين من عمره — فلم يعن بالإبقاء عليها محرزاً من غير الدهر وصروف الزمن . فلما صار إلى الفقر نتيجة التبذير والإسراف ، آواه بباريس « فوكيه » وزير مالية لويس الرابع عشر ، فدوقة أورليان ، فدام دولاسابلير ، فهيرفار من بعد ، لم يمنعه ذلك من التسليم والرضا ، ولم يتأسف على ما لم يعن التوفيق ببقائه ؛ بل أطلق لهواه العنان وأخذ بأوفر سهم من لذة العيش قبل أن تولى أيامه وتنصرم مدته . إلا أنه عند دنو الأجل استشعر الندم على ما فرط منه . يتضح ذلك من هذه النبذه التى نختتم بها من كتاب له إلى صديقه الشاعر « موكروا Maucroix »

«من الإسراف يا أخى أن تخال صديقك لافونتين مريضاً بالوهم ؛ فالذى لا ريب فيه أنه لم يبق من أجله إلا أيام معدودات ، ولشدَّ ما نالت من قواه العلة طوال عامين بتمامها ، لم يشد أزره على شدتهما سوى نعمة اختلافه إلى المجمع اللغوى بين الوقت والوقت . ولكن بالأمس وهو فى طريق العودة منه ، بغتته ضعف ظن أنه والموت على موعد . فأخذته الرعدة لا خشية الموت ولكن خوف الحاكم العادل ، جلت قدرته . فأنت تعلم بأى وجه سيلاق صديقك ربه . . . »

وتلك الندامة لعمرى حسنة تسجل للافونتين .

محمد حسني عبد الله

فيشترون من تلك البضاعة المزجاة ويرتأون آراءهم القائلة ، وإذا بها ترن فى المسامع وتطوف بالمجامع ؛ فيهتف التاريخ بأسماء : شوبنهور ونيتشه والمعرى وتوفيق الحكيم وغيرهم ...

ومن عجب أن يجور هؤلاء الأعلام على النساء بما يخالف العرف وينافى الواقع ، ليكتسبوا من هذه المناوأة والمكابرة شهرة جديدة وصيتاً بعيداً . وطالما جار الثالبون على أنفسهم فتعسفوا وتكلفوا وكان خبطهم خبط أعشى . أليس منا أمهاتهم وأخواتهم وخالاتهم وجداتهم ، ولم لا أقول زوجاتهم وبناتهم ؟ ثم أستغفر الله مما وزل به اللسان ، فإن كفيف المعرة كف نفسه عن المرأة ، ولعل له عذراً ، فلو كان كحل عينيه بجمال الغيد ولم يكن دميا لاجتاحت قلبه واحدة من النساء غيرت معالم اللزوميات، فلم يطمن علينا فيها بالتائيات ، ولما أدارها معنا وقيعة سجالا وحرباً عواناً ؛ فإن فى كل بيت منها لسيفاً وسناناً . ولقد بنى أبو العلاء صروح شعره على ذم المرأة وما دل عليها ، وكان منها أو إليها ، فالدنيا عنده أم دفر ، وهو أبداً ينحت أثلتها ويبرى عودها ، معتقداً أن كل خطب فيها سببه المرأة ؛ فهو هدام معطل ، لو أوتى قوة شمشون وكان مسبل الشعور لدك بهن العالم وأقفر الوجود . ومن يدرى فلعل شوبنهور أو نيتشه وسواهما من أعداء المرأة فى الغرب والشرق إذ كرهوها وصفدوها ، كانت وراء كل منهم امرأة أفسدت عليه نعيم الحياة ، وسودت فى عينيه بياض الدنيا ؛ فحسب الغدر أو الكيد كله من شيم النساء . وإذ كان لهؤلاء الأعداء الغابرين معاذيرهم فى الغضب على النساء وفى عهود كن مستضعفات ، فأى عذر للناقمين منهن فى عصرنا ؟ وكأن هذه النقمة من أكابر الكاتبين فى أيامنا خصومة بهم أو دلالة عليهم ، فاذا ركد لهم صيت أو فتر من حولهم إعجاب هزوا لأنفسهم رياح الشهرة بمقال يرسلونه ، أو رأى يقولونه ، فى شأن المرأة ، فقذفوا بالباطل عليها ، ودعوا الرجال إلى البطش بها، وعد الحقوق التى تطلبها ضرباً من الأوهام والأباطيل . من هؤلاء الأعداء المكابرين الكاتب المصرى توفيق الحكيم الذى يجهر بعدائه للنساء فى كل نهزة ، ويسخر قلمه للسخر منهن ومن ثقافتهن . وما كان هذا منه إلا ألعوبة أدبية يلوح بها فى وجوه الناس ليزيدهم لآثاره تقديراً وعليها إقبالاً . ولعلهم كانوا كذلك بادىء الرأى ، أما وقد عرفوا أفانينه فإن توفيقاً أصبح لدى العارفين أديب تربص وانتهاز ، فمنذ عهد قريب دعا قومه إلى تعدد الزوجات ، وحين نشر الدكتور طه حسين كتابه الأخير « أحلام شهرزاد » ضاقت عين الحكيم عن تسريح النظر فى هذه الأحلام التى صور فيها الأديب العميد « شهرزاد » فى رداء من الحصافة والذكاء . ولما رآها مرت أمامه شهرزاد التى صورها خليعة ماجنة . ومن قبل نشر الأستاذ توفيق الحكيم فصولاً عرى فيها المرأة من مواهب الفن فزعم أنها لا تحسن إنشاء القصص التمثيلية ولا تستطيع أن تكون موسيقية تبتكر الألحان ، وقد فاته من أدبنا القديم براعة المغنيات فى عصر بنى العباس ، وفى العصر الحاضر من أهل اللحون نساء فى المشارق والمغارب . أما الروايات التمثيلية فعهد العرب بها جديد ، ولننتظر فإن الزمان لم ينفد أمده ، وما زال الإنسان حياً ، فإن فى مأتى الدهر نجوماً ستنجم يكون بينها مؤلفات للمسرح وموسيقيات . ومن أعجب العجب أن تكون عداوة الحكيم للنساء أشهراً لتكون وحياً جديداً للأستاذ عباس محمود العقاد ، فقد نشر هذا الأديب العظيم مقالين زعم فيهما أن المرأة لا تجيد من الفنون غير فن الرواية ، وكأن هذا الفن فى نظره أهزولة هينة على كل كاتب ، وقال إن المرأة ليست بشاعرة مبتكرة بل هى مقصرة ومكررة ، لأن الشعر ابتكار واقتدار ، وأنها لم تنبغ حتى فيما هو أقرب إليها وأحرى أن تتفوق به على الرجل وهو الرثاء ، وإذا كانوا يضربون المثل بالخنساء فإنه ليس فى ديوانها غير أبيات متفرقات فى البكاء لا ترتقى إلى منزلة الشعر السيار ، إذ كله تكرير لمعنى واحد ، ولا يصح أن يقال إنه معنى من معانى القريحة والخيال . وقال العقاد أيضاً : إن التصوير كالتمثيل والمرأة فيه غير مبدعة . ولم تعرف نابغة فيه خلقت دوراً من محض خيالها وتفكيرها كما يتفق لنوابغ الممثلين من الرجال . وهكذا رأينا هذا الكاتب الكبير يجرد المرأة من مزايا الإبداع والإجادة حتى فى صناعاتها الخاصة بها ، كالطهى والوشى والزينة والخياطة ؛ فزعم أن الرجل

يبذها فيها وينافسها ، ونحن نقول إن فى عديد شاعرات الغرب قديماً وحديثاً ، وفى شاعرات العرب اللواتى – روى شعرهن أبو تمام وأبو نواس ، أو التى ينشرن القريض بلغة الضاد أو بلغة الفرنسيين – ما ينقض رأى العقاد ؛ وفى الأديبات المعاصرات من أحرزت جائزة نوبل التى ما أحسب الأستاذ العقاد يزهد فيها ، وفى النساء ممثلات كساره برنارد وراشيل ، ومصورات لا يحصى لهن تعداد ، أليس فيما أشرت إليه حجة بالغة عليه ؟ ونحن لم ننس بعد مرثيته لفقيدة الأدب فى الشرق الآنسة « مى » .

فعداوة العقاد إذن كعداوة الحكيم وكلاهما أديب أعزب وعن النساء بمعزل ، بل ما دار لدى الأول بين يديه فى صحن داره كما يذكر هو فى كتابه « عالم السدود والقيود » غير خادمه الساذج ، وما وقفت فى مطبخه طاهية ولا جارية ، بل لم تخطر فى فناء بيته وحجراته امرأة يدعوها بأم أولاده ، والحكيم يعيش مفرداً متجافياً عن المرأة ، وقد آثر مرة إلفة حمار كما قال عن نفسه فى كتابه « حمار الحكيم » . ويثور بالمرأة أديب آخر يمزح مزاحاً فيه حلاوة وفيه مرارة هو الأستاذ المازنى الذى يتندر على المرأة ويستهزئ بها فى كثير من قصصه ومقالاته ، حتى أن زوجته وبناته لا يسلمن من أهكوماته وزرايته . وأحسب هذه الضروب من الأدب العابث بالنساء أصبح لدى معشر من أدباء العصر أفكوهة الفن وطرفة التجديد ، وما المرأة فى هذا الزمان إلا مستيقظة من سبات ، ناهضة من خمول وهوان ، فعلام يحول أدباؤنا دون تحريرها ورقيها ، ويباهون بالعداوة لها والزراية عليها ، وكان الأولى لهم أن يعالجوا مشاكلها ويتفقدوها فى مجتمعاتهم ، ويجعلوا منها شريكاً فى حياة كاملة طيبة ، وما بال هؤلاء الأعداء – وما جادت الأيام بأندادهم إلا على هامات العصور – يسخرون أقلامهم للهدم والتحطيم ، وقد شرفها الله فأقسم بها وما كان مدادها إلا ليشرق من سواده نور الحق والخير على بياض الأوراق ؟ ليتهم سخروها لرعاية المرأة ورفعتها ، ولسوف تأتى الأجيال القابلة فينظر أهلوها فى آثار هؤلاء الناقين على النساء ، فيرون أن بعضهم كانوا لاهين مباهين بأدب لحمته وهم وخيال وسداه زهو وتحريف ، ينتزعونه أحياناً من الأساطير ويرددونه فى الأدب الحديث باسم الفن والتجديد لقوم حرام عليهم اللهو والهزل والدنيا جادة فى اقتحام الأمجاد وبناء الأجيال ، وهكذا نراهم غير جادين فى آرائهم أو مخلصين لدعواهم ، ولو كانوا يريدون للنساء خيراً ونفعاً لأنشأوا لهن أدباً يبصرهن ويعصمهن ويجمع قواهن فى قوة الرجال فما ينبغى أن يتخلفن عن مسايرتهم فى ركب الحياة

يقول الراسخون فى العلم والنافذون بأبصارهم إلى عالم الغيب : إن فى حياة كل أديب امرأة كان لها تأثير فى توجيهه ونبوغه ، وهذا ما ردده توفيق الحكيم منذ سنين : « فمن أفواهكم ندينكم » يا أعداء المرأة ؛ لولا نساء أظلمت عليكم قلوبهن فلم تدخلوها لما كانت عداوتكم ، وإذا دعوتم إلى تحقير المرأة والبطش بها فإن وراء دعوتكم تشفياً وانتقاماً ، فقد يكون الدهر ابتلاكم بأهواء الحسان ، أو بلوتم زيوف النساء فتجافيتم عن الخوالص الصحاح

ثم ابحثوا أيها المنصفون تاريخ السرائر والنفوس ، فلن تجدوا منذ حواء واحدة من النساء قد نصبت نفسها لعداوة الرجل ، ولو بحثتم عن أعداء النساء منذ آدم لوجدتم فيهم الكثير ، فخلوا عنكم أيها الأعداء ، وحسبكم تسفيهاً للمرأة وتجريحاً ، وعلام هذه البغيضة منكم والقطيعة ، فما العمر مديداً حتى يحتمل فيه الكدر والخصام ، ولا فيه صفاء يدوم لإنسان .

(دمشق) زوار سطا كبى

موكب الحسن . . .

مَوْكِبُ الْحُسْنِ تَهَادَى بَيْنَ أَرْجَاءِ الْحَيَاةِ
ضَاحِكَ الإشراقِ طَلْقَ السَّحْرِ وَضَّاحَ السِّمَاتِ
أَلْهَوَى رَنَّحَ عِطْفَيْهِ بِسَكْرَى الأُغْنِيَاتِ
وَالسَّنَا رَفْرَقَ مَسْرَاهُ كَأَمْوَاهِ الْقَنَاةِ
خُذْ مِنَ الْبَهْجَةِ بَاشَا عِرُ مَا شِئْتَ وَهَاتِ

هَذِهِ الْجَنَّاتُ مِلْءُ الْعَيْنِ سِحْرًا وَانْبِهَارًا
تَرْقُصُ الأَغْصَانُ فِيهَا رَقْصَ أَعْطَافِ السُّكَارَى
وَنَسِيمُ اللَّيْلِ هَفْهَا فٌ كَأَنْفَاسِ الْعَذَارَى
وَالنَّدَى سِرُّ اللَّيَالِي قَبَّلَ الزَّهْرَ جِهَارَا
وَالدَّيَاجِيرُ تَحَارِيبُ سُكُونٍ لِلْحَيَارَى

وَرَأَيْتُ الْحُسْنَ كَالْحَيْرَانِ يَغْدُو وَيَرُوحُ
أَطْلَقَ الصَّبْوَةَ تَجْرِي خَلْفَهُ لاَ تَسْتَرِيحُ ! !
وَالْهَوَى وَالْوَجْدُ فِي جَنْبَيْهِ نَارٌ وَجُرُوحُ
وَالضُّحَى واللَّيْلُ فِي كَفَّيْهِ أَسْرَارٌ تَبُوحُ
إِنَّ هَذَا الْكَوْنَ جِسْمٌ وَالْهَوَى لِلْجِسْمِ رُوحُ

كُلَّمَا أَبْصَرْتُ ذَاكَ الْبَدْرَ فَتَّانَ الْمُحَيَّا
وَالرُّبَا وَالْبِيدَ وَاللَّيْلَ وَعُنْقُودَ الثُّرَيَّا
وَالنَّدَى والزَّهْرَ وَالْغِيدَ وَأَكْوَابَ الْحُمَيَّا
قُلْتُ هَيَّا عَانِقِينِي يَا مَجَالِي الْحُسْنِ هَيَّا
وَتَعَالَيْ نَمْتَلِكْ نَا صِيَةَ الدُّنْيَا سَوِيَّا ! !

إِنْ تَبَدَّى الْحُسْنُ شَتَّى فَهْوَ فِي قَلْبِي جَمِيعُ !
أَوْ تَعَرَّى فَلَكَمْ يُكْسَى بِهِ الْفَنُّ الرَّفِيعُ !
يَا تَقِيَّ الْقَلْبِ غُضَّ الطَّرْفَ فَالْحُسْنُ خَلِيعُ ! !
لاَ تَسَلْنِي عَنْ شِتَاءِ النَّفْسِ وَالدُّنْيَا رَبِيعُ

كَيْفَ أَشْكُو الْجَدْبَ وَالأَمْحَالَ وَالْوَادِي مَرِيعُ ؟ !

الدُّنَى مُجَلَّى بَشَاشَاتٍ تَهَادَتْ فِي حُلاَهَا
وَالْبَرَايَا فِتَنٌ سَكْرَى بِأَحْلاَمِ صِبَاهَا
تَعْبُدُ الْحُسْنَ إِلَهًا حُرَّةً وَفْقَ هَوَاهَا
وَإِذَا مَا صَاغَكَ اللَّهُ شُعُورًا وَانْتِبَاهَا
أَحَرَامٌ أَنْ تَرَى فِي كُلِّ فَتَّانٍ إِلَهًا ؟ !

(كوم النور) أحمد أحمد العجمي

من شعر الأطفال

١ — الطيار الصغير

أنا طيّارٌ صغيرُ لستُ أخشى ما يضيرُ
أنا في الجوّ أطيرُ فوق هامات الرياحْ . . .

***

أنا طيّارُ بلادي أنا عُنوانُ الجهادِ
إنْ دعتْ مصر تُنادي قمتُ أسعى للكفاحْ . . .

٢ — البحار الصغير

أنا في الصبح أقومُ ثمّ في البحر أعومُ
أنا بحّارٌ عظيمْ كلُّ حيّ للحياهْ . . .

***

صاحبي النهرُ الجميلُ ليس لي عنه بديلُ
كلُّ ما فيه جليلُ مُثْبِتٌ فضلَ الإلهْ . . .

٣ — إخوتي الصغار

لي إخوةٌ صغارُ جميعُهُمْ أبرارُ
أُحبُّهم من مهجتي كذاك هُمْ أحبّتي
إن غاب يوماً والدي أصبحتُ مثل القائد !
إن سرتُ يتبعوني أوْ قلتُ يسمعوني
وهكذا الإخوانُ بفضلهم حنانُ . . .

(المنصورة) علي متولي صلاح



كلمة بريئة

الصلة بين الكاتب والقارىء ... توثقها روابط المحبة والصدق والمعرفة والإخلاص ... والكاتب الذى يعمل على إيجاد هذه الصلة بينه وبين قرائه كاتب فذ جدير بالاحترام ... ولعل الأستاذ الجليل الدكتور زكي مبارك يعد الكاتب الاجتماعى الأول الذى يعنى بهذه الصلة ... فليس همه إنشاء الأدب المحض ... يسكبه فى أرواحنا فناً يأخذ بالمجامع بل همه المجتمع الذى يعيش فيه يبحث فى مشكلاته ... ويناقش فى معضلاته ... ويشارك القراء أبحاثهم ويناقشهم آراءهم فى أدب جم ... وتواضع كريم . هذا هو الدكتور زكى مبارك .

ويبقى الأستاذ سيد قطب يريد أن يعرف رأى القراء فيه ... ولعلى أتطوع لإبداء رأيى فيه . لا من ناحية قيمة كتاباته من الناحية الفنية الأدبية فهذا أتركه لأساتذة الأدب وجهابذة البيان . ولكن من ناحية أسلوبه فى الخطاب والمناقشة مع الأدباء فهو مع الأستاذ مندور يعتمد على قلمه فى سب الرجل والأخذ بخناقه ظلماً طاعناً فى رجولته من أجل أدبه المهموس . والأدب شيء والرجولة شيء ... والفن هو الفن ... ومع ذلك فلم نر الدكتور مندور إلا ناقداً فنياً أعجب القراء بحثه وتعليله ونقده وتحليله وشرحه وتأويله ... ومعارك القلم عند القراء « عوامهم وخواصهم » لن تجدى فيها دعاية ولا حرب أعصاب أو حملة عمادها الشتيمة والسباب . لا بل القارىء يهمه الحجة والمنطق والأسباب ... ثم ماذا ؟ قرأنا مقال « أيها الأدباء أعصابكم » فإذا بنا ننتهى من المقال لنعيد قراءته . وقد لمسنا حسن التوجيه فى أدب ولباقة ... فإذا بالأستاذ قطب يهاجم الأستاذ دريني تحت عنوان غريب ما يصح صدوره من أديب : « تصحيحات واجبة فى الأدب والأخلاق » ، ثم قرأنا لنرى « تصحيحات » فإذا بنا نقرأ شيئاً آخر . فهل التصحيحات معناها اتهام الأستاذ دريني بالتحامل ... واتهام القراء بالعامية وأنه لا يتلقى معاييره الفكرية إلا من العوام وأشباههم ... صحيح أن الأستاذ قطب تلميذ العقاد . وهل فى هذا ما يغضب الأستاذ قطب . لا . الأستاذ قطب كاتب وأديب وشاعر وكل شيء ... والقراء يحبونه أن يظل هكذا بينهم ... وبقدر ما يحبونه يحبون آخرين ... فإذا شاء أن يبارك فبقلمه لا بلسانه . وبعد نقول للأستاذ : « أيها الأديب أعصابك » .

أحمد فهمى القاضى
المحامى

الأعراب

فى العدد (٥٣٠) من مجلتكم الغراء ورد اسمى فى رسالة مفتوحة من « أستاذ جليل » إلى رئيس تحرير مجلة آخر ساعة يشكونى فيها إليه لبعض ما كتبته بإمضائى

وقد فهمت مما كتبه الأستاذ الجليل — وقد فهمته بصعوبة لبلاغة اللغة التى كتب بها — أنه يتهمنى بالتجنى على إخواننا العرب لمجرد قولى فى سياق مقال : (كل هذه المدنية التى شيدناها لم تعجب الزائر الكريم ، وإنما أعجبته قطعة من الصحراء أقيمت عليها أصنام ، وقف حولها حمير وإبل وأعراب) ...

هذه الكلمة الصغيرة أغضبت الأستاذ الجليل ، واتهمنى من أجلها بأنى نسيت تاريخ العرب والنبي والإسلام ، ومن حرز مصر ومن هدي مصر والقواد والخلفاء العظام ... الخ ! نسيت كل هذا لأنى حاولت فى مقالى أن أصف صورة واقعية يراها كل من يدفع ثلاثة قروش ثمناً لتذكرة ترام يحمله إلى الأهرام ... صورة الإبل والحمير المعدة لنزهة السائحين ولهوهم ومن حولها أصحابها فعلا من الأعراب ، أو علي الأقل من المتزيين بزى الأعراب ، يلهثون وراء السائحين صائحين (بقشيش) !

وقولى : (أعراب) دون (ال) التعريف تعنى أننى أقصد بعض الأعراب لا الأعراب كلهم أو على الأصح ... لا أمة العرب كما فهم الأستاذ الجليل ...

وفى كل أمة ، سواء كانت عربية أم مصرية أم فرنسية ، ينقسم الشعب إلى درجات وطبقات . فلو قلت أن فى مصر ماسحي أحذية ؛ فليس معنى ذلك أن الشعب المصرى كله من ماسحي الأحذية . ولو قلت أن من الأعراب من يقف وراء الحمير والإبل ؛ فليس معنى هذا أن كل العرب يقفون وراء الحمير والإبل

إن العرب أمة من الأمم ... أمة لها مزاياها ولها عيوبها . ومن حقنا أن نذكر عيوبها بنفس الصراحة التى نذكر بها مزاياها أمة لها تاريخ مجيد ... ولكن التاريخ لم يعد يكفى لتقدير الأمم فى هذا الجيل .

إحسان عبد القدوس

من رسائل الرافعي : وحى القرآن باللفظ ، القراءات

وحى القرآن باللفظ أمر اختلفت فيه الفرق الإسلامية ؛ فللأشعرية قول ، وللمعتزلة رأى ، وللحنابلة مذهب . وثم فرق أخرى لها آراء مختلفة . ولا نطيل بذكر هـذه الآراء فليرجع إليها فى مظانها من يريد الوقوف عليها ، وأنت لو تدبرتها كلها لألفيتها مما لا يسكن إليه العقل ، ولا يطمئن به القلب . وقد فزعت إلى الرافعى وهو من أئمة البلاغة لعلى أجد عنده شيئاً يثلج الصدر ، ولـكنه على ما أتى من قول بليغ ، فإن النفس لا يزال فيها من هذا الأمر شىء

ولعلنا نجد من أئمة الدين ، أو من غيرهم من العلماء المحققين ، من يتولى بالبحث والتحقيق هذا الأمر الدقيق الذى يهم المسلمين جميعاً ، حتى نصل فيه إلى مقطع تسكن إليه النفوس القلقة ، وتستقر عنده العقول الحائرة

وهذا هو جواب الرافعى رحمه الله

يا أبا رية[1] : السلام عليك ، وبعد . فإنك سألتنى مسائل دقيقة ، تحتاج إلى الفكر وبسط الجواب وهذا ما لا قبل لى به فأنا مريض الدماغ حقيقة ، ولـكنى أجيبك بما قل ودل

أما سؤالك فقد كثر الـكلام فى جوابه ، والذى أراه أنا أن ألفاظ القرآن منزلة بحروفها ونسقها وإلا بطل الإعجاز ، لأن الإعجاز لا يكون إنسانياً ، وقد كان الوحى ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم فتعتريه حالة روحية وردت صفتها فى البخارى وغيره ، وبها ينزع من عالم الحس فتتجرد نفسه الشريفة ، فيرى الملك ويسمعه ويأخذ عنه ، ثم يفيق فيؤدى ما أوحى إليه بحروفه ، وهى حالة كانت شديدة عليه ولذلك تسمى (برحاء الوحى) ، وكان جسمه صلى الله عليه وسلم يثقل فيها جداً ويتصبب عرقاً ، إلى آخر ما ورد فى صفتها مما يدل على ما تلقى نفسه الشريفة فى تجردها وما يلقى الجسم فى هذا التجرد ، ولا يمكن فى مثل هذه الحالة أن يكون للانسان وحى وفـكر يؤلف به نسقاً فى الـكلام كما توهمت ، لأن هذا التأليف من أعمال المخ ، ولو أمكن أن تكون الألفاظ من عنده صلى الله عليه وسلم لظهر فيها أسلوبه قليلاً أو كثيراً ؛ ولما كان فى حاجة إلى نزول القرآن آية فآيتين إلى عشر ، بل كان يحدث عن المعنى الذى ينطبع فى روحه جملة واحدة ، وفوق ذلك فهذه حالة تستدعى وقوع التفاوت فى أجزاء القرآن وهو غير واقع ، وأظنك لم تقرأ الجزء الثانى من تاريخ آداب العرب ففيه كل شىء ما عدا كيفية نزول الوحى ، لأنى لم أتعرض لها إذ أردت أن يكون كتابى مقنعاً للمؤمن وغير المؤمن فجئت به من جهة العقل فى كل فصوله . ومن أجل ما بينت لك جزم العلماء كلهم أنه لم ينزل شىء من القرآن مناماً ، لأن النوم حالة يستوى فيها الناس لتجرد أرواحهم

أما اختلاف القراءات أحياناً فى بعض الألفاظ فهو أدعى للإعجاب والإعجاز لا كما ظننت ، لأن ملهم اللغة ومقسمها فى ألسن العرب على اختلاف قبائلهم أنزل ألفاظ القرآن بطريقة يمكن لهذه الألسنة على تفاوت ما بينها أن تتلوه . ومن المعلوم أن العربى يجمد على لغة واحدة وبعض العرب لا يستطيع أن ينطق غير لغته مطلقاً ، كما تراه فى الجزء الأول من التاريخ ، فـكانت القراءات لهذا السبب وكلها راجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو تلقاها كذلك عن جبريل عليه السلام ؛ ما عدا القراءات الشاذة والضعيفة مما نبه عليه العلماء

أنزل الله القرآن لهداية العرب وإفحامهم به ، فـكان من الواجب أن تـكون تلاوته متيسرة لهم على السواء ، وهذا لا يتأتى إلا مع أوضاع فى بعض الحروف ، وهذه الأوضاع هى القراءات ؛ فمن من العرب كان يستطيع أن يؤلف لـكل هذه القبائل كلاماً واحداً لا يعسر على ألسنة قبيلة من قبائلهم إلا أن يكون فى الناس يومئذ إلـه لغوى ... ؟

من هذا ترى أن القراءات هى معنى من معانى الإعجاز انتبه إليه العرب ولا يمكن أن يدركه غيرهم ممن جاءوا بعدهم ، ولهذا لا أستحسن فى رأيى أن يقرأ بها الناس اليوم على اختلافها ، إذ لا حاجة إلى ذلك بعد أن اجتمعت الألسنة على لغة واحدة ، وقد ظهرت للقراءات فائدة تحقق معنى الإعجاز فيها ، وهى تسهيل التلاوة على بعض أصحاب الألسنة المعوجة كالمغاربة ونحوهم . أما فى مصر فلا حاجة إليها

هذا ما يحضرنى وأظننى كتبت فى الجزء الثانى فى هذا المعنى ما فيه كفاية . أما صحتى فهى هى ، ولى رغبة شديدة إلى الـكتابة والعمل ، ولـكن الطبيب ينهانى عن ذلك ، لأن الدماغ مريض ، ولله الأمر أسأله تعالى أن يعيد على عافيتى ويزيدها .

والسلام عليكم ورحمة الله . (مصطفى)

(المنصورة) محمود أبو رية

(١) لمـا توثقت عرى الصداقة بينى وبين الرافعي كان يكتنى فى رسائله لى بذكر كنيتى فحسب وقد ذكروا أن من الاكرام الدعاء بالـكنية قال رسول الله (ص) لصفوان بن أمية أنزل (أبا وهب) (أبو رية)

تنبيه وتنبيه

كنت قرأت فى مقال للأستاذ الفضال محمد عبد الغنى حسن (ع ٥٢٦ من الرسالة) إشارته إلى قول الشاعر :

إذا كنت فى حاجة مرسلاً فأرسل حكيما ولا توصه

ثم نصه على أن ذلك من قول (شاعر إسلامى) . وأحب أن أذكر هنا أن نسبة هذه القصيدة إلى قائلها أمر مختلف فيه ، ولكن الأستاذ الجليل أحمد يوسف نجاتى ينسبها إلى (الزبير ابن عبد المطلب) عم الرسول عليه الصلوات فى ترجمة طويلة كتبها عنه بالعدد الصادر فى يناير عام ٩٤٠م من صحيفة دار العلوم . فقد أورد الأستاذ القصيدة ثم قال :

« قد ينسب بعض الرواة شيئاً من هذه الأبيات إلى عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ولكن الثقات ينسبون الأبيات كلها إلى الزبير بن عبد المطلب » . وأورد تأييداً لذلك ما جاء فى جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى من تأكيد نسبة الأبيات إلى الزبير

فهذا أحد التنبيهين أتوجه به إلى الأستاذ النابغة محمد عبد الغنى حسن . أما التنبيه الثانى فأخص به أستاذنا الجليل (نجاتى) فهو قد ذكر فى مقاله ـ الذى أشرت إليه ـ عن الزبير أبياتاً للأخطل فى وصف الخمر جاء فيها :

كمت ثلاثة أحوالٍ بطينتها حتى إذا صرحت من بعد تهدار
آلت إلى النصف من كلفاء أترعها علجٌ ولثمها بالجفن والغارِ

ثم قال : كمت جمع كميت وهو الأسود . وجمع على فعل لتوهم واحد له على وزن أفعل . ثم استطرد الأستاذ إلى تعليل تسمية الخمر كميتاً ، وحدد صفة هذا اللون بين الألوان . وأقول إنه يبدو لى أن صحة الكلمة فى البيت : كُمِّتْ ثلاثة أحوالٍ . أى بالبناء للمجهول من الفعل (كَمَّ) بمعنى غطى وستر ، فالشاعر يريد أن هذه الخمر غطيت بالطين فى راقودها ثلاثة أعوام كوامل حتى صرحت وتكشف عنها زبدها ... إلى آخر ما ينص عليه من معنى . هذا وللأستاذين منى عظيم التحية ووافر التقدير

(جرجا) محمود عزت عرفة

دراسات عن مقدمة ابن خلدون

نعلن إلى الأدباء الأفاضل الذين طلبوا من إدارة الرسالة كتاب (دراسات عن مقدمة ابن خلدون) للعلامة الكبير الأستاذ ساطع الحصرى ، أن مؤلفه الفاضل لم يستطع إصداره إلى مصر ولا إلى غيرها من البلدان ، لأن السلطات اللبنانية والسورية تحظر ذلك فى الوقت الحاضر . وبهذه المناسبة نذكر أننا أخطأنا تقدير الثمن لهذا الكتاب القيم ، فإنه يباع فى لبنان وسورية بست ليرات سورية ، وهى تساوى بالعملة المصرية ستين قرشاً ، وهو مبلغ لا يزال ضئيلاً فى جانب ما تكلفه الكتاب من الجهد فى إعداده ونشره

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 533 | Lundi - 20 - 9 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٥٣٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ رمضان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهــرس

صفحة
٧٤١ واجب الكاتب المصرى ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٧٤٤ الحديث ذو شجون : إلى عمداء الكليات . عتاب لبناني . ترفق بنفسك يا صديقى التاريخ الأدبى ... ... : الدكتور زكى مبارك ...
٧٤٧ نشأة الدرامة الانجليزية ... : الأستاذ دريني خشبة .. ...
٧٥٠ اللغة العربية .. .. : الأستاذ محمد عرفة ... ...
٧٥٢ عمر ابن الفارض ... . . : الأستاذ يوسف يعقوب مسكونى
٧٥٤ الاسلام والفنون الجميلة ... : الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق
٧٥٦ الجسر العباسى ... .. : الأستاذ ميخائيل عواد ..
٧٥٩ رسالة المساجد والنهوض بها : ... ...
٧٧٩ حول « ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر » ... . : الأديب إحسان عبد القدوس

واجب الكاتب المصرى

للأستاذ عباس محمود العقاد

للدعوة إلى مذهب من المذاهب الاجتماعية أو السياسية طريقان :

أحدهما طريق صريح ، وهو التنويه بفضائل المذهب الذى تدعو إليه ، وتجريد المذاهب التى تخالفه من أمثال هذه الفضائل

والطريق الثانى غير صريح ، وهو الإكثار من ذكر العيوب التى يفهم القارىء أنك توجهها إلى نظام اجتماعى بعينه ؛ ثم السكوت عن إسناد أمثال هذه العيوب إلى الأنظمة الأخرى ، كأنها براء منها

فإذا كنت تعيش فى ظل الديمقراطية وأكثرت من الكلام عن البطالة والجوع والمرض وغيرها من العيوب الاجتماعية ، فقد يفهم القارىء من ذلك أنك تقدح فى الديمقراطية ولا تمس غيرها بمثل ما تعيبه عليها

ويسرى هذا الفهم إلى ذهن القارىء فى الزمن الذى نعيش فيه خاصة ، لأنه زمن الصراع بين المذاهب الاجتماعية والأمم التى تدين بكل منها ، حتى جاز أن يقال إن نتيجة الحرب الحاضرة هى نتيجة الصراع بين هذه المذاهب على صورة من الصور ، وأهمها الديمقراطية والشيوعية والنازية وزميلتها الفاشية كما هو معلوم

فالكاتب الذى ينقد العيوب الاجتماعية فى النظام الديمقراطى يجب أن يشير إلى أمثالها فى النظم الأخرى ، إلا إذا كان من قصده أن يبشر بتلك النظم من طريق الإيحاء على العيوب الديمقراطية

والذين يذكرون البطالة ومتاعب الفقراء من كتابنا يجب عليهم أن يقرروا الحقيقة التى لا شك فيها إن كانوا يؤمنون بها ، وهى أن المذاهب الأخرى لم تعالج هذه المشكلة علاجا أفضل من العلاج الذى تهتدى إليه الديمقراطية ، ولا تزال تسعى إلى تحسينه ، وإلا كان إلصاق هذه المشكلة بالديمقراطية وحدها مخالفاً للحقيقة ومخالفاً للقصد السليم

أما الحقيقة التى لا شك فيها ، ولا حاجة بها إلى الإطالة فى البيان ، فهى أن النظم الاجتماعية الأخرى قد فشلت فى علاج مشكلة البطالة والفقر ، ولم توفق إلى علاج لها يضمن دوامه وتحمد عقباه

فالبلاد الألمانية مثلاً قل فيها عدد العاطلين قبل الحرب الحاضرة ، واحتاجت إلى الأيدى العاملة من بلاد أجنبية

ولكن الفضل فى ذلك لا يرجع إلى المذهب الاجتماعى الذى غلب على البلاد الألمانية وهو النازية ، وإنما يرجع إلى تسخير الأيدى كلها فى صنع السلاح والذخيرة ، وتقسيم الشبان بين جنود يعملون فى الجيش ، وعمال يصنعون لهم أدوات القتال

والنازية عدو الشيوعية كما هو معلوم ، وبين المذهبين من الخصومة مثل ما بين الأمتين الجرمانية والروسية ، ولكن الروسيين قد استطاعوا فى السنوات الأخيرة ما استطاعه الألمانيون من إقلال عدد العاطلين ، ولا فضل فى ذلك للمذهب الاجتماعى الذى يدينون به وهو الشيوعية ، وإنما الفضل فيه للتجنيد وتحويل الكثير من المعامل إلى مصانع للذخيرة والسلاح

فاشتغال المصانع بالتسليح هو سبب القدرة على إقلال عدد العاطلين ، سواء كانت البلاد التى تدير مصانعها لهذا الغرض شيوعية أو نازية ، أو كائناً ما كان المذهب الاجتماعى الذى تدين به وتقيم الحكومة على أساسه

وليس بالديمقراطية من عجز عن هذه القدرة ، ولا تقصير فى هذا المضمار

بل هى أقدر من النازية والشيوعية معاً على تشغيل الملايين فى المصانع والمزارع حين تحتاج إلى المؤونة والسلاح

وعدد الصناع الذين يعملون اليوم فى البلاد الديمقراطية يربى على عمال النازيين والشيوعيين مجتمعين

والأجور التى ينتفعون بها أفضل وأقوم من الأجور التى تصل إلى أيدى الصناع فى البلاد الألمانية والروسية

فتدبير العمل من طريق التسليح فضيلة لا يختص بها مذهب من المذاهب الاجتماعية على اختلافها

وليس هو حلاً صالحاً للمشكلة الاقتصادية التى تواجه الأمم فى أيام السلم أو أيام الاشتغال بالتعمير والبناء

بل هذا الحل الوبيل هو البلاء الذى يهون إلى جانبه بلاء البطالة وإن ترك بغير علاج

إذ ليس من حلول العقلاء أن تطعم العاطلين فترة من الزمن طعاماً فيه الغنى أو ليس فيه غنى على الإطلاق ثم ترسلهم بعد ذلك إلى الذبح بالملايين من مختلف الميادين

وليس من حلول العقلاء أن تنكشف الحرب فى البلاد المهزومة عن أضعاف من كانوا بها من العاطلين وهم عاطلون وبهم من البلاء ، فوق بلاء التعطيل ، تشويه وتشريد وتنكيل

هذا دواء أهون منه الداء

هذا هو الجنون الذى يؤدى إليه سلب الحرية وتسخير الشعوب المغلولة كما تسخر الأنعام

وشفاء هذا الجنون أن تعالج الأمور على أساس التعاون بين الطبقات والتعاون بين الأمم والتعاون بين الحكومات

وهذا الذى تحاوله الديمقراطية وترجو أن تبلغ فيه بغيتها من التوفيق والنجاح

فإذا نجحت فذلك نجاح الإنسانية ، وإذا فشلت فذلك فشل الإنسانية التى لم تتمخض بعد عن مذهب أصلح من الديمقراطية لعلاج هذه المشكلات

لكن البوادر تدل على الخواتيم

والبوادر كما نشاهدها فى برنامج « بيفردج » أو ما شاكله من البرامج أدعى إلى التفاؤل من جميع هاتيك المواعيد الكاذبة التى تمنينا بها مذاهب التدمير والعداء ، سواء قام العداء بين

الطبقات أو بين الأجناس البشرية من مختار فى زعم أصحابه وغير مختار !

فالخطة الديمقراطية ترمى إلى تحصيل الضرائب الكافية من موارد الشركات والأفراد ، وإنفاق هذه الضرائب على معونة الشيخوخة ومعونة الطفولة ومعونة العاطلين كما قضت بعطلهم ضرورات المجتمع الذى يعيشون فيه

وهذه هى الخطة المثلى التى تجمع بين المطالب المأثورة فى المذاهب الاجتماعية على تناقضها

فهى تقيم المجتمع على التعاون وتعفيه من أوضار الحقد والبغضاء بين هذه الطبقات

وهى تطلق الأيدى فى التنافس والتسابق وترفع عن الناس وصمة الحجر الذى يتركهم مسخرين مقيدين كنزلاء السجون أو نزلاء الملاجئ والمستشفيات

وهى فى الواقع ترد كل شيء إلى الأمة كأنها تقرر مبدأ الملكية العامة من طريق غير الطريق الذى يتوخاه الشيوعيون ، لأن الأغنياء أصحاب الضياع والمصانع لا يبقى لهم من ثمرات أملاكهم بعد الضرائب التى ترتقى إلى تسعة أعشار الدخل فى بعض الأحيان إلا نصيب كنصيب الموظف فى شركة أو ضيعة يديرها لحساب مالكها الأصيل . ومزية هذه الطريقة على الطريقة الشيوعية أنها تبقى فى الأفراد عزيمة المنافسة والاستقلال والطموح إلى الامتياز ، وأنها مع ذلك ترد الثروة كلها إلى الأمة لتنفقها على سنة التعاون بين الطبقات

وتلك مزية الخطة الديمقراطية .

وفوق ذلك مزية الحرية وهى مناط الكرامة الإنسانية .

ومن الثرثرة الفارغة أن يصيح الصائحون كلما ذكرت لهم حرية الديمقراطية : نعم ! ولكن ماذا تغنى الحرية مع الجوع ؟ وماذا نصنع بالحرية والبطون خاوية ؟

هذه ثرثرة فارغة يلفظ بها بعضهم حسنة نياتهم بريئة مقاصدهم ، ويلفظ بها الآخرون وهم يعلمون أنهم مكابرون وأنهم يخاطبون معدات الجهلاء ولا يخاطبون رؤوس العقلاء .

فمن الذى قال مثلاً إن الحرية لا تكون بغير جوع ؟ ومن الذى قال إن الديمقراطية فرضت خواء البطون على جميع الأحرار ؟

ومن الذى قال إن المذاهب الأخرى قد سلبت الحرية وحلت مشكلة الجوع ؟

فالذى رأيناه أن المذاهب الأخرى حلت مشكلة الجوع بالموت والخراب ، وأنها تخرج من الموت والخراب إلى بطالة أخرى شر على الأمم من البطالة الأولى ، ثم لا محيص لها فى نهاية المطاف من حل المشكلة على الخطة الوحيدة التى يضمن لها الدوام وتؤمن بعدها العقبى ، وهى خطة الديمقراطية كما نتمثلها الآن وكما يرجى لها من التقدم بعد التجارب المنظورة

فالذين يقولون : ماذا تغنى الحرية مع الجوع ينبغى أن يدلونا على المذهب الاجتماعى الذى سلب الحرية وأراح الناس من مشكلة الجوع ؟

أما وهم لا يستطيعون ذلك فعليهم أن يذكروا هذه الحقيقة ولا يغفلوا عن التنبيه إليها ، ما داموا لا يريدون الدعوة إلى بعض المذاهب من طريق التشهير بالعيوب وحصرها فى النظام الاجتماعى الذى يعيشون فيه

إن الحرية مع الجوع لا خير فيها

وإن الشبع مع الاستعباد وزوال الكرامة الإنسانية كذلك لا خير فيه

وإنما الفارق بين القولين أن زوال الحرية فى ظل الشيوعية والنازية محتوم ، ولكن الجوع فى ظل الديمقراطية ليس بمحتوم ولا هو من المبادىء التى تدخل فيها كما تدخل الاستهانة بحرية الفرد فى صميم المبادىء الشيوعية والنازية

وهناك فارق غير هذا الفارق بين القولين : وهو أن الشبع غاية حيوانية ، وأن كرامة الحرية غاية إنسانية ، وكفى بالديمقراطية فضلاً أنها تخاطب الإنسان ولا تخاطب الحيوان ، وأنها تعامله معاملة المكلف الرشيد ولا تعامله معاملة القاصر الذى تشرف عليه الحكومة وتخدعه عن كرامته بأحاديث الشبع والجوع ، وهي لا تكفل له الشبع ولا تريحه من الجوع ... بل تخاطب المعدات لأنها عاجزة عن خطاب العقول .

عباس محمود العقاد

حكم فى الجنحة ٢٢٣ عسكرية باب الشعرية سنة ١٩٤٣ بحبس كل من أحمد على حسانين وعامر مصطفى ثلاثة شهور مع الشغل وغرامة ١٠٠ جنيه والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لأنهما صنعا أرغفة من الخبز تقل فى وزنها عن الوزن القانونى

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

إلى عمداء الكليات — عتاب لبنانى — ترفق بنفسك يا صديقى — التاريخ الأدبى

إلى عمداء الكليات

هذه كلمة أسوقها برفق إلى عمداء الكليات بجامعة القاهرة وجامعة الأسكندرية ، وأنا واثق بأن ما يَرِد فيها من المعانى قد دار بخواطر أولئك العمداء

سمعنا وقرأنا أن رجال الجامعة هنا وهناك يرون قبول الطلبة العرب بدون نظر إلى تفاوت الدرجات فى شهادة الدراسة الثانوية ، وهذا واقع بالفعل ، وفيه دلالة صريحة على تشجيع التعليم العالى ، وتقوية الروابط بين مصر وشقيقاتها فى الشرق

فما الذى يمنع من أن ينتفع الشبان المصريون بذلك الامتياز اللطيف ؟

أليس من العجيب أن تكون الجنسية المصرية عائقاً يمنع بعض الشبان من الانتفاع بما يتمتع به سائر زملائهم من الطلبة العرب ؟

هل يجب على الشاب المصرى أن يسارع فيتجنس بالجنسية العراقية أو السورية لينجو من تلك القيود ؟

الشبان فى مصر وفى سائر الأقطار العربية إخوة ، فما الموجب لتمييز فريق على فريق ؟

وكيف يجوز أن يكون من حق الشاب المصرى أن يلتحق بأى جامعة أجنبية ولو كان آخر الناجحين فى امتحان البكالوريا ولا يكون من حقه أن يلتحق بجامعة مصرية إلا إن كان فى الرعيل الأول من الناجحين ؟

وبأى حق يكون ترتيب النجاح فى امتحان البكالوريا هو الفيصل فى تقدير المواهب ؟

يجب أن نعرف أن الشاب الذى يجوز امتحان البكالوريا بأى صورة معرَّض لتطورات كثيرة جدًّا ، لأنه لا يزال فى طور التكوين ، فقد يتحول إلى جذوة من النشاط لم تمرَّ به فى مراحل التعليم الابتدائى والثانوى . ويجب أن نعرف أن تمكين الشاب من التعليم العالى قد يضع أمام عقله مسئوليات تنقله من حال إلى أحوال . ويجب ثم يجب أن يتذكر رجال الجامعة أن فى التعليم العالى فرصاً كثيرة لإذكاء العقول ، وهى فرص لا يجوز تضييعها على أى شاب ، ولو شهدت درجاته بأنه كان فى التعليم الثانوى من المتخلفين

لا يجوز أن ننسى أن البكالوريا المصرية أصعب من مثيلاتها فى جميع البلاد ، وفوز الشاب فى هذه البكالوريا بأى صورة دليل على أن فيه خصائص عقلية تؤهله لاجتياز الصعب من باقى مراحل التثقيف

لم يبق إلا أن نتقى الله فى أبنائنا فلا نؤاخذهم بتقصير لا ذنب لهم فيه ، ويكفيهم فوزاً أنهم زُحزِحوا عن نار الرسوب

قلت مرات إنه يجب حتماً أن تكون مرحلة التعليم الثانوى هى المرحلة النهائية فى إعداد الشاب للحياة ، وهى لم تصر كذلك إلى اليوم ، فلنساعد أبناءنا على ما يطمحون إليه فى التعليم العالى ، ولنجُد عليهم بما نجود به على إخوتهم الوافدين من أقطار الشرق

هل تصل هذه الكلمة إلى قلوب عمداء الكليات ؟

عتاب لبنانى

كان الأستاذ محمد عبد الغنى حسن نشر فى « الرسالة » كلة دعا بها الأستاذ إلياس أبو شبكة إلى كتابة كلة فى التعريف بالشاعر نجيب إليان ، فردّ الأستاذ أبو شبكة فى « الجمهور » ردًّا يتلخص فى أنه مع إجلاله واحترامه للأستاذ الزيات لن يكتب كلمته للرسالة ، لأنها كسائر المجلات المصرية لا تلتفت إلى الحركة الأدبية القائمة فى لبنان

وأقول إن هذه النغمة — كما يسميها الكاتب نفسه — نغمة جديرة بالسماع ، وهى تتيح فرصة جديدة لتبديد شبهة قديمة تعبت أقلامنا فى تبديدها عدداً من السنين ، ثم ظلت حية لا يعتريها الموت ، كأنها أفعى بسبعة رؤوس !

ثم أقول إن إغفال المجلات المصرية للحركة الأدبية فى لبنان أو غير لبنان من أقطار اللغة العربية لا يرجع إلى نية صحيحة أو عليلة ، وإنما هو فرع من الإغفال العام للحركة الأدبية فى الديار المصرية . فجرائد مصر ومجلاتها تسكت عما يصدر فى مصر نفسها من الآثار الأدبية والعلمية ، بحيث يمكن القول بأن الحديث عن المؤلفات الجديدة لم يعد له فى جرائدنا ومجلاتنا مكان

وقد صار هذا الإغفال فى حكم القواعد المرعية ، مع الأسف .

ولم نجد من ينبه إلى أن له عواقب فى إخماد النشاط الأدبى فى مصر ، ولم نجد من يثور على هذا الشح فى تشجيع من يبذلون قواهم فى التأليف ، مع أن الكلام عن المؤلفات الجديدة يُعدّ باباً من توجيه الجيل الجديد إلى ما يجب أن يقرأ أو يتجنب من جديد المطبوعات

وأنا نفسى راعيت هذا الإغفال ، فقررت أن أغفل إهداء مؤلفاتى إلى الجرائد والمجلات ، لأنى أكره إحراج زملاء ليس فى نيتهم أن يلتفتوا إلى التأليف والمؤلفين ، واكتفيت بالإعلان عن مؤلفاتى بالفلوس ، إن احتاجت إلى إعلان

نقد الكتب قد انقرض فى مصر . النقد الذى يبرز محاسنها قبل أن يبرز مساويها ، النقد الذى يراعَى فيه خلق صديق للمؤلف ، أما النقد الأثيم فهو بحمد الله موجود !

وكان من عادتى فيما سلف أن ألتفت إلى المؤلفات الجديدة ، فكنت أخصها بصفحات فى جريدة البلاغ ، ولكنى لم أجز على تلك الجهود بغير الجحود ، فإن أثنيت على المؤلف قيل تقريظ ، وإن حاسبته قيل عدوان ، وكانت النتيجة أن أعفى نفسى من عناء ليس له فى مصر جزاء

وما جرى لى جرى مثله لكثير من النقاد ، فانصرفوا عن نقد الكتب إلى غير مَعاد . وستظل الحال كذلك إلى أن نجد من الشجاعة ما ندوس به جميع الأهواء فنقول كلمة الحق فى المؤلفات الجديدة بأن توضع فى الميزان ، غير مبالين بالقراء والمؤلفين

فى هذه اللحظة تذكرت أنى لا أقول كلاماً جديداً ، فقد نشرت لى مجلة المكشوف فى العدد الخاص بمصر مقالاً عما صار إليه النقد الأدبى فى بلادنا ، فاعذرونا إذا فرطنا فى حقوقكم الأدبية ، فقد فرطنا فى حقوقنا الأدبية ، وما ظلمك من ساواك بنفسه فى الإجحاف !

وأنا بعد هذا أرجو أن يكون فى هذه الكلمة مقنع لمن يتهمنا ظلماً بالتغاضى عن الحركات الأدبية فى سائر البلاد العربية

ترفق بنفسك يا صديقى

رأى قراء الرسالة أن السيد حسن القاياتى عادانى من غير موجب للعداء ، وساق إلىّ ألفاظاً لا تصدر عن صديق ، مع أنى لم أسىء إليه فى سر ولا علانية . وكانت حجته أن ناساً حدثوه أنى قلت فيه كيت وكيت ، وهو يعرف أنى أبالغ فى إكرام أصدقائى ، وأنى لا أتعرض لأعدائى بكلمة مؤذية ، إلا إن حاربتهم فى الجهر لا فى الخفاء

والآن ، ما ذا يريد السيد حسن القاياتى ؟

أيريد أن أجزيه إثماً بإثم ، وعدواناً بعدوان ؟

أنا حاضر وفى يدى قلمى ، ولكنى لا أشترك فى حرب يكون فيها الغالب أسوأ حالاً من المغلوب ، فترفق بنفسك يا صديق ، واذكر عهوداً يذكرها كرام الرجال

تقول إنك كنت شاعراً كبيراً يوم كنت أنا طفلاً يلعب ، فما قيمة هذه الحجة يا عضو المجمع اللغوى ، كما ذيلت سمك ؟

هل كان يجب أن أسبقك إلى الدنيا لأسبقك إلى الأدب ؟

وما ذا أفدت أنت من سبقك اللطيف بحكم شهادة الميلاد ؟

وما ذا أفادت جهودك الشعرية فى نصف قرن ، وأنت الذى صرحت بأن باكورتك ظهرت قبل نصف قرن ، يا عجوزاً سبقنى إلى الوجود ؟

اترك هذه الحجة الواهية ، إن كنت تريد الحِجَاج

ثم ما ذا ؟ ثم طاب لك أن تتحدانى وتتحدى الأستاذ العقاد بكلمتين جارحتين ، وهذا ظلم منك ، فالعقاد يملك فى محاسبتك ما لا أملك ، لأنه ليس لك بصديق ، فهو لا يبالى تجريحك ، ولا يؤذيه أن تبيت معصوب الجبين

أما أنا فأتردد ألف مرة قبل أن أصوّب رمحى إلى صدرك ، وقد يرضينى أن أسكت عنك ، لأنجو من محاسبة الضمير على إيذاء الصديق

أتقول إنك أعظم منى ؟ هو ذلك يا أخى !

أيؤذيك أن أكون أشهر منك ؟ إن كان ذلك فأنا أخلع الشهرة عليك ! خذ هذه الشهرة ، خذها ، فقد آذتنى أعنف الإيذاء .

وما رأيك فى الصديق الذى يجازف بصداقة دامت عشرين سنة أو تزيد ؟

ما رأيك فيمن يشتم أخاه فى مجلة مثل الرسالة وهو يعلم قيمة صوتها فى الشرق ؟

لقد ظهر السر فى إخفاقك ، وهو أنك رجل بلا قلب

إن كان لك بعد اليوم حياة أدبية فهى من صنع يدى ، فأنا الذى أغضبتك على كسلك ، وأنا الذى رفعت النقاب عن قلبك المَفقوق ، ولن أتركك أو تصير أديباً يعتز بحاضره لا بماضيه ، فما يعتز بالماضى غير الفانين

هل تذكر هذا الجيل ؟ لقد سوّيت من قبلك ناساً فجحدوا جميلى وادعوا أنهم نظرائى ، فكن أنت خاتم الأوفياء ياعقوق .

للتاريخ الأدبى (١)

فى سنة ١٩١٧ رفضت وزارة الحقانية أن يستمر الشيخ محمد الخضرى بك والشيخ محمد المهدى بك فى التدريس بالجامعة المصرية ، وكانا أستاذين بمدرسة القضاء الشرعى ، وهى يومئذ تحت إشراف وزارة الحقانية ، فبحثت الجامعة عن أستاذ للتاريخ الإسلامى لا تسيطر عليه الحكومة ، فظفرت بالأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار ، وكان قريباً للشيخ الخضرى ، فقد كانا فى الأدب والتاريخ فرَسَىْ رِهان

ولكن أين من يخلف الشيخ المهدى ؟

ذلك سؤال وجهه الأستاذ محمد بك وجيه سكرتير الجامعة فى ذلك العهد إلى الشيخ عبد الرحمن الحلاوى أستاذ الشريعة الإسلامية بقسم الحقوق ، فدله على الشيخ مصطفى القاياتى ، أحد أساتذة الأدب بالأزهر الشريف

وفى عصر يوم سمعت صوتاً ينادينى وأنا فى طريقى إلى الجامعة فالتفت فرأيت الشيخ مصطفى القاياتى ، وانتحينا ناحية فى قهوة بميدان الأزهار ليدور هذا الحديث :

— هل تهمك سمعة الأزهر ؟

— تهمنى جداً

— وتهمك سمعة الجامعة ؟

— بلا ريب

— إذن يمكن أن أعتمد عليك إذا قبلتُ اقتراح الجامعة ؟

تقترح أن أكون خلفاً للشيخ المهدى فى تدريس الأدب العربى ، وقد فكرت كثيراً فيمن أعتمد عليه فى معاونتى فلم أجد غيرك

— هل أعطاك سكرتير الجامعة منهاج المحاضرات لهذه السنة الدراسية ؟

— هذا هو

نظرت فى المنهاج — وكان من وضع الشيخ المهدى — فوجدتنى أقدر على إنجازه بلا عناء ، فأشرت على الشيخ مصطفى بالقبول ، فمضى وأمضى العقد فى الحال

(١) الغرض من هذه الكلمة تسجيل تاريخ صحيح أراد بعض الناس أن ينالوا منه بالتحريف

شذوذ غريب !

كان الشيخ مصطفى القاياتى من أخطب الخطباء فى عصره ، كان يخطب ساعة أو ساعتين بلا تلعثم ولا توقف ولا تحبّس ، وكان لا يلحن أبداً وهو يخطب ، ومع هذا كانت الكتابة عسيرة عليه عسراً لا يطاق ، فما كان يسهل عليه إنشاء مقال ، ولا كان فى مقدوره تحرير خطاب

والذى سمع الشيخ مصطفى خطيباً لا يصدق هـذا القول ، فقد كان خطيباً ثجّاجاً ، خطيباً عرفته منابر الحزب الوطنى قبل أن تعرفه منابر الوفد المصرى ، فكيف يصعب عليه الإنشاء وكان فى الأزهر معلم إنشاء ؟

يرجع إلى أنه نشأ واعظاً وكان أهله من الواعظين ، فقويت عنده ملكة الخطيب الفصيح ، وضعفت عنده ملكة الكاتب البليغ

هل أنسى يوم أنابه الوفد المصرى فى تأبين الشهيد محمد فريد ؟

لقد ألقى خطبة جيدة جداً ، ألقاها مرتجلاً وهو يجهل أن جريدة اللواء المصرى ستطالبه بالنص ، لأن خطبته هى كلمة مندوب الوفد المصرى فى تأبين الرئيس الثانى للحزب الوطنى

عند ذلك دعانى لقضاء لحظة فى تحرير الخطبة ، فأنشأتها فى حدود ما قال ، إلا عبارات تأباها السياسة الحزبية ، ولكن محرر جريدة اللواء كان أعظم فأضاف إلى الخطبة كلمات قالها الخطيب ولم يسجلها نائب الخطيب !

وتمثل هذا الشذوذ فى معرفة الشيخ القاياتى بتاريخ الأدب العربى ، فقد كان برغم فصاحته الخطابية لا يفرق بين عصر وعصر ، ولا يعرف الحدود بين مراحل التاريخ

كان الشيخ مصطفى ذكيًّا جدًّا ، ولكنه كان قليل الاطلاع ، فكان من الصعب أو من المستحيل أن يخلف الشيخ المهدى فى تدريس الأدب العربى .

أستاذ بالروح

لم يكد الشيخ مصطفى يطمئن إلى معاونتى حتى شعرت بأن واجبى أن أحفظ سمعة الأزهر والجامعة المصرية ، فشرّقت فى تاريخ الأدب وغرّبت ، وأعددت أربعين محاضرة لو نشرت اليوم لكانت غاية فى دقة البحث ونضارة البيان ، وهى لا تزال

في حيازة الأستاذ يوسف القاياتي ، فتى ينفض عنها غبار النسيان ؟

والمهم أن أسجل أن حرصي على الصدق في أن تصان سمعة الشيخ مصطفى من لغو اللاغين فرضت على أن أجمل محاضراته في قوة محاضرات الشيخ المهدي

وقد نجحت ونجحت ، وكانت جهودي في تلك السنة ذخيرة باقية لحياتي الأدبيـة ، فقد استقصيت فيها مراحل الأدب في القديم والحديث

وبفضل الشيخ مصطفى القاياتي كان لي تلاميذ بالجامعة المصرية سنة ١٩١٨ منهم الأستاذ حسن ابراهيم وأحمد البيلي وعبد الحميد العبادي وابراهيم الجزيري

ثم ماذا ؟ ثم كان زكي مبارك من تلاميذي ، لأنه أدّى امتحاناً أمام الشيخ مصطفى القاياتي في الدروس التي أعددتها بنفسي ، فإن أنكر زكي مبارك أنه تلميذي فسأفحمه بشهادة السيد حسن القاياتي ، وهو رجل شهد ذلك التاريخ المجيد .

زكي مبارك

٣ـ نشأة الدرامة الانجليزية

للأستـاذ دريني خشبة

لم يفكر جون هيوود عندما ابتكر الفواصل المضحكة التي أشرنا إليها في الفصل السابق ، في أن تكون فواصله جزءاً من صلب الدرامة الأخلاقية ، إنما قصد أن تكون شيئاً مستقلاً كل ما يرمي إليه هو التضحيك والترفيه عن الناس بهذا السيل المتتابع من النكات الشائقة وطرافة الموضوع ولذع سخريته ، ولهذا كان تمثيل فواصله قاصراً على الحفلات التكريمية أو أوقات الاستراحة في الحفلات العامة أو المآدب الكبيرة . وكان أول ظهور فواصله التمثيلية هذه ، التي مهدت الملهاة الإنجليزية الكاملة ، في العام الثاني عشر من حكم الملك هنري الثامن — ١٥٢١ — ومن أطرف تلك الفواصل فاصله المسمى « الباءات الأربع » ، أو The Four pp. ، والذي نستطيع أن نسميه باسم « المنفلين الأربعة » ، وهم : المحتال Palmer ، والمسامح Pardoner ، والعطار[1] Potecary ، والبائع المتجول Pedlar . وخلاصة هذا الفاصل أن خلافاً يشجر بين المحتال والمسامح ، إذ يدعي المحتال أنه طاف بأرجاء العالم وجال في جميع أصقاعه ، كما حج إلى بيت الله (في فلسطين طبعاً) عشرات المرات ، ولذلك فهو يريد صاحبه على أن يقر له بسمة الأطلاع والتبحر في المشاهدة ، وأنه بذلك قد هذب نفسه ورقق طبعه لكثرة ما خبر من أحوال العالم ، وما تمرس به من تجاريب الحياة . بيد أن صاحبه يسخر منه ويغلو في الاستهزاء به ، ويقول له إن من كان شأنه ما ذكر ، كان ينبغي أن يعود أكثر اتزاناً ، وأرجح عقلاً ، وأوفر أدباً ، وأقوى ضبطاً لنفسه ، وأشد سيطرة على أعصابه . . . ويشتد الخلاف بينهما ويستفحل ، حتى يوشكا أن يلتحما لولا أن يقبل عليهما العطار — المغفل الثالث — ، فيرسل هو الآخر تهريجاته المضحكة ، ويبصرهما عما كانا فيه من فخار وتماظل ليُزهى هو بنفسه ، وليطلعهما على ما وهبه الله من مقدرة وافتنان في تركيب عقاقيره — ولا سيما السموم المهلكة التي تكثر من زبائن جهنم ، وأنه أحسن مورّد للمدائن وللقرى على السواء . ثم يقبل البائع المتجول — وهو المغفل الرابع — فيهرع إليه الثلاثة ليحسم النزاع المشتجر بينهم . . . لكنه يشيح عنهم ويشتغل بعرض سلعه وترتيبها ، ثم يمضي وقت طويل ولا يمن الله على البائع المتململ بزبون واحد يجبر خاطره بشراء شيء من معروضاته الكثيرة فيشترك مع الثلاثة الآخرين في هرائهم مضطراً ، لكنه يرفض أول الأمر أن يقضي بينهم ... لأن الله لم يكتب له هذا القدر العظيم من الذكاء ، وعبقرى الفِطَن حتى يستطيع أن يفهم هذه المشكلات العويصة التي يختلفون عليها ... يقول هذا بعد إذ يلاحظ أن ثلاثتهم مغفلون أغبياء ؛ بيد أنه يتغابى هو الآخر ، ويستدرجهم لكي يقص عليه كل منهم أكبر كذبة من أكاذيبه ... وهنا تنشب ملحمة مضحكة من أروع الأكاذيب التي لا يتسع المقام هنا لاستيعابها جميعاً . وما يزال هذا شأنهم حتى يدّعي المحتال (النخّاع) أنه طاف بأطراف الدنيا ، وعاشر الملايين من الناس في كل حدب وفي كل صوب ، وأنه بلا من أمور النساء ما لم يتفق لأحد من قبل ولن يتفق

(١) واسمه بالانجليزية الحديثة Apothecary

لأحد من بعد ، وأنه كثير الأصحاب جم الأصدقاء ، وأن فى صويحباته نصف مليون امرأة ! نصف مليون فقط ! — ليس فيهن من تدللت عليه يوماً ولا بدت منها أمارة من أمارات الغضب لأى سبب من الأسباب — ولما كانت هذه من غير شك أغلظ الأكاذيب وأخشها فقد قضى البائع بالغلبة لهذا المحتال (النخاع !) — والدرامة من أولها إلى آخرها تفيض (بالفَشْر !) — وليغفر لنا القراء هذا التبذل فى التعبير فنحن نكتب عن الملهاة الإنجليزية التى يعتبر (الفشر) أقوى أركانها . ثم هى مليئة بالنكات من النوع الهادئ الذى يفيض عن الطبع الإنجليزى البارد . وقد كتب هيوود[1] قبل هذه الدرامة ـ أو الفاصل ـ فاصلين آخرين أقل منها مرتبة ، وقد أدى للمسرح الإنجليزى أجل خدمة بفصله بين الأخلاقيات والفواصل أولاً ، ثم بخروجه على تقليد الشخصيات المجازية ثانياً ، واتخاذه أشخاص فواصله من الحياة مباشرة . ومما يؤسف له أن أحداً من الأدباء الإنجليز لم يقتف أثر هيوود فى هذا المضمار . على أن أديباً آخر هو « نيقولا أودول N. Udall » ناظر مدرسة أيتون (١٥٠٥ — ١٥٥٦) — وكان من عادته تقديم درامة من الدرامات الكلاسيكية الرومانية فى كل من حفلاته السنوية المدرسية ، قد فاجأ المدعوين بملهاة من تأليفه سماها (رالف رويستر دويستر — كانت أول ملهاة منتظمة من فصول متفرقة شهدها المسرح الإنجليزى — والملهاة بعد ذلك لم تكن شيئاً مذكوراً ولم يكن لها قيمة من حيث الحبكة أو الموضوع أو اللغة إن لم تكن شيئاً غثاً تتقزز النفس منه وتنبو له . وقد نظمها من خمسة فصول وقسمها إلى مناظر وقصد بها إلى تصوير حياة الطبقة المتوسطة من سكان لندن فى القرن السادس عشر . وأبطالها الثلاثة : أرمل تدعى كونستانس ، ثم عاشقان يحاول كل منهما أن يفوز بها . أما أولهما وهو بطل الرواية فهو رالف رويستر دويستر ومعناه الولد الجعجاع الكثير التفاخر ؛ وأما ثانيهما فيدعى جاوِنْ جُودْلَكْ . والبطل هو أحد أولئك الأغرار المغفلين ، أما خصمه فهو الحبيب المدلل المقرب . وتبلغ الملهاة ذروتها ، حينما تجتمع الأرمل وصويحباتها ليقذفن إلى الشارع بالبطل المخبول وبأتباعه العرابيد ، ثم تنتهى بصلح عام !

هذا وقد ألف جون ستِلْ Still (١٥٤٣ — ١٦٠٨) ملهاته (إبرة الجدة جرتون Gammer Gurton's Needle) على طراز ملهاة أودول ، إلا أنه أشرب بها كثيراً من روح الفكاهة الشعبية (البلدى !) ، وأرسلها فى لهجة عامية شديدة الغموض ، حتى على الإنجليز المحدثين أنفسهم . وتتلخص الملهاة فى أن الجدة جرتون كانت جالسة ترفو ثياب خادمها هودج ، ثم ذهبت لقضاء أمر ما داخل بيتها ؛ فلما عادت والتمست الإبرة لم تجدها ، فأخذت تسب الدنيا وتلعن الحياة وتسأل أهل الحارة عن إبرتها العزيزة المفقودة ، ثم تلتقى بشحاذ أبله يدعى دِكُون فيخبرها أن فلانة من أهل القرية قد سرقتها ، فتصيح بها الجدة جرتون ، وتقبل التهمة وتدفع التهمة عن نفسها ، لكن جرتون تشتط فى صياحها فتصيح المرأة الأخرى وتجتمع نسوة القرية جميعاً ليشاركن فى هذه الملحمة المضحكة ، ويتراشقن (بأشلق !) العبارات ، ثم تهدأ العاصفة حينما يعثر الخادم هودج بالإبرة مثبتة فى مكانها من الرقعة التى كانت الجدة جرتون ترفوها

وقد امتدح الناقد الكبير هازْلِت روح الفكاهة فى هذه الملهاة وإن لم يمتدح لغتها ... « لأنها غذاء شعبى شهى ليس غريباً على الجمهور الإنجليزى ، وفكاهة بريئة تصويرية لأمزجة متشاكلة ... قد نظنها لأول وهلة شيئاً لا قيمة له ، شيئاً تافهاً غير جدير بالاعتبار ، لأنه ليس كما عندنا ... ونحن إذا انتقدناها انتقاداً سطحياً هكذا ، كنا متجنين على هذا التراث الأدبى البدائى ، وكنا كمن يرفض قراءة كتاب قديم قيم لأن به بعض الأخطاء الإملائية !! »

ومما تمتاز به هذه الملهاة اشتمالها على إحدى الأغانى الإنجليزية التى يهيم بها الإنجليز إلى اليوم . ويرجح العارفون أن هذه الأغنية ليست من نظم ستل ، بل إنه قد أخذها عن شاعر آخر لا يعرف اسمه . ومما امتاز به أيضاً هذه الأسماء الفكاهية التى يلجأ إليها المؤلفون الكوميديون اليوم لتزيد فى كثرة (النكت) ولتزيد بالتالى فى كثرة ضحك المتفرجين — فالبطلة جامر جرتون أى الجدة جرتون ، وقد يلحظ القارئ العربى النكتة فى كلمة

---

(١) كان هيوود كاثوليكيا صالحاً من أتباع الكنيسة الرومانية ، وقد عرضه مذهبه هذا لألوان جمة من الاضطهاد فى عصرى إدوزرد السادس والملكة إليزابث مع أنه كان من المحببين جداً إلى بلاط الملك هنرى الثامن وقد ألف بالفعل لتسلية هذا البلاط ملهاته الثانية وهى (اللعبة المرحة The Merry Play بين الزوج والزوجة والقسيس)

جامر التى هى نوع ترخيم جدة Grand mother كما يرخمون جد Grand father فيقولون جافر Gaffer ، وهنا موضع تفكهة للانجليز . وخادمتها تب Tib أى عاهرة، وخادمها كوك أى ديك ، وجارتها كات أى قطة ، وخادمة هذه الجدة دلْ أى عروسة أو لعبة ، والدكتور رات أى فأر الخ . . .

المشاهد الموسيقية Masques :

أشرنا فى فصل سابق إشارة خفيفة إلى الدرامة التنكرية Disguising التى هى مشاهد تنكرية أيضاً ، ولكن من نوع مرح يُؤَدَّى فى جو مشرق مُرِنّ ممتلىء بالبهجة والأبهة فى بيوت العظماء والنبلاء والممتازين — وقد انتقلت هذه المشاهد الموسيقية ، أو المشاهد التاريخية — إلى انجلترا فى إبان عصر الملك هنرى الثامن من إيطاليا ، وتؤدى فيها مشاهد درامية تاريخية راقصة أبطالها اللوردات وأزواجهم فى شكل موكب موسيقي حافل أساسه الإنشاد والملبس الزخرفى البهيج خلال رقص توقيعى أو رقص مشترك . . . ومؤلف هذا اللون من المشاهد الذى ألحقناه بفصل الملهاة هو المهندس قبل الشاعر أو الأديب ، وذلك لأنها درامة مشهدية (استعراضية) قبل أن تكون درامة شعرية أو درامة منثورة . فالمهندس أو المخرج ، هو عماد النجاح فى هذه الدرامة التصويرية التى ترتكز على الجمال المنظور ، وروعة توزيع الأضواء ، والدقة فى إبراز المشهد وسمو الذوق فى اختيار الملابس ، والتنظيم الآلى لصالة العرض قبل أن ترتكز على الموضوع أو الأناشيد ، أو ما إلى ذلك من ألوان الأدب ... إذ كل ذلك شىء ثانوى بالقياس إلى المؤثرات المحسة فى المشهد الوسيقى . وقد ألف الأديب المسرحى الكبير والشاعر الفحل بن چونسون كثيراً من المشاهد الموسيقية التى ترك للمهندس المسرحى الخالد إنيجو چونس Inigo Jones إخراجها الفنى والآلى فبرع فى ذلك وأبدع أيما إبداع . . . وقد ألف فيها كذلك الشاعران الكبيران بومونت وفلتشر أكثر مما ألف چونسون ، وذلك باشتراكهما معاً فى التأليف على نحو ما يصنع بعض أبطالنا الكوميديين اليوم . وقد استقل فلتشر بالناحية الدرامية ، كما اختص بومونت بالأغانى والنظم . . . أما چونسون فقد كتب أربعين مشهداً ، ثم جاء شاعر انجلترا الكبير چون ملتون فكتب بعض المشاهد بأسلوبه المتفرد العالى ، ثم هذب بعض مشاهد چونسون لتسلك من قلمه الرفيع الجبار فى سجل الخلود

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن هذه المشاهد الموسيقية — أو الاستعراضية — كانت فاتحة عظيمة للأوبرا والأوبريت[1] فى العصر الحديث ، وأن البلاط الإنجليزى فى القرنين السادس عشر والسابع عشر كان معرضاً حافلاً لهذه المشاهد الاستعراضية الراقصة ، وأن القناطير المقنطرة من الجنيهات الإنجليزية كانت تنفق بلا حساب على الموسيقيين المحترفين والمغنين ومهندسى المناظر والأضواء كى يبلغ إخراجها حد البهاء والكمال ، وهذا هو الذى جعل الملكة إليزابث نفسها تُشفق من هذا اللون من ألوان التسلية الملكية فى بلاطها فحظرت أداءه فيه (حتى لا تتعرض خزانة الدولة لتلك البالوعة من بالوعات الإسراف ، وهذا العبء الفادح من أعباء البذخ)

وقد كان عرض المشهد يبتدىء بحوار غنائى أو كلامى تتلوه استعراضات راقصة فردية من الممثلين المحترفين ، ثم يختار هؤلاء (زملاء الرقص) من بين النظارة ، فيصير الرقص زوجياً ، ثم يختلط الحابل بالنابل ويسود الهرج والمرج ... وهنا موضع النشوة المنشودة من (الماسْك) وهى تتم على أنغام الموسيقا وترجيع المغنين وتسجيع المنشدين ... وكان على الشاعر أن يسبق المشهد أو يفتتحه بكلمة يلخص فيها الموضوع ويصف المناظر من حيث ما ترمز إليه من بيئة ووسط وجو ، ثم يثنى أطيب الثناء وأعطره على السادة الأشراف الذين تنازلوا فقبلوا الاشتراك فى التمثيل ، وهم من هم من أمراء البلاد وأعيانها وساداتها ، والذين تفضلوا منهم بالمساهمة فى نفقات الإخراج (وما أفدحها وأثقل أوزانها !) ثم يفرغ بعد ذلك إلى الثناء على معاونيه ومساعديه Collaborators من مصورين وموسيقيين ومهندسى إضاءة ومغنين وراقصين... ثم يتقدم فيوزع كراسة (بروجراما) تحوى كل المعلومات عن منهاج الحفلة المفصل ، وكان الحاضرون يحتفظون بها تذكاراً فخرياً يعرضونه فى صالوناتهم ، آية من آيات بهاء البلاط الملكى الإنجليزى ولألائه !

(يتبع) دريني خشبة

(١) الفرق بينهما أن الحوار فى الأولى يكون نظماً كله أما فى الثانية فيجمع بين النظم والنثر وبين الغناء والكلام المرسل ، وسنعود إلي الكلام عن شعراء المشاهد فى فصل مستقل إن شاء الله

المشكلات

٦ - اللغة العربية

للأستاذ محمد عرفه

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد هال بعض علماء العربية ما يرونه من تعلم ولدان الأعراب لغتهم بالطريقة الطبيعية إذ يخرجون يتكلمون بها لا يخطئون ويعربون فلا يلحنون ، ووازنوا بين هؤلاء الولدان وبين تلاميذهم الذين يعلمونهم على طريقة القواعد والقوانين ، فرأوا البون شاسعاً ، والفرق واضحاً : هذا يصيب ولا يخطىء ، وهذا يخطىء ولا يكاد يصيب ، إذا أخذ الأول بالخطأ لم يطاوعه لسانه ، وتعذر عليه الخطأ كما يتعذر على الآخر الصواب . رأوا هذه المشاهدة ، ووازنوا هذه الموازنة ، فذهبوا إلى أن اللغة العربية للعرب ولأبنائهم بالطبيعة والفطرة ، ولغيرهم بالتعلم ، وشتان بين ما هو بالطبيعة وما هو بالتعلم والتكلف ؛ ولن يبلغ المتكلف وإن بلغ الغاية شأو الطبعى الفطرى

وهـذا المذهب غير صحيح وإن كان أصحابه معذورين فى الذهاب إليه

أما العذر فلأنهم يفنون أعمارهم فى درس اللغة العربية وقوانينها وعللها وأسبابها ، يبذلون طاقتهم ثم لا يجدونهم قد بلغوا ما يبلغه ذلك الغلام الذى ينشأ فى البادية من إجادة اللغة وامتلاك ناصية الشعر والنثر

وأما أن هذا المذهب خطأ فيدل عليه أنه لو كانت اللغة العربية طبيعية فى العرب لما تخلفت ، لأن ما بالطبيعة والذات لا يتخلف . ونحن نحكم بالتخلف ، فلو أخذت صبياناً من أبناء العرب وربيتهم فى فارس أو الروم لخرجوا يتكلمون الفارسية أو الرومية ، ولم يحسنوا شيئاً من العربية ؛ وإذن فليست اللغة العربية فى العرب وأبنائهم طبيعة وليست فيهم لذاتهم ، ولو أخذت صبياناً من أبناء فارس وربيتهم فى بادية العرب لخرجوا يتكلمون العربية ولم يعرفوا شيئاً من لغة فارس والروم .
فالصحيح من القول إذن أن اللغة العربية فى العرب وغيرهم بالتعلم والاكتساب ؛ إلا أن الطريقين مختلفان ، فالعرب يتعلمونها بالحفظ والاختلاط وتربية الملكة ، والنحاة يتعلمونها بالقواعد والقوانين ، ويهملون تربية الملكة ، فتكون الطريقة الأولى أجدى وأنفع ، وتكون الطريقة الثانية أخيب وأقل جدوى

ونحن ليس فى استطاعتنا أن نكون البيئة العربية فنأتى بالطريقة الفطرية ، ولكن فى استطاعتنا أن نقارب ، وأن نقلد الطريقة الفطرية فنحسن التقليد ، ونكثر من الحفظ ، ونعمل على تكوين ملكة اللغة بالعادة والدربة والتكرار

أيجمل برجال التعليم أن يخطئوا في تعليم الولدان اللغة العربية فيعلموا بالقواعد ما لا يعلم إلا بالتكرار والحفظ ثم يطالبوهم بكتابة مواضيع تكون جارية على أساليب اللغة ، خالية من اللحن والغلط ، فإن لم يستجيبوا لهم لاموهم ونسبوا إليهم العجز والتقصير ؟

كيف يكتبون كتابة جارية على أساليب العربية ولم تتكون فى أذهانهم مقاييس ونماذج عربية يكتبون على مثالها ؟ وكيف يتكلمون كلاماً جارياً على أساليب اللغة ولم تتكون فى أذهانهم صور ذهنية تدعوهم للتكلم على منهاجها ؟ وكيف نطالبهم بالسرعة والجودة فى الكلام وتوفير الزمن والجهد وهم لم يكتسبوا ملكة اللغة التى بها يكون ذلك ؟

الحق أنكم تستنبطون الماء من الحجر ، وتطلبون فى الماء جذوة نار . الحق أنكم تأتون الأمر من غير بابه ، وتلجمون الفرس من الخلف . الحق أنكم إذ تلومون التلاميذ على خيبتهم فى اللغة تلومون غير ملومين ، وتأخذونهم بذنب أنتم علله ، وبجريرة أنتم أسبابها . ولو أنصفتم للمتم الطريقة التى علمتموهم عليها ، أو بالحرى لرجمتم باللوم على أنفسكم

يا قوم قد جربتم طريقة القواعد فى تعلم اللغة العربية ألف مرة ، وفى كل مرة تخفقون ، وجربتها الأجيال قبلكم كذلك ، فجربوا مرة واحدة طريق الحفظ والتكرار ، وأنا كفيل لكم أن تحمدوا هذه التجربة ، وألا تعدلوا بها غيرها ، ولو بذل لكم ما يستطاع للعدول عنها إلى طريقتكم الأولى لم تفعلوا ، لأنكم قد وجدتم فى هذه الطريقة النجاح حين وجدتم فى الأولى الإخفاق

***

ونحن نعلم فى مدارسنا المصرية اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية ، كما تعلمها مدارس الجاليات الأجنبية ، ولكن الشركات والبنوك والمحلات التجارية التى تصطنع هاتين اللغتين فى الكتابة والخطابة تفضل أن تستخدم من تخرج فى المدارس

الأجنبية على أن تستخدم من تخرج فى المدارس المصرية ، لأن الأول يجيد اللغتين كتابة وحديثاً ، والثانى أبانت التجربة أنه لا يجيدهما كأخيه . أتدرون لم ذلك ؟ إن شؤم طريقة تعليم اللغة بالقواعد قد تعدى إلى هاتين اللغتين ، فمدارسنا المصرية تعلمهما على طريقة حفظ القواعد ، أما المدارس الأجنبية فتعلمهما على الطريق الطبعى طريق الحفظ والتكرار والمحادثة حتى تثبتهما ملكتين راسختين فى النفس فيجيد تلاميذها الكتابة والحديث بهما ، ومن أين لتلاميذ المدارس المصرية أن يجيدوهما وهم إنما عرفوا القواعد ولم يجعلوهما ملكتين بالحديث والتكرار ؟

ومن ذلك نعلم أن هذا الإخفاق لا يرجع إلى قصور فى عقول التلاميذ المصريين ولا إلى كسل يستولى عليهم ، وإنما يرجع إلى هذا الأسلوب العقيم . وهذا هو السر أيضاً فى كثرة التلاميذ الذين يرسبون فى هاتين اللغتين ، فنحن الذين يجنون عليهم ، ثم نحملهم جريرة عملنا ، ونأخذهم بذنوبنا

سمعت أحد أبنائى يردد صيغاً من اللغة الإنكليزية ويقول هذا للمذكر وهذا للمؤنث وهذا للجمع

فقلت له : ما ذا تفعل ؟ قال : أحفظ درس القواعد . قلت له : ما هكذا يكون ، ينبغى أن تأتى بجمل تامة من اللغة الإنجليزية فى مخاطبة المذكر ومخاطبة المؤنث والجمع ، وتفهم معناها وتكررها وتحفظها ، وتتحدث بها حتى تكون ملكة ، ثم تأخذ القاعدة منها إن شئت . هذا هو الأسلوب الفطرى فى تعلم اللغة ؛ أما أن تأخذ اللغة من القاعدة فهذا ليس طريقاً طبعياً . لقد كان يعجزنا ونحن تلاميذ أن نحفظ قواعد اللغة العربية ، فكنا نستعين عليها باستنتاجها مما نحفظ ومما رسخ فى أذهاننا ، وصار ملكة فينا . مثلاً : إذا كنا لا ندرى ما عمل كان وأخواتها ، وما عمل إن وأخواتها ، رجعنا إلى ما رسخ فى نفوسنا ، واستثرنا ملكاتنا ونطقنا بأمثلة نحفظها ، فيها كان وإن ، ونرى كيف تنطق بها ألسنتنا ، كقوله تعالى : « كان الله غفوراً رحيما » ، « وإن الله على كل شىء قدير » . ونستنبط من ذلك أن كان ترفع الاسم وتنصب الخبر ، وأن إن تنصب الاسم وترفع الخبر ، وهذا تقريب لما أريد أن يكون فى تعليم اللغات . أريد أن تثبت الأساليب والألفاظ بالحفظ والتكرار حتى تكون ملكة ، ثم تستنتج منها القواعد ، ولا أريد أن نحفظ القواعد لتعلم منها الأمثلة ، فإن ذلك لا يجعلها ملكة إلا أن يلجأ إلى الحفظ والتكرار

ومن العجب أن تمكث هذه المدارس بين ظهرانينا هذا الدهر الطويل ونرى أسلوبها الناجح فى تعليم اللغات ، ونلمس نجاحه ولا نقتبس منها هذا الأسلوب !

أيرى قوم طائفة تعمل عملاً فتنجح ، ويعملون هم هذا العمل فيخيبون ، ولا تدعوهم أنفسهم لترك أسلوبهم واقتباس أسلوب الناجحين ؟ وأعجب من هذا أن ترى هذه المدارس أسلوبنا الخائب ، وتلمس خيبته فلا تنصحنا ولا ترشدنا إلى الطريق القويم فى تعليم اللغات

أيستطيع أحد أن يرى ضالاً يمشى على غير الجادة تنكبه الأحجار وترديه الحفر ، ولا يقيمه على الجادة ؟

لست أدرى أأرجع باللائمة علينا لعدم استفادتنا منهم ، أم أرجع باللائمة عليهم لعدم إرشادنا ؟ ولكن يظهر أن بين الجماعات منافسة كما بين الأفراد ؛ فلا ترى جماعة جماعة ضالة وتهديها السبيل . فإن كان ذلك كذلك فقد أغنانا كم الله عن أجنبى يضن عليكم بالنصيحة . وها كم النصيحة من رجل من أنفسكم محب لكم يود خيركم ، ويحرص على نفعكم ، ويعز عليه أن تضيع جهودكم ، وأن تبدد أعماركم . وهو ناصح أمين ؛ فهل أنتم منتصحون ؟

محمد عرفه

عمـــــر بن الفارض

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى

صفحة ناصعة من تاريخ الأدب العربى . صفحة ذات معان ومزايا متنوعة يقف السامع بإزائها حائراً مبهوتاً كأنه يتسمع إلى ألحان من الموسيقى الإلهية ، بل نغم ينبعث من أجواء علوية ، كأنه الإلهام الذى يستولى على الدماغ ويمتزج بالفكر فيكون سحراً . تلك هى حال القليلين الذين يضن الدهر والتاريخ علينا بهم لأنهم مثلوا عصوره . بهم تفيض علينا معانى النبوغ والعبقرية تلك المعجزة الإلهية ؛ وهذا شأن العظمة التى يخلقها العظيم فيعظم عصره ؛ وهكذا تنطوى عندئذ صفحة من صفحات التاريخ وسفر جليل من السفارة يكون رمزاً للحياة الماضية والحاضرة . وهذا ابن الفارض الشاعر الرقيق المفتون بالعزة الإلهية بشعره ، العابد للجمال الربانى بمنظومه ، فهو شاعر العاطفة الذى يثير ما فى القلب من الأحزان والمآسى التى طبعتها صروف الأيام . يريك ابن الفارض ألواناً من شعره تلذ لك فتبحث عن الرقة والخيال وكل ما هو جميل فى الكون من المبهجات . هو الشاعر المبدع الفيلسوف فى وصف الحب والجمال . وهل من شىء سواهما أعز لدى المرء فى الحياة الدنيا ؟ لا أظن شاعراً من الشعراء المتأخرين ممن سلك مسلك ابن الفارض فى شرح معنى الحب والجمال وما يجلبان على المرء من سوء المصير إذا ما عسر عليه وجدانهما أو فقد أحدهما . فهو الذى افتن فى وصف الحبيب والحنين إليه إذا ما غاب ، وفى وصف آلام المحب إذا ابتلى ، وفى خضوع الإنسان للجمال جمال الحبيب الذى يخلبَ اللب ويذيب الأحشاء . كل هذه الأوصاف تعمق ابن الفارض فى تحليلها وسبكها فى قوالب شعرية يعجز القلم عن نعتها . وها نحن أولاء نأتى باليسير منها لضيق المقام . أما مختصر ترجمته فهو الإمام العارف بالله الشيخ أبو حفص أبو القاسم عمر ابن أبى الحسن ابن المرشد بن على الحموى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاة ، المعروف بابن الفارض . ومعنى الفارض أنه يكتب الفروض للنساء على الرجال ، كما جاء فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان[1] . كانت ولادته بالقاهرة فى الرابع من

(١) جـ ١ ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ ط بولاق

ذى القعدة من سنة ٥٧٦ هـ فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وله ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه طريف ظريف ؛ وقد أبدع وأجاد بالمعانى والعبارات الرقيقة ، وشع بشعره فى الأفكار كالشمس فى رائعة النهار ، وكان رجلاً صالحاً كثير الخير على قدم التجريد ، وجاور مكة الشرفة زماناً ، وكان حسن الصحبة محمودة العشرة . وقد قيل عنه إنه ينظم الشعر أحياناً فى النوم ومنه هذان البيتان :

وحياة أشــــواق إليـ ... ـك وتربة[٢] الصبر الجميل

ماستحسنت[٣] عينى سوا ... ك ولا صبوت إلى خليل

وهو من أهل الطريقة الراضية وهى طريقة العرفان بالله ولهذا كنى بالعارف بالله[٤]

وممن وصفه الكاتب المبدع المرحوم جبران خليل جبران بقوله : « وكانت روحه الظمآنة (كذا) تشرب من خمرة الروح فتسكر ثم تهيم سابحة مرفرفة فى عالم المحسوسات حيث تطوف أحلام الشعراء وميول العشاق وأمانى المتصوفين . ثم يفاجئها الصحو فتعود إلى عالم المرئيات لتدون ما رأته وسمعته بلغة جميلة مؤثرة » . ثم يقول أيضاً : « إذا نظرنا إلى فنه المجرد وما وراء ذلك الفن من المظاهر النفسية وجدناه كاهنا فى هيكل الفكر المطلق أميراً فى دولة الخيال الوسيع قائداً فى جيش المتصوفين العظيم ذلك الجيش السائر بعزم بطىء نحو مدنية الحق . ثم يقول أخيراً كان يغمض عينيه عن الدنيا ليرى ما وراءها ، ويغلق أذنيه عن ضجة الأرض ليسمع أغانى اللانهاية . هذا هو الفارضى ، روح نقية كأشعة الشمس ، وقلب متقد كالنار ، وفكرة صافية كبحيرة بين الجبال ، وفى شعره ما لم يحلم به الأولون ولم يبلغه المتأخرون » اهـ[٥] . وتوفى بالقاهرة يوم الثلاثاء الثانى من جمادى الأولى سنة ٦٣٢هـ . ودفن فى الغد حسب وصيته بالقرافة فى سفح المقطم تحت المسجد المعروف بالفارض . وقد قال ابن بنته الشيخ على فى ذكره :

جز بالقرافة تحت ذيل العارض ... وقل السلام عليك يا ابن الفارض

أبرزت فى نظم السلوك عجائباً ... وكشفت عن سر مصون غامض

وشربت من بحر المحبة والولا ... فرويت من بحر محيط فائض

وقال أبو الحسن الجزار :

(١) و (٢) و (٣) ديوان ابن الفارض ص ٢ ط ثانية فى مصر وفى وفيات الأعيان لابن خلكان « وحرمة » وكذلك « لا أبصرت » جـ ١ ص ٤٨٤ طبعة بولاق (٤) البدائع والطرائف لجبران خليل جبران ص ١٢٩ مع صورة خيالية من ريشته

لم يبق صيّب مزنة إلا وقد   وجبت عليه زيارة ابن الفارض
لا غرو أن يسقى ثراه وقبره
باق ليوم العرض تحت العارض (١)

أما ديوان شعره فيحتوى على مقطوعات وقصائد منها الموجزة والمطولة، متينة النظم دقيقة الحس رقيقة الشعور. وقد طبع ديوانه مرات وشرحه فى جزأين رشيد بن غالب معتمداً على شرحى الشيخ حسن البوريني والعلامة الشيخ عبد الغنى النابلسى الدمشقى الصوفى. وبهامش الشرح كشف الوجوه الغر، لمعانى نظم الدر، وهو شرح تائية ابن الفارض الكبرى المشهورة بنظم السلوك ومطلعها:

سقتنى حميا الحب راحة مقلتى   وكأسى محيا من عن الحسن جلت

ومنها أيضاً:

وكل الليالى ليلة القدر إن دنت   كما كل أيام اللقا يوم جمعة (٢)

وعدد أبيات هذه القصيدة سبعمائة واثنتان وستون بيتاً وتشغل جزءاً كبيراً من الديوان. ومطلع شرح الديوان: «الحمد لله الذى بفضله الفارض عمّر بيوت الأدب، وحسن للطبع شرح معان فيها بلوغ الأدب ... الخ» (٣). ويقول المؤلف فى آخر الكتاب نقلاً عن شرح الشيخ عبد الغنى النابلسى: «كان الفراغ منه عشية يوم الإثنين التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف من الهجرة». وقال مورخاً لتمام هذا الشرح.

ولابن الفارض الديوان لما   حكى عقداً نظيماً جوهريا
عنيت بشرحه هذا إلى أن   تكامل أرخوه الفارضيا

وطبع الكتاب بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣١٠ﻫ. بعناية مصححة محمد الأسيوطى (٤). أما منظوماته التى يفتتح بها ديوانه، وتدل على صناعة شعرية فائقة. فهذا مطلعها:

سائق الأظعان يطوى البيد طى   منعما عرج على كثبان طى
وبذات الشيح عنى إن مررت   بحى من عريب الجزع حى
وتلطف واجر ذكرى عندهم   علهم إن ينظروا عطفاً على (٥)

ومنها:

هل سمعتم أو رأيتم أسداً   صاده لحظ مهاة أو ظُبى (٦)

(١) ديوان ابن الفارض الطبعة الثانية بمصر ص ٢ (٢) الديوان المذكور ص ٢٣ و ٤٤ (٣) شرح ديوان ابن الفارض جـ ١ ص ٢ (٤) شرح ديوان ابن الفارض آخر صفحة من الجزء الثانى (٥) ديوان ابن الفارض المذكور ص ٣ (٦) الديوان المذكور ص ٥

ومنها أيضاً:

أى ليالى الوصل هل من عودة   ومن التمايل قول الصب أى
وبأى الطرق أرجو رجعها   ربما أقضى، ما أدرى بأى (١)
ذهب العمر ضياعا وانقضى   باطلاً إذ لم أفز منكم بشى

وهى طويلة. ولنأت الآن إلى مطلع قصيدة أخرى:

أرج النسيم سرى من الزوراء   سحراً فأحيا ميت الأحياء
أهدى لنا أرواح نجد عرفه   فالجو منه معنبر الأرجاء (٢)

وكذلك قصيدته التى يتغزل فيها بأراضى نجد لأنها موطن ليلاه فيقول:

أوميض برق بالأبيرق لاحا   أم فى ربى نجد أرى مصباحا؟
أم تلك ليلى العامرية أقبلت   ليلاً فصيرت المساء صباحا (٣)

أما قصيدته فى تحليل الحب وتعريفه فهى أشهر من نار على علم، وهي مضرب الأمثال. وهذا مطلعها:

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل   فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خالياً فالحب راحته عناً   وأوله سقم وآخره قتل

ومنها:

فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت به   شهيداً وإلا فالغرام له أهل (٤)

وأما الخمرة فهو يصفها وصفاً نادراً، وهو لم يذقها على رأيى ورأى الكثيرين. فتراه يصفها أبدع مما وصف الحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس. ومن ذلك قصيدته التى مطلعها:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة   سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
لها البدر كأس وهى شمس يديرها   هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم
ولولا شذاها ما اهتديت لحانها   ولولا سناها ما تصورها الوهم (٥)

ثم يقول:

يقولون لى صفها فأنت بوصفها   خبير أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا   ونور ولا نار وروح ولا جسم (٦)

وللشيخ على سبط الناظم قصيدة مطولة نظمها تكملة لستة أبيات من نظم ابن الفارض. مطلعها:

نشرت فى موكب العشاق أعلامى   وكان قبلى بلى فى الحب أعلامي (٧)
وسرت فيه ولم أبرح بدولته   حتى وجدت ملوك العشق خدامى

(١) الديوان المذكور ص ١٣ (٢) كذلك ص ٦٨ (٣) كذلك ص ٧٢ (٤) كذلك ص ٧٨ وهى طويلة تشتمل على اثنين وستين بيتا (٥) الديوان المذكور ص ٨٢ (٦) كذلك ص ٨٣ وهي قصيدة رائعة تشتمل على أحد وأربعين بيتا، وفى أبياتها خيال رائع ووصف دقيق (٧) كذلك ص ١١٥ وهى ذات خمسة وعشرين بيتا

وللسبط أيضاً قصيدة أخرى مطلعها :

أبرق بدا من جانب الغور لامع   أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

ومنها :

ولما تجلت للقلوب تزاحمت   على حسنها للعاشقين مطامع
لطلعتها تعنو البدور ووجهها   له تسجد الأقمار وهى طوالع [٢]

هـذا هو ابن الفارض ذو الشعر الرقيق الفائق ، وشاعر الحب والجمال الروحانيين . هـذا هو المزين لعرش الحب العاقد أكاليل الجمال على رءوس الحوارى والحسان فى خيال الجنان . هذا هو المعزى لأصحاب القلوب الدامية الهائمة فى بيد الطبيعة الجميلة . هذا هو المكفكف لدموع البائسات المخفقات فى نيل عذوبة الحب الذى هو رمز الحياة والطبيعة ، يسود القلوب ويتحكم فى الأنفس الرفيعة . ليكن لنا ابن الفارض عبرة الدهر فى ميدان الرقة والعطف . وليكن ابن الفارض صورة للحياة الجميلة التى نستعذبها ونستذيقها أبد العيش . فليطب هانئاً فى مثواه ومرقده . ولينم نومه الهادىء العميق ؛ فلن يصغي إلى أنين العاشقين ، ولن يسمع زفير المتيمين

يوسف يعقوب مسكونى

(١) ديوان ابن الفارض ص ١١٧ ، وهى آخر الديوان المذكور ، وتشتمل على أربعة وخمسين بيتاً

١ ـ الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

يمتاز الإسلام بأنه أوجد لنفسه بنفسه فناً جميلاً كيفه بعبادته ، وبث فيه روحه ، وغذاه بتعاليمه حتى استقام عوده ، ونضجت شخصيته ، وتجلت للعيان مميزاته . ولا شك أنه لبيان هـذه الميزة ينبغى أن نقارن بين الإسلام وبين ما سبقه من الأديان من حيث موقف كل منها من الفنون الجميلة ثم نعقب على ذلك ببيان الطرق التى أتيح بها للاسلام أن يخلق فناً جميلاً إن اتفق مع الفنون السابقة عليه فى بعض العناصر الزخرفية فقد اختلف عنها أشد الاختلاف فى المبادىء الأساسية والاتجاهات التى سار فيها[١]

(١) لست أول من فكر فى هذا الموضوع فقد سبقنى لى التفكير فى كثير من نواحيه علماء من الأجانب أجلاء منهم : ماسينيون الفرنسى وكونل الألمانى ولام السويدى وقد كانت آراؤهم ماثلة فى ذهنى وقت إعداد هذا البحث

فإذا عدنا إلى الوراء آلاف السنين لنشهد الإنسان وهو يتقلب فى أطوار حياته المختلفة على ظهر البسيطة لوجدناه يكافح الوحوش ليعيش ، ويحاربها ليوجد لنفسه بينها مكاناً أميناً يطمئن فيه على حياته ، ولرأيناه ما كاد يلقى سلاحه ، ويفرغ لنفسه بعض الشيء بعد هذا الجهاد المضنى ، ويأوى إلى كهفه ليستريح ويستقر به المقام فى هذا المسكن الجديد ، ويرضى فيه حاجات جسمه من مأكل ومشرب وملبس حتى يقوم إلى جدران هذا الكهف يزخرفها وإلى آلات صيده يجملها ويزينها

ولسنا هنا بصدد الفصل فى سبب اشتغاله بهذه الفنون الجميلة ، فليكن الدافع إليها فيض النشاط الحيوى فيه ، أو لتكن الغريزة هى التى أوحت إليه أن يحاكى بالرسم ما يراه فى محيطه ، أو ليكن اعتقاده فى أن رسم الحيوان يقيده أو تكرار رسمه يكثره ، أو رسمه وقد اخترق السهم أحشاءه يجعل صيده هيناً مسهلاً عليه هو الذى حمله على هذا العمل ، أو لتكن هذه العوامل مجتمعة هي التى جعلته يشتغل بهذه الفنون فلن يغير هذا من الحقيقة شيئاً : ذلك أن الإنسان قد عرف الفنون الجميلة قبل التاريخ واستخدمها فى حياته . لقد وجد نفسه ضعيفاً أمام قوى الطبيعة : أمام قوى تعمل من وراء ستار ، رأى براكين ثائرة يتطاير منها الحمم فتصيبه فى نفسه وفى ماله ، وسمع رعوداً صاخبة تكاد تصم بزمجرتها أذنيه ، وأحس برياح عاصفة تدفع به أمامها ، وتلقى فى طريقه بأعظم الأشجار وأضخمها ، ولمح بروقاً خاطفة ترسل إليه بضوئها فتملؤه خوفاً ورعباً . هذه المظاهر المختلفة التى لا يعلم سرها جعلته يعتقد بوجود قوى عظيمة تؤثر فى كيانه دون أن يراها . لذلك فكر فى استرضائها على قدر ما سمح له به عقله المحدود فلجأ إلى الفن الجميل يستعين به على بلوغ مأربه فنحت التماثيل ، وأقام الأنصاب ورسم الصور

وإذا كانت الفنون الجميلة من نحت وتصوير ونقش قد خدمت الإنسان قبل التاريخ فى ديانته الساذجة البسيطة فقد خدمته أيضاً فى العصور التاريخية ، عند ما تعقدت الأمور الدينية بعض التعقيد

فلقد اعتقد المصرى القديم بعودة الروح بعد موت الجسم ، ورأى لزاما عليه أن يحفظ ذلك الجسم ، وأن يضعه بعد موته فى محيط يشبه محيطه فى الحياة الدنيا ، حتى تطمئن الروح وتأنس بجسمها إذا ما عادت إليه ، فاستعان بالفن الجميل على تحقيق هذه

العقيدة ، فزينت جدران القبور بنقوش تمثل حياة الميت ، ونحتت له تماثيل تمثله في حياته لتحل فيها الروح إذا ما انحل الجسم أو أصابه عطب ، وأودعت هذه التماثيل القبور مع الجثة ، كما وضع معها أيضاً ما كان يستعمله الميت فى حياته ، وروعى فى تشييد المدافن أن تكون منيعة لتحول بين هذه الأشياء وبين عبث العابثين ؛ ولتظل كذلك فى حرز أمين . وإذا كانت عقيدة البعث قد استفادت من فنون النقش والتصوير ، فالدين المصرى القديم بآلهته المختلفة ومعابده الكثيرة قد انتفع بهذه الفنون أيضاً إلى أبعد حد ، فنحتت التماثيل العظيمة للآلهة ، ونقشت جدران المعابد بالزخارف الرائعة ، وطليت بالألوان الزاهية الجميلة

ولم يختلف الحال فى بلاد اليونان القديمة عنه فى مصر الفرعونية ، إذ نجد أن الديانة اليونانية قد استعانت بفنون النحت والنقش والتصوير على إبراز فكرتها وتجسيم عقائدها ، إذ ابتدعوا لأنفسهم آلهة تشرف على شئونهم ، وترمز إلى مثلهم العليا ، وتخيلوا هذه الآلهة على صورة الإنسان وأفرغوا جهدهم فى نحت تماثيل لها كانت أجمل وأروع ما أخرجته يد البشر ، خلدت ذكر اليونان على صفحة الزمن ونقشت أسماء آلهتهم فى سجل القدر

وما كانت أمم الشرق القديمة من بابليين وأشوريين وحيثيين وغيرهم لتشذ عن مصر واليونان فى هذا السبيل ، بل استخدمت هى الأخرى الفن الجميل فى عبادتها الوثنية

واليهودية أول دين سماوى نادى بالوحدانية ، جاء والوثنية هى الدين الشائع بين أمم الأرض جميعاً ، والفنون الجميلة من حفر ونقش وتصوير ونحت هى عماد هذا الدين وقوامه ، فلكى يخرج الناس من ظلام الوثنية إلى نور الوحدانية كان من الضرورى أن يحول بينهم وبين هذه الفنون . وتشددت اليهودية فى هذه الحيلولة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً فحرمتها تحريماً صريحاً إذ جاء فى التوراة فى الأصحاح العشرين من سفر الخروج : « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ، ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت ، وما فى الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور » وقد قضى هذا النص على الفنون الجميلة عند اليهود قضاء مبرماً فلم تستخدمها كغيرها من الأديان التى سبقتها ولم تحاول أن تجندها لخدمتها .

وإذا كانت الحضارة اليهودية قد بلغت أوجها فى عهد داود وسليمان فتقدمت الصناعة ونهضت التجارة وازدانت فلسطين بما شيد فى ذلك العهد من قصور ومعابد « ومحاريب وتماثيل وجفان كالجواب » أشار إليها القرآن الكريم فى سورتى النمل وسبأ ، كما أشارت إليها أيضاً كتب التاريخ ، فقد استعان اليهود فى ذلك بالأجانب من مصريين وفينقيين وآشوريين

على أن اليهودية لم تنتشر ، وبقيت الوثنية دين الكثرة من سكان العالم ، وتأثر الرومان فى دياناتهم الوثنية باليونان ، وكما خدمت الفنون الجميلة الدين اليونانى القديم ، كذلك خدمت الدين الرومانى

وظهر الدين المسيحى ، واعتنق المسيحية كثير من بنى إسرائيل ثم انتشرت فى الامبراطورية الرومانية بسرعة عظيمة بسبب نضوج الفكر الإنسانى ، وعدم ارتياحه إلى طقوس العبادة الوثنية . وقد قامت المسيحية تدعو إلى ترك الدنيا والتجرد منها والانقطاع إلى الآخرة والإقبال عليها . ولعل خير ما يترجم عن دعوتها هذه قول السيد المسيح فى الأصحاح السادس من إنجيل متى . « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون . » ومثل هذه المبادئ ليس فيها ما يشجع على ازدهار الفنون الجميلة لأنها تنكر جمال هذه الدنيا وتطالب بكبت ما فى الإنسان من ميول وغرائز ، لذلك لم تبتدع المسيحية فناً جميلاً بل انتفعت بالفن القائم بين يديها ، وما الفن المسيحى المعروف إلا فن وثنى لبس رداء المسيحية ، فهو فن مسيحى فقط باعتبار ما يؤديه من خدمات للدين المسيحى أو المسيحيين لا باعتبار أنه يعبر عن فلسفة هذا الدين لأن فلسفة هذا الدين — كما رأينا — قوامها الزهد والتقشف وكلاهما والفن الجميل على طرفى نقيض .

(يتبع)

محمد عبد العزيز مرزوق

الأمين المساعد بدار الآثار العربية

من آثار العراق

الجسر العبــاسي

للأستاذ ميخائيل عواد

١ — تصدير

إذا جولنا في أنحاء العراق شاهدنا عدداً لا يستهان به من الجسور المتنوعة الطراز، المتفاوتة الحجم، تعلو أنهاره ونهيراته، بينها القديم الأثري، وبينها الحديث المكين؛ كما أن التاريخ ينبئنا بوجود جسور قديمة شيدت في أشهر المدن العراقية المطلة على المياه، غير أن يد الزمان قد عبثت بها فجعلتها أثراً بعد عين

وإلى القارىء هذا البحث في أحد الجسور القديمة في العراق، نعني به «الجسر العباسي» القائم بجوار بلدة زاخو في شمالي العراق

ولقد استقصينا عدداً من التصانيف العربية القديمة والحديثة، طائفة من كتب الرحالين والسياح الفرنج؛ أملاً في الوقوف على ما ينير السبيل أمامنا في هذا الموضوع، غير أننا لم نعد من جميعها إلا بالنزر اليسير من العلم بأمر هذا الجسر. ولعل أهم ما وقفنا عليه ما دونه الرحالة الأثري «بروسر» في كتابه عن «المباني الأثرية في شمالي ما بين النهرين»[١]

ولهذا الجسر أسماء عديدة أطلقها الناس عليه في ظروف ومناسبات مختلفة. من ذلك: الجسر العباسي، جسر العباسيات، جسر الخابور، جسر دلالي، جسر الإسكندر، جسر الحسنية

ويلاحظ القارىء أن اثنتين من هذه التسميات أطلقتا عليه بالنظر إلى موقعه: «جسر الخابور» يشير إلى أنه يركب متن هذا النهير، كما أن «جسر الحسنية» يدل على أنه شيد عند بلدة الحسنية. أما سائر التسميات فقد أطلقت عليه بناء على ما شاع بين الأهلين هناك من الروايات والأساطير التي لا تدعمها الحقائق الراهنة ولا تؤيدها المستندات التاريخية

(١) Conrad Preusser : Nordmesopotamische Baudenkmäler Altchristlicher und Islamischer Zeit. (Leipzig, 1911, pp. 22—23).

٢ — موقعه

على نحو من ميل واحد شرق بلدة زاخو ينتصب «الجسر العباسي» فوق نهير الخابور الذي ينبع من الجبال الممتدة في جنوبي أرمينية[١]، ثم يسير متمعجاً بين ثنايا تلك الجبال حتى يصب في دجلة فوق قرية «فيشخابور»[٢] على نحو من ٧٥ ميلاً شمالي الموصل؛ أي عند الحدود العراقية التركية.

وهذا الخابور هو المعروف في المؤلفات العربية القديمة بـ «خابور الحسنية» نسبة إلى البلدة المعروفة بهذا الإسم[٣]

وقد تطرق البحّاثة المستشرق (لسترنج) في كتابه الموسوم بـ «أراضي الخلافة العباسية» إلى ذكر هذا النهير وجسره فقال: «إن هذا النهير كان يخترقه جسر حجري لا تزال بقاياه ماثلة للعيان قرب قرية حسن آغا التي ربما تمثل المدينة القديمة. إن الحسنية التي كان فيها جامع تصلى فيه الجمعة قد وصفه المقدسي[٤] بقوله إنه موقع ذو خطر»[٥]

ويبدو لنا من كلام (لسترنج) أن الأمر قد اختلط عليه بعض الشيء، فلم يفرق بين الجسر العباسي الذي نحن بصدده، وبين جسر آخر ما زالت بعض معالمه ظاهرة للعيان، كان فيما مضى يعلو الخابور ذاته، ويطلق عليه «جسر كَيْسْتَه»[٦] بينه وبين الجسر العباسي نحو من ثمانمائة متر

ولا يزال الجسر العباسي صالحاً بعض الصلاح لمرور السابلة من فوقه؛ وقد كان فيما مضى المسلك الوحيد الذي تسلكه

(١) راجع مفصل جغرافية العراق لطه باشا الهاشمي «بغداد سنة ١٩٣٠، ص ١٣١ — ١٣٢».

(٢) سماها ياقوت الحموي «معجم البلدان ٣: ٩٣١ طبعة وستنفلد» فيشابور، وقال إنها «بليد من نواحي الموصل من ناحية جزيرة ابن عمر، لهم فيه وقائع».

(٣) معجم البلدان «٢: ٢٧٠، ٣٨٤». وجاء في دائرة المعارف الاسلامية مادة «خابور» أن هذا النهير يخترق سلاسل الجبال التي تسمى اليوم «حربال» «في الشمال»، و«زاخا» «في الجنوب». وهذه الجبال الأخيرة أخذت اسمها من اسم مدينة «زاخو» التي كانت تعرف في العصور القديمة باسم «آزوخيس Azochis».

(٤) أحسن التقاسيم للبشاري المقدسي «ص ١٣٩ ليدن».

(٥) G. Le Strange : The Lands of the Eastern Caliphate. p. 93

(٦) كيسته: قرية صغيرة على خابور الحسنية أسفل زاخو بينهما مسافة نصف ميل

القوافل حينما تقصد من الأنحاء الشمالية المختلفة ؛ أما « جسر كيسته » فلا أثر لقناطره اليوم ، لأن يد الدهر سطت عليها ، وعملت على تقويضها حجراً بعد حجر ، ولم تبق منها اليوم سوى ركائز قواعدها الحجرية المغروزة فى الماء

٣ — صفته

يبلغ طول الجسر العباسى ١١٤ متراً ، وعرضه ٤ أمتار و٧٠ سنتمتراً وهو يتقوم من خمس قناطر تتفاوت شكلا واتساعاً ، فأكبرهن تكاد تعلو عرض الخابور بكامله هناك ؛ إذ تبلغ فتحتها ١٦ متراً ، وارتفاعها عن مستوى سطح ماء الخابور فى أيام انتقاصه زهاء ١٥ متراً ، ومن هنا تتجلى لنا عظم المصاعب التى تجشمها البناؤون أثناء تشييدهم هـذه القنطرة الواسعة ! ومن يلق نظرة على صورة هـذا الجسر ير ريازة هـذه القنطرة من الطراز المعروف ب « المسنم »

ثم يلى هذه القنطرة سمة ، قنطرة ثانية فتحتها ١٠ متراً ، على شكل يقرب من نصف الدائرة . أما الثلاث الباقيات ففتحاتهن أصغر من السابقة وهنّ على شكل أنصاف دوائر[١]

وطبيعى أن يؤدى هذا التفاوت فى اتساع القناطر إلى ارتفاع وسط الجسر وانحدار جانبيه حتى يتساوى وسطح الأرض عند حافتى مجرى النهر

ويلاحظ المرء أن ثلاثاً من هذه القناطر شيدت على يسار[٢] القنطرة الكبيرة — باعتبار مجرى النهر — وواحدة فقط على يمينها[٣] .

شُيد الجسر العباسى من حجارة مُزَلَّمَة ، مختلفة الحجم ، قليلة الهندام ؛ لكنها مرتبة بنظام ، وقد تلاحكت بعضها ببعض بالملاط القوى

(١) هذه القياسات مأخوذة من كتاب « بروسر » المار الذكر

(٢) فى هذه الجهة من النهر يشاهد الجبل المعروف ب « جبل بيخين »

(٣) فى هذه الجهة من النهر وعلى مقربة من الجسر قرية صغيرة تعرف ب « العباسية » على اسم الجسر

وقد يبدو هذا الجسر للناظر ، لأول وهلة بسيط التركيب ، ضعيف القوام ، لكنه بالرغم من مظاهره هـذا ، عاش قروناً طوالاً ، وعارك فيضانات الخابور المتدفقة من أعالى الجبال المحيطة بتلك البقاع ، ومياه الخابور ذات أمواج متلاطمة مزبدة ، وهى فى صراع دائم مع الصخور الصلبة التى تكون قعر النهر ، وهذا ما يسبب تيارات ودوّارات مائية مريعة تجعل الملاحة فيه كالمستحيلة

فوق هذه الأرض الصخرية القاسية شيد الجسر العباسى بقناطره الخمس ودعائمه الراسخة

وقد تطرقت العالمة الرحالة (جرترود بيل) إلى هذا الجسر فى رحلتها المعروفة « من مراد إلى مراد » ؛ لكنها قالت إنه يتألف من أربع قناطر[١] ، بينما هى فى الواقع خمس كما أسلفنا .

٤ — تشييده :

تضاربت الروايات فى أمر تشييد هذا الجسر ، وذهب الحدس والتخمين فى ذلك كل مذهب ، وما ذلك إلا لعدم وجود كتابة عليه تفصح عن زمن تشييده ، أو نقوش تسعف الباحث فى تقدير تاريخه ، فضلاً عن صمت المؤلفات القديمة وعدم ذكرها له .

ولأهالى تلك البقاع أسطورة يتداولونها فيما بينهم ، ومنهم سرت إلى بعض كتب الرحلات الأجنبية[٢] . وخلاصتها أن هذا الجسر كان على ما يقولون قد سقط ثلاث مرات متتاليات عند محاولة تشييده ؛ حتى نفد صبر البنائين وضاقوا ذرعاً بالأمر ، فقال رئيسهم : يا قوم إن قائمته لن تقوم ما لم يُضَحَّ فى سبيله بدم بشرىّ ، على أن تكون ضحيته أول عابر طريق

وما هى إلا هنيهة وجيزة حتى أقبلت بنت عذراء اسمها (دلالى) فساقها القدر إلى أن تكون أول من يقع عليها القرار الذى أشار به رئيس البنائين ، فاستيقت تلك الفتاة قسراً وأُدمجت فى الحال ببناء الجسر وهى حية ، وترك طرف ذراعها ذات

(١) G. L. Bell : Amurath to Amurath. (2 nd ed., 1924 ; p.289).

(٢) راجع مثلا الرحلة المسماة Form Monte to Mosul. (p. 135)

السوار الذهبي بادياً للعيان ، ولكن من كانت تلك الفتاة يا ترى ؟ إنها كانت ابنة رئيس البنائين نفسه . ولكن هل لذاك الرئيس من محيص وقد سبق السيف العذل ! وللأهالى القاطنين تلك البقعة أشعار وأغانى باللغة الكردية يتناقلونها صاغراً عن كابر ويتلونها فى ذكر دلالى ، وفى عظم الفاجعة التى حلت بها ، وهذه الأشعار ذات لون أدبى خاص ، وتعد من أجمل القطع الأدبية الشعبية

هذا ملخص الرواية الشائعة هناك رويناها دون أن نبدى رأياً فيها ، لأن المراجع القديمة الموثوق بصحتها لا تساعدنا فى هذا الشأن

وقد ذهب فريق من الكتبة المحدثين إلى أن تشييد هذا الجسر كان قد تم على أيدى الرومان ؛ فإن هؤلاء القوم اجتازوا بشمالى العراق فى المائة الرابعة قبل الميلاد وعبّدوا مسالك عسكرية ومنها الجسور لتمر عليها جيوشهم الجرارة الذاهبة لمنازلة الفرس

من ذلك ما زعمه (همرتن) بقوله فيه إنه « جسر رومانى فخم معقود فوق أحد روافد دجلة عند زاخو ... وصار يعرف على مرّ الأزمان بجسر الإسكندر [1] » ؛ ثم ساق رواية دلالى المارة الذكر

ونحن نرى فى هذا الرأى تساهلاً كبيراً ؛ إذ يصعب صمود هذا الجسر مدة تزيد على الألفى سنة يقاوم فيها محن الزمان وتصرفات المياه

والذى انتهى إليه (بروسر) فى درسه هذا الجسر أنه لا شيء يوثق به فيما يخص تشييده ؛ ومع ذلك فقد ذهب إلى أنه شيد فى المائة السابعة للهجرة (بين المائة الثانية عشرة والثالثة عشرة للميلاد) ، وإنه بهذا الاعتبار من الآثار التاريخية الماثلة للعيان التى تعود إلى أواخر أيام الدولة العباسية .

(بغداد) **ميخائيل عواد**

(١) J. A. Hammerton : Wonders of the Past. (Vol. 3., p. 1130).



رسالة المساجد والنهوض بها

أصدر صاحب المعالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الأوقاف القرار الآتى :

تشرف وزارة الأوقاف على آلاف المساجد المنبثة فى الحواضر والمدن والقرى ، وهى بذلك تحمل لواء الإرشاد والتهذيب الدينى والاجتماعى

ورغبة منا فى النهوض بها وبالقائمين على شئونها نهوضاً يلائم تطور الزمن وأحداثه ، حتى تلاحق ركب الحضارة والمدنية ، وتحتل مكانها الذى كانت تحتله فى صدر الإسلام ، يشرق منها نور المدنية الإسلامية ، وتوطد بين جدرانها الألفة والمحبة بين المسلمين ، وتنمي نوازع الخير والهداية وأسباب الكرامة الحقة فى نفوس الشباب

ورغبة منا فى الوقوف على أقوم السبل المحققة لهذه الغاية ، سواء من الوجهة الدينية أو الثقافية أو الصحية أو العلمية ، رأينا تأليف لجنة من حضرات أصحاب الفضيلة والعزة : مصطفى صبرى أفندى شيخ إسلام تركيا سابقاً ، والدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، ومحمد محمد الوكيل بك العضو بمجلس الشيوخ ، ومحمود لطيف بك عضو مجلس النواب ، والدكتور عبد المجيد رمزى مدير الصحة الاجتماعية ، وأمين عبد الحافظ بك مدير الشئون القروية ، والأستاذ أحمد فهمى إبراهيم مدير قسم الهندسة بوزارة الأوقاف ، والدكتور منصور فهمى بك مدير دار الكتب ، والشيخ محمد البنا مدير إدارة الشئون الدينية برياسة مجلس الوزراء ، ومحمد أحمد جاد المولى بك المفتش الأول للغة العربية ، والشيخ عبد الوهاب خلاف الأستاذ بجامعة فؤاد الأول ، والشيخ سيد زهران مدير قسم المساجد ، والأستاذ عبدالحميد خضر ، والدكتور إبراهيم اللبان المفتشين بوزارة المعارف

على أن تكون مهمة هذه اللجنة بحث ما يأتى :

١ — الوسائل التى تحبب الناس فى الإقبال على بيوت الله وقضاء أوقات فراغهم فيها ؛ وبحث العوامل التى أدت إلى انصراف فريق من الناس عن المساجد ، ورسم أقوم السبل لعلاجها علاجاً ناجماً

٢ — وضع دستور للارشاد فى المساجد من دروس وخطب ومحاضرات ، وتنسيقه بحيث يوائم الظروف والمناسبات والحوادث والبيئات

٣ — طريقة اتصال وزارة الأوقاف بالوزارات الأخرى لتقف على ما لديها من مشروعات اجتماعية وثقافية وصحية واقتصادية وزراعية ووقائية ليكون وعاظ المساجد لسان الحركة الإصلاحية فى جميع هذه الشئون

٤ — المنهاج الذى يشيع الرغبة بين النساء فى الإقبال على المساجد لتغذيتهن بالثقافة الدينية

٥ — اختيار الطراز الذى يراعى عند إنشاء المساجد لتتوافر فيها وسائل الراحة والصحة والترغيب

٦ — النظر فى شئون مرافقها الصحية وإمكان تزويدها بالمغاسل والحمامات والمياه الساخنة ، وإذا تيسر ذلك فهل تشرف عليها وزارة الأوقاف أو وزارة الصحة ؟

وأملى أن تنتهى اللجنة من تقديم تقريرها فى بحر شهر من تاريخه .

حول « ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر »

تفضل الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى العدد الأخير من مجلة « الرسالة » الغراء ورد على بعض ما كتبته فى صفحة « الأسبوع حوادث وخواطر » بمجلة آخر ساعة ، وتفضل أيضاً وسمح لى فى حديث معه بالرد على رده ، واختار لى صفحات « الرسالة » ميداناً لهذا الرد

وخلاصة الموضوع الذى كتبت فيه هي (الفقر والحرية) ، وهل يمكن أن يتمتع الفقير بحريته رغم فقره ؟ وهل يمكن وضع نظام اقتصادى جديد غير النظام الحالى يقلل من عدد الفقراء ومن عدد الأغنياء ؟

وقد سبق لى أن تناقشت شخصياً مع الأستاذ العقاد فى هذا الموضوع ، وكان فى مناقشته لى قد فهمنى فهماً خطأ ، إذ ظن أنى أدين بمبدأ سياسى معين ، ولذلك خص الجزء الأكبر من رده

على صفحات الرسالة لهدم المبادىء الحديثة كالنازية والشيوعية .

هذا فى حين أنى صرحت له مراراً ، وها أنا أعود إلى التصريح مرة أخرى ، أنى لا أدين بمبدأ معين ، ولم أتقيد إلى اليوم بفكرة كاتب من الكتاب السياسيين العالميين ، وعلى الأخص (كارل ماركس) . فأنا لا زلت شاباً فى الرابعة والعشرين من عمرى جمل همه مشاهدة الواقع والبحث عن الحقيقة والفكرة التى تنطبق على هذا الواقع ، سواء كانت فى النازية أو الشيوعية أو الديمقراطية ، أو حتى فى الفوضوية ! فدعنا من كل هذه المبادىء وتعال إلى الواقع . أليس فى البلد من يملك عشرة آلاف فدان ، فى حين أن فيه عشرة آلاف فقير لا يملكون ثمن رغيف وطبق من الفول المدمس ؟

أليس فى البلد من يملك عشر سيارات ، فى حين أن فيه عشرة آلاف يسيرون حفاة ؟

أليس فى البلد من يموت بالتخمة وضغط الدم ، وفيه من يموت بالجوع وفقر الدم ؟!

هذا هو الواقع ، وهذا ما ناديت بإصلاحه ، ولم أقل كيف يتم هذا الإصلاح ، ولم أشر باتباع مبدأ من المبادىء التى أشار إليها الأستاذ العقاد

ولكن الأستاذ العقاد يقول أنه ديمقراطى يدين بالديمقراطية لأنها تصون الحرية الفردية . فلأكن مثله ديمقراطياً ، ولنبحث سوياً بين النظم الديمقراطية المتبعة فى مختلف الدول عن طريقة لإصلاح الواقع الذى تحدثت عنه

وأعتقد أننا لن نتعب طويلاً فى هذا البحث . فالطريقة التي نطلبها متبعة فعلاً فى انجلترا زعيمة الأمم الديمقراطية

فى انجلترا الآن قربوا الفارق بين الغنى والفقير ، حتى أصبحا متساويين تقريباً . وذلك عن طريق فرض ضرائب مرتفعة على الأغنياء بلغت فى بعض الأحيان ٩٠٪ ؛ فالغنى الذى يصل دخله اليومى إلى مائة جنيه (مثلاً) أصبح لا يملك من هذا المبلغ إلا جنيهاً واحداً يصل به إلى مرتبة الرجل العادى

قد يقول الأستاذ العقاد أن هذا ظرف استثنائى فرضته الحرب ، وأن هذه الضرائب تستغل فى تشغيل العاطلين ـ وهى أهم الطرق للقضاء على الفقر ـ ولكن تشغيلهم فى المصانع الحربية ، وهذا ما لا يرضى به العقاد

ولكن لماذا لا يظل هذا النظام ثابتاً حتى بعد انتهاء الحرب ؟ ولماذا لا تستغل هذه الضرائب فى سبل أخرى غير إذكاء نار المذبحة الكبرى ؟ لماذا لا تستغل فى فتح الطرق وإنشاء مصانع سلمية ورفع أجور العمال ... الخ . من الوسائل الكثيرة التى فكروا فيها قبل الحرب وكان ينقصهم المال لتنفيذها ؟

* * *

إذاً فهناك طريقة ديمقراطية للقضاء على الفارق الاقتصادى بين الطبقات ، أو على الأقل لتخفيفه ، وهى طريقة ترضى الأستاذ العقاد ، لأنها لا تتصل بالنازية أو الشيوعية ، ولأنها ديمقراطية ، والديمقراطية لا تقيد حرية الفرد التى يدافع عنها أستاذى الكبير

فإذا ما وصلنا إلى هذا الحد واتفق رأيانا عند هذه النقطة . فلا داعى للحديث عن الحرية ، ومدى ارتباطها بالفقر ، وهو الموضوع الذى كان أساساً لهذه المقالات .

إحسان عبد القدوس

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 534

Lundi - 27 - 9 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٥٣٤ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٧ رمضان سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة

٧٦١ يا دموع الفقراء .. ... : الأستاذ دريني خشبة .. ...
٧٦٣ فوق جبل البارود ... .. : الدكتور زكي مبارك .. ...
٧٦٦ حكاية الوفد البكـبروى .. : لأستاذ جليل ... .
٧٦٩ نشأة المأساة الانجليزية ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٧٧٢ مكتبات عربيـة في الشرق والغرب ... . : الأسـتاذ محمد عبد الغني حسن
٧٧٤ الاسلام والفنون الجيلة ... : الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق
٧٧٦ كوبيرنيكوس ... ... : الأستاذ جودة شهوان . .
٧٧٨ متى أراكم ؟ [قصيدة]
٧٧٨ سـلام على قلبي « : السيدة الفاضلة « دنانير » ...
٧٧٨ صلاة ... ... « : السيد فؤاد كامل ... ...
٧٧٩ وحى القرآن بالفظ ... .. : الأسـتاذ محمود البشبيشي ...
٧٧٩ قسم القراءات بكلية اللغة العربية : (س) ... ...
٧٧٩ ظاهرة لغوية ... . . . : الأديب زكريا إبراهيم ... ...
٧٨٠ استدراك ... . : السيد رشدي عرفة ... ...

من وحي الفطر

يا دموع الفقراء...

للأستاذ دريني خشبه

وا رحمتاه لـكم يا أحب خلق الله إلى الله !

تُرى مَن مِن أفراد هذا الموكب الزاخر الذى حط عن كتفيه عبء رمضان يذكركم كما تذكركم السماء ، ويمد إليكم يده بالقروش الجديدة الحمْر قبل أن يمدها إلى أبنائه ؟!

لقد عرف الأغنياء الصائمون فرحتهم صبيحة العيد المبارك ، فهل عرفتم فرْحتكم كما عرفوها ... أم كنتم تنظرون إليهم ثم تُقَلِّبون نظراتكم في السماء ... ثم تنتثر من عيونكم تلك الدموع التي لها حسابها عند الله

ألا ليت الأغنياء رحموكم إذْ لم يذكروكم فلم يتيهوا بينكم بهذه الثياب التي لا يمكن أن تُشترى إلا بأرباح الحرب ، وما صنعته الحرب في خزائن الأغنياء من أعاجيب

عندى لـكم رأى يا أحب الناس إليّ ...

كفكفوا هذه الدموع ولا تُذرّوها في تلك المناسبة من السهل أن نكون جميعاً نُسّاكاً في مأساة عِيدِنا هذا العام ...

وأول واجبات الناسك ألاّ يَغبط ذليلاً بعيش أبداً

ومن واجباته كذلك أن يجعل نُسُكه فلسفة ، فيقول مثلاً : لقد آثرت أن أكون ناسكاً لأننى لا أحتاج إلى شىء ولا أفتقر إلى أحد ، ...

إننى أريد أن أفرغ إلى الله ربى ، وزخرف الحياة يشغلنى عن الله ربى ، فليست بى حاجة إلى هذا الزخرف الباطل الذى يصرفنى عن تأملاتى !

ليس فى هذا الذى أقول نسيان لنصيبى من هذه الدنيا ، فحسبى أن يكون هذا النصيب جرعة من ماء وكسرةً من خبز الشعير وحبةً من ثانى الأبيضين الذى يسمونه الملح

ومن واجبات الناسك أن يكون سعيداً بأسماله البالية فلا يتبرم ولا يتسخط ولا يتهم السماء ، حتى حينما يرى الأغنياء الذين لا يبالون هذه الأزمة الطاحنة ، فهم يزهون فى أثمن الثياب وأغلى الأفواف ... إن من واجبه فى تلك الحال أن يبتسم ابتسامته التقليدية الخالدة ... إبتسامته الساخرة التى تستهزئ بالذهب وتستهزئ بالفضة وتستهزئ بالحرير المفتّل ... الابتسامة العامرة العليمة التى تعرف إلى أين ينتهى هذا الذهب وماذا هى عاقبة الفضة والحرير المُفتّل ... وعاقبة الدور والقصور ، وحياة اللهو ومتاع الغرور

لنكن نُسّاكاً وفلاسفةً من هذا الطراز يا رفاق !

فإذا صدمتنا الحقيقة ، وأعاد إلينا الواقعُ صوابنا ، وذلك حينما يفاجئنا أطفالنا بمطاليبهم من لُعَب العيد وطُرَفه ، فلنكن نحن لُعَبهم

لندَعْهم يصارعونا ويلاكمونا ويشدوا أذقاننا وأكمامنا . ماذا نخشى على هذه الأكمام يا رفاق ؟ أليست كلها مِزَقاً وأسمالا ؟ إنهم مهما صنعوا فلن يزيدوها تمزيقاً ، لأنهم ليسوا أقوى من الحرب ولا أفتك من الغلاء ، ولا أطول باعاً من السنوات الأربع التى تصرمت فى هذه الشدة ، والتى لم تُبْقِ من أسمالنا لأولادنا شيئاً يمزقونه ... ولا شيئاً يرتدونه ، حين تكلّ حيلتنا فيه ، ولا ندرى ماذا نلبس منه وماذا ندع !!

لنكن لُعَبَ أطفالنا فى هذا العيد ...

ليركبونا إذا كان لا بد لهم أن يركبوا شيئاً يعوضهم من عربات العيد التى ستكون وقفاً على أطفال الأغنياء ، والذين فازوا بأرباح الحرب ومن إليهم من مخزنى الشاى والمسامير وأمواس الحلاقة والزيت « الفرنساوى ! »

إن من واجب النسّاك أن يكونوا مطايا لأبنائهم ليحملوهم بعيداً عن موكب أبناء الأغنياء فيستريحوا من المقارنات والموازنات ... ولا يقول قائلهم معترضاً على أبيه وعلى الله وعلى الناس ... لماذا يا ترى يبخل على أبى فلا يشترى لى مثل هذه الصفراء أو تلك الحمراء مما يرتدى هؤلاء الأبناء ؟

وقد علّمنا رمضان القناعة أيها الرفاق ، وإن يكن قد أصاب الأغنياء ومن فازوا بأرباح الحرب بألوان من التخمة ، وصنوف من البطنة ، نسأل الله أن يمشيا بمعالجتها نطس الأطباء ...

فبحسبنا أن نقدم لأطفالنا أكلتين مكان ثلاث أكلات و « تصبيرتين » يحظى بها أبناء الأغنياء ... فإذا شكا أطفالنا مسغبة فذكروهم بما كان فى رمضان القريب من حال الفطور والسحور ...

رضى الله عنك يا ابن عفّان ، ما كان أقوى إيمانك بالله يوم نزلت لفقراء المؤمنين عن عِيرك كلها من دون التجار ... لأنك آثرت البيع لله ، ليُربحه ، ويُربيه عشرة أضعاف ومائة ضعف ... إلى سبعمائة ضعف ...

ألا يذكرك أغنياؤنا فيجعلوا زكاة فطرهم وزكاة مالهم ضعفين أو ثلاثة أضعاف ، فى زمن زاد فيه ثمن الحياة خمسة أضعاف وعشرة أضعاف ؟

أيها الرفاق الفقراء !

لموا شملكم ، واجمعوا قلوبكم ، وارفعوها إلى السماء ... إلى الله بارئكم ... صلاةً شاكيةً باكيةً ... فيها الحزن الذى يشوبه الرضى ، وفيها الأنين الذى يخالطه الإيمان ... عسى ربكم أن يفرج كربكم ويصلح بالكم .

دريني خشبة

فوق جبل البارود

للدكتور زكي مبارك

طاف الشاعر بالشواطىء طوافاً طال حتى بلغ سبع ساعات ، وكانت غايته من طول الطواف أن يرى جنّية تفوق صاحبة الميعاد ، ليستطيع التمرد عليها إن فكرت فى التمرد عليه ، ولكنه لم ير فى الشواطىء ما يُصبيه أو ينسيه ، فقد كانت الجنية أقوى روح تخطرت فوق تلك الرمال

أيان يذهب الشاعر لو نفرت منه الجنية ؟

لقد سحرته سحراً لا نجاة منه ولا خلاص ، وصيرت السجن أحب إليه من الحرية ، وفرضتْ عليه أن يفرح بنعمة الشقاء

إنه يذرع الشواطىء من الجنوب إلى الشمال ، ومن الشمال إلى الجنوب ، فلا يرى من ذلك المُلك العريض ، مُلك الُحسن الوهاج ، غير ألماح مقبوسة من نيران الجنية ، والجنيات خُلقن من النار لا من الماء

سبع ساعات والشاعر فى حيرة من أمره ، فى حيرة من بخل الطبيعة بأن تجود عليه بما يُصْبيه أو يُسْليه ليتمرد على الجنية لحظةً من زمان

وكان الميعاد عند الغروب ، فى اللمحة التى تخلع فيها الشمس أثوابها الفضية لتستحمّ فى البحر وتنام إلى الصباح

— ألا تخاف على الشمس من هذه العاقبة ؟

— أية عاقبة يا محبوبتى ؟

— عاقبة اغتراق الجمر فى الماء

— لو كان الماء يطفىء الجمر فى كل وقت لأطفأت دموعى نار قلبى

— ولك دموع وأنت أقسى من الجلمود ؟

ومضينا نخلو نا بمكان لا يهتدى إليه رقيب ولا عذول ، وكانت الخلوة مزعجة إلى أبعد الحدود ، فقد كان الغرض أن أستطيع حصر نار الجنية فى مكان ، وأن تستطيع الجنية حصر قلبى فى مكان

— إجلس هنا لأجلس هناك

— جلست هنا فاجلسى هناك

— ولا تمد يدك ولا بصرك

— أما أملك كف يدى ولا أملك غضّ بصرى

— وكيف رضيت بهذه الخلوة يا شقية ؟

— أردت أن أمتحن قدرتى على مقاومة الساحرين من أمثالك ، فامتحن قدرتك على مقاومة الساحرات من مثيلاتى

ثم أسلمت الساحرة جفنيها إلى نوم عميق

كان قلب الجنية بكراً قبل أن أراها وترانى ، فليس لها فى الحب تاريخ ، ولم يَجر اسمها على ألسنة اللاجنين ، ولا أقلام العابثين ، وإنما استهواها قلمى وشعرى فأرادت أن ترى كيف يعيش الكتاب والشعراء

لا بدّ مما ليس منه بدّ

لا بد من احترام رغبة الجنية ، وهى قد ألحت فى أن (أقسم بشرف الحب لتنامَنّ فى أمان)

قال الشاعر : ونظرت فرأيتنى مقهوراً على امتشاق القلم لأسجل ظاهرة روحية لم يعرفها من قبلى أحدٌ من المحبين

كنت ألتهمها بعينىّ والقلم فى يدى ، وكان نومها هنيئاً بنوم الفتنة ، ونوم الفتنة مقدمة المهبوب

نامت الفتنة واستيقظ ضميرى ، فهممت بإلقائها من الشباك

ولكن هذه الفتنة ستتعرض لمآثم إن رفعت عنها حمايتى فى مثل هذا الليل

آه ثم آه !

أنا فى هذه اللحظة أقيم فوق جبل من البارود ، وشرارةٌ واحدة تكفى لتحويلى إلى رماد تذروه الرياح ، وأنا أبغض الفناء

واستيقظت الفتنة فرأتنى فى سياحة فارسُها القلم وميدانها القرطاس

— ما ذا تصنع ؟

— أسجل خواطر وكلمات

— وما ذا سجلتَ ؟

— سجلتُ ما نصُّه بالحرف :

« هي لحظة جمعت أطراف النعيم فى جميع الأقطار وفى جميع الأزمان ، فما كان لها مثيل فى تصوير عشاق النعيم فى زمان أو مكان ، لأنها فوق ما يجوز بخواطر أهل الخيال من طلاب المحال ... هي لحظة فيما تعرف التعابير الدنيوية ، ولكنها فيما تعرف الأرواح آبادٌ أطول من عمر الخلود . . . هى لحظة لا يبالى من يعيشها معنى الحياة والموت ، لأنه اجتاز بها آفاقاً لا يجتازها غير من تسامت قدرته على ضجيج الحياة وسكون الموت . . . فى تلك اللحظة طاف القلب وطاف الروح بمعالم ومجاهل لا يدرك العقل منها غير أطياف . . . هى لحظة ولكنها العصارة الدامية من قلب الوجود ، وأنا عشت تلك اللحظة فلتفعل الدنيا ما تشاء ، وما الذى أبقيته للدنيا حتى تنتزعه من يدى ؟ أنا نهبت من الدنيا جميع ما تملك ، فلتقابلنى إن استطاعت فى ساحة القضاء »

قالت الجنية : أهذا هو المحصول لمثل هذه المغامرة العاتية ؟

قلت : هذا ما يملك قلم يقيم صاحبه فوق جبل من البارود !

— ولكنى لم أر جديداً فى كلامك

— كيف وهو كلام لم يقله أحد من قبل ؟

— أنت قلت مثله مرات ومرات ، فكان مبتكراً أول مرة ، ثم صار من المبتذلات

— وإذن ؟

— وإذن تقول كلاماً غير هذا الكلام لأرضى عنك

ونامت الجنية من جديد ولم تترك لى سميراً غير قلمى ، فماذا أصنع ؟

الخطر كل الخطر فى عشق الوحيات من المليحات . هن يتوهمن أن العشق وسيلة لا غاية ، ويرين أن ثمرة الحب ليست طفلاً يولد على نحو ما تكون ثمرات الحب فى عالم الحيوان ، وإنما الثمرة لمثل الحب الذى تسامينا إليه أن ينتج مواليد من كرائم المعانى ، مواليد لا تتعرض للمرض ولا للموت

صوّبت بصرى إلى وجه الجنية وكتبت :

« لقد آذانى الحسن المجلوب بالطلاء ، وهو حسن للموت فيه حيوية اللون ، فغمرت محبوبتى فى أثباج البحر لأرى قيمة ما تملك من جوهر الحسن الصحيح ، والجمال عندى بوزن بحيوية اللون ، وهى حيوية تتموج فوق الصدر والخد والجبين ، وقد تتموج فوق اليدين بأسلوب لا يدرك مراميه غير فلاسفة الجمال . إن اللون قد يحتفظ بالصورة ، ولكنه لا يحتفظ بالحيوية إلا إن سقاه ماء الشباب . وحيوية اللون هى سرّ السِّحر فى العيون الزرق والخضر والسود ، وهى أيضاً السبب فى أن يكون بعض السمر أجمل من بعض البيض ، لأن الأمر كله لحيوية اللون ، والقول بأن البياض نصف الحسن قول عليل ، فلا قيمة لنوع اللون وإنما القيمة لحيوية اللون »

ثم صوبت بصرى مرة ثانية إلى وجه الجنية وقد هممتُ بأشياء ، فهبّت مذعورة وهى تقول :

— ماذا تريد ؟

— أريد أن أقرأ عليك هذه الكلمات

فرحت الجنية بما سمعت ، ثم استسلمت إلى الهجود ، وتركتنى وحدى

أنا أقيم فوق جبل من البارود ، وشرارة واحدة تكفى لتحويلى إلى رماد تذروه الرياح

— أيتها الجنية ، إسمعى !

— لن أسمع ، وإن كنت سمعت

— وما نومُك هذه الليلة تحت بصرى ؟

— لأعرف ما عندك من المعانى ، فاكتب كلاماً يرضينى

ثم هجمت الجنية فى غيبوبة أبلغ من يقظة القلب الخفاق ، ونهضت قبل الشروق ، لتبلغ مأمنها قبل الشروق ، بعد أن عرفتُ أن الإسكندرية لا تقلّ روحانية عن القاهرة ، والمنصورة وأسيوط

لم تكن ليلتنا مما يُنتظَر فى دنيا الحقائق أو دنيا الأباطيل ، ولا جاز فى أوهامها أو أحلامى أن تجرى بيننا شؤون يفضحها نهار أو يسترها ليل ، فقد شقيتُ بالجنية ما شقيتُ ، وبئستُ منها مابئست ، ولم يبق لى أمل يفوق السماح بأن أعيش فى عذاب . . . وفى الحب سجون لا تُدخَل بدون استئذان !

كيف ظفرتُ بالجنية ؟

أكان من هواها أن تزور المكان الذى نظمت فيه قصيدة...

أى قصيدة ؟ وهل نظمت بيتاً غاب عنه وحيها الجميل ؟

إن حياتى فى جميع مناحيها الروحية لا تعرف غير تلك الجنية ، وأنا لا أرى الدنيا ولا أحبها إلا حين أتمثل روحها الشفاف وهو يناجينى برفق ، أو يلاحينى بعنف ، ونحن نذرع أودية الخيال

مضيت يوماً لرؤية النيل عند الطغيان ومعى صديق متبرم بمصر والمصريين ، فقلت :

— هل تعرف يا صديقى كيف أرى مصر ؟

— كيف تراها ؟

— أراها فى وجه الجنية التى نشأت فوق ضفاف النيل ، ولولا الخوف من أن تتهمنى بالجنون لقبّلت كل وجه وكل شجرة وكل جدار بهذه البلاد

— من أجل مَن ؟

من أجل الجنية ، فهى وحدها الدليل على أن مصر وطن الجمال

— الآن عرفت

— وماذا عرفتَ يا جهول ؟

— عرفتُ كيف نجوت من التبرم بمصر والمصريين

— مصر وطن الجنية ، والمصريون أعمامها وأخوالها ، فأنا لها ولهم أوفى الأوفياء

— وما نصيبك من الجنية ؟

— نصيبى أن تكون لى وحدى ، وهى لى وحدى

— وهل تكون أجمل من الشمس ؟

— جمال الشمس جمالٌ مبذول ، فليس له سحرٌ ولا فتون أما جمال الجنية فهو جمال الزهرة المشرقة فى ضمير البيداء ، ولن تكون لغير من يدرك سرها الغريب

— وكيف اهتديت إلى هذا الجمال المجهول ؟

— لقد اهتدى إلىّ قبل أن أهتدى إليه ؟

— وكيف ؟

— صنع معى ما تصنع السرحة لاجتذاب البلبل ، فأورق وأزهر ليطيب فوق غنائى ، فأنا أبدعت ذلك الجمال

— وهو أبدع بشعرك

— وصيّرني من أقطاب الوطنية ، فما يحب الرجل وطنه إلا إن كان له فيه هوًى وميعاد

مضت أعوامٌ وأعوام ولا أرى شمس مصر عند الشروق ، وقد رأيتها عند توديع الجنية ورأيت معها النخلات المتشوفة لنور الصباح

مضى الزمن الذى كان أبى يوقظنى فيه لصلاة الصبح قبل طلوع الشمس

فهل نعرف كيف قضت الشريعة بصلاة الصبح قبل طلوع الشمس ؟

شباب النهار فى الشروق ، وشباب الروح فى الشروق ، فاحذروا نومة الصبح ، لأنها لا تليق لغير النساء

لو رجعت الجنية لحدثتها بما نقلت عنها وهى تغرب عنى مع الشروق ، كما يذهب الُحلم الجميل مع الشروق

علّمتنى الجنية ما لم أكن أعلم ، علّمتنى أن الحب جهاد ، وأن الله لا يخذل المجاهدين

هل رأيت الجنية فى دارى بالأسكندرية ؟ هل رأيتها هنالك ؟ وهل كان هذا التناجى من الحقائق لا من الأباطيل ؟

قلبي يقول إنى رأيتها وأنا لا أكذب قلبى ، فإن لم أكن رأيتها فما هذا الذى أعانى من لجاجة الواشين والرقباء ؟

لم يرونى معها جنباً إلى جنب ، أو قلباً إلى قلب ، وإنما رأوا بشاشة روحى وأنا عائد من الأسكندرية فقدروا أنى احترقت فى كوثر الوصال

روائح النعيم فى أعطافى ، ونيران الوجد فى أحشائى ، فأنا رأيت الجنية هناك ، ثم رأيتها هناك

رأيتها رأيتها ، وشربت على وجهها كأس الصفاء ، فليفرح روحى بما يزخرف خيالى ، ولو صرحت لتعرضت للشرارة التى تنسف جبل البارود

أنا ما رأيت الجنية ولارأتني ، وما كان حديثى عنها إلاضرباً

٣ـ حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

١ — قول منشىء الخبر حاجب بن زرارة التميمى هذا القول :

« ... إن العرب أمة قد غلظت أكبادها ، واستحصدت مرتها نحن وفودها إليك ، وألسنها لديك ... »

وقد عنى الصباغ بالأمة مصطلح وقته ، وما نذهنه نحن فى هذا العصر ، ولم يقل عربى جاهلى فى زمن : نحن أمة . وإنما يعرف العربى عشيرته أو قبيلته أو رَبعه أو حيّه أو مدنيته أو يمنيته أو تهاميته أو ما ضارع ذلك . وإن كان فى لغته من معانى الأمة (الجماعة) ، فلم يقلها كما لم يقل نحن جماعة العرب قاصداً جميع العرب وأحياءهم وقبائلهم كافة . وما جاءت العرب أمة إلا من بعد أن ألّفها (مؤلفها) وقرأت (سفر التكوين ...)

ويعز على العربى الصحيح أن يرى العرب قد ناكروا التأليف الدهر الأطول ، وقرءوا (الكتاب) ولم يعقلوه ، ولو عقلوا لكانوا أمة أى أمة ، ولعربت الدنيا وأحال أهلها[١]

يا هؤلاء ، سيروا فى قومكم سيرة عمرية ، وخلصوهم من البؤس والجهل والأمية ، وعلموا العربية ، وعلموا القرآن ، علموا القرآن تقبل إليكم وحدة عجيبة عربية

ابن على الصخر « لا كالبناء على الآجر والطين »

وللأمة فى (الكتاب) معان جمة ، أكثرها الجماعة والدين أو الملة . قال تعالى (والأمة هنا هى الجماعة) :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله . ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ، منهم المؤمنون ، وأكثرهم الفاسقون »

فالأمة فى الآية الكريمة « هم الذين هاجروا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى المدينة ، وخاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » كما جاء فى (جامع البيان) للطبرى

والمهاجرون عرب وغير عرب كما هو معلوم ، وقد كان فيهم سالم بن معقل الأصطخرى ولو لم يستشهد فى قتال عرب مرتدين لكان الخليفة الثالث[٢] . وسالم هذا مهاجر ، وبدرى ، وأنصارى بالولاء ، وشهيد (الله أكبر ، الله أكبر !) ، وكان يؤم فى الطريق من هاجر معه من مكة ، وفيهم عمر بن الخطاب (رضوان الله عليه)

فالآية لا تعنى العرب إذ لم يكونوا عند نزولها قد أسلموا فضلاً عن أن يأمروا بمعروف وينهوا عن منكر . وقد ارتد جلهم حين أظلمت الدنيا بفقد رسول الله ، وكادت مكة[٣] ترتد مع المرتدين ؛ لكن أين المفر من الهدى والخير ، وهناك (خير أمة

(١) النهاية : ومنه الحديث : من أحال دخل الجنة يعنى أنه تحول من الكفر إلى الاسلام

(٢) فى (تاريخ الأمم والملوك) للطبرى : أن عمر لما طعن قيل له يا أمير المؤمنين لو استخلفت ، قال : من استخلف ؟ لو كان أبو عبيدة حياً استخلفته ... ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً استخلفته ... » وفى الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون : لوليته أو لما دخلتنى فيه الظنة . وقال ابن خلدون : ولما استعظم عمر أمر الخلافة ورأى شروطها كأنها مفقودة فى ظنه عدل إلى سالم لتوفر شروط الخلافة فيه

(٣) فى كتاب (الأصول) لأبى عبيد القاسم بن سلام : « إن عمر كان لا يعطى أهل مكة عطاء ولا يضرب عليهم بعثاً ويقول : هم كذا وكذا كلمة لا أحب ذكرها »

من تزاوير الخيال ، فليطمئن عذالى ورقبائى ، وليعرفوا أن حديث الجنية بعض الذى زورت من الأحاديث

أنا قضيت ليلة مع الجنية بعد ليالٍ وليال ، وهذا عطرها فى قلبى ، وهذا سحرها فى قلمى ، فليصاولنى سكان وادى عبقر، إن كانوا يطيقون

أتغضب يا ربى لأن أقول هذا القول ؟ أنا أحكم بما أرى ، وأنت لعدلك لا تطالبنى بأن أحكم بغير ما أرى ، وهذه الجنية هى آيتك عندى على التفرد بالجمال

هى فى سحرها قَبَسٌ من سِحْرك ، وبجمالها أتعرف إليك ، فاجعل حبى لها كفارة عما ساورنى من العقوق

هى جبين الشمس ، وأنت فاطر الشمس ، فليكن حبى لها وثنائى عليها فناً من الحب لك والثناء عليك .

زكى مبارك

أخرجت للناس) وفيها أبو بكر ، فيها أبو بكر . وكان معد يكرب أحد رجال الوفد ... ممن ارتد

ومن معانى الأمة (القرن) قال تعالى :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً »

ومن معانيها الدين فى قول النابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

ومثل ذلك قول غيره :

وهل يستوى ذو أمة وكفور

والأمة هى النعمة فى قول الأعشى ميمون بن قيس :

وللموت خير لمن ناله إذا المرء أمته لم تدم

٢ — يقول النعمان لكسرى :

« إن الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم فى الصفات ما ليس لشىء من ألسنة الأجناس [1] »

ذكر وزن الشعر ولم يبق إلا أن يذكر بحوره

الوزن لفظة محدثة وضعها الخليل فيما وضع لفن العروض ، ولو سمع جاهلى : وزن الشعر لدهش وبهت . وقد جال الجوهرى فى أحياء العرب فلم يسمع هذا المصطلح . ولا يفهم العربى فى الجاهلية من الوزن إلا الثقل والخفة فى حقيقة أو مجاز ، كقولهم : كلام موزون ، وهو وزن الرأى أى رزينه كما فى الأساس . وفى اللسان : هذا القول أوزن من هذا أى أقوى وأمكن . وفى جمهرة اللغة لابن دريد : الوزن أصله مثقال كل شىء وزنه ، ثم كثر فى كلامهم حتى قالوا فلان راجح الوزن إذا نسبوه إلى رجاحة الرأى وشدة العقل

وأما قول اللسان : وأوزان العرب ما بنت عليه أشعارها واحدها وزن ومثله قول التاج ، وزاد هذا «وهو مجاز» . فالكلام فى المعجمين تفسير لما اصطلح عليه الخليل لا شرح لفظ ورد عن العرب فى جاهليتها . ولا ريب فى أن نابغة العرب لم يستعمل (الوزن) إلا مجازاً

والقافية من مصطلحات الخليل وإن وردت من قبل ، ومعناها فى أقوالهم هو غير ما أراده الصائغ وقوله النهان . وقد اختلفوا فى حدها (أعنى القافية) على اثنى عشر قولا ...

ومن بديع ما يروى أن علم القافية « واضعه امرؤ القيس ابن ربيعة المعروف بالمهلهل خال امرىء القيس بن حجر الكندى » واللاغى بهذا القول قد سلب الخليل بن أحمد الفراهيدى حقه سلباً مجبا ، وظلم عبقريته ظلما عبقرياً

واضع علم العروض والقوافى فى العربية هو الخليل ، ولن يضع من قدره شيئاً أنه علم أن عند الإغريق عروضاً ، أو حدثه بذلك عالم باليونانية ، أو أطلعه على باب من هذا الفن عند القوم . فنى (الغيث المُسْجِم فى شرح لامية العجم) للعلامة صلاح الدين الصفدى :

« وذكر لى العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى أن الشعر اليونانى له وزن مخصوص ، ولليونان عروض لبحور الشعر . والتفاعيل عندهم تسمى الأيدى والأرجل . قال : ولا يبعد أن يكون وصل إلى الخليل بن أحمد شىء من ذلك ، فأعانه على إبراز العروض »

إن فضل الخليل فى إبداعه عظيم — وإن صح ما ذكر ابن ساعد — ولن يصغره أقل تصغير منبه حقير نبهه فتفطن لما تفطن له ، وأغرب ذلك الإغراب ، وخاض فى تلك البحور ...

وقل فى (علم العربية) ما قيل فى غيره ، فلن يضع من قدر الناحين الأولين أنهم علموا أن عند السريان واليونان قواعد للغاتهم ، فنحوا فى ترتيب قواعدنا نحوهم

وإذا عرفنا واضع علم فن العروض ، فإنا من واضع النحو فى لبس كبير . وأما قول ابن أبى الحديد فى شرح النهج أن أحد كبار الصحابة (رضى الله عنهم أجمعين) : « هو الذى ابتدعه وأنشأه وأملى على أبى الأسود الدؤلى جوامعه وأصوله ، من جملتها : الكلام ثلاثة أشياء : اسم ، وفعل ، وحرف ، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم . وهذا يلحق بالمعجزات ؛ لأن القوة البشرية لا تفى بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط »

قول ابن أبى الحديد هذا هو أملوحة من الأماليح ، وأبو الحسنين (رضوان الله عليه وعلى إبنيه) كان معلم بطولة

---

(١) أغلب الظن أن منشىء (المقامة) قال : الناس لا الأجناس وقد مغى التصحيف إلى هذه اللفظة كما مشى إلى كثير من ألفاظ (المقامة) والأجناس تشمل أمما جة ... منها الناس وغير الناس ..

وأخلاق ، وكان بانياً من بناة هذه الأمة ، ولم يكن أستاذاً من أساتذة النحو ...

أورد ابن النديم فى « الفهرست » هذا الخبر بعد أن روى تلك الأسطورة المشهورة ، وقد يكشف شيئاً من اللبس بعض الكشف :

« وقال آخرون : رسم النحو نصر بن عاصم الدؤلى . ويقال : الليثى ، قرأت بخط أبى عبد الله بن مقلة عن ثعلب أنه قال : روى ابن لهيعة عن أبى النضر قال : كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية ، وكان أعلم الناس بأنساب قريش وأخبارها وأحد القراء »

نروى هذا الخبر إلى أن يتبين للباحثين الحق

***

ذكرنى هذا البحث فى العروض والنحو بمناظرة كانت بين العلامة الأستاذ الدكتور (بديع الزمان) وبين الأستاذ (أزهرى المنصورة) فى ذينك الفنين ووقت كونهما حيث تجادل بالأمس صاحب العزة العلامة الأستاذ الدكتور طه حسين بك وسيادة العلامة الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى (أعز الله دولة الأدب العربى بطول بقائهما) وقد أحببت أن أروى هنا آخر مقالة فى تلك المناظرة ، ولكن (الرسالة) تأبى إلا الغض الجديد ، فأكتفى برواية المقدمة نموذجاً من العبارات الشديدات فى المناظرات ، وهى أقسى ما واجه به الأستاذ (أزهرى المنصورة) خصمه العلامة الأستاذ الدكتور بديع الزمان

قال ذلك (الأزهرى) :

جاء فى تاريخ ابن الوردى

« عزم قاضى الموصل أن يقول للسلطان فى إخراج (قضيب البان) الولى المشهور من الموصل فى سره ، قال القاضى : فرأيت قضيب البان مقبلا على هيئته المعروفة ، فمشى خطوة فإذا هو على هيئة (كردى) ، ثم مشى خطوة فإذا هو على هيئة (بدوى) ، ثم مشى خطوة فإذا هو على هيئة (فقيه) بصورة غير الصورة المتقدمة ، وقال لى : يا قاضى ، هذه أربع صور رأيتهن ، فمن هو قضيب البان منهن حتى تقول للسلطان فى إخراجه ؟ فلم أتمالك أن أكببت على يديه أقبلهما وأستغفر الله ... »

الشاهد فى هذه الحكاية أن الأستاذ (بديع الزمان) قد شا كل ولى الله (قضيب البان) فهو يبدو لنا مرة باريسياً ، ويتجلى حيناً أزهرياً ، وتراه فى وقت عربياً ، وتلقاه تارة باحثاً غربياً ، وكأنه ما تسمى (بديع الزمان) إلا لكى يأتينا من بدائعه - ليبهرنا - بأشكال وألوان

وقلما أبصرت عيناك من رجل إلا ومعناه إن فتشت فى لقبه

فهو فى الإعراب مع المعربين ، وهو فى اللحن مع اللاحنات ، وهو فى مبحث عند العربيات ، وهو فى حديث حدث غربيات - فقلبه وثاب ... - وهيهات أن نخلص منه ، لا علينا ولا لنا ، هيهات

***

إن فى (المنصورة) اليوم (لكريماً) ، وإن فى (المنصورة) اليوم (لكرماً) (ده)

٤ـ نشأة المأساة الانجليزية

للأســتاذ دريني خشبة

المأساة الإنجليزية كالمأساة اليونانية والمأساة اللاتينية هي أرق ألوان الأدب الإنجليزي ، وقد اعتمدت في نشأتها الأولى على مصدرين عظيمين ، أولهما أهلي ـ أو إن شئت فقومي ـ والآخر خارجي . أما الأهلي فهو هذا الثبت التاريخي الحافل المسمي (المرآة لأولي الأمر) For Magistrates The Mirror الذي بدأه توماس ساكفيل (أو لورد بكهرست ١٥٣٢ـ١٥٨٤) سنة ١٥٥٧ وتوخى فيه سرد مآسي عظماء الإنجليز منذ الفتح النورماندي حتى نهاية القرن الرابع عشر . وقد قلد المؤلف ما جاء في أساطير اليونان من زيارة أحد أبطالها للدار الآخرة ـ أو هيدز ـ وذلك كما في أسطورة أرفيوس الموسيقى وأسطورة هرقل ، وما جاء في إنيادة ڤرچيل ورؤيا دانتي حينما قاده دليله (سوء الطالع) إلى الجحيم ليجوب دركاتها دركة بعد دركة ، وليسائل ثمة الذين كتب عليهم أن يكون مأواهم النار بعد الذي قدموا في دار الفناء من خير وشر . فهم يقصون عليه الويلات التي سوّدت صحائف حياتهم الدنيا ، ويحدثونه أحاديث المصائب التي انصبت على رؤوسهم فيها . ولم يكتب ساكفيل غير مقدمة هذا السفر العظيم ، وهي مقدمة سياسية رائعة ، ثم كتب من مجموعة الأساطير الكبيرة التي بلغ عددها ثمانياً وعشرين ، الأسطورة الأولى ... أما الذي قام بهذا العمل الجليل فهو أديب يدعى ريتشارد بولدوين بمساعدة طائفة من الأدباء الآخرين عنوا عناية فائقة بمآسي عظماء حروب الوردتين . والظريف أن هذا الأثر الأدبي الخالد هو نفسه الذي أوحى ـ بعد تمامه ـ إلى ساكفيل وإلى زميله توماس نورتون موضوع أول مأساة تمثيلية إنجليزية بحتة ، هي تمثيلية جورْبودك Gorboduc أو فِرّكس وبوركس . وجوربودك هذا هو أحد ملوك بريطانيا العظمى ، وڤيدنا هي زوجته ، أما فركس وبوركس فهما ولداه اللذان قسم بينهما ملكه ، فما لبثا أن تنازعا وقتل أحدهما (بوركس) الآخر ، فتثور الملكة ، وتقسم لتنتقمن لولدها من أخيه ، وتتنهز لذلك فرصة سنحت لها إذ رأته نائماً يغط في سبات عميق ، فتستل خنجرها وتغمده في صدره ... ويثور ثائر الشعب حنقاً على الملك (جوربودك) وعلى الملكة فيقتلهما على السواء

فهذه هي المأساة الإنجليزية الأولى ، وقد نظمها مؤلفاها في شعر رصين وعبارات مشرقة قوية ، وصبَّاها في قالب أخاذ ، كما يمتدحها الناقد الإنجليزي العظيم الشاب السير فيليب سدْني في كتابه « الاعتذار عن الشعر » ، وإن يكن رجال المسرح الحديث لا يحملون لها تلك القيمة التي أسبغها عليها هو . والمأساة موضوعة على نمط المآسي الإغريقية تقريباً ، وهو هذا النمط الفذ الذي لا تبدو فيه أشخاص المأساة ، وإنما تأتي بأخبارهم رسل يروون الوقائع واحدة بعد أخرى ، فهي أشبه بتمثيلية قصصية يسردها علينا رسلها الأربعة ـ بعد شخصيات المأساة ، كما كان الشاعر في المأساة اليونانية ـ ولا سيما قبل سوفوكلس ـ هو الذي يؤدي أدوار شخصياته كلها بمعاونة الخورس في الإنشاد فقط ، أو في حكاية بعض الحوادث التي تمهد لما بعدها من وقائع الرواية

وهكذا كانت المآسي التاريخية التي حفلت بها تلك (المرآة) مصدراً هاماً للشعراء الذين ألفوا للمسرح في نصف القرن السادس عشر الأخير على العموم ، وفي ربعه الأخير خاصة

وقد كان المسرح الفرنسي نبراساً يضيء على البعد المسرح الإنجليزي في هذا المضمار ، لكن المسرح الإنجليزي مع ذلك احتفظ بالطابع الذي يميزه ويُبقي له استقلاله ، ذلك أنه آثر كمال الوحدة للمأساة ، واتساق الحوادث التاريخية وترابطها ، دون أن يأبه بما كان هم المسرح الفرنسي أن يأبه له ، ألا وهو ذلك النقد اللاذع ، والسخرية الحادة ، والمظهر العام الذي ينبغي أن يكون براقاً خلاباً . هذا ، وقد ظهرت درامات تاريخية أخرى كانت مادة خصبة فيما بعد ، أمدت شيكسپير بموضوعات شائقة لكثير من مآسيه ؛ فمن ذلك دراما « عهد الملك چون المضطرب » التي اقتبس منها شيكسپير مأساته « الملك چون » ، كما اقتبس مأساته « الملك لير » عن دراما مماثلة اسمها « التاريخ الحقيقي للملك لير وبناته الثلاث : جونرل وراجان وكورديلا » . وقد وجد الشعراء الإنجليز غير شيكسپير مدداً لا ينتهي في تاريخ ملوكهم ،

فاتخذوا منه موضوعات لمآسيهم الجليلة الشجية . فهذا پيل Peele يؤلف فى حياة إدورد الأول ؛ وذلك مارلو ينفح المسرح بمآسيه عن إدورد الثانى وإدورد الثالث ؛ وذاك شيكسبير يُسلم للخلود مآسيه عن رتشارد الثانى ولير وهنرى الرابع وهنرى الخامس وهنرى السادس ... الخ . ولم يقتصر الشعراء على مآسى الملوك ، بل اتخذوا من الأحداث التاريخية نفسها التى وقعت فى عصور هؤلاء الملوك موضوعات لطائفة طيبة من أروع مآسيهم كما صنع توماس هيوود فى مأساته « إن لم تعرفنى فأنت لم تعرف أحداً » التى اتخذ موضوعها من حوادث عصرَىْ مارى تيودور وإليزابث . على أن نوعا جديداً من المأساة الإنجليزية الأهلية ابتدعه الشاعر توماس كيد Kyd فى أواخر القرن السادس عشر وأطلق عليه المسرحيون « مأساة الدم » لكثرة ما يتخلل فصولها من الذعر والقتل والفتك والبكاء والجنون والانتحار ، وما إلى ذلك من ألوان الفزع . وتوماس كيد متأثر فى هذا اللون الذى ابتدعه فى المأساة الإنجليزية بشاعر الرومان وفيلسوفهم الأشهر سنكا . وليس يعرف المؤرخون كثيراً من حياة كيد . وهم مختلفون فى تاريخ ميلاده وفى تاريخ وفاته ، وإن اتفقوا أنه قضى حياته كلها فى النصف الثانى من القرن السادس عشر . ويقولون إنه شدا شيئاً من العلم فى مدرسة « مرشانت تايلور » وإنه كان ثمة زميلا للشاعر الكبير سپنسر . على أن الذى لا مراء فيه هو أنه مؤلف المأساة المشهورة «المأساة الأسبانيه» ، أو « هيرونيمو مجنون ثانية » التى يقال إنها جزء ثان لجزء أول من مأساة مفقودة اسمها « هيرونيمو — أو چيرونيمو » والمأساة تبدأ بحوار بين شبح دون أندريا وبين وكيله إلى العالم الآخر ، واسمه الانتقام Revenge) وتنتهى بمذبحة عامة بين جميع أبطالها ، مذبحة أشنع مما تنتهى به مأساة (هملت) لشيكسبير ... ولكن مأساة دموية أخرى تسمى سليمان وبرسيدا لا تقل شناعة وتمزيقاً للأعصاب وتفجيراً للألم من المأساة السابقة ، بل تفوقها إلى الحد الذى لا تحتمله مشاعر القراء ولا تقوى عليه عواطفهم ، ولهذا فنحن نضرب صفحاً حتى عن تلخيصها . وقد كتب أديب آخر يدعى هنرى شتل Chettle مأساة دموية من طراز مآسى كيد اسمها هوفمان Hoffman ، فساهم بها مع كيد فى التمهيد لظهور المأساة الرومانتيكية (الإبداعية) فى انجلترا ، وهى المأساة التى عفت على آثار الدرامات الدينية بنوعيها (الإنجيلية والقديسية) كما عفت على آثار الدرامة الأخلاقية Morality . أما الذى أنشأ هذه المأساة الإبداعية إنشاء ، وسما بها إلى الذروة من الأدب المسرحى الإنجليزى فهو — خرستوفر مارلو الملقب بأبى المأساة الإنجليزية وصاحب الفضل الأكبر فى (تكييف الذوق الإنجليزى العام) وتوجيهه على الوجهة الرومانتيكية الرفيعة التى أزهرت أيما إزهار فيما بعد . ويعود فضله إلى تلك العملية الاختزالية الواسعة التى قام بها فى الدرامة المسرحية بوجه عام ، فلقد وجد تراثاً مختلطاً من المسرحيات الكلاسيكية المشوهة التى ترتكز على الناحية الاستعراضية وتحفل بها قبل أن ترتكز على الموضوع المتماسك المتسق ، والتى تعتمد على زيف المناظر وبهارجها وما يُقحم خلالها من مواقف التهريج المضحك إقحاماً ، قبل أن تعتمد على جمال الأداء وتسلسله . فلما أخذ مارلو ينظم أولى دراماته رأى أن يهمل كل هذا الزبد ليذهب جفاء ، وأن يقدم للمسرح سبيكة خالصة من كل تلك الشوائب التى وقع فيها أسلافه وأكثر معاصريه ، فعمد إلى الشعر المرسل الذى لا يرتبط بقافية فنظم به مآسيه ، وأتى فيه بالغرر والدرر ، فلم يصدم الذوق العام بكلام لا هو شعر ولا هو نثر ، ولم ينفر منه ذلك الذوق العام ، بل أقبل عليه وانجذب إليه ، وقدَّره قدره الذى هو له أهل ؛ ولم تنفر منه اللغة ولا موسيقا النظم ولا أوزان الشعر ، ولم يفر منه الجمهور ولا ثار به الممثلون ، بل كانوا جميعاً أصدقاءه المؤتلفين معه ، المعجبين به

لقد ترك مارلو للأدب الإنجليزى سبع تمثيليات شهد منها المسرح خمساً بين عامى ١٥٨٦ ، ١٥٩٣ ، أى فى أقل من سبع سنوات . أما أولى دراماته فهى تامبورلين الأكبر (تيمورلنك) وقد صور فيها الفاتح الشرقى صورة شاعرية شائقة إذ جعله بطلاً مثالياً ينشد الجمال المحض ، وهو ينشد هذا الجمال خلال مناظر الدم والرعب والتقتيل والفزع ، وهو مع ذلك يذوب أسى ويلتهب وجداً حينما يصف مرض زوجته الملكة وشحوبها ، ثم احتضارها ، وهو يبلغ آية الآيات فى السمو حينما ينعى هذه

الزوجة « التي تعدل الدنيا بأسرها » إلى صديقه ملك فاس

لقد نظم مارلو درامته بالشعر المرسل ، أي غير المقفَّى ، فكانت أول تمثيلية ملكت زمام هذا الشعر للمسرح الإنجليزي... والدهش أن مارلو فاجأ قومه بلون طريف من ألوان الشعر هو عندهم اليوم أرق هذه الألوان وأفتنها وأحبها إلى نفوس الإنجليز... وقد أطلق النقاد على شعر مارلو – في عصره بالطبع – لقب البيت العظيم The Mighty Lin أو ما نسميه نحن بجوزا القريض الفريد. ومع أن مارلو لم يكن يجاوز الرابعة والعشرين إذ ذاك ، فقد نجحت درامته نجاحاً عظيماً ، بموضوعها وبشعرها الفاجئ المجوّد ، وباستغنائه عن تلك الزوائد المسرحية التي لا تربطها بصلب الرواية صلة

وقد تجلت عبقرية مارلو بكل جبروتها في مأساته الخالدة (الدكتور فاوست) ، أو كما سماها هو « تاريخ الدكتور فاوست المحزن » ولا شك في أنه ابتدع هذه المأساة بعد قراءته لترجمة مأساة حياة الدكتور جون فاوست عن الألمانية Volksbuch كما ابتدع مأساة تيمورلنك من ترجمة حياته عن الأسبانية بقلم الكاتب الأسباني بدرو مكسيا . وقد قرأ نابغة الألمان العظيم جوته مأساة مارلو وأعجب بها غاية الإعجاب ، وربما كانت هي التي أوحت إليه موضوع آيته العظيمة (فاوست) ، بل إننا لنرجح أنه لم يكتبها إلا ليعارض بها مارلو ، ففي الأسطورة الألمانية ترى مجرد اللذة ، أو دافع السرور هو الذي يجعل فاوست يعد الشيطان بأن يُلقي إليه زمامه إذا هو – أي الشيطان – استطاع أن يبعد الأحزان عن قلب فاوست ، وأن يُنيله مشتهاه من لذائذ الحياة جميعاً . أما مارلو فقد جعل عقدة الرهان بين فاوست وبين الشيطان في أن يمنحه الشيطان السلطان المطلق والقدرة على كل شيء ... فإذا أمكنه من هذا فله روحه وله نفسه ، وله منه مايشاء . أما جوته فقد أراد أن يجعل العقدة في هذا الرهان شيئاً آخر غير الذي رما إليه مارلو ، وغير الذي رمت إليه الأسطورة الألمانية . لقد جعل عقدة هذا الرهان في أن يمنح الشيطانُ غريمه العلم المطلق بكل شيء ، وفي سبيل هذا العلم أوقعه الشيطان في جميع الكبائر ، فشرب الخمر وزنى وسرق ثم قتل ... ومع ذلك فلم يؤته الشيطان من العلم شيئاً ... يؤثر أن جوته صاح قائلاً عند فراغه من قراءة فاوست لمارلو : « ألا ما أعظم الفكرة! »

وقد شهد سونبرن Swinburne بما لتلك المأساة من التفرد بين جميع المآسي في جميع العصور ؛ مع أن قارئ مارلو في فاوست يشعر في الصفحات الأولى للمأساة بخيبة شديدة ، لأنه يجد تفاهة وسطحية تشبهان تفاهة الأطفال وسطحيتهم ، ولا يكاد يفهم معنى لكل تلك الكهانات وألوان المرافة السخيفة التي يحشدها مارلو على نطاق واسع في مأساته ... وسرعان ما يفطن القارئ إلى السبب فيكبر مارلو ويعلم أنه إنما قصد إلى حشد ذلك السخف كله ولم يأت به عبثاً ... لقد أراد به تصوير سخفنا نحن ... سخف الإنسانية ... وإلا فلماذا يرتفع مارلو ارتفاعاً شاهقاً في آخر المأساة ، وذلك عند ما يصور هلاك فاوست ، عند ما تقبل عليه الشياطين من كل حدب فتحدق به وتطلب إليه وفاء الرهان

وقد خلت فاوست من العنصر النسائي

ومأساته الثالثة هي (يهودي مالطة) التي عارضها شيكسبير بتاجر البندقية ولولا أن مارلو بالغ في تصوير بطله باراباس حتى جعله شخصاً خرافياً لبذ شيكسبير في بطله شيلوك الذي لا يجافي الحقيقة في نفسيات المرابين . ومع ذاك فقد فضل سونبرن شخصية باراباس على شيلوك بالرغم من وجود هذا الفارق

أما مأساته الرابعة (إدورد الثاني) فتعتبر أكمل أعماله المسرحية ، وإن افتقرت إلى العنصر الفكاهي الذي لا بد منه لتخفيف فعل المأساة في نفوس النظارة

وتعتبر مأساته الخامسة (مجزرة باريس) أضعف مآسيه ، وهي تصور النضال الهائل بين دوق دي جيز ، وبين حزب الهوجونوت

وقد فتح مارلو جنة الشعر المرسل لشيكسبير الذي أنبت فيها المعجزات ، وقد وجدت في مخلفاته نسخة بخط مارلو لقصيدته الخالدة (هيرو وليآندر) ويؤثر أن شيكسبير لم يكن يفضّل عليها شيئاً من الشعر جميعاً . وقد نعرض لذلك في مقالاتنا عن الشعر المرسل والشعر الحر قريباً إن شاء الله .

دريني خشبة

مكتبات عربية

في الشرق والغرب

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

المكتبة العربية قديمة فى تاريخ الأمة العربية ، ومتى وجد الكتاب وجدت المكتبة . فالمكتبة مجموعة من الكتب بضم بعضها إلى بعض ، ويتكون من مجموعها ما يسمى « بيت الحكمة » فى العصر العباسى ، و « خزانة الكتب » فى العصر الفاطمى ، و « دار الكتب » أو « المكتبة » فى العصر الحديث .

وفى العصر الأموى نجد ذكراً لخزائن الكتب التى أخرج منها الخليفة عمر بن عبد العزيز كناش هرون . ولعل تلك الخزائن هى النواة الأولى للمكتبة العربية الإسلامية

اشتهرت بغداد فى عصر نهضتها العلمية بدار كتب عظيمة يعرفها المؤرخون باسم « بيت الحكمة » ويسميها وزير المعارف على باشا مبارك فى كتابه (علم الدين) « دار الحكمة » ، وروى فى هذا الكتاب الشائق كيفية استجلاب الكتب من خزائن الروم بعد امتناع ملك الروم من إنفاذ ما اختاره المأمون من نفائسها . فأنفذ المأمون جماعة منهم : الحجاج بن مطر ، والبطريق ، ويوحنا بن ماسويه[1]

وكانت تلك الدار أشبه بجماعة للعلم يجلس فيها المؤلفون والمترجون والنساخون والمطالعون . وكان للفرس مشاركة طيبة فى نهضة دار الحكمة المأمونية ، كما كان خدمتها والمترددون عليها من الفرس وأكثرهم من الشعوبية الذين يكرهون العرب ، مثل علاّن الشعوبى النسابة الذى ألف كتاباً فى مثالب العرب[2] وعسى أستاذنا الجليل إسعاف النشاشيبى يدلنا على نسخة من هذا الكتاب يغنينا عن مثالبه هو للعرب فى مقالاته عن حكاية الوفود الكسروية التى يستكثرها على آبائه الأكرمين ...!

ومن دور الكتب الشهيرة فى الشرق مكتبة الأمير نوح ابن منصور السامانى[1] صاحب خراسان وأمير بخارى . وكان الوزير أبو على الشهير بابن سينا قد برع فى علم الطب ، فذكر عند الأمير نوح ، وكان قد مرض فأحضره وعالجه حتى برىء واتصل به ودخل إلى دار كتبه ، وكانت عديمة المثل ، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدى الناس وغيرها مالا يوجد فى سواها ولا سمع باسمه . فظل ابن سينا فيها يكتب من علم الأوائل[2]

* * *

اقتدى أهل الأندلس بالمشارقة فى إنشاء دور الكتب . فأنشأ الحكم بن الناصر مكتبة حافلة جمع لها الكتب من نواحى العالم ، وبذل فى سبيل شرائها مالاً كثيراً . وكان يُغرى المؤلفين بالذهب ليشترى منهم مؤلفاتهم ويضمها إلى خزانته ، فقد ذكروا أنه بذل لصاحب الأغانى ألف دينار من الذهب ليرسل إليه كتابه قبل أن يبعثه إلى الخليفة العباسى بالمشرق ، كما ذكر المقَّرى صاحب نفح الطيب كثيراً من أخبار الحكم فى هذا السبيل ، وفعل ابن خلدون مثله فى الجزء الرابع من تاريخه

ولم تقلَّ مصر والشام عن بقية بلاد المشرق وسائر بلاد المغرب فى جمع الكتب وتنظيم المكتبات . فالعزيز الفاطمى ينشىء « خزانة الكتب » ، ويجمع لها الكتب بمعونة وزيره يعقوب ابن كلس ، ويجمع من الكتاب الواحد نسخاً عدة قد تبلغ المائة . وللمقريزى فى الجزء الأول من خططه كلام كثير فى هذه الخزانة[3]

* * *

ولقد نكبت المكتبات العربيه بالتتار والصليبيين فى الشرق وبالفرنجة فى المغرب . ويروى ابن الفوطى المؤرخ المعاصر لغارة التتار على بغداد كيف أحرقت الكتب وأغرقت وبيعت بأوهى قيمة[4]

ويروى ابن الأثير كيف أحرقت المكتبة التى أنشأها

(١) « علم الدين » لعلى باشا مبارك

(٢) تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٦ ٢ و ٢٠٧

(١) هكذا اسمه فى تاريخ التمدن ، وفى « علم الدين » نصر بدلا من منصور

(٢) « علم الدين » لعلى مبارك

(٣) المقريزى ج ١ ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ ووفيات الأعيان وابن خلدون

(٤) التجارب النافعة في حوادث المائة السابعة لابن الفوطي طبع بغداد ص ٣٣١

سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة عند ما دخل السلجوقيون بغداد سنة ٤٤٧ هـ(١)

كما يذكر جيبون المؤرخ كيف أحرق الفرنجة مكتبة طرابلس الشام عند ما فتحوها سنة ٥٠٢هـ . ويذكر مؤرخو المسلمين أن البطريق إيكزاميينيس أمر بالقاء الكتب العربية فى النار عند ما دخل الفرنج غرناطة فى القرن الخامس عشر الميلادى ...

* * *

وفى العصور المتأخرة نرى الأمم الغربية تتنافس فى جمع الكتب العربية وترتيبها بحسب موضوعاتها ، وتعيّن لتنظيمها المختصين من المستشرقين الذى درسوا فن تنظيم المكتبات على قواعد صحيحة . ومن الإنصاف للتاريخ والحق أن نقول إن فكرة العناية بانشاء المكتبات العربية على وجه الخصوص والشرقية على وجه العموم ترجع إلى مدينة « روما » ، فقد انتشرت بين أغنياء تلك المدينة التاريخية بدعة جمع الكتب الشرقية فى العصور الوسطى . فأصبح أثرياء الإيطاليين ينافس بعضهم بعضاً فى الجمع ، ويكاثر بعضهم بعضاً فى الاقتناء لا رغبة منهم فى العلم ولا حباً فى المطالعة ، ولكن ميلاً إلى التكاثر والمباهاة كما يصنع المترفون من عشاق التحف وجامعى الألطاف ولو لم يعرفوا قيمتها أو يدركوا حقيقتها(٢)

أخذت فكرة جمع الكتب العربية تنمو فى بلاد أوربا المختلفة ، ومع مرور الزمن واتصال الشرق بالغرب ، وحبّ الفريقين فى الوقوف على تاريخ الشرق القديم وتتبع تطوره ، وشغف هؤلاء بارتياد المجاهل الشرقية لأغراض سياسية أو لمآرب دينية - مع ذلك وغيره من العوامل تغيرت فكرة جمع الكتب الشرقية من مجرد المباهاة والتكاثر والتفاخر وتزيين القصور إلى فكرة الاطلاع والدرس والبحث والتنقيب والتنقير بما يتفق مع مصلحة الغربيين لا الشرقيين

فأنشئت دور كتب عربية عامة وألحقت بالمكاتب الأهلية العامة فى العواصم الأوربية الكبرى كلندن وباريس وبرلين وفينا وروما ومدريد . وأخذت الولايات المتحدة فى أمريكا - فى مطلع هذا القرن - تهتم بالدراسات الشرقية وتنشئ بجانبها أقساماً للغات الشرقية فى جامعاتها الكبرى . مثل جامعة شيكاغو التى تصدر مجلة :

Journal of Nedr Eastern Studies

ومثل جامعة كولومبيا التى تعنى بالدراسات العربية وتترجم أمهات التاريخ الإسلامى إلى الإنجليزية كما فعلت فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى الذى ترجمه الدكتور فيليب حتى السورى الأصل ، والأستاذ الآن بجامعات الولايات المتحدة

ولقد زار بعض النابهين من أبناء البلاد العربية هذه المكتبات العربية فى أوربا وتحدثوا عنها فى كتبهم ؛ كما فعل الشيخ رفاعة الطهطاوى فى كتابه « تخليص الأبريز إلى تلخيص باريز » وكما فعل أحمد فارس الشدياق فى كتابيه « الواسطة فى أحوال مالطة » و « كشف المخبا عن فنون أوربا » ، وهما من مطبوعات الجوائب بالآستانة ، وكما فعل أمين فكرى بك فى كتابه الممتع المفيد « إرشاد الألبا إلى محاسن أوربا » المطبوع بالمقتطف سنة ١٨٩٢

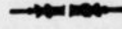
ولقد حدَّث الشيخ محمد محمود الشنقيطى : أنه لما أرسل من الآستانة إلى أوربا لمشاهدة دور الكتب (وجد فيها كثيراً من الكتب العربية القديمة المهد العظيمة النفع المعدومة الوجود فى بلاد الشرق على العموم) .

ولعلى باشا مبارك فى كتابه علم الدين وصف شامل لمكتبة عربية خاصة فى باريس ذكر أسماء بعض ما فيها من نوادر الكتب فى التفسير والحديث والتوحيد والفتاوى واللغة ووصف عناية صاحبها بترتيبها وتنسيقها وحسن استعماله لما فيها . إلا أن أمين فكرى بك كان فى كتابه السابق الذكر أكثر الرحالين من العرب عناية بالمكتبات العربية العامة فى أوربا فهو يصف كل واحدة منها وصفاً دقيقاً ، فيصف مداخلها ومخارجها ورفوفها وأنضادها ، وعمالها والقائمين عليها ، ونظام الاطلاع فيها ، وينقد ما يراه موضعاً للنقد كما يذكر مواضع الإحسان فيثنى . ومن عجب أن المكتبة الأهلية فى باريس على عهده - ١٨٩١ م - لم تكن على الحال التى عليها اليوم . فهو يقول عن قسمها الشرق (توجهنا إلى مأمور القسم وطلبنا منه فهرست الكتب العربية

(١) ابن الأثير جـ ١٠ ص ١٤٥
(٢) مجلة روضة المدارس المصرية

٢ ـ الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق



رأينا مما تقدم أن الأديان السابقة على الإسلام إما استفادت من الفنون الجميلة فى إيضاح عقائدها وتقريب مبادئها للأذهان ، وإما أنكرت هذه الفنون وقضت عليها ، أما الإسلام فوقفه منها يختلف جد الاختلاف عن هذين الموقفين : فهو لم يستخدم الفنون الجميلة فى دعوته كما استخدمتها الوثنية والمسيحية ، ولم ينكر هذه الفنون كما أنكرتها اليهودية ، ولكنه تضمن



كلمة « الله » محفورة على الحجر بجدار المئذنة الشمالية لمسجد الحاكم بأمر الله — من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك

توجيهات مختلفة كان لها أبعد الأثر فى تكوين الفن الإسلامى بعضها إيجابى ، وبعضها سلبى ، وبعضها كانت بمثابة عوامل مساعدة على رقى الفنون الإسلامية الجميلة ونموها . وسنبين فيما يلى هذه التوجيهات المتباينة لنرى كيف استطاع الإسلام بنواهيه وأوامره أن يخلق فناً جميلاً له روعته وبهاؤه

ويتجلى لنا أثر التوجيهات الإيجابية فى فنون الخط والزخرفة والعمارة . أما فن الخط فقد حظى من عناية المسلمين جميعاً بنصيب وفير ، وكان للخطاطين عندهم مركز ممتاز لا نبالغ إذا قلنا إنه قد تسامى إلى مركز الملوك والأمراء. إذ نزل هؤلاء إلى ميدان الخطاطين ينافسونهم فى صنعتهم لا سعياً وراء الكسب المادى ، ولكن رغبة فى الحصول على الفخر الأدبى ؛ فكانوا يكتبون بأيديهم نسخاً من القرآن الكريم يقدمونها للبقاع المقدسة . والذى أعطى للخط العربى هذه المكانة الممتازة هو اتصاله القوى بالقرآن كلام الله الذى نزل باللغة العربية على محمد صلوات الله عليه (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً) فالخط هو وحده أداة كتابة هذا الوحى فضلاً عن أن الحق جل وعلا قد أضاف تعليمه إلى نفسه (اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) ، كما أنه سبحانه أقسم به (ن والقلم وما يسطرون) . ومن هنا كان إقبال من اعتنقوا الإسلام على تعلم الخط العربى ، ومن هنا وجدت صلة من أوثق الصلات ربطت العالم الإسلامى بعضه ببعض ، إذ توحد شكل الكتابة ، فصارت الهندية والإيرانية مثلاً تكتبان بالحروف العربية



قطعة نسيج فاطمية عليها سطران متعاكسان بالخط الكوفى تقرأ فى العلوى « الخاصة بدمياط » وفى السفلى « رب العالمين » من كتاب الزخرفة المنسوخة فى الأقمشة الفاطمية تأليف كاتب هذا البحث

هذا ولقد ظهر بظهور التصوف فى الإسلام علم ينسب إلى الحروف العربية أسراراً خفية تمكن الإنسان من التأثير

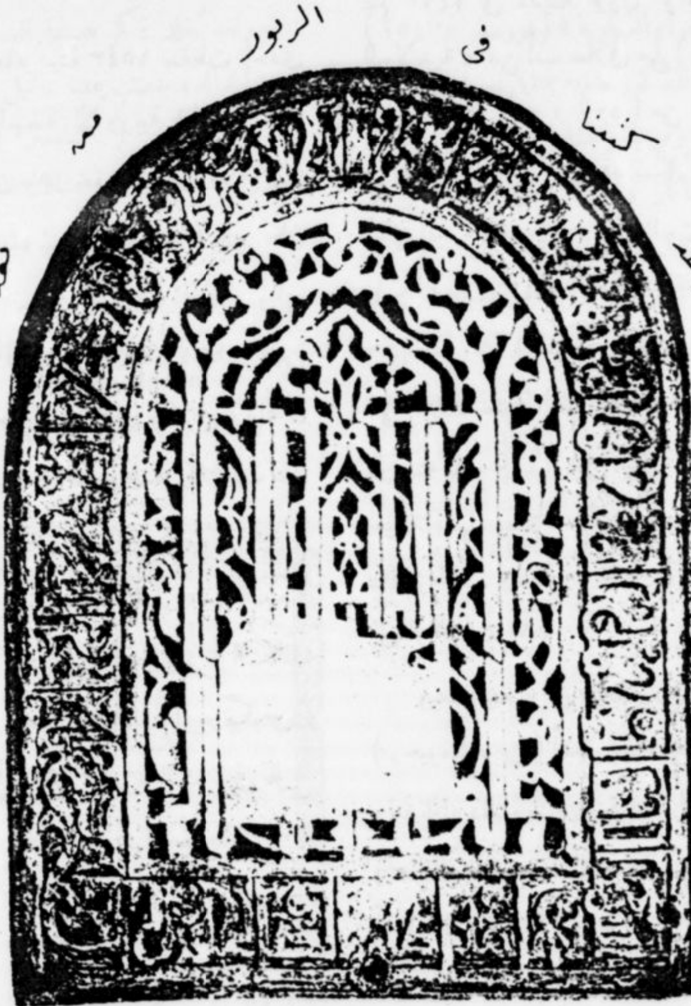
فلم نجد لها من سوء الحظ فهرستاً ؛ بل أحضر لنا دفاتر متعددة كل واحد منها يحتوى قسم منه على شىء من الكتب العربية غير مرتبة ولا مبوبة فلم يتيسر وجود ما أردناه وعللنا ذلك على قلة طلب الكتب العربية فيها أو على أن طالبيها غيرنا أعرف منا بمظناتها)[1]

ويصف المكتبة العربية بالمتحف البريطانى بلندن فينتقد فهارسها غير المنظمة ؛ كما يصف مكتبة ليدن بهولاندة ويذكر فى كل واحدة من هذه المكتبات بعض ما فيها من نفائس الكتب والمخطوطات .

محمد عبد الغنى حسن

(١) إرشاد الألبا إلى محاسن أوربا

في المخلوقات بواسطة « الأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار في الأكوان » ، كما يقول ابن خلدون في مقدمته . ولا يعنينا من أمر هذا العلم إلا شيء واحد ، هو أن هذه العقيدة قد دفعت بالمسلمين إلى تزيين ما أخرجته أيديهم من المصنوعات أو شيدوه من العمائر بالآيات القرآنية والعبارات الدينية ، والصيغ المختلفة للمدح أو الدعاء ، طلباً لما وراءها من الخير والبركة . ولقد كان لهذا أثر بعيد في فن الخط ، إذ أصبح مضروباً مشتركاً في جميع فروع الفن الإسلامي ، وتحكمت المادة التي يكتب عليها في شكل الحروف ، فظهرت لها صور مختلفة على الآثار المختلفة ، وأصبحت على الحجر غيرها على الخشب ، وعلى النسيج غيرها على الخزف . وفي الحق لقد كانت إجادة الفنان المسلم لفن الخط بوحي من الإسلام ، ولم تتجل عبقريته الفنية في ناحية من نواحي الفن الجميل بقدر ما تجلت في هذه الناحية : خلق من تلك الحروف ذات الأشكال المتباينة والأوضاع المختلفة طرازاً زخرفياً تبدو فيه صور من الجمال شتى ، بعضها يفيض بالقوة ، وبعضها يفيض بالرقة والأناقة ،



نافذة بجوار القبلة بمسجد الحاكم بأمر الله في وسطها عبارة « الملك لله » مكتوبة طرداً وعكساً من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك تأليف كاتب هذا البحث

أوحت إليه الحروف العربية برؤوسها وسيقانها وأقواسها ومداتها بعناصر زخرفية ما كاد يرسمها حتى بعثت فيه تلك اللذة البريئة التي يحس بها الفنان عند ما يشاهد أثراً جميلاً ، فاندفع في هذا التيار يبتكر الزخارف والنقوش ، غير آبه بما تفرضه عليه أصول الخط من المستلزمات ، ولا بما يسببه للقارئ — في بعض الأحيان — من الإعنات ، بل كان همه أن يرضي الفن فحسب ، فتارة يجعل الحروف متجمعة كأنها شجرة كثيفة الأغصان وطوراً يرسمها متباعدة ، كأنما هي بستان انتثرت فيه الأزهار ، وتارة يريك من التنوع الجميل بين الحروف القائمة والحروف المستديرة ما ينتزع منك الإعجاب انتزاعاً ، ويرغمك على أن تقر له بالتفوق والنبوغ . ولشد ما كان يضحي على مذبح الفن بالكثير من قواعد الخط ، ويتركنا نقاسي من الجهد شيئاً عظيماً حتى نهتدي إلى ما يريد ، وقد لا نهتدي .

« يتبع »

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

كوبيرنيكوس

بمناسبة مرور أربعمئة سنة على وفاته

للأستاذ جودة شهوان

في الرابع والعشرين من مايو سنة ١٥٤٣ سقطت إحدى الدعائم التي بُنيتْ عليها النهضة الأوربية الحديثة بوفاة كوبيرنيكوس، ذلك العالم الذي جاهر بحقيقة كانت قد اختفت وراء حجب الدهر من زمن بعيد. تلك الحقيقة الهامة التي كان لها فضل جم على تقدم علوم العصر الحديث وأبحاثه، والتي نقلت العلم من حال إلى حال، وكانت مناراً وعماداً لأبحاث جمهرة من علماء العصر الحديث الذين جاءوا بعد كوبيرنيكوس، والذين أشهرهم «كُبْلر» و«جاليليو» و«نيوتن» كما عملت تلك النظرية في إطلاق عقول الناس وأخيلتهم - التي كانت قد قيدتها خرافات العصر الوسيط - من قيودها لتستقبل عصر النهضة الذي أعقب وفاته. وقد عدّ «المستر دورانت» الكاتب الأميركي والفيلسوف المشهور، هذا العالم (كوبيرنيكوس) في مقال له بمجلة «أميركان» أحد قادة البشرية العشرة في تاريخ العالم وهم: كنفوشيوس - أفلاطون - أرسطوطاليس - توماس أكويناس - كوبيرنيكوس - فرانسيس بيكون - نيوتن - فلتير - كانت - داروين

كانت النظرية السائدة قبل ظهور كوبيرنيكوس أن الأرض هي مركز الكون، وأن الشمس وبقية الكواكب تدور حولها. فلما جاء هذا العالم، وجد بعد أبحاثه الطويلة أن اعتقادهم ذاك كان خطأ، وأن الشمس هي مركز الكون تدور حولها الأرض وبقية الكواكب. وقد سميت هذه النظرية «بنظرية كوبيرنيوس أو النظرية الكوبيرنيكية» نسبة إليه؛ ذلك لأنها على يديه ولسببه نالت شهرتها وسيادتها المعلومتين

وقد فسّر كوبيرنيكوس أيضاً حدوث الليل والنهار بأنهما ناتجان عن حركة الأرض حول محورها، كما فسر حدوث الفصول بأنها نتيجة لدوران الأرض حول الشمس

ولنرجع الآن لسرد قصة حياته، وطرف من أعماله وآرائه التي جاءنا بها غير التي ذكرناها آنفاً؛ فنقول:

ولد هذا العالم البولندي الألماني في التاسع عشر من فبراير عام ١٤٧٣ في مدينة ثورن الواقعة على الفستولا في بروسيا البولانديه، من أب سلافي من (كراكاو)، ومن أم ألمانية اسمها (بَرْبارَهْ وَتْزِلْرود) من عائلة غنية وذات مركز هام في الهيئة الاجتماعية. وقد تكلم كوبيرنكيوس اللغة الألمانية (لغة أمه)، غير أنه عُلِّم في البيت شيئاً من اللاتينية واليونانية مات أبوه وهو في السادسة عشرة من عمره فبقي مع أمه وعمه حتى سنة ١٤٩١ عند ما أرسل إلى جامعة (كراكاو)، حيث بقي ثلاث سنين تعلم أثناءها الرياضيات. وقد حصل أثناء دراسته تلك على مهارة في الرسم. وفي عام ٤٩٥ سافر إلى إيطاليا حيث قضى بضع سنوات درس أثناءها القانون والفلك والأقرباذين في «بولونيا» و«بادوا». غير أن ميله كان إلى الرياضيات أشد

وبعد تبحره في الفلك ذهب إلى (روما) لزيارة صديقه (رجيومنتانوس) أشهر علماء الفلك، وأذيعهم اسماً حينذاك. وقد تلقاه ذلك الصديق باحتفاء لائق، وكان ذلك عام ١٥٠٠؛ وهنالك بمساعدة صديقه المذكور، ولحسن أخلاقه انتخب أستاذاً للرياضيات. وقد قضى تلك السنة في روما ألقى أثناءها محاضرات في علم الفلك مختلفة. وقد شاهد في السادس من نوفمبر هذه السنة خسوف القمر في روما

ترك الأستاذ نيكولاوس روما عام ١٥٠٥ بعد أن كان قد حصل على شهادة دكتور قبل ذلك بسنتين قاصداً بلده الأصلي (بروسيا)، وسكن في هيلبرغ كفلكي نممه (مطران ارملند). وهنالك أخذ يتدخل في أمور الدين، وما زال كذلك حتى حصل على شهادة في القوانين الكنسية وأصبح راهباً. ويقال إنه كان يقسم يومه العملي إلى أقسام ثلاثة: أما الأول فكان يصرفه في إتمام فروض

وظيفته ؛ والثانى يصرفه فى منح النصائح الطبية لفقراء الناس . والثالث يصرفه فى الدراسة والبحث

بعد أن رجع إلى بروسيا ـ كما قلنا ـ وكان فى الخامسة والثلاثين من العمر بدأ فى استخدام معرفته الرياضية ومشاهداته المختلفة العديدة ، فى سبيل إصلاح ما كان قد التصق بعقول القوم من نظريات فلكية ، فكانت نتيجة ما حاول ظهور كتابه الأشهر الموسوم « بأفلاك الأجرام السماوية » (نورمبر غ١٥٤٣) وقد فرغ من عمل الكتاب المذكور عام ١٥٣٠ غير أنه لم ينشره بل بقى متردداً خوفاً من أن يرمى بالهرطقة ، وأن تكسد سوق كتابه لما احتواه من أفكار ونظريات فى الفلك حديثة وغريبة ، على قوم كانوا غارقين فى لجج من الأضاليل والخرافات والاعتقادات . وبقى على حالته تلك اثنتى عشرة سنة ، أزمع عند انتهائها ١٥٤٣ على طبعه ونشره . غير أن العلة كانت قد بدأت تنخر فى جسمه ، وتنغص عليه عيشه ، فما زال يصاولها وتصاوله ، ويغالبها وتغالبه ، حتى ناداه ربه فلباه فى الرابع والعشرين من مايو عام ١٥٤٣ . ولقد قدر للمؤلف أن يمس أول نسخة من كتابه المطبوع لأول مرة ، قبيل مماته بسويعات .

يتألف كتابه المذكور من أجزاء ستة أهمها الأول . وأهم ما يحويه هذا الجزء :

١ — إن الأرض كُرِيّة ، كما أن الكون كرى

٢ — إن اليَبَس والماء يكونان كرة واحدة

٣ — إن حركة جميع الأجرام السماوية منتظمة ردائرية

٤ — إن الأرض تتحرك فى مدار حول الشمس ، كما أن لها حركة أخرى حول محورها

٥ — إن الشمس مركز الكون ، وأن القدماء مخطئون فى اعتبار الأرض مركزاً له

٦ — إنه لمن المحتمل أن يكون للأرض حركات عدة

٧ — تنظيمه للكواكب ورسمه شكلا لنظامها يشبه الشكل الحديث

ولكوبرنيكوس غير الكتاب المذكور كتب أخرى . فله كتاب فى المثلثات ، (وتنبرغ ١٥٤٢) ، نشره صديقه وتلميذه (راتيكوس) . وكتاب آخر وهو ترجمة رسائل الكاتب اللاتينى (ثيوفيلكتوس سيموكاتا) . وقد كتب أيضاً سنة ١٥٢٦ كتاباً آخر عن النقود . (نشر لأول مرة عام ١٨٢٦) . وله الآن كتابات خطية فى مكتبة أبرشية (ارملند)

لقد اهتم كثير من كتاب الغرب بالكتابة عنه وأول من كتب عن حياته هو (جاسندى) . ومن الكتاب الحديثين : (فون هلبر ـ ١٨٧٣) و (بلكوفسكى) . غير أن أكمل الكتب عن حياته وأعماله ، وأجلها كتاب الدكتور (« براو » — جزءان — برلين ١٨٨٣)

ولقد خُلد ذكر هذا العالم الشهير ، غير الكتابة عنه وعن أعماله ، بنصب عدة تماثيل له فى أماكن كثيرة من أوربا . أحدها فى قصر (كسيمير) بمدينة (وارسو) صنعه (ثاروَلْدسِين) وأقيم هنالك عام ١٨٣٠ ، وآخر صنعه (تيك) ونصب فى (تورن) وكتب عليه :

Nicolaus Copernicus
Thorunesis,
Terroe Motor,
Solis Coclique Stator

وقد نصب له تمثال آخر فى فناء جامعة (كراكاو) عام ١٩٠٠

(فلسطين) جودة شهوانه

متى أراكم ؟

— ١ —

تشوّقكم قلبي وكيف لقاؤكم   وما ذاك يا أحباب قلبي بالهيّنِ
يضنّ على قلبي الزمان بقربكم
وما البين إلا الموت ، ويلي من البينِ
ألا هل أراكم ؟ حسرة الشعر والهوى
إذا متُّ من شوق ولم تركم عيني
فيا من نأيتم ، إن نعيتُ إليكم
فلا تعجبوا فالشوق موردني حَيْني

سلام على قلبي

— ٢ —

ولى عندكم قلب غريب مصرّحٌ
لدى بابكم يمسى ويصبح فى الكربِ
طليحٌ ، إذا استنهضته كى أقيله   تحامل ، ثم ارتدّ من ألم الحبّ
سلامٌ عليه إذ يموت صبابةً   وإذ أنتمُ لاهون عن قلبيَ الصبّ
فلا تسألوني عن بكائي فإنما   بكائيَ يا أحباب قلبي على قلبي

(فلسطين)   دنانير

صـلاة . . .

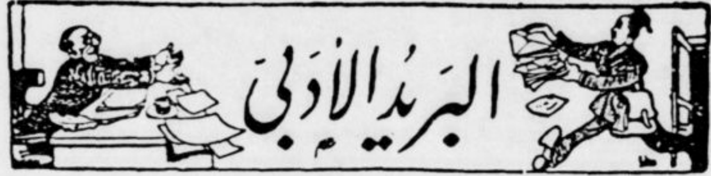
جمالكِ ترنيمةُ الشاعرِ   ودُنيا من الأملِ النّاضرِ
وفجرٌ من الحبِّ ضاحي الجبيـ   ـنِ يطوفُ بمحرابه خاطري
وسِرٌّ من الغيبِ حارتْ لديْـ   ـهِ قلوبُ الورى ورُقى السّاحرِ
وعطرٌ من اللهِ طافتْ بهِ   رؤى الخلدِ فى حُسنها الآسرِ
وحقلٌ من النّورِ غنّتْ لهُ   عذاراهُ لحنَ الهوى الطّاهرِ !

جمالكِ رمزُ الصّبا والحياهْ   تفجّرُ نبعَ اللّيالي رؤاهْ
تطوفُ القلوبُ بهِ مثلما   يطوفُ الهوى بنشيدِ الرعاهْ !
وتحيا النّفوسُ بأسرارهِ   فهيهاتَ تدركُ ما منتهاهْ
تقدّسُ فيهِ جمالَ الوجو   دِ وتعبدُ فيهِ جلالَ الإلهْ !

جمالكِ لحنٌ حبيبُ الصّدى   تغنّى به الحبُّ لمّا شدا
وأفقٌ من الفنّ سامي الرّسو   مِ بديعُ الجمالِ رحيبُ المدى
يضمُّ إليهِ معاني الضّلا   لِ ويطوي إليهِ معاني الهدى
وقد يُلهمُ النّفسَ سِرَّ الحيا   ةِ كما يُلهمُ النّفسَ سِرَّ الرّدى
سِوى أنّهُ خالدٌ كالزّما   نِ يعيشُ على رغمهِ سرمدا

جمالكِ حُلمُ الصّبا النّاعمِ   وفيضٌ من الأملِ الباسمِ
ووحيٌ من الملأ القُدسيِّ   تمثّلَ فى غفوةِ الحالمِ !
لمحناهُ فى سبحاتِ الخيا   لِ وشِمناهُ فى لوحةِ الرّاسمِ
ورفّتْ عليهِ بناتُ القريـ   ـضِ تُغنّي بقيثارِها النّاغمِ
إلى أنْ أتيتِ به للوجو   دِ فكنتِ به فتنةَ العالمِ !

(عاليه — لبنان)   فؤاد كامل



وحي القرآن باللفظ

جاء في البريد الأدبي بعدد الرسالة الغراء رقم ٥٣٢ مقال للأستاذ الشيخ محمود أبو رية انطوى على شك واضح في حقيقة وحي القرآن الكريم ، وموضوع الوحي وطريقته من القضايا التي فصلت فيها الأيام منذ عهد الرسالة المحمدية الشريفة ، وموضوع خلق القرآن أو قدمه من المباحث التي توفر عليها علماء المسلمين في عهد المأمون والواثق والمعتصم ، وما تركوا فيها ناحية تحتاج إلى توضيح أو استيفاء ؛ وقد كفى الله المسلمين عواقب هذا الخلاف حتى أصبح العلماء والمتعلمون يقرءونه على أنه دراسة للعقلية الإسلامية ، لا على أنهم شاكون في أن القرآن معنًى ولفظاً من عند الله

على أن سلف العلماء وأئمة الفرق الإسلامية لم يختلفوا - كما قال الأستاذ - على أن القرآن لفظاً ومعنًى كلام الله ، وإنما الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة على قدم اللفظ أو حدوثه . والكل مجمعون على أن المعنى قديم لتعلقه بصفة الكلام الأزلي ، ومعنى حدوث اللفظ على رأى المعتزلة ومن إليهم أن الله خلق اللفظ كما خلق السماء والأرض وأوحاه إلى الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام

هذا هو الذي درسناه وفهمناه من آراء الفرق الإسلامية فإذا كان لدى الأستاذ نصوص تخالفه فليدل بها .

(الأسكندرية) محمود البشبيشي

قسم القراءات بكلية اللغة العربية

إذا قدر للأزهر أن يصل في يوم ما إلى الإصلاح المنشود ، فإنه سيكون لمجلة الرسالة الغراء فضل وصوله إليه ، لأنها المجلة الوحيدة التي تعنى به ، ولا تضن بصفحاتها على من يكتب فيه . وسينشأ في هذه السنة قسم للقراءات بكلية اللغة العربية ، وإنه لواجب أن تعنى هذه الكلية بفن القراءات ، وأن تنهض به من تلك الطريقة التلقينية التي يأخذ بها الناشئون فيه ، فتدرسه دراسة أخرى تليق بها ، وتتناسب مع الدراسة التي تأخذ بها في العلوم الأخرى

ولا شك أن هذا لا يتفق مع ما يراد الآن من فتح هذا القسم لكل من يحفظ القرآن الكريم ، ولو لم تسبق له دراسة علمية تؤهله لدرس فن القراءات بالطريقة اللائقة بكلية اللغة العربية ، كما لا يصح أن يجمع مثل هؤلاء الطلاب مع طلاب هذه الكلية ، لأنهم يتفاوتون في ثقافتهم تفاوتاً بعيداً

وإني أرى أن تؤلف لجنة تكون مهمتها وضع مناهج الدراسة اللائقة بهذا القسم ، ليدرس فيه فن القراءات دراسة جامعية ، ولا يكتفى فيه بتلك الطريقة التلقينية ، وأرى أيضاً أن يقصر على حملة الشهادة الثانوية بالمعاهد الدينية ، لتتفق ثقافة طلابه مع ثقافة إخوانهم بالكليات ، ويمكنهم أن يقوموا بهذه الدراسة التي نطلبها لهذا الفن . (ص)

ظاهرة لغوية

قد يكون من الحديث المُعاد أن نقول إن اللغة ليست ظاهرة تحكمية arbitraire اعتسفها القوم اعتسافاً ، بل هي ظاهرة اجتماعية تُرَدّ إلى طبيعة الأشياء . ولعل خير ما يبين لنا تساوق اللفظ والمعنى ، ما نَصَّ عليه قدماء أهل اللغة من « أن المشاركة في أكثر الحروف اشتقاق يدور عليه معنى المادة ، فيتحد أصل معناها ويتغاير في بعض الوجوه » . والأمثلة على صحة هذه الظاهرة كثيرة لا حَصْر لها ، فنجتزئ بذكر الأمثلة التالية :

١ — ورد في التاج (تحت مادة ف ل ح) : « قال شيخنا الفَلْح وما يشاركه كالفلق والفلذ والفلذ ونحو ذلك يدل على الشقّ والفتح كما في الكشاف وصرّح به الراغب وغيره »

٢ — النَّبْتُ والنَّبْثُ والنَّبْرُ والنَّبْشُ والنَّبْطُ والنَّبْعُ والنَّبْغُ تدل كلها على ظهور شيء بعد خفائه . فالنبت يقال للبقل وغيره إذا نشأ وخرج من الأرض . والنبث يقال للبئر إذا نبثها المرء وأخرج ترابها . والنبر يقال للمغنى إذا رفع صوته بعد خفض . والنبش يقال للمستور إذا أبرزه المرء ، أو للكنز إذا كشف من الأرض واستخرج . والنبط يقال

للماء إذا نبع (ومنه الاستنباط بمعنى الاستخراج) . والنبع يقال للماء إذا خرج من العين ، والنبغ أو النبوغ يقال للشيء إذا خرج وظهر ...

٣ — تدل الأفعال المبتدئة بالصاد والفاء على المعانى المختلفة للأصوات : فالفعل « صَـفَـد » يقال للأسير إذا أوثقته وقيدته بالحديد (ذى الصوت) والفعل « صَـفَـر » يدل على التصويت بالنفخ من الشفتين . والفعل « صَـفَـع » معناه الضرب باليد مع إحداث صوت . والفعل « صَـفَـق » معناه الضرب بالكفين بصوت مسموع ، وهكذا ...

٤ — تدل الأفعال المبتدئة بالحرف خاء والحرف فاء على معانى الضعف والهمود . فالفعل « خَـفَـت » يدل على السكون (والموت فجأة فى بعض الأحيان) . والفعل « خَـفَـج » يقال للبعير إذا أصابه الخفج وهو ارتعاش فى الرجلين . والفعل « خفش » معناه ضعف (ويستعمل على الخصوص لضعف البصر) . والفعل « خَـفَـض » يقال للصوت إذا غض المرء وأخفاه . والفعل « خَـفَـع » يقال للمرء إذا أصابه دوار من جوع أو غيره فسقط والفعل « خَـفَـق » يقال للفؤاد أو الراية أو البرق إذا اضطرب ، ويقال للنّـَعل إذا صوّتت ، وهلم جرّا ...

أما النتيجة التى تقتادنا إليها هذه الظاهرة اللغوية فهى أن لكل حرف معنًى خاصاً ، وبكشف معانى الكلمات ؛ لأن الكلمات إذا اتحدت فى الحروف اتحدت فى المعنى .

زكريا ابراهيم

استدراك

أورد الأستاذ خلدون الكنانى فى كتابه حسان بن ثابت الذى أخرجته مكتبة عرفة بدمشق — ص ٤٨ — البيتين المشهورين فى الرثاء :

كنت السواد لناظرى فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

على أنهما من شعر حسان فى رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تتبع فى ذلك ما جاء فى ديوان حسان ، فإن هذين البيتين مذكوران فيه — ص١٦٥ — ولم يتكلم عليهما شارحه الأستاذ البرقوقي . ولكن ياقوت أوردهما فى معجم الأدباء — ج ١ ص ٧٧ — في ترجمة ابراهيم الصولى قال : حدث على بن الإسكاف قال كان لإبراهيم ابن قد يفع وترعرع وكان به معجباً فاعتل علة لم تطل حتى مات فرثاه مراثي كثيرة وجزع عليه جزعاً شديداً . ومن مراثيه فيه

كنت السواد لناظرى فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

باستبدال كلمة فبكى بكلمة فعمى الواردة فى نص الديوان وأوردهما ابن خلكان منسوبين إلى الصولى ج ١ ص ١٢ وأورد هذين البيتين الأستاذ محمد كرد على فى أمراء البيان ج ١ ص ٢٦٥ فى كلامه عن ابراهيم الصولى ، ولكن لفظ البيت الأول فى رواية الأستاذ كرد على يختلف عنه فى رواية المعجم .

أنت السواد لمقلة تبكي عليك وناظر ؟
من شاء ... ...

وذكر أنهما لإبراهيم يرثى بهما ولداً له . ولعل هذا هو الصواب فإنهما بشعر الكتاب أشبه . وفى زهر الآداب ج ٣ ص ٢١٤ قطعة لبعض الأعراب فى الرثاء آخرها

وبعدك لا آسى لمظم رزية قضيت فهونت المصائب أجمعا

وعلق عليه مؤلف الزهر بقوله : ومعنى هذا البيت الأخير تداوله الناس نظماً ونثراً ثم أورد رثاء أبي نواس للأمين وفيه :

وكنت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لى شيء عليه أحاذر

وأورد عدة قطع من النظم والنثر تدور حول هذا المعنى وليس فيها البيتان . وبعد فإن كتاب الأستاذ الكنانى من خير البحوث التى أخرجت فى دراسة شاعر الرسالة وسأتكلم عنه مسهباً فى وقت آخر .

(دمشق) **رشدى عرفة**

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 535
Lundi - 4 - 10 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٥٣٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٥ شوال سنة ١٣٦٢ — الموافق ٤ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٧٨١ ... ومن أساليبهم ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٧٨٤ الحديث ذو شجون : سبحان المنعم الوهاب . كن مع الله تر الله معك . سخافات الأغانى الشعبية ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٧٨٧ مهمة تجديد الأدب العربى بين الشباب وبين الشيوخ ... : الأستاذ درينى خشبة ... ...
٧٩٠ قصة دائرة المعارف الاسلامية : الأستاذ صلاح الدين المنجد . .
٧٩٢ الاسلام والفنون الجميلة ... : الأستاذ محمد عبدالعزيز مرزوق
٧٩٤ الدين العام المصرى نشأته وتطوراته . ... : الأستاذ أحمد صادق موسى ..
٧٩٨ الساحر الموحش [قصيدة] : السيد أحمد سليمان الأحمد ...
٧٩٩ الابهام والغموض فى التصوف : الأستاذ كامل يوسف ...
٧٩٩ (١) مؤتمر الأدباء الشباب فى البلاد العربية . . : الأستاذ صلاح الدين المنجد
٧٩٩ (٣) إلى الأستاذ درينى خشبة
٨٠٠ المذاهب السياسية المعاصرة ... : الأستاذ درينى خشبة ... ...

... ومن أساليبهم

للأستاذ عباس محمود العقاد

أشرنا فى مطلع مقالنا السابق إلى أساليب الشيوعيين فى نشر مذهبهم على الطريقة الصريحة ، وهى الإشادة بمحاسنه والقدح فى نقائص النظم الأخرى ، أو على الطريقة الخفية - غير الصريحة - وهى الإكثار من التهم والعيوب التى يلصقونها بالنظام القائم دون أن يشركوا الشيوعية فى أمثال هذه التهم والعيوب

ونرى أننا نحن المصريين والشرقيين عامة بأشد الحاجة فى الآونة الحاضرة إلى التنبيه بعد التنبيه إلى هذه الأساليب الخفية لأنها أضر من صراحتهم فى التبشير بمذهبهم ، ولأن الحيطة منها أقل ، والحذر من عواقبها ضعيف مهمل لضعف المعرفة بمراميها ودروبها التى تتسلل منها

وجملة ما يقال فى هذه الأساليب أنها تتلخص فى تشجيع كل عامل من عوامل الهدم والانحلال فى المجتمع الذى يحاربونه ، وتحقير كل عامل من عوامل التماسك ، والثبات فى ذلك المجتمع ، سواء تكلموا عن الأدب ، أو عن الفن ، أو عن السياسة ، أو عن الأخلاق

ولهم فى كل بلد من البلاد نغمة يخصونها بها ولا يزالون يرددونها ، ولا يقرنونها بذكر الشيوعية الصريح حذراً من تنبيه الخواطر وإثارة الشكوك

ففي الأقطار العربية مثلاً هم أنصار الكتابة باللغة العامية حيثما وقعت المفاضلة بينها وبين اللغة الفصحى

لأن اللغة العامية توافق حملتهم على العقائد الدينية كلها ، ومنها العقيدة الإسلامية التي هي قبل كل شيء عقيدة القرآن .

ولأن اللغة العامية توافق دعوتهم إلى تغليب الطبقة العاملة التي يزعمون أنهم يهتمون بتعليمها ، وهم يسجلون عليها الجهل والاكتفاء بلغة الجهلاء ، ولأن اللغة العامية تقطع ما بين الحاضر والماضي ، وهم يقرنون بين الماضي والنظم الاقتصادية التي يحاربونها

وإذا سألتهم في ذلك قالوا كما يقول أنصار العامية دائماً إن سواد الناس لا يفهمون الفصحى ، وإن اللغة الحية هي اللغة التي يتكلم بها الناس كل يوم

وكل هذا خطأ ظاهر كما فصلنا القول فيه بما كتبناه عن الفصحى والعامية ؛ لأن سواد الناس يجهلون المعاني العالية ولو كتبت باللغة التي يتكلمونها ، كما يجهلون الرياضة والفلسفة ومباحث العلوم المختلفة . فالعقدة هنا هي عقدة المعاني وليست بعقدة الألفاظ . ومن السخف قولهم إن اللغة الحية هي لغة السوق والطريق ، لأن اللغة الحية هي اللغة الخالدة التي تعيش مئات السنين ، ولا تموت كل بضع سنوات كما تموت لغات الطرق والأسواق . ولا غنى للانسانية عن هذه اللغة الخالدة ما دامت لها آداب مكتوب لها الخلود من جيل إلى جيل . وأسخف من دعواهم هذه قولهم إن الناس ينبغي أن يكتبوا كما يتكلمون كأنهم يريدون أن يلغوا الترجمة مثلاً ، وهي تنقل إلينا كلام الروسيين والبولونيين ، ونحن لا نتكلم لغة هؤلاء ولا هؤلاء ، سواء بألفاظ الأسواق أو ألفاظ الجامعات

* * *

ذلك أسلوب من أساليبهم الخفية في الأدب ، وهم هنا يشاركون المبشرين ، ويشاركون المستعمرين ، ويشاركون كل من يكره معالم القومية في بلاد الشرق ، وهم كثيرون

أما الفن فهم لا يدينون بآراء الغلاة من المصورين والموسيقيين كأنها آراء الشيوعية والشيوعيين ، ولكنهم يشجعون هذه الآراء في البلاد الديمقراطية ، لأنها خروج على القواعد والأصول واندفاع مع الفوضى والاختلال ، أو مع الهدم والانحلال ،

وهم أنصار كل عامل من عوامل الهدم بين الشعوب الديمقراطية

فلا يلزم — شيوعياً — أن يكون المصور من القائلين بالسريالزم و « الفيوتشرزم » والكيوبزم وغيرها من المدارس التي تبطل قواعد التصوير كما عرفها أساتذة الفن في جميع العصور ، ولكن هذه المدارس تعفي المصور من قواعد الرسم والتلوين والتشبيه ، وأصول الإضاءة والتظليل ، وترسله في عالم من الفوضى لا توجد فيها قاعدة يتفق عليها رأيان

وهذه الإباحة هي المقصودة لأنها تفضي إلى هدم القواعد والقوانين ، وتزلزل أركان الفكر والذوق والاعتقاد في المجتمع الذي يقصدونه بالخلط والتخريب

ومن مضحكاتهم ومضحكات نظرائهم في هذا الباب أنهم يسمون إحدى مدارس الإباحة هذه بمدرسة « المستقبلين » ، وهي في حقيقتها رجوع إلى الهمجية التي تركناها منذ آلاف السنين . فإن صورهم وتماثيلهم لتشبه كل الشبه تلك الصور والتماثيل التي كشفت حديثاً في حفائر الكهوف من بلاد نيجيريا وبورنيو وجنوبي الهند ، وسائر الأقطار التي كان يعمرها الإنسان الأول ، ولا يزال فيها إلى اليوم من الهمج المتخلفين

والعجيب في أذواقهم أنهم إذا قصدوا محاكاة تلك الفنون الهمجية تحروا مشابهتها في الرديء النافر الممسوخ ، ولم يتحروا قط مشابهتها في مواضع الحسن والاتقان ؛ لأنهم منحرفون في تكوينهم انحرافاً يظهر في الخلقة إن لم يظهر في الأخلاق والطباع

وعلى هذه الشاكلة مذهبهم في الموسيقى والشعر والتمثيل ، ولكنهم يعتدلون بعض الاعتدال في التمثيل لأنهم يريدونه لنشر الدعوة ، ويخشون أن يفتحوا أبواب المسارح على مقاعد خاوية إذا هم عمدوا إلى تلك « التفاليع » والتهويشات

* * *

ومن أساليبهم التي نص عليها كارل ماركس في منشوراته أن « يشوهوا سمعة كل رجل مسموع الكلمة بين الديمقراطيين »

ولا حرج عندهم أن يختلقوا الأكاذيب ، وأن يعرضوا لشؤونه الخاصة ، وأن يذموا أعماله أقبح الذم ، ولو لم يكن عندهم دليل واحد على ما يذمونه منها

وإذا تكلموا عن الأدباء والشعراء الذين لا يؤمنون بالشيوعية عابوا عليهم أنهم حالمون وأنهم خياليون لأنهم لا يكتبون عن المسائل الاقتصادية ولا يقفون أقلامهم على أسمار الطعام واللباس وشئون الأموال والعمال

والأدباء الديمقراطيون لا يحرمون هذه الموضوعات ، ولا يزال منهم من يعرض لها من الناحية الفنية التى هو أقدر على تصورها ، وإنما يعلم الأدباء الديمقراطيون أن فى الدنيا علماً اسمه علم الاقتصاد ، وعلماء اسمهم العلماء الاقتصاديون ، وإن هؤلاء أولى بدرس المسائل التى يفهمونها ويفرغون لها ويستطيعون الحكم فيها ، لأن الأدب لم يخلق لإلغاء علم الاقتصاد

ومن مضحكاتهم ومضحكات نظرائهم فى هذا الباب أنهم يهدمون مذهبهم من أساسه بهذا الهراء الذى يلفظون به وهم لا يشعرون

لأنهم يستكثرون على العامل الفقير أن يقضى فى اليوم ثمانى ساعات فى طلب الرغيف والكساء ، وهم يفرضون على العمال وغير العمال ألا يكون لهم شاغل فى ساعات العمل أو ساعات الفراغ إلا طلب الرغيف والكساء ، فلا يبحث الفيلسوف إلا ليؤدى بحثه إلى الرغيف والكساء ، ولا يحلم الشاعر إلا ليفسر حلمه بالرغيف والكساء ، ولا يخترع المخترع إلا لينتفع باختراعه فى الرغيف والكساء ، ولا يخرج العامل من عمله اليومي ليقرأ أو يستمتع بالفن إلا أن تكون هذه القراءة وهذا الاستمتاع حول الرغيف والكساء

ودون هذا وتحلق لحية كارل ماركس وكل لحية يطلقها أمثاله من أعداء الفنون وأعداء الحرية الإنسانية كأرفع ما تصبو إليه القرائح والأرواح

* * *

أما هدم المجتمع من ناحية الأخلاق فخلاصة أسلوبهم فيه أنهم لا يعرفون شيئاً يسمى جريمة خلقية

وقد عرضنا فى كتابنا « عبقرية محمد » لمسألة الزواج والطلاق فقلنا بعد إثبات رأى نابليون : « ... كذلك اعترف نابليون بالضرورات الزوجية فى العصر الحديث . فكيف اعترف بها « لنين » فى الثورة الكبرى بعد الثورة الفرنسية ؟ حلّ مشكلة الزواج بحل رابطة الزواج ؛ فلا رابطة بين الزوجين أوثق من رابطة الرفيقين فى الفندق أو الطريق . وليس أعجب ممن جعل الزواج شريعة ملائكة إلا الذى جعله على هذا النحو شريعة عجماوات »

قلنا هذا فغضب بعض الأدعياء « أولاً » لأننا كتبنا عن محمد كتابة تعظيم وثناء ، وغضبوا « ثانياً » لأننا ذكرنا « لنين » بغير ما ينبغى له عندهم من التعظيم والثناء

وقالوا فيما اتصل بنا أن الطلاق مكروه فى روسيا الحديثة ، وأن الزوجين المطلقين يعيشان بين الشيوعيين معيشة هوان واحتقار

والذى قال هذا لا يعقل ما قال

وإلا فلماذا يلوم الشيوعيون إذن تلك الآداب التى كرهت الطلاق أو قيدته ببعض القيود أو جعلته محلاً للمراجعة ؟

وما هى إذن تلك الجرائم الخلقية التى يعترف بها قانون الشيوعيين ويفرض لها عقاباً يناسبها فى الضرر والوخامة ؟

إن الحكاية كلها تطاول لا أدب فيه ، وكلام يقوله القائل وهو لا يعقل معنى ما يقول

* * *

ومما أراه أنا أن تنبيه الأذهان إلى مساوئ الدعوة الشيوعية أوجب واجب على الكاتب المصرى فى الآونة الحاضرة ، لأنها تمس الكرامة الإنسانية كما تمسها الفاشية والنازية ، ولأن الشيوعية ليست مسألة أغنياء وفقراء ، وإلا لكنت أحق الناس بالدعوة إلى الشيوعية أو بالسكوت عنها لبعدى عن الغنى اليوم وبعد اليوم ، ولكنها مسألة الإنسان وكرامة الإنسان ، وهل هو من المخلوقات التى تخاطب بلسان الروح أو من المخلوقات التى تخاطب بلسان المعدة . وكفى دليلاً على فاقة الشيوعية فى دواعى الكرامة أنها على احتقارها للوطنية لجأت إليها فى الحرب الحاضرة لاستنهاض الهمم وشحذ العزائم ، فسمتها « الحرب الوطنية » فى المنشورات الرسمية . وما كان أغناها عن هذا التمسح بالوطنية لو كان فى المذهب الكفاية لصد الأعداء عن البلاد .

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

سبحان المنعم الوهاب — كن مع الله
تر الله معك — سخافات الأغانى الشعبية

سبحان المنعم الوهاب

قلت لصديقى الأستاذ عبد الحفيظ خليفة : إن فاكهة المنجة توحى إلى آكلها بأن يقول الحمد لله ، لأن حلاوتها حلاوة عبقرية ، فهى دون العسل فى الحلاوة ، ولكن لها مَذاقاً يفوق الشهد بمراحل طوال ، ولذلك توحى إلىّ معانى من الشكران لا يوحيها أطيب طعام ولا أعذب شراب

فقال صديقى : عُرضت فاكهة المنجة على أحد الناس فرفض أكلها بحجة أنه لا يستطيع شكر الله على طعمها اللذيذ . وكان أحد الصوفية حاضراً فصرخ : وهل تستطيع شكر الله على هذا الكوب من الماء ؟

وعند هذه الكلمة سألت نفسى : كيف جاز أن يَرخُص الماء فلا تكون له تسعيرة فى أعوام الحرب ؟

ثم أجبت : كان ذلك لأن الماء هو أساس الحياة ، فلا يعيش بدونه مخلوق ، ومن أجل هذا منحه الله بسخاء ، وهو الزاد الوحيد الذى يستوى الناس فى الاحتياج إليه ، كما يستوون فى الاحتياج إلى النور والهواء

وأنا من قبل هذا الخاطر بأعوام فكرت فى صعوبة انتفاع الأراضى الفرنسية بمياه الأنهار ، لأنها كثيرة التفاوت فى الارتفاع والانخفاض ، ولا يمكن أن تعتمد على مياه الأنهار فى صيف أو شتاء . وكان الجواب أن الله أمد تلك الأراضى بالأمطار الثجاجة بالنهار وبالليل ، فهى فى غنًى عن الأنهار ، ولو كانت فى حلاوة نهر السين

وأنا أيضاً فكرت من قبل فى استواء الأراضى المصرية ، وهو استواء حرمها جمال التفاوت فى الحزون والسهول ، وكان الجواب أن الله جعلها كذلك ليقدر النيل على ريها بلا عناء

أمرُ الله فى خلائقه أعجب من العجب ، فله تدابير تعجز عن وعيها كبار العقول ، وهو قد يجعل السعادة فى الكوخ الحقير أضعاف ما يجعلها فى القصر الكبير ، ليقول بالتلميح لا بالتصريح إن أمره الأمر فى تقدير السعادة والشقاء

ثم نظرت فى حالى وأحوالى منذ ثلاثين سنة ، فقد كان من أدبى أن أفرح علانية بطعام البيت ، وكان فرحى فرحاً حقيقياً ، لأن الطعام فى تلك السنين كان غاية فى نضارة المنظر وحلاوة المذاق ، بحيث صح عندى أن يد زوجتى هى وحدها اليد الصَّنَاع فى تأليف الصنوف الطريفة من أطايب الطعام المحبوب

ولكن يوماً صائفاً جاء بما لا أريد ، فقُدِّم إلىّ طعامٌ لا أشتهيه فى أيام الصيف ، وكانت النتيجة أن أهمّ بالاعتراض ، وعلى من أعترض ؟

إن زوجتى تحتمل غضبى ، ولا يصعب عليها أن تترضانى ، فهل ألومها على الذى اختارت من الطعام فى ذلك اليوم الصائف ؟

فى أقصر من لمح البصر تيقظ قلبى ، وأدركت أن الاعتراض على رزق الله بداية الانخذال ، وأنى لو جحدت الرزق فى أى صورة لذهب إلى غير معاد

أقبلت على الطعام كارهاً لأتقى غضب الله وإيذاء زوجتى ، فرأيته طعاماً شهيًّا لم أتذوّق مثله مِنْ قبل ، وكانت العاقبة أن أحمد الله من صميم الوجدان

إن نِعَم الله تواجهنا من كل جانب ، ويكذب من يزعم أن الله يتخلى عمن يتوكلون عليه فى النعماء والبأساء

الله لا يتخلى عنا إلا حين ننساه
وهل يتخلى الله عنا حين ننساه ؟

إنه يتركنا لما نريد بأنفسنا ، فيحبّب إلى من نعتمد عليهم أن يشغلونا عنه بالجاه والمال ، تأديباً للانحراف عن طريق الرشاد ؛ والعقاب الصارم هو أن تستغنى عن الله وتحتاج إلى الناس

الديدان الجاهلات فى أجواف الأحجار والثلوج أصدق إيماناً بالله من أشباه العلماء

والشجرة اليتيمة فى البادية القاسية ترى الله بأقوى مما تراه الأشجار المزوّدة بالأنهار الجارية

وهل حُفظ تاريخ الملوك بقدر ما حفظ تاريخ الصوفية ؟

إن الفاجرين الذين صدَقوا فى فجورهم كانت لهم مكانة فى التاريخ القديم والحديث ، فكيف يضيع من آمنوا بصاحب العزة والجبروت ؟

كن مع الله تر الله معك

صديقى العزيز

هل تذكر حديثنا منذ أيام ونحن نقطع الطريق فى وهج الظهيرة من وزارة المعارف إلى ميدان باب الحديد ، مع أننا نملك اجتياز المسافة بسيارة لا تكلفنا غير دراهم معدودات ؟

هل تذكر أنى قلت لك إنى أحب أن أرى نِعم الله على عباده ليزداد إيمانى ؟

وما ذا رأينا فى ذلك الطريق ؟

أنت لم تر شيئاً ، لأنك كنت مشغولاً بمحادثتى فى شؤون لا ينقلها سمى إلى قلبى ، وسيطول بلاؤك بتلك الشؤون ، فهى لا تخرج عن منصبك وراتبك ، ولا تزيد عن شكواك من نظام الترقيات والعلاوات ، يا عبد الوظيفة ويا عبد التراب !

أما أنا فقد رأيت ورأيت ، فهل تحب أن تعرف بعض ما رأيت ؟

لقد اقتنعت بأن الله لم يجعل القاهرة مدينة البؤس ، كما يقول بعض الناس ، فمن السهل أن ترى العيون ألوفا من المنعَّمين بالثروة والعافية والجمال

فى كل لحظة يقع النظر على وجهٍ أصبح ، ويقع القلب على روح لطيف

وفى كل خطوة ترى طلائع من طلاب الرزق الحلال ، ترى عمالاً يكدَحون ليعودوا إلى أهليهم فى المساء وجيوبُهم عامرة وأنفسهم فى ابتهاج

وهل قامت تلك البنايات الشامخات إلا بسواعد أولئك الفِتيان الضاحكين برغم شظف العيش وخشونة الثياب ؟

إن منظر ذلك البواب سرنى ، فقد أسند رأسه إلى الباب وغفا غفوة مُريحة لن تظفر بمثلها فى سريرك ، يا مشغولاً بحظك الفضفاض من دنياك

ومن العجب العاجب أن ترى رجلاً يقرأ فى مصحف وهو على كيس أحد المخازن التجارية ، كأنه لم يسمع أن بدعة العصر توجب نسيان المصاحف والأناجيل !

وفى الشارع رأينا جنوداً يحتضنون زجاجات البيرة ، وبالقرب منهم رأينا عمالاً يحتضنون القُلل القناوية ، فأين السعداء من أولئك وهؤلاء ؟

صاحب الزجاجة يبتلعها ابتلاعاً قبل أن يحل عليه أمر الحاكم العسكرى بانتهاء الوقت المحدد للشراب ، وصاحب القلة يمتص منها رشفة بعد رشفة وهو فى أمان

هل رأيت ذلك الفتى ؟

إنه غلامٌ لم تظفر بمثله قصور الملوك فى عصور الترف والطغيان ، فكيف رضِىَ أن يكون عاملاً فقيراً ، وهو يستطيع بشبابه وجماله أن يكون زهرة فى بستان أحد الأغنياء ؟

فى مصر معنًى اسمُه الشرف ، وهو معنًى ظفرت منه مصر بأعظم نصيب

وهل رأيت تلك الفتاة ؟

إنها ريحانة مطلولة ، وهى تستطيع الاتجار بالقلوب لو أرادت ، ولكنها لا تريد لأنها مصرية ، والمصرية نموذج فى التصون والعفاف ، ويكذب من يزعم أن مخاطر الحرب غيرت أخلاق المصريات

نحن بنينا مدينة القاهرة بأخلاقنا قبل أن نبنيها بسواعدنا ، والساعد المتين فرعٌ عن الخُلُق المتين

إنك لا ترى جلال الله فى أىّ مكان كما تراه فى القاهرة ، ولعلها أول مدينة ينتصر فيها الجِد وينهزم الهزل

ألا ترى أن روح القاهرة ظل قهاراً برغم عوادى الحرب ؟

والذى يعوزك يا صديقى هو أن تكون مصريا مؤمناً بالله ، لتنتصر على أوهامك ، ولتكون من أعاظم الرجال

إنك تلومنى على أن أظل بين أقلامى وأوراقى ساعات من

كل يوم ، فهل تعرف السبب فيما اخترت لنفسي ؟

إني أؤدي زكاة العافية ، وأنا أفهم كيف أراد الله أن يحميني من قضاء ليلة واحدة في سرير المرض ، على طول ما شرّقت وغرّبت في السنين العجاف

وأنت يا صديقي تنكر أن أضيع حظي ممن عرفت من أكابر الوزراء

وأقول إني أخشى أن يغضب الله عليّ إن اعتمدت على سواه

قال صاحبي : كن مع الدنيا لترتفع معك

فقلت : وأنا لا أنخفض ليرتفع أصحابي !

سخافات الأغاني الشعبية

تقدم محطة الإذاعة من يوم إلى يوم ومن ليلة إلى ليلة أشياء تسميها الأغاني الشعبية ، وهي أغان يغلب عليها السخف ، لأنها تحاول دائماً أن تجعل لغة الشعب المصري لغة بعض أبنائه من أهل الصعيد (! ؟)

والخطأ ظاهر في هذه المحاولة ، لأن اللغة العامية للشعب المصري هي لغة أهل القاهرة ، كما أن اللغة العامية للشعب الفرنسي هي لغة أهل باريس

وقد كان للصعايدة لغة خاصة يوم كانوا لا يتصلون بالعاصمة إلا بعد سفر يطول حتى يخترم أسابيع وأسابيع ، فكيف تكون لهم لغة خاصة بعد أن صارت المسافة بين القاهرة وأسيوط لا تزيد عن المسافة بين القاهرة ودمياط إلا بدقائق ، والمسافة هنا وهناك يقطعها القطار في مدة أقصر مما بين باريس وليون ؟

سمعت في مساء اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول مغنياً يقول :

« طال بُعدك ولا ساجل عني »

و « ساجل » هي « سائل » فهل سمعتم في أي أرض عربية أن الهمزة تُنطق جيماً إلا على ألسنة الجهلة من أصحاب الأغاني الشعبية في محطة الإذاعة المصرية ؟

إن لغة الخرطوم هي لغة القاهرة بالضبط الصحيح ، فهل ترون الخرطوم أقرب إلى القاهرة من أسيوط ؟

إتقوا الله في مصر يا جماعة المتحذلقين من أنصار العامية ، فما يقول « ساجل » وهو يريد « سائل » إلا سخيف بلغ سخفه حداً لا يطاق

« طال بُعدك ولا ساجل عني »

ذلك ما هتف به مغنٍّ في محطة الإذاعة ولي عليه شهود ، فماذا يبتغي هذا الظريف ؟ أيزعم أن الصعايدة يجعلون الهمزة جيماً ، وذلك زعم سخيف ؟

إن لغة المصريين ارتقت رقياً عظيماً ، وصار في مقدور صغار العوام عندنا أن يفهموا ما تنشره أعظم المجلات الأدبية بأيسر مجهود

ولكن محطة الإذاعة لا تفهم هذا القول

وأين محطة الإذاعة ؟ حدثوني فقد غاب عنوانها عني !

إن جاريت المطرب الذي فرحت به فهي محطة « القزاعة » بالقاف ، ولن ألتفت إلى « سُقالها » إن وجهت إليّ « السؤال »

الأغاني الشعبية في محطة الإذاعة هي رِدّةٌ سخيفة إلى عهود لا نحب أن تعود

إن كانت محطة الإذاعة تريد أن تكون محطة بهلوانية فهي وما تريد ، على شرط أن تُصرِّح بأن أغانيها الشعبية عبث أطفال

الجد هو دستور الحياة ولو كان في صورة الهزل ، فجدّي يا محطة الإذاعة لتكوني صوت الحق في هذه البلاد

زكي مبارك

مهمة تجديد الأدب العربى

بين الشباب و بين الشيوخ

للأستاذ دريني خشبة

سألنى بعض أصدقائى لماذا أومن بالشباب دون الشيوخ ، ولماذا أرجو أن ينهضوا دونهم بعبء إنهاض الأدب العربى ، وسد تلك الثغرات الشائنة فيه ، تلك الثغرات التى تجعل مصر والشعوب العربية جمعاء تعيش فى الماضى وتنجذب إليه أكثر مما تعيش فى الحاضر وتتشوّف إلى المستقبل ...

وأريد أن أصحح لأصدقائى ما وقر فى أذهانهم من أننى لا أومن بأدبائنا الشيوخ ، إذ أنا ، وقد جاوزت حد الأربعين ، أكاد أنحاز إلى معسكرهم ، منفتلاً من معسكر الشباب الذى يعز علىّ أن أفارقه ، ويسرنى أن أعيش فيه بقلبى ونشأتى وأفكارى وجهادى الأدبى المتواضع ... أريد أن أصحح لأصدقائى هؤلاء ما وقر فى أذهانهم من ذلك ، إذ أنا أول من يجل أدباءنا الشيوخ ، وأول من يعرف لهم حقهم الذى لا يمارى فى نهضتنا الفكرية والأدبية ، وفى تبوىء مصر تلك المنزلة الفريدة بين الأمم العربية ... صحيح أننى أغضيت عن ذكر أحد من شعرائنا الشيوخ فى سياق كلامى عن الدرامة المنظومة ... وقد أغضيت كذلك عن ذكر أحد من الشعراء غير المصريين ... أما لماذا أغضيت عن ذكر أحد من شعرائنا الشيوخ فليس سببه عدم الإيمان بهؤلاء الشعراء الأجلاء الأعزاء الذين سبقونا وعبّدوا لنا الطريق وأبانوا معالم النهضة ووصلوا ماضى الأدب العربى بحاضره ... إنما سببه تلك الروح الشؤمية السوداء المنتشرة فى معسكر هؤلاء الشعراء الشيوخ ... فأنت لا تكاد تتحدث إلى واحد منهم عن تخلف الأدب العربى على العموم والشعر العربى على الخصوص فى مسايرة الآداب العالمية ومواكبة ما يجد فيها من مذاهب واتجاهات حتى يعبس ويحس بالضيق الذى يكربه ، ويأخذ فى الشكوى التى لا معنى لها من قلة التقدير فى هذا البلد الذى قضى أن يعيش أدباؤه غرباء فيه ... ثم يضرب لك الأمثال ... فهذا العقاد لم يملك إلى اليوم قصراً ولم يقتن بعدُ ضيعة . وذاك المازنى ما زال يجالد بقلمه ويجاهد بدمه وبينه وبين شراء عزبة أو اقتناء أبعادية ما بين الأرض والسموات . وهذا أحمد محرم لا تستحيى الدولة من أن تمن عليه بأنها رثت لحالته وأرادت أن تقدره قدره فعينته أميناً لمكتبة دمنهور الأقليمية بهذا الراتب الضئيل النحيل القليل الهزيل من الجنيهات . ثم هـذا أحمد الكاشف الذى لا أرى أن أجرح كبرياءه ـ هكذا يقول محدثى ـ فأذكر لك كيف يعيش ... ثم ذاك طاهر الجبلاوى الذى يسهر الليالى فى نظم درامته « ديك الجن » ، تلك الدرامة الشائقة التى تعجب بها وزارة المعارف ، ويقرها تفتيش اللغة العربية ، وتكتب عنها إدارة التمثيل التقارير الشافية الوافية .. ماذا كان جزاءه وماذا كانت مكافأته ؟ هل رأت درامته ضوء الشمس ؟ هل نفذت إلى أنوار المسرح ؟ هل أحس بها إنسان ؟ لقد نامت فيمن نام من أهل الكهف ياسيدى ... ثم هذا الشاعر النابغة « رشاد راضى » ناظم درامة « جميل وبثينة » ، ماذا لقى من زمانه وماذا لقى زمانه منه ؟ أشهد لو أنك قرأت تلك الدرامة أو شهدتها على خشبة المسرح لفضلتها ألف مرة على مجنون ليلى للمرحوم شوقى بك ؟ ! وذاك الشاعر النابه على أحمد باكثير ... لقد سهر المسكين عاماً وعاماً ثم عاماً ثالثاً فنظم درامة السماء أو إخناتون ونفرتيتى ، ودرامة ابراهيم باشا بطل مصر الأول ، ودرامة كذا وكذا وكذا ... وفكر فى الذى تفكر فيه من استحداث الشعر المرسل والشعر الحر فى الشعر العربى ، وابتدع فى ذلك وأبدع ، فهل أحس أحد به ؟ ها هى ذى درامته « السماء » مطبوعة ، وقد قام بطبعها إبان جنون أزمة غلاء الورق ، فهل تدرى كم نسخة بيعت ؟ وهل سمعت أن المسرح المصرى شهد تلك الدرامة الشائقة الفائقة ؟

وعلى هذا النحو أراد الشيخ أن يأكلنى ويشربنى لينتزع منى إقراراً بالموافقة على وجهة نظره التى تفيض بالشؤم ـ أقصد

التشاؤم ! ؟ - والتي تصدر عن روح كئيبة سادرة لم تعرف كيف تستهزئ بهذا الذى يسميه صاحبها قلة تقدير أو سوء إنصاف يقضيان أن تنحل أوصال الأدب وتفتر أعصاب الأدباء فلا يكون ثمة نشاط ولا يكون هنالك إنتاج ، لأن الحكومة قاتلها الله لا تبيح خزائنها لهؤلاء الأدباء ، ولأن الأمة صنع الله لها لا توليهم رعايتها ، ولأنهم يأمرون فلا يطاعون ، وينشدون فلا يجدون سميعاً ... ألا رحم الله شاعر المعرة الذى اعتذر لقاضى قضاة مصر ، أن يعيش فى دنيا من ذهب ، مؤثراً عيش الكفاف الذى جعل منه شاعر العربية وفيلسوفها الأكبر . ورحم الله دستوئفسكى وولتر سكوت وكارل ماركس ، ومئات الأدباء والشعراء الذين كانوا يذوبون جوعاً فى حين تتخم آدابهم وأشعارهم وأفكارهم أدمغة العالم ... إننا ما سمعنا قط أن أحدهم اتخذ من مسغبته حجة للانصراف عن الأدب أو التقاعس عن قرض الشعر ... لقد رجوت محدثى أن يبحث لى عن شاعرنا الكبير عبد الرحمن شكرى أين هو من عالم الشعر ودنيا الأدب ... وهو والحمد لله - غير محسود ولا مغبوط - فى سعة من الرزق ، ولم يفرض عليه أن يجالد بقلمه أو يجاهد بدمه ليعيش ... أين هو اليوم يا ترى ؟ أين بلبله الصداح وشحروره المغنى ؟ أين قيثاره وأين نايه وأين موسيقاه ؟ ثم رجوته أن يخبرنى لماذا هجر المازنى الشعر ... فلما عجز عن الإجابة توليتها أنا فأكدت له أنه عز عليه ألا يستحدث جديداً فى الشعر العربى ، وهو أعرف الناس بما عليه الشعر الإنجليزى من سمو وثروة واتساع ويسر ، فنثيت نفسه وضاقت بأوزان الشعر العربى التى لم تتجدد قط مدى ألفين من السنين ، اللهم إلا قليلاً ... ولو أن الأستاذ المازنى احتفظ للشعر العربى بميزته الشخصية التى هى الترجمة لأفاده فائدة جليلة القدر ... إلا أن الكسل قاتله الله صرفه عن ذلك أيضاً ... أما العقاد العظيم فهو سيد شعراء المعانى غير مدافع ، والذين زعموا أنه لا شأن له بالشعر هم قوم قليلو البصر بالشعر ، بل ربما كان الأحسن ألا يكون لهم هم شأن بالشعر ... ولو أن العقاد كان يعنى بديباجته وتجويد أسلوبه الشعرى لخر أمامه أولئك النقاد جثياً ... لقد كان لنا فى العقاد أمل ضخم رددناه يوم أصدر ديوانه الضخم المشتمل على ملحمة « الشيطان » ، وكنا ننتظر أن يغزو العقاد للشعر العربى ميادين جديدة فى الملحمة والشعر القصصى والدرامة ... إلا أن العقاد انصرف عن ذلك إلى القصائد والمقطوعات . ولسنا نبالى السبب الذى صرفه عن ذلك ، إنما نبالى أنه أضاع أملنا فيه بعد إذ كان أملنا معقوداً به ... على أننا لا نزال نعلل النفس بالأمانى فى العقاد ، لأننا أعرف الناس بقدرته فى الإنتاج وصبره على الكفاح الأدبى نحو المُثُل العليا ... أما أحمد محرم فلسنا نعرف عن جهوده فى النظم الثالى شيئاً بعد إسلاميته الرائعة الطويلة الجديرة بالإعجاب . ونحن نتوجه إليه بالرجاء أيضاً أن يستيقظ ، إذ هو فى نظرنا فى مقدمة شعرائنا تجويداً وطول نَفَس وتفضيلاً لفخامة العبارة وإشراق الأسلوب . وبهذه المناسبة أذكر شاعرنا الجارم الشيخ ... ذلك الشاعر الغزل الرقيق ... ماذا صنع فى دنياه غير تلك القصائد التى يوجد من أشباهها الشىء الكثير فى الشعر العباسى والشعر الأندلسى ... لعل المعاش الهانئ الذى يتمتع به الشيخ ، بارك الله لنا فيه ، أن يوفر له من الوقت ما يعينه على نظم ملحمة أو قصة وإن كنا نطمع أن ينظم ملاحم وقصصاً كثيرة ...

وأما الشاعر الكاشف فليس لدينا ما نقوله فيه ، ولا نملك إلا الدعاء له بحسن الحال ورغد العيش ... وأما شكوى صديقنا الجبلاوى من تعطيل درامته « ديك الجن » وما كان لهذا التعطيل من نكسة أدبية فى نفسه ، فأنا لا أقر وجهة نظره وأنا بالرغم مما سقته فى مقالاتى عن المسرح المصرى من لوم الوزارة ، لا أرى أن يتكل أدباؤنا على العون الذى يحلمون به من الدولة ، بل أرى أن يثور الأدباء على طريقة الإنتاج الأدبى القديم - أدب القصيدة والمقالة والمقطوعة - وإغراق السوق الأدبية بأدب القصة والدرامة - المنظومة والمنثورة - والملحمة والقصة المنظومة ... ثم أنا زعيم للصديق الجبلاوى بأن اليوم الذى يستطيع الأدباء أن يدوّوا بأصواتهم فى آذان الوزارة فتصيخ لهم وتستجيب لندائهم قريب لا ريب فيه ، وإن لم

تستجب الوزارة طوعاً فثمة وسائل لا حصر لها لإغرائها بالاستجابة . ويجب أن نستعد لهذا اليوم بأن نملأ أيدينا بهذه الألوان من الأدب التي يفتقر إليها الأدب العربي ... وفرصة الأدباء وافية مؤاتية ، فزعيمهم وعميد الأدب العربي لن يملك إلا أن يمد يده لتلك الحركة بالعون والمساعدة ، والعون والمساعدة إنما ينبغي أن ينحصرا أول الأمر في أن تطبع الدولة على نفقتها ثمرات قرائح أدبائها المجددين ثم مكافأتهم ولو في حدود « جهد المقل ! » ... وقبل أن أفرغ من استعراض شعرائنا الشيوخ لا أرى بداً من التنويه بالأستاذ فريد أبي حديد وكيل دار الكتب الآن وناظم مقتل عثمان وغيرها وغيرها ... ، فلقد سألته مرة ماذا أعد لسوق الأدب ، فتبسم ضاحكاً ثم قال مازحاً : « إن صواميله قد نعمت ! وأن لا رجاء في عودتها للعمل ! » وأنا أسأل الله أن تخشن هذه الصواميل ليعود دولاب أبي حديد إلى المساهمة في ثورة الأدب العربي من جديد

هذا هو موقفنا من شعرائنا الشيوخ صريحاً لا لبس فيه ... أما شعراؤنا الشباب فهم بكل صراحة أملنا ومعقد رجائنا في مستقبل الشعر العربي ... وقد بدأ كثيرون منهم يستجيبون لدعوتنا ... وقد وصلتني « عينات » شائقة بالفعل تنبئ بتباشير نهضة رائعة . ولست أذيع سراً إذا بشرت القراء الأعزاء بأن صديقي الشاعر النابه الأستاذ محمود الخفيف قد فرغ بالفعل من نظم ملحمة باكية في مقتل الحسين رضي الله عنه ... ولست أذيع سراً آخر إذا بشرتهم بما بشرني الأستاذ الخفيف من أن الشاعر المبدع علي محمود طه أوشك على الفراغ من نظم درامة رائعة سيفاجئ محبيه بها قريباً

ولا يفهم القراء من هذا الكلام الطويل أنني أقصر نهضة الأدب العربي على ميدان الشعر فحسب ، فهنالك أدب القصة الطويلة الذي لم يستو على سوقه بعد ، وإن ظهر عندنا كتاب مبدعون قدموا لنا أقاصيص رائعة تبشر بمستقبل باهر لهذا اللون الهام من ألوان الأدب .. والظاهرة التي أحب أن أفتح عيون أدباء الشباب عليها وألفتهم إليها هي أن شيوخ الأدباء عندنا يملكون زمام هذا الميدان كله تقريباً ، ولا سيما في القصة المتوسطة ... فليُلْق شبابنا الأدباء بالهم إلى ذلك ، وليتنبهوا له ، ولتكن منهم فئة يعنون بأدب القصة الطويلة ، حتى إذا آل إليهم زمام الأدب في المستقبل القريب كانت معهم مؤنة تكفي لبناء شهرتهم وتخليد ذكرهم ... وليذكروا كذلك أن معظم روائع الأدب الغربي المترجمة هي من إنتاج الشيوخ دونهم ، وعلى هذا ، فينبغي عليهم أن يساهموا في الترجمة بنصيب

أما الأدباء غير المصريين فإلى مقال قريب إن شاء الله .

دريني خشبة

قصة دائرة المعارف الاسلامية

للأستاذ صلاح الدين المنجد

الأنسيكلوبيدية الفرنسية ، معجم شامل للمعارف الإنسانية ؛ أخرجته طائفة من علماء القرن الثامن عشر وفلاسفته وضمّنوه ثمرة دراساتهم الطوال ، فبدت فيه روح العصر وعاداته ، وطرائق أهله في المساجلات والمهاترات

لم ينشأ عن دائرة المعارف هذه ، بعث أدبي أو علمي ، فقد كانت نتيجة لعوامل شتى ، لا سبباً لها ، وكانت ملتقى تيارات تتعارض ونظريات تتضارب ، ويلاحظ الأستاذ (أوبيرتان Aubertin) في كتابه : « روح القرن الثامن عشر » أن هذه التيارات تنحصر في الأمور التالية

١ — الانطلاق : وكان مدلوله في القرن السابع عشر استقلال الفكر ، وشنشنة ضد الدين . وكان معناه في القرن الثامن عشر تظاهراً بالدعة مع الجحود والكفران

٢ — الروح العلمي . فقد هيمنت روح العلم على نفر كبير من الناس ، فأضحوا يتعلقون بالحادثات الواقعة . نابذين وراء ظهورهم ما وراء الطبيعة ، ثائرين على السلطان . وكانوا يفتخرون بالتقدم العلمي الذي رأوه آنذاك ، ويعتقدون أن الوقت قد حان لوضع أسس جـدُد ، ومناهج واضحة ، تسلكها الأجيال القادمة .

٣ — الرغبة في الاستقلال السياسي ، فقد مال الناس إلى احتقار سلطان الملكية ، والثورة عليـه ، والسعي في تحطيمه ، ليتقوى سلطان الشعب

٤ — الميل إلى تقليد الأجنبي وخاصة إلى تقليد انجلترة ؛ فقد كان الفرنسيون يرون في كل ناحية من نواحي السياسة والعلم والدين والأدب فيها مثلاً سامياً جديراً بأن يقتفى أثره ، وأن يقلد

فهذه الميول المختلفات . كانت مظاهر عالم جديد يريد أن يحيا . وكانت هـذه البيئة تحس في نفسها قوة وجلداً ؛ وترى أنها قادرة على تحطيم ما خلّفه لها الآباء والأجداد ، ولابد للناس أن يعلموا ما خلفته الأجيال الخالية ، وما بذلته من جهود في سبيل رقي الإنسانية ، ولابد لهم أن يدركوا كيف بدأ أجدادهم وإلى أية نقطة من طريق الإنسانية الطويل قد بلغوا . فدائرة المعارف كانت وسيلة إلى ذلك

* * *

ظهرت دائرة المعارف سنة ١٧٤٥ . فقد أُذن لصاحب مكتبة Le Bretorn آنئذ ، أن ينقل إلى الفرنسية دائرة معارف العلوم والفنـون L'Encyclopedie Des Sciences et des Arts التي ألفها الإنجليزي Chambers فاستشار ، ذاك الكتبي عددا من العلماء . وكانت هذه الاستشارات لا تجدي شيئاً . فعهد عندئذ إلى « ديدرو Diderot » بهذا العمل ، وكان ذا فكر ثاقب محيط . فرأى أنه يستطيع توجيه ذاك الكتبي نحو فكرة قد تكون أكثر جدوى ، وأقرب نفعاً ؛ فلماذا ينقل إلى الفرنسية معجم ذلك الإنجليزي ؟ أليس من الخير لبلاده أن يكتب المعارف الإنسانية بفكر فلسفي ويقدمها للناس ؟ لا جرم أن ذلك يساعد على انتشار آرائه ، وتبيان ما يذهب هو والفلاسفة إليه ، ويكون وسيلة لجمع شتات فلاسفة عصره . وزين ديدرو للكتبي فكرته فقبل . وعندئذ اتصل بدالامبير D'Alembert وانمكفا على وضع نهج العمل

على أن نهج العمل واضح لا يحتاج إلى جهد وتفكير ، إنما الذي يدعو إلى التفكير هو الحصول على المال . فالمعجم سيكون كبيراً ، وهو يحتاج إلى نفقات قد تثقل عاتق الناشر . وعمدوا إلى اكتتاب بالاشتراك . وساعد على ذلك محافل الماسونيين في العالم كله ، واهتمت السلطات العامة بهذا الأمر . وتدفقت الأموال على الناشر وصاحبيه . وابتدأوا يعملون

وفي سنة ١٧٥٠ أخرج ديدرو المجلد الأول ، وفيه المنهج الذي سيكون المعجم عليه ، وتبيان ماسيتضمنه ويحويه . ومقاله لدالامبير سماها : Discours Prèliminaire

ولم يكد يظهر المجلد الأول حتى تهافت الناس على شرائه ؛ ونال رواجاً كبيراً ، وأبدى كثير من الكتاب والعلماء رغبتهم في مساعدة ديدرو ودالامبير

وظهر المجلد الثانى ؛ وفيه طعن ديدرو على القديم طعناً موجعاً ، وثار الناس على مقالة كتبها الأب دُبراد محرر دائرة المعارف فى الإلـهيات . وهب رجال الدين يطعنون على هذا المعجم الذى يسوق إلى الإلحاد ويدفع إلى الـكفر ، واضطربت السلطة ، واضطرت إلى مصادرة الجزأين . وكاد ديدرو أن يُسجن فى الباستيل ، ولـكن الناشر ما زال يسعى حتى أذن له مرة ثانية بإخراجها

وما كادت سنة ١٧٥٧ تطلع على الناس حتى حدث ما لم يكن بالحسبان . فقد أثرت الأحداث السياسية فى فرنسة فـكانت مؤامرة داميان Damiens ، الذى طعن لويس الخامس عشر بطعنة موسى ، وكان فشل روسباخ Rosbach مما سبب يقظة الشعور الوطنى والأخلاق . ودعا إلى شن هجوم شديد على أولئك الفلاسفة المخرّبين الهدّامين . ومما ساعد على ذلك مقالة عن « جنيف » كتبها دالامبير ، وكتاب « الفكر Esprit » الذى كتبه « هيلفيتيوس Hélvétius » فازداد الطعن على دُعاة المعارف ورجالها ، حتى اضطر الملك إلى إيقافها ، ولـكن الناشر استطاع بعون من مدام دبومبادور حظية الملك أن يصدرها . فصدرت وحمتها رجال الشرطة . وظلت تصدر حتى عام ١٧٧٢ إذ انفض عن ديدرو ، دالامبير وروسو ، وبقى وحده .

***

كانت دائرة المعارف كما ذكرت معجماً رُتب على الحروف الهجائية ، وكان يبحث فى الرياضيات والطبيعيات والإلهيات . وكان مراسلوها يذكرون ما وصلت إليه الإنسانية في كل علم أو فن . ويلاحظ دوكرو Ducros فى كتابه « رجال دائرة المعارف Les Encyclopedistes » أن ديدرو تنبأ بمستقبل الفنون الميكانيكية ، فـكتب مقالات كثيرة عن كل صناعة وبين خططها وصورها

ولـكن على رغم ذلك فإن دائرة المعارف ظلت خليطاً من أمور غامضة تارة ومضطربة أخرى . لا جرم أنه كان فيها الجيد ، ولـكن كان إلى جانبه الرذيل الردىء . وسر ذلك أن مباحثها كتبت بسرعة دون تأمل أو روية

على أن الذى يدهشنى حقاً فيها تلك الروح المهيمنة عليها فى كل صفحة من صفحاتها ، بل فى كل سطر من سطورها . فلقد استطاع ديدرو ، بل وُفق إلى انتقاء مراسليه من الفلاسفة الذين كان بينهم وبينه نسب فى الفـكر والمذهب . فإذا تصفحت دائرة المعارف بدا لك هذا الفـكر الفلسفى الذى لا يؤمن بكل أمر خفى ، ويسخر من كل أمر مطلق أو خارق ، ولا يعتقد بما وراء الطبيعة ، ويدعو إلى حرية الفـكر والـكلام والعمل

وما كانوا يصرحون بذلك تصريحاً تاماً ، ولـكنهم كانوا يدسون السم فى الدسم ، ويحشون مقالاتهم أفـكاراً تسوق إلى ما يريدون . وقد كان من أشد ما يدعون إليه أن يحاربوا المذاهب والآراء التقليدية الموروثة ، وأن يسخروا منها فيصيبها التهديم

ومهما كان من أمرها ، فلقد كانت وسيلة لاجتماع رجال كبار . فقد كتب فيها : مونتسكيو ورسو وفولتير ، وكتب ديدرو ودالامبير ودُجو كور ودبينتون Daubenton ومارمونتيل وغيرهم . . .

ويلاحظ روستان فى كتابه (الفلاسفة والهيئة الاجتماعية فى القرن الثامن عشر)

Roustan, Les philosophes et la Société au XVIII. Siécle

أن مراسلى دائرة المعارف كانوا أشد حماسة من القائمين عليها . نرى ذلك عندما نقرأ مقالات كوندياك تلميذ لوك ، وهافيتيوس الذى دعا إلى المادية أجرأ دعوة ، وغيرهما

ومازالت دائرة المعارف تتستر ، حتى ظهر جلياً ما تدعو إليه . وعندئذ تركها روسو ، وراح يطعن عليها وينعتها بأنها آلة تهديم ، ويعتذر لنفسه بأنها كتب فيها عن الموسيقى ، وقد خفى عليه ما يريدون

ولـكن طعن روسو ، ومن قبله طعن رجال الدين لم يفيدا شيئاً ، فقد انتشرت انتشاراً سريعاً ، فقرأها البرجوازيون المثقفون ، وقرأها بعض الـكهنة ، وأعجب بها المحامون . ولئن انفض عنها رجالها ، ثم توقفت ، فلقد غرست فى العقول الشك ، وساقت الناس إلى حدث اجتماعى عظيم هو الثورة الفرنسية .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

٣ـ الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

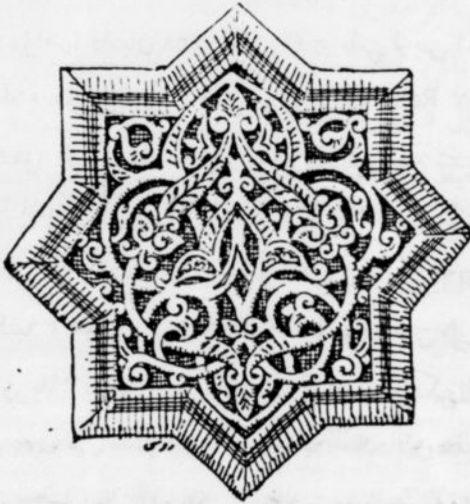
وكما أجاد المسلمون فن الخط ، فقد بلغوا فى الزخرفة شأواً بعيداً أقل ما يشهد به أن كلمة (الأرابسك) عَلَم — فى تاريخ الفن — على نوع معين من الزخرفة ابتدعه الفنان المسلم . حقاً إنه لم يبتكر وحدات زخرفية جديدة بل استعمل ما وجده بين يديه من مخلفات الفنون السابقة على الإسلام ، إلا أنه لا سبيل إلى إنكار مقدرته فى طريقة رسم هذه الوحدات الزخرفية وتوزيعها والتأليف بينها وتنسيقها تنسيقاً يجعلها تبدو كأنها اخترعت لأول مرة وما هى كذلك ، ولكنه صهرها فى بوتقته ومزجها بفلسفته وسلط عليها أشعة عبقريته فخرجت من بين يديه فناً جديداً لا يخفى عليك أصله ولكنك لا تستطيع أن تنكر عليه شخصيته القوية الواضحة

لم يخترع أشكالاً هندسية جديدة ، ولكنه بالغ فى تقسيمها وتحليلها ، تراها تارة متشابكة ، وأخرى متداخلة ، وأحياناً متلاصقة وأحياناً متباعدة ، حتى ليصح لنا أن نقول فى اطمئنان إنه بعث فى هذا النوع من الزخرف روحاً من لدنه فبدا فى ثوب من الجمال قشيب لم يكن له قبل الإسلام

ولم يبتكر وحدات نباتية أو حيوانية بل رسم الأزهار والأشجار والأوراق والسيقان ، والطيور والحيوان بعد أن حورها تحويراً كادت معه أن تفقد شخصيتها كوحدات نباتية أو حيوانية ، ولكنها وإن بعدت عن الطبيعة فقد دلت على سعة خيال مبدعها وصفاء قريحته

ونفر من الفراغ ، وكره أن يرى سطحاً عاطلاً من الزخرف فكرر الوحدات الزخرفية المذكورة تكراراً يمكن أن يستمر دون أن يقف عند حد

هذه الظاهر الجديدة إتقان الزخرفة الهندسية ، وتحوير العناصر النباتية والحيوانية ، وتكرار الوحدات الزخرفية ، والنفور من الفراغ ، هى فى الغالب نتيجة لبعض توجيهات فى الدين الإسلامى : فقد كان التصوير ـ وسنتحدث عنه فيما بعد ـ أمراً غير مرغوب فيه عند كثير من المسلمين نظراً لما حام حول مزاولته من شك ، فانصرف نشاط الفنانين إلى نواح أخرى ؛ ولعلهم كانوا متأثرين فى بعض ما اتجهوا إليه بما روى فى صحيح البخارى (كتاب البيوع) عن سعيد بن أبى الحسن إذ يقول : « كنت عند ابن عباس رضى الله عنهما إذ أتاه رجل فقال : يا ابن عباس ، إنى إنسان إنما معيشتى من صنعة يدى ، وإنى أصنع هذه التصاوير . فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، سمعته يقول من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً .



مثال من « الأرابسك » على الخشب من زخارف منبر ابن طولون — من كتاب تاريخ ووصف الجامع الطولونى للأستاذ « محمود عكوش »

فربا الرجل ربوة واصفر وجهه ؛ فقال ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شىء ليس فيه روح » فلا عجب إذا بلغت الزخارف الهندسية على يديهم ذروة الإجادة ، وأصبحت الزخارف النباتية آية فى الإبداع والإتقان وإن كانت بعيدة عن تمثيل الطبيعة تمثيلاً صحيحاً فى معظم الأحيان ، شأنها فى ذلك شأن الزخارف الحيوانية التى ترخص فى رسمها بعض الفنانين ؛ على أن هذا البعد عن الطبيعة لم يكن نتيجة لضعف فى الملاحظة أو نقص فى القدرة بل هو ، فى أغلب الظن ، مقصود لذاته ، ولعله ناشىء عن تلك العقيدة التى يؤمن بها كل مسلم أشد الإيمان : ذلك أن البقاء لله وحده ، وأن العالم بمن فيه وما فيه مآله إلى الزوال (كل شىء هالك إلا وجهه) (كل من عليها فان ، ويبقى

وجه ربك ذو الجلال والإكرام) . وليس من اللائق وهذه العقيدة منقوشة فى أذهان المسلمين جميعاً أن يخلد رجال الفن منهم بأعمالهم الفنية ما كتب الله عليه الفناء ، لذلك نجدهم لم يعنوا بتصوير الشخصيات العظيمة فى لوحات كبيرة أو تماثيل ضخمة تبقى على الدهر ، أو تمثيل جمال الطبيعة بالنقل عنها نقلاً صحيحاً ، بل يأخذون من عناصرها ما يرون ، ويهذبون فيه ما شاءت لهم ميولهم ومواهبهم الفنية ، ثم يكوّنون من هذه العناصر المهذبة زخرفة لا تمت إلى الطبيعة بصلة ، قوامها أغصان نباتية متشابكة يتفرع بعضها من بعض، وأوراق أشجار مختلفة يخرج بعضها من بعض، وأزهار وفواكه تنبت من الأوراق أحياناً ومن الأغصان أحياناً أخرى ، وهى فى مجموعها تعطى منظراً ترتاح له العين ويسر به الفؤاد



مثال من « الأرابسك » على الحجر — من زخارف المئذنة الجنوبية لمسجد الحاكم بأمر الله — من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك لمحمد عبد العزيز مرزوق

ويعنى الفنان المسلم عناية واضحة بالتفاصيل الدقيقة ، ويميل — بل ويسرف فى هذا الميل أحياناً — إلى عدم ترك فراغ ملحوظ بين الوحدات الزخرفية ، وربما كان مسوقاً إلى ذلك بفكرة كامنة فى نفسه تجعله حريصاً على أن يخرج زخرفته بحيث لا يستقر النظر فيها على شىء معين يترك فى الذهن صورة واضحة تحتل بؤرة الشعور . أما هذه الفكرة فهى رغبته فى الحيلولة بين نفسه وبين الغرور الذى يملك الفنان أحياناً عند ما يتأمل فى أثره الفنى فيراه واضح المعالم والخطوط ، ويدرك أنه استطاع أن يرسم بريشته ما يضاهىء به خلق الله . كما أنه أيضاً قد أمن — فى نفس الوقت بطريقته هذه — استغراق الناظر لذلك الأثر الفنى فى جمال الأثر فينسى مبدع الكائنات وهو يتأمل فيما صنعه الإنسان



مثال من « الأرابسك » على النسيج — من زخارف إحدى الحلل التى ترجع إلى عصر المستعلى بالله الخليفة الفاطمى — من كتاب الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية لمحمد عبد العزيز مرزوق

على أن هناك ظاهرة فى الزخرفة الإسلامية تلفت النظر ، تتجلى لنا فى الوحدات الزخرفية التى نرى فيها طائراً ينبت من جناحيه وذيله أغصان تتصل بها أزهار ، أو سمكة ينتهى ذيلها بفرع نباتى ويخرج من رأسها وجسمها أوراق أشجار ، أو رأس آدمى مركب على جسم طائر ذيله عبارة عن غصن طويل ملتف على نفسه ، أو قطعة من خشب على شكل قيثارة مثلاً يخرج من جانبيها الأيمن والأيسر رأسا حصانين فى فم كل منهما لجام يتخلص من طبيعته هذه بالتدريج حتى يصبح فرعاً نباتياً تتصل به أغصان وأزهار ، وينبت من أذن كل منهما فرع نباتى يدور حول نفسه أولاً ثم يتفرع إلى فروع عدة ، أو غير ذلك من الوحدات الزخرفية التى يجمع فيها الفنان عناصر الطبيعة المختلفة من حيوان ونبات وجماد بحيث يخرج بعضها من بعض ؛ وكأنه فى عمله هذا يرى أن المخلوقات كلها سواء يستوى لديه

الدين العام المصرى

نشأته وتطوراته

للأستاذ أحمد صادق موسى

ليس الدين شراً كله كما أنه ليس خيراً كله ، ولكنه لم يأخذ أية أمة مثلما أخذ فى مصر طريقاً حافلاً بالحوادث ، مليئاً بالاضطرابات ، حتى أصبح تاريخه فى مصر تاريخاً لفترة طويلة فى حياتها السياسية والمالية ، شهدت فيها البلاد ألواناً شتى من التدخل الأجنبي ، وصوراً متعددة من التعسف ، وضروباً كثيرة من التقلب والاضطراب . ولقد انتقل حكم مصر إلى سعيد باشا والبلاد لا تعرف طريقاً إلى القروض الأجنبية ، حتى أحاط بالوالى الجديد بطانة من الفرنسيين وعلى رأسهم فردناند دلسيبس ، فزينوا له فوائد الإصلاح ويسروا له سبل الاقتراض ، فامتدت يد سعيد باشا إلى المصارف الأوربية للمرة الأولى ، ثم إلى الأهالى ، فاقترض عدة قروض كان منها الدين الثابت على المصارف الأجنبية ويقدر بمبلغ ٣٫٢٩٢٫٨٠٠ ج . ك . ومنها الدين السائر على الأهالى ويقدر بمبلغ ٧٫٨٦٧٫٢٠٠ جنيهاً . فلما توفى سعيد باشا ترك البلاد وعليها دين يزيد على الأحد عشر مليوناً من الجنيهات

وتولى الخديو إسماعيل عرش مصر ، وكان شاباً جريئاً طموحاً ، يفيض قلبه بالآمال ، ويجيش صدره بأجمل ما يتمناه ملك يتفانى في خدمة بلاده ، فأسرعت البطانة الأوربية وخاصة الفرنسية بالالتفاف حوله ، كما التفت حول سلفه ، تلتمس فيه نقط الضعف ، فإذا بها ، ويا لفخره ... رغبته فى الإصلاح وحبه للانشاء . فراحت تزين له آفاق هذا المجال وتمده بالمال ، فاندفع نحو الاقتراض مدفوعاً برغبته الصادقة فى إصلاح حال مصر ، وبحسن نواياه وثقته بمن حوله ، وهم بطانة من الأجانب المرتزقة ، أو المصريين الذين أعمى الطمع قلوبهم وأضل أفئدتهم ، فصرفهم عن أن يخلصوا النصح لمولاهم ، أو يتبصروا عواقب الأمور ... وراحت القروض تتوالى على مر السنوات ، وترتفع الأرقام فى سرعة هائلة ، فإذا الديون الثابتة تبلغ من سنة ١٨٦٢ إلى سنة ١٨٧٣ (أى مع دين سعيد باشا الثابت) ٦٨٫٤٩٧٫١٦٠ ج . ك . والديون السائرة ٢٥ مليوناً من الجنيهات . وقد كان أكبر هذه القروض الثابتة قيمة قرض سنة ١٨٧٣ بمبلغ ٣٢ مليون جنيه إنجليزى ، وكان سعر الفائدة ٧ ٪ ؛ على أنه إنصافاً للحق لم تصل القيمة الاسمية من الديون الثابتة إلى الحكومة ؛ إنما دخلها منها ٤٧٫٣٥٧٫٤٦١ ج . ك فقط ، وضاع الفرق ما بين القيمتين الاسمية والحقيقية ، ويقدر بمبلغ ٢١٫١٣٩٫٦٩٩ فى السمسرة والعمولة والمصروفات الأخرى ، حتى سعر الفائدة ٧ ٪ كان لا يعمل به ، بل كانت تتراوح الفائدة الحقيقية ما بين ١٢ ٪ و ٢٦ ٪ . وقد رهنت فى مقابل هذه الملايين إيرادات بعض مديريات الوجهين القبلى والبحرى ، وإيرادات الجمارك والسكك الحديدية وجميع الثغور والعوائد المختلفة ، وإيرادات أملاك الدائرة السنية ، وكان يقدر الدخل فى الجميع بنحو ستة ملايين من الجنيهات ، وبهذا أصبح معظم إيرادات القطر رهناً لهذه الديون الأجنبية . ولم تزد الحالة إلا سوءاً ؛ فكان كل قرض يعقد يجلب معه الاضطراب الشديد والخلل السريع إلى المالية المصرية ، حتى أقبل عام ١٨٧٥ فإذا بالحكومة

الحيوان والإنسان والنبات والجماد باعتبار أنها لا تثبت على صورة واحدة بل تتغير من حالة إلى حالة وليس لها جميعاً إلا وجود زائل سائر إلى الفناء بينما الخالق وحده هو الحق الباقى الذى لا يعتوره تغير ولا يلحقه فناء . والغالب أن الفنان المسلم متأثر فى اتجاهه هذا بتلك الآية الكريمة التى نزلت فى إبراهيم عليه السلام والتى تشير إلى أن الثبات وعدم التغير من صفات الحق وحده دون مخلوقاته التى من شأنها التغير . يقول جل شأنه : (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال إن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) .

« يتبع »

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

عاجزة عن تسديد فوائد هذه الديون ودفع الأقساط في مواعيدها ، وقد استخدم إسماعيل صديق باشا (المفتش) وزير المالية يومئذ كل ما تفتق عنه ذهنه من أساليب شيطانية لابتزاز الأموال لتسديد الأقساط . ولما شعر الخديو بشدة وطأة الحال عرض على انجلترا رغبته في أن تبعث إليه بمالي كبير يدرس الحالة المالية ويعاون الوزير المصري في إدارة شئونها وعلاج أسباب اضطرابها ، وجاء هذا الطلب في وقت كانت تطمع فيه كل من انجلترا وفرنسا في بسط إشرافها المالي على البلاد بعد ما أصابها من سوء وانحلال . ولذلك سرعان ما لبت انجلترا رغبته وأرسلت « بعثة » يرأسها «ستيفن كيف » لبحث الحالة المالية ، وقدم « كيف » مصر ووضع تقريراً مطولاً مستفيضاً عن الشئون المالية استعرض فيه أسباب اضطرابها وخللها ودواعي عقد القروض وقدم مقترحات تتلخص في تسديد القروض القصيرة الأجال وتحويل الباقي من الديون الأخرى الطويلة الأجل إلى دين واحد قدره ٧٥ مليون جنيه بفائدة سعرها ٧ ٪ يسدد في ٥٠ سنة وأن تنشأ مصلحة للمراقبة يعهد إليها تسلم متحصلات بعض أنواع الإيرادات ؛ على أن لا تعقد الحكومة أي قرض جديد إلا بعد موافقتها عليه . غير أن الخديو اسماعيل أغضبه تقرير « كيف » فاتجه للمساعدة الفرنسية ؛ وما لبث أن قدم المالي الفرنسي الذي حضر إلى مصر لدراسة شئونها المالية ، مشروعاً يقضي بإنشاء صندوق الدين . ورأت انجلترا أن فرنسا تنافسها في الميدان فأرادت أن تحمل الخديو على قبول مقترحات كيف ، ولجأت إلى مناورة برلمانية في عهد دزرائيلي ونشرت تقرير كيف عن حالة مصر المالية فأغضب ذلك الخديو كل الغضب وانحاز بكليته إلى المشروع الفرنسي وأصدر أمراً عالياً في ٢ مايو ١٨٧٦ يقضي بإنشاء صندوق الدين على أن يؤلف من أعضاء أجانب يعينهم الخديو بناء على ما تعرضه الدول التابع لها كل منهم . ويستلم الصندوق إيرادات بعض مديريات الوجهي البحري والقبلي المخصصة لخدمة الدين ، وعوائد الدخولية في العاصمتين ، وإيراد الجمارك في جميع الثغور ، والسكك الحديدية وغير ذلك ، وحظر على الحكومة تخفيض أموال الأطيان المخصصة للدين بغير موافقة الصندوق ، كما تقرر أن تكون المحاكم المختلطة هي المختصة بالنظر في النزاع

بين الصندوق والحكومة . وأعقب هذا صدور أمر عال آخر في ٧ مايو يقضي بتحويل ديون الحكومة الثابتة والسائرة إلى دين واحد قدره ٩١ مليون جنيه انجليزي بفائدة ٧ ٪ ويسدد في ٦٥ سنة ، وأن يخصص لتسديده الإيرادات التي ذكرنا أبوابها وتقدر بمبلغ ٦٫٧٤٥٫٢٥٦ ج . ك ثم رأى الخديو زيادة في حسن الإشراف والإدارة إنشاء مجلس المالية الأعلى ، فأصدر أمراً بتشكيله في ١١ مايو من تلك السنة . بيد أن التنافس الإنجليزي الفرنسي كان يزداد شدة فدعا هذا إلى اتفاق الدولتين على المطالبة بوضع نظام يكفل لهما دقة الإشراف المالي على مصر ، وذلك بتعيين مراقب انجليزي للايرادات ، ومراقب فرنسي للمصروفات . وقد تم لهما ذلك بإنشاء المراقبة الثنائية في الأمر العالي في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ على أن توضع السكك الحديدية وميناء الإسكندرية تحت إدارة لجنة أوربية . وبهذا اتخذ التدخل الأجنبي ثاني صوره الرسمية بعد إنشاء صندوق الدين . غير أن توحيد الديون جميعها أثار احتجاجات حاملي السندات القصيرة الأجل وسندات الدائرة السنية فدارت مفاوضات أعقبها صدور أمر عال في ١٨ نوفمبر أيضاً بفصل ديون الدائرتين السنية والخاصة عن الدين الموحد وإصدار سندات ممتازة للمرة الأولى بمبلغ ١٧ مليون جنيه انجليزي بفائدة ٥ ٪ وتخفيض الدين الموحد بذلك إلى ٥٩ مليون ج . ك ، ثم عقد في شهر يونيه ٨٧٧ اتفاقاً خاصاً بديون الدائرتين السنية والخاصة وأصبحت قيمتها الرسمية ٩٫٥١٢٫٩٠٠ج . ك — وعلى الرغم من هذا ازدادت الأحوال اضطراباً ، فأشار وزير المالية على الخديو بتشكيل لجنة للتحقيق فصدر أمر عال بها في يناير سنة ١٨٧٨ يقضي بتعيين لجنة التحقيق العليا التي كان يرأسها اسماً دليسبس ، وفعلاً السير ريفرز ولسون ، وذلك للبحث في أسباب الخلل ووضع المقترحات اللازمة لعلاج الاضطراب المالي والضيق الشديد . وفي أثناء قيام لجنة التحقيق بعملها تدخلت انجلترا وفرنسا بطلب تعيين وزيرين أوربيين في الوزارة المصرية وتحديد المسئولية الوزارية . وقد تم لهما ذلك ، فتولى السير ولسون وزارة المالية ، والمسيو دي بلينر وزارة الأشغال في الوزارة المختلطة التي تألفت في عام ١٨٧٨ ، وبهذا أصبح ولسون يشغل منصبين خطيرين . ولكن تأليف هذه

الوزارة ما لبث أن قوبل بامتعاض شديد من الوطنيين . وكان هذا العمل جرحاً عميقاً للكرامة المصرية القومية ، فاتجهت الأفكار كلها إلى التخلص منها . وكان الخديو أكثر الناس رغبة فى ذلك فما لبث أن انتهز فرصة وضع تقرير لجنة التحقيق العليا التى ذكرت فيه أن الحكومة المصرية فى حالة إفلاس ، وأنه يجب تشكيل لجنة لتصفية الحالة المالية والديون ، حتى أسقط الوزارة المختلطة وعين شريف باشا رئيساً للوزارة الوطنية البحتة ، وقوبل هذا العمل الجرىء من الخديو باحتجاجات شديدة من الوزيرين الأوربيين ودولتيهما ولجنة التحقيق وغيرهم ، ولكن ظل الخديو وشريف باشا على سياستهما الوطنية وإن كانا قد فاوضا الدول فى إعادة المراقبة الثنائية مرة أخرى

وفى ذلك الحين عقد قرض الدومين مع بنك روتشيلد بمبلغ ٨ر٥ مليون ج . ك فى ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٧٨ ، ثم صدر بعد ذلك مرسوم بالتصفية فى ٢٢ إبريل سنة ١٨٧٩ ، غير أن الدول لم تقبله واحتجت عليه . واستمر النزاع قائماً بين الخديو اسماعيل والدول الأوربية التى نشطت فى تألبها عليه ؛ وأقنعت الباب العالى بضرورة عزله للعمل على الإصلاح المالى ؛ وخضع السلطان العثمانى وأصدر فرماناً بهذا السؤل فى ٢٦ يونية سنة ١٨٧٩ . ويبدأ مع عصر الخديو توفيق عهد جديد تضافرت فيه جهود الدول على العمل لتحقيق غرضين أولهما : البحث الجدى المنتج لتوطيد الحالة المالية المصرية ، وثانيهما الوصول بالتنافس الإنجليزى الفرنسى إلى الاحتلال العسكرى للبلاد

ولقد سار الغرضان معاً فبدأت الحكومة المصرية بإصدار قانون التصفية العام فى ١٧ يولية سنة ١٨٨٠ ويقضى بإصدار سندات جديدة من الدينين الموحد والممتاز ، كما خفض سعر الفائدة فى الدين الموحد إلى ٤٪ ، وضمت أملاك الدائرتين السنية والخاصة إلى الحكومة ، وألغيت المقابلة على أن يسترد ما حصل منها على أقساط شهرية لمدة ٥٠ عاما — وفى هذه السنة نشرت أول ميزانية رسمية للحكومة ، ثم أدى الاتفاق الإنجليزى الفرنسى على احتلال البلاد احتلالاً مشتركاً إلى أن أسرعت انجلترا بالاحتلال الفردى سنة ١٨٨٢ متخذة من بعض الحوادث الداخلية ، كالثورة العرابية وغيرها مبرراً لتنفيذ هذا الاحتلال السريع . وقد نتج من هذا كله اضطراب مالى سياسى جديد ، ورأت الحكومة أن تغطى عجز إيراداتها بعقد قرض جديد بضمان الدول ، وقد تم لها هذا بالأمر العالى فى ٢٧ يولية سنة ١٨٨٥ الذى يقضى بإصدار سندات بقيمة ٩٫٤٢٤٫٠٠٠ ج . ك . بفائدة ٣ ٪ وبضمان كل من انجلترا وألمانيا والنمسا والمجر وفرنسا وإيطاليا وروسيا . وعقد الخديو توفيق ثم الخديو عباس فيما بعد ثلاثة قروض قيمها لا تزيد عن الخمسة ملايين من الجنيهات ، كما حددها السلطان العثمانى ، وذلك لتسوية الحالة المالية . وبدأ الاستقرار المالى يدب بعد ذلك فى الحياة المصرية ، وعمل الإنجليز من جانبهم على التخلص من مشاركة فرنسا فى الإشراف على الشئون المالية ، فألغيت المراقبة الثنائية ، واستبدلت بالمستشار المالى الإنجليزى . وكان من بوادر الاستقرار أن أخذت الحكومة فى تكوين أموال احتياطية تحفظ فى صندوق الدين ، وأعقب ذلك تحويل الديون الممتازة والدائرة السنية والدومين إلى ديون جديدة بفوائد مخفضة . ولما كانت البلاد تحت السيادة العثمانية فقد لجأت تركيا إلى مصر لتكون ضامناً لها فى القسط السنوى للقرض العثمانى ٤ ٪ لسنة ١٨٩١ ، وذلك بتخصيص جزء من الجزية السنوية المستحقة لها لضمان القسط السنوى من هذا القرض الذى أصدره بنك روتشيلد بقيمة اسمية ٦٫٣١٦٫٩٢٠ ج . ك . وحدد له قسط سنوى قدره ٢٧٣٫٦٠٨ ج . م . ويستهلك فى مدة ٦٠ سنة تنتهى فى سنة ١٩٥١ ؛ وفى سنة ١٨٩٤ حدث تعهد مشابه حين قبل الخديو عباس الثانى أن تضمن مصر القسط فى القرض العثمانى ٣ ½ ٪ لسنة ١٨٩٤ ، وكانت قيمته الاسمية ٨٫٢١٢٫٣٤٠ ج . ك . ، ويستهلك في مدة ٦١ سنة تنتهى فى سنة ١٩٥٥ ، وحدد قسطه السنوى بمبلغ ٣٢١٫٠١٨

وقد ظلت مصر تدفع أقساط هذين القرضين العثمانيين باعتبارها خاضعة للسيادة التركية ، حتى بعد أن رفعت عنها هذه السيادة فى سنة ١٩١٤ إلى أن قرر مجلس النواب فى سنة ١٩٢٤ أن تتوقف مصر عن دفع هذه الأقساط التى لا مبرر لدفعها من زوال السيادة التركية وإعلان الاستقلال ، ولكن معاهدة لوزان التى نفذت فى سنة ١٩٢٤ قررت إعفاء تركيا من كل

التزامات القروض العثمانية ورفع النزاع إلى المحاكم المختلطة التي قضت في إبريل سنة ١٩٢٦ بإلزام الحكومة المصرية بالاستمرار في دفع هذه الأقساط حتى نهايتها

ولما كانت فرنسا تناوىء انجلترا مناوأة شديدة بعد فشل الاحتلال المشترك لمصر وتندد بسياستها ، فقد عملت انجلترا على أن تسعى للاتفاق معها ، وقد تم هذا في الاتفاق الإنجليزي الفرنسي سنة ١٩٠٤ الذي أطلقت فيه يد انجلترا في شئون مصر مقابل إطلاق يد فرنسا في شئون مراكش . وبعد ذلك الاتفاق صدر قانون جديد في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٤ يقضي بتنظيم الدين العام وباستمرار صندوق الدين في عمله حتى ينتهي تسديد هذه الديون ، وأن لا تخفض ضرائب الأطيان إلى أقل من ٤ مليون جنيه إلا بعد موافقة الدول ، وحددت التواريخ لبدء استهلاك هذه الديون

ولقد تمكنت الحكومة بعد ذلك من التخلص من بعض ديونها فسددت دين الدائرة السنية حتى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ وكذلك دين الدومين حتى أول يونيه سنة ١٩١٣

وقد شاع الاستقرار في المالية المصرية وانبعث الاطمئنان إلى النفوس بعد التعديلات والإصلاحات المختلفة السابق ذكرها إجمالاً وقامت الحكومة المصرية بعد ذلك بإصدار أذونات الخزانة في سنة ١٩٣٣ بمبلغ ٣ر٥ مليون جنيه مصري استهلكت على دفعتين الأولى في سنة ١٩٣٨ والثانية في سنة ١٩٤٣ ، وكان الغرض من إصدارها تخفيف الأزمة الاقتصادية العالمية التي سببت هبوط أسعار المحاصيل الزراعية ، ثم أصدرت بعد ذلك قرض القطن الأول في سنة ١٩٤١ بفائدة ٤½ ٪ وبمبلغ ١٧ر٥ مليون جنيه مصري طرح منها للاكتتاب عشرة ملايين استهلك منها حتى الآن ستة ملايين ، وأصدر بالباقي أذونات لمدة قصيرة . والثاني في سنة ١٩٤٢ بفائدة ٤ ٪ وبمبلغ ١٢ مليون جنيه مصري طرح منها للاكتتاب مليونان من الجنيهات

هذا هو مجمل تطور الدين العام ، ويضاف إليه ديون أخرى صغيرة استهلك بعضها والبعض الآخر في دور الاستهلاك

على أنه يجدر بنا ذكر العمل الجليل الذي قامت به الحكومة بإلغاء صندوق الدين في سنة ١٩٤٠ بعد مفاوضات مع الدول ونقل كل اختصاصاته إلى الحكومة التي يتولى البنك الأهلي – نيابة عنها – القيام بخدمة هذه الديون ، وقد صدر بعد هذا مرسومان ملكيان رقما ٦٨ و ٧١ لسنة ١٩٤٠ بتنظيم الدين العام على هذا الأساس الجديد

ويتضح مما تقدم أن الباقي من الدين العام هو : الدين المضمون ٣ ٪ وقيمته الإسمية ٩ر٤٢٤٫٠٠٠ ج . ك وقسطه السنوي ٣٠٧ر١٢٥ ج . م والباقي منه ٧٨٥ر٤٠٠ ج . ك والدين الممتاز ٣½ في المائة وقيمته الإسمية ٣١ر٦٤٧٫٠٠٠ ج . ك وقسطه السنوي ١ر٠٤٥ر٣٨٤ ج . م والباقي منه بعد الاستهلاك ٣٠ر٦٣٣ر٩٨٠ ج . ك ؛ والدين الموحد ٤ في المائة وقيمته الإسمية ٦٠ر٩٥٨ر٢٤٠ ج . ك وقسطه السنوي ٢ر١٥٤ر٧٦٨ ج . م والباقي منه بعد الاستهلاك ٥٥ر٢٥٠ر٤٦٠ ج . ك ؛ وجملة الباقي من هذه الديون الثلاثة ٨٦ر٦٦٩ر٨٤٠ ج . ك وأما القرضان العثمانيان فجملة الباقي منهما معاً هو ٥ر٣٥٧ر١٨٠ ج . ك

وقد تقرر منذ سنوات مضت أن تدفع الكوبونات والسندات في هذه الديون بالعملة الورق الأسترلينية ؛ وقد بلغت قيمة ما تدفعه مصر سنوياً من فوائد لهذه الديون مع قسط استهلاك الدين المضمون أكثر من أربعة ملايين من الجنيهات المصرية . ولا ريب أن المشروع الجديد باستهلاك بعض هذه الديون وتحويل البعض الآخر إلى دين داخلي أخف حملاً ، عمل جليل يرفع عن كاهل البلاد عبئاً ثقيلاً باهظاً من بعض ملايين الجنيهات كما يرفع عنها ذكريات أليمة تردد صداها في تاريخ مصر الحديث .

أحمد صادق موسى

السامر الموحش

إلى الحبيب الذي أسا كلامى
وغنيته أعذب أنغامي
ونهل وعل من أحلامي
وعاطيته كأس أوهامى
فشربها ولم يشر بجيا
واليوم تناسته الدنيا
ولكن جرحى الفاغر مات آسيه
وأنغامى لم تأنس إلى من تغنيه
وأحلامى لم تركن إلى من تساقيه
وأوهامى لم ترتع إلى من تعاطيه ،
فهى تبعث الذكرى من بعيد وإلى بعيد
وأنا شقى بها ، وإن شئت فقل سعيد

تَلَفَّتُ لا شملى جميعٌ ولا الهوى   قريبٌ ولا فرعُ الصَّبا عبقٌ نضرُ
أحِبَّاىَ لو غيرُ الردى حال دونكم   دنا البرُّ فى عينَىَّ وانكشف البحر
بأسماعكم وقرٌ وقد رُحْتُ شاكياً   وحاشا ففى سمع الثرى وحده الوقر
تناستكم الدنيا وحالت عهودُها   كأن لم يرنّحْ عِطفَهَا بكم الفخر
أنَزِّهُ آلامى عن الدمع والأسى   فيؤنسها منى الطلاقة والبشرُ
وأضحك سخراً بالوجودِ ورحمةً   وفى كبدى جُرْحٌ وفى أضلعى جمْر
يغالى بدنياه وَيجلو فتونها   ودنياه فى عينَىَّ موحشةٌ قفرُ
وما حاجتى للنورِ والنورُ كامن   بنفسى لا ظِلٌّ عليه ولا سِتْرُ
وما حاجتي للأفق ضحيانَ مشرقاً
ونفسى الضحى والأفق والشمس والبدر
وما حاجتى للكائنات بأسْرها   وفى نفسىَ الدنيا وفى نفسىَ الدهر
أهَدْهِدُ من أحزانها كلما وَنَتْ   ويُسْلِسُ بعد المَرْى للحالب الدَّر
إذا رَكدتْ بعد المحبوب فإنَّها   لكالبحر من أخلاقه المدُّ والجزر

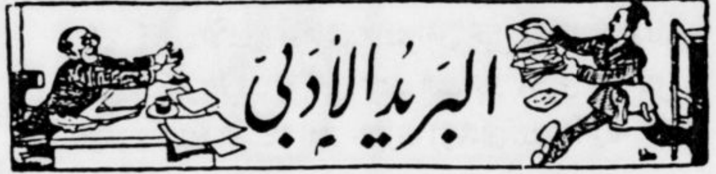
* * *

ويا سامر الأحباب مالك موحشاً   معاذ الهوى بل أنت يؤنسك الذكر
أدِينُمكَ مِنْ حَبُّ القُلوب تمزَّقَتْ
عليه فَسَالَ الشوقُ وَالحب والطُّهرُ
إذا ظَمِئَتْ فى قطعها البيدَ نَسْمَةٌ   ألمَّتْ به وهناً فرَنَّحها السُّكْرُ
فيا للصَّبَا العجلى إذا عبرَتْ به
تأنَّتْ كما يَرْتاحُ فى الواحة السَّفْرُ
تمنَّيتُ إجـــلالاً لهُ وَمحبَّةً   لوَ أنَّ حَصاهُ أنجُمُ الفَلَكِ الزُّهْرُ
وأجزَعُ إنْ مرَّتْ به الريحُ زعزعاً
وأشرَفَ حتَّى جاوز الحاجةَ القَطْرُ
فليْتَ الربيعَ الطَّلْقَ ساقاهُ كأسَهُ
مَدى الدَّهْرِ لا بَرْدٌ عليهِ ولا حَرُّ

* * *

ويا سامِرَ الأحبابِ طيفٌ ولا كرىً
وسُكْرٌ ولا راحٌ وَرَيَّا ولا زَهْرُ
كلانا على ما كَلَّفَ النفس من رِضًى
أضَرَّ به نأىُ الأحِبَّـــةِ والهَجْرُ
تَطُوفُ بِكَ الأحلامُ نشوى كمدِها
وينطف من أفيائِكَ الحب والعِطْرُ
ويضحكُ لى وجْهٌ نَدِىٌّ مُنَوَّرٌ   كأنْ لم يغيَّبْ من طلاقتهِ القَبْرُ
وَحَيًا ... كأن لم يَطوِهِ عنِّى الرَّدى
فَهَلْ بُعِثَ الأمواتُ أم ردَّه السِّحْرُ
تُلِمُّ به الذكرى فيَحْيَا كبارِقٍ   طَواهُ الدُّجى عنى ليُطْلِعهُ الفجْرُ
وَيبْعَثُه حُبِّىْ وفى كُلِّ خافِقٍ
صَحِيح الهوى بَعْثُ الأحِبَّةِ والنَّشْرُ
فَيا قَلْبُ فيك الرَّاحِلون وإن نأوا
وفيك الندامى والرياحِينُ والخَمْرُ
خَلَفْتَ على الموتى حَيَاةً قويَّةً   وطالَعَهُمْ مِنكَ القِيامَةُ والحَشْرُ

(سوريا — اللاذقية)   احمد سليمان الاحمد



الإبهام والغموض في التصوف

يذكرني مقال ابن الفارض المنشور بالرسالة ببحث جرىء لي لم ير النور بعد، لأن بعض الأذهان لم تتهيأ لقبوله، وصلت فيه إلى أن التصوف نتيجة اختلاف في النفسية الجنسية للفرد. وقد اهتديت إلى هذه النتيجة من مقارنة نفسية لفجر الشباب حيث فورة الجنس على أشدها وما يصحبها من حالة نفسية لا تفرق عن التصوف إلا في كونها عابرة غير مستقرة، ففي هذا الطور من التطور البشرى يشعر الإنسان أنه جزء من الكون، وكل ما في الكون يردد صداه في نفسه التي تتسع لقبول ما في الكون من إنسان وحيوان وأفلاك، ويمتاز تفكير هذا الدور بالإبهام والغموض والإيثار كالتصوف تماماً

وقد وجدت في تاريخ ابن الفارض مادة دسمة لتدعيم بحثي، فقد روى أن أحدهم استأذنه في شرح قصيدته « نظم السلوك » فسأله عن مقدار الشرح فقال: إنه سيقع في مجلدين. فضحك ابن الفارض وقال: « لو أردت لكتبت مجلدين لكل بيت فيها » وروى أيضاً أن محيي الدين بن عربي بعث إليه في شرح هذه القصيدة فرد عليه الشاعر: « كتابك المسمى بالفتوحات شرح لها » والكتاب المشار إليه يقع في ٣٣٠٠ صفحة من الحجم الكبير

ففي هذا القول نجد معنى الإبهام والغموض، فإن أفكار المتصوفين ليست واضحة في جوهرها، وإن الشروح المقصودة هي تخريج لمعان لم تتبلور، ونحن نعلم أن ميزة الفكر البشرى هي الوضوح وسهولة التأدية، ونجد حتى في الحيوانات العجم من تحسن التفاهم مع بعضها تفاهما عجيباً فاضت لوصفه مؤلفات علماء الطبيعة، ولولا سهولة الأداء التي امتاز بها الذهن البشرى لما ترقى الإنسان وصعد إلى درجات الرقى التي وصل إليها

وقد ادعوا أن هذا الغموض مقصود لحفظ أسرارهم، والذي وصلت إليه هو أنه نقص في التعبير من علل نفسانية

أما عن إقحام الحب وما يتبعه من معان وصور في رياضتهم فهذا هو الجانب المحرج الذي أشرت إليه في أول هذه الكلمة؛ ومجال هذا البحث في الصحف الطبية.. وفي رأيي أنه هو الباعث الأول على الغموض والإبهام.

كامل يوسف

عضو معهد الأبحاث الفلسفية البريطاني بلندن

١ — مؤتمر الأدباء الشباب في البلاد العربية

إن أدبنا العربي اليوم، يمشي بخطوات سريعة، ولكن أكثر الأدباء لا يستهدفون غاية، فكل يسير على هواه. وإن هناك أموراً شتى يجب البحث فيها، ومشكلات معدودات ينبغي حلها. ولا بد من هدف يسمى إليه الأدباء لتكون هناك وحدة أدبية عربية فيها توافق وانسجام، تدفع بالأدب العربي الوليد خطوات ومسافات. ويعود نفعها على أبناء البلاد العربية بالخير والوئام. وإني أقترح أن يعقد مؤتمر للأدباء في عيد الأضحى يدعى إليه أدباء الأقطار العربية كلها، يكون في القاهرة أو دمشق أو بغداد. فيعرف الأدباء بعضهم بعضاً، ويتحادثون فيما ينقصنا، وفيما يشوه أدبنا، وفيما نحن بحاجة إليه

هذا نداء لأرباب القلم والصحف الأدبية لعلهم أن يرحبوا به ويسعوا إلى تحقيقه. ويتبادلوا الآراء فيه.

٢ — إلى الأستاذ دريني خشبة

قلت في مقالك الطريف عن نشأة الدرامة الإنجليزية (العدد ٥٣١) إن الدرامة قسمان، النوع الأول: الإنجيلي أو السمى (؟) وهو يسمى Mysteries والنوع الثاني القديسى أو الكرامى واسمه Miracle

وفي ترجمة هذين الحرفين، من التجوز، الكثير، وفي هذه الكلمات (القديسى، الكرامى، إنجيلى) من البشاعة مايجعلها نافرة، لا يرضى عنها من أبدع في نقل أساطير الإغريق، الإبداع الكبير

فكلمة Mysteries التي تقابل Mystères الفرنسية، كانت تطلق في القرون الوسطى على المسرحيات ذات الموضوع الديني أعنى: a suyet religieux، وكانوا يدخلون فيها الإله والقديسين والملائكة والشياطين. فترجمتها بالإنجيلية، أي Evanglique غير صحيحة، لأن الإنجيلية نسبة إلى الإنجيل Evangile وهذا غير الـ Mystère؛ فإذا قلنا: الدرامة ذات الموضوع الديني، أو الدينية (تحاشياً من إنجيلي وسمى) لكان أولى

ولو ترجمت Miracle بالخوارق، لكان أجلى وأصح. فنقول درامة الخوارق لأن القديسى نسبة إلى قديس أي Saint، ومعنى Miracle الخوارق التي تخرق قوانين الطبيعة. فهي في الأنجليزية: A surnatural act وفي الفرنسية:

(Bait suranaturel, contraire au lois de la nature)

هذا ولك شكرى على دعوتك إلى الأدب المسرحي. وإعجابي بإنتاجك

(دمشق) **صلاح الدين المنجد**

المذاهب السياسية المعاصرة

لماذا أخص هذا الكتاب من سلسلة « إقرأ » الثمينة بالكتابة ولم أفعل ذلك من قبل، مع ما للكثير من كتب هذه السلسلة من القيمة الأدبية التي لا تنكر؟ هل ذلك لأن الأستاذ أدهم هو صديقي وزميلي؟ إن كان هذا فالأستاذ عبد الرحمن صدقي هو من أعز أصدقائي علي وأحبهم إلى نفسي، ومع ذلك فأنا لم أكتب عن كتابه كلمة، مع ما كان يستحقه كتابه من ثناء وإطراء ونقد... الحقيقة إذن هي أنني لم أقرأ في السنوات الأخيرة في مصر كتاباً مركزاً صغير الحجم كبير القيمة تشتد حاجة القراء العرب إليه مثل هذا الكتاب... إنه خلاصة لمائة كتاب على الأقل من مئات الكتب التي أعرف أن صديقي أدهم يقرأها ويهضمها ويجيد استيعابها وينقل لبابها لقرائه الكثيرين المعجبين به... إنه ليس من هذه الكتب التي يؤثرها القارىء العجل الذي لا صبر له على المذاهب السياسية ونظرياتها العميقة التي تصدع الرأس وتكد الذهن وتحتاج إلى الصبر وطول الأناة..

إن كتيب الأستاذ أدهم هو استعراض جميل لهذا الموكب الحافل من أفكار الإنسانية التي تنشد الضوابط وتتوق إلى المثل، وهو وكتاب الأستاذ فؤاد صروف (وعاءان ملئا علماً وتفكيراً) كما كان يعبر الأقدمون... لقد جهدت أن أتلقف بعض المؤاخذات لأجعل منها مادة لنقد الكتاب فلم أوفق إلا إلى الأخطاء المطبعية وإلا إلى بعض التعبيرات التي كانت في حاجة إلى المراجعة والتهذيب... على أنني أقترح على صديقي أدهم أن يعود إلى كتابه القيم فيضم إليه فصولا عن تاريخ نشأة تلك المذاهب وتراجم لزعمائها ورجال الفكر الذين ألهموا هؤلاء الزعماء مناهجهم وكانوا سبباً في قيام تلك الحركات الفعالة التي غيرت وجه التاريخ وانحرفت أو لم تنحرف بموكب الإنسانية... إن الكتاب إذا صدر على هذا النحو كان الأول من نوعه في المكتبة العربية... على أنه على حالته الراهنة هو الأول من نوعه في المكتبة العربية كذلك...

ثم ما ذا عندي غير التهنئات بعد هذه الكلمة المقتضبة؟

دريني خشبة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 536

Lundi - 11 - 10 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٣٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ شوال سنة ١٣٦٢ — الموافق ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الأعياد اليومية والأعياد الموسمية

للدكتور زكى مبارك

خطبة سجلت فى إذاعة القاهرة لتلقى فى إذاعة فلسطين ، أما بقية الكلام فملاحظات كتبت عن أحاديث العيد

أيها السادة :

أقدم إليكم أصدق التحيات ، راجياً أن يصل صوتى إلى أسماعكم وأنتم بخير وعافية ، وآملاً أن تعيشوا إلى أمثال هذا العيد فى رغد وطمأنينة وصفاء

أما بعد فلكل منا أعيادٌ يومية ، وأعياد موسمية ، فما الفرق بين هذه الأعياد وتلك الأعياد ؟

الأعياد الموسمية أعيادٌ شرعها الأنبياء ليوقظوا روح السرور فى الناس ، عساهم يلتفتون إلى موكب الحياة من حين إلى حين

هل تعرفون السر فيما قضت به الشريعة الإسلامية من جعل الصوم حراماً فى يوم العيد ؟

كان ذلك لأن الرسول خاف على أمته أن تتنسك تنسك الأموات فلا تفرح ولا تبتهج فى أى يوم ، ولو كان يوم العيد

هل تعرفون السر فى أن يقول القرآن : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ؟

الفهـرس

صفحة		
٨٠١	الأعياد اليومية والأعياد الموسمية . أحاديث العيد ...	الدكتور زكى مبارك ... ...
٨٠٦	حكاية الوفد الكسروى	: لأستاذ جليل ... ...
٨٠٨	نشأة المسرح الانجليزى ..	: الأستاذ درينى خشبة ... ...
٨١٢	اللغة العربية : لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟	الأستاذ محمد عرفة ... ...
٨١٤	الاسلام والفنون الجميلة ...	: الأستاذ محمد عبدالعزيز مرزوق
٨١٦	منهج البحث الاجتماعى . .	الأستاذ إميل دوركايم ... بقلم الأديب أحمد أبو زيد ...
٨١٨	هلال شوال .. [قصيدة]	: الأستاذ محمود حسن اسماعيل
٨١٩	أوراق متساقطة من قصة الأدب	: السيد نزار الحاج سليم ...
٨٢٠	إلى الأستاذ صلاح الدين المنجد	: الأستاذ درينى خشبة ... ...
٨٢٠	إلى الأستاذ أحمد الصافى النجفى	: الأستاذ عبد القادر جنيدى ...
٨٢٠	تصويب	... ...

إنه يدعوكم إلى لقاء الله فى الصلوات وأنتم فى أجمل ما تملكون من الثياب ، لتفهموا أن الله يحب أن يراكم فى نضارة النعيم لا فى قساوة الشقاء

إن الأعياد الموسمية توحى بالسرور الشامل حين تصوِّر الناس وقد احتشدوا للفرح والابتهاج ، وحين تدعو كل فرد إلى التجمل ، وحين تدعو كل بيت إلى إعداد الأطايب من الطعام والشراب ، فمن تلك المظاهر المتجمعة يسرى روح المرح فى الجماهير ، وتشعر النفوس بمعانى البِشر والأنس ، وتلتفت القلوب إلى حظوظها المنسية فى دنيا السعادة والهناء

ولعل زكاة الفِطر لم تُشرع إلا لهذا الغرض ، فالمراد منها أن تثور موجةٌ من البر والإحسان ، موجةٌ رحيمة تقضى بأن يجد الفقراء والمساكين ما يغنيهم عن التفكير فى هموم العيش أيام العيد

تصوروا كيف تكون الحال لو أدى الموسرون جميعاً زكاة الفِطر بإخلاص

تصوروا كيف يعمّ الفرح فى مثل هذه الحال ، فيفرح الغنىّ بالتوفيق إلى أداء الواجب ، ويفرح الفقير بأن يجد جاراً يواسيه باسم الشرع لا باسم الإفضال ، فما كانت الزكاة إفضالاً وإنما هى واجب مفروض لا ينتظر صاحبه من الناس أى ثناء

فى هذه الحال يكون الفقراء ضيوف الله فى أيام العيد ، لا ضيوف الموسرين من الجيران ، ومع هذا تذيع القالة الجميلة فترفع أقدار المزكِّين ، وتزيدهم إيماناً بأن المعروف لا يذهب بين الله والناس

ومن مزايا الأعياد الموسمية أنها تذكِّر بحقوق ودية ينساها الأهل والأقارب فى أكثر الأحايين ، فما فى كل يوم نسأل عن أقربائنا وأصدقائنا ، ولا فى كل أسبوع ولا فى كل شهر أو كل شهرين ، ولكننا نشعر بوجوب السؤال عنهم فى أيام العيد ، لنجازيهم لطفاً بلطف ووفاء بوفاء

والأعياد الموسمية تقهرنا قهراً على تحية من يئسوا من التحية ، لأنهم ذهبوا إلى العالم البعيد ، عالم الموت ، ولم تبق فرصة لتحيتهم غير فرصة العيد

أتدركون معنى الجمال الروحى فى أن يكون أول من نحييهم فى ليلة العيد هم الأموات ؟

تلك التفاتة معنوية لها قيمة عظيمة ، والوفاء الحق هو الوفاء لمن لا يملك الجزاء

أيها السادة :

إن فضائل الأعياد الموسمية أوضح من أن تحتاج إلى شرح ، فتفضلوا بسماع كلمة وجيزة عن الأعياد اليومية ، الأعياد التى تواجهنا فى كل يوم ، لو عرفنا كيف نروض النفس على إدراك الخفايا من نِعم المنعم الوهاب ، وهى نِعم تتجدد فى كل لحظة ، فنحن بها كل يوم فى عيد

تشرق الشمس والعافية فى بدنك ، والزاد فى دارك ، فيومك يوم عيد

تغرب الشمس وحولك أهلك ، والنوم يداعب جفونك ، فليلتك ليلة عيد

قد تطوف بك أحزان تثير دموعك ، وهذا يقع من وقت إلى وقت ، ولكنه شاهد على أنك فى عيد ، فالدموع فى عيون الباكين أدوية ربانية تصنع فى طب العيون ما يعجز عنه أطباء العيون ، والأحزان فى صدور المكروبين مراهم روحية تصنع ما يصنع المرهم الواقى فى شفاء الجرح البليغ

هل تعرف حكمة الله فى الألم ؟

إن الألم نعمة نفيسة ، فهو بشير العافية ، لأنه ينبه إلى المرض ، والتنبه للمرض يدعو إلى العلاج وهو باب الشفاء

والآفة الخطيرة هى انعدام الإحساس بالآلام ، فإن تألمت فاعرف أنك فى حيوية ، وتذكَّر حكمة الله فى الألم ، لتعرف أنك في عيد

الحزن علامة قوة لا علامة ضعف ، لأنه يشهد بإدراكنا لقيمة ما نفقِد ، ولا نكون كذلك إلا ونحن أصحاء ، فإن حزنت فاعرف أنك بعافية وأنك فى عيد

وكيف تكون العاقبة لو عشنا بلا أحزان وبلا دموع ؟

إن الأحزان والدموع كانت ولن تزال من أنصبة الموهوبين والحزن العظيم لا يكون إلا من نصيب الرجل العظيم ، ولو كان

البكاء عيباً تنزه الله الأنبياء من البكاء ، فلم يبك يعقوب على يوسف ولم يبك محمد على إبراهيم ، فإن بكيت فاعلم أنك بخير وأنك فى عيد

إن كنت غنياً فتذكر أن الغنى من النعم السوابغ ، فأنت كل يوم فى عيد

وإن كنت فقيراً ، فما عيدُك ؟ وهل تكون للفقراء أعياد يومية ؟

افتح قلبك واسمع هذا الدرس :

الفقراء فى كل زمان وفى كل مكان هم عماد المدنية ، فبجهودهم تُقام الصروح الشوامخ ، وبأيديهم تُحفَر الأنهار ، وتُزرع الحقول ، وتُنشأ البساتين ، فإن كنت من هؤلاء فمن حقك أن ترى أنك كل يوم فى عيد

خزان أسوان من صنع يدك ، كما كان برج بابل من صنع يدك ، وكما كان سور الصين من صنع يدك ، وما قام فى الدنيا بناء وأنت غائب ، يافقيراً يعمل ليجد القوت ، فأنت بجهادك مصدر العيد لمن ينعمون بالعيد ، ولو عقلتَ لأدركتَ أنك كل لحظة فى عيد

ولنفرض أنك كنّاس يكنس الشوارع ويملأ عينيه ورئتيه بالتراب فى كل يوم ، حتى يوم العيد ، فهل تعرف نعمة الله عليك ؟

تذكّر أن الغبار يقذى العيون ولكنه لا يقذى عينيك ، لأن الله يحميك ، وتذكّر أن الغبار قد يُورث مرض السل ، ومع هذا لم نسمع أن كناساً مات بالسل ، فما يرضى الله بالمرض لمن يحاربون المرض ، كما تحاربه بالمكنسة يا حضرة الكناس ، فأنت كل يوم فى عيد

أيها السادة

فى ظلال هذا الفهم لنعم الله ندرك أننا كل يوم بعافية ، وأننا كل يوم فى عيد ، وأننا مسئولون فى كل لحظة عن إعلان السرور بما يجود به المنعم الوهاب

الطفل يطالب أهله بحلة جديدة فى العيد ، لأنه لا يعرف غير الجديد ، فما حاجتنا إلى حُلل من القطن أو الصوف أو الحرير ونحن فى حُلل من العافية للجهاد فى سبيل الرزق الحلال

أنا لا أرى الله خص بالشقاء جيلاً من الناس

البصير فى نعمة لأنه يرى محاسن الوجود

والضرير فى نعمة لأنه لا يرى مساوىء الوجود

والأصمّ المحروم من لطائف الأنغام صانه الله عن سماع المرذول من الاغتياب

نحن جميعاً فى رعاية الله ، فنحن كل يوم فى عيد

لقد غلا كل شىء فى أعوام الحرب ، إلا الماء ، لأنه أنفس موجود ، والله يجود بالنفيس قبل أن يجود بالخسيس ، وليس فى نعم الله خسيس

أيها السادة

إن الأعياد الموسمية أعياد العوام ، أما الأعياد اليومية فهى أعياد الخواص ، وأنا أدعوكم إلى التأمل فى نعم الله عليكم لتكونوا كل يوم فى عيد

نِعم الله لا تعرف شعبان ولا رمضان ولا تلتفت إلى المواقيت .

نِعمُ الله تُساق مع الأنفاس فليس لها رسوم ولا حدود ، والسعادة من نصيب من يؤمن بأن الله منعمٌ ومتفضل فى جميع الأحوال

ولكن هذه الغاية لا تبدو بوضوح فى كل وقت ، لأن قلوبنا معرضة لغشاوات من الجهل والغرض والطمع والإسفاف

نحن نباتٌ ظهر فوق الأرض ، وأغصاننا مع هذا أطول من جذورنا ، لأننا مجذوبون إلى السماء لا إلى الأرض ، فماذا تريد بنا يا فاطر السماء ؟

نحن منك وإليك ، ولن ننحط فى أى حال ، فما ينحط من يؤمن بك ولو عاش فى ظلمات الأدغال

سمعنا وقرأنا أن عندك نعيما وسعيراً ، فلمن أعددت نعيمك وسعيرك ؟

نحن لا نطالب بأن نكون من أهل رحمتك ، فلسنا لذلك بأهل ، وإنما نرجو أن تجعلنا من أهل عذابك ، لنثق بالصلاحية لأن تضع أعمالنا فى الميزان

العيد هو يومنا عندك ، ولو فى أسوأ الفروض ، فمن السعادة أن نقف بين يديك مسئولين

والعيد الأعظم هو أن توقظ ضمائرنا فى كل وقت لنعاني ألف حساب قبل يوم الحساب

لا عيد ولا جديد إلا إن رجونا رحمتك وخشينا عذابك ، فامنح قلوبنا نعمة الخوف منك والاعتماد عليك لنشعر بأننا كل يوم فى عيد

السماء فى عيدك ، والأرض فى عيدك ، والشمس فى عيدك والقمر فى عيدك ، والنجوم فى عيدك ، وأنت العيد لما نجهل من المواجيد ، فأنت فى غضبك ورضاك عيدٌ وألف عيد ، فهل تسمح يا إلهى بأن نكون بفضلك كل يوم فى عيد ؟

أحاديث العيد

لم نقل مع المتنبي : « عيدٌ بأية حال عُدتَ يا عيدُ » فقد وصل ونحن بعافية ، فلله الحمد وعليه الثناء ، أدام الله علينا وعلى قرائنا نعمة الشعور بكرمه الموصول

١ — فى يوم العيد وصل خطاب من الأستاذ حافظ محمود يقول فيه إن هجوم السيد حسن القاياتي مدسوس عليه ، وأنه لم يخطّ بقلمه حرفا مما دار حوله الجدال فى الأسابيع الماضية ، ويدعونى إلى كتابة كلمة ترضية يَطيب بها قلب ذلك الصديق

وأقول إن المعلومات التى تضمنتها الخطابات المنشورة باسم الأستاذ القاياتي معلومات مريبة لأنها متصلة بشؤون لا يعرفها سواه ، فإن لم يكن هو الكاتب فلن ينكر أنه مصدر المكتوب ، وبهذا يقع عليه شيء من المسئولية

ثم أقول إنه كان يستطيع تكذيب ما نشر باسمه لأول مرة فينحسم الخلاف قبل أن يطول ، ولكنه سكت نحو خمسة أسابيع ، ثم بدأ فى التشكي من العدوان عليه ، وهذا من أغرب ما يقع فى معاملات الناس

وأنا مع هذا أعتذر للصديق عما بدر منى فى مساجلته ، وأعلن أنى أعتزّ بصداقته كل الاعتزاز ، وأنى لن أسمع فيه كلاما ولو نشر بنفسه فى مناصبتى ألف خطاب

وهنا أذكر مذهبى فى معاملة رجال الأدب ورجال السياسة ، وهو مذهب يستحق التنويه ويصلح للاقتداء ، فما ذلك المذهب ؟

خلاصة هذا المذهب أنى لا أتكلم عن أهل الأدب والسياسة بما يشبه النقد فى أى مجلس ، لأن الكلام عرضة للتزيد والتحريف ، وإنما أكتفى بما يخطه قلمى فى الجرائد والمجلات ، إن طاب لي أن أناوش أحد الرجال

وأذكر أيضاً أنى أعيش فى عزلة بعد الرجوع من عملى إلى بيتى ، فما يحتاج إلى غشيان الأندية غير من يعيشون بمنجاة من متاعب الواجبات ، وأنا أحمد الله الذى تفضل فأكثر من أعبائى فى حياتى ، بحيث لا أجد فرصة لمسامرة المعارف والأصدقاء ، فمن زعم أنه رآنى وأنى حدثته عن فلان أو عِلاّن بكيت أو كيت فهو من الكاذبين

٢ — من عادتي أن أزور قصر جلالة الملك فى يوم العيد لأتشرف بتقييد اسمى ، ولأرى من كبار الرجال من لا يتسع الوقت لرؤيتهم فى غير ذلك الجناب

وقد تأخرت قليلا فى هذه المرة فلم أصادف غير الدكتور هيكل باشا والأستاذ فؤاد باشا سراج الدين ، مع حفظ الحق لبقية من رأيت هنالك من رجال الأدب والبيان

وضاعت الفرصة فى لقاء النقراشى باشا ، ولو رأيته لاعتذرت عن ضياع حظى من زيارة داره فى رمضان ، مع أنه من جيرانى بمصر الجديدة ، ومع أن زواره يتزودون بأكرم زاد من أطايب الأحاديث ، بفضل المجلس الذى ينعقد بداره فى أمسية رمضان ، كما كان الحال فى أكثر البيوت قبل الزمن الجديد ، زمن السهر فى الأندية والقهوات

٣ — كان يجب أن أزور أهلى وأقربائى فى سنتريس ، ولكنى رجعت غضبان ، غضبان من شؤون لا تُغضب إلا من يكون فى مثل حالى من حب البر وبغض العقوق

وقضى الزحام باليأس من الظفر بمكان فى إحدى السيارات ، فتفضل صديق بتوصيلى إلى القناطر الخيرية لأركب القطار من هناك ، ولكن القطار تحرك قبل وصولى بدقائق ، ولا بد من الانتظار نحو ثلاث ساعات ، فماذا أصنع ؟

وقفت على قنطرة الرياح التوفيقى مع الواقفين وهم عشرات

أو مئات فى انتظار السيارات ، فماذا أصنع ؟

فكرت فى مروءة أصحاب السيارات الخصوصية ، وقد يكون فيهم من يعرفنى ، فكنت أقول كلما مرت سيارة خصوصية : « خذونى معكم » ، ولكن أين من يسمع ؟

واستمعت سيارة لندائى ، وبدت منها يد لطيفة كأنها الغرام فى ليلة عيد ، فمضيت وركبت وأنا لا أصدق أننى وصلت !

ولكن أين صاحب السيارة ؟

لقد نزل للبحث عنى ، ثم تاه فى غمار تلك الخلائق ، فهتفت صاحبة المِعصم تعال تعال فالدكتور وصل !

وبعد التحيات المعروفة فى مثل هذه الظروف مضت السيارة وأنا لا ألتفت إلى الوجه الذى يشع نوره بمثل ما تشع الشمس عند الأصيل ، وهل يليق بى أن ألتفت إلى وجه سيدة قد تكون زوجة هذا الرفيق ؟

— حيِّها يا دكتور بكلمة

— ومَن أحيِّى ؟

— هذه نور

— أى نور ؟

— نور الهدى بطلة « فِلم جوهرة »

والتفتُّ فإذا فتاة لطيفة فى لون الصهباء ، لم يشمشع وجهها بطلاء ، فعرفت كيف كان العرب يصفون المرأة الجميلة بأنها صفراء هل رأيتم جمال الاصفرار فى حيوية اللون ؟

ودار الحديث حول التمثيل والممثلين فقلت : إحرصى يا بنيتى على الانتفاع بعبقرية الأستاذ يوسف وهبى ، فهو أعظم فنان فى هذا الزمان

قال صاحب السيارة : أهذا رأيك فى الأستاذ يوسف وهبى ؟

قلت : هو رأيى

قال : وتسمح بتدوينه فى مجلة الرسالة ؟

قلت : وفى جميع المجلات ، وسأخصك بحديث

قال : أرجوك أن تغفل اسمي ، لأسباب لا أملك عرضها عليك

وصلنا إلى القاهرة لنفترق ، ولأبحث عن الأسباب التى توجب أن اغفل اسم ذلك الصديق ، فما تلك الأسباب ؟

كانت هنالك وليمة عيدية فى « عِزبة الصباح » ، وكان فى الوليمة فنانون وفنانات ، وكانت « نور الهدى » فى العودة من نصيب سيارة هذا الرفيق

وعرفت بعد لأْى أن مجلة الرسالة أثيرة عند زوجة صاحب السيارة ، وأنها قد تغضب عليه إن عرفت من حديثى بمجلة الرسالة أنه رأى « نور الهدى » فى يوم عيد

سأكتم اسمك يا صديقى ، لئلا تثور زوجتك ، فلن أقول إنك صاحب جريدة يومية ، ولن أقول إنك كاتب من الطراز الأول ، ولن أقول إنك المثال فى هندمة الأسلوب ، والأساليب تُهندَم كما تُهندَم الثياب

إن زوجتك لن تعرَّفك من حديثى ، لأنى أكره النميمة ، فنم بعافية ، وإن ارتابت زوجتك فى بشاشة وجهك فخدِّثها أنك طوَّفت بسيارتك فى شوارع « مصر الجديدة » يوم العيد

إن التلاميذ يخفون عن آبائهم خطابات نظار المدارس ، فأخف عن زوجتك هذا العدد من مجلة الرسالة ، وقل إنه ضاع فى البريد ، بسبب ازدحام الرسائل فى أيام العيد ، أحياكم الله إلى ألف عيد !

زكى مبارك

---

٤ ــ حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

٣ — يقول النعمان لكسرى :

« ... فأما عزها — يعنى العرب — ومنَعتها فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ... »

وهذا قول لا يقوله عامل لعمله ، ولا وال لموليه . وكيف يلغو بمثله وجند كسرى فى بلاده وفى اليمن يجوس خلالها ، والدِّرَفْس [1] يخفق فوق الرؤوس

إنما كان النعمان شُرْطيا [2] عند كسرى يصد المدلفين والقراضيب عن اجتياز التخوم . كان أمير (الحيرة) لا ملك (الجزيرة) يدعو — آمرا — هذا من اليمن وذاك من نجد وذلك من تهامة وغيرهم من غيرها فيبادرون إليه ، ويمثلون بين يديه ، ويقول : قد سمعت من كسرى كيت وكيت فقِدوا عليه « فإذا دخلتم نطق كل رجل بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه »

لم يكن النعمان هناك ــ كما زوقه المزوق المنمق . ولما غضب عليه كسرى — والسبب الحق للغضب مجهول — ضاقت عليه الأرض ، ولم ينفعه أو ينجده متزتر من جماعة (الوفد) « وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحد منهم يقبله » « وأراد طيئا على أن يدخلوه الجبلين ويمنعوه فأبوا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صهرك لقاتلناك ، فإنه لا حاجة لنا إلى معاداة كسرى ، ولا طاقة لنا به » « غير أن بنى رواحة بن قطيعة بن عبس قالو : إن شئت قاتلنا معك ، لمنة كانت له عندهم ، قال ما أحب أن أهلككم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى » ، ثم « أتى هانىء بن مسعود [1] فاستودعه ماله وأهله وألف شكة ، ويقال : أربعة آلاف شكة ، والشكة السلاح كله » وهذا قول أبى الفرج فى الأغانى . والطبرى فى تاريخه يقول : « والمقلل يقول : كانت (٤٠٠) درع ، والمكثر يقول : كانت (٨٠٠) » ومضى إلى سيده كسرى « فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيّده وبعث به إلى سجن كان له بخانقين فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه » ، وقيل « بل مات فى ساباط فى حبسه » وقيل « ألقاه تحت أرجل الفيلة حتى مات » ، وقيل « لم يزل محبوساً مدة طويلة ، وإنما مات بعد ذلك بحنين قبيل الإسلام » « فلما قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائى على الحيرة وما كان عليه النعمان » قال أبو الفرج : « وغضبت له (أى للنعمان) العرب حينئذ ، وكان قتله سبب وقعة ذى قار »

والعرب لم تغضب لمصير هذا الأمير المسكين ، ولم يكن قتله سبب تلك الوقعة ، وإنما سببها — إن ثبتت — « أن كسرى بعث إلى إياس : أين تركة النعمان ؟ قال : قد أحرزها فى بكر ابن وائل . فأمر كسرى إياسا أن يضم ما كان للنعمان ، ويبعث به إليه ، فبعث إياس إلى هانىء أن أرسل إلىّ ما استودعك النعمان من الدروع وغيرها ، فأبى هانىء أن يسلم خفارته ، فلما منعها غضب كسرى ، وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل ، وعنده يومئذ النعمان بن زرعة التغلبى ، وهو يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى :

يا خير الملوك ، أدلك على غرة بكر ؟

قال : نعم

قال : أمهلها حتى تقيظ ، فإنهم لو قد قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له : (ذو قار) تساقط الفراش فى النار ، فأخذتهم كيف شئت ، وأنا أكفيكهم . فترجموا له قوله (تساقطوا تساقط الفراش فى النار) فأقرهم

---

(١) الدرفس : العلم الكبير ، ودرفس حمل العلم الكبير ، نقله الصاغانى عن ابن عباد (التاج) قال البحترى فى سينيته المشهورة التى مطلعها : « صنت نفسى عما يدنس نفسى » :

والمنايا مواثل وأنوشر ــ وان يزجى الصفوف تحت الأرض

(٢) الصواب فى الشرطى سكون الراء نسبة إلى الشرطة والتحريك خطأ لأنه نسب إلى الشرط الذى هو جمع (الأساس)

(١) قال أبو عبيدة : قال بعضهم : لم يدرك هانىء بن مسعود هذا الأمر (الطبرى)

(قلت) : فاذا لم يدركه هانىء بن مسعود هذا فليكن هانىء ابن قبيصة ابن هانىء بن مسعود حتى يمشى الخبر

وبعث إلى هانئ وجماعته جنوداً عربيين[1] وجنوداً فارسيين ، وكانت تلك الوقعة ، إن كانت

وقد عزوا إلى رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) هذا القول : « هذا يوم (أو ذلك يوم) انتصفت فيه العرب من العجم ، وبي نصروا . أو اليوم انتصفت العرب من العجم » وهم الأخباريون وغير الأخباريين يصوغون كما يحبون ويشتهون

في الأغاني : كانت وقعة ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر ، ورسول الله بالمدينة . فلما بلغه ذلك قال : هذا يوم الخ

وهنا شيء يقال : إذا كانت التركة (السابق ذكرها) كما أحصوا (٤٠٠) درع أو (٨٠٠) درع فنحن بين أمرين : إما أن يكون الراوون قد رأوا ما رووا في المنام ، وكثيراً ما بنيت أشياء بل ديانات على المنامات — وقصة قسطنطين مشهورة — وإما أن يكون كسرى قد جن جنوناً كبيراً حتى يبعث تلك الجيوش وينفق المال الكثير للاستيلاء على حقير .

* * *

قلت من قبل : إن السبب الحق لغضب كسرى على عامله النعمان مجهول ، ولكن صائغاً بارعاً (لله دره) صاغ لنا خبراً طريفاً غريباً في سبب الغضب ، طرافته وغرابته تدعوان إلى روايته :

« كانت لملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم[2] ، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة ، فإذا وُجدت حملت إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ، ولا يظنونها عندهم ، ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصفة ، وأمر فكُتب بها إلى النواحي ، ودخل إليه زيد بن عديّ وهو في ذلك القول ، فخاطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إني رأيت الملك قد كتب في نسوة يُطلبن له وقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ... فابعثني وابعث معي رجلاً من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبه ... فبعث معه رجلاً جلداً فهماً فخرج به زيد . . . حتى بلغ الحيرة ، فلما دخل عليه (على النعمان) . . . قال : إنه (يعني الملك) قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره ، فبعث إليك فقال : ما هؤلاء النسوة ؟

فقال : هذه صفتهن قد جئنا بها ...

[معتدلة الخَلق ، نقية اللون والثغر ، بيضاء قراء وطفاء كحلاء دعجاء حوراء عيناء قنواء شماء برجاء زجاء ، أسيلة الخد ، شهية المقبل ، جثلة الشعر ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القرط ، عيطاء[1] ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مُشاش المنكب والعضد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطة البنان ، ضامرة البطن ، خميصة الخصر ، غرثى الوشاح ، رداح الأقبال[2] ، رابية الكفل ، لفاء الفخذين ، ريا الروادف ، ضخمة المأكمتين ، مفعمة الساق ، مشبعة الخلخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشي ، مكسال الضحى ، بضة المتجرد سموعاً للسيد ، ليست بخنساء ولا سفعاء ، رقيقة الأنف ، عزيزة النفس ، لم تغذ في بؤس ، حيية رزينة ، حليمة ركينة ، كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمور في الأدب ، فرأيها رأي أهل الشرف ، وعملها عمل أهل الحاجة ، صناع الكفين ، قطيع اللسان[1] رهوة الصوت ساكنته ، تزين الولي ، وتشين العدو ، إن أردتها اشتهت ، وإن تركتها انتهت ، تحملق عيناها ، وتحمر وجنتاها ، وتذبذبُ شفتاها ، وتبادرك الوثبة إذا قمت ، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست]

... فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان ، فشقت عليه ، وقال لزيد والرسول يسمع : أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟

فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين ؟

فقال له بالفارسية : « كاوان » أي البقر . فأمسك الرسول ، وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به . ثم كتب « النعمان » إلى كسرى :

---

(١) يراجع (يوم ذي قار) في العقد ، وهو في آخر أيام العرب ووقائعها فيه

(٢) أنو شروان أمر باثبات هذه الصفة في دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز . (الأغاني ، الطبري)

(١) طويلة العنق

(٢) في الطبري : القبل

(٣) فلان قطيع اللسان : خلاف سليطه وقطيع الكلام (الأساس) وفي التاج : (امرأة قطيع الكلام إذا كانت غير سليطة) وروى الأساس : قطيع القيام قطيع الكلام تفتر عن ذي غروب خصر والرواية في الأغاني والطبري قطيعة . وقد أشار محققو الطبعة الأخيرة للأغاني إلى ذلك ، وذكروا قول اللسان والقاموس ، ويؤيد البيت فقدان الماء

٥ – نشأة المسرح الانجليزى

[معلومات طريفة كثيرة عن نشأة هذا المسرح]

للأستـاذ دريني خشبة

أشرنا فى الفصل الأول من هذه الفصول عن نشأة الدرامة الإنجليزية إلى المسرح المتحرك (المتنقل) أو ال Pageant ونتكلم فى هذا الفصل عن نشأة الفرق التمثيلية ، ثم عن المسارح البدائية وأول ما عرفت انجلترا منها . وقد قدمنا أن رجال الكنيسة هم الذين اضطلعوا أول الأمر بتمثيل الروايات الإنجيلية والدرامات القديسية ، وأنهم أصحاب الفضل فى تربية الذوق المسرحى وطبعه فى وعى الجماهير حتى انتقل زمام التمثيل من أيديهم إلى أيدى رجال النقابات ، وما قامت به تلك النقابات من مجهود مشكور فى تشجيع المؤلفين والممثلين المحترفين ، ثم نوهنا بما كان لرجال البلاط الإنجليزى والأمراء والنبلاء وأعيان البلاد من فضل فى الأخذ بيد هذا الفن الناشىء ومد رجاله بما يفتقرون إليه من المال الذى لا ينجح مشروع بدونه . ولقد نشأ الاحتراف فى المسرح الإنجليزى من ناحيتين ، الأولى هى ناحية صبيان الكنائس الذين كان يتألف منهم الخورس أو المنشدون The Choristers — وقد عنى بتدريب هؤلاء الصبيان على التمثيل منذ نعومة أظفارهم لكى يتفرغوا لأداء الأدوار التمثيلية فى مختلف الروايات خصوصاً بعد أن أصبح إقبال الجماهير على مشاهدة التمثيل إقبالاً رائعاً ، وما حدث نتيجة لهذا الإقبال من استغلال التمثيل استغلالاً اقتصادياً كانت أول موارده تلك المزادات التى أشرنا إليها سالفاً ، والتى كانت تدر على النقابات الأرباح الطائلة . من هنا رؤى انقطاع هؤلاء الصبيان لهذه الحرفة الجديدة التى جمعت بين شرف العمل وشرف الكسب مع صلتها المتينة بالأدب الإنجليزى الذى كان وما يزال نوط العزة على صدر كل أديب فى انجلترا . أما الناحية الثانية التى نشأ عنها الاحتراف فهى تلك النقابات التى تكلمنا عنها آنفاً . هذا ، وقد تألفت بعد ذلك جماعات من أولئك المحترفين كانت باكورة « الفرق التمثيلية » فى انجلترا ، وكانت كل جماعة تتمتع برعاية أحد النبلاء حتى لا تقع تحت طائلة قانون « المتشردين ! » وذلك لكثرة تقلبهم فى البلاد ، وتنقلهم من قرية إلى أخرى ، ولأن الحكومة الإنجليزية لم تكن قد اعترفت بعد اعترافاً رسمياً بهذه الحرفة الجديدة ، فكان أفراد الفرقة من هذه الفرق يجيئون ويروحون تحت اسم : « خدم فلان من اللوردات أو الدوقات أو رجال البلاط ! » حتى يكونوا بنجوة من معاكسات رجال الإدارة (!) ومشاكساتهم ، فهذه فرقة « خدم الأيرل أوف ليستر » ، وتلك فرقة « خدم البلاط الملكى » ، وهذه فرقة « خدم دوق أوف سومرست » ، وهكذا . . . والحقيقة أنه لم تكن ثمة أية علاقة بين هذا الدوق أو ذاك الأيرل ، وبين الفرقة التى انتحلت لنفسها رعايته انتحالا . ولقد كان المسرح الأول الذى تؤدى فيه الدرامة ، هو إما بهو من أبهاء البلاط وإما رواق من أروقة قصور الأمراء أو النبلاء أو عظماء الشعب ، فإن لم يوجد هذا أو ذاك ففى بهو من أبهاء الفنادق ، أو فى أحد أروقة جامعتى

إن الذى طلب الملك ليس عندى ... فلما رجعا إلى كسرى . . . قال للرسول : وما قال ؟

فقال الرسول : أيها الملك ، إنه قال : أما كان فى بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا . فعُرف الغضب فى وجهه ، ووقع فى قلبه منه ما وقع ؛ لكنه لم يزد على أن قال : رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا ثم صار أمره إلى التباب . وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان ، وسكت كسرى أشهراً على ذلك ، وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كتابه أن أقبل ، فإن للملك حاجة إليك . فانطلق حين أتاه كتابه ، فحمل سلاحه وما قوى عليه ثم لحق بجبلى طىء ... »

وقد روى ما نقلنا مختصرين أبو الفرج فى « أغانيه » فى أخبار عدى بن زيد ، ورواه ابن جرير الطبرى فى « تاريخ الأمم والملوك » خبراً تاريخياً لا ريب عنده فيه . وهذه الأسطورة النعمانية مثل الأسطورة البراقية ، أحدوثة أخت البراق القائلة أو المقوّلة : « ليت للبراق عيناً فترى » القصيدة المثيرة المشهورة

(له)

أوكسفورد وكبردج . على أن أبهاء الفنادق كانت أحفل الجميع بالتمثيل المنتظم المستديم – فى جميع أيام الأعياد بالطبع – لأنها لم تكن أبنية خاصة كقصور الملوك أو الأمراء مثلاً ، ولذا كانت أقرب إلى الارتياد الحر وأيسر على أفراد الشعب من غيرها . وكانت فنادق المدينة تبنى كلها فى موضع واحد منها حول ميدان ، أو ساحة كبيرة تنتظر فيها العربات والدواب ، وما إلى ذلك من وسائل النقل والحمل ؛ فكانت شرفة terrasse الفندق الأوسط تستعمل مسرحاً ، ويقف النظارة من أفراد الشعب فى الساحة أو الباحة أو الميدان . أما السَّفْر من نزَّال الفنادق فكانوا أسعد حالاً ؛ إذ كانوا يجلسون فى عظمة وإدلال وأبهة فى شرفات غرفهم فوق الأرائك والكراسى الفخمة ، حيث يطوف عليهم الخدم بالأطايب والأشربات . ولم تكن المناظر المسرحية قد عرفت بعد ، بل كانت تحل محلها «سبورة» ! يكتب عليها بالخط الكبير اسم المنظر الذى يجب أن يتوهمه النظارة توهما ، فيكتب مثلاً : « هـذه قلعة جلوم ! » أو « هنا غابة آردن ! » وهكذا ...

أما كيف أنشىء المسرح الأول فلذلك سبب عجيب مضحك فى آن معاً . . . ويجب قبل إيراده الرجوع قليلاً إلى التاريخ الاجتماعى لانجلترا ، وإلى هذه العصور التى كانت «مسز جراندى!» رمز الحفاظ والتمسك بأهداب التقاليد والآداب المرعية تتحكم فى المجتمع البريطانى تحكما جباراً لا يسهل الفكاك منه ... ويجب كذلك أن نذكر ذلك الروح الطهرى Puritanism الذى كان يسود الحياة فى المدن الإنجليزية عامة ، ولندن – أم القرى ! – على وجه الخصوص ... ذلك الروح المتزمت الرجعى الذى كان يضيف التمثيل إلى شعبذات المهرجين ومساخر الحواة وأكلة الثعابين وعروض الوحوش ومراقصى الدببة والقرود ومصارعى الثيران ، ومن إلى هؤلاء جميعاً من سائر البهاليل (!!) . . . هذا الروح الطهرى هو الذى دفع محافظ لندن إلى محاربة التمثيل والممثلين بالقوانين . . . فأصدر تشريعاً صارما يحظر على رجال النقابات والفرق التمثيلية غشيان أبهاء الفنادق إلا بتصريح خاص – وقلما كانوا يحصلون منه على هذا التصريح – كما حظر عليهم التمثيل فى الميادين والطرقات العامة أو المتنزهات التى ما جعلت فى زعمه إلا للراحة والترفيه عن الشعب اللاغب المتعب من عناء العمل ؛ وكذلك حظر عليهم التمثيل مطلقاً أيام الآحاد . . . ولم يشأ رجال الفرق أن يشاغبوا جبروت هـذا التشريع التعسفى ، بل آثروا السلامة ، وانتقلوا بقضهم وقضيضهم إلى الضفة الجنوبية من نهر التيمس ، حيث لا سلطان لهـذا المحافظ الجاهل ولا لتشريعه الخانق عليهم . وهناك استأجر جيمس[1] ربيدج Burbage قطعة من الأرض فى بلاك فرايرز Blackfriars لمدة إحدى وعشرين سنة وأقام عليها (تركيبة !) من الخشب سنة ١٥٧٦ أطلق عليها اسم (التياترو) The Theatre فكان هذا أول المسارح الإنجليزية التى مهدت لأعظم مسارح العالم

ثم أنشئ قريباً من هذا المسرح فيما بعد مسرح الكرتين (الستار Curtain) الذى اشتغل به الشاعر الكبير بن جونسون ممثلاً بسيطاً فى صدر شبابه . ولم يكن الكرتين يتمتع بالسمعة الطيبة التى كان يتمتع بها المسرح الآخر ، بل كانت العلية تصد عنه وتعتبر الذهاب إليه نقيصة أدبية ... والظاهر أنه لم يكن يعرض إلا الدرامات الثانوية « روايات الدرجة الثالثة ! » ، وذلك بالرغم من أنه أخرج درامة شيكسبير الخالدة « روميو وجوليت » سنة ١٥٩٦ . وكانت أجرة الدخول فى هذا المسرح بنساً واحداً يضاف إليه بنس آخر لمن أراد كرسياً فى الأبهاء أو فوق المسرح

ومن المسارح الأخرى التى أقيمت بعد هذين المسرحين الروز « الوردة » والسُّوان « البجعة » ، وقريباً من السُّوان كان يوجد ملعب البير جاردن The Bear Garden حيث كان الناس يستمتعون بمشاهدة عروض الوحوش ، وتقاتل هذه الوحوش نفسها ضد بعضها ... أما مسرح السُّوان فكان يمتاز من مسرح الجلوب المظيم « الذى سيلى وصفه » بما كان فيه من مسرح إضافى لتمثيل الروايات التى من طراز « هملت » ، وحجرة نوم للروايات التى من طراز عطيل حيث تنام ديدمونة ، وكان به شرفة لتمثيل روميو وجوليت ، كما استعملت فيه الستار لأول مرة لقسمة المسرح وذلك لتبديل المناظر . وكان يحتوى

(١) والد ريتشارد بربيدج أحد ممثلى شيكسبير فيما بعد وأحسن ممثلى هملت ولير وعطيل

غرفة للمثلين خاصة تتصل بالخشبة بباب فلا يراهم النظارة حين ينتهون من أداء أدوارهم — ومن الظريف أن حجرة المثلين هذه كانت بأعلى التياترو ! ، وكان لها سلم لولبى لكي لا يشغل حيزاً كبيراً ، كما كانت إلى جانبها حجرة المؤذنين الذين يدقون الطبول إيذاناً ببدء التمثيل . وكان الـيُـوان كبيراً جداً بحيث يتسع لثلاثة آلاف من المتفرجين !

ونعود إلى المسرح الأول ـ التياترو The Theatre فنذكر أنه لما رفض صاحب الأرض تجديد عقد الإيجار ، اضطر بربيدج إلى فك أخشاب مسرحه ونقلها مع جميع أدواته الأخرى إلى الشاطئ الآخر من النهر ، فى سوثوارك Southwak ، حيث أنشأ مسرح الجلوب المظيم The Globe سنة ١٥٩٨[1] — وكان عمر شيكسبير إذ ذاك أربعا وثلاثين سنة بينما كان عمره عند إنشاء المسرح الأول اثنتى عشرة سنة فقط

أما هذا المسرح الثانى (الجلوب) ، فقد كان من خارجه سداسى الأضلاع ، أما من الداخل فكان مستديراً ، ولم يكن مسقوفا إلا من فوق أبهائه التى كانت تذكر بأبهاء الفنادق ، وكانت هذه مغطاة بنوع من القش المعروف عندنا بالسمار ، وهو الذى تصنع منه الحصر ؛ أما البت — أى خشبة المسرح ، فقد كان موضعها فى الوسط على ارتفاع أربعة أقدام ، ولم تكن حولها مقاعد للنظارة الذين كان شيكسبير يسميهم Groundlings وكان عليهم أن يقفوا طول وقت التمثيل — أما نظارة الأبهاء « البناوير والألواج » فقد كانت لهم مقاعد خشبية ، كما كانت توجد مثل هذه المقاعد أيضاً فوق خشبة المسرح نفسها ، وكان فرق ما بين الواقفين والجالسين هو أن يدفع هؤلاء ستة بنسات أكثر على أن يسمح لهم بشرب الجمة « البيرة » والتدخين بالغلايين . وكانت هذه الطبقة المنتفخة الممتازة تسمى طبقة ال Gallants . وكان منها عدد من الشباب الظريف المثقف يجلس هناك مجلس الصحافى المسرحى ، لينقد المناظر والإخراج وأداء الممثلين فى فترات الاستراحة بين الفصول . وكان التمثيل يبدأ عادة حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وكانت تسبقه ثلاث دقات تنبيهية بالطبلة النحاسية « الترمبيته » وكانت البرامج تطبع بالمداد الأحمر إذا كانت التمثيلية مأساة ، وإلا فبالمداد العادى . ولم تكن هناك أية مناظر فى أول الأمر . ولم تكن ثمة أية عناية بالتوزيع الضوئى . وكانت السبورة أو لوحة الإعلانات Placard تقوم مقام المناظر بكتابة أسمائها عليها كما ذكرنا . ولشارلز لامب فى ذلك تسجيل أدبى رائع من شعره الظريف . وكانت الأدوار النسائية تسند إلى ولدان من ذوى الجمال فى الجسم والوجه والصوت . وكان لكل فرقة بُهلول « بلياتشو ! » يشمبذ فى فترات الراحة بين الفصول ، فكان أحياناً يغنى أو يُشهّر ببعض الشخصيات التى يثير التشهير بها كثيراً من الضحك بين النظارة ، كما كان يعلق بأسلوب فكه على أهم حوادث اليوم . فإذا انتهى الممثلون من آخر فصول الدرامة اجتمع كل أفراد الفرقة فى ركن من أركان المسرح ، ثم ركعوا تحية للملك والملكة ، وهو ما يشبه السلام الملكى اليوم ...

هذا ، وقد بُدىء باستعمال المناظر المتحركة بعد النهضة الأصلاحية ، وكان الفضل فى استعمالها للسير وليم دافنانت Davenant ، وكذلك حل النساء محل الولدان فى تمثيل الأدوار النسائية سنة ١٦٦١ . ذلك وقد كان لكل مسرح من المسارح الإنجليزية علامة مسجلة ؛ فعلامة الجلوب صورة للبطل اليونانى الخرافى الجبار هرقل حاملاً بيديه المريدتين كرة أرضية ، وكان على مقربة من الجلوب مسرح البلاك فرايرز ، وكان شيكسبير يؤلف دراماته لهذين المسرحين خاصة ، كما كان يساهم فى التمثيل وفى الأرباح على السواء . وقد كان الجلوب هو المسرح الصيفى ، أما الآخر فكان مسرح لندن الشتوى العتيد ، وبذلك امتاز عن الجلوب الذى كانت المسارح الأخرى تنافسه منافسة شديدة ، ولا سيما مسرح الفورشون « الحظ » الذى أنشىء سنة ١٥٩٩ لمنافسة شيكسبير . وكانت كل هذه المسارح الصيفية ما عدا الفورشون قائمة وسط مستنقعات كبيرة ، وكان المتفرجون يصلون إليها فوق جسر طويل . وقد حدث فى سنة ١٦١٣ أن شب حريق كبير التهم المسرح العتيد كله ، ولم يلبث صاحبه أن جدده فى السنة التالية . وقد انتهز الفرصة فاستبدل بالخشب الملاط ، وبقش السمار الإردواز ، واصطنع خشبة

(١) خالف تشارلز هيستنجز كل الروايات فذكر أنه أنشئ سنة ١٥٩٣

المسرح من ألواح السنديان ، كما خص الممثلين بغرفة كبيرة خلفية يستجمون فيها ، وزاد في عدد الأبهاء « البناوير » فجعلها ثلاثة صفوف بدل صف واحد . وقد كلفه المسرح الجديد ثمانين وثمانمائة من الجنيهات قيمتها الآن ثمانية آلاف . ذاك وقد كثر عدد المسارح في أواخر عهد الملكة اليزابث داخل لندن نفسها ، فكان ثمة مسرح الكوك بت أو الفونكس ومسرح الردبول Red Bull ... الخ . وقد أحصيت هذه المسارح فكانت أحد عشر مسرحاً . على أن المنافسة الشديدة الحق كانت بين اثنين منها فقط ، وهما : الجلوب وكان تحت رعاية اللورد تشمبرلن ، والفورشون وكان تحت رعاية اللورد أدميرال ؛ وكانا كلاهما يتمتعان برعاية الملك المباشرة . وكان من هذه المسارح ما هو خاص وما هو عام . وكانت الهيئة التي تشرف على المسارح الخاصة ، مثل الكوك بت والسالسبرى والبلاك فرايرز ، هيئة منتقاة يراعى في اختيارها شرائط لا داعي لذكرها هنا . وكانت المسارح الخاصة على العموم أصغر بكثير من المسارح العامة كالجلوب والفورشون والرد بول ، كما كانت مسقوفة دائماً ليستمر التمثيل فيها طول العام ، بعكس المسارح العامة التي كانت مكشوفة الوسط لاتساعها ، ولم يكن يستمر التمثيل بها غير أشهر الصيف ، من ثلاثة أشهر إلى خمسة . أما في الشتاء ، وهو سبعة أشهر تقريباً ، فقد كان الضباب الكثيف يحول دون التمثيل فيها ، خصوصاً والمشاعل لم تكن قد استعملت بعد . وقد اقتبست المسارح الإنجليزية في أوائل القرن السابع عشر وسائل المسرح الفرنسي الآلي في إخراج المناظر المختلفة . وكانت وسائل فجة غير رائعة ، وكانت تستعمل في إبراز الغابات أو القصور أو المدن ، كما أخذت عن المسرح اليوناني القديم طريقة الستار الأسود في أقصى المسرح إذا كانت التمثيلية مأساة . . . على أن هذا النقص في الإخراج كانت تستره مكتبة المسرح ، إذ كان لكل مسرح مكتبة محترمة تتألف من أصول الدرامات التي يقوم بعرضها ، ثم من مئات من أمهات الكتب التاريخية والمسرحية والأدبية ،

ولم تكن المكتبة حَبْساً على الممثلين ، بل كان الشعب ينال منها نصيباً لا بأس به من الاطلاع . وقد تضاعفت هذه المكتبات بعد نشاط الطباعة وتقدم وسائلها الحديثة ، وصار المؤلفون المسرحيون يعنون بطبع دراماتهم والوقوف على طبعها بأنفسهم . ولم يكن أحسن مسارح لندن يشترى من أحسن هؤلاء المؤلفين حق تمثيل إحدى دراماته بأكثر من ثمانية جنيهات (تساوى الآن ثمانين !) ، وكان أصحاب الفرق يستغلون المؤلفين استغلالا دنيئاً ، فكان المؤلف الفقير يقترض من مدير إحدى الفرق مبالغ تافهة على أن يقدم بها درامة أو درامتين ، فإن عجز عن السداد دخل الربا بين الطرفين ، وظل المؤلف مستعبداً إلى الأبد . على أن عدداً قليلاً من المؤلفين استطاع أن يقف من هؤلاء الديرين موقفاً حازما ، إذ استطاعوا أن تكون لهم حصتهم في ميزانية المسرح ، وعلى رأس هؤلاء مارلو وبن جونسون وشيكسبير

وكان النساء محرومات من غشيان المسارح بادىء الأمر ، فلما خفت وطأة المسز جراندى ، أخذن في الاختلاف إليه حتى أصبحن عنصراً هاما فيه ... ممثلات ونظارة !

« يتبع » دريني خشبة

المشكلات

٧ـ اللغـــة العربية

للأستـــاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد استغللنا ما استنبطناه من علم يتعلق بتعليم اللغة فى تعليم اللغة العربية وفى تعليم اللغة الإنكليزية وفى تعليم اللغة الفرنسية وأصبح فى استطاعتنا أن نتقى الأخفاق فى تعليم اللغة الإنجليزية والفرنسية ، وأن نتقى هذا الرسوب الذى يمنى به تلاميذنا فى آخر كل عام دراسى فى هاتين اللغتين والذى يبلغ فى بعض السنين ٧٨٪ ووهبنا للتلاميذ أعماراً بقدر الأعوام التى وقيناهم فيها الرسوب والتى كانوا يرسبون فيها لو لا أخذهم بهذا المنهج الجديد ، ونفينا عنهم وعن أهليهم ذلك الحزن الذى كان يستولى عليهم فى آخر كل عام دراسى بهذا الرسوب . ووفرنا على أهليهم تلك الأموال التى كانوا ينفقونها فى إعادة الأعوام التى رسبوا فيها . ومن ذلك يعلم أن الباب الواحد من العلم إذا استغله أهلوه كان عظيم البركة جليل النفع ، وربما كان أجدى على الأمة والأفراد من كثير من الخيرات المادية

ولسنا نستغل هذا الباب من العلم فى تعليم اللغات فحسب بل سنستغله فى كثير من مشكلاتنا الأخلاقية والاجتماعية والسياسية فيرى كيف يعظم نفعه ، وتجل بركته ، وكيف يجلب من الخير ما لا يدركه الوهم ، ولا يحصيه العد

وهذا وأمثاله هو الذى جعلنى أومن بالعلم وأعظمه وأجله ، وأرى أنه ما من خير للأفراد والأمم إلا وهو مصدره ، وما من شر يصيب الأفراد والأمم إلا وللجهل يد فيه ظهرت أو خفيت

* * *

لعل قائلاً يقول : إنك آمنت بالملكة فى كسب اللغة العربية إيماناً لا تزعزعه الشكوك ، وظننت أنها تفيد فى كسب العربية كما تفيد فى كسب اللغة الإنجليزية والفرنسية ، ولم تفطن إلى ما بين اللغة العربية وسائر اللغات من فارق

إن اللغة العربية كثيرة الأحكام ، متشعبة الفروع ، فلا تستقل الملكة بضبط هذه الأحكام الكثيرة ، ولا يضبطها إلا العلم المفصل بالقواعد والقوانين ، وسأضرب مثلاً (لا) العاملة عمل إن ، فإن شرط عملها هذا العمل :

١ — أن تكون نافية

٢ — وأن يكون المنفى الجنس

٣ — أن يكون نفيه نصاً

٤ — ألا يدخل عليها جار

٥ — أن يكون اسمها نكرة

٦ — أن يكون متصلاً بها

٧ — أن يكون خبرها نكرة ـ فإن كانت غير نافية رفع ما بعدها ، وإن كانت لنفى الوحدة عملت عمل ليس نحو لا رجل قائماً بل رجلان ، وإن دخل عليها الخافض خفض ما بعدها نحو جئت بلا زاد ، وإن كان الاسم معرفة أو منفصلاً منها أهملت نحو لا الدار دار ولا الجيران جيران ، ونحو لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون

هذه أحكام كثيرة ولا يسعف بها إلا معرفة القواعد ، فأما الملكة فلا تستطيع الاهتداء إلى هذه التفاصيل

ونحن نقول لهذا القائل إنك أسأت الظن إذ ظننت أن الملكة لا تهتدى إلى الفروق الخفية والدواخل المتشعبة ، إنها أهدى من القطا ، وإن الإنسان يطمئن إليها فى الهداية إلى ما يشتجر من الأحكام . إنها تهدى المرء إلى الصواب الجارى على القواعد وإن لم يعرف القواعد . أنظر إلى الهمزات فى علم الرسم كيف يكتب المرء يئد على ياء ، ويأمن على ألف ، ويؤمن على واو ، تهديه ملكته التى اكتسبها بالمرانة والتكرار وإن لم يعلم القاعدة أو لم يستحضرها

وكذلك الألفات ما يكتب منها ألفاً وما يكتب منها ياء ، فيكتب المرء رمى بالياء ودعا بالألف كأن فى منطقة اللاشعور فينا عالماً يعلم أن رمى أصلها الياء فتكتب ياء ، ودعا أصلها الواو فتكتب ألفاً ، ويكتب أغزى بالياء كأن عالماً فينا يعلم أنها وإن كان أصلها الواو إلا أنه لما قيل فيها أغزيته كتبت ياء

يعجب المرء كيف تهدى الملكة إلى الحق كأنما تستملى

من قواعد مكتوبة ، وتمتاز الملكة عن القواعد بالسرعة التي لا يبلغها الرجوع إلى القواعد . ولقد بلغ من اهتداء الملكة أنها تكتب المطرد على حسب القاعدة ، والشاذ على ما قيل من شذوذ، فهي تكتب داود بواو واحدة ، وتكتب بعمرو بواو بعدها ، وتكتب مائة بألف زائدة وإن لم تكن في هجائها

فإذا كانت هداية الملكة ما ذكرنا في الكتابة فلا عجب أن تهدى مثل هذه الهداية في الكلام

قال أبو الفتح عثمان بن جنى م ٣٩٢ في كتابه الخصائص : سألت الشجرى يوما فقلت له : يا أبا عبد الله ! كيف تقول : ضربت أخاك ، فقال : كذاك . فقلت أفتقول ضربت أخوك ؟ قال لا أقول أخوك أبداً . قلت : فكيف تقول ضربني أخوك ؟ فقال : كذاك . فقلت ألست زعمت أنك لا تقول أخوك أبداً ؟ فقال : إيش ذا ؟ اختلفت جهتا الكلام . نقل أبو الفتح هذه الحكاية في باب عنوانه أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها . واستدل بها على أن العرب كانت تعرف قواعد النحو والصرف ، ورأى أن ما قاله الأعرابي نظير قول النحاة : صار المفعول فاعلاً

وليس ما ذهب إليه ابن جنى من الاستنتاج صحيحاً ، فهذا العربي لم يكن يرجع إلى قواعد ، وإنما كان يرجع إلى ملكته يستشيرها ويستهديها فنبت ملكته عن ضربت أخوك ، ولم تنب عن ضربني أخوك ، كما تنبو ملكة الكاتب عن كتابة الهمزة في يئد بالواو وفي يؤمن بالياء ، وإن لم يعرف القاعدة ولم يستشرها

لعلنا بذلك قد طمأنا الذين يشفقون على اللغة من أن يكلوها إلى الملكة ، ويرون أن الملكة لا تكفي هادية ، لأن مذاهب العربية مختلطة متشعبة قريب بعضها من بعض ، لا يفرق بينها إلا العقل الواعي والعلم البصير . وقدمنا من الأدلة ما يدل على أنهم إذا وكلوها إلى الملكة فقد وكلوها إلى حفيظ أمين

فليتأمل هؤلاء الذين يصدون — أو سيصدون — عن طريقتنا فيما نحاول ، أننا نحاول كسباً جديداً للغة العربية ، فبدل أن نقتصر على علم قواعدها تكون لنا ملكة وهيئة راسخة من هيئات نفوسنا وجزءاً من كياننا ، وتكون هذه الملكة دعامة لفهم اللغة وتذوقها ، ولفهم قواعدها وأصولها دون جهد أو عناء

ليعلم هؤلاء الذين يحبون النحو والصرف وقواعد البلاغة ، أننا نحب النحو والصرف وقواعد البلاغة أكثر منهم حين ندعو إلى تعليم اللغة بأسلوب يكون ملكة اللغة في نفوس المتعلمين ، لأننا نريد أن نجعل قواعد النحو والصرف والبلاغة فوق العلم بها ملكات لنا مختلطة بلحومنا ودمائنا غائصة في أعماق نفوسنا وداخلة في منطقة اللاشعور فينا

لقد ظفرت اللغة العامية مع عدم الاحتفال بها والعناية بتعلمها بأن صارت ملكة في النفوس ، فغلبت اللغةَ العربية التي لم تظفر بذلك إلى الآن ، وكانت لغة البيت والشارع والمدرسة ولغة الدرس والخطاب ولغة الأغاني والمسرح والخيالة ، وليس للغة العربية حظ في شيء من ذلك إلا أنها لغة الكتابة ، والذين يكتبون بها قليل ، وهذا القليل لم يكتسب الكتابة من القواعد وتعلمها ، إنما اكتسبها من طريق الحفظ والقراءة وتذوق الكثير من بليغ المنثور والمنظوم ومن مزاولة الكتابة والكلام بها ، حتى اكتسب نماذج ذهنية في نفسه ومناطق اللاشعور فيه ، يتكلم على مقتضاها ، وينسج على منوالها ، فلم لا نسعى لرفع اللغة العربية من مجالها الضيق المحدود إلى المجال الواسع غير المحدود ؟

لم نتركها خافتة ضئيلة النفوذ محدودة السلطان بعيدة عن الجماهير وعن كثير من الخاصة لا تعرفهم ولا يعرفونها مقصورة على طبقة قليلة من خاصة الناس ؟

إنما أريد بما أعرض من هذا التوجيه الجديد أن ننقذ اللغة العربية من سيطرة العامية وأن نوسع دائرة نفوذها في شؤون الحياة

يا سبحان الله ! أيعلم كل صانع في الدنيا أنه لا يحذق المتعلم صنعته إلا بالمرانة والتكرار ، فلا يكتفوا بإلقاء القواعد للمتعلمين وحفظها بل يأخذوهم بالدربة والمرانة على أعمال صنعتهم الجارية على حدود قواعدها ، حتى يحذقوا صناعتهم ، ولا يعلم ذلك رجال العلم في بلاد الشرق منذ آماد طويلة ، فاكتفوا في تعليم اللغة بدراسة قواعدها ورأوا تلك السبيل المثلى في تعلمها ، وأنها تفيد الطالب الناشىء ، وتجعله قادراً على التعبير بها في صحة وإتقان ! ومن عجب أن إخفاق القرون في هذه السبيل لم يصرفهم عنها ليبحثوا عن منهج أسد ، وطريق أقوم .

محمد عرفه

٤ – الإسلام والفنون الجميلة

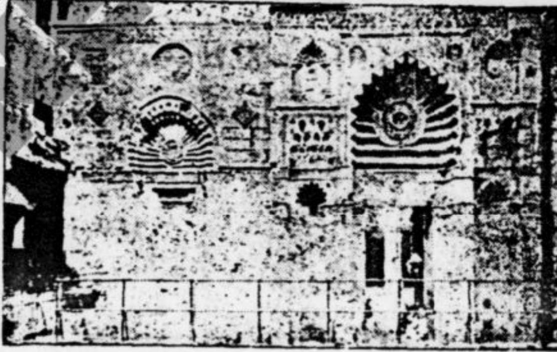
للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

ولقد دفع الإسلام بمعتنقيه إلى العناية بفن العمارة بطريق غير مباشر، إذ وصف الله فى كتابه العزيز جنات النعيم التى أعدها للمتقين من عباده وصفاً شيقاً لعله كان مبعث الوحى للمسلمين فيما شيدوه من عمائر: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها، نعم أجر العاملين)، (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ...). فما كادوا يفتحون الأمصار ويرون ما بها من آثار حتى أقبلوا على البناء فأقاموا قصوراً شاهقة، رشيقة التكوين، موزونة الأبعاد، منمقة الجدران، ضاع معظمها، ونفضت معاول علماء الآثار الأكفان عن بعضها، وأفلت منها من يد الدهر ذلك القصر العظيم الذى شيده بنو الأحمر فى الأندلس، وهو بغرفه الفسيحة الرائعة، وقبابه الرشيقة العالية، ومياهه الرائقة الجارية، وجناته ذات القطوف الدانية، خير شاهد على ما تقدم



تربيعات من الخزف كانت تزين باب سبيل من عهد السلطان قايتباى – نقلا عن فهرس مقتنيات دار الآثار العربية تأليف مكس هرتس بك

وما كان المسلمين وقد سكنوا تلك القصور الرائعة ليقفوا بمساجدهم عند حد البساطة التى كانت عليها فى أيام الإسلام الأولى، بل تذكروا قول الله عز وجل: (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه). فأقبلوا على المساجد يشيدونها ويزخرفونها إجلالاً لها وتعظيما لقدرها، وبعداً بها عن مواطن الاستهانة إذا ما قورنت ببيوتهم أو بمعابد اليهود وكنائس المسيحيين. ولبس مسجد المدينة على يد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان حلة فخمة خلعت عليها يدُ صناع الحسن والبهاء،



واجهة الجامع الأقمر بالقاهرة – من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك لمحمد عبد العزيز مرزوق

وأقبل عمر بن عبد العزيز على تزيينه وتحسينه، وكذلك فعل خلفاء المسلمين من بعدهما، وكذلك فعل الأمراء والأغنياء فى كافة العالم الإسلامى، إذ رصعوا جوانبه بمساجد هى آية من آيات الجمال الفنى



جزء من وعاء من الخزف – من رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية للمرحوم الأستاذ حسن الهوارى

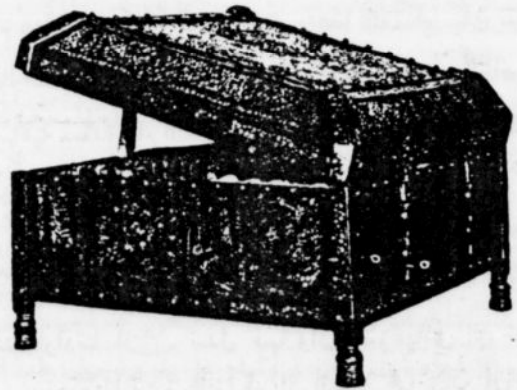
ولقد كان من أثر ذلك أن سار المسلمون بفن العمارة إلى الأمام خطوات واسعة، ويكفى أن نذكر فضلهم على العالم أجمع فى تحسين القبة – ذلك العنصر المعمارى الذى يعتبر من الميزات

البارزة فى العمارة الإسلامية — فلقد ورث المسلمون القبة عن الأمم السابقة عليهم من مصريين وعراقيين ورومان ، ورثوها صغيرة ساذجة بسيطة محدودة الاستعمال ، وردوها إلى العالم كبيرة معقدة جميلة ، وارتقوا بها فى مدارج الرقى ، وتجلت فى إنشائها براعة بنائهم ، وحذق مهندسيهم ومهارة فنانيهم ، وأكثروا من استعمالها حتى لقد أصبحت من سمات العمارة الإسلامية .

***

رأينا إذن كيف أثر الدين الإسلامى ببعض توجيهاته الإيجابية فى فنون الخط والزخرفة والعمارة ، وننظر الآن فيما كان لبعض التوجيهات السلبية لهذا الدين من تأثير جلى فى الفنون الجميلة ، فنلمس أثر هذه التوجيهات واضحاً فيما نجم عن تحريم الربا ، وعن كراهية التصوير ، وعن الطريقة التي نظم بها الإسلام استعمال الذهب والفضة والحرير

وليس هناك من شك فى أن تحريم الربا لم يكن له فى صميم الفن أثر مباشر ؛ ولكنه عاون على تقدمه ونضوجه وازدهاره وانتشاره . ذلك لأن هذا التحريم الذى جاء صريحاً فى القرآن



صندوق مصحف من خشب مصفح بالنحاس المكفت بالفضة والذهب — من تربة السلطان الغورى بالقاهرة — نقلا عن فهرس مقتنيات دار الآثار العربية لهرتس بك

« يمحق الله الربا . . . » قد دفع بالمسلمين إلى استخدام الفائض من أموالهم فى توفير وسائل الترف المباح فى حياتهم . ولقد فصلت كتب الأدب والتاريخ حياة البذخ التى كان يحياها الخلفاء والأمراء . ولا يتسع المجال هنا لتفصيل ذلك ، إنما يكفى أن نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر بذخ العباسيين فى بغداد و « سر من رأى » ، وبذخ الطولونيين فى مصر ، والفاطميين فى القاهرة ، وبذخ الأمويين فى قرطبة والزهراء . ولهذا البذخ أبعد الأثر فى تقدم الفنون الجميلة ، فالإقبال على اقتناء التحف والسخاء العظيم فى بذل الثمن لها بعث فى الفنانين والصناع روح



كرسى من النحاس الأصفر من مارستان قلاوون — نقلا عن فهرس مقتنيات دار الآثار العربية تأليف مكس هرتس بك

المنافسة فأخذوا يتبارون فى إتقان مصنوعاتهم ويغالون فى زخرفتها وتجميلها . ومتاحف الفن الإسلامى فى مصر وأوروبا وأمريكا غنية بالكثير من هذه التحف التى هى لسان صدق لما بلغه أجدادنا من المسلمين من رقى الفن وسمو الذوق .

(يتبع)

محمد عبد العزيز مرزوق

الأمين المساعد بدار الآثار العربية

حكم فى الجنحة ١٧٧٦ عسكرية وايلى سنة ٩٤٣ بحبس معوض بسطا القمص ثلاثة شهور وبتغريمه ١٠٠ ج والنشر والتعليق والغلق لبيعه دمور مفتخر بأزيد من السعر المحدد

منهج البحث الاجتماعي

للأستاذ إميل دوركايم

يقترن اسم إميل دوركايم Emile Durkheim بعلم الاجتماع؛ فهو الذي أخرجه في صورته الجديدة التي هو عليها الآن، وجعل منه علماً مستقلاً له منهج مستقل لا يعتمد على العلوم الأخرى، بعد أن كان العلماء يعتمدون في تفسيرهم للظاهرات الاجتماعية على أحد منهجين : إما المنهج البيولوجي الذي وضعه هربرت سبنسر في انجلترا، وهو ينظر إلى المجتمع على أنه كائن حيوي يمكن تفسير ظاهراته تفسيراً حيوياً يعتمد على علم الحياة وعلم وظائف الأعضاء؛ وإما المنهج السيكولوجي، ومن أكبر أنصاره تارد Tarde الفرنسي الذي يفسر المجتمع بغريزة التقليد. أما دوركايم فقد جعل علم الاجتماع موضوعاً قائماً بذاته لا يعتمد في تفسير ظاهرات المجتمع على غير هذه الظاهرات نفسها، فجعله بذلك علماً في مصاف العلوم الأخرى من جهة الموضوع والمنهج؛ وقد كتب دوركايم كتابه الشهير « قواعد المنهج الاجتماعي Les Règles de méthode sociologique » يبين فيه طبيعة العلم والمنهج الذي يجب اتباعه في دراسته، ثم لخص ذلك كله في مقالته : « علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية Sociologie et Sciences Sociales التي نشرت في كتاب مناهج البحث في العلوم De la methodes dans les sciences وهي التي نقدم لقراء الرسالة تلخيصها .

تناول دوركايم موضوعه من الناحية التاريخية مبيناً نشأة علم الاجتماع وتطوره، ثم قسم العلم إلى الأبواب التي يدرسها؛ وأخيراً بين المنهج المتبع في الدراسات الاجتماعية، وهو منهج يعتمد عند دوركايم على التاريخ والإحصاء؛ لا كعلمين بل كطريقتين للبحث العلمي

أولا : من الناحية التاريخية

إن أحسن وسيلة تتبع في دراسة علم من العلوم التي لا تزال حديثة مثل علم الاجتماع، لتوضيح طبيعته وموضوعه ومنهجه، هي الرجوع إلى الوراء لنبين كيف ابتدأ وكيف تطور ... لقد كان أوجست كونت Auguste Conte أول من وضع لفظ « سسيولوجيا Sociologie » في القرن التاسع عشر قاصداً به علم المجتمعات ... فالاصطلاح إذن جديد والعلم جديد، وإن كان هناك دراسات نظرية عن الموضوعات السياسية والاجتماعية وجدت قبل كونت : في « جمهورية » أفلاطون و « سياسة » أرسطو، وكتابات كامبانيلا وهوبز وروسو وكثيرين غيرهم. ولكن هذه الدراسات كلها تختلف اختلافاً جوهرياً عما يصدق عليه الاصطلاح الجديد. إنها لم تصف ولم تفسر المجتمعات على ما هي عليه، ولكنها كانت تبحث عما يجب أن تكون عليه تلك المجتمعات؛ بينما علم الاجتماع يدرس المجتمعات على ما هي عليه في الواقع ليعرفها ويفهمها كما هي مثلما يفعل الفيزيقي، والكيميائي، والبيولوجي، في دراستهم للظاهرات الفيزيقية والكيميائية والحيوية. فعلم الاجتماع إذن لا يريد إلا أن يعين الظاهرات التي يتناولها بالبحث وأن يكشف عن القوانين التي تنتج بمقتضاها هذه الظاهرات دون أن يهتم بالناحية العملية أدنى اهتمام

وعلم الاجتماع الحديث يفترض أن المجتمعات تخضع لقوانين معينة؛ وأن هذه القوانين تصدر بالضرورة عن طبيعة تلك المجتمعات وتعبر عنها. وكان تكوين هذا التصور بطيئاً، فقد كان الناس يظنون أن ليس ثمت شيء - حتى الجمادات نفسها والمعادن - يخضع لقوانين معينة، بل إن كل شيء يمكنه أن يتخذ أي شكل كان، وأن يكتسب كل الخصائص الممكنة مادام هناك قوة كافية لذلك. ونفس هذا التفكير كان يسيطر على عالم الظاهرات الاجتماعية. والواقع أنه لما كانت تلك الظاهرات الاجتماعية معقدة تمام التعقيد، كان من الصعب أن ندرك النظام الذي يمثلها، وبذلك ظن الناس أن ليس ثمت نظام بينها، وأن كل شيء ممكن في الحياة الاجتماعية. أليست الظاهرات الاجتماعية تتعلق بنا نحن أفراد المجتمع، وبنا وحدنا؟ وإذن يمكننا بإرادتنا أن نعدل فيها وأن نصوغها في أي شكل نريد. ومن هنا انصرف التفكير إلى البحث عما يمكن أن نفعله كيما نصوغها في أحسن صيغة ممكنة... ولكن في القرن الثامن عشر ابتدأ الناس يرون أن « المملكة الاجتماعية » لها قوانينها الخاصة ككل « ممالك الطبيعة » الأخرى؛ فأعلن مونتسكيو Montesquieu أن « القوانين هي العلاقات الضرورية التي تستخرج من طبيعة الأشياء »، وقوله هذا ينطبق على « الأشياء الاجتماعية » انطباقه على جميع الأشياء الأخرى.

ثم جاء كوندرسيه Condrcet فأراد أن يضع النظام الذى يسيّر على رأيه التقدم البشرى ، وأن يرسم أحسن حالة توضح أن ليس ثمت شىء يحدث عرَضاً أو يأتى اعتباطاً ، بل إن كل شىء يحدث حسب علل معينة . وفى نفس الوقت كان الاقتصاديون يرون أن ظاهرات الحياة الصناعية والتجارية يسيطر عليها قوانين خاصة تسير بحسبها . مع أن هؤلاء المفكرين كانوا يمهدون السبيل للفكرة التى يرتكز عليها علم الاجتماع الحديث ، فإن فكرتهم عن قوانين الحياة الاجتماعية كانت لا تزال غامضة مبهمة ؛ فهم لم يقولوا — ولم يريدوا أن يقولوا — إن الظاهرات الاجتماعية تسير فى تسلسل وارتباط حسب علاقات علّية – علاقة معلول بعلته – وأن تلك العلاقات محددة ثابتة لا تتغير كما هو الحال فى العلوم الطبيعية . فكانوا يرون أن الإنسانية يمكن أن تنقلب من حال إلى حال بدون استثناء.

ولكن فى القرن التاسع عشر ظهر فهمٌ جديد على يد سان سيمون أولاً ثم — على الخصوص — على يد أوجست كونت : فقد استعرض كونت فى كتابه المعروف « دروس فى الفلسفة الوضعية Cour de Philosophie Positive جميع العلوم فى عصره ، فرأى أنها تقوم على أن الظاهرات التى تعالجها تربطها علاقات ضرورية ، وأنها ترتكز على مبدأ الجبرية detérminisme ، فذهب إلى أن ذلك المبدأ الذى يتحقق فى جميع ممالك الطبيعة من أول مملكة الرياضيات ، حتى مملكة الحياة يجب أيضاً أن يتحقق فى المملكة الاجتماعية[1] ، وبذلك ذهب المفكرون فى أيامه عن النظر إلى المجتمعات كنوع من المادة المائعة المطاطة التى يمكن للانسان تشكيلها كيفما أراد ؛ اوإنما هي حقائق ووقائع لا يمكن تغييرها إلا بمقتضى القوانين التى تسيطر عليها وتوجهها . وعليه فإن نظم الأمم المختلفة مثلاً لا يمكن اعتبارها نتاجاً لإرادة الأمراء والحكام والمشرعين بل على أنها نتائج ضرورية لعلل معينة . فنحن نجد أنفسنا إذن أمام نظام للأشياء ثابت معين ، وأمام علم يقوم لوصف هذا النظام

(١) صنف أوجست كونت العلوم متتبعاً الأدوار المختلفة التى مرت بها المعرفة الانسانية ، فرتبها هكذا : الرياضة ثم الفلك فالطبيعة فالكيمياء فالبيولوجيا وأخيراً علم الاجتماع . وكل علم من هذه العلوم يعتمد على ما يسبقه من علوم ، وكل علم أبسط من العلم الذى يليه وأوسع منه ميدانا . فعلم الاجتماع إذن أعقد العلوم وأضيقها ميدانا ، لأنه لا يدرس إلا المجتمعات البشرية ، بعكس الرياضة مثلا ، فميدانها واسع وتتدخل فى كل شىء ولا تعتمد على غيرها . وأسمى كونت هذا التصنيف « تسلسل العلوم » La Hierachie des Sciences

وتفسيره وتبيين خصائصه وإظهار أى العلل تعتمد عليها هذه الخصائص . وهذا العلم نظرى بحت ليس للجانب العملى فيه أى دخل ؛ وهو علم الاجتماع . وكان أوجست كونت يسميه أولاً بالفيزيقا الاجتماعية La Physique Sociale كما يبين العلاقات التى تربطه ببقية العلوم الأخرى[1]

ولكن ، لا يعنى ذلك أن المجتمع خاضع لنوع من القدرية fatalisme لا يمكن الإفلات منها ، وأن الناس لا يمكنهم أن يعدلوا من مجتمعهم وبذلك لا يمكنهم أن يؤثروا قط فى تاريخ بلادهم ؟ الواقع أن لا ؛ فإن العلوم الوضعية كلها تخضع لمبدأ الجبرية دون أن يمنع ذلك من وجود تغيرات فى كل منها : فعلم الطبيعة مثلاً لا ينكر وجود تغيرات فى ميدانه الخاص ، ولكن تلك التغيرات تكون حسب قوانين موضوعه الخاصة . وعلم الاجتماع قبل كل شىء أعقد العلوم الوضعية كلها ، وإذن فمجال التغيرات فيه أوسع من أى منها . وهو لا ينكر وجود تغيرات وتعديلات فى المجتمع ولكن الذى ينكره هو ألا تكون هذه التعديلات متمشية مع طبيعة قوانين المجتمع . وهو يرفض الفكرة القديمة فى أن المشرعين يمكنهم أن يغيّروا المجتمعات حسب أهوائهم من نوع إلى نوع آخر مختلف عنه تماماً دون مراعاة العادات والتقاليد والبناء العقلى لأفراد المجتمع وهكذا .

وقد اعترض البعض على علم الاجتماع بأنه لا يتميز عن علم النفس ، بينما كان من شرائط العلم الحقيقى أن يكون قائماً بذاته لا يختلط موضوعه بموضوعات العلوم الأخرى . وما دام المجتمع لا يتكون إلا من الأفراد ، فعلم المجتمعات إذن لا يتميز عن علم الأفراد أى علم النفس ، ولكن لو صح هذا الاعتراض لوجب توجيهه إلى علم مثل علم الحياة (البيولوجيا) فهو — حسب هذه النظرة — ليس إلا جزءاً من علم الطبيعة والكيمياء ؛ لأن الخلية الحية مركبة من ذرات من الكربون والأزوت وغير ذلك ، وهنا تدرسها الكيمياء العضوية ... الواقع أن هؤلاء المعترضين ينظرون إلى الكل نظرتهم إلى الأجزاء التى يتكون منها ، بينما الأجزاء متى تدخل فى الكل تفقد خصائصها الجزئية وتظهر بدلاً منها خصائص أخرى لا توجد فى الجزئيات . هكذا الحالة فى الخلية التى يدرسها علم الحياة . وهكذا الحال

(١) وضع كونت لفظ Sociologie بدلا من La Physique Sociale فى عام ١٨٨٣ . والسبب الذى دعاه إلى هذا التبديل هو – كما يذكر فى الدرس السابع والأربعين من « دروس فى الفلسفة الوضعية » أنه لاحظ من العلماء تطفلا غريباً على الاصطلاح القديم واستعمالهم إياه بكثرة وفى غير ما وضع له

هلال شوال

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَنِ الأحدبُ النشوانُ طاف العَوالِما
وأوْمأ إلى الشرق المُهلّل باسِمًا ! ؟

يدبُّ عَلَى ساقٍ مِنَ النورِ لَمْ تَدَعْ
على الأرضِ ركناً مُظلِمَ الأفْقِ واجِما

وَيَمْشي كما يَمْشي نبيٌّ مُبَشِّرٌ
بوَحْيٍ يَزُفُّ الخطوَ كالطيفِ حالمَا

وَيَرْنو كما يَرْنو إلى اللهِ عابدٌ
يَكادُ مِنَ الإصْغاء يُحْسَبُ نائِما

لَهُ قامةٌ أحْنتْ يدُ الدّهْرِ عُودَها
فَهلْ كانَ شيخاً مِنْ حِمَى الخلدِ قادِما ؟

تحرّرَ ، وَاستعْلَى ، وَأقبلَ ، وَانثنَى
فلوْ كانَ إنساً قُلتُ : حَيْرانَ ، نادِما !

يَشُقُّ عُبابَ الجوِّ ... لاَ بحرَ عِنده
وَلاَ شَطَّ ! لكنْ يذرَعُ النورَ هائِماً ...

هَفا طَرْفُهُ في الغربِ وجْدًا ! كأنّهُ
يُريدُ انبثاقَ النورِ لِلشرقِ دائِماً ...

أطَلّ رَخِيمَ النُّورِ تَحْسبُ ضوْءهُ — تَحمّلَ إيقاعاً مِنَ الطّيرِ ناغِما

هِلالٌ يَكادُ المسلمُونَ صَبابةً — يَطيرُونَ مِنْ شوْقٍ إليْهِ حَمائِما

أشارَ لِماضِيهمْ بِكَفٍّ مُلألِئٍ — تَرامَتْ حَوالَيهِ النُّجُومُ حَوائِما

يُعاتِبُ مَنْ أغفتْ عَنِ النورِ عَيْنُهُ
وَكانَ لِشَرْعِ اللهِ في الأرْضِ هادِما

وَمَنْ رَاحَ يَسْتَجْدِي المساكِينَ قلبه
فما كانَ وَهّاباً ، وَلاَ كانَ رَاحِماً ...

وَمَنْ يَسْمعُ الشكْوَى وَيمضى كأنّها
عَلَى سَمْعِهِ عَذلٌ يُطارِدُ ظَالِماً ...

وَمَنْ حفّ ليْلُ العاثِرِينَ لِصُبْحِهِ — فلمْ يَكُ إلاّ مُظلِمَ النُّورِ قاتِما

وَمَنْ جاءهُ الباكي فَمرّ بِدَمْعِهِ — وَخلاّهُ مُنْهلَّ الجِراحاتِ ساجِما

وَمَنْ هَزّ وَسْوَاسُ النّعيمِ فَضاءهُ — وَخيّمَ في أكنافِهِ الدّهْرُ ناعِماً ؛

وَمَدّتْ له الأيّامُ كفًّا يَتيمَةً — فكانَ لها بَرْحاً يُعِيدُ المآتِما

وَمَنْ تَزْخَرُ الدُّنْيا جَمالاً وَعِفّةً — وَيَعْمَى فيَسْقى مِنْ يدَيْها المآثِما

وَمَنْ كانَ مِثْلَ الشّرْقِ تَغْلي جِراحُهُ
فيتْرُكُها لِلـداءِ تَغْدُو مَغانِما

مَضَى كُلُّ شَعْبٍ لِلسماءِ مُوَحّدًا — وَنحنُ عَلَى البلْوَى عَشِقْنا التّقاسُما

حِمانا حِمَى الإسلام ، وَالنّورِ ، وَالهُدى
فكيْفَ غدَوْنا لِلعِبادِ غَنائِما !

وَما نحْنُ إلاّ مُهْجَةٌ ، مَنْ أثارَها — أثارَ بِجَنْبيْها اللظَى والسمائما

نَمانا ترابُ الخالدين ، وضمنا — ثرى مشرقٍ ضم العلا والمكارما

إذا قلبُ «لبنانٍ» تنهد بالأسى — سمعت حفيفَ الأرز في النيل جاحما

وإن أرعشتْ موجَ الفُرات كآبةٌ — رأيت أساها في رُبَى مصر غائما

وإن أسعدتْ مصرَ الليالي سمعتها — حديثاً بقلب الشرق ريانَ ناغما

فيا (نيل) خذ عنا الزمام وطر بنا — ولا تخش ليلات الخطوب الغواشما

في المجتمعات التي يدرسها علم الاجتماع ؛ فإن من ارتباط الناس بعضهم ببعض تظهر حياة جديدة مختلفة بالمرة عن حياة الأفراد لو عاش كل منهم وحده . إن الشرائع والمعتقدات الدينية والنظم السياسية والتشريعية والخلقية والاقتصادية ، وعلى العموم كل ما يكون الحضارة ، لا يوجد إذا لم يكن ثمت مجتمع ما ، وبذلك فعلم الاجتماع غير علم النفس

هذا هو علم الاجتماع كما وضعه أوجست كونت

وقد اتسع نطاق العلم وتمددت ميادينه في السنوات الأخيرة وتخصص له عدد كبير من العلماء وخاصة في فرنسا ، ولا زال العلم محتفظاً إلى الآن بمبدئه الأساسي : مبدأ الجبرية السكاية في المملكة الاجتماعية كما في بقية ممالك الطبيعة الأخرى . ويعزز من هذا المبدأ ما يذكره علماء الاجتماع من أن هناك نظماً خلقية أو تشريعية أو عقائد دينية معينة توجد مشتركة بين جميع المجتمعات التي تتشابه فيها شروط الحياة الاجتماعية وظروفها . ومهما كانت تلك المجتمات متباعدة بعضها عن بعض ، فإن تلك النظم تتشابه ، حتى الدقائق والتفصيلات .

(البقية في العدد القادم)

أحمد أبو زيد



أوراق منسية لطاثر من «قصة الأدب»

قرأت فى كتاب « قصة الأدب » للأستاذين أحمد أمين وزكى نجيب محمود ما يأتى :

« ... ولئن كان المصريون الأولون ينقشون آثارهم على جلاميد الصخر ، فقد كانت بابل تكتب آثارها على ألواح من الطفل وهى أيسر حملاً وأخف ثقلاً »

فإن كان ذلك حقاً فمن العجيب ألا نجد للبابليين أدباً أو شبه أدب

والجواب ، كما ذكره الأستاذان : « أنه لم يحدث ذلك لأن القراءة الشعبية لم يكن لها وجود ، ولم يكن يعرف القراءة والكتابة إلا نفر قليل من القساوسة والنساخ ، وكانت الكتابة مقصورة على موضوعات الدين وأعمال الملوك »

وهل اقتصرت الكتابة حقيقة على موضوعات الدين وأعمال الملوك ؟ فأين ذهبت ملحمة كلكاميش إذن ؟

أنا ما كنت أعرف عن هذه الملحمة شيئاً إلى أن قرأت عنها فى مجلة « الثقافة » فى العدد الثالث والثلاثين ، السنة الأولى ، تحت عنوان : « أقدم شعر فى التاريخ » ما يأتى بنصه :

« قد يظن القارىء أول وهلة أن أقدم شعر عرفته الإنسانية هو الشعر الهندى فى أثريه المعروفين (الرامايانا) و (المهابهارتا) وكذلك الشعر الهوميرى لأن كليهما يعود تاريخه إلى ما لا يقل عن عشرة قرون قبل الميلاد ، ولكن الأستاذ جورج كونتنو أمين القسم الشرقى بمتحف اللوفر ، بمجموعة الأشعار التى قدمها أخيراً مترجمة عن البابلية تحت اسم (ملحمة جلجاميش) (١) يؤكد أن هذه المجموعة هى أقدم شعر عرفته الإنسانية لأن تاريخها يرجع إلى ماقبل التاريخ المعروف»

« وهذه المجموعة عبارة عن ملحمة شعرية تقص نبأ حياة جلجاميش بطل القصة ، وكيف أنه مركب من جزء من الإنسان وجزأين من الآلهة على عكس خصمه انكيدو المركب من طبيعة حيوانية صرفة . وتفيض الملحمة بعد ذلك فى وصف بطولة جلجاميش ، وكيف أنه قاد أنكيدو المركب من طبيعة حيوانية إلى أرض خصبة وأكسبه صفات إنسانية ، ولكنهما بعد ذلك اختلفا وتخاصما ونشبت بينهما معركة تشبه فى كثير المبارزات التى وصفتها الإلياذة والمهابهارتا . ولكنهما خرجا أخيراً من هذه المعركة صديقين لا ينفصلان »

« وهكذا تمضى القصة فى سرد أنباء جلجاميش سليل الآلهة وأنكيدو ممثل الحيوانية حتى يموت أنكيدو ، ويحزن عليه جلجاميش ، ويصرف وقتاً باحثاً عنه ، ومتحريا عن حقيقة الموت دون جدوى »

« وقد صدرت هذه الملحمة بالفرنسية منذ أسابيع قلائل مقدمة ببحث طريف عن تاريخ العصر الذى تصفه بقلم المسيو كونتنو مترجمها »

لقد قرأت كل هذا فى مجلة « الثقافة » ، وكلنا يعرف

(١) L'Epopée de Gilgamesh, Poeme Babylonien Par George Conteneau

عهدناك فى الأهوال تحمل رايةً ... عليها أغانى المجد تسبق « آدَماَ »
وَياماَ أَحَيْلَى موجة فيك حُرَةً ... ترف فتهدى للعباد العظائِماَ !
ويا ما أحَيْلَى جنةً فيك نضرةً ... تمنت شعوب الأرض منها النسائماَ
تغنيت رقراقاً ، وأشجيت هادرًا ... كأنك تشدو للزمان ملاحما
خفقت بصدر الشرق سراً مقدساً ... من السحر أعتى رهبة وطلاسما
عَلَى شطك الميمون تاج وصولج ... يهز حجاب الشمس بأساً علاهما
تلفت تر الدنيا عرتها نفاثةٌ ... من الجن هدت قلبها والمعالما
غدتْ ملعباً للموتِ ، هذا مجندل ... وهذا صريع ، والجناة كلاهما !
إذا كان هذا الهول يُدعى حضارةً ... فنحن عَلَى التجديد أرعى دعائِما
فياشرق طال النوم، فانهض، فإنما ... يد الذل تجتاح الشعوب النوائما
تزود من الأخلاق إن سلاحها ... يفل حديد الظلم إن هب غاشما
تراك مهاد الأنبياء ، بشطه ... تدفق نور الكون كالسيل عارما
فأشعل رماد الهامدين ، وقل لهم ... هنا جذوة الماضى تثير العزائما
وأصغ إلى بوق النشور ، يهزه ... من النيل صداح عَلَى الأيك طالما
أتاك يناجى العيد فاهتاج قلبه ... فلم يدرِ أشعاراً شدا أم تمائما...

محمود حسن اسماعيل

أنها للأستاذ أحمد أمين ... فهل سها الأستاذ عن مثل هذه الملحمة عند ما جاء مع الأستاذ زكي نجيب محمود يصنف الأدب القديم؟ وهل يسهو اثنان؟!

وهل اكتفى الأدب البابلي بهذه الملحمة؟ إن كان ذلك حقاً فأين ذهبت «أسطورة تموز وعشتار»[1] و«ترنيمة عشتار»[2]؟

ولا أحسب المراجع قد أعوزت الأستاذين، فإن كان ذلك فهناك كتب عدة أحسب أن أجدرها بالذكر: «الأساطير البابلية والآشورية للأستاذ دى. ا ى. مكنزى»[3] وملحمة «كلكاميش» الآنفة الذكر

(بغداد) نزار الحاج سليم

إلى الأستاذ الفاضل صلاح الدين المنجد

ليس أيسر على المترجم ياصديقي من أن يفتح القاموس فيعرف مرادف الكلمة التي يريد نقلها إلى العربية فيأخذه دون مشقة ولا عناء. غير أني أكره هذه الطريقة المرتجلة في الترجمة. ولما كنت آخذ نفسى هذه الأيام بالدعوة إلى سلك الأدب المسرحى فى الأدب العربى، وبالتالى إلى تجديد الأدب العربى، وذلك فى حدود التواضع الكبير (!) فقد مهدت فى رأس الفصل الأول من فصول نشأة الدرامة الإنجليزية بأن لى غرضاً خاصاً من نشر هذه الفصول ... على أنني لا أدرى لماذا استثقل ذوقك الرفيع كلمة (السمعيات أو الإنجيليات مرادفاً لكلمة Mysteries التى تعنى الأسرار الغامضة بالترجمة الحرفية؟ ... لقد استعملت كلمة السمعيات بمعناها الدينى الذى يعرفه المسلمون عن جميع الأسرار الغامضة التى لا يصح البحث فيها، أو التى يعجز العقل عن تعليلها؛ فماذا غير السمعيات يكفل أداء هذا المعنى؟ وقد فسرتها أيضاً بالإنجيليات لأن جميع مؤرخى الأدب والمسرح الإنجليزى يفسرون هذا النوع من أنواع الدرامة الإنجليزية، بأنه النوع الذى تؤخذ موضوعاته بحوارها من الإنجيل مباشرة دون تغيير أو تبديل. وهكذا أرانى وفقت كل التوفيق فى وضع هاتين اللفظتين لكلمة Mysteries

أما ترجمة Miracles بدرامات الخوارق كما يقترح أخى فقد رأيتها ترجمة قاموسية لا تتفق والعلم المسرحى الذى نحن بصدده؛ فالخارقة تصدر عن أى إنسان؛ أما الكرامة فتصدر عن القديسين عند المسيحيين وعن الأولياء عند المسلمين؛ ولهذا آثرت النسبة إليها فقلت الدرامات الكرامية، ثم أردت أن أربطها فى ذهن القارىء - وذلك من صناعة التعليم التى مارستها عشرين عاماً - فقلت، أو القديسية، وذلك لأنها درامات تتعلق بحياة القديسين أولاً وبما كان يصدر عنهم من (خوارق) - أو كرامات، ثانياً. فأى بشاعة يا أخى صلاح فى هذا الذى آثره صاحب أساطير الإغريق؟!

وبعد، فلا عليك من ذلك؛ ولكن لى رجاء يودى أن تحققه مع الصفوة من أصدقائى أدباء الشام. إن باكورة أعمالك المسرحية التى تفضلت فأرسلتها إلىّ تشف عما يختبىء فيك من الروح الدرامى العظيم، فهل انتويت أن تتحف الأدب العربى بثمرة ثانية وثالثة ... وعاشرة، أم أنت فى حاجة إلى محاربة روح التشاؤم فيك، كما نحاربه في أدبائنا ... أرجو أن تبدأ الشوط مع أدباء الشام الأعزاء، وإن كنت أسأل الله أن يوفق أدباء مصر إلى الفوز بقصب السبق ... وتقبل تحيتى.

دريني خشبة

إلى الأستاذ أحمد الصافى النجفى

وصلنى اليوم هداياك الثلاث: قصيدتك، وتحاياك، وأشواقك؛ ففرحت بالأولى، ولم أنكر عليك كثيراً الهديتين الأخريين ...

وكم أحب أن يتصل البريد الأدبى بينك وبين «الرسالة». وأكتفى منك بالبريد الذى يحمل الأشواق والتحايا ...

ومنذ أسبوعين حدثنى الدكتور طه حسين بك أنه سيُعنَى بشعرك عناية خاصة بعد رجوعه من لبنان، وأعتذر بكثرة مشاغله التعليمية التى حالت من دون جوابه السريع. وكل ما أرجو ألا تغيب عن قراء «الرسالة» الذين طال شوقهم إليك

عبد القادر جنيدي

تصويب

وقعت أخطاء مطبعية فى مقال «أعداء النساء» المنشور بالعدد (٥٣٢) من الرسالة الغراء تصويبها فيما يأتى:

بَحَوْرَة	— وصوابها:	جبل الْجَوَرة
خصومة بهم	— »	خصوصة بهم
مما، وزل	— »	مما فرط من قول وزل
أو التى ينشرن	— »	أو اللاتى

(١) Myths of Tammys and Ishtar
(٢) Hymn to Ishtar
(٣) Myths of Babylonia and Assyria D. A. Mackenzie

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 537

Lundi - 18 - 10 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٣٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١٩ شوال سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٨٢١ المقترحون والمؤلفون . ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٨٢٤ الحديث ذو شجون : الكتاب هو سر العظمة الأوربية . ماضينا في صحبة الكتاب . الأستاذ المهياوي بين المدارس والكليات . . . : الدكتور زكي مبارك ....
٨٢٧ على مكتب رئيس التحرير ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٨٣١ اللغة العربية : لماذا أخفقنا في تعليمها ؟ ـ كيف نعلمها ؟ : الأستاذ محمد عرفة ... ...
٨٣٣ الاسلام والفنون الجميلة ... : الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق
٨٣٥ منهج البحث الاجتماعي . . : الأستاذ إميل دوركايم ... بقلم الأديب أحمد أبو زيد ...
٨٣٨ الزهرة اليتيمة [قصيدة] : الأستاذ أحمد الصافي النجفي ...
٨٣٨ من شعر الأطفال « . : الأستاذ على متولى صلاح ...
٨٣٩ (١) شعراء المهجر ... (٢) شاعرية العقاد . ... (٣) رباعيات الخيام . ... : الأستاذ محمود البيطة ... ...
٨٤٠ تعليم الانشاء في المدرسة الثانوية : الأستاذ محمد مختار يونس ...
٨٤٠ إيضاح .. .. : الأستاذ أحمد فتحي القاضي

المقترحون والمؤلفون

للأستاذ عباس محمود العقاد

بين جمهرة القراء في اللغة العربية طائفة لا ترضى عن شيء ولا تكف عن اقتراح ، ولا تزال تحسب أنها تفرض الواجبات على الكتاب والمؤلفين ، وليس عليها واجب تفرضه على نفسها

إن كتبت في السياسة قالوا : ولم لا تكتب في الأدب ؟

وإن كتبت في الأدب قالوا : ولم لا تكتب في القصة ؟

وإن كتبت في القصة قالوا : ولم لا تكتب للمسرح أو للصور المتحركة ؟

وإن كتبت للمسرح والصور المتحركة قالوا : ولم لا تحيي لنا تاريخنا القديم ، ونحن في حاجة إلى إحياء ذلك التراث ؟

وإن أحييت ذلك التراث قالوا : دعنا بالله من هـذا وانظر إلى تاريخنا الحديث فنحن أحق الناس بالكتابة فيه

وإن جمعت هـذه الأغراض كلها قالوا لك : والقطن ؟ وشؤون القرض الجديد ؟ ومسائل العمال ، ورؤوس الأموال ؟ وكل شيء إلا الذي تكتب لهم فيه

وقد شبهت هذه الطائفة مرة بالطفل المدلل الممعود : يطلب كل طعام إلا الذي على المائدة ، فهو وحده الطعام المرفوض

إن قدمت له اللحم طلب السمك ، وإن قدمت له الفاكهة

طلب الحلوى ، وإن قدمت له صنفاً من الحلوى رفضه وطلب الصنف الآخر ، وإن جمعت له بين هذه الأصناف تركها جميعاً وتشوق إلى العدس والفول ، وكل مأكول غير الحاضر المبذول

سر هذا الاشتهاء السقيم فى هذه الطائفة من القراء معروف . سره أن الجمهور القارىء فى بلادنا العربية لم « يتشكل » بعد على النحو الذى تشكلت به الجماهير القارئة فى البلاد الأوربية . وإنما نعد الجمهور القارىء متشكلا إذا وجدت فيه طائفة مستقلة لكل نوع من أنواع القراءة ، وإن ندر ولم يتجاوز المشغولون به المئات .

وسنسمع المقترحات التى لا نهاية لها ، ولا نزال نسمعها كثيراً حتى يتم لنا « التشكيل » المنشود ، وهو غير بعيد

ولسنا لهذا نستغربها كلما سمعناها من حين إلى حين لأنها مفهومة على الوجه الذى قدمناه

ولكن الذى لا نفهمه أن تأتى تلك المقترحات من كاتب نابه يعرف حاجة الأمة العربية إلى كل نوع من أنواع القراءة ، ولا سيما تاريخها القديم مكتوباً على النمط الحديث

فغريب حقاً أن يشير كاتب نابه إلى كتابة الدكتور هيكل وكتابتى عن أبى بكر وعمر ؛ فيقول كما قال كاتب المصور : « . . . حسن جداً هذا السباق وقد أجدتما الجرى فى ميدانه ، ولكن هل نسيتما أن أبا بكر وعمر كتب عنهما مائتا كتاب ؟ وأن فى عصرنا الحاضر موضوعات قومية ووطنية وتاريخية ومالية واجتماعية تستحق منكما نظرة ومن قلميكما التفاتة ؟ وأن أكثر طلابنا لا يعرفون عن تاريخ بلادهم الحديث حرفا ، وأن صدر الإسلام بحمد الله قد وفاه أئمته وأدباؤه وشعراؤه من العرب حقه فلم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا وفوها وشرحوها وفصلوها ، وبقى تاريخ مصر الحديث والقديم بغير بحث ولا تحليل ؟ ... »

***

غريب هذا الرأى من « المسئولين » كما نسميهم فى لغة السياسة وإن لم يكن غريباً من غير المسئولين

وتتم غرابته لأنه يجمع من الأخطاء فى بضعة أسطر ما يقدر أن يجتمع منها فى صفحات

فبالأمس سمعنا دعوة إلى انفراد كل جنس بالكتابة عن جنسه ، فلا يكتب عن المرأة إلا المرأة ، ولا عن الرجل إلا الرجل ، ولا يسمح للرجال أن يكتبوا عن الحوادث التى تدور وقائعها بين الرجال والنساء

واليوم نسمع دعوة أخرى إلى انفراد كل جيل بالكتابة عن جيله الذى يعيش فيه ولا يتعداه إلى جيل آخر ، فلا يسمح لنا نحن أبناء العصر الحاضر أن نكتب عن شىء يتجاوز القرن التاسع عشر راجعاً أو القرن العشرين متقدماً إلى الأمام

رأى غريب لو صحت مقدماته وأسبابه

وإنه لأمعن فى الغرابة حين نرجع إلى المقدمات والأسباب فلا نرى مقدمة منها أو سبباً يقوم على ركن صحيح

إذ ليس بصحيح أن أبا بكر وعمر قد كتب عنهما مائتا كتاب إلى الآن ، لأن الذى كتب عنهما إنما كتب عن الحوادث والأخبار فى عصرهما ، وهو مع ذلك لا يزيد على أصابع اليدين

أما « الصورة النفسية » التى تصور لنا كلا منهما على حقيقته الإنسانية فلم توصف قط قبل هذا الجيل . ومتى وصفت صورة نفسية عن إنسان فى زمن من الأزمان فهى صورة عصرية تهم الإنسان حيث كان من أول الزمن إلى آخر الزمان

بل الواجب المفروض على كل أمة تنبث إلى الحياة أن تجدد فهم تاريخها وتعقد الصلات الوثيقة ما بينه وبينها ، ولا تقتصر على فهمه كما كانوا يفهمونه قبل مئات السنين

وعلى أنه لو صح أن المصنفات التى كتبت عن عظماء التاريخ العربى فيها الكفاية التى تغنى عن المزيد من التصنيف والتصوير فليس فى ذلك حجة تتجه إلينا وتسوغ الملامة علينا

لأننا لم نترك جيلنا الحاضر معرضين عن أبطاله وزعمائه وأصحاب الأثر فى حياته القومية والوطنية ؛ بل كتبنا عن « سعد زغلول » مجلداً ضخماً يساير الحركة الوطنية من الثورة العرابية إلى اليوم الذى تمت كتابته فيه ، وساهمنا بحصتنا فى هذا الباب إن كانت هناك حصة مفروضة على كل كاتب فى موضوع من الموضوعات .

***

ولكننا فى الواقع لا نعتقد أن هناك واجباً مفروضاً على الكاتب غير الإجادة فى موضوعه الذى يتناوله كائناً ما كان

وليس هناك موضوع يكتب كتابة حسنة ثم لا يستحق أن يقرأ ولا يفيد إذا قرئ قراءة حسنة

فالبطل القديم الذى يدرس على الوجه الصحيح هو موضوع جديد فى كل عصر من العصور

والبطل الحديث الذى يساء درسه خسارة على القارئ والكاتب والبطل المكتوب عنه ؛ لأن العبرة بتناول الموضوع لا بالموضوع . والعبرة بأسلوب العصر الذى تتوخاه وليست بالسنة التى يدور عليها الكلام

فالكتابة عن سنة ١٩٤٣ بأسلوب عتيق هى موضوع عتيق . والكتابة عن آدم وحواء بأحدث الأساليب العلمية أو النقدية هى موضوع الساعة الذى لا يبلى

وأولى من الاقتراح على الكتاب أن نقترح على القراء أن يقرأوا كل ما ينفعهم كيفما اختلفت موضوعاته ، لا أن نشجع « الولد المدلل الممعود » على رفض كل ما على المائدة وطلب كل ما عداه .

***

وقد قال الكاتب النابه فى ختام كلمته : « سلوا الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى كيف راجت كتبه أدبياً ومعنوياً ومادياً وكيف انتفع بها النشء الحديث فى دنيا تأليف مصرية صميمة كلها قحط وجدب وإملاق »

وقد يهم القارئ من هذا أننا نفرى بالرواج للكتابة فى الموضوعات التى اختارها الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى بك

ولا شك عندنا فى أن الرافعى بك لم يكتب فى هذه الموضوعات لرواجها ، ولكنه كتب فيها لأنها تروقه ويحسنها . ومهما يكن من رواج الكتب فى مصر ، فإن المحامى الذى يبلغ فى عالم المحاماة مكانة الرافعى بك يكسب من قضاياه أضعاف ما يكسبه من كتبه ، ولا يحتاج فى دراسة مائة قضية إلى الوقت الذى يشغله بمراجعة المصادر التاريخية لكتاب واحد

وكذلك نحن لم نؤلف « عبقرية محمد » لرواجه لأننا طبعنا منه فى الطبعة الأولى أقل مما طبعناه من كتب أخرى ألفناها ، ولم يكن فى وسعنا بداهة أن نعدل عن تأليفه إذا لم تنفد الطبعة الأولى بعد أسابيع معدودة !

وإننا لنعرف موضوعات شتى يقبل عليها عشرات الألوف من القراء وتستغنى عن الإعلانات والترويج

فرواية من الروايات المكشوفة تترجم أو تؤلف قد تطبع منها عشرات الألوف وقد تباع للصور المتحركة وقد تستهوى من القراء والقارئات من ليس يستهويهم تاريخ أمة أو سيرة عظيم ...

وهذه الروايات أسهل فى تأليفها أو ترجمتها من الكتب التى تراجع من أجلها المصادر الكثيرة بين عربية وأوربية ولا تخلو من عنت فى التمحيص والتحضير

ولكننا نعدل عنها إلى الموضوعات التى هى أصعب منها وأقل رواجاً بين قرائنا

بل نعدل عنها ونحن نعلم أن المدجلين بالروايات المكشوفة يسوقونها مساق الفتوح العصرية والجرأة الفكرية ويعدونها من دلائل النزعة الحديثة والنهضة المقبلة والتحرر من التراث العتيق والطلاقة من القيود ، وإننا لا نسلم من اتهام هؤلاء الأدعياء لنا بالجمود أو مصانعة الجامدين إذ نكتب فى سيرة الصديق والفاروق

فلو كان الرواج مغرياً لنا لكانت الكتابة فى هذه الأغراض المقبولة أولى وأجدى

ولو كان الرواج مغرياً لنا لما حاربنا المذاهب التى وراءها دول ضخام تكافئ من يدعو إليها ويبشر بأناجيلها . ولا نظن أن الكاتب النابه ينكر علينا أن تلك الدول تعرف قيم الأقلام التى تستخدمها فى دعوتها وتحب أن تستخدم منها ما ينفعها

فنحن نكتب ما نريده ولا يعنينا أن يروج أو لا يروج . وواجبنا الذى نلتزمه فى الكتابة — ولا نعرف واجباً غيره — هو أن نعنى بالموضوع الذى نتصدى له ونحس القدرة عليه

ولسنا نقترح على الكاتب النابه أن يعدل عن اقتراحه إذا كان مؤمناً بصوابه ؛ ولكننا نقول إننا لو عملنا به لما عدمنا مقترحاً آخر يقول : ما هذه الحوادث اليومية التى تخوضون فيها وقد رأيناها أو سمعنا من رآها ؟ دعوا هذا واكتبوا لنا شيئاً من عجائب المجهول ...

ويومئذ لا تكون حجته أضعف من حجة الكاتب النابه صاحب الاقتراح ؟

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الكتاب هو سر العظمة الأوربية — ماضينا في صحبة الكتاب — الأستاذ المهياوي — بين المدارس والكليات

الكتاب ...

إن الكتاب هو سر العظمة الأوربية ، فما تفوقت أوربا إلا بفضل الحرص على مسايرة الحيوات العقلية في الشرق والغرب ، وما ارتفع رجل في أوربا إلا وهو مزوّد بأصدق وأجود ما صدر في المعقول في القديم والحديث

ويستطيع من يعرف إحدى اللغات الأوربية أن يطّلع على أشهر ما جادت به القرائح في أكثر البلاد ، وهذه حقيقة يعرفها من عاش زمناً في مدينة مثل لندن أو باريس أو برلين

الحق أننا لم نفهم أوربا فهماً صحيحاً ، ولم نعرف السر في حيويتها العارمة ، ولم نلمح من خصائصها غير أطياف

إن أوربا مزوّدة بأزواد عقلية لا تخطر لأكثر الناس في بال ، وقد نعرف غداً أو بعد غد أن المستر تشرشل لم تصرفه مكاره الحرب عن صِلاته بالمكاتب ودور التجليد ، وقد نعرف أنه لم يخرج من بلد إلا وفي يده كتاب ، على كثرة ما زار من البلاد في أعوام الحرب

أوربا المحاربة لا تخيفني ، فقد هزمناها في الحروب الصليبية ، وإنما تخيفني أوربا المفكّرة ، أوربا التي تؤلف وتقرأ وتستفيد في كل وقت ، بلا استثناء وقت الحروب

هل تذكرون كلمة كارليل حين قال إن انجلترا تفضل آثار شكسبير على أقطار الهند ، لو أكرهتها الحوادث على الاكتفاء بأحد هذين المغنمين ؟

تلك هي العقلية الأوربية ، وذلك هو الفهم الذي يمتاز به أولئك الناس

ماضينا في صحبة الكتاب

لنا ماض مجيد حفظه التاريخ ، فقد سبقنا أوربا إلى تمدين الشرق والغرب ، وخلّف أجدادنا آثاراً عجز عن محوها الزمان فكيف ظفروا بذلك الحظ من الخلود ؟

الكتاب هو السرّ في عظمة أجدادنا ، فقد كان فيهم من يحجّ بيت الله وهو يرمى إلى غاية غير أداء فريضة الحج ، كأن يقف في عرفات للسؤال عن كتاب

وعدوان المغول على بغداد لم تُسجّل فظائعه في غير ظاهرة واحدة هي تزويد أسماك دجلة بما كان في بغداد من نفائس المؤلفات

والحريق الذي صاول الفسطاط ستين يوماً لم يذكر المؤرخون من بلائه غير اجتياحه لذخائر المكتبات

وكان المسلمون حين يستنفرون إخوانهم للدفاع عن بلد من بلاد الأندلس يقولون إنه وطن النوابغ من المؤلفين والشعراء .

وحين تفرّق شمل المسلمين في بعض العهود الماضية وجد الناهبون لآثارهم العلمية والأدبية والتشريعية ما يعمر مئات المكاتب ، وبضمن الزاد النفيس للأفهام والعقول ، بحيث لا تخلو مدينة من آثارهم الجياد

إن أساس المدنية يرتكز على العلم في جميع العصور ، حتى عصور الظلم والاستبداد ، ألم تروا أن مغامرات هتلر أوحى بها كتاب ؟

إن المدافع والطيارات والأساطيل ليست إلا تعابير عن جانب من طغيان القوة الفكرية ، كما أن الآداب والفنون تعابير عن جانب من ذلك الطغيان

لا تسمعوا لمن يثبطونكم عن الحياة الفكرية ، بحجة أن هذا الزمن ليس زمن الفكر وإنما هو زمن القوة ، فالفكر هو المصدر لكل قوة ، ولو تمثلت في أبشع الألوان

ومصر تتمتع اليوم بسمعة طيبة من الناحية الفكرية ، وهي تدعوكم إلى مواصلة الجهاد العلمي والأدبي ، لتصلوا بها إلى ما تسمو إليه من العزة بين كبار الشعوب

أنا لا أكتفي بأن يكون حظ مصر من المجد القديم هو الأستاذية لفلاسفة اليونان في التاريخ القديم ، وأكره أن يكون حظ مصر في العهد الإسلامي مقصوراً على رعايتها للحضارة الإسلامية بعد سقوط بغداد

انظروا إلى الأمام ولا تنظروا إلى الوراء ، فالفكر من حظ مصر فى جميع العهود ، وسيكون لهـا فى المستقبل تاريخ يفوق جميع التواريخ ، وستعرفون صدق هذه النبُوءة بعد حين .

الأستاذ محمد الههياوى

فُجِع الأدب وفجعت الوطنية فى رجل كان من الأعلام بين رجال الأدب ورجال الوطنية ، وهو أخونا الأستاذ محمد الههياوى ، على روحه ألف تحية وألف سلام

مات الههياوى بعد أن كافح فى سبيل الأدب وفى سبيل الوطن أعواماً نيّفتْ على الثلاثين . والذين عرفوا الههياوى كما عرفته يؤمنون بأنه كان قوة وطنية وأدبية قليلة الأمثال

نشأ الههياوى نشأة أزهرية — وكان أبوه من كبار العلماء بالأزهر الشريف — ولكنه تمرد على الأزهر فى وقتٍ مبكر ، وانطلق إلى ميدان الحياة الأدبية والوطنية بقوة وعنف ، ومضى يصاول ذات اليمين وذات الشمال ، إلى أن ظفر من قلوب عارفيه بمنزلة لا يظفر بمثلها إلا كرام الكاتبين

يجب أن نقول كلمة الحق فى الأستاذ الههياوى ، بعد أن رأينا أنه لم يُرثَ إلا بكلمات قصار لا تَنقل من شمائله غير ملامح غامضة المعانى ، وبعد أن رأينا أصدقاءه يمتنّون على الوفاء بأنهم جازفوا براحتهم فشيعوا جنازته فى عصرية وهاجة القيظ !

كان الههياوى يجدّ فى كل ما يكتب ، وكان جِدُّهُ أثراً من صدق العقيدة فى الأدب والوطنية والدين ، وكان مع جده الصارم غاية فى حلاوة الدعابة ، فهو المنشئ لأكثر دعابات « الكشكول » يوم كان لمجلة الكشكول سلطان

وفى الأعوام التى اشتد فيها الخلاف بين الحزب الوطنى والوفد المصرى كان الههياوى أخطر كاتب نافح عن الحزب الوطنى ، وقد أبلى بلاء حسناً فى مقاومة « مشروع ملنر » ، ولم يتركه إلا بعد أن مزقه كل ممزق ، ومجموعة « جريدة الأمة » تشهد بصدق ما نقول .

اشترك الههياوى فى تحرير كثير من الجرائد والمجلات ، وكتب فى الجد وفى الهزل ، ولكنه فى جميع أحواله كان قوى النطق ، متين الأسلوب

وكان الههياوى شاعراً من الطراز الجيد ، ولو جُمعت قصائده الجدية لكان من مجموعها ديوان نفيس . أما قصائده الهزلية فهى غاية فى اللطافة ، وكانت توقع باسم « الشاعر إياه » فى مجلة الكشكول

وإذا كان الرجوع إلى الجرائد القديمة يُتعب من يريد معرفة القيمة الصحيحة لهذا الكاتب ، فأنا أوصى بمراجعة كتاب « الطبع فى الشعر » وقد نشرته « مكتبة النهضة » ، وهو كتاب يشهد لمؤلفه بالبراعة الفائقة فى شرح الدقائق من أسرار البيان

وللههياوى كتاب اسمه « مصر فى ثلثى قرن » ، وهو كتاب يصور آمال مصر وآلامها فى العصر الحديث ، وفيه وثبات من الفكر ، وبوارق من الخيال

وقالت انجلترا بعد رفع الحماية « الكلمة الآن لمصر » فنشر الههياوى رسالة بعنوان :

« الكلمة لمصر ، ولكن ليس لمصر أن تتكلم »

وهى رسالة شرح فيها ما كانت تعانى مصر بسبب الاحتلال

وكان المنفلوطى هدفاً للناقدين فى أوج شهرته الأدبية ، ولكن الههياوى تفرّد برسالة طريفة سماها « قصص المنفلوطى » وسيكون لها مكان حين يؤرخ النقد الأدبى فى هذا الجيل

وأول كتاب نشره الههياوى هو « الفرائد » وهو مجموعة ما كتب فى مطالع صباه ، ولو رجعنا إليه لرأيناه على سذاجته صوراً تشهد بحيوية الإحساس ويقظة الوجدان

أخى الأستاذ الههياوى

أفى الحق أنك مت وأنى لن أجدك إن حاولت أن أراك ؟

لا يُتعبنى أن أتحيز لك فأختلق محاسن لم تكن فيك ، وإنما يتعبنى أن أبرز محاسنك الأصيلة على الوجه اللائق بمكانها الرفيع

أفى الحق أننا لن نلتقى فى الدنيا مرة ثانية ، ولن نقضى أياماً كالأيام التى قضيناها فى سنتريس بين الزهر والقمر والماء ؟ أفى الحق أننا لن نتصاول بالمقول كما كنا نصنع عند التلاقى ؟

تلك أيامٌ خلَتْ ، ولن تعود ، فعليك وعليها تحية الشوق الذى لا يموت

لو رأيت فيك ما يعاب لخفّ حزنى عليك ، ولكنى لم أرك

إلا روحاً أرق من الزهر وأقسى من الزمان ، وتلك هى الخصيصة الأساسية لأحرار الرجال

كنا صديقين ، وكنت أنت الأكرم والأطيب ، فكيف أجزيك وقد ضاعت فرص الجزاء ؟

وهل تنتفع بكلمة فى رثائك وقد مضيت إلى نعيم لا يعادله نعيم ؟

إن موتك دليل على خلود الروح ، فما يجوز فى نظر العقل أن تكون نهايتك هى النهاية ، وقد قضيت حياتك فى شقاء بسبب الحرص على صدق الوطنية وصدق اليقين

هل تعرف « هيبا » أنك نقشت اسمها على جبين الزمان ؟ وهل تعرف « مصر » أنها فُجعت فيك ؟ وهل تعرف قيثارة الشعر أنها فقدت وتراً كان غاية فى حنان الرنين ؟

هذا ما أملك فى رثائك ، أيها الصديق الغالى ، وهو أقل مما يجب لك ، وعلىّ عهد الله أن أشيد بذكراك إلى آخر الزمان

بين المدارس والكليات

بدت فى هذا العام ظاهرة تستحق التسجيل ، لأنها لم تقع من قبل ، وهى تأخر المدارس عن الكليات فى العودة إلى استئناف الجهاد . ومحاربة الجهل أشرف ضروب الجهاد

أيكون ذلك لأن الطلبة أقوى من التلاميذ ؟ أيكون ذلك لأن الأساتذة أحرص من المدرسين ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما هى فرصة أتاحها القدر لنعرف كيف أسرفنا فى استعجال الناشئين إلى ساحات النضال

الطالب فى الكلية غير التلميذ فى المدرسة ، فالأول جاز دور التكوين الجسمانى ، فعليه أن يحمل الواجب فى صدره وإن كان فى إجازة رسمية . أما التلميذ فلا يزال جسمه فى دور التكوين ، وراحته من متاعب الدرس تعود عليه بالنفع الجزيل

الطالب يعود إلى الكلية وهو على بينة مما سيدرس ، فهو يعود جذلان ، أما التلميذ فيجهل ما سيعانى من مصاعب الدروس ، لأنه تلميذ ، والمنهاج يُفرض فرضاً على التلاميذ

والأستاذ بالكلية غير المدرس بالمدرسة ، فالأول يضع بنفسه موضوعات الدروس كما يشاء ، وفى حدود ما يطيق ، أما الثانى فيواجه موضوعات يوجبها « الجدول » ، وقد يكون فيها ما ألقاه بالنص والفص عدداً من السنين

أما بعد فاذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد النص على أن الإجازات ليست من الأوقات الضوائع ، كما يتوهم بعض الناس ، وإنما هى مواسم لتكوين الأبدان والأرواح والأحاسيس ، وتلاميذ المدارس أحوج إليها من طلبة الكليات ، وما وقع فى هذه السنة وقع بالمصادفة ، ولكنى أحب أن يكون واجباً نراعيه فى الأعوام المقبلات

هل تذكرون أن إجازات المدارس الأولية زادت فى هذا العام عن ثلاثة أشهر ، وأن ناساً عدّوها ترفقاً خرج عن الحدود ؟

أنتم تذكرون هذا ، ولكنكم تنسون أن الأطفال بالمدارس الأولية كانوا يعودون إلى الدروس في شهر أغسطس وهو « آب ، اللهاب » ، كما يسميه أهل الشام والعراق

ترفقوا قليلا بالأطفال ، واذكروا أنهم فى عهد التكوين ، وأن راحتهم من الدروس غذاء يفوق كل غذاء

ثم ماذا ؟ ثم انتهز الفرصة فأتحدث عن مشكلة تعانيها المدارس ولا تعانيها الكليات ، وسأفصّل حديثها بدون إسهاب :

هذا مدرس عينته الحكومة بمدرسة ابتدائية وفرضت عليه أن يلقى أربعة وعشرين درساً فى الأسبوع ، فاحتمل العبء راضياً لا كارهاً لأنه فى عنفوان الشباب

وهذا المدرس نفسه ظل يخدم العلم بالمدارس الابتدائية إلى أن شارف التاسعة والخمسين ، فكيف يجوز أن يحمل من أعباء الدروس ما كان يحمل قبل أن يصل إلى الثلاثين ؟

عليه أن يحتمل أو يعتزل ، فالمدارس تعرف التلاميذ ولا تعرف المدرسين ، لأن نتائج الامتحان هى العنوان ! ولو أنها خففت العبء عن المدرس الذي تقدمت به السن لقدّم لها منافع تفوق الحدود

المدرسة الفلانية هى أولى المدارس ، لأن تلاميذها بلغوا حدود التفوق ، ولم تكن أولى المدارس لأن مدرسيها ظلوا من نكد العيش فى أمان

التلميذ هو المقصود بالعطف والرعاية ، أما المدرس فهو جلمود لا يجوز عليه الإفضال

هو مدرس ، ومهنة التدريس « مهنة بلا مجد » فليصبر كارهاً على جدول كان يطيقه قبل الثلاثين ، وليقل « راضياً » إنه يطيقه فى التاسعة والخمسين !

إلى من نوجه القول ؟

على مكتب رئيس التحرير

للأستاذ دريني خشبة

كان ذلك فى العشرة الأواخر من رمضان الماضى ...

وكانت الساعة الثانية تكاد تنتصف ... تلك الساعة التى يهمد فيها الجسم ، ويخمد الذهن ، وتفتر الأعصاب ، ويستعد فيها الموظفون فى جميع دواوين الحكومة للانصراف

وكنت قد انتهزت فرصة وجود مجموعة من الأدباء المعروفين جاءوا لزيارتنا فأثرت موضوع الشعر المرسل Blank Verse ... وكان الحوار قد استحر برغم همود الأجسام وخمود الأذهان وفتور الأعصاب ، فهذا يرى أنه قد آن الأوان لإدخال هذا اللون من ألوان الشعر فى القريض العربى ، وذاك يستنكره ويضيق به ، وهذا يعرف ما له من الخطر فى آداب اللغات الأوربية ولا سيما فى نظم الملحمة والدرامة والقصة ، إلا أنه لا يتصور كيف يمكن إجرائه على الشعر العربى الذى تتحكم فيه القافية هذا التحكم السخيف الذى اختص به من دون أشعار العالم

ثم دعيت إلى التليفون فجأة ، وإذا أخى محمد ... مدير إدارة الرسالة يدعونى إلى الدار لكتابة مقال لأحد العددين اللذين يطبعان قبل العيد دفعة واحدة ... فقلت له : ولماذا أحضر إلى الدار ولم أتعود الكتابة خارج منزلى ؟ فذكر لى : إن هذا هو ما أشار به الأستاذ رئيس التحرير . ثم أردف هذا بأنه ينبغى أن يُفرغ من طبع العدد كله مساء ذلك اليوم ، ولذلك (فيجب) أن يبدأ الطبع فى تمام الساعة الرابعة ... أى بعد ساعتين ... والأستاذ فى المنصورة (على فكرة !)

فتبسمت ، وقلت له ... إذن ، سأحضر !

ولم يعد فى ذهنى منذ هذه اللحظة أثر للشعر المرسل ، ولا للشعر الحر ، ولا لتلك الفروق الواسعة بين الشعر المرسل والشعر الحر ... بل نسيت موضوع الشعر كله ... بل نسيت زائرىّ الأفاضل ، وإن كنت قد وضعت ذراعى فى ذراع واحد منهم ، ثم توجهت معه إلى الرسالة ... سيراً على الأقدام ... !

وكان صديقى هذا هو السبب فى إثارة موضوع الشعر المرسل ، فكان يحاول وصل الحوار فى الطريق ، ولكن هيهات ... ! لقد كنت عنه وعن الشعر المرسل فى شغل ... وكان أهم ما يشغلنى هو الموضوع الذى تسهل الكتابة عنه فى رمضان ، وفى مثل هذا الوقت من النهار ، وفى مثل حالتى من التعب وخمود الذهن وفتور الأعصاب ، ... ثم ... فى ساعة ... ساعة واحدة ! وأين ؟ بعيداً عن الغرفة الهادئة التى تشرف على حدائق شبرا الغناء وحقولها الفيحاء ، والتى تعودت أن أكتب فيها فى سهولة ويسر ، وفى غير مشقة أو عناء ...

وكنت كلما صرفت صديقى عن موضوع الشعر المرسل أبى إلا أن يعود إليه ... فقلت : إذن أشغله بما يشغلنى ، وأشركه فى البحث عن الموضوع الذى تسهل الكتابة فيه بالرغم مما يحدق به من تلك الظروف ... فقلت له :

إفرض يا صديقى العزيز أنك عدت تلميذاً فى المدارس الثانوية ، لا طالباً فى الجامعة . . . أو افرض أنك رأيت هذا فيما يرى النائم ، وأنك تجلس الآن — أى فى المنام — فى لجنة الامتحان لشهادة الثقافة مثلا ... مثلا ... وأنك تسلمت ورقة

توجهه إلى المراقبين بوزارة المعارف وقد اكتوت أيديهم بالتعليم ، ولطف الله بهم فلم يرهقهم بالجدول الكامل إلى أن يشارفوا سنّ المعاش

إنى أنظر إلى أولئك المراقبين بعين الاحترام ، لماضيهم الجميل فى خدمة النهضة التعليمية ، ولكنى أعجب من سكوتهم عن مشكلة لا يجوز فيها السكوت ، وهى اختلاف القدرة البشرية باختلاف الأسنان

ثم ماذا ؟ هذا مدرس قاتلَ المتاعب حتى انتصر ، فبلغ الستين وهو بعافية ، فكيف يحال إلى المعاش ليعانى الفاقة فى أعوامه الباقية ؟

أما بعد — وقد تعبت من أما بعد — فهذه ملاحظات أقدمها إلى معالى وزير المعارف ، راجياً أن تظفر من اهتمامه بما هى له أهل ، مع الاعتراف بأن مهنتنا قامت على أساس التضحية ، وأن حظنا هو أجل الحظوظ فى أسوأ الفروض

وهل يشكو من يستطيع القول بأن له تلاميذ هم الدرة الثالية فى تاج الوجود ؟

زكى مبارك

أسئلة اللغة العربية ، فوجدت في رأسها فى المكان المخصص لأسئلة الإنشاء هـذا السؤال : إختر موضوعاً من عندك يتعلق بمشكلة اجتماعية من مشكلات هذا العصر واكتب فيه من ثلاثين إلى أربعين سطراً (بشرط ألا تتعرضْ للأحزاب المصرية بخير أو شر !) فماذا عسيت كنت تختار ؟

وافتر صديقى عن ابتسامة خبيثة طويلة عريضة وقال : كنت أكتب عن الشعر المرسل !

فقلت له : وهل للشعر المرسل علاقة بالمشكلات الاجتماعية الحاضرة ؟ أتريد أن تشق علىّ أو تشق صدرى يا أخى ؟

فقال لى وهو ما يزال محتفظاً بفمه الهائل بابتسامته الصائمة الظامئة الجائعة : كلا ... ولكنه الموضوع الوحيد الذى أستطيع أن أكتب عنه بحرية مطلقة ، دون أن أتعرض للأحزاب المصرية بخير أو بشر !

وكنا قد بلغنا دار الرسالة فلم أرد عليه ؛ فلما صعدنا إلى الإدارة استأذنته فى ساعة أغيب عنه طوالها بعد أن شغلته بكتاب رجوت أن يتلهى به عن الشعر المرسل ... ولم يفته أن يسألنى فيم أصرف تلك الساعة من هذه الظهيرة القائظة ، فتبسمت ابتسامة أطول من ابتسامته وأعرض ، وأشد جوعا وظمأ ، ثم قلت له : حيث أجيب عن السؤال الأول من أسئلة الإنشاء فى امتحان الثقافة يا صديقى ، وسأجتهد ألا أخرج عن الموضوع كما خرجت ... وسأجيب فى اليقظة لا فى المنام !

ولست أفهم هل فطن أخى هذا إلى ما عنيت ، ولكنى فهمت من أخى محمد أننى سأجلس لكتابة المقال على مكتب الأستاذ رئيس التحرير !

عند ذلك تعاظمنى الأمر جداً ، ونظرت إلى مكتب الأستاذ رئيس التحرير نظرة عمقها خمس وعشرون سنة ، وطولها حياة مليئة بالذكريات ، وعرضها دنيا من الأدب والعلم والتلمذة ...

أجل يا صديقى القارىء ...

فلقد كنت تلميذاً للأستاذ الزيات منذ نحو من ربع قرن ! وكنت قبل أن ألقاه فى المدرسة قد اتصلت به عن طريق كتبه قبل ذلك ... فلقد أعطانى ابن عم لى قصة « آلام فرتر » لأقرأها ... أو لأحفظها ... كما أعطانى صديق آخر كتاب « تاريخ الأدب العربى » ليكون لى نبراساً فى مطالعاتى ... فى دنيا هذا الأدب ... ومنذ ذلك العهد وصلتى بالزيات أقوى صلاتى بالناس جميعاً ، ولا أذكر أن الزيات كتب كلمة أو خط حرفا أو أصدر كتاباً لم أفتنه ولم أقرأه ولم أشتغل به

نظرت إلى مكتب رئيس التحرير إذن ، وقد تعاظمنى أمر المقال المطلوب الذى لم أهتد إلى موضوعه بعد ، كما تعاظمنى أن أجلس، أنا التلميذ المتواضع المهذب المؤدب — ولا مؤاخذة ! — إلى ذلك المكتب العتيد ، مكتب الأستاذ العظيم المهذب المؤدِّب ، ذلك المكتب الذى جعلت أحلق فيه مَشْبوها مشدوها ، وأنظر إليه تلك النظرة التى عمقها خمس وعشرون سنة ، وطولها حياة مليئة بالذكريات ، وعرضها دنيا من الأدب والعلم والتلمذة

كان علىّ أن أفرغ من المقـال — الذى لم أهتد إلى موضوعه بعد — فى ساعة ، وقد كان أخى محمد يحسب أنه وقد غلّق علىّ أبواب الحجرة المقدسة ، سيتنزل على الوحى السريع المؤاتى فأدفع إليه بالمقال فى نصف تلك الساعة أو فى ربعها ، وعند ذلك يفرغ هو كما يفرغ عمال المطبعة الذين كانوا يترقبون إجازة العيد بالصبر الذى يصفه البلغاء بأنه صبر فارغ — دون أن أدرى لماذا ؟

كان أخى محمد يُمنى نفسه بهذا كله ، وكان تليفون الرسالة الموجود إلى يسارى فى الحجرة المقدسة يرن فيقدم السيد محمد مسرعاً ليتولى المكالمة ، وكنت أراه يمرّر نظراته فوق الصحيفة التى أعدت للمقال المنشود فيراها لا تزال بيضاء . بيضاء ناصعة . أو بيضاء خاوية ... وكنت أرى نظراته وقد ارتدت إليه حاسرة خاسرة فأرثى له ، ولا أرثى لنفسى ... ولماذا أرثى لنفسى ، وقد كنت أستمتع بلحظات سعيدة هُن من أعظم اللحظات فى حياتى ؟ ألم أكن جالساً أضرب أخماساً لأسداس فوق مكتب أستاذى العظيم ؟ هذا المكتب الذى ربما كتب عليه الزيات فصولاً من كتابه الثمين فى تاريخ الأدب العربى ، أو ترجم فوقه فصلاً أو فصلين أو فصولاً كثيرة من آلام فرتر أو من رفائيل ... أو دبّج عنده خمسين أو ستين من افتتاحياته العجيبة التى جمعها فى وحى الرسالة ولم يهد إلىّ منها نسخة مع ما كان يعرف من مرضى وانقطاعى عن الدنيا إذ ذاك ، ومع أنه أهدى منها إلى

جميع الناس ، بالرغم مما ذكر لى مرة أنه لا يهدى كتبه إلى أحد ... ذكرت ذلك كله واشتغلت به عن موضوع المقـال ، وذكرت إلى ذلك كله عهود الصبا وشرخ الشباب ... أيام أن كان الزيات العظيم آنق معلم مُعَـتَّم في مصر ، والشيخ الذى يفتخر الطلاب بالتأدب عليه والتتلمذ له

بيد أن بعض الحوادث سيطرت على كل تلك الذكريات واستبدت بها ، فقد كان الأستاذ يملى علينا يوماً تمريناً فى البلاغة وكان يملى من ذاكرته دائماً ... فلما أملى بيتىْ جرير المشهورين فى العيون[1] علق عليهما هذا التعليق التقليدى الذى تحشى به كتب الأدب ، من أنهما أحسن ما قيل فى العيون ... وهنا بدا على شىء من الضيق جعلنى أبتسم كالذى يستهزىء بهذا الكلام ، فلما سألنى الزيات ماذا يضحكنى أجبته بصراحة : هذا التعليق الذى تسمع به وبأمثاله كتب الأدب ، فسألنى : ولم ؟ قلت لأننى أحفظ فى وصف العيون شعراً هو فى نظرى أروع من شعر جرير وأنا مع هـذا لا أعده أروع ما قيل فى العيون ، ولا أروع ما ينتظر أن يقال فيها ، فسألنى أن أتلو شيئاً مما أحفظ ، فقلت :

نُجْلٌ تظل حواليها نواظرنا صرعى من الوجد فوق الخد والجيد
لمن إعجاز عيسى إن أردن بنا خيراً وفيهن أسرار المناقيد

وهنا سألنى ، أو أمرنى ، أن أكتبهما على السبورة ، فاعتذرت برداءة خطى الذى يلقى منه عمال مطبعة الرسالة الأمرَّين ، فكتبهما الزيات العظيم بيده ، وكان خطه دقيقاً أنيقاً جيداً كعهده إلى اليوم ، ثم التفت إلىّ وسألنى عن اسم الشاعر صاحب البيتين ، فقلت هما لمسلم بن الوليد ... فقال ، لا ... إننى أحفظ ديوان مسلم ولا أعرف أنه قالهما ... فقلت : هما إذن للعباس بن الأحنف ... فقال : ولا للعباس يا خشبة ... فقلت : هما لى إذن وأنا ناظمهما ... وهنا ثارت فى الفصل عاصفة شديدة من الضحك ، وأصر إخوانى الطلبة على أن يسمعوا القصيدة كلها ، فأبيت ، واستنجدت بالزيات العظيم . فلما سألنى : وما ذا يمنعك ؟ أسررت إليه أن معظم القصيدة فى الأدب المكشوف الذى أستحيى أن أنشده ... فاستطاع حفظه الله أن يصرف شياطين طلبة (الأعدادية !) عنى

ولم تحصل طبعاً موازنة بين ما قلت وما قال جرير الخالد الذى لا يعقل أن يطاوله فتى فى السابعة عشرة من عمره

ومما كانت ذاكرتى تضطرب به اضطراباً شديداً هذا الحادث الذى وقع لى مرة مع أحد أساتذة اللغة العربية بالمدرسة ، فقد كان هذا الأستاذ يدرس لنا الأدب قبل أن يعوضنا الله منه بالأستاذ الزيات ، وقد كنت دائم الاختلاف معه خصوصاً فى كثير من تعبيراته العربية ، وقد ظن الأستاذ أننى أستخف بمحصوله العلمى فرفع الأمر إلى ناظر المدرسة الذى تعجل فانتهرنى على صورة من الصور ... وقد لِنْتُ للناظر ولكن لا على حساب كرامتى ؛ ثم رجوته أن يُحكِّم فى أوجه الخلاف الأستاذ الزيات ... وقد عرفت أنه أخذ باقتراحى ، لأن المدرسة عهدت بعد أسبوع أو نحوه بالفصول (الصغيرة) إلى الأستاذ ، وفوجئنا مفاجأة سارة بدخول الأستاذ الزيات ليدرس لنا مادة الأدب علاوة على المواد العربية الأخرى كلها

وكلفنا الزيات مرة بالكتابة عن المرأة المصرية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها . ثم انتهت الحصة ولم أفرغ من الكتابة بعد وإن كنت قد كتبت اثنتى عشرة صفحة . فلما كانت الحصة التالية تقدمت إلى أستاذى الجليل بكراستين كاملتين فى موضوع المرأة المصرية . ولما سألنى متى كتبت كل هذا (الهراء !) عبست العبوسة الهائلة التى كان لا بد لغرور التلميذ المراهق أن يعبسها ، ثم قلت : ليس ما كتبت هراء ، ولكنه ملخص دعوة قاسم بك أمين ، وما رد به المحافظون والرجعيون عليه ، وعلى رأسهم محمد طلعت حرب بك ... ثم يلى ذلك رأيى ، (أى والله قلت هـذا بالفم المتلىء المتهدج !) بصفتى مصريا أولا وبصفتى مسلماً ثانياً . . . وكنت أحبذ آراء المرحوم قاسم بك فى ذلك الحين إلى حد الجنون ، ولا أرى فيها ما ينافى الدين ولا الكرامة ولا الحشمة . ولكن الزيات تبسم فى هدوء وسكينة ثم قال : لا بأس ، لا بأس ! ولكن ابحث لك عن معلم غيرى يصحح لك كراستين كاملتين فى موضوع واحد . فقلت . . . وهى قولة تفيض كبراً ويكاد يخنقها الغرور : على كل حال لقد كتبت فى الموضوع الذى

(1) إن العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

كافتتنا به ، ولست أرى أن ما كتبت فى حاجة إلى تصحيح (!!)

والدهش أن الزيات — بعد كل هذه الوقاحة — لم يزدد لى إلا محبة ، ولم يجزنى إلا بكل مودة ، ولم يقابلنى إلا بكل رعاية ... مع أننى انتهزت فرصة تفتيش محمد بك الخضرى على المدرسة بعد ذلك بأيام قلائل ، وقدمت له الكراستين مباهياً . . . فشجعنى الرجل عليه رحمة الله بكلمات ، ووعدنى بقراءة موضوعى الطويل ، ورد الكراستين حين يفرغ منهما . وأكبر ظنى أنه لم يفتحهما خارج المدرسة ، لأننى فقدتهما إلى الأبد . . . فيا ترى ! ماذا كنت قد كتبت فيهما ؟!

هذا بعض ما كان يهجس فى رُوعى من ذكريات أستاذى رئيس التحرير الذى كنت أجلس على مكتبه مشتغلاً بماضىّ معه ، عن الموضوع الذى يجب أن أفرغ من كتابته فى نصف ساعة ، وكان النصف الآخر قد مضى فى استعراض هذه الذكريات ...

ثم دخل أخى محمد فجأة لأمر ما من أمور الإدارة ، فلما رأى الصحيفة بيضاء هذه المرة أيضاً ، كآخر عهده بها ، اربدّ وجهه ، وشحب شحوباً شديداً . وكنت قد أخذت أحلم أحلاما أخرى من نوع آخر ، غير أحلامى بالذكريات السالفة ، فقد انتقل خيالى السابح إلى أدب الأستاذ الزيات شكلا وموضوعاً ، وجعلت أستعرض « فرتر » و « رفائيل » استعراضاً هادئاً . فها هو ذا « فرتر » يقبض على مسدسه لينتحر . . . وها هو ذا الدم يتفجر من جبينه بعد أن دوّت تلك الرصاصة الطائشة . . . وها أنذا أبكى — يوم قرأت فرتر لأول مرة بالطبع — متأثراً أشد التأثر . . . ثم ها هى ذى جوليا ، حبيبة رفائيل ، تموت مما بها من مرض ، وها أنذا أتلو على رفاتها قصيدة لامرتين : البحيرة ، ثم قصيدته : الوحدة ، بقلم الأستاذ الزيات ... وبعد ذلك أتذكر وصف الفتى رفائيل ، ذلك الوصف الرائع فى العربية بقلم الزيات ، وفى الفرنسية بقلم لامرتين ، فأزداد انصرافاً عن الموضوع الضائع الذى لم أستطع أن أهتدى إليه بعد ...

ونظرت فرأيت أخى محمداً ما يزال واقفاً أمامى . فقلت له : ما هذه الضجة التى أسمعها فى الشارع ...؟

فقال : العمال ...

فقلت ، وقد خفت أن يكونوا عمال المطبعة : مالهم ؟

فقال : سيتناولون طعام الإفطار على مائدة مولانا !!

فقلت : حفظ الله مولانا ، ومسح الله دموع الفقراء ... عن إذنك يا أخى محمد ... خذ المقال بعد ربع ساعة !

ثم كتبت فى وسط السطر : يا دموع الفقراء !

***

وفرغت مما كتبت فى خمس عشرة دقيقة ، وخرجت فوجدت صديق الشاعر ينتظرنى لنصل ما انقطع من حديثنا عن الشعر المرسل ، فأكلناه على أحسن وجه حتى وصلنا إلى ميدان الملكة فريدة ، ومشينا على الأقدام

دريني خشبة

المشكلات

٨ـ اللغـــة العربية

للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لا أريد أن أضع منهاجاً مفصلاً للطريقة الجديدة لتعليم اللغة العربية ، وإنما أريد أن أضع قواعد مجملة تتبع عند وضع هذا المنهاج ، وهذه مبنية على ما تقدم بحثه .

يجب أن يحذف درس القواعد من التعليم الابتدائى والأولى لأن القواعد كما قلنا لا تكسب ملكة اللغة وإنما هى فلسفة للغة وضوابط ؛ فمن الواجب أن نسعى فى أن نكون للناشئ ملكة اللغة أولاً .

يجب أن نستبدل بالقواعد المطالعة الكثيرة والحفظ الكثير والمحادثة والمحاورة .

ويجب أن يختار للتلاميذ ما يحفظونه بحيث يكون مناسباً لأذهانهم لا يعلو عليها ، وتؤلف لهم محاورات يحفظونها ويتحاورون بها وتكون مما تكثر فى الكلام ويحتاج إليها فى الخطاب .

ويجب أن يعلم أن هذه المحفوظات تحفظ لتكون نموذجاً ذهنياً ليقيس عليه كلامه من حيث لا يدرى فيجب أن يعنى بهذه النماذج فتحفظ صحيحة لا غلط فيها ، ومعربة لا لحن فيها ، فإنه إذا حفظها ملحونة ارتسم النموذج فى ذهنه كذلك ، فنسج على منواله ، وأنفق مما اكتسب . ويجب على المدرس أن يراعى تلاميذه ويعلم موطن الضعف فى لغتهم ويزودهم بما يزيل ضعفهم ، ويقوّم لسانهم ، فإن رأى منهم أنهم يجرون الفاعل فى أحاديثهم فليعلم أنهم بحاجة إلى أن يحفظوا كثيراً من المقطوعات فيها أمثلة كثيرة للفاعل ، وليأخذهم بحفظها صحيحة غير ملحونة .

أما مرحلة التعليم الثانوى فيجب أن يظل التعليم بالحفظ والمطالعة فيها ويزاد عليه قواعد اللغة ، ولكن ليست القواعد التى بين أيدى التلاميذ الآن ، بل القواعد التى سأقدم مشروعها ، والتى تجمع الصدق والوضوح والسهولة .

ويجب ألا تقل العناية بالحفظ والمطالعة فى هذه المرحلة بل يجب أن تزيد ، ويجب كما قلنا أن تؤلف لهم روايات تمثيلية أخلاقية يحفظون أدوارها ويقومون بتمثيلها .

ويجب كما قلنا أيضاً أن يكلف التلاميذ بتنخل دواوين الأدب واختيار أحسن ما يقرؤون ، ثم بحفظ أحسن ما يختارون ، وأن تعطى درجات لمن قام بعمل ذاتى فى أيام العطلة الصيفية فى الحفظ والمطالعة .

أما مرحلة التعليم العالى فهى كمرحلة التعليم الثانوى فى الحفظ والمطالعة والقواعد ، ولكن يجب أن يتعمق فى درس هذه القواعد ، وفى بحث أصولها وفى الموازنة بين مذاهب العلماء فيها

فأما خلق جو عربى فى المدرسة أو فى دروس اللغة العربية خاصة لا يتكلم الطلاب والمدرسون فيه إلا باللغة العربية ، وتكليف التلاميذ بكتابة موضوعات ينشئونها فقد سبقت الإشارة إليها فيجب أن تدخل فى البرنامج الجديد لتعليم اللغة .

وينبغى أن يعلم أن تكليف التلاميذ بموضوعات ينشئونها ليس لغواً فى طريقتنا كما هو لغو فى الطريقة الأولى ، لأن الطريقة الأولى كانت تكلفهم الإنشاء وليست عندهم معان يكتبونها لقلة ما يطالعون وما يحفظون ، وليست عندهم ملكة اللغة العربية — أما فى الطريقة الحديثة فهى تكلفهم الإنشاء وعندهم معان خلقتها المطالعة والحفظ والاطلاع على آراء العلماء ، وهى تكلفهم وقد رسخت فى نفوسهم ملكة اللغة بالحفظ والمطالعة والحديث ، وسيسر ذلك المعلمين ويجعل الدرس لذيذاً لأنهم إذ يصححون كراسات التلاميذ فى الإنشاء لا يطلعون على لغو من القول يقذى العين ويغثى النفس كما كان فى الماضى ؛ بل يطلعون على أقوال لها حرمتها ومكانتها إذ هى بنت المطالعة الكثيرة والدرس الطويل .

ذلك أسلوب نراه كفيلاً بكل ما نريد من رقى لغوى وبيانى لأنه كفيل بتكوين الملكات فى اللغة والبيان ، وبهذه الملكات تفهم اللغة وتتذوق أولاً ، وتفهم أصولها وقواعدها ثانياً ، ونراه كفيلاً أيضاً بامتاع المتعلم وإلذاذه ، وكفيلاً بفائدته وخيره .

فأما إمتاع التعليم بهذه الطريقة فإنها تعلم اللغة بآداب السالفين ، وحكم الماضين ، وبالأشعار البليغة ، والخطب الفصيحة ، وتواريخ الأمم ، وفى كل ذلك غذاء للعقل ، وإرضاء للقلب ، وإمتاع للعاطفة ؛ والمرء يسر ويأنس للخبر الغريب ،

والنادرة الطريفة ، والحكمة النافعة ، والمثل السائر ، والجواب المسكت ، والقول السديد ، والرأى الحميد ، وهذا كله جمل فى الطريقة الحديثة مادة لتعليم اللغة ، يطالع فيه ، ويحفظ منه ، والقول إن كان بليغاً ، والمعانى إذا كانت رائعة أنست بها النفوس ، وهشت لها ، ووجدت فيها المتعة واللذة

وأما الفائدة فأى فائدة أعظم من التأدب بآداب العلماء ، والاطلاع على حكمة الحكماء ، والانتفاع بتجارب ذوى التجارب ، وهذا كله جمل فى طريق تعليم اللغة ، والكلمة الطيبة إذا نزلت بالنفس وعلقت بها واستوثقت منها ، وأيقنت بها ، فإنها تكون هادية ومرشدة ، ينتفع بها المرء فى غدوه ورواحه ، وصبحه ومسائه ، كما قال الله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها »

والمرء ما عاش بحاجة إلى الأدب الذى به تعمر القلوب ، وتزكو النفوس . قال عبد الله بن المقفع : (ولسنا إلى ما يمسك أرماقنا من المأكل والمشرب بأحوج منا إلى ما يثبت عقولنا من الأدب الذى به تفاوت العقول . وليس غذاء الطعام بأسرع فى نبات الجسد من غذاء الأدب فى نبات العقل . ولسنا بالكد فى طلب المتاع الذى يلتمس به دفع الضرر والغلبة بأحق منا بالكد فى طلب العلم الذى يلتمس به صلاح الدين والدنيا ،) وإن المرء قد يفيده الحرف من الأدب ويكون أرد عليه من جيش عرمرم . قال معاوية : لقد رأيتنى وأنا أهم بالفرار يوم صفّين وما يمنعنى إلا قول الشاعر

وقولى كلما جشأت وجاشت ، مكانك تحمدى أو تستريحى

فأين من هذا كله القواعد وليس فيها متعة ولا لذة ، فليست عاطفية حتى تثير العاطفة والوجدان ، وليست عقلية حتى تكون فيها لذة المعقولات لمن اعتاد المعقولات ، إنما اللغة مواضعة واصطلاح ، وقواعد اللغة شرح وتفسير لهذا الاصطلاح ، وليس فيها إلا بعض علل عقلية ، وهذا مغمور وسط علل مدخولة ، وأسباب غير معقولة .

وكما أنها لا تثير لذة ، ولا تبعث متعة ، كذلك لا تحصل منها على فائدة . وما الفائدة منها وهى ليست حكمة ولا مثلاً ولا شرحاً لقانون من قوانين الحياة ، وهى تبعد عن الحياة وتجاربها وعن محيطها الواسع ، وبحرها الجياش المضطرب ، وأن الذى يقرأ كتاباً فى القواعد كالأشمونى أو المطول ، يخرج منه ولم يستفد خبرة بالحياة ، بخلاف من يقرأ كتاباً كالكامل لأبى العباس المبرد ، أو البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ؛ فإنه يخرج منه بحكمة الدهور وعظة الأيام ، ومهما فاته فلن تفوته حكمة أو تجربة ، هى عصارة عصور ، وخلاصة دهور .

وما أظن الأمم الإسلامية منيت بما منيت به ، بعد العز والمنعة والقوة والصولة إلا من شغل علمائها وخاصتها طول عمرهم بكتب القواعد التى لا تكشف إلا عن طرف يسير جداً من هذا الكون الواسع ، أو بالحرى لا تكشف عن شىء إلا عن مواضعة واصطلاح وتفسير لهذه المواضعة وهذا الاصطلاح ، ومن انصرافهم عن هذا الكون الفسيح وعلومه ، وعلل حوادثه وأسبابها ، وشؤون النفوس وخواطرها ، وتزكيتها وتدسيتها

ما هذا الحظ العاثر ! قد جمع لنا المتقدمون أبواب الحكمة وتجارب الحياة ، وكانوا أحرص الناس على حفظها حتى ينتفع بها من بعدهم ، وكان حرياً بنا أن نغترف من هذه الموارد العذبة ، ونستقى من هذا السلسبيل الصافى ، فكان نصيب النافع منا الإعراض والنفور ، ونصيب غيره الإقبال عليه ، والكلف به

أى شىء أنفع وأجدى من حكم أفادها أصحابها بعد التجارب المرة ، والعثار والخيبة ، والتردى والسقوط ، وبعد النيل تارة ، والإخفاق تارات ، وبعد أن ذاقوا حلو الحياة ومرها ، وصفوها وشوبها ، فأفادتهم التجارب علماً ، فجمعوا هذا العلم فى جمل قصيرة ، وحروف قليلة ، لتكون أقل كلفة ، وأيسر مؤونة ، ليسهل حفظها وادخارها إلى وقت الحاجة لينتفع بها

وهنا شىء أرى من الواجب على أن أنبه عليه ، وهو أن اسم الأدب أطلق كذباً وزوراً على تلك الأبيات من النسيب والغزل المذكر والمؤنث ، وعلى وصف الخمر ومجالس الشراب ، وعلى أبيات البطالة والعجز ، وعلى أخبار الفساق والمجان ، فيجب أن يتحرز من هذه ولا تدخل فى مطالعات التلاميذ ومحفوظاتهم لأن تأثيرها على الأخلاق شديد ، وإفسادها للمروءات عظيم ، فكم من مستقيم أخرجه عكوفه على هذا الأدب الزائف عن استقامته ، وكم من جاد همه المعالى وعظائم الأمور صيره هذا الأدب الزائف مسفاً ضئيل الأمل . ولا يصح أن ينكر هذا كله ؛ فإن تأثير القول فى النفوس عظيم ، ونقضه للأسباب المتينة قوى . ويجب إذ آمنا بتأثير الكلمة الصالحة

٥ - الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

ولقد حرم القرآن الكريم الصور المجسمة التي تتخذ للعبادة « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » والأنصاب هي الأصنام التي تعبد من دون الله كما ذهب إلى ذلك المفسرون. أما التصوير باعتباره أحد الفنون الجميلة ، فلم يتعرض له القرآن بشيء بينما تناولته كتب السنة المعروفة بشيء من التفصيل إذ ورد بشأنه نحو مئة وسبعين حديثاً : طائفة منها تنص على لعن المصور ، وطائفة تمنع بيع الصور ، وطائفة تذكر أن أصحاب الصور يوم القيامة يعذبون ، وطائفة تبين إثم من يصنع الصور ، وطائفة تحظر استعمال ثوب فيه تصاوير ، وطائفة تشير إلى أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، وطائفة أباحت تصوير ما ليس فيه روح ، وطائفة رخصت في التصوير على الوسائد وما أشبهها

ويجمع علماء الدين الإسلامي على حرمة الصور المجسمة ما لم تكن صغيرة تتخذ لعباً للأطفال أو ناقصة الخلقة لا تستطيع أن تعيش إن قدر ونفخت فيها الروح . أما الصور المسطحة ، فقد انقسموا حيالها إلى قسمين : قسم يرى حرمتها ، وقسم يرى إباحتها . ويشك المستشرقون في صحة الأحاديث التي تنص على حرمة التصوير ويرون أنها مكذوبة على النبي افتعلها فريق من الفقهاء تحت تأثير اليهود الذين اعتنقوا الإسلام — والتوراة تنهى عن التصوير كما بينا آنفاً — أو ترغيباً في التقشف والبساطة في العيش وتنفيراً من الإقبال على الترف ، أو كراهتهم للتصوير نفسه باعتباره من أسلحة السحر . ويرى هؤلاء المستشرقون تبعاً لذلك أن النبي لم يكره الصور ولم ينه عن اتخاذها ، وأن تحريمها لم يظهر إلا بعد وفاته بنحو قرن ونصف عند ما أخذ الفقهاء يجمعون الأحاديث النبوية

ويقف علماء الآثار من هذا الموضوع موقفين متناقضين : فبعضهم يؤيد المستشرقين فيما ذهبوا إليه ويسوقون الأدلة على ذلك بوجود الصور على النقود التي كان يتعامل بها المسلمون مثل الدولة الأموية ، وعلى السكة التي ضربها الأمويون والعباسيون ، ثم بتلك الصور التي وجدت في بعض أبنية الأمويين والعباسيين والسلاجقة ، وبعضهم يرى أن التصوير كان مكروها في الإسلام

في النفوس أن نؤمن بتأثير الكلمة السيئة فيها أيضاً ؛ فإن المعاني إذا كسيت الألفاظ الرائعة ، والنظم البارع كانت حبيبة إلى كل نفس ، وكانت مداخلها إلى النفوس خفية ، ونقضها للطبائع المحكمة عظيما . ولأمر ما حذر النبي (ص) من كل منافق جهول القلب عليم اللسان .

وإذا دار الأمر بين تعليم اللغة من سبيل هذا الأدب الزائف وجهلها — اخترنا جهلها ، لأنه خير لنا أن نعرب في أفعالنا ونلحن في أقوالنا من أن نعرب في أقوالنا ونلحن في أفعالنا

الآن أشعر بما يشعر به من كان يحمل حملاً ثقيلاً فمشى به أميالاً في صحراء محرقة حتى ارفض عرقاً ، وتقطعت أنفاسه تعباً ، ثم بلغ به مستراحاً ومقيلاً ، فرمى بحمله وجلس بجانبه ، فشعر بالراحة من ذلك الحمل الذي بهظه وأنقض ظهره .

أشعر بذلك لأنه كان حملاً ثقيلاً تلك الأمانة التي أخذ الله على العلماء ألا يدخروا نصحاً ولا يجدوا سبيلاً لرفع أممهم إلا أرشدوهم إليه ، ونبهوهم عليه ، وقد كان يحزننى أن تعلمنى التجارب ما علمتنى من قيمة القواعد في تعليم اللغة ، وضرر الشغل بها عن علوم الحياة ثم أكتمه ولا أبوح به . والآن ولله الحمد قد خرجت من عهدة الكتمان ، فبحت به ، ولم أكتف بالبوح حتى أعلنته ، ولم أكتف بالإعلان حتى دللت عليه . ولم أكتف بالتدليل حتى صرفت القول على وجوه شتى من التزيين والتقبيح والترغيب والتحذير . الآن وضعت الحمل وحمله آخرون .

محمد عرفه

وهذه الكراهية ترجع إلى عصر النبي

والواقع الذى لا شك فيه أن سواد المسلمين من شيمة وسنيين لم ينظروا إلى التصوير نظرة الارتياح؛ ولذلك لم يكن مجالاً لنشاط أغلب فنانيهم . على أن الذين ترخصوا فيه زاولوا رسم الأحياء فى كل العصور الإسلامية تقريباً : فى القرن الثانى بعد الهجرة فى قصير عمرا ، وفى القرن الثالث فى قصور (سر من رأى) ، وفى القرن الرابع فى الحمام الفاطمى بالقاهرة ، وفى القرن الخامس فى مدينة الزهراء ، وفى القرن السادس فى قصر الحمراء ، وفى القرن السابع فى ديار بكر وقونية.



صورة مسطحة على الورق تمثل المعراج القرن العاشر الهجرى
من كتاب الفنون الإيرانية فى العصر الاسلامى للدكتور زكى محمد حسن

وفى هذه الأمثلة التى ذكرناها صور آدمية وحيوانية مسطحة ومجسمة تنطق بأن الفنان المسلم فى هذه الناحية قد أجاد إجادة نسبية بالقياس إلى عصره .

على أن عبقريته الفنية لم تتجل فى هذه الناحية بقدر ما تجلت فى المخطوطات ، فقد شغف المصورون المسلمون بتجميل المخطوطات وتزيين كتب العلم والدين والأدب والتاريخ والصناعة بصور تفسر ما تتضمنه من بحوث وحوادث وما تتناوله من الآلات والحيل الميكانيكية .

فكراهيـة التصوير كان لها أثر بعيد فى الفن الإسلامى إذ كان عاملاً فعـالاً فى نضـوج تلك الزخارف الإسلامية الرائعة التى لم ينتج مثلها فن من الفنون السابقة على الإسلام أو اللاحقة له .

(يتبع) محمد عبد العزيز مرزوق

منهج البحث الاجتماعى

للأستاذ إميل دوركايم

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ثانيا – أبواب علم الاجتماع : العلوم الاجتماعية الجزئية

يميز كونت فى علم الاجتماع بين قسمين : الاجتماع الاستقرارى والاجتماع الديناميكى (التطورى) . ويدرس الاجتماع الاستقرارى statique المجتمع من حيث هو ثابت فى وقت معين من حياته ، ويبحث عن قوانين توازن المجتمعات ؛ فإن الأفراد يحيون فى كل لحظة حياة معينة ، وتقوم بينهم علاقات معينة تكفل التماسك الاجتماعى . ويجب أن يكون هناك نوع من العلاقات المحددة بين جميع مظاهر الحضارة المختلفة فى كل وقت ، بمعنى أن حالةً معينة من العلم مثلاً يتصل بها حالات معينة من الدين والأخلاق والفن والصناعة وما إلى ذلك ؛ فالاجتماع الاستقرارى إذن يبين هذه العلاقات والروابط التى يقوم عليها التماسك الاجتماعى . أما الاجتماع التطورى dynamiques فإنه يدرس المجتمع فى تطوره ويبحث عن قوانين ذلك التطور . ويرى كونت أن هناك قانوناً واحداً للتطور هو « قانون الحالات الثلاث Lois de trois états » ، تمر الإنسانية بمراحلها فى تطورها ؛ والإنسانية تتطور دائماً . وهذه المراحل أو الحالات هى : المرحلة اللاهوتية ، فالمرحلة الميتافيزيقية ، فرحلة العلوم الوضعية . ولما كان علم الاجتماع أعقد العلوم الوضعية كلها فإنه يتناول ، لا مشكلة واحدة فحسب ، بل مشاكل ومسائل مختلفة ومتعددة بتعدد مظاهر الحياة الاجتماعية . فهناك إذن فروع لعلم الاجتماع ، أو علوم اجتماعية جزئية بمقدار تلك المظاهر المختلفة للظاهرات الاجتماعية التى لم تحص بعد . ويرى دوركايم أن من سبق الوقت أن نضع تصنيفاً منهجياً للظاهرات الاجتماعية لتعقدها وتعددها ، ولكن من الممكن ، فى نظره ، أن نبين بشكل ما الأقسام الرئيسية التى ينقسم إليها علم الاجتماع

إن أول ما يتوجه إليه نظر الاجتماعى هو المجتمع من ناحيته الخارجية ، فيظهر له أنه تكون من كتلة من السكان لها عدد معين وكثافة معينة ، وتسكن أرضاً معينة تتوزع عليها بشكل معين ، وتربطه بما حوله من المجتمعات علاقات وصلات وروابط معينة ، وفيه طرق مواصلات تفرضها طبيعة الأرض ، وهكذا . ولا شك أن ذلك كله من العوامل العامة التى لها أثرها فى الحياة الاجتماعية ، بل إنها أساس تلك الحياة . فكما أن الحياة النفسية فى الفرد تتغير تبعاً للبناء التشريحى المخ ، كذلك تختلف الظاهرات الاجتماعية حسب اختلاف البناء الاجتماعى . فلا بد إذن من وجود علم اجتماعى يكون بمثابة علم التشريح ، ويدرس التكوين المادى الخارجى للمجتمع . هذا العلم هو ما يسميه دوركايم « بالمورفولوجيا الاجتماعية » (أو علم تركيب المجتمع) La morphologie sociale ولا تصف المورفولوجيا الاجتماعية المجتمع وتركيبه فحسب ، بل تحاول تفسير ما تراه ، فتفسر مثلاً سبب تجمع السكان فى موضع دون آخر ، وهل التجمع يكون فى المدن أكثر منه فى الريف أو العكس وسبب ذلك ، وتبين سبب نشأة المدن الكبرى وهكذا . فهى أشبه شىء بالجغرافية البشرية ... وواضح من ذلك أن هذا العلم الجزئى يعالج بدون موضوعات ومشاكل مختلفة ومتعددة

ولئن كانت المورفولوجيا الاجتماعية تدرس الهيكل المادى الخارجى للحياة الاجتماعية ، فإن هناك علماً آخر يدرس هذه الحياة نفسها ، وهو ما يسمى بعلم الوظائف الاجتماعية (أو النظم الاجتماعية) la physiologie sociale ، وهذا العلم معقد أيضاً أشد تعقيد ومركب من عدة علوم جزئية مختلفة

فهناك أولا المتقدات والنظم والشعائر الدينية . والدين ظاهرة اجتماعية لا يمكن أن تتمثل إلا فى مجتمع ، وتدعمه جماعة أو هيئة لها أصول ومراسيم تسير عليها دائماً ؛ وهذه الهيئة هى الكنيسة فى أوربا . وكثيراً ما يتدخل الدين فى السياسة ويتصل اتصالاً قوياً بالسلطة السياسية . وللدين – ويدخل فى ذلك الخرافات والأساطير وما شابهها عند البدائيين – سيطرة قوية على النفوس ، ولا بد للمجتمع أن يحترمه ويخضع له . ويرى دوركايم أن دراسة الدين هى أهم ناحية فى دراسة المجتمع ، وهى تكوّن ما يسمى بالاجتماع الدينى La sociologie relegieuse. ثم هناك الأخلاق والعادات ، وهى أيضاً ظاهرة اجتماعية هامة ، فلا يمكن تصور إنسان أخلاقي يحيا وحده ، إنما تنشأ الأخلاق من اتصال الناس وتتعلق بمعاملات بعضهم لبعض فى المجتمعات ؛

وفرع علم الاجتماع الذى يدرس الأخلاق هو الاجتماع الأخلاقى sociologie morale . ويتصل بالاجتماع الأخلاقي فرع آخر هو الاجتماع القانونى sociologie juridique ، وهو يدرس النظم التشريعية ، والقانون الذى يتصل أشد الاتصال بالحياة الاجتماعية وينظمها ، ويحدد أفراد المجتمع . وهناك أيضاً النظم ويدرسها الاجتماع الاقتصادى sociologie économique ، وهو يبحث كل ما يتعلق بالإنتاج والمبادلة والثروات والتوزيع . هذه هى الفروع الرئيسية ؛ ولكن هناك علمين جزئيين آخرين هما الاجتماع اللغوى sociologie linguistique الذى يدرس اللغة من حيث هى ظاهرة اجتماعية تعتمد في وجودها على وجود مجتمع ما بين أفراده معاملات وصلات ، ومن حيث هى تحمل خصائص المجتمع الذى توجد فيه ، بحيث يمكن الاستدلال من اقتراب اللغات على اقتراب الشعوب . ثم أخيراً هناك الاجتماع الجمالى sociologie esthétique ، وهو يدرس أعمال الفن ؛ فإن الفنان — شاعراً كان أو خطيباً أو مثالاً أو نقاشاً — يظهر ذاتية مجتمعه الخاصة فى أعماله ، فهو يستمد معانيه الفنية من البيئة الاجتماعية في عصر معين فيعبر عنها ويخاطب بها أناساً غيره ، مما لا يتيسر إلا فى مجتمع

وقد دُرست بعض هذه الأبواب من قَبل دوركايم وخاصة الظاهرات الاقتصادية التى كانت تدرس تحت اسم « الاقتصاد السياسى Economie Politique ولكن هذا العلم كان يهتم بما يجب أن يكون أكثر من اهتمامه بما كان أو بما هو كائن . ولا ينظر الاقتصاديون إلى الحقائق الاقتصادية نظرة العلماء إلى الحقائق العلمية الفيزيقية مثلاً ؛ ولذلك لا يرون ضرورة دراستها دراسة نظرية قبل محاولة الإصلاح . ثم إنهم يظنون أن الناحية الاقتصادية بعيدة كل البعد عن بقية نواحى الحياة الاجتماعية أو أنها مستقلة بذاتها ، بينما يرى دوركايم أننا لا يمكننا تفسير الظاهرات الاقتصادية إذا لم نعتمد ونلتجىء إلى بقية الظاهرات الاجتماعية ؛ فأجر العمال مثلاً لا يتوقف فقط على العلاقة بين « العرض والطلب » بل على علاقات أخرى اجتماعية أخلاقية كنظرتنا إلى الشخص الإنسانى واعتباره وفكرتنا عنه وتقديرنا له من حيث هو إنسان

فواضح إذن من التحليل السابق كيف أن علم الاجتماع لا يدرس مشكلة واحدة بل عدة مشاكل ، بحيث لا يمكن لإنسان أن يلم بمشاكله جميعها ، بل لا بد من أن يتخصص فى إحداها . وليس هذا يعنى أن ليس هناك علم كلى تركيبى يجمع النتائج العامة لكل فرع من هذه الفروع الجزئية ؛ فإنه مهما كانت الظاهرات الاجتماعية مختلفة ومتعددة ، فإنها ليست إلا أنواعاً لجنس واحد . ومن الممكن دراسة ما يؤلف وحدة الجنس وما يميز الظاهرة الاجتماعية فى ذاتها . والعلم الذى يهتم بذلك هو علم الاجتماع العام sociologie generale الذى يستخرج القوانين العامة من الجزئيات . وهذا هو الجانب الفلسفى لعلم الاجتماع

ثالثا — المنهج الاجتماعى

بعد ما سبق يجب علينا أن نبين المنهج المتبع فى دراسة هذا العلم

إن المشاكل الرئيسية فى علم الاجتماع تتلخص فى البحث عن كيفية تكوين نظام سياسى أو قانونى أو دينى الخ ... وعن أسباب وجود تلك النظم . والتاريخ المقارن هو أحسن وسيلة تساعد الاجتماعى على حل هذه المسائل . فالنظم الاجتماعية معقدة أشد التعقيد ومركبة من أجزاء عديدة ، فلكى نفهمها لا بد لنا من أن ندرس كلاً من هذه الأجزاء على حدة ، لأننا لن نفيد شيئاً من دراسة النظام كاملاً على ما هو عليه الآن ، بل لا بد من الرجوع إلى بداية نشوئه ومتابعة تطوره خلال التاريخ ملاحظين ارتباط هذه الأجزاء المنفصلة بعضها ببعض حتى يصل النظام الاجتماعى إلى شكله الحالى . . . لنأخذ مثلاً لذلك ظاهرة القرابة وهى من الظاهرات التى تبدو بسيطة ؛ فإننا حينما نحاول دراستها تظهر لنا لأول وهلة فكرة القرابة الأبوية ؛ ولكننا إذا تقبنا خلال التاريخ ظهرت لنا فكرة أخرى وتصور آخر عن القرابة وهى القرابة التى تنتمى إلى الأم ؛ فهناك عائلات نعرفها خلال دراسة التاريخ لا تعرف إلا هذا النوع الأخير من القرابة ، ولا تلعب القرابة الأبوية فيها إلا دروساً ثانوية . ولكن القرابة الآن مزدوجة ، تعتبر الناحية الأبوية كما تعتبر الأم ، فكيف وصل هذا النظام إلى ذلك ؟ هنا أيضاً نتبع خلال التاريخ صور هذه الظاهرة فى كلتا الحالتين خلال حضارات مختلفة ، حتى يندمجا معاً ويصلا إلينا على هذه الصورة الحالية المزدوجة . فبالتاريخ إذن نفسر ونبين علل الظاهرات الموجودة ؛ والتاريخ يلعب فى نظام الحقائق الاجتماعية دوراً يماثل الدور الذى يلعبه

الميكرسكوب فى نظام الحقائق الفيزيقية

وبذلك يمكن القول إن علم الاجتماع هو إلى حد كبير نوع من التاريخ . والمؤرخ أيضاً يعالج الظاهرات الاجتماعية ، ولكنه يعتبرها من ناحية خاصة من حيث تعلقها بشعب من الشعوب فى زمن معين وفى مرحلة معينة من مراحل تطوره . أما الاجتماعى فإنه يحاول الوصول إلى علاقات عامة وقوانين كلية عن المجتمعات المختلفة . نعم قد يدرس دراسة خاصة ظاهرة ما مثل حالة الدين أو القانون مثلاً فى فرنسا أو انكلترا أو روما أو الهند فى هذا القرن أو ذاك ، ولكن مثل هذه الدراسات إنما هى فى الواقع وسائل فقط للوصول إلى بعض عوامل الحياة الدينية على وجه العموم ؛ ولذا فإن الاجتماعى يقارن فى دراستين مجتمعات من نفس النوع أو بين مجتمعات من أجناس مختلفة ليتأدى إلى ما يريد

وهناك منهج آخر عند دوركايم غير التاريخ ، وهذا المنهج نستخدمه حينما نبحث لا عن كيف تكوّن نظام اجتماعى ما ، بل سبب تمثل هذا النظام أو هذه الظاهرة فى هذه المجتمعات تمثلا متفاوتاً . مثلاً حينما نعرض لدراسة ظاهرة مثل جريمة القتل ، فإننا بدلا من أن نبحث أين تأتى هذه الظاهرة، نتساءل عن أسباب تفاوت حظ المجتمعات المختلفة منها ، فبعضها تشيع فيها بكثرة ، وبعضها لا تظهر فيها إلا قليلاً . وكذلك الحال فى ظاهرة تفاوت الزّواج والطلاق كثرة وقلة فى المجتمعات المختلفة وهكذا . ففى مثل هذه المسائل نلجأ إلى الإحصاء la statistique (١)

ومهما يكن المنهج الخاص الذى يتبعه الاجتماعى فى دراسته فإنه يجب عليه حين يدرس ظاهرة ما أن يتناسى تماماً كل فكرة قد يكون كونها لنفسه فيما سبق ، وأن يتناول الظاهرة كما يتناول علماء الطبيعة والكيمياء والفسيولوجيا والسيكولوجيا موضوعات دراستهم ، وإن كان من الصعب تحقيق ذلك فى علم الاجتماع ، لأننا نكوّن أثناء حياتنا اليومية بعض أفكار عن الأخلاق والقانون والمعاملات الاقتصادية وغير ذلك . ومن العسير نسيان هذه الأفكار .

(الأسكندرية) أحمد أبو زيد

(١) مع أن دوركايم لم يذكر فى هذه المقالة إلا الطريقة المقارنة والاحصاء كمنهجين اجتماعيين ، إلا أن هناك طرقاً أخرى تستعمل كمناهج أيضاً وهى : التحقيق العام L'enquete وهو يستخدم لدراسة الظاهرات الحاضرة القائمة أو التى كانت فى الماضى القريب ، كالتحقيق فى الجرائم مثلا . ثم التحقيق الخاص monographie ، وميدان بحثه ضيق ، ويتناول موضوعاً واحداً كدراسة أسرة معينة من جميع نواحيها وتعميم ما يتوصل إليه من نتائج ، وسحبها على الأسر الأخرى المماثلة ، وهذا التعميم من العيوب التى تؤخذ على هذه الطريقة . ثم هناك الوثائق المكتوبة documen's ecrits كدراسة القانون والمنشورات الحكومية ودلائل المعركات وغير ذلك . وهذه الطرق على العموم فائدتها أقل من المنهجين اللذين ذكرهما دوركايم هنا . والمنهج لا بد له من شروط ، وقد بين دوركايم هذه الشروط فى كتابه : قواعد المنهج الاجتماعى Les règles de la methode sociologiques ، وهذه الشروط هى : ١ — وجوب اعتبار الظاهرات الاجتماعية كالأشياء ٢ — وجوب نبذ كل فكرة سابقة عن الظاهرة التى تعالجها ٣ — تعريف الظاهرات التى تدرسها وتحديدها وتوضيح أنواعها المختلفة ومابينها من فروق ٤ — عدم التحيز إلى بيئة معينة ، بل يجب القضاء على حساسية عالم الاجتماع الخاصة ٥ — وجوب التفرقة بين الظاهرات الصحيحة السليمة والظاهرات الشاذة المريضة . (راجع فى ذلك كتاب قواعد المنهج الاجتماعى لدوركايم . كذلك استفدت فى كتابة هذه الحاشية بمحاضرات علم الاجتماع التى ألقاها الأستاذ عبد العزيز عزت مدرس علم الاجتماع بجامعة فؤاد الأول على طلبة قسم الفلسفة بجامعة فاروق الأول عام ١٩٤١)

الزهرة اليتيمة

[نبتت فى طريق أحد المتنزهات بين الصخور والأحجار زهرة جميلة فقلت فيها]

للأستاذ أحمد الصافى النجفى

عرضت حسنها برغم الصخور زهرة لم تنل حظوظ الزهور
فهى تحيا على شفا الموت لما أن أقامت على طريق العبور
وهى تعطى للعابرين جمالاً وأريجاً ونفحة من سرور
إن تغاضوا عنها دعتهم إليها بلسان الشذا ولحن العبير
تسأل العابرين عطفاً عليها والتفاتاً لحسنها المغمور
وهى من عين من يمر عليها لم تطالب بغير حق المرور
أصبحت زينة الطريق جديباً وترى الزهر زينة للصدور
فهى رغم الشحوب تبدى اختيالاً وابتهاجاً برغم صرف الدهور
تمعصر الريح كى تصيب رواء وتبل الظما بلفح الهجير
وهى تحت الغبار تبدى جمالاً مثل خَوْدٍ تشع تحت الستور
كم دهاها فى الساق كَسر فقامت تتهادى بساقها المكسور
ولدت جنب قبرها فهى جذلى بحياة وعينها للمصير
يا لها من يتيمة فصلتها عن حمى أمها يد المقدور
ورماها القضاء مغمضَ عين وسط دار ليست بدار الزهور
لا رفاق لها ولا أخوات تعست بذرة لها فى البذور
فهى بنت الطريق تحيا وتفنى تحت ركل ودهسة وعثور
وهى تحكى فقيرة فى طريق عرضت كف مقعد وأسير
جهلت دارها القديمة لكن علمت أنها غريبة دور

من شعر الأطفال

للأستاذ على متولى صلاح

١ – طفل يناجى أمه

أمّى : أحبّك مثلما أهوى وأرغبُ فى الحياهْ
أمّى : أطيعُك دائماً لأنال رضوان الإله ...

إنى صغيرُك فاقبلى منى التحيّة والدُّعاءْ
إنى فداؤك فاسألى روحى أقدّمها فداءْ ...

٢ – تحية الشمس

أشرق بالضياءْ يا حياة الوجودْ
أنتِ زينُ السماءْ أنتِ رمزُ الخلودْ
أشرق أشرق ...
أشرق للأنامْ يا جمال الحياهْ
وابعث الابتسامْ فوق كلّ الشفاهْ
أشرق أشرق ...
فيكِ معنى الجهادْ فيكِ معنى الكفاحْ
فاظهرى للعبادْ يا شعار النجاحْ
أشرق أشرق ...

٣ – المدرسة

دارُ علمٍ وأدبْ وسرورٍ وطربْ
نقطعُ اليوم بها بين جدٍّ ولعبْ
ونغذّى عقلنا ونؤدّى ما وجبْ
نحنُ فيها دائماً لا نبالى بالتعبْ
نحنُ فيها إخوةٌ ضمّنا برٌّ وحُبْ ...



١ — شعراء المهجر

ترددت كلمة شعر المهجر ، وشعراء المهجر ، فى مقالات بعض الأدباء ، وذلك بمناسبة السجال الأدبى الذى دار بين الدكتور محمد مندور ، والأستاذ سيد قطب ، حول (الشعر المهموس) ، وقد رأيت بهذه المناسبة أن أذكر أشهر شعراء المهجر ومنتوجهم الشعرى الذى أخرجوه لعالم الطبع . وغرضى من هذا الإشارة — ولو كانت خاطفة — إلى لون من الأدب العربى العصرى يمتاز بطابع خاص ، وسمة معروفة ؛ تتجلى حين مقابلته مع آداب البلدان العربية الأخرى . فأشهر هؤلاء الشعراء هم : الأستاذ إيليا أبو ماضى ، صاحب ديوان (الجداول) ومجلة (الناهل) الأدبية ؛ والمرحوم جبران خليل جبران الكاتب الفنان ، وله ديوان (المواكب) ؛ والشاعر المفكر ميخائيل نعيمة صاحب قصيدة (النهر المتجمد) الرمزية ؛ وهو قد جمع شعره ، وسيطبع قريباً باسم (همس الجنون) على ماقالت مجلة (الأديب) البيروتية ؛ والفيلسوف أمين الريحانى الذى أفرد معظم الجزء الثانى من كتاب (الريحانيات) للون خاص من الأدب ، جاء به شعراء المهجر وهو (الشعر المنثور) ؛ ورشيد أيوب الملقب (بالشاعر الدرويشى) وقد توفى فى العام الماضى ، بعد أن ترك مجموعاته الشعرية : (الأيوبيات) و (هى الدنيا) و (أغانى الدرويش) ؛ والشاعر فوزى المعلوف وله ملحمة (على بساط الريح) ،وشقيقه رياض المعلوف ، وقد أصدر مجموعة من شعره بعنوان (الأوتار المتقطعة) وشفيق المعلوف صاحب ملحمة (عبقر) الشعرية ؛ والشاعر إلياس فرحات الذى أصدر قبل سنين رباعيات باسم (رباعيات فرحات) ، ونعمة قازان ، وله (معلقة الأرز) ؛ وهناك مجموعة جيدة من شعر الشاعر القروى ؛ ومن شعراء المهجر المعروفين ، نسيب عريضة ، وإلياس قنصل ، ولم يجمعا شعرهما بعد — على ما نعلم — ومما يجب ذكره ، ونحن فى معرض الإشارة إلى شعراء المهجر ،أنهم يعنون بالمعانى الشعرية قبل الألفاظ ، وهم قد خرجوا عن حدود الشعر العربى وعروضه المعروفة ، إلى ضروب متباينة من النظم . وشعراء المهجر لا يعنون بالديباجة العربية ، والبيان العربى ؛ وقد تأتى ذلك من معيشتهم فى بيئة غربية غريبة عنهم ؛ عدا الشاعر الكبير إيليا أبو ماضى الذى جمع إلى خياله الرائع وأفكاره العالية لغة حلوة ، وبياناً مسلسلا ؛ وقد اكتسب ذلك من إقامته فى القطر المصرى بضع سنين .

٢ — شاعرية العقاد

أنكر الدكتور محمد مندور شاعرية الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى السجال الأدبى الأخير ، وهذا الذى يعلنه الدكتور مندور لا يرضاه كل من تذوق شعر العقاد ، وقرأ دواوينه الرائعة . والعقاد شاعر موهوب ، ويمتاز شعره بالأفكار الفلسفية الناضجة المبثوثة في تضاعيفه . والحكمة التى تقرؤها فى بيت للمتنبى مثلاً ، تقرؤها فى أبيات متسلسلة فى قصيدة من قصائد العقاد ؛ كما يمتاز بوحدة الموضوع ، وموسيقى المعانى التى لا يعرضها الشعر العربى الحديث إلا فى شعراء معدودين أبرزهم الأستاذ خليل مطران بك . والذى ينكر شاعرية العقاد يجب عليه أن يقرأ أول آثار العقاد الشعرية ، وهو ديوان (العقاد) ، وأن يعيد النظر فى الطرفة الشعرية الخالدة (ترجمة شيطان) وقصائده : (البدر فى الصحراء) و (أنس الوجود) و (طاس على ذكرى) ، فيرى أن العقاد من كبار الشعراء المعاصرين

٣ — رباعيات الخيام

ذكر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى العدد (٥٢٨) من الرسالة الغراء ، أسماء الشعراء العرب الذين نقلوا رباعيات عمر الخيام إلى اللغة العربية بمناسبة ظهور الطبعة الثانية من ترجمة الصافى الرائعة ؛ ولم يذكر أن هناك ترجمة منظومة للأستاذ محمد السباعى نقلها عن الإنكليزية ، كما لم يذكر المختارات التى انتقاها الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى من رباعيات الخيام ، وترجمها إلى العربية نثراً . ثم أتبعها بترجمة شعرية ،

وهناك ترجمة شعرية لهذه الرباعيات قام بها الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، ونشر بعضها فى مجلة (الرجاء) النسائية ، وفى الجزء الثانى من (ديوان المازنى) . وقد ترجمها عن الفارسية نثراً الأستاذ حامد أحمد الصراف ، جعلها فى ختام كتابه عن (عمر الخيام) : ومن التراجم التى لم تظهر فى عالم الطبع ، ترجمة الشاعر الأستاذ محمد مهدى الجواهرى ، وترجمة الأستاذ السيد محمد الهاشمى صاحب مجلة (اليقين) البغدادية . ومما أود ذكره فى هذه المناسبة أن فى ترجمة السباعى ، وهى الترجمة الثانية ، لرباعيات الخيام فى اللغة العربية بيتين مسروقين عن الشاعر الشهير با (بن وكيع) ،

وهذان البيتان هما :

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالوقت خُلس

سل سيف الفجر من غمد الدجى

(وتعرى الصبح من ثوب الغلس)

ويلى هذين البيتين قول ابن وكيع من القصيدة نفسها :

وانجلى عن حلل وردية نالها من ظلم الليل دنس

(بغداد) **محمود العبطة**

تعليم الإنشاء فى المدرسة الثانوية

فى مقطم ٢٤ فبراير سنة ١٩٢٨ أبديت رأياً صريحاً وجهته إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف - إذ ذاك - على الشمسى باشا ، طلبت فيه : أن يختص معلم الإنشاء به ، وأن يفرغ مدرس البلاغة لها ، وأن يكون للأدب أستاذ خاص . وهكذا . . .

واليوم أرى وزارة المعارف تنهض لهذا الرأى ، وإنى لأرجو - مخلصاً - أن توفق للأخذ به . وهذا رأيى وعلى تبعته ، « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت »

محمد مختار يونس

المفتش بالتعليم الثانوى

إيضاح

كتب الأستاذ مرزوق فى مقاله العدد ٥٣٥ من « الرسالة » قال إن الإسلام نهى الفنان عن ابتداع الصور ، وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً » وعندى أن هذا الحديث وأحاديث أخرى أعتقد أنها غير صحيحة ، وذلك لأن كتب الحديث لم توضع إلا بعد وفاة النبى بأكثر من مائتى عام تقريباً ، وهذه الأحاديث الخاصة بتحريم التصوير بينها وبين تعاليم اليهود ارتباط ؛ وما أكثر ما اختلقه اليهود من أحاديث نسبوها كذباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ! واليهود تنص التوراة التى يدينون بها « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء »

وعلى فرض صحة هذه الأحاديث ، فأعتقد أنها لا ترمي إلى التحريم الذى اعتقده الأستاذ مرزوق فى مقاله ، فأنا أنزه الإسلام عن هذا والفن الجميل لا يتعارض مع الدين وكلاهما يدعو للفضيلة وإن كانت الفنون الجميلة فى مصر فيها خروج على الدين وتعاليمه وإباحة لرؤية أجساد النساء عاريات وهذا ليس من الفن فى شىء . فرسالة الفنان اجتماعية وهى الدعوة إلى الفضيلة ، ودينية هى إبراز محاسن الطبيعة التى تشهد بقدرة الله ، وسياسية وهى التنفير من مذهب يضر بالأوطان ... والإسلام يبيح الفن الذى يدعو إلى الفضيلة . وهناك من الأحاديث « إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم » و « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون »

ولكن المعنى الذى توهمه كاتب المقال وادعاه أعداء الدين ليس المقصود ، إنما قصد الرسول صلوات الله عليه أولئك الذين نحتوا الأصنام ، ثم أعدوها للناس يعبدونها ويتخذونها آلهة من دون الله أولئك يعذبهم الله عذاباً أليما حتى ينفخ أحدهم فيها الروح . وإلا فكيف أتاح معاوية وهو من الخلفاء القريبى العهد ببدء الإسلام أن يضرب نقوداً فى عصره عليها تمثال فارس متقلداً سيفاً والروح الدينية على أشدها والعقيدة على قوتها ! وبعد فأنا أستبعد التحريم وأقول إن المقصود هو المعنى الذى سقته ... والفن مباح فى حدود الدين والأخلاق

(منفلوط) **أحمد فتحى القاضى**

المحامى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 538

Lundi - 25 - 10 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٥٣٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٦ شوال سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة

٨٤١ في المسجد الأقصى ... .. : الدكتور عبد الوهاب عزام
٨٤٣ في محكمة الجن ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٨٤٦ حكاية الوفد الكسروى .. : لأستاذ جليل ... ...
٨٤٧ الشعر المرسل والشعر الحر : الأستاذ دريني خشبة ... ..
٨٥٠ اللغة العربية : لماذا أخفقنا في تعليمها ؟ ـ كيف نعلمها ؟ ... ... الأستاذ محمد عرفة
٨٥٢ الأخوة الأدبية بين البلاد العربية ... ... الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٨٥٤ الاسلام والفنون الجميلة ... : الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق
٨٥٦ وحي القرآن ... ... : الأستاذ محمود أبو رية ...
٨٥٨ نداء الخريف [قصيدة] : الأستاذ سيد قطب ... ...
٨٥٨ وداع الصيف « : الأستاذ محمد طاهر الجبلاوي
٨٥٩ بريد العراق .. .. : الدكتور زكي مبارك ...
٨٥٩ رد على إيضاح ... . . : الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق
٨٦٠ الدقة اللفظية ... ... : الأديب زكريا إبراهيم ...

في المسجد الأقصى

للدكتور عبد الوهاب عزام

شهدت صلاة العشاء في المسجد الأقصى في رمضان، فلا أنسى ما يستقبل الداخل من روعة التكبير ينبعث من جانب المحراب بعيداً كأنما ينبعث من عالم الغيب. وما أنسى القناديل الخافقة في أرجاء المسجد كأنما ترعد من جلال التكبير، ويأتلف تسبيح المصلين وخفقات الضوء كما تتآلف موسيقى من الأنغام والأشعة

وخرجت أمشي في الساحة الفسيحة الجليلة والرحاب الواسعة في صحن الصخرة وحوله وأشهد الأسوار والأبنية تحدث أخبارها والفكر طيار بين الماضي والحاضر، والبصر حائر في هذه المشاهد الكثيرة المهيبة، والقمر يرسل أشعته تترقرق على قبة الصخرة الجميلة وتنساب بين الجدران والأشجار، والظلال تفصل الضوء فتكتب سطراً من الجمال رائعاً، أو تخط آية من آيات السجدة في هذا الحرم العظيم يقرؤها كل ذي قلب فتسجد جبهته أو يسجد قلبه

تركت الحرم وملء نفسي هذا الجمال والجلال، وملء قلبي ذكر وعبر. ولما خرجت من باب العمود تأملت سور المدينة وقد علا البدر وراءه فتخللت شرفاته الأشعة وبدت كأنها

فلول سيف قارع الحادثات طويلاً ، وأبلى فى الخطوب دهوراً

عدت إلى المسجد مرة أخرى يتلفت طرفى وقلبى وأتأمل هذه المشاهد مرة بعد أخرى كما يحرص القارئ على حفظ آية تروعه أو بيت من الشعر يعجبه ، ثم جلست فى رفقة كرام خارج باب العمود أتأمل السور الضيق ، والقمر من ورائه مرة أخرى

قلت لا بد من زيارة فى ضوء النهار يحيط فيها البصر والفكر بهذه الساحة العظيمة وما يتقسمها من أبنية ؛ فكم دخلت إلى هذا المكان فما استوعبه فكرى ولا أحاط بأرجائه نظرى

ثم واعدت الأستاذ عبد الله المخلص ، وهو من أعلم الناس بالحرم ماضيه وحاضره ، واعدته أن نلتقى بعد صلاة الجمعة فى معتكف السيد الجددى وزير الأفغان من الحجرات فى صحن الصخرة

هذا يوم الجمعة لست بقين من رمضان عام اثنين وستين وثلاثمائة وألف وقد اقترب الظهر وأنا منحدر فى شارع باب العمود أحمد الإسراع الذى يدفع إليه الانحدار . دخلت من باب العمود إلى الطريق المدرّج ذى الدرجات الواسعة الوطيئة التى تهبط أو تصعد بالسابل يكاد لا يحس الانحدار والصعود ، ومررت بهذه العقود الحانية على طريق التاريخ إلى البيت المقدس تحمل الأبنية العالية كأنها عقود السنين تنوء بما تحمل من أحداث وذكر . والسابلة ميممة شطر المسجد يهتدى بسيرها من لا يهتدى طريقه . شهدت فى الحرم جمعة قبل هذه فإذا عيد إسلامى يشترك فيه الرجال والنساء والأطفال ؛ الآباء والأمهات فى صلاة ، والأطفال فى رحاب الحرم يمرحون ؛ ولكن اليوم يوم الجمعة اليتيمة وقد حرص على شهودها فى المسجد الأقصى كثير من أهل بيت المقدس والبلاد القريبة ، وهذه الوفود تتوالى فى أزياء المدن والقرى ، وقد تقسمت المصلين مصلّيات كثيرة فى فناء الحرم رضى بها من أشفق من الزحام فى المسجد الأقصى وقبة الصخرة . وسرت فرحاناً خاشعاً أتحرّى طريقى إلى حجرة السيد الجددى فلما بلغت الحجرة أدركنى عند بابها صديق عظيم لا يغيب وجهه عن مشهد من مشاهد الخير[1] قلت : السيد ليس ها هنا الآن نعود بعد الصلاة . وأحسب المسجد مكتظاً فهلم إلى الصخرة . قال : نصلى هنا فى جماعة من هذه الجماعات . فجلسنا وطرفى مقسم بين الجماعات التى تؤم مواضع الصلاة ، والجماعات التى تبوأت أماكنها فى هذا المحشر . استقرت بالمصلين المجالس زرافات لا يرى بينها إمام ، وخيل إلىّ أنها جماعات المسجد الحرام تتجه وجهات مختلفة ولكنها كلها إلى الكعبة

وكبّر إمام المسجد فتوالى التكبير بعيداً فانتفضت هذه الجماعات قياماً ، وأحكمت صفوفها وتوالى تكبيرها . ما أعظم هذا مشهداً جميلاً رائعاً ! وقفت أتلفت إلى الجماعات المتفرقة فى أرجاء المسجد ثم أحرمت فلم يمنعنى خشوع الصلاة من أن أجيل الطرف أمامى : هذه قبة المسجد الأقصى وأبنية أخرى تتخللها أشجار باسقات ، وأمامى على بعد جماعة من النساء اصطففن عند حجرتين عليهما قبتان ، وإلى اليسار جماعة أخرى من النساء وقفن مع عَمَد جميلة تعلو بئراً من آبار الحرم ، وبعدها ذات اليسار جماعة أخرى عند العقود المشرفة على الدرج المؤدى من باب القبة القبلى إلى باب المسجد الكبير وبعدها جماعة من الرجال . ورأيت قبل الأحرام جماعة ذات اليمين فى الفناء الأدنى ، وأخرى خلفنا فوق صحن الصخرة المرتفع . فما زلت أراها بقلبى مع هذه الجماعات التى يدركها البصر أمامى . قلت لنفسى إنك فى شغل عن الصلاة بهذه المشاهد . قالت : إنى أشغل عن صلاة بصلاة ، وأخرج من صلاتى المفردة إلى صلاة الجماعة . ودوّى التكبير بعيداً فركعت هذه الجماعات وكدت أعجب لماذا لا تركع هذه الأشجار القائمة ، وقد ركعت الصفوف كلها ، وذكرت الآية : « ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات ومن فى الأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه »

صلينا ركعتين هما عندى سجدة واحدة متصلة . فلما سلمنا قلت للصاحب الكريم ائذن لى لأشهد الجمع خارجاً من المسجد وأعود . وسارعت أتخلل الجموع المنتشرة بعد الصلاة والصفوف المسبّحة الجالسة التى لم ينتشر نظامها . وهبطت الدرج مسرعاً لأشهد السيل المتدفق من باب المسجد الأقصى وأتفرس الوجوه الخاشعة الفرحة ، وأتأمل الأطفال حول آبائهن وأمهاتهن ، وأرى هذا العيد المعظم فى هذا الحرم المبارك وأسارير وجهى تنبسط ابتساماً ، وتنقبض هيبة ، وقفت على شاطئ هذا السيل البشرى حيناً ثم رجعت أدراجى إلى صاحبى الكريم فى مصلاه...

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

(١) هو أحمد حلمى باشا رئيس بنك الأمة العربية

فى محكمة الجن

للدكتور زكى مبارك

مع الاعتراف بأن القلم فى يد الكاتب نعمة لا يعادلها شىء من نفائس الوجود ، فأنا كثير الضجر مما يجنى علىّ قلمى ، لأنه يتيح الفرص لمن يسرهم إيذائى ، ولأنه يجعلنى دائماً على بال الناس ، ويا ويحَ مَن يُشغل به الناس !

زُرت مرةً إحدى المدارس الثانوية فوجدت ناظرها رجلاً مجهولاً من الدوائر الأدبية والاجتماعية ، مع أن المرء لا يصل إلى مثل مركزه إلا بعد ظهور وبروز فى الأدب وفى المجتمع ، فقلت فى نفسى : « هذا هو الرجل السعيد . إن منصبه يضارع منصبى من الوجهة الرسمية ؛ وقد يكون راتبه أضخم من راتبى ، لأنه قديم العهد بخدمة وزارة المعارف . ولكنه أسعد منى ، لأنه بعيد من المجتمع ، ومجهول من الجرائد والمجلات ، فلا يتحدث عنه متحدث ، ولا يتزيد عليه قارىء لا يفهم أسرار البيان »

ثم قلت : « أين حظى من حظ هذا الزميل ؟ إن مقالاتى تؤخذ منها قُصاصات لتقدَّم إلى وزير المعارف ، فأنا على بال الوزير من يوم إلى يوم ، أو من أسبوع إلى أسبوع . ومعنى هذا أنى أقدم سريرتى قبل السؤال عما فيها من مجاهيل »

وعلى مَن يقع اللوم ؟ يقع علىّ وحدى ، فمن حق أى وزير أن يتعقب ما يصدُر عن مساعديه من أفكار وآراء ، ومن واجبه أن يناقشهم فيما يستوجب النّقاش

والآفة الفظيعة أنى مُكثِر ، وقلّما يَسلم المكثار من العِثار . يضاف إلى هذا أن قلمى يجول فى شجون من الأحاديث تمسّ طوائف من المعانى الشوائك ، فأنا أعرِّض نفسى لمتاعب لن تنقضى إلا يوم أتوب من صحبة القلم ، ولن أتوب !

هل أصدُق كل الصدق فأذكر أنى شعرت بدمعة تساور جفونى يوم زرت ذلك الناظر السعيد ؟

لقد تحزّنت وتوجعت ، لأنى عرفت أن القلم لا يغنينى فى حياتى ، كما يغنى أمثالى فى الأمم التى يُعَدُّ قراؤها بالملايين ،

فلم يبق إلا أن أكون من الوظفين !

أين أنا مما أريد ؟

أنا أريد النص على أن قلمى ساق إلىّ متاعب أخطر مما كنت أعانى ، فقد نقلنى من معاداة الإنس إلى معاداة الجن ، ونعوذ بالله من كيد الشياطين !

وخلاصة القصة أنى تحدثت عن « جِنّية » سامرتها ليلة بالإسكندرية مسامرة الحبيب للمحبوب ، وأنا أجهل أن حديثى عنها ستكون له عقابيل ... فماذا وقع بعد ذلك الحديث ؟

أطفأت النور بالغرفة التى تطلّ على الصحراء ، لأستوحى القمر والنجوم فى هدوء وسكون ، ثم راعنى أن أرى الغرفة تضىء ، وأن أرى خلائق لم يكن لى بمثلها عهد ، فهتفتُ : أتوا دارى فقلت : مَنُونَ أنتم ؟

فقالوا : الجنُّ ، قلت : عِمُوا مساء

— محكمة !

— أية محكمة ؟

— محكمة الجنّ !

— وفى هذه الأنوار ؟

— هذه أنوار لا يراها عابر ، فلا عليك !

— وهذه الوجوه ؟

— هى وجوه لا يراها غيرك

— وماذا تريدون ؟

— نريد محاسبتك على ما وقع منك

— وما ذا وقع منى ؟

— هل نسيتَ ما نشرتَ بمجلة الرسالة ؟

— عماذا ؟

— عن الجنيّة المحبوبة !

— ذلك خيال فى خيال

— ونحن نحاسب على الخيال ، لأنه صورة مصغَّرة من الحقيقة الواقعية ، فأنت محاسَبٌ على اقتراف الإثم بمنازلة جنية عذراء ،

— من حديثى بمجلة الرسالة عرفتم ما اقترفتُ ؟

— عرفنا ما اقترفتَ قبل أن تنشر حديثك

— وكيف ؟

— لأننا نراكم ولا ترونا

— وما الذي منع من عقد المحكمة قبل نشر الحديث ؟

— الإثم عندنا يحتاج إلى برهان مكتوب

— وحديثي هو البرهان ؟

— نعم ، ثم نعم !!

— أتسمعون كلمة الحق ؟

— قد نسمع !

— يجب أن تسمعوا ، فاسمعوا . أنتم تقفون من الحياة موقف المتفرجين ، والمتفرج يرى الممثل ولا يراه الممثل ، فالممثل آمر والمتفرج مطيع ، أو هو كاتب والمتفرج قارئ.

— أتقول إن الإنس أفضل من الجن

— هو ذلك ، وإلا فأين نصيبكم في خدمة الآداب والفنون ؟

— نحن الذين أقمنا عرش سليمان

— وأين عرش سليمان ؟

— بقيت منه المعاني

— هي معان إنسية لا جنية ، لأنها متصلة بالناس لا بالجان

— ونحن الذين ألهمنا شعراء الجاهلية

— وهم لهذا جهلاء !

— أنت تحاكم ، فما هذه الغطرسة العاتية ؟

— أنتم تحاكمونني ، يا جماعة الجن ، ولم يكن فيكم من يتّسم بشجاعتي ؟

— وما شجاعتك ؟

— أنتم تعرفون شجاعتي ، فما تنكرت ولا تلثمت كما تتنكرون وتتلثمون ، ولا سمح ضميري بأن أرى الناس ولا يرونني لأني أحب أن تكون أعمالي في العلانية لا في الخفاء

— والجنية التي سرقتها منا ؟

— لم أسرقها منكم ، ولن أردها إليكم

— أطع محكمة الجن

— وهل أطعت محكمة الإنس حتى أطيع محكمة الجن ؟

— سنؤذيك إن تماديت في العصيان

— لا يستطيع مخلوق أن يؤذيني ، إن حفظت الأدب مع الله في الترفق بنفسي

— حرِّر الجنية من حبك

— لن أحررها من حبي ، فما أرضى بأن يضيع نصيبها من شرف الوجود

— لا نفهم شيئاً مما تقول

— أنا أقول بأن الإنس أفضل من الجن ، لأن الإنس مجاهدون والجن رقباء ، والمجاهد أفضل من الرقيب

— والجنية المخطوفة ؟

— لن تكون لكم ولو عقدتم ألف محكمة

— وإن اغتصبناها منك ؟

— لن تغتصبوها مني ، بعد أن سمعت أشعاري ، وهي أشعار نظمتها بدم القلب

— أطع محكمة الجن

— لن أطيع

— وإذا حكمنا عليك ؟

— سيعييكم التنفيذ !

وفي هذه الممعمة برزت الجنية وهي تصرخ : أنا الجانية على نفسي ، إن كان من الجناية أن أخرج إلى الأنوار بعد طول القرار في غياهب الظلمات

— ماذا تقولين يا حمقاء ؟

— معشوق إنسيّ ، يا سعادة الرئيس

— والإنس أفضل منا ، ياشقية ؟

— نعم ، لأن أعمالهم في العلانية

— وأعمالنا ؟

— أعمالنا في طيات الخفاء

— لست منا ولا نحن منك

— أنا من معشوق ، ومعشوق مني ، فاذهبوا عني

— وننهزم أمام الناس

— كما ينهزمون حيناً أمام الجان ، والجروح قصاص

***

ثم انفضّت محكمة الجن بدون تمنت يحوج إلى الاستمانة

بالمحامين فعرفت أن الجن لا يزالون على الفطرة الأولية فى إدراك الحقائق البديهية ، وعرفت أيضاً أنهم يخافون من الإنس ، وكان معروفاً أنهم يخيفون ولا يخافون

ذهبت الأنوار المجلوبة بحضور الجن ، وعادت الغرفة إلى الضوء المرسل من القمر فى لطف ، وبقيت الجنية بجانبى وهى لا تكاد تصدق أنها نجت من تعقب أولئك المعاليق

— هل صرنا فى أمان ؟

— أنتِ صرت فى أمان

— وأنتَ ؟

— ألم تعلمى أنى أقيم فوق جبل من البارود ؟

— أتخاف وأنا معك ؟

— أنا أخاف لأنك معى ، فقومُك لن يسكتوا عنى ، وقد يستنصرون بإخوانهم فى الشام والعراق

— المعروف عندنا أن شياطين الشام والعراق من أصدقائك

— ومن هنا أخاف

— تخاف من أصدقائك ؟

— وممن أخاف ؟ هل أخاف من أعدائى وأنا أملك البطش بهم حين أُريد ؟

وانتقل الحوار إلى شؤون متصلة بالجمال فسألتنى الجنية عما يستهوينى من جمالها فقلت :

أنا أحب فيك هذا الصوت الناعم المبحوح ، وأشتهى أن تتكلمى فى كل وقت .. أشتهى أن تكون حياتك حديثاً فى حديث ، لا تسكتى ، فما رأيت أندى على قلبى وروحى من بُغامك الذى يُشبه وسوسة الحَبَب عند اضطرام الكؤوس . تكلمى لأرى نعيم الفردوس ممثلاً فى نبراتٍ هنّ أعذب وأطيب من همسات الأمانى فى الصدر الحزين

هذا الصوت يزلزل قلبى ، وأنا أسمعه وإن اعتصمتِ بالصمت

— كيف ؟ كيف ؟

— هُويّتُك الأصيلة هى هذا الصوت ، فأنت كالبلبل ، وهُوية البلبل فى الحلق ، والله يزيد فى الحلق ما يشاء(١)

— لم تجب عن سؤالى !

— قلت إن هويتك فى الصوت ، وأنت دائماً فى بالى ، فأنا أسمعك فى كل وقت ، وإن غبتِ عنى

— إلى هذا الحد يفتنك صوتى ؟

— وإلى أبعد من جميع الحدود

— كنت تقول إنى أفتنتك باللون

— متى ؟

— ليلةَ بتنا بالإسكندرية ، هل نسيت !

— لونك يفتن ، لأنه ينطق ، وهو يتموج تموّج النبرات العِذاب . إن فى قدميك خطوطاً نواطق ، فى قدميك ، فى قدميك ، فماذا أقول فى المرمر الناطق وهو صدرك الجميل ؟

— زدنى ، زدنى

— زيدينى فتوناً لأزيدك جنوناً

— ماذا تريد منى بعد أن خاصمت فيك قومى ؟

— أريد أن تتكلمى فى جميع اللحظات

— وأين أجد ما أقوله فى كل وقت ؟

— تقرئين علىّ ما فى المكتبة من مؤلفات أدبية وعلمية ولغوية ، بالعربية والفرنسية والعبرية ، والأمر سهل ، فإن محصول مكتبتى لا يزيد عن عشرة آلاف ، وستعبُرها ورقةً ورقة فى أقل من عشر سنين

— إلى هذا الحد تحبنى ؟

— وإلى أبعد مما أحبّ المباقرة من الإنس والجن فى جميع الأزمان

— أنا أرتعد من الخوف

— ومم تخافين ؟

— أخاف منك ، فدعنى أخرج لألحق بقومى

— لن تعرفيهم بعد اليوم ، ولن يكون لأحدٍ غيرى عليك سلطان ، فليجمع الجن جوعهم ليلقونى فى ساحة القتال ، ولتتمردى ما شاء لك الحمق والطيش ، فلن يكون لك فى غير هذا البيت مكان

— وتحمينى من طغيانك ؟

— إذا اعترفت علانيةً بأن سلطان الجمال أضعف من سلطان البيان

زكى مبارك

(١) إشارة إلى القراءة التى ورد فيها « الحلق » بالحاء بدلا من الخاء

٥ـ حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

٤ — يقول عامر بن الطفيل العامرى :

« ... وبالحرى إن أدالت الأيام ، وثابت الأحلام ، أن تُحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال : مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر على أمر يُذكر . قال كسرى : وما الأمر الذى يذكر ؟ قال : ما لى علم بأكثر مما خبرنى به مخبر

قال كسرى : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟

قال : لست بكاهن ، ولكنى بالرمح طاعن ... »

فى هذا القول شىء من علم الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، وأقوال علماء ومؤرخين كبار مشهورين من المتقدمين فى الكهانة والمتكهنين إنما هى تخاليط . روى أبو العباس فى (كامله) :

لا يعلم المرء ليلاً ما يصبّحه   إلا كواذبَ مما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهم   مضللون ، ودون الغيب أقفال

وروى صاحب (الكشاف) :

لوى اللهُ علم اللهِ عمن سواءهُ   ويعلم منه ما مضى وتأخرا

وقال شاعر صادق :

لعمرك ماتدرى الطوارق بالحصى   ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وأخبار مخبرين وأحاديث محدثين عن أناس كانوا يعلمون الغيب من الجاهلية أو من الصحابة والتابعين وغيرهم هى أباطيل وأضاليل « فقل : إنما الغيب لله » . وإذا كان رسول الله سيد هذا الوجود ومعناه ـ وهو رسول الله وهو النبى محمد ـ لا يعلم الغيب فلن يعلم الغيب أحد . وفى المقالة « شق وسطيح » فى الرسالة (٢٤٩ ص ٦٠٥ س ٦) أوضحت الغيب الذى أطلع الله نبيه عليه ، وذكرت آيات من كتاب الله بينات تنادى أن سيد البشر والأنبياء والمرسلين وصفوة النوع الإنسانى لا يعلم غيباً . وذكرت هناك حديث (أم المؤمنين) ـ رضوان الله عليها ـ فى مسند الربيع بن حبيب ، وهو من أقدم كتب الأثر التى وصلت إلينا كما ذكرت قول الإمام علىّ القارى فى الآية الكريمة : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم ، نحن نعلمهم » قال : « وهذا فى (براءة) ومن أواخر ما نزل من القرآن ، هذا والمنافقون جيرانه فى المدينة »

قلت : ومثل الآية فى (براءة) قوله تعالى فى (الأنفال) يخاطب النبى وأصحابه :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم . وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون »

ذلكم ما فى كتاب الله ولم يزل مسلمون فى كل وقت يصدقون المنجمين والمتكهنين فقد جاء فى (الجامع لأحكام القرآن) ج ٧ ص ٣ :

« قد انقلبت الأحوال فى هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لا سيما بالديار المصرية ، فقد شاع فى رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين ، بل ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال ، واستخرجوا منهم الأموال ، فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل ، ومن أديانهم على الفساد والضلال ، وكل ذلك من الكبائر لقوله (عليه السلام) : « لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »[1] فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم ... »

قلت : وفى غير مصر مثل الذى هو فى مصر ، والحال ما حال فى هذا الزمان . ومن جنس الدجاجلة المتكهنين جماعة (التنويم المغناطيسى) الذين يعلمونك ـ كما تقول إعلاناتهم فى الجرائد وإنها لكاذبة وإنهم لكاذبون ـ بماضيك وحاضرك ومستقبلك ...

(م)

---

(١) فى هذا الكتاب (الجامع لأحكام القرآن) تفسير الامام القرطبى : « جاء فى صحيح مسلم عن بعض أزواج النبى (ص) قال : (من أتى عرافاً فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) والعراف هو الحازى والمنجم الذى يدعى علم الغيب ، وهى العرافة وصاحبها عراف ، وهو الذى يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها . وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة فى ذلك . وهذا الفن هو العيافة وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة ، قاله القاضى عياض والكهانة ادعاء علم الغيب ...

١ – الشعر المرسل والشعر الحر

للأستاذ دريني خشبة

[إلى الأستاذين الشاعرين ، أبي حديد وبا كثير من رواد التجديد في الشعر العربي ، أهدي هذه الفصول]

الشعر المرسل هو الشعر الذي لا قافية له ، واسمه بالإنجليزية Blank Verse

والشعر الحر هو الشعر الذي لا يتقيد بعدد التفعيلات في البيت الواحد ، فقد يتركب البيت فيه من تفعيلة واحدة ، وقد يكون تفعيلتين ، وقد تصل تفعيلاته إلى ثمان أو عشر أو اثنتى عشرة ، وذلك في القصيدة الواحدة . والشعر غير مقيد في أبياتها بعدد من التفعيلات يتمها في كل بيت ، بل هو يرسل نفسه على سجيتها ، فتارة يقول تفعيلة واحدة يودعها إحدى خوالجه ، وتارة يقول خمس تفعيلات تعبر عن خالجة أخرى ، وطوراً تصل التفعيلات إلى ثمان أو أكثر أو أقل ، حتى تتم القصيدة أو الملحمة ، وهذا هو ال Free Verve ويتفق الشعر الحر والشعر المرسل في التحرر من القافية ، وهما في ذلك يختلفان عن الشعر الغنائي الذي لا تتم موسيقاه إلا بها

ولا يتقيد الشعر الحر بالأوزان العروضية الرسمية ، فللشاعر أن يبتكر أوزاناً جديدة إن استطاع ؛ وقد غلا شعراء الشعر الحر في ذلك حتى لا تلتفت إلا الأذن الموسيقية وحدها إلى (غنائهم المكتوب) كما يعبر مؤرخو الآداب الأوربية

وكان أول ظهور الشعر المرسل في إيطاليا في أوائل القرن السادس عشر ، حينما كتب به الشاعر ترسّينو Trissino مأساته سوفونِسْبَا Sofonisba وذلك سنة ١٥٠٥ ، ولا يعرف تاريخ الآداب العالمية شعراً مرسلاً أقدم من هذه المأساة . وقد أنشأ الشاعر چيوڤاني روشلاى Gi،vanni Rucellai (١٤٧٥ – ١٥٢٥) منظومته (النحل) بعد ذلك ، وهو الذي أطلق على هذا اللون من ألوان الشعر اسم (الشعر المرسل) Versi Sciolti أو Blank Verse كما سماه الإنجليز

وما كاد هذا النوع من الشعر يظهر في إيطاليا حتى قابله النقاد والمتأدبون بأعنف صنوف السخرية والاستهزاء ... وكانت أخف صفات التحقير من شأنه هي : غث ... كلام فارغ ... هراء ... هذا عبث ... ذلك إجرام في حق الشعر الإيطالي ... لا شك في أن ترسينو يهذى ... إلى آخر تلك السلسلة الصارمة من ألفاظ الهجاء ...

إلا أن ترسينو ما فتئ يلح على مزاج أمته وينازل ذوقها حتى استجابت له ، وحتى أقبلت على مآسيه تستخفها وتسيغها ، ثم تنسى بها المآسي المنظومة بالشعر الغنائي المُقَفَّى وتنسخها نسخاً

ثم نظم بالشعر المرسل فحول الشعراء الإيطاليون بعد ذلك ، وفي مقدمتهم أريوستو Ariosto الذي نظم به ملاهيه الرائعة كلها ، وتاسو Tasso وجواريني وغيرهم

وقبل وفاة ترسينو بقليل ، انتقل الشعر المرسل إلى انجلترا ، وذلك في أواخر عهد هنري الثامن ، حينما ترجم هنري هوارد H. Howard جزءين من إنيادة ڤرجيل إلى الإنجليزية بهذا الشعر (١)

ثم استعمل الشاعران ساكڤيل ونورتون الشعر المرسل لأول مرة في الدرامة الإنجليزية حينما ألفا درامتهما المشهورة (جوربودك Gorboduc) التي لخصناها للقراء في فصولنا السابقة عن نشأة الدرامة الإنجليزية . ولم يكد ينتهي القرن السادس عشر حتى كان الشعر المرسل يستعمل استعمالا عالمياً واسع النطاق – إلا في العالم العربي طبعاً ! – في جميع الأغراض المسرحية ، وذلك بعد أن لقي في كل دولة من الدول الأوربية نفس ما لقيه في إيطاليا من السخرية والاستهزاء ... إذ ناهضه النقاد الإنجليز مناهضة قاسية ، ومع ذلك فقد هيأ الله له فيها شاعراً شابا فخم الديباجة حسن السبك مشرق البيان نقي الأسلوب ، لا يلتوي ولا يُغمض ، ولا يتمحل ولا يُغرب ، فاستطاع أن يكبح جماح النقاد ، وأن يرغمهم على احترام الشعر المرسل . . . ذاك هو مارلو العظيم الذي ألممنا إلى جهوده الأدبية

(١) في بعض المصادر أن سرى Surrey هو الذي قبس هذا اللون من ألوان الشعر عن الايطاليين

فى كلامنا السالفة ؛ مارلو صاحب القريض الفريد أو ال : Mighty Line كما دعاه النقاد الساخرون أنفسهم فيما بعد

ثم تهيأ للشعر المرسل شيكسبير الخالد ، وذلك عندما أشرفت حياة مارلو على نهايتها ، فقد نظم (سيدا ڤيرونا) : The Pwo Gentlemen of Verona ، ثم أردفها بروائعه المسرحية التى التى بهر بها الدنيا جميعاً حيث تجلت فيها مزاياه التى أكسبت اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزى والشعر الإنجليزى ذلك التفوق الذى سوف يخلد على وجه الزمان . أما هذه المزايا فأهمها الكمال fuuness والمرونة Suppleness والتنوع Variety ، أضف إلى ذلك الموسيقا التى لا تعرف القلق ، ولا يعتريها النشوز أو (النشاز) بمعناها الاصطلاحى ؛ تلك الموسيقا التى لا غناء لأى نوع من أنواع الشعر عنها ، لأنها روح الشعر ونضرته وجماله فى الأذن وفى القلب معاً . . . ثم أضف إلى ذلك أيضاً افتنان شيكسبير وتمكنه من اللغة ، وبصره بألفاظها ، وذوقه الرفيع النقاد الذى كان أقدر الأذواق على تنخل هذه الألفاظ وتخيرها فى غير التواء أو تقعر . هذا إلى خيال خصب وبيان متدفق ومقدرة فائقة على التنقل ، وإلمام عجيب بالأصول المسرحية التى تنبع أول ما تنبع من البديهة العبقرية قبل أن ترتكز إلى مواضعات علمية

وقد لا يسر القارىء ، بل ربما يضايقه جد المضايقة أن نخوض به فى شىء من معميات العروض الإنجليزى ، ذلك العروض السهل البسيط الذى لا يصح أن نقيسه إلى عروض الشعر العربى ، ذلك العروض الصعب المعقد ، إلا على الشعراء .

وبحسبنا هنا أن نذكر أن العروض الإنجليزى ، بل كل أنواع العروض فى اللغات الأوربية ، إنما أساسها التفعيلة The Foot وليس أساسها الأبحر كما فى العروض العربى

وبحسبنا أيضاً أن نذكر أنهم حينما يبدأون الكلام عن العروض الإنجليزى ، أو عروض أية لغة أوروبية ، يقولون إن أشهر التفعيلات عندهم أربع[1] ... أربع فقط ، فى حين أن التفعيلات التى تتركب منها بحور العروض العربى كثيرة لا حصر لها ؛ فمنها مستفعلن ومتفاعلن وفاعلن ومفاعلن وفاعلاتن وفعلن وفعولن ومفاعيلن ومفاعلتن ... إلى آخر هذا الثبت الطويل الذى ليس فيه شهير وغير شهير ، والذى يمد الشعر العربى بموسيقا لا نظير لها فى أى من عروض أية لغة من لغات العالم من حيث الدقة فى ضبط الميزان والمحافظة على النغم ؛ فلدينا ستة عشر بحراً غير مجزوءاتها ومشطوراتها كل منه له موسيقاه ورقته وعذوبته . ونستطيع أن نجعل هذه الستة عشر بحراً ألفاً وألفين إذا أردنا ذلك ، وهذا بتأليف نغم أساسه بعض التفعيلات التى اتفق عليها عروضيو العرب بحيث تتم لنا بحور جديدة موسيقية إن كان لا بد أن نزيد فى عدد البحور الموجودة عندنا

ولسنا الآن بسبيل الموازنة بين العروض العربى وألوان العروض الأوربى ، ولهذا نعود إلى العروض الإنجليزى فنقول : إن نقاد الشعر من الإنجليز يقررون أن اللغة الإنجليزية تجرى سهلة لينة طيِّعة حينما تنظم شعراً فى البحر الأيامبى Iambic Metre (أنظر الحاشية بأسفل الصفحة) وهو ذلك البحر الذى يتكون من خمسة تفعيلات إيامبية ـ وقد اختار الشعراء هذا البحر لنظم الملاحم والدرامات لأنه متوسط الطول فهو يتألف من عشرة مقاطع (٥ تفعيلات × مقطعين) ؛ وقد فضلوه على البحور القصيرة التى تتألف من ثمانية مقاطع مثلاً لأنها تكون قصيرة النفس ولا تنهض بأعباء الحوار فى الدرامة ، ثم هى لا تسعف الشاعر فى أداء المعانى الطويلة فى الملحمة ؛ وكذلك فضلوه على الأبحر التى تتألف من اثنى عشر مقطعاً وعللوا ذلك بحاجة تلك الأبحر إلى القافية لتتم الموسيقا ويستقيم النغم ويسلم الميزان

(١) وأولها وأعمها الـ Spondee وتتألف من مقطعين ممدودين كقولك ما ذا وعوجوا وباعوا faio ؛ وثانيها الـ dacty وتتألف من ثلاثة مقاطع أولها طويل والآخران قصيران مثل Mer-ri-ly أو قولك جاهد وقوتل — ومن الـ Spondee والـ dacty يتكون بحر =

= مزدوج من عروض الشعر الانجليزى . وثالثها الـ Iambus أو الـ Iamb وتتكون من مقطعين أولهما قصير والثانى طويل مثل The bee بحذف أداة التعريف The وفى العربية مثل طويل وزبون — ورابعها الـ Trochee وتتألف من مقطعين أولها طويل والآخر قصير مثل Tripod أو Try-on ، ومن الـ Iamb والـ Trochee يتكون بحر مزدوج آخر — وتأتى بعد هذه التفعيلات الأربع اثنتان غير مشهورتين هما الـ Anapest وتتألف من ثلاثة مقاطع : اثنان قصيران وثالث طويل . كقولك As they roar — on the shore وهكذا يتكون من هذه التفعيلة وحدها بحر بذاته وذلك كما فى الكامل الذى وحدته متفاعلن والمتقارب الذى وحدته فعولن والمتدارك الذى وحدته فعلن — ثم الـ Amphibrach وتتألف من ثلاثة مقاطع قصير وطويل وقصير كما فى amusement ومثل ريحانة وهى وحدة بذاته أيضاً

وقد أثار الشاعر الأمريكي لنجفلو Longfellow على هذا التقليد ، فنظم قصته البديعة Evangeline من أطول بحر عرفه العروض الإنجليزى (ستة عشر مقطعاً !) ، كما أنشأ منظومته الطويلة الجميلة Hiawatha من أقصر بحور هذا العروض (ثمانية مقاطع فقط !)

وقد نجح لنجفلو فى إڤانجلين نجاحاً عظيما . ولن أنسى قط تلك الدموع التى ذرفتها بعد قراءة تلك المأساة الغرامية الباكية المليئة بالعواطف الجياشة والخيال الخصب والوصف الشائق الأخاذ

أما فى هياواثا ، فقد فشل الشاعر العظيم وانحط عن الأفق السامى الذى ارتفع إليه فى درته السالفة . على أننى أحسب أن تفاهة الموضوع هى التى ذهبت بروعة القصة ، وليس البحر القصير الذى يشبه المتدارك فى العروض العربى ، وللمتدارك موسيقاه الحلوة التى لا تنسى ومنه

« اشتدى أزمة تنفرجى » و « يا ليل الصب متى غده »

ويفضل بعض الشعراء البحر الأسكندرى The Alexandrine نسبة إلى الإسكندر الأكبر والقصائد التى نظمت فيه من هذا البحر . ويؤثر شعراء المأساة الفرنسيون النظم من هذا البحر إطلاقاً وهو يتكون من اثنى عشر مقطعاً (ست تفعيلات إيامبية مقطعين)

ولم يزل الشعر المرسل يتأرجح بعد شيكسبير بين العلو والسفل حتى جاء ملتون العظيم فنظم به طرفته الخالدة (الفردوس المفقود) التى وصف فيها الحرب بين عيسى (الخير) وبين الشيطان (الشر) ، وكيف تم الفوز للمسيح آخر الأمر ... تلك الطرفة التى بلغ فيها الشعر المرسل قمة الإجادة ... ومن العجب أن يفشل ملتون فى منظومته التالية (الفردوس المعاد) فى المحافظة على ديباجته التى بلغها فى الفردوس المفقود ، ولعل للسن حكمه فى هذا الانتكاس

ومما يؤثر أن ملتون استطاع أن يتجنب كثيراً من العلل التى كان يتورط فيها شعراء عصر إليزابث أو التى لم يكونوا يرون غضاضة فى وجودها فى أشعارهم ، وقد أبت على ملتون بصيرته النقادة أن يقع فيما وقع فيه أسلافه ، أو أن يبيح لنفسه تلك الضرورات الشعرية السخيفة التى لا يلجأ إليها إلا كل شاعر لم تنضج شاعريته بعد

ثم ركد الشعر المرسل مرة أخرى بعد ملتون حتى عاد إليه شبابه — بعد النهضة — وذلك على أيدى أتواى Otway ولى Lee ودريدن Dryden

واستعمله فى القرن الثامن عشر شعراء عظماء فأتوا فيه بالمعجز والمطرب ، ومن هؤلاء طومسون ويَنج

ثم استعمله الشعراء المحدثون (شعراء القرن التاسع عشر) أمثال بيرون وشلي وسوينبرن وكيتس وتنيسون ، وإن لم يستحدثوا فيه شيئاً جديداً ، إلا أنهم نظموا فيه الغرر المشجية وأمدوا الأدب الإنجليزى بثروة لن تبيد

وقد فهمت من حديث لى مع بعض الأدباء المصريين أنهم يعتقدون أن الشعر المرسل قد انتهى زمنه ، وهذا رأى خاطىء ، فقد نظم به رديار كپلنج نصف إنتاجه تقريباً كما نظم به برنردشو درامته المظيمة Cashel Byrone's Profession التى أعدها للمسرح عن قصته التى تحمل هذا الاسم ، والتى اعترف هو نفسه بأنه إنما لجأ إلى نظمها بالشعر المرسل لأنه أيسر عليه أسهل من النثر !

وسنعرض فى مقال آخر إن شاء الله لشعراء العصر الحاضر الذين لا يزالون يستعملون الشعر المرسل فى تأليف قصصهم المنظومة ودراماتهم . وسنرى ما كان يلقاه پينرو Sir Arthur Pinero المتوفى سنة ١٩٣٤ والذى أتى فى الدرامة المنظومة بما يضارع ما جاء به شيكسبير إن لم يتفوق عليه أحياناً من عنت نقاد الأدب الإنجليزى الحديث وسخفهم

أما الشعر الحر فلم يقرر المؤرخون على وجه التحقيق متى بدىء استعماله ، ولم يهتدوا إلى مبتكره الأول . وقد حاول ملتون فى منظومته عن شمشون Samson Agonistes محاولة بارعة فى الشعر الحر ، كما شاع استعماله بين الشعراء الفرنسيين . وقد نظم به لافونتين فى القرن الثامن عشر ، ولكن على قواعد العروض اليونانى ، وكذلك استعمله ماثيو أرنولد كثيراً فأجاد

هذا ، وقد تفنن الشعراء فى ابتكار الأوزان الجديدة لهذا الضرب من ضروب الشعر فأتوا فيه بالأعاجيب . . . على أنه لم

المشكلات

٩ - اللغـــة العربية

للأســـتاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد فاتحت كثيراً من رجال التربية والتعليم فى مصر ممن يهتمون باللغة العربية فى هـذا الأسلوب الجديد فى تعليم اللغة ، فـكانوا جميعاً يلقوننى بشبهة واحدة قد اتفق الجميع عليها ، وكأنهم تواطأوا على إيرادها ، أوردها من لا أحصى ممن يهتمون بشئون التعليم فى مصر ، ومن قبل ذلك أوردتها فيما بينى وبين نفسى

وهذا دليل على قوتها ، وقرب تناولها ؛ فإن استطعت حلها فقد ذللت عقبة كأداء فى سبيل الإصلاح المنشود

يقولون جميعاً : مما يعوق ملـكة تـكوين اللغة العربية عندنا أن اللغة العامية سبقت إلينا فتـكونت ملـكتها فينـا ، واللغة العامية تحريف للغة العربية وخطأ فيهـا ، فإذا تـكونت فينا ملـكة اللغة العامية فهذا معناه تـكون ملـكة الخطأ فى اللغة العربية ، وإذا سبق الخطأ وصار ملـكة ثبت ورسخ ، فإذا أريد بعد ذلك إصلاحه وصيرورة هذا الإصلاح ملـكة تعذر واستحال

ومما يزيد الأمر تعذراً واستحالة أننا لا نزال نسمع من والدينا وإخواننا وأهلينا ومخالطينا وأصدقائنا اللغة العامية ، يتكلمون بها ونكلمهم ، ونتفاهم بها ونتساجل ، فهى لغة البيت ولغة الشارع ولغة المدرسة ولغة الأغانى ولغة التمثيل ولغة الخيالة ولغة بعض المجلات ، أينما توجهنا وجدناها ، وحيثما أصغينا سمعناها ، وهـذا معناه أن الخطأ واللحن فى اللغة العربية سبق فصار ملـكة ، وأنه لا يزال يتردد على أسماعنا ونردده فيزداد رسوخاً ، حتى يختلط بلحمنا ودمنا ، فمهما فعلنا للتخلص من ملـكة اللحن والخطأ لم يفدنا ، وكلما هربنا من هذه الملـكة لحقتنا ؛ فأين النجاء وأين المهرب ؟ وهى قد سبقت فاستحكمت فينا ، ثم أخذت تلاحقنا وتسابقنا وتتغلب علينا وتقهرنا . ولعل هذا هو الذى دعا العلماء الأقدمين إلى أن ييأسوا من تـكوين ملـكة العربية الصحيحة ، فاكتفوا بالقواعد والقوانين التى تضبط أمرها مع التنبيه والمعالجة ، ولم يسموا إلى ملـكتها التى تعطى التعبير بها دون قصد ولا تنبه ولا تـكلف ولا علاج

وإنى أقول فى جواب هذه الشبهة أن ذلك يبين عسر اكتساب ملـكة العربية لا تعذره ، والمشقة لا الاستحالة ؛ فإنه لو استحال تـكوين ملـكة العربية مع سبق ملـكة العامية لما وقع لأحد . وكيف وقد وقع للـكثير من رجال اللغة والأدب ؟ حقاً إن هذا دليل على التعسر لا على التعذر بدليل أننا نجد خلافه من نفوسنا وخلطائنا ؛ فـكثير منا قد سبقت إليه فى صباه ملـكة العامية ، ثم عنى بكسب ملـكة اللغة العربية بالحفظ والمرانة فاكتسبها ، ولم تمنعه الملـكة السابقة أن يكتسب الملـكة اللاحقة ؛ بل إنى لأزعم أنه لا يكتب الـكتاب ، ولا يشعر الشعراء ، ولا يخطب الخطباء باللغة العربية إلا بفضل الملـكة التى اكتسبوها من القراءة والحفظ والاعتياد والتى قاومت ملـكات العامية فى نفوسهم فغلبتها وظهرت عليها لا بفضل القواعد وحدها

لقد قام الدليل على أن لا سبيل إلى اكتساب اللغة إلا هذا السبيل وهو أن اللغة ملـكة والملـكة لا تـكتسب إلا بالتكرار ، فإذا تعين هذا السبيل بالدليل فلا معنى لتصيد الشبه من هنا ومن هنا للهروب مما أوجبه الدليل وعينته الحجة . وهل توقفت المدارس الأجنبية عن تعليم تلاميذها لغة غير لغتهم بطريق الحفظ والحديث بحجة أن لغتهم صارت ملـكة فيهم فلا يمكن أن يكتسبوا ملـكة لغة أخرى . الواقع أن من الناس من يجيد لغات كثيرة وكلها ملـكات فيه ، وقد اكتسبها بطريق المحادثة

ينتشر انتشاراً عالمياً إلا قبيل الحرب الـكبرى (الماضية) ؛ وتسمى الشعراء الذين آثروه واستعملوه بكثرة باسم The Imagists أى الذين يصورون صور الأشياء بالشعر الحر كما يصور الفنان صورها فى ذهنه بألوان من نور ، ومن هؤلاء عزرا پوند Pound وفلنت Flint ولول Lowell و د . ه لورنس الشاعر والـكاتب الروائى الماجن وريتشارد ألدنجتون ، ونرجو أن نوفق للـكتابة عن مذهبهم الشعرى بتوسع قريباً

(يتبع) دريني خشبة

والحفظ ، ولم تزاحم ملكة لغة ملكة لغة أخرى عنده ، وإن كانت ملكة بعض اللغات عنده أقوى من بعض فذلك لا يعنينا لأننا في أصل تحصيل الملكة لا في جودتها والمفاضلة بين الملكات بعضها وبعض . إن علماء الأخلاق قد جزموا بإمكان تغيير الأخلاق وقالوا إنه يمكن أن يكون الجبان شجاعاً ، والبخيل كريماً ، والشره عفيفاً ، والأخلاق ملكات ، والخلق الذميم تحريف للخلق الفاضل . ورأوا أن التكرار كفيل بالتغيير ، وما على الجبان إلا أن يتشجع ويعمل أعمال الشجعان ، وما على البخيل إلا أن يتسخى ويعمل أعمال الأسخياء ، ليكتسب الخلق الجديد ، ويتخلى عن الخلق القديم

فإذا كانوا قد جزموا بذلك في الأخلاق غير متحفظين ولا مترددين فما أحرانا أن نجزم به في اللغة ولا نتحفظ ولا نتردد

وليس ما يتصيدونه من شبه مما يشفع لنا أن نترك الطريق الطبيعي لتعليم اللغة ونسلك طريقاً غير طبيعي في تعليمها

على أننا قد أخذنا بالحيطة والحزم ، فلم نمنع القواعد إلا في الأقسام الأولية والابتدائية فجعلنا التعليم فيها بالحفظ والمحادثة فقط ، أما في مرحلة التعليم الثانوي وفي مرحلة التعليم العالي فقد جمعنا بين الطريقين ، طريق القواعد وطريق الحفظ ، فإن لم يزدها قوة فليس يزيدها ضعفاً ، وهذا ريثما يبين للناس بالتجربة صلاحية الطريقة الجديدة لتعليم اللغة ، فإذا بان صلاحها رفعنا القواعد إلا من التعليم العالي ومن المعاهد التي تعد معلم اللغة العربية

إن ما يقال من الصعاب التي تعترض من يريد تكوين ملكة اللغة العربية ، والتي تدفع بعض الناس إلى أن يظنوا أنها تجعل اكتساب هذه الملكة متعذراً ومحالاً إنما هو منبهة على مواضع العقاب في تحصيلها ، وليس من المحال التغلب على شتى هذه العقاب والصعاب . فلنتلاف منها ما يمكن ملافاته ، ولنبق للزمن ما عليه أن يتمه ، وما دمنا نبذل الجهد المضني والزمن الكثير الذي هو رأس مالنا في تعلم العربية فعلينا أن نزيل من معوقات هذه الملكة كل ما تمكن إزالته ، وإلا كنا نهدم باليسار ما نشيده باليمين

علينا أن نجعل أغانينا باللغة العربية ولا نسمح للغة العامية أن تكون لغة الغناء ما دام ذلك يعوق ملكة العربية ونحن نبذل الجهد والمال في اكتسابها ، ولا يصح أن نتناقض في أفعالنا

علينا أن نجعل روايات المسرح باللغة العربية ولا نسمح للعامية أن تحتل المسرح لأن ذلك يعوق ملكة العربية فينا ، ونحن قد ملأنا برامج تعليمنا باللغة العربية لنتعلمها ، ولا نحب أن نكون كذلك الممثل الذي ظهر على المسرح وبيده اليمنى أوراق ، وبيده اليسرى أوراق ، فقيل له ما بيدك اليمنى ؟ فقال قوانين . قيل له وما بيدك اليسرى ؟ قال نَسْخ هذه القوانين

علينا أن نحتم أن تكون لغة المجلات هي اللغة العربية ، ولا نسمح للعامية أن تحتل مكاناً فيها للعلة نفسها ، وهكذا الشأن في الإذاعة وفي الصحافة

وإذا كنا إذا بنينا بناء وشيدناه ، وبذلنا المال في تشييده لا نسمح لغيرنا أن يهدمه ، فحرى بنا ونحن نبني ملكة اللغة العربية فينا ، وننفق في سبيلها كرائم أموالنا ، وزهرة شبابنا ، وأعز جهودنا ألا نسمح للمسارح ودور التمثيل والمغنين والمغنيات أن يهدموا ما نبنيه

وعلينا أن نبكر في تلقين التلاميذ نماذج من المحفوظات العربية ، وقد سهلت مدارس رياض الأطفال علينا هذه المهمة ، فالتلاميذ يذهبون إليها في سن مبكرة ، فعلينا نحن أن نهتبل هذه الفرصة فنعطيهم نماذج يحفظونها تناسب عقولهم ، ولا تنبو من أفهامهم ، ما دامت الملكة السابقة لها القوة والسيطرة والغلبة

لقد غالى بعضهم وزعم أن تكوين ملكة العربية أسهل على الإنجليزي والفرنسي منها على من سبقت له ملكة العامية ، وذلك مبالغة في اليأس والقنوط

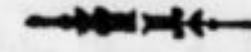
إن العامية لا يمكن أن تقف في طريق تكوين ملكة العربية ، بل إني أرى أنها عون على اللغة العربية ، فمن السهل على من عرف العامية أن يتعلم اللغة العربية وتكون عوناً له عليها ، وتطيعه ملكة اللغة العربية بأيسر وأسهل مما تطيع من لا يعرفها ولا يتكلم بها كالانجليزي والفرنسي ، لأن معرفة العامية تعلم الكثير من العربية فتعلم كثيراً من مفرداتها كالأرض والسماء والسحاب والماء والثرى والهواء ، تعلم كثيراً من أساليبها وتراكيبها ، والنقص الذي دخل على ملكاته من تحريف العامية شيء سهل يمكن ملافاته إذا سار في الطريق المستقيم عكس من

بمناسبة العتاب اللبناني

الأخوة الأدبيـــة

بين البلاد العربية

للأستاذ محمد عبد الغني حسن



كنتُ دعوتُ في البريد الأدبي للرسالة الأديب اللبناني « إلياس أبو شبكة » إلى رسم لوحة أدبية للشاعر اللبناني المعاصر نجيب إليان بمناسبة نجاحه في مسابقة الشعر العربي التي نظمتها محطة الإذاعة اللاسلكية في لندن . ولقد خصصت بالدعوة الأستاذ « أبو شبكة » ، لأنني أعرف من ريشته الفاتنة في تصوير الأشخاص ما لا يعرف الكثيرون . ولأن هذه المعرفة جاءتني من طريق كتاب له عنوانه « الرسوم » صوّر فيه طائفة من أدباء لبنان تصويراً يبرز التفاصيل على أصولها ويخرج الدقائق إخراجاً لا يُخطىء كما لا تُخطىء العدسةُ الطبيةُ في إخراج التفاصيل

وما عرفتُ « أبا شبكة » معرفة الجسم ولا مرأى العين ، ولكنني عرفته من كتابه « الرسوم » ومن ديوانه « أفاعي الفردوس » الذي تفضل فأهداه إليّ بتوقيعه الكريم في سنة ١٩٣٨ . ومن حينها انعقد بيننا ودٌّ روحي أكدته قراءتي له ومتابعتي لآثاره في صحف لبنان التي تحملها الأقدار السعيدة إليّ

وما كنت أظن وأنا أقترح عليه هذا المقترح أن في صدره أموراً طوى كَشْحَه على مستكناتها ، وأن في نفسه كلاماً يريد أن يقوله ؛ فإذا به في العدد ٢٩٠ من مجلة « الجمهور » اللبنانية يرد عليّ رداً ينكر به قديم ودنا ويتجاهل « سامحه الله »

(محمد عبد الغني حسن موقّع القسم الأول من البريد الأدبي في الجزء ال ٥٢٨ من الرسالة)

وإذا كان الأخ قد نسي ودّي فأنا أجد من حق عليه أن أذكّره بتقدمة الإهداء التي كتبها على « أفاعي الفردوس » ، حين أهداه إليّ من لبنان البعيد

وفي رد أبي شبكة عتاب على الرسالة خاصة وعلى الصحافة المصرية عامة . ولكنه عتاب شديد مشى فيه صاحبه إلينا بالسيوف كما مشى الشاعر قبله إلى الملك الجبار حين صعّر خده ! ولكنه عتابٌ حبيبٌ إلى النفس ، لأنه عتاب الأخ الكريم والجار الجُنُبُ ؛ ولأن فيه صراحة لأنه من شاعر لا يحب الكذب ولا المواربة ، ولا يخرج الخبيث من القصد بصورة المجاملة أو اللياقة أو المرونة

ويظهر لي أن العدسة الطبية التي اختص الله بها الشاعر « إلياس أبو شبكة » قد استحالت إلى عدسة مكبِّرة مهوِّلة تخلق القباب من الحبوب ، وتجعل الجبال من النمال ! فهو يثور على صحافة مصر في غير موضع للثورة ، ويعتب على أدباء مصر في غير محل للعتاب ، ويتّهم الصحافة المصرية إجمالاً بإهمال الحركة الأدبية القائمة فيما يلي مصر من الأقطار العربية وخاصة لبنان . ويتهم الأستاذ أحمد حسن الزيات بالتعصب ، ولكنه يجله ويقدر أدبه ويعرف مكانته هو وجميع أدباء لبنان (الذين لا يعرفون للأدب حدوداً ولا يقررون له مناطق)

وبالطبع لم تمر كلمة الأستاذ أبي شبكة من غير رد أو تعقيب . وكان أسبقنا إلى الكلام الأستاذ ابراهيم المازني في عدد ١٢ سبتمبر من البلاغ . وتمنّى الدكتور زكي مبارك بكلمة في العدد ٥٣٣ من الرسالة اعترف فيها بإغفال المجلات المصرية للحركة الأدبية في لبنان وغيره من الأقطار العربية ؛ ولكنه رد ذلك إلى إغفال عام للحركة الأدبية في مصر ذاتها . وهذا كلام في جلته صحيح ولكنه يحتاج إلى بعض التصحيح ... فالحركة الأدبية في الأقطار العربية عامة ملحوظة في بعض الصحف المصرية « كالمقتطف » التي لا ينفي عنها مصريتها كونها من أصل لبناني . ومجيب جداً أن يتكلم الأستاذ في « لبنانية المقتطف » أو « مصرية الرسالة » ؛ وهو كلام لا نحبُّ أن نسمعه لأنه يوجع الآذان والقلوب ، ولأنه يفسح المجال لمن يقولون : هذا مصري ، وهذا لبناني

لم يعرف شيئاً من العامية ، فيبدأ في تعلم العربية من جديد كلة كلة ، وحرفاً حرفاً ، وأسلوباً أسلوباً ، ونظماً نظماً

قد بلغنا في نصرة الأسلوب الجديد في تعليم اللغة العربية المبلغ الذي وسعه الجهد ، وإن كان قليلا ، وبلغه الوسع وإن كان ضئيلا ، ولم نترك حجة تفيد نصرته إلا تتبعناها ، ولا شبهة تدل على خلافه إلا أفسدناها ، ولم يبق للمهيمنين على تعليم اللغة العربية في وزارة المعارف وفي الجامعة وفي الأزهر عذر في ألا يصطنعوا هذا الأسلوب ؛ فقد وضح الحق ، وانخذل الباطل ، ولم يبق عذر لمعتذر

محمد عرفة

وكيف يا أخي أغفلت « الرسالة » وغيرها أدبكم ، وأهملت إنتاجكم ، وهى تنشر لشكرى فيصل وسعيد الأفغانى وعلى الطنطاوى وطه الراوى وأنستاس الكرملى واحمد صافى النجفى وحسين الظريفى وكوركيس عواد وميخائيل عواد ، وفدوى عبد الفتاح طوقان ووداد سكاكينى وغيرهم وكلهم من الأقطار العربية القريبة والنائية ؟

ثم ما وجه عتابك أنت بالذات يا أخى وأنت لا تكتب حتى فى المجلات المصرية التى يديرها ويشرف عليها – كما تزعم – لبنانيون كالمقتطف والهلال ؟ فما رأينا لك فيها من زمان بعيد أثراً ، على حين قرأنا لأخينا اللبنانى الأستاذ كرم ملحم كرم أخيراً قصة لبنانية رائعة فى إحدى المجلات الشهرية

والحق أنك يا أخي أصابك نوع من ركود الإنتاج الأدبى فأخذت تتجنى على صحافة مصر البريئة وأدبائها البرآء . ودليلى على ذلك أن صحافة مصر الأدبية فى هذا العام مملوءة بأسماء ميخائيل نعيمة اللبناني وعدنان مردم بك وعبد الوهاب الأمين البغدادى ونقولا زيادة الفلسطيني وأسعد طلس السورى وصلاح اللبكى وزكى المحاسني وخليل هنداوى وصلاح الدين المنجد وراجى الراعى وغيرهم من أدباء الأقطار العربية . فأين اسمك بينهم ، وأين جولك فى ميادينهم ؟

أما كتبكم يا أخى فلم تغفلها الصحافة المصرية جملة ولا الأدباء المصريون . وإلا كنتَ فى هذه الدعوى متجنياً علينا كعادتك . ففى مجلة مصرية شهرية باب للمكتبة العربية لا يفلت منه كتاب عربى خرج فى سوق الأدب مهما ضؤل حجمه ! حتى ديوان « خيوط الغمام » الذى نظمه الشاعر السورى الرقيق عبد الله يوركى حلاق ، وكتب مقدمته صديقك كرم ملحم كرم . ولست أريد هنا أن أشق عليك وعلى القراء بالحديث عن نفسى وعن مكتبة مصرية شهرية . فما أسمج أن يتحدث المرء عن نفسه !

على أن الصحف المصرية نفسها قد تسكت عما يصدر فى مصر نفسها من الآثار الأدبية – كما قال ذلك بحق الدكتور زكى مبارك فى رده عليك – فإن سلسلة « إقرأ » لم تظفر من « الرسالة » بكلمة واحدة على طرافة ما كتب فى تلك وجدته . وخاصة تلك « الدجاجة الفلسطينية » التى وجدنا من حديثها عقلاً وعجباً .

وقد تلاحظ يا أخى رواج كتبنا فى بلادكم وإملاق بلادنا من كتبكم . وتلك حقيقة يا أخى لا نحمل نحن مسئولية التقصير فيها . ولعل لتجار الكتب وموزعيها يداً فى ذلك ، فنحن قد نحفى أقدامنا فى السؤال عن كتاب طبع فى الشام فلا نجد له أثراً ؛ حتى كتب الكبار من أدبائكم . فإن « ملوك العرب » لأمين الريحانى لم أجده فى مصر إلى أن أهدانيه مؤلفه وحمّله صديق المرحوم ألفريد الجميّل . وكانت لنا مشاركة فى مجلة المكشوف – حيا الله صاحبها – فلم نستطع الحصول عليها من مكتبات مصر . حتى كتابك الرسوم لم أعثر على نسخة منه إلا بقَدَر سعيد . . . ولولا هدايا كم المتوالية ما عمرت مكتباتنا الخاصة بكتبكم التي نقرؤها ونجلها

على أن المعاتبة بينكم لا تحملك يا أخى على أن تسكت عن دعوة دعوتك إليها فى موضوع الكتابة عن الشاعر اللبنانى نجيب إليان . فاكتب عنه فى أية صحيفة شئت ؛ وارسمه فى أية مجلة أردت ، ولكن لا تنس أنك أسأت الظن « بالرسالة » التى لا ينكر فضلها فى تمكين الروابط العربية إلا غيرُ منصف . وحاشاك أن تكونه والسلام .

محمد عبد الغنى حسن

٦ـ الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

لم يرد فى القرآن الكريم نص صريح يحرم استعمال الذهب والفضة والحرير، وجميع الآيات التى تتعلق بهذه الأشياء إنما تشير إلى أنها مما سيتمتع به المتقون يوم القيامة عندما يسكنون الجنة ويلبسون الحرير ويتحلون بأساور من ذهب وفضة؛ ولكن ورد فى كتب السنة أحاديث عدة تنظم استعمال هذه الأشياء. بعضها يحرمها وبعضها يحللها بحسب الظروف المختلفة. والملحوظ فى التحريم على كل حال هو الرغبة الصادقة فى الحيلولة بين الرجال وبين الانغماس فى النعيم، حتى يظلوا متمسكين بعادات البداوة والخشونة ولا يفقدون شجاعتهم وحميتهم. ولقد كان فى تلك الإباحة وهذا التحديد أو التحريم غنم كبير للفنون الجميلة يتجلى لنا فيما أبدعه المسلمون من المنسوجات ومن الحلى والأوانى

أما الحرير فله فى تاريخ الحضارة قصة شيقة ساهم المسلمون فيها بأوفى نصيب، فقد كان إنتاجه سراً مغلقاً لا يملك مفتاحه غير الصينيين. واستطاع الأمبراطور جستنيان فى سنة ٥٥٦ م أن يقف على هذا السر، وأصبحت بيزنطة منذ ذلك التاريخ من أهم مراكز إنتاج الحرير ونسجه. واقتصر استعمال المنسوجات الحريرية فى أول الأمر على النساء؛ ولكن رجال الدولة الرومانية اتخذوا ملابسهم من الحرير. وعند ما ظهر الدين المسيحي ورأى رجال الكنيسة أن فى استعمال هذه الملابس ترفاً لا يقره الدين ولا سيما وقد كانت أثمان هذه الملابس مرتفعة إلى حد بعيد انبروا لمقاومة انتشارها وأعلنوا حرباً شعواء عليها، ولكنهم فشلوا فى حملتهم، وتغلبت روح الترف على الناس فأقبلوا على اقتنائها. وجاء الإسلام فلم يشأ أن يقف جامداً أمام هذه المشكلة، بل نظم استعمال الملابس الحريرية تنظيما كان له أبعد الأثر فى الفن، إذ وردت فى كتب السنة أحاديث عدة أباحت الحرير للنساء إطلاقاً من غير قيد ولا شرط، وحرمته على الرجال إلا لضرورة، أو كان الثوب مشتملاً على قدر أصبعين أو أربع أصابع من الحرير. وعلى أساس هذه الإباحة ازدهرت طريقة الزخرفة المسماة بالتابسترى Tapestry، وكانت المنسوجات التى تزين بهذه الطريقة تنسج بالطريقة العادية للنسيج أى تقاطع خيوط اللحمة بخيوط السدى حتى إذا وصل النساج إلى النقطة المراد زخرفتها أوقف عملية الحشو بخيوط اللحمة وأخذ فى عمل الزخرفة بخيوط من الحرير المختلفة الألوان



صورة مجسمة تمثل عقاباً من البرنز من الدولة الفاطمية ـ نقلا عن كنوز الفاطميين للدكتور زكي محمد حسن ـ راجع البحث المنشور فى العدد ٥٣٧ من هذه المجلة

فترى الثوب وقد ازدان بشريط من الحرير يتضمن زخرفة مدهشة تدل دلالة واضحة على مدى ما بلغه المسلمون من الخبرة الواسعة بالأوضاع الزخرفية والأساليب الفنية والمقدرة الفائقة على اختيار الألوان، حتى أن الإنسان لا يدرى أموضع السحر فى هذه المنسوجات دقة الزخرفة أم التناسق بين الألوان أم جمال الحرير وقد نسج وسط الكتان؟ ولقد كانت هذه الطريقة متمشية مع ما أقره الفقه الإسلامى ، وإن كان الفاطميون قد تسامحوا فيها فى أواخر عصرهم فزادوا فى مساحة أشرطة الزخرفة المنسوجة من الحرير عن النسبة المقررة شرعاً

وفى ظل الإباحة المطلقة للنساء تقدمت صناعة نسج الحرير وراجت رواجاً عظيماً ، وأصبح فى متناول معظم الناس بعد أن كان قاصراً على الحكام والأمراء قبل الإسلام ، وتسلم المسلمون زعامة تجارته فى العصور الوسطى ، وكان لهم فضل إدخاله فى صقلية والأندلس

أما الحلى المصنوعة من الذهب فقد نشط الصناع المسلمون فى صياغتها ، وتفننوا فى صنعها ، وأتوا فيها بالبدع المدهش ، والأمثلة القليلة التى عثر عليها فى أطلال الفسطاط — أقدم



صحن من الخزف ذى البريق المعدنى من الدولة الفاطمية — نقلا عن رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية للمرحوم الأستاذ « حسن الهوارى »

العواصم الإسلامية فى مصر — من خواتم وأساور وأقراط خير دليل على ذلك . ولو لا أن الحلى الذهبية من الأشياء التى تصهر ويعاد صنعها فى العصور المختلفة لوصلت إلينا نماذج كثيرة تكشف عن مهارة المسلمين فى هذه الناحية

أما اتخاذ الأوانى من الذهب والفضة فقد حرم بنص الأحاديث المختلفة ، ولكن هذا التحريم كان فى الواقع سبباً مباشراً فى اهتداء الفنان المسلم إلى طريقة استطاع أن يوفر بها



شمعدان من نحاس أصفر مكفت بالذهب والفضة مؤرخ ٦٦٨هـ من فهرس مقتنيات دار الآثار العربية للمرحوم مكس هرتس بك

للأوانى الخزفية جمال الذهب وبريقه فتوصل إلى صنع الخزف ذى البريق المعدنى . ولحسن الحظ قد وصلت إلينا من هذا الخزف أمثلة كثيرة تسابق إلى اقتنائها المتاحف والهواة فى الشرق وفى الغرب . وفى الحق أن هذه الأمثلة قد امتزجت فيها دقة الصانع بعبقرية الفنان فأبدعا معاً هذه التحف التى يستمتع الآكل فيها بجمال الذهب ورونقه ويرتاح ضميره — إن كان مسلماً متمسكاً بالدين — إلى إتباع أحكام الدين وطاعته

هذا وقد اهتدى المسلمون تحت ضغط هذا التحريم إلى طريقة تطعيم أوانى النحاس بالذهب والفضة فجعل من الأوانى المنزلة بالذهب وبالفضة أو بهما معاً تحفاً رائعة لها من الجمال الفنى والذوق السامى ما تتضاءل بجانبه الأوانى المتخذة من الذهب الخالص أو الفضة الخالصة .

(يتبع)

محمد عبد العزيز مرزوق
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

وحى القــــرآن

للأستاذ محمود أبو رية

كتب الأستاذ محمود البشبيشى كلمة فى العدد (٥٣٤) من الرسالة جملها رداً على سؤالنا الذى وجهناه من قبل إلى أئمة الدين والعلماء المحققين لكى يبلغوا لنا رأيهم فى أمر وحى القرآن باللفظ، وكأنه حسب أن هذا الرد فيه بلاغ للناس وجواب عما سألنا

يقول الأستاذ « إن موضوع الوحى من القضايا التى فصلت فيها الأيام منذ عهد الرسالة ، وموضوع خلق القرآن أو قدمه من المباحث التى توفر عليها علماء المسلمين فى عهد المأمون والواثق (كذا) والمعتصم وما تركوا منها ناحيه تحتاج إلى توضيح أو استيفاء »

ونحن إذا كنا لم نعرض بشىء لأمر خلق القرآن فإنا نجيب عن ذلك ، أنه لم يكن لوحى القرآن قضية فى عهد الرسول وصحابته ومن تبعهم حتى يبحثوا عنها أو يفصلوا فيها ، وإنما كانوا يعلمون أن القرآن كتاب منزل يفهمونه ويعملون بما فيه. ولقد كان للسلف مذهب فى فهم صفات الله التى وردت فى القرآن ولم يكن منها صفة (المتكلم) ؛ ذلك أنهم يروونها كما وردت بغير تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل. وظل الأمر على ذلك إلى أواخر الدولة الأموية حين ظهرت مسألة خلق القرآن ، فكان العلماء يتولونها بالجدل والبحث حتى دخلت السياسة فيها زمن المأمون إذ حمل الناس على القول بخلق القرآن ، واستمر الأمر على ذلك أيام المعتصم والواثق إلى أن تولى المتوكل فنهى الناس عن الخوض فى هـذا الأمر. ولما كفت السياسة عن تدخلها عاد البحث إلى العلماء يتناولونه فيما بينهم

وبهذا الذى بيناه ينتفى ما قاله الأستاذ البشبيشى من أن علماء المسلمين فى عهد المأمون وما بعده لم يتركوا منه ناحية إلى توضيح أو استيفاء

وقال الأستاذ : « إن سلف العلماء وأئمة الفرق الإسلامية لم يختلفوا — أى كما قلنا نحن ـ على أن القرآن لفظاً ومعنى كلام الله » وهذا عجب منه لأنى لم أقل ذلك ولم أعرض بشىء (لمعنى القرآن) وهذا نص كلامى « ووحى القرآن باللفظ أمر اختلفت فيه الفرق الإسلامية »

وقال « إنما الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة على قدم اللفظ وحدوثه » ونحن نذكر للأستاذ أنه لم يكن ثم خلاف بين هاتين الطائفتين على حدوث الكلام اللفظي وإنما كان خلافهم على (المعنى النفسى) ، وأن فرقاً كثيرة قد شجر بينها الخلاف فى كلام الله حتى قال ابن تيمية « والناس قد تنازعوا فى كلام الله نزاعاً كثيراً والطوائف (الكبار) نحو ست فرق ـ وأن الناس فى كلام الله مضطربون وقد بلغوا فيه إلى سبعة أقوال »

ولقد كان مثار خلاف العلماء فى تحقيق كلام الله وحدوثه وقدمه ، لأنهم رأوا قياسين متعارضين فى النتيجة وهما :

١ — كلام الله صفة له وكل ما هو صفة فقديم ، فكلام الله قديم

٢ — كلام الله مركب من حروف وأصوات مرتبة متعاقبة فى الوجود ، وكل ما هو كذلك فهو حادث ، فكلام الله تعالى حادث . من أجل ذلك اضطروا إلى القدح فى أحد القياسين ضرورة امتناع حقيقة النقيضين : فذهبت كل طائفة إلى صحة بعض المقـدمات والقدح فى الأخرى ؛ فالأشاعرة والحنابلة ذهبوا إلى صحة القياس الأول ، والمعتزلة قدحت فى الصغرى منه ، والكرامية قدحت فى الكبرى . والمعتزلة والكرامية ذهبوا إلى صحة القياس الثانى ، والأشاعرة قدحوا فى الصغرى منه ، والحنابلة قدحوا فى الكبرى . وثم آراء متباينة لطوائف أخرى كالكلابية والسالمية وبعض الفلاسفة كابن سينا ومن على رأيهم من المتصوفة والشيعة ، وهذا كله غير مذهب السلف الذى أشرنا إليه فى أول كلمتنا . ومن يرجع إلى كتب الكلام الكبيرة وكتب الملل والنحل يجد تفصيل هذا الخلاف ومعترك هذا النضال

ولقد كان من قول أبى الحسن الأشعرى أن كلام الله

يطلق إطلاقين ، كما هو الشأن فى الإنسان ، فالإنسان يسمى متكلما باعتبارين ، أحدهما بالصوت ، والأخرى (بكلام النفس) الذى ليس بصوت ولا حرف »

وقد قال شيخنا الأستاذ الإمام محمد عبده : « ليس النزاع فى (الكلام اللفظى فإنه حادث باتفاق) ، وإنما النزاع فى إثبات (الكلام النفسى) » ، وأبان أن الأشعرى لم يثبت الكلام النفسى إلا لترويج ظواهر النصوص الدالة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وإن قوله هذا ليس إلا زيادة قول فى المسألة من غير فائدة . ثم ناقش ما استندوا إليه فى إثبات الكلام النفسى واستشهادهم بقول الأخطل : إن الكلام لفى الفؤاد الخ . فقال رضى الله عنه : « فليس الكلام لغة أو عرفا ما هو فى الفؤاد كما زعموا فى قول الشاعر أن الكلام لفى الفؤاد الخ . فالقرائن قائمة على أنه ليس المراد منه الإخبار بأن الكلام هو الصور الخيالية التى يعقبها النطق ، بل الإفادة أن كل متكلم فإنما ينطق عن أخلاقه وأحواله الذاتية الكامنة ، ولفظه إنما هو دليل على ما انطوى عليه كما يعطيه ذوق الكلام »

وجاء فى المقاصد : « خالفنا جميع الفرق فى إثبات الكلام النفسى وقالوا لا معنى للكلام إلا المنتظم من الحروف المسموعة الدالة على المعانى المقصودة ، وإن « الكلام النفسى » غير معقول إذ يقيسون ما فى نفس الله على ما فى نفس الإنسان »

ومما أوضحناه يتبين أن موضوع خلق القرآن لم يكن – كما قال الأستاذ – من القضايا التى فصلت فيها الأيام ، ومن أجل ذلك يكون سؤالنا لا يزال قائماً ، والإجابة عنه ما برحت ديناً فى عنق علمائنا

أما قول الأستاذ إن سؤالنا قد انطوى على شك واضح فى « حقيقة وحى القرآن الكريم » ، فهذا ما لا أناقشه فيه ، لأن هذا السؤال كما يبدو لكل ذى فهم قد وقف عند حد « وحى القرآن باللفظ » ، ولم ينفذ إلى ما وراء ذلك ...

وما دام الأستاذ قد تقدم إلى ميدان هذا البحث وجال فيه بقلمه ، فإنا نرجو منه أن يحقق للناس أمر لفظ القرآن ، ويبين لهم كيف كان وحيه ، وما معنى الكلام النفسى ، وإنه لجد عليم ؛ بأن البحث فى « كلام الله » أمر مقرر فى كتب تدرس بالمعاهد الدينية الإسلامية فى جميع أقطار الأرض ، وقد قالوا إنهم قد سموا علم العقائد « بعلم الكلام » ، لأن أشهر مسألة وقع فيها الخلاف بين علماء القرون الأولى هي كلام الله المتلو ، أهو حادث أم قديم ؟

هذا ما نرجوه منه ، فإن لم يفعل فليقف فى جانبنا وليستمع معنا ما يتفضل به أهل الذكر علينا

وما دام الأمر بعيداً عن عالم الغيب ومن أصل الوحى فإن البحث يقتضيه ، وأنه لا ضرر من إثارته وتمحيصه ما دامت السياسة لا تعرض له ولا تتدخل فيه .

(المنصورة) محمود أبو رية

نداء الخريف

تعالىْ . أوشكت أيامنا تنفدْ
تعالىْ . أوشكت أنفاسنا تبردْ
بلا أمل ، ولا لقيا ، ولا موعدْ

تعالىْ . هذه الأيام لا ترجعْ
ولا تصغى لنا الدنيا ولا تسمعْ
ولا تجدى شكاة الدهر أو تنفعْ

كلانا ضائع فى الكون مفقودُ
فلا هدفٌ له فى الأرض مشهودُ
ولا أملٌ له فى الغيب موعودُ

ألا ما أحمق اثنين غريبين !
إذا عاشا – مع الحب – فريدين !
وهذا الكون لايدرى الشريدين !

نعم قد أدمت الأشواك قلبينا
وسدت هـذه الدنيا طريقينا
ولكن أين ماضى حبنا أينا !

تعالىْ نحى بالأشواق ماضينا
ونبعثْ فى حمى الحب ليالينا
فهذا الحب إذ نحييه يحيينا

تعالىْ لم يعد فى العمر متسعُ
تعالىْ لم يعد فى الكون منتجَعُ
وغولُ الدهرِ لا يبقى ولا يدعُ

تعالى . نحن بعثرنا السويعاتِ
وضيعنـا بأيام عزيزاتِ
فيا أختاه يكفينا حماقاتِ

أجل يا أختُ ما قد ضاع يكفينا
فنودى . ها هو العش ينادينا
فلا نخربه يا أختُ بأيدينا

ربيع العمر يا أختاه قد مرّا
فلم نطعمه أو نغنم به ذخرا
وما عاد لنا منه سوى الذكرى

فلا نخسر هزيعين من العمر
فدفء العش قد يجدى لدى القر
وروح الحب قد يحيي لدى القبر

ويا أختاه زاد العش يغذونا
فإن الزاد قد قل بأيدينا
وجدب العمر يا أختاه يؤذينا

تعالى نقطع الباقى من العمر
رفيقين على الخير على الشر
حليفين على اليسر على العسر

تعالى أوشكت أيامنا تنفد
تعالى أوشكت أنفاسنا تبرد
بلا أمل ولا لقيا ولا موعد

(حلوان) سيد قطب

وداع المصيف

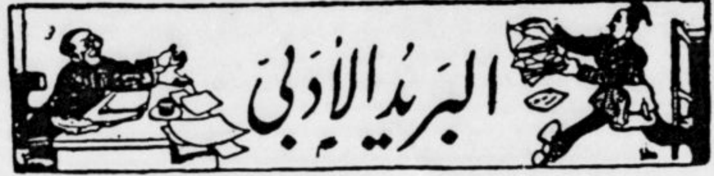
مرت عهود المصيفِ وكل شىء يمـرّ
مضت بكلّ طريفِ من الحيـاة يسّر

نعم وراحت سريعة أيامه والليـالي
وبات عرس الطبيعة من ذكريات الخيال

الصبح فيـه حبيبُ يفيض بالبشر فيضا
والليـل ساج طروب كم سر نفساً وأرضى

بحر من الحسن طامى فى البحر يجنى ويظهر
يروى به كل ظامى إلى الجمال ويسكر

وبسمة وتسنيم فى حيثما حل ناظر



بريد العراق

قيل إن الصداقة كالخمر يزيدها القِدم عِتقاً إلى عتق ، وهذا هو حالي مع أصدقائي في العراق ، فما يمر أسبوع بلا بريد يصل من هناك ، فأعرف به أخباراً تزيد شوقي إلى إخوان الصفاء ، أو تسوق حزناً يعذّب الفؤاد ، كالذي وقع حين قرأت نعي السيد صالح البدري في جريدة الزمان ، رحمه الله وألهم أهله روح الصبر الجميل

هل يعرف الصديق الذي رثى هـذا الأديب بكلمة موجزة في جريدة الزمان أني كنت أحب أن يذكر ترجمة حياته بإطناب ؟

لقد سألت آحاداً من العراقيين المقيمين بالقاهرة عن السيد صالح البدري فلم يعرفوه ، فأدركت من جديد أن الآذان لا تسمع غير الصوت الضجّاج ، وقد تفوتها عذوبة الرنين اللطيف

الصلة بيني وبين السيد صالح البدري لم تزد عن تفضله بتشطير قصيدة بغداد ، وهي في نظري أقوى الصلات ، لأن مجاراة الشاعر للشاعر مساجلة بين روح وروح ، فمن واجبي أن أودعه بكلمة ثناء ، لا كلمة رثاء ، لأني أومن بأن الفكر لا يموت

وهنالك أخبار من العراق تمثلها الرسائل الواردة من بغداد والكرخ والبصرة والحلة والموصل والنجف ، وهي أخبار تشرح الصدر ، لأنها تصور وفاء القلوب في تلك البلاد

وهنالك رسائل طُويتْ عني ، بعد أن كُتبتْ مرة ومرتين ومرات ، لأزداد عذاباً إلى عذاب

سنلتقي يا غاضبين ولو بعد حين ، وستذوقون ثمرات التجني طائعين أو كارهين

إن الرسائل وصلت ، الرسائل التي طويتموها بعد أن كتبتموها ، وسأقرأها عليكم يوم التلاق ، وهو بإذن الله قريب

وأنا أيضاً كتبت إليكم رسائل وطويتها عن عمد ، فهل وصل إليكم منها شيء ؟

بريد القلب هو البريد ، ولكن أين من يعرف تناجي القلوب على بعد الديار ؟

هل عندكم نية لحضور المؤتمر الطبي في العيد المقبل ؟

سأشترك في هـذا المؤتمر ، وسأصنع مثل الذي صنعت منذ أعوام ، فأنتظر في محطة باب الحديد إلى الساعة الثالثة بعد نصف الليل ومعي الأستاذ عبده حسن الزيات ، راجياً أن يكون نصيبي منكم في هذه المرة أطيب من ذلك النصيب

تعالَوا في العيد ، أو في غير العيد ، فرؤيتكم هي العيد

زكي مبارك

يا حسنها لو تقسيم   تلك الرؤى والمناظر

يا بحر جئناك نسعى   وفي القلوب نضوبُ
فراقنا فيك مرعى   من الحياة خصيب

دنيا من الصيف تاهت   على الربيع دلالا
أزهارها النضر فاقت   نور الرياض جمالا

طفقت أرسل عينا   والموج غادٍ وآتي
ورحت أمشي الهوينا   مجمّعاً ذكرياتي

مُحيياً كل حسنٍ   رأيته ومتاع
بنظرة أو بلحن   يهدني جميل وداعي

قد كنت يادار أنسي   معنى جرى في جناني
والآن يغمر حسي   بالحب والتحنان

محمد طاهر الجبلاوي

رد على إيضاح

طالعت اليوم « إيضاح » بقلم الأستاذ القاضي المحامي بمنفلوط المنشور في العدد ٥٣٧ من مجلة الرسالة الغراء بشأن مقالي المنشور بالعدد ٥٣٥

ولقد عجبت كيف ينسب إليّ قولاً لم أذكره ، وله أن يدلني على الصفحة والسطر الذي خلت فيه : « إن الإسلام ينهى الفنان عن ابتداع الصور »

وقد كنت أحب لو تريث قليلاً قبل أن يحكم على عقيدتي في التصوير عند المسلمين ، ولا سيما وقد لفت النظر في نفس المقال الذي يعلق عليه إلى أنني سأتحدث في هـذا الموضوع بالذات ، وتشاء المصادفات أن يظهر بحثي في هذا الصدد في نفس العدد الذي يظهر فيه هذا الإيضاح ، ثم له بعد ذلك أن يناقش رأيي ويصدر حكمه على عقيدتي

ولشد ما كنت أحب له أيضاً — وهو بحكم ثقافته القانونية قد يجلس يوماً ما بين الناس للقضاء — ألا يتسرع فى الحكم ، ويتعجل فى تكوين رأيه فى عقيدة شخص قبل أن يقرأ بإمعان ما كتبه ، وقبل أن يتوفر له من الأدلة ما يساعده على الحكم عليه ، بل لقد بادر فساق رأيه فيما كتبه فى سهولة عجيبة دون أن يسنده بالحجة أو الدليل

ولست فى حاجة إلى القول بأن رأيى فى التصوير عند المسلمين قد أوضحته جلياً ـ بما وسعنى من علم ـ فى هذه المجلة فى العدد ٥٣٧ قبل أن أطلع على « إيضاح » ، وقد نشرت هذا الرأى أيضاً قبل ذلك بنحو خمسة أشهر فى مجلة الهلال فى البحث الذى عقدته عن « مجموعة رفعة شريف صبرى باشا من الصور الإسلامية » فى العدد الذى صدر فى شهر يونيو سنة ١٩٤٣

وأظن أن فيما تقدم ما يكفى لكى ينفى المعنى الذى توهمه عنى كاتب الإيضاح

محمد عبد العزيز مرزوق

الدقة اللفظية

إذا كانت الدقة مستحبة فى كل شىء على وجه العموم ، فهى مستحبة فى التعبير على وجه الخصوص . ولعل أول ما يميز التفكير العلمى الحديث أنه تفكير دقيق لا يخلط بين المتشابهات ولا يعمى عن الفروق الصغيرة ؛ فالدقة معيار هام فى نظر العلم والفلسفة ، والخلط مظهر لانعدام الروح العلمية . وقد نص المنهج العلمى على وجوب تحديد المعانى قبل البدء فى الموضوع ، وإقامة الفوارق بين الألفاظ قبل الشروع فى استعمالها . ولكن الدقة اللفظية لا تتهيأ للكاتب إلا إذا أحاط بمعانى الألفاظ إحاطة وافية ، فلذا يجدر بنا أن نأتى على ذكر معانى الألفاظ التى كثيراً ما يخلط بينها الناس ، قبل أن نطالبهم بأن يفرقوا بينها تفرقة دقيقة محكمة

١ — فالناس كثيراً ما يخلطون بين النفس والروح ، وفى هذا يقول التوحيدى : « وقد ظنت العامة وكثير من أشباه الخاصة أن النفس هى الروح ، وأنه لا فرق بينهما إلا فى اللفظ والتسمية ، وهذا ظن مردود ، لأن النفس جوهر قائم بنفسه لا حاجة بها إلى ما تقوم به ، وما هكذا الروح ، فإنها محتاجة إلى مواد البدن وآلاته » (« المقابسات » ١٠٦ ، ص ٣٧٢ ، ٣٧٣) « فالإنسان ليس إنساناً بالروح . بل بالنفس ، ولو كان إنساناً بالروح ، لم يكن بينه وبين الحمار فرق ، بأن كان له روح ولكن لا نفس له . فليس كل ذى روح ذا نفس ، ولكن كل ذى نفس ذو روح » (« الإمتاع والمؤانسة » الجزء الثانى ص ١١٣)

٢ — وكثيراً ما يخلط الناس أيضاً بين العلم والمعرفة ، ولكن التوحيدى يفرق بينهما فيقول إن : « المعرفة أخص بالمحسوسات والمعانى الجزئية ، والعلم أخص بالمعقولات والمعانى الكلية ، ولهذا يقال فى البارى : يعلم ، ولا يقال يعرف ... » (المقابسة ٧٠ ، ص ٢٧٢)

٣ — ويفرق التوحيدى أيضاً بين لفظين يختلطان فى الاستعمال العادى ، وهما : الفعل والعمل . « فالفعل يقال على ما ينقضى ، والعمل يقال على الآثار التى تثبت فى الذوات بعد انقضاء الحركة » (المقابسة ٧٥) ولهذه التفرقة نظير فى الفرنسية لأن الفعل يقابل كلمة acte والعمل يقابل كلمة oeuvre

٤ — ومن الألفاظ التى يخلط بينها خلطاً ظاهراً ، ألفاظ المشاركة وهى : المساواة ، والمشابهة ، والمطابقة ، والمجانسة ، والمشاكلة ، والمماثلة ؛ وقد نص ابن سينا فى « النجاة » (المقالة الأولى من الإلهيات) على الفروق القائمة بين هذه الألفاظ ، فبين أن المساواة اسم المشاركة فى الكم ، والمشابهة اسم المشاركة فى الكيف ، والمطابقة اسم المشاركة فى الوضع ، والمجانسة اسم المشاركة فى الجنس ، والمشاكلة اسم المشاركة فى الإضافة ، والمماثلة اسم المشاركة فى النوع

هذه بعض الفروق التى « تجب مراعاتها توخياً للدقة فى القول ، وهى تدلنا على حاجتنا إلى شىء أكثر من الدقة اللفظية ، خاصة فى بحوثنا العلمية والفلسفية .

زكريا ابراهيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 539 — Lundi - 1 - 11 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٥٣٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـرس

صفحة
٨٦١ حول ما نـكتب ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد . .
٨٦٤ الحديث ذو شجون : الزواج بعد العشق . من هذه المحاسبة الحسناء ؟ . قيمة الصدق . بين الأدب والحياة . جزئيات سؤر الحديث ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٨٦٧ الشعر المرسل والشعر الحر : الأستاذ دريني خشبة ... ..
٨٧٠ جامع أحمد ابن طولون ... : الأستاذ أحمد رمزى بك . .
٨٧٤ الاسلام والفنون الجميلة ... : الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق
٨٧٦ غرفة شاعر ... [قصيدة] : الأستاذ أحمد الصافى النجفى
٨٧٦ من أزهار الشر ... ... : الشاعر شارل بودلير ... ... بقلم الأستاذ عثمان على عسل ...
٨٧٧ تعقيب ... ... : الأستاذ أحمد فتحى القاضى
٨٧٧ رسالة إلى شاب ... . : الأديب زكريا إبراهيم ...
٨٧٨ تصويب ... ... : ... ...

حول ما نـكتب

للأستاذ عباس محمود العقاد

علقت صحيفة « البورس إجيسيان » على ما كتبناه فى موضوع الشيوعية فقالت بعد تلخيص رأينا فيها : « ... وأن الأستاذ العقاد لينظر إلى الشيوعية فى لون قاتم وهى ما زالت على حسب سياسة ستالين فى دور الـكشف والظهور فلا تعرف على التحقيق إلى أى طريق تسير فى تطبيقها العملى بعد تجاربها فى السنوات الأخيرة ؛ فقد أنشأ نظام الأسرة فيها يتكون ثم المدرسة ثم الأخلاق ثم الاعتراف بتفاوت الدرجات والرجوع أخيراً إلى الدين ، وكل هـذا معناه أن الشيوعية الحالية ليست إلا اسماً مسمى وإن هى فى حقيقتها إلا اشتراكية مستنيرة »

وهذا التعليق فى رأينا هو أقرب إلى التأييد والتوكيد، منه إلى المناقضة أو التفنيد

لأن معناه أن ستالين يخالف الشيوعية التى ننـكرها ولا يدين بقواعدها التى بسطها كارل ماركس وشرع فى تحقيقها لينين

ومعناه من جهة أخرى أن الشيوعية فى تطبيقها تخالف الشيوعية فى أصولها النظرية ، وأنها من أجل ذلك مذهب لا يصلح للتنفيذ فى الحياة العملية

وقد اضطر ستالين فعلاً إلى الاعتراف بتفاوت الدرجات

والأجور ، واضطر إلى التسليم للأسرة ببعض الحقوق وقبول الملكية فى وضع من الأوضاع ، ثم انتهى خلال الحرب الحاضرة بتعظيم فضيلة الوطنية التى كانت فى عرف كارل ماركس وأصحابه لعنة من لعنات الاستغلال ، وحيلة من حيل أصحاب الأموال ، فهو وأعوانه يسمون الحرب الحاضرة بالحرب الوطنية وحرب الدفاع عن الذمار ، لأنهم علموا أن اسم الشيوعية وحدها لا يشحذ همة الشعب إلى النضال ولا يغنى عن نخوة الوطن والعصبية القومية

فاضطرار الأقطاب الشيوعيين إلى العدول عن بعض قواعدها الأولية يؤيد ما نقول ، ولا ينفى أنها مذهب غير معقول ولا مقبول

ولكننا مع هذا ندعو إلى الحذر من تصديق كل ما يروى عن التطبيقات الشيوعية فى الوقت الحاضر ؛ لأن الوصول إلى حقيقة النظم الروسية اليوم من أصعب الأمور ، ولم يسمح قط لرجل مستقل الرأى منزه عن الغرض بالطواف فى أرجاء روسيا على حريته بغير رقيب أو دليل ، وإذا سمح له بالطواف فى المواطن البعيدة عن الأسرار والخفايا ، فلا ينقضى أسبوع على معاشرته لفرد من الأفراد أو فئة من الفئات إلا أسرع الحاكمون بتبديله وإحلال آخر أو آخرين فى محله ، حتى لا تنعقد بين السائحين المستقلين وبين أحد من الروسيين صلات وثيقة تطلق عقال الألسنة وتكشف كوامن الصدور

ولا حاجة بنا بعد هذا وذاك إلى ملاحظات السائحين المستقلين لإدراك هذه الحقائق الغنية عن الدليل ، فحسبنا أن حرية الكتابة مكبوحة فى روسيا منذ نيف وعشرين سنة لنعلم أن بواطن الأمور غير ظواهرها وأن رعايا الشيوعيين لا يملكون الإفضاء بما فى ضمائرهم لأبناء وطنهم فضلاً عن الغرباء الطارقين الذين يحاطون بالرقباء والأدلاء من قريب وبعيد

ولا نزال نذكر الفكاهة التى رويت على لسان الفلاح الروسى حين سمح له بالتحدث إلى العالم الخارجى من محطة الإذاعة العامة على شريطة أن يفوه بكلمة واحدة ولا يزيد عليها فكانت كلمته التى جمعت كل ما أراد الإفضاء به إلى العالم الإنسانى كله هى : « النجدة ! » ولاذ بعدها بصمت الأموات

فحسبنا أن المذهب فى أصول النظرية غير معقول ، وأن أقطابه لا يقدرون على تطبيقه إلا بعد الانحراف عنه والتعديل فيه ، وأن الأقوال التى تصل عنه إلى العالم الخارجى لا تخلو من حجر ورقابة ، وهذه كلها حقائق متفق عليها حسبنا كما قلنا أن نعلم لنعلم أن الحذر من تصديق ما يقال هو أقل ما تقابل به تلك الأقوال

* * *

وليست كل التعليقات جداً كهذا التعليق الذى ألمنا إليه من كلام « البورس إجبسيان »

فهناك تعليقات الأوشاب !

وهناك تعليقات عبيد المعدة !

وهناك تعليقات الماديين الذين يفسرون كل شىء بالماديات !

والأوشاب وعبيد المعدة والماديون هى كلمات مرادفة لكلمة الشيوعيين باعتراف هؤلاء الشيوعيين الفخورين !

وهؤلاء — أو أذناب هؤلاء — يقولون إننى لا أكره الشيوعية ولا أكتب ما أكتب عنها إلا لأننى قبضت من أعدائها خمسة آلاف جنيه للتشهير بها فى بضع مقالات

ولكنى أكتب ما أكتبه اليوم عن الشيوعية منذ كانت الشيوعية ، أو منذ عشرين سنة على التقريب

وأكتب عن جميع المذاهب التى تناقض الديمقراطية كما كتبت عن الشيوعية والشيوعيين

فما تفسير ذلك يا ترى ؟ ولم لا تكون الكراهة هنا كراهة رأى ما دامت مطردة فى جميع الأوقات وعلى جميع المذاهب وبين جميع الأحوال ؟

كلا . لا يمكن أن يفسر كلام إنسان بالرأى والعقيدة فى عرف الأوشاب وعبيد المعدة والمفسرين للتاريخ كله بالماديات

أفى الدنيا إنسان يحارب رأياً لأنه يؤمن ببطلانه ؟ كيف يكون هذا ؟ وكيف يكون الإنسان عبداً للمعدة إذن ويكون الرأى محور أقواله ومثار خصوماته ؟

هذا مناقض « للمذهب » فى الصميم

وهو كذلك مناقض « للخطط الحربية » التى أوصى بها ماركس أتباعه علانية ولم يتورع أن يزينها لهم فى منشوراته على مسمع من الدنيا بأسرها ؛ فهو القائل إن تشويه كل ديمقراطى حسن السمعة واجب مفروض على الدعاة ، وهو الذى سن لهم هذه السنة حين أشاع أن « باكونين » جاسوس للروس والنمسويين وهو يعلم أنه لطريدة الروس والنمسويين !

ومن عقائدهم التى لا يخفونها أن « الحق » المطلق خرافة ليس لها وجود ، وأن ما يسمى حقاً إنما هو جملة المصالح التى تنتفع بها الطبقة الغالبة فى أمة من الأمم ، وأن الكذب الممد على هذا لخدمة « الطبقة » أمر مشروع بل واجب مشكور

فلا عجب إذن أن يقرفنى الأوشاب عبيد المعدة بما يهدون فى أنفسهم وفى عقائدهم من الخلائق والأدناس

بل عندى أنهم حيونى أكبر تحية فى مقدورهم حين رفعوا سعر الرشوة التى أرشاها إلى خمسة آلاف من الجنيهات أجراً مقدوراً لبضع مقالات

نعم هى أكبر التحيات التى يملكونها وهم يعلمون أن سعرهم جميعاً وأجور مجهوداتهم جميعاً منذ خدموا الشيوعية إلى أن تستغنى الشيوعية عن خدمتهم لن يقارب خمس هذه الآلاف

فلهم على تحيتهم المغصوبة شكر يلائمها

ولهم فوق ذلك تبرع آخر ينتفعون به فى كل لحظة إن وجدوا السبيل إليه

فاننى لمتبرع لهم بهذه الآلاف الخمسة حيثما وجدوها فى مصرف أو بيت أو ثمناً لعقار أو بضاعة أو أسناد تشرى وتباع

وحيثما وجدوا ذلك المال فليكتبوا إلى صاحب الرسالة بموضعه ، ولهم أن أتبع كتابتهم بعد يوم واحد بتحويل صريح يخولهم قبضه حلالاً مباحاً وفاقاً لكل شرط يقترحونه من شروط القانون

وليدعوا لى بالخير إذن كما يدعون للرفقاء أجمعين ، فاننى سأعطيهم إن صدقوا ما لم يأخذوه ـ ولن يأخذوه ـ من رفيق !

***

وندع هذه الأضاحيك ونعود إلى موضوع « المؤلفين والمقترحين » الذى كتبنا عنه فى الرسالة مقالنا الأخير

فقد وردتنى فى هذا الموضوع رسائل شتى من مؤيدين ومناقشين ، وخير ما وردنى من رسائل التأييد رسالتان إحداهما يقول صاحبها « ا . زين العابدين » : إن كل نسخة من كتاب يقتنيها قارىء مثقف هى رد مطول على أصحاب المقترحات على قلمهم ، وإن كانوا من ذوى الثقافة والاطلاع

والأخرى يقول صاحبها « محمد عبد الهادى » : إن رضى المؤلف عما كتب لقرائه هو العزاء الذى يرجح بكل جزاء ويغنيه حتى عن الإعجاب والثناء

وراقنى لحوى هذه الرسالة على التخصيص لأننى تلقيتها من محض المصادفة فى بريد واحد مع مجلة «ورلد دايجست» الإنجليزية وفى صدرها خطاب معاد لمستر شرشل يتكلم فيه عن « غبطة المؤلفين » ويجعلها ـ كما يجعل كل غبطة من نوعها ـ عليا المطامح التى ترتقى إليها آمال الناس فى هذه الحياة

فليس فى الدنيا ـ كما يقول ـ سعادة أسعد من نجاحك فى التوفيق بين موضوع عملك وموضوع سرورك ، أو من اتخاذك العمل سبيلا من سبل الرياضة والرضاء ، وهو يسأل ويطيل فى سؤاله بما خلاصته :

ماذا يعنيك مما يحدث وراء الأفق الذى تعيش فيه بعملك وسرورك ؟ ليصنع مجلس النواب ما بدا له ، وليصنع معه مجلس اللوردات مثل هذا الصنيع ، ولتضطرب الأسواق ، وليثر من يثور ، فلا ضير عليك وأنت منزو فى تلك الساعات القلائل عن عالم يساء حكمه أو يساء نظامه

ثم ينتقل إلى الحديث عن الحرية والتأليف فيرى أن أداة التأليف هى أخف الأدوات مئونة وأقلها كلفة لأنها قلم وصفحات من الورق ، وإن أبقى شىء يبقى من وراء أسداد الزمان والمكان هو الكلمات

***

قل إنه عزاء للمؤلفين يخلقونه من الخيال أو يخلق لهم من وقائع الأيام ؛ فالهم أنه قد خلق وأنه قد نزل من نفوسهم منزل العزاء الصحيح

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

الزواج بعد العشق — من هذه المحامية الحسناء ؟ — قيمة الصدق — بين الأدب والحياة — جزئيات ! — سؤر الحديث

الزواج بعد العشق

فى أحوال كثيرة ينتهى الزواج بعد العشق إلى الانفصال ، ثم إلى العداء ، بحيث لا يحب أحد الزوجين المنفصلين أن يسمع خبراً عن صاحبه فى أى معرض من معارض الحديث . . . فما تعليل هذه الظاهرة وهى من الغرابة بمكان ؟

كان المنتظر أن يكون الزواج المنبعث عن العشق أقوى وأمتن وأبقى من سائر أنواع الزواج ، ولكن النتيجة تخالف ما انتظرناه ، وتشهد بأن العشق يكون أحياناً من أسباب الطلاق . . . فما تعليل هذه الظاهرة ، وقد قلت إنها من الغرابة بمكان ؟

يجب أولاً أن نعرف موجبات العشق ، لنرى كيف يمكن أن يصبح من منغّصات الزواج ، فى أكثر الأحايين ، فما تلك الموجبات ؟

يخطئ من يقول إن العشق اتصال روح بروح ، بغض النظر عما يساور حياة العاشقين من الاختلاف الطارئ ، وهو الاختلاف الذى تخلقه ظروف المعاش ، وهى ظروف تتجدد فى كل يوم بأشكال وألوان

أساس العشق أن يكون المعشوق صورة مثالية ، صورة يراها العاشق نهاية النهايات فى الجمال والجلال ، صورة منزهة عن كل ما ينغض من نضارة الجسم وحلاوة الروح

ونحن نعرف أن العاشق لا يرى معشوقته ولا تراه إلا بعد تأهب وتهيّؤ واستعداد ، فيكون كل لقاء شبيهاً باللقاء المنشود فى ليلة العُرس ، وتكون الأنفاس فى حرارة محرقة لا يخمدها التلاق ، وتلاق المشاق أقصر من طيف الخيال

وهذا البناء ينهدم حين يصبح العاشقان زوجين ، ينهدم بسرعة ، لأن المرأة لا تتجمل للزوج كما تتجمل للعاشق ، ولأن الرجل لا يغازل الزوجة كما يغازل المشوقة ، وبهذا يضيع ما كان ينتظر الزوجان من سعادة الحياة ، حياة العشق الذى لا يكدّره فضول الرقباء ، وهما لا يدريان أنهما بعد الزواج ينوبان عن الرقباء فى التجسس والسخافة والفضول !

العاشق لا يغفو أبداً ، والمعشوقة لا تغفو أبداً ، فأيسر انحراف من أحد الزوجين العاشقين يخلق متاعب لا تداوَى بغير الفراق

أيكون معنى هذا الكلام أن ننهى عن الزواج بعد العشق ؟

لا ، فإننا نرجو أن يكون العشق من وسائل الزواج ، وإنما ندعو إلى الفهم الصحيح لحياة الزوجية ، وهى تختلف عن حياة العشق بعض الاختلاف أو كل الاختلاف

إذا تزاوَج العاشقان فقد وجب أن ينتهيا عن دلال الحياة الغرامية ، وأن يعرفا أنهما مقبلان على تكاليف ثِقال يوجبها نظام البيت ونظام المعاش

الزوج الذى يصابح زوجته ويماسيها لا يطالب بما يطالب به العاشق الذى يلاقى معشوقته من أسبوع إلى أسبوع ؛ والزوجة فى الأصل سكَن للزوج ، ومزية السكن أنه مأوى صاحبه فى أوقات الفرح والترح ، ولحظات التفتح والذبول ، فمن واجب الزوجة أن تفهم أن الزوج لا يصلح فى كل وقت للمطارحات الوجدانية ، ولا يستطيع أن يبتسم فى جميع الأحوال

إذا فهمت الزوجة المشوقة هذه الحقيقة أمكنها أن تستريح من متاعب كثيرة ، متاعب تخلقها الغيرة السخيفة ، فقد ثبت أن الزوجة لا تردّ سكوت الزوج عن الملاطفة إلى أسباب من اشتغاله بمتاعب الحياة ، وإنما تردها إلى أسباب من اشتغاله بغيرها من النساء . والمرأة لا تدرك أن للرجال متاعب غير الاشتغال بالنساء !

وأنا لا أبتدع هذا الرأى ، فقد التفت إليه أقطاب القَصص الفرنسى ، وعندهم عبارة يضيفونها إلى الزوجة عند معاتبة الزوج فى أتفه الشؤون ، وهى عبارة : « لم تَعُد تحبنى »

Tu ne m'aimes plus

وهى عبارة تماد بحروفها فى أكثر الأقاصيص ، بحيث جنى عليها التكرار فلم تَعُد تثير الإحساس ، برغم ما يصحبها من التوجع والأنين !

والظاهر أن المرأة تخلفت عن موكب الحياة ، فهى لا تزال

تنظر إلى النعيم بالعين الحيوانية ، ولم تدرك أن النعيم صارت له ألوان من التطلع والتوثب والتسامى إلى مراتب لا تخطر للحيوان فى بال

والحق أن الرقى العقلي والروحى والأدبى والمدنى ، الرقى الذى نقل الإنسانية من حال إلى أحوال بصورة تفوق أحلام القدماء بمراحل طوال طوال ، هذا الرقى من صنع الرجل ، وليس فيه للمرأة نصيب ، وستظل فى تأخر إلى الأبد ، ما دامت تؤمن بأن النعيم فى الحياة الزوجية هو نعيم الحيوان

ضعوا المرأة حيث وضعتها الطبيعة ، ولا تدللوها أكثر مما فعلتم ، يا أغبياء التمدن الحديث !

من هذه المحامية الحسناء

خصصت مجلة الشعلة صفحة لمقال دبجته إحدى المحاميات في تنفير الفتاة من الزواج ، فما حجج تلك المحامية ؟

لا حجج ولا براهين ، وإنما هو دلال فتاة وجدت فرصة للتنويه بأنها ردّت جماعات من الخاطبين ، لتنعم بحياة الاستقلال ، كأن الزواج عبودية لا ترضى بها غير الفتاة العاجزة عن الاستقلال !

نحن نعرف من سنن الحياة أكثر مما تعرف تلك المتمردة ، نحن نعرف أن الفتاة لا تزهد فى الزواج إلا إذا كان بها نقص فى الحيويّة ، وهذا النقص يعترى بعض النساء وبعض الرجال ، وهو السبب فى شيوع العزوبة عند فريق من هذا الجنس أو ذاك ، فلا موجب للتباهى بغنًى هو أقبح من الإملاق

إن احتياج المرأة إلى الرجل دليل على كمال الأنوثة ، كما أن احتياج الرجل إلى المرأة دليل على كمال الرجولة . وتباهى المرأة بزهدها فى الرجل لا يقلّ قبحاً عن تباهى الرجل بزهده فى المرأة . وإذا جاز للفتاة الجاهلة أن تقع فى مثل هـذا التباهى الأحمق ، فصدوره عن الفتاة المثقفة إثم فظيع فى نظر الطبيعة ، والطبيعة تبغض الانحراف

وهنالك بدعة جديدة تمضغها بعض الفتيات ، بدعة القول بأن الزواج يحكم على الزوجة بالتبعية للزوج ، ونحن فى عصر المطالبة بالتحرر والاستقلال !

وهذا كلام فى غاية من الضعف ، لأن تبعية المرأة للرجل تبعية طبيعية ، وهى مجردة كل التجرد من معانى الاستعباد .

وسيادة الرجل على المرأة سيادة تشريف ، لا سيادة تكليف . وخضوع المرأة للرجل يزيدها جمالاً إلى جمال ، ويؤيد رسالتها فى تعمير الوجود

كنت ظننت أن تلك المحامية شخصية خرافيـة ، ولـكن محرر الشعلة أكد لى أنهـا شخصية حقيقية ، وأنى لو رأيتها لفتنتنى بجمالها الوهّاج

وأقول إن الفتاة التى تنفّر أترابها من الزواج لا تفتن أحداً ، ولو كانت فى جمال أفروديت ، لأن سحر المرأة يرجع إلى الحيوية فى الطبيعة الأنثوية ، ولا قيمة للجاه المجلوب ، جاه العلم والمـال والجمال

جمال المرأة أنها مرأة ، وجمال الرجل أنه رجل ، فاتركوا هذه الحذلقة ، وتجنّـبوا الجدال فى شؤون يفسدها الجدال

قيمة الصدق

الصدق لا يُقوَّم بأى ثمن ، لأنه فوق التقويم وفوق التثمين ، وما قال قائل فى أى زمن أو فى أى بلد إن الصدق آذاه بأية صورة من صور الايذاء ، وما فاز فائز بغير الصدق ، ولا خسر خاسر إلا بسبب مجانبة الصدق ، فتدبَّر هذا القول ثم انظر أين أنت فيما اخترت لنفسك من مذاهب السلوك

إن اقترفت ذنباً فاعترف لتظفر بأول سبب من أسباب النجاة وهو الصدق ، وتذكر دائماً أن الـكذب لن ينجيك من غضب الله وإن صرف عنك غضب الناس . وأنا مع هذا واثق بأن من يبوء بغضب الله لن ينجو أبداً من طغيان الناس ، فالله يسلّطهم على من يَكذبون عليه أشنع تسليط ، ليعرف أن الـكذب على الله يلاحقه فى كل مكان

لا تُحوِج القضاة إلى شهود ، وكن أنت الشاهد على نفسك ، فإن فعلت فسيصبح القـاضى محامياً عنك ، لتمسى وأنت من الناجحين

ومتى تقف أمام القضاء ؟

إن الوقوف أمام القضاء الإنسانى قد لا يصادفك فى حياتك غير مرة أو مرتين على أسوأ الفروض ، وقد لا يصادفك أبداً ، لأن القضاء الإنسانى لا يتعرض لغير من يتبجح بالاجترام ، وأنت فيما أفترض تنزه نفسك عن مسايرة المجترمين المتبجحين .

أنا أخاف عليك غضب الحكمة السماوية ، لا لأنها قد تسارع إلى البطش بك ، ولكن لأنها قد تملى لك إلى أن تفضح نفسك باقتراف الآثام الغِلاظ ، من أمثال الزور والبهتان

تعوَّد الصدق مع الله فى سرك قبل جهرك ، وإن صدقت مع الله فستصدُق مع الناس ، ستصدُق معهم صدق الترفق لا صدق التخوف ، وستقضى دهرك وأنت من الأعزاء

لو سلّطت إحدى الحكومات على أحد اللصوص ألف رقيب لاستطاع النجاة بأيسر مجهود من التحفظ والاختفاء ، ولكن الهرب من غضب الله لن يتيسر ، ولو اعتصم الهارب الأثيم بشماء الجبال .

اصدُق مع الله لتذوق نعيم الصدق ، ولتؤمن بأن كل شىء ما خَلاَ الله باطل ، وأن رضاه أنفس من جميع الحظوظ

بين الأدب والحياة

كنت اليوم مقسَّم الفكر بين شجون من الأحاديث لا يتصل بعضها ببعض إلا برباط ضعيف ، فأحاديث الصبحية كانت خاصة بمشكلات التعليم ، وأحاديث الظهرية كانت تدور حول الزراعة ، وأحاديث العصرية كانت حواراً بينى وبين أبنائى فى مسائل منوَّعة الفنون ، وأحاديث العشوية دارت فى مكان لا تدور فيه الأحاديث إلا مروحة بالنجوى الرفيقة بين روح وروح . ثم كان حديثٌ مع الصديق الذى لقينى مصادفة وأنا راجع إلى دارى ، وهو حديث لم يطل ، فقد انتهى فى دقائق ، ولكنه ترك فى نفسى أشياء !

لو دُوِّنت هذه الأحاديث كلها لكانت ثروة أدبية ، ثروة حية كل الحياة ، لأنها مقبوسة من جمر الحياة ، فتى نجمل الأدب تصويراً لما نرى ونسمع وندرك فى اللحظات التى تستيقظ فيها الحواس ، أو الأيام التى تكثر فيها التجاريب ؟

لو تحدثنا بصراحة عن المشكلات التى تحيط بنا فى كل يوم لساد التجاوب المنشود بين القارىء والكاتب ، ولأصبح الأدب تعبيراً صحيحاً عن المتاعب التى تساور هذا الجيل

إننا لا نملك الفرار من روح العصر ، مهما تعالينا عليه ، فلنا صلات يومية مع القصاب والخباز والبقال ، ومن إلى هؤلاء من أصحاب الحرف والصناعات ، ولنا صلات بمن نزاحم فى الطريق كل يوم ، ولو كانوا فى الظاهر من المجاهيل

جزئيات !

هى جزئيات مضحكة فى نظر القارىء الذى لا يرى للأدب حياة فى غير الحديث عن النجوم والأزهار والرياحين ، ولكن لها مغازىَ تستحق الشرح والتوضيح ، وتستأهل اهتمام الأديب الحصيف ، وإليك طائفة من هذه الجزئيات :

١ — من النادر أن يقدِّم راكب الترام ثمن التذكرة إلى التذكرى بدون أن يحوجه إلى الباقى ، ومعنى هذا أن الشخص الذى يركب الترام مرة أو مرتين فى اليوم لا يفكر فى إعداد ثمن التذكرة ، وأنه لا يتأذى من رؤية التذكرى وهو يحار فى صرف النقود لعشرين أو ثلاثين من الركاب ، مع أنه يقوم بهذه المهمة الثقيلة وهو على حافة الترام وفى قلق لا يحتاج إلى بيان

لو كتبنا مقالة فى استهجان هذه المعاملة لوجدنا من ينكر أنها مقالة أدبية ، لأنها خلت من الحديث عن الأزهار والنجوم والرياحين !

٢ — هذا موظف يركب الترام فى بذلة نظيفة وإن لم تكن جديدة ، لأن العمل فى الدواوين يوجب أن تكون الأثواب على جانب من القبول ، وهذا عامل يركب الترام وثوبه مزيت ، لأن شغله لا يمكنه من تغيير الثوب فى كل انتقال ، وهو مع ذلك يرى من حقه أن يجلس بجانب الموظف غير مبال بما سيصنع ثوبه المزيت . . . هل نكتب مقالة فى النهى عن هذا الصنف من السلوك ؟

إن فعلنا فسنجد من يقول إننا نجسِّم الفروق بين الطبقات

٣ — هذا فلاح يسىء معاملة المالك ، فيأخذ خيرات الأرض ، ويترك المالك فى حيرة إلى أن يستنجد بالقضاء . . . هل نستطيع تأنيب الفلاح على هذه الألاعيب ؟

إن فعلنا فسنجد كتاباً يبكون حظ الفلاحين بدموع التماسيح !

وخلاصة القول أن الأدب لا يحيا كل الحياة إلا إن عبر عما فى الصدور تعبيراً يشمل جميع الألوان ، ألوان الإحساس بما فى الحياة من آلام وآمال ، بلا استثناء للجزئيات الصغيرة فى الحياة اليومية

سؤر الحديث

السُّؤر هو البقية ، فما بقية هذا الحديث ؟

٢ـ الشعر المرسل والشعر الحر

للأستاذ دريني خشبة

وظيفة الشعر المرسل والشعر الغنائي — الشعر العربي غنائي كله — الأقصوصة القصيرة المنظومة أو ال Ballad محاولة التخلص من القافية العربية — تحكم القافية العربية في تفكير شعرائنا — القافية المطردة هي التي حرمتنا من الملاحم والقصص المنظومة — لماذا جدد الأندلسيون — هل مضى زمن الملحمة والدرامة المنظومة .

يجب أن نعرف وظيفة الشعر المرسل قبل أن نقرأه ، ويجب أن نعرف أن هذا الضرب من الشعر الذي لا قافية له ، لا يمكن أن يستعمل فيما يستعمل فيه الشعر الغنائي الذي لا يمكن أن يستغني عن القافية ، لأن القافية هي نصف موسيقاه

والشعر المرسل الذي ابتكره الإيطاليون واقتبسه عنهم شعراء الدول الأوربية ، وفي مقدمتهم الشعراء الإنجليز ، إنما يستعمل في نظم الملاحم الطوال ، والقصص الشعرية ، والأبداعية منها على وجه الخصوص ، كما يستعمل في الدرامة المنظومة

أما الشعر الغنائي ، فيستعمل في القصائد والمقطوعات والموشحات ، وذلك لأنها أحوج إلى الجمال الشكلي ، والكمال الموسيقي من الملحمة ومن الدرامة ومن القصة الأبداعية Romance ، وذلك لأنها أيضاً ، أو لأن القصيدة أو المقطوعة أو الموشحة منها ، عبارة عن خلجات سائبة ، يجمع الشاعر أشتاتها لتتم له منها وحدة القصيدة آخر الأمر . فالشاعر الذي يناجي ليلاه ، أو يشكو بلواه ، أو يبرح به الوجد في خلوته ، أو يقدس لله في وحدته ، أو يرثي للانسانية الدامية ، ويرى الشمس تبزغ فتتغنى لها روحه ، ويهتف بجمالها لسانه ... ويرى الزهرة تفتر عن ثغرها الأقحواني فيذكر ثغر معذبته ، فيجلس هنيهة ليقول بيتاً أو بيتين ، وينظم مقطوعة أو مقطوعتين ، وكأنما يذرف عبرة أو عبرتين ... هذا الشاعر الماهر لا بد له أن يتأنى ... إنه في حاجة ماسة إلى الفن الكامل . إنه لا يستطيع أن يتخلى عن وتر واحد من أوتار قيثاره الخمسة ، إنه بحاجة شديدة إلى فتحات نايه الست . . . إنه لن يقدر عن الاستغناء عن مفتاح واحد من مفاتحه السبعة .... إنه ينبغي أن يقف عند آخر كل بيت ، لأن كل بيت إنما يحمل معنى مستقلاً بموسيقاه وإن لم يستقل كل الاستقلال بمعناه ... إن شعره هو غناء قلبه وترجمان عواطفه ، وألحان روحه ، وهو إذا رثى أو مدح أو وعظ أو وصف ، فهو يتغنى بفضائل المرثى وأفضال الممدوح ، ويُحبّب في الخير ويُبغض في الشر ، ويردد أصداء الحديقة أو القصر ، أو الجبل أو البحر ، في نفسه

وكل الشعر العربي شعر غنائي لأن الشعراء العرب لم ينظموا ملحمة ولا قصة ولا درامة . والشعر القصصي الموجود عندنا هو نوع من أنواع ال Ballad أو القصة القصيرة الغنائية المنظومة ، ونحوها بعض قصائد امرىء القيس والنابغة (في المتجردة مثلاً) والفرزدق (في الذئب وبعض القيان) وقصائد عمر بن ربيعة في غوانيه ، وبعض وقائع أبي نواس في غيده وغلمانه ، وما تفيض به يتيمة الدهر من حكايات الفضوليين والمخنثين ومن إليهم ... ويلحق بهذا الضرب من

حين أنست القاهرة بزيارة الوفد السوري ، الوفد الذي تقبلته مصر بأحسن القبول ، تذكرت أن الأستاذ محمد خالد حدثني أن جماعة من أدباء سورية ضاقت صدورهم بأدبي ، فاعتزموا إرسال وفد يقنع مجلة الرسالة بوجوب التخفف من مقالاتي !

فمتى يجيء الوفد السوري الجديد ؟ متى يجيء فتستريح « الرسالة » وأستريح ؟

الحق أني لم أفكر يوماً في ملاطفة قرائي ، وهل ألاطف نفسي حتى ألاطف قرائي ؟

أنا أمشي على الشوك في كل سطر أو في كل حرف ، وما يعجبكم أو يغضبكم لا يخطه القلم إلا بعد أن يعتلج في الصدر أياماً وليالىَ وأسابيع

وما حاجتكم إلى كاتب لطيف لا يكتب في غير ما تحبون ؟ ألم تروا كيف تقهرنا الحياة على الاعتصام بالرموز والتلاميح ؟

إن الذي يغضبكم مني هو السر فيما بيني وبينكم من جاذبية يعجز عن إخمادها الزمان

زكي مبارك

ضروب القصص بعض المدائح النبوية التي تعرضت بالشرح إلى معجزات النبي ، ولعلها هي التي أوحت في العصر الحديث إلى حافظ وعبد الحليم المصري ومحمود المانسترلي بمنظوماتهم في عمر وأبي بكر وعثمان

ولسنا نعرف في تاريخ الأدب العربي أن أحداً من الشعراء العرب حاول التخلص من القافية أو حاول كتابة الشعر المرسل ، على أننا نعتبر الرجز والموشحات والنظم من قافية الألف اللينة محاولة قديمة للتحرر على نطاق ضيق من أسر القوافي ، وأقول أسر القوافي ، وأنا أعني ما أقول وأقصده لأن هذه القوافي العربية الصارمة هي السبب المباشر في قِصَر قصائدنا وقصور شعرائنا على السواء ، وهي السبب المباشر أيضاً في حرمان الشعر العربي من الملحمة الطويلة ومن القصة المنظومة ومن الدرامة المنظومة ومن الروائع القصصية بجميع أنواعها ... لقد آن أن نعترف بأن فحول الشعراء العرب كانوا يضطرون ، تحت أسر هذه القوافي ، إلى استعمال ألفاظ حوشية مهجورة مُغْرِبة ما دامت داخلة في باب القافية التي ينظمون منها . ومن المؤلم أن نقرر أن هذه الألفاظ الحوشية المهجورة المغربة كانت تتعاون مع الألفاظ السهلة المستعملة المتداولة في التحكم أحياناً في سير القصيدة وفي رسم الطريق للمعاني ... وأنا موقن أن الشاعر المطبوع والشاعر غير المطبوع مستويان في الخضوع لأسر القافية وتحكمها في جميع ما يريد كل منهما أن يقول ، حتى في المقطوعات القصيرة ، وحتى في الموشحات التي تتنوع القوافي في مقطوعاتها

وأذكر بهذه المناسبة ما يلاحظه بعض نُقّاد الآداب الأجانب على الشعر العربي من البطء الشديد في أداء المعاني التي تضطرب بها نفس الشاعر . ولا جدال في أن القافية وحدها هي سبب هذا البطء لتحكمها في تفكير الشاعر تحكماً سخيفاً مضنياً ينتهي إلى إجهاد قريحته وتجشيمها ما لا تطيق ، وتكون النتيجة المحتومة التي لا مفر منها واحدة من اثنتين : فإما أن تعطينا هذه القريحة المجهدة المتعبة شعراً مُجْهَداً متعباً ، وإما أن يؤدي هذا الإجهاد إلى موت القريحة نفسها وانصرافها عن هذا الشعر المضني السخيف الذي لا خير فيه إلا تلك الموسيقا الكاملة وإلا الطنين والرنين

لذلك نرجح أن نظم الرجز والموشحات والنظم من قافية الألف اللينة كان محاولة للتخلص من ربقة القافية المتشاكلة المملة التي تتحكم في معظم الأحوال في كل ما يريد أن يقوله الشاعر وفي كل ما يفكر فيه ، وفي كل ما يزخر به خاطره من خوالج ، تلك القافية التي لا شبيه لها إلا في الشعر العربي

ولذلك أيضاً نجزم بأن القافية المتشاكلة المملة هذه ، كانت السبب في حرمان الأدب العربي أو الشعر العربي على وجه التحديد من الملحمة والقصة الطويلة المنظومة ، ثم من الدرامة ، وذلك لأن أثرها في توجيه تفكير الشاعر يكون أقسى في المنظومات الطويلة التي تحتاج إلى المرونة والتدفق ورقة التسلسل وعدم الإرهاق بالإطراد السمج الذي يقتضى حشد خمسمائة أو تسعمائة أو ألف لفظة متفقة الوزن وموحدة الحرف الأخير لمنظومة تتألف من مثل هذا العدد من الأبيات

لقد تعاظم هذا الحظر الشعراء الأندلسيين ، كما تعاظمهم كذلك أن تظل ثقافتهم الشعرية ذليلة لعروض الشعر المشرقي ؛ وتعاظمهم أيضاً أن يسمعوا إلى هذه المنظومات الرقيقة المشرقة التي يهتف بها شعراء الأسبان في غرناطة وقشتالة وطليطلة وغيرها من أمهات المدن الإسبانية ، وأن يظلوا هم عاكفين على قوافي المهلهل والسُّليك والطرماح ومن إليهم من شعراء الجزيرة العربية منذ جاهليتها الأولى ، فداروا مع الزمان الذي استدار ، وقلدوا الأغاريد الجديدة التي سمعوا ، فأمدوا الشعر العربي بتلك الموشحات الرائعة التي كانت خطوة بارعة في سبيل التخلص من القافية المطردة التي ما زال شعراؤنا أو معظمهم ينتصرون لها ولا يرون التخلص من أصفادها مع الأسف الشديد

قرأت في أحد كتب المستشرقين أن أدباءنا القدامى ، أي أدباء العرب ، الذين لم يستطيعوا أن يقرضوا الشعر اكتفوا بأن يسجعوا النثر ، وعلل الكاتب هذه الظاهرة بتحكم سلطان القافية في الشعر العربي ، واستهوائها لنفوس العرب والأمم المستعربة على السواء ، وعلل بهذا ظهور السجع في كلام العرب القديم .

فإلى متى يا ترى يظل شعراؤنا عبيداً لهذه القوافي المطردة التي لم تتغير منذ عهد عاد !

وكيف يتفوق الأندلسيون على المصريين والشاميين والعراقيين

وعرب المغرب وشعرائنا فى المهاجر من حيث الاستجابة للصوت الجديد الفرد الذى كان يغنى من حولهم فغنوا كما غنى وأنشدوا كما أنشد وشعروا كما شعر ، ثم زوه بموسيقا العروض العربى ذى الثروة الطائلة من الأنغام والموازين فتأثر هؤ الآخر بهم كما تأثروا به ، وأذاع بتلك الموازين فى العالم اللاتينى كله ، وتأثر الشعر الغنائى هناك بما يطول ذكره فى تاريخ آداب الأمم اللاتينية (أسبانيا وفرنسا وإيطاليا) مما نرجو أن نعرض له فى فصل خاص إن شاء الله

فكيف لا يستجيب شعراؤنا اليوم لما يدوى حولهم من موسيقا هذا الوجود ؟

إننا نقرأ شيكسبير ونعجب به ، ونشيد بذكر ملتون ونكب على فردوسه ، ونتلو آثار الشعراء الفرنسيين والألمان والإيطاليين والأسبان ، التى أنشئت بالشعر المرسل فى الملاحم والمسرح ، ثم نحن تسحرنا هذه الأشعار بسهولتها وسرعتها وموسيقاها الرائعة التى استغنت عن القافية واستعاضت منها بالنغم الحلو ، والديباجة الناعمة المشرقة ، والأسلوب الذى لا يتزل ولا يسف ، ولا يلتوى ولا يتحذلق ، فلماذا يا ترى لا نستجيب فى شعرنا لهذه الأصداء الأوربية الرائعة كما استجاب العرب الأندلسيون ؟

قد يقول قائل : لقد مضى زمن الملاحم ، فما بالأدب العربى وما بالشعر العربى حاجة إليها ، أما الدرامة المنظومة فقد فشل التمثيل فى مصر باللغة العربية ، فهل يحيا بالشعر ؟

قيل هذا الكلام فى بعض المجالس التى دار فيها الحديث عن تلك الدعوة لتجديد الأدب العربى والدعوة إلى تجديد الشعر العربى كذلك ، والذين سمعت هذا الكلام منهم أدباء متصلون بشيوخ الشعراء المصريين الذين عبنا عليهم فى غير كلمة جمودهم وعدم ثورتهم على القديم وتمسكهم بأهداب الماضى السحيق الموغل فى القدم ، لأنه يرتد إلى أكثر من ألفى سنة

منطق عجيب إن دل على شىء فهو إنما يدل على تجاهل لا جهل ، وإصرار على الجمود دون محاولة بذل أى جهد نحو التجديد

لقد مضى زمن الملاحم ... هكذا يقول شيوخ الأدباء فى مصر . وعلى هذا فقد قضى على اللغة العربية وعلى الأدب العربى ، وعلى المتأدبين العرب ألا تكون لهم ملحمة ما ، كالإلياذة والأوذيسة لهوميروس ، والإينيادة لفرجيل ، والكوميديا الإلهية لدانتى ، والشاهنامة للفردوسى ، والفردوس المفقود لملتون ... بل قضى على الأدب العربى ، وعلى الشعر العربى ، وعلى المتأدبين العرب ألا يكون لهم قصص طويل منظوم رائع مثل ڤينوس وأدونيس والكريس لشيكسبير وسوردلو Sordello ، وباراسلزوس والخاتم والكتاب لروبرت برونج ، وتشيلد هارولد ودون چوان لبيرون ، وأدونيس وثورة الإسلام والملكة ماب لشلى ، والقرية المهجورة لجولدسمث ، وسهراب ورستم لأرنولد ، وملاحم تنيسون الموسيقية البارعة ، وأنديميون ولاميا وإزابلا . هذه الملاحم أو ال Romances الشعرية الرائعة التى كان يخلق بشعرائنا أن يتعلموا منها كيف يقرضون الشعر ، وهى مع هذا من نظم كيتس الشاب الذى لم يعد الثالثة والعشرين !

أما أن زمن الدرامة المنظومة قد مضى ، وأن التمثيل باللغة العربية الفصحى قد فشل فى مصر ، فهو كلام لا يقوله قوم يؤمنون بنهضة أو يوقنون بإصلاح . وسنترك انجلترا وفرنسا وألمانيا فى الرد على هؤلاء اليائسين المتشائمين ونتجه بهم نحو مصر نفسها ، فنذكرهم بالفرق الإنجليزية والفرق الفرنسية التى كانت تزورنا منذ عامين لا أكثر لتمثل لنا درامات شيكسبير وموليير وغيرهما من مسرحيى الإنجليز والفرنسيين . ثم نذكرهم فى الوقت الحاضر بكواكب هوليوود ونجومها الذين — واللائى — يزورون مصر الآن للترفيه عن جنود الحلفاء فى الشرق الأدنى والأوسط ، وقد سمعت منهم — عن طريق الإذاعة — أكثر من خمسين أوبريت و Ballad وعشرات من المشاهد المختارة من أبدع ما أنشأ شعراء الشعر المرسل

لست أدرى لماذا يستمر الإنجليز فى تمثيل درامات شيكسبير ودريدن وبينرو ما دام أن زمن الدرامة المنظومة قد مضى فى نظر شعرائنا الشيوخ الأفاضل ؟

على أنه إن كان زمن الدرامة المنظومة قد مضى فماذا صنع شعراؤنا الأفاضل فى زمن الدرامة المنثورة ؟ لقد دعوناهم إلى مد المسرح والسينما بالدرامات الرفيعة التى نحن أحوج إليها من ألف ألف مقالة أو قصيدة أو مقطوعة مما يكتبون وينظمون ، فهل فعلوا ... هل فكروا ؟ ... لقد دعوناهم إلى أن يفكروا للعصر الحديث بعقول حديثة ، كما ندعوهم اليوم لكى ينظموا للعصر الحديث على غير طريقة المهلهل منذ ألفين من السنين ، فهل استجابوا لصوت العصر الجديد ؟ لقد شكونا إليهم عدم

جامع احمد ابن طولون

[حديث ألتى فى نادى النجادة فى ليلة القدر]

للأستاذ أحمد رمزى بك

قنصل مصر فى سوريا ولبنان

أيها الحفل الكريم

أشكر لكم دعوتكم إياى ، وأقدر عواطفكم نحوى . قد اعتاد الناس والقراء أن يقدموا لأنفسهم بكلمة أولية يجعلونها كمدخل إلى الموضوع الذى سيكون محل حديثهم وسمرهم ، وإنى لا أملك نفسى دفعَ هذه العادة الطيبة المستملحة بل سأخضع لها فأقول ، بأننى لم أستطع أن أختار موضوع حديث الليلة حتى أول أمس . فقد كنت مأخوذاً بين عدة واجبات وأمور لم يكن لى بد من أن تأخذ وقتى وتفكيرى والآن وقد خلوت لنفسى أعود إليكم ، وقلبى مطمئن من ناحيتكم لأنى واثق من أنكم ستولوننى الكثير من التسامح فما أنا إلا فرد منكم وأنتم أيها السادة إخوان بل رفقاء لى ، فلا تنتظروا المعجز من الكلام ، ولا تطلبوا منى ما هو فوق المتناول

فما أنا إلا واحد من هذه الجماعة يريد أن يتحدث حديثاً يفيدنى هذه الليلة المباركة الميمونة أعادها الله عليكم ، وقد تحققت الآمال التى نصبو إليها جميعاً وأشرقت على العالم بأكمله شمس يوم الحرية والعدالة والديموقراطية الصحيحة

إننى مؤمن واثق بأن الأيام التى وُعدنا بها وخطتها يد العناية فى سجل القدر قد أصبحت حقيقة آتية لا ريب فيها ، وحينما يأتى يوم النصر وتتحقق آمال الشعوب الحرة سنهتف جميعاً : الحمد لله الذى صدق وعده ...

* * *

موضوع حديث الليلة قد نأخذه كموضوع واحد مكون من ثلاثة أشياء أو ثلاثة مواضيع تجمع بينها صلة الصلات . أما الفكرة الأولى التى تسيطر على فهمى تأريخ مسجد من مساجد الله هو مسجد احمد بن طولون . فنحن فى مصر قد أولع تاريخنا بإنشاء المساجد حتى أصبحت فى عاصمتنا تعد بالمئات وهى لنا تراث للفن العربى فى مختلف أدواره . ولقد اتجهت منذ

مشاركتهم فى رفع المستوى المسرحى والسينمائى المصرى ؛ هذا المستوى الذى ينحط برواياته وشعبذاته ويجعلنا ضحكة الدنيا وسخرية العالم ، فهل نزلوا إلى الميدان ؟

ولقد سمعت كذلك من أحد المتصلين بهؤلاء الشيوخ أن الشاعر إنما ينبغى أن يكون غنائياً فحسب ، لأن كل نظم غير غنائى هو نظم مصنوع فحسب ، وكل نظم مصنوع ، درامى أو نظم ملاحم أو Ballad قصص أو Romance ، لا يمكن أن يكون صادراً عن روح شاعرة تحسه وتنفعل به ... وهذه فى رأيى نظرة ضيقة أو حجة يراد بها الجدل الفارغ والدفاع الذى لا يستقيم لصاحبه . وإلا فأين تذهب تلك الصور البارعة التى تسلب المشاعر وتسحر القلوب من صور الإلياذة والأوديسة والأنيادة والكوميديا الإلهية والفردوس المفقود ... ؟ ثم أين تذهب أشعار تاسو وأريوستو ودى فيجا وسرفنتس وراسين وكورنى القصصية الرائعة ؟ ... أم أين تذهب المشاهد الساحرة المحشودة فى هملت والأمير جون وعطيل ومكبث والملك لير وروميو وجوليت وتاجر البندقية وفاوست وتيمورلنك وغيرها وغيرها مما لا يكاد يستقصيه حصر ولا يقع تحت عدد ؟

كم كان بودى أن أعرك أذن الشاعر الشيخ الذى أرسل هذا الهراء ، ثم أصرخ فيها بأعلى أصوات هومر وفرجيل ودانتى وملتون وشيكسبير ومارلو وشعراء الطليان والأسبان واليونان والألمان ، لكى يعلموا أن الشاعر الذى يغنى لنفسه بقصيدة أو مقطوعة من بضعة أبيات أو من عشرين أو ثلاثين بيتاً هو شاعر أنانى كسول ... أما الشاعر الذى يعد آلام الناس من آلامه ومشاعرهم من مشاعره وقضايا قلوبهم هى قضايا قلبه ، والدموع التى تنذرف من مآقيهم كأنها تنذرف من مآقيه ... هذا الشاعر الذى يستجيب لأحزان الناس فيرددها قصة أو ملحمة أو درامة ، إنما هو الشاعر الحق الجدير بالبقاء ... هذا الشاعر ... هو الذى أبحث عنه بين شعرائنا الشباب ، ولن أفقد الأمل فى أن أعثر عليه بين شعرائنا الشيوخ .

(يتبع) دريني خشبة

حللت بهذه الديار إلى هذا النوع من الأبحاث فقلت لنفسى يوماً : لماذا لا يتجه الأدب لتمجيد هذه الآثار وجعل الأحجار تنطق فتعيد إلينا ذكريات الماضى

وأمامنا كتاب الفرنجة وقد عالجوا مثل هذه الأمور فمن فى عشاق الأدب الإنكليزى من لم يقرأ ما كتبه « راسكين » عن آثار البندقية ؟ إن منادمة الآثار قد حببت الآثار إلى العالم الغربى وحببت الشرق أيضاً لأهل الغرب

وما نحن إذا بقينا كما كنا ولم نعبأ بشىء من الماضى ؟

ولماذا لا أكتب شيئاً يحبب إلى هذا الحفل الكريم زيارة القاهرة والتعرف إلى شىء من مساجدها وآثارها ؟ وهل هى ملك لمصر وحدها ؟ لا ، لقد اشتركنا جميعاً فى إنشائها فهى لنا ولكم . وهى عنوان التراث العربى والتفوق العربى أمام العالم بأجمعه . لهذا كله قد فكرت أن أجعل حديث الليلة عن جامع ابن طولون ؛ وليس من السهل أن نكتب عن جامع ابن طولون بغير أن نذكر كلمة عن صاحبه . وهذه هى الوصلة الأولى والشق الأول من هذا الحديث

وإنى لا أعرف تاريخاً قد ظلمته الأيام وغيرته النزعات وأهمله أهله مثل تاريخ مصر العربية ؛ ولا أعرف تاريخاً قديماً غنياً بمصادره ومؤلفاته كتاريخ مصر فى طورها العربى الخالد . فإن ظلمت الأيام هذا التاريخ فقد ترك لنا أهله المطول من المراجع والكتب المطبوع منها والمخطوط

فما على أبناء هذا الجيل الواثب المتطلع نحو العلا والمجد إلا أن يقلب صفحاته ليتعرف إلى نفسه وليكشف عن قوته وهى قوة لو تعلمون عظيمة

• إن تعهد الوعى القومى يستدعى الاعتزاز والتمسك بالشخصية ؛ وإن الأمم التى تعرف شخصيتها وتتمسك بها وتعتز ، هى التى تجعل العالم المتمدن يقر لها بالاحترام والبقاء

نظرة فى تعريف أحمد ابن طولون

فى القرن الثالث الهجرى ، كانت الدولة العباسية تسيطر على جزء من أقطار المعمورة . وكان عهد الخلفاء المجاهدين الذين يباشرون القتال بأنفسهم قد انتهى بوفاة المعتصم ، وكان النزاع بين حزبى العرب والفرس قد أضعف الفريقين ، فأمكن أن ظهر عليها عنصر إسلامى جديد هو العنصر التركى ، وكان نفوذ العاصمة مضمضعاً لترامى الأطراف واتساع الملك . ولذلك أدخل نظام الأقطاع وتقاسم القواد والأمراء الولايات

وكان عهداً تسوده المكائد والدسائس . وقد هبط المستوى الخلقى وماتت روح الكفاح والمقاومة أو انتقلت من المدن حيث بدأت تظهر عوامل الفوضى والفناء والانحلال إلى الثغور والحدود ، حيث الجهاد الدائم يدعو إلى التضحية والمقاومة وجمع الشمل والكلمة

فى هذا العصر نبغ أبو العباس أحمد بن طولون وظهرت شخصيته الجبارة تدعمها قوة من مكارم الأخلاق وشيم الرجولة ، وشدة ذكاء وفراسة ، أنف من حياة المدن حيث السفاسف والدسائس والحيل والخداع ؛ حيث توضع الولايات والأمصار لتباع وتوزع على المحاسيب والأنصار ، واتجه إلى الثغور حيث الرباط والعدة والدعوة لله وحده . حفظ القرآن وسمع الحديث ، وفصح بالعربية فملك ناصيتها ، كتابة وخطابة ، فكان تركياً مستعرباً يجمع أحسن ما فى العروبة من مزايا على أحسن ما لدى الترك من أخلاق . وإذا قدر للناس كشف دخائل التاريخ فى القرن الثالث الهجرى دراسة وتحليلاً ، أمكن الحكم أنه بعد وفاة المعتصم لم يعرف التاريخ العربى رجلاً فذاً يدانى ابن طولون فى قوة شكيمته وسداد رأيه ، ومضاء عزيمته ونفاذ بصيرته

ولقد بقيت شخصيته مجهولة ، حتى قيض الله الظروف فنشرت سيرة أحمد بن طولون لمؤرخ عاش فى عصره هو أبو محمد عبد الله بن محمد البلوى ، وكشفت نواحى مجهولة عن حياته الحافلة بالجليل من الأعمال وعن صفاته ومزاياه وتفوقه . وستبعث هذه الحياة العظيمة الكثير من التنقيب فى تاريخ مصر العربية ، وتخرج ألواناً من الكتابة فى المباحث والتراجم ، لأنها حياة حافلة لرجل عبقرى منتج رج ملك الدولة العباسية رجاً ، وهز العالم العربى وأنشأ بذكائه ومقدرته على قيادة الرجال وقوة سيفه دولة وأسرة لها مكانتها ومنزلتها .

(للحديث صلة)

أحمد رمزى

وحى القرآن باللفظ

للأستاذ محمود الشبيشى

هـذا عنوان المقال الأول للأستاذ محمود أبو رية وعليه كان مدار كلمتى الأولى، وإنى لألمح فى اقتصار الأستاذ فى مقاله الثانى (المنشور بعدد الرسالة الغراء رقم ٥٣٨) على كلمتى (وحى القرآن) ميلاً واضحاً إلى حصر النقاش فى دائرة لا يتحاماه كل ذى قلب سليم ممن دعاهم الأستاذ إلى البحث فى هذا الموضوع.

ويلوح لى من خلال مقاله الثانى حرص شديد على البراءة من شوائب الشك، وذلك عهدى به، وهو أدرى الناس بأن البحث فى موضوع اليوم غير البحث فى مسألة الكرامات وما إليها؛ تلك المسألة التى اشتد أوارها بينه وبين أستاذ فاضل منذ عامين بالمنصورة، وكان لنا فيها موقف ما أظنه قد نسيه وما أحسبه إلا مثنياً عليه

ولو كان الأستاذ يحسن الظن بى ويرانى من أهل الذكر! لأحلته إلى كتاب (الفرق الإسلامية) الذى ألفته فى نشأة هذه الفرق ومذاهبها وطبعته المكتبة التجارية منذ اثنتى عشرة سنة أو نحوها، ولكنى أحيله على حاشية الجوهرة، أو على الخريدة (مع إعفائه من باب الكرامات)! أو على كتاب (الفلسفة العربية) لأستاذنا المرحوم سلطان بك محمد، أو على كتاب (التوحيد) للمرحوم الأستاذ الشيخ حسين والى، وهذه عدا كتاب ابن حزم فى الملل والأهواء والنحل وهو الكتاب الذى قرأه الأستاذ وأشار إليه فى المقال الثانى

وبعد فما ادعيت أن فى كلمتى الأولى بلاغاً للناس! ولكنى قلت وما زلت أقول: إن البحث فى هذه المسألة أمر فات أوانه، ولن يكون من ورائه جدوى تعود على الباحثين بعد ما أشبعه العلماء بحثاً وتنقيباً وما دونوه من الآراء والحجج فى كتب التوحيد والملل والنحل

وما زلت أرى أن (موضوع الوحى من القضايا التى فصلت فيها الأيام منذ عهد الرسالة). أولَمْ يثر المشركون فى وجه صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام ويتقولوا عليه ما تقولوا ويتهموه بأنه ساحر وأن الكتاب الكريم أساطير الأولين (اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا)؛ فما زال القرآن الكريم يبهرهم بنوره ويأخذ عليهم مناهج الحجة حتى آمنوا أنه ليس من كلام مخلوق، وبالتالى آمنوا بالوحى، ودخلوا فى دين الله أفواجا، وما كان ذلك منهم إلا بعد تحدٍّ شديد ولَدَدٍ فى العداوة انتهيا بهم إلى تسليم مطلق؛ فكان هذا قضاء صريحاً من المعارضين وهم أرباب اللسن والفصاحة بأن القرآن من عند الله؛ وبذلك (فصلت الأيام فى هذه القضية)، حتى أثارها الباحثون على وجه آخر عند ما تفرقت مذاهبهم فى البحث. ثم استبحرت العلوم العقلية فى المحيط الإسلامى فكان من ذلك ما عده بعض الناس من مظاهر شك الباحثين، وما كان الشك منه فى شىء، وإنما ينحصر الخلاف بين المسلمين فى دائرة محدودة أشير إليها وأجلها فيما يلى:

لا خلاف بين الباحثين فى أن القرآن الكريم دلالات (ألفاظ) ومدلولات (معانى)، والدلالات هى مثار ذلك الخلاف العنيف الذى استحكم بين العلماء وأوذى فيه بعضهم أذى كثيراً؛ أما المعانى فهي من متعلقات العلم الأزلى وهى قديمة قدم العلم، أو هى بعبارة أخرى من متعلقات صفة الكلام النفسى، وما اختلفوا فى أن لله كلاماً وأنه كلم بعض الأنبياء. قال ابن حزم فى كتابه: الفِصل فى الملل والأهواء والنحل (... أما علم الله تعالى فلم يزل، وهو كلام الله تعالى، وهو القرآن الكريم، وهو غير مخلوق وليس هو غير الله تعالى أصلاً، ومن قال إن شيئاً غير الله لم يزل - أى قديم - فقد جعل لله شريكاً) وهو بهذا يشير إلى مذهب أهل السنة ويرد على من نفوا صفات المعانى فراراً من شبهة تعدد القدماء، وفيه وفيما يلى تعريف الكلام النفسي الذى سأل عنه الأستاذ الشيخ أبو رية (وقد ذهبت المعتزلة إلى أن كلام الله صفة فعل مخلوق. وقال أهل السنة إن كلامه هو علمه، وإنه غير مخلوق وهو قول الإمام أحمد بن حنبل وغيره. وقالت الأشاعرة: كلام الله صفة ذات لم تزل - أى قديمة - غير مخلوقة وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى وهو غير علم الله) من كلام ابن حزم بتصرف

هذا محصّل الخلاف فى معنى الكلام النفسى، وهو بحث فلسفى فى صفات الله، وما كان الاختلاف على أن القرآن كلام الله أوحى إلى النبى الكريم بطرائق الوحى التى تكفل بشرحها العلماء فى مظانها المعروفة؛ وقد أجلها الأستاذ الإمام محمد عبده فى (رسالة التوحيد) فقال: (الوحى عِرْفان يجده

المرء فى نفسه مع اليقين أنه من قبل رب العالمين بواسطة أو بلا واسطة) وهذا الرأى يتمشى مع قوله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء) ومسألة الوحى لا تستعصى على كل ذى روية ، فالعلم الحديث وما كشف عنه من عجائب ، وما اتضح للناس من وجود الكهرباء ، وما كادوا يجزمون به من عالم الروح وحركاته وسلطانه ، كل أولئك يُقرب معنى الوحى لمن كان يبتغى الحقيقة المجردة . وقد أستطيع التوسع فى ذلك ولكنى أوثر الإيجاز فى انتظار حكم الأستاذ أبى رية أو ما يدلى به الباحثون من أهل الدراية

هذا وقد كانت الدلالات القرآنية (الألفاظ) مدار تلك المناظرات الحادة فى عهد المأمون والمعتصم والواثق وهى تلك الظاهرة الفلسفية التى انبثت فروعها ، وسميت بمحنة خلق القرآن . والخلاف فى الألفاظ راجع إلى أن المعتزلة يرونها حادثة (مخلوقة) وغيرهم يتورع فيقول بقدمها . وما أراد الفريق الأول بالخلق والحدوث أن الألفاظ من كلام بشر ، وإنما أرادوا أنها أعراض تقوم بالحادث وما قام بالحادث حادث ؛ فالألفاظ على رأيهم حادثة . وما أراد الآخرون إلا التصون ظانين أن القول بحدوث اللفظ قد يسوق من لا بصر لهم بالوضوع إلى القول بحدوث المدلولات (المعانى) وهي قديمة بقدم العلم الأزلى

وهنا يقول العلامة ابن حزم : (اللفظ المسموع هو القرآن نفسه ... وأما من أفرد السؤال عن الصوت وحروف الهجاء والخبر فكل ذلك مخلوق بلا شك)

وبما تقدم يصدق قول الأستاذ الإمام : (ليس النزاع فى الكلام اللفظي فإنه حادث باتفاق) . وأعود فأقرر أن المراد بالحدوث أن الله خلقه وأحدثه كما خلق الشمس والضوء ، وأوحاه إلى الرسول الأمين بطرق الوحى التى أجملناها . وأما قول الأستاذ الإمام (إنما النزاع فى إثبات الكلام النفسى) فراجع إلى صفة الكلام لا إلى معانى القرآن الكريم وهو يشير إلى الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة فى إثبات صفات المعانى لله تعالى وقد قدمنا بيانه . والآن نرجو من الأستاذ أن يبين للناس معنى قوله : (وحى القرآن باللفظ أمر اختلفت فيه الفرق الإسلامية) ويرينا وجوه ذلك الخلاف ، ثم نسأله أن يبين لنا ما الذى أحرجه من رد المرحوم الرافعى عليه فى هذا الموضوع . وأن يشرح لنا ما وقر فى نفسه من قراءة ذلك الرد . لو تم هذا لاختصر طريق البحث وأراح المتكلمين فيه

وبعد فقد ألمع الأستاذ أبو رية فى لباقة إلى ما عده خطأ تاريخياً وقع فى كلمتى الأولى حيث قلت : « المأمون والواثق والمعتصم » ولا شك فى أن المعتصم يتقدم بداهة على الواثق ، ولكن أما كان يجدر بالأستاذ أن يحملها على سرعة الكتابة ؟ على أنى أبادر فأطمئنه على معنى « واو العطف » وحدودها ؛ فأقول له : إن الواو هنا جاءت لمطلق الجمع فلا تفيد ترتيباً وهو رأى البصريين نقله ابن عقيل فى شرحه وأطلقه ابن هشام فى « المغنى » عند بدء كلامه فى الواو ؛ قال تعالى : « يوحى إليك وإلى الذين من قبلك » وقال : « منك ومن نوح وابراهيم وموسى » وقال جل شأنه حكاية عن منكرى البعث « ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا » وبهذه الآية رد على الكوفيين القائلين بأن الواو للترتيب

وفى هذا القدر كفاية .

(الأسكندرية) محمود البشبيشى

---

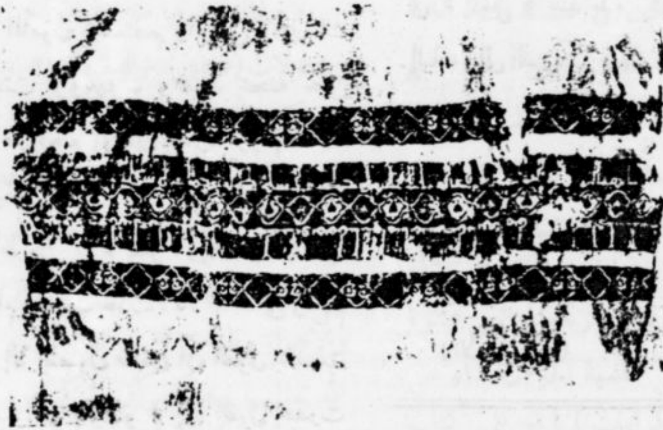
٧ – الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

رأينا كيف كان لبعض توجيهات الدين الإسلامى سواء ما كان منها إجابياً أو سلبياً أثر واضح فى إيجاد شخصية قوية للفنون الجميلة التى كان يزاولها المسلمون . على أن هناك عوامل أخرى تستمد أصولها من الدين الإسلامى قد تبدو لأول وهلة كأنها منقطعة الصلة بالفن ولكنها فى الحقيقة ذات صلة بهذا الأمر، صلة غير مباشرة إلا أنها فعالة قوية الأثر نرى من الحق علينا أن نشير إليها وأن نبين كيف عاونت على نضوج الفن الإسلامى وساعدت على اطراد تقدمه .

ولعل أهم هذه العوامل المساعدة ثلاثة : النقابات الإسلامية ، والحسبة ، والوقف . وسنبين أولاً ما هى هذه النظم ثم نعقب على ذلك بإيضاح أثرها فى الفنون الجميلة

أما نظام النقابات فلا يعنينا هنا البحث فى أصله أو ترجيح أحد الرأيين اللذين يحاولان الكشف عن ذلك ، فسواء أكان يرجع فى أصله إلى النقابات البيزنطية التى كانت موجودة قبل الإسلام ، أو كان من ابتداع الفرق الدينية الإسلامية كالإسماعيلية وغيرها ؛ فالأمر الذى لا يتطرق إليه الشك هو أن هذا النظام إزدهر وارتقى فى ظل الإسلام ، وساهم بأوفر نصيب فى تقدم الصناعة ، إذ كان لكل حرفة نقابة خاصة يرأسها شيخ الصنعة ويليه النقيب ثم الأساتذة ثم الأسطوات ثم المبتدئون . وكانت أسرار الصناعة تدرس عملياً فى هذه النقابات وكان لها قانون يستمد سلطته من الحكومة فى كثير من الأحيان ويدور حول حماية المستهلك والمنتج على السواء، فيضمن للأول جودة المصنوع وإتقان الصناعة وإتباع الأساليب المقررة فيها، ويضرب بيد من حديد على الغش والتدليس ، ويضمن للثانى سهولة الحصول على المواد الخام اللازمة لصناعته ، ويمنع الاحتكار الذى يضر بالعمل ويسمى لرفع مستواه الاجتماعى . ولقد قضى على نظام النقابات بعد أن تغيرت الأسس الاقتصادية التى تسير عليها الأمم الإسلامية فى الوقت الحاضر . على أنه لم تزل هناك ظاهرة اجتماعية تذكرنا به هى حفلة إثبات رؤية هلال شهر رمضان إذ تسير نقابات الحرف المختلفة فى موكب الرؤية بنظام خاص . ولعل هذه الصورة أوضح فى الأرياف منها فى القاهرة



قطعة نسيج من الكتان منسوج فيها أشرطة من الحرير ، بها زخارف وكتابة كوفية تتضمن اسم الخليفة الفاطمى المستنصر بالله — من كتاب الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية « لمحمد عبد العزيز مرزوق » . (راجع العدد ٥٣٨)

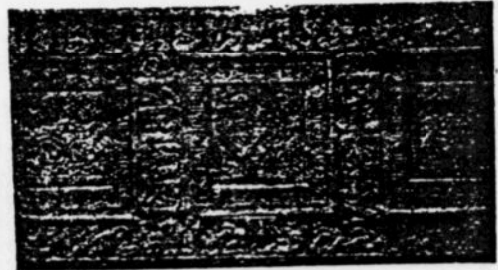
وأما الحسبة فوظيفة أوجدها الإسلام عندما رأى أن الإنسان لا غنى له فى حياته عن التعاون مع غيره ، وأدرك أنه لكى يستقيم أمر الجماعة لا بد من إيجاد سلطة تلزم كل إنسان حده ، ولا تترك مجالاً لمن طبعت نفسه على الشر أن يعبث بمصالح الناس إرضاء لشهوة جامحة أو نزوة طارئة . وقد استمدت وجودها من آيات قرآنية عديدة نجدها مفصلة فى كتب الفقه الإسلامي أو الكتب التى قصرت نفسها على موضوع الحسبة وحده . ويكفى أن نذكر هنا أن أول من أوجدها هو الخليفة الثانى عمر بن الخطاب المحتسب الأول الذى كان أول من شارف بنفسه الأسواق وراقب المكاييل والموازين وأمر بأماطة الأذى عن الطرق . على أن أعمال الحسبة لم تقف عند هذا الحد الذى وقف عنده عمر ، بل اتسعت دائرتها حتى شملت جميع ما يتصل بحياة الناس المدنية والدينية من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر . ويهمنا نحن بنوع خاص أنها تدخلت فى شئون

جميع الصناعات ورسمت لأربابها السبيل السوى الذى ينبغى عليهم أن يسلكوه ؛ فالخزاف والنساج والنجار والحائك والوراق والصائغ وغير هؤلاء من الصناع لهم منهاج عليهم أن يتبعوه حتى يأمنوا عقاب المحتسب فى الدنيا وغضب الله فى الآخرة . وقوام ماهم مكلفون به إتقان العمل والإخلاص فيه وتجنب الغش والتدليس .



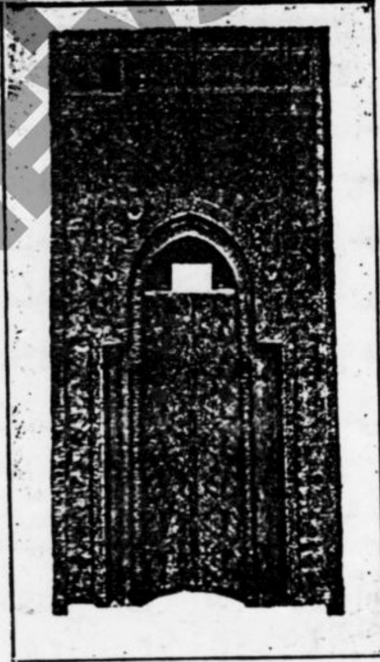
مشكاة من الزجاج المزخرف بالمينا عملت باسم وقف الأمير الماس وعليها اسم الصانع — من فهرس مقتنيات دار الآثار العربية للمرحوم هرقس بك

وأما الوقف فنظام نشأ فى الإسلام استناداً إلى أحاديث عدة لعل أشهرها ذلك الحديث الذى ذكره البخارى ومسلم فى صحيحيهما كما ذكر أيضاً فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وفى مسند ابن حنبل وفى طبقات ابن سعد وملخصه



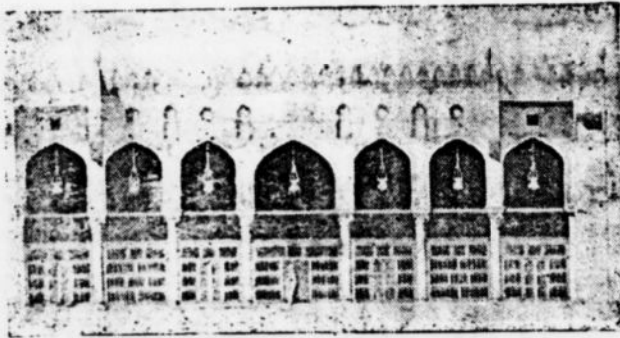
قطعة من تابوت خشب لأم السلطان الأيوبى (الكامل) — من فهرس مقتنيات دار الآثار العربية للمرحوم هرقس بك

أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخيبر فأتى النبى صلوات عليه يستأمره فيها ، فقال له النبى إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها . ومنذ عهد عمر ونظام الوقف مستمر حتى يومنا هذا وقد اتسعت أغراضه بحيث شملت معظم نواحى الإصلاح الاجتماعى فأوقفت الأعيان على المساجد والمدارس ، والمارستانات والمدافن ، وعلى المساكين واليتامى ، وعلى الذين وهبوا حياتهم للعلم أو للدين ، وعلى غير ذلك من الأغراض التى سطرها الواقفون فى وقفياتهم ويضيق المجال عن ذكرها جميعاً . والذى يهمنا من هذا



محراب من خشب عمل برسم مشهد السيدة رقية بأمر زوجة الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله — من رسالة فى وصف محتويات دار الآثار العربية للمرحوم الأستاذ حسن الهوارى

النظام أن أول قواعده وأهمها عمارة الأعيان المحبوسة سواء ماكان منها لاستخدامه فى الأغراض سالفة الذكر أو لاستغلاله



واجهة ديوان المحراب فى مسجد الصالح طلائع بن رزيك الوزير الفاطمى نقلا من كتاب مساجد القاهرة قبل عهد المماليك لمحمد عبد العزيز مرزوق

للانفاق عليها لضمان بقائها ودوام استغلال ريعها . وبفضل هذا العمل الجليل وصلت إلينا تلك الآثار الرائعة التى تزدان بها القاهرة اليوم من مساجد ومدافن ، وأسبلة وأربطة ، ومدارس ومنازل ومشاهد ووكائل ، وتلك التحف النادرة الجميلة التى كانت تزين تلك الأبنية من محاريب وتوابيت ومشكوات وكراسى .

(يتبع)

محمد عبد العزيز مرزوق

غرفة شـــاعر!

للأستاذ أحمد صافى النجفى

أكافح البرد فى سراج   يكاد من ضعفه يموت
فى غرفة، ملؤها ثقوبٌ   أو شئت قل ملؤها بيوت
يسكن فيها بلا كراء   فأرٌ وبقٌّ وعنكبوت
للفأر من مأكلى غذاء   والبقُّ جسمى لديه قوت
واعتزل العنكبوت أمرى   وفى بقـاه معى رضيت
فهو معى مثل فيلسوف   معتزلٌ دأبه السكوت
مشتغلٌ بالنسيج عنى   يبنى شباكاً بها حميت
فكم بهـا صاد من ذباب   قد كنت فى أمره عييت
أنعم به صائداً قديراً   ذبابة منـــه ما تفوت
كم صاد فى الصيف من بعوض   قد كنتُ من لذعه خشيت
ينسج فوق الثقوب بيتاً   به من الشمس قد وقيت
هذى نداماى فى الدياجى   عاد بهم شمـــلى الشتيت
يوقظنى الفأر حين أغفى   بالقرض إن طاب لى المبيت
والبق بالقرض رام مزحى   لكنه مازحٌ صمـــوت
يشرب ما راق من دمائى   والسمّ فى لذعه سُقيتِ
عليه لا يسمعون شكوى   فيا لخصم به بليت
ضيفٌ ولا يبتغى طعاماً   إلا دماً منه قد حَييتُ

***

أغرفة للمنام هـــذى   أم هى منفى له نفيت؟
أم تلك قبر الحياة فيه   عذِّبتُ من قبل ما أموت
أبيتُ ليلاً بهـا كأنى   للبرد تحت السما أبيت
جمدت من بردها ولكن   فى الصيف من حرِّها شويت
يُنْثَر من سقفها ترابٌ   لولا غطائى به عميت
كأن ذاك التراب رزقٌ   به من الله قد حبيت
أمشى بهـا خائفاً لأنى   أخشى انخسافاً إذا مشيت
لهـا كشباكها ثقوبٌ   أنظر منهن حيث شئت

من أزهار الشر

لشارل بودلير

هى هى . . .

« من أين حل بك هـذا الأسى الغريب الذى يعلو كاللجة على الصخرة السوداء العارية؟ »

حين تجنى قلوبنا قطوفها من النشوة، تغدو الحياة شراً، كما تصبح ألماً بسيطاً لا خفاء فيه، يتجلى كمرحك الذى يبهر الأبصار.

فلا تبحثى بعد عن سريرتى أيتها المستطلعة الجميلة!

والزمى الصمت وإن كان صوتك حلوا.

إلزمى الصمت أيتها الجاهلة، أيتها الروح الثملة بنشوة دائمة وأنت أيها الثغر ذو الابتسامة الساذجة كف عن الكلام فالموت يجتذبنا بأسباب دقيقة خافية أكثر مما تتشبث بنا الحياة.

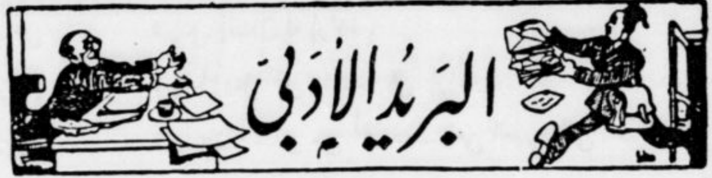
دعى قلبى ينتشى بسراب خادع.

دعيه يهيم فى عيونك الجميلة كما يهيم فى حلم جميل

دعيه يرقد فى سبات طويل متفيئاً ظلال أهدابك!

ترجمة

عثمان على عسل



تعقيب

قرأت ما كتبه الأستاذ مرزوق فى العدد ٥٣٨ ولمست استياءه مما كتبته فى العدد ٥٣٧ وأرجو أن يزول استياؤه بهذا الإيضاح

فأنا لم أقصد إلا الإبانة عن رأى خاص فى هذا الموضوع الذى تناوله بالبحث الأستاذ مرزوق وكثيرون من علماء التفسير، والذى أتعبنى اختلاف الآراء وتباين الأقوال فيه وهذا أثر اليهود فى اختلاق الأحاديث. فكان الواجب أن أنزه الإسلام عن تحريم التصوير لما للفن الجميل من رسالة سامية لا تعارض الدين الإسلامى

أما مقال الأستاذ مرزوق فكان مشتملاً على تبرير رواج الزخارف دون غيرها من إبداع الصور، حتى قال الأستاذ ما نصه ... « وليس من اللائق وهذه العقيدة منقوشة فى أذهان المسلمين جميعاً أن يخلد رجال الفن منهم بأعمالهم الفنية ما كتب الله عليه الفناء. لذلك نجدهم لم يعنوا بتصوير الشخصيات العظيمة فى لوحات كبيرة أو تماثيل ضخمة تبق على الدهر، أو تمثيل جمال الطبيعة بالنقل عنها نقلاً صحيحاً » .

قد يقال أين ما يدل على أن كاتب المقال يعتقد التحريم حتى أحكم عليه هذا الحكم السريع الخاطىء...؟ وأقول إننى لم أرد على الأستاذ مرزوق وإنما ناقشت الفكرة التى دار حولها مقاله وهى فكرة تحريم الإسلام ابتداع الصور. أليس ما سقته من كلام الأستاذ عن عقيدة المسلمين يفيد أن الإسلام قد ينهى الفنان عن ابتداع الصور؟

ثم ماذا؟ أنا لم أرد بالتعليق إلا إيضاح رأى حاسم فى الموضوع مجمله أن الفن مباح فى حدود الدين والأخلاق، وأن التصوير مباح ما دام المصور لم يقصد إعداد صورته (مجسمة أو غير مجسمة) للعبادة من دون الله ... ودليلى على ذلك أن القرآن لم ينص على تحريم التصوير وأن الأحاديث الواردة مشكوك فى صحتها كما أوضحت

وبعد فلم أجد فى مقال الأستاذ المنشور فى العدد ٥٣٧ إلا مجرد سرد للآراء المتباينة التى أتعبتنى وأتعبت كثيرين والتى يجب أن يدلى فيها برأى حاسم حتى يتاح لنا النظر إلى الفن الجميل بعين الارتياح والإيمان. ولازلت أنكر على الذين يعتقدون حرمة الصور المجسمة ما دام المصور لم يقصد إلا وجه الفن، ولم يقصد إعداد صورته للعبادة من دون الله، وإلا فما قولك فى تماثيل عظمائنا ... القائمة فى الميادين!

أما أننى تسرعت فى الحكم فمن حسن نية، ولم أقصد إلا الإيضاح البرىء مخافة أن ينساق قلمك إلى الناحية الفنية البحتة دون التعرض لهذه الناحية الدينية

أما شخص الأستاذ مرزوق فمحل احترامى ومقالاته محل تقديرى وله الشكر على كل حال.

أحمد فتحى القاضى
المحامى

رسالة إلى شاب

أخى الأديب الفاضل « و . ا . م »

لشد ما يعوزك أن تقدح عزيمتك وتشحذ همتك، فإن قوة الإرادة هى الدواء الوحيد لكل ما تعانى من أدواء... ألا تذكر يا صديق ذلك الكتاب الذى قرأناه سوياً، يوم كنتَ تحلق ببصرك فى المستقبل البعيد؟ لقد كنت يومئذ طموحا لا يحصر أفقك يأس، ولا يحد أملك حد؛ أما اليوم فإننى أجد نفسى مضطراً إلى أن أكتب لك عن الإرادة، لكى أعيد على سمعك تلك الكلمات التى طالما رددتها من ذلك الكتاب. أما الكتاب فهو (كما تعلم) موسوم باسم: « كيف تخط طريقك فى الحياة » : « Pour faire son chemin dans la vie »، وأما الفصل الذى كنا نحب الكتاب من أجله، فهو موسوم باسم « الإرادة » : la volonté . وهأنذا أروى لك طرفاً من ذلك الفصل الذى كنا نحفظه عن ظهر قلب:

ليس ثمة شىء مستحيل: فإن هناك مسالك تقتادنا إلى كل شىء، ولو كان لدينا قدر كاف من الإرادة، لكان فى استطاعتنا دائماً أن نجد ما يكفى من الوسائل. بيد أن الإرادة ليست منحة طبيعية أو هبة فطرية، بل هى صفة مكتسبة يحصلها الفرد كما يحصل غيرها من الصفات. والوسيلة الصحيحة لاكتساب

الإرادة هى أخذ النفس ببعض المبادئ ، والعزم الأكيد على تحقيق بعض المقاصد ... إن المعدن لا يعطيك ما فيه إلا بالكدح ، والنار لا تظهر من الحجر إلا بالقدح ، كذلك النابة لا تبلغها إلا بالقصد ؛ فعليك أن تنمى فى نفسك قوة « الإيحاء الذاتى » autosuggestion التى من شأنها أن تعدل خلقك وتغير مزاجك ... لتعمد فى لحظة معينة من الصباح ، إلى الاختلاء بنفسك ، وجمع شتات أفكارك بعيداً عن ضوضاء المجتمع وصخب الناس ؛ ولتفكر تفكيراً عميقاً فى أمر إرادتك ، ولتقل فى نفسك : سيكون لى من قوة الإرادة ما أحطم به كل العوائق . أجل ستكون لى إرادة صلبة ، ولن تقف فى وجهي الصعاب ! وعند المساء ، لا تذق عينيك طعم الكرى قبل أن تكون قد استعدت فى ذاكرتك هذه الفكرة ، وأدرتها على لسانك عدة مرات ! ... فإذا دأبت على التأمل فى هذه الفكرة ، وإذا أفعمت رأسك بصورها ، فإن الأمر ينتهى بك إلى الانقياد لوحيها ، والإذعان لقوتها . ولا يمكن أن يضيع أثر هذا الإيحاء الذاتى ، إذا عمدت إلى ورقة بيضاء ، فكتبت عليها بحروف كبيرة واضحة الكلمات التالية :

« إننى إنسان له إرادة .

« وأنا أفعل كل ما تمليه علىّ إرادتى .

« ولست أتملص من أى عهد من العهود التى أخذتها على نفسى .

« وكل ما أشرع فى عمله ، فأنا أتممه على أكمل وجه ، خضوعاً لأحكام إرادتى .

« وستكفل لى الإرادة كل ما أصبو إليه من نجاح وتوفيق !

... هذا هو العهد الذى غاب عنك يا أخى ، فهل تذكره معى اليوم فتقول : « إن الإرادة هى الاستطاعة » ؟ : Vouloir, c'est pouvoir.

زكريا إبراهيم

تصويب

وقع خطأ مطبعى فى مقال (الشعر المرسل) المنشور بالعدد الماضى ، وصحته فيما يلى :

ا — فى صفحة (٨٤٨) : (١) Two (٢) fulness (٣) dactyl

وفى آخر الصحيفة : وهى وحدة البحر بذاته

ب — وفى صفحة (٨٤٩) : (١) وقد ثار (بأول سطر) (٢) البحر الأسكندرى يتركب من : ست تفعيلات إيامبيه × مقطعين

الحكومة الملكية المصرية

وزارة المالية

القرض الوطنى ٣١/٤ ٪ سنة ١٩٦٣ / ١٩٧٣

سعر الاصدار ١٠٠ ٪

سندات هذا القرض صادرة بمقتضى القانون رقم ٩٥ لسنة ١٩٤٣ وتخصص حصيلة القرض لتحويل وتسديد الدين الموحد والدين الممتاز كلهما أو بعضهما .

رخص للبنك الأهلى المصرى فى قبول الاكتتاب في القرض المذكور .

تكفل موارد الخزانة العامة رأس مال القرض وفائدته .

تتعهد الحكومة الملكية المصرية بأن تخصص مبلغاً سنوياً لتكوين مال احتياطى لاستهلاك هذا القرض لا يقل عن ٢ ٪ (اثنين فى المائة) من مجموع الاكتتاب وذلك بالمطابقة لنص المادة الثالثة من القانون رقم ٩٥ لسنة ١٩٤٣

سندات هذا القرض لحاملها ، وهى بالعملة المصرية .

ويجوز لحملة السندات تسجيلها بالبنك الأهلى المصرى والحصول منه على شهادات اسمية بذلك .

رأس مال القرض وفائدته معفيان من كل ضريبة حالية أو مستقبلة ، مباشرة أو غير مباشرة بما فى ذلك ضريبة التركات .

فائدة القرض ثلاثة وربع فى المائة سنوياً ، محتسبة من تاريخ الاكتتاب ، وتدفع كل ستة شهور بواقع نصف الفائدة السنوية فى أول مايو وأول نوفمبر من كل سنة بالبنك الأهلى المصرى بمركزه الرئيسى بالقاهرة .

تدفع فوائد الستة شهور الأولى فى أول مايو سنة ١٩٤٤ عن نصف سنة بالكامل .

يجب أن تكون طلبات الاكتتاب بعشرة جنيهات مصرية أو بمضاعفات العشرة الجنيهات المصرية .

يجب أن يدفع المكتتب ثمن السندات المكتتب بها بالكامل عند الاكتتاب ، مضافا إليها الفائدة المستحقة من أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ لغاية تاريخ اكتتابه .

يستلم المكتتب شهادة مؤقتة بقيمة اكتتابه ، وتسلم فيما بعد — فى مقابل رد تلك الشهادة — سندات لحاملها بقيمة اكتتابه (ملحقاً بها كوبونات الفوائد) من الفئات الآتية :

جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه
١٠	٥٠	١٠٠	٥٠٠	١٠٠٠

يجوز لوزارة المالية فى أى وقت ابتداء من أول نوفمبر سنة ١٩٦٣ أن تستهلك القرض كله أو بعضه بالقيمة الاسمية يعلن عن الاستهلاك الجزئى بطريق السحب فى الجريدة الرسمية قبل الميعاد المحدد لرد قيمة السندات المستهلكة بثلاثة أشهر على الأقل .

تنشر أرقام السندات المسحوبة للاستهلاك بالجريدة الرسمية قبل التاريخ المحدد لرد قيمتها بثلاثين يوماً على الأقل

تحتسب الفائدة عن السندات المستهلكة إلى اليوم السابق لليوم المحدد لرد قيمتها .

تدفع قيمة السندات المستهلكة إلى حامليها بالبنك الأهلى المصرى بمركزه الرئيسى فى القاهرة .

أما السندات التي لا تكون قد استهلكت قبل أول

نوفبر سنة ١٩٧٣ فترد قيمتها الاسمية لحامليها بالبنك الأهلى المصرى بمركزه الرئيسي بالقاهرة فى التاريخ المذكور .

يسقط الحق فى المطالبة بقيمة السند بعد مضى خمس عشرة سنة ميلادية من تاريخ استحقاق قيمته ويسقط الحق فى المطالبة بقيمة الكوبون بعد مضى خمس سنوات ميلادية من تاريخ استحقاقه .

يجوز قبول سندات الدينين الممتاز ½ ٣ ٪ والموحد ٤ ٪ الصادرين بالعملة الاسترلينية بدلاً من الاكتتابات النقدية فى هذا القرض وذلك بالشروط الآتية :

يجب تقديم الطلبات إلى مكتب خدمة الدين العام بالقاهرة خلال المدة من أول نوفبر إلى ١٥ نوفبر سنة ١٩٤٣ بالنسبة للدين الموحد ٤ ٪ وخلال المدة من ١٦ نوفبر إلى ٣٠ نوفبر سنة ١٩٤٣ بالنسبة للدين الممتاز ½٣ ٪ أما طلبات التحويل المقدمة من حملة هذه السندات المقيمين فى خارج القطر المصرى فإنها تقبل إلى يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٣ بالنسبة للدين الموحد ٤ ٪ وإلى يوم ١٥ يناير سنة ١٩٤٤ بالنسبة للدين الممتاز ½ ٣ ٪ ويقبل كذلك بنك انجلترا بلندرة هذه الطلبات على أن يكون تسليم السندات الخاصة بها فى مصر لحساب طالب التحويل .

تقدر سندات الموحد ٤ ٪ بعلاوة قدرها ٢ ٪ فوق قيمتها الاسمية وسندات الممتاز ½٣ ٪ بعلاوة قدرها ١ ٪ فوق قيمتها الاسمية . والاكتتابات المقدمة على هذه الصورة والمقدرة قيمتها على هذا الأساس يقبل من قيمتها ما يكون بمضاعفات العشرة الجنيهات وترد نقداً كسور العشرة جنيهات الزائدة على ذلك إلى طالبى التحويل .

(١٠٠ جنيه استرليني = ٩٧ جنيه مصرى و ٥٠٠ م) .

يوقف ابتداء من أول نوفبر سنة ١٩٤٣ احتساب الفائدة عن سندات الموحد ٤ ٪ ، وسندات الممتاز ½٣ ٪ التى تقدم اكتتاباً فى هذا القرض .

تدفع فائدة سندات الممتاز ½٣ ٪ عن المدة من ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٣ إلى ٣١ أكتوبر سنة ١٩٤٣ عند تحويلها إلى هذا القرض .

يجوز قبول سندات قرض القطن ½٤ ٪ ١٩٤٢ـ١٩٤٦ وقرض القطن ٤ ٪ ١٩٤٤ـ١٩٤٨ بدلاً من الاكتتابات النقدية فى هذا القرض ، وذلك بالشروط الآتية :

يجب تقديم الطلبات إلى البنك الأهلى المصرى بالقاهرة خلال المدة من أول لغاية ثلاثين نوفبر سنة ١٩٤٣

تدفع لحملة سندات القرض ½٤ ٪ ١٩٤٢ — ١٩٤٦ قيمة الكوبون المستحق فى أول ديسمبر سنة ١٩٤٣ مضافاً إليها الفائدة الجارية حتى أول يناير سنة ١٩٤٤ وهو اليوم المحدد لتسديد هذا القرض ويستنزل من ذلك مبلغ الفائدة بواقع ½٣ ٪ عن المدة من أول نوفبر سنة ١٩٤٣ لغاية آخر ديسمبر سنة ١٩٤٣

يدفع لحملة سندات قرض القطن ٤ ٪ ١٩٤٤ — ١٩٤٨ قيمة الكوبون المستحق فى ١٥ فبراير سنة ١٩٤٤ بعد استنزال مبلغ الفائدة بواقع ½ ٣ ٪ عن المدة من أول نوفبر سنة ١٩٤٣ لغاية ١٥ فبراير سنة ١٩٤٤

يمكن الحصول على نسخ من هذا الإعلان ونماذج طلبات الاكتتاب من البنك الأهلى المصرى وفروعه ومن البنوك المعتمدة من غرفة المقاصة ومن السماسرة المعتمدين من قومسيون إحدى بورصتى الأوراق المالية .

يبدأ الاكتتاب بالبنك الأهلى المصرى بمركزه الرئيسى بالقاهرة فى أثناء ساعات العمل بالبنك المذكور من أول نوفبر سنة ١٩٤٣ ، ويجوز لوزارة المالية أن تقفل الاكتتاب فى أى وقت تشاء . ١٣٧٠

القاهرة فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٣ وزير المالية

أمين عثمان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 540

Lundi - 8 - 11 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٤٠ « القاهرة في يوم الإثنين ١٠ ذو القعدة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٨٨١ في المسجد الأقصى . . ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
٨٨٣ من ليالي الفردوس .. ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٨٨٧ حكاية الوفد الكسروي : لأستاذ جليل ... ...
٨٨٩ الشعر المرسل وشعراؤنا الذين حاولوه ... ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...
٨٩٢ الشعر الأوربي ... ... : الدكتور محمد مندور .. ...
٨٩٤ اللغة العربية : لماذا أخفقنا في تعليمها ؟ — كيف نعلمها : الأستاذ محمد عرفة ... ...
٨٩٧ جامع أحمد ابن طولون ... : الأستاذ أحمد رمزي بك . .
٨٩٩ مسابقة الأدب العربي ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٨٩٩ إلى الأستاذ محمد عرفة . . : (ا . عكاوي) ... ...
٩٠٠ المهرجان الأدبي في السودان : الأديب حيدر موسى ... ...

٢ ـ في المسجد الأقصى

للدكتور عبد الوهاب عزام

وقفت على شاطئ هذا السيل البشري حيناً ثم رجعت أدراجي إلى صاحبي الكريم في مصلاه ، ودخلنا الحجرة التي تواعدنا اللقاء بها فرأيت على بعد خطيب المسجد الأقصى يمرّ إلى حجرته وهو في حلة خضراء وعمامة صلاحية ، وهو زيّ يتوارثه خطباء المسجد الأقصى من عهد صلاح الدين ؛ وهم من بني جماعة الكنانيين توارثوا هذا المنصب منذ القرن السادس إلى يومنا هذا ، وإنه لشرف عظيم . كانت خطابة الجوامع الكبيرة منصباً مشرّفاً في تاريخ المسلمين . وكثير من علمائنا يلقبون بالخطيب . وكانت هذه المناصب متوارثة يخلف فيها الأبناء الآباء ، ويحرص الأسر على شرفها ، كما كانت في تاريخنا بيوت تعرف بالقضاء وأخرى بالفقه وهكذا . ذهبت إلى حجرة الخطيب فزرته وشرفت بمجالسته قليلاً ثم رجعت إلى حجرة الموعد ووافانا في موعدنا من الزمان والمكان الأستاذ المخلص فسرنا نطوّف في أرجاء الحرم . بدأنا بقبة الصخرة ننظر ما كسَتها الصناعة والتاريخ من حِلَى أحدثُها الرخام المجزع الذي فرغ منه المهندسون المصريون منذ سنوات قليلة . ولست أستطيع أن أحدث عن تاريخ هذه القبة العظيمة منذ شادها عبد الملك بن

مروان إلى عصرنا هذا ولا أن أصف هندستها وجمالها وحِلاها وأبهتها فقد ضمنت هذا كتب وصور كثيرة . وحسبي أن المقدسي يقول فيها بعد وصفها : « فإذا بزغت عليها الشمس أشرقت القبة وتلألأت ورُئيت شيئاً عجيباً . وعلى الجملة لم أر فى الإسلام ولا سمعت أن فى الشرك مثل هذه القبة » وكذلك أقول ما رأيت فيما رأيت من عجائب الأبنية فى البلاد الإسلامية أجمل من قبة الصخرة . ويستطيع القارئ أن يرى مثالاً صغيراً ضئيلاً منها فى القبة التى على ضريح السلطان قلاوون فى القاهرة . ومن عجيب ما رأيت على جدران القبة من الخارج حجة وقف للسلطان برسباى وقف فيها بعض القرى على عمارة بعض الأبنية فى الحرم . ولقد سجل وقفه فى أطهر الصحف وأبقاها

وبجانب القبة قبة صغيرة ثمينة على مثالها غير أنها لا يحوط أعمدتها جدار . وقد قيل إن عبد الملك طلب أن يبنى مثال للقبة قبل أن يشرع فى هذا البناء الرائع العظيم النفقة ، فبنى له هذا المثال فأعجبه ، وبنيت القبة الكبرى على صورته . وقيل بل بنيت القبة الصغيرة من بعد

وهذه القبة الصغيرة مصلًى رأيت النساء يصلين فيه يوم الجمعة . وعلى صحن الصخرة وهو الدكة العالية الواسعة التى تتوسط ساحة الحرم الفسيحة قبة أخرى صغيرة جميلة تجاهها قبة صغيرة تسمى قبة المعراج . وهناك حجرات أخرى متفرقة فى أطراف الصحن

هبطنا إلى الساحة المحيطة بصحن القبة على أحد السلالم المحيطة به . ولهذه الدكة تسع سلالم ذوات درج طويل على كل منها عمد تنتظمه عقود فوقه ، ومشينا ذات اليمين نساير السور الغربى من أسوار الحرم وقد توالت بجانبه أبنية تنتميها عصور مختلفة ، وتخلد عليها ذكرى كثير من سلاطين المسلمين . وحول أسوار الحرم من الداخل والخارج أبنية كثيرة كانت مدارس عمرت بالأستاذين والطلاب زمناً طويلاً ، ودرّت على المعلمين والمتعلمين بها خيرات كثيرة . وما أحراها اليوم أن تكون مأوى لعلماء من المسلمين يؤمونها من أقطار الأرض فيتداولون الإقامة بها والتدريس بالحرم حيناً ! ما أجدر هذا التاريخ بأن يحفظ ، وما أخلق هذه الذكريات بأن تُوعَى ! وكم اتصلت بهذه المدارس من تواريخ العلماء والأدباء

رأينا فيما رأينا هناك المدرسة الأشرفية التى شادها السلطان الصالح المعمِّر الذى تشهد له اليوم آثاره فى بيت المقدس ومكة والمدينة ومواضع كثيرة فى القاهرة — ذلكم السلطان أبو النصر قايتباى رحمه الله . وقد عجبت إذ قرأت فيما قرأت من ألقاب السلطان المنقوشة على البناء لقب « الإمام الأعظم » وما عرفته قبل اليوم لأحد من السلاطين

وقد صعدنا منارة المدرسة على قدمها ونيل الأعصار منها فأشرفنا على مرأى جليل من الجبال والأبنية القديمة والحديثة وكأنما أشرفنا على عصور من التاريخ . وعلى مقربة من المدرسة سبيل جميل للأشرف برسباى من سلاطين المماليك . وقد جدده السلطان قايتباى سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ، ثم السلطان عبد الحميد العثمانى وقد سمى فى الكتابة التى على السبيل بالخليفة الأعظم . وفى ساحة الحرم كثير من السبل والآبار الجميلة

وانتهى بنا السير مع هذه الآثار والذكر إلى التكية البخارية وهى التى اتخذت متحفاً إسلامياً ، بعد أن ضم إليها قسم من مسجد النساء الذى يأتى ذكره . صفت فى مدخل المتحف ، وبداخل التكية ، رءوس من العمد القديمة التى كانت بالمسجد الأقصى ونقوش وحِلَى وكتابة من آثار العصور الماضية . وفى البهو الواسع الذى اقتطع من المسجد آثار قليلة جليلة صغيرة فى العين كبيرة فى القلب ، هى كسلاح البطل المجاهد ؛ عدة قليلة تحدث أخباراً طويلة ، وسيوف ورماح هى عنوان لتاريخ من الكفاح . رأينا فيما رأينا المصحف الذى كتبه بخطه السلطان عبد الحق من سلاطين بنى مرين بالمغرب[1] . وقد كتب هذا السلطان التقى بيده ثلاثة مصاحف أهداها إلى المساجد الثلاثة فى مكة والمدينة وبيت المقدس .

ورأينا فى المتحف سيف الشيخ شامل المجاهد الذى أبلى أحسن البلاء فى الدفاع عن البلاد الإسلامية فى القوقاز . كما رأينا على الجدار عباءة بها خروق . فأما العباءة فعباءة البطل المقدام ، والعربى الحر الأبى سلطان باشا الأطرش . وأما الخروق فآثار الرصاص من دبابة فرنسية هجم عليها هذا الأسد فى إحدى ثوراته .

(١) كتب على هذا المصحف أنه كتب سنة ٧٣٤ . وهذا التاريخ لا يوافق عهد السلطان عبد الحميد ، ولكن هذا يوافق عهد السلطان أبى الحسن من بنى مرين ، فينبغى أن ينظر فى هذا التاريخ

فليت شعرى أى خلة أشرف من هذه العباءة ، وأى وسام أجل من هذه الثقوب . لقد أحسن الذى حفظوا سيف شامل وعباءة الأطرش فى المتحف الإسلامى من المسجد الأقصى ، وإنها لعبرة . ورأينا بعد مصابيح من آثار الأيوبيين ، وقدوراً عظيمة من آثار العثمانيين ، ونفائس أخرى لا يتسع لذكرها هذا المقال

ثم اطلعنا على دفتر الزيارة فرأينا توقيعات كثير من الزوار بينها خط الملك فيصل رحمه الله ، وقد كتب هذه الآية الكريمة (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) . وقد رأينا الآية نفسها مكتوبة على باب السكينة من آثار السلطان قايتباى .

(للكلام صلة) **عبد الوهاب عزام**

من ليالى الفردوس

للدكتور زكى مبارك

لم يكن أول حب ، فما مرّت ساعة من نهار أو من ليل بلا وجد يعصف بقلبى فيزلزل وجودى ، وإنما كان أخطرُ حبٍّ ، لأنه صادف قلبين كُتب عليهما الشقاء بالهوى لأول لقاء

ولم يكن لهذا الحب مقدمات ، على نحو ما تصنع الطبيعة فى إرسال البشير بالغيث ، أو النذير بالويل ، وإنما صُبّ علينا نعيمه وشقاؤه بلا وعد ولا وعيد ، فأصاب قلبَينا برجفة عاتية ستبقى لها ندوب ، إن قُدِّر من بلواها الخلاص ، ولا خلاص !

كنت أعرف أنها مِلك يمينى أصرّفها كما أريد ، فأنقلها من الغرب إلى الشرق ، ومن الشمال إلى الجنوب ، وكانت تعرف أنها ملأت قلبى فلا خوف من تعرّضه لهوًى جديد ، ولو ساقته المقادير على يد جِنّية من جنيات باريس أو بغداد أو بيروت

وطاب لنا فى بداية الهوى أن نتكاتم ، فقد كنا شببنا عن الطوق ، وكانت لنا تجاريب تجمل البوح من أخلاق الأطفال . وكيف تأمن جانبى وقد «وصلتْها أخبار» تشهد بأنى لا أقيم على عهد ، وأنى أتخذ الحب وسيلة لدرس خلائق الملاح ؟

وكان أمرى فى الهوى كما قدّرت تلك البنوم ، فما نظرتُ نظرة جارحة إلا لأقتبِس من أنوار الخدود شعاعاً أُلوّن به مداد قلمى ، ولا تعرّضتِ لمكاره الغواية إلا لآخذ من جحيم الفتك جمرةً أذكى بها بيانى

ثم كان حالى حال رائض الحيات فى مدينة الأقصر ، فما تاريخ ذلك الرائض ؟

هو رائض تطايرتْ أخباره إلى « لورد كرومر » فأحب ذلك اللورد أن « يختبر » تلك الأخبار ليكون من أمرها على يقين ، فقاده « الحاوى » إلى حية كان حبَسها تحت حجر من الأحجار فى رحاب « وادى الملوك » ، وكانت تلك الحية تفهم عن « الحاوى » ما يريد ، فتصحو أو تنام وفقاً لما علّمها من الإشارات

ورفع الحاوى الحجر فثارت من تحته حيةٌ لم يرها من قبل ، حيةٌ لم تتلقَّ عليه درساً من الدروس ، ولا تفهم أنه فى صحبة رجل كلّفته الدولة البريطانية حراسة منافعها فى مصر مفتاح الشرق !

وخاف الحاوى على حياته فلاذ بالفرار ، ثم عظُمتْ دهشته حين رأى لورد كرومر أقدر منه على الجرى فى طلب النجاة ، مع أن فى منطقته مسدّسين ، ومع أنه يمثّل دولة لها فى البر جيوش وفى البحر أساطيل !

كان حالى حال ذلك الرائض ، كنت ألهو وألعب بالملاح كما كان يلهو ويلعب بالحيات ، فكيف صار وكيف صرتُ ؟

لقد هرب فنجا ، أما أنا فثبتُّ فى مكانى لأصرع الحية أو تصرعنى ، وهل كانت حياتى إلا حومة نضال وصيال وقتال ؟

وفهمتْ الحية وفهمتُ أننا لم نكن إلا أرقَمَين يتساوران ، ثم كانت الحرب بيننا سجالاً فلم أنج منها ولم تنج منى هى اطمأنت إلى أنها سيطرت على القلب الذى استطاب العبث بقلوب الملاح

وأنا رضيتُ بأن تكون تلك الحية من مرضاى ، وهل من القليل أن تخضع الحية لحبك ، الحية النضناض التى تقتل من تشاء بأيسر نظرة وأهون فحيح ؟

كانت أنياب تلك الحية أشهى إلى فمى من « قُرْط الرُّمان » كما يُعبّر أهل سنتريس ، وكنا نرضَى ونغضَب بلا اقتصاد ولا احتراس ، فكان لنا فى كل لحظة شأنٌ أو شؤون ، وكان

وجهها يربدُّ في وجهي من وقت إلى وقت ، كما تصنع السماء مع المحيط ، كانت ترضى فأظنها صارت ملكي إلى الأبد ، وكانت تغضب فأتوهمها ضاعت من يدي إلى آخر الزمان

ولكن الشقية في جميع أحوالها جميلة فتانة إلى أبعد حدود الجمال والفتون ، وكانت تعرف أن هواها أقسى وأعنف من القدَر المكتوب ، وكانت فوق هذا وذاك تفهم أني أول وآخر من يعرف خفايا الأسرار لحسنها المكنون ، وكانت تفهم أني أدرك من أخطارها ما لا يدرك المصريون من أخطار قناة السويس ، وكان يروعها أن تراني مبهوتاً أمام جسمها الفينان كما يُبهت عابد الشمس وقد تجلّت بطلعتها البهية عند الشروق

هل كان جمال هذه الشقية وهماً خلقه القلب الذي يطيب له التغريد فوق أفنان الجمال ؟

وكيف وقد زاحمني إلى قلبها المتمرد مئات الفحول ، فكنت بحمد الهوى أول سابق لا أول مسبوق ، ومن زعم أن له ذراعين أقوى من ذراعيَّ فقد اعتصم بحبل الزُّور والبهتان

كانت نخلةً لا يميلها غير العواصف التي تثور عن وجداني .

كانت امرأةً وقوراً لا يستخفّها غير الغزَل الذي يصدُر عن بياني

كانت في رزانة الجبال إلى أن رأيتُها فعرفتْني ، وكنت قطعةً من ثلوج الشمال إلى يوم البلوى بروحها المقبوس من عذاب السعير ، فكيف صار الحب جدًّا من أعنف ضروب الجِد ، وكان مزاحاً من ألطف فنون المزاح ؟

أنت يا شقية سبب شقائي ، وأنت السرّ في بلواي بالدنيا وبالوجود

ولكنك مع ذلك أشبه الأشياء بنُكت المداد الذي يتساقط حين أخلو إلى قلمي ، فمن قطرات المداد الأسود دوّنت أدبي ، ومن زفرات روحك الأهوج صفت روحي ، وبين الأدب والروح نَسبٌ وثيق

أنا القمر وأنتِ السحابة في ليلة من ليالي دمياط ، والنصر للنور ولو بعد حين

* * *

مالي ولهذا الحديث ؟ أنا أريد وصف ليلة من ليالي الفردوس مع تلك الحورية السمراء ، فكيف كانت تلك الليلة الفردوسية ؟

يجب أولاً أن أقول كلمة وجيزة أبين بها بعض خصائص المرأة الجميلة حين تصبح على جانب من التهذيب والتثقيف ، وحين يصبح في مقدورها أن تخوض بلباقة وبراعة في شجون من الأحاديث ، فهذه المرأة تخلع على موضوع الحديث عطراً رفيقاً يسري أريجه إلى عقل المحدث فيزيده حيوية إلى حيوية ، وهي تضيف إلى الحديث ألواناً لطيفة من الدعابة والدلال ، وإن كانت لا تقصد إلى الدعابة والدلال ، فالمرأة رقيقة بالفطرة والطبع ، وقد تبلغ نهاية الرقة حين تساجل رجلاً تميل إليه بالقلب والوجدان

وهنالك ظاهرة نفسية تستحق التسجيل ، فالمرأة تحاول الظهور باسم العقل ، ويسرها أن تجد من يقول بأن النساء أعقل من الرجال

وهل قلنا بغير ذلك ، يا ناس ؟

المرأة أعقل من الرجال ، بلا جدال ، فلتطلب من المناصب ما تريد !

وصاحبة الليلة الفردوسية من هذا الصنف ، فهي لا تكف عن المطالبة بمساواة النساء للرجال في جميع الميادين

ولكني أعارض . أعارض لأسمع صوتها البغُوم وهي تجادل وتناضل . وأعارض لأرى كيف يتلون وجهها الجميل حين تنفعل وحين تصرخ ؛ ولا غنى للمرأة عن الانفعال والصراخ

ما أجمل هذه الشقية حين تثور مطالبةً بحقوق النساء !

إنها ترفع ذراعها ، وتلوي وجهها ، ثم تحدق فيَّ لأقتنع !

وهل أقتنع إلا بعد أن أتمتع بهذه المجادلات ساعات وساعات؟

لن أقتنع أبداً ، فلتحبسني في دارها لأسمع تلك الخطب اللطاف ، إلى أن أمل من النعيم فأقتنع ، ولن أمل ولن أقتنع !

إن كان من الخيانة للحق أن نساعد النساء على الطغيان ، فأنا بإذن الهوى أول الخائنين !

ومن حسن الحظ أن خيانتي هينة الخطب ، لأن المرأة بعيدة عن عملي ، ولو تعرضت لي في عملي لدستها بقدمي ، فللرجولة وثبات تزلزل الجبال

إذا جدّ الجد فلن أخضع لهذه الجنية ولو كانت من جنيات الأورمان

وما الجِد وما الحق بجانب سحر الجمال ؟

آمنت بك يا ربى وآمنت ثم آمنت ، فلولا لطفك لردتنى هذه الجنية إلى أهواء يعجز عن تصورها الخيال

أنا أحبها لأنها أصدق منى . . . تعرضتُ للموت فى حبها فتعرضت للفضيحة فى حبي ، والفضيحة أفظع من الموت

ما أجملها حين تثور فى المطالبة بمساواة النساء للرجال !

لو كان الأمر للهوى لمنحتها ما تريد ، ولكن العقل يساجلنى من وقت إلى وقت ، فأثور على مطالب النساء

ما أنت أيها العقل ؟ ومتى أنجو من شرك ؟

* * *

مالى ولهذا الحديث ؟ ألم أقل إنى أريد وصف الليلة الفردوسية ؟

طال الجدال حول حقوق المرأة فاقتنعتُ لأنى شبعت من مجادلة الجنية السمراء ، ولأنى رغبت فى تلوين الأحاديث ، فدعوتها للمهادنة إلى حين

عند ذلك وقفتْ وقد احتضنت الكمنجة لتداعبها بأناملها اللطاف ، وهى أجمل ما تكون حين تقف ، لأن جمالها يرتكز فى قامتها السمهرية :

أنا واللهِ هالك آيسٌ من سلامتى
أو أرى القامة التى قد أقامت قيامتى

— ما ذا تحب أن تسمع ؟

— أنا أحب أن أرى !

— أنت تعرف أنى أبغض المزاح الثقيل

— وأنت تعرفين أنى أبغض الجد اللطيف

— يظهر أننا أطفال

— نحن أطفال كبار ، والطفل الكبير هو الطفل اللوذعىّ ، لأن مطالبه مطالب رجال ، لا مطالب أطفال

— وماذا تطلب أيها الطفل اللوذعىّ ؟

— أطلب تغريدة تعبر بها الكمنجة عما أريد

ولكن الشقية رمت الكمنجة ، ومدت يدها إلى المكتبة فأخرجت كتاب « ليلى المريضة فى العراق »

— تصفح الكتاب ، ثم اقرأ ما طوّق بعلامة الخطر ، وهي التأشيرة الحمراء

— إقرئى أنتِ

— أنا أحب أن أسمع صوت المؤلف ، لأتفوّق على من يتباهون بأنهم رأوا خط المؤلف

— كتاب ليلى لا يُقرأ ، وإنما يُرتَّل ، وصوتُك أندى فى الترتيل

— أنا أحب أن أسمع صوتك فى مواقف الصَّبَوات

عند ذلك تمثَّل ماضىَّ الجميل ، ماضى فى ضيافة ليلى وظمياء ، ماضى الذى لم يظفر بمثله أى عاشق فى أى زمان

وعند ذلك تمثل شقائى فى بغداد ، وأى شقاء ؟

كنت أرجع من دروسى بدار المعلمين العالية أو محاضراتى بكلية الحقوق فأرى العرَبات محمَّلة بأقوام يمضون إلى مبهرات المساء ضاحكين حالمين ، وأرانى أمضى إلى دارى لأقضى الليل بين الورق والمداد

هل أنسى أنى استهديت أحد أصدقائى عشاء فى داره لأقول إنى ذقت طعاماً فى أحد بيوت العراق ؟

البيوت العراقية مفتحة الأبواب لكل زائر ، ولكنى لم أهتد إلى هذه الحقيقة إلا بعد أن طال عذابى بالوحشة والانفراد فى ليالى بغداد

وفى تلك الأزمات القاسية سطرت كتاب ليلى المريضة فى العراق .

تمثلت هذه المتاعب لخاطرى وأنا أرتل كتابى ، فانقلب الترتيل إلى نشيج ، ثم رفعت بصرى فرأيت دموعاً تجاوب دموعى ، وهي الدموع الأبية العصية ، دموع الخريدة التى قهرها الحب على البكاء ، بعد طول التأبى والعصيان

— من صاحبة هذا الوحى إليك ؟

— هى ليلى

— غريمتى فى العراق ؟

— عند القلب علم الغيب

— وماذا يقول قلبك ؟

— يقول : « قلبى مات ، قلبى مات »

— ولقلبك قلب ؟

— ولدموعى دموع !

— وما نصيبى عندك ؟

— هو أعظم نصيب ، وهو أخطر من أن يُنصَب له ميزانٌ ، فذخائر الوجود لا تساوى قطرة واحدة من دموعك الغالية

— يفتنك بكائى ؟

— الدموع فوق الخدود أجمل من الأنداء فوق الورود

— ستنشر هذا الحديث فى مجلة الرسالة ؟

— وفى جميع المجلات

— وما ذا يقول الناس ؟

— وأين الناس ؟

— أنت تخاطر بمركزك فى المجتمع

— وأين المجتمع يا طفلتى الغالية ؟ لقد حاربت ألوفاً من الخلائق وحاربونى ، فهل هزمونى ؟ أنا لا أخاف غير الله ، وهو خوف منبعث عن الأدب ، وليس له أية صلة بالخوف الذى يفهمه عامة الناس ، ولو شئت لقلت إنى آمن جانب الله فلا أتخوف منه أى عقاب

— هات السند من الكتب الدينية

— حياتى هى السند ، فقد تفردت بين أهل زمانى بالثورة على الناس ، ثم بقيت سيداً لا يمن عليه مخلوق

— ولكنك فقير ، بالقياس إلى المرائين

— كيف أكون فقيراً وأنت فى حيازتى ، أيتها الجنية السمراء ؟

— هل تبيعنى لتغنى ؟

— وأين أجد المشترى ؟

— أنت تكايدنى !

— المكايدة لغةُ جنية الأورمان ، عليها غضبة الحب إلى آخر الزمان !

— ومن تلك الجنية ؟

— هى روح لطيف ، وإن لم أتمتع برؤية وجهها الجميل

— أتكون أجمل منى ؟

— جمالها فى الصوت ، وبصوتها فى الهتاف نقلت قلبى من مكان إلى مكان

— هى إذا غريمة جديدة ؟

— إن آذتك الغيرة فلن تظفرى منى بأى نصيب ، لأن الغيرة تفسد ما بين المرأة والرجل فساداً لا يُرجَى له صلاح

— كنت أحسب أن الغيرة دليل على قوة الحب ، وأنها مِنّة تطوق بها قلب الحبيب

— غيرة المرأة أَثَرَةٌ وأنانية وتحكم وطغيان

— وغيرة الرجل ؟

— غيرة الرجل رفق وحراسة ومروءة وإيمان

— أوضح ثم أوضح ، لأن هذا الكلام يحتاج إلى إيضاح وإيضاح

— إسمعي يا طفلتى الغالية . إن الرجل يستطيع أن يصاهر من يشاء ، ولو شهد ماضيه بأنه كان من أهل العبث والمجون . ولا كذلك المرأة ، فإنها لا تجد خاطباً إلا إن شهد ماضيها وحاضرها بأنها من أهل التصون والعفاف

— هذا هو الظلم المبين

— هو ظلم ياطفلتى الغالية ، ولكنه ظلم لن يُرفع عن المرأة فى أى زمان

— الفجور الصريح لا يؤذيكم ، فكيف تؤذينا كواذب الشبهات ؟

— كان الأمر كذلك ، وسيكون لأننا أقوياء ، وحق الأقوى هو الأفضل ، ألم تقرئى قول لافونتين :

La raison du plus fort est toujours la meilleure

— وأنتم أقوى منا ؟

— الجواب حاضر ، فبينى وبينك فى السن عشرون سنة ، وأنتِ مع هذا تعجزين عن مصارعتى ، وأنا أشتهى أن تصارعينى

— ذوق هذا العصر لا يعترف بالقوة الجسدية

— القوة الجسدية هى الأساس فى جميع العصور

— وهل حصنتكم القوة الجسدية من الضعف ؟

— أى ضعف ؟

— الضعف أمام رقة المرأة

— هذا الضعف من شواهد قوة الرجل ، كما أن ضعف المرأة أمام فحولة الرجل من شواهد قوة المرأة

— أنت إذاً أضعف منى ، لأن خضوعك لى أقل من خضوعى لك

— خضوع الرجل للمرأة خدعة من خدع الحرب ، وأنا منتصر ، والمنتصر لا يحتاج إلى الخداع

— والنتيجة ؟

— النتيجة معروفة ، وهى أن النساء لا يصلحن لمساواة الرجال

٦ – حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

عامر بن الطفيل

يقول عامر بن الطفيل : « وبالحرى إن أدالت الأيام وثابت الأحلام أن تحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟ قال : مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر على أمر يذكر ... »

فمن يعنى منشيء (المقامة) بما سطر ؟ ومن ذا الذى ستتاف الأحياء عليه ، وتنقاد له ؟

أغلب الظن أنه أومأ إلى ما أعلنه سطيح الذئبى وشق الأنمارى وسيف بن ذى يزن . وإن قصد الصائغ عامر بن الطفيل استناداً إلى روايات من نوع خبره رُويت فقد أبعد فى ضلاله . وهذه نبذ مما زخرفوه لعامر تلى طرَفا وأفاكيه :

« كان أبو على عامر بن الطفيل من أشهر فرسان العرب بأساً ونجدة وأبعدها اسما حتى بلغ ذلك أن قيصر ملك الروم كان إذا قدم عليه قادم من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ فإن ذكر نسبا عظم عنده ، حتى وفد عليه علقمة بن عُلاثة ، فانتسب له ، فقال : أنت ابن عم عامر بن الطفيل ؟ فغضب علقمة وقال : ألا أرانى أعرف إلا بعامر ؟ فكان ذلك مما أوغر صدره عليه وهيجه إلى أن دعاه إلى المنافرة ... » [١]

« قدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى . أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش... » [٢]

« قدم عامر بن الطفيل على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقدم معه أربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر لأمه ، فقال رجل : يا رسول الله ، هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك . فقال : دعه ، فإن يرد الله به خيراً يهده . فأقبل حتى قام عليه ، فقال : يا محمد ، مالى إن أسلمت ؟

قال : لك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم

قال : تجعل لى الأمر بعدك

قال : لا ، ليس ذاك إلىّ [٣] ، إنما ذلك إلى الله (تعالى) يجعله حيث يشاء

قال : فتجعلنى على الوبر ، وأنت على المدر

قال : لا [٤]

قال : فماذا تجعل لى ؟

قال صلى الله عليه وسلم : أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها

قال : أوليس ذلك إلىّ اليوم ؟ وكان أوصى إلى أربد بن قيس : إذا رأيتنى أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف . فجعل عامر يخاصم رسول الله ويراجعه ، فدار أربد خلف النبي ليضربه ، فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله (تعالى) فلم يقدر على سله [٥] . وجعل عامر يومىء إليه ، فالتفت رسول الله فرأى

(١) شرح المفضليات للانبارى

(٢) السيرة لابن هشام وتاريخ الطبرى

(٣) فى طبقات ابن سعد : قال : ليس ذاك لك ولا لقومك

(٤) فى الفائق : فأبى رسول الله ، فقام عامر مغضباً وقال : لأملأنها عليك خيلا جردا ، ورجالا مردا ، ولأربطن بكل نخلة فرسا

(٥) فى (السيرة) : قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك ، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً ، قال : لا أبالك ، لاتعجل على ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

— أنت تعرف أنى لا أرى هذا الرأى

— وأنت تعرفين أنى أنكر على المرأة جميع الحقوق

— جميع الحقوق ؟

— حتى حق الحب !

— إذن نفترق

— إن طاب لك الافتراق

— ولا نتلاقى أبداً ؟

— أبداً أبداً

— ولكنى أرى هذه المعضلات تحتاج إلى حلول ، فهل نلتقى فى الأسبوع المقبل ، على شرط أن نظل متخاصمين فى الرأى ؟

ثم انصرفت وأنا من تلك العيون على ميعاد ، للمجادلة والاختلاف ، وسنجادل ونختلف ، ونجادل ونختلف ، لأرى كيف ترفع ذراعها وتلوى وجهها ، ثم تحدق فىّ لأقتنع

آمنت بالحب والجمال ، آمنت آمنت ، فزدنى اللهم إيماناً إلى إيمان .

زكى مبارك

أربد وما يصنع بسيفه ، فقال : اللهم ، اكفنيهما بما شئت . فأرسل الله على أربد صاعقة فى يوم صائف صاح فأحرقته ، وولى عامر هارباً ، وقال : يا محمد : دعوت ربك فقتل أربد ، والله لأملأنها عليك خيلا جرداً وفتيانا مرداً . فقال رسول الله : يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة ، يريد الأوس والخزرج ، فنزل عامر ببيت امرأة سلولية ، فلما أصبح ضم عليه سلاحه ، وخرج وهو يقول : واللات لئن أصحر إلىَّ محمد وصاحبه يعنى ملك الموت لأنفذنهما برمحى . فلما رأى الله تعالى ذلك منه أرسل ملكا فلطمه بجناحه فأذراه فى التراب ، وخرجت على ركبته غُدَّة[1] فى الوقت عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول : غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ؟ ثم مات على ظهر فرسه[2] ...

ذلكم ممـا زخرفوه لعامر . ولقد كبر الرواة ابن الطفيل كثيراً ، وأقعدوه فوق مرتبة عالية ، وتنوقوا فى صبغه وتلوينه ولكن الحق ينزله ، والتحقيق يزيل عن وجهه كل صبغ وتزويق ، فقد أخبروا أن سبب المنافرة إنما هو مهاترة[3] كانت بين عامر وعلقمة لا أن قيصر قال ما قال . ولما ذهبا إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزارى ليقضى بينهما ؛ قال هرم لعامر : « أتفاخر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومك إلا بآبائه ؟ فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال عامر : ناشدتك الله والرحم ألا تفضل على علقمة ، فوالله إن فعلت لا أفلح بعدها . هذه ناصيتى جزها واحتكم فى مالى ، فإن كنت ولا بد فاعلاً فسوِّ بينى وبينه »[4]

وعلقمة إنما ذهب إلى الروم ودخل على ملكهم — إن صح الخبر — فى زمن عمر « وقد كان شرب الخمر فضربه (رضى الله عنه) الحد ، فلحق بالروم فارتد ، ثم رجع فأسلم[5] » ، وعامر هلك فى أيام النبى (صلوات الله وسلامه عليه)

(١) فى طبقات ابن سعد : فسلط الله على عامر داء فى رقبته فاندلع لسانه فى حنجرته كضرع الشاة
(٢) مجمع الأمثال للميدانى
(٣) و (٤) شرح العيون لابن نباتة المصرى
(٥) شرح المفضليات للأنبارى . فى تاريخ الطبرى : كان علقمة أسلم ثم ارتد فى أزمان النبى ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام ، فلما توفى النبى أقبل مسرعاً حتى عسكر فى بنى كعب مقدما رجلا ومؤخرا أخرى ، وبلغ ذلك أبا بكر فبعث إليه سرية ... ثم أسلم فقبل ذلك منه (قلت) إذا صحت رواية الانبارى والطبرى فقد ارتد علقمة مرتين .. وفى شرح العيون أن عمر ولى علقمة حوران .

وكان عامر فاجراً جائراً ، وسماه مسهر بن زيد الحارثى (مبير قومه) وأراد يوم (فَيف الريح) قتله ، وأراحتهم منه ، فوجأه بالرمح فى وجهه ، ففلق الوجنة ، وانشقت عين عامر ففقأها[1] ، وترك مسهر الرمح فى عينه . وقيل : إن عامراً وثب عن فرسه ، ونجا على رجليه ، وأخذ مسهر رمح عامر[2] . وفى رائية عامر — وهى مفضلية — :

لعمرى وما عمرى علىَّ بهـيّن ... لقد شان حرَّ الوجه طعنة مسهر

ولمسهر شعر فى طعنته هذه رواه (العقد) فى (يوم فيف الريح) وقد قال مسهر فيه : إنهم أخذوا امرأة عامر بن الطفيل « وقد كان بنو عامر أخذوا امرأة من بنى عبس ، فما لبثت عندهم إلا يوماً واحداً حتى استنقذها قومها ، وفخر عامر بن الطفيل بذلك ، وذكر أخذه إياها[3] »

أبمثل هذه (البطولة) يفخر الفاخر ، وهل لعامر أن يقول يقظان أو وسنان : « والله لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش » كما قص ابن إسحاق ونقل ابن هشام وابن جرير تقول (السيرة) لابن هشام :

« ... بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المنذر بن عمرو فى أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين . إلى أهل نجد[4] فساروا حتى نزلوا بئر معونة — وهى بين أرض بنى عامر وحَرَّة بنى سُليم — فلما نزلوها بعثوا حَرام بن مِلحان بكتاب رسول الله إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ... واستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم من عُصَيَّة ورِعل وذكْوان ... فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتِلوا من عند آخرهم يرحمهم الله ... »

فإذا صح ما نقل ابن هشام فكيف تجاسر عامر بن الطفيل أن يفد على رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) كافراً ، لم يسلم ، سافكاً دماء من سفك دماءهم من المسلمين ، وقد دانت العرب للنبى ، وقد ملك « الجزيرة » ثم يريد أن يقدم هو وأربد على ما نوياه ، وحول رسول الله من هم حوله من أبطال الإسلام ،

(١) شرح المفضليات ، شرح العيون
(٢) العقد (٣ الأغانى
(٤) فى السيرة قال أبو براء عامر بن مالك لرسول الله : « لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك

٣ - الشعر المرســل
وشعراؤنا الذين حاولوه
للأســتاذ دريني خشبة



بين يدى الآن وأنا أكتب هذه الكلمة بواكير من الشعر المرسل لا بأس بها للشعراء الأساتذة : محمد فريد أبى حديد وعلى أحمد با كثير واحمد زكي أبى شادى وعبد الرحمن شكرى وخليل شيبوب والمرحوم جميل صدقى الزهاوى ، ثم قطعة الآنسة سهير القلماوى (السيدة الدكتورة الآن)

ولما كانت القطع التى نظمها الأستاذ عبد الرحمن شكرى والمرحوم جميل صدقي الزهاوى ، ثم القطعة التى نظمتها الآنسة سهير متشابهة من حيث القصر ، ومن حيث كونها أقرب إلى القصائد منها إلى ماوضع الشعر المرسل من أجله (النظم المسرحى ونظم الملاحم والقصص الكبيرة) فنحن مضطرون إلى صرف النظر عنها الآن ، على أن نعود إليها فى فرصة أخرى ، ونرجو أن نوفق إلى ذلك بعد الفراغ من استعراض آثار الشعراء الأفاضل الباقين ، لأنها أهم ما فى الأدب العربى الحديث من الشعر المرسل .

أما قطعة الأستاذ شيبوب فقد جمع فيها بين ستة أبحر وربما تناولناها فى حينها

فللأستاذ أبى حديد :

١ — مقتل سيدنا عثمان « درامة كاملة »
٢ — خسرو وشيرين «
٣ — ميسون الغجرية « أوبريت كاملة »
٤ — زهراب ورستم « ملحمة نقلها بهذا الشعر عن الشاعر الإنجليزى ماثيو أرنولد »
٥ — بعض المشاهد عن درامات مختلفة لشيكسبير

وللأستاذ با كثير :

١ — السماء أو إخناتون ونفرتيتى « درامة كاملة »
٢ — إبراهيم باشا «
٣ — روميو وجوليت « ترجمة عن شيكسبير »

وللأستاذ الدكتور أبى شادى :

١ — ممنون « أقصوصة منقولة عن فولتير »
٢ — ترنيمة أتون « منقولة بالشعر الحر من العلامة برستد الذى ترجمها عن الهيروغليفية إلى الإنجليزية »
٣ — مملكتى إبليس « شبه ملحمة للدكتور الفاضل »
٤ — كثير من القطع القصيرة الأخرى

الرائد الأول :

لست أدرى أى الرائدين فكر لأول مرة فى موضوع الشعر المرسل فى مصر خاصة وفى العالم العربى عامة ، أهو الأستاذ الشاعر عبد الرحمن شكرى ، أم هو الأستاذ الشاعر محمد فريد أبو حديد ؟ ليكن أيهما شئت ، فالذى يهمنى وأفرح به وأتعصب له هو أنهما أحرزا لمصر قصب السبق فى هذا الميدان الجديد من ميادين النظم ؛ ولن يمنعني تعصبى للشعراء المصريين من أن أكون أول المصفقين لشعراء الشعوب العربية العزيزة حينما يظهر من بينهم هذا الشاعر الأصيل المُجَلِّى الذى يبرز فى الميدان ويأتى فى موضوع الشعر المرسل بطرائف وغُرر تبذ طرائف وغرر شعرائنا ، مادام هدفنا هو تجديد الأدب العربى ، وتجديد الشعر العربى بوصف كونه فرعاً من فروع هذا الأدب ، وإخراجه من حدوده الشكلية والموضوعية الضيقة التى وقفت عند النهضة الأندلسية الكبرى

على أننى لا أشك مطلقاً فى أن الأستاذ أبا حديد هو الشاعر

ثم يطمع ذاك المطمع ، ويغضب ويهدد ، ثم يرجع وصاحبه فى ذلك اليوم سالمين

لقد بالغ الصواغون فى تزويق عامر وتلوينه وتشكيله وتكبيره ، والتلوين حائل ، والباطل زائل

٥ — بعث منشئ المقامة الحارث بن عُباد من مرقده ، وأصحبه الوفد ، وقد درج الرجل قبل أن يؤمّر النعمان قومه ويُتمّمه سلطانه بخمسة عشر حولاً كما حقق ذلك المحققون ، فلم يقل الحارث لكسرى : « العرب تعلم أنى أبعث الحرب قدما . . . حتى إذا جاشت نارها . . . جعلت مقادها رمحى وبرقها سيفى ورعدها زئيرى ، فأستمطرها دماً وأترك حماتها (جزر السيوف وكل نسر قشعم) » وجزر السيوف الخ مقتبس من الطويلة المنسوبة إلى عنترة بن شداد وقد استبدلت (السيوف) فى (المقامة) بالسباع . وكانت وفاة الحارث المقتبس قبل وفاة عنترة بثلاثين سنة . وإن كانت تلك الطويلة الميمية إسلامية عادية فبين الوفاتين دهر طويل ... (له)

٢٤ ٥ ٢١

الثائر الأول الذى فكر فى نظم درامة كاملة بالشعر المرسل الذى لا يخضع لسلطان القافية ، فقد نظم درامة « مقتل سيدنا عثمان » سنة ١٩١٨ أى منذ خمس وعشرين سنة ، عندما تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، وعند ما وضعت الحرب الكبرى الأولى أوزارها

وقد نظمها الأستاذ أبو حديد لنفسه كما يقول فى المقدمة ... أو على حد تعبيره هو : « ... لقد كان أبعد شىء من تصورى أن تمتد الرواية سوف تقع عليها عين سواى ، فإنى ما كتبتها إلا لكي ألهو بكتابتها ، أو إن شئت قلت إنى لم أكتبها إلا للذة النفسية التى كنت أجدها فى تأليفها ، فلما أن أتممتها كما رسمت وضعتها فى درج مكتبى ، وكنت لا أعيرها بعد ذلك التفاتاً ... »

وقد بقيت الرواية فى هذا الدرج المظلم المكدس بالمسودات عشر سنوات تباعاً .. ولم تر الضوء إلا سنة ١٩٢٧ حينما كان الأستاذ مدرساً بمدرسة الأمير فاروق الثانوية ، فطبعتها المدرسة لحسابها الخاص ومثلتها فرقة التمثيل بها

ونحن يسرنا أن نسجل هذا كله لفائدة تاريخ الأدب العربى الحديث ، وتاريخ الأدب المصرى بنوع خاص

وقبل أن نتناول الدرامة بشىء من التلخيص أو التحليل أو النقد ، نثبت النادرة ، أو الفكاهة الأدبية التاريخية التالية :

عندما فرغ الأستاذ أبو حديد من نظم روايته ، أو كتابتها كما يقول هو ، جملها معه ، وانطلق بها كأنه وقع على لقية ، أو اهتدى إلى الأكسير الذى أضنى كيمائيي العرب ، حتى إذا بلغ جريدة الأهرام ، دخل على الأستاذ الأديب المغفور له صادق عنبر لحدثه حديثها ، الذى هو حديث الشعر المرسل ، ثم استأذن الأستاذ فى أن يتلو عليه بعض مناظرها ... ثم انطلق فى هذه التلاوة ، وعنبر عليه رحمة الله مصغ له . منصت إليه ... وقد خيل إلى الأستاذ أبى حديد أن الأديب الكبير غفر الله له ما تقدم من ذنبه – وما تأخر أيضاً – قد أخذ فعلا بجمال هذا اللون الغريب من ألوان الشعر ، واستولى على نفسه سحره ؛ فلما فرغ الشاعر الشاب من تلاوته ، التفت إليه الأديب العتيد وتبسم قائلاً : أتدرى يا أبا حديد ؟ إن مصر لم تكسب من هذه الحرب الكبرى غير شيئين ... الشعر المرسل ... والحمى الإسبانيولية ! وكانت الحمى الإسبانية قد تفشت عقب تلك الحرب فى مصر حتى أذاقت أهلها الأمرين !

ولست أدرى لماذا نجوت أنا من براثن تلك الحمى التى أشفيت بسببها على الهلاك إذ ذاك ، ولماذا عشت إلى سنة ١٩٤٣ ، لأدعو من جديد إلى الشعر المرسل ، توأم الحمى الإسبانيولية وصنوها فى نظر المغفور له الأستاذ صادق عنبر ؟!

ترى ... ماذا كان وقع هذا اللقاء فى نفس الأستاذ أبى حديد؟ ولكن لماذا نسأل ؟ ... لقد مضى ينظم من الشعر المرسل الذى يتخلله بعض الشعر المقفى تلك الأوبريت الجميلة الرائعة « ميسون الغجرية » ، والتى طبعها على حسابه هو ، لا على حساب مدرسة كذا أو معهد كذا أو لجنة كذا من لجان التأليف ... ثم مضى يترجم ثم ينظم ملحمة زهراب ورستم التى استأذن القراء فأقول إنى أكاد أحفظ أصلها الإنجليزى عن ظهر قلب لروعة أسلوبها وجمال تسلسلها وبهاء شعرها المرسل المنظوم بقلم ماثيو أرنولد الشاعر الناقد العظيم ! وقد فرغ أبو حديد من نظمها شعراً مرسلاً سوف أعرض نماذج منه فى حينه

ونقف بعد ذلك لحظة . . . لقد ذكرت فى الثبت الذى وضعته بين أيدى القراء فى صدر هذا المقال للأستاذ أبى حديد ، درامة خسرو وشيرين ، ولست أدرى لماذا صنعت هذا دون أن أستأذن الأستاذ فى ذلك ، إذ أنه نظم الدرامة وأعدها للطبع ... ثم طبعها بالفعل ... وأصدرها دون أن تحمل اسم مؤلفها ! ... إذن لماذا أذيع أنا هذا الاسم دون استئذان ؟ هل صنعت ذلك دون وعى ، أو أنا إنما صنعته خدمة لتاريخ الأدب المصرى الحديث؟

ثم نتساءل بعد هذا لماذا لم يثبت الأستاذ أبو حديد اسمه على روايته ؟ قد نجد من ذلك الذى نقتطفه من المقدمة جواب هذا السؤال : « . . . وأما إذا أنت صبرت أيها القارىء ، فقرأت سطراً أو سطرين أو ثلاثة من هذا المطبوع ثم قذفت به حيث أردت ، لم تكن فى ذلك بالمعذور ، بل كنت متفضلاً مضحياً من أجل مجاملتى ، مع أنك لا تعرف من أنا ، وفى هذا أدب عظيم وكرم مطبوع . وأما إذا كنت قد بلغت من قوة ضبط النفس ورياضتها على المكاره بحيث استطعت أن تثبت على القراءة حتى أتيت إلى آخر كلمة ، ثم تركت لنفسك العنان بعد طول كبحها وحبسها فانطلقت تصخب وتشتم وتنادى بالويل والثبور – إذا فعلت ذلك كنت فى نظرى بطلا من أبطال العزيمة وقوة الاحتمال . على أنك لو فعلت ذلك لم يمسنى منك أذى ، وإن بلغت فى ثورتك مبلغاً مخيفاً لأنى قد توقعت مثل ذلك فأخفيت نفسى حتى

لا تتحرج فيما تفعل . . . . . . فافعل ما بدا لك أيها القارىء ولا تتورع فإن أحجارك أو سهامك لن تصل إلى ! »

ولا بد لنا من أن نقتطف القطعة التالية أيضاً :

« وأما إذا كنت يا أخى – ولا مؤاخذة – ممن فى ذوقهم شذوذ عن المألوف مثلى فاستحليت من هـذا القول ما يعر فى الأذواق أو أعجبك منه ما يقبح فى الأنظار فلك رثائى وعطفى ، فالمريض يعطف على مثله ! ومن آية رثائى لك وعطفى عليك أننى أنصحك نصيحة أرجو أن تقبلها . . . فقد تعرضت قبلك من جراء شذوذى عما ألفه الناس لـكثير من الألم والفشل ؛ فأحذرك من إظهار رأيك – (أى فى استحسان الشعر المرسل ! – أمام أحد من الناس ولو كان من أعز أصدقائك ، فالصداقة قد لا تقوى على الثبوت مع الشذوذ فى الرأى والذوق ...) »

لماذا يا ترى يتحرج صاحب مذكرات جحا ! – (وهذه غلطة عظيمة أخرى نغلطها من دون وعى) – كل هذا التحرج ويتأثم كل ذلك التأثم ؟! هل يتحرج كل هذا التحرج ، ويتأثم كل ذلك التأثم ، لأنه كما يقول شذ عن مألوف الناس فى نظم الشعر ، وثار بقوافى العروض العربى ، فتعرض لـكثير من الألم والفشل ؟ ... ولـكننا نسائل أنفسنا عن هـذا الألم وذاك الفشل أين هما ؟ وإن كان أبو حديد قد تعرض للـكثير منهما فما باله لم ينصرف عن هذا الشعر المرسل الثقيل الغث الذى يعرض ناظمه – أو كاتبه – لألوان مرة من الألم ، وصنوف كثيرة من الفشل ؟ ما باله لم ينصرف عن هذا البلاء الذى يؤمن بأن قراءة سطر أو سطرين منه كافية لأن تضع الحصى فى يد القارىء فيحصب به الناظم أو الـكاتب لو رآه ؟ ما باله يطول جنينه إلى هذا النظم السمج النابى على الأذواق فيـكتب به كل تلك الروايات وينظم منه هذه الملاحم التى يعترف بأن قراءة سطر أو سطرين منها تضحية من القارىء وأدب عظيم وكرم مطبوع السخاء نفس وتفضل ... وإن القارىء إذا خرج بعد قراءة هذا وسطر أو هذين السطرين عن طوره فقذف بما نظم أبو حديد من حالق أو قذف به فى نار جهنم أو نار الدفأة أو مزقه أو ألقى به من النافذة أو دفعه إلى الأطفال يعبثون به ، فهو معذور لا تثريب عليـه ، لأن أبا حديد زعم له بأنه صاحب نظم جديد وصاحب رسالة جديدة – صاحب نظم جديد هو هذا النظم المرسل الذى لم يعرفه الذوق العربى فضلاً عن أن يألفه ، وصاحب رسالة جديدة هى توسيع مدى الأغراض التى يجب أن يتسع لها أفق الشعر العربى والأدب العربى جميعاً فتكون لنا درامة عربية وتـكون لنا درامة عربية منظومة ، وتـكون لنا درامة عربية منظومة كما ينظم الشعراء العباقرة فى أوربا ... وإذا لم يكن من ذلك بد ، فلا بد أن نقحم الشعر المرسل على الشعر العربى إقحاماً ، ولا بد أن نصـعّر خدودنا للناس وأن نلح عليهم فى قبول هذا الشعر المرسل حتى يعرفوه وحتى يألفوه وحتى يغرموا به كما عرفه الأوربيون وألفوه وأغرموا به من القرن السادس عشر إلى اليوم ... لا بد أن نقحم الشعر المرسل على الشعر إقحاماً ، ويجب أن نصعر خدودنا معشر الشعراء للناس ، ويجب أن نحتمل أذاهم مهما يكن مبلغ هذا الأذى . فما حصوات نرجم بهن مرة أو مرتين ، وما كلمات من سباب لن يمتلىء بهن الهواء قط توجه إلينا هنا أو هناك ؟ سنلح عليهم كما ألح أبو حديد ، فإذا بلغ سخطهم علينا حد القتل ، لا قدر الله ، فلنمكر بهم كما مكر ، ولنمض فى سبيلنا من حيث كتابة الدرامات والملاحم المنظومة بالشعر المرسل ولنطبعها لهم ولنوزعها عليهم بالمجان ... فلنحصبهم بها كما حصبونا بالحجارة ولا داعى مطلقاً لـكتابة أسمائنا – نحن معشر الناظمين أو الـكاتبين – عليها . ولتـكن تضحيتنا فى ذلك خالصة لوجه الوطن والأمم العربية ولوجه اللغة والأدب . الأدب العربى والأدب المصرى على السواء ... ولن نعدم كاتباً كصاحب هـذا المقال يفاجىء الناس بالحق ، ويذكر لهم أننا أصحاب هذه الدرامة والملاحم الضائعة ... ومن يدرى ؟ فقد يأتى يوم يستسمح الناس فيه رجمهم وتمسكهم بالقديم الرث . وقد يزيدون فينزعون عنهم ما نسج لهم المهلهل وذو الرمة وعلقمة النحل ليرتدوا أفوافاً من نسجنا نحن ... وحينئذ لا نجد داعياً لهذا التخفى ، بل ربما أصابنا طائف من الزهو والخيلاء فآثرنا ركوب الجمال ليرانا الناس جميعاً ويشار إلينا بكل بنان ! وهل فى ركوب الجمال شذوذ كشذوذ الشعر المرسل ؟ وهل ركوبهن خروج على مألوف الناس كخروج الشعر المرسل على المألوف المعروف من قوافى الشعر العربى ؟ ولماذا نعد ركوب الجمال شذوذاً وخروجاً على مألوف الناس مع أن المهلهل كان يركب الجمال ، والمهلهل هو الذى هلهل الشعر فيما يهذى مؤرخو الأدب العربى ، وهو الذى جعل للشعر تلك القوافى المطردة التى ما زال الناس فى جميع العالم العربى يستحلونها

أوزان الشعر

١ - الشعر الأوربى

للدكتور محمد مندور

يخيل إلى أننا قد وصلنا الآن إلى مرحلة من نمو ثقافتنا يجب عندها أن نأخذ أنفسنا بالصرامة فيما نكتب، فلا نتحدث إلا عن بينة تامة وتحقيق لما نقول، بعد أن نكون قد عمقنا الفهم، وإلا فسنظل ندهم ونتوهم أننا نعرف شيئاً نافعاً، ونحن فى الواقع نضرب شرقاً بغرب ضالين مضللين.

وهناك مسائل لا يكفى للحديث عنها أن نقرأها فى كتاب إنجليزى أو فرنسى ثم ننقلها إلى قرائنا حسبما نظن أننا قد فهمناها. هذا لا ينبغى. ونأخذ اليوم لتلك المسائل مثلاً من «أوزان الشعر»، كما تحدث عنها الأستاذ دربنى خشبة فيما يحشد من أحاديث.

يريد الأستاذ أن يميز بين العروض الإنجليزى وغيره من الأعاريض الأوربية وبين العروض العربى، فيقول: «وبحسبنا هنا أن نذكر أن العروض الإنجليزى، بل كل أنواع العروض فى اللغات الأوربية، إنما أساسها التفعيلة The foot، وليس أساسها الأبحر كما فى العروض العربى». وهذا قول لا معنى له إطلاقاً، لأن جميع أنواع الشعر الشرقى والغربى على السواء تتكون من تفاعيل يجتمع بعضها إلى بعض، فتتكون الأبحر والشعر العربى فى هذا كغيره من الأشعار. وإنما التبس الأمر على الأستاذ لأنه رأى الأبحر فى الإنجليزية تسمى باسم التفعيلة المكونة لها، فيقولون Jambi meter ... الخ. وأما فى العربية فقد وضعوا لها أسماء أخرى كالطويل والبسيط وغيرها. وإذا كانت فى الشعر العربى أبحراً متجاوبة التفاعيل كالطويل أو البسيط مثلا حيث نجد التفعيل الأول يساوى الثالث والثانى يساوى الرابع، فإن هناك أيضاً أبحر متساوية التفاعيل كالمتدارك والرجز والهزج والكامل وغيرها. وهذه وتلك كان من الممكن أن تسمى بأسماء تفاعيلها فالمسألة مسألة مواضعة. وإذا كانت فى الشعر العربى زحافات وعلل فإن الشعر الأوربى أيضاً فيه ما يسمونه بالإحلال subsitution فتراهم يضعون مقطعاً سپوندياً محل مقطع داكتيلى أو مقطع إيامبى، وفى الشعر العربى والشعر الأوربى معاً لا يغير هذا الإحلال من اسم التفعيل الأصلى. وإذن فكل الأشعار من هذه الناحية لا تختلف فى شىء.

وإنما تتميز الأشعار ببينة التفاعيل، وهنا نلاحظ أن الأستاذ خشبة لم يدرك بأذنه حقيقة الشعر الإنجليزى، وكان السبب فى ذلك اعتماده فيما أرجح على قواميس اللغة الإنجليزية، فقد قرأ فى أحد كتب العروض الإنجليزى أن هناك شعراً تتكون تفاعيله فى الأيامب، وشعراً تتكون تفاعيله من الداكتيل ... الخ. مما يجده القارئ فى هامش مقاله، وبحث فى القاموس فوجد أن الأيامب عبارة عن وحدة من مقطعين،

ولا يرون الفكاك من أغلالها، فلماذا لا نركب الجمال العالية كما كان يصنع المهلهل ...

وندع المهلهل الذى لم يفرض على الناس شعره وقوافيه، ونعود إلى أبى حديد نسائله عن هذا الشعر المرسل، وعن طول حنينه إليه، وما باله يذكر النضال عن هذا الشعر عند ما تصدر مجلة الرسالة فينشر فى سنتها الأولى استفتاء عاماً يجمل موضوعه ترجمة نثرية لخطبة أنطونى فى درامة يوليوس قيصر لشيكسبير - والترجمة بقلم الأستاذ الجليل محمد حمدى بك - ثم ترجمة للخطبة نفسها بالشعر المرسل بقلمه هو ... فيما كان هذا الاستفتاء إذن؟ وفيم كانت محاولة إغراء الناس أو منازلة أذواقهم بموضوع هذا الشعر؟ لقد كانت نتيجة الاستفتاء نصراً شبه كامل لشعر أبى حديد، فما الذى ثناه عنه يا ترى؟ وما الذى أقعده عن المضى فيه؟ ولماذا حرم أبو حديد أدبنا المصرى الحديث من طرفه الرائعة، ومن روحه الدرامية الناضجة، ومن فكاهته العذبة السائغة، ومن فنه المسرحى المتفتح؟ لماذا تصدر درامته - «خسرو وشيرين» - دون أن تتشرف بحمل اسم صاحبها؟ صاحبها الثائر الأول الذى ينبغى أن يحفظ له تاريخ الأدب المصرى هذا الجميل الخالد، وتلك اليد النقية المباركة، ... وإلى متى تظل ملحمة «زهراب ورستم» حبراً على ورق؟ وكيف ينتصر ترسينو فى إيطاليا سنة ١٥٥١ وينهزم أبو حديد وشعراء النظم المرسل فى مصر فى القرن العشرين؟

ولكن ما هو هذا الشعر العربى المرسل الذى من أجله عقد هذا الفصل؟

ذلك مالا يتسع له مجال القول الآن.

دريني خشبة

أولهما قصير والثانى طويل وهكذا . وفاته أن هذه التعاريف لا تنطبق على الشعر الإنجليزى بسهولة ، وإنما هي خاصة بالأشعار اليونانية واللاتينية ، فى هاتين اللغتين تتميز المقاطع بعضها عن بعض بالطول والقصر ، وأما اللغة الإنجليزية واللغة الألمانية فتتميز مقاطعها قبل كل شىء بالارتكاز الصوتى stress ؛ فهناك مقاطع تنطق بضغط وأخرى بغير ضغط ، وعلى هذا يكون الأيامب وحدة من مقطع لا يحمل ارتكازاً وآخر يحمله . ومن ثم لا يكون الشعر الإنجليزى « شعراً كمياً quantitatine » بل « شعر ارتكاز stressed » ، وهذا هو الرأى المعتمد .

وفى موضع آخر يقول الأستاذ : « وبفضل بعض الشعراء البحر الأسكندرى نسبة إلى الإسكندر الأكبر القصائد التى نظمت فيه من هذا البحر . ويؤثر شعراء المأساة الفرنسيون النظم من هذا البحر إطلاقاً وهو يتكون من اثنى عشر مقطعاً (بست تفعيلات إيامبية مقطعين) . » وهذا القول أيضاً يدل على أنواع من عدم الدقة بل ومن الخطأ البين . فعدم الدقة نجدها فى شرح سبب تسمية هذا البحر فهو ليس نسبة إلى الإسكندر الأكبر بل نسبة إلى رواية بالذات كتبت فى القرن الثانى عشر بفرنسا « عن الإسكندر الأكبر » Le roman d'Alexandre ومنها لأول مرة استعمل هذا البحر بدلاً من الأبحر الأقصر منه التى كانت مستعملة فى القرون الوسطى . وأما الخطأ ففى ظن الأستاذ أن البحر الأسكندرى فى الشعر الفرنسى يتكون من ست تفعيلات إيامبية مقطعين ، فهذا لا وجود له فى الشعر الفرنسى ومن المعلوم أن اللغة الفرنسية قد فقدت منذ قرون : (١) الكم فلم تعد هناك مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة إلا فى حالات نادرة فى أواخر الكلمات مثل âge ومن المسلم به عند الفرنسيين وعند جميع من كتبوا عن الشعر الفرنسى إن هذا الشعر لا علاقة له بكم المقاطع (٢) الارتكاز فألفاظ اللغة الفرنسية لم تعد تحمل ارتكازاً stress ، وإنما يوجد ارتكاز فى أواخر الجمل ، فكل جملة فرنسية أو شبه جملة تنتهي بارتكاز يحس أنه ارتكاز شدة وارتفاع معاً إلا فى حالة الوقف ، فإنه يعتبر ارتكاز شدة فحسب . فمثلاً جملة cette maison est très belle لا نجد منها غير ارتكازين اثنين أولهما على on والآخر على bel ، والارتكاز الأول ارتكاز شدة وارتفاع فى الصوت ، وأما الثانى فشدة فقط لأن الارتفاع يسقط للوقف . وإذن فالشعر الفرنسى ليس شعراً كمياً ولا شعراً ارتكازياً لسبب واضح هو أن مقاطع تلك اللغة لا تتميز بكم ولا ارتكاز . الشعر الفرنسى يسمونه بكل بساطة « شعر مقطعى syllabique »

من هذه الملاحظات يتبين لنا أن هناك ثلاثة أنواع من الشعر كنا نحب من الأستاذ خشبة ما دام قد أراد أن يبصرنا بحقائق الأوزان أن يميز بينها لنحاول بعد ذلك أن نرى أين يقع منها الشعر العربى ، وبذلك قد نستطيع أن نساعد على ظهور أنواع جديدة من الشعر العربى تمكن شعراءنا الكبار الذين يعجب بهم الأستاذ من إجادة فهم حقاً . وعندئذ سنرى المسرحيات تكتب شعراً كما كانت تكتب منذ ثلاثة قرون ، ونكون بعملنا هذا قد أثبتنا للعالم المتحضر أنهم مخطئون فى عدم استمرارهم على استخدام الشعر فى المسرحيات

هذه الأنواع الثلاثة هى : (١) الشعر الكمى (٢) الشعر الارتكازى (٣) الشعر المقطعى

أما النوع الأول فهو الشعر اليونانى واللاتينى القديم ، وأما النوع الثانى فهو الشعر الإنجليزى والألمانى ، وأما الثالث فهو الشعر الفرنسى

الشعر الكمى :

لنأخذ لذلك مثلاً بيت ڤرچيليوس فى الأنيادة :

Infandum regina iubes renovare dolorem(1)

نجده مكوناً من ستة تفاعيل ، وكل تفعيل مكون من مقطعين طويلين (سپونديه) ، أو مقطع طويل ومقطعين قصيرين (داكتيل) ، ما عدا التفعيل الأخير فقطعه الأخير قد يكون قصيراً ويكتفى به لأن الوقف يعوض المقطع الآخر القصير الذى حذف . وإليك التقطيع مع رمزنا للمقطع الطويل بالعلامة ـ وللمقطع القصير بالعلامة =

Infan - dum re-gina iu-bes reno - vare do-lorem

وأما الأساس الذى يعتبر به المقطع طويلاً أو قصيراً فيرجع إلى الحرف الصامت voyelle ؛ فإذا كان طويلاً بطبيعته كما هو الحال فى بعض الحروف اليونانية ، أو كان حرفاً مزدوجاً

---

(١) هذا البيت فى مطلع الأغنية الثانية من الأنيادة وترجمته « أيتها الملكة ... إنك تأمرين بتجديد الم لا تمكن العبارة عنه » . قاله إينوس بطل الملحمة عند ما طلبت إليه ديدون ملكة قرطاجنة أن يقص عليها نبأ ما كان من تدمير الأغريق لمدينة طروادة وطن البطل الأصلى .

المشكلات

١٠ - اللغــة العربية

للأستاذ محمد عرفة

لماذا أخفقنا فى تعليمها ؟ — كيف نعلمها ؟

لقد كان يكفينى ما قدمته من الأدلة على فساد الطريقة الرسميــة فى تعليم اللغــة العربية ، وعلى صحة الطريقة التى بينتها وأفضت الـكلام فيها ، ولـكنى أعلم أن المألوف شديد انتزاعه ، وأن النفوس تـكره العدول عما وجدت عليه الآباء والأجداد إلى شىء لم يكونوا عليه ، وربما خيل إليها أن السلف الماضين لم يؤثروا هذه الطريقة على ماعداها إلا لفضلها و كفايتها ، وأن العدول عنها إلى غيرها عدول عن الحق النافع إلى الباطل الضار ، ولو كان فى هذا الجديد خير لسبق إليه الأولون

وإنى أريد أن أبين أن الطريقة التى ندعو إليها هى طريقة العصور الزاهرة لسلفنا الماضين ، وأنها لم تتغير إلى الطريقة التى نشكو منها إلا فى عصور الضعف والتأخر العلمى ، وأريد أن أذ كر من أقوال السلف ما يشهد بتفضيل هذه الطريقة على طريقة القواعد والقوانين لأونس القلوب بأن ما أدعو إليه ليس شيئاً أنا ابتدعته وإنما هو شىء كان يعلمه رجال العلم والتربية من آبائنا السابقين

وأريد بعد ذلك أن أذ كر بعض أقوال رجال التربية من علماء الغرب فى هذا الموضوع لأبين أن العقل والدليل ورجال العلم فى القديم ، ورجال التربية فى الحديث وعلماء الشرق والغرب على أن اللغات إنما تـكتسب بالتكرار والحفظ والتعهد والدربة وأن القواعد والقوانين لا تـكسب ملـكة اللغة

أول كتاب وضع فى نحو اللغة العربية وعكفت عليه الأجيال هو الـكتاب لسيبوية ، وهو كتاب ملىء بالشواهد من كلام العرب ، شعرها ونثرها ، وكلام الله وكلام الرسـول ، وأبياته تزيد على الألف ، وكان الدارس له يحفظ أبياته وشواهده ويدرس قواعده ، فيكتسب ملـكة اللغة بما يحفظ من المنظوم والمنثور ، ويعلم قوانينها بما فيه من القواعد ، ولم يكن النحوى هو من عرف القواعد فحسب ، بل كان النحوى هو من عرف القواعد ، وحفظ أشعار العرب ، وعلم تخريجها ، وحفظ أيامهم وخطبهم وحكمهم ومساجلاتهم ؛ ولذلك كان اسم النحوى مرادفا لاسم الأديب ، وألف العلماء كتباً فى تراجم النحويين سميت باسم طبقات الأدباء ، كما فعل ابن الأنبارى فى كتابه نزهة الألباء فى طبقات الأدباء - وإذا قرأنا ترجمة من تراجم أساتذة النحو فى عصوره الأولى كالمبرد والـكسائى والفراء وابن جنى بهرنا ما نرى من حفظهم وإتقانهم واطلاعهم على شعر العرب والمحدثين واستيعابهم لغة العرب ، والملكة التى جاءتهم من مزاولة هذه اللغة ، فما من غريب إلا وهم به محيطون ، وما من شاهد أو مثل إلا وهم به عالمون ، وما من أسلوب إلا وهم عارفون بمعناه قادرون على تخريجه

ولم يكن الأمر كذلك فى النحو فقط بل كان أيضاً فى البلاغة ، فأول كتاب ألف فى البيان العربى وصل إلينا هو البيان والتبيين لأبى عمرو عثمان بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ﻫ وهو كتاب حوى من الأشعار والخطب والأحاديث والأمثال

---

diphtonque ، أو كان ناتجاً عن إضمام حرفين صامتين ، أو كان متلواً فى نفس المقطع بحرف صامت consonne ، اعتبر المقطع طويلاً وإلا فهو قصير . وفى القواميس الجيدة نجد دائماً كم الحروف الملتبسة

ونحن لا نريد أن نطيل فى تحليل موسيقى هذا النوع من الشعر . فهى لا شك لا تقف عند التفاعيل والمقاطع بل لا بد لها من إيقاع rythme ينتج عن وجود ارتكاز شعرى يسمى Ictus ، وهو يقع على مقطع طويل فى كل تفعيل . كما أن هناك وقفاً هاماً فى كل بيت يشبه الوقف على الشطر فى البيت العربى . وهو فى البيت السابق يقع بعد المقطع السابع كما وضحنا بالعلامة = والواقع أن أوزان الأشعار اليونانية واللاتينية معقدة صعبة حتى بالنسبة لمن يتقنون تلك اللغات وذلك لأن نطقها غير معروف على وجه دقيق ، ومن باب أولى عناصرها الموسيقية . ولهذا نـكتفى بما ذكرنا معتذرين عن اضطرارنا إليه تـكملة للعرض .

محمد مندور

(للـكلام صلة)

والمساجلات ما هو كفيل بتربية ملكة البيان ، والكتب التى وضعت بعده كالبديع لابن المعتز ، ونقد الشعر لأبى الفرج قدامة ابن جعفر ، والصناعتين لأبى هلال العسكرى ، كلها كتب ملئت بالشواهد والأمثلة ، ومتنوع الأساليب ، وقد عنوا بذلك ولزموه وحافظوا عليه ثقة منهم بأن كسب ملكة البيان إنما تكون بحفظ الأساليب التى استكملت شروط البلاغة ، وابن الأثير فى كتابه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر حذر دارس كتابه أن يقتصر على القواعد التى فى الكتاب ، وأوجب عليه أن يكتسب الذوق الأدبى بالاطلاع على بيان العرب من منظوم ومنثور والإكثار من حفظه وممارسة أساليبه ؛ قال فى مقدمة كتابه : ومع هذا فإنى أتيت بظاهر هذا العلم دون خافيه ، وحمت حول حماه ولم أقع فيه ، إذ الغرض إنما هو الحصول على تعليم الكلم التى بها تنظم العقود وترصع ، وتخلب العقول فتخدع ، وذلك شىء تحيل عليه الخواطر ، لا تنطق به الدفاتر . واعلم أيها الناظر فى كتابى أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم ، الذى هو أنفع من ذوق التعليم ، وهذا الكتاب وإن كان فيما يلقيه إليك أستاذاً ، وإذا سألت عما ينتفع به فى فنه قيل لك هذا ، فإن الدربة والإدمان أجدى عليك نفعاً ، وأهدى بصراً وسمعاً ، وهما يريانك الخبر عياناً ، ويجعلان عسرك من القول إمكاناً ، وكل جارحة منك قلباً ولساناً ، فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك ، واستنبط بإدمانك ما أخطاك ، وما مثلى فيما مهدته لك من هذه الطريقة إلا كمن طبع سيفاً ووضعه فى يمينك لتقاتل به وليس عليه أن يخلق لك قلباً ؛ فإن حمل النصال ، غير مباشرة القتال وإنما يبلغ الإنسان غايته ما كل ماشية بالرحل شملال

وكان كلما أفرط القوم فى درس القواعد والتعمق فيها ظهرت آراء تدعو إلى القصد فى درسها والاقتصار منها على ما أقام الألسن . قال ابن السكيت : خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب ، وتشتهيه الآذان ، وخذ من النحو ما تقيم به الكلام ، ودع الغوامض ، وخذ من الشعر مايشتمل على لطيف المعانى ، واستكثر من أخبار الناس وأقاويلهم وأحاديثهم ولا تولعن بالغث منها

وقال الجاحظ فى رسائله : «فصل فى رياضة الصبى ، وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام فى كتاب إن كتبه ، وشعر إن أنشده ، وشىء إن وصفه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ، ومذهل عما هو أرد عليه منه ، من رواية المثل الشاهد ، والخبر الصادق ، والتعبير البارع . وإنما يرغب فى بلوغ غايته ، ومجاوزة الاقتصاد فيه ، من لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور ، والاستنباط لغوامض التدبير لمصالح العباد والبلاد ، والعلم بالقطب الذى تدور عليه الرحى ، ومن ليس له حظ غيره ، ولا معاش سواه . وعويص النحو لا يجدى فى المعاملات ، ولا يضطر إليه شىء »

وقد وجد شعور منذ زمن طويل بتفضيل تعلم اللغة بالملكة على تعلمها بالقواعد ، عيب على عمار الكلبى بيت من شعره فامتعض وأنشد أبياتاً منها .

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم وبين قوم على إعرابهم طبعوا

فهذا الشاعر قد فاضل بين الطريقتين ، وفضل الطريقة العملية على الطريقة العلمية التقريرية

وكان الناس يأخذون ألسنتهم بالإعراب ، ويلتزمون العربية فى كلامهم . وكانوا يعيبون من يلحن ويحفظونه عليه ويتحدثون به. وما زال الأمر كذلك فى النحو والبلاغة حتى نبتت فى العصور المظلمة تلك الحاقة التى تقدس القواعد وتجعلها كل شىء فى تعليم اللغة وتربية ملكتها ؛ وأعطتها قوة العصا السحرية ، فما هو إلا أن يضرب المرء بها حتى يستحوذ على لغة العرب ، فيكتب بها ويخطب ويساجل وينظم الشعر ، فأكثروا من القواعد وأقلوا من عرض المثل والشواهد والأساليب ، وورثنا نحن عنهم هذه الطريقة وسرنا عليها حتى الآن

ورجال التربية فى القديم والحديث والشرق والغرب طالما دعوا إلى تعليم اللغات بالحفظ والتكرار والمرانة والدربة ، وبينوا أن القواعد والقوانين لا تعلم اللغة ولا تكون ملكتها ، وطالما نددوا بهذه الطريقة التقليدية ، وبهذا الأسلوب العقيم فى تعليم اللغة ؛ فابن خلدون الفيلسوف الاجتماعى م ٨٠٨ هـ بين فى مقدمته أن اللغة ملكة ، وأن الملكات لا تكتسب بالقواعد؛ إنما تكتسب بالحفظ والتكرار . قال فى فصل عنوانه « أن اللغة ملكة صناعية » اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة ؛ إذ هى ملكات

في اللسان للعبارة عن المعاني ... (والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال ، لأن الفعل يقع أولا ، وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر فتكون حالا ، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة ، أي صفة راسخة) ، ثم بين أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم ، وكان حريا بأهل القرن الثامن وما تلاه من قرون أن ينتفعوا بآرائه وبما بسطه هذا العالم المجدد ودعا إليه من آراء في التربية ، ولكن ابن خلدون رجل سبق عصره فلم تنتفع به أمم الشرق ، ومن المؤلم أننا في عصرنا الحديث لم نفك قيود التقليد ، وننفض عنا غبار الكسل ، ونحرر أنفسنا من هذه الطريقة التي تلاحقنا نتائجها إخفاقا بعد إخفاق ، وخيبة أثر خيبة

هذا حديث الشرق وحديث الغرب أعجب ، فما من كاتب كتب في التربية إلا وأنحى على طريقة القواعد ، ورأى أن اللغة لا تعلم إلا بالحفظ والمحادثة ؛ فروسو رجل الفكر الفرنسي في القرن الثامن عشر نبه في صراحة على أن اللغات يجب أن تعلم بواسطة المحادثات لا بواسطة الصرف والنحو . والدكتور غوستاف لوبون المفكر الفرنسي ذكر في كتابه روح التربية أن الأمم الراقية لا تأخذ التلاميذ في تعليم اللغات بكتب النحو وإنما تأخذهم بالكلام المألوف . ثم قال وهذه الطريقة لا تحرم التلاميذ درس النحو . فهو يدرس النحو أحسن درس بهذه الطريقة اللاشعورية التي تحول النحو إلى ملكة راسخة لا إلى تكلف وتعمل ...

ودعا سبنسر الفيلسوف الإنجليزي في كتاب التربية إلى تعليم اللغات بأسلوب أشبه بسنن الطبيعة التي يتعلم بها الطفل لغته الأصلية بلا معين ولا مرشد فيضمحل التعليم بواسطة القواعد ويعتاض عن ذلك بطرق ناجمة ، وذلك ما أفضى إلى تأجيل تعليم علوم النحو والصرف والبلاغة للطلاب . واستأنس في ذلك برأي المسيو مارسيل الذي ذهب فيه إلى أن علوم النحو والصرف والبلاغة ليست مما يبتدأ به في تعليم الأطفال ، ولكنها متممات ومكملات . ثم قال سبنسر : وقصارى القول أنه لما كانت علوم النحو والصرف والبلاغة إنما نشأت بعد تكون اللغة كان من الواجب أن يتلقاها التلميذ بعد تكون اللغة ، وسوى هؤلاء ، كثير من رجال التربية في العصر الحديث

إن أساليب التعليم والتربية التي تسير عليها أمة من الأمم هي خير مقياس لعقليتها وثقافتها ومقدار نضوجها ، فإن كانت تجري على قوانين العقل والوجود وتساير الرقي الإنساني العام ، وتلائم روح طبائع الأشياء ، استدللت بذلك على ثقافتها ورقيها ؛ وإن كانت تخالف ذلك أمكنك أن تحكم على الأمة بالتأخر في مضمار الحياة . وبالضعف في شتى مناحيها العقلية والاجتماعية والسياسية ، وإن الأمم الرابضة حولنا ، والمتطلعة إلينا ، والتي تخالطنا وتجاورنا لتحكم علينا بما نصطنعه من أساليب في التربية والتعليم ؛ فلنأخذ بالأسلوب المطابق لطبائع الأشياء وقوانين الوجود في تعليم اللغة العربية ، إن لم يكن لإتقان اللغة والتوفيق في تعليمها ، فلاتقاء حكم الأمم علينا بالتأخر في مضمار الحياة .

محمد عرفة

حكمت محكمة مديرية جرجا العسكرية في الجنحة ن ٧٣ سنة ١٩٤١ طهطا بتغريم فرغلي حسن علي من طهطا ٥٠٠ قرش ونشر الحكم بمجلة الرسالة لأنه باع قمحاً بسعر أزيد من المحدد في جدول الأسعار

٢ - جامع احمد ابن طولون

[حديث ألقى فى نادى النجادة فى ليلة القدر]

للأستاذ أحمد رمزى بك
قنصل مصر فى سوريا ولبنان

إنه لمن غير المستصعب والمستغرب أن يقيم رجل العصبية دولة بين أهله وعشيرته ، ولكن أن يخرج رجل وحيد ينحدر من سلالة فى أواسط آسيا ، فيؤسس ملكا عريضاً يضم مصر والشام والثغور والعواصم ، ويسيطر بذكائه وفطنته فيقود وينتصر ، وتخضع له الخاصة والعامة ، وتدين له الرقاب ويقارع أكبر سلطة شرعية ، ذلك أمر لا يتم إلا لرجل قد امتاز عن كافة الناس وخصته العناية بصفات من الأخلاق والمزايا النفسية لا تتوفر فى غيره

ويذكرنى ذلك بما كتبه أحد مفكرى الغرب عن عظماء الرجال فى القرن العشرين إذ قال : إن هناك قوات جامحة من قوى الطبيعة تسبح فى فضاء هذا الكون ، فتصيب الرجل العظيم الذى هيأته العناية لدور فاصل فى تاريخ الإنسانية ، فتجراه قد استيقظ إذ لامسته وأفاق فقبض على هذه القوى بكلتا يديه ، فدانت له الجماعات وخضعت لمشيئته ، فإذا هو على رأسها يسخر هذه القوى ويدفعها إلى الأمام فينير مجرى الحوادث ويكتب التاريخ كما يشاء ، ذالكم هو أبو العباس احمد بن طولون ، رجل من عظماء التاريخ العربى ملك مصر وقاد وانتصر

ولسنا فى موضوع الحديث عنه ولا عن أعماله لنؤرخ له ، وإنما نحن فى مقام التعريف لذلك الرجل الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى ، وإذا كان لى أن أختم هذه الكلمة وما أصعب على النفس ختمها فما لى سوى ترديد قول شوقى فى شعره الخالد عن الزعيم مصطفى كامل إذ ينطبق على أميرنا ابن طولون :

هو ركن مملكة وحائط دولة وقريع شهباء وكبش نطاح

وأنتقل الآن إلى الجزء الثانى من هذه المؤانسة فأحدثكم عن زيارتى لجامع ابن طولون

كان ذلك فى خريف العام الماضى ، حينما حللت بالقاهرة المعزية ، وكان وقت الأصيل حينما توجهت إلى جامع ابن طولون وارتقبت ذلك لأرى أثر أشعة الشمس وقت غروبها ، وما تلقيه من روعة ، على منظر القاهرة ، فإن رؤية مآذنها العالية وقباب مساجدها التى تعد بالمئات مما يدخل فى قلبى رهبة وإحساساً فائضاً وحنيناً إلى الماضى وعوداً إليه

ولما صعدت إلى قمة المنارة نظرت إلى أطراف المدينة من مشهد السيدة نفيسة والإمام الشافعى ، إلى القلعة فالسلطان حسن والرفاعى ، ثم إلى جامع الجاولى حيث أعجبنى هذا التناسق البديع الفائق الحد الذى يبدو بالنظر إلى القبتين المتجاورتين إذ هما قطعتان من قطع الفن العربى الخالد

ولا أحدثك عن الذكريات التى غمرتنى ساعتئذ وإنما تساءلت كيف حفظت العاصمة كل هذا التراث العربى العظيم ؟ وكيف خرج من كل أدوار التاريخ خالداً ، وهو يدافع المحن ويسمو على طوفان الحوادث ؟

ولا بأس من إيراد حديث دار مع سيدة من كبريات سيدات الغرب ، وقت أن نزلت من المنارة واتجهت إلى صحن الجامع ، فقد كانت جالسة على كرسى فحيتنى أحسن تحية ، ثم قالت لى كالمعاتبة لغيرى :

« متى بلغ اهتمامكم بآثاركم العربية هذا الحد حتى أتيت من بيروت لتقضى أجازتك السنوية ، ووقت راحتك فى منادمة أطلال الماضى وما درس من آثاره ؟ »

قلت : بلى أحن إلى هذه الجدران ، وأعرف نقوشها ، وهذه المآذنة والمحاريب وهذا المنبر الذى وضعه حسام الدين لاشين ، وما شعرت يوماً بأنى غريب عنها ، بل هى عندى صورة من صور الماضى الباقى الذى يفيض حياة ، ويلازم فكرى ، وأستمد منه قوة على قوة ، وأسير فى هداه ، وأستعير منه الحجة لأقرع بها الحجة ...

ولما تركتها متجهاً إلى الأروقة قلت يا لله ! إن المساجد له ، وهى مع ذلك تعلو علواً كبيراً ، ليغمرها العز والسؤدد والمجد ثم تهبط إلى التدهور والتفكك والنسيان حتى يقيض الله لها من ينتشلها من وهدتها . فلنتعرف إلى بعض الشيء من عظمة هذه الجدران ...

لقد حمل هذا الثرى الذى أسير عليه ابن طولون وملكه ، وطالما ازدحم هذا الصحن بالأمراء والجند والعامة ، ولو نطقت هـذه الجدران لحدثتنا حديث رجال الفقه والتفسير والحديث الذين اجتمعوا هنا لسنين خلت . ولأعادت علينا آيات الكتاب الكريم التى رتلت أصوات المؤذنين والشيوخ والقراء التى ذهبت فى أعماق الماضى البعيد . أين صناديق المصاحف الطولونية والشمعدانات التى وضعها الحاكم بأمر الله ؟

أين القناديل المعلقة بالسلاسل التى وصفها المؤرخون ؟

أين الأبسطة والفرش من عبدانية وسامانية التى أمر بها ابن طولون وخص بها المسجد ؟

أين جماهير المصلين وحلقات الدرس والتلاوة ؟

ووقفت أمام المحراب الكبير ، وقلت هنا صلى بالناس ، عندما كمل الجامع ، القاضى بكار بن قتيبة إماماً ، وهو مفخرة من مفاخر القضاء المصرى فى القرن الثالث ، وهدية البصرة لمدينة مصر

وعلى منبر فى مكان هذا قام أبو يعقوب البلخى يوم الافتتاح خطيباً ؛ ثم جاء الربيع بن سليمان ، وهو من تلامذة الشافعى رضى الله عنه ، بل من أحبهم إلى قلبه ، فافتتح دروسه فى إملاء الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام

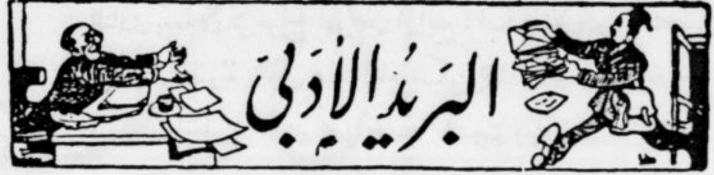
« من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة ، بنى الله له بيتاً فى الجنة » .

ففى أى ركن من هذه الأركان كان هذا الدرس ؟

وأين اللوحة التذكارية لهذا اليوم ؟

لا بد أن يكون مكان هـذا الدرس على مقربة من المحراب الكبير ، فلنتمهل ولنترحم على صاحب الدرس ، وعلى شيخه وأستاذه .

(للحديث صلة) أحمد رمزى



مسابقة الأدب العربي

سأثور على الكسل وأشرح الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربي في هذه السنة، على نحو ما صنعت في السنوات الماضية، مع الثناء على من أثاروني يوم تجمهروا حولي في جمعية الشبان المسلمين، ومع الثناء على الخطاب الوارد من دمياط

والغاية واضحة، وهي أن أساعد فريقاً من الطلبة على انتهاب جوائز وزارة المعارف، وسينتهبونها بأيسر مجهود بعد إدراك ما أقدم إليهم من التوجيهات. والله هو الموفق

سأبدأ في الأسبوع المقبل بنقد كتاب «قادة الفكر» للدكتور طه حسين بك، ثم أمضي إلى نقد سائر الكتب المقررة في الحدود التي يسمح بها الوقت، وسيسمح الوقت لأن الامتحانات التحريرية ستقع في الرابع والعشرين من فبراير المقبل، ثم تقع الامتحانات الشفوية بعد ذلك بأيام أو أسابيع.

وسأسكت عن كتاب «المختار» للمرحوم الشيخ عبد العزيز البشري، لأني تكلمت عنه بإسهاب في العام الأسبق ويستطيع المتسابقون أن يرجعوا إلى حديثي عنه بمجموعة الرسالة في مكتبات المدارس الأميرية

ولا يفوتني أن أنص على أن الذين يختارون كتب المسابقة للأدب العربي — وهم رجال فضلاء — لم ينسوا في أي عام كتب الدكتور طه حسين، وكتب الأستاذ أحمد أمين، ولم يفتهم النظر إلى الكتب المودعة بمخازن لجنة النشر والترجمة والتأليف؟

أنا لا أعترض، وإنما أسجل ظاهرة أدبية، ولا حَرَج على من يَصدُق في تدوين التاريخ.

زكي مبارك

إلى الأستاذ محمد عرفة

أخي العزيز

قرأت فصولك في اللغة العربية بإمعان. وكلما تم فصل منها أترقب غيره بشغف حتى بلغت تلك الفصول التسعة عدداً.

وهنا أشفقت ألا تطلع علينا بجديد منها فبادرت إليك لأبدي لك شعوري نحو هذا الإصلاح المنشود. وهو إحياء اللغة الفصحى وجعلها ملكة يلهج بها اللسان دون تكلف...

إني أخاطبك الآن كأخ لأخيه أو بالحرى كانسان لنفسه.

أخي العزيز...

إن لغتنا هي من أبدع اللغات وأغناها؛ ولكنها كالكنز الدفين الذي لا يتمتع به أصحابه. إذ أشقينا النفوس بدراستها السنين تلو السنين فلن نفوز منها بطائل يشفي تلك النفوس وينعشها ويحررها من ذلك النقص الذي تشعر به أبداً وقد أورثها تلك الأدواء التي يصفها لنا علم النفس الحديث

إن لغتنا الفصحى سهلة؛ بل سهلة جداً؛ ولكن الصعب فيها كما بينت يا أخي في فصولك التسعة في الرسالة الغراء — أنها لم تصبح بعد ملكة عندنا... ولكن...

ألا ترى يا أخي أن الفصحى إذا تناولها الجمهور أفسدها. إن ما بين أيدينا اليوم من كتب وصحف ومجلات. أكثرها فصيح الأسلوب، ولكن هذا الفصيح كتب عليه الفشل. إنه لا يقوى على النهوض إذا خاطب عيون القراء... لماذا... لأن الخط الحاضر (الكتابة) هو الذي أفسد اللغة

فلو كان الخط أميناً لصور لنا الكلام بأمانة مطلقة تصويراً كاملاً واضحاً لا لغز فيه ولا إبهام. ثم لو كان الخط أميناً... لكانت الفصحى منتشرة على كل لسان

وكيف نكتب الفصحى بالمران والتكرار عن طريق القراءة التي لا نهاية لها لو ظلت هذه تقدم لنا صباح مساء بخط مبهم العلامات والضوابط..؟

أتريد أن تنشر الفصحى يا أخي، قبل أن تحررها من سجن الخط الحاضر. إن الفصحى كادت تموت بين جدران الخط العربي الحاضر المبهم الذي لا ضابط له ولا شكل.

أراني وقد أطلت عليك الحديث مرغماً بعد العذر أن أرجو ملحاً ألا توصد ذلك الباب قبل أن تكمل فصولك الممتعة في هذه المجلة موجهاً عنايتك توجيهاً مخلصاً إلى حل مشكلة الخط أو الكتابة الحاضرة ولك مني وللرسالة — الغراء — ألف شكر

ا. عطارى

المهرجان الأدبى بالسودان

يسرنى أن أزف إلى الناطقين بالضاد فى كل قطر ومصر، وإلى أبناء العروبة أجمعين، وإلى المتحرقين شوقاً لمعرفة سير موكب النهضة الأدبية فى السودان، أن المهرجان الأدبى الخامس قد تم بمعونة الله إخراجه للناس بنادى الخريجين بالخرطوم فى ثانى وثالث أيام عيد الفطر المبارك فى حلة زاهية قشيبة وبطريقة مبتكرة جذبت إليه الجمهور المثقف أمام تلك الدار الزاهرة. فى ذلك اليوم المشهود خلق كثير أتوا من كافة أنحاء السودان لشهود هذا العيد الثقافى المجيد الذى أصبح الناس هنا يعدونه عيداً قومياً له دلالته ومعناه. والحقيقة أنه جدير بهذه العناية وهذا الأهتمام

أجل أقيمت تلك السوق الأدبية الحافلة فألقيت البحوث الأدبية والتاريخية والعلمية، وأنشدت القصائد، وعرضت اللوحات الفنية، وترنم المغنون بأغانيهم الشجية، كما أنشد نشيد المهرجان. ولا يفوتنا أن نذكر أن موسيقى الجيش المصرى كانت تشنف الأسماع بحلو الأنغام وعذب الألحان فقوبلت تلك المساهمة من رجال الجيش المصرى البواسل بالتقدير والحمد

وهناك ملاحظة جديرة بالذكر وهى أن أدباء مصر لم يساهموا فى هذا المهرجان ولم يبعثوا بأى إنتاج فكرى كما اشتركوا فى المهرجان الماضى؛ ولم نسمع صوتاً لباقى أبناء البلاد العربية. فعسى أن نسمع أصوات هؤلاء جميعاً فى المهرجان المقبل بإذن الله

ولقد كان المهرجان الأدبى حديث المحافل والمجتمعات فى أيام العيد، بل حديث القطر بأجمعه، لأنه حدث أدبى جليل الشأن فى النهضة الحديثة فى السودان؛ فللأدب الآن دولة بالسودان لها رعية وأنصار

ويلذ لى أن أذكر أن المهرجانات الأدبية تقام عندنا هنا فى كل عيد فطر. ولقد أقيم المهرجان الأدبى الأول بمدينة واد مدنى عاصمة مديرية الجزيرة، ثم انتقل المشعل إلى أم درمان العاصمة الوطنية، ولم يتم إخراج المهرجان الثانى لأسباب قهرية، ولكن المهرجان الثالث قد أقيم فى نفس المدينة أى أم درمان، ثم سلمت المشعل إلى نادى الخريجين بالخرطوم فى العام الماضى فدأب أشبال النادى يعملون لإخراج المهرجان الرابع؛ لكن الأمنية لم تتحق لأسباب طارئة. وفى هذا العام تمكن النادى عينه من إخراج المهرجان الخامس الذى نحن بصدد الحديث عنه

ولعل من المفيد أن أذكر أن نادى الخريجين بواد مدنى هو الذى أخرج المهرجان الأول وهو صاحب الفكرة نفسها، ونادى الخريجين بأم درمان هو الذي أقام المهرجان الثالث، كما أرى من الإنصاف أن أقول إن الخريجين فى كل مدينة فى السودان هم مصدر الحركة والنشاط والنهضة

أما المهرجان الأدبى السادس الذى يجب أن يقام فى عيد الفطر المقبل فلم يعين بعد اسم النادى الذى سيتولى هذه المهمة السامية فنسأل الله التوفيق.

(الخرطوم — السودان) مهدى موسى



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 541

Lundi - 15 - 11 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٥٤١ « القاهرة في يوم الإثنين ١٧ ذو القعدة سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

في الشـــعر العربي

للأستاذ عباس محمود العقاد

في العدد الماضي من الرسالة كلام عن « الشعر المرسل وشعرائنا الذين حاولوه » للأستاذ دريني خشبة يقول فيه بعد الإشارة إلى بعض الأدباء والشعراء : « . . . لست أدري أي الرائدين فكر لأول مرة في موضوع الشعر المرسل في مصر خاصة وفي العالم العربي عامة ، أهو الأستاذ الشاعر عبد الرحمن شكري أم الأستاذ الشاعر محمد فريد أبو حديد . . . »

والذي نذكره على التحقيق أن الابتداء بالشعر المرسل في العصر الحديث محصور في ثلاثة من الشعراء لا يعدوهم إلى آخر ، وهم السيد توفيق البكري ، وجميل صدقي الزهاوي ، وعبد الرحمن شكري .

ولكنني لا أذكر على التحقيق من منهم البادئ الأول قبل زميليه . ولعلي لا أخالف الحقيقة حين أرجح أن البادئ الأول منهم هو السيد توفيق البكري في قصيدته « ذات القوافي » ، ثم تلاه الزهاوي في قصيدة نشرت بالمؤيد ، فعبد الرحمن شكري في قصائد شتى نشرت بالجريدة وجمعت بعد ذلك في دواوينه

وكانت مشكلة القافية في الشعر العربي على أشدها قبل ثلاثين سنة ، ولم تكن هذه المشكلة قد عرفت قط في العصر الحديث

الفهـــرس

صفحة		
٩٠١	في الشعر العربي	الأستاذ عباس محمود العقاد . .
٩٠٤	« قادة الفكر » لطه حسين	الدكتور زكي مبارك ...
٩٠٦	الشعر المرسل : دراسات الأستاذ أبي حديد وملحمته	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٩١٠	الشعر الأوربي	الدكتور محمد مندور .. ...
٩١٢	الفاكهة المحرمة	الأستاذ سيد قطب .. ...
٩١٤	الأميرة دكليف	الأستاذ صلاح الدين المنجد ..
٩١٦	الاسلام والفنون الجميلة ...	الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق
٩١٨	إلى الأستاذ (ا . عكاوي)	الأستاذ محمد عرفة ... ...
٩١٨	فهارس مبوبة لآيات القرآن الكريم	الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٩١٩	استدراك	... .
٩١٩	شعراؤنا والناقد العبقري ...	... ...
٩١٩	تصويب	... ...

قبل استفاضة العلم بالآداب الأوربية واطلاع الشعراء على القصائد المطولة التي تصعب ترجمتها في قصيدة في قافية واحدة ، كما يصعب النظم في معناها مع وحدة البحر والقافية

وكان زميلنا الأستاذ عبد الرحمن شكرى يعالج حلها بإهمال القافية ونظم القصائد المطولة من بحر واحد وقوافي شتى

وكنت وزميلي الأستاذ المازنى نشايعه بالرأى ولا نستطيب إهمال القافية بالأذن . فنظمت القصائد الكثار من شتى القوافى ثم طويتها ولم أنشر بيتاً واحداً منها ، لأننى لم أكن أستسيغها ولا أطيق تلاوتها بصوت مسموع ، وإن قلت النفرة منها وهى تقرأ صامتة على القرطاس

إلا أننا كنا نفسح الفرصة لهذه التجربة على أن تكون النفرة منها عارضة لقلة الألفة وطول العهد بسماع القافية

وقد أعربت عن هذا الرأى في مقدمتى للجزء الثانى من ديوان زميلنا المازنى ، فقلت :

« . . . رأى القراء بالأمس في ديوان شكرى مثالا من القوافى المرسلة والمزدوجة والمتقابلة ، وهم يقرأون اليوم في ديوان المازنى مثالا من القافيتين المزدوجة والمتقابلة ، ولا نقول إن هذا هو غاية المنظور من وراء تعديل الأوزان والقوافى وتنقيحها ، ولكنا نعده بمثابة تهيىء المكان لاستقبال المذهب الجديد ، إذ ليس بين الشعر العربي وبين التفرع والنماء إلا هذا الحائل ، فإذا اتسعت القوافى لشتى المعانى والمقاصد ، وانفرج مجال القول بزغت المواهب الشعرية على اختلافها ، ورأينا بيننا شعراء الرواية وشعراء الوصف وشعراء التمثيل ، ثم لا تطول نفرة الآذان من هذه القوافى لا سيا في الشعر الذى يناجي الروح والخيال أكثر مما يخاطب الحس والآذان ، فتألفها بعد حين وتجتزىء بموسيقيه الوزن عن موسيقية القافية الواحدة

« وما كانت العرب تنكر القافية المرسلة كما نتوهم ، فقد كان شعراؤهم يتساهلون في التزام القافية كما في قول الشاعر :

ألاهل ترى إن لم تكن أم مالك ... بملك يدى إن الكفاء قليل
رأى من رفيقيه جفاء وغلظة ... إذا قام يبتاع القلوص ذميم
فقال أقلا واتركا الرحل إننى ... بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشرى رحله قال قائل ... لمن جمل رخو الملاط نجيب »

إلى آخر الشواهد التي أتيت بها في تلك المقدمة

وكنت أحسب يوم كتبت هذه المقدمة أن المهلة لا تطول إلا ريثما تنتشر القصائد المرسلة في الصحف والدواوين حتى تسوغ في الآذان كما تسوغ القصائد المقفاة ، وإنها مهلة سنوات عشر أو عشرين سنة على الأكثر ثم نستغنى عن القافية حيث نريد الاستغناء عنها في الملاحم والمطولات أو في المعانى الروحية التي لا تتوقف على الإيقاع

ولكنى أرانى اليوم وقد انقضت ثلاثون سنة على كتابة تلك المقدمة ولا يزال اختلاف القافية بين البيت والبيت يقبض سمعى عن الاسترسال في متعة السماع ، ويفقدنى لذة القراءة الشعرية والقراءة النثرية على السواء . لأن القصيدة المرسلة عندى لا تطربنا بالموسيقية الشعرية ولا تطربنا بالبلاغة المنثورة التي نتابعها ونحن ساهون عن القافية غير مترقبين لها من موقع إلى موقع ومن وقفة إلى وقفة

والظاهر أن سليقة الشعر العربى تنفر من إلغاء القافية كل الإلغاء حتى في الأبيات التي تحررت منها بعض التحرر

فالأبيات الأربعة التي أتينا بها آنفاً قد اختلف فيها حرف الروى بين اللام والميم والراء والباء ، ولكن الحركة لم تختلف بين جميع الأبيات ، بل لزمت الضم فيها جميعاً وهى حركة تشبه الحرف في الأذن وإن لم تشبهه في أحكام العروضيين والنحاة

والأمر كما نحسه في حكم الأذن يتفاوت بين مراتب ثلاث من الألفة والارتياح إلى السماع

فالقافية تطرب حين تأتى في مكانها المتوقع

وإهمال القافية يصدم السمع بخلاف ما ينتظر حين يفاجأ بالنغمة التي تشذ عن النغمة السابقة

والمرتبة التي تتوسط بينهما هى التي لا تطرب ولا تصدم ، بل تلاقى السمع بين بين لا إلى التشوق ولا إلى النفور

فانتظام القافية متعة موسيقية تخف إليها الآذان

وانقطاع القافية بين بيت وبيت شذوذ يحيد بالسمع عن طريقه الذى اطرد عليه ويلوى به ليا يقبضه ويؤذيه

إنما التوسط بين المتعة والإيذاء هو ملاحظة القافية في مقطوعة بعد مقطوعة تتألف من جملة أبيات على استواء في الوزن والعدد ، أو هو ملاحظة الازدواج والتسميط وما إليهما من النغمات التي تتطلبها الآذان في مواقعها ، ولو بعد فجوة وانقطاع

وربما زاد هذا التصرف فى متعتنا الموسيقية بالقافية ولم ينقص منها إلى حد التوسط بين الطرب والإيذاء

فالأذن تمل النغمة الواحدة حين تتكرر عليها عشرات المرات فى قصيدة واحدة . فإذا تجددت القافية على نمط منسوق ذهبت بالملل من التكرار ونشطت بالسمع إلى الإصغاء الطويل، ولو تمادى عدد الأبيات إلى المئات والألوف

لهذا لا نحسب أن السنين التى مضت منذ ابتداء التفكير فى الشعر المرسل قد مضت على غير طائل

لأننا عرفنا فى هذه الفترة ما نسيغ وما لا نسيغ ، فعدل الشعراء عن تجربة الشعر المرسل الذى تختلف قافيته فى كل بيت وجربوا التزام القافية فى المقطوعات المتساوية أو فى القصائد المزدوجة والمسمطة وما إليها ؛ فإذا هى سائغة وافية بالغرض الذى نقصد إليه من التفكير فى الشعر المرسل ، لأنها تحفظ الموسيقية وتعين الشاعر على توسيع المعنى والانتقال بالموضوع حيث يشاء

ومن ثم يصح أن يقال إن مشكلة القافية فى الشعر العربى قد حلت على الوجه الأمثل ولم تبق لنا من حاجة إلى إطلاقها بعد هذا الإطلاق الذى جربناه وألفناه

ففى وسع الشاعر اليوم أن ينظم الملحمة من مئات الأبيات فصولاً فصولاً ومقطوعات مقطوعات ، وكلما انتهى من فصل دخل فى بحر جديد يؤذن بتبديل الموضوع ، وكلما انتهى من مقطوعة بدأ فى قافية جديدة تريح الأذن من ملالة التكرار . ويمضى القارىء بين هذه الفصول والمقطوعات كأنه يمضى فى قراءة ديوان كامل لا يريبه منه اختلاف الأوزان والقوافى بل ينشط به إلى المتابعة والاطراد

وإذا كان الأوربيون يسيغون إرسال القافية على إطلاقها فليس من اللازم اللازب أن نجاريهم نحن فى توسيع ذلك على كره الطبائع والأسماع ، وبخاصة حين نستطيع الجمع بين طلبتنا من المتعة الموسيقية وطلبة الموضوعات العصرية من التوسع والإفاضة فى الحكاية والخطاب

وآية ذلك أننا نقرأ الشعر المرسل فى اللغة الأوربية ولا نفتقد القافية بين الشطرة والشطرة أقل افتقاد

وقد خيل إلينا أننا ننساها ولا نفتقدها لأننا غرباء عن اللغة وعن مزاج أهلها . فلما سألنا الأوربيين فى ذلك قالوا لنا إنهم لا يفتقدونها ويستغربون أن نلتفت إلى هذا السؤال ، لأنهم هم لا يلتفتون إليه

وسواء رجعنا بتعليل ذلك إلى وحدة القصيدة عندنا وعندهم ، أو إلى أصل الحداء فى لغتنا وأصل الغناء فى لغتهم ، أو إلى غلبة الحسية فى فطرة الساميين وغلبة الخيالية والتصور فى فطرة الغربيين ، فالحقيقة الباقية هى أننا نحن الشرقيين نلتذ شعرهم المرسل ولا نفتقد القافية فيه ، وأننا ننفر من الغاء القافية عندنا ونداريه بالتوسط المقبول بين التقييد والإطلاق . وأنهم ليتقيدون فى بعض أوزانهم الغنائية بقيود تثقل علينا نحن حتى فى الموشحات ، فليس من اللازم اللازب أن نتعمد مجاراتهم أو يتعمدوا مجاراتنا فى كل إطلاق وتقييد . ولهم دينهم ولنا دين !

عباس محمود العقاد



— انا اعرف واحد بيكسب الف فى المايه وللاهواسه من النار الجشعيه

— ده لازم اشترى من اراضى وزارة الأوقاف .

مسابقة الأدب العربي

قادة الفكر «لطه حسين»

للدكتور زكي مبارك

تمهيد

كتاب «قادة الفكر» هو في الأصل بحثٌ وجيز كتبه الدكتور طه بك حسين ليكون هدية لقراء مجلة الهلال، يوم كان لمجلة الهلال هدايا سنوية. والمؤلف يعتذر في ختام كتابه بأنه كتبه في ظروف متنوّعة الألوان، فلم يكن في جميع تلك الظروف مطمئن النفس فارغ البال. ومعنى ذلك أنه يرى محصول الكتاب دون ما يريد، ولهذا اعتذر بعبارات حزينة تثير الإشفاق

ونحن ننوب عن الدكتور طه في تقديم هذا البحث الوجيز، فنقول إنه تحفة أدبية وعقلية، وإنه يشهد بقدرته على تلخيص ما يقرأ من جيد التصانيف. وكلمة «تلخيص» كلمة مدح في هذا المقام، لأن المؤلف لم يُرد أن يواجه المعضلات الفلسفية مواجهة الباحث المتزم أخذ الفلاسفة بنقد ما خلفوا من حقائق وأباطيل

والدكتور طه نفسه يعترف بأنه ملخص: يعترف اعتراف العلماء، فلا يدّعي أنه أجهد فكره في غير التلخيص، ولكن أي تلخيص؟ لقد قدّم للقراء صوراً سريعة متلاحقة بأسلوب سريع لا يسمح للقراء بالوقوف لحظةً من زمان

هل أبخل على المؤلف بكلمة ثناء فأشهد أني قرأت كتابه في سهرة واحدة، وأني عشت معه لحظاتٍ آمتع من لحظات الحوار الطريف بين الندماء؟

مزية الدكتور طه أنه يكتب كما يتحدث، وأنه ينقل إلى قرائه ما استقرّ في نفسه بلا تكلف ولا افتعال

لم يبتكر الدكتور طه كتابه هذا، إذا أردنا من الابتكار معناه المطلق، فلكتابه نظائر في الأدب الأوربي، وإنما ابتكره في الأدب العربي، فهو أول كتاب لخص آراء الباحثين في طوائف من قادة الفكر الذين سيطروا على العالم القديم والعالم الحديث

وتكاد تكذّب الدكتور طه حين يقول إنه يلخص، لأنه يفترع الأبحاث بقوة توهمك أنه المفترع الأول، وأن كتابه سيكون المصدر لمن يتحدثون عن هوميروس أو سقراط أو أفلاطون

وهذا كلامٌ أقوله لمنفعة قرائي، وأنا أحب لهم ما أحب لنفسي، ولو كان هذا الكتاب ضعيفاً لأخذت بخناق الدكتور طه بدون ترفق، لأني لا أجامل أحداً على حساب الفكر والبيان

آفة الإخلاص في التلخيص

التلخيص مطلوب، ولكنه لا يخلو من آفات، لأنه يصد المؤلف عن تعقب من ينقل عنهم نقل الواثق بأنهم على هدى في جميع الأقوال

وقد وثق الدكتور طه بمن نقل عنهم فلم يجادلهم في رأي من الآراء

وتوضيح هذه المؤاخذة أن الدكتور طهساير الباحثين الأوربيين في القول بأن الثقافة اليونانية هي مصدر الثقافة الإنسانية، وأن الناس في الشرق والغرب، وفي جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان

والحق أن للدكتور طه عذراً في هذه المسايرة، فقد قرأ كتباً ترى هذا الرأي، ولو أنه تريث لعرف أن هنالك كتباً أجدر من تلك الكتب بالتلخيص، وهي الكتب التي ترى أن المعارف اليونانية منقولة عن المعارف المصرية، وأن فلاسفة اليونان القدماء لم يكونوا إلا تلاميذ لفلاسفة مصر القدماء

وأنا لا أسوق هذه المؤاخذة تعصباً لبلادي، فاليونانيون أنفسهم يعترفون بأنهم تلاميذ المصريين، وكانت زيارة مصر واجبة على كل يوناني يريد التفقه في درس أسرار الوجود

أستاذية مصر الفرعونية لليونان الوثنية ليست أسطورة من الأساطير، وإنما هي حقيقة من الحقائق. وإن أراد الدكتور طه أن يساجلني فأنا حاضرٌ للسجال، ومن العقل الذي ثقّفه الدكتور طه يوم كان أستاذي بالجامعة المصرية

هدية نفيسة

كان من المألوف بيني وبين الدكتور طه أن نتقارض الهدايا العلمية والأدبية، قبل أن تدور الدسائس بيني وبين هذا الأستاذ الجليل، وأنا أريد اليوم أن أقدم إليه هدية أرجو أن يتقبلها مني

قال في كتابه «مستقبل الثقافة»: إن عقلية مصر عقلية يونانية، وإنه لا بد من أن تعود مصر إلى احتضان فلسفة اليونان،

وأقول إن الأفضل أن يعترف الدكتور طه بأن الفلسفة اليونانية منقولة عن الفلسفة المصرية، وإذن يكون تقبّل مصر لفلسفة اليونان ترحيباً بآراء مصرية رجعت إلى أهلها بعد طول الشتات

طفولة الإنسانية

أفى الحق أن العقل الإنسانى لم ينضج إلا فى القرن الرابع قبل المسيح ؟ هذا سؤال لم يخطر للدكتور طه فى بال

العقل الإنسانى نضج ونضج قبل الوثنية اليونانية بأزمان وأزمان ، وكان مصدر نضجه فى مصر التى سبقت اليونان بأجيال وأجيال

وأقول مرة ثانية إنى لا أتعصب لبلادى ، فليقل من يعرف أكثر مما أعرف إن مصر سُبقت إلى إذاعة الفكر والعقل عند القدماء ، على شرط أن يقدم البراهين

أنا لا أوجب نظرياً أن تكون مصر أول أمة رفعت أعلام الحضارة الإنسانية ، فن المحتمل أن تكون سُبقت بأمم سكتَ عنها التاريخ ، ولكن التاريخ المكتوب يحدثنا أن مصر أول أمة رفعت أعلام الحضارة الإنسانية ، فما الذى يمنع من أن يتلطف الدكتور طه فيقول كما تقول الوثائق بأن مصر سبقت اليونان إلى رفع قواعد المدنية فى أقدم عهود التاريخ .

أنا لا أبتكر وإنما ألخص ما قرأت ، بدون أن أزعم أنى أقدر من الدكتور طه على التلخيص ، وإن كان من حق أن أزعم أنى قرأت أكثر مما قرأ فى تاريخ تلك العهود

اليونانيون تلاميذ المصريين ، والبلاد المصرية فى جميع الأزمنة أخصب من البلاد اليونانية ، بدليل أن مصر كانت الملاذ لليونان فى الفكر والمعاش ، ولم يثبت يوماً أن مصر احتاجت إلى الاستظلال بظلال اليونان

والتاريخ القديم يؤيده التاريخ الحديث

لم تستطع اليونان بعد ظهور الإسلام أن تكون أمة تسيطر على الشرق أو الغرب ، وهى قد جهلت تاريخها القديم وجهلت مبادئ فلاسفتها القدماء ، وجهلت أيضاً لغة سقراط ، فجدها رهين بتعصب أنصارها من الأوربيين

أما مصر فقد وقفت وقفة أبية فى رد الحروب الصليبية ، وذلك موقف لن ينساه التاريخ

معذرة يا أستاذى ، فقد بدا لى أن أرد إليك بعض ما أسديت إلىّ من جميل

بين الإيجاز والإطناب

أطنب الدكتور طه حين تحدث عن قادة الفكر فى العصر اليونانى ، ثم أوجز إيجازاً مخلاً حين تحدث عن قادة الفكر فى العصر الإسلامى ، فهل يرى أن الصراع الفكرى فى عهود الوثنية كان أقوى من الصراع الفكرى فى العهود التى احتدم فيها النضال بين الإسلام والنصرانية ؟

يرجع السبب فى الإيجاز والإطناب إلى الكتب التى كانت بين يديه وهو يؤلف كتابه اللطيف ، وأهمها كتاب ليون روبان فى تاريخ الفكر اليونانى

ولو كانت الأقدار قضت بأن يظهر كتاب يؤرخ الفكر العربى لكان من المؤكد أن يصول الدكتور طه صولة القادر على شرح ما قام به العرب فى رفع القواعد من الحضارة الإنسانية

لقد قرر أن الإسكندر غرس الفكر اليونانى فى الهند ، مع أن الإسكندر لم يلم بالهند إلا إلمامة الطيف ، فما عساه يقول لو تذكر أن الفكر العربى تغلغل فى أرجاء الهند ، وما زال يتغلغل بفضل المذاهب الإسلامية ؟

أهم فصول الكتاب

الفصل المكتوب عن هوميروس خفيف الوزن ، ويقرب منه الفصل المكتوب عن سقراط ، ثم تجلت قدرة المؤلف على البيان حين تحدث عن أفلاطون وأرسطاليس ، وسيُسأل الطلبة حتماً عن هذين العبقريين ، لأنهما المذهبان الأصيلان للفلسفة اليونانية

أما الفصل المكتوب عن الإسكندر فهو غرة الكتاب ، ولعله من أجمل ما كتب الدكتور طه حسين . وأهمية هذا الفصل ترجع إلى براعة المؤلف فى تصوير قدرة الفلسفة حين تنتقل إلى الميادين العملية ، وكذلك يقال فى الفصل الخاص بجبروت يوليوس قيصر ، وما استطاع أن يصنع فى إيقاظ الرومان

والفصل الخاص بالعصر الحديث موجز جداً ، ولكنه جيد ، ففيه لمحات فكرية على جانب من الجمال

أما بعد فكتاب « قادة الفكر » أوضح من أن يحتاج إلى توضيح ، وأنا أوصى الطلبة بأن يقرأوه مرات ، لأن محصوله مبدد غاية التبديد ، ولا يمكن إدراك مرامى المؤلف إلا بعد طول النظر فيما بعثر من المعانى هنا وهناك

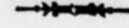
وأنا حاضر لشرح ما يستغلق على الطلبة الذين يختارون هذا الكتاب للامتحان الشفوى .

زكى مبارك

٤ - الشعر المرســـل

دراسات الأستاذ أبي حديد وملحمة

للأستــاذ دريني خشبة



وقبل أن أعرض على القراء الأفاضل ، وأصدقائي الشعراء منهم خاصة ، نماذج مما نظم روّادنا الأوائل في الشعر المرسل ، وفي مقدمتهم الثائر الأول الأستاذ محمد فريد أبو حديد ، ثم الأساتذة : علي أحمد با كثير ، وأحمد فريد أبو شادي ، وخليل شيبوب ، ومن عسينا أن نعرض لهم من شعرائنا فيما بعد ... قبل أن أعرض هذه النماذج أرجو أن أذكر القراء والشعراء على السواء أن الشعر المرسل لا يستعمل إلا في الروايات التمثيلية والملاحم والقصص الطويلة بأنواعها ، وأرجو أن أذكرهم أنهم حينما يتفضلون بقراءته فواجب ألا يقفوا عند آخر البيت أو السطر يتلمسون الفقيد العزيز الذي ضُحِّي به في هذا الشعر ... هذا الفقيد الذي ما اخترع الشعر المرسل إلا للتخلص من شره .. هذا الفقيد هو القافية .

يجب ألا يقف القراء عند آخر كل سطر يتلمسون هذا الفقيد الذي يحسن ألا يعز عليهم مغيبه ، بل يجب أن يقرأوا هذا الشعر المرسل على أنه كلام موزون لا ينتهي عند آخر البيت أو السطر ، ولكنه ينتهي عند ما ينتهي الغرض من الكلام أو الغرض من الحوار ... فالكلام جارٍ Running ما جرى الحوار ولا يقف إلا عند نهاية المنظر ، وليس يقف أجزاء أجزاء عند القافية كما هي الحال في الشعر الغنائي

وقد اتخذ الأستاذ أبو حديد - الشطر - وحدة له في شعره المرسل ، وكذلك الأستاذ با كثير ؛ أما الأستاذ أبو شادي فقد جعل البيت كله وحدته في أكثر ما نظم ، ولذلك يضطر قارئ شعره إلى الوقوف آخر كل بيت ، وعند ذلك يشعر القارئ أنه يبحث عن الفقيد العزيز أو غير العزيز ، وهو القافية ، وعند ذلك أيضاً يشعر القارئ بخيبة أمل شديدة لاختلال الموسيقا واضطرابها ... أما الأستاذ شيبوب فقد سلك طريق الشعر الحر ، وذلك بعدم الارتباط بعدد التفعيلات في كل سطر ، لكنه بالغ في تعدد البحور مبالغة شديدة ، وفي ذلك من التنافر ما فيه ، مما سوف نعرض له في فرصة أخرى إن شاء الله

مقتل سيدنا عثمان

ذكرنا في الكلمة السابقة أن الأستاذ أبا حديد نظم هذه الدرامة سنة ١٩١٨ وأنها لذلك أول أثر عربي كبير كامل في الأدب العربي - أو الأدب المصري - بالشعر المرسل ، وأنها لهذا السبب جديرة بالدراسة وجديرة بحسن الالتفات . وموضوع الدرامة يتناول تلك المأساة الباكية التي يدمى لها فؤاد كل مسلم ... المأساة التي غيرت وجه الإسلام وذهبت بحرية الشورى التي بشر بها محمد ... المأساة التي قسمت المعسكر الإسلامي وشقت وحدة المسلمين ، وجعلت من أعظم صحابة أعظم نبي فرقاً ممزقة ، ولبستهم شيعاً وأحزاباً ، وأذاقت بعضهم بأس بعض ... فأغمد المسلم سيفه في صدر أخيه المسلم ، وانتهى الأمر بأن أصبحت إمارة المؤمنين ملكاً عضوضاً وعهداً مفروضاً لا رأى فيه لأحد إلا ما تنتزعه القوة من بيعة تفرضها السيوف المُصْلتة ، ويرفضها الدين المختنق ، وتأباها الضمائر المكبوتة ، ولا تباركها السماء

ويبدأ الفصل الأول من المأساة بحوار بين جماعة من المسلمين الحانقين على سياسة عثمان - رضي الله عنه وغفر له - يشكون مما وصلت إليه الحال من استعمال أمير المؤمنين أهله وأقاربه على الولايات ، وعزله عمال عمر وأبي بكر ، ثم نزوله عن خمس مغانم الحرب لبعض الأفراد من بني أمية ، نزولاً قال عنه عثمان إنه بيع وليس نزولاً ... ثم يقبل مروان بن الحكم - هذا الداهية المسلط على عثمان - مع الشاعر عدي الأموي ، فيدور بينهما حوار يغريه فيه مروان بإثارة العصبية القَبَلية الجاهلية التي محقها الإسلام وعفّى على آثارها ، ويمنيه مروان الأماني ، فيعده عدي خيراً وينطلق ، ويقول مروان :

أصبح الناس يداً واحـــدةً
كلهم يرمى إلى قلب أميـــةْ
إن للحاسد قلباً قلقاً
لا يرى الراحة ما دام يرى

أتراً للخير في كف سواه
ما يودون ؟ أكنا همـــلا
ثم أصبحنا مراةً في قريش ؟
فلئن بات لنا الأمر فقـــد
كان فينا مثله في الجاهلية
إنمـا يسمون فينا عبثـــاً
وسيبقى مجدنا ما دام سيف

ثم يقدم خادم فيعطيه مروان بدرة من المال لينطلق بها إلى الشاعر عدى كي يمدح بني أمية في (نادي أسد) ، ثم يقدم عثمان في بعض أصحابه ومنهم علي والزبير فيدور حوار نعرف منه أن علياً خبير بمـا كان يدبره مروان بن الحكم من حصر السلطة في أيدي الأمويين مستعيناً على ذلك « بسلامة نية ! » عثمان ، ويزجي على النصح لعثمان ، وينهى إليه خبر الشكاوى التي جأرت بها بعض الوفود القادمة من أطراف الإمبراطورية الإسلامية الناشئة فيعد عثمان بتدارك الحال ، وينطلق على والصحابة ويخلو مروان إلى نفسه فيبدي حنقه على إصغاء عثمان لعلى ... ثم يأتي البشير بالفتح وقرب وصول خمس المغانم ، ثم يلي هذا حوار بين نفر من الناقين على مروان وعلى وعثمان وعلى الأمويين أجمعين ، وفي الحوار غمز شديد لاستسلام عثمان لمروان

وفي الفصل الثاني يحاول مروان إيغار صدر عثمان على علي والزبير وعبد الرحمن بن عوف لما رأى من إقبال الشاكين من عمال عثمان الأمويين عليهم وتدخل علي والزبير وابن عوف عند عثمان فيما زعم مروان أنه لا شأن لهم فيه ، وتؤثر وقيعة مروان في نفس عثمان ، فهو يقول بعد ذهاب مروان :

إن في القول لحقاً ظاهراً
كان من قبلي على الناس عُمَر
فتولاهم بعنف ، ورضـــوا
مثلمـا يسلس للحادي البعير
ولقـد كنا نرى الرأى فلا
نحمل القول على غير المشوره
وأرى قومي مضوا في غير هذا
فيسير النـاس بالشكوى إليهم
فيجيئون بشكوى وبلوم

ولعمرى إن من لان تدنى

ثم نصل جماعة من مصر تشكو عبد الله بن أبي السرح ومعهم علي بن أبي طالب الذي يظهر تبرمه لمـا ساد النواحي من ظلم عمال عثمان من بني قرابته ، ويثور عثمان على علي الذي يشتد في نقده له :

كل يوم وافد من ناحيـــه
فبمصر أفسد الظلم البـلاد
وعلى الشـام أمـير تكليفه
ويضج الناس من حكم العراق
وهنا دب الهوى وسط المدينه

فيقول عثمان :

ما الذي أسمع ؟ هل كنت ترى
لك هـــذا الحق أيام عمر ؟

فيقول علي :

أي حق ؟ أتظن النصح حقاً ؟
ما الذي أجنيــه إلا نصبا
إنمـا أقصد خـيراً ، فإذا
كنت تأباه فلن أذكر شيئاً

فيضعف عثمان ويغلب عليه عامل الخير والوفاء والإيمان فيقول :

ليس قصدى كل ما هم بنفسك الخ

فيقول علي قولة الحق الذي لا يبالي :

أنت قد أصبحت في بيت أميه
مثلما كان ملوك الجاهليـــه
أفلا تبصر ما كان عمر ؟
إنه ما كان يرضى درهما
يتولاه نسيب فوق حقـــه
ولقـد أفسحت آمالاً كباراً
لبني جـدك رغم المسلمين
أترى هذا صلاحاً للخلافة ؟

فيقول عثمان :

ذاك رأيي ، ولـكل ما يرى

فيقول علي غاضباً :

إنني لولا حفـاظي لقطعتك

ستراني باعداً عن كل أمرك

ثم يخرج ثائراً فيقول عثمان حزيناً :

ساءه ما قلت — والله لقد
هاجني ما قال مروان بشأنه
قبح الله حياة الطامعين الخ ...

وفى الفصل الثالث تجتمع فرق من الساخطين من كل صقع فيعزمون أمرهم على الشكوى لعبد الرحمن بن عوف ، فإذا خرج أكثرهم دخل عثمان ومروان ، ويسأل عثمان عن على ثم يخبره أحد الحاضرين عما تم بنادى أسد من تفاخر كتفاخر الجاهلية وما انتهى إليه هذا التفاخر من إحياء العصبية الجاهلية التى أراد مروان بإحيائها التفاخر الكاذب بأمجاد الأمويين قبل الإسلام وسعر تأخرهم فى اعتناق الدين الجديد . وينصرف عثمان لزيارة على ... ويقبل عبد الرحمن بن عوف فى جماعة من المتذمرين الذين يذكرون له أنه كان السبب فى اختيار عثمان للخلافة برغم الإجماع على اختيار على ، فيهدئهم حتى يقبل عثمان ومعه مروان أيضاً فيلاحيه ابن عوف ، فإذا سأله عثمان أجاب أنه لا يذكر شيئاً حتى تنصرف الجماعة . فإذا انصرفت بقى مروان كالذى لصق بالأرض فيأمره عثمان فينصرف متلكئاً وبعد أن يراوغ ، ثم يقول ابن عوف لعثمان مثل الذى قال له على من الانحراف إلى بنى أمية ، ويشتد الصاحبان ، ثم ينصرف ابن عوف غضبان آسفاً ... ويتألم عثمان بل يحزن لانصراف صاحبه على هذا الوجه

وفى الفصل الرابع يكون عثمان ومروان فى مسجد النبي بالمدينة ، ويشير عليه مروان باتخاذ الحيطة واستدعاء بعض الأجناد — أجناد بنى أمية — من الشام ليكونوا له عدة ضد الثائرين — فيرفض عثمان — ثم يصل وفد كبير من مصر يشكو ، فيصرفه عثمان بعد أن يعده خيراً ، فإذا خرج عثمان لحاجة له عند سعد قال مروان :

رب هل هذا أمير الأمم ؟
لا ! فما للأمر إلا رجل
شائك الحد شديد الساعد
إن عثمان ملاك زاهد
يصلح الأمر له لو أنه
حاكم فى أمة من زاهدين
غير أن الناس ما زالوا أناسا
إنه لو ضاع عثمان فلا
يرجع الأمر لنا من بعده
وجب الآن علينا أن نرى
كيف نبقى الأمر فى قبضتنا

ويهم بالخروج فيسمع لغطاً وضوضاء ، وإذا عثمان يرتد ويذكر لمروان أن الثائرين أخذوا عليه الطرقات هاتفين متصايحين . ثم يدخل على فجأة فيفرح به عثمان ويوسطه فى إرضاء الأحزاب على أن يصلح من الأمر كل ما فسد ويتدارك كل ما يشكون منه

وفى الفصل الأخير تتم المأساة . فذان هما الحسن والحسين ابنا على يذودان عن دار عثمان بسيفهما ، وذلك وفد يجادل عثمان فى أمر خطاب زائف ضبطه الثوار مع رسول الخليفة بأمر والى مصر بقتل رؤوس الثائرين وعلى الخطاب خاتم عثمان ... لكن عثمان ينكر الخطاب ويخبرهم أنه إنما أمر بعكس هذا ، فإذا أقنعه رجال الوفد بأن هذا المنكر من صنع مروان وأنه لا بد من تسليمه إليهم رفض أمير المؤمنين رفقاً بمروان الذى لم يكن يستأهل ذرة من هذا الرفق ـ ثم هذا مروان يشير على الخليفة باستعمال الأناة والمكر حتى يقدم جيش الأمويين من الشام فيقضى به على جميع الثائرين فيرفض عثمان أن يقتتل المسلمون فى عهده . ثم هذا نبل يسقط قريباً من عثمان فلا ينخلع قلبه . ثم هذا محمد بن أبى بكر صديق الرسول يقبل وقد قبض على سيفه يريد قتل عثمان ، فإذا أخذ بلحية الأمير الشيخ ناقماً مستهزئاً ذكره عثمان بمقامه من أبيه أبى بكر فيرتعد فؤاد محمد ، ثم يولي هارباً . ثم يدخل متآمر ثان فيهم بقتل عثمان وتدخل نائلة (زوج عثمان) فتحاول الدفاع عن أمير المؤمنين فيأمرها أن تكف ، ثم يرفع كتاب الله ... القرآن الكريم ... فى وجه الثائر ويقول له :

إن عندى شاهداً لا يكذبُ
أترى هذا الكتاب ؟ !

فترتعد فرائص الرجل ويولى الأدبار . . . ثم يدخل متآمر ثالث قائلاً :

لن أضيع الوقت فى قول طويل
خوف أن تسحر قلبى بحديثك

ثم يهوى بسيفه فيتلقاه عثمان بيده فيقطعها ، ثم يهوى عليه فيقتله غير حافل بدفاع نائلة . . . ثم يحاول قطع رأسه فتدفعه نائلة ، فيمضى لشأنه ، وتقف نائلة تبكى زوجها وترثى أمير المؤمنين

***

هذه هى مأساة عثمان صفى رسول الله الذى جاهد فى الله بماله وجاهه وروحه ويده . . . اختارها أبو حديد الشاب سنة ١٩١٨ ليفتتح بها ثورته على تقاليد ألفين من السنين ... أو عشرين قرناً من السُّنن العتيقة التى فرضتها علينا القوافى العربية الصارمة . فهل وفق أبو حديد فى هذه المحاولة ؟

لقد اختار أن ينظم من (الرَّمَل) : فاعلاتن فاعلاتن فاعلن — وهى التفعيلات السائدة فى الشطر الأول لهذا البحر ، ثم هو لم يستغن عن تفعيلات الشطر الثانى (العَجُز) ، فكان يأتى في مكان فاعلن الأخيرة بكل التفعيلات التى يبيحها عروض هذا البحر ، فهو يستعمل فاعلاتن وفاعلان وغيرها مما لا يتنافر وموسيقا الرمل السهلة اللينة التى تيسر للناظم عمله فى غير التواء ولا تعقيد . وسنرى عند عرض درامتيه الأخريين ، ميسون — وخسرو وشيرين — أنه ترك هذا البحر ونظم من (الخفيف) = فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن : وسنرى كذلك إلى أى حد وفق فى استبدال هذا البحر بذاك . على أننا نتساءل ما الذى منع أبا حديد من أن يُلوِّن فى استعمال البحور العربية الأخرى . لماذا لم يستعمل المتقارب الموسيقى الجميل ، ولماذا لم يجرب الطويل السهل الذى هو أقرب البحور إلى النثر مع امتيازه بطول النفس ؛ ولماذا غض من قيمة الوافر والكامل والبسيط والسريع وغيرها من بحور عروضنا الغنية الموسيقية ذات الطنين وذات الرنين .

إن الشعر المرسل فى حاجة ماسة إلى ما يعوضه عن القافية موسيقا بموسيقا ، وأنغاماً بأنغام

للأستاذ رأيه على كل حال ، وإن كنت أوثر ألا يقطع شاعر فى بحر برأى حتى يجرب النظم منه ، لا مرة واحدة ، ولكن مرات متعددات ، أما أن نقطع بأن هذا البحر خير من ذاك لأغراض الشعر المرسل دون أن نجرى من التجارب ما يؤيد ما ذهبنا إليه فتصرف قد يضيع على الأدب المصرى كثيراً من جهود المجاهدين . ولقد ذكرنا فى الفصل الأول من فصول الشعر المرسل أن الشعراء الإيطاليين والشعراء الإنجليز قد انتهوا من تجاربهم على أن البحر الأيامبى Iambic Metre ذى المقاطع العشرة هو أسلس البحور للنظم المرسل ، فهلا أجرينا نحن أيضاً تجاربنا على بحورنا كلها لنكتشف أفضلها لهذا الغرض ؟

وبعد ، فهل تصلح مأساة سيدنا عثمان لمسرحنا المصرى ؟ وهل لا نزال نشفق من إظهار شخصياتنا الدينية ، شبه المقدسة على خشبة المسرح ؟ وهل عندنا الممثلون الصادقون الذين يصح أن نكل إليهم تمثيل هذه الشخصيات ؟ وإن صح أن لدينا الممثلين ، فمن منهم يؤدى دور سيدنا عثمان أحد العشرة الأول من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ عثمان ... هذا الرجل (الطيب !) الذى أجاد أبو حديد تصويره ، كما أجاد تصوير على . هذا الناصح الحازم الأمين ؟ ثم عبد الرحمن بن عوف ! هذا الصحابى العظيم الصريح ...

أما صلاحية المأساة لمسرحنا فأمر لا مراء فيه ، فهى حافلة بالمشاهد الجليلة التى تزلزل القلب ، والتى صورها أبو حديد ، فأحسن تصويرها ، وإن يكن قد عجل فى بعض المواقف التى كانت تقتضى الإطالة ، وأوجز حيث كان ينبغى الإطناب .

أما مظنة الإشفاق من إظهار شخصياتنا الدينية على المسرح فلم يعد هناك ما يبررها ، وما دمنا نأخذ بأن الأعمال بالنيات وأن لكل امرىء ما نوى ؛ وما دمنا ، كما ذكرت فى مناسبة سابقة ، نستثنى شخصيات الأنبياء استثناء مؤقتاً . . . ولعل الجامعة الأزهرية التى أخذت تفهم روح العصر وتستجيب للنداء الجديد الذى هو فى الأصل نداء الإسلام الحق ، أن يكون لها مسرحها الدينى فى المستقبل القريب ، فتكفينا شر الخلاف فى هذا الموضوع

أما ممثلونا ، فأنا شديد الإيمان بمقدرتهم خصوصاً إذا مثل معظمهم دور مروان بن الحكم والأدوار الأموية !!... على أن لدينا من المخرجين المثقفين الذين أشربوا الروح الإسلامى ما يضمن لنا خلق الملائكة من أولئك الشياطين !

بقيت كلمات عن لغة المأساة ، وعن مطابقة وقائعها لما انتهى إليه المحققون من مؤرخى التاريخ الإسلامى ، وعن الروح التى أملت على المؤلف اختيار هذا الموضوع بالذات

فأما لغة المأساة فمتوسطة ؛ ولئن يضير أبا حديد الشاب الذى نظمها سنة ١٩١٨ أن يقال هذا فى لغة مأساته . وسنقول إنه كتب خسرو وشيرين بأسلوب أحسن سنة ١٩٣٣

أوزان الشعر

٢ ـ الشعر الأوربى

للدكتور محمد مندور

الشعر الإنجليزى

نأخذ لهذا النوع بيتاً من الشعر الإنجليزى وليكن مطلع « مرثية فى مقبرة بالريف » لتوماس جراى .

the curfew tolls the knell of parting day (١)

نجده مكوناً من ست تفاعيل إيامبية وكل تفعيل مكون من مقطع غير مرتكز عليه ومقطع آخر مرتكز عليه . وإليك وزنه مع رمزنا للارتكاز بالعلامة (ـ) وترك غير المرتكز عليه بدون علامة :

the cùr-few tòlls - the knèll - of pàr-ting dày (٢)

وما على القارئ الذى يريد أن يحس بوزن البيت إلا أن يقرأه مع المرور بخفة على المقطع الغير المرتكز عليه والضغط على المقطع الذى يحمل الارتكاز

(١) ترجمته : « دق ناقوس المساء ينعى النهار المدبر »

(٢) الانجليز يضمون حرف ٢ إلى ١ وأل ٤ فى المقطعين الثالث والسادس ولكننا جارينا التقسيم العلمى

ويسرنا أن نقرر مع هذا أنه لا يوجد فى أسلوب أبى حديد الشاب إسفاف قط

وأما مطابقة وقائعها للحقائق التاريخية فقد حاك فى نفسى شىء من ذلك ، ولو أننى أكتب فى غير موضوع الشعر المرسل لخضت فى هذا الحديث . وقد يكون فى كلامى على هذا النحو شىء من التشكيك أظلم به المؤلف ... ولكن . ليطمئن ... فلم ينته المؤرخون فى أمر عثمان وعلى ومعاوية بشىء ، ولا يزالون مختلفين ...

أما الروح التى أملت المأساة ، فهى من غير شك نفر الشباب المصرى المؤمن المسلم الحديث ... الشباب الذى يؤمن بأن مأساة عثمان هى مأساة العالم الإسلامى كله .

(يتبع) دريني خشبة

ومن البين أن ما يميز هذه المقاطع بعضها عن بعض ليس كمها كما قال الأستاذ خشبة بل الضغط الواقع على بعضها . وأما أن هذا الضغط قد يزيد من كم المقاطع التى يقع عليها فهذه مسألة تابعة لا يمكن أن تغير من طبيعة هذا الشعر الذى يعتبر إيقاعيا قبل كل شىء . ومن الملاحظ بوجه عام أن اللغة الإنجليزية بوجه عام لغة إيقاع إذا قيست بلغة سيالة كاللغة الفرنسية .

الشعر المقطعى

هذا النوع من الشعر خاص باللغة الفرنسية ، وسبب وجوده هو ما أشرنا إليه من قبل . فاللغة الفرنسية كما هو معلوم تطور للغة اللاتينية على نحو ما تطورت لغتنا العامية عن اللغة الفصحى مع المحافظة على النسب . ولقد كانت اللغة اللاتينية كما رأينا لغة كية تتميز مقاطعها بعضها عن بعض بالطول والقصر ، ولكن اللغة الفرنسية فقدت هذه الخاصية كما فقدت الارتكاز أيضاً . فكل لفظة لاتينية كانت فى العادة تحمل ارتكازاً على المقطع السابق للأخير ، وذلك مالم يكن هذا المقطع قصيراً فإن الارتكاز يسمو فى هذه الحالة إلى المقطع الثالث من الآخر . ولكن هذا الارتكاز سقط من الفرنسية بسقوط الكثير من أواخر الكلمات اللاتينية الأصل

فقدت اللغة الفرنسية إذن الحكم والارتكاز . فعلى أى أساس يقوم إذن الشعر فيها ؟ والوقع أن موسيقى الشعر الفرنسى ليست فى جوهرها موسيقى إيقاع ولكنها موسيقى سيالة دقيقة ، ومع ذلك فالأمر فيها ليس أمر مقاطع متشابهة . كل عشرة . أو اثنى عشر أو غيرها تكون بيتاً من الشعر . بل لا بد أن يكون هناك تقسيم لهذه المقاطع فى وحدات موسيقية إيقاعية إلى حد ما . فالوزن الأسكندرى مثلاً ينقسم عند معظم الشعراء الكلاسيكيين إلى أربع وحدات كبيت راسين :

Oui, je viens | dans son temple | adorer | l'eternél (١)

وفيه نرى كل تفعيلة مكونة من ثلاثة مقاطع (حرف e فى آخر كلمة temple يحذف فى القراءة) . ولكن هذه المقاطع لا يتميز بعضها عن بعض بكم ولا ارتكاز ، وإنما يأتى الإيقاع من وجود ارتكاز شعرى على آخر مقطع من كل تفعيلة

(١) وترجمته : « نعم . لقد أتيت أعبد الرب الخالد فى معبده »

وقد رمزنا له بالعلامة (—) . وهذا الارتكاز كما قلنا ارتكاز ضغط وارتفاع معاً فى التفاعيل الثلاثة الأولى وارتكاز ضغط فقط فى التفعيل الأخير لسقوط الصوت عند الوقف

هذا هو التقسيم الثالث عند الكلاسيكيين[١] . وأما الرومانتيكيون فقد اعتزوا بالتقسيم الثلاثى ، ففكتور هيجو نفسه قد افتخر بتمزيق أوصال الوزن الكلاسيكى لهذا البحر فى بيت ثلاثى شهير هو :

J'ai disloqué | ce grand niais | d'alexandrin.[٢]

وهو مقسم كما ترى إلى ثلاث تفاعيل ، كل تفعيل أربعة مقاطع . وأما عن الإيقاع فيأتى من الارتكاز على أواخر الجمل كما ذكرنا بالنسبة للبيت السابق

هذا والتفاعيل الفرنسية ليست دائماً متساوية فى عدد مقاطعها . ولقد كتب الأستاذ الكبير جرامو Grammont كتاباً هاماً جداً بعنوان Le vers français, son harmonie et ses moyens وفيه يظهر أن التفاعيل الفرنسية وإن لم تكن متساوية فى الكتابة إلا أنه من الواجب أن نقرأها كأنها متساوية . فعدم التساوى هذا قد ساقت إليه غريزة الشعر عند الموهوبين من الشعراء عند ما أحسوا أنه لا بد من أن تسرع القراءة أو تبطئ لتترجم ترجمة صحيحة عن مشاعرهم المتباينة . وإذن فمن واجب القارئ أن يسوى بين التفاعيل فى كمها الزمنى ثم يبحث بعد ذلك عن العلة فيما اضطر إليه من إسراع أو تباطؤ

هذه هى أنواع الشعر الأوربى الثلاثة : كمى وارتكازى ومقطعى . ومن الممكن أن نستخلص منها عنصرين عامين يقوم عليهما كل شعر وهما ١ - الكم ٢ - الإيقاع

أما الكم فنقصد به هنا كم التفاعيل التى يستغرق نطقها زمناً ما . وكل أنواع الشعر لا بد أن يكون البيت فيها مقسماً إلى تلك الوحدات . وهى بعد قد تكون متساوية كالرجز عندنا مثلاً ، وقد تكون متجاوبة كالطويل حيث يساوى التفعيل الأول التفعيل الثالث والتفعيل الثانى التفعيل الرابع وهكذا

ولكن هذا الكم الذى يسمى فى الموسيقى mesure لا يكفى لكى نحس بفواصل الشعر . فلا بد من أن يضاف إليه الإيقاع المسمى rythme

ولكى نضمن تحديد الفهم نعرّف الإيقاع ؛ فهو عبارة عن رجوع ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة . فأنت إذا نقرت ثلاث نقرات ثم نقرت رابعة أقوى من الثلاثة السابقة وكررت عملك هكذا تولد الإيقاع من رجوع النقرة القوية بعد الثلاث نقرات الأولى ، وقد يتولد الإيقاع من مجرد الصمت بعد الثلاث نقرات الأولى

لا بد إذن أن تكون هناك ظاهرة صوتية متميزة تحدث فى أثناء نطق كل تفعيل وتعود إلى الحدوث فى التفعيل الذى يليه . والأمر فى الشعر الارتكازى واضح . فالارتكاز نفسه كما يميز بين المقاطع يولد كذلك الإيقاع . وأما الشعر الكمى فقد أحس القدماء بأن مجرد عودة مقطع طويل بعد مقطعين قصيرين مثلاً لا يكفى لإيضاح الإيقاع فدلونا على أن هناك ارتكازاً شعرياً يقع على مقطع طويل فى كل تفعيل ويعود فى نفس الوضع تقريباً من التفاعيل الأخرى . وكذلك الأمر فى الشعر الفرنسى فهم لم يكتفوا بتقسيم البحر الإسكندرى مثلاً إلى تفاعيل متساوية فى الكتابة والقراءة معاً أو القراءة فحسب ، بل أضافوا إليه وجود ارتكاز ضغط وشدة ، أو ضغط فقط فى آخر كل تفعيل وعودة هذا الارتكاز على مسافات زمنية محددة هو الذى يولد الإيقاع . ولكنه لما كان إيقاعاً قليل العدد خفيف الوقع ، فإن الشعر الفرنسى لا يعتبر بالنسبة للشعر الإنجليزى مثلاً شعراً إيقاعياً بل شعراً سيالاً كما قلنا

والآن أين يقع الشعر العربى من كل هذا ؟ للجواب على هذا السؤال يجب أولاً أن ننقض مذهب الخليل من أساسه وهذا ما سنحاوله فى المقال الآتى .

محمد مندور

---

(١) يسمى الأستاذ الزيات الكلاسيكيين بالأتباعيين والرومانتيكيين بالابتداعيين ولكنهم جميعا كانوا فى الحق أتباعيين . الكلاسيكيون أخذوا عن اليونان واللاتين ، والرومانتيكيون أخذوا عن القرون الوسطى أى من الأدب الرومانى وهو ذلك الأدب الذى كتب باللغة أو اللغات الرومانية langues romanes واللغة الفرنسية إحدى هذه اللغات . فالرومانتيكيون قد فضلوا أن يستوحوا أدبهم القومى فى القرون الوسطى بدلا من الرجوع إلى قدماء الأغريق واللاتين وهذا هو سبب تسميتهم بالرومانتيكيين

(٢) وترجمته : « لقد مزقت هذا الأبله الكبير المسمى البحر الأسكندرى »

الفاكهة المحـــرمة

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

من هذه التي أتنشاها وهي مني قريبة ، وأتمناها وهي على قيد خطوة ، وأحلم بها وهي على مرأى ومسمع ، وأدنو منها فلا أقترب ، وأملأ منها يدي ، فإذا يداي منها فارغتان ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٢ —

من هذه التي تلوح كالسراب ، تظمىء الحس وتروى الخيال ، وتطمع النفس ونيلها محال ؛ وتتراءى قريبة مني أبداً ، بعيدة عنى أبداً ، كأنها خارجة من قيود الزمان والمكان ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٣ —

من هـذه الأسطورة الخرافية ، التي لا تتجسم في حياتي فتريحني ، ولا تنأى عن طريقي فتريحني ؛ ولكنها تتخايل لي حيثما توجهت ، تسد الطريق على سواها ومكانها خلاء ، وتدعني هكذا في الحياة معلقاً بين الأرض والسماء ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٤ —

من هذه التي تبعد عني فأشتاقها ، وتقرب مني فأشتاقها ، وأهرب منها لأعوذ بها ، وأبلغ نهاية السخط لأبلغ غاية الرضى ، وتختلط أحاسيسي بها فتفقد أسماءها التي تعرفها اللغة ويتعارفهـا الناس ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٥ —

من هذه التي تزدحم نفسي بالخواطر حولها ، فإذا تحدثت إليها تحدثت في تفاهات لا صلة لها بهذه الخواطر ، فإذا هذه التفاهات مليئة ثمينة ، وإذا في هذه التفاهات ريّ وشفاء ، كأنما انسابت فيها تلك الخواطر ، فأفعمتها نبضاً وحياة ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٦ —

من هذه التي أسمعها تضحك أو تقفز من بعيد ، فيشع ذهني بالسنى ، وتفيض نفسي بالحياة ، وتُطيف بي رؤًى من السعادة . وأراها ذابلة أو هامدة ، فأتهالك وأنهدّ ، وأحس بوقر السنين على عاتقي ؛ وأعجز عن مواجهة الحياة ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٧ —

من هذه التي لها حساب معلوم في كل ما أفكر وكل ما أقدر ، وكل ما أرسم من خطة أو أتخيل من رجاء . فما أستطيع أن أتصور الحياة إلا وهي معي ، وما أستطيع أن ألمح خطوى إلا وخطوها معي ؛ فإذا حاولت أن أتخيل لها طريقاً غير طريقي تشتت الذهن واضطرب الخيال ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٨ —

من هذه التي أحس من أعماق أنها خلقت لي وأنني خلقت لها ، فإذا أنا حاولت تجسيم هذا الإحساس ، قامت في وجهي العراقيل ، واعترضت سبيلي الأشواك ، وهتفت بي من اتجاه : مكانك !

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٩ —

من هـذه النابتة في ضميري كما تنبت الزهرة في الغصن ، الشائعة في كياني كما يشيع الدم في الجسم ، المتغلغلة في حياتي كما تتغلغل الحياة في الأحياء ، المنتشرة في عالمي كما تنتشر الظلال والأضواء ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٠ —

من هذه التي لا يؤذيني أن أراها تألم لأجلي ، ويلذ لي أن أراها تألم لأجلي ؛ وتتوالى على حسي ضروب المشاعر التي تتوالى على حسها كالترمومتر الحساس ، وتنعكس على نفسي ظلال خطراتها الخفية في شتى الأحوال ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١١ —

من هذه التي ينطلق في كياني تيار من الكهرباء حين أمسها

فى لمسة ، أو التقى بها فى نظرة ، أو أحلم بهـا فى خيال ؛ فإذا كيانى كله يهتز ، وتمتزج فيه الأحاسيس المتضادة ، وتتوفر فيه المشاعر والجوارح ، ويشتمل فيه الحس والوجدان ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٢ —

من هـذه التى أكره الحياة من أجلها ، وأحب الحياة من أجلها ، واندفع فى كل اتجاه ثم أعود فى النهاية إليها ، أستمد منها الحياة .

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٣ —

من هذه الصبية العجوز ، التى ترنو كطفلة ، وتتحدث كقهرمانة ، وتشهق بالدمع فتخالها تطلب الحلوى ، وتتعمق الحياة فتحسبها فيلسوفة ، وتفرح بالجديد كالطفل الغرير ، وتزهد فى الدنيا كالراهب الشريد ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٤ —

من هذه التى يخيل إلى فى بعض اللحظات أن أناغيها وأربت عليها لتنام ، وفى بعض اللحظات ألتمس عندها العطف والحنان ، وإنها لصادقة فى الأولى صادقة فى الأخيرة ، وفية للحياة فى جميع الأحوال ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٥ —

من هذه التى أضمها مرة فتخنس كالطفلة ، وأضمها مرة فتنساب كالأفعى ، وأضمها مرة فتنقلب كالغزال ؛ وهى فى كل حالة تفعمنى بالحب والحنان ، وتغمرنى بالفيض والحياة ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٦ —

من هذه القديسة المغرية فى آن ، الطاهرة الساحرة فى آن العبقرية القلب والجسد ، المثيرة الحس والوجدان ؛ التى يلتقى فيها الغى بالرشد والحيوان بالإنسان ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٧ —

من هذه المشوقة كتمثال فتان ، المنسقة كأنها فكرة فنان ، الساكنة كأنها فى خشوع ، المتدفقة كأنها ينبوع ، الهادئة السمات ، الحارة الخلجات ، التى تلتقى فيها الأضداد فى انسجام ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٨ —

من هذه الأنثى بالحس ، الفنانة بالروح ، الراهبة بالفكر ، القديسة بالوجدان ، المخلصة لحواء فى كل آن ، حتى وهى تثور على حواء ، وتسخط على بنى الإنسان ؟

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ١٩ —

من هذه التى لا أرتوى إلا بها ، ولا أحيا إلا بإشماعها ؛ ثم يقتلنى الظمأ وهى منى قريبة ، ويخذلنى الحياة ويداها إلى ممدودتان ؛ فإذا أنا ثرت على هذا الحرمان ، وتمردت على هذه الحواجز ، قهقه القدر الساخر ، ودوت بضحكه الأرجاء .

إنها الفاكهة المحرمة ...

— ٢٠ —

أيها القدر . لماذا وضعتها فى طريقى ، ولماذا جعلتها فاكهة محرمة ؟ إننى أسمع أيها القدر حكمك الصارم الساخر : مكانك ! إنها الفاكهة المحرمة ... وكفى .

سيد قطب

أمتع قصص الحب فى الأدب الفرنسى

الأمـــيرة دكليف

PRINCESSE DE CLÉVES

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ١ —

كان الحب فى القرن السابع عشر ، قرين البطولة وخدين الشرف ؛ فكان إذا هام فؤاد الفارس بمن أحب ، ولذعه الشوق ودلّهه الحب ، عمد إلى البطولة يجعلها ثمناً لحبه ووسيلة إلى هواه ؛ فإذا أوتى العزم الشديد والقلب الحديد ، ونال طيب الأحدوثة وبراعة الفروسة وشرف النقيبة ، وكان خلاً لا يُفرع أنفه ولا يُطمن عليه ، مُتّع بالحب ، وذاق مودة الحبيب.

والأميرة دُكليف تمثل ما ذكرته وتبيّن ما وصفته . ولعل من الخير ، قبل أن نقصها عليك ، أن نتحدث عن مؤلفتها مدام دُلافاييت Mme de La Fayette ، لأن فى حياتها من الطرافة ، ما فى روايتها من الجمال . والحق أنها كانت من نوادر النساء . تلقت فى يفاعتها وصباها أرفع ثقافة يمكن أن تُتلقى فى ذلك الزمان ، فتخرجت على الشاعر المشهور ميناج Ménage فثقّفها وأدّبها . وسرعان ما ظهرت رهافة ذوقها ، ورصانة عقلها ورشاقة كتابتها ، وتخطت العشرين ولما تتزوج فاضطرت أن تبحث عن زوج لها فصادفت يوماً الكونت دلافاييت ، وكان كريم المحتد ، طيب العِرق ، ضئيل العقل ، فتزوج بها وحملها إلى مزارعه فى الضواحى ، يبتغى معها عيشاً يقطّعه بالنعيم . ولم يستطع أن يستهويها فلم ترض عنه ، فهجرته وقصدت إلى باريس ، وهناك صادقت هنريت دانجلترة Henriette d'Angleterre فأحبتها ، فكانت تغشى بلاط لويس الرابع عشر وتقطّع الأيام والليالى معها ، حتى إذا قضت هذه ، حزنت عليها ، وجفت البلاط وأهله ، واعتزلت الناس .

وذاع فى باريس صيت مدام دُلافاييت ، وعرفت بذكائها وفطنتها . ولم تلبث أن أصبحت مهوى الأنفس ، وبغية الشعراء والكتاب ، أشباه « هويه Huet » و « ميناج Ménage » و « لافونتين La Fontaine » ولكنها كانت عَزوفاً عن كل ضجة ، أنوفاً من الظهور . كانت تحلم بالحب ، وتعجب بالبطولة وكانت تحب الهدوء والسكينة ، تستلقى على سريرها الأرجوانى الموشى ، فيتحلق أصدقاؤها ومُطروها حوله تفتنهم بالسحر والذكاء ، ويفتنونها بالثناء والإطراء .

وعرفها « الدوق دُ لارُوشفوكولد Duc de la Rochefoucauld » ، وكان مغامراً ، يَتبع النساء . وكان الناس جميعاً يلهجون بذكره ، وقليل منهم من رآه . فاتصل بها وهى تدلف إلى الخمسين . تُرى أ كان صديقها أم عشيقها ؟ ومهما يكن من أمره ، فقد قضى بقية حياته معها . فكان يزورها فى قصرها كل يوم ؛ وكان فى هذا القصر بركة ينصب فيها الماء ، ونافورة تنفر منها إلى الفضاء ، وخلوة مغطاة بالأعشاب والأزهار . فكانت تقضى الليالى والأماسى معه ، تحت العشب والزهر . وقد تأتى ، بعض الأحايين ، مدام دُ سيفينيه Mme de Sévigné فيجتمعون معاً ، يثرثرون على حفافى سريرها الأحمر الموشى تارة ويتحدثون فى الخلوة المزهرة ، أمام البركة تارة أخرى .

ومن العجيب أنها كانت تنقد حِكم عشيقها أو صاحبها أحدّ النقد . كان لديها نسخة منها . وكان تعلق عليها وتكتب فى الهامش « هـذا حق ، وهـذا جيد » ، فإذا سخرت منه كتبت « هراء ، خلط ، كلام مبتذل ! » . ولقد قرأتْ يوما قوله : « إن ما يسميه الرجال صداقة ، ليس سوى تجارة يكون للأثَرة مطمح فيها ومربح . . . » . فكتبت بجانبها : « هـذا يصح فى الصداقة العامة ، لا فى الصداقة الحق » . وقرأتْ مرة قوله : « مهما ندر الحب ، فإنه أندر من الصداقة الصحيحة » فقالت : « أعتقد أنهما متساويان فى الندرة ، لأن فى الحق حباً ، ولأن فى الحب الصحيح صداقة » . وكتب « إن الذى يجعل كثرة النساء لا يتأثرن بالصداقة ، هو أن الصداقة تصبح لا طعم لها عندما يذقن طعم الحب» . فأجابته : «لا ، بل لأن فى الحب من كل شىء : فيه من العقل ، ومن القلب ، ومن الجسم »

لقد تصادقا ، وأثّر كل منهما فى الآخر . لقد قالت : « منحنى الفكر ، ولكنى هذبت قلبه وأصلحته ! »

ومن الطريف أن تتمثل هـذا الدوق الحكيم ، ذا الوجه الجهم ، والعينين الذرّافتين ، وبجانبه تلك المرأة اللطيفة ، يؤلفان الروايات ، ويتجاذبان أطراف الأحاديث . يذكران أيام لهوهما ، فيقص عليها مغامراته يوم كان ريان الشباب ، وتحدثه عن سحرها يوم كانت فى رونق الصبى

تلك هى قصة حياتها ، وإنها لقصة تثير الأسى . لقد حلمت بالحب والبطولة فلم تذقهما . وأحبت صديقتها هانريت فقجعها الموت بها ؛ ثم هى تاقي لاروشفوكولد ، وقد تقضى شبابه وذوى غصنه . شدّ ما تمنيا لو التقيا فى ريعان صباهما . إذن لروّاها الهوى ولأرته فعلَ السحر .

وفى عزلتها وبجانب لاروشفوكولد ، كتبت مدام دُلافاييت روايتها « الأميرة دكليف »

— ٢ —

وقرأ النـاس قصة الأميرة ولهجوا بذكرها ، وصارت أحدوثة الـكتاب والشعراء والنساء فى المجالس والأندية والأسمار . ولقد كانت خليقة بأن تشغَل الناس ، لأن الأهواء التى تتضافر فيها على قلب امرأة غض ، فتخيّرها بين زوجها وحبيبها ، تثير الدهشة والعجب . فهنا زوجها جاف القلب كما تراه ، وهناك حبيبها يبدو لعينيها غَزِلاً بطلاً جيلاً . وأخذ الأدباء يسـألون (بوسي رابوتان Bussy Rabutin) نقادة ذلك الزمان عن رأيه فيها . فكانت الرسائل تسرع إليه يسأله أصحابها : «أقرأت الأميرة دكليف ؟ كيف رأيتها ؟ هل أعجبتك ؟ »

إن فيها نزاعاً قوياً بين الحب والواجب لا يقوى عليه النساء ، ونضالا عنيفاً قد يتخاذل دونه الرجال ، وشرفا لا يذود عنه إلا من كان ذا عزم ومضاء . وبرغم ذلك ، فإن الأميرة دكليف تغلبت على هواها ولم تضعف فى نضالها ، وحافظت على شرفها ونبالتها .

ها نحن أولاء فى قصر الملك هنرى الثانى ، نجد آنسة صاغها وصقلها الترف ، كان اسمها « شارتر » ، وكانت ذات ذكاء وأناقة وجمال . يتزوج بها الأمير دكليف ، وكان نبيلا مهذباً فيحبها . ولـكنه كان يعجز عن إظهار حبه لها ، ولا يبرع فى إغرائها وإرضائها ، وكانت جياشة العواطف ملتهبة الإحساس ، تتحرّق على ذواق الحب ؛ هذا الحب الذى سمعت به ، ولـكنها لم تعرفه ، ولم تدر كيف يكون ولا أين تجده . وتقام فى اللوڤر حفلة يرقص فيها النساء والرجال ، تحضرها الأميرة ، ويحضرها الفارس (دُنيمور De Nemours) زين الفرسان ، وحلية الشبان ، وأكثر رجال البلاط لباقة وأناقة . ويلمحها فيشخص إليها بصرُه ويُفتن قلبُه ، ثم يسعى إليها فيتراقصان . وينظر إليها نظرات كاهن شباك وإغراء ؛ فتهتاج وتضطرب ، ثم تسارقه النظرات ، فيخفق قلبها وتحمر وجنتاها ، فتفر منه وقد علمت أنه الحب

وشغل الفارس خاطرها ، فسهرت الليل ، « وليل الحب بلا آخر » . وذرفت الدمع « ودمع العاشق لا ينفـد » . إنه فارس فتان ، كيف تصل إليه ، وكيف يضمها بين ذراعيه ؟

وكتمت الأميرة حبها ، وسمت للقياه . ولقد دعيت ليلة إلى حفلة رقص أخرى فاعتذرت عن الذهاب ، لأن فارسها لن يذهب إليها . واندفعت فى الحب ، ولـكنها أجفلت ذات يوم ، وقد بدا لها سوء ما صنعت . أتخون زوجها ؟ إنه زوجها مهما كان من أمره ، ولا بد من الوفاء . وأفزعتها وخزات الضمير ولذعات الوجدان ، وخافت العار ، ولـكن قلبها لجّ فى شماب الحب فضلّ وتاه . كيف ترضى قلبها الجامح ، وكيف تفى لزوجها المطمئن ؟ ولا تسل عن الأرق والسهاد ، والأسى والبكاء ، والحنين والأنين ، والحسرات والآهات . لقد أحبته حباً صرفاً خالصاً . أفتجمع بين حبين ، وكيف تغالب الوله وتدفع الشوق ، وتفر من الحبيب ؟

وقررت بعد عذاب ونصب ، أن تحدث زوجها بحبها . وتسأله إن كان يرى فى ذلك حرجاً

وتخلو الأميرة بزوجها . وإنه لمشهد من أروع مشاهد الحب . مشهد فيه من بطولة كورنيل ورقة راسين . إنها مفتونة بفارسها ، والألم يفترسها ، وإنه نحب لها مطمئن إليها . هى تريد أن تخبره لئلا يمس شرفه ، وهو يجهـد كل الجهد لينجو من الوساوس ، ويعلم أنها لن تخونه

لقد ظنت أن صراحتها تدفعه إلى الإعجاب بها وإكبارها ولـكن هذه الصراحة أنضجت فى صدره الحقد والحسد والغيرة فما تـكاد تحدثه بطرف خاشع ، وقلب خافق ، وعين دموع ، حتى يشده ويبهت ، ثم يصمت ولا يشكو ، وييأس بعد أيام فيموت

وها هى ذى الآن وحدها ، قد خلا من كانت تخشى أن يُعَرّ شرفه . فلتسرع إلى فارسها الجيل ، لتنعم بين ذراعيه ؛ ولـكن الأمر ليس كما ظنت . لقد سعى هو إليها ، وتقرب منها فصدت عنه ، وأراد أن يتزوج بها فطردته . لقد اعتقدت أن

...

٨ – الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

نرى كيف أثرت هذه النظم الإسلامية الثلاثة – النقابات والحسبة والوقف – في الفنون الجميلة ؟

أما نظام الوقف فنحن ندين له كما ذكرنا بمعظم ما وصل إلينا من روائع التحف والآثار الإسلامية ، ويكفي أن نضيف إلى ما تقدم أن كثيراً من تحف دار الآثار العربية كانت موقوفة على المساجد . فهذا النظام ضمن استمرار نشاط المهندسين والصناع والفنانين ، كما ضمن أيضاً اطراد حركة التطور في الفنون المختلفة لا سيما تلك التي تتصل بالمساجد من بناء وصناعة وزخرف . فلولا تلك الأموال التي وقفت على العناية بالمنشآت الإسلامية المختلفة لضاع هذا التراث الفني العظيم . على أن لنظام الوقف فضلا آخر لا يصح إنكاره ، هو تلك الوقفيات التي حبست فيها الأعيان المختلفة فقد تضمنت وصفاً دقيقاً لهذه الأشياء يجد فيه اللغويون والمشتغلون بالآثار الإسلامية معيناً لا ينضب من الاصطلاحات الفنية التي تنير لهم سبل الدراسة



أقدم الكتابات والزخارف في الجامع الأزهر
من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك لمحمد عبد العزيز مرزوق

وأما نظاما الحسبة والنقابات فينحصر أثرهما في تحسين المنتجات الصناعية والعمل على رفع مستواها ، والعناية بإخراجها في أحسن صورة ممكنة . ففي ظل النقابات وبإشراف « المحتسب » خطت الصناعات الإسلامية خطوات واسعة في سبيل الرقي ، حتى بلغت الغاية القصوى ، وعندئذ سمت عن دائرة الصنعة المألوفة إلى مستوى الفن الجميل . ولكي يكون هذا التطور واضحاً نضرب له مثلاً بالآنية التي تصنع لتمسك الطعام أو الشراب فهي تظل وسيلة تستخدم في هذا الأمر ما لم يفتن الإنسان في صنعها وزخرفتها ، ويبذل الوسع في تجميلها وتنسيق ألوانها ؛ فإذا ما وصلت إلى الكمال في ذلك أو قاربته غادرت موائد الطعام لتتصدر قاعات الاستقبال متخذة مكانها بين التحف الجميلة . وعندئذ تتغير نظرتنا إليها فننسى وظيفتها الأولى ولا نذكر عنها إلا أنها شيء جميل يمنحنا التأمل في محاسنه لذة لا تعدلها لذة .

***

رأينا إذن كيف أن الإسلام وقف من الفنون الجميلة موقفاً يختلف عن مواقف الأديان السابقة عليه ، فهو لم يستخدمها في دعوته كما فعلت الوثنية والمسيحية ، ولم ينكرها كما أنكرتها اليهودية ؛ ولكنه أثر فيها ببعض توجيهاته ونظمه . لقد وقف

عليهما ، هي وفارسها ، التبعة في موت زوجها . وأن أحسن ما تكفر به عن ذنبها هو البعد عمن تحب . فاعتزلت الناس وعاشت وحدها . الحب في قلبها يهيج ويشتد ، وهي تصبر وتتألم لا تستطيع أن تفرح القلب بالوصال . ثم تموت الأميرة حزينة ، تحلم بالحب ، وتفي للزوج

تلك هي قصة الأميرة دكليف تدور حول حب عنيف يبعثه الإعجاب بالفروسية والبطولة والجمال ، ووفاء شديد يقتضيه الواجب وحفظ العهد ؛ فيتغلب الوفاء على الحب ، وتقضي الأميرة ينهشها الحزن ويذيبها الحنين ، ويتحدث الناس عنها ، ويتكلمون عليها ، ولكنهم ، جميعاً ، يعجبون بها ويطرونها ، ثم يرددون وهم يبتسمون : « ما أنبلها ! لقد كانت أميرة شريفة »

(دمشق) صلاح الدين المنجد

على طبيعة الإنسان ، وعلم ما يضطرب بين جنبيه من النزعات وما ركب فيه من الغرائز والميول فلم يحاول كبتها بإلزامه الوقوف عند حد الضروري اللازم لبقائه ، بل تركه يلبي ما تنطوي عليه نفسه من غرائز السمو دون أن يعترض سبيله أو يحد من نشاطه فمهد له بذلك سبيل الوصول إلى أقصى ما قدر له من التقدم المادي . لفت نظره إلى ما يحيط به من المخلوقات ، وشحذ فيه قوة الملاحظة وهي عماد الفن الجميل ، وذكره بالحياة الدنيا وما لها عليه من الحق (ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك) وبصره بما في الوجود من زينة وحببها إليه (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

هذا التسامح الذي عرف عن الإسلام في كل ما يتصل بمباهج الحياة ومتعها ، ما دامت لا تتعارض مع أصوله في شيء ، وما دامت لا تخرج عن دائرة الاعتدال ، دفع بالمسلمين إلى الإقبال على الفنون الجميلة بنفس راضية مطمئنة ، وجعلهم يزاولونها بقلوب مثلوجة وأفئدة هادئة ، فأخرجوا للعالم ذلك الفن الرائع الذي فيه للفكر متعة وللنفس لذة وغبطة . ذلك الفن الذي أثر في الفنون المعروفة على عهده من شرقية ، وغربية .

ولقد اعترف علماء الآثار من الغربيين بما تركه الفن الإسلامي في فنون بلادهم من آثار واضحة : فالحروف العربية والزخارف الإسلامية نباتية كانت ، أو هندسية قد لعبت جميعها في فنون أوربا دوراً هاماً . ومصنوعات المسلمين : من خزف وزجاج ، ومعادن ، وعاج ومنسوجات ، وسجاد كلها كانت مُثُلاً تحتذى في بلاد الغرب .

سجادة محلاة بخيوط معدنية من القرن العاشر الهجري — من مجموعة معالي علي ابراهيم باشا نقلا عن كتاب : الفنون الايرانية في العصر الاسلامي للدكتور « زكي محمد حسن »

(انتهى)

محمد عبد العزيز مرزوق

الأمين المساعد بدار الآثار العربية



إلى الأستاذ ا . عطارى

سلام الله عليك ورحمته ، وبعد فقد كتبت « فى الرسالة » تثير علىّ مشكلة جديدة وهى مشكلة الخط العربي ، ولم نفرغ بعد من مشكلة تعليم اللغة العربية ، ولكن مشكلة الكتابة العربية لما كانت تتصل بمشكلة تعليم اللغة كان الحديث عنها فرضاً لازماً على من يتكلم عنها

أراك تؤمن معى أنه لا سبيل إلى تعليم اللغة إلا من طريق تحصيل ملكتها بالقراءة والتكرار ، ولكنك تستبعد حصول الملكة من طريق القراءة ، لأن الخط العربى ليس أميناً أمانة مطلقة يصور لنا الكلام تصويراً لا لغز فيه ولا إبهام

وفى الحق أن الخط العربى بدون ضبطه بالشكل ليست فيه هذه الأمانة المطلقة لا فى ضبط بنية الكلمة ولا فى ضبط آخرها ؛ فكلمة (بزر جمهر) يمكن أن تقرأ على وجوه بقدر ما فيها من حروف مضروبة فى أوجه الحرف من ضم وفتح وكسر وسكون ، ولا يعبر عن الواقع إلا وجه واحد ، ولكن هذه الصعوبة تسهل بعض الشيء فى طريقتنا الحديثة لأننا نوجب أن تكون كتب تعليم اللغة فى القسم الابتدائى والثانوى مضبوطة بالشكل والإعجام وهى بذلك أمينة أمانة مطلقة على تصوير الكلمات على ما هى عليه ، فإذا قرأ فيها التلميذ وحفظ منها فاكتسب ملكة اللغة اكتسبها صحيحة غير ملحونة ولا مغيرة ، ولا عليه بعد أن يقرأ فى الصحف والمجلات ، والكتب التى ليست مضبوطة بالشكل ، لأنه يقرأ فيها بما معه من ملكة

وإنما قلت تحل المشكلة بعض الشيء ، لأنها تحل مشكلة أواخر الكلم التى وضع من أجلها علم النحو وتحل مشكلة الكثير من ضبط بنية الكلمة وهى الكلمات المستعملة الواردة فى هذه الكتب

أما الكلمات الغريبة فهذه تحتاج إلى ضبط كما تحتاج فى الغالب إلى معرفة معانيها فلا بد من الرجوع إلى القواميس والمعاجم اللغوية

ومن حسن الحظ أن المطابع أخرجت لنا كتباً مضبوطة بالشكل كالكامل للمبرد والكتاب لسيبويه ، وهذه تعين على ضبط مفردات كثيرة من مفردات اللغة

فأنت ترى أن طريقتنا التى ندعو إليها ليست عظيمة البركة على اللغة وحدها بل هى عظيمة البركة على الخط العربى أيضاً تكمل نقصه وتذلل كثيراً من صعوباته

وإنى أشكر لك عنايتك باللغة العربية المحبوبة واهتمامك بما ينشر عنها من إصلاح ، وثناءك على جهد الرسالة الغراء فى النشر والبلاغ

أسأل الله أن يعيننا على حل مشا كلنا تحت ضوء العلم ، وأن يعين الأمة على قبول الحق من أهله ، والانتفاع بما يبذله لها المخلصون من نصح وإرشاد ، وأن يعين مجلة الرسالة على إبلاغ الحق ، وتأدية الأمانة

محمد عرفة

فهارس مبوبة لآيات القرآن الكريم

يخطىء بعض الكتاب حين يستشهدون فى عرض كلامهم بآية أو آيات من القرآن الكريم ؛ ويرجع ذلك إلى عدم حفظهم للقرآن أو لعدم إجادة الحافظين منهم لما يحفظون ؛ وترى فى الصحف والمجلات تصحيحاً لهذه الآيات التى وردت فى آثار الكاتبين غير صحيحة أو محرفة

وقد كان يلتمس لهؤلاء الكتاب عذر لو لم تكن هناك كتب خاصة فى ترتيب آيات القرآن . وقد كان ذلك مقبولاً قبل أن توضع هذه الفهارس القرآنية التى تسهل على الراغبين طريق الرجوع إلى الآية الكريمة فى موضعها من المصحف . أما الآن وقد ظهرت فهارس منظمة لآيات القرآن ، فما عذر هؤلاء الكتاب الذين لهم في كل يوم تحريف لكلام الله عن موضعه ؟

وقد وضعت للتوراة والإنجيل فهارس منظمة ، وانتفع بها كتاب المسيحيين حين يحتاجون إلى الاستشهاد بآيات العهدين القديم والجديد . فما بالنا لا نستعمل فهارس كتابنا الكريم ؟ وما بال كل كاتب عربى لا يضع بجانب مصحفه كتاباً من كتب فهارس القرآن ، حتى يورد الآيات إيراداً صحيحاً . وبذلك تسلم كتاباتنا ومقالاتنا من خطأ الاستشهاد وخلط الإيراد

ومن كتب الفهارس للقرآن « ترتيب زيبا » وهو مطبوع فى استانبول . وكتاب « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » وهو مطبوع فى ألمانيا ، و « كتاب فتح الرحمن لطالب آيات القرآن وهو مطبوع فى المطبعة الأهلية ببيروت منذ أربعين عاما . وهناك كتاب آخر للشيخ محمد منير الدمشقى الناشر المعروف

وهناك من فهارس القرآن ما رتب بحسب الموضوعات لا بحسب الآيات كالفهرس النفيس الذى وضعه « جون لابوم » الفرنسى وترجمه إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

وفى بعض هذه الفهارس عيوب « كترتيب زيبا » فإن الرجوع إليه لا يسهل إلا على حفظة القرآن ، لأنه لا ينتفع به إلا من عرف أوائل الآيات ، مع أن فكرة الفهارس القرآنية هى تسهيل الرجوع إلى غير الحافظين

أما (نجوم الفرقان) فقد أحاط بكلمات القرآن الكريم كلها ، وأشار إلى موضع الكلمة من الآية وموضع الآية من السورة ، ألا إنه جرى فى الترتيب على غير طريقة المعاجم العربية ، وكثيراً ما خلط بين مادة ومادة ؛ فكلمة « مرضى » جمع مريض وضعت فى مادة (رضى) والصواب وضعها فى (مرض) . وكلمة (استبقوا) وضعت فى مادة (بقى) وصوابها « سبق » لأنها من الاستباق بمعنى السبق

أما فهرس محمد منير الدمشقى فهو – فى الغالب – لأوائل الآيات فقط ، فلم يحط بكل كلمات القرآن كما صنع السيد على زادة فيض الله المقدسى فى كتابه القيم « فتح الرحمن لطالب آيات القرآن » وهو أوفى وأوسع وأكمل كتب الفهارس لآيات الذكر الحكيم .

محمد عبد الغنى حسن

استدراك

نشرت الرسالة فى عددها ٥١٢ الصادر بتاريخ ٢٦ أبريل سنة ١٩٤٣ تحت عنوان « الحديث ذو شجون » بحثا للدكتور زكى مبارك جاءت فيه العبارة الآتية فى معرض الكلام عن جلالة المغفور له فيصل الأول : « وأصغيت بأذنى وبقلبى إلى الصوت الذى قال : من غفلة العرب أن ينسوا الأهواز . مع أنها أحق بالعطف من فلسطين »

وقد اتصل بنا أن هذه العبارة لم ترق فى نظر بعض إخواننا الإيرانيين .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأننا من أحرص الناس على شعور إخواننا الإيرانيين الذين نعتبرهم كأنفسنا ، وإننا ممن يؤمنون بضرورة المحافظة على ما يربط القطرين الشقيقين مصر وإيران من علاقات مودة وإخاء ، وعلى تدعيم هذه العلاقات

وقد أردنا بهذا الاستدراك وضع الأمور فى نصابها وإثباتاً لحسن النية وإبعاداً لسوء القصد

شعراؤنا والنافد العبقرى

جاءنا رد من الأستاذ دربنى خشبة ، تحت هذا العنوان ، على الدكتور محمد مندور ، وقد ضاق نطاق هذا العدد عن نشره ، وسيظهر فى العدد القادم .

تصويب

جاء في مقال « الشعر الأوربى » للأستاذ محمد مندور بعض أخطاء مطبعية ، ننشر صوابها فيما يلى :

العمود الأول ، الصفحة الأولى ، السطر الرابع :

وإلا فسنظال ندهم ونتوهم ، صوابها : وإلا فسنظال نوهم ونتوهم

العمود الثانى ، الصفحة الأولى ، السطر الرابع :

Jambi meter ، صوابها : Iambic meter

ع ٢ ص ١ س ٦ : «وإذا كانت فى الشعر العربى أبحراً متجاوبة» صوابها : « ... أبحر متجاوبة »

ع ٢ ص ١ س ٨ : فإن هناك أيضاً أبحر ، صوابها : ... أبحرا

ع ٢ ص ١ س ١١ : subsitution ، صوابها : substitution

ع ٢ ص ١ س ١٦ : وإنما تتميز الأشعار ببينة التفاعيل ، صوابها :

وإنما تتميز الأشعار ببنية التفاعيل

ع ١ ص ٢ س ٨ : quantitatine ، صوابها: quantitative

ع ١ ص ٢ س ١٩ : ومنها لأول مرة ، وصوابها : وفيها . . .

ع ١ ص ٢ س ٣٢ : لا نجد منها غير ... صوابها : لا نجد فيها

ع ٢ ص ٢ س ٢٧ :

Infan-dum re-gina iu-bes = reno-vare do-lorem

ع ٢ ص ٢ س ٢٩ : فيرجع إلى الحرف الصامت ، صوابها : الصائت

ع ١ ص ٣ س ١ : حرفين صامتين ، صوابها : ... صائتين

ع ١ ص ٣ س ١ : Diphtonque ، صوابها : Diphtongue

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 542 — Lundi - 22 - 11 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٤٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ ذو القعدة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة		
٩٢١	في المسجد الأقصى	: الدكتور عبد الوهاب عزام
٩٢٣	القيادة الفكرية بين الفلاسفة والأنبياء	الدكتور زكي مبارك ... ...
٩٢٨	حكاية الوفد الكسروي ..	: لأستاذ جليل ... .
٩٢٩	أمين سامي باشا ... .. ناظر ... ... ومدرسة	الأستاذ راشد رستم ... ...
٩٣١	شعراؤنا والناقد العبقري ...	: الأستاذ دريني خشبة . . ...
٩٣٤	الشعر العربي	: الدكتور محمد مندور .. ...
٩٣٦	جامع أحمد بن طولون ...	: الأستاذ أحمد رمزي بك ...
٩٣٨	الريف المصري [قصيدة]	: الأستاذ محمد طاهر الجبلاوي
٩٣٩	إلى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد	الأستاذ دريني خشبة ... . .
٩٣٩	حول أصل الحضارة اليونانية	: الأديب زكريا ابراهيم ...
٩٤٠	« حياة مني »	: الأستاذ صبحي الفجيلي ...

٣ ـ في المسجد الأقصى

للدكتور عبد الوهاب عزام

لبثت في المتحف الإسلامي حتى سمعنا النداء فخرجنا لنشهد صلاة العصر في المسجد . فلما قضيت الصلاة طوّفنا في المسجد فرأيناه في جلاله ورونقه ؛ وقد تمت عمارته هذا العام بعد أن لبث عليه الترميم والبناء سنين . دعم أحد المهندسين الترك القبة العظيمة التي أمام المحراب ؛ ثم تولى المهندسون المصريون (١) تجديد معظم الأروقة ، وأقيمت عمد جميلة من الرخام مقام العمد القديمة المبنيّة . وقد حُدثت أن المهندسين عجبوا كيف احتملت هذه العمد المبنية هذا السقف الثقيل وما عليه من طين وتراب قدر وزنهما تقديراً هائلاً

والمسجد اليوم سبعة أروقة تمتد مع طوله من الشمال إلى القبلة أوسطها الرواق الأعلى الذي ينتهي إلى قبة المحراب العالية الرائعة . وكان طول المسجد ، فيما سمعت ، من الشرق إلى الغرب ، وكان امتداده من القبلة إلى الشمال أقلّ مما هو اليوم . وإذا أدخلنا في مساحة المسجد مصلّى النساء ومسجد عمر كان طوله كما كان من قبل ، ممتداً بين الشرق والغرب . والمسجد يشبه جامع بني أمية العظيم الذي في دمشق ، ولكن جامع دمشق أضخم

(١) المرحوم محمود باشا أحمد مدير الآثار الاسلامية وخليفة المهندس البارع محمد حلمي عبد الفتاح

بناء، وأعلى عمداً وأحكم صنعة، وعرض مصلاه قليل وطوله مفرط. ورحم الله بنى أمية لقد بقى على الدهر بناؤهم، وثبتت على رجفات الزمان آثارهم فما تزال دمشق وبيت القدس وقرطبة تشهد لهم بما شادوا وما عمروا. وما يفخر المسلمون والعرب اليوم بعمارة هي أقدم وأضخم مما شاد بنو أمية. وقد قلت في جامع دمشق:

رأيت فيه خلال القوم ماثلة … وللبناء من البانين أقدار

ورحم الله شوقى الذى يقول:

لولا دمشق لما كانت طليطلة … ولا زهت ببنى العباس بغدان

ويقول:

بنوا أمية للأنباء ما فتحوا … وللأحاديث ما سادوا وما دانوا

ووقفت عند المنبر الجليل الذى دق صنعه، وجمل شكله، وأخرجه صانعان من حلب طرفة من الصناعة ليس فيها مسمار؛ ولكن دقائق من الخشب متماسكة ومتعاشقة. وقرأنا عليه اسم الملك الصالح نور الدين محمود وابنه

وقد حدث التاريخ أن هذا المنبر صنع والمسجد فى أيدى الصليبيين ليوضع فيه بعد الفتح. وما كان الفتح ليستعصى على هذه العزيمة وهذا الإيمان. ثم وضعه فى موضعه الذى هو فيه اليوم الملك الناصر صلاح الدين

قال الإخوان: إصعد فتأمل أعلى المنبر فصعدت وكأنما احتشدت أمامى الجموع التى شهدتها هنا القرون، والحادثات التى داولتها العصور. قلت: ما أخطب هذا المقام وما أخطب هذا المنبر! قال أحد الرفاق: وإنك لجدير به: قلت: يوم نظفر بما نبغى لهذا المسجد وأهله من سلام وعزة، يوم تكون أقدامنا جديرة بمكانها من هذا المنبر منبر التاريخ

وإلى جانبى المسجد من جهة القبلة مصليان متصلان به يمتدان مع جدار القبلة إلى الشرق والغرب ولا يتسعان إلى الشمال بل عرضهما يقارب عرض رواق واحد من المسجد، وهما يبدوان كأنهما جناحان لهذا المسجد المبارك الذى يصعد بالأرواح كل حين؛ فالذى إلى يمين المصلى مسجد النساء (وقد اقتطع قسم منه للمتحف الإسلامى)، ويصلى فيه النساء كل يوم. وقل أن يخلو المسجد الأقصى من مصليات قانتات يذهبن جماعات إلى الصلاة ومعهن أطفالهن أحياناً. وهى سنة إسلامية حميدة شهدتها فى جوامع الشام واسطنبول أيضاً

وأما المصلى المبارك الذى إلى يسار القبلة شرق المسجد فيحمل الإسم العظيم والذكرى الخالدة، اسم أمير المؤمنين عمر فاتح بيت المقدس رضى الله عنه وأرضاه. ويقال إنه المصلى الذى أمر عمر باتخاذه حينما دخل المسجد الأقصى ورفع عنه الرجس والهوان اللذين جثما عليه عصوراً، وجعله مسجداً طهوراً

والذى أدركته من كتب التاريخ أن المساحة الفسيحة التى نسميها الحرم كانت كلها تسمى المسجد الأقصى؛ ولكن هذا الإسم يخص اليوم أحياناً بالمسجد الذى وصفت. قال ياقوت:

وأما الأقصى فهو فى طرفها الشرقى (يعنى طرف المدينة) نحو القبلة أساسه من عمل داود عليه السلام وهو طويل عريض وطوله أكثر من عرضه

وفى نحو القبلة المصلَّى الذى يخطب فيه للجمعة. وهو على غاية الحسن والأحكام مبنىٌّ على الأعمدة الرخام الملوَّنة وليس فى الدنيا أحسن منه لا جامع دمشق ولا غيره

وقد نقل ياقوت عن المقدسى أن طول المسجد ألف ذراع وعرضه سبعمائة وأن فى سقوفه من الخشب أربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود رخام وكان له ستة وعشرون باباً الخ

ومن يقرأ ما ذكره المؤرخون عن هذا المسجد يعرف أن الذى نراه اليوم بقية الخطوب من هذا البناء العظيم الهائل. وإنما ذكرتُ من هذه البقية ما لا يشق على القارىء إدراكه مما أدركت العين فى زيارة سريعة غير مستوعبة ولا مدققة

ثم انصرف الرفاق مشكورين، ولبثت فى المسجد، فذهبت إلى الجانب الشرقى فأشرفت من صحن الصخرة على ساحة واسعة بينه وبين السور الشرقى، سور المسجد والمدينةِ القديمة نفسها. وهى ساحة خربة ولكنها تصلح أن تكون بستاناً كبيراً أو حديقة واسعة أو مدرسة جامعة، أو ما يشاء التفكير والإصلاح لخير المسلمين

وضيِّفتِ الشمس للغروب فذهبت إلى حجرة الموعد معتكَف الوزير التقى السيد المجددى للافطار مع العاكفين. وصلينا المغرب فى قبة الصخرة وعدنا فبسطت سفرة وضمت عليها ألوان من الأطعمة الشهية، وأحاطت بالمائدة وجوه مشرقة تتجلى فيها الطهارة الإسلامية طهارة الجسد والروح والظاهر والباطن. قعدت بين هؤلاء الإخوان البررة الذين صفت قلوبهم ووجوههم واجتمعوا على البر والأخوة فى هذه البقعة المطهرة. تخللت هذه المائدة صفاً للصلاة، وهذا الأكل الشهي أسلوباً من العبادة. وإن حظ الأجسام من هذه الغذاء ليس أعظم من حظ الأرواح.

مسابقة الأدب العربي

القيادة الفكرية
بين الفلاسفة والأنبياء
للدكتور زكي مبارك

تاريخ لطيف !

في السبت الأول من نوفمبر سنة ١٩١٩ وقف ثروت باشا رحمه الله بقاعة المحاضرات في الجامعة المصرية وألقى كلمة طيبة قدّم بها الدكتور طه حسين إلى الجمهور، وقد قال في تلك الكلمة إنه يود لو كان سعد باشا حاضراً ليقدّم الدكتور طه على نحو ما صنع في العام الماضي وهو يقدّم الدكتور أحمد ضيف «وكان سعد باشا يومذاك منفيًا بأمر السلطة العسكرية»

ثم وقف الدكتور طه ليلقي محاضرته الأولى فشكر أعضاء مجلس الجامعة، من كان منهم في مصر ومن كان منهم خلف البحر «وهو بهذا يشير إلى سعد باشا زغلول ومحمد باشا محمود» واندفع بعد ذلك في محاضرته فحدثنا أنه عزم على إحياء التراث اليوناني، لأنه يؤمن إيماناً جازماً بأن مرجع الفكر في الشرق والغرب إلى القدماء من مفكري اليونان

وما كاد الدكتور طه يفرغ من محاضرته حتى نهض أحد طلبة الجامعة واسمه زكي مبارك فردّ على الدكتور طه ردًّا خطابيًا أثار إعجاب الجمهور، فوقف الدكتور طه وردّ على الطالب ردًّا ظفر بشيء من القبول

وبدا للأستاذ محمود عزمي أن يؤرخ وقع المحاضرة الأولى للدكتور طه بكلمة ضافية في جريدة الاستقلال، ولم يفته أن يوجه عبارة نابية إلى الطالب الذي ثار حين رأى من يقول بأن مرجع الفكر كله إلى مفكري اليونان

وفي المحاضرة التالية رأى الدكتور طه أن يبدأ بكلمة في التعقيب على مقال الأستاذ محمود عزمي، ليبين خطأ الطالب

وقد تمنيت أني معتكف مع المعتكفين ووددت أن أظفر بهذه السكينة في حجرة من هذه الحجرات رمضان من العام القابل

قلت للاخوان مازحاً: إنكم لفي نعيم. وإن غير المعتكفين لا يظفرون بمثل هذه المائدة. وقال السيد المجددي وهو يضيء الكهرباء: هذا اعتكاف آخر الزمان. قلت: هذا اعتكاف إسلامي فيه الطمأنينة والعبادة والفكر، وليس فيه الحرمان والإرهاق «قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق». وشربنا الشاي وتحدثنا قليلاً فسمعنا النداء للعشاء فسرنا إلى قبة الصخرة فدخلنا وقلوبنا تخفق مع هذه القناديل الخافقة. وانتظمت الجماعة في المصلى الخارجي وسمعت تسبيح النساء وراء السياج المحيط بالمصلى الذي تحت القبة فعرفت أن لهن جماعة من وراء هذا الحجاب. وأقبلنا على صلاة العشاء والتراويح. فلما قضيت الصلاة وسرت إلى الباب الشمالي رأيت جماعة أخرى يؤمّ بها السيد المجددي؛ وقيل لي إنها جماعة الحنفية يصلي بها هذا السيد العُمري الأفغاني كل ليلة. وما أجدره بالإمامة في مدينة عمر استأذنت المتكفين وخرجت كارهاً أود أن يطول لبثي

في هذه المشاهد على طول ما لبثت فيها. خرجت وأنا أجيل الطرف فيما حولي لأثبت ذكراه في نفسي وأود أن أسير سريعاً في ظلمات الليل فأطوف مرة أخرى بهذه الساحة الفسيحة التي أمضيت فيها معظم النهار وشطراً من الليل

ذهبت إلى التكية البخارية فلبثت ساعة في ضيافة شيخها الشيخ يعقوب البخاري، وما هذه التكايا والمساكن النظيفة الطاهرة المجمَّلة والمزينة بالأوراق والأغلاق إلا مساجد صغيرة. فقد عددت هذه الساعة من ساعات المسجد الأقصى أيضاً

ومضت بنا السيارة إلى رام الله حيث الفندق الذي أنزل فيه، ولا تزال هذه المشاهد في عيني. وملء فكري، تاريخ من المجد، وعصور من الخطوب، وصفحات من الغِيَر، وملء قلبي آمال وآلام. ذِكر ناضرة يتخللها الألم كما تقدح النار من الشجر الأخضر — رجعت إلى مأواي وقد طويت المصورَ في تلك الساعات، والأحداثَ العظيمة في تلك الآثار، ثم طويت تلك الساعات القليلة وتلك الآثار الجليلة في فكري وقلبي.

عبد الوهاب عزام

الذى ثار عليه ، فنهض زكى مبارك وقال : لا تتعالوا علينا ، ففى مقدورنا أن نساجلكم بالحجج والبراهين

وفى تلك اللحظة مال إسماعيل بك رأفت على أذن الدكتور طه فأسرّ إليه كلمات ، فانصرف الدكتور طه عن التعقيب ، ومضى فى المحاضرة الأساسية و « ليس » فى نفسه أشياء

بين تاريخ وتاريخ

هل تغيّر الرأى عندى فى هذه القضية بين نوفمبر سنة ١٩١٩ ونوفمبر سنة ١٩٤٣ ؟

وهل تغيّر الرأى عند الدكتور طه فيما بين هذا التاريخ وذاك التاريخ ؟

لم يتغير رأيى ولا رأيه ، وأنا موقن بأنى على هدًى وإن لم يكن الدكتور طه فى ضلال

ولكن ما الموجب لإثارة هذه المشكلة وقد تقادم عليها العهد؟

الموجب هو إصرار الدكتور طه على القول بأن مرجع الفكر فى الشرق والغرب إلى القدماء من مفكرى اليونان ، وحرصه على إثبات هذا القول فى الكتاب المقرر لمسابقة الأدب العربى ، وكان قبل ذلك مقرراً للمطالعة فى المدارس الثانوية ، ونحن لا ندع أبناءنا يقرأون كلاماً يساق بلا بينة ولا يقين

يضاف إلى هذا أن الدكتور طه عقد فصلاً خاصًّا بهذه القضية عنوانه « بين الشرق والغرب » ، وقد أراد بهذا الفصل أن يجعل القيمة العقلية من حظ الغرب ، وأن يجعل البوارق الخيالية من حظ الشرق ، وانتهى إلى النص على أن الغرب وطن الفلاسفة وأن الشرق وطن الأنبياء

فاذا يريد الدكتور طه بهذا القول ؟ وما حظه فى أن يقرر أن العقل الشرقى انهزم أمام العقل اليونانى مرات فى التاريخ القديم وأنه ألقى السلاح فى التاريخ الحديث ؟ وما الغرض من الإصرار على أن العقل الشرقى يذهب فى فهم الطبيعة وتفسيرها مذهباً دينيًّا قاتماً ، بدليل أنه خضع للكهان فى عصوره الأولى وخضع للديانات السماوية فى عصوره الراقية ؟

لا بدّ من نقض هذه الآراء قبل أن يُفتَن بها التلاميذ ، لأنها صادرة من رجل ممتاز من الوجهة الأدبية ، أو لأنها مسجلة فى كتاب رُقم عليه اسم وزارة المعارف العمومية

وما الذى يمنع من تبصير الدكتور طه بالصواب ؟

هل نجا من شوق التعرف إلى الحق ؟

وهل هان الشرق على أهله حتى نسكت عمن يرمونه بالعقم والإمحال فى الميادين العقلية ؟

على الدكتور طه أن يسمع ، وله أن يجيب إن كان يملك الجواب

نماذج من الأخطاء

وقبل أن نواجه المشكلة الأساسية ، نذكر نماذج من أخطاء الدكتور طه فى تصوير الحياة العقلية

فن أخطائه أن يتوهم أن أخذ اليونانيين عن الشرقيين نظام النقد ونظام المقاييس ليس إلا عملية مادية . ومن أخطائه أن يهوّن من فنون الحساب والهندسة فيجعلها فنوناً عملية لا عقلية . ومن أخطائه أن يقول بأن سيادة النظام الملكى فى الحكومات الشرقية دليل على أنها لم تنضج من الوجهة السياسية

وهذه الأخطاء فى الفكر لا تحتاج إلى شرح ، فمن الواضح جدًّا أن نظام النقد كنظام المقاييس وثيق الصلة بالحياة العقلية . ومن الواضح جداً أن فنون الهندسة والحساب ليست فنوناً عملية إلا عند التطبيق ، ولكنها فى ذاتها فنون عقلية . ومن أوضح الواضحات أن نظام الحكومة وسيلة ، لا غاية ، فإن نجح النظام الملكى فلا بأس ، وليس من الحتم أن تكون القلقلات الحكومية فى التاريخ القديم دليلاً على أن اليونان كانوا أرقى الناس فى الحياة السياسية

والخطأ الأعظم هو أن يقف الدكتور طه موقف المقرر المتحكم فى قضية واهية الأساس ، فما كان اليونان كما أراد لهم أن يكونوا ، ولا كان هو نفسه بموقن أنه يملك توجيه مؤرّخي الفلسفة من المحدثين ، كما حاول أن يقول

فلاسفة وأنبياء

حجة الدكتور طه على قوة الغرب أنه وطن الفلاسفة ، وحجته على ضعف الشرق أنه وطن الأنبياء ، فما قيمة هذا الكلام إذا أُقيمت له الموازين ؟

لا يمكن فهم هذه المسألة فهماً علميًّا إلا إذا غضضنا النظر

عن الناحية الدينية ، وجعلنا الأنبياء والفلاسفة رجالاً كسائر الرجال ، وهم كذلك بالفعل ، فقد صرح القرآن بأن الوحى هو الذى يميز الأنبياء عن الناس ، فما كان الأنبياء ملائكة ولا آلهة ، وإنما هم ناس

يجب أولاً أن نعرف من هو الفيلسوف ؟

الفيلسوف هو محب الحكمة ، هو رجل يريد أن يسمو بنفسه عن الجهل ، ويهمه أن يتحرر من تقاليد الأغبياء ، ولكنه فى أكثر أحواله يؤثر السلامة ، وقد يركن إلى الخمول ، ومعنى هذا أن الفلاسفة لم تكن لهم فاعلية ، بدليل أنهم عاشوا فى عزلة عن المجتمع ، ولم يفكروا فى إقامة حكومة تحقق آمالهم فى شرف الوجود

وسقراط أبو الفلاسفة لم يَسلم عقله من الخضوع لمعبد أبوللون ، وكان حاله عند الحكم عليه غاية فى سوء المصير ، فقد ظهر أنه لم يستطع خلق عصبية تحميه من القتل ، ولم يكن تلاميذه وحواريوه إلا أنصاراً لا يجيدون غير البكاء

وكان هذا عيباً فظيعاً ، لأن سقراط نشأ فى عهود الفروسية ، فلو كان فيلسوفاً متسقاً مع زمانه لجعل تلاميذه من الفرسان ، فى زمان لا ينتصر فيه غير الفرسان

أقول هذا وأنا أعرف أن استسلام سقراط للموت خلق صوراً شعرية قليلة الأمثال ؛ فقد أوحى إلى أفلاطون ما أوحى ، ثم كانت ترجمة فيكتور كوزان لأفلاطون موحية إلى الشاعر لامرتين بقصيد هو غاية فى الروعة والجمال

الفلاسفة أصحاب فضل من جهة الفهم لا من جهة الفاعلية وبهذا ظلوا متخلفين عن قافلة الوجود

أنبياء ومرسلون

هنالك فرق بين النبيّ والرسول ، والظاهر أن النبيّ رجلٌ كامل من الوجهة الذاتية ، بغض النظر عن المسئولية الاجتماعية ، فبينه وبين الفيلسوف الصادق تشابه فى السلوك ، مع فوارق ستفصلها بعد حين

أما الرسول فرجلٌ مجاهد يرى من واجبه أن يستقتل فى هداية المجتمع ، وأن يرحب بالموت فى سبيل الجهاد

وقد نجح الأنبياء المرسلون فى هداية الشرق والغرب ، فاليهم يرجع الفضل فى إقامة الدعائم للحضارة الإنسانية

وهل من القليل أن يستطيع ثلاثة من الأنبياء المرسلين أن يسيطروا بالفكر والروح والعقل على الكثير من أقطار الشرق والغرب بأضعاف وأضعاف وأضعاف ما سيطر الفلاسفة الثلاثة سقراط وأفلاطون وأرسطاليس ؟

مثال

نشأ النبي محمد فى بيئة وثنية ، فصعُب عليه أن يَهدى قومَه بالمنطق إلى طريق الحق ، وكان منافسوه من رهبان النصارى وأحبار اليهود يعيّرونه بالعجز عن خلق آية تشهد بأنه رسول

وقد حار النبي محمد فى إقناع خصومه بأن الآيات من عند الله ، وأنه لا يملك تبديل الأنظمة الوجودية ، لأنها من وضع واجب الوجود

وفى يوم من أيام الارتياب مات ابنه إبراهيم ، وفى ذلك اليوم كسفت الشمس ، فأقبل أعداؤه مباهين ، لأنهم وثقوا بأن الشمس لم تكسف إلا حزناً على موت ابن الرسول

عند ذلك تعرّض محمدٌ لمحنة أخلاقية ، فهو بين أمرين : الأمر الأول أن يستغلّ جهل معاصريه فيوافق على أن الشمس كسفت لموت ابنه إبراهيم فيكون من أكابر الأنبياء ، والأمر الثاني أن يَصدَع بكلمة الحق ، ولو تعرّضت نبوّته للضياع

وقف محمدٌ ينادى بأن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، وأنهما لا يتأثران بمؤثر ، ولو كان من الأنبياء

فى تلك اللحظة تناظرَ أصدقاء محمد عاتبين ، فقد ضاعت فرصة لا ينتظرون أن تعود

ولكن محمداً لا يبالى غضب أصدقائه إذا خاصموا الصدق

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أقول إن محمداً هو القائد الأول فى الفكر الإنسانى ، بهذه اللمحة الواحدة ، بغض النظر عما سبقها ولحقها من اللمحات

وإذن يكون القائد الأول للفكر هو محمد لا سقراط ، ولو غضب الدكتور طه حسين

وما غضبُ الدكتور طه وما خطره وهو يستوحى جماعة من المؤلفين فى تاريخ الفكر عند اليونان ؟!

صيال الآراء

أراد الدكتور طه أن ينض من العقلية الشرقية ، بحجة أنها خضعت للكهان وللأنبياء . وأنا لا أتزيد عليه ، فذاك كلامه ، وهو كلامٌ مدوَّن فى كتاب طُبع مرتين ، وتبنّته وزارة المعارف بعد مجلة الهلال

والظاهر أن الدكتور طه يتوهم أن الكهانة ظاهرة شرقية لا غربية ، وذلك توهمٌ طريف ، لأن الدكتور طه نفسه يشهد بأن سقراط قد استلهم الكهان ، مع أنه فى زعم الدكتور طه أول محرر للعقل الإنسانى من أغلال الأضاليل

وأقول بعبارة صريحة إن الكهانة لم تصر مهنة مقدسة إلا فى عهود الوثنية اليونانية ، فقد كانت لها معابد ، وكان لمعابدها سدَنة وأمناء ، وكان المصير لكل معضلة فردية أو قومية رهيناً برأى « الصوت المتنكر » فى زوايا الظلام المنشور فوق معابد اليونان

أما كهان الشرق فكان مركزهم فى المجتمع أيسر وأخفّ ، لأن الشرق سبق الغرب إلى استيحاء العقل ، وهل يستطيع مكابر أن ينكر فضل الشرق فى السبق إلى رفع القواعد من الحضارة الإنسانية ؟

ثم ماذا ؟ ثم يجيء الكلام عن تفرد الشرق بالأنبياء ، وهنا تثور المعضلة من جديد ، معضلة الموازنة بين الشرق والغرب

وأقول إن النبوّات فى الشرق دانت الإنسانية بديون يراها الحاضر ويذكرها التاريخ ، فالأنبياء الثلاثة موسى وعيسى ومحمد من أرومة عربية ، وهم قد شرّقوا وغرّبوا ، وملأوا الدنيا ضجيجاً فكرياً وروحياً فى أزمان لم تعرف سوى الذى أثاروا من صيال الآراء

إن الصراع بين الإسلام والنصرانية هو أول وثبة جريئة لإيقاظ العقلية الإنسانية ، ولا نستطيع أن نتصور مدنية حقيقية تقوم على الفكر والرأى قبل الصراع الذى ثار بين المسلمين فى الشرق والنصارى فى الغرب

ومع أن الديانة الموسوية قد هُزمت منذ أجيال ، فنحن نشهد كيف قاتلتْ قتال المستميت ، وكيف استبقت أنصارها على وجوه التواريخ

الفكر الشرقى هو الذى زوّد الديانة الموسوية بزاد النضال ، وهى لم تنهزم إلا بقوة شرقية ، فما جلا اليهود عن بلد بعد جلائهم عن الجزيرة العربية

وطغيان هتلر وأعوانه فى طرد اليهود من ألمانيا لم يكن إلا نزعة عنصرية ، وثورة هتلر وأعوانه على الديانة المسيحية صورة من ثورته على اليهود ، لأن المسيح يهودىٌّ العِرق ، وله فى بلاد العرب أخوال

ومن المضحك أن نرى النازيين فى أوقات كروبهم يفزعون إلى الكنائس ، مع أنها معابد شرقية لا غربية

الإسلام يحرر ألمانيا وانجلترا

كانت دعوة « لوثر » دعوة جريئة فى تحرير المسيحية من العبودية الرهبانية ، فما مصدر تلك الدعوة التى حررت عقول الإنجليز وعقول الألمان ؟

مصدر تلك الدعوة مصدرٌ إسلامىّ ، وأنا أتذكر أن الإسلام ظهر فى الشرق !

« لوثر » قوة فكرية عظيمة ، ولكنه لم يخطر على بال الدكتور طه وهو يتحدث عن قادة الفكر ، لأنه لم يأخذ الفكر عن اليونان ، مع أن « لوثر » أثر فى الأخلاق الأوربية تأثيراً لا يقاس إليه تأثير سقراط وأفلاطون

وأعجب العجب أن اليونانيين لم يستجيبوا لدعوة « لوثر » ، ولم يتركوا المذهب الأورثودكسى

قال هتلر فى كتابه إنه لا يعترف بغير قوتين اثنتين : قوة ألمانيا وقوة انجلترا ، ولم يفته غير النص على أن ألمانيا وانجلترا يتبعان الروح الإسلامى ، وهو الروح الذى ينكر أن يكون بيننا وبين الله وسيط ، ولو كان من أعاظم الرهبان

الشرق يؤثر فى الغرب ، ولا يزال يؤثر فيه من الوجهة الروحية والعقلية ، فما هذا الذى يقول الدكتور طه حسين

هو ينقل كلاما ، وناقل الكفر ليس بكافر ، كما قال القدماء

بين الشرق والغرب

تجمّع الغرب النصرانى لمناضلة الشرق الإسلامى فى أعوام

٧ـ حكاية الوفد الكسروى

لأستاذ جليل

٦ – يقول علقمة بن علاثة :

« ... إنا وإن كانت المحبة أحضرتنا والوفادة قربتنا فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزب عنك »

هذا تركيب مولد ، ومثلة قول الإمام مسلم بن الحجاج فى مقدمة كتابه (الجامع الصحيح)(١)

« فإذا نحن تقصينا أخبار هذا الصنف من الناس أتبعناها أخباراً يقع فى أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المقدم قبلهم ، على أنهم وإن كانوا فيما وصفنا دونهم ، فإن اسم الستر وتعاطى العلم يشملهم كعطاء بن السائب ويزيد بن أبى زياد وليث بن أبى سُليم وأضرابهم من حُمّال الآثار ونُقّال الأخبار ، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين فغيرهم من أقرانهم ممن عندهم من الإتقان والإستقامة فى الرواية يفضلونهم فى الحال والمرتبة . »

قال صاحب الكليات :

« الفاء فى خبر المبتدأ المقرون بأن الوصلية شائع فى عبارات المصنفين مثل زيد وإن كان غنياً فهو بخيل »

وأورد أقوال نحاة أتعبوا أنفسهم فى إعراب هذا التركيب . واعلم أن ما أصله مبتدأ حاله كحال المبتدأ

***

يقول عامر بن الطفيل :

« ما هيبتى فى قفاى بدون هيبتى فى وجهى »

دخول الباء على دون لم يجىء فى كلام جاهلى أو إسلامى ، وقول الأخفش فى كتابه فى القوافى وقد ذكر أعرابياً أنشده شعراً مكفئاً : فرددنا عليه وعلى نفر من أصحابه ، فيهم من ليس بدونه »(١) — مولد . ومثله قول ابن الفرضى :

(١) (٤٠٠٠) حديث خرجه من (٣٠٠,٠٠٠) ألف حديث وجامع البخارى (٢٧٦١) حديثاً خرجه من (٦٠٠,٠٠٠) حديث والحديث الصحيح فى الحديث الكذب كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود كما قال الدارقطنى

(١) رواه اللسان ونقله التاج

الحروب الصليبية ، فماذا وقع فى تلك الحروب وقد طالت حتى جاوز مداها عشرات السنين ؟

قهرنا خصومنا ودحرناهم، لأن أسلحة الحرب كانت واحدة ، ولم يكن لخصم أن يتفوق على خصم بغير قوة العقيدة ورسوخ اليقين

وكان نصارى الغرب يهمهم أن يستولوا على مصدر النصرانية فى الشرق ، ومعنى هذا أنهم جاءوا مسلحين بعزائمنا الروحية ، ولولا العقيدة التى نقلوها عن الشرق لعجزوا عن ملاقاتنا فى أى ميدان .

سيوف الله

كان من المؤكد أن ينهزم الشرق الإسلامى فى هذه الحرب ، لأن أدوات القتال قد تغيرت وتبدلت ، ولم يستعد الشرق لمنازلة الغرب ، لأنه غير مزوّد بالأسلحة التى ابتدعها شياطين الغرب الجديد

لطَفَ الله بالشرق الإسلامى ولَطَف . . . ألم تسمعوا أن الحرب فى روسيا لم تمس الأقاليم المأهولة بالقبائل الإسلامية ؟

عتاب !

هو عتابى على الدكتور طه ، فهل يميل إلىّ بفكره لحظة واحدة ليغيّر رأيه فيما بين الشرق والغرب ؟ وماذا يقع إن لم يسمع ؟ الشرق لن يتخلى عن السيطرة الروحية ، وإن عجز عن السيطرة الحربية ، ولن يُوهن من قوة الشرق أن يقرأ أبناؤه كلاما منقولاً عن أحد الأجانب ، ولو كان الناقل طه حسين

أما بعد فأنا أوصى طلبة السنة التوجيهية أن يثيروا هذه المشكلة أمام لجنة الامتحان ، ليفوزوا بدرجات التفوق ، على شرط أن يفهموا المرامى الدقيقة لهذه الرموز والتلاميح

لجنة الامتحان فى مسابقة الأدب العربى ستؤلف من رجال يسرهم أن يجدوا فتياناً يجادلون ويناظرون ، فالقوهم بما أدعوكم إليه ، ليفرحوا بكم ، وليطمئنوا إلى أنكم فاهمون لا ناقلون ... أنا ضامنٌ لكم النجاح إن لاقيتم الممتحنين وأنتم مزوّدون بالفكر والبيان ... انهبوا جوائز وزارة المعارف ، لتفرح بكم فرح الآباء بنجباء الأبناء

زكى مبارك

إن الذى أصبحت طوع يمينه إن لم يكن قرأ فليس بدونه

وقد ورد مثل ذلك فى كلام معزو إلى صحابى وهو دليل على صوغ القول وتوليده

يقول قيس بن مسعود الشيبانى :

« لم نقدم أيها الملك لسآماة ، ولم ننتسب لمعاداة »

تعدية الانتساب بغير حرفه مولدة ، وفى (القامة . .) فى قولها : « فلا يدخل رجل فى غير قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه » التعدية العربية القديمة

***

يقول عامر بن الطفيل :

« . . . ولَبس القول أعمى من حندس الليل »

بناء (أفعل) من عمى غير جائز ؛ قال الرضى : « لكون بعضها مما لا يقبل الزيادة والنقصان كالعمى »

والشاذ فى هذا الباب معروف . وقول عامر يكاد يكون عصرياً . . .

وأما القول العربى الكريم : « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً »

فالثانية فيه مثل الأولى[1] ، وليست بمعنى « التى تقتضى من » كما قال العكبرى[2] . وقال الزمخشرى : « قد جوزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل » وأنا لا أرى ذلك ، والطبرى يقول : « ... عمى البصر لا يتفاوت فيكون أحدهما أزيد عمى من آخر إلا بإدخال أشد أو أبين . فليس الأمر فى ذلك كذلك ، وإنما قلنا ذلك من عمى القلب الذى يقع فيه التفاوت ، فإنما عنى به عمى قلوب الكفار عن حجج الله التى قد عاينتها أبصارهم فلذلك جاز ذلك وحسن »

ممن اطمأن فى هذا العصر إلى كلام النعمان عند كسرى وأخذه قولاً عربياً جاهلياً خالصاً ـ العلامة اللغوى الكبير الشيخ ابرهيم اليازجى[1] ، قال فى مقدمة كتابه (نجعة الرائد) :

« ... إن من اطلع على المأثور من كلام العرب ... أيقن أن هذه اللغة قد انفردت عن سائر اللغات فصاحة وبياناً ، كما انفرد أربابها فى مذاهب البلاغة تبسطاً وافتناناً . وحسب الناظر أن يسرح طرفه فى بليغ منقولها ، ويتأمل ما جاء من البدائع فى محكم فصولها ، من مثل مقالة النعمان فى النضح عن أحساب العرب ، وما ورد عن الإمام على من نوابغ الأمثال وروائع الخطب ، وما جاء بعد ذلك من أقوال مصاقع الخطباء فى صدر الإسلام ... »

وقال فى المقدمة فى مقالة النعمان :

« كان من حديث ذلك أن النعمان بن المنذر وفد على كسرى وعنده وفود الملوك من الهند والصين والروم وغيرها وتذاكروا أقوامهم وملوكهم ، فتكلم الملك النعمان ، وافتخر بالعرب ، وفضلهم على سائر الأمم ، ولم يستثن الفرس ، فدخل كسرى منه شيء ، وتكلم فطعن فى العرب ، فأجابه النعمان جواباً طويلاً ... »

ثم نشر مقالة النعمان فى مجلته (الضياء) فى السنة (٧) فى الصفحة (٤٦٠) إجابة لأدباء من قراء مجلته سألوه عنها

وإن كلاماً عربياً جاهلياً منثوراً ليحرص كل أديب أن يقف عليه ليعرف كيف كان الجاهليون ـ يا أخا العرب ـ ينثرون كما يحرص أن يقف على أقوال الصحابة (رضى الله عنهم أجمعين) وعلى أقوال التابعين (رحمهم الله)

***

أجتزئ من أدلة الوضع بما أوردت ، وأختم مكتوبى هذا بالثناء على « الرسالة » والقراء وعلى الشاعر الناثر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن الذى دعا أدبه وفضله فيها إلى تأليف هذه السطور .

(٥)

(١) فى الكشاف : الأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى إلى طريق النجاة ، أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه

(٢) قال : أعمى الأولى بمعنى فاعل وفى الثانية وجهان أحدهما كذلك والثانى هى أفعل التى تقتضى من

(١) وممن صدق حكاية الوفد الكسروى ونثر أقوالهم فى مصنفه الامام العلامة الكبير الشيخ محمود شكرى الألوسى (بلوغ الأرب ج ١ ص ١٥٥) والعلامة الشهير الشيخ حمزة فتح الله (كتاب أدبيات اللغة العربية ج ١ ص ١٠٣)

بمناسبة افتتاح العام المدرسى

أمين سامى باشا
ناظر ومدرسة

للأستاذ راشد رستم

[الخطبة التى ألقاها الأستاذ راشد رستم فى الاحتفال بعيد مدرسة الناصرية عن المتخرجين من أبنائها]

لأول مرة وفى أول يوم من أول حياتهم المدرسية صغار، لا يعرف بعضهم بعضاً ولم يجتمعوا فى مثل هذا الحشد أبداً، ما تعودوا غير الحرية والانطلاق، واللعب على الدوام - إذا بهم وقوف فى صفوف، مجمّعين على مواعيد، مفرّقين فى مواقيت! وإذا بهم فى فصول وفرق، وإذا بهم فى غرف لا يؤذن لهم أن يجلسوا فيها كما يشاؤون، وإذا ببعضهم فى «عنابر الداخلية» يقضي لياليه بعيداً عن الأهل والإخوان، بعيداً عن الآباء والأمهات

هكذا تنتقل الحياة بهؤلاء الصغار بين ليل ونهار، من حال إلى حال، من فوضى محبوبة إلى تدقيق ونظام

ثم إذا بهم مطلوب منهم ألا يلعبوا دون أن يعملوا، بل أن يعملوا دائبين، فسيحملون الأمانة من جيل ويحمّلونها إلى جيل ...

* * *

تلك حال يواجهها كل تلميذ فى سنيه الأولى إذا هو سلم منها فى أولها سلمت له إلى آخرها، وسار على بركة الله وسبحان الفتاح

وإن هو تعب منها فى مبدئها، أتعبته طول وقتها، وهو إذن متبرم منها قلق بها وسبحان الحنان.

* * *

فما قولكم فى ذلك الصغير الذى يواجه هذه العقبة، ولكنه يمر منها على ضوء طلعة صبوح، وفى صحبة روح يشع منها الإطمئنان إليها! وفى رحاب نفس طيبة تشعرك الرضا بها والسكون إليها!

صادق

ذلك كان حالنا يوم أن اجتمعنا لأول مرة فى رحاب الناصرية

لم يكن «أمين سامى» نبياً ولا ولياً، وما كان رسولاً ولا مبعوثاً إلهياً، ولكنه كان رجلاً، عاملاً، وطنياً. وكان أميناً وكان سامياً ...

* * *

كان أمين سامى طبيعياً، يسير مع الطبيعة فى بساطتها، كما يقف معها فى دقتها، فلم يكن مُرغماً ولا متعسّفاً

لم يرغم تلاميذه على غير ما تسمح به طبيعتهم، بل يدرس تلاميذه ويدرس طبيعتهم، ثم يسوسهم ويرشدهم ثم يلقنهم ويوجههم

كان يهيئ لتلاميذه جواً مدرسياً محبوباً، يهيئ لهم نخبة من كرام الضباط والمدرسين، هم فى مقام الآباء والمرشدين، يعرفون الفرق العظيم بين «ملف» من شهادات، وكنز من أخلاق

يعرفون أن الخُلُقَ مخلوق قبل العلم، وأن التلميذ أخلاق قبل أن يكون علوماً، وأن مصر فى حاجة إلى أخلاق

يعرفون أن هؤلاء الشبان الصغار هم هؤلاء الرجال الكبار يعرفون أن لهم نحو الوطن رسالة وأن عليهم واجباً

وإننا لنفخر إلى اليوم وإلى الغد وإلى الأبد بأننا تلاميذ لأولئك السادة الكرام — رحم الله الأولين الذاهبين وأطال الله حياة الحاضرين.

* * *

إن «المعهد» أمين سامى كان مخلص النية لتخريج الأبناء أعياناً لمصر، ورجالاً لمصر، ونجوماً فى سماء مصر

هكذا كان الغرض وكان الإخلاص، فكان المطلوب وكان المراد

الواقع أننا كنا فى مدرسة تشعرنا بأنها تهيئ لنا جميع وسائل العناية بنا

مدرسة نظيفة معنى ومبنى، نظيفة بكل من فيها وما فيها مدرسة محترمة، تفرض علينا أن نتحلى بكل ما يجعلنا محترمين، تبث فينا الشجاعة والوطنية والإقدام، تشعرنا بأن لنا

مستقبلاً وأن علينا واجباً ، بل أن المستقبل لنا ، وأنه مسؤول منا وأن البلاد تنتظرنا وتنتظر الخير منا .

* * *

كان أمين سامي « الرجل » مثالاً لنا بل ولغيرنا فى هذا وذاك . كان نبيل الطبع نبيه التطبع ، رجولة فى أبوة ، دقة فى رحمة ، مهابة فى سماحة

كنا نترقبه ونتمنى أن نراه ، وننفار من « دار العلوم » إذا أطال هناك بقاه ...

* * *

كان مثالاً لنا ولغيرنا فى معنى النشاط ومداه

لم يفارقه النشاط أبداً ، فقد كان به مؤمناً ؛ بل هو نشاط المؤمن

لم يفقد نشاطه برغم ما شدَّت عليه الحادثات من فقد العزيز وطول العمر

وكان كلما تقدم فى السن سيَّر النشاط وفق السن ، فهو لم ينزل عنه وإن سلَّم بالدرجات فيه

فخره أنه لم يكن عجوزاً ولا عاجزاً ، بل كان دائماً قادراً ماهراً ، ولقد جمعنا حوله فى حياته ؛ وها هو اليوم يدعونا فيجمعنا لتخليد ذكراه مثالاً لنا لا ننساه .

* * *

ها نحن أولاء ، أبناء الناصرية ، نجتمع اليوم من عهود مختلفات ، وسنين متباعدات ، ولكن ألا يجمعنا جميعاً ذلك اليوم الذى يرجع بنا إلى عهد جدول الضرب وحصة المحفوظات !

ألا عودوا بنا لحظة إلى تلك العهود

ألسنا نتمناها جميعاً برغم ما كان فيها من رجفات الامتحانات !

ألسنا نحيا بذكراها اليوم سعداء ، وسط هذا العالم المضطرب ، وسط هذه الألوان من حياة الانفعالات !

نعم

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليــل يكر عليهم ونهار

إنما

من عنده لى عهدٌ لا يُضيِّعه كما له عهد صدق لا أُضيِّعه

* * *

نعم . إننا هنا اليوم مع أبناء اليوم ولكننا هناك فى ذلك اليوم

أليس كذلك يا زميل التختة الواحدة ؟

أليس كذلك يازملاء المائدة الواحدة ؟

أليس كذلك يا زملاء « المنبر » الواحد ؟

أليس كذلك يا زميل « العيش الحاف ، والحبس بعد الانصراف » ؟

* * *

إن للناصرية طابعاً على كل من ورد عليها

وإن لنا لحنيناً إلى تلك الأيام الحلوة برغم « زنزانة » الحبس بالانفراد

إلى تلك الأيام الناضرة ، وإن كانت قد ذهبت مع التاريخ فى سجل الماضى البعيد ، وإن كانت كذلك تنم لنا على مادارت به معنا عجلات السنين من عدد السنين

وهل فى الوجود معنى هو أحب إلى الرجل من عهد الصبا ، ولا أسرع بالنفس ذهاباً إليه مهما بعد الحاضر عنه

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا ...

* * *

وأما أنتم يا أولادنا الصغار بل يا إخوتنا الصغار ، يا أبناء الناصرية فهى أمنا جميعاً ، الآباء والأبناء سواء . أنتم أملها الجديد ، ارتبطوا بها وحافظوا عليها

إنكم مخلوقون لزمان غير زماننا ، وقد تهيأت لكم ظروف غير ظروفنا ، نرجو أن تكون خيراً وأبعد أثراً

على أنه وإن كان لكل زمان ملابساته فإن جواهر الحقائق والفضائل باقية لم تتغير ، فالاجتهاد لا يزال محموداً ، والإخلاص لا يزال منشوداً ، والجهاد لا يزال مفروضاً

أنتِ الغراس ومنك الخير ينتظر
ما طاب أصل وخاب الفرع والثمر

احملوا الأمانة من جيل وسلموها إلى جيل

سادتى :

هذه هى الناصرية وهذا هو أمين سامى ، وهذا هو المورد ، وقد كنا ممن استسق وورد ، فشرب وارتوى وحمد

راشد رستم

مراجعات

شعراؤنا والناقد العبقري...

للأستـاذ دريني خشبة

لن أثور كما ثار الدكتور مندور يا حضرات القراء ، ولن أسمح لأعصابي أن تتمزق على هذه الصورة المضحكة التي تعرض صاحبها لرثاء قرائه وطلبهم المغفرة له ، وذلك لأنني دعوت الأدباء في مصر أن يضبطوا عواطفهم - في الصيف - وما كنت أظنهم يهملون صمامها ونحن على أبواب الشتاء .

وقد قدح الدكتور مندور فينا بالذي قدح ، غير أننا نثني عليه بما هو له أهل من أكرم الثناء ... فقد سعدنا بصداقته قريباً ، ودافعنا عن رجولته التي غمزها صديقنا الكاتب المعروف الذي أغضبه منا هذا الدفاع ، وعزاه إلى خصومة قديمة توهمها بيننا وبينه ، مع أننا أزهد الناس في الخصومات الأدبية وأحوجهم إلى معونة الأدباء بصدد الدعوة التي ندعو إليها

نثني على الدكتور مندور فنقرر أنه أعلم منا بالموضوع الذي أثرناه له ووجد فرصته فيه ، فانطلق يكتب هذه الفصول القيمة التي سنقرؤها وحدنا - أو مع خمسة أو عشرة على الأكثر من حضرات القراء الذين يعنيهم هذا الموضوع

الدكتور مندور يا حضرات القراء أعلم منا في موضوع أوزان الشعر الأوربي لأنها من ضمن ما تخصص حضرته فيه ، ونال عليه الدرجات العلمية المُثلى ، فهو إذا تكلم فيها ، تكلم عن علم وبصيرة وخبرة

لكننا مع هذا لا نرى أن يمنعنا أحد من التكلم في أي موضوع نشاء ، إلا في الطب والهندسة والصيدلة والكيمياء ، وما إلى ذلك من الموضوعات التي لا تصلها بالأدب صلة ، فهل أعاريض الشعر من هذا القبيل ؟

سيقول الدكتور مندور ، أجل ، هي من هذا القبيل ، بدليل أنك تكلمت في طرف ضئيل منها ومع ذلك فقد (أخطأت وأوهمت وتوهمت وضَلَّلت وضَلَّلت وموهت ولم تتحر الدقة بل ترديت في الخطأ البين في أبحاثك التي تحشدها ...) إلى آخر هذه المجموعة الوافية من العبارات الشافية الكافية التي أسبغها علينا الدكتور الصديق محمد مندور ، الذي كنا نتمنى أن نراه وهو يكتب هذا الفصل المنفعل الصاخب الطريف الذي صبَّ حممه فوق رأسنا !

وقبل أن نداعب أخانا مندور بما هو له أهل من المداعبة ، وقبل أن نكشف الغطاء عما هاجه علينا وأحفظ صدره منا ، نتناول تجهيلاته التي جهَّلنا بها ، فنرى كيف أوقعتنا المقادير في ظلماتها حتى أعمتنا - والعياذ بالله - هذا العمي المطلق الذي لم تره غير عين صديقنا العزيز

عند ما قلنا إن أساس العروض الأوربي هو التفعيلة لا البحر فهم حضرة صديقنا العروضي المحترم أننا ننكر وجود البحور في الأعاريض الأوربية وعلى هذا بنى بحوثه القيمة ، مع أننا ذكرنا كثيراً من هذه البحور في الحاشية التي أثبتناها في ذيل مقالنا وقلنا إن هذه التفعيلة هي أساس البحر (الفلاني !) ومن هذه التفعيلة ومن تلك يتكون البحر (الفلاني) ، وإنما قصدنا بأن التفعيلة هي أساس العروض الأوربي أن الشعراء هناك أكثر حرية في استخدام هذه التفاعيل فلا يتقيدون بعددها في السطر (أو البيت) كما يتقيد شعراؤنا هذا التقيد الذي عبناه عليهم ولا نزال نعيبه عليهم . فمجرد (توهم) أننا ننكر وجود هذه البحور هو دليل الأعصاب الممزقة والموجدة التي تأكل قلب الصديق الحميم علينا للسبب الذي سنبينه بعد أن نرد تُرهاته كلها . والمقال موجود أيها القراء بالرسالة (العدد ٥٣٨) ، فقوله إذن إن كلامنا لا معنى له مطلقاً هو كلام يشبه الهوَس ، ونحن مع ذلك نعذره لأن معرفتنا بالدافع الذي أطلق لسانه فينا يفقد العقلاء عقولهم . وقد منعنا من تناول هذه البحور بالشرح الذي شمر له صديقنا الحميم عن ساعد الجد ما قلناه في صلب المقال من (أنه ربما لا يسر القارئ ، بل ربما يضايقه جد المضايقة أن نخوض به في شيء من مميات العروض الإنجليزي) ... وربما أوهمه اقتضابنا هذا لذلك السبب أننا (إنما نوهم ونتوهم أننا نعرف شيئاً ...) إلى آخر هذا السَّفه الذي نمر به كراماً لأن صديقنا الحميم قاله في ساعة من ساعات الانفعال الذي سنذكر سببه كما قدمنا

ويعيب علينا السيد مندور أننا قرأنا المعلومات التي سقناها في كتيب من كتيبات العروض ثم استعنا في شرحها بالقاموس ! وهذا ، لو أنه حصل ، لا يضيرنا قط ، ولكنه يضير الصديق

الجميم كثيراً ، لأنه يدل على أنه كان فاقداً لتوازنه وهو يكتب هذا الهذر ، إذ كيف يقرأ الإنسان فى كتاب من كتب العروض ، ثم يحتاج إلى القاموس مع أن كتب العروض الإنجليزى لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا تناولتها بالشرح . . . على أننى لم أفهم لماذا يعيب السيد مندور الرجوع إلى القاموس أو الاعتماد عليه فى شرح كلمة من الكلمات ؟ هل ذلك لأن المعلومات التى فى تلك القواميس تكون خطأ عادة ؟ وكيف يا أخى يصح هذا ؟ وكيف ياسيد العروضيين تغفل انجلترا ويغفل الإنجليز عن هـذا الخطر الذى جاء السيد مندور ليكتشفه لهم صبيحة يوم الأحد فى السابع من نوفمبر سنة ١٩٤٣ ؟!

تالله لقد نبهتنى إلى (قفشة) أقفشها لك ، فقد أحسست من ثنايا كلماتك أنك رجعت إلى تلك القواميس كما لم يفعل العبد الفقير إلى الله ، لتنظر فى معنى بعض تلك (المعميات) كما سميتها أنا رفقاً بالقراء ، فلما وجدت القواميس تنصر حتى على باطلك ، وتواضى على ادعائك العريض ، عجلت فأردت توهين هذه الحجة التى أقذف الآن بها عليك لتدمغك ، بالرغم من درجاتك العلمية الجامعية التى لا أنكرها قط ، ولا أقدح فيها قط

إسمع يا صديقى الجميم ما جاء فى قاموس القرن العشرين فى مادة Alexandrine :

A rhyming verse of twelve syllables, six iambic feet, so called from its use in old French poems on Alexander the Great. It is the ordinary verse of French tragedy.

ومعنى هذا اللغو (فى نظر الأخ مندور) أنه بحر (من بحور النظم) يتركب من اثنى عشر مقطعاً ، ست تفعيلات إيامبية ، وقد سمي كذلك من أجل ما استعمل فيه فى القصائد الفرنسية القديمة ، عن الإسكندر الأكبر وهو البحر الشائع فى المأساة الفرنسية

فهل قلنا نحن غير ذلك يا سيد مندور ؟ إليكم ما قلناه أيها القراء ، مما نقله الدكتور الفاضل بقلمه عن مقالنا : « ويفضل بعض الشعراء البحر الأسكندرى ، نسبة إلى الإسكندر الأكبر والقصائد التى نظمت فيه من هذا البحر . ويؤثر شعراء المأساة الفرنسيون النظم من هذا البحر إطلاقا ، وهو يتكون من اثنى عشر مقطعاً (ست تفعيلات إيامبية × مقطعين)

فأينا الذى لم يتحر الدقة ووقع فى الخطأ البين كما قال الدكتور مندور الذى نال درجاته العلمية فى هذا العلم ؟ أينا المخطىء أيها القراء ؟ أنا أم قاموس القرن العشرين ، أم الدكتور مندور الذى تخصص فى أعاريض الشعر قديمها وحديثها ؟ على أننا نرجع إلى لاروس ـ القاموس الفرنسى المحترم ـ لنرى ماذا يقول هو الآخر : فهو بعـد أن جاء بالرواية التى ذكرها السيد مندور ، ويضيف إليها أنه يتركب من اثنى عشر مقطعاً كما ذكرنا نحن وأنكره الأخ العزيز المتخصص فى أعاريض الشعر ، يقول :

C'est le vers heroique, le vers de l'epopée, de la tragedie, des grands poémes.

فأين الخطأ البين الذى وقعنا فيه يا عالم ؟ ! لعل الأخ مندور ـ المتخصص فى الأعاريض بأنواعها ـ أخذ علينا نسبة هذا البحر إلى الإسكندر من القصائد التى نظمت فيه من هذا البحر وعدم نسبته بالذات إلى أل Roman d'Alexandre ؛ فاسمعوا يا أصدقائى القراء ـ وأنا فى حاجة إلى تملقكم بهـذه النداءات الظريفة ـ ما تقوله دائرة المعارف البريطانية من هـذا البحر ، فهى بعد أن تذكر أنه هو البحر الرئيسى فى الشعر الفرنسى ، وأنه يستعمل عادة فى الشعر القصصى والمآسى والملاهى الرفيعة ، تقول عن أصل تسميته :

There is some doubt as to the origin of the name, but most probably It is derived from a collection of romances published early in the 13 th century of which Alexander of Macedon was the hero.

ومعنى هـذا : أنه يوجد بعض الشك بالنسبة إلى منشأ اسم هذا البحر إلا أن أكثرها احتمالا أنه مشتق من مجموعة من الروايات الشعرية ذاعت إبان القرن الثالث عشر ، وكان الإسكندر المقدونى بطلها .

فما رأى الأستاذ مندور فى هذا الهذيان الذى لفت به دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فى تصنيفها ساداتنا جميعاً من علماء الأمة الإنجليزية ، والذين هم بلا شك أساتذتك وأساتذتى فى العروض وفى العلم وفى الأدب وفى ضبط الأعصاب أيضاً ! إنهم لم يقصروا تسمية هذا البحر كما فعلت أيها التخصص فى الأعاريض الأوربية التى ذكرت والتى ذكرها لاروس ، بل قالوا كما قلنا ـ نحن الفقراء إلى الله الذين لم نتخصص فى هذا العلم ، لأنه ، وحياة ذقنك ، لا يحتاج إلى هذا التخصص أبداً ، قالوا إن ثمة شكاً فى

أصل هذه التسمية ، وإن أكثر الروايات احتمالا نسبته إلى الـ Romances التى نظمت فى الإسكندر المقدونى

فأين إذن عدم الدقة ، وأين إذن هذا الخطأ الفاحش الذى تردينا فيه ، وأين هو التوهم والإبهام والضلال والتضليل ، وما نتخيله من أننا نعرف شيئاً ونحن لا نعرف شيئاً قط ؟!

عفا الله عن مستر هايد الذى كان باقى عليك هذه الوقاحات يا دكتور جيكل ، فى ساعة من ساعات عدم الوعى التى يذكر إخوانك أنها كانت تنتاب جيكل المسكين كلما طار أحد أبراج عقله الجبار ...

أما تعبيرى عن المقاطع بالطول والقصر وأنه لا ينطبق (بسهولة) على العروض الإنجليزى فقد آثرته ليفهمه الشعراء الذين أكتب لهم ممن درسوا أعاريض الشعر العربى ولم يلموا بلغة أجنبية ، وسأجعلك تطير من الفرح حينما أنقل لك هنا تفسير أحد القواميس التى لا يعجبك النقل عنها لإحدى التفعيلات ، كى تقول لقرائك . ألم أقل لكم إن جل اعتماده على القواميس !

إسمع ما يقوله قاموس القرن العشرين فى تفعيلة Amphibrach

A foot of three syllables — a short, a long a short

أى :

an accented syllable between two unaccented.

فهل قلت أنا غير هذا الذى قاله هذا القاموس الجاهل أو دائرة المعارف التى ليس عندها علم السيد مندور ؟ ولقد ضربت لذلك مثلاً لاحظت فيه أن يشمل الارتكاز stress الذى نبه إليه حضرة الناقد اللوذعى فقلت مثل : (رَيْحانَهْ) ، ولاحظت وجود الارتكاز فى كل ما ضربت من أمثلة عربية

وبعد . فماذا بقى مما جهّلنا به السيد مندور لم نرد عليه ؟

وبعد أيضاً ... فماذا يقول القراء فى سائر الآفاق عن هذه اللهجة التى ينحط إليها أدب المناظرة فى مصر ؟

وبعد . وبعد ؛ فما سبب هذا الموقف الذى يقفه منا جناة هذا الدكتور مندور ؟

اسمعوا إذن ياحضرات القراء

ليس صحيحاً أنه يقف هذا الموقف لأننى دافعت عن رجولته التى غمزها هو نفسه بالذى غمزها به صديقنا الكاتب المعروف ، كما يتفكه أصدقاؤه وأصدقائى فى القاهرة ... وليس صحيحاً أننا نقتسم فيما بيننا تركة ، فالدكتور ليس من أقربائى ، وإن كان ذلك كان يسرنى ويشرفنى

ولكن المسألة أن الدكتور مندور يدأب منذ طويل فى الطعن على شعرائنا المصريين بدون استثناء . وتجريحهم ، والحط من شأنهم ، بل فى تجريدهم من شاعريتهم ، وتفضيل شعراء المُهَاجَر عليهم ، أولئك الشعراء الذين نجلهم ونحبهم ونعرف لهم فضلهم ومعاونتهم فى نهضتنا العربية الأدبية الكبرى ... لكن أحداً لم يذهب إلى تفضيل هؤلاء الشعراء الأفاضل عامة على شعرائنا عامة غير الدكتور مندور ، وهو يستشهد فى هذه الدعوى بقطع تدل على مبلغ تذوقه للشعر ، ومدى مقدرته على الموازنة بين الشعراء . وقد غضبنا لهذه الخطة الجائرة ، لا تعصباً أعمى لشعرائنا ، وإن يكن التعصب البصير ديْناً لهم فى أعناق الكتاب المصريين جميعاً ، ولكن لأن الدكتور قد جاوز حد الدعابة إلى حد الجد ، وأقول حد الدعابة ، لأننى حسبته إنما يداعب شعراءنا أول الأمر ، ولأن الموازنات التى ذهب إليها كانت كثيراً ما تغثى النفس وتقبض القلب ، وتتعمد الغض من أقدار الشعراء المصريين تعمدا باطلا بلغ حد الخطورة على سمعة الأدب المصرى والشعر المصرى ، الذى هو مع ضيق آفاقه التى نشكو منها دائماً ، ألمع مظهر من مظاهر هذا الأدب

ففى مقالنا عن ـ تجديد الأدب العربى ـ بالعدد (٥٣٥) من الرسالة ، كتبنا كلمات ثناء على شعرائنا الشيوخ ننفى بها ما كان يحتمل أن يُفهم من أننا نقصر الرجاء على شعرائنا الشباب فى القيام بتجديد الشعر العربى شكلاً وموضوعاً ، فلما بلغنا الكلام عن الأستاذ العقاد قلنا إننا كنا نضع فيه أملنا للنهوض بأعباء تلك الثورة ، لكن أملنا هذا ـ خاب ـ بهذا التعبير ، حتى لا يظن أحد أننا إنما نحتمى بأحد فى ردنا على صديقنا مندور ... وذلك لأن العقاد آثر أن يسلك الطريق القديمة للشعر العربى شكلاً وموضوعاً ... ولكننا قلنا قبل هذا فى المقال نفسه ... « أما العقاد العظيم فهو شاعر المعانى غير مدافع ، والذين زعموا أنه لا شأن له بالشعر هم قوم قليلو البصر بالشعر ، بل ربما كان الأحسن ألا يكون لهم هم شأن بالشعر ، ولو أن العقاد كان يعنى بديباجته وتجويد أسلوبه الشعرى لخر أمامه أولئك النقاد جثياً ... »

هذا ما قلناه نثبته هنا لأنه هو الذى أحفظ علينا الأستاذ مندور وذلك لأنه هو قائل تلك القولة الجريئة التى تدل على قيمة

أوزان الشعر

٣ـ الشعر العربى

للدكتور محمد مندور

ليس من شك فى أن الخليل بن أحمد كان رجلا عبقريا نفخر به مع من نفخر بهم من أجداد . ولكن العلم لا يعرف الوقوف ، ولقد تقدمت الدراسات اللغوية تقدما يحملنا على أن نطمح إلى معرفة أدق من معرفة الخليل بالعناصر الموسيقية فى شعرنا العربى .

والذى لا شك فيه أن الخليل قد وضح حقيقة أساسية فى الشعر العربى لا نستطيع أن نغفلها ، وهى انقسام كل بيت إلى تفاعيل متساوية ، كما هو الحال فى الرجز والهزج وغيرهما ، أو متجاوبة (التفعيل الأول يساوى الثالث والثانى يساوى الرابع) كما هو الحال فى الطويل والبسيط وغيرهما . وهذا التقسيم من أسس الموسيقى والشعر عند الأوربيين اليوم ؛ فهناك وحدات موسيقية متساوية isometriques وأخرى متجاوبة symetriques كما وضح الخليل .

ولكننا لا نكاد نترك وجود التفاعيل إلى بنية تلك التفاعيل حتى نختلف مع الخليل ، وذلك لأنه لم يدلنا على وحدة الكلام وهى المقطع . وأكبر ظنى أن الخليل لم يعرف العروض اليونانى وإلا لفطن إلى المقطع ، وإن يكن قد علم فيما يرجع بالموسيقى اليونانية بفرعيها : (علم الإيقاع La rythmique وعلم الانسجام Les harmoniques) . والعروض اليونانى كما هو معلوم يقوم على المقطع ، والسبب الذى منع الخليل من الوقوع على المقطع مزدوج فيما أظن :

١ — عدم كتابة الحروف الصائتة القصيرة voyelles brèves التى نسميها حركات (الفتح والضم والكسر) فى صلب الكتابة العربية التى لا تزال إلى اليوم مقطعية إلى حد بعيد ، بمعنى أننا نكتفى برسم الحروف الصامتة ، وأما الصائتة فلا تكتب إلا الطويل منها (الألف والواو والياء) . فكتابتنا وسط بين الكتابة الفينيقية والكتابة الإغريقية ، ومن الثابت تاريخياً أن الإغريق عند أخذهم بالكتابة الفينيقية قد أضافوا إليها رسوما خاصة للحروف الصائتة كلها طويلة وقصيرة . وأبنى على ذلك أن الخليل لم يفطن إلى أن الحروف الصائتة القصيرة تكون مع الحرف الصامت Consonne الذى توضع فوقه كحركة مقطعاً تاما مستقلا . ولهذا اكتفى فى تقطيع التفعيل بالحروف التى تكتب مميزاً بينها بالحركة والسكون .

أحكامه « المائعة ! » كما عبر عنها مناظره الأستاذ المعروف ، والتى يصدرها فى غير وعى ليهدم أمجاد شعرائنا والعقاد ومدرسة العقاد فى مقدمتهم ... الدكتور مندور هو الذى قال : إن العقاد لا شأن له بالشعر ، وهو قول يكفى للرد عليه أن نقول ما قلنا ، لأن الذين يقولون هذا هم قوم لا بصر لهم بالشعر حقاً ، بل ربما كان الأفضل ألا يكون لهم شأن بالشعر على الإطلاق ... نقولها اليوم صرحاء بعد إذ كنا نلمح بها تلميحاً عسى أن ترعوى تلك الطائفة من الكتاب الذين لا هم لهم إلا هدم شعرائنا الذين نعتز بهم جميعاً وبلا استثناء لأنهم أعز علينا من ألف كاتب فج من أمثالهم ... ونحب أن نطمئن قراءنا وأن نطمئن الصديق الحميم الأستاذ مندور ، فنحن لم نر العقاد فى حياتنا إلا مرة واحدة فى مأتم ، ولسنا نطمع فى صداقات جديدة بعد الذى بلوناه من صداقة السيد مندور ، ولكننا مع ذلك نعرف العقاد ونقرأه من نحو ثلاثين عاماً وقد كتبنا عنه سنة ١٩٣٠ ، إذ هو سجين فى ذلك الوقت ، مقالاً تجفل منه الأبالسة ، بالمجلة الجديدة قدرنا فيه العقاد الشاعر والعقاد الكاتب ، مما كان سبباً فى الأخذ بتلابيبنا فى ذلك العهد الرجعى الأسود لا أعاده الله ... ومع ذلك فنحن ما زلنا نقول إن العقاد خيب آمالنا فيه ، وعسى أن يسمدها إن شاء الله ، أما أن نقول إنه لا شأن له بالشعر ، فنكون مجانين ـ نحن فقط دون تعريض بأحد ـ إذا لغونا بذلك مع من يلغون به ...

والعقاد على هذا من « الشعراء الكبار الذين يعجبوننا » كما زل قلم السيد مندور فى مقاله ليسجل على نفسه الداعى الذى دعاه إلى كتابة ما كتب . وفرق بين أن يتفقه المرء فى أعاريض الشعر ، وبين أن يكون شاعراً ، أو أن تكون له موهبة تذوق الأشعار وإصدار الأحكام عليها .

وسنأخذ قريباً إن شاء الله فى نشر دراسات هادئة لكثيرين من الشعراء المصريين شيبهم وشبابهم لنبصر الذين كفروا بأمجاد الوطن بما ضلت أعينهم عن إدراكه من آيات العبقرية المصرية

وبعد ... فإنى أعتذر للقراء عما فرط به القلم من لغو القول فى هذا الحديث ولن أرد على لغو آخر قط .

دريني خشبة

٢ — السبب الثانى هو أن اللغة العربية كغيرها من اللغات السامية تغلب فيها الحروف الصامتة فيما يرجح ، وتلك الحروف يقع منها عادة الوقف ، أى السكون ، ولهـذا لاح للخليل أن التتابع إنما يقع فى الحركات والسكنات ، بينما نجـد فى لغة كاللغة اليونانية أن الحروف الصائتة هى الغالبة ، ولهذا لا نحس فيها بالسكنات الموجودة فى اللغة العربية ، بل نحس فوق كل شىء باختلاف كم الحروف الصائتة فى تتابعها .

هـذان السببان لا يجوز أن يحجبا عنا الحقيقة اللغوية التى تصدق على كل لغة وهى أن المقطع هو وحدة الكلام . وفى اللغة العربية أربعة أنواع من المقـاطع هى : (١) المقطع القصير المفتوح ، وهو المكون من حرف صامت وحرف صائت قصير (حركة) مثل المقاطع الثلاثة فى كَـتَـبَ (٢) المقطع الطويل المفتوح وهو المكون من حرف صامت وحرف صائت طويل (ألف أو واو أو ياء — حروف اللين) مثل « كا » فى كانت (٣) المقطع الطويل المزدوج وهو المكون من حرف صامت وحرفين صائتين مثل بَىْ bai فى بيت مع احتفاظنا بالمناقشة العلمية التى تدور حول طبيعة الياء فى هذا المقطع أهى صائتة أم صامتة (٤) المقطع المغلق وهو المكون من حرف صامت ، ثم حركة فحرف صامت آخر نحو « تُن » فى بيتٌ والحرف الصائت فى هذا المقطع قصير دائماً ؛ فهذا قانون هام من قوانين اللغة العربية وليس له استثناء إلا فى حالات محصورة أهمها حالات الوقف على الإسم المنون مثل « نارْ » ؛ فهى تتـكون فى هـذه الحالة من مقطع واحد مغلق حرفه الصائت طويل ، وكذلك الوقف فى حالتى التثنية والجمع مثل محمدانْ ومحمدونْ ، فالمقطع « دان » والمقطع « دون » كل منهما حرفه الصائت طويل ، وإذن فالقانون العام هو قصر الحرف الصائت فى المقطع المغلق ؛ فهل نعتبره مقطعاً طويلاً أم قصيراً ؟ الواقع أنه مقطع طويل ويأتيه الطول من الزمن الذى يستغرقه الحرفان الصامتان ؛ فهذا الزمن لا بد من حسابه وإن لم يحسبه علماء العروض الإغريقى واللاتينى . ولقد أثبت البحث الحديث أنه من الواجب أن يحسب كم الحروف الصامتة فى كافة اللغات ومن باب أولى فى اللغات السامية حيث تغلب تلك الحروف . ثم إنه إذا كان فى كافة اللغـات حروف آنيـة momentanées كحروف الانفجار (باء وفاء مثلاً) ؛ فإن هناك حروفاً متمادة continues كالسين واللام مثلاً ، فهذه من الممكن أن نمد فى نطقها كما نشاء . وإذن فالمقطع المغلق نعتبره طويلاً

ونخلص من هذا إلى وجود مقاطع فى اللغة العربية . وهذه المقاطع تختلف فى كمها . فهل نستنتج من ذلك أن الشعر العربى كمى بمعنى أن كل تفعيل فيه يتـكون من مقاطع مختلفة الـكم بنسب محددة ؟

ذلك ما رآه المستشرق إوالد Ewald فقد وضع للشعر العربى عروضاً على غرار العروض اليونانى وهو عروض مستقيم سهل الفهم مبسط عن عروضنا تبسيطاً كبيراً . ولقد درسناه فى العام الماضى للطلبة بالجامعة فأجادوا فهمه . ويستطيع القارىء أن يجده فى الجزء الثانى « من قواعد اللغة العربية » Arabic Grammar للمستشرق المشهور ريث Right ، ولـكننا مع ذلك لا نقر إوالد ومن نحا نحوه من عامة المستشرقين فى اكتفائهم برد العروض العربى إلى المقاطع الـكمية كما هو الحال فى العروض اليونانى واللاتينى ، وذلك لأنهم لم يبصرونا بالإيقاع Rythme ؛ فالـكم كما قلنا لا يـكفى لإدراك موسيقى الشعر بل لا بد من الارتـكاز الشعرى الذى يقع على كل تفعيل ويعود فى نفس الموضع على التفعيل التالى وهكذا . ولقد كان للخليل على المستشرقين ميزة الإحساس بهذا الإيقاع فتتابع الحركة والسكون على نسب محددة يوضح ذلك الإيقاع ولا كذلك تتابع المقاطع المختلفة الـكم .

(للكلام بقية)

محمد مندور

٣ - جامع احمد ابن طولون

[حديث ألقى فى نادى التجارة فى ليلة القدر]

للأستاذ أحمد رمزى بك

قنصل مصر فى سوريا ولبنان

يذكر المؤرخون الشيء الكثير عن هذا الجامع ، فيقولون : إن ابن طولون رأى الصناع يبنون فى الجامع عند المشاء ، وكان ذلك فى شهر رمضان . فقال : متى يشترى هؤلاء الضعفاء إفطاراً لعيالهم وأولادهم ؟ اصرفوهم العصر فصارت سنة بعصر معمولاً بها إلى اليوم

ويروى أنه فى يوم الجمعة التى صلى فيها ابن طولون لأول مرة ، قام الخطيب فدعا للخليفة العباسى وولده ونسى أن يذكر أمير مصر وعزيزها ثم تنبه لذلك فقال : « الحمد لله وصلى الله على محمد ، ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً ، اللهم واصلح الأمير أبا العباس احمد بن طولون مولى أمير المؤمنين »

***

ثم انتهت دولة آل طولون ، وزالت آثارهم ، فما بقى لهم سوى هذا الجامع الخالد يذكر الناس بهم وبأيامهم ، وبمجدهم وهل كان مجدهم إلا مجد مصر ؟

ذكر صاحب النجوم الزاهرة من حوادث سنة ٢٩٢هـ « وزالت الدولة الطولونية وكانت من غرر الدول ، وأيامهم من محاسن الأيام »

وقال أيضاً : ولقد بكى الناس والشعراء دولة آل طولون وقالوا من المراثى الشيء الكثير وذكر ما قال فيهم اسماعيل ابن أبى هاشم :

قف وقفة بفناء باب الساج ... والقصر ذى الشرفات والأبراج
وربوع قوم أزعجوا عن دارهم ... بعد الإقامة أيما إزعاج
كانوا مصابيحاً لدى ظلم الدجى ... يسرى بها السارون فى الأدلاج
كانوا ليوثاً لا يرام حماهم ... فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر إلى آثارهم تلقى لهم ... علماً بكل ثنية وفجاج

وقال سعيد العاص :

وكان أبو العباس احمد ماجدا ... جميل المحيا لا يبيت على وتر
كأن ليالى الدهر كانت لحسنها ... وأشراقها فى عصره ليلة القدر

وقال ابن أبى هاشم :

يا منزلاً لبنى طولون قد دثرا ... سقاك صوب الغوادى القطر والمطرا
يا منزلاً صرت أجفوه وأهجره ... وكان يعدل عندى السمع والبصرا
بالله عندك علم من أحبتنا ... أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا ؟

لبيك يا ابن أبى هاشم لقد سمعت لهم خبراً ولكن بعد ألف عام من شعرك : إذ فى سنة ١٨٩٠ بينما كانت لجنة حفظ الآثار العربية تنقل بعض الأنقاض للمحافظة على هذا الجامع العتيق ، عثرت على بعض قطع من الرخام ، جمعت ورتبت فتألف منها اللوح الموجود الآن وهو بالكتابة الكوفية جاء فيها بعد آيات قرآنية ما يأتى :

« أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين أدام الله له العز والكرامة ، والنعمة التامة فى الآخرة والأولى ، ببناء هذا المسجد المبارك ، الميمون من خالص ما أفاء الله عليه ، لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة ، وإيثاراً لما فيه تسنية لدين ، وألفة المؤمنين ، ورغبة فى عمارة بيت الله وأداء فرضه ، وتلاوة كتابه ، ومداومة ذكره ، إذ يقول الله تقدس وتعالى : فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ... »

« فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين »

وقد أجمع العلماء على أن هذه الكتابة أقدم كتابة تاريخها ثابت معروف من كتابات الآثار العربية

رحم الله صاحب الجامع وطيب ثراه

وتقلبت الليالى وتعاقبت الدول ودخل القائد جوهر على رأس جيش من إخواننا أهل المغرب فى خدمة دولة ناشئة ذات صولة ومجد وقوة ، وكانوا أهل دعوة وأتباع مذهب وأمامة . وقد دانت لهم دنيا المغرب ، ونزلت على إرادتهم الأمم . ألم ترفع

ألويتهم على سردينيا وصقلية ؟ ألم تدفع لهم مدن إيطاليا الجزية ؟ ألم يمخر أسطولهم عباب البحار ؟ وفى يوم الجمعة ١٨ ربيع الآخر سنة ٣٥٩ هجرية ، دخل القائد المنتصر بعسكر كثيف جامع ابن طولون فأقام الجماعة ، وجهر المؤذنون بآذان : حى على خير العمل ، فكان أول آذان شيعى جهر به فى أرض الكنانة ، وصلى بالقوم عبد السميع بن عمر العباسى ، وخطب الناس وأطال . ويذكر المؤرخون أنه جاء وعليه قلنسوة وطيلسان دبسى ، وأنه زاد عقب الخطبة المعتادة ما يأتى :

« اللهم صلى على محمد المصطفى ، وعلى على المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطى الرسول ، الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . اللهم وصل على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين . ودعا للقائد جوهر ، وجهر باسم الله الرحمن ، وقرأ سورة الجمعة ، والمنافقين فى الصلاة ، وقنت فى الركوع فكان يوماً تاريخياً خالداً فى حياة مصر العربيـة التى دخلت فى طور جديد بدأنه بجامع ابن طولون

هذه ذكريات توحيها وقفة أمام المحراب الكبير ، بأعمدته الرخامية ذات التيجان الأربعة ، والتى تملك النفس حينما تنظر إلى ما هو من جمال الرخام الملون والفسيفساء المذهبة ، ثم الكتابة الكوفية الفاطمية الفائقة الجمال فى تنسيق الخط وتزهيره . فإذا اتجهت إلى اليمين ، فهناك محراب آخر من العهد الفاطمى ، عليه اسم الأفضل والمستنصر ، وهناك غير ذلك من آثار ذلك العهد ، فإذا مررت بها فاذكر أياماً لهم ، وترحم عليهم ، فقد جد الفاطميون وأنشأوا وصانوا ولهم الأيادى البيض . وهم إن اختلف الناس فيهم وتباينوا فى الحكم عليهم فنحن فى زمن تعالى عن نزعات الماضى

(للحديث صلة) أحمد رمزى

الريف المصرى

للأستاذ محمد طاهر الجبلاوى

أشرق الضوء على كوخى الصغير   فى ظلال الريف والخلق نيام
فتنبهت على صبح نضير   ناعم الأنفاس عذب الابتسام

كشف الستر عن الكون القرير   بيد من فضة فى عسجد
فتجلى وجهه الصافى المنير   يعد النفس بيوم مسعد

وصياح الديك من فوق اليفاع   هاتفاً يبعث فى الأفق الطرب
يا له من شاعر هز البقاع   حين حيا بالنشيد المقتضب

والعصافير على أشجارها   صادحات بأفانين الغناء
أى روح حل فى أوكارها   فأشاع البشر فيها والصفاء

وخوار وثغاء وبغام   بادئ البهجة فى كل مكان
هى موسيقى نشوز وانسجام   تُبعث الدنيا بها فى مهرجان

ونباح الكلب من خلف الغنم   فى انتباه وصراخ واقتحام
هزه الوجد وأشجاه النغم   تجرى فى نشوة بين الزحام

منظر فى الريف يستهوى الجَنان   أين منه ضجة فى المدنِ
كل ما فيه جمال وحنان   خالد الحسن خلود الزمن

وترى الفلاح رحب المنكبين   باسطاً كفيه مثل الباشقِ
يرمق الزرع بعين أى عين   وفؤاد كفؤاد العاشق

هو فى الحقل عزيز الجانب   وله فيه مضاء وأمل
ليس يغرى بنعيم كاذب   أو يرى حِلف خمول وكسل

فأسه تنبض فى قبضته   وهى فى الحق حديد وجماد
عزمه الصادق فى حدته   بعث القوة فيها والجلاد

يبذر الحب ويرجو الثمرات   فى رضاء ووقار خالب
حينما سار يبث البركات   وهو يسعى فى مسوح الراهب

فإذا الأرض سرى فيها النماء   وكساها بالقشيب النضر
خالج النفس صفاء وبهاء   وتجلت فتنة للنظر

فتنة لا بل ضياء وهدى   وجمال جل فى إتقانه
ذلك المخضلُ من تحت الندى   كم أراح القلب من أشجانه

لو رأيت القطن فى بهجته   وهو يختال على الغصن المديد
قلت حلم الصب فى نشوته   يتوشى كل يوم بجديد

وكأن القمح فى رأد النهار   يتراءى فى شذور الذهبِ
لجة الماء يُغشيها النضار   وتحلى من شعاع المغرب

والسواقى من قريب وبعيد   صادحاتٌ بالمياه الجارية
يتغنى خلفها طفل سعيد   مستظلاً بالغصون الساجية

وبنات الريف يحملن الجرار   فى دلال يكتسى بالخجل
هن للقرية زين وفخار   وعليهن صلاح المنزل

حبذا الزوجة تصفى ودها   وتواسى الزوج بالقلب الأمين
تحلب الشاة وترعى ولدها   وهى فى الحقل له نعم المعين

خُلق يورق فى ظل الربى   ويروّى من معين لا يشاب
هو والنبت ونفحات الصبا   فطرة تذكو بأرواح عِذاب

أيها الريف زهت فيك الحياه   وتجلت صنعة المقتدرِ
كلما حدثت قلبى بمناه   راعنى فيك جمال الذِّكَر

فإذا النفس تولاها الكرى   ومضت تغفل عن دنيا الزحام
لحتَ فى الخاطر حلماً مزهراً   يتلاقى الصفو فيه والسلام

محمد طاهر الجبلاوى



إلى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

أشكر لك أيها الأستاذ الجليل بيانك الجيد عن الشعر المرسل ، ولكنى ما زلت ألح على ثقافتك الممتازة واطلاعك الواسع وشاعريتك السامية العالية ألا تؤثر على هذه الدعوة التى أدعو بها الشعراء كي يقوموا بتجاربهم فى هذا اللون من ألوان الشعر قبل أن يحكموا عليه بمنافاته للذوق وعدم انسجامه وموسيقا الشعر العربى ؛ فهذه هى الاعتراضات نفسها التى صرح بها النقاد فى إيطاليا فى وجه ترسينو ، وفى انجلترا فى وجه مارلو ، وفى كل مكان فى وجه الذين حاولوه المحاولة الأولى ... التجربة وحدها هى التى تثبت صلاحية هذا الشعر أو فساده . وقد عرضنا - وسنعرض نماذج من شعر الأستاذ أبى حديد - وهى نماذج متوسطة ، من نظم رجل لم يشتهر بالشعر ، ولم يمارسه ممارسة المنقطعين للنظم ، وهى مع ذلك لا تسف ذلك الإسفاف الذى يجعلها تنبو فى الذوق ، أو تصدم الأذن الموسيقية ، فما بالك لو كان لدينا اليوم نماذج من هذا الشعر ، وعلى الأسس التى ابتكرها أبو حديد ، من نظمك الشائق الممتاز ، أو من نظم مطران أو محرم أو الكاشف أو الجارم أو على طه أو رامى أو ناجى أو الجبلاوى أو شيبوب ، أو من نظم شعرائنا الشباب محمود حسن اسماعيل أو غنيم أو الصيرفى أو عتيق أو بخيت أو البحيرى أو قطب أو فهمى أو المجمى أو جودت أو البشبيشى أو محفوظ أو فتحى أو الوكيل ... إلى آخر هذا الثبت الطويل الذى تمتز به مصر الحديثة من شعرائنا الشباب والشيوخ على حد سواء ...

أظنك تتفق معى أيها الأستاذ الجليل على أن التجربة وحدها هى التى تكفل لنا الحكم الصادق على صلاحية هذا الشعر أو عدمها ، وأن التجربة التى قام بها أبو حديد إنما ينبغى أن يقوم بها شعراء أقوى - ولن يضير أبا حديد هذا القول - شعراء مارسوا الشعر وامتازوا بالأسلوب القوى والديباجة المصقولة ، شعراء يستطيعون أن يمنحونا هذا ال Mighty Line كما منحه مارلو وكما منحه شيكسبير للأمة الإنجليزية

ونحن لا نرى أنه من اللازم للازب أن يكب شعراؤنا على هذا اللون وحده من الشعر ، فى نظم الملاحم والمطولات ، إذ يكون هذا هو التعسف بعينه ، فقد تكون المقطوعات أو ال stanzas أجمع للرواية والموسيقا من الشعر المرسل ، خصوصاً إذا قام بنظامها الشاعر الفحل الممتاز ؛ لكننا مع ذلك لا نستطيع أن نغض من قيمة الشعر المرسل المتدفق الذى انتشر فى لغات الأرض قاطبة إلا فى اللغة العربية مع الأسف الشديد . وأحب أن أؤكد للشعراء أنه لا اللغة العربية ولا طبيعة الشعر العربى هما السبب فى عدم إساغتنا لهذا الشعر . بل السبب الحقيقى هو أننا لم نجد التجارب الجيدة فيه ، التجارب التى يحسن أن يقوم بها كبار شعرائنا لا (متأففين) ولا مستنكرين

وبعد ، فأنا أعيذ العقاد العظيم من أن يكون سبباً فى انصراف شعرائنا عن محاولة القيام بتجاربهم فى الشعر المرسل ، بل أعيذه هو من أن يصر على الانصراف عن هذا الشعر .

دريني خشبة

حول أصل الحضارة اليونانية

عرض الدكتور زكى مبارك عند حديثه عن كتاب « قادة الفكر » لمناقشة الرأى القائل بأن « الثقافة اليونانية هى مصدر الثقافة الإنسانية ، وأن الناس فى الشرق والغرب وفى جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان » . وقد انتهى الدكتور من حديثه إلى تقرير أن « الفلسفة اليونانية منقولة عن الفلسفة المصرية » ؛ وهذه النتيجة التى انتهى إليها ، وإن كانت صحيحة على وجه العموم ، إلا أنها تحتاج إلى شيء من الإيضاح

أما بيان ذلك فهو أن أرسطو قد أرجع أصل الفلسفة إلى اليونان حين قرر أن طاليس هو الفيلسوف الأول الذى نشأت على يديه (فى القرن السادس قبل الميلاد) أول فلسفة عرفها التاريخ ؛ ولكن ذيوجانس اللائرسى - وهو من المؤرخين اليونانيين - عارض فى هذا الرأى ، فتحدث فى مقدمة كتابه الموسوم باسم « حياة الفلاسفة » عن وجود فلسفة سابقة للفلسفة اليونانية عند الفرس والمصريين . وعلى ذلك فإن مشكلة أصل الفلسفة قد اختلف فيها من قديم الزمان ، وتبعاً لذلك فقد تساءل الباحثون : هل كانت الفلسفة شيئاً استحدثه اليونان أم تراثاً انتقل إليهم من « البرابرة » ؟

بيد أن النتائج التى انتهى إليها الباحثون أخيراً قد رجحت الرأى الثانى ، إذ أن الكشف عن وجود حضارات سابقة

للحضارة اليونانية ، كالحضارة العراقية (فيما بين النهرين) والحضارة المصرية ، والتحقق من أن مدن أيونيه — وهى مهد الفلسفة اليونانية — قد كانت على اتصال بهاتين الحضارتين ؛ كل هـذا قد ساعد على ترجيح الرأى القائل بأن الشرق هو أصل الحضارة اليونانية . ولا يمكن أن يكون التشابه القائم بين قول طاليس بأن الماء أصل الأشياء وبين العبارات الواردة فى فاتحة « قصيدة الخلق » Poème de ia Création التى كتبت فى العراق قبل ذلك بقرون كثيرة ، راجعاً إلى مجرد الاتفاق والصدفة . هذا إلى أن البحوث المتأخرة فى الرياضيات وتاريخ نشأتها ، قد تأدت بالباحثين إلى نتائج مماثلة : إذ أن جاستون مِليو G Milhaud فى كتابه : « دراسات جديدة فى تاريخ التفكير العلمى » قد انتهى إلى القول بأن « المواد التى استطاع الشرقيون والمصريون أن يجمعوها فى الرضيات ، كانت بلا شك أكثر أهمية وأوفر غنى مما كنا نتوهم منذ نحو عشر سنين » . وفضلاً عن ذلك فإن علماء الاجتماع الذين قاموا بدراسة « العقلية البدائية » قد وجدوا فى الفلسفة اليونانية آثاراً تدلنا على أن المذاهب الفلسفية الأولى لليونان لا يمكن بحال ما من الأحوال أن تكون بدائية أولية ، وعلى ذلك فإنها لا بد أن تكون صورة مهذبة ناضجة لتفكير أكثر من ذلك عراقة وقدما . وإذن فإن من المرجح أن تكون الفلسفة اليونانية قد نشأت عن أصل شرق ، وأن يكون الفلاسفة اليونانيون الأولون منظِّمين ومعدِّلين ، لا مخترعين ومبتدعين[1]

زكريا ابراهيم

حياة مى : للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

بين يدى الآن كتاب « حياة مى » دفعه إلىّ الأستاذ فتح الله صقال ، لأنظر فيه ، وأكتب

فتحت الكتاب لأقرأ (الآنسة مى) والفهرس ، ثم أطبقه إلى أن تتاح لى فرصة لقراءته ، فلما قرأت ترجمة الآنسة مى شاقنى ما بعدها ، وقادنى حسن البيان ، وسلاسة العبارة من صفحة إلى أخرى حتى رأيتنى أفرغ له فلا أدعه حتى أتمه ، ولا أتمه حتى أهمّ بالكتابة عنه ، ولا أهم بالكتابة حتى يمضى بى الفكر إلى غايته . ولشد ما رغبت لو طال الحديث عن مى ليطول استمتاعى بتلك اللذة الساحرة التى لا يظفر بها المرء إلا فى أمثال هذه الآثار الأدبية التى لا يحس المرء فى تلاوتها ضجراً ولا تعباً .

لقد جنيت من هذا الكتاب ثمراً حلواً وظفرت منه بمتاع قيم ، ووجدت فيه لنفسى غذاء كما وجدت عن نفسى ترويحاً وعليها ترفيها . وأحب أن يشاركنى القراء فى هذه المتعة القوية . فالكتاب مشوق جذاب بموضوعه وطريقة أسلوبه

أما موضوعه فمن أحب الموضوعات إلى النفس لأنه يبحث عن « حياة مى » . وأنا أحب مياً وأكلف بها ، وأحب التحدث عنها والاستماع للذين يتخذونها موضوعاً للحديث حين يخوضون من حياتها وأدبها . فهى من الشخصيات الجديرة بالدراسة حقاً من حيث أنها غذت نهضة الفكر العربى ، والنهضة النسائية مدى ربع قرن ، فكان لها فى كل موضوع رأى ، وفى كل مكتبة أثر

وأما طريقته فطريقة التحليل النفسى بصدقه ودقته ، والعرض الروائى بطلاوته وحبكته . وأما أسلوبه فأسلوب أدبى قوى لا عوج فيه ولا التواء ، ينساب فى كثير من المواضع كالجدول الصافى . ولا ريب أن الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، قد بلغ أقصى ما أراد فى الجهة التى اختارها أو اختارها له « المقتطف » شيخ المجلات العربية الذى يحسن أن نشير إلى ما كان بينه وبين الأديبة النابغة من مودة وثيقة دامت ردحاً من الزمن ، فلا عجب إذا تولى المقتطف إخراج هذا الكتاب وفاء لصديقته وقياماً بالواجب الأدبى نحو إنتاجها الفنى . وقد استوعب الكتاب ترجمة مى وثقافتها ومحافظتها على الروح الشرقية ، وعطفها على الحياة الإنسانية ، واحترامها للشرائع السماوية ، وحبها للغة العربية ، وطريقتها فى الكتابة النثرية ، وجهودها فى النهضة النسائية ، وتأسيس ندوتها الأدبية ، وكل ما اتصل بحياة مى الثقافية من الأحاديث والأخبار التى حصل عليها الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ، من قادة الفكر فى مصر كدليل على صدق خدمتها للأدب ورفيع مكانتها فى النهضة

لذلك أرى أن القارئ يصيب من مطالعة هذا الكتاب غرضين ، معرفة الآنسة مى ، والوقوف على آراء الأدباء والشعراء فيها . وكلاهما جليل الخطر ، عظيم الأثر . وهو أثناء ذلك يستمتع بتلك الروح المذبة تطالعه من بين السطور ، روح الآنسة مى ، تشع بالنور ، وتنضح بالعطر . وتنبض بالحياة

جزى الله الكاتب الفاضل خير ما يجزى به العامل المخلص على جهده وتوفيقه . والشكر الجزيل للمقتطف على عنايته بتقديم هذا المجهود الأدبى إلى الأدب العربى الذى لا يستغنى عنه أديب .

(حلب — سوريا) صبحى العيلى

(١) « تاريخ الفلسفة » لاميل برية ، الجزء الأول ، الكتاب الأول ؛ المقدمة باريس سنة ١٩٣٨ من ص ٣ إلى ص ٦

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 543

Lundi - 29 - 11 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٤٣ « القاهرة في يوم الإثنين أول ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٩٤١ وجهات نظر ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٩٤٤ البهاء زهير ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٩٤٧ الدكتور طه حسين والشعر المرسل ... ... : الأستاذ دريني خشبة . . ...
٩٥٠ الشعر المصري ... ... : الدكتور محمد مندور .. ..
٩٥٢ العلم في روسيا ... ... : الأستاذ خليل السالم . . ...
٩٥٥ عبقرية الامام ... . : الأستاذ محمود أبو رية .. ..
٩٥٧ باتوزيس يرثي أزمردا ... ... [قصيدة] : الأستاذ علي محمود طه .. ..
٩٥٨ بين الفكر اليوناني والفكر المصري ... ... : الأديب ماهر قنديل ... ...
٩٥٨ المناقشة بعد المحاضرة نظام إسلامي قديم ... ... : الأديب أحمد الشرباصي ...
٩٥٩ لبشار أم لكثير عزة ؟ ... : الأديب عبد الحميد عثمان عبد المجيد
٩٥٩ من الشعر المنسي لحافظ بك ابراهيم ... ... : الأديب رضوان العوادلي ...
٩٥٩ الخطايا السبع .. .. : الأستاذ دريني خشبة .. ..
٩٦٠ جماعة نشر الثقافة — حفلة تأبين تقلا باشا ... ... : . . ..
٩٦٠ استدراك ... ...

وجهـــات نظر

للأستاذ عباس محمود العقاد

كانت الملاحظات التي أبداها النقاد على كتابي « عبقرية الإمام » قليلة فيما كتب عنه حتى الآن

وأقل منها الملاحظات التي تشتمل على وجهة نظر في التاريخ أو التحليل النفسي تقوم على الدرس وتستحق المناقشة

ومن هذه ملاحظات الزميل الفاضل الأستاذ أحمد أمين بك في كلمته الموجزة بصحيفة « الثقافة »

وخلاصتها :

١ — أنني اعتمدت على بعض الروايات من غير كبير نقد ، كاعتمادي على رواية نهج البلاغة في وصف الخفاش والطاووس ونحو ذلك

٢ — وأنني اعتمدت على ما روى في حديث سواة عمرو ابن العاص ، وهي رواية لم يقرأها الأستاذ الفاضل في الطبري ويذكرها المؤرخون الأثبات بصيغة « التمريض » . فيقول المسعودي : وقد قيل في بعض الروايات ، ويشير إليها ابن عبد البر في الاستيعاب فيقول ... « فيما ذكروا » وكلها عبارات تدل على التشكيك

٣ — وأن تقسيم الكلمة الذي نسب إلى الإمام في علم

النحو أشبه بالتقسيم المنطقى اليونانى . وهـذا كله ناب عن طبيعة العصر

٤ — وعلى الجملة كنت فى « العبقريات » السابقة فناناً وقاضياً فمضيت فى كتابى هذا على نهج أقرب إلى نهج المحامى والفنان ، فتعرضت للدفاع عن الإمام فى مواقف النزاع أكثر مما تعرضت لرسم شخصيته . ولعل جو الكتابة فى على نفسه قضى بذلك ، لأن حياته السياسية كانت نزاعاً لم ينته حتى بالموت

* * *

وهذه الملاحظات كلها يصح أن تلخص فى أمر واحد وهو اختلاف مقياس الترجيح والنفى والإثبات

وخلاصة هذا القياس عندى هو أن نجزم بدليل قاطع أو ننفى بدليل قاطع ، وأما الترجيح فالمعول فى قوته وضعفه على مشابهة القول المرجح للمعهود والمعقول ، فإن كان هذا القول مشابهاً لهما فلا ضير من الأخذ به على أية حال ، كأن نعلم أن فلاناً رجل محسن فلا يضير بعد ذلك أن يقال إنه أحسن بدينار فى يوم من الأيام ، وهو فى ذلك اليوم نفسه لم يحسن بدينار ولا بدرهم ، أو يقال إن آخر لص معروف فلا يضير أن يتهم بسرقة رجل بعينه وهو لم يسرق منه بل سرق من رجال آخرين

* * *

وعلى هذا القياس نرجع إلى اختلاف وجهة النظر بيننا وبين الأستاذ الفاضل فى موضوع الملاحظات التى أبداها ، فلا نرى أننا تجاوزنا القدر اللازم من الترجيح ، أو أننا قررنا شيئاً يحتاج تقريره إلى برهان أقوى من البرهان الذى اعتمدنا عليه

فأما نهج البلاغة فقد تشككنا فى نسبة بعضه إلى الإمام كما تشكك غيرنا من قبلنا ، ودعانا إلى الشك فى بعض عباراته كما قلنا فى عبقرية الإمام « ... غلبة الصيغة الفلسفية عليها وامتزاجها بالآراء والمصطلحات التى اقتبست بعد ذلك من ترجمة الكتب الإغريقية والأعجمية ، ولا سيما الكلام على الأضداد والطبائع والعدم والحدود والصفات والموصوفات »

ولكن لا يدخل فى هذا ما جاء فى نهج البلاغة من الكلام على الطاووس والخفاش وما إليه ، لأنه لا يشتمل على شىء يستغرب صدوره من الإمام على أو يستغرب صدوره من العصر الذى عاش فيه

لأن الإمام علياً عربى أصيل ، والعرب مشهورون بوصف الأحياء الآبدة والأنيسة التى رأوها ، ولهم فى الخيل والإبل وبقر الوحش والظباء والكلاب والطير أوصاف لا يدق عنها دقيق من خلائق تلك الأحياء

ولأن الإمام علياً مسلم فقيه دارس للقرآن ، والمسلمون مأمورون بالنظر فى خلق الله ، ولا سيما الفقيه الدارس الطويل للدراسة

ولأن الإمام علياً عرف بالنزعة الصوفية التى جعلت كثيراً من علماء الكلام ورجال الطريق ينسبون أنفسهم إليه

ولأن العبارات التى وصف بها الخفاش والطاووس فى نهج البلاغة لا تنافر بينها وبين عبارات الإمام أو عبارات عصره

فترجيح نسبتها إليه لا ضير فيه

وإذا بطلت نسبتها إليه بطلاناً جازماً — وهى لم تبطل قط — فالحقيقة المعهودة المعقولة باقية كما كانت قبل نسبتها إليه ، وهى أنه كان ينظر فى خلق الله وينزع فى تأمله نزعة المتصوفين

* * *

أما حديث سوءة عمرو ، فقد رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار وابن عبد ربه فى العقد الفريد ، ورواه الذين ذكرهم الأستاذ الفاضل بصيغة التمريض

فابطال هذه الروايات إنما يقوم على تنافر بين العمل وبين طبيعة عمرو بن العاص أو طبيعة على بن أبى طالب

ولا تنافر بين العمل وبين طبيعة الرجلين

فعمرو بن العاص فى عنفوان شبابه سمع رجلاً يطلب قبلة من امرأته فحقد عليه وأضمر الكيد له ، ولكنه لم يمنعها أن تقبله بل أمرها بذلك قائلاً : « قبلى ابن عمك » ثم انتقم منه بعد أن خرج من المأزق الذى كان فيه

فليس بمستغرب من معهوده ومعقوله أن يخرج من مأزق الموت فى وقعة صفين بمثل تلك الحيلة ، وقد بلغ الشيخوخة التى تهدأ فيها عرامة النفوس

وليس بمستغرب كذلك من الإمام أن يعرض عنه ، لأنه كان لا يتبع مولياً ولا ينظر إلى عورة ، وكان ينهى جنده أن يتبعوا المولين ويهتكوا العورات

وليس بناقض لهذه الروايات أن الطبرى لم يحفل بها ولم يثبتها ، لأن الطبرى فى تاريخ عمرو بن العاص خاصة يخل أيما

إخلال . وقد نبه إلى هذه الحقيقة كتاب بطلر الذى طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر فقال بحق : « ... ولكن من أكبر ما يدعو للأسف أن كتابه ناقص نقصاً عظيماً فى أخبار فتح مصر ، فإن روايته فى ذلك قليلة قلة شديدة ، وزيادة على قلتها قد دخلها خلط كبير فى كل ما يتعلق بوصف البلدان وتواريخ الحوادث وذلك يدعو إلى كثير من التضليل »

فليس الطبرى بالمرجع الوافى المقنع فى تاريخ عمرو وما ينسب إليه ، لأنه قليل الاحتفال بمعظم تفصيلات هذا التاريخ

ونعود إلى قاعدتنا فى قياس الترجيح فنسأل : ترى لو لم يثبت حديث الرواة فى هذه المسألة فماذا يبطل من صفاتنا للامام ؟

إننا جئنا بها مع غيرها للدلالة على نخوة الإمام

ونخوة الإمام صفة ثابتة له على كل فرض من الفروض التى تحوم حول هذه الرواية

فهي إذن شىء لا يجزم بنفيه

وهى إذا جزم بنفيها لا تغير الحقيقة النفسية التى أثبتناها للامام أقل تغيير

* * *

وقد عرضنا نحن لرواية من قال إن الإمام علياً وضع أساس علم النحو فقلنا : « ... وتواتر أن أبا الأسود الدؤلى شكا إليه شيوع اللحن على ألسنة العرب فقال له : اكتب ما أملى عليك ، ثم أملاه أصولاً منها أن كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف ... إلى آخر ما جاء فى تلك الرواية

وإلى هنا نحن نقرر الواقعة التاريخية ولا نزيد عليها ، لأن التواتر فى كتب العرب هو هذا بلا مراء

ثم نعقب فى عبقرية الإمام فنقول : « وهذه رواية تخالفها روايات شتى تستند إلى المقابلة بين اللغات الأخرى فى اشتقاق أصولها النحوية ولا سيما السريانية واليونانية »

إلى أن نقول : « ولا يمنع عقلاً أن يكون الإمام أول من استنبط الأصول الأولى لعلم النحو العربى من مذاكرة العلماء بهذه الأصول بين أبناء الأمم التى كانت تغشى الكوفة وحواضر العراق والشام ، وهم هنالك غير قليل ، ولا سيما السريان الذين سبقوا إلى تدوين نحوهم وفيه مشابهة كبيرة لنحو اللغة العربية »

وفى اعتقادنا أن الحد الذى وقفنا عنده هو الحد المأمون فى الشك والترجيح ، وليس لنا أن نقول غير ما قلنا بغير دليل قاطع من الأسانيد الصحيحة

أما إذا اعتمدنا على المقاربة الترجيحية فالسريان أقرب إلى اللغة العربية وإلى الكوفة من اليونان ، ومذاكرة الإمام لعلمائهم أقرب من مذاكرته لعلماء اليونان . ومن شاء بعد ذلك أن ينفى الروايات المتواترة نفياً قاطعاً فعليه الدليل

* * *

هذه أمثلة لقياس الترجيح والتشكيك عندنا فى مختلف الروايات ، وهو على ما نعتقد القياس الوحيد المأمون ؛ لأن الرواية التى نشك فيها لا تبطل شيئاً من الآراء التى نقررها سواء مضينا بالشك إلى التأييد أو إلى التفنيد . وليس لنا أن نتجاوز الشك إلى الجزم بغير برهان وثيق وسند لا مطعن فيه

* * *

وبعد فإننا نوافق الأستاذ الزميل على أننا قد اتخذنا موقف المحامى عن الإمام فى كتابنا عن عبقريته ، وأن جو الكتابة هو الذى قضى علينا باتخاذ هذا الموقف ، لأن النزاع حول على يوجب التعرض لوجوه هذا النزاع ، كما يوجب إنصافه مما قيل فيه

ولكننا لا نوافقه على أن الدفاع يمنع « رسم الشخصية » على الوجه الأمثل ، لأن تصحيح الأقوال التى يوصف بها رجل من الرجال هو القدمة الأولى لتصحيح صفاته والتعريف بحقيقة شخصه ، وليس من اللازم أن يكون حكم القضاء مخالفاً لبرهان الدفاع . بل كثيراً مايعتمد عليه وينقله بنصه ويبطل كل ماعداه

وإن من الحق علينا لزميلنا الكبير أن نشكر له ملاحظاته القيمة ، لأن الملاحظات التى تصدر عن وجهة نظر هى جلاء لوجهة نظرين بل لوجهات أنظار ، ومنها الفائدة التى يبتغيها النقاد والقراء والمؤلفون .

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي

البهاء زهير

للدكتور زكي مبارك

تمهيد

ينص منشور وزارة المعارف على أن المتسابقين يمتحنون تحريريًا في الكتب الآتية :

١ — ديوان البهاء زهير وديوان علم الدين المحيوى

٢ — كتاب أخبار أبي تمام للصولي

ومعنى هذا أن الديوانين الأولين جعلا في حكم الكتاب الواحد ، لأنهما لشاعرين عاشا في عصر واحد وفي بيئة واحدة ، ولأنهما يقتربان في المنازع الشعرية بعض الاقتراب ، وسنعرف هذه الشئون حين نوازن بينهما في الأحاديث المقبلات

حياة البهاء زهير

للأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق بحثٌ جيّد عن « البهاء زهير » ، وفي ذلك البحث كلامٌ مفصّل عن حياة الشاعر ، فمن الواجب أن يرجع الطلبة إليه ، وهو يوجد في مكتبات المدارس الأميرية . وإنما أشير بالرجوع إلى هذا البحث ، لأنه أوفى ما كُتب في ترجمة البهاء زهير ، ولأن الاطلاع عليه يقدم إلى الطلبة فوائد أدبية وتاريخية لا يظفرون بمثلها إلا بعد عناء

ومن طريف الحوادث أن وزارة المعارف كانت رأت توزيع هذا البحث على تلاميذ المدارس الثانوية ، ولكنّ ناسًا من أهل الأسكندرية ثاروا وطالبوا بسحبه من مدارس البنات ، بسبب قطعة وردت فيه ، وهي أبيات من شعر البهاء تُشبه ما يسمونه الأدب المكشوف ، مع أنها لا تستوجب العنت في اللجاج ، ومع أنها في كتاب عُرف مؤلفه بالحرص على مراعاة الذوق في الكتابة والحديث

رأى الدكتور طه حسين

حين أظهر الشيخ مصطفى بحثه عن البهاء تفضّل وأهداني نسخة ، فحدثت الدكتور طه في تلك الهدية فقال : لقد أتعب الشيخ مصطفى نفسه في غير طائل ، لأن البهاء زهير لا يستحق هذا المجهود ، ولن يكون من أعلام الشعر بأي حال ، فمن الظلم أن نحلّه ذلك المكان

قلت : ولكن البهاء زهير تفرّد بالرقة في التعبير ، وتلك ظاهرة أدبية تستحق الالتفات

فقال الدكتور طه : الشعر العربي مظلوم من هذه الناحية ، فالوعورة لا تغلب إلا على الشعر الجاهلي والشعر الأموي ، ثم غلبت السهولة بعد ذلك على أكثر الشعراء

القول الفصل

هو القول الذي نطق به التاريخ الأدبي ، فقد ثبت أن ديوان البهاء زهير ظفر بقبول لم يظفر به ديوان ، فقد طُبع عشرات المرات في مصر وفي غير مصر ، وتُرجم شعرًا إلى اللغة الإنجليزية منذ زمان ، وقال مترجمه إنه قريب الروح من شعراء الإنجليز في القرن السابع عشر ، ومعنى ذلك أنه انتقل من الصبغة المحلية إلى الصبغة الدولية ، وهذا مغنمٌ ليس بالقليل

والواقع أن في شعر البهاء نفحة عطرية لا نجدها عند أكثر الشعراء ، فقد كان مرهف الإحساس إلى أبعد الحدود ، وكانت قدرته على التعبير قدرةً عاتية ، لأنه استطاع أن يعبر عن جلائل المعاني بعبارات هي غاية في اللطف والإيناس

مشكلة المشكلات

هي مشكلة التعبير ، ويعزّ عليّ أن أقرر أن هذه المشكلة سيطرت على تاريخ الأدب العربي ، ولم تظفر إلى اليوم بما تستحق من الحلول

ومرجع هذه المشكلة إلى اعتبار الجزالة أساس البلاغة في لغة العرب ، فالكلام الجزل هو الكلام البليغ ، الكلام الجدير بالانتساب إلى العرب الفُصحاء

أما الكلام الرقيق فهو من أفانين المولدين ، لأن الحضارة

هي التي أوحت بالرقة واللطف ، ولهذا استباح الدكتور طه أن يرتاب في كل شعر رقيق ينسب إلى العصر الجاهلي ، كما تشهد نصوص كتابه الذي أثار الناس قبل سنين

وأقول بأن الدكتور طه لم يفطن إلى مقامات الكلام عند شعراء الجاهلية ، وهي مقامات لا تعترف بوحدة الأسلوب ، وإنما تلوّن الأساليب وفقاً لما توحي به شجون الأحاديث ، فترى الجزالة هنا وترى الرقة هناك

وفي القرآن شواهد على صحة هذا القول ، فهو يُؤْثر الرقة في مقام الوعد ، ويؤثر الجزالة في مقام الوعيد ، ونثرُ القرآن نثرٌ جاهليٌ ، كما بينت ذلك في كتاب « النثر الفني » ، لأنه نزل على العرب وهم جاهليون لا إسلاميون

لحظة مع الشيخ مصطفى عبد الرازق

هي لحظة قصيرة أتحامل فيها عليه ، لأزعم أني أعرف من أسرار البلاغة أكثر مما يعرف ، وهيهات ثم هيهات !

هذا الشيخ صورة من أدب النفس ، والتحامل عليه لا يليق ، لأنه يرحب بهجومي عليه ، ويسرّه أن أساجله في أي ميدان ، وأنا سأشرح صدره فأقدم إليه فائدة بلاغية لم تخطر في باله عند تأليف الكتاب

لقد نصّ في كتابه على أن الرقة في شعر البهاء زهير هي الطبع ، وأن الجزالة هي التطبّع ، وأن البهاء لم يُؤْثر الجزالة إلا في الظروف التي يحاول فيها منافسة خصومه من أعيان الشعراء

وأقول بأن الجزالة في شعر البهاء قضى بها الطبع لا التطبع لأنها من وحي المقام لا من وحي التكلف ، وإلا فما الذي يريد الشيخ مصطفى أن يقول البهاء وهو يذكر انتصار الملك الكامل ، وإجلاءه الإفرنج عن ثغر دمياط ؟

هل كان ينتظر أن يصطنع لغته في الغَـزَل ، اللغة التي يرقّ بها فيقول :

سـلّمْ عليّ إذا مرر ... تَ فلا أقلّ من السلام
الغدر في كل الطبا ... ع فلا أخصّك باللام
ما أكثر العذّال في ... ولهي عليك وفي غرامي
هَبْني كتمتهمُ هوا ... كَ فكيف أكتمهم سقامي

هذه لغة في رقة الخد الأسيل ، وهي هنا مقبولة لأنها أشبه بمناغاة الحبيب للمحبوب ، ولكنها لا تصلح للتعبير عن اصطخاب القلوب عند انتزاع ثغر دمياط من أوشاب المغيرين

أمِن التكلف أن يقول البهاء في مدح الملك الكامل :

بك اهتز عِطف الدّين في حُلَل النصر ... ورُدّت على أعقابها مِلّة الكفرِ
وليلةِ غزوٍ للعدو كأنها ... بكثرة من أرديته ليلة النحر
فياليلة قد شرّف الله قدرها ... ولا غرو إن سميتها ليلة القدر
سدَدْتَ سبيل البر والبحر عنهمُ ... بسابحةٍ دُهْمٍ وسانحةٍ غُرّ
أساطيل ليست في أساطير من مضى ... بكلِ غرابٍ راح أفتك من صقر
وجيش كمثل الليل هولاً وهيبةً ... وإن زانه ما فيه من أنجم زُهرِ
وكل جوادٍ لم يكن قطّ مثله ... لآل زهير ، لا ، ولا لبني بدر
وباتت جنود الله فوق ضوامر ... بأوضاحها تُغنِي السُّراة عن الفجر
كفى الله دِمياط المكاره إنها ... لَمِن قبلة الإسلام في موضع النحر
وما طاب ماء النيل إلاّ لأنه ... يحلّ محل الريق من ذلك الثغر

فهذا الشعر يراه مصطفى باشا مجاراةً للقدماء ، لغلبة الجزالة عليه . ولكن الواقع أن الجزالة هنا ضرورية ، لأن المقام لا يسمح بالرقيق

وعند مراجعة القصائد الموسومة بالجزالة نرى مقامات الكلام هي التي فرضت على الشاعر أن يختار الجزل ، وهذا من دقائق الصناعة الشعرية ، فلا موجب للحكم بأنه يخرج على الطبع ليساير القدماء

ولنذكر مثالاً ثانياً من الجزل هو قوله في مدح الملك الصالح نجم الدين أيوب :

ولقد سعيت إلى العلاء بهمة ... تقضي لسعيي أنه لا يُخفق
وسريتُ في ليلٍ كأنّ نجومه ... من فرط غيرتها إليّ تحدّق

متى وصلتُ سرادق الملك الذى
تقف الملوك ببابه تسترزق

فإليك يا نجم السماء فإننى | قد لاح نجم الدين لى يتألق
الصالح الملك الذى لزمانه | حسنٌ يتيه به الزمان ورونق
ملأ القلوب مخافةً ومحبةً | فالبأس يُرهَب والمكارم تعشق
فعدلت حتى ما بها متظلمٌ | وأنلت حتى ما بها مسترزقُ
يا من رفضتُ الناس حين لقيتهُ | حتى ظننت بأنهم لم يُخلقوا
قيدتُ فى مصر إليك ركائبى | غيرى يغرِّب تارةً ويشرِّق
وحللت عندك إذ حللت بمعقلٍ | يُلقى إليه مارد والأبلق
ونيقّنَ الأقوام أنى بعدها | أبداً إلى رُتب العلا لا أُسبق

فرُزقت ما لم يُرزقوا ، ونطقت ما
لم ينطقوا ، ولحقت ما لم يلحقوا

فما عيبُ هذا المديح حتى يقال إنه دون سائر فنون البهاء فى الطرافة والإبداع ؟

وأحب أن أذكر مثالاً ثالثاً يؤكد ما قصدت إليه من أن الجزالة فى شعر البهاء طبعٌ لا تطبُّع ، لأن المقام يوجبها كل الإيجاب .

قال فى مدح الملك الناصر يوسف :

ومذ كنت لم ترضَ النقيصةَ شيمتى
ومثلُك يأباها لمثلى ويأنف

ولا أبتغى إلا إقامة حرمتى | ولست بشىء غيرها أتأسف
ونفسى بحمد الله نفسٌ أبيةٌ | فما هى لا تهفو ولا تتلهف
ولكنَّ أطفالاً صغاراً ونسوةً | ولا أحدٌ غيرى بهم يتلطف
أغار إذا هبَّ النسيم عليهمُ | وقلبى لهم من رحمة يترجَّف
سرورى أن يبدو عليهم تنعمٌ | وحزنى أن يبدو عليهم تقشف
ذخرتُ لهم لطف الإله ويوسفاً | ووالله لا ضاعوا ويوسف يوسف

أكلِّف شعرى حين أشكو مشقةً
كأنىَ أدعوه لما ليس يُؤلَف

وقد كان معتاداً لكل تغزّلٍ | تهيم به الألباب حسناً وتُشنف
يلوح عليه فى التغزل رونقٌ | ويظهر فى الشكوى عليه تكلف

وما زال شعرى فيه للروح راحةٌ
وللقلب مَسلاةٌ وللهم مصرف

يناغيك فيه الظبى والظبى أحورٌ
ويُلهيك فيه الغصن والغصن أهيف

شكوت وما الشكوى إليك مذلةٌ
وإن كنت منها دائماً أتأنف

هذا أيضاً شعرٌ جزل ، وهو مع ذلك برىء من التكلف ، وإن زعم الشاعر أنه تكلف !

وهل كان يمكن فى مثل هذا المقام أن يرق على نحو ما يتفق له فى شكوى الصدود ؟

لكل مقام مقال ، وقد كان البهاء من أعرف الناس بمقامات الكلام .

ولكن ما هى ذاتية البهاء ؟ وما حياته فى مصر والحجاز ؟ وما مركزه بين معاصريه ؟ وما وزنه الصحيح فى تاريخ الشعر العربى ؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة فى الحديث المقبل . والله بالتوفيق كفيل

زكى مبارك



٥ـ الدكتور طه حسين
والشعر المرسل

اكتشاف عجيب في كتابه الأخير على هامش السيرة (الجزء الثالث)

للأستاذ دريني خشبة

مصادفة عجيبة ...

مصادفة وقعت عليها وأنا أقرأ الجزء الثالث من كتاب «على هامش السيرة» للدكتور طه حسين ...

وقبل أن أسوق للقراء خبر هذه المصادفة أقرر أنني كنت أقرأ طه حسين هذه المرة «بنية سيئة !» ... نية سيئة جداً ... بل هي أسوأ النيات جميعاً ، وليؤول صديقي الفاضل « ... » هذا الكلام على الوجه الذي يرضيه ، فنحن في غنى عن أن نقاسمه أن كلامه الذي كتبه عنا بصدد شهرزاد لم يكن السبب في نقدنا للمستشار الفني ، وصاحب كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » حين أخذنا عليه عدم اهتمامه بإحياء الترجمة في مصر ، أو بتنشيطها على الوجه الأكمل الذي تقتضيه نهضتنا ، برغم ما أثبته في كتابه الذي ذكرنا من أن كل نهضة فكرية أو أدبية نحاول إيجادها في مصر خاصة ، وفي الشرق العربي عامة ، إنما ينبغي أن تقوم قبل كل شيء على الترجمة ... لما كتبنا ذلك لم يهتم الدكتور ولم يلق باله ... ومع أن اللهجة التي كتبنا بها كانت مما يحتمل أن يؤاخذ عليها كاتبها في ظروفه الخاصة التي تشبه ظروفنا ، فإن الدكتور أغضى ولم يحفل بشيء ، وإن يكن قد شرع يمد إدارة الترجمة بوزارة المعارف بالأذكياء المقتدرين الأكفاء . وقد خيل إلينا أن الدكتور لم يقرأ ما كتبناه ، فهيأ لنا غرورنا (والعياذ بالله !) أن عدم القراءة أوجع لنا من القراءة مع الإغضاء ...

لهذا ، أو لبعضه ، قلت إنني كنت أقرأ الجزء الثالث من هامش السيرة بنية سيئة جداً ... نية الناقد الذي تأثر بطريقة النقد الحديثة في مصر ... النقد الذي يتسقط الهفوات ، ويعد الغلطات ، ويحصى الهنات ... النقد الذي لا يملك أعصابه ، بل يرسلها فيما ينقد إرسالاً ...

ومضيت في القراءة ...

فهذه عشرون صفحة ليس فيها شيء ! أقصد أن ليس فيها هفوات ولا غلطات ، ولا هنات هينات ! وإن كان كل ما كتب فيها كان حسبه من هذه الصفحات العشرين عشر صفحات أو خمس عشرة صفحة ...

لا ... ليس هذا عيباً ... لأنك إن عددته عيباً فستضحك منك قراءك ... ابحث عن شيء آخر ... فالأسلوب جميل خلاب ، والقصص مسترسل رائع ، وحسب هذه الصفحات العشرين أو الثلاثين ما فيها من ذاك جميعه ، فذاك جميعه هو الأدب ... والأدب القصصي بنوع خاص

ما هذا ؟ الدكتور طه حسين يُنطق ناساً من عرب الجاهلية بما هو من القرآن ، أو ما يقرب أن يكون من القرآن ، ولما ينزل القرآن بعد ؟ ! ما هذا الذي يقوله نسطاس لورقة بن نوفل : وظل الصبي يتيما عائلا ضالا ... أليس في هذا الكلام (رائحة !) من القرآن في سورة الضحى ؟ ... ومثل هذا شائع في الفصول التي تسبق مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ... وعلى ذكر (صلى الله عليه وسلم) هذه ... لماذا آثر الدكتور أن يختصرها هذا الاختصار الذي يذهب بجمالها ... (تلك الكلمة حلوة المجرى على اللسان ، حسنة الموقع في القلب ، خالدة في الدهر ما بقي الدهر) ! لماذا يختصرها الدكتور هذا الاختصار صلعم ؟ لماذا لا يقولها كما يجب أن تقال عظيمة كريمة رخيمة ! كما قالها بعد ذلك مرتين أو نحوها

لا . لا ... ولا هذه أيضاً ... إنما يجب أن تترك فصل نسطاس وورقة فلا تعيبه بشيء ، لأنه من أروع فصول هذا الجزء الثالث ، وإن يكن أروع منه هذا الفصل الذي انعقدت فيه أواصر الصداقة بين عمرو بن هشام — أو أبو جهل كما سوف يذكر لك — وبين أبو مرة ، أو زعيم الأبالسة ... وتقول أبو جهل وأبو مرة في موضع الجر عامدين كما تعمدها المؤلف ، وندع التأويل لكل قارئ لبيب ...

بل قل إن أردت أن تنقد الهامش بشيء إن انتقال الدكتور من الرواية إلى التاريخ ، ومن القصص الشائق إلى التحقيق العلمي بعد الصفحة الثانية والثمانين هو عمل لا يتفق وما أعلنه وأذاع به من أنه لم يكتب كتابه للمؤرخين . وقل إن الدكتور

هيكل قد ذهب بالتحقيق العلمي كما ذهب الدكتور طه بإحياء السيرة وتجديدها ، فما باله يحاول أن يكتب للعلماء الذين لا يصدقون مطلقاً ، أن ساق حمزة رضى الله عنه قطرت دماً حينما مسّها الفأس خطأ بعد دفنه بستين عددا ... ؟ ثم هـذا الحديث الحلو عن زيد بن حارثة الذى يحيك فى الصدر منه شىء غير قليل ... ولـكن لا ... فالدكتور لا يكتب للعلماء ولا للتحقيق العلمى ولـكنه يقص علينا أحسن القصص وأبرعه وأروعه

إذن ... فقل إن بالهامش أحاديث مكررة ... إذ يحدثنا الدكتور عن سيد الشهداء حمزة عم النبى حديثاً حلواً طويلاً (ص ١١١) ، ثم يعود فيحدثنا عنه حديثاً طويلا كذلك ، بعبارات هى نفسها عباراته الأولى تقريباً فى فصله عن (نزيل حمص) ص ١٧٩ . وهكذا فعل فى غير موضع من هذا الهامش . ولـكن كيف تنكر أن هـذه حسنة وليست سيئة ؛ فالحديث الأول كان أكثره عن حمزة ، أما الثانى فأكثره عن وحشى . ومع هذا فالحديث عن الرسول وعن أصحابه هو أعذب ما يتحدث به مسلم لمسلم ، ولن يضر الدكتور شيئاً ، ولن ينقص من كتابه شيئاً كذلك أن تفيض أعداد « الرسالة » الممتازة بمعظم أنباء ما تحدث إلينا به . إذ حسبنا أننا نقرأها اليوم بقلم طه حسين مبتكر هذا الأدب الدينى القصصى فى مصر ... الرجل الذى برهن بكتابه هذا على أن تصريفه لأمور وزارة المعارف لم يصرفه عن رسالته الأولى التى هى الإنتاج الأدبى القيم ، كما وهم من وهم . وحسبه أن يخرج فى أقل من سنة كتابين من هذا النسق القصصى الممتاز وأرجو أن يخرج الثالث قبل أن يتصرم العام ، وهذا الثالث — إن لاق أن نذيع سراً ائتمننا عليه طه حسين — هو (أضياف شهرزاد) ، الذى أوشك أن يفرغ منه ، أو هو قد فرغ منه بالفعل ...

ولـكن الـكتاب كله يوشك أن ينتهى دون أن تذكر لنا علاقة هامش السيرة بالشعر المرسل ... فأقول ... سوف أذكر لك تلك العلاقة بعد أن تتدبر معى هذه الأرقام ، وهى التى يتألف منها معظم فهرس الـكتاب :

(١١١ — ١٢٥ — ١٣٩ ، ثم ١٥١ — ١٦٥ — ١٧٩ — ١٩٣ — ٢٠٧ — ٢٢١ — ٢٣٥ ؟؟)

فإذا قلت وما علاقة هذا بذاك ، قلت لك : اطرح أى رقم سابق من أى رقم لاحق من هذه الأرقام ، فإنك تحصل على الرقم (١٤ ؟) فما معنى هذا ؟ أليس يعنى أن الدكتور طه يؤلف وفى يده (ترمومتر ؟) وإلا فما معنى أن يستغرق كل فصل من فصول كتابه أربع عشرة صفحة بالتمام والـكمال لا يزيد عليها ولا ينقص منها ؟ ! أليس هذا تأليفاً ميكانيكياً ؟ فإن قلت إن هذا ليس من النقد فى شىء ... بل إن هذا هو العبث ، وإنك جعلت عنوان مقالك (الدكتور طه حسين والشعر المرسل) وأنت إلى الآن لم تذكر لنا من أمر الدكتور طه حسين والشعر المرسل شيئاً ... قلت لك ... إن هذا هو أسلوب النقد فى مصر اليوم ، ولن أذكر لك شيئاً من أمر الشعر المرسل فى هامش السيرة حتى تقرأ تلك القطعة الشائقة التى أختارها لك لترى رأيك فيها ، ولتعترف معى بأن الدكتور طه حسين هو كاتب من أرق كتابنا وأسلسهم ، وأقوامهم بياناً : إقرأ إذن :

« أقبلت تسعى رويداً رويداً مثل ما يسعى النسيم العليل ، لا يمس الأرض وقع خطاها ، فهى كالروح سرى فى الفضاء ، نشر الليل عليها جناحاً فهى سر فى ضمير الظلام ، وهبت للروض بعض شذاها لجزاها بثناء جميل ، ومضى ينشر منه عبيراً مستثيراً كامنات الشجون ، فإذا الجدول نشوان يبدى من هواه ما طواه الزمان ، ردت الذكرى عليه أساه ودعا الشوق إليه الحنين ، فهو طوراً شاحب قد براه من قديم الوجد مثل الهزال ، محب الأيام يشكو إليها بثه لو أسعدته الشكاة ، وهو طوراً صاخب قد عراه من طريف الحب مثل الجنون ، جاش حتى أضحك الأرض منه عن رياض بهجةً للعيون ، ونفوس العاشقين كُرّات يعبث اليأس بها والرجاء ، كحياة الدهر تأتى عليها ظلمة الليل وضوء النهار . »

هذا يا أخى هو ما أردت أن ألفتك إليه من بيان الدكتور طه ، الذى ربما تـكون قد سمعت عنه أنه ينظم الشعر ، ولـكنك لم تقرأ له شعراً قط ... ومن يدرى ... فربما تـكون قد قرأت له شعراً فى غير كتاب من كتبه ، ولـكنك مررت به وأنت لا تدرى أنه شعر ، كما كنت عسيت أن تقرأ ـ على هامش السيرة ـ كله ، من غير أن تنتبه إلى أنك قد قرأت فيها شعراً ... وشعراً مرسلاً ... هو هذا الشعر الذى نقلناه لك هنا ... والذى كان السبب فى هذه القدمة التى لم يكن لها (داعى !) كما نقول فى كلامنا الدارج ...

حقيقة لم يكن لمقدمتنا الطويلة التى سقناها (داعى !)

مطلقاً ... فنحن كما يعرف القراء جميعاً من تلاميذ الدكتور المعجبين به ، الأوفياء له ... وليس حقاً أننا كما نقرأ على هامش السيرة بسوء نية ... وليس حقاً أن الدكتور يغضب من أحد إذا نقده في حدود النقد المعقول ، فلا يعمد إلى الهنات الهينات فيجعل من (حبّتها قبّة) أو من نمالها جمالاً ... ولا يقول كما تندّرنا مثلاً ... إطرح أى عدد سابق من أى عدد لاحق من هذه الأرقام ، فإنك تحصل على الرقم ١٤ فى كل الحالات ! فما بال الدكتور طه يكتب عشرة فصول ، فلا يزيد فى أحدها ولا ينقص عن أربع عشرة صفحة ؟ أليس يؤلف الدكتور طه وفى يده ترمومتر ؟ !

ليس حقاً إذن أن أى شىء من ذلك كان ... ولكننا تعمدنا أن نمط فى هذه المقدمة مطاً ، وأن ندس على القارئ هذا النموذج الذى اخترناه له اختياراً جاء عن طريق المصادفة ولم يأتِ عن طريق العمد ... أردنا أن ندس هذا النموذج من بيان الدكتور المشرق ، وأسلوبه المبين ، وعبارته الشائقة ... فلا يتنبه القارئ إلى أننا إنما وضعنا بين يديه شعراً ... وشعراً مرسلاً ... مما قال عنه شاعرنا الكبير الذى نحبه ونجله ونمجده ـ الأستاذ العقاد ـ إنه ينبو فى الأذن ولا يخف على السمع ...

وقد لا يكون القارئ شاعراً فيعرف كيف يكون شعراً هذا الكلام الذى نقلناه من هامش السيرة (ج ٣ ص ١٢٧) ولهذا فلا بأس من أن نعيد له هذا الكلام نفسه فى نظامه الشعرى الذى تعوده الناس :

أقبلت تسعى رويداً رويداً
مثل ما يسعى النسيم العليلْ
لا يمس الأرض وقعُ خطاها
فهى كالروح سرى فى الفضاء
نشر الليل عليها جناحا
فهى سر فى ضمير الظلامْ
وَهبتْ للروض بعض شذاها
فجزاها[1] بثناء جميلْ
ومضى ينشر فيه عبيراً
مستثيراً كامنات الشجونْ
فإذا الجدول نشوان يُبدى
من هواه ما طواه الزمانْ
ردّت الذكرى عليه أساه
ودعا الشوق إليه الحنينْ
فهو طوراً شاحب قد براه
من قديم الوجد مثل الهزالْ
صحب الأيام يشكو إليها
بثه لو أسعدته الشكاه
وهو طوراً صاخب قد عراه
من طريف الحب مثل الجنونْ
جاش حتى أضحك الأرض منه
عن رياض بهجةً للعيون
ونفوس العاشقين كرات
يعبث اليأس بها والرجاء
كحياة الدهر تأتى عليها
ظلمة الليل وضوء النهارْ ![1]

فهذا إذن هو نظم الدكتور طه حسين من الشعر المرسل الذى أورده فى آخر كتبه ـ على هامش السيرة ـ الجزء الثالث ـ الصادر فى أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، أى فى الوقت الذى كنا نحسب ألف حساب ونحن ننشر فصولنا داعين شعراءنا لإجراء تجاربهم فى هذا الشعر عسى أن يوفق أحدهم أو أكثر من واحد منهم إلى أسلوب رائع يخلو من العيوب التى يأخذها عليه النقاد المحترمون

ونحن لا يسعنا إلا أن نبدى أكبر إعجابنا بهذا المجهود المشترك الذى ساهم به زعيم النهضة الأدبية فى مصر ، وعميد الأدب العربى ، فى الثورة على القديم الذى ندعو إلى الثورة عليه وإن كنا نهتف بجميع شعرائنا أن فى وسعهم أن يعطونا شعراً مرسلاً أجود بكثير جداً مما عرضنا عليهم من شعر الأستاذ أبى حديد ومن هذا الشعر الذى نقدمه إليهم اليوم نخورين من شعر الدكتور طه حسين

(١) فى الأصل فجازاها ونحسبها سهواً لأنها تكسر الوزن .

(١) من المديد ووزنه فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

أوزان الشعر

الشعر العربى

للدكتور محمد مندور

(تتمة)

الواقع أن الارتكاز فى اللغة العربية موضوع شاق لا يزال فى حاجة إلى البحث ، ونحن لا نظن أن المستشرقين يستطيعون بحثه ، لأن معرفتهم باللغة مهما اتسعت لا يمكن أن تصل إلى الإحساس بمسائل موسيقية لغوية دقيقة كهذه . فهل مستطيعون نحن ذلك ؟

ليسمح لى القارىء بأن أقول إننى قد حاولت حل هذا الإشكال فى بحث طويل كتبته باللغة الفرنسية بعد دراسة وتحليل لثلاثة أبحر من الشعر العربى بمعمل الأصوات بباريس ، وهى الطويل والبسيط والوافر[1] .

ولنأخذ مثلاً من هذه الدراسة بيت امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهمـوم ليبتلى

فهو يوزن على مذهب أوالد كما يأتى ، (مع رمزنا للمقطع القصير بالعلامة ب والطويل بالعلامة —) :

ب — — | ب — — — | ب — — ب — ب —

ب — ب ب — — — ب — ب | ب — ب ب —

ولكن هذا الوزن لا يبصرنا بالحقيقتين الكبيرتين اللتين يقوم عليهما الشعر فى كافة اللغات ، وهما : الكم والإيقاع .

الكم mesure

نقصد بالكم لا كم كل مقطع منفردا ، فذلك ما سبق أن أوضحناه ، بل كم التفاعيل ، فنحن هنا أمام تفاعيل متجاوبة (التفعيل الأول يساوى الثالث والثانى يساوى الرابع) ، ولكننا مع ذلك نسلم بجواز زحافات وعلل ، فكيف يستقيم الكم برغم هذه الزحافات والعلل التى تنقص من التفعيل فى الغالب .

هذه المشكلة حيرت المستشرقين ، ولقد حاول العالم الفرنسى الثبت جويّار Guyard أن يحلها فى كتاب له بعنوان : Nouvelle theorie de la metrique arabe ، وفيه يطبق مواضعات الموسيقى وأصولها على الشعر العربى ، ولكنه لا يدخل فى حسابه غير الحروف الصائتة كما يفعلون فى الموسيقى ، فيعطى تلك الحروف المختلفة قيما متفاوتة من نقطة بيضاء إلى نقطة سوداء إلى كروش إلى كروش مزدوج ... الخ . ومن البين أنه قد أخطأ لسوء الحظ السبيل بإهماله كم الحروف الصامتة المظيمة الأهمية فى اللغة العربية واللغات السامية عامة كما أشرنا .

(١) هذا البحث لا يزال مخطوطا لأن الحرب حالت دون نشره بأوربا ولا يستطيع نشره غير هيئة علمية لكثرة السجلات الصوتية والرسومات فيه ، ثم لخصوصية موضوعه .

وبعد ...

فأحسب أن الدكتور طه قد أعلن رأيه الآن بطريقة فعلية فى الشعر المرسل ، وأنه فى جانبنا من قبل أن نبدأ دعوتنا ... ونحن نقول هذا حتى لا يقعد أحد من أصدقائنا الشعراء الذين وعدوا بإجراء تجاربهم فى هذا الشعر ، متأثرين برأى الأستاذ العقاد ، عن القيام بهذه التجارب ، وذلك لما للأستاذ الكبير من أثر عميق فى قلوبهم ولأن أكثرهم شعراء من مدرسته .

وبقيت ملاحظة ؛ فلقد كتب الدكتور طه شعره كأنه نثر فلم يوزعه شطراً شطراً كما فعلنا ، ولا شك فى أن غرضه من ذلك هو ألا ينبه القارىء إلى أنه يقرأ شعراً فينفر . خصوصاً إذا علم أنه يقرأ شعراً مرسلاً ...

ولقد كنت ذكرت للقراء فى إحدى مقالاتى ألا يقفوا عند آخر كل شطر ، بل رجوتهم أن يصلوا القراءة حتى لا يعز عليهم الفقيد العزيز ـ الذى هو القافية ، ويسرني بهذه المناسبة أن أقرر أن الأستاذ أبا حديد كان قد اقترح لى أن يكتب الشعر المرسل بهذه الطريقة التى كتبه بها الدكتور طه ... فهل هو توارد فى الخواطر ؟ أم أن الصديقين العزيزين كانا قد خاضا معاً فى مثل هذا الحديث من قبل ؟!

هذا ولقد قرأنا لأستاذنا الزيات رأيه فى الشعر المرسل فى السنة الثانية من « الرسالة » العدد (٣٧) ، ولعله يلاحظ أن صديقه طه قد حرص فى نظمه ذاك على كل المقترحات التى أشار بها صديقه الزيات منذ عشر سنوات .

دريني خشبة

والذى اهتدينا إليه بحساب الآلات الدقيقة هو ما يأتى ، مقدرين كم كل تفعيل بأجزاء من مائة من الثانية :

٧٤	١٣٢½	٧٧½	١٢٣	٧٧	١١٥½	٨٥½	١٣٣

وهذه نتائج غريبة نلاحظ عليها :

١ — أن التفاعيل المزحفة كالتفعيل الخامس والسابع قد ساوى كمها فى النطق كم التفاعيل الصحيحة بل زاد .

٢ — أن هناك فروقا بين التفاعيل المتساوية كالتفعيل الثانى والرابع والسادس والثامن .

وتفسير ذلك هو أولا : أن الفروق التى ظهرت فى حساب الآلات لا تدركها الأذن ، لأنه من الثابت أن الفرق الذى لا يزيد عن $\frac{16}{100}$ من الثانية لا تكاد تدركه الأذن ، وإذن فهذه نستطيع إسقاطها .

ثانياً : وأما عن مساواة التفاعيل المزحفة للتفاعيل الصحيحة فهذا يفسر بحقيقة هامة تحدث عند إنشاد الشعر ، وهى عبارة عن عمليات تعويض تقوم بها آلياً . وهذا التعويض يحدث بطرق مختلفة ، منها تطويل حرف صائت بشرط ألا ينتج عن ذلك لبس يأتى من قلب الحرف القصير بطبيعته اللغوية إلى حرف طويل ، ومنها مد النطق فى حرف صامت متماد كالسين أو اللام أو غيرهما ، ومنها الصمت بعد لفظ أو عند حرف آنى كحروف الانفجار مثل الباء والفاء وغيرهما

وإذن فالزحافات والعلل لا تغير شيئا فى كم التفاعيل عند النطق وهى لذلك لا تكسر الوزن

الارتكاز Ictus

الارتكاز عنصر أساسي فى الشعر العربى بل عنصر غالب ، ومن تردده يتولد الإيقاع ، ولهذا بحثنا عنه فى عناية . والذى يبدو لنا هو أن هناك ارتكازاً على المقطع الثانى من التفعيل القصير (فعولن) ، وأما التفعيل الكبير فيقع عليه ارتكازان أحدهما أساسى على المقطع الثانى والآخر ثانوى على المقطع الأخير فى (مفاعيلن) ، وقد رمزنا للارتكاز الأساسى بالعلامة « وللارتكاز الثانوى بالعلامة » . ومن المعلوم أن الارتكاز لا يقع إلا على مقطع طويل ومن ثم نلاحظ أن هذا الوزن لا بد أن يسلم منه دائماً مقطع طويل بعد المقطع الأول القصير ؛ فإذا لم يحدث ذلك انكسر البيت ؛ فالمجموعة (٧ —) الموجودة فى أول كل تفعيل من البحر الطويل هى النواة الموسيقية للبيت وهى عبارة عن وتد مجموع فى لغة الخليل

ومن عودة الارتكاز على هذا المقطع من كل تفعيل يتكون الإيقاع ، لأنه كما قلنا عبارة عن عودة ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية محددة

وإذن فاستقامة الوزن أو عدم استقامته لا يعود إلى الكم الذى تؤثر فيه الزحافات والعلل تأثيراً ظاهرياً فقط إلا إذا نتج عن هذه الزحافات والعلل فقدان للنواة الموسيقية التى تحمل الارتكاز

ولكن هل ينتج عن ذلك أن الشعر العربى شعر ارتكازى بمعنى أن مقاطعه تتميز بأنها تحمل ارتكاز ضغط أو لا تحمله ؟ الجواب أيضاً بالنفى ، فالمقاطع العربية كما تحمل الارتكاز تتميز بالكم كذلك ؛ وإذن فالشعر العربى يجمع بين الكم والارتكاز وربما كان هذا سبب تعقد أوزانه

ونلخص طبيعة الأوزان العربية بأنها تتكون من وحدات زمنية متساوية أو متجاوبة هى التفاعيل ، وأن هذه التفاعيل تتساوى أو تتجاوب فى الواقع عند النطق بها بفضل عمليات التعويض سواء أكانت مزحفة معلولة أو لم تكن ، وأن الإيقاع يتولد فى الشعر العربى من تردد ارتكاز يقع على مقطع طويل فى كل تفعيل ويعود على مسافات زمنية محددة النسب ، وعلى سلامة هذا الإيقاع تقوم سلامة الوزن

وهكذا ننتهى فى هذا المقال إلى ما انتهينا إليه فى المقال السابق من قيام كافة الأشعار على عنصرى الكم والايقاع ؛ وأما موضع الاختلاف بين الأشعار المختلفة فهو فى كيفية تحقيق هذين العنصرين[1] .

محمد مندور

---

(١) باستطاعة القارئ إذا أراد أن يقرأ مقالا مفصلا عن « الشعر العربى . غناؤه وأنشاده وأوزانه » فى « مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول » وهى مجلة ستصدر كل عام مرة ، والعدد الأول منها سينتهون من طبعه فى هذه الأيام وهى مخصصة لأبحاث أساتذة الكلية وطنيين وأجانب

العلم في روسـيا

للأستاذ خليل السالم

كان العالم في السنة الماضية يعجب ببسالة الروس واستماتتهم في الدفاع عن وطنهم؛ وهو اليوم يقف مشدوها أمام عظمة الجيش الروسي وقدرته على سحق قوى الألمان الهائلة وتدمير آلتهم الحربية الجبارة وإيقاع الهزائم المنكرة بهم في كل ميدان

ولنحاول رد تلك المقاومة الرائعة إلى أسبابها الأساسية وتفسير هذه الانتصارات الحاسمة، نجدنا مسوقين حتما إلى الحكم بأن انتشار الثقافة العلمية وتقدم معاهد العلم وتطبيق النواميس العلمية في دور الصناعة ووفرة الابتكار والاختراع كانت بين الأسباب القوية والعوامل الفعالة التي يسرت للجيوش الروسية أن تحرز هذا النصر الباهر وتطرد الغازي الغاشم من أراضيها

كان العلم في روسيا حتى ظهور النظام السوفيتي وتوليه الأمور زينة رسمية تنصبها الحكومة وتغدق عليها الأموال الطائلة دون أمل في الربح ودون تكاليف العلماء جهداً مرهقاً لخدمة الناس ونفع المجتمع. وكانت البلاد منذ أيام بطرس الأكبر الذي أسس أكاديمية العلوم الروسية على النسق الفرنسي تعتمد في نشر النظريات العلمية الجديدة وشرحها على العلماء الذين يفدون من أوروبا الغربية

فدعا بطرس الأكبر مثلاً دانيال برنيولي وليونارد يولر. وحذا خلفاؤه حذوه في استيفاد العلماء الموهوبين؛ إلا أن تخلف العامة وتكبيلهم بقيود الجهل لم يتيحا للثقافة العلمية أن تشيع وتزدهر. وقصرت أكاديمية العلوم في أداء واجباتها وتبليغ رسالتها فلم يكن على العضو الذي انتخب لقدرته وكفاءته والشهادة له بالذكاء والنبوغ إلا أن يقبض الرواتب الباهظة وينبع وجيه الخاص في البحث سواء كان مبتكراً مجدداً أو كان مزوقاً وجه المعرفة بشروح وذيول للنظريات العلمية الشائعة. فعجز العلم لذلك عن أن يغير من حياة الناس ويسمو بمستوى معيشتهم، ولم يظهر في سماء العلم إلا عدد ضئيل من النجوم المتألقة من أمثال منديليف ولومونوسوف ولوباتشفسكي ...

وبين عشية وضحاها أصبحت روسيا بلداً عامراً بالعلم والعلماء وركناً أساسياً في بناء العلم الخالد؛ فهي تقدم اليوم لفروع المعرفة أيادي بيضاء لا تقل أثراً عن غيرها من الأمم إن لم تزد

ومع أنها لا تستطيع في بعض الموضوعات اللحاق بالأمم التي يسر لها الحظ أن تعنى بالكشف والتحقيق قبلها إلا أن ما تسعى له من ترويج الثقافة العلمية وتشجيع البحث سيهيء لها أن تبلغ الشأو العالي وتتربع على عرش القيادة العلمية مع انكلترا وأمريكا وألمانيا مثلاً: فقد فرضت الحكومة سلطتها في نشر الفكر المنظم بين طبقات الشعب، وهي تعمل على خلق البيئة العلمية الصالحة لأن يترعرع فيها العلم وينمو

وتنشر الصحف الكبيرة مقالات مسهبة في مواضع علمية وصناعية وفنية، كما تحتل أخبار البحث وتقدم الهندسة الآلية الصفحات الأولى منها. وتكثر المكتبات بشكل عجيب ويعم تداول الكتب؛ فقد بلغ ما بيع من طبعة روسية لأحد كتب الفيلسوف (كانت) سنة ١٩٣٦ مائة ألف نسخة. وبكلمة موجزة نقول إن العلم في روسيا لقي من التشجيع أكثر مما لقي في أي قطر آخر سواء في تأسيس المعاهد أو تمويل المحترفين

لا يزيد عدد العلماء اللامعين الذين يحتلون مقاماً عالياً على الأربعين، تثقف معظمهم على عهد القيصرية. فما لا شك فيه أن الوضع القياسي الذي وجد علماء الروس الناشئون أنفسهم فيه قد أجبرهم على التهام الحقائق الجديدة والنظريات الواسعة بسرعة، فأعوزهم الاختبار الحصيف والنقد المنيف، نذكر من مشاهيرهم الأستاذ جوف Joffe مدير المعهد الطبيعي التكنيكي في لينغراد، ومؤسس هذا المعهد تحت إشراف أكاديمية العلوم، ويكاد نكون بحق باني النهضة العلمية الحديثة؛ فمن معهده تخرج الأساتذة الذين يديرون المعاهد الأخرى في بقية البلدان الروسية. وميدان بحثه خواص الأجسام الموصلة توصيلاً جزئياً. وقد ألقت دراسته ضوءاً ساطعاً على كسر الأجسام العازلة. ويدرس أيضاً مقاومة الأجسام الصلبة، وكيف تزيد إمكانية الحد أو قوة المادة

ومن تلاميذه ستيبانو Stepano الذي ارتأى أن الاحتكاك

بين سطوح البلورات المتجاورة الواقعة تحت ضغط عال بعقب ميوعة وقتية تفسر كيف تلتوى قطعة معدنية بسرعة ثم تبقى محافظة على الشكل الجديد الذى تأخذه

ومن تلاميذ جوف أيضاً برزلر Bresler وفينو جينوف Phino genov اللذان استخدما لأول مرة كرات الصلب الدقيقة الميكروسكوبية أخاديد فى المكائن ، وانتهيا إلى أن كرات قطرها (١/٢٠) من المليمتر ممزوجة بالزيت تنقص قوة الاحتكاك مرتين ونصف المرة عما تكون عليه لو استعمل الزيت وحده

ومن الأعلام سكوبلتزن Skobeltzyn الذى اكتشف الدقائق السريعة فى الأشعة الكونية . ففى سنة ١٩٢٦ ابتدأ قياس سرعة الكهارب المنطلقة من مادة مشعة باستخدام غرفة ولسن القائمة المحاطة بمجال مغنطيسى . وفى سنة ١٩٢٧ نشر صوراً فوتوغرافية لدقائق انبعثت بسرعة عجيبة حتى أن مساراتها لم تتضح وتظهر . وحصل سكوبلتزن على صور للبوزيترونات وكان حسن الحظ فى سبقه كل العلماء فى التعرف إلى طبيعتها

ودرس سيمينوف Semenov وجارتون Chariton التفاعلات السلسلية ، وقدمت مدرستها معلومات هامة عن التفجرات ، وخصائص بعض الآلات

وقد بنيت مؤسسة « للمسائل الطبيعية » فى موسكو ليشتغل فيها العالم الفذ كابتزا Kapitza وهو مبتكر مسيلة هواء جديدة تستخدم ضغطاً جوياً ضئيلاً لتشغيل الهواء حتى يفقد طاقته ويبرد بنفسه

ومن العلماء الناشئين ليسنكو Lysenko الذى استطاع أن يكسب لنفسه شهرة عالية بالرغم من حداثة سنه . وقد نشر أول أبحاثه سنة ١٩٢٨ وهو يبحث في الحياة النباتية ويدرس العلاقة بين الزرع والبيئة ، والشروط الصحية التى يحيا فيها النبات ويسرع نموه ، وساعده رازوموف Razumov وليبمنكو Liubimenko فى أن يجعلوا سهول أكرانيا الفسيحة تنتج أضعاف ما كانت تنتج بانتخاب أنسب الأوقات لبذر الحبوب . وهو عالم نظرى بالإضافة إلى أبحاثه الزراعية الحيوية . ويقول فى مناسبة ما : « إن الشعب فى روسيا المتحدة لا يولد ؛ إن هى إلا أجسام حية تلك التى تولد ؛ أما سائقو الجرارات ، وميكانيكو المحركات ، والعلماء ، والباحثون فإنهم هنا يصنعون . إننى من أولئك الرجال الذين صنعوا ولم يولدوا . ويسعد المرء جداً أن ينتسب إلى مجتمع كهذا »

ومن العلماء النابهى الذكر رهبايندر Rehbinder ، درس خواص السطوح سواء الطبيعية والكيميائية منها . وله آراء جليلة حول وظيفة العلم فى المجتمع ، وهو يرى أن العلم لا يخدم الصناعة وإنما يسودها بخلق صناعات جديدة وإفساح مجالات أرحب للتطبيق العملى . وله مكتشفات رائعة عن قوة المعادن وتأثير الصفائح الرقيقة فى قساوة الأجسام

ومنهم فافيلوف Vaviloff ، وقد عنى بدرس أصل الزراعة وتزاوج النباتات فى أنحاء الاتحاد السوفياتى . وقد وجد أن هناك عشرين نوعاً من قمح الخبز فى أوروبا ، واثنين وخمسين نوعاً فى إيران ، ولا أقل من ستين نوعاً فى أفغانستان . ومنهم أيضاً العالم مِسْفِسكى وقد درس قوة الأشعة الكونية فى النفاذ من طبقات مائية كثيفة . وأجرى تجاربه فى نهر نيفا قرب لننغراد فى شمال روسيا ، وأسفرت تجاربه عن نتائج أيدت نتائج ملكن العالم المشهور بدراسة هذه الأشعة

وعلى وجه العموم نرى أن علماء روسيا معنيون أول ما يكون بدرس المسائل العلمية المتعلقة بالصناعة والتطبيق والحياة . فقد فرضت السلطة سيطرتها على العلم ، ووجهت أكاديمية العلوم وجهة تقصد التجديد فى الصناعة واستغلال القوى الكامنة فى البلاد والعمل لرخاء الشعب ، فنقلتها إلى موسكو لتكون مؤسساتها فى موقع حربى أمين ، وتكون قريبة من الإدارة الحكومية . وجرى تبادل رجال العلم بين الجامعات ودور الصناعة ، فأستاذ الجامعة يقضى وقتاً كبيراً فى المصنع مشرفاً عليه محاولا تحسينه وجودة إنتاجه . ويحاضر رجال الصناعة فى الجامعة فى مدى تطبيق العلم النظرى ، وعن المشاكل الراهنة التى تجابهها الصناعة والتى يتوقع من المختبر حلها . وكان لهذا التعاون الفريد نتائج باهرة فى الناحيتين المهنية والتطبيقية .

ويقضى التنظيم الحديث أن يعنى العالم بتطبيق ما يكتشف قبل أن يسير وراء نتائجه إلى أبعد الحدود النظرية . ولا يجوز له

٢٨ ، ٢١

أن يصرف جهوده في بحث توفر عليه أحد العلماء الآخرين . ويجب نشر آخر ما ينتهى إليه عالم ليوفر على آخر جهداً يقصد منه الوصول إلى تلك النتائج عينها . فيتوزع بذلك الاهتمام العلمى بين الأبحاث على وجه مستقيم ، ولا يفر العلماء إلى ميادين كلاسيكية نظرية .

ولا يجوز لعالم أن يغير اختصاصه المقرر له إلا بعد مداولات طويلة مع رؤساء المعهد الذى ينتسب إليه ، وندر ما لقيت رغبة العالم فيما يود الخوض فيه من أسرار الكون والحياة أدنى اعتبار .

وعند النظر فى قيمة هـذا التنظيم وانسجامه مع روح العلم ونجاحه فى خلق العلماء والمبتكرين ، نرى أن علماء أوربا الغربية وأمريكا لا يتفقون على وجهة نظر واحدة . فمنهم من يحبذ رسم الخطط العلمية ، لأن غرض العلم الأساسى ، كما يجب أن يكون ، خدمة المجتمع وسعادة الناس . ويرى هـذا الفريق أن إرشاد العلماء وحشدهم فى فئات مستقلة تدرس كل فئة منها موضوعاً بعينه يتقدم بالعلم خطوات فسيحة ، ويحول دون أن تضيع جهود كثيرة عبثاً .

والذين ينكرون هذه الطريقة يعتقدون أن ضغط السلطة وفرضها أوامر متحكمة على العلماء يؤذى العبقريات ويخمد جذوتها المشتعلة ، ويحرمهم من اختصاصهم الذى يلذ لهم ويشغفون به ، وحجتهم أن التاريخ العلمى يوضح بجلاء أن العلماء الذين أفادوا البشر وخدموا الصناعة لم يقصدوا ذلك قبل أن يقصدوا لذتهم الخاصة وكشف الحقيقة قبل أى شىء آخر . وقد انتقل هؤلاء من بحث إلى آخر ، كما تنتقل النحلة بين أزهار الرياض . فيجب أن يكون لكل عالم تفرده فى البحث وحريته فى اختياره كحريته فى النشر والكلام .

وتدور اليوم معركة حامية فى الكتب والمجلات بين كبار العلماء من أنصار الرأيين . ولا ينكر أن العلم المنظم قد نجح فى روسيا نجاحاً باهراً ؛ فهل يعنى هـذا أن تنظيم العلم ضرورى ؟ لعلنا نعود للجواب على هذا السؤال فى بحث قريب .

«السلط — شرق الأردن»

خليل السالم

ب . ع من الدرجة الأولى
فى الرياضيات

عبقـــرية الامام

للأستاذ محمود أبو ريه

لم يُؤت أحد من أصحاب رسول الله من العلم والفضل مثل ما أوتى على رضى الله عنه ، ولم يرد فى حق أحد منهم بالأسانيد الجياد مثلما جاء فيه . وما ظنك برجل خرج هو والنبى من نبعة كريمة واحدة ، ونشأ تحت جناح النبوة وتربى فى كنفها وتولى رسول الله هدايته وتثقيفه وجعله أولى الناس به فقال له : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ » ، وعلى أنه كان بهذه المكانة فإنه لم ينل أحد من الظلم مثل ما ناله ، ولا لقى إنسان من المصاعب والمتاعب مثل ما لقى ؛ فقد أحاط به ما نغص عليه عيشه وأفسد عليه أمره من أحقاد جاهلية وسخائم أموية وضغائن بدرية وإحن أحدية وغير ذلك . وإذا رجعنا إلى تاريخه ألفيناه قد ضاع بين متشيعين بالغوا فى تشيعهم حتى ألهوه ، ومبغضين أمعنوا فى بغضهم حتى كفروه

فثل هذا الإمام العظيم المؤتلف فى نفسه المختلف فى تاريخه كان جديراً ألا يتولى ترجمة حياته ودرس عبقريته إلا مؤرخ حكيم ينفذ إلى نفسيته بفكر ثاقب ونظر نافذ ، ويدرس تاريخه بعقل القاضى العادل البصير الذى يبحث ويستقرىء فيرد الأمور إلى أسبابها والأحداث إلى عللها ليخرج هذا التاريخ صحيحاً لا إفراط فيه ولا تفريط ، فيعرف الناس منه فضله ويقدرونه قدره ويقبلون على سيرته يدرسونها وينتفعون بها .

ولقد سرنا أن يتولى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد درس تاريخ هذا الإمام وأن يجعل من هذا التاريخ فريدة فى سمط عبقرياته النفيسة سماها (عبقرية الإمام)

قرأنا هذا الكتاب فرأينا كاتبنا الكبير يقول فى تقديمه : « فى كل ناحية من نواحى النفوس الإنسانية ملتقى بسيرة على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، لأن هذه السيرة تخاطب الإنسان حيثما اتجه إليه الخطاب البليغ من سير الأبطال العظماء وتثير فيه أقوى ما يثيره التاريخ البشرى من ضروب العطف ومواقع العبرة والتأمل » ، ثم نفذ إلى ما اتصف به الإمام من مثل التقوى والزهد ، وإلى ما ورثه عن أسرته العربية من النبل والأيد والشجاعة والمروءة والذكاء ، وبين الآثار العملية لكل ذلك مع أعدائه وأوليائه على السواء ، وانتهى من هذا الفصل إلى (مفتاح شخصيته) ثم تناول هذا المفتاح ليفتح به كل مستغلق من شخصيته ويوضح كل مبهم من سيرته

كسر الأستاذ العقاد كتابه على عشرة فصول بعد التقديم ختمها بفصل عنوانه (صورة مجملة) جرى قلمه فيها كلها بما عهدناه من قبل فى عبقرياته التى سبقت من حيث البحث العميق والدرس الدقيق مما كنا نود أن نعطيه حقه من البيان ونوفيه قسطه من الإشادة ، ولكن المقام لا يتسع فلنجتزىء بكلمة صغيرة عن فصل البيعة الذى هو أروع فصول الكتاب

مهد المؤلف لهذا الفصل بفصل آخر عن عصر الإمام قال فيه إنه لم يكن عصر خلافة بل كان عصراً عجيباً بين ما تقدمه وجاء فى أعقابه ؛ فلم يثبت كل الثبوت ولم يضطرب كل الاضطراب فكان في ناحية كل عوامل الرضا عن النظام الاجتماعى ، وفى ناحية أخرى كل عوامل التذمر من هذا النظام ، ومضى يبين أسباب استقرار النظام فى الجانب الذى كان من نصيب معاوية ؛ فذكر أن الشام كان أرضاً أموية من يوم أن لجأ إليها فى الجاهلية أمية جد الأمويين وما جاء بعده من أبنائه متجرين أو مهاجرين إلى أن تولى إمارتها يزيد بن أبى سفيان من قبل أبى بكر الذى جاء بعده معاوية من قبل عمر ذلك الدرهى الذى قضى زمناً طويلاً لا يعمل عمل الوالى ، ولكن يعمل عمل صاحب الدولة التى يقيمها لنفسه ولأولاده من بعده . وكانت وسيلته فى ذلك أن يغمر الناس بالأعطية ، السوقة منهم والشرفاء . وقد بلغ من دهائه أن طوى عقيلاً أخا على بعطائه ، أما المخالفون له فكان جزاءهم العقاب والنفى ، ثم أخذ يصف الجانب الآخر الذى كان يتولاه على ؛ فقال إنه كان مصاباً بملل التنافس بين العواصم والتبرم من العيش والتطلع إلى الخلافة وما تكنه العبيد والموالى لقريش بله ما وراء ذلك كله وهو المال الذى كان فى يد معاوية وحده

ولما أنشأ يتكلم عن بيعة على قال إنه بويع بالخلافة بعد حادثة من أفجع الحوادث الدامية فى تاريخ الإسلام وهى مقتل عثمان ؛ وأخذ يحلل الحوادث التى أفضت إلى قتل هذا الخليفة وموقف على من هذه الجريمة ، وناضل ببراهين قوية عن هذا الموقف ، وانتهى من نضاله إلى أن علياً — لم يكن يقدر على اجتناب هذا المصير

من معاوية أو من عثمان نفسه — وأنه صنع غاية ما يصنع رجل معلق بالنقيضين ، مسئول عن الخليفة أمام الثوار ، ومسئول عن الثوار أمام الخليفة ، وإنه كان يعالج داء « استعصى دواؤه وابتلى به أطباؤه » . ثم أخذ بعد ذلك يناقش الذين خرجوا فى وجهه يطالبون — بزعمهم — بدم عثمان ، فقال عن طلحة والزبير إنهما كانا يمهدان أثناء حياة عثمان لتولى الخلافة ؛ أما عائشة فقد كانت تنادى بقتل عثمان وتود أن يتولى الخلافة طلحة لأنه من قبيلتها أو الزبير لأنه زوج أختها

وعلى أنه قد درس مواقف هؤلاء الثلاثة الذين كانوا يتآمرون على عثمان قبل قتله ، ثم خرجوا على علىّ بعد ما تولى وأبان وجه الحق فى ذلك فإن قلمه كان رفيقاً بعائشة فلم يجر بشىء من مؤاخذتها

وقد عرض المؤلف لما قام بين على ومعاوية من خلاف فاستقصى أسبابه البعيدة والقريبة وانتهى إلى أن أمر معاوية لم يكن كما يبدو فى ظاهره من أنه كان من أجل عثمان وإنما كان من أجل أبهة الملك وسلطان الحكم ، وقضى بحق أن هذا الخلاف لم يكن بين على ومعاوية وإنما كان « بين نظامين متقابلين وعالمين متنافسين ، كان صراعا بين الخلافة الدينية كما تمثلت فى على ، والدولة الدنيوية كما تمثلت فى معاوية » ولا ريب فى أن يكون الغلب للدولة الدنيوية ، لأن هذا هو ما تقضى به طبائع النفوس وغرائز الأمم . ولقد صدق عمرو ابن العاص فى قوله : « لا يصلح لهذا الأمر إلا رجل له ضرسان يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر »

وقد انتهى كاتبنا من دراسته لتاريخ هذا الإمام إلى أنه « هو الذى شاء القدر أن يجعله فدية للخلافة الدينية فى نضالها الأخير مع الدولة الدنيوية » وأجمل صورته فى أنه كان « صورة المجاهد فى سبيل الله بيده وقلبه وعقله أو صورة الشهيد »

ولنقف عند هذا الحد كما وعدنا إذ لا نستطيع أن نبين كل ما تناوله قلم العقاد من بحث وما نفذ إليه من استقصاء

بقيت أشياء لا بد من ذكرها والإبانة عنها حتى نبلغ من كلامنا ما نريد ، ذلك أنى عثرت وأنا أقرأ ببعض ألفاظ كنت أقف عندها مثل لفظ (رتملاء ص ٤٠) و (حانقين ص ٥٥) و (فشل ص ٨١ و ٩٦ و ١١٠ و ١٢٦) وقد رجعت إلى معاجم اللغة التى بين يدى فى اللفظ الأول فوجدته من لغة طى ، وإذن يكون استعماله جائزاً ؛ أما اللفظان الآخران فإنى أرجع فيهما إلى الأستاذ العقاد وأسأله :

هل يجوز استعمال كلمة (فشل) فى معنى أخفق وخاب وإن يأتى اسم الفاعل من حنق على حانق هذا إذا لم تكن هذه اللفظة من أخطاء الطبع التى كثرت فى هذا الكتاب على غير ما نعهد فيما يطبع بمطبعة المعارف التى عرفت بجودة الطبع ودقته

واستشهد بعبارة مشهورة وضعها شيوخ الدين وجعلوها حديثاً للرسول ليعلوا بها قدرهم ، وهى (علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل)

وكنا نود من مؤلفنا وهو الأديب الكبير أن يطيل الحديث فى بلاغة الإمام ، وأن يعرض لأسلوبه وطريقته فى الكتابة والقول فيدرسهما ويبين هذا الأسلوب لكي يعرف الأدباء من هذه الدراسة ما لعلى فى كتاب نهج البلاغة وما لغيره ، لأن الأدب وتاريخه فى حاجة إلى هذا العمل الجليل ؛ ولعله يجعل من هذا الدرس بحثاً فنياً برأسه يضيفه إلى أبحاثه القيمة التى ينفع بها الأدب والأدباء .

(المنصورة) محمود أبو ريه

اليـــوم



پاتوزيس يرثى أزمردا

أغنية الرياح الأربع

للأستاذ على محمود طه

[باتوزيس وأزمردا من أبطال قصة أغنية الرياح الأربع التى تصدر بعد يومين للأستاذ الشاعر على محمود طه ، أولهما مصرى وثانيهما فينيق . كانا فى بدء حياتهما صديقين يعملان فى الملاحة ثم ضربت الأيام بينهما فاذا بالأول يهيم فى الآفاق شاعراً منشداً يعيش ليومه قبل غده ، وإذا بالثانى يصبح قرصاناً ذائع الخطر . وتجمعهما الأيام فى ميناء بيلوس فيروع باتوزيس نوازع الشر والاثم من صديقه أزمردا ، ويسخر أزمردا بمثل صديقه العليا وما هو فيه من فقر وتعربد . ويضيف صديقه فى سفينته ، وتسنح آلهة الرياح الأربع لأزمردا فى صورة فتيات جميلات يتخطرن على شاطئ مصر فيدفعه الشر إلى اقتناصهن ليبيعهن فى سوق الرقيق ، ولكنه يعلم من أمرهن الحقيقة فيغلو فى أطماعه فيفكر فى اختطافهن للاستيلاء على الرياح الممثلة فيهن ليسخر قواها فى غزواته الاجرامية . وتنتهى وقائع القصة فى سفينته حيث تظهر معجزة آلهة الرياح الأربع وتقف دونها أروع الحيل التى لجأ إليها القرصان . فيخر أزمردا صريع غدره بالآلهة وطمعه فيما لا قبل لبشرى به ، فيغرق بسفينته المحطمة بينما تطير الرياح الأربع إلى الشاطئ ومعهن باتوزيس وقد وقف ذاهلا مما مر به ، محدقاً فى بقايا السفينة الغارقة وهو ينشد :

أثرٌ ليس يُلمَحُ وخيالٌ مُجَنَّحُ
وشراع مُحَطَّمٌ حوله الموتُ يسبحُ
مُغْرَقاً لا تَهزُّهُ نَسْمةٌ أو ترُنِّحُ
يحتويه مزمجرٌ مظلمُ الغور أفيحُ
غرقتْ تلكم السفيـــنةُ وانفضَّ مسرحُ
ما لرُبّانها الطمو حِ : أما عاد يطمحُ ؟
ويحهُ وهو ذاهلٌ أغبرُ الوجهِ أكلحُ
يتكفّا رجالُه حوله وهو يَضبحُ
بعد ما كان بينهم يتغنّى ويمـــرحُ
غرّهُ السيفُ مُصْلَتاً بالمنـــايا يُلوّحُ
لا يبالى إذا رمى كيف يُبرى ويذبحُ
خالنى إذ دعوتُهُ دعوةَ الخير أمزحُ
عاشَ لو قدَّرَ النصيـــحةَ أو كان يُنْصَحُ
يحسنُ الشرَّ بالغريـــزةِ والخيرُ يقبحُ
صاحبَ الأمس لا رحيـــقَ ولا كأسَ تصدحُ
فاشربِ اليومَ من إنا ئكَ بالموت يطفحُ
أمِنَ البحرُ مخلبيـــكَ وشطٌّ وأبطحُ
وعذارى كأنهنَّ الأقاحُ المُفَتَّحُ !
محصَناتٌ تصيدهنَّ وتغوى وتفضحُ
أيها الصَّقْرُ لا تُغَرَّ فللرِّيحِ أجْنُحُ !
يتلقاكَ بأسُها صامداً لا يُزَحْزَحُ
هُنَّ من رحمةِ السما ءِ مقاديرُ تسنحُ
فإذا الطائرُ السَّجـــينُ طليقٌ مُسَرَّحُ
وإذا الصائدُ الغشـــوم صريعٌ مُطَّرَحُ
من دم الغدر قَلْبُهُ سائلُ العرقِ ينضحُ
فامضِ لا فرحةً بمو تكَ ! ما الموتُ يُفرِحُ
قد عفا عنكَ هالكاً قدَرٌ ليس يصفحُ !

على محمود طه



بين الفكر اليوناني والفكر المصري

ذهب الدكتور طه حسين بك إلى أن الثقافة اليونانية هي مصدر الثقافات الإنسانية، وأن الناس في الشرق والغرب، وفي جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان

والدكتور زكي مبارك يرى أن الدكتور طه قد قرأ في كتب تتعصب لليونان، ولم يقرأ في كتب ترد أصل الحضارات إلى مصر، وهو قد قرأ ما قرأ وهو مطمئن كل الاطمئنان إلى من ينقل عنهم في غير ما نقد ولا تحليل

فما هو وجه الحق في هذه المسألة ؟

قد يكون من الحق أن العقل وجد مع الإنسان وبقي هو هو في جوهره، وقد اصطفته الأمم الشرقية في الماضي السحيق فاستحدثت الصناعات والعلوم والفنون ولقنتها اليونان فحملت عنها عبء التفكير فيها وكفتها شر هذا الجهاد الذي كان لا بد أن تنفقه حتى تخلص إلى هذه النتائج التي انتهى إليها الشرقيون

نعم ! لقد كانت القصص الدينية وبعض الأفكار في العالم والحياة معروفة؛ فقد كان هناك التوحيد والشرك، وكانت الثنائية الفارسية، وكانت وحدة الوجود عند الهنود

غير أنا إذا لحظنا صيغة القول ومنهج البحث عند الشرقيين لم ندع هذا الضرب من المعرفة فلسفة، لأن أفكار الشرق كانت تسيطر عليها النزعة الدينية الخيالية التي لا تمت إلى منهج البحث العقلي بأية رابطة

ومع ذلك فقد يمكن القول بأن البابليين والعبرانيين والمصريين قد جهلوا الفلسفة بالرغم مما بلغه علماؤهم من ثقافة عالية. ولعل في قصة أوزوريس وعبادة أمون ما يدل دلالة واضحة على أن المصريين لم تكن لهم فلسفة بالمعنى المعروف في الاصطلاح

هذا ما قصد إليه الدكتور طه وهو رأي لا يحتاج إلى توضيح

ماهر قنديل

المناقشة بعد المحاضرة نظام إسلامي قديم

منذ أيام كنا نستمع في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية إلى إحدى المحاضرات، وفي نظام هذه المحاضرات أن يعقبها أسئلة يوجهها السامعون للمحاضر مكتوبة على أوراق صغيرة؛ وهو يجيب على ما يستطيع الإجابة عليه منها

وقد قالوا إن نظام المناقشة بعد المحاضر على النحو السابق نظام ابتدعته الحضارة الحديثة، وكان للجامعة الأمريكية فضل استحداثه وتنظيمه في مصر والشرق

والحق أن نظام المناقشة بعد المحاضرة على الطريقة المذكورة نظام إسلامي كان معروفاً في البلاد الإسلامية منذ ستة قرون أو يزيد؛ والرحالة أبو عبد الله شمس الدين ابن بطوطة المتوفى سنة ١٣٧٧ م قد أشار إلى مثل هذا النظام في رحلته وهو يتكلم عن مدينة « تُسْتَر » التي فتحها المسلمون على يد خالد بن الوليد، فيقول عن الشيخ شرف الدين موسى ما نصه[(١)] :

« وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة وأقومهم سيرة، وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع. ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صَغُر لدى كل واعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر، ولم ألق فيمن لقيتهم مثله

حضرت يوماً عنده ببستان له على شاطئ النهر وقد اجتمع فقهاء المدينة وكبراؤها، وأتى الفقراء من كل ناحية، فأطعم الجميع، ثم صلى بهم صلاة الظهر، وقام خطيباً وواعظاً بعد أن قرأ القراء أمامه بالتلاحين المبكية، والنغمات المحركة المهيجة، وخطب خطبة بسكينة ووقار، وتصرف في فنون العلم من تفسير كتاب الله، وإيراد حديث رسول الله والتكلم على معانيه، ثم ترامت عليه الرقاع من كل ناحية؛ ومن عادة الأعاجم أن يكتبوا المسائل في رقاع ويرموها إلى الواعظ فيجيب عنها؛ فلما رُمى إليه بتلك الرقاع جمعها في يده، وأخذ يجيب عنها واحدة بعد واحدة بأبدع جواب وأحسنه؛ وحان وقت صلاة العصر فصلى بالقوم وانصرفوا » ا هـ

« كلية اللغة العربية » **أحمد الشرباصي**

---

(١) أنظر « مهذب رحلة ابن بطوطة » ج ١ ص ٤٤٦ طبعة ١٩٣٩

لبشار أم لكثير عزة ؟

١ — كنت أطالع فى قصة الأدب فى العالم حتى وصلت إلى الباب الذى عقده الأستاذ « أحمد أمين بك » عن الأدب العربي في العصور الوسطى ، فاستوقفني ما نسبه إلى « كثيّر عزة » (ص ٣٧٤) ، وهو يعرض أمثلة من شعر الغزل والتشبيب لإمام المحبين « جميل بن مَعْمَر » ومجنون ليلى :

فقد جاء ما نصه أن « كثيّر عزة » قال :

يزهـــدنى فى حب « عزة » معشر
قلوبهم فيهـا مخـالفة قلـــبى
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو « اللب »
وما تبصر العينان فى موضع الهوى
ولا تسمع « الآذان » إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا
وألف بين العشق والعاشق الصب

فلو وضع « عَبْدة » موضع « عزة » ـ والأذْنان مكان الآذان حتى يستقيم المعنى جيداً ـ لكانت أمامنا أبيات بشار المشهورة ، وقد ذُكرت هذه الأبيات فى الأغانى منسوبة إلى بشار (ص ٦٥ ، جزء ثالث ـ للشنقيطى)

٢ — وبهذه المناسبة أيضاً أقول بأن الأبيات المشهورة التى رويت عن حمدونة الأندلسية تصف فيها وادياً ـ والتى نتخذها مثالاً بارعاً يشير إلى تأثير طبيعة الأندلس الخلابة فى شعرائها :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم الخ

قد نسبت خطأ إلى « أبى نصر أحمد بن يوسف المنازى » فى قصته مع أبى العلاء المصرى .

(المنصورة) عبد الحميد عثمان عبد المجيد

من الشعر المنسى لحافظ بك ابراهيم

نسى الأستاذان احمد أمين والزين أن يوردا هذه القصيدة فى ديوان حافظ فآثرنا نشرها فى الرسالة الغراء :

أنا فى يأس وهم وأسى حاضرُ اللوعة موصول الأنين
مستهين بالذى لاقيتـه وهو لا يدرى بماذا يستهين
سورَةٌ عنـدى له مكتوبة ودَّ لو يسرى بها الروح الأمين
إننى لا آمنُ الرسل ولا آمنُ الكتب على ما يحتوين

رضوان العوادلى

الخطايا السبع

نحن فى حاجة ماسة إلى القصص المترجمة بنوعيها ، القصيرة والطويلة ، ونحن فى حاجة ماسة إلى القصص المنقولة بأقلام قوية معروفة فى عالم الأدب المصرى الحديث لأنها الأقلام التى تضع لنا دعامة هذا الأدب وتغذيه وتواليه فى نشأته الأولى حتى يقوى ويشتد ساعده ... أما الأقلام المرتزقة التى تمسخ روائع الأدب الغربى وتسمى عملية المسخ هذه ترجمة فهى أضر شىء بنهضتنا ... لأن القصص المترجمة تكون عادة نماذج يحتذيها كتابنا الناشئون ولا سيما الذين لا يعرفون لغة أجنبية ؛ فإذا وضعنا بين أيديهم قصصاً ناضجة أحسنا اختيارها لهم وترجمناها ترجمة صادقة قوية أفدناهم بعملنا هذا أجزل الفائدة ... والعكس ...

أكتب هذا بمناسبة فراغى من قراءة هذه المجموعة الجميلة (الخطايا السبع) لصديقى الأستاذ على أدهم الذى أغبطه وأهنيه بما وفق إليه من اختيار هذه القصص القصيرة الشائقة لأحسن الكتاب العالميين وترجمتها هذه الترجمة الرائعة التى أكسبها ذوقه الفنان وقلمه المبدع ثوباً حبيباً قشيباً ...

وإن كان لا بد من أن أتناول (الخطايا السبع) بشىء من النقد ، فإنى أحصر ملاحظاتى فيما يأتى :

١ — كان يحسن أن يشرح الأستاذ الكلمات التى تدق على فهم غالبية القراء فى أسفل الصفحة ... وإلا فكم من القراء يفهمون هذه الكلمات : وَحْف . فرعاء . ثغر شتيت . الجمافر . عقلة النفوس ... وذلك فى قصة واحدة

٢ — كنت أوثر أن يهمل الأستاذ القصة المشهورة إلى غير المشهورة ... وذلك مثل قصة تشيكوف (قصة بلا عنوان) فقد ترجمت غير مرة ، وإن تكن من القصص الروسية الرائعة

٣ — أوصانى الأستاذ أن أبدأ بقراءة قصة فرانس (فى الصومعة) فلما فرغت منها عرفت أن الأستاذ أدهم — العالم الذى يهوى الفلسفة — هو الذى كان يوصينى أن أبدأ بهذه القصة ... ولو سألنى عن رأيي الصريح لأخبرته أنها ليست قصة ، ولكنها مقالة أو Essay فلسفى ... ولم يكن موضعها بين هذه القصص الشائقة

٤ — كان يفيد الأستاذ قراءه جداً لو أنه سبق كل قصة

بترجمة خاطفة لكل كاتب لا تزيد على نصف صفحة كما ترجم ل سيفكوكز مثلاً

ومع هذا .. فالخطايا السبع من أحسن مجموعات القصص المترجمة عندنا ونحن ننتظر من الأستاذ الصديق ... المزيد .

دربنى خشبة

جماعة نشر الثقافة – حفلة تأبين تقلا باشا

تقيم جماعة نشر الثقافة بالأسكندرية حفلة لتأبين فقيد الصحافة « تقلا باشا » فى تمام الساعة الرابعة والنصف من مساء يوم الإثنين الموافق ٢٩ نوفبر سنة ١٩٤٣ بمسرح نادى موظفى الحكومة (المواساة) وخطباء المحفل وشعراؤه الأساتذة الأجلاء

١ — كلمة الافتتاح صاحب السعادة أحمد كامل باشا مدير بلدية الأسكندرية

٢ — كلمة للأستاذ عبد الحميد السنوسى المحامى

٣ — قصيدة الأستاذ خليل شيبوب

٤ — الأهرام فى خدمة الصحافة والأمة الأستاذ أحمد الطاهر

٥ — قصيدة . الأستاذ عثمان حلمي

٦ — تحية القارىء العادى للأهرام . الأستاذ إلياس بدوى

٧ — قصيدة دمعة الأسكندرية . الأستاذ مصطفى على عبد الرحمن

٨ — الإبن سر أبيه . الأستاذ صديق شيبوب

٩ — قصيدة . الأستاذ حسين الشبيشى

١٠ — كلمة الأهرام

إستدراك

جاء فى المقال الأول بالعدد ٥٣٧ للدكتور عبد الوهاب عزام ، وفيما يليه ، بعض كلمات مبهمة ، ننشر صوابها فيما يلى :

أتأمل السور الضيق . والصواب : السور العتيق

أتأمل الأطفال حول آبائهن . والصواب : حول آبائهم

وفى المقال الثانى :

قبة صغيرة جيلة تحتها قبة صغيرة . والصواب : تحتها حجرة صغيرة

صففت فى مدخل المتحف وبداخل التكية . والصواب : فى مدخل المتحف وهو التكية

وفى الحاشية : وهذا التاريخ لا يوافق السلطان عبد الحميد . والصواب : السلطان عبد الحق .



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 544

Lundi - 6 - 12 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان

١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٤٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٦ ديسمبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

تقرير معالى وزير المعارف

عن إصلاح التعليم فى مصر

لأول مرة فى تاريخ المعارف المصرية يصدر عن وزيرها تقرير كهذا التقرير يجمع بين الرأى والعزيمة فى تنفيذ خطة مرسومة لغاية معلومة. ومن قبلُ كانت سياسة التعليم فى مصر نمطاً من سياستها العامة: سيراً على غير خطة، أو خطة إلى غير غاية. وكانت وزارة المعارف على الأخص قد عاهت بالاستعمار فظل نباتها نَكِداً لا يُغل ولا يُظل. وكان البانون على أثر دنلوب يحاولون أن يرفعوا البناء فلا يرتفع، ويجهدون أن يدعموه بتقارير الخبراء ومباحث اللجان فلا يندعم؛ ذلك لأنهم كانوا يبنون على أسس دنلوب وقواعده؛ وأسس دنلوب وقواعده هى أولئك الموظفون المخضرمون الذين نشَّأهم المستشار على آلية التعليم حتى صارت فيهم عقيدة، وأخذهم بروتين النظام حتى أصبح لهم فطرة. فإذا كان القائم على أمور الوزارة قوياً انطوت هذه الفئة انطواء القنافذ، وتركوا النشاط للشباب ذوى العلم والخبرة، فغيروا المناهج وقوموا الخطط ورسموا الغاية وبدلوا الكتب وبدأوا التجربة. وإذا كان ضعيفاً بسطت سلطانها على كل إرادة، ورجيتها على كل تجديد، فاحتبست الإرادات فى الرءوس، واستقرت الأنظمة فى المكاتب، وعاد

الفهـــرس

صفحة

٩٦١ إصلاح التعليم فى مصر ... : أحمد حسن الزيات ... ...

٩٦٣ البهاء زهير ... . : الدكتور زكى مبارك ... ...

٩٦٦ أنا ... وتوفيق الحكيم وجهاً لوجه ... . } الأستاذ دريني خشبة . . ...

٩٧٠ الضريبة الأدبية على الأدباء الناجين .. .. } الأستاذ محمد صادق رستم ..

٩٧٢ فى التيه ! . . .. : الأستاذ سيد قطب ... ...

٩٧٤ مصر والشام .. .. : السيدة وداد سكاكينى ...

٩٧٦ ختان البنات فى مصر ... : الدكتور أسامة ... ...

٩٧٨ أين أخى ... [قصيدة] : الأديب حسين محمود البشبيشى

٩٧٨ اسمعينى ... ... « : الأديب عبد الرحمن الشربينى

٩٧٩ أزواج الطبيعة الانسانية ... : الأديب زكريا ابراهيم ...

٨٧٩ إلى الدكتور عبد الوهاب عزام : الأستاذ محمد صبرى عابدين ...

٩٨٠ حول الابهام والغموض فى التصوف ... . } الأديب محمد منصور خضر ...

٩٨٠ إلى قراء الرسالة ... ... : السيد على الشوكانى ... ...

الدولاب القديم يدور دورانه البطيء بالتأليف المريب لجواز الامتحان، والتعليم الفج لبلوغ الوظيفة. لذلك لم يكن بد من قصور البنيان بين البناء والهدم، وتذبذب الإصلاح بين الرأى والعزم، وعجز المدرسة المصرية عن تنشئة جيل يكون له مع العلم خلق، ومع العمل ضمير، ومع الشهادة إرادة...

ذلك إلى أن القائمين على ثقافة هذا البلد قد اتسموا بميسم السياسة العامة، فحصروا همهم فى الديوان، وقصروا جهدهم على الشكل، ولم يشغلوا ذرعهم إلا بالتعيين والنقل والترقية والميزانية والدرجات والامتحانات والتقارير والتجارب والدسائس، ولم يكلفوا أنفسهم النظر من نوافذ المكاتب الرسمية إلى هذا الشعب الذى يعيشون عليه ويعملون له ليضعوا سياستهم على مقتضيات حاله، ويرسموا خططهم على دواعى حاجته

***

نعم، لأول مرة فى تاريخ المعارف المصرية يتولاها وزير يريد أن يعمل ويدرى كيف يعمل. وهذا التقرير الذى نشره نجيب الهلالى باشا هو المقدمة الممهدة للتاريخ الذى سيُكتب بعد الحرب لمصر العالمة العاملة. وليست قيمة هذا التقرير الخطير فيما اشتمل عليه من خلاصة الآراء الفنية لأساطين التربية فى انجلترا وأمريكا؛ إنما قيمته العظمى فى الروح الذى أوحاه، والغرض الذى توخاه، والعزم الذى انطوى عليه. وهل كانت تقارير الفنيين من أمثال «مان» و «كلاباريد» تعوزنا حين كنا ندور على أنفسنا دوران أبى رياح لا نتجه ولا نسير، ولا نعرف قبيلاً من دبير؟

نهج معالى الوزير فى تقريره الخطة المثلى لإصلاح التعليم وتجديده، ولم يعتمد فى نهجه كما قال «على الخيال والأمانى، وإنما اعتمد فيه على تجارب مصر فى نهضتها الحديثة، وتجارب الأمم الراقية التى سبقتها إلى النهوض فى أوربا وأمريكا»(١)

وهذه الخطة تعتمد «على أسس بلغت من الوضوح حد البداهة، لا فى مصر وحدها، بل فى العالم المتحضر كله، وهى أن التعليم حق للناس جميعاً... وأن المساواة ما دامت أساس الحياة الديمقراطية يجب أن تشمل حقوق الناس وواجباتهم كلها، والتعليم من أول هذه الحقوق لأبناء الشعب، ومن أول هذه الواجبات على الدولة...» و «أن هذه المساواة تستلزم إزالة الفروق بين القادر والعاجز؛ وسبيل ذلك تيسير التعليم للناس جميعاً بالغاء مصروفاته شيئاً فشيئاً حتى يصبح هذا الإلغاء عاماً. وتستلزم هذه المساواة كذلك أن يلاحظ المشرفون على التعليم مواهب المتعلمين وكفاياتهم، وأن يوجهوا كلاً منهم إلى أن ينفع وينتفع ويكون مواطناً عاملاً كريماً فى وطن راق كريم»(١)

وعلى هذه الأسس الثابتة أقام الهلالى باشا دستور التعليم المقترح. وأقوى مبادىء هذا الدستور «أن الديمقراطية لا يتحقق معناها الرفيع إلا إذا اعتمدت على أساس راسخ من التعليم الصحيح»(٢)؛ و «أن التعليم ضرورة من ضرورات الحياة للأمة، وليس شأنه فى سنوات الشدة بأقل من شأنه فى سنوات الرخاء؛ فعليه يتوقف مصير كل أمة ويتضح سبيلها وتحدد غايتها»(٣)؛ و «أن الغرض من التعليم هو أن تُيسر للأبناء طفولة سعيدة، ويُهيأ لهم أن يبدأوا حياتهم بدءاً حسنا، وأن يوفر للشعب كله أوفى قسط ممكن من الخير والنعيم، وأن تدبَّر جميع الوسائل لتنمية المواهب المختلفة وحسن توجيهها، وأن يتاح للشباب كل الفرص الممكنة ليتعلموا ويتقدموا، وأن تُبذل الجهود التى تفتح لهم أبواب العمل تأميناً لمستقبل الفرد ورفاهية الجماعة»(٤)؛ و «أن كل فرد يجب أن يتعلم التعليم الذى يؤهله لمواجهة تجارب الحياة العاملة ومشكلاتها»(٥)؛ و «أن الدولة محتوم عليها أن تسوى بين جميع طبقات الأمة فيما تتيح لهم من فرص التعليم»(٦)؛ «فلا يجوز بحال ما أن يعوق الفقر طالبَ علم عن إتمام تعليمه، ولا أن يحول بينه وبين المدرسة التى يهيئه لها استعداده العقلى»(٧)؛ «وأن الأمة لا يمكنها أن تحتفظ بمجدها الصناعى والتجارى إلا بالتوسع فى التعليم الفنى»(٨)

هذه الأسس والقواعد وما بنى عليها أو استند إليها معلومة فى بدائه العقل فلا سبيل عليها لناقد؛ إنما سبيلنا وسبيل المخلصين أن ندعو لها اللهَ أن يبقى الوزير فى الوزارة، والمستشار فى الاستشارة، حتى تخرج إلى النور، وتصبح فى حمى الملك والدستور

احمد حسن الزيات

(١) التقرير ص ٨٨

(١) التقرير ص ٨٨ (٢) ص ٥ (٣) ص ١١

(٤) ص ٦ (٥) ٣٩ (٦) ص ١٩

(٧) ص ٣٠ (٨) ص ٦٦

مسابقة الأدب العربي

٢ - البهاء زهير

للدكتور زكي مبارك

مصرية البهاء

يقول الأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق إن البهاء لم يكن طفلاً حين هاجرت أسرته من الحجاز إلى وادي النيل ، لأنه وجد فى شعره قصيدتين يذكر فيهما عهده بالحجاز ، الأولى قصيدة :

أحنّ إلى عهد المحصَّب من مِنىً
وعيشٍ به كانت تَرِفُّ ظِلالُه

والثانية قصيدة :

سقى اللهُ أرضاً لست أنسى عهودها
ويا طولَ شوقي نحوها وحنيني

ثم يقول بعد إيراد هاتين القصيدتين : « وليست ذكريات طفل هذه الذكريات التى يحنّ البهاء زهير إلى عهدها بين المقام وزمزم ، فلا بد أن يكون شاعرنا جاء إلى قوص فتًى مستكملاً »

وأقول إن القصيدتين تشهدان بأن البهاء كانت له ذكريات غرامية بالحجاز ، فإن صدقناه فيما ادعى لنفسه من الصَّبَوات بالبلاد الحجازية ، فمن حقنا أن نسأل كيف خَبَتْ حرارة الذكريات لتلك الصبوات فلم توح إليه غير قصيدتين اثنتين ؟

والأستاذ مصطفى باشا يحدثنا أن المؤرخين قالوا :

« وانتقل البهاء زهير من قوص بعد أن رُبّى فيها وقرأ الأدب وسمع الحديث وبرع فى النظم والنثر والترسل »

ومعنى هذا أن البهاء بدأ حياته فى قوص وهو فى عهد التربيب ، وأنه لم يجىء إلى قوص وهو فتًى مستكمل الفتوة ، كما حكم سعادة الأستاذ قبل لحظات وهو يدوّن بحثه الطريف

يجب أن نتذكر أن الكلام عن الحجاز وذكرياته الغرامية بدعة أدبية شرعها الشريف الرضى ، وأتبعه فيها من تلاه من الشعراء ، فكان من هوى كل شاعر قضى وقتاً بالحجاز أن يقول إن له حجازيات ، كما كان للشريف حجازيات .

مشكلة اللغة

لغة البهاء زهير لغة شاعر عريق فى المصرية ، ولولا إجماع المؤرخين على أنه وُلد بالحجاز لكان من الحتم أن نفترض أنه وُلد فى قرية مصرية من قُرى المنوفية ، فكيف نصدق أن أهله حجازيون ؟

لقد رأينا رجالاً نشأوا بالشام أو لبنان ، ثم هاجروا إلى مصر فعاشوا فيها سنين وسنين ، إلى أن استمصروا بحكم القانون ، ومع هذا بقيت ألسنتهم وأخيلتهم شامية أو لبنانية ، فكيف جاز أن يكون هذا الحجازى أعرق فى المصرية باللغة والروح والخيال ؟

أنا أرجح أن تكون أسرة البهاء زهير مصرية لا حجازية ، وإن كانت عربية العِرق ، وأرجح أنها انتقلت من مصر إلى الحجاز للتجارة ، بدليل أنها لم تنتقل من الحجاز إلا إلى قوص ، وكانت مدينة قوص ملتقَى القوافل الواردة من الهند والحبشة واليمن والحجاز ، وملتقى الحُجّاج من المغاربة والمصريين

ويمكن أن نقول إن أسرة البهاء هاجرت إلى الحجاز لتنضم إلى جماعة المجاورين ، والمجاور فى الاصطلاح القديم هو من يجاور الحرم النبوى ، وبه وُصف المجاور للحرم الأزهرى فى القاهرة ، أو الحرم الحيدرى فى النجف . وفى القاهرة مقابر تُسمَّى « قرافة المجاورين » من باب التشريف ، فما انحطت كلمة مجاور إلا فى عصور الانحطاط

ويرجح هذا القول أن مصطفى باشا رأى فى أحد المخطوطات أن والد البهاء وُصف بـ « العارف محمد ، قدّس الله روحه » و « العارف » كلمة لم يكن يُنعَت بها غير المعروفين بالتنسك والتصوف

ولا يقدح فى هذا القول ما صار إليه البهاء من الإقبال على المناصب الدنيوية ، فالرأى الغالب عند أسلافنا أن طلب الدنيا لا يغض من قيمة التمسك بالدين ، ما دام طالب الدنيا حريصاً على التحلى بمكارم الأخلاق

إن البهاء مصرىّ اللغة والروح ، مصرى « ابن بلد » بلا جدال ، فكيف نجعله من الحجازيين ؟ وهل ينطبع الرجل على لغة بلد وعلى أوهامه وأحلامه وهو فى الأصل غريب ؟

وما هو الروح الحجازى فى أشعار البهاء لو جعلنا أسرته حجازية الأصل ، وأنها لم تعرف مصر إلا فى أواخر القرن السادس ؟

أنا أقدم هذا السؤال ، وإن كان لا يخلو من ضعف ، لأنى أعتقد أن الحجاز لم تكن له قومية محلية فى العهد الإسلامى ، فقد صار الملتقى لألوان من اللغات والآداب ، منذ اليوم الذى صار فيه ملتقى لألوان من الأمم والشعوب

وجملة القول أنى أرجح أن أسرة البهاء أسرة مصرية أقامت مدة فى الحجاز ، ثم رجعت إلى مصر ، ولغة البهاء تؤيد هذا الترجيح ، وقد تظهر فى المستقبل أشياء نعرف بها صدق هذا الترجيح

لو عرف المؤرخون أن هذه القضية ستشغل الباحثين بعد أزمان لحدثونا بالتفصيل عن المنابت الأصيلة لدوحة البهاء

ذاتية البهاء

البهاء زهير ذاتية واضحة جداً ، ذاتية نفسية وذاتية فنية .

ولننظر هذه الأبيات :

أحبُّ من الأشياء ما كان فائقاً   وما الدُّون إلا من يميل لدون
فأهجرُ شربَ الماء غير مصفَّقٍ   زُلالٍ وأكلَ اللحم غير سمين
وإن قيل لى هذا رخيصٌ تركتُه   ولا أرتضى إلا بكل ثمين

فهذه الأبيات ليست من البدائع ، بالقياس إلى ما يتمدح به أكابر الشعراء ، وهى مع ذلك من الطرافة بمكان ، لأنها تصور المصرى المتأنق فى اختيار الطعوم والمشروب والملبوس

ولننظر قوله فى معاتبة الأمير مجد الدين :

فيا تاركى أنوى البعيد من النوى   إلى أى قوم بعدكم أتيممُ
ألا إن إقليما نَبَتْ بى دارُهُ   وإن كَثُر الإثراء فيه لمعدم
وإن زماناً ألجأنى صروفُهُ   فحاولتُ بُعدى عنكم لَمذَمَّمُ
وأعلم أنى غالطٌ فى فراقكم   وأنكمُ فى ذاك مثلى وأعظم
فلا طاب لى عنكم مُقامٌ بموطنٍ   ولو ضمَّنى فيه المَقام وزمزم
ومثلك لا يأسى على فقد كاتبٍ   ولكنه يأسى عليك ويندم
فمن ذا الذى تُدنيه منك وتصطفى   فيكتُبَ ما توحى إليه ويكتُم
ومن ذا الذى تُرضيك منه فطانةٌ   تقول فيدرى أو تشير فيفهم
وما كل أزهار الرياض أريجةٌ   وما كل أطيار الفلا تترنم

فهذا عتاب نرى مثله عند المتنبى والأرَّجانى وابن درَّاج ، والمعانى فيه مألوفة ، إن لم تقل مطروقة ، ومع ذلك نجد فيها عذوبة بهائية زهيرية تشهد بأنها صادرة من شاعر خفيف الروح ، رقيق الأسلوب

وهل رأيتم فى تصوير « كاتم السر » وهو ما نسميه اليوم بالسكرتير أدق من هذين البيتين :

فمن ذا الذى تدنيه منك وتصطفى   فيكتُبَ ما توحى إليه ويكتُم
ومن ذا الذى ترضيك منه فطانةٌ   تقول فيدرى أو تشير فيفهم

هذا هو « السكرتير » المنشود ، وكذلك كان البهاء

وإيمان البهاء بذاتيته إيمانٌ متين ، فهو يثق بنفسه وبفنه ثقةً بصيرة ، لا ثقةً عمياء ، ومن شواهد ذلك قوله فى مخاطبة أحد الأمراء :

هذا زُهيرك لا زهير مزينةٍ   وافاكَ تحرما على علاتهِ
دَعْه وحولياته ثم استمع   لزُهَير عصرك حسن ليلياته
لو أُنشِدَتْ فى آل جفنة أضربوا   عن ذكر حسَّانٍ وعن جَفَناته

فهل رأيتم قبل البهاء من يعارض الحوليَّات بالليليَّات ؟ هو شاعر الفطرة والطبع ، فمن حقه أن ينتظر جود الخاطر فى الليلة القصيرة بما لا يتيسر لغيره فى الحول الطويل

ولننظر كيف يتمدح بأخلاقه وأشعاره وهو صادق :

مذ كنت لم تكن الخيا   نة فى المحبة من خَلاقى
ولقد بكيتُ وما بكيـ   ـتُ من الرياء ولا النفاق
رقيقة الألفاظ تحـ   ـكى الدمع إلا فى المذاقِ
لم تدر هل نطقت بها الـ   أفواهُ أم جَرَت المآقى
لَطُفَتْ معانيها ورقَّـ   ـتْ والحلاوة فى الرِّقاق
مصريةٌ قد زانَها   لطفاً مجاورة العراق

مصرى ابن بلد

(١) المصريون يسمون الفتى الحلو الفكاهة والدعابة « ابن بلد »

وفى أشعار البهاء كثيرٌ من التعابير البلدية ، وما نظرت فى ديوانه إلا أيقنت أنه « من الناحية بلدنا » وهتفتُ :

يا زرع بلدى عليك يا وعدى

ويضيق المجال عن الإكثار من الشواهد ، والمهمّ هو أن نرشد المتسابقين إلى هذا الجانب ، لأنه سيرِدُ حتماً فى أسئلة الامتحان ، لأهميته فى الدلالة على الألوان المحلية

قال البهاء :

فياصاحبى أما علىَّ فلا تَخَفْ

فما يطمع الواشون فى عاشقٍ مثلى

وعبارة « أمّا علىَّ فلا تخف » لا تزال على ألسنة المصريين « ما تخافش علَيَّهْ »

وقال :

أتتْك ولم تبعُدْ على عاشقٍ مصرُ

وأولاد البلد يقولون : « مصر لا تبعد على حبيب »

وقال :

سيدى قلبىَ عندك سيدى أوحشتَ عبدك

و « قلبى عندك » عبارة بلدية نقولها فى كل يوم ، ومثل عبارة « أوحشت عبدك » فهى تدور على كل لسان ، ومن « أدوار » الغناء عندنا هذا الدور

ياما انت واحشنى وروحى فيك

وقال :

أين مولاى يرانى ودموعى فوق خدى

فى الشطر الثانى عبارة بلدية مألوفة

وقال :

لنا صديقٌ سيءٌ فعلهُ ليس له فى الناس من حامِد

لو كان فى الدنيا له قيمةٌ بعناه بالناقص والزائد

والمصرى يقول حين يُضجره السوق : « بناقص بزائد سأبيع »

وقال :

سيندم بَعْدى من يريد قطيعتى

ويذكر قولى والزمان طويل

والخصم عندنا يقول لخصمه : « أنا وأنت والزمان طويل » .

وقال :

إياك يدرى حديثنا بيننا أحدٌ فهم يقولون للحيطان آذانُ

فى هذا البيت عبارتان مصريتان لا تحتاجان إلى بيان .

وقال :

وكانت بيننا طاقٌ فها نحن سددناها

فى هذا البيت عبارة بلدية صريحة .

وقال :

جاءنى منه سلامٌ سلَّم الله عليه

الله يسلّمك .

وقال :

له فصولٌ كلُّها فضولُ

يريد أن يقول إنها « فصول باردة » .

وقال :

حاشاك أن ترضى بأن أموت فى الحب غلَطْ

كما نقول اليوم : « فلان مخلوق غلط »

وقد أكثر فى شعره من عبارة : « يا ألف مولاى »

ونحن نقول للزائر : « يا ألف مرحب »

وأنا أكتفى بهذه الشواهد ، وأترك للمتسابقين مراجعة نظائرها فى ديوان البهاء

الشاعر العاشق

يظهر أن البهاء زهير فُتن بالجمال فتنةً دامية ، فهو عاشق من الطراز الأول ، ولم يمنعه منصبه فى الدولة ولا مركزه فى المجتمع من إعلان هيامه بالجمال ، كان يقول :

أروح ولى من نشوة الحب هزةٌ

ولست أبالى أن يقال طَرُوبُ

محبٌّ خليعٌ عاشقٌ متهتكٌ يلذّ لقلبى كل ذا ويطيبُ

خلعتُ عذارى بل لبست خلاعتى

وصرّحتُ حتى لا يقال مريب

وفى لىَ من أهوى وصرّح بالرضا

يموت بغيظ عاذلٌ ورقيب

فلا عيشَ إلا أن تُدار مُدامةٌ ولا أُنس إلا أن يزور حبيبُ

وإنى ليدعونى الهوى فأجيبُهُ وإنى ليَثْنينى التقى فأنيب

فيا من يحبّ العفوَ إنىَ مذنبٌ ولا عفو إلا أن تكون ذنوب

وكان يقول :

لحا اللهُ قلباً بات خِلواً من الهوى

وعيناً على ذكر الهوى ليس تذرفُ

أنا ... وتوفيق الحكيم

وجهاً لوجه ...

للأستاذ دريني خشبة

ذهبت لأسلم على الأستاذ الزيات بعد عودته إلى القاهرة فوجدت إحدى الأديبات قد سبقتني إلى هذا الفصل ... وهذا خبر لا يهم القراء في شيء ...

إنما الذي يهم القراء حقاً أنني لم أكد أستقر في مكاني حتى فتح الباب ودخل الأستاذ توفيق الحكيم ... فهل كنا على ميعاد ؟

وعند ما كنت أكتب فصولي في « شهرزاد » وأحلام « شهرزاد » أراد الأستاذ الزيات أن يعرفني إلى الأستاذ الحكيم ... فاعتذرت ... وقلت له حين سألني عن السبب : حتى أفرغ من هذه القضية بين الحكيم وبين طه حسين ... وذلك لكي تصدر فصولي كلها بروح واحد ...

ثم مضت الأيام ، ولم أعرف الأستاذ الحكيم إلا من كتبه ، ولم يعرفني الأستاذ الحكيم إلا من مقالاتي ... حتى كان هذا اللقاء المفاجئ !

والعجيب أننا تصالحنا في لحظة خاطفة ... ولم يكن هذا الصلح على حسابي ... بل كان على حساب الأستاذ الحكيم الذي عاهدني وعاهد الأستاذ الزيات ألا يكتب كلمة واحدة ضد المرأة ... ولقد رثيت له ورحمته وهو يواثقنا على ذلك ، لأنه كان بحضرة الأديبة المهذبة فلك طرزي ، فلم يكن في مستطاعه أن يدافع في قضيته بشيء

ثم دار الكلام في موضوعات شتى ، حتى وصلنا إلى آخر كتب توفيق الحكيم ، (زهرة العمر) ، فلم أقطع فيه برأي لأنني لم أكن قرأته ، بل لم أكن شهدته ... وذلك أننا معشر الـ ... أدباء (والسلام !) نفضل أن نشتري بنقودنا خبزاً لأولادنا هذه الأيام ... على أن نشتري كتباً لأذهاننا ، لأننا نجيد الاحتيال لقراءة هذه الكتب ، حتى تسكت هذه الحرب فنشتريها كما يشتريها الأغنياء والعظماء ، بل نعود كما كنا أحسن زبائن المكتبات

وكان الأستاذ الحكيم قد أهدى (زهرة العمر) إلى الأستاذ الزيات ولم يكن قرأه بعد ، فوجدت من حسن الاحتيال أن أدعى أنني سريع القراءة جداً ، وأنني أستطيع أن أفرغ من الكتاب قبل أن ينتهي الزيات من (تفتيح) صفحاته ... فوافق الرجل ... بشرط ! أن أكتب عن الكتاب وطبعاً عن صاحب الكتاب ! ... كل هذا والأستاذ الحكيم

وإني لأهوى كلَّ من قيل عاشقٌ
وزداد في عيني جلالا ويَشرُفُ

وما العشق في الإنسان إلا فضيلةٌ
تُدمِّث من أخلاقه وتُلطِّف

يعظِّم من يهوى ويطلب قربه فتكثر آدابٌ له وتظرُّفُ

وهو يرى الموت في العشق حياة ، كأن يقول :

ما لَهُ أصبح عني معرضا
تحت ذا الأعراض من مولاي شيّ

أنا من قد مِتُّ في العشق به هنّئوني : ميّت العشاق حيّ

وغزل البهاء غاية في الرقة والعذوبة واللطف ، وما أحلاه وهو يصور غيرته على من يهواه :

وأنزّه اسمك أن تمرّ حروفه من غيرتي بمسامع الجلاّس

فأقول بعض الناس عنك كنايةً
خوف الوشاة وأنت كل الناس

وأغار إن هبَّ النسيم لأنه مُغرًى بهزّ قوامك الميّاس

ويروعني ساقي المدام إذا بدا فأظن خدك مُشرقاً في الكاس

وما ورد « المُطمِع الممتنِع » في الشعر العربي بأكثر مما ورد في شعر البهاء . أليس هو الذي يقول :

سيدي قلبيَ عندك سيدي أوحشت عبدك

سيدي قل لي وحدّثني متى تنجز وعدك

أترى تذكر عهدي مثل ما أحفظ ودك

قم بنا إن شئت عندي أو أكن إن شئت عندك

أنا في داري وحدي فتفضّلْ أنت وحدك

وأشعار البهاء تفيض بالمطارحات الغرامية ، مع خفة الدم ، ولطف الروح ، وأنا أرجو أن يعفيني المتسابقون من إيضاح هذه الناحية ، لأنها أوضح من أن تحتاج إلى إيضاح

ومن سمع الغناء بغير قلب ولم يطرب فلا يَلُم المغنّي

وقد غنّى البهاء وأجاد ، فاسمعوه بالقلوب .

زكي مبارك

يسمع وكأنه لا يعلم شيئاً . ثم خضنا فى المسرح وفى التمثيل ، وسألته لماذا لا يؤلف للمسرح المصرى روايات تمثيلية ، فسمعت منه الجواب الذى سمعته من خمسين أو من ستين شاعراً مصرياً وكاتباً مصرياً ... ليس عندنا مسرح ... ويجب ، إذا ألفنا ، أن يكون تأليفنا على نوعين ، فنوع للخاصة ، ونوع للعامة ... نوع للخاصة الذين يسعهم أن يفهموا القطع الخاصة الرفيعة وأن يتذوقوها ، ونوع للعامة الذين لا يسعهم أن يفهموا القطع الخاصة الرفيعة ولا أن يتذوقوها ... هكذا كان جواب الأستاذ الحكيم الذى لم تمض على معاهدة الصلح والسلام والمودة بينى وبينه غير دقائق ... ولقد سكت على هذا الكلام لأنى أردت أن أجعل منه مادة لهذا الحديث ، لأنى لا أحب مطلقاً أن ينعقد السلام بينى وبين هذا الرجل الذى أحبه جداً وأعجب به جداً ، على حساب العامة . لأن تقسيم الجمهور المسرحى إلى خاصة وعامة هو أقتل سلاح نصوبه إلى صدر المسرح الذى نحلم بإنشائه ، وكل محاولة لإنشاء هذا المسرح إن لم تعتمد على العامة — وهذا رأيى وعلىَّ تبعته — قبل أن تعتمد على الخاصة ، هى محاولة فاشلة ، بل هي محاولة فيها إثارة لمشكلة الطبقات ، بل هى محاولة للأزراء بسواد الشعب والانتقاص من ملكاته ... على أن الأدب الذى يُكتب للخاصة هو فى رأيى أيضاً أدب لا يمكن أن يمثل أمة ، بل هو أدب لا يمكن أن يمثل الخاصة نفسها ، لأنها خاصة تتألف من عناصر متباينة ، يتعاظل بعضها على بعض ، ويبالغ بعضها فى بز البعض الآخر فى المظاهر الكاذبة التى ربما أخفت وراءها قدراً عظيماً من العقلية المقيدة التى ترسف فى أغلال من الذهب ... وفى وسع الأستاذ توفيق الحكيم أن يقول : إنما أنا أقصد الخاصة المتعلمة ذات المواهب ، وأنا أرد عليه إذن بما قلته مراراً على صفحات هذه المجلة وهو أن التعليم وحده لا يستطيع أن يصنع الخاصة الفنية لشعب ما من الشعوب ، فلقد كان العصر الذهبي للمسرح اليونانى فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد فى زمن لم ترتفع فيه نسبة المتعلمين فى أثينا نفسها عن عشرة أو ستة عشر بالمائة ، وكذلك الحال فى رومة والحال فى انجلترا (فى القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر) حينما كان المسرح الإنجليزى فى أوجه إذ ذاك ، وكان جل اعتماد المسارح اللندنية على الوارد التى تتدفق عليها من طبقات الشعب ، وبالأحرى من سواد الشعب غير المتعلم ... ومن الأمانة فى نقل الحديث أن أذكر ما ذكره الأستاذ توفيق نفسه من أنه إنما يرى هذا الرأى لما لقيته مسرحيته « أهل الكهف » من مصير على يد الفرقة القومية وفى دار الأوبرا الملكية ... لقد قالها الأستاذ توفيق فى شئ يشبه المرارة . . . وهو مخطئ فى زعمه هذا . . . فأهل الكهف كتبت لتكون من أروع آيات الأدب المصرى الحديث ، وقد أثبتت وجودها بالفعل ، ولسوف تخلد على وجه الزمان قطعة فنية قوية أنشئت للقراءة وللترف الذهنى ، ولم تُنشأ للتمثيل ... والذين أشاروا بإخراجها المسرح هم الذين كتبوا لها هذا المصير . وبهذه المناسبة أذكر أن الأستاذ توفيق أرسل إلىّ خطاباً يقول فيه :

... وجهتم إلىَّ أمس سؤالاً التبس على وهو : لماذا لم أوجه عنايتى إلى المسرح ؟ ولعلكم قصدتم أنى لم أعن بإخراج رواياتى على المسارح ... وهذا حق ... ذلك أن كتابة القصة التمثيلية نفسها والتأليف المسرحى فى ذاته لمن القوالب الأدبية الفنية التى حرصت منذ نحو عشرين عاماً على العناية بهما ... ولقد كتبت ونشرت — كما تعلمون — نحو خمس عشرة قصة تمثيلية أو قوامها الحوار الأدبى . وهى (ثم أورد حضرته أسماءها) ... ثم قال ... وكل هذه الروايات التمثيلية منشورة فى كتب مستقلة وفى مجموعتى « مسرحيات توفيق الحكيم » فى مجلدين . أما إذا كان قصدكم معرفة سبب عدم إخراج هـذه القصص على المسارح حتى الآن (باستثناء أهل الكهف وسر المنتحرة) ؛ فإن الجدير بالإجابة هم القائمون بأمر مسارحنا ...) وأنا عندما وجهت هذا السؤال إلى الأستاذ كنت أفهم عنه وكان يفهم عنى فى غير لبس ولا عناء . وإذا كان يريد أن يقول لى إنه ُعنى بالتأليف للمسرح المصرى فإنى أخالفه مخالفة تامة ، مع أننى من أشد المعجبين بأدبه التمثيلى الذى يخرجه فى الغالب فى شكل حوار لذيذ ممتع ، وهو مع هذه اللذة وذلك الإمتاع لم يخرج عن كونه قصصاً تمثيلياً أنشئ للقراءة ولم ينشأ للمسرح . وعندما أكتب فصلاً آخر أو فصولاً أخرى عن « فن توفيق الحكيم » بوصف هذا الفن ظاهرة هامة من أوضح ظواهر الأدب المصرى الحديث ، فسأفيض فى شرح ما أريد الآن إجماله من الناحية التمثيلية فى أدب هذا الأستاذ العظيم ... هذا الأدب الذى شق

طريقه بسرعة فائقة فى حياة مصر الأدبية الحديثة ، حتى احتل مكانه فى جلالة وبهاء بين الطليعة من أدبائنا الأمجاد

لقد وجهت سؤالى ألى الأستاذ وهو يفهم عنى أحسن الفهم ولا داعى مطلقاً إلى القول بأن هـذه القطع الرائعة الخمس عشرة كتبت للمسرح ، لأن الكتابة للمسرح شىء آخر غير الكتابة للقراءة المُتْرَفة ، أو القراءة للذة الفنية التى يتقنها توفيق الحكيم إتقاناً عجيباً لا نعرفه لغيره من كتابنا المصريين . وإنى حينما أقول إن الكتابة للمسرح شىء آخر غير الكتابة للقراءة المترفة ، لا أعنى أن ألقى درساً على أحد ، أستغفر الله . بل أعنى أنه يحسن ألا يغالط أحدنا الآخر على هـذا النحو ؛ فلقد سرنى جداً ما ذكره الأستاذ توفيق فى كتابه (زهرة العمر) الذى لم يتسع هذا الفصل للتحدث عنه ، من أنه أخذ يعنى بقراءة (برنرد شو)[1] فى لغته الأصلية ، أى الإنجليزية ، بدلاً من أن ينتظر ترجمته إلى اللغة الفرنسية التى كانت تيسر له قراءة هذا الرجل الذى يعتبر من غير شك (عاهل المسرح الحديث » فى العالم قاطبة ... وسوف يسرنى أكثر أن يكون الأستاذ توفيق قد وازن بين (فن شو) المسرحى وما فى قصصه هو من هذا الفن المسرحى . ولسوف يسرنى أكثر وأكثر أن يكون قد وازن بين (مُثُل شو) العليا ، ومُثُله هو ، تلك المثل التى تمنى بالفن من أجل الفن ، قبل أن تعنى بالفن من أجل الحياة .

هذا ... ولست أوصى الأستاذ الحكيم بدراسة إبسن أو بجورنسن من كتاب الدرامة السكندناڤيين ، أولئك الكتاب الذين تتلمذ عليهم شو ، ووفقه الله إلى استكمال نقصهم . وذلك أن إبسن مثلاً كان يشخص علل المجتمع الإنسانى وأدواءه ، ثم يكتفى بذلك التشخيص . لم يكن يعنى قط بوصف العلاج الذى يكفل القضاء على تلك العلل ، أما شو ، الذى تشبه كثير من دراماته قصص الحكيم التمثيلية ، من حيث صلاحيتها جداً للقراءة دون صلاحيتها للمسرح ، فكان فى نقده البارع وسخريته اللاذعة مشخصاً ومعالجاً فى وقت معاً

أما لماذا أوصى الأستاذ الحكيم بعدم دراسة الكتاب السكندناڤيين ومن إليهم من الكتاب الواقعيين ، فذلك لخشيتى على فنه الجميل الخلاب من أن يتأثر بهم ، ولأن الحكيم فى ذاته رجل مشبع بمذهب (المودرنزم) الذى يفتتن به افتتاناً لاحد له ويجعل منه الأطار الذهبى الذى يعلق لنا فيه ترجمته كلها ، وصورته الحقيقية التى فطره عليها خالقه الذى لا نحب أن نسميه الآن !

إسمع إليه يقول فى كتابه « زهرة العمر » ص ٣٦ :

« ... انتهى رأيى إلى استحالة المضى فى روايتى التى كتبت منها قليلا وأنا فى هذه البيئة الأوربية العاصفة . هذه البيئة الحديثة وما يسود فيها من جو (المودرنزم) يُفسد حسن فهمى للأشياء ويحول دون تعرفى حقيقة شخصيتى فى الفن والأدب . أنا أحب المودرنزم ، وأخشى أن أقول لك إنى أقلد أساليبه على الرغم منى . وهذا بالذات ما يخيفنى ويدعونى إلى التريث حتى تهدأ عاصفة هذا الفن الحديث ، ونعرف إلى أى حد يستطيع أن يثبت إلى جانب الأساليب التى اعترف بها التاريخ . لقد شاهدت فى المسارح أخيراً قصصاً تمثيلية على طراز النزعة الحديثة ، مثل قصة au grand large ، كما شاهدت قصص ما قبل الحرب مثل ... واطلعت على رأى النقاد فى ذلك . أتدرى ما ذا فضل النقاد ؟ إنهم فضلوا قصص (ما قبل موجة المودرنزم) ورأوها هى الخليقة بالبقاء

واسمع إليه يقول أيضاً ص ٥٢ : « ... إن خيالى مع الأسف ليس من نوع الخيال المثمر الذى خدم الشعراء والكتاب ، بل هو من نوع الخيال المهلك الذى أضاع فى وديانه السحيقة كثيراً من عاثرى الحظ الذين حسبوا أنفسهم شعراء زمناً طويلا وهم ليسوا بشعراء . ثم هنالك شىء آخر إخالك لم تلتفت إليه هو طبيعتى التى تميل إلى عدم الأخذ بما يأخذ به الناس جميعاً من أوضاع ، هرباً من الوقوع فى الابتذال وشغفاً جنونياً بالتميز والإغراب . ففى لبسى لا أرتدى كما يرتدى الآخرون ، ولا أدخن لأن التدخين عادة عامة . وربما دخنت لو انقطع الناس عن التدخين . لا أهدى إلى حبيبتى الأزهار الجميلة ولا العطور اللطيفة بل أهدى إليها ببغاء فى قفص . ولا أكتب إليها مباشرة عن الحب ، بل أتبع طرقا لن يتبعها عقلاء الناس . وتسألنى بعد ذلك لماذا أحب (المودرنزم) ؟ أليس لأنه أقرب الفنون إلى الخروج على المتبع المألوف ؟ لقد قالها أحد النقاد الحاقدين على هـذا الفن الحديث : « إن أهل هذا الفن يأتون كل سخيف مهجور بحجة حرية الابتداع والتفنن فى الابتكار » . الواقع أنى وجدت فى هؤلاء ، لا مأواى ومعقلى ، بل وجدت كل طبيعتى وما تنطوى عليه من حمق وجنون ، لقـد وجدت على الأقل سنداً وأساساً لرغبتى المحرقة فى الخروج على ما أسميه (المنطق العام) »

(١) زهرة العمر ص ١٢٦

واسمع إليه أيضاً يقول في ص ٩٧ : « . . . إنك تعلم من غير شك أن لي منطقاً خاصاً يشط بي أحياناً عما اعتاده الناس ، فإذا أنا في واد والناس في واد ، ينظرون إلي ويقولون : إما أنه أبله وإما أنه فطن . لا أذكر في حياتي أن الناس حكموا على غير الحكمين المتناقضين ، ففريق ومنه والدي يقول إنه أبله ، وفريق ومنه والدتي يقول إنه فطن ، ولم أسمع طول عمري حكماً وسطاً بين هذا وذاك . »

وبعد أن نعتذر للقراء من طول هذا الاقتباس الذي لم يكن منه بد ولا عنه معدى ، نشرع في الدفاع عن أديبنا المصري الكبير توفيق الحكيم ضد هذا الكاتب (المودرنست) توفيق الحكيم ، الذي وصف توفيقنا هذا الوصف المؤلم في تلك العبارة الصارمة المؤلمة ... فالصورة وإن تكن حقاً في جملتها ، إلا أنها مكتوبة في عبارات لا نحب أن يكتب بهـا توفيق الحكيم عن توفيق الحكيم . . . حقيقة إن توفيق الحكيم كاتب يحب المودرنزم لدرجة أنه لا يدخن لا لشيء معقول ، ولكن لأن الناس يدخنون . . . فإذا امتنعوا عن التدخين أقبل هو عليه ، ولو أنفق فيه جميع ثروته . وحقيقة إن هذا المودرنزم يحول بين توفيق الحكيم وبين تعرف حقيقة شخصيته في الفن والأدب ، بل هو يفسد حسن فهمه للأشياء . وحقيقة إن نقاد المسرح الفرنسي قد أجمعوا على تفضيل درامات ما قبل موجة المودرنزم ، وأنهم رأوها أجدر من غيرها بالبقاء ... فهل يسمح لنا الأستاذ توفيق الحكيم بأن نوضح له سؤالنا الذي وجهناه إليه فلم يفهمه على وجهه ، أو أنه التبس عليه ، حتى أسرع فأرسل إلينا خطابه تصحيحاً للموقف ، لأنه أيقن أننا شارعون في الكتابة عنه لا محالة ؟ إذن فاعلم أيها الأديب الذي أصبح علماً في الأدب المصري الحديث أن جميع آثارك الخمسة عشر هي من مذهب المودرنزم أو مذهب الشذوذ على العرف ، ومذهب (خالف تعرف !) ، ثم هي مكتوبة لتقرأ[1] ولمجرد الترف الذهني ... هي فن للفن . ولولا أنني لم أعد أحب إزعاجك بتذكيرك بعداوتك للمرأة — تلك العداوة المطلقة — لقلت لك إن أصل هذه العداوة ليس حباً خائباً كما يزعم أصدقاؤك أو كما تزعم أنت عند ما لطمك الحب على خدك الأيمن[2] ، بل إن أصلها هو هذا المودرنزم المضمر في مزاجك الخاص ، فكل الناس يحبون الكمثرى (ورحم الله حافظ إبراهيم !) ولكنك لهذا السبب تحب الحنظل ؛ وإذا عكسوا عكست ! وكل عباد الله يستحمون في الشتاء بالماء الدافئ ، ونحن نستنتج من المذهب الذي تأخذ نفسك به أنك تستحم ، بل تستنقع في الشتاء في حوض (بنيو) مملوء بالثلج والبَرَد ! لهذا ، لا لغيره ... سألناك لماذا لا تعنى بالتأليف للمسرح المصري كما نفهم هذا المسرح ، وكما يفهم المسرح برنود شو ، وكما يفهمه إبسن وبجورنسن والنقاد المحترمون الذين لم تعجبهم الروايات التي ألفت على قواعد المودرنزم . والتي شهدتها فأغرمت بها ، لأنها صادفت هوى في فؤادك

هل عرفت إذن ماذا نقصد يا أحب الأدباء التمثيليين إلى نفسي ؟ وهل رأيت كيف أن خطابك لم ينطل علينا ؟

على أنني ضد السيد المحترم الوالد العزيز فيما ذهب إليه بشأنك . ولو فطن لعلم أنك أذكى البشر

وأستودعك الله إلى الحديث المقبل .

دريني خشبة

---

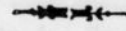
(١) ليهدأ الأستاذ توفيق فهذا هو رأيه أيضاً في كتابه ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(٢) زهرة العمر ص ٢٥٥

الضريبة الأدبيــــة

على الادباء الناجين

للأستاذ محمد صادق رستم



كان المذهب الخيالى « رومانتيك » فى إبان ازدهاره بفرنسا فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر حين وضع ألفريد دوفيني الكاتب الشاعر مسرحية سماها « شاترتون » ، وإنما عنى بهذا الاسم فتى إنجليزياً شاعراً مطبوعاً كان يسكن فى غرفة منعزلة عالية بدار تاجر مالى ، ويقضى يومه ومعظم ليله فى استنزال وحى الشعر السامى ، رجاء أن يعرضه للنشر فينال الربحين الأدبى والمادى . فحدث أن طال عليه دلال ذلك الوحى وتجنت عليه القريحة ، ومر شهر فى إثر الشهر وفى عنقه أجرة الغرفة التى يسكنها ، فأوعز التاجر المالى الذى لا يفهم غير لغة النقود والأرقام إلى زوجته أن تنذر الفتى نزيل الدار بوجوب الدفع العاجل وإلا فالمقاضاة والطرد . . . وكان فتانا الشاعر البائس قد ألف الائتناس بطفلى السيدة ربة الدار ، وكثيراً ما كان يلاطفهما ويرسم لهما الصور المضحكة المسلية ، فأشعرت السيدة العطف على هذا الفتى الأليف ، وداخلتها الشفقة عليه فسوفت فى إبلاغه إنذار زوجها ، وجاءت تدبر له مخرجاً ، وتجد له ما يسدد به ما عليه ، لذلك الذى لا يعرف عذراً ولا يصبر على حق ، ولكن الجدود العواثر رمت بالفتى فى طريق هذا الجبار على باب الدار ، فاستطال لسان الذهب على الديباجة الرقيقة من الأدب ، فكبر الأمر على فتانا « شاترتون » ، فلم يجد مخلصاً إلا فى الانتحار بالأفيون ، ولعله « قبر فى صدره القصيدة الخالدة »

***

تلك خلاصة وجيزة للمسرحية ، والذى يعنينا منها أن « دوفيني » المؤلف قدم لها يوم طبعها بمقدمة بارعة فرق فيها بين الأديب والكاتب الكبير والشاعر . فذكر أن الأولين كثيراً ما يشقان طريقهما إلى الشهرة فيكفل لهما العمل رغد العيش وميسرة الحال ، وقال المؤلف إن مثل هذين الرجلين يستطيعان أن يفهما الجمهور ويفهمهما الجمهور فيسهل عليهما انتزاع الرزق من يد القراء فى أى وقت شاءا ، أو شاء لهما جرى القلم ، أما الشاعر فشىء آخر . . .

ومضى دوفيني يصف الشاعر بأنه مخلوق خاص لا يكاد يحسن شيئاً من وسائل طلب العيش فى غير دائرة الشعر وزيد فى طينته بلة أنه غريب فى وسط الجماهير ندر من يفهمه ، وأندر من ذلك من يعرف له قدره . ثم إنه يضن بوقته إلا على التماس الوحى الشعرى . ويضاف إلى ما تقدم طبعه ومزاجه ، ولعله كوّن كالساعة التى صنعت لتدور على غرار خاص . فمثل هذا العندليب الذى لم يخلق إلا ليتغنى ، ولا يحسن إلا أن يتغنى ، ألا ينبغي أن تسنده يد فى زحام هذه الحياة التى ينحى الناس فيها بعضهم بعضاً عن سبل العيش والكسب بالمناكب . « لعل فى صدر ذلك المستضعف القصيدة الخالدة » فكيف نصرفه عن مناجاة وحيه إلى الدأب المستمر وراء اللقمة ، وفيم نحفل بالعندليب فنقتنيه ونتخير له القفص المزدان ، ونتقدم إليه بالحب الخاص ، ونقيه عاديات الجوارح ، ونشفق عليه حتى من عوارض الطبيعة ، وشاعرنا الإنسان العبقرى فى زوايا الإهمال ومطارح الإغفال ! . . .

***

هذا ما كان يقوله دوفيني فى عهد ازدهار دولة الأدب الخيالى ، وهو عهد لم يطل ؛ فقد ألح عليه أمثال فلوبير بالمذهب الحقيقى (رياليزم) وزولا بالمذهب الطبيعى (ناتوراليزم) فتوارى ؛ بل لقد أفرد زولا لأمثال تواليف دوفيني كتاباً فى النقد اسمه المذهب الطبيعى فى المسرح (لوناتوراليزم أو تياتر) تناول فيه فى جملة ما تناول ، رواية شاترتون ومقدمتها بالذات وأبى على دوفيني وصفه للشاعر واستنكره وسخر منه . وجلى أن الناقد إميل زولا لم ينظر إلى الموضوع إلا بمنظاره الخاص ، ولم يقسه إلا بمقياسه الذهبى فلندع له رأيه المحترم

ولقد عرفنا نحن فى بعض شعرائنا المطبوعين أن كثيراً منهم ، وخصوصاً بعد عهد جوائز الأمراء والكبراء ، بله الخلفاء ، كان يعمل بيديه ليرتزق مثل الجزار وخابز الأرز والرفاء والسراج والوراق ونحوهم ، ولكننا نذكر مع ذلك المهد الذى كان يعال ، ولو شقت اللفظة ، فيه الشاعر العبقرى ، أو بعبارة أخرى يُكفى شيئاً من الكد وراء الرزق ليتوفر على التفكير والاستيحاء ، فكان للأخطل مثلا مروانه ، وللمتنبى سيف دولته ، وللبحترى متوكله ، كما كان لشوقى توفيقه ثم عباسه ، ولحافظ الأستاذ الإمام . فقال فى رثائه :

لقد كنت أخشى عادى الموت قبله
فأصبحت أخشى أن تطول حياتى

وكانت فى فرنسا على الأخص للمملقين من الشعراء حاميات أو راعيات يفتحن لهم (صالوناتهن) ، وإلى جنب ذلك بعض الجمعيات التى تسدى العون الأدبى ، وتجيز مادياً أحياناً فيجد الشاعر وخصوصاً الناشىء الذى لم يستجل بعد وجه الشهرة متكأ وظهراً ومؤازراً ، أما المنكوب بالطبع الشعرى اليوم ، وبخاصة عندنا فأمره بيد البؤس إذا هو لم يعمل ليعيش قبل كل شىء ، فهل لهذه الحال الشائنة فى عصر النهضة الحديثة القائمة من دواء ؟

لعل الذين يُسألون هذا السؤال هم أدباؤنا وشعراؤنا النابهون الذين عبدت سبلهم ودنت قطوفهم واستقر ذكرهم ، من أمثال الأساتذة : طه حسين ، وزكى مبارك ، والعقاد ، والحكيم ، والمازنى ، وعلى محمود طه ، وأضرابهم .

ثم لعل فى حظ كل منهم من الاشتهار ما يجيز فرض ضريبة ولو أدبية عليه تقتضيه التفكير فى حماية قرنائه فى الفن إن لم نقل إن الوقت ملائم لتأسيس « جماعة أدب » يعتز بها الشاعر والأديب الخامل .

ولعلنا بعد ذلك نسمع رأياً أو مقترحاً فى هذا الموضوع من ذوى الشأن . وأكبر اليقين أن صفحات « الرسالة » ترحب بهذا وتفسح له خير صدر

محمد صادق رستم

فى التيـــه !

للأســـتاذ سيد قطب

شيطان الحقيقة

لا تقرب . لا تقرب . إنها هـكذا جميلة !

ماذا تريد ! أتبغى أن تحقق فيها ، وأن تمتحن صدق النظرة البعيدة ؟

كلا . كلا ! إننى لأشفق أن تبديها النظرة القريبة شوهاء ، أو أن تظهر بها بعض الندوب والخدوش !

هى جميلة هـكذا ونحن من بعيد ؛ فماذا نبغى غير أن نراها جميلة ؟

الحقيقة ؟! ويحك ! ومن أدراك أنها تبدو دائماً على مقربة ؟ ولم تكون الحقيقة هى التى نراها على هذا البعد البعيد ؟ وهبها ليست كذلك ، فماذا يضيرنا ؟ ولماذا نصر على رؤيتها عن كثب إذا كانت من بعيد تبدو لنا جميلة ؟

إن قصارى ما تستطيع الحياة أن تهبنا إياه أن تبدى لنا الأشياء جميلة . فلماذا نصر نحن على نبذ هذه النعمة بحجة البحث عن الحقيقة ؟

ألا ويح هؤلاء الفانين فى العالم الأرضى المحدود ! إن الشيطان قد نفس عليهم نعمة الوهم التى منحتها إياهم السماء ، فجعل يوسوس لهم باسم الحقيقة ، ليخرجهم من هذا النعيم ، وهم يحسبون أنفسهم الرابحين !

جمال الظلال

هذا المخلوق الشائه القبيح . هأنذا أرى ظله جد جميل ! إنه يقفز فى رشاقة ويتراءى فى رواء . إنه يتثنى ذات اليمين وذات الشمال كتمثال حى من تماثيل الجمال . إن هذا الظل ليبدو طليقاً من قيود التقاسيم والألوان

ألهذه الطلاقة يا ترى هو جميل ؟

وهذه الشجرة الباسقة النامية ، إنها جميلة ولا شك ، ولكن ظلها أجمل ! إن حركاته أرشق ، وخطراته أشف ، إنه يتمايل هكذا وهكذا فى شبه حرية لا تتمتع بها الشجرة

ألهذه الحرية يا ترى هو جميل ؟

ما الجمال ؟ إنه الحرية ، إنه الطلاقة . إنه الانطلاق من الأوضاع والأشكال والتقاسيم والحدود

ألهذا يبدو الخلود جميلاً لأنه غير محدود . لأنه الظل الطليق لهذه الحياة المقيدة ؟ ألهذا يخلق الناس الآلهة ؟ ألهذا يركنون إلى الإيمان ؟

من يدرى ؛ فربما كان خلق الناس للآلهة وركونهم للايمان هما نفسهما الصلة الحقيقية بين الإنسان الفانى المحدود ، والإله الباقى غير المحدود

الإله الطليق

أيها النور ، أأنت طليق ؟ أأنت تفيض حيثما تشاء ، وتنطلق كيفما تريد ؟ أأنت تغمر الكون فى سعة وفيض لا يخشى عليهما النفاد ، ولا تحد من طاقتهما الحدود ؟

لقد كنت أحسبك كذلك ، وكنت سعيداً بأن أحسبك كذلك ، إلى أن قرأت وعرفت ! عرفت أنك خاضع - ككل مظاهر الطبيعة - للقانون ، عرفت أنك مقيد بالناموس

وا أسفاه ! إنك أيها النور كائن محدود !

واأسفاه ! لقد تقصيت مظاهر هذا الكون ، وحصرت أملى فيك - أيها النور ، لأنك أنت الوحيد من بينها الذى كنت تخيل إلىَّ أنك طليق !

ثم ماذا ؟ ثم ها أنت ذا غير طليق !

والهفتاه ! أليس هنالك غير المحدود ؟ ما أحوج القلب البشرى إلى هذا اللانهائى . إنه يفقد أعز عقائده وأجل أمانيه حين يفقده

ماذا ؟ أليس هنالك عزاء ؟

بلى ، هنالك عزاء وحيد . هنالك الإله . الإله الذى لا أول لوجوده ، ولا آخر لامتداده . الإله الطليق من جميع القيود

أبهذا الإله العظيم

إننى أحبك ! أحبك لأنك « غير المحدود » الوحيد فى هذا الوجود . أحبك لأنك الأمل الوحيد للقلب الإنسانى حين يضيق بالحدود !

قيود الملك

متى تستطيع الكائنات أن تكون شيئاً آخر غير « المالك » و « المملوك » ؟

إن « المِلْك » قيد من قيود الفناء يتنزه عنه الخلود . إن المالك ليس أقل تقيداً بما يملك من المملوك المقيد بمن يملك ، وإن نسبة الترابط بينهما لهى واحدة أو تكاد

إن الطبيعة حين ولدت أبناءها جميعاً ، تسربت فيهم جميعاً فهم أجزاء متكاملة ، كل جزء منهم يحمل جزءاً من الفكرة التى خلقوا ليعبروا عنها . إنهُم متكاملون أو متداخلون ، ولكنهم ليسوا مالكين ومملوكين !

كم بت أكره المِلْك المتحيز حتى فى الحب . لا أريد أن تكون هذه (لى) أو تلك . أريد أن أكون عابداً . أن أنظر من بعيد إلى الهالات الإلهية المرتسمة حولها دون أن أمد يدى إلى شيء منها . أُريد أن تغمرنى غبطة شاملة . أُريد أن أحس بالكمال الذى لا يحتاج ، وبالرضى الذى لا يطلب ، وبالإشراق الذى لا شعائر فيه !

تطهير الصنم

قال لى صاحبى — وقد رآنى أدافع عنها بحرارة ضد نفسى وأدفع عنها كل ما قد رميتها به من قبل — : ويحك ! أهى نكسة إليها بعد كل ما كان ، وهل نويت الرجوع ؟

قلت : كلا ! لم أنو شيئاً ، والرجوع — بعدُ — مستحيل . إنما أريد تطهير الصنم ، كيما أتوجه إليه بالعبادة ؟ فما أنا بمستطيع أن أعبده — وهو ملوث — وما أنا بقادر على البقاء بلا عبادة !

إنها يا صاحبى لم تخسر شيئاً بهذه الشكوك التى أحطتها بها ، والتى حسرت عنها هالاتها المقدسة فى نفسى ؛ إنما أنا الذى خسرت : خسرت الإيمان وخسرت المعبود ، وخسرت القِبلة التى أتوجه إليها

أو تحسب يا صاحبى أن الآلهة يفيدون شيئاً من عبادة المؤمنين ، أو يخسرون شيئاً من تولى الكافرين ؟ كلا يا صاحبى إنما يكسب ويخسر أولئك الفانون الذين فطروا وفى قرارة نفوسهم ميل إلى الإيمان ، هو غذاء أرواحهم المعذبة ، ومستقر قلوبهم الحائرة .

والرسل والأنبياء يا صاحبى ! أتحسب أنهم ينشئون الإيمان فى هذه القلوب إنشاء ؟ كلا ! إنما يحاولون فقط أن يردوا إليها الثقة والحرارة حين تخبو حرارتها ويتطرق الشك إليها ، فيما كانت تعبد من قوة فى السماء ..

آه يا صاحبى ! لو أستطيع أن أغمض عينى مرة أخرى فلا ترى ! ولكنها جناية المعرفة . جناية الوعى المتيقظ ، جناية هذا العقل الإنسانى الذى يسلبنا سعادة الإيمان ، ثم لا يعوضنا إلا شقوة الشكوك .

لست أبغى الرجوع أيها الصديق ؛ إنما أبغى قداسة الصنم المعبود . فهل فهمتنى الآن ؟ أستغفر الإيمان . أعنى هل أحسست ما يختلج فى نفسى من أحاسيس ؟

الانسياب

أتدرى فيم أكتب إليك ؟ إنه أمر غريب حقا ! إننى فى حاجة إلى من يرد علىّ إيمانى بشعر « الحالات النفسية » . إننى لفى شك مؤلم فى هذا النوع من الشعر الذى أصبحت أراه محدود الآفاق .

إننى لا ألجأ إلى هذا الشك راضياً ولا مختارا . لقد أحببت « شعر الحالات النفسية » وآمنت به فترة طويلة ؛ ولقد كان عندى لونا من ألوان المثل الأعلى للشعر الجديد .

فماذا عساى يا صاحبى أريد ؟

أريد الانطلاق . أريد الانسياب فى الطبيعة كأننى ذرة منها لا تحس لها كيانا مستقلا . أريد ألا أحس بالقصد والغاية ، ولا بالحالات الواقعية المحدودة . إننى أكره « الوعى » لأنه نوع من الحدود !

أريد الهالات التى لا حدّ فيها بين الأضواء والظلال . أنكر شعرى وشعر الكثيرين ، لأننى لا أجد فيه ما أريد . وأخشى ألا يكون بين شعراء العالم من يلبى هذه الرغبة العميقة . من ينساب فى إحساسه وفى تعبيره بلا حدود . أخشى أن تكون الموجة التى تغمرنى ليست سوى شعور غامض غير قابل للتعبير عنه فى لغة البشر المحدودة . إنها إذن تكون كارثة . ألا يوهب البشر نعمة التعبير عن هذا الشعور ؟

(حلوان) سيد قطب

بتاريخ ١٥ — ٦ — ٩٤٣ حكم فى الجنحة ٢٤٢٥ عسكرية الأزبكية سنة ١٩٤٣ بحبس المتهم قلدس بشاى ٣ شهور وتغريمه ١٠٠ جنيه والنشر والتعليق والغلق والمصادرة لصنعه جبناً أقل من الوزن القانونى فى ١٤ — ٥ — ٩٤٣

مصر والشـــام

للسيدة وداد سكاكيني

كنا إذا ولينا الوجوه شطر مصر كالعيس فى البيداء ، تتلهف ظمأ إلى الماء وهو على ظهورها محمول . فيا عجبا لذاك الحنين الذى كان يطفو على جنبات نفوسنا كموج البحر وهو يمور ويفور ، ثم لا يكاد موجه أن يندفع على الصخور حتى يحور ويفور ، فهو هباء منثور . كذلك كنا إذا هزنا الشوق إلى مصر هفونا إليها من ربوع غسان ودارات أمية ، فكانت رياح الحنين غادية غير رائحة ، ومقيمة غير مبارحة . ولقد مرت بالشام عهود وأحداث كانت فى خلالها بمعزل عن غيرها ، لا يبلغ مصر من هذه الديار إلا التجار ونزر من الأخبار يتلقاها النسيب من النسيب ، حتى تصرمت تلك القطائع وتواصلت بعدها أواصر ووشائج ، كان ونافها يشتد على ترادف الأيام ؛ ولكن لم تبلغ مداها ولا أدركت مناها ، فحنين العرب إلى مصر عريق فى الدهر ، ظهرت بوادره منذ تطامنت لوادى النيل مقاليد الحكم والسيادة من عهد الخصيب أميرها ، وكافور الأخشيدى مليكها ، فقد أتاها النواسى زائراً ومدح أميرها بقصيدته التى مطلعها :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحـــر

ثم ورد عليها أبو الطيب المتنبى منتجعاً وشاعراً فكان لها فى نفسه أثر ما زال أروع طوابع شعره . وكأنما أراد الله لمصر بعد أن هوى تاج العز عن رؤوس العباسيين أن يتألق على رأسها فكان لها من المجد والعلم ما كان لعواصم الغرب التى أفادت من علماء الروم بعد طغيان الحرب على بلادهم فكانوا حيثما توجهوا وأينما حلوا ينابيع معرفة وثقافة ، فما أديلت العباسية وطوائف الملوك حتى كانت مصر مورداً عذباً لجماعة من العلماء والكبراء ، ومثابة لطائفة من المؤرخين والفقهاء ، وكأنها قبلة علمية توجهت إليها الأنظار والأفكار ، وذلك قبل عهد الانحطاط الشامل الأخير . ولما امتدت يد الظلمة والخمول إلى أرجاء الشرق كانت مصر فى البلاد الهاجعة فانطفأت تلك الشعلة الباقية من مصابيح العرب الأوائل ، حتى كان البعث الحديث زمن الغزوة النابوليونية ثم أيام النهضة المباركة التى خلق فيها مصر من جديد محمد على باشا الكبير

وفتح العالم العربى عينيه بعد سبات عميق ، وتلفت المستيقظون صوب البلاد الآمنة الخـيِّرة ، فلم يجدوا غير مصر مراحاً لأرواحهم وعبقرياتهم ، وصورة لأمجادهم وذكرياتهم ، فتوافدوا عليها شيِّقين طامحين ، وأكرمت مصر وفادتهم ومودتهم ، وقد عقدت بينها وبينهم وشائج القربى والتاريخ وروابط اللغة والدين . وسبق اللبنانيون إليها مهاجرين فسكنوا وادى النيل وكأنهم بين أهل وعشيرة ، فاستهوتهم بحفاوتها وخيراتها ، وساهموا فى نهضتها المعاصرة مساهمة لمت آثارها فى المرافق التجارية والحياة الأدبية ، وما زالت مجانى ثقافتهم وصحافتهم دانية القطوف فى المقتطف والهلال والمقطم والأهرام . على أن هؤلاء المستوطنين ما لبثوا أن تركوا طوابعهم السورية واللبنانية ماوراء العقبة واتسموا بمياسم مصر فتكلموا لهجتها العذبة واقتبسوا من عاداتها وتقاليدها ، واكتسبوا من « جنسيتها » فشاركوا أهلها فى التبعات والواجبات وصار لهم حق فى مراتب الدولة ، وفى مجلسى الشيوخ والنواب .

وشاءت الأحداث منذ الحرب الغابرة أن تفرق بين الإخوان والجيران فى التخوم والإقليم ، أما وحدة الشعور واللغة وعلائق المودة والهموم ، فكانت تزيدها الأيام والآلام حدة وقرباً ، وما ألمت بمصر حادثة أو دهمت بلاد الشام كارثة حتى كانت صيحات المواساة والمؤتمرات تعلن تبادل الولاء والوفاء بين القطرين المجاورين . وللشام كما قلت هوى بمصر عريق ، ولكنه كان كميناً دفيناً فلم يجد له بثاً وبعثاً غير الأدب والثقافة ، فكانت المنابر والأقلام مظاهر ذلك الشعور والإخاء ، وأكب العرب فى جميع أقطارهم على أدب المصريين وصحافتهم . بيد أن الشاميين كانوا أشد تعلقاً بأدباء الكنانة وشعراء النيل . ولا بدع إن اتجهت أنظارهم صوب مصر الشقيقة الكبرى وأعجبوا بآثار أدبائها وشعرائها ومآثر العروبة والإسلام فيها ، فقد كان هذا القطر العزيز سباقاً إلى نشر الثقافة والمعرفة بما توافر لديه من أعلام الفكر والصحافة ، وبما تكاثر فيه من دور التربية والتعليم ومعاهد اللغة والدين ، فما يكاد يصدر عن مصر كتاب لأحد أدبائها حتى يتهافت كل مثقف فى هذه الديار على قراءة هذا الكتاب واقتنائه ، بل ما أحسب أن دار علم عندنا أو معهد فن أو مكتبة أديب أو متعلم تخلو من مؤلفات المصريين فى ألوان الثقافة والأدب ، وما تظهر مجلة مصرية

أو جريدة حتى نتلقاها بشوق وترحاب ، وقد عجب لهذا طابعو الكتب وبائعوها فعلموا أن جل هذه الأسفار والصحف تقرأ وتروج فى بلاد الشام وسائر الأقطار العربية أكثر مما تروج وتنتشر فى بلاد المؤلفين المصريين والصحافيين ، وإن جمهرة العرب فى هذا الشرق الأدنى يحلون علماء مصر وأدباءها وأهل الفن فيها من أنفسهم محلاً رفيعاً ما يكون لهم من المصريين أنفسهم ، بل إننا لا نمن على إخواننا وجيراننا إذا كنا لا نغادر صغيرة ولا كبيرة من شؤونهم إلا نحيط بها علماً ، لأننا نجد فى شعورهم وتفكيرهم صدى لشعورنا وتفكيرنا ، وكما أن الشاميين عبروا بحفاوتهم وأقلامهم عن إعجابهم بالأدب والطرب بطرفانهم من نحو مصر ، فإن شعراء النيل مازالوا يرسلون قصيدهم فى تحية الشام وبعث ذخائرها وأمجادها . ولقد زار دمشق فى ماضيها القريب أمير الشعراء أحمد شوقى فملأ عينيه وروحه بمفاتنها ومباهجها ، ورأى بتحديقة واحدة دنيا أمية راقدة تحت الثرى منبثة فى هذه الربوع فبعثها فى شعره الملهم إلى دنيا الحياة ، ونظم فيها قصيدته الفريدة التى ناجى بها جلق وتغنى بماضيها الأغر المحجل ، وفيها خلع على الشام أوصافاً لا تمحوها يد الحدثان . فيا لأمية فى هامتها وربوتها ، فى نيربها وغوطتها ! ويا لعظمة بردى مسلولاً كسيف من فضة يوزع الخصب والبركة ، ويبدع الحدائق والظلال !

لقد كانت الشام مطوية المحاسن والمفاتن ، كامنة الحنين إلى الأمجاد وعز الأجداد ، حتى هاجها شوقى من مكامنها ورصع بها شعره الخالد ، فهب الشاميون على شعر شوقى وترنموا به ورجعوه فى مغانيهم ، وفى مجالسهم ومدارسهم ، واهتاجت مشاعرهم شوقاً إلى ضفاف النيل وحمى الأزهر وحصن الإسلام . وما اكتفى شوقى بشعره فى وصف دمشق ومجاليها ، بل سكب من قريحته بلسماً لجراحاتها فرثى من أجلها وبكى ، وخلد ميسلونها ؛ وحين تهدم بنيانها ناح شوقى على منازل العز وهى بأيدى البلى من أحياء دمشق

وما كان حافظ إبراهيم ضناناً بقريضه فى مناقب الشام ومحامد أهليها وأنهم خير من رعى الجوار والإخاء . وقد أنشدهم بلهجته الساحرة قصيدته التى حيا بها من بالشام ، حياه وتمنى أن تجرى المودة طلقاً فى أعراق الشرق لجرية الماء فى الأفنان ؛ وحدث سامعيه عن وجد النيل ببردى ، وأهدى إليه أشواق ولهان وتحنان

ومن قبل هذه التحية الطيبة قال حافظ :

لمصر أم لربوع الشام تنتسب ... هنا العلى وهناك المجد والحسب

وقال :

إذا ألمت بوادى النيل نازلة ... باتت لها راسيات الشام تضطرب

ولكن الأدب فى هذه البلاد ما زال عاتباً على غفلة المصريين عن أهله ، ولطالما تواترت الملامة من أدبائنا لتغاضى مصر عن أدبهم وتصانيفهم حتى عدوا ذلك منها إغفالاً وإهمالاً . وقد اعترف بهذا التفريط أعلام الثقافة والأدب فى وادى النيل ، فكتب الدكتور عبد الوهاب عزام : « وليس الأمر بيننا تشابك أقوام واتصال أوطان فحسب ، ولكنه الحب المؤكد والود الصريح ينطق على ألسنة القوم ويتجلى فى أساريرهم ويبين فى أعمالهم ويشهد به اهتمام القوم بكل صغيرة وكبيرة فى مصر وتحدثهم عن علمائها وأدبائها وأحزابها وقادتها حديث المحب العارف الخبير ، وحرصهم على قراءة ما تخرجه مصر من كتب ومجلات وجرائد ، وكثيراً ما نرى فى الشام والعراق من يعلم عن مصر أكثر من أبنائها . » ثم على مصر ألا تتردد فى الاستفادة بما فى هذه البلاد من مزايا ؛ فلا ريب أن فيها من الآداب والأخلاق والصناعات ما يجب علينا أن نتلقاه عنها ونحتذيها فيه »[1] ، وقال الدكتور طه حسين فى حديث له عن الشرق العربى نشرته صحف كثيرة منذ بضعة أعوام وأشارت إليه « فنحن مثلاً نزعم لأنفسنا ويتفضل إخواننا الشرقيون فيزعمون لنا أننا قادة الرأى فى الشرق العربى وزعماء النهضة الأدبية فى العصر الحديث ، ونحن نتأثر بهذا الغرور ونرى لأنفسنا حقوقاً ولا نكاد نشعر بما علينا من واجبات ، نرى أن على الشرقيين أن يقرأونا وأن يتأثرونا ولا نكاد نشعر بأن علينا أن نقرأهم دائماً وأن نتأثرهم أحياناً »

على أن الحكومة المصرية الجليلة شعرت بهذا الفضول عن أدب الإخوان والجيران فأعدت العدة لتوحيد الثقافة فى جميع البلاد العربية ، وقررت تبادل المؤلفات والمعلمين والمعلمات بين الأقطار الشقيقة والمجاورة . أما أمنية الأدب التالية فى ربوع الشام فلم تحقق ، وما يزال أدباء مصر يجهلون أدباءنا وآثارهم ، ولا تكاد تجد في إحدى المكتبات المصرية كتاباً لأديب سورى أو لبنانى فى غير بلادهم

وشاءت الأقدار فى هذه الأيام أن تؤلف الهموم والخطوب

(١) مجلة الرسالة ش ٤ ع ١٦٨

بين الأقطار العربية فتسعى بالتعاون والتضامن إلى خير الإنسانية ونصرة الديمقراطية ، وتطلعت مصر إلى أخواتها بمحبة وبهجة تستجلى الأمانى والآمال ، ومدت يدها تصافح الإخوان والجيران ، فوجدت أن الأحداث لم تنل منالاً من أهل هـذه البلاد وهم المؤمنون بعطف مصر ومساعيها النبيلة لنهضة العرب وبسط حضارتهم ونشر ثقافتهم ؛ فهل يقيض لأدب الشام أن يرى مصر راعية لأمره ساعية إلى تحقيق التبادل فى المؤلفات وفى الآراء التى تؤول إلى ازدهار الحياة الأدبية عندهم وعندنا ؛ وإن علماء الاجتماع ليعلموا أن كل نهضة لا تقوم على الأدب والثقافة مكتوب لها الخيبة والإخفاق . أما وقد لمسنا فى المصريين الـكرام مظاهر التعاون الثقافى فى المعاهد العلمية والدينية فى بعض البلاد العربية ؛ فإن الأمل وطيد بأن نرى فى القريب بشائر التضامن الأدبى فى هذه الأقطار التى ترقب عهداً جديداً أغر يصل طريفها بتليدها ، ويحيى فى مرافقها وآفاقها تراث الأجداد والأمجاد .

« دمشق » رواد سلاكينى

آراء للمناقشة

ختان البنات في مصر

للدكتور أسامه

تختص مصر بهذه العادة دون سائر بلاد العالم المتمدن ، إذ لا يشاركها فيها سوى قبائل السودان وأواسط أفريقيا . ولم أهتد إلى أصلها ؛ غير أن اقتصارها على هذه المناطق واختصاص نساء الغجر بإجرائها ، ويشاركهن الدايات الآن ، يحمل على الظن بأنها عادة مصرية قديمة انتقلت إلى مصر من الجنوب بواسطة هؤلاء الغجر الذين اتخذوا منها مورداً للارتزاق .

ولست أعرف رأى القانون ووزارة الصحة فى ممارسة هذه العملية إذ أنها عملية جراحية حقيقية لها أخطارها ، ويجب أن يكون لها إجراءاتها وقيودها ؛ غير أننى كطبيب أريد أن أوضح لأبناء وطنى ما ينطوى عليه ممارسة هذه العملية من أضرار طبية ونفسية واجتماعية ، بجانب ما يظن لها من فوائد أكثرها وهمى

وأول هـذه الأضرار هو الخطر الجراحى الذى ينشأ من النزيف ، والأضرار الأخرى لا تحدث أعراضها إلا بعد زواج الفتاة ، ومنشؤها أن الجزء الذى يقطع (البظر) هو عضو تناسلى أساسى ، لأن به كل الحساسية الجنسية للأنثى ، وليس هو كما يظن الشخص العادى يماثل الجزء الذى يقطع فى ختان الذكور ، فإن هذا قطعة من الجلد لا قيمة لها . فإزالة هذا العضو تماثل فى نتائجها قطع الجزء الحساس من العضو التناسلى فى الذكر . فالمرأة المتزوجة فى هذه الحالة لا تحصل على الاكتفاء الجنسى الذى هو أساسى لحياتها التناسلية ، وينتج عن ذلك الإصابة بالنورستانيا والأمراض النفسية والعصبية المختلفة ، كما وهذه الأمراض منتشرة بين النساء اللواتى يجب اعتبارهن جميعاً ناقصات جنسياً لهذا السبب . وإننى أعتقد أن فى اقتصار حفلات الزار على البلاد التى تمارس هـذه العادة وهى مصر وأواسط أفريقيا ما يوضح العلاقة بينهما ، كما يوضحها كثرة انتشار الخرافات المتعلقة بالاعتقاد فى إصابة بعض النساء بالجن والمشايخ والأسياد وما يجده الدجالون من سوق رائجة بينهن باستغلال هذه المعتقدات

ومما ينشأ أيضاً عن عدم الاكتفاء الجنسى لدى المرأة أنها تظن ذلك بسبب عجز تناسلى من زوجها الذى يشاركها فى هذا الاعتقاد لجهله ، ويظن بنفسه نقصاً فى رجولته أو مقدرته الجنسية (وليس به أى نقص فى الحقيقة) فيحاول تعويضه أولاً بالإجهاد الجنسى (الإفراط) ، وثانياً باللجوء إلى الوصفات البلدية الشائعة وهى لا تؤدى إلى أى نتيجة حقيقية ، وأكثرها يتركب من الحشيش والأفيون والداتورة وبعض مواد أخرى قد تـكون شديدة الإضرار بصحته وقد تؤدى به إلى الإدمان

وإن ما هو معروف من أن تعاطى هـذه المكيفات إنما هو لغرض جنسى يحملنى على أن أقرر أن أهم عامل فى انتشار المخدرات فى مصر يرجع إلى النقص الجنسى فى النساء المصريات الناتج عن إجراء عملية الختان لهن

وفضلاً عن هذا فإن الشعور الجنسى للرجل يقل كلما ضعف هذا الشعور فى زوجته . ولست أرى محلاً هنا للتبسط فى هـذا الموضوع وشرح نتائجه وصلته بنجاح الحياة الزوجية أو فشلها وبكثرة حوادث الطلاق وسواه

وقد يظن البعض فى مصر أن هذه العملية عادة إسلامية ، أو أن لها أصلاً دينياً ، ولكن هذا الظن لا أساس له من الحقيقة

ويكفى لإزالة هذه الفكرة أن نعلم أن هذه العادة لا يمارسها أهل الحجاز أو العراق أو اليمن أو سوريا أو تركيا أو إيران أو المغرب ولا أى شعب إسلامى آخر سوى المصريين . بل إن أعراب الصحراء الغربية فى مصر لا يعرفونها ، وفى مصر يمارسها المسلمون والأقباط على السواء ، وأكبر الظن أن الأخيرين هم مصدرها وأنها انتقلت منهم لمواطنيهم المسلمين

بقى أن نقول كلمة عن الفوائد المزعومة لهذه العملية وبعضها قد يكون صحيحاً إلى حدّ ما ، ولكنه كما سنرى لا يبرر إجراءها قط . وأولها ما يقال من أنها نظافة ، والمقصود بهذا أنها تشبه النظافة التى تنتج من ختان الذكور وهذا خطأ ، لأن المقارنة التشريحية للأعضاء التناسلية فى الذكر والأنثى تبين لنا أن هذه النظافة حقيقية فى الأولى ولا أثر لها فى الثانية . ونظافة عضو لا تكون بإزالته . وهنا يجب أن أوضح أن ختان الذكور عملية سليمة من الوجهة الصحية ولا ينطبق عليها شىء من الاعتراضات المبينة هنا

وثانية الفوائد أو الحجج أن لهذا العضو شكلا بشعاً ، والحقيقة أن شكل الأعضاء التناسلية منفر لكل ذى ذوق سليم من الجنسين ؛ والمقرر علمياً أن الجاذبية الجنسية فى الشخص المتمدين لا تحدث من الأعضاء التناسلية الخارجة ؛ إنما تحدث من الصفات الجنسية الثانوية ، وهى فى الأنثى جمال الوجه والقوام والساقين والفخذين والذراعين ورقة الأنوثة والصوت والثقافة والشعر الخ

وثالثة الحجج وأهمها فعلاً وأحقها بالبحث هى العفة ؛ والحق أن ضياع العضو الذى به الحساسية الجنسية فى الأنثى يقضى على المنبهات التى كانت ترد منه ؛ ولكنه لا يقضى على المنبهات التى ترد من المخ وباقى الجسم (من حواس النظر والسمع واللمس) ، فإزالة البظر يحدث عفة جزئية للفتاة قبل الزواج مشكوكا فى قيمتها ، ولكنه بعد الزواج يحرم المرأة المتزوجة من الشعور الصحيح باللذة الجنسية . وقيمة هذا العضو لدى الفتاة الأجنبية كقيمة أى عضو أساسى آخر . وليس من شك فى أن هذه العملية جناية على جسم الفتاة ليس من حق أى إنسان ارتكابها ، وإنها كبتر العضو الجنسى فى الذكر . أما الحرص على الشرف وتعليم الفتيات العفاف فيكون بالتربية الجنسية الصحيحة

ومما تجب معرفته أن الميل الجنسى ليس مصدره الأعضاء الخارجية ، ولكن المخ والغدد الجنسية الداخلية (البيضين فى الأنثى والخصيتين فى الذكر) ، وأن هذه الغدد تتأثر فى وظائفها بالإفرازات الداخلية للغدد الأخرى التى تسمى الغدد الصماء مما لا مجال للإفاضة فيه الآن . فإزالة كل أو بعض الأعضاء التناسلية الخارجية لا يؤثر فى الميل الجنسى الطبيعى من أحد الجنسين نحو الآخر ، ولكنه يحدث فى الأنثى اضطرابات نفسية شديدة على صحتها

وكثيراً ما عرضت لى حالات مرضية فى السيدات لم أجد لها سبباً إلا النقص الجنسى المتسبب عن هذه العملية . وقد تبينت لهذا الموضوع من الأهمية ما دعانى للكتابة فيه أخيراً . وأرى أنه يستحق اهتمام الهيئات التى تعنى بأن يكون لمصر جيل جديد سليم . ولست أطلب تشريعاً جديداً إذ يكفى تطبيق القانون الخاص بتعاطى مهنة الطب على القائمين بممارسة هذه العملية مع بيان أضرارها للجمهور ، حتى يقضى عليها سريعاً ونتفادى أضرارها فى الجيل الجديد . وإلى هذا أوجه نظر وزارة الصحة ووزارة الشئون الاجتماعية ، وكل حريص على مستقبل وطنه وصحة أبنائه .

دكتور
ع . أسامه

أين أخي ؟ !

[مهداة إلى روح أخي الشاعر محمد أبي الفتح البشبيشي]

... كنت فيما مضى أهيم مع العطـ   ـر وأسرى مع النسيم لزهره
وأشق الفضاء كالضوء جيا   شاً وأسمى مع الهزار لوكره
أين مني أخي وأين إخا،   ـكر القلب من أفاويق خمره
أين مني أخي فإن يد المو   ت ترامت به لظلمة قبره
أين مني أخي ؟ ترى اليوم ينـ   ـسانى وقلبي مقيد بين ذكره
كلما طالعت عيوني صبحاً   ذكرتني الأنوار فتنة سحره
وإذا زهرة تهادت بحس   نفحات ؛ لمست نفحة عطره !
وإذا ظلمة تمادت بليـــل   غامض يشمل الوجود بسره
كدت من لهفتي أراه حنيناً   يتمشى به كومضة بدره ! !
وإذا موجة من الأبد النا   ئى ترامت على الوجود وصخره !
ذكرتني به خيالاً أبياً   يرقص الكون من ألاحين شعره

طاف بالقلب من عهودك طيف   بعث الشوق في الفؤاد الكسير
وبروحي رأيت روحك تهفو   لعهـــود وضيئة ووكور
وبوهمي بعثتُ ومضةَ عينيـ   ـكَ تبث المنى بميت الشعور
وتخطيت ما أمامي من صبـ   ـح وليـــل ولجة وصخور
وتهاويل بثها الزمن العا   تى هباء بعـــالم مسحور
كى أرى وجهك النبيل تجلى .   من وراء الفنا وليل القبور !
آه إنى أحس شوقاً ويأساً   من جوىً عاصف وحزن مرير
أين مني أخي يرطب أيا   مى بصفو المنى وصفو الضمير
أين مني أخي فقد صرت دوحاً   راعش الظل مقفراً من زهوري

كنتَ تسمى إشراقة من شعاع الفـ   ـن تُزْجى الحياة للخامدات !
نمقتها رؤى الخيال فكانت   فتنة لم تزل تضيء حياتى
كم ليال عبرتها يوم كنا   فرحة صُوِّرت لماض وآتى
كنت فيها هدى لعقل شرود   لم يزل سادراً مع الترّهات
من تُرى غالها ؟ ومن بدد الشمـ   ـل ؟ ومن أيقظ الردى من سبات ؟
إنه الداء ... داء قلبك لم يرْ   حم دموعى ولم يصخ لشكاتى
ما عسى تنفع الحزين دموع ؟   هل ترى تقهر الأسى عبراتى ؟
سأظل الحياة أعبد ذكرا   ك وأطوى مع الدجى أمنياتى

(الاسكندرية) حسين محمود البشبيشي

إلى زهرتي

إسمعيني ...

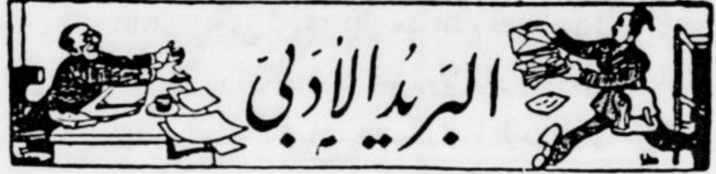
إسمعيني كلمـــــا غنيت في دنيا الأماني
إسمعيني واسمعي الأطيـــارَ تشدو بلساني
أنا قلبي جـــــدول للشدو سلسال الأغاني
كلما غنيت ألقَى سمعـــه لي كل عاني
أنتِ إلهامي ووحيِي ، أنت روحي وَجَناني
فاسمعيني قبـــل أن تذْبُل في نفسي المعاني

كل ما في الكون يا زهرة بسّامٌ المحيا
فابسِمي يا زهرة الآمال أو حنِّي إليّـــا
أنا شعر في فم الأيام فاصغَيْ لِي مليّــــا
ردّدتني أنّةُ الحائرِ لحناً موصليّـــا
ورآني المدلج الساري شعـــاعاً عبقريا
فاسمعيني قبل أن تطويني الأوهامُ طيّــا

لستُ يا زهرةُ مثـــل الناس لكني غريبُ
كلمـــا أشجاهم التغريد أشجاني النعيبُ
لا تلوميني فهـــذي قسمة لي ونصيبُ
واسمعيني فأنا سر من الغيب عجيبُ
واذكريني واذكري عهدي عسى صفوي يؤوبُ
كيف يا زهرة يُنسى العهد ، والعهد قريبُ ؟ ؟

ذاك عودي في يدي أشـــدو عليه فاسمعيني
ودعيني أمـــلأ الدنيا بأنغامي دعيني
ســلسل الغيب نشيدي ورواه للسنين
غــــير أن الحظ يا تعسي أراه للمجون
فإذا ما حطم العـــــود بكفي فاعذريني
واسألي لي الله أن يرحم شـــجوي وأنيني

عبد الرحمن الشربيني



ازدواج الطبيعة الإنسانية

استوقفني في كتاب « زهرة العمر » قول الأستاذ توفيق الحكيم : « إني أعيش في الظاهر كما يعيش الناس في هذه البلاد ، أما في الباطن فما زالت لي آلهتي وعقائدي ومثلي العليا . كل آلامي مرجعها هذا التناقض بين حياتي الظاهرة وحياتي الباطنة . » ، وقد أثارت في نفسي هـذه العبارة تلك المشكلة الخطيرة المتعلقة بوحدة الطبيعة الإنسانية في الفرد : فإن الرأي الشائع بين الناس أن في النفس وحدة قوامها التآلف والانسجام ، على حين أن التجربة الباطنة تشهد بأن النفس الإنسانية مزدوجة قوامها التناقض والاختلاف . والواقع أن الإنسان « نسيج من الأضداد » : tissu de contradictions كما قال رينان ؛ فإننا كثيراً ما نشعر بأن ثمة نوازع متعارضة تتجاذبنا ، وكثيراً ما نعاني صراعاً عنيفاً يقوم بين النفوس المختلفة التي تتقاسمنا . ولا ريب أن فرويد كان على حق حين قال إن شخصية الإنسان تتركب من : النفس الشعورية (أو الذات) Ego ، واللاشعورية : Id والنفس العليا Super-Ego ؛ فإن التناقض الذي طالما يشيع في أقوالنا وأفعالنا ، مرجعه إلى أننا لا نصدر في جميع الأحوال عن نفس واحدة : إذ أننا في تصرفاتنا العادية نصدر عن النفس الشعورية ، وفي نزعاتنا ورغباتنا المكبوتة نصدر عن اللاشعور . وأما في مثلنا العليا ومعاييرنا التقويمية ، فإننا نصدر عن النفس العليا . ولعل هـذا هو السبب فيما نراه من أن بعضاً من المجرمين الذين تحجّرت في نفوسهم الطبيعة الخيّرة ، قد يتناقضون مع أنفسهم في بعض الحالات : فيندفع اللص الذي يستلب الناس أموالهم ، إلى العطف على فقير معدم ، وينساق القاتل الذي يسترق الناس أرواحهم ، إلى الأخذ بيد شيخ هِمٍّ محطم . ولعل هذا أيضاً هو السبب فيما قاله رينان عن نفسه في كتابه : « ذكريات الطفولة والشباب » : « إن شخصيتي مزدوجة ؛ فقد يضحك مني جانب ، في حين يبكي الجانب الآخر » "Je suis double; quelquefois une partie de moi rit quand l'autre pleure."

زكريا ابراهيم

إلى الدكتور عبد الوهاب عزام

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد قرأت مقالتيكم النفيستين « في المسجد الأقصى » المنشورتين في الرسالة عدد ٥٣٨ و ٥٤٠ ، وقد استوقف نظري في مقالتكم الثانية في العدد ٥٤٠

١ — قولكم : « فرأيت على بعد خطيب المسجد الأقصى يمر إلى حجرته في حلة خضراء وعمامة صلاحية وهو زي يتوارثه خطباء المسجد الأقصى من عهد صلاح الدين وهم من بني جماعة الكنانيين توارثوا هذا المنصب منذ القرن السادس إلى يومنا هذا »

٢ — وقولكم : « وانتهى بنا السير مع هذه الآثار والذكر إلى التكية البخارية وهي التي اتخذت متحفاً إسلامياً »

١ — أقول إن إسناد خطابة المسجد الأقصى لبني جماعة لم يكن في عهد صلاح الدين ولا في القرن السادس بل في أواخر القرن السابع ؛ فإن أول شيخ من بني جماعة سكن بيت المقدس هو الشيخ إبراهيم بن جماعة قدمها من حماة سنة ٦٧٥هـ في عهد الملك الظاهر بيبرس ، ولم يلبث إلا أياما حتى أدركته الوفاة بكرة عيد الأضحى سنة ٦٧٥ ودفن بمقبرة ماملاً بالقدس : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٥١ والأنس الجليل ج ٢ ص ٤٩٤ . أما أول من ولي خطابة المسجد الأقصى من بني جماعة كما يؤخذ من الأنس الجليل فهو القاضي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة وليها في سنة ٦٨٧ هجرية في عهد الملك المنصور قلاوون بعد وفاة قطب الدين عبد المنعم بن يحيي الزهري النابلسي خطيب المسجد الأقصى ، وقد مكث قطب الدين المذكور خطيباً في الأقصى أكثر من أربعين سنة : الأنس الجليل ج ٢ ص ٤٧٩ والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٧٨ .

٢ — إن مكان المتحف الإسلامي في المسجد الأقصى يعرف بجامع المغاربة . وهو مجاور للزاوية الفخرية وهي المعروفة قديماً باسم الخانقاه الفخرية أما التكية البخارية وهي المعروفة بالتكية

النقشبندية ؛ فهى خارج المسجد الأقصى ولم تتخذها متحفاً . قال فى الأنس الجليل ج ٢ ص ٣٨٦ « الخانقاه الفخرية ، وهى مجاورة لجامع المغاربة الذى تقام فيه صلاة المالكية من جهة الغرب وبابها من داخل المسجد عند الباب الذى يخرج منه إلى حارة المغاربة » ، وهذا الوصف لجامع المغاربة ينطبق على مكان المتحف الإسلامى الحالى كل الانطباق

محمد صبرى عابدين
مدرس بالمسجد الأقصى

حول الإبهام والغموض فى التصوف

استنتج الأستاذ كامل يوسف من أبحاثه فى التصوف بأن أفكار الصوفية يشوبها الإبهام والغموض ، وهو فى نظره نقص فى التعبير من علل نفسانية ولم يأت لنا بدليل قوى يؤيد ما ذهب إليه فى وصف تلك العلل وأثرها فى عقلية المتصوفة

وأقوى دليل عندى على توضيح الغموض والإبهام فى كلامهم هو : غيرتهم على طريق الله أن يدعى معرفتها أحد بالعبارة ؛ فإن الكتاب يقع فى يد أهله وفى غير أهله فقصدوا برمزها بقاءها فى الوجود بعدهم تنوب عنهم فى إرشاد المريدين . وقد هلك من لم يرمز كلامه من أهل الطريق ورماهم الناس بالكفر والزندقة ؛ وما أمر الحلاج والسهروردى بخاف علينا جميعاً ...

قال بعض المتكلمين لأبى العباس بن عطاء : ما بالكم أيها الصوفية اشتققتم ألفاظاً أغربتم بها على السامعين وخرجتم على اللسان ؟ هل هذا إلا طلباً للتمويه وستراً لعوار المذهب ؟ فقال أبو العباس : ما قلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه لعزته علينا كى لا يشير بها غير أهل طريقتنا

وقد كان الحسن البصرى وبعده معروف والسرى السقطى والجنيد رضى الله عنهم لا يقررون مسائل العلم بالله تعالى إلا بعد غلق أبواب بيوتهم وأخذ مفاتيحها ووضعها تحت وركهم خوفاً من إفشاء أسرار الله تعالى بين المحجوبين عن حضرته . فهل نقول إن هؤلاء السادة عندهم علل نفسية !

وبالجملة لا يسلم لهؤلاء القوم مواجيدهم إلا من أشرف على مقاماتهم . ومن لم يصل إلى هذا المقام فتارة يسلم أحوالهم على كره منه ، وتارة يجحدها جملة . ولا يزال هذا الأمر فى الخلق إلى يوم القيامة ، وما دمنا جميعاً رائدنا الوصول إلى الحقيقة من أى طريق فنحن فى جهاد وكفاح حتى يظهر الحق واضحاً

محمد منصور خضر

إلى قراء الرسالة

اطلعت فى مجلة قديمة على قصيدة قوية المبنى رائعة المعنى لشاعر مغمور لم أسمع به من قبل ولم أقرأ شيئاً عنه ، يدعى حسن حسنى الطورانى . والغالب على ظنى أنه أحد شعراء مصر فى القرن الماضى أو أوائل القرن الحالى . وإنى لشاكر من يتفضل من قراء الرسالة الأكارم فيروى على صفحاتها قصة هذا الشاعر الموهوب وشيئاً عن حياته وأعماله الأدبية . والله أسأل أن يجزيه عن الأدب وأهله خير الجزاء .

(بغداد) **على الشوكانى**

بتاريخ ١٩-١٠-١٩٤٣ حكم فى الجنحة ن ٣٧٩٤ عسكرية الأزبكية سنة ١٩٤٣ بحبس سيد عبد الغنى ٣ شهور شغل وتغريمه ١٠٠ جنيه والنشر والتعليق لأنه فى ١٣-٩-١٩٤٣ حاز خيوط غزل بدون ترخيص

---

11 me Année No. 545

Lundi - 13 - 12 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٤٥ «القاهرة في يوم الإثنين ١٥ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٩٨١ بين التزمت والأباحة في قواعد اللغة ... ... { الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٩٨٤ ديوان علم الدين المحيوى : الدكتور زكى مبارك ... ...

٩٨٧ صور من توفيق الحكيم في كتابه « زهرة العمر » ... { الأستاذ دريني خشبة . . ...

٩٩١ جامع أحمد ابن طولون ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ...

٩٩٣ شاعر ومنجم ... . : الأستاذ محمود عزت عرفة ...

٩٩٥ من حضارة الاسلام دور التحف العربية ... { الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

٩٩٨ من الشعر الحر : الحديقة الميتة والقصر البالى [قصيدة] { الأستاذ خليـل شيبوب ...

٩٩٩ صديق هام ... [قصـة] { للكاتب الروسى أنطون تشيكوف بقلم الأديب صلاح الدين النهامى

بين التزمت والاباحة

في قواعد اللغة

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت بالرسالة مقال الأستاذ الفاضل الشيخ محمود أبي رية عن « عبقرية الإمام » .

وإني شاكر له ثناءه على الكتاب وحسن تلخيصه لفصوله وأغراضه ، ومعقب على ملاحظته الأخيرة في اللغة حيث يقول :

« بقيت أشياء لا بد من ذكرها والإبانة عنها حتى نبلغ من كلامنا ما نريد . ذلك أني عثرت وأنا أقرأ ببعض ألفاظ كنت أقف عندها مثل لفظ (يقلاه ص ٤٠) و (حانقين ص ٥٥) و (فشل ص ٨١ و ٩٦ و ١١٠ و ١٢٦) ؛ وقد رجعت إلى معاجم اللغة التي بين يدي في اللفظ الأول فوجدته من لغة طيء ، وإذن يكون استعماله جائزاً . أما اللفظان الآخران فإني أرجع فيهما إلى الأستاذ العقاد وأسأله : هل يجوز استعمال كلمة فشل في معنى أخفق وخاب ، وأن يأتي اسم الفاعل من حنق على حانق ؟ »

وجوابي : نعم يجوز أن نأتي باسم الفاعل من حنق على حانق ، لأنه لا يكون اسم فاعل إلا إذا كان على هذا الوزن

وجوازه ثابت بالنص وثابت بالقياس الذي لا يرد ، وهو في بعض الأقوال أقوى من النصوص

فالزمخشرى فى كتابه « المفصل » يقول فى باب الصفة المشبهة : « وهى تدل على معنى ثابت . فإن قُصد الحدوث قيل هو حاسن الآن أو غدا وكارم وطائل ، ومنه قوله تعالى وضائق به صدرك ... الخ »

وجاراه موفق الدين بن يعيش شارح المفصل كما جاراه فى هذا الحكم جلة النحاة

فإذا صح فى (كرُم) التى تدل على الثبوت أن يقال كارم للدلالة على الحدوث ، فذلك أصح وأولى فى حنق التى ليس فيها معنى من معانى الثبوت

بل إذا كانت كلمة غداً أو الآن لا تكفى للدلالة على الحدوث ولا تغنى عن الأتيان باسم الفاعل على صيغته الشائعة ، فمن الحق ألا نستغنى عن هذه الصيغة حين لا تقترن بلفظ يعين الحدوث فى الحال أو الاستقبال

***

على أننا نفرض أن النصوص فى كتب النحو لا تقرر هذه القاعدة ولا تثبتها على الوجه الصريح الذى قدمناه

بل نفرض أن النصوص قد وردت بمنع « حانق » وما شابهها وجزمت بخطئها على طريقة النحاة أحيانا فى تخطئة بعض الصيغ والأوزان ، فمن الواجب فى هذه الحالة على خادم اللغة العربية أن يخالف النحاة ويخالف السماع الناقص تكملة له بالقياس الصحيح الذى لا محيد عنه

إذ ليس من حق لغة من اللغات أن تضطر كاتباً بها إلى الأخطاء فى معناه

وليس من حق لغة من اللغات أن تبطل الفارق بين معنيين مختلفين ثم تمنعنا أن ننشىء هذا الفارق لضرورة الصدق فى التعبير

فهناك فارق بين من يحنق من حادث يعرض له وبين من يلازمه الحنق فى طباعه وأخلاقه

فإذا قلت عن رجل إنه « حَنِق » وعنيت به أنه دائم الحنق كما تدوم الصفات المشبهة ؛ فمن الواجب أن أقول : « هو حانق من كذا » ، إذا كان الحنق يفارقه بعد ذلك ، ولا يلازمه فى طباعه وأخلاقه

وإذا قلت إنه « حَنِق » وعنيت به ما نعنى باسم الفاعل وجب أن نقول شيئاً آخر إذا عنيت أنه متصف بطبع الحنق فى عامة أوقاته

وليس فى وسع لغة ولا فى وسع اللغات جميعاً أن تفرض على كتابها الخطأ واللبس فى التعبير ، ثم تصدهم عن تصحيح الخطأ وجلاء اللبس بتصرف لا يخرج بهم عن قياسها ولا يخل بأصولها المرعية فى أعم ألفاظها

فالنص يجيز الصيغة والقياس يوجبها عند منع النص وهو بحمد الله غير مانع

وإننا لخلقاء أن نغبط أنفسنا على أن اللغة العربية « منطقية » فى إجراء القواعد على الأوزان حيث تتشابه المعانى وتتخالف أوزان ألفاظها

فقد يُحمل الشيء على غيره فى المعنى فيجمع كجمعه . وانظر مثلاً ما ذا بلغ من هذه النزعة « المنطقية » فى أوزان الجموع وهى التى لا تجرى على وزن واحد كصيغة اسم الفاعل ؛ فليس فى اللغة « هليك » بمعنى هالك ولا جريب بمعنى أجرب أو جربان أو جرب ، ولكنهم يقولون هلكى وجربى قياساً على قتلى وجرحى ولدغى ، لأنها جميعاً تدل على داء أو بلاء ، وهذا هو منطق النحو العربى الذي ينطلق أحياناً مع المعانى ولا يتحجر أبداً مع الحروف

***

أما « فشل » بمعنى أخفق فلها حكم آخر . فهذه الكلمة من الاستعمال الحديث الذى شاع حتى غطى على معنى الكلمة القديم ، مع تقارب المعنيين حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصد الآخر ، لأن التراخى والضعف والخواء قريبة كلها من الحبوط والإخفاق

وتجدد المعانى على حسب العصور سنة لا تحيد عنها لغة من اللغات ، وفى مقدمتها اللغة العربية

فلو أننا أخذنا ألف كلمة من المعجم وتعقبنا معانيها فى العصور المختلفة لما وجدنا خمسين أو ستين منها ثابتة على معنى واحد فى جميع العصور

وربما غلب المعنى الجديد وبطل المعنى القديم وهو أصيل فى عدة كلمات

خذ مثلاً كلمتى الجديد والقديم ، وكيف ظهرا ، ثم كيف

تحولا إلى الغرض الذى نعنيه الآن .

فالثوب « الجديد » هو الثوب الذى قُطع حديثاً من جَده فهو جديد أو مجدود ، وكانوا يقطعون المنسوجات عند شرائها ، كما نقطعها اليوم ، فيسمونها جديدة من أجل ذلك

ثم نسيت كلمة الجديد بمعنى المقطوع فلا ينصرف إليها الذهن الآن إلا بتفسير أو تعيين ، وأصبحنا نعبر بالجدة عن أمور لا تقطع ولا هى من المحسوسات ، فنقول : « المعنى الجديد » والفكر الجديد ، وما شابه هذه الأوصاف

وكانوا يقولون تقدم فلان أى مشى بقدمه ، ثم ضمنوا تقدمه معنى سبقه ، فأصبح السابق هو القديم ، وأصبح الزمن القديم هو الزمن السابق ، كما نفهمه الآن

وقد نسى الناس « كتب البعير » بمعنى قيده ، وأطلقوها اليوم على الخط فى الورق ، وهو فى الأصل مستعار من التقييد

ونسى الناس « خجل البعير » بمعنى تحير واضطرب ، وأصبحوا يستعملونها « للحياء » الذى شبه بالخجل ، لأنه يدعو إلى الحيرة والاضطراب

وكل أولئك لا ضير منه على اللغة كما رأينا ، بل هو مادة إنشاء وابتكار وتنويع

والأستاذ الفاضل « أبو رية » يأخذ بالشيوع قاصداً أو غير قاصد حين يقول « المعاجم » ، وهى جمع معجم بضم الميم ، والمعجمات هى الجمع الذى يرتضيه المتزمتون ولا يرتضون غيره

* * *

إلا أننى هنا أنكر الإباحية العمياء ، كما أنكر التزمت الأعمى

وعندى أنه لا يصح إلا ما أمكن أن ينطوى فى قاعدة من القواعد المعروفة ، أو أن يؤدى المعنى أداء لا يناقض العقل والقياس

ومن أمثلة ذلك أننى كنت أشهد منذ أيام رواية « قيس ولبنى » للشاعر المجيد عزيز أباظة بك ، فأعجبت بسلامة اللغة وصحة العبارة ، ولكنى لاحظت أنه استعمل كلمة « تضحية » بمعنى فداء أو خسارة ، كما نستعملها نحن الآن

والتضحية عند العرب هى ذبح الشاة أو غيرها فى وقت الضحى

ثم أخذت معنى الفداء أو القربان ، لأن الناس ينحرون ذبائحهم فى الضحى يوم عيد النحر الذى عرف من أجل ذلك بعيد الضحية

فإذا كنا نحن المتكلمين — ونحن أبناء العصر الحاضر — فلا ضير من تضمين الكلمة هذا المعنى بعد أن أخذته باستعارة معقولة ، وكسبته بالاستعمال المتفق عليه بيننا

ولكننا إذا جعلنا العرب فى عصر « قيس ولبنى » يستعيرون هذا المعنى ، وهم لم يستعيروه ، فذلك خطأ فى التاريخ وليس بخطأ فى اللغة وكفى

والاعتراف « بالتطور » فى المعانى والاستعارات لا يقتضى أن نخالف الحقيقة التاريخية

على أننى حين استعملت كلمة فشل لم أكد أخرج بها عما اصطلح عليه الأولون

فقلت : « يحاول الغلبة من حيث فشل » ، ولو جعلت فشل هنا بمعنى ضعف لكانت مقابلة للغلبة أحسن مقابلة

وقلت : « ولا طائل فى البحث عن علة هذا الخذلان الصريح ، أكان هو الطمع فى الملك بعد فشل على ، أم النقمة على الأشتر » . فلو أنك قلت بعد « ضعف » على لاستقام هنا التعبيران القديم والحديث

وكذلك قولنا : « مُنى بالفشل لأنه عمل بغير ما أشار به أصحابه الدهاة » ؛ فإن التعبيرين فيه يتلاقيان

كذلك قولنا : « ولكنها خطة سلبية لا يمتحن بها رأى ولا عمل ، ولا ترتبط بها تجربة ولا فشل »

فليس المتزمت قديم أن ينكر موقع هذه الكلمة فى حيث وضعناها من هذه العبارات كلها ، وإن كنا مع هذا لا نحرم إطلاقها على معنى الإخفاق الذى لا يحتمل تأويلا بمعنى آخر ؛ وكل ما ننكره أن تأتى بكلمة « فشل » فتطلقها على معنى القوة والنجاح ، أو معنى يناقض الضعف والتراخى المقصودين بها قديماً ؛ أو أن تأتى بهذه الكلمة فتضعها على لسان على بن أبى طالب ، أو رجل فى زمان سابق لزماننا الذى أعارها ما نفهمه منها الآن على الشيوع والتواتر

وليس الخطأ فى تجديد المعانى على حسب العصور ، لأنه سنة لم تفلت منها كلمة فى لغة من اللغات إلا وهى على موعد من تجديد يأتى بعد حين

إنما الخطأ هو إنكار هذه الحقيقة ، وهى تصادفنا فى كل ما نقرأ ونكتب بالعربية وبغير العربية

ونحن على طريق السلامة ما أبحنا مبصرين وتزمتنا مبصرين ، وحينئذ لا نكون إباحيين ولا متزمتين ؛ بل نجرى على السواء الذى نسلكه مهتدين

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي

ديوان علم الدين المحيوى

للدكتور زكي مبارك

غرائب التاريخ الأدبي

إن تاريخ اللغة العربية أعجب من العجب ، فقد مر بها عهد قدرت فيه على أن تغزو قلوباً كانت من الجفاء بمكان . ونستطيع أن نحكم بأنه لم يتفق لأية لغة من اللغات الغنية أن تجتذب الغرباء كما اتفق ذلك للغة العربية . وصحة هذا الحكم فى غاية من الوضوح والجلاء ، فالإنجليز مثلاً سيطروا على كثير من بقاع الأرض ، ومع هذا لم يتيسر النبوغ فى الأدب الإنجليزى فى البيئات الأجنبية لغير آحاد . وكذلك يقال فى الأدب الفرنسى ، فالنبوغ فيه مقصور على أهله ، ولم ينبغ فيه من الأجانب غير أفراد

وقد قلت مرة إن الفرنسيين لا يعترفون بالأدب البلجيكى ولا يعدونه من الأدب الفرنسى إلا بتحفظ ، مع أن البلجيك يتكلمون بلغة الفرنسيس منذ أجيال

فما هى الأسباب التى جعلت لغة العرب لغة محبوبة يتسابق إليها الأجانب ؟ وكيف أمكن أن تكون الكثرة من أدباء اللغة العربية ترجع إلى أرومات غير عربية ؟

السبب الظاهر هو الإسلام ، وهو دين لا يعترف بالعصبية القومية ، ولا يقيم لها أى ميزان ، فمن حق المسلم فى أى أرض أن يقول إنه من ورثة الرسول ، ومن حقه أن يتسامى إلى المنازل العالية ما دام يعتصم بمبادئ الدين الحنيف

ولكنى أعتقد أن هذا السبب الظاهر تؤيده أسباب خفية موصولة بروح اللغة العربية ، فهى لغة خُلقت للحياة ولم تخلق للموت ، بدليل أنها لم تنهزم بانهزام الإمبراطورية الإسلامية ، وهى إمبراطورية لم تسيطر على العالم سيطرة حقيقية أكثر من قرنين اثنين ، فلو كانت اللغة العربية لم تعش إلا بحراسة الإمبراطورية لوجب أن تزول ، ولكنها لم تزل ، ولن تزول

للغة العربية خصائص ذاتية تستحق الدرس ، فمتى ندرس تلك الخصائص ؟ ومتى نعرف بالبراهين القواطع كيف استطاعت الانتصار على الموت ، مع أنها تعرضت ألوف المرات للموت ؟

هذه قضية تستحق الدرس ، فمتى تُدرَس ؟ ومتى نفهم أن هنالك أسراراً الحيوية اللغة العربية غير الأسرار التى تحدث عنها الأسلاف ؟

فخر الترك

أكتب هذا بعد ساعات قضيتها مع فخر التُّرك ، وهو علم الدين أيدَمُر المُحيوى ، أحد شعراء مصر فى القرن السابع ، وهو تركى الأصل بإجماع من تحدثوا عن شعره البليغ ، وهم الذين سموه « فخر الترك » لأنه فى نظرهم أشعر من عرفوا من الأتراك فى ذلك الزمان

وقد سكت التاريخ الأدبى عن هذا الشاعر فلم يذكره إلا فى مناسبات قليلة جداً ، ولولا عناية « دار الكتب المصرية » بطبع المختار من شعره لظل من المجاهيل

وهل التفت أحد إلى هذا الشاعر بعد أن نُشرت مختارات أشعاره فى سنة ١٩٣١ ؟

الذنب يقع على رأس دار الكتب المصرية ، فقد غلَت فى ثمن تلك المختارات فجملته ثلاثة قروش ، وبثلاثة قروش نشترى علبة سجائر ، وهى أنفع من أى ديوان !

مؤلف مجهول

تعب الأستاذ أحمد نسيم رحمه الله فى البحث عن ترجمة وافية لعَلَم الدين المحيوى ، ثم انتهى إلى أنه شاعر نبغ فى منتصف القرن السابع ، وقرر أن ديوانه ضاع ، ولم يبق غير مختارات دوّنها أحد الأدباء المجهولين

وأقول إن فى هذه المختارات قطعة تشهد بأن المحيوى كان شغل نفسه بالتأليف ، على نحو ما كان يؤلف عشاق الأدب فى العصور الخوالى ، فأين الكتاب الذى ألفه هذا الشاعر البليغ ؟

لم يقل أحد إن المحيوى كان مؤلفاً ، ولم يلتفت قارئو ديوانه إلى أنه كان من المؤلفين ، وأنا قد التفت إلى هذه الناحية عن غير قصد ، حين رأيته يقول فى إهداء مجموع له إلى الصاحب محيى الدين محمد بن سعيد :

العبد أيدَمُرٌ تطلّبَ تحفةً ... تكتسى القبول لسيد الأصحاب
فرأى أجل هدية تُهدَى له ... ذَوْبَ النُّهى ونتائج الألباب
فأجال فى روض القرائح فكره ... ثم انتقى منسه لُباب لُباب

من طيب نادرة ولطف فكاهة — وبديع بادرة وحسن خطاب
وسوائر الأمثال قد وشّحتها — فيه بمعجز بيّنة وكتاب

ثم مضى فذكر أن كتابه جمع بين الجد والهزل ، وجمع نوادر الحكماء والبلغاء والخطباء والشعراء والكتاب ، وجمع بين رقة الحضر وجزالة الأعراب . فأين ذلك الكتاب ؟

نرجو البحث عن هذا الكنز الدفين

طيف البحترى

عند هذا التركى المستعرب أطياف بحترية ، فله قصيدة تضاف إلى ديوان البحترى بدون عناء ، لو كان البحترى زار الروضة ورأى المقياس ، مقياس النيل

هى قصيدة قافية تقع فى نحو مئة بيت ، وهى من الشعر الجزل الرصين ، وفيها لفتات فى غاية من الجمال

الروضة والمقياس

نحن اليوم لا ندرك معنى شعرياً لهاتين الكلمتين ، بسبب طغيان القاهرة على الفسطاط ، وهل نعرف اليوم أين الفسطاط ؟

لقد قضى شعراء مصر مئات من السنين وهم يتحدثون عن الروضة والمقياس ، بفضل ما صنعت هاتان البقعتان فى إذكاء العواطف ، وإيقاد القلوب

كان الحديث عن الروضة والمقياس سُنة شعرية . وأنا رحمت البارودى فى دراسات السنة الماضية فلم أقل إنه تحدث عن غرامياته بالروضة والمقياس حديثاً هو المحاكاة لما قرأ من قصائد الشعراء القدماء

وأين القاهرىّ الذى يسأل عن الروضة والمقياس ، بعد أن انتهت حروب العيون والقلوب حول الروضة والمقياس ؟

هل كانت للبارودى غراميات فى هاتين البقعتين ؟

أنا أستبعد ذلك ، وأرجح أنه بكى واستبكى فوق أطلال الذكريات الموهومة لقدماء الشعراء

يوم التخليق

كان للمصريين يوم فى كل عام يسمونه يوم التخليق ، والتخليق وضع الخَلوق على عمود المقياس ، والخلوق هو أنواع من الطيب أشهرها الزعفران

وكان ملوك مصر فى العهد الإسلامى يحرصون على أن تكون لهم آثار باقية بجانب الروضة والمقياس ، وقد اهتم الملك الصالح نجم الدين أيوب فأقام الأبنية الشامخة فى الروضة « وكانت تسمى جزيرة مصر » وجدد البرج القائم على المقياس ، وانتهز فرصة الفراغ من هذه الأبنية ليحتفل بها فى يوم التخليق

فأين الشاعر الذى يسجل مجد ذلك اليوم المجيد ؟

قصيدة وقصائد

من المؤكد أن ذلك اليوم لم تُنشَد فيه قصيدة واحدة ، وإنما أنشدت فيه قصائد ، فقد كانت مصر تموج بأفواج من الشعراء

وهذا الحديث لا يتسع لأخبار ذلك المهرجان ، فلنكتف بقصيدة التركىّ المستعرب ، أو العربى المستترك ، فما نظن أن له تاريخاً عند الأتراك

هذا الشاعر عربىّ اللغة ، وإن كان تركىّ العِرق ، وقد وصف بالعتيق ، فهل كان مملوكاً لأحد الأمراء ؟

إن تعقبنا هذه القضية فسنزعج التاريخ فى مرقده ، وسنثير حوله ضجرات لا تطاق

المهم أن نسجل أن الشاعر كان معروفاً بالجمال والظَرف ، وأنه قهر أحد الوافدين من حلب على أن يقول فيه هذه الأبيات :

وكنت أظن الترك تختص أعين — لهم إن رنت بالسحر فيها وأجفان
إلى أن أتانى من بديع قريضهم — قواف هى السحر الحلال وديوان
فأيقنت أن السحر أجمه لهم — يقر لهم هاروت فيه وسحبان

وعيون الأتراك لها فى الشعر المصرى مكان دل عليه ابن النبيه حين قال :

يصدّ بطرفه التركىّ عنى — صدقتم إن ضيق العين بُخلُ

والذين رأوا المحيوى لم يفهم النص على أنه كان فتى خفيف الظل ، ولطيف الروح ، ويكفى أنه عاش فى عصر البهاء زهير ، فتحتّ يدى نص صريح بأن البهاء كان نهاية النهايات فى دمامة الوجه وقبح الخلقة ، واضطراب الملامح ، ومعنى هذا أن البهاء ستر دمامته بحلاوة اللسان ، كما صنع الجاحظ فى قديم الزمان !

القصيدة اليتيمة

هى قافية المحيوى فى تهنئة الملك الصالح بالأبنية التى أقامها فى جزيرة الروضة ، والبرج الذى جدده حول المقياس . ويحسن أن نذكر قراءنا بأن الملك الصالح بقيت له ذكرى هناك ، فأول جسر على النيل فى مشارف الفسطاط اسمه « كوبرى الملك الصالح » فليترحم عليه من يمر فوق ذلك الجسر فى الصباح

أو فى المساء ، وليتذكر كل عابر أن تلك البقعة كانت ملاعب صبابة ومدارج فتون ، بأقوى وأعنف مما كانت حومل والدخول

بدأ الشاعر قصيدته بوصف أيام الربيع وصفاً لو ترجم إلى لغة من لغات الغرب لاعترف الغرب بأن وطن الشعر هو الشرق ، ولننظر كيف يقول علم الدين :

الروض مقتبِل الشبيبة مونقُ   خَضِلٌ يكاد غضارة يتدفقُ
نثر الندى فيه لآلئ عِقده   فالزهر منه متوج ومنطَّق
وارتاع من مرِّ النسيم به ضحى   فغدت كأنم زهره تتفتق
وسرى شعاع الشمس فيه فالتقى   منها ومنه سنا شموس تُشرق
والغصن مياس القوام كأنه   نشوان يصبح بالنعيم ويُغبق
والطير ينطق معربا عن شجوه   فيكاد يُفهم عنه ذاك المنطق
غرِداً يغنى للغصون فتنثنى   طرباً جيوب الظل منه تشقق
والنهر لما راح وهو مسلسل   لا يستطيع الرقص ظل يصفق
فتملَّ أيام الربيع فإنها   ريحانة الزمن التى تستنشق

إن الصياغة جيدة إلى أبعد حدود الجودة ، بحيث يُظَن أنها لشاعر من صميم العرب لا من الترك ، والمعانى مألوفة ، فقد طاف حولها كثير من الشعراء ، ولكنها مبتكرة مبتدعة ، لأن إحساس الشاعر بها غاية فى التوقد ، فهو لا ينقل ما قرأ ، وإنما يصور ما أحس . وهنا سر الابتكار والابتداع ، وهل يمكن الامتراء فى أصالة هذا البيت :

والغصن مياس القوام كأنه   نشوان يُصبح بالنعيم ويُغبق

« والنعيم » هنا هو الخمر ، وهى كلمة قليلة الورود فى الخمريات ، ولكنها لا تعظم على من ينافس أبا نواس فيقول فى هذا القصيد :

وسلافة باكرتها فى فتية   من مثلها خلق لهم وتخلق
قد عُتِّقت حتى تناهت جدَّةً   وكذاك يصفو التبر حين يحرق
شربت كثافتها الدهور فما تُرى   فى الكأس إلا جذوة تتألق
يسعى بها ساق يهيج به الهوى   ويُرى سبيل العشق من لا يعشق
تتنادم الألحاظ منه على سنا   خد تكاد العين فيه تغرق
راق العيون غضارة ونضارة   فهو الجديد ورق فهو معتَّق
ودنا كما لمع الحسام المنتضى   ومشى كما اهتز القضيب المورق
لا غرو أن ثملت معاطفه فما   ينفك فى فيه الرحيق يصفق
وأظله من فرعه وجبينه   ليل تألق فيه صبح مشرق
وكأن مقلته تردِّد لفظة   لتقولها لكنها لا تنطق
فإذا العيون تجمعت فى وجهه   فاعلم بأن قلوبها تتفرق

وهذا والله من نفيس الكلام ، كما يعبِّر محمد بن داود فى كتاب الزهرة ، على روحه اللطيف ألف تحية وألف سلام !

كان أبو نواس يشترى المعانى من الشعراء ، يشتريها بالدنانير ، ويهدد باغتصابها إن رفض البائع ، وكانت حجته أنه الباقى وأن من يساومهم إلى فناء

فما الذى كان يصنع أبو نواس لو عاصر المحيوى وقرأ هذه الأبيات فى وصف الخمر والتغزل فى الساق ؟

كان يقدم أيامه لا دنانيره ليضيف هذه الأبيات إلى أشعاره فى الخمريات

هذه أبيات نفيسة جداً ، والشرح يفسدها ، فلنتركها بلا شرح ، فهى كفيلة ذلك الساقى ، تردد لفظة ولكنها لا تنطق !

ثم ماذا ؟ ثم ينطلق الشاعر فى مدح الملك الصالح بأسلوب يشتهيه البحترىُّ المتفرد بإجادة المدائح ، فيقول :

إيهِ مديحي لا خُطاك قصيرة   يوم الرهان ولا مجالك ضيق
هذا مقام المُلك حيث تقول ما   تهوى وتطنب كيف شئت فتصدق
فى حيث لا أشرف الصفات بمعوز   فيه ولا باب المدائح مغلق

هذا شاعر كان له ملك يتذوق الشعر فأبدع فى الثناء ، وطاب له أن يقول :

فالله محمد ثم « أيوب » الذى   أمن الغنىُّ به وأثرى المملق

والشطر الثانى من هذا البيت يصور المجتمع المصرى فى ذلك الزمان ، فقد كانت الغاية أن يأمن الغنى سطوات الناهبين ، وأن يصل المملق إلى الإثراء

وفى وصف الأبنية يقول المحيوى :

شيدت أبنية تركت حديثها   مثلاً يغرِّب ذكره ويشرق
من كل شاهقة تظـل تعجباً   من هول مطلعها الكواكب تشهق
لبس الرخام ملوناً فكأنه   روض يفوِّفه الربيع المغدِق
واختال فى الذهب الأصيل سقوفه   فكأنه شفق الأصيل المشرق
يا حسنها والنيل مكتنف بها   كالسطر مشتملاً عليه المهرق
فكأنها طرف إليه ناظر   وكأنها جفن عليه محدق
وافاه مصطفقاً عليه موجه   فكأنما هو للسرور مصفق

صور من توفيق الحكيم

كتابه « زهرة العمر »

للأستاذ دريني خشبة

لو لم ألق توفيق الحكيم ، ولو لم أقرأ كتابه (زهرة العمر) لظلت صورته التي صورتها له في خيالي هي هي لا تتغير ... وهل يصدق القارئ أنني كنت أتصوره في هيئة سيدي العارف بالله السيد أحمد البدوي ، مع أنني لم أر هذا العاوف بالله إلا في صور تلاميذه وأتباعه ومريديه !

لا يتوهمن القارئ أنني كنت إخال أن لتوفيق الحكيم ذقناً ركبت فيه لحية مستطيلة على هيئة لحى أولئك المريدين الذين أحبهم وأعجب بهم ... كلا ... لقد كنت أتصوره بغير لحية ، أو بلحية ربّاها في فوديه ، تنبت بالدهن من رأسه الكبير !

ولقد ثبتت تلك الصورة التي تصورتها لتوفيق الحكيم في ذهني ... ثم رسخت وزادت رسوخاً عند ما قرأت له (عصفور من الشرق) لسبب واحد . ذلك أنه أهدى هذا الكتاب إلى الست الطاهرة ... السيدة زينب !!

لقد أكد هذا الإهداء العجيب صورة توفيق الحكيم في ذهني ، ولولا ما أعرفه من تاريخ سيدي العارف بالله السيد أحمد البدوي من أنه كان نظيفاً حسن السمت ، لزدت في صورة توفيق الحكيم أشياء وأشياء ... ولا داعي لذكر شيء منها ، اللهم إلا (الشمروخ) الهائل ، والعمامة الكبيرة الخضراء ، والسبحة التي تزن كل حبة من حباتها رطلاً أو ... أقة ... ثم هذه (الفرّاجية) الكبيرة الفضفاضة !

ليتني إذن ما لقيت الأستاذ وما رأيته ! وليتني ما قرأت زهرة العمر ! ليتني ما رأيت الأستاذ الحكيم . لأن هذه الرؤية نسخت نصف الصورة التي تصورتها له ، وليتني ما قرأت (زهرة العمر) ، لأن هذه القراءة نسخت النصف الآخر لهذه الصورة التي كنت أحبها وآلفها ، وأكبر توفيق الحكيم من أجلها ... إن كل ما بقي من تلك الصورة هو هذا التثني الذي يجيده مريدو ولي الله البدوي وقت الذكر ، أما (زهرة العمر) فإليك كيف مسخ الصورة الفقيدة الغالية الخالدة مسخاً :

«... لقد دخلت عليه الخادم في الصباح تحمل صينية الفطور ، فوقع بصرها عليه في السرير ، لا يبدو منه إلا رأس يطل من اللحاف الناعم كأنه رأس يوحنا المعمدان على صينية

وتجاذبت أيدي الرياح رداءه … عنه فظل رداؤه يتمزق
وسرى النسيم وراءهن برفقه … فرفا الذي غدت الرياح تخرق
تلك المنازل ، لا حديث يفترى … مما سمعت ولا العراق وجلّق

ويوم المقياس عند الشاعر هو ثالث العيدين ، ولكنه عيد لا يذهب الناس فيه إلى المساجد ، وإنما يذهبون إلى ملاعب الصَّبَوات

يومٌ تجلّى الدهر فيه بزينةٍ … لما غدا المقياس وهو مخلّق
هو ثالث العيدين إلا أنه … للّهو ليس على العبادة يُطلَق
جُمعتْ لمشهده خلائقُ غادرت … فيه رحيب البَرّ وهو مضيّق
وعلى عُباب البحر من سُبّاحه … أممٌ يغص بها الفضاء ويَشرَق
كادت تَبين لهم على صفحاته … طرق ولكن يفتقون ويرتق
خفت جسومهم لفرط صبابة … هزت إليك فما خشوا أن يغرقوا
متجردين عن المخيط لأنهم … حجاج بيتك غير أن لم يحلقوا
طافوا به سبعاً على وجناتهم … سمياً وأرخى ستره فتعلقوا

ومن هذه الأبيات نعرف أن الاحتفال بوفاء النيل كان يشترك فيه السباحون من فتيان القاهرة وفتيان الفسطاط ، ونعرف أن « ثوب البحر » لم يكن معروفاً في تلك العهود ، فقد حدثنا الشاعر أن السباحين كانوا يتجردون عن المخيط ، ومنها أيضاً نعرف أن ألعاب السباحة في ذلك الوقت لم تكن مقصورة على الفتيان المُرْد ، فقد كان يشترك فيها الكهول ، بدليل قوله إنهم لم يكونوا يحلقون ، والحلق هنا لا يراد به شعر الرأس وحده ، وإنما يشمل حلق الذقون ، وكان حلق الذقن مما يعيب الرجال في ذلك الزمان

أما بعد فقد ضاق المجال عن تشريح هذه « القصيدة اليتيمة » فلينظر فيها المتسابقون بتحقيق وتدقيق ، لأني أرجح أن يسألوا عنها في الامتحان ، لأنها أعظم أثر خلفه هذا الشاعر البليغ

وليكن مفهوماً عند المتسابقين أن اللجنة لن تسألهم إلا عن المسائل الأساسية ، فمن البعيد أن لا يرد سؤال عن هذا القصيد

لا ذنبَ لي قد قلت للقوم استقُوا

زكي مبارك

القضة ، ولكن ... حاشا لله أن يكون هذا معمدانا ! صاحب هذا الرأس لا يمكن أن يكون من الآدميين ! ذلك ولا ريب ما جال بخاطر الخادم ، وهى تنظر إلى شعرى الذى هب قائماً إلى ما فوق مسند السرير فى شكل دائرة ، كأنه هالة من (الهباب) الأسود على حافة الوسادة البيضاء ... ثم ذهبت الخادمة تقول لسيدتها مرتاعة : « أتدرين يا سيدتى من حل بدارنا ؟ » فسألتها : من ؟ . فأجابت ! C'est le diable إنه الشيطان ! »

ويقول توفيق الحكيم بعد هذا : ولعلها صدقت ! ولست أدرى ما ذكرنى الساعة بهذه الحادثة التى كدت أنساها . ولم يذكرنى بها حتى خطابك الممتع الذى حدثتنى فيه عن ذلك القسيس الذى ظن « توفيق الحكيم بملابسه السوداء » الشيطان أو المسيح الدجال ! ... ومن يدرى ؟ لعلى أخذت عن إبليس صورته وهيئته ! لكن ... هل تظن أن لى أيضاً قلبه ؟ لا أظن . وبعد . فلتسكت الطبول ، وليغسل (البلياتشو) وجهه ، فقد انتهى الفصل المضحك[1]

فاللهم لا حول ولا قوة إلا بك ! نتصور الأستاذ الحكيم فى صور الأولياء والصالحين ، وفى مسوح القديسين ... ويصور هو نفسه فى صورة الشيطان الذى له شعر فوق مفرقه كهالة من الهباب الأسود !

لقد أوشك أن يتفق معنا فى صورة يوحنا المعمدان لأنه من القديسين والشهداء ، كما تصورنا ... أما الشيطان ... فلا ! وأما قلب الشيطان فمسئلة فيها نظر ، ونقول ... مسئلة فيها نظر للصورة الثانية التالية :

لقد كنا نؤمن بأن مؤلف أهل الكهف ، ومحمد ، وسليمان الحكيم ، هو من خلق الله ، أى من صنعه ! ولكن . ليتنا ما قرأنا زهرة العمر ! فتوفيق الحكيم يقول فى كتابه هذا « ... إن الله لم يخلقنى ! إنما هو الشيطان أراد أن يخلق طرازاً جديداً من الآدميين . أو (موديل !) من الإنسان ، يضارب به الطراز الشائع المعروف ، فجاء خلقه عجيب البناء غريب التركيب ، به أثر من عبقرية الشيطان ، ولكن به نقصاً ينم عن تخبط فى شئون الخلق والإبداع ، ومع ذلك ، حتى على فرض أن الله هو الذى خلقنى لا الشيطان ، فإنه كان لسوء حظى يضجر ويتبرم كلما جاءه جبريل بلوحى المحفوظ ليمين فيه خطوات حياتى . فقد كان يصرخ فى وجه الملاك الأمين عائلا : « اذهب عنى الآن ! » فيقول جبريل خاشعاً : « لكن يا إله السموات والأرض ، الدعو توفيق الحكيم ولد وشب ونما وكاد يدنو من الثلاثين ، وهو لم يزل يدب على الأرض ويعيش فيها بالمصادفة . وكلما جئت إليك بلوحه لأجل التعيين ... » فيسمع كأن الصوت العلوى يصيح به : « قلت لك اذهب عنى الآن ولا تشغلنى بهذا المخلوق ! »[1]

ولا شك فى أن الذى خلق جسم توفيق الحكيم ورأسه ، هو الذى خلق قلبه ، ولا شك فى أن الشيطان كان يأوى إلى هذا القلب حينما أملى على توفيق الحكيم هذا التجديف ! والعجيب أن ينسى الحكيم هذا اللغو فيقول عن نفسه (ص٢٤٨) إنه ملاك من ملائكة السماء ! ثم يدعى (ص ٢٥٥) : « أن شخصى غير مفهوم الآن حتى لنفسى ! على أنى أعتقد أنى خلقت للخير لا للشر ، وإذا نفذ إلى الشر فنكم أنتم يا أصدقائى ومعارفى ! » هكذا يدعى بعد الذى وصم به خلقه أنه خلق للخير لا للشر ! » ثم يختم كتابه هذا الجيل الذى تمنيت أنى لم أقرأه ، بتلك الوثنية : « إنى أومن بأبولون ... أومن بأبولون إله الفن الذى عفرت جبينى أعواماً فى تراب هيكله . إنه ليعلم كم جاهدت من أجله وكم كافحت وناضلت وكددت ... »

ثم اللهم لا حول ولا قوة إلا بك مرة ثانية وثالثة وألفاً وألفين حتى تغفر لعبدك وابن عبدك توفيق الحكيم ! أحقاً إن صاحب هذا التجديف هو ذلك الرجل الذى كنت فى سذاجتى القديمة أتصوره فى صورة سيدى العارف بالله السيد أحمد البدوى ، أو على الأقل فى صورة يوحنا المعمدان كما صور هو نفسه ؟

لا . لا ... لا تثوروا أيها المؤمنون فأنا والله محاميه ولست جلاده ! لقد قال المتهم هذا الكلام وهو فى ظروف تضايق حقاً . وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما معناه : أن الزانى لا يزنى وهو مؤمن ، وأن السارق لا يسرق وهو مؤمن . وكذلك إن توفيق الحكيم لم يقل هذا الكلام وهو مؤمن . وذلك هو السبب فى بعض التناقض الذى كان يقع فيه وهو يقذف بخطاباته الكثيرة هذه على رأس (أندريه) صديقه الباريسى المسكين . ومن هذا التناقض أن يقرر أنه شيطان . ثم (يا حاك !) فيقول إنه ملاك . ومنه أيضاً أن الإنسانية لم تخسر شيئاً إذا تمكن العلم الحديث من بتر الحب واستئصاله[2] . مع

(١) زهرة العمر ١٨٧

(١) زهرة العمر ص ٩٨ (٢) ص ٣٠

أنه يعود فيدعى أنه يحب الحب ، وأن للحب عنده مقاماً كبيراً في الحياة . في كل حياة[1] ؛ ومن تناقضه أيضاً وقوعه في هوى (إيما) لا لشيء إلا لأنها عرفت كيف تعذبه بالتيه والدل والبعد وكل ما في معجم الهجران من هوان . ثم دلاله هو على ساشا الجميلة الجذابة التي اعترف بأنها أجمل من إيما وأكثر جاذبية ، وذلك لأنها كانت مفتقرة إلى بره وإلى قليل من دريهماته ، ثم إلى مقاسمته سريره وكتبه ... ومن تناقضه أيضاً عداوته للمرأة (قبل المعاهدة التي أبرمناها معه بهذا الصدد) بسبب حبه لإيما . إيما الهيفاء التي كنت أحس لسع حبها ولفحه . بل اضطرامه يتأجج به فؤاده في ثنايا سطور (زهرة العمر) ، وهو لا يزال يتلظى بناره حتى هذه الساعة ... إيما – وكم في الدنيا من إيما التي تملك وحدها كما قلت له ذلك أمام قاضينا الزيات – أن ترده إلى الجنة التي طردته منها في ساعة من ساعات الجنون

آه يا ساشا المسكينة لو عرفت سر توفيق الحكيم ! إنه عند ما رآك أول مرة نسي إيما ونسي بيفاءها ونسي باريس كلها ، وطلب سكيناً لينتحر تحت قدميك الجميلتين الصغيرتين ، لكنك حينما جئت إليه وفي عينيك لمحة من أسى ، وبلة من بكاء . عند ذلك انخفضت قيمتك في عينيه ، وهبط ثمنك في سوق غرامه . آه يا ساشا المسكينة لو عرفت سر توفيق الحكيم ، وعرفت تناقضه في الحب ، وفي الفن ، وفي الله ، وفي الشيطان !

لقد عرفت إيما هذا السر فعبثت بصاحبك ، وصاحبها ، زمناً ليس بالطويل وليس بالقصير ، فلما عرف سرها طارت عنه وتركته يناصبها العداء ، ويناصب كل امرأة من أجلها العداء . ثم يحتج في تناقضه مع الدنيا نفسها ومع إخوانه البشر . بهذا المودرنزم ، وذلك حين يدعى ، برغم الحب الذي ينشب أظفاره في نياط قلبه ، أنه لا يريد أن يعصى الله من أجل التفاحة التي هي الحب ، والتي خيل إليه أنه لم يذق حلوها قط[2] ! فهل صدقت يا ساشا وهل صدقتم أيها المؤمنون أن توفيق الحكيم ، رجل يقع أحياناً في التناقض الشديد الذي يجعله مؤمناً مرة ، ويجعله كافراً مرات ، ثم يجعله مغرماً طوراً ، ويجعله رجلاً لم يقع في شراك الهوى قط ! اسمعي يا ساشا واسمعوا أيها المؤمنون هذا الرجل المولع بالمودرنزم يقول[1] : « إني لم أزل أحب إيما لأنها شيء بعيد ، غير موجود في كل وقت ... وتمتع إلى غناؤها من نافذتها كأنه شعاع يأتيني من بعيد . إنها أعطتني بعض أسرار نفسها وجسمها . ولكنها مع ذلك ليست في يدي ، شأنها شأن الطبيعة التي تعطينا وتستعصى علينا . إن الحب قصة لا يجب أن تنتهي . قصة إيما مستمرة لا تريد أن تنتهي ... لو أن إيما قبلت أن تترك حجرتها كما عرضت عليها وتأتى لتقطن معي في حجرتي لكان حظها عندي حظ ساشا . هنا الفرق بين الغرام والزوجية !

فتوفيق الحكيم لا يحب إلا المرأة التي تمزق قلبه بالهجر ، وتورق جفنه بالسهد ، وتذوى شبابه الفينان بحرق الغيرة ونيران الشك ... لماذا لا يتزوج توفيق الحكيم ؟ إليك جوابه بقلمه ! « ... إني أدرك لماذا يفتر الحب الملتهب بين الخليلين إذا تزوجا وقد يعود إلى سابق اشتعاله إذا عادا خليلين »[2] ... « أندريه ، أندريه ، أخشى أن يحطمني المجتمع ... يحطم الفنان في ... ربما كان قد حطمني وكسرني ... ولكني أقاوم ... منذ أسابيع وأنا أتلقى من أهلي خطابات يغروني فيها بالزواج ... ويذكرون لي أسماء لامعة في الثروة والجاه ... ويتهمونني بالحمق والغفلة والعته إذا خامرتني فكرة الرفض ... لقد قلت لهم « لا » بأعلى صوتي ، وهم مشدوهون لا يعرفون السبب »[3] .

إنه يقول إنه لن يتزوج لأنه فنان . فهل جميع الفنانين غير متزوجين ؟! كلا ... ولكنه التناقض . التناقض والمودرنزم ! هنا عيب توفيق الحكيم يا ساشا ! عيبه الذي هيأ له أنه من صنع الشيطان لا من صنع الله ، وعيبه الذي يجعله يحفل من فكرة معصية الله من أجل التفاحة ، ومن أجل هذه التفاحة نفسها يعصى الله أيها المؤمنون لا تغضبوا ! وفيم الغضب وهذه طبيعة الفنان ؟ وفيم الغضب ونحن لا نؤمن بما كان يؤمن به اليونانيون القدماء . نحن لا نؤمن بربات الانتقام ، أو ال Furies ... ولذلك فلن يخشى توفيق الحكيم كيدهن ، وحتى لو أنهن لاحقنه لأنقذ.

(١) ص ٥٨ (٢) ص ١٧٤

(١) ١٥٠ ، ١٥١ (٢) ص ١٥٢

(٣) ص ٣٠٢ ، ٣٠٣

أبوللو منهن كما أنقذ (أورست)[1] منذ ثلاثة آلاف سنة ! !

أليس أبوللو هو إله الفنون الذى يزعم توفيق الحكيم أنه يؤمن به، وطالما عفر جبينه بتراب هيكله ؟

لا تصدقوا أن هـذه هى عقيدة توفيق الحكيم ، فهو رجل متناقض ، لأنه رجل مؤمن . ألم يؤلف (أهل الكهف) وقد أخـذ موضوعها من القرآن ؟ ألم يكتب كتاباً طويلاً عن محمد ؟ ألم يكتب قصة عجيبة عن سليمان أخذها من الكتب المقدسة ! إن كنتم فى ريب من هـذا ، فذاكم كتابه « زهرة العمر » الذى يفيض بالدفاع عن الأدب العربى ، وعن ألف ليلة وكليلة ودمنة والجاحظ والإسلام ... لا تراعوا إذا وجدتموه ينتقل فجأة من الكلام عن إعجابه بقصص القرآن إلى الكلام عن بنت الهوى فى باريس ، فكتبنا العربية قد سبقت إلى هذا الشىء من عدم مراعاة النظير ، ففى العقد الفريد يأتى فصل عن المجون المكشوف وأخبار القيان بعد الفصل الذى فيه خطبة الرسول فى حجة الوداع ... وأمثال ذلك كثيرة فلا ضير على توفيق الحكيم أن يقع فيه مرة فى حياته ...

أيتها العزيزة ساشا :

لقد ابتدع توفيق الحكيم لوناً جديداً فى الأدب المصرى هو من فنه الخالص ... هو من عصارة قلبه النابض ، هو مزيج من الموسيقا والألوان وعبير الحدائق ، وفى هذا المزيج كثير من دموعك ، بل من دمك ، ولكن فيه أيضاً الكثير من دموعه هو أيضاً ومن دمه

إن توفيق الحكيم هو أحد أولئك الذين يخلقون لنا مصر الحديثة ... أدب مصر الحديثة ، وذوق مصر الحديثة ، وروح مصر الحديثة ، وفن مصر الحديثة ، وكل ما تفتقر إليه مصر الحديثة من لغة وفلسفة وشعر وسمة !

إنه تلك الابتسامة الحلوة التى رفت فجأة على شفاهنا حينما كنا نفتقد المجددين ذوى المواهب فلا نجد منهم ثلاثة أو أربعة !

إن روح توفيق الحكيم تتلألأ فى كل سطر من سطور (زهرة العمر) فى خطوط الفنان القوية أحياناً وفى مسوح الراهب المتأمل أحياناً أخرى ... وقد تظهر فى ألف صورة من صور الأحياء المتارين خصوصاً فى صورة (البلياتشو !) من غير حاجة إلى الدقيق على الوجه أو الطرطور على الرأس ... لأن توفيق الحكيم يستطيع أن يضحك إلى حد الإغراب بدون هذه الوسائل الشكلية ... إنه مضحك موضوعى ممتاز ... ولو أنه عنى بالتأليف للمسرح على النحو الذى يعرفه المسرحيون لأشرنا عليه أن ينقطع للملهاة ... إنه إذاً فقد يتيح للمسرح المصرى فرصة موانية ومركزاً عالياً ومكانة عالية لا تعد لها مكانة ... على أنه مع ذاك أقدر من يستطيع أن يؤلف المأساة فى مصر ... لأن الضحك الذى يصنعه توفيق الحكيم مصدره البكاء ...

وبعد ، فقد ذكرت أننى كنت أصوره فى نفسى على صورة العارف بالله السيد احمد البدوى ، أفتدرى يا سيدى القارئ أن سيدى المرسى أبا العباس قد صدَّر توفيق الحكيم إلى طنطا . إلى البدوى العظيم ... وأن البدوى العظيم قد صدره بدوره إلى سيدى ابراهيم الدسوقى ! ! فما معنى هذا فى تاريخ حياة أديبنا الألمعى ! وما الصلة الروحية بينه وبين أقطاب الأولياء فى مصر؟ وما الصلة بين هذا كله وبين إهدائه عصفور من الشرق إلى (الست الطاهرة ... السيدة زينب ؟ !)

كل من رأى توفيق الحكيم ولو مرة واحدة ... يفهم سر ذلك !

دريني خشبة

حاليا



---

(١) درامة تبرئة أورست لاسخيلوس لخصناها فى الرسالة منذ ثمانى سنوات .

٤ - جامع احمد ابن طولون

للأستاذ أحمد رمزى بك
قنصل مصر فى سوريا ولبنان

ولا أجد حرجاً من إيراد نص اللوحة التذكارية التى كتبت بالخط الكوفى المزهر لذلك العهد وفيها :

- « نصر من الله وفتح قريب ، لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، أمر بتجديد هذا الباب ، وما يليه عند عدوان النار على أيدى المارقين ، السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ، ناصر الأنام أبو النجم بدر المستنصرى ، أدام الله قدرته ، وأعلى كلمته ، ابتغاء ثواب الله ، وطلب مرضاته وذلك فى صفر سنة سبعين وأربعمائة »

وتدل تلك الكتابة على حوادث الثورة ، التى جرت فى عهد المستنصر حينما اعتصم بعض الثوار بالجامع وتحصنوا فيـه ، فحوصروا وأحرق بسبب ذلك جزء منه جدده الأمير بدر الجمالى وزير الدولة الفاطمية

***

فى تاريخ مصر العربية ، وقفات حزن وأسى ولوعة ، اضطرب فيها قلب مصر كما قال أحد كتابنا فى دفن الزعيم مصطفى كامل ، ولقد قال شوقى يومئذ :

شقت لمنظرك الجيوب عقائل وبكتك بالدمع الهتون غوانى

ولقد وقفت القاهرة صفاً صفاً ، تودع الزعيم الشاب إلى مرقده الأخير ، وأثر فى هذا المنظر ، أنا القاهرى الناشىء ، فصرت وطنياً وأنا فى السابعة إلى نهاية ما يكون الوطنى عليه فى الحماس

وأثر فى كرجل يميل إلى التاريخ والأدب ، فصرت أتتبع أيام مصر التى اضطرب فيها قلبها ، اضطراب يوم مصطفى كامل وإنى لأذكر بعد البحث ، أن صفحات تاريخنا مملوءة ، بمثل هذا اليوم ، ولكنى لا أجد حزناً ولوعة بنسبة حزن مصر وأهلها على زوال ملك الفاطميين

إن ما وصل إلينا من ذلك قليل من كثير ، ولكنه يفيض حناناً . والحقيقة أن العصر الفاطمى قد ترك فينا معاشر المصريين أكبر الأثر ، وصبغ حياتنا صبغة خاصة ، فإذا أردت أن تدرس مصر العربية ، لا تنسى أن تدرس الدولة الفاطمية بالتفصيل ، فنحن لا نزال نسير على سننهم ومراسمهم ؛ فزيارة آل البيت فرض على كل من يؤم القاهرة من أهل الريف ، والاحتفال بصلاة الجمعة اليتيمة والعيدين ، والاهتمام بالقراء والتلاوة والتلقين كلها من آثار ذلك العهد

ومنذ أيام كنت أقلب كتاب الروضتين فجاء ذكر الشاعر عمارة اليمنى بأنه من أتباع الدولة المصرية وأورد له شعراً رقيقاً يفيض حنواً على الإمام العاضد آخر خلفائهم إذ يقول :

أسفى على زمن الإمام العاضد أسف العقيم على فراق الواحد

لهفى على حجرات قصرك إذ خلت

يابن النـبى من ازدحام الوافد

ولقد دفع عمارة الشاعر الثمن بحياته جزاء إخلاصه ، وبشعره تطوى صفحة من تاريخ مصر ، تصحبها نغمة من نغمات الحزن العميق والتقدير ، لندخل طوراً من أطوار المجد والبطولة تغمره الحوادث والمعارك والنصر والغلبة

أنتقل إلى القسم الأخير من هذه الكلمة ، فأعرض لوصف المسجد وصفاً مختصراً :

الجامع الطولونى هو الثالث فى ترتيب المساجد الجامعة التى أقيمت فيها صلاة الجمعة فى مصر ، بعد الفتح التحريرى العربى ، بناه الأمير أحمد بن طولون على جبل يشكر فى الجهة الجنوبية من القاهرة ، بينها وبين الفسطاط ، فى حى السيدة زينب الآن ، وهو أقدم مساجد مصر بلا نزاع ، بل أقدم آثارها العربية ، بعد مقياس النيل بجزيرة الروضة ، وأول جوامع مصر هو الذى بناه عمرو بن العاص ، ثم جامع العسكر . فلما قدم ابن طولون صار يصلى فيه الجمعة بجنده وسودانه ، فشكا أهل مصر إليه ، فعزم على بناء جامع ، فأشار عليه جماعة من الصالحين أن يبنيه على جبل يشكر ، وذكروا له فضائله فأخذ برأيهم .

ذكر ابن دقماق والمقريزي عن هذا المسجد من أن بناءه أقيم على مثال جامع سامرا أو سر من رأى

ولقد ذكر الأستاذ كريزول ما يأتي :

إنه على عهد بني أمية كانت الدولة عربية خالصة ، وكان يغلب على العمارة التأثير السوري واستعمال الفسيفساء

ثم انتقلت عاصمة الخلافة إلى بغداد في عهد بني العباس ، وصارت مركز التطور الدولي ، فغلبت على العمارة المؤثرات الفارسية وأساليب العمارة الساسانية والعراقية

وابن طولون من مواليد سامرا وقد جاء إلى مصر يحمل معه كل تقاليد البلاط ، وما من شك في أنه يميل إلى تقليد مولاه

كتب الكثيرون في وصف المسجد ، ولقد أخذنا ما تقدم نقلاً عن الأستاذ محمود عكوش في كتابه المطبوع ١٩٢٧ ، ولكن ظهر بين يدينا اليوم كتاب الأستاذ كريزول العظيم ؛ ويتضح من أبحاثه التي قام بها في العراق والصور التي أخذها لجامع سامرا من الجو ، أن التماثل بين المسجدين عظيم ، وأن مسجد ابن طولون ما هو إلا صورة مصغرة للمسجد الذي بناه المتوكل في عاصمة ملكه سامرا بالعراق

فإذا كانت البوائك على صفين من الجانبين في مسجد مصر ، فهي أربعة في مسجد المتوكل ، وقس على ذلك السعة والأروقة والارتفاع والضخامة ، ولقد كشفت صور الجو أن تحت الثرى مدينة بأكلها قد غطتها الفيضانات العالية ، بدجلة تنتظر الكشف لتخرج مدينة سامرا القديمة بشوارعها ومبانيها كما كانت في أيام العباسيين

ولا شك في أن مسجد ابن طولون سيكون انموذجاً ، قد حفظته مصر للعراق ، إذا فكرت الحكومة العراقية في إعادة بناء مسجد المتوكل ، إنه سيكون تحفة من تحف الدنيا ، ومظهراً من أضخم مظاهر مدنية العرب ، وجبروتهم في العمارة والإنشاء

ونعرض هنا إلى موضوع المنارة ، فهي من أغرب ما يستوقف الأبصار ، وتعد من الألغاز لأنها مبنية على شكل لا نظير له في المنائر بجميع الأقطار العربية والاسلامية . ولقد انقسم العلماء واختلفوا كعادتهم هل هي لاحقة لبناء المسجد ، أم بنيت معه وهل هي صورة من منارة سامرا الحلزونية ؟ والعلماء وهم كعادتهم قد جزموا بأن الأثر البيزنطي ظاهر واضح في كل شيء ، وأن العرب لم يأتوا بجديد ، فيكبر على نفوسهم أن تأتي الحفائر والاكتشافات فتظهر أن المسجد صورة من مسجد عربي ، أكبر من هذا هو جامع سامرا ، وأن الأسطورة البيزنطية لا شأن لها اليوم وقد وضعت العناية الحق على لسان الأستاذ كريسول فدعمه بعلم وتمحيص دقيق يعجز عنه المتصدرون لاستعمال العلم لغايات في أنفسهم هي الإقلال من شأن العرب والعروبة

وللمنارة حديث طويل ، وفي أواخر القرن السابع الهجري لجأ إليها الأمير حسام الدين لاجين المنصوري ، وكان المسجد مهجوراً ، ويوقد به سراج واحد ، ويدخله خادم ، وقد تعطلت الشعائر الدينية فيه

(البقية في العدد القادم)

أحمد رمزي



– الراجل ده يا يكون انفتح له كنز يا يكون كسب الدربي

– لا كده ولا كده ... ده اشترى حته من اراضى الأوقاف

من أدب التاريخ

شاعر ومنجم...

للأستاذ محمود عزت عرفه

العهد عهد الخليفة المستعين أبى العباس أحمد بن محمد بن المعتصم ، ذلك المتولى فى الخامس من ربيع الآخر عام ٢٤٨هـ ، إثر وفاة الخليفة المنتصر ولى عهد أبيه المتوكل وقاتله . والشاعر هو الوليد بن عبيد الله البحترى المكنى أبا عبادة ؛ أما المنجم فهو جعفر بن محمد البلخى ، المكنى أبا معشر

ولم يكن أبعد من هذين الرجلين على عهدهما صيتاً ، ولا أثبت منهما فى فنيهما مقاما ؛ ومع ذلك فقد لقيا أيام المستعين من المجافاة والإعراض وقلة المبالاة ما ضاق معه عيشهما ، وانسدت به مسالك الحياة الهنيئة دونهما

فقد كان الأول شاعر المتوكل الأثير ... شهد بعينيه مصرعه الرهيب على يد ابنه وولى عهده ، وسمع بأذنيه - بعد حين - قصة نقض البيعة الموثقة التى عقدها المتوكل لولده المعتز من بعد أخيه ؛ فكان حزن الشاعر على الخليفة المصروع لا يوازيه إلا عطفه على الأمير المخلوع

ولما عجلت بالمنتصر ميتته المريبة فاتى بها أول ما يلقاه كل عاق ناكث للعهود ، بادر نصراؤه من قواد الأتراك إلى تنصيب المستعين بالله على عرش الخلافة ؛ إمعاناً منهم فى إقصاء المعتز الذى طال بتدبيرهم حرمانه ، وتنزت بسبب ذلك فى صدره السخائم والأحقاد عليهم

وزادوا على هذا أن ألقوا بالمعتز فى غيابة السجن ، مع أخيه المؤيد ثالث أولاد المتوكل وأولياء عهوده ؛ فلم يكن لشاعر كالبحترى أن يظهر فى مثل هذه الفترة ، أو أن يؤمل عند المستعين وشيعته جاهاً ...

ذلك موجز حديث أبى عبادة ؛ أما صديقه أبو معشر فأيسر ما تقول فيه أن المستعين كان يعتدُّ له من الإحسان ذنباً ، ويتحى عليه ببالغ العقوبة أشد ما يكون ترقباً منه للاحسان والمثوبة ؛ حتى لقالوا إنه ضربه مرة أسواطاً على ما صح من حدسه فى أمر أخبر بوقوعه قبل حينه ، فكان أبو معشر يعجِّب الناس من ذلك ويقول : أصبت فعوقبت !

أمضى الصديقان عاماً من خلافة المستعين وهما أبأس ما يكون حالاً ، وقد انعقد واهى أملهما على سجين قصر الجوسق بسامراء ، أبى عبد الله المعتز ، وكان معتقلاً هنالك مع أخيه ابراهيم المؤيد .

ولقد كان من حقهما أن يستمسكا بهذه الآمال التى عقداها على الأمير المسجون لما كان يشهدانه من اضطراب حبل السياسة فى يد المستعين ؛ إذ راح الأتراك يقتتلون بدافع أطماعهم حول دعائم العرش التى أقاموها بأذرعهم ، وبلغ من ضعف نفوذ الخليفة يومئذ أن امتدت أيديهم إلى وزيره (أتاش) وهو قائم بين يديه فى قصره ، فسلبوه الحياة مع كاتبه (شجاع) ، وقد حدث ذلك يوم السبت رابع عشر ربيع الآخر عام ٢٤٩هـ

ومن الطريف أن نرى البحترى - وقد قرت عينه بهذا الحادث دون شك - يبعث إلى المستعين بهذه الأبيات مادحاً ومهنئاً فى موضع كانت السخرية فيه أقرب إلى لسانه ، والتشفى أعلق بفؤاده :

لقد نُصر الإمام على الأعادى ... وأضحى الملك موطودَ العماد
وعرفت الليالى فى (شجاع) ... و (تاش) كيف عاقبة الفساد
تمادى منهما غىٌّ فلجَّا ... وقد تُردى اللجاجة والتمادى
وضلا فى معاندة (الموالى) ... فما اغتبطا هنالك بالعناد !

وما نشك فى أن البحترى كان أصدق فى شعوره ، وأبلغ فى الإبانة عن وليجة نفسه ، حين انكفأ غبَّ ذلك إلى بيته يناجى خادمه « نائلا » بخفى أمانيه فيقول :

ألا هل يحسن العيش ... لنا مثل الذى كانا ؟
وهل ترجع يا نائـ ... ـلُ بالمعتز دنيانا ؟
عدمت الجسدَ الملقَى ... على كرسى سليمانا ...
فقد أصبح لِلّعْنـ ... ـةِ بقلاه وبقلانا !

***

إزداد نفوذ المستعين بين رعاياه تقلصاً ، حتى لأصبح « الجسد الملقى » حقيقة كما وصفه البحترى . وانتهى الأمر بأن انحازت إليه شعبة من الأتراك على رأسها وصيفٌ وبُغا ؛

وراحت شعبة أخرى يقودها باغر تدبر له الكيد وتعشى حوله الضراء من كل سبيل . ثم قتل باغر بتدبير من حزب الخليفة ، فثارت ثائرة أنصاره حتى لم يجد المستعين بدًّا من الانحياز إلى بغداد (فى المحرم عام ٢٥١هـ)

وتناهت هذه الأخبار إلى البحترى وأبى معشر وهما فى معتكفهما ، فأقبلا يتداولان فى الأمر ملياً ، ويجددان من قديم أمنيتهما ، وقد أمّلا أن تطّرد الحوادث فى طريقها حتى تفضى بهما إلى كل مايسر ويرضي ... ثم انبعثا يقولان : وماذا علينا والحال كما نرى ، أن نمضى إلى المعتز بالله فى محبسه فنتودد إليه ونؤصل عنده أصلاً ؟

وطابت لديهما الفكرة فجدًّا فى إنفاذها ، واحتالا حتى توصلا إلى لقيا الأمير فى معتقله . ولم يكن البحترى قد أعد لهذا اللقاء شعراً ، وأى شعر يقال لسجين يترقب الموت فى كل لحظة !

على أنه فكر هنيهة حتى استرجع فى ذهنه أبياتاً له قديمة كان قد واسى بها أبا سعيد الثغرى وهو فى معتقله أيام المتوكل ، فأعاد تحريرها فى رقعة لطيفة ، وكان أبو معشر قد هيأ صحيفة فى أحكام النجوم سهر على ضبطها وتصحيحها الليالى الطوال

وفى إحدى غرف الجوسق مثل الرجلان أمام المعتز فواسياه بما تهيأ لهما من كلام . ثم استأذن البحترى فى الإنشاد ، وتلا أبياته من رقعتها ... كأنه نظمها من يومه :

جُعلنا فداك ، الدهر ليس بمنفكٍّ
من الحادث المشكوّ والنازل المُشكى

وما هـذه الأيام إلا منازل   فمن منزل رحب ومن منزل ضنك

وقد هذبتك الحادثات ، وإنما
صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك

أما فى نبى الله يوسف أسوة   لمثلك محبوساً على الجور والإفك؟

أقام جميل الصبر فى السجن برهة   فآل به الصبر الجميل إلى الملك

على أنه قد ضيم فى حبسك الملا   وأصبح عز الدين فى قبضة الشركِ

وأصغى المعتز إلى الشعر فى تأثر ، ثم تناول الرقعة ودفعها إلى خادمه وقال : احفظ هذه وغيبها ، فإن أفرج الله عز وجل عنى فذكرنى بها لأقضى حق هذا الرجل الحر

وتقدم أبو معشر فقال : إنى جئتك والله أيها الأمير بأعظم البشرى وأصدقها . كنت قد أخذت مولدك يوم عقد لك العقد ، ويوم عقدت البيعة للمستعين ، فنظرت فى ذلك ، وصححت الحكم لك بالخلافة بعد فتن وحروب تجرى . وصح عندى الحكم على المستعين بالقتل ، وهاك صورة مما عملت

فتناول المعتز الصحيفة مستبشراً ، وشكر للرجلين نبلهما ووفاءهما ، ثم وعدهما ومناهما . فخرجا وهما أكثر الناس رضاء وأرحبهم أملاً ...

* * *

وانقضى شهر على حادث المستعين إلى بغداد جرت أثناءه مداولات غير مثمرة ، ثم آب الثائرون إلى سر من رأى فأخرجوا المعتز من الجوسق وبايعوه بالخلافة . واضطرمت نار الفتن والحروب عاماً كاملاً خلع فى نهايته المستعين ، ثم نقل مخفوراً إلى « واسط » حيث قتل بعد أشهر . واستقر أمر الخلافة للمعتز ... وهكذا صدق فأل البحترى وصحت نبوءة أبى معشر

ومثل الصديقان بعد حين أمام المعتز فهش لهما وبش ، ورفع من مجلسهما حتى رمقتهما العيون بالغبطة ، ثم قال لأبى معشر : لم أنسك منذ لقيتنى ، ولقد صح حكمك ، وأنا مجر لك فى كل شهر مائة دينار رزقاً وثلاثين نُزُلاً ، وجاعلك رئيس منجمى دار الخلافة . ثم قد أمرت لك عاجلاً بإطلاق ألف دينار صلة ... فقبض أبو معشر ذلك كله من يومه

أما البحترى فقد أنشد فى ذلك اللقاء بائيته المشهورة :

يجانبنا فى الحب من لا نجانبه   ويبعد عنا بالهوى من نقاربه

وفى القصيدة مدح للمعتز وهجاء للمستعين ؛ ونحن ندع للقارئ أن يراجعها بتمامها فى ديوان البحترى ، ولكنا نختص مع ذلك بالتسجيل هنا قوله :

بكى المنبر الشرقى إذ خار فوقه   على الناس ثور قد تدلت غباغبه

تخطى إلى الأمر الذى ليس أهله   فطوراً ينازيه وطوراً يشاغبه

ولم يكن المعتز بالله إذ سرى   ليعجزو (المعتز بالله) طالبه

رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر   وعُرّى من بُرد النبى مناكبه

وقد سرنى أن قيل وُجّه عارياً   من الشرق تُحدى سفنه وركائبه

من حضارة الإسلام

دور التحف العربية

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

المتاحف أمكنة لحفظ التحف والألطاف والآثار . وهي الآن سبيل من سبل المعرفة . وقل أن تجد عاصمة غربية من غير دار لتحف تضم أشتاتاً من الآثار . فالمتحف البريطاني بلندن معروف مشهور . وهو مؤسسة قومية تضم كثيراً من الكتب والمخطوطات والمطبوعات والرسوم والآثار القديمة وقطع النقود . وقد أسس سنة ١٧٠٠ ، ولم تفتح أبوابه للزائرين إلا سنة ١٧٥٩

وفي باريس مجموعة من المتاحف أشهرها متحف اللوفر الذي يضم مجموعة ثمينة من الآثار المصرية القديمة والآشورية واليونانية والرومانية ، وطائفة كبيرة من آثار العصور الوسطى والعصر الحديث .

وفكرة إنشاء المتاحف وفتح أبوابها لإفادة الجمهور فكرة أوجدتها النهضة الأوربية الحديثة المعروفة بالرينسانس . وكانت إيطاليا أسبق الأمم إلى العمل بها . ومنها تسربت إلى بقية الدول . وقد بدأ الإيطاليون بها في القرن الخامس عشر ، وهو ذلك القرن الذي شهد مصرع الإسلام في الأندلس وسقوط دولة بني الأحمر

ويظهر أن الإيطاليين أخذوا فكرة المتاحف عن العرب الذين نقلت معارفهم وعلومهم وألوان ثقافتهم إلى أوربا عن طريق الإيطاليين . ولقد مهد لذلك وجود طائفة كبيرة من الآثار والتحف والألطاف التي أخذها الإسبانيون من خزائن ملوك غرناطة المسلمين . فكانت تلك الأسلاب والنهائب النواة لإنشاء المتاحف العامة التي تزدحم الآن بكثير من الآثار العربية وغير العربية .

ولم يكن عند العرب نظام المتاحف العامة حتى يقال إن الغربيين أخذوه عنهم . ولكن الحق أن العرب كان عندهم نظام المتاحف الخاصة والخزانات العامرة في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء التي تحوى كل نفيس ، وتضم كل ثمين . فرأى الغربيون أن يجعلوا ميدان الانتفاع بهذه الفكرة أوسع ، ومجال الاستفادة منها أعظم ؛ فنقلوها إلى بلادهم ، وأخرجوها من ملكية الأفراد إلى ملك الأمة وتراث الوطن حتى يضمن لها البقاء ، وتسلم من الضياع والتعرض للنهب والحريق وغيرها .

وكان الخاصة يجمعون التحف على سبيل المباهاة والافتخار ، لأنهم أقدر الناس على جمعها . فقد حكوا أن أحشورش الأشوري كان عنده خزانة خاصة افتنّ في جمع آثارها ، كما افتن البطالسة في مصر في جمع التحف وأقاموا لها المتاحف في مدينة الإسكندرية التي كانت زاهرة في عهدهم .

ولم يُعن النبي عليه السلام وخلفاؤه الراشدون بجمع التحف لأنهم لم يكونوا أهل مادة ودنيا ، ولكن أهل تقية وعفاف وتحرج . وقد كان عمر بن الخطاب يتحرج من مزاولة التجارة .

ولم يهتم خلفاء بني أمية بجمع التحف حتى على تشبههم بالأعاجم في اتخاذ التيجان على رءوسهم . وهذا عمر بن عبد العزيز كان قبل الخلافة مفرطاً في التنعم ، حتى لم يجد فيه حساده عيباً إلا هذا . فلما ولى الخلافة تزهد .

إلى (واسط) حيث الدجاج ولم يكن
لتنشب إلا في الدجاج مخالبه !

وكان رضى الخليفة بالغاً غايته عن شاعره الأول وشاعر أبيه من قبله ، فاستحضر الرقعة القديمة بعينها وفيها أبياته الستة ؛ ووهبه على كل منها ألف دينار ، فأعطى البحتري ستة آلاف دينار كلا

ثم نصح إليه المعتز ألا يبادر بإنفاقها في شراء ما قد يروقه من غلام أو جارية أو فرس ... وقال له : « إن لك فيما تستأنف معنا في أيامنا ، ومع وزرائنا وأسبابنا إذا عرفوا موضعك عندنا ، غناء عن ذلك ... »

ثم حسن له شراء ضيعة ينتفع بغلتها ، ويبقى عليه وعلى ولده أصلها . وكذلك صنع البحتري ... فعاش إلى انتهاء خلافة المعتز في رفاهة من الحال ورغد من العيش .

(جرجا) محمود عزت عرفة

[مآخذ المقال :

١ — إخبار العلماء بأخبار الحكماء للوزير القفطي

٢ — الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي

٣ — ديوان أبي عبادة البحتري

٤ — بعض مصادر التاريخ العام « العصر العباسي »]

فلما جاء العباسيون مالوا إلى الاهتمام بجمع التحف والآثار ، وكان لكل خليفة من جامعي آثارهم هوى خاص . فهذا الخليفة الراضي ابن أخي الخليفة القاهر اتخذ فى داره خزانة خاصة لجمع البلور حتى قال فيه الصولى : « ما رأيت البلور عند ملك أكثر منه عند الراضي ، ولا عمل ملك منه مثل ما عمل ، ولا بذل فى أثمانه ما بذل حتى اجتمع له من آلته ما لم يجتمع لملك قط »

وكان فى ملوك بنى بويه شغف بجمع التحف ، وخاصة عضد الدولة بن بويه ؛ فقد ذكر ابن الصابى ونقل عنه المستشرق السويسرى آدم متز أنه خلف من الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والماس والبلور والسلاح وضروب المتاع شيئاً كثيراً . ويقول ابن الجوزى فى كتابه المنتظم أن بهاء الدولة بن بويه جمع من المال والتحف والألطاف ما لم يجمعه أحد من بنى بويه .

على أن بعض خلفاء العباسيين قد غالوا فى الجمع إلى حد الترف والبذخ مما يصح أن يكون موضع مؤاخذة لهم . فقد روى الثعالبي صاحب لطائف المعارف أن المكتفي — وهو قريب من عصر المأمون — ترك من الكراع والسلاح والأثاث والجوهر وعمائم مرو والحلل الوشاة اليمانية المنسوجة بالذهب وبطائن كرمان فى أنابيب القصب والأبسطة الأرمنية — ترك من ذلك كله ما يعد بالآلاف .

وقد حاكى كثير من الأمراء الخلفاء فى جمع التحف ، فهؤلاء البرامكة روى عنهم سهل بن هارون ، وكان خازن دار الحكمة فى عصر المأمون ، كثيراً من مناقبهم فى الجمع قائلا : « فإنه لا يصف أقله ، ولا يعرف أيسره إلا من أحصى الأعمال ، وعرف منتهى الآجال »

ولا شك أن كثيراً من تحف العباسيين قد ضاعت فيما ضاع بسبب غارة التتار عليهم . فقد حدث ابن الفوطى البغدادى — وكان معاصراً لسقوط بغداد سنة ٦٥٦ — : « أن السلطان هولاكو وصل بغداد فى جيش لا يحصى عدده ولا ينفد مدده . فخرج الخليفة المستعصم ووزيره مؤيد الدين العلقمي ومعه جمع كثير إلى السلطان . ثم دخل الخليفة بغداد ومعه جماعة من أمراء المغول ، وخوجة نصير الدين الطوسي . وأخرج إلى التتار من الأموال والجواهر والحلى والزركش والثياب وأوانى الذهب والفضة والأعلاق النفيسة جملة عظيمة » .

أما بلاد الأندلس فقد جمع كثير من ملوكها وأمرائها الأعلاق والنفائس فى دورهم الخاصة . ولا شك أن الزهراء وهي المدينة التى بناها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر غربى قرطبة كانت تزخر بدور التحف الخاصة . فقد نقل صاحب نفح الطيب عن ابن الرقيق : أن الناس لما اقتحموا الزهراء أسقطوا هشاماً وأزالوا دولة بنى عامر ، ونهبوا قصور الخلافة فيها ، حتى أن بعض ما نهب فى هذه الثورة وصل إلى بغداد وسائر بلاد المشرق وبيع فى أسواقها .

وكان لهذه التحف والألطاف — كما هو الشأن اليوم — أسواق تباع فيها وسماسرة يتجرون بها . وقد روى ابن الفقيه أن تجاراً من اليهود كانوا يأتون من مقاطعة بروفنس بفرنسا ، ويحملون معهم الديباج والخز الفائق والفراء الثمينة ، كما ذكر ابن خرداذبة أن تجار الروس كانوا يحملون جلود الخز وجلود الثعالب السود والسيوف . كما كانت تحف الصين وألطافها تأتى مع التجار الذين ذرعوا البحار فى تلك الأزمان .

ولقد أسرف خلفاء الفاطميين فى ذلك الباب إسرافا عظيما ، ولم يكتفوا بوضع هذه الألطاف فى قصورهم ، بل أقاموا لها قصوراً خاصة ، وكانوا يسمونها الخزائن جمع خزانة ، ولم تكن تلك الخزائن — كما يفهم من اسمها — أمكنة للخزن ، وإنما كانت معارض خاصة توضع فيها التحف على نظام خاص ونسق معين ، فهى بعينها دور التحف التى نراها اليوم ، وفرق ما بين الاثنين أن الأولى كان يملكها ملك أو أمير ، والثانية ملك عام للأمة ، فهى من منافعها العامة التى تتولى الإشراف عليها وتقوم على توسيعها وتزويدها لتكون ميراثا وطنياً خالصاً لا يختص به حاكم ولا سلطان .

كان عند الفاطميين خزانة للأسلحة تعادل الآن المتاحف الحربية العامة التى عنيت الأمم حديثاً بإنشائها . ونستطيع أن نقول إن فكرة التخصيص فى المتاحف كانت عند الفاطميين . ولعلهم أول من استعملها فيما نعرف من التاريخ . فكان عندهم للجواهر دار ، وللأسلحة دار ، وللفرش دار ، وللطرائف دار ، وللسروج دار ، وللخيم دار ، وللشراب دار . وكان بعض هذه الخزائن أشبه بمصانع لإنتاج ما يحتاج إليه الأمراء والجند والحاشية ، كما يفعل « سلاح الصيانة » الآن فى الجيوش الحديثة ،

ويدل على ذلك ما رواه المقريزى فى الجزء الثانى من خططه . فقد ذكر أن خزائن السلاح كان من محتوياتها ذو الفقار سيف على وصمصامة عمرو بن معد يكرب ، وسيف كافور الأخشيد ، وسيف المعز ودرعه ، وسيف الحسين بن على عليه السلام ، ودرقة حمزة ، وسيف جعفر الصادق .

أما دار الطرائف فقد جمعت النفيس الرائع فى العصر الفاطمي من البسط والستور والتعاليق وآنية البلور . التى كانت تصنع باسم الخلفاء ورسمهم . فقد روى المقريزى عمن يثق بقوله أنه رأى بطرابلس قطعتين من البلور الساذج الغاية فى النقاء وحسن الصنعة إحداهما خردادى ، والأخرى باطية مكتوب على جانب كل واحدة منها اسم العزيز بالله (تسع الباطية سبعة أرطال مصرية) وتسع الخردادى تسعة) ، وأنه عرضهما على جلالة الملك ابن عمار فدفع فيهما ٨٠٠ دينار . فامتنع من بيعهما ، وكان اشتراهما من مصر من جملة ما أخرج من الخزائن . ووجد أكثر من مائة كأس بادزهر ونصب وأشباهها على أكثرها اسم هرون الرشيد وغيره ، كما وجد للسيدة رشيدة ابنة المعز لدين الله حين ماتت ما قيمته آلاف الآلاف من الدنانير . ومن جملة ذلك بيت هارون الرشيد الخز الأسود الذى مات فيه بطوس ، كما وجد للسيدة عبدة بنت المعز الأخرى ما لا يحصى من النفائس ، ومن ذلك حصير من الذهب وزنها ١٨ رطلاً ذكر أنها الحصير التى جليت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون — إلى غير ذلك مما أفاض المقريزى فى وصفه وسرده .

وقد يكون فى ذلك كثير من المبالغة ، إلا أنها على كل حال لا تعدم من الحق سبيلاً .

وكان المماليك يهتمون بجمع التحف والألطاف وتزيين قصورهم بها . وقد روى المقريزى فى الجزء الثالث أن الأمير تنكز الأشرفى عين من قبل قلاوون أميراً على الشام ، وظل كذلك إلى أن تنكر له السلطان وجهز له من قبض عليه ، وصادر أمواله وكان من جلتها الجوهر واللؤلؤ والزركش والنفائس . فإذا كانت هذه حال أمير من أمرائهم ؛ فما بالك بالسلاطين أنفسهم ، وقد كان المال فى أيديهم كثيراً ؟

ومن سوء الحظ أن كثيراً من هذه التحف قد ضاع ، ولا يبلغ ما جمع منها فى متاحف العالم إلا قدراً ضئيلاً . وقد تكون أيدى الجهال عبثت بها فأحالتها إلى غير حالتها ، فأسالت ذهبها وفضتها وهشمت زجاجها وبلورها .

ومن عجائب الأقدار أن مصائر ما بقى من التحف أوسلمتها كمصائر بنى البشر أنفسهم . قد فرقتها الأقدار وبعدتها الأدهار وأنزلتها فى غير أوطانها ، وأحلتها فى غير بلدانها . ففى لندن منها قطع ، وفى باريس أشتات . وفى مدريد وروما وبرلين والقسطنطينية وغيرها .

ولقد نشطت الأمم العربية وانتبهت إلى الاحتفاظ بآثارها وجمعها فى دور عامة . فأنشأت دار الآثار العربية فى مصر سنة ١٨٨١ ، وإن كان أمر إنشائها صدر فى عهد اسماعيل سنة ١٨٦٩ ، وأنشىء المتحف الأهلى فى الجزائر سنة ١٨٩٧ ، وأنشىء المتحف العلوى فى تونس ، ودار الآثار العربية فى العراق فى تاريخين غير متحققين عندى .

ولعل البلاد العربية جميعاً تضاعف الهمة حتى تحتفظ بالكثير من تراثها المفقود .

محمد عبد الغنى حسن

من الشعر الحر (*)

الحديقة الميتة والقصر البالى

للأستاذ خليل شيبوب

أمر عليها كل يوم فأبصر
أشجارها مشؤومة الأغصان
ويأخذنى حزن عليها فأشعر
باليأس يعقل خاطرى ولسانى

تهدم السور حولها فبدا
للعين عُرْىُ الحديقة
كأنها مليحه
قد خلعت حلاها
فأصبحت قبيحه
كاسية أسماها
مرهاء غيرت الليالى حالها (١)
تطلب عند الناس عطفاً وجَدَى
من القلوب الشفيقة
رقص البِلَى فى ساحها عريانا
وشدا الفناء لرقصه ألحانا

بهما اهتدى
عادى الردى
فعـــدا
ومحا معالمها كأن لم تعلم
وكأن فيها الطير لم يترنم
وكأن فيها الزهر لم يتبسم

وقفت الأشجار وهى
والعشب فيها جف كرها
فهو مصفر سقيم
وهو موطوء هشيم
ذبل النبت الدميث
ونما فيه أثيث
هائج السوق خبيث
شأنه غطى مظنات المسالك
فهو فيها بعد ذاك اللين شائك

أين وضاح الزهَرْ
أين معقود الثَمَرْ
أين مسرى الحور
أين مجرى الماء كالنور
كلها صارت عِبَرْ

القصر فى جانبها واقف
ذاهـــــلُ
رسم محيل بالأسى واجف
سائل

يا جنة كان النعيم بها يشدو
لحن أطيارك
والحسن فيها كان صفحته تبدو
فى وجه أزهارك
ألشمس تخشع حين تبصرك
ثكلى
ولذاك مالت عنك تغمرك
ظـــــلا
والريح عاثرة تمر بك
خجلى
تفك الليل بالسواد جلالا
وزوى عنك حين لاح الهلاك
وأراك النجوم لا تتلالا

يا من رأى القصر قد أقوتْ ملاعبه
وطلقته بلا رجعى كواعبه
غربت أقمارهُ
وامحت أنوارهُ
فطويت مفاتن المجالس
وانتهبَت ذخائر النفائس
وأصبحت فيه كرسم دارس
فماد ركناه وازورَّت جوانبه

أين رجالاته وجودهم
كان شِفاء المنى وجودهم
زين الرجالات
محققو الغايات
ومقصد العفاة
ما أخلفت راجياً فضلاً وعودهم

عزاء أيها الحسن
فإنك لا تذل ولا تهونُ
إذا فقدت مباهجك العيونُ

(*) كل شطر من هذه القصيدة يرجع إلى بحر من بحور الشعر العربية أو من مجزوءه أو مجزوء مجزوءه . ولم تتقيد فيه بقافية مطلقاً بل هى تأتى متشابكة أو متلاحقة حسب النظم . وقد استنبطت هذه الطريقة بعد جهد ورأيتها أقرب إلى الشعر الحر والمرسل من سواها . أما ما يبدو فى هذا الشعر من التنافر فان تكرار قراءته يصقل الأذن ويكفل بأن يعيد الرنة الشعرية إليها وسوف أشرح هذه الطريقة وكيفية إمكان تحسينها بعد أن يفرغ حضرة الكاتب الأديب الأستاذ دريني خشبة من بحثه القيم فى الشعر المرسل .

(١) المرهاء : التى لم تكتحل



صديق هام ...

لأنطون تشيكوف

وجدت (ڤاندا) الساحرة، أو كما جاء وصفها فى جواز السفر «المواطنة الشريفة ناستاسيا كاناڤكن»، وجدت نفسها بعد خروجها من المستشفى فى حال لم تصادفها فى حياتها من قبل، لا مأوى لها ولا مال عندها؛ فماذا يمكن أن تفعل؟

كان أول شىء عملته هو ذهابها إلى مصرف الرهائن، حيث أودعت خاتمها الفيروزى، الحلية الوحيدة التى كانت تملكها، وأخذت جزاء ذلك روبلاً واحداً

ولكن ماذا يفيدها هذا الروبل؟ إنها لا تستطيع أن تشترى بهذا المبلغ معطفاً أنيقاً، أو قبعة واسعة، أو حذاء من ذى اللون الفضى اللامع وهى - بدون هذه الثياب - تشعر بأنها عريانة. يخيل إليها أن كل من حولها حتى الكلاب والحمير ترمقها وتضحك من بساطة ثيابها. وكانت الثياب كل ما يشغل تفكيرها. لم يثر اهتمامها قط التفكير فيماذا تأكله ولا أين تنام؟

«آه لو أتيح لى لقاء صديق هام! إذن لحصلت على بعض المال. ما من صديق يمكنه أن يرفض لى طلباً كهذا. إنى واثقة»

كان هذا اتجاه تفكيرها، ولكنها لم تلق هـذا الصديق المنشود. إن من الأيسر أن تلقى أمثاله فى المساء فى ملهى «الرينيسانس»، ولكنهم لن يسمحوا لها بالدخول فى هذا الملهى، وهى ترتدى هذه الثياب الحقيرة، ورأسها عار. ما ذا يمكن أن تفعل؟

وبعد تردد طويل، وبعد أن أنهكها طول السير والجلوس والتفكير، استقر رأى ڤاندا على أن تلتمس ملجأ فتذهب لتوها إلى منزل صديق هام وتطلب مقداراً من المال

وأخذت تفكر فيمن تقصد. «لا يمكننى أن أذهب إلى ميشا، إنه رجل متزوج ... والرجل العجوز ذو الشعر الأحمر سيكون فى مكتبه فى مثل هذا الوقت من النهار»، وتذكرت ڤاندا طبيب أسنان يدعى فينكل، وهو يهودى اعتنق المسيحية وكان قد أهدى إليها سواراً منذ ستة أشهر. وكانت فى يوم من الأيام قد صبت كأساً من الخمر فوق رأسه وقت العشاء فى النادى الألمانى. عمها السرور إذ فكرت فى فينكل وقالت:

«لا بد أنه سيمنحنى مقداراً من المال إذا وجدته فى المنزل؛ وإذا لم أجده فسأحطم كل مصابيح الكهرباء التى فى منزله»

كان هذا اتجاه تفكيرها وهى فى طريقها إليه

وقبل أن تصل إلى منزل طبيب الأسنان رسمت خطتها للعمل. إنها ستصعد السلم قفزاً وهى تضحك عابثة، ثم تندفع إلى حجرة الطبيب وتطلب منه خمسة وعشرين روبلا. ولكنها ما كادت تلمس الجرس حتى أحست بهذه الفكرة تتبخر من ذهنها. وبدأت ڤاندا تحس بالرهبة والضيق، مما لم تعهده من قبل. لقد كانت دائماً جريئة فى حلقات الشراب، ولكنها الآن وهى تلبس هذه الثياب الحقيرة تشعر كأنها شخص يطلب إحساناً؛ وقد لا يسمح لها حتى بالدخول. وشعرت فجأة بالذلة والمسكنة، وأحست بالخجل والاضطراب

رآك القلب أبهج ما تكونُ
وعين الحب هادية أمونُ
عزاء أيها الحسن

إيه يا جنة جفاها النعيم
هكذا العمر أنه لا يدوم
كأنك نفس مات فيها غرامها
فلم يبق إلا بؤسها وسقامها
حليةُ النفس الهوى
فإذا توى (١)
عادت كغصن قد ذوى
أو ظلِّ نجم قد هوى
على قدر ما فى النفس من خالص الجوى
يكون لها قدر ويسمو بها اللب
فإن فقدته فالفناء بها ثوى
وما قيمة النفس التى ما لها حب

يا روضة ذبلت
وخميلة خملت
أنت مثال السعد إذ فاتا
بل أنت رمز الحب قد ماتا
هكذا تصبح الحياة رفاتا

أقول للغادين لو يسمعون
هنا الهدى لو كنتم تبصرون
هلمو انظروا كيف تبلى القصور
وكيف تموت الحديقة
كذلك فيكم يجف الشعور
وتخفى الأمور
ويعمى البصير
وتموت الحقيقة

خليل شيبوب

(١) توى: هلك

أخذت تفكر وهي لا تجد من نفسها الشجاعة الكافية لأن تغمز الجرس وقالت في نفسها : « ربما يكون قد نسيني . كيف يمكنني أن ألقاه في هذه الثياب وأنا أبدو كنسولة حقيرة أو عاملة فقيرة ؟ » ودقت الجرس في ضعف . وسمعت وقع أقدام تقترب : إنه البواب . « هل الطبيب موجود ؟ » وجهت السؤال وهي ترجو أن يكون الرد « كلا » ، ولكن البواب بدلاً من أن يجيب صحبها إلى القاعة وساعدها على خلع معطفها

وبهرتها القاعة بفخامة مظهرها وروعته ، ولكن نظرها علق بمرآة ضخمة ، فواجهتها لترى فتاة رثة الثياب ، لا تلبس معطفاً أنيقاً ، ولا تضع فوق رأسها قبعة واسعة ، ولا تنتعل الحذاء ذا اللون الفضي

ورأت فاندا أنها في ثيابها البسيطة هذه ، تبدو كحائكة أو غاسلة ثياب ؛ واستغربت أنها تحس بالخجل ولا تجد في نفسها أثراً لتلك الشجاعة ، بل الوقاحة التي اعتادتها . بل إنها لم تعد تفكر في نفسها أنها فاندا « الساحرة » فما هي إلا ناستاسيا كانافكين كما كانت في الأيام الخالية

وتقدمتها الخادم إلى حجرة الكشف قائلة لها : « تفضلي بالدخول . سيأتي الطبيب بعد دقيقة واحدة . اجلسي »

وجلست فاندا على مقعد مريح وأخذت تفكر : « سأطلب منه أن يعيرني هذا المبلغ . ليس في هذا أقل حرج . إن معرفتي إياه قديمة . آه لو أن هذه الخادم تخرج . إني لا أميل إلى مصارحته أمامها . ما الذي يدعوها للبقاء هنا ؟ »

وبعد خمس دقائق انفرج الباب عن فينكل . كان يهودياً طويلاً ، أسمر اللون ، ذا خدين متهدلين وعينين منتفختين . كان منظر عينيه ، وخديه ، وصدره ، وجسمه ، بل منظره كله يمجه الذوق ويثير الكراهية . كان في ملهى « رينيسانس » والنادي الألماني يبدو ثملاً ، ويبذل نقوده للنساء عن سعة . وكان واسع الصدر ، صبوراً على الأعيبهن (فمثلاً عندما صبت فاندا كأس الخمر فوق رأسه ، لم يزد على أن ابتسم ورفع أصبعه في وجهها منذراً) ، أما الآن فهو يبدو جامد الحس ، جاداً ، ثقيل الدم كرئيس الشرطة ، وهو ما يفتأ يلوك شيئاً بين شدقيه

قال مخاطباً فاندا دون أن ينظر إليها : « هل من خدمة أستطيع أن أقدمها إليك ؟ » . ونظرت فاندا في وجه الخادم الصارم ومظهر فينكل ، الذي كان من الواضح أنه لم يعرفها ، واحمرت وجنتا فاندا

— « هل من خدمة أستطيع أن أقدمها إليك ؟ » ردد الطبيب سؤاله في ضيق مكتوم ، فهمست فاندا : « أحس ألماً في أسناني »

— « حسن ... أين موضع الألم ؟ »

وتذكرت فاندا أن بإحدى أسنانها تجويفاً ، فقالت :

— « في الفك الأسفل ... على اليمين ... »

— « هيه ! افتحي فمك » . وقطب فينكل جبينه ، وأمسك أنفاسه ، ثم أخذ يكشف عن السن . وسأل فاندا : « هل تؤلمك ؟ » ثم وضع آلة معدنية فوقها . وأجابت فاندا كذباً : « نعم » ، وهي تتساءل في نفسها : « هل أذكره ؟ إنه من المؤكد سيذكرني . ولكن هذه الخادم ! ما الذي يدعوها للبقاء هنا ؟ »

وفجأة انطلق فينكل قائلاً « لا أنصحك بمعالجة هذه السن . إنها لا تستحق العلاج » . وبعد فحص السن مرة أخرى ملوناً شفتي فاندا ولثتها بأصابعه الملونة بلفائف التبغ ، أمسك أنفاسه مرة أخرى ، ثم وضع شيئاً بارداً في فمها . وأحست فاندا فجأة بألم حاد ، فصرخت ، وقبضت على يد فينكل

فقال الطبيب : « كل شيء على ما يرام . لا تنزعجي . ليس لهذه السن فائدة ... يجب أن تكوني شجاعة » ، وأخرج أصابعه من فمها ملونة بالدماء وممسكة بالسن ... وتقدمت الخادم ووضعت إناء تحت فم فاندا . وقال فينكل : « عليك أن تغسلي فمك بالماء البارد عند عودتك إلى المنزل ، فإن هذا سيمنع النزيف »

ثم واجهها في مظهر الرجل الذي ينتظر انصرافها لتدعه في سلام . فقالت : « نهارك سعيد . ثم اتجهت إلى الباب منصرفة . وتساءل فينكل في لهجة ضاحكة : « هم ! وما رأيك في أجرى ؟ »

« آه ! حقاً ! » وتذكرت فاندا فمدت يدها إلى اليهودي بالروبل الذي أخذته رهناً على خاتمها

وعند ما خرجت فاندا إلى الطريق تضاعف إحساسها بالخجل ، ولكنه في هذه المرة لم يكن الفقر سبب خجلها . إنها لم تعد تجد الحاجة إلى قبعة واسعة أو معطف أنيق ، وإنما أخذت تجوب الطرقات والدم ينزف من فمها ، وهي تفكر في حياتها الكريهة ، حياتها المؤلمة ، والإهانات التي عانتها والتي سوف تعانيها في الغد ، وفي الأسبوع القادم ، بل طول عمرها حتى نهاية أجلها

« آه ! كم هذا مؤلم ! رباه كم هذا مخيف ! »

وعلى كل حال ففي اليوم التالي ، عادت فاندا الساحرة إلى ملهى « رينيسانس » لترقص هناك ، وكانت ترتدي قبعة حمراء واسعة ، ومعطفاً أنيقاً ، وحذاء ذا لون فضي لامع . وقد صحبها للعشاء تاجر شاب جاء أخيراً من قازان .

صلاح الدين النهامي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11 me Année No. 546

Lundi - 20 - 12 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٤٦ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة
١٠٠١ عيد اللغة العربية . . ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
١٠٠٤ توفيق الحكيم بين الأدب والفن ... ... } الأستاذ دريني خشبة ... ...
١٠٠٨ حسن حسني الطويراني .. : الأستاذ محمد عبد الغني حسن
١٠١١ اضطراب التعليم في الأزهر بين القديم والحديث ... } الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
١٠١٣ موت الأديب ! ... ... : الأستاذ عبد الوهاب الأمين
١٠١٤ جامع أحمد بن طولون ... : الأستاذ أحمد رمزي بك ..
١٠١٦ كل شيء قد خبا [قصيدة] : الدكتور إبرهيم ناجي ...
١٠١٦ تحية ضائعة « : الأستاذ صالح جودت .. ...
١٠١٧ أغنية الرياح الأربع ... : .. ..
١٠١٨ عبد المسيح وزير .. .. : الدكتور زكي مبارك .. ...
١٠١٨ حول بيت لمسلم الدين المحيوى ... ... } الأستاذ محمود عزت عرفة ...
١٠١٩ ختان الأنثى في الاسلام : الأستاذ دسوقي إبراهيم ...
١٠٢٠ تأريخ الأخلاق ... ... : الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

عيد اللغة العربية

للدكتور زكي مبارك

اخترت هذا الموضوع لأنبه إلى حقائق أدبية ولغوية واجتماعية أرى في التنبيه إليها فائدة تنفع الأمم العربية أجزل النفع ، لأنها تزيد في ثقتها بوجودها الأدبي ، ولأنها تنير الطريق أمام المهتمين بالوحدة العربية ، وهي فكرة يمكن تحقيقها بسهولة ، إن تعاونا على رفع ما يعترضها من العقبات والأشواك

ولأجل أن يتضح موضوع هذا الحديث أرجو أن تتذكروا ما كنا عليه قبل أعوام قصار لا طوال ، فقد كان في كل قطر عربي جماعة يدعون إلى إيثار اللهجة العامية المحلية في الخطابة والكتابة والتأليف ، ومع أن هذه الدعوة واهية الأساس فقد كانت تجد سبيلاً إلى بعض الأسماع والأذهان ، وكان العقلاء يخشون أن تنخدع بها الجماهير هنا أو هناك

والدعوة إلى اللهجة المحلية دعوة سهلة القبول ، لأنها تبشر سامعيها بالإعفاء من تكاليف الفصاحة العربية ، وهي تكاليف لا يقوى على حملها غير الأقوياء من أهل البيان

كانت هذه الدعوة تجد من يسمع وتجد من يجيب ، ثم خفت

صوتها بعد أن جلجل وصلصل عدداً من السنين ، فما الذى أسكت ذلك الصوت ؟

يرجع السبب إلى النهضة الأدبية الحديثة التى ظهرت طلائعها فى الديار المصرية والسورية واللبنانية والعراقية ، ولم يكن لهـذه النهضة غنى عن لغة قوية تستطيع التعبير عن الدقائق والجلائل من المعانى والأغراض

عند ذلك انهزمت اللغة العامية ، لأنها لغة العوام ، والعوام لا يحتاجون إلى لغة غنية ، لأن مطالبهم فى التعبير لا تزيد عما تحتاج إليه الحياة اليومية فى المنازل والأسواق

ومما يثير الضحك أن الذين دعوا إلى اللغة العامية لم يشرحوا قضيتهم إلا باللغة الفصيحة ، وهذا شاهد ناطق بأن العامية أضيق وأعجز وأفقر من أن تعين أنصارها على التعبير عن أغراضهم بإسهاب وإطناب

اقترحت مرة أن يصدر قرار وزارى يجعل اللغة العامية لغة المصريين ، لنرجع جميعاً إلى اللغة الفصيحة بعد أسبوع أو أسابيع ولكن كيف ؟

كنت أنتظر أن يفكر كل كاتب وكل شاعر وكل خطيب فى تجميل لغته العامية ، ليتفوق على النظراء ، وليمتاز بالأناقة فى البيان ، ولا يتم له ذلك إلا إذا استعان بذخائر اللغة الفصيحة ، وقد تحمله الرغبة فى التفوق على أن يعود طائعاً مختاراً إلى اللغة التى مجدتها الأمم العربية فى عشرات الأجيال ، وبذلك ينهزم دعاة العامية إلى آخر الزمان

وما الذى منع دعاة العامية من أن يجعلوها لغتهم فى الشعر والكتابة والخطابة والتأليف ؟

هل صدر قرار يحرم عليهم أن يكونوا عاميين ؟

هل حاربتهم الحكومة ؟ هل حاربتهم الأمة ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما أوحت إليهم عقولهم وأذواقهم أن يسموا بأنفسهم عن الابتذال ، واللغة العامية كالثوب الذى نلبسه فى البيت ، ونحن نعرف أننا لا نتأنق فى الملبس بين جدران البيوت

إن اللغة سلاح من الأسلحة ، وهى فى يد الخطيب كالسيف فى يد المحارب ، ولا يجوز للعاقل أن يدخل الميدان وفى يده سيف مفلول

نحن لم نهزم دعاة اللغة العامية بالقوة ، وإنما انهزموا بأنفسهم لأنهم خاضوا غمار المعركة بغير قلب ، ولا عزم لمحارب لا يؤازره القلب

وهل انهزم دعاة اللغة العامية حين حرصوا على التسلح باللغة الفصيحة ؟

إن مكرهم أغرب من مكر الشياطين ، فقد رأوا أن يسابقونا إلى الإفصاح ، وأن يحاولوا نزع راية الفصاحة من أيدينا ليتفردوا بغنيمة المجد الأدبى . فلنكن أول جيش يسلم وهو فرح جذلان

لقد أراد خصومنا أن يرفعوا أنفسهم فيكونوا خلفاء لأكابر المفصحين ، لا خلفاء لعوام المتحدثين فى الشوارع والقهوات والبيوت

أقول هذا وأنا أعترف بلغة الشارع والقهوة والبيت ، لأنها أماكن يجوز فيها التحلل من التأنق ، والتأنق حلية بيانية لا نفكر فيها إلا حين نقف موقف المحاربين بلسان البيان

اللغة العامية هى ثوب البيت عند رفع التكليف ، ومن هنا جاز أن تكون لكل أمة لغتان : لغة عامية ولغة فصيحة . وهذه قضية لا تحتاج إلى براهين ولا محامين

وأين خصومنا فى هذه القضية ؟ أين ؟ أين ؟

لنوابغ منهم أغراض أدبية واجتماعية ، فهم يحاولون أن يصلوا إلى أسماع العرب فى المشرق والمغرب ، وهـذا لا يتيسر بغير الأسلوب الفصيح ، لأن الأسلوب العامي يعجز عن تخطى الحدود

لم يبق إلا الجهلة من دعاة اللغة العامية ، وهم أطفال يهمهم أن يتحذلقوا ببعض الحديث عن فكرة نبتت على شواطئ الجهل ، كما تنبت البقلة الحمقاء على مدارج الغدران

نحن فى هذه القضية بين صورتين اثنتين : صورة العواطف وصورة المنافع ، فما موقف خصومنا من هاتين الصورتين ؟

إن فرضنا أنهم لا يبالون ما صنع آباؤهم وأجدادهم فى إعزاز اللغة الفصيحة إعزازاً حماها من الانحدار فى عصور كانت كلها ظلمات فى ظلمات ، فكيف نفرض أنهم لا يبالون منافعهم وهى من الصميم فى وجودهم الحيوى ؟

أيستطيعون الاستغناء عن الشرق ؟

هـذا ممكن ، إن أرادوا العيش فى ظل الخمول ، ولكنه مستحيل إن أرادوا الاتصال بالشرق ، فى الحدود التى توجبها أواصر الأدب ومنافع الاقتصاد

لو انتصرت دعوة خصومنا — ولن تنتصر — لكان من الحتم أن يحتاج المصرى إلى مترجم حين يزور فلسطين أو الشام أو لبنان ، وقد يحتاج إلى مترجمين حين يزور العراق ، لأن الدعوة إلى العامية قد تحيى فى العراق عدداً من اللغات

وأذهب إلى أبعد من ذلك فأقرر أن العصبية المحلية قد تحوج القاهريين إلى مترجمين حين يزورون بلاد الصعيد ، بغض النظر عن بلاد النوبة والسودان ودارفور وكردفان !

يجب حتما أن نترك هذا السخف المقوت ، سخف الدعوة إلى اللغة العامية ، لأنه من شواهد الانحطاط ، ونحن فى طريق الاستعلاء

ويجب أيضاً أن نقتدى بما تصنع الأمم القوية ، وهى تفكر فى توحيد اللغة قبل أن تفكر فى توحيد الأقاليم ، لأن وحدة اللغة هى حجر الأساس فى بناء القومية

يجب أن تكون للعرب والمسلمين لغة واحدة فى المشارق والمغارب ، لغة يتلاقون عندها كما يتلاقون فى جبل عرفات ، وكما يتلاقون فى توحيد الله عند الصلوات

فإن لم يفعلوا — وسيفعلون — فستضيع جهودهم فى الدعوة إلى الوحدة العربية والوحدة الإسلامية ، ولن يضيعوا أبداً ، لأنهم أعقل من أن يتعرضوا إلى مخاطر الضياع

***

لقد استقر الرأى فى البيئات الفنية المصرية على أن من حق لغة المسرح والسينما أن تتحرر من القيود التى تثقل اللغة الفصيحة ما دام موضوع القصة المسرحية أو السينمائية موضوعا خاصاً بالمجتمع المصرى الحديث ، وتلطف الفنانون المصريون مع اللغة الفصيحة فجملوها لغة الروايات المنتزعة من حوادث التاريخ

فما الذى وقع بعد ذلك ؟

رأينا أولئك الفنانين يقبلون على اللغة الفصيحة فى المواقف التى تحتاج إلى روعة البيان ، وهذا ما يصنع الفنان يوسف وهبى وما يصنع زملاؤه من المؤلفين المسرحيين والسينمائيين

وأنتم فى غنى عمن يدلكم على تلك المواقف ، فما خلت رواية مسرحية أو سينمائية من مشاهد لا يستطيع الممثل أن يؤدى فيها واجبه الفنى بغير الأسلوب الفصيح

كانت (الفرقة المصرية) تلتزم اللغة الفصيحة ، وقد نجحت كل النجاح ، ولكن ناساً قالوا إنها عجزت عن غزو الأوساط الشعبية ، واقترحوا أن تتحرر من قيود الإفصاح

وقد غير نظام تلك الفرقة إجابة لصراخ الصارخين من عوام الناس ، وألقى الأستاذ محمد بك صلاح الدين خطبة قرر فيها أن المسرح ليس مدرسة لتعليم اللغة الفصيحة ، وأنه لا بأس من أن يجرى الحوار باللغة التى يتكلم بها الناس فيما يتصل بموضوع المسرحية

ولكن الأقدار قضت بغير ما قضى به هذا الرجل الأريب ، فقد بدأت الفرقة موسمها فى هذه السنة بمسرحية شعرية ، هى قصة قيس ولبنى ، وأقبلت الجماهير على شهود هذه القصة أكثر من عشرين ليلة ، مع أن المفهوم أن الشعر الفصيح أصعب من النثر الفصيح

فما تفسير هذه الظاهرة الأدبية ؟

تفسيرها سهل ، فالجمهور المصرى يؤمن بأن اللغة الفصيحة هى لغته الأصيلة فى المواقف الجدية ، بدليل أنه لا يتصور صحة صلاة الجمعة إذا ألقى الخطيب خطبة الجمعة باللغة العامية

ومن أغرب ما يقع فى هذا العصر أن يجهل بعض رجال الآداب والفنون روح الشعب المصرى ، فهم يتوهمون أنه شعب يستريح إلى المطالب الهينة ، ويثقل عليه الجد الصريح

وبسبب هذا الفهم المنحرف ضاعت جهود ذلك من الأدباء والفنانين

أتحداكم أن تقيموا مباراة فى حديقة الأزبكية بين شخصين أحدهما خطيب فصيح ، وثانيهما مهرج ظريف

إن أجبتم دعوتى فسترون أن الجمهور يقبل على الفصاحة وينصرف عن التهريج

كان فى عصر شوقى وحافظ ألف زجّال وزجّال ، فبلى من استمع الشعب المصرى ؟ استمع إلى الزجالين ونسام عن شوقى وحافظ !

اتقوا الله فى وطنكم بادعة العامية بهذه البلاد ، فإن لم تتقوا الله فى وطنكم فاتقوه فى أنفسكم ، قبل أن تحل عليكم عواقب الإهمال

وما أقوله عن المصريين أقوله عن إخوانهم فى سائر الأقطار العربية ، وهى أقطار تنتظر من يسمو بها إلى أرفع منازل البيان

لقد جدّت بنا الأيام ، والأيام لا تعرف الهزل ، فلينصرف الهازلون عن إفكهم المرذول ، إن كانوا يعقلون

اللغة الفصيحة هى لغة العرب فى هـذا العهد وفيما يليه من العهود ، فليعرف من لم يكن يعرف أن اللغة العامية لغة العوام لا لغة الخواص ، وأن العرب قد برئت عيونهم من غشاوة الإسفاف والابتذال

***

أنا أدعوكم إلى الاحتفال بعيد اللغة العربية ، فقد انتصرت على أبنائها ، لا على أعدائها ؟ فما كان للغة العربية أعداء غير أولئك الأبناء

فى انجلترة وألمانيا وفرنسا وإيطاليا إذاعاتٌ عربية لا تعرف غير اللغة الفصيحة ، لأنها تريد أن تخاطب العرب بلغتهم الدولية لا المحلية ، واللغة الفصيحة هى لغة العرب الدولية ، كما يفهم الأوربيون والأمريكيون ، وهم أهل الخبرة بطبائع النفوس فى هذا الجيل

اسمعوا صوت الزمن ، إن لم تسمعوا صوت الحق ، واحتفلوا معى بعيد اللغة العربية فى عيد القمر ، وهو عيد التضحية ، وعيد الوفاء .

زكى مبارك

توفيـــق الحكـيم
بين الأدب والفن
للأستاذ دريني خشبة

لا فرق مطلقاً بين أن تقرأ توفيق الحكيم وبين أن تقف فى متحف للفنون الرفيعة ، أو أن تسمع إلى قطعة موسيقية ، أو أن تجلس هادئاً ساكناً فى مسرح عظيم تشهد مأساة تشجيك أو ملهاة تسليك ...

تقرأ توفيق الحكيم فتنظر إلى التماثيل الرائعة تتحرك وتتكلم وتنظر وتبتدم وتمتلئ بالحياة وتفيض بالجمال ... ثم ترى إلى الصورة التى انسجمت ألوانها وأحكمت خطوطها وأبدع فيها توزيع المنظر ، وأكسبتها « اللمسات » الأخيرة من المصور ، وجرت فى أركانها بعبقريته ... فإذا أفقت من ذلك سمعت (أزاميل) المثالين ومطارقهم تدق ... كأنها تشترك فى تأليف لحن موسيقى ... فإذا أدرت عينيك شهدت أبهاء المتحف وردهاته قد امتلأت بالدُّمى والتماثيل والصور ...

ومن الظريف اللطيف فى متحف توفيق الحكيم أنك ترى به التمثال الكامل والتمثال النصفى ... كما ترى فيه حطاماً من تماثيل لم تَرُقه فأهوى عليها بمنحته ومطرقته فجعلها هشيما ، ثم عزّت عليه فلم يلق بها خارج المتحف ، بل تركها فيه ... لأنها وإن فقدت ذراعاً أو ذراعين ، أو نقصت ساق أوساقين ، فإنها تمثل فى ذهنه فكرة مقدسة ... الفكرة التى أوحت إليه « مشروع » التمثال ، ولهذا تحتفظ المتاحف بالتماثيل المهشمة !

وقل مثل هذا فى صور الرسام الفنان توفيق الحكيم ، فإلى جانب الصور الكاملة البارعة ، التى أخذت حظها الموفور من حسن التوزيع والعدل بين الألوان ، ترى صوراً لم يتقن « طبخ » ألوانها حسب الأصول الفنية ، ومع هذا فقد احتفظ بها فى المتحف كما احتفظ بتماثيله المهشمة للسبب الذى أسلفنا

أما موسيقا توفيق الحكيم فهى من هذا النوع الصامت الذى يخامر القلب ويجرى مع الدم ويرهف الأعصاب ... وقد تكون موسيقاه « زائطة » أحياناً ، وهى لا تكون « زائطة » إلا إذا أفاق من سكرة الأدب والفكر والفن ، واستسلم إلى هذا الإلـه الطفل المعربد « أمور ! » أو « كيوبيد » ذى الجناحين

والكنانتين، يصيبه منهما بسهم ذهبي فيخفق فؤاده بحب إيما ؛ أو يريشه بسهم « رصاصى ! » فيلعن جميع بنات حواء ! عند ذلك تأتى موسيقاه (زائطة) أو (نشازاً) ، ويكاد الإنسان يفضل عليها موسيقا (المزمار البلدى !)

ترى ... لو أن الأستاذ الحكيم كان قد فرغ إلى فنون التصوير والنحت والموسيقا كما فرغ اليوم إلى (فن الأدب) فأى ثروة كان يستطيع أن يمد بها هذه الفنون الناشئة اليوم فى مصر ، وأى حياة كان يشيمها فيها ؟

لقد نشأ الحكيم ذوقه الأدبى فى أبهاء متحف اللوفر بفرنسا ، ولا داعى مطلقاً لأن نكتب ما كتبه هو عن ذلك فى (زهرة العمر) ذلك المفتاح السحرى الذى يسلك بك إلى جنة توفيق الحكيم ، وإلى جحيمه أيضاً ... فاسمع إليه يقول لصديقه أندريه ، أو يدعى أنه يقول له ، وذلك بعد أن أخبره أنه ذهب إلى اللوفر كعادته ، وأنه ينفق اليوم بطوله هناك ، وأنه يخصص يوماً كاملاً لكل قاعة من قاعاته ، لأنه ليس سائحاً متعجلاً ... (إنى أبحث أمام كل لوحة عن سر اختيار هذه الألوان دون تلك ، وعن مواطن برودتها وحرارتها ، وعن رسم أشخاصها وبروز أخلاقهم واتساق جوعهم وحركتهم وسكونهم؛ كل لوحة فى الحقيقة ليست إلا قصة تمثيلية داخل إطار ، لا داخل مسرح ، تقوم فيه الألوان مقام الحوار . إنى لأكاد أصغى إلى أحاديث الأبطال وهم على الموائد فى أفراح (قانا) لوحة (فيرونيز)، وأكاد أسمع ضجيج الحاضرين وصياح الشاربين ورنين الكؤوس وخرير النبيذ يفرغونه من دن إلى دن . إن طريقة إبراز كل هذه الحياة بالريشة لقريب من طريقة إبرازها بالقلم . إن أساس العمل واحد فيهما ... الملاحظة والإحساس ثم التعبير بالرسم والتلوين ، بل إن الروح أحياناً ليتشابه . لطالما وقفت عيناى طويلاً على صفحات ناثر أو شاعر ، وأنا كالمأخوذ ، أخفض السطور بيدى لأتبين إن كانت من مداد أو من أثير[1] ...)

وهذا تعبير صادق عن طريقة توفيق الحكيم التى يتناول بها قطعه الأدبية الرفيعة . إنه يصنع بها ما يصنع المثال أو المصور ، يتناولها من كل جانب ، وينظر إليها من جميع نواحيها ، فإذا لم ترقه بعد ذلك كله ، سهل عليه أن يمزقها : ففى أكثر من موضع من كتابه يحدثك عن القصص الحوارية التى أتمها ثم لم تعجبه فمزقها ... كما يحدثك عن هذه الاختبارات التى كان يجريها على بعض تلك القصص ، بإعطائها بعض الأدباء الفرنسيين ليروا رأيهم فيها ، ومن هؤلاء هذا المسيو (هاب) الذى كان يعذب الحكيم دائماً بهذه القولة : (نعم ... نعم ... لديك موهبة الحوار ... ولكن ... !)[1] وكانت ... لكن ... هذه تعصف بنفسه كما تعصف يد الطفل بعنق الكتكوت ! ... وقد قالها ناقد آخر غير المسيو هاب بعد أن قرأ قصة أبلغها الحكيم إلى خمسمائة صفحة ، حيث قال : (أفكار كثيرة وموهبة فى الحوار ... لكن ... !) فما كان من صاحبنا إلا أن مزق هذه القصة أيضاً !

هكذا كان الحكيم ينشئ فنه وأدبه ... وكان له أستاذ فى الفن ، هو رجل فقير كان يقنع منه بأجر تافه لا يعدو الأكل والشرب (من أوسط ما يطعم هو ويشرب !) على أن يصحبه إلى المتاحف والميادين والمتنزهات ، حيث يشرح له دقائق الفن ويبصره بأسراره ، ... وهنا تتحشرج الكلمات فى صدر قلمى ... لقد قتل الحكيم أستاذه هذا بعد أن استغنى عنه ... لقد جاءه الرجل فى ليلة عاصفة شديدة البرد وهو يرجف ... ويطلب دناراً يقيه القر ... (فلم أرد عليه بكلمة ... ولكنى أخرجت له ورقة مالية صغيرة وضعتها فى كفه كأنه شحاذ ، فرفع الشيخ قيمته شكراً وانصرف صامتاً ... !) وإذا أحببت يا صديقى القارئ أن تدخل جحيم الحكيم فاقرأ هذه المأساة (ص ٧٤) ، لأنى لا أوثر أن أدخلها معك !

بَصّر هذا الرجل الفنان الذى كان يربى على الثمانين أديبنا العظيم بدقائق الفن ، وأطلعه على أسراره ، كما بصره المسيو هاب بالأدب الكلاسيكى كله ، أو أحسن روائعه ... فهل تدرى من بصره بالموسيقا ؟ ... إنها عجوز شمطاء ... إنها أم المسيو

(١) ص ٤٨

(١) ص ١٩٦

أندريه الذى يقول لنا الحكيم إن هذا الكتاب الكبير الجيل هو الرسائل التى كتبها إليه من فرنسا إلى فرنسا ... ومن الإسكندرية إلى فرنسا ، ومن طنطا ومن دسوق إلى فرنسا أيضاً . فلقد كان الحكيم يجرها من المطبخ بفوطتها لتجلس إلى البيانو حيث تغنى له من « كارمن » ومن « فاوست » ومن « أجراس كورنفيل » ... إلى أن عرف طريق دار الأوبرا والأوبرا كوميك ثم قاعات الكونسير « كولون » و « جافو » و « بادلو » فلم يعد إليها بعد ذلك قط[1] ! أى كما صنع مع الشاعر الفنان البرناسى تماماً ... وهنا أيضاً تتفتح أبواب جحيم الحكيم ، فاختر لنفسك أيها القارئ !

ولست أدرى لماذا لا نشبها جَذَعَةً بين موسيقيينا وبين توفيق الحكيم بمناسبة جزاء سنمار الذى لقيته هذه الأستاذة العجوز على يديه بعد أن كانت السبب فى معرفته الأوبرا والأوبرا كوميك والسيمفونيات وبتهوڤن ! أيها الموسيقيون المصريون اعلموا أن الأستاذ توفيق الحكيم لا يطرب لكم ، بل هو يضيق بكم ، فهو يقول ، وتستطيعون أن تجدوا هذا الكلام فى كتابه زهرة العمر ص ١٦٦ « ... أغالط نفسى ؟ أخشى أن يكون حبى للموسيقا الأوربية مصدره أنها قبل كل شىء بناء ذهنى . ذلك أن موسيقانا ، وهى قائمة على الطرب والتأثير المادى ، لا تسترعى منى اليوم أى التفات . الواقع أن الموسيقا الأوربية بناء فنى ذهنى ، شأنها فى ذلك شأن القصة التمثيلية ، والهندسة المعمارية ... بل شأن المذهب الفلسفى والتفكير الرياضى ! . » فما قول الأساتذة محمد عبد الوهاب ورياض السنباطى والقصبجى وفاضل الشوا فى هذا الكلام العجيب عن الموسيقا ؟ ! ومتى يحظى منكم الأستاذ الحكيم بشىء من المعادلات الجبرية وحساب المثلثات والجذور التكعيبية وقوانين طورشيلى وفيثاغورس ، وجابر بن حيان والبيرونى تبثونها له فى ألحانكم لترتفعوا بها عن الطرب والتأثير المادى ؟ ! لست أدرى كيف تكون الموسيقا التى لا تطرب ؟ ولست أدرى كذلك كيف يكون تأثير الموسيقا مادياً ؟ ! أعترف أولاً

(١) ص ٦٩

أننى لا علم لى مطلقاً بالموسيقا كعلم ... بيد أنى أطرب ، وهذا ما يعيبه الأستاذ الحكيم على الموسيقى الشرقية - كموسيقا عبد الوهاب والسنباطى والقصبجى وفاضل الشوا ، وكثيراً ما أكتفى بالإصغاء إلى المقدمات الموسيقية عن الغناء ، لكننى ما أحسست مرة أن يدى أو رجلى أو ظهرى مثلاً أو أى عضلة من جسمى هى التى وقع عليها التأثير الموسيقى ؛ بل الذى كان يتأثر فى كل مرة هى روحى ... أى أعصابى ... والذى أعرفه أن المخ هو مركز الأعصاب كما أنه مركز الذهن . مع علمى بأن جدلاً كثيراً يدور حول هذه الحقائق النسبية ... فكيف إذن يريد الأستاذ الحكيم أن تقوم موسيقا على غير التطريب ؟ وماذا يعنى بقوله إن الموسيقا الشرقية تقوم على الأثر المادى ؟ ! أنا أفهم أن يقال إن الموسيقا الشرقية ما تزال متأخرة بل جامدة برغم ما أنشأ فيها عبد الوهاب والسنباطى والقصبجى وفاضل الشوا وغيرهم من كرام الموسيقيين ، ولكنها تستطيع مع هذا ، أن تقف على قدميها إلى جانب الموسيقا الغربية ، وتستطيع أن تفاخرها بميزات (روحية) ليست لها ... أخشى يا حضرات الموسيقيين الشرقيين عبد الوهاب والسنباطى والقصبجى والشوا أن يضحك الأستاذ الحكيم ملء شدقيه من كلامى هذا عن الموسيقا الشرقية التى ابتدعتم فيها الأعاجيب فماذا أنتم صانعون ؟

على أننى أحب أن ألفت نظر سائر الفنانين المصريين إلى ثورة الأستاذ توفيق الحكيم عليهم وإزرائه بهم ... الأستاذ الحكيم الذى يرى ... « أن الفنان هو الكائن العجيب الذى يجب أن يلخص الطبيعة كلها بجمادتها وروحها فى ذاته الضئيلة المحدودة ... ذلك الكائن الذى يعيش فى داخله الحيوان ... والإله جنباً إلى جنب[1] ! ... »

لله ما أبدع هذا الكلام وما أروعه ! لقد عاد توفيق الحكيم إلى مصر من فرنسا ، فزعم أنه عاد إلى الصحراء[2] ! الصحراء التى لا تعرف الحياة الفكرية . لقد تعب من كل شىء ، ومن كل إنسان ، ويئس من أن بلداً كمصر يصبح فى يوم قريب ذا حياة فكرية ؛ لأنه لا حياة فى مصر لمن يعيش للفكر . إنه يزيد

(١) ص ١٢٠ (٢) ٩١

تحطيم كل شيء، ليهيم على وجهه فى بلاد الأرض، لا تحده غاية ولا توقفه غاية، ولا يوقفه غرض[١]! إنه يطلب إلى صديقه أن يحدثه عما عندد فى الشاطىء الآخر المائج بأضواء الحياة الفكرية[٢]، وهو يخبره أنه حينما عاد إلى الشرق — أى مصر — أصابه بادىء الأمر ذهول، ذهول عن أندريه وعن كل شيء، كمن وقع من السحاب حقيقة، ثم أخذ يتصفح الوجوه والأشياء حوله. يا لها من حقيقة مؤلمة! لقد رأى نفسه فى شبه عالم نائم. لقد شعر بما قد يشعر من يهبط سطح القمر الأجرد المعتم، وعاش بضعة شهور بغير نفس ولا إدراك. وحينما أُلقى إليه خطاب من أندريه أفاقه من (أفيون الشرق!) فرأى أنه فى حاجة إلى شخص يهز له المصباح من الشاطىء الآخر[٣]، لأنه يعيش فى صحراء[٤] يصيح فى أرجائها. وأنه يتألم آلام من يعيش فى غير عصره.

« قد تسألنى أليس فى مصر طبقة المستنيرين؟ نعم فى مصر طبقة مستنيرة فيها كثيرون عاشوا فى أوربا وعرفوا الثقافة الأوربية، وفيهم من يعرف الفن الأوربى ويتكلم عن المصورين والتصوير، ومن يتكلم حتى عن برامس وباخ وهاندل. ولكن النادر أن تجد بين هؤلاء من عرف أن الثقافة الحقيقية شيء والكلام فيها شيء آخر... إن هؤلاء المتكلمين فى الموسيقا والتصوير والفنون يعرفونها برؤوسهم ولا يدركونها بحواسهم. إن المطلوب للثقافة ليس مجرد المعرفة بل الإحساس والتذوق والتغذى بمختلف الفنون... الثقافة ليست كلاماً تملأ به الرؤوس ولكنها يقظة الملكات كلها والحواس. إذا سلمت بقولى هذا فلا أبالغ إذا قلت لك أن ليس فى مصر عدد أصابع اليدين من المثقفين[٥] »

ولست أدرى إذا أردنا أن نحصى هؤلاء التسعة أو الثمانية المثقفين فى مصر فكم منهم يكون من فئة المصورين وكم يكون — أو يكونون — من فئة الموسيقيين، ثم من المثالين والممثلين ورجال الأدب والفكر والصحافة والمسرح (مؤلفين ومخرجين ومهندسين...)

ولست أدرى ماذا يريد الأستاذ توفيق من النزول بمصر العزيزة والشرق الناهض إلى مراتب البيد، وبعدد المثقفين فى نظره إلى ما دون العشرة مع أن مصر والشرق بخير، وهما يعجان بالمثقفين الذين تنطبق عليهم شروطه الثقافية انطباقاً تاماً ومع أن عدد المصورين وحدهم يربى فى مصر وحدها على الثلاثة أو الأربعة، وعدد المثالين يزيد على الأربعة أو الخمسة، وعدد الموسيقيين يزيد على الإثنين أو الثلاثة، وعدد الأدباء يزيد وحده على الثمانية أو التسعة — والأستاذ الحكيم منهم بالطبع بل فى مقدمتهم، وعدد المخرجين المسرحيين يقارب الثلاثة، وعدد الممثلين والمغنين والمغنيات يزيد على الستة ... وإن كان عدد المؤلفين المسرحيين لا يصح أن يجاوز الواحد... وذلك عند ما يؤلف توفيق الحكيم للمسرح

لولا مغالاة الحكيم فى التشاؤم ... لكان كل ما قاله فى زهرة العمر حقاً ... ولا سيما هذا الكلام الذى قاله عن الأدب العربى واللغة العربية وأساليب الكتابة العربية، مما يحتاج حديثاً آخر، وليتأخر الكتاب على الأستاذ الزيات أسبوعاً ثالثاً، فما أكثر الهدايا التى تصل إلى الرسالة من المؤلفين اليوم.

دريني خشبة

(١) ص ٩٢ (٢) ص ٩٥ (٣) ص ١١٠ (٤) ٢١٠
(٥) ٢١٣

من سير الرجال

حسن حسنى الطويرانى

الصحافى الكاتب الشاعر

١٨٥٠ — ١٨٩٧ ميلادية

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

سأل الأديب على الشوكانى من بغداد فى العدد (٥٤٤) من الرسالة عن الصحافى الشاعر حسن حسنى الطويرانى ، ورجا من قراء الرسالة أن يتفضل أحدهم بأن يروى قصة هذا الشاعر المغمور (فى نظر السائل المحترم)

وعجيب جداً أن يُنسى أديب عربى مشهور ، وصحافى ذائع الصيت ، وشاعر قوى العبارة ، ولما يمض على وفاته نصف قرن كامل ؛ فكيف إذا خبَّ المطىُّ به عشرات القرون ؟

ولعل للسائل عذراً فى ذلك ، فنحن هنا — أعنى فى الشرق — ننسى ونعمن فى النسيان حتى يفتح الله علينا برجل غربى مستشرق ينبهنا ويوقظنا من غفلاتنا الطوال ، ويأخذ بأيدينا — أو بيده هو — على مواضع من تاريخنا وسير رجالنا ... والأمثلة على ذلك كثيرة

على أن للسائل الفاضل فضلاً فى سؤاله ؛ فقد أتاح لي فرصة للتعريف برجل كاد النسيان يطوى مساحبه على ذكره ، لولا أشتاتٌ جمعتُها من هناك ومن هنا ، وتعبتُ فيها راجعاً إلى أكثر من كتاب ما بين (تاريخ الصحافة العربية) للكونت فيلب طرازى (والأعلام) للزركلى ، (وتاريخ آداب اللغة العربية) لجورجى زيدان (وديوان ولى الدين يكن) ، (وفارس الشدياق) للشيخ بولس مسعد (وديوان العقد) للشيخ ابراهيم اليازجى وغيرها

والترجم له مصرى بمولده تركى بأصله ؛ ويرجع إلى أسرة تركية كريمة تنتهى إلى على باشا الكبير أحد أمراء الأتراك فى مقدونية . ولقد شهدت القاهرة مولده سنة ١٨٥٠ ، كما شهدت القسطنطينية وفاته سنة ١٨٩٧ فعاش فى هذه الدنيا سبعة وأربعين عاماً ملأها بالبحث والتحصيل فى أول حياته ، والتأليف والتصنيف فى بقية عمره ، وهو فيما بين ذلك يتنقل من أرض إلى أرض وتسلمه بلد إلى بلد ؛ لا تثنيه مشقة فى سفر ، ولا يصده عناء فى رحلة . فطاف فى كثير من بلاد آسيا وأفريقية وأوربا الشرقية ، ويعبر هو نفسه عن تطوافه بقوله :

شرَّق النسر وغرَّبْ وتترك وتعرَّبْ
فتحرى وتدرب وتنساءى وتقرب
وثنى أطرى وأطرب فهو نصاح مجرب
وهو إن أعرب أغرب وهو إن أعجم أعرب

وهو فى ذلك يذكرنا بالأعشى فى قوله :

وطوفت للمال آفاقه عمان فحمص فأوريشلم
أتيت النجاشي فى أرضه وزرت النبيط وأرض العجم

وفى سن الثلاثين كانت قد انعقدت له شهرة لا بأس بها فى الشعر والأدب والكتابة ، فأقام فى القسطنطينية وأخذ يحرر فى صحفها المشهورة ما بين عربية وتركية ؛ فلقد كان بارعاً فى اللغتين متفوقاً فيهما حافظاً للكثير من روائع أدبهما

وكان فى الرجل نزعة دينية قوية فأنشأ فى العاصمة التركية مجلة « الإنسان » سنة ١٨٨٤ ، وكانت تصدر فى كل شهر مرتين فى أربع وعشرين صفحة لخدمة الإسلام أولاً ، ولخدمة العلوم والفنون والزراعة والصناعة ثانياً ؛ ولكن الحوادث دعتها إلى الاحتجاب بعد أن ظهر منها ١٩ عدداً ؛ ولكنها عادت بعد سنة تقريباً إلى الظهور فى شكل جريدة أسبوعية ، وظلت إلى سنة ١٨٩٠ ، حينما عطلها صاحبها بنفسه مختاراً يعود إلى مصر مستأنفاً جهاده فى سبيل الصحافة العربية

ومن الصحف التى حررها المترجم له فى القسطنطينية جريدة « الاعتدال » ، وخاصة في أول إنشائها ، وجريدة « السلام » . والأولى كان يملكها أحمد قدرى المترجم العربي للسلطان عبد الحميد ؛ والثانية كانت للحاج صالح الصائغ ، وهما عربيتان . أما الجرائد التركية التى اشترك فى تحريرها ، فأهمها « ارتقا » و « زمان »

وكان للمترجم له نشاط عجيب فى إصدار الصحف وتحريرها كما كان نشاطه فى التأليف أعجب ، وما ظنك برجل صحافى يشتغل بالسياسة والتحرير ومشكلات عصره ، ويطالع قراءه كل يوم أو كل أسبوع أو أسبوعين بمقال فى الصحيفة التى يعمل فيها أو يملكها ؛ ثم يجد من الوقت ما يتسع لتأليف ستين كتاباً فى اللغة العربية وعشرة كتب فى اللغة التركية ؟ وبعض هذه الستين مطبوع وبعضها مخطوط ، وبعضها فى مجلد واحد وبعضها فى ستة مجلدات ، مثل كتابه « صولة القلم فى دولة الحكم »

ومناحى الرجل فى التأليف تغلب عليها الروح الإسلامية القوية ، فقد كان مستقيم العقيدة متين الدين ، وكان فيه حكمة مضيئة ونظرة إصلاحية صحيحة . أليس من كتبه (النصيح العام ، فى لوازم عالم الإسلام) ؛ ثم ألا يذكرنا هذا الكتاب بكتاب الأمير شكيب أرسلان (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم) ؟ . وله فوق ذلك كتاب (الصدع والالتئام ، فى أسباب انحطاط وارتقاء الإسلام) ، وكتاب (الأخاء العام ، بين شعوب أهل الإسلام) . ولكن هذه الأخوة التى سعى إليها صاحبنا كانت فى ظل الحكم التركى حتى على قساوته وظلامه . فقد كان داعية له فى كل ما يكتب مدافعاً عنه فى كل مناسبة

فلما قام الشيخ إبراهيم اليازجى اللغوى المشهور فى الثورة العرابية المصرية داعياً إلى تنقص الترك والإشادة بذكر العرب فى قصيدته السينية المشهورة قام حسن حسنى الطوبرانى يرد عليه بقصيدة من البحر والقافية يقول فيها :

دع عنك خائنة الوساوس ... فالذل عاقبة الدسائس

واخش الكلام فكم جنت ... حرب البسوس وسبق داحس

ماذا تريد بشنّها ... دهياء توحش كل آنس ؟؟

ولكن قصيدة اليازجى كانت قاسية على الترك شديدة اللهجة ففيها يقول :

قوم لقد حكموا بكم ... حكم الجوارح فى الفرائس

كم تأملون صلاحهم ... ولهم فساد الطبع سائس

ويغركم برق المنى ... جهلاً وليل اليأس دامس

أو ما ترون الحكم فى ... أيدى المصادر والمكاس

وعلى الرشى والزور قد ... شادوا المحاكم والمجالس

وكان اليازجى فى أثناء الثورة العرابية واقفاً للترك بالمرصاد يحط من أقدارهم ويصف من أفعالهم ما يبغضهم إلى العرب . ولعل أعنف قصائد اليازجى — والشىء بالشىء يذكر قصيدته البائية التى يقول فيها :

أقداركم فى عيون الترك نازلة ... وحقكم بين أيدى الترك مغتصب

فليس يدرى لكم شأن ولا شرف ... ولا وجود ولا إسم ولا لقب

فيالقومى ؛ وما قومى سوى عرب ... ولن يضيع فيهم ذلك النسب

والقصيدتان فى ديوان العقد لإبراهيم اليازجى ص ٥٦ ، ٥٩

وكان فى أخلاق الطوبرانى شدة وحدة فى المزاج ؛ ولعله رحمه الله كان قليل البقاء على حال واحدة ؛ فكنت تراه اليوم فى جريدة وتراه غداً فى غيرها ؛ لا تقلباً منه فى مبدئه ، ولكن تعصباً منه فى رأيه أو ترفعاً منه عن الزلفى لحاكم أو الخضوع لذى جاه ؛ ذلك هو السر فى تعطيل بعض الصحف التى أصدرها

ولا يزال سجل الصحافة المصرية - إن كان لها سجل ! - يذكر لصاحبنا جريدة « النيل » ومجلات « الشمس » و « الزراعة » و « المعارف » والأولى أنشئت فى القاهرة فى أواخر سنة ١٨٩١ أى بعد عودته إلى مصر من القسطنطينية بعام واحد ؛ أما الشمس والزراعة فقد أنشأهما سنة ١٨٩٤ . والثانية أسبق من الأولى ببضعة أشهر فى الظهور

كان لصاحبنا علاقات طيبة مع أفاضل الرجال فى زمانه كما كان له صلات ود مع أعظم الأدباء فى عصره ، ولم يكن فى قلمه تلك الصرامة والسلاطة التى امتاز بها رجل كأحمد فارس الشدياق صاحب مجلة الجوائب . إلا أن العلاقة بين الرجلين الكبيرين كانت أمتن ما تكون صلة ، وأحكم ما تكون ارتباطاً . فقد رثى الطوبرانى أحمد فارس الشدياق حين وفاته سنة ١٨٨٧م بقصيدة بائية من البحر البسيط وأرخ فى الشطر الأخير منها

وفاته سنة ١٣٠٥ من التاريخ الهجرى . كما نعاه فى مجلة (الإنسان) التى كان يصدرها فى القسطنطينية يومئذ فى عبارات من السجع الذى كان طابع الكتابة العربية فى ذلك الحين . إلا أنه فى بعض مواضع من النعى عاد إلى الكلام المرسل (غير المسجوع) كقوله فيه [حكيم السكوت وقور الكلام متواضع الجانب عميق الفكر قوى الحجة كبير الهمة ... إذا رأيته رأيت علماً متجسما ، ومكارم أخلاق قد حلت فاستحالت إنساناً كاملاً]

ولما مات حسن حسنى الطويرانى باشا رثاه الشعراء ، ولم يرثه أمير البيان شكيب أرسلان مع أنه رثى فارس الشدياق قبله ورثاه الشاعر الرقيق ولى الدين بك يكن بقصيدة تبلغ سبعة عشر بيتاً قال فيها :

يا قبر عندى طية عرضت   لن استضفت فزحزح السترا
قد كنت قبل اليوم أقصده   أهدى إليه النظم والنثرا
لا تطرحن وإن ثوى «حسن»   بعد الدماغ فوقه الصخرا
أبكيك ما ذكر الورى أثراً   ووعى الخلود لفاضل ذكرا
أبكيك ما جرت البراعة فى   ميدانها واستطردت سطرا

والقصيدة فى ديوان ولى الدين يكن ص ٦٩ ؛ وفى البيت السابع منها نقص وصحته :

قال النعاة طوى الردى حسنا   قلت اندبوه فقد طوى الدهرا

وبعد هذا البيت بيت ثامن لم يرد فى الديوان ؛ والتصويب عن الكونت فيليب طرازى . وهو :

وطوى الطبيعة بعده وطوى   ما بعدها حتى طوى النشرا

* * *

هذه لمحة خاطفة عن حياة حسن حسنى الطويرانى باشا ، وفى العدد الآتى من الرسالة أرجو أن يتسع المقام لدراسة شعره بشىء من التفصيل .

محمد عبد الغنى حسن

اضطراب التعليم في الأزهر

بين القديم والحديث

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

لم تعمل اللجنة التى ألفت للبحث فى أسباب فساد التعليم فى الأزهر شيئاً ، بل لم تكد تجتمع حتى اختلف أعضاؤها خلافا شديداً ، لأن النظام الحديث الذى قضي فيه الأزهر ما يقرب من نصف قرن لم يعمل شيئاً فى توحيد آرائنا فى الإصلاح ، وتكوين الانسجام الواجب بين أهل البيت الواحد ، بل تركنا كما كنا قبله كثرة ترى الجمود على القديم فرضاً ، وقلة تمقت القديم وتبغض الجمود ، وترى أن آثاره الباقية فى الأزهر هى السبب فى فساد التعليم فيه

وبهذا تزعزع الإيمان بين الطلاب بصلاح التعليم فى الأزهر ، حتى تملكتهم الحيرة ، واستولى عليهم اليأس ، فهم لا يزالون يرون القديم آخذاً بخناقهم ، ولا تزال أساليبه فى التعليم مفروضة عليهم ، ولابد لهم من الأخذ بها فى دروسهم وامتحاناتهم ، لأن الطالب اذا لم يأخذ بها لم يمكنه أن يمضى فى التعليم ، ولا يلبث أن يرسب فى الامتحانات ويطرد من الأزهر وفروعه ، ولكنهم يسمعون كل يوم نقد هذه الأساليب القديمة ، يلقيه عليهم أنصار الإصلاح فى دروسهم ، ويقرءونه فى بعض الكتب الحديثة المقررة عليهم ، وفيما يطالعون من الكتب والجرائد والمجلات ، ويسمعونه فيما يُلقى عليهم من المحاضرات ، وقد تأثروا بكل هذا ، حتى صاروا لا يؤمنون بفائدة هذه الأساليب القديمة ، وأصبحوا لا يستسيغونها بعد أن تغيرت أذواقهم بما يطالعون من الأساليب الحديثة ، لأنها تختلف كل الاختلاف عن الأساليب القديمة ، فمن يتذوق إحداهما لا يمكنه أن يستسيغ الثانية ، ولا شك أن النجاح فى شىء من الأشياء إنما يقوم على أساس الإيمان به ، فإذا فقد الإيمان به كان المضى فيه عبثاً ، ولم يمكن الحصول منه على ثمرة نافعة

وقد كان الطلاب فى الأزهر قبل النظام الحديث يؤمنون بالقديم كل الإيمان ، لأنهم لم يكونوا يسمعون شيئاً من نقده ، ولم يكن الكلام على الإصلاح الحديث قد وصل بعد إلى أسماعهم ؛ وكانوا يقضون كل أوقاتهم بين جدران الأزهر ، فلا يختلطون بغيرهم ممن تربوا تربية حديثة ، ولا يستمعون إلى محاضرات علمية أو أدبية تلقى فى ناد أو محفل ، وكانوا لا يعرفون إلا أساليبهم القديمة فى التعليم ، ولا يدرسون إلا العلوم القديمة وكتبها ، فألفوا أساليبها وألفتهم ، وامتزج حبها بنفوسهم ودمائهم ، وآمنوا بفائدتها إيماناً لا يشوبه شك ، لأنهم لم يطالعوا من آثار الحديث ما يزعزع عقيدتهم فى القديم ، أو يؤثر على أذواقهم التى تألفه وتستسيغه

وقد كان لإيمانهم بالقديم على فساده ثمرته فيما أخرجوا لنا من كتب تدل على براعتهم فى قديمهم ، وأنهم كانوا يتقنونه كل الإتقان ، ويجيدون أساليبه كل الإجادة ، وقد أخرجوا لنا من تلك الكتب ما لا يحصى ولا يعد ، ما بين مختصرات بلغوا الغاية فى اختصارها إلى حد التعقيد الذى كانوا يعشقونه ، ويتنافسون فى طلب فهمه وحل رموزه ، وما بين مبسوطات بذلوا فيها كل جهودهم فى التعليق على تلك المختصرات . وقد بلغ من عنايتهم بذلك أنهم كانوا لا يكتفون بشرح واحد على مختصر ، بل كانوا يضعون على المختصر الواحد ما لا يحصى من الشروح ، ثم يضعون على تلك الشروح ما لا يحصى من الحواشى ، ثم يضعون على تلك الحواشى ما لا يحصى من التقارير ، حتى ملأوا دور الكتب بمؤلفاتهم ، وضاقت رحابها على سعتها بآثارهم

وليت الأمر وقف بطلابنا الآن عند تلك العوامل التى زعزعت إيمانهم بالتعليم فى الأزهر ، بل هناك عامل آخر قضى

عليه كل القضاء ، وهو عامل له خطره على الأزهر وأهله ، لأنه قد حدا ببعض طلابنا أن يجعلوا من الأزهر وسيلة تمدهم لمعاهد أخرى لا صلة لها به ، وتجعله فى منزلة مدرسة ثانوية تمد الطلاب لما بعدها ، فيصبح وليس هو الأزهر الجامعة الكبرى للمسلمين ، وليس هو الأزهر الذى يجب أن يخرج لنا فطاحل العلماء ، وأئمة الدين

فقد رأى طلابنا بعد أن أخذوا بالنظام الحديث أنهم صاروا أهلاً لوظائف الدولة ، لأنهم درسوا فيه العلوم الحديثة التى تؤهلهم لهذه الوظائف ، ولكنهم حينما يقصدون من بيدهم أمرها يجدونهم ينظرون إليهم كما كانوا ينظرون إلى أهل الأزهر القديم ، ولا يسمحون لهم بشيء منها إلا بشق الأنفس ، وبعد شفاعات ووساطات تذهب بكثير من كرامتهم ، وتجعلهم يسخطون على التعليم الذى يزهد الناس فيهم ، ولا يجعلهم يرغبون فيهم كما يرغبون فى غيرهم ، وتذهب بهذا البقية الباقية من إيمانهم به ، وقد بدا أثر هذا العامل عليهم فيما يطلبه أبناؤنا فى كلية اللغة العربية من فتح باب معهد التربية لهم ، ليتخلصوا فى نهاية أمرهم منا ، ويصيروا إلى من بيده أمر تلك الوظائف ، وهذا أمر له ما بعده ، وستكون نهايته إن صبرنا عليه سعى الطلاب جميعاً فى التخلص منا

فيا قوم إذا كنتم تريدون الوصول إلى سبب فساد التعليم فى الأزهر فهذا بيانه ، وإذا كنتم تريدون إصلاحه فاعملوا على وضع تعليم يؤمن به الطلاب ، ويؤمن به من يتصلون بهم من الذين تربوا تربية حديثة ، ويوفق بين آرائنا المضطربة ، ويقرب بين أذواقنا المختلفة ، ويجعلنا كلنا نؤمن بالإصلاح والتجديد ، ونتفق على كره الرجعية والجمود

ودعونا من هذا الترقيع بين القديم والحديث ، فإن الثوب القديم يألف الناس لبسه ولو كان بالياً ، أما الثوب المرقع من القديم والحديث فإنه لا يألف لبسه أحد ، ومن يلبسه يكون ضحكة بين الناس . وقد مضت علينا أزمان ألفنا فيها القديم خالصاً ، وكنا فى عزلة عن الناس لا يروننا ولا نراهم ، ولا نطلب منهم أن يولونا عملاً من أعمالهم ؛ فكنا فى راحة منهم ، وكانوا فى راحة منا ، ولم يضطرب أمرنا هذا الاضطراب الذى يلفت الناس إلينا ، ويجعلهم يتطلعون إلى أحوالنا ، ولا يرضيهم إلا أن تكون مألوفة لهم

وما هذا الترقيع بين القديم والحديث ؟ لقد صار بنا إلى أن ندرس فى القديم ما ينقضه الحديث ، وندرس فى الحديث ما ينقضه القديم ، فندرس مثلاً فى تاريخ الفلسفة على الأسلوب الحديث أن الفلاسفة كانوا رجالاً من أرباب الفكر الحر ، ونعد هذا مفخرة من مفاخرهم ، فإذا تركنا تاريخ الفلسفة إلى علم التوحيد درسنا فيه على الأسلوب القديم ، أن الفلاسفة أعداء الدين ، ونفرنا الناس بكل وسيلة من فلسفتهم . وهكذا ندرس فى تاريخ الأدب العربى على الأسلوب الحديث أن كتابة التدوين والتصنيف بدأت فى الانحطاط من أوائل الحكم العثمانى ، فاخترع تأليف الحواشى والتقريرات والرسائل الخاصة بشرح قاعدة أو جملة أو قصيدة ، وضعفت عباراتها وازدادت تعقيداً وغموضاً ، حتى أصبح ذلك مما يتنافس فيه ، ويظن فى صاحبه العلم والدقة ؛ فإذا تركنا تاريخ الأدب العربى وجدنا الكتب التى يذمها لا تزال هى الأساس الذى يقوم عليه التعليم فى الأزهر

ولا شك فى أنه لا يوجد تعليم فى الدنيا أسوأ من هذا التعليم الذى ينقض بعضه بعضاً ، ويوقع الطلاب فى حيرة لا يدرون فيها شيئاً ، ولا يوجد فيه من الانسجام ما ينسجم به بعضهم مع بعض ، وما ينسجم به جميعهم مع الناس جميعاً .

عبد المتعال الصعيدى

حكم فى القضية ٣٠٣ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤٢ ضد الخواجه كوسته دلاس صاحب فرن بدسوق بتغريمه ٥ جنيه والنشر والتعليق والغلق ثلاثة أيام على مصاريفه وذلك لبيعه خبزاً بسعر أكثر من المحدد بالتسعيرة .

أزاهير على قبر « وزير »

مـــــوت الأديب !

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

[ليس التحديق فى لوح القدر
بأسهل من التحديق فى الشمس]
هنرى باربوس

توفى منذ عهد قريب الأستاذ عبد المسيح وزير الذى لا يجهله قراء « الرسالة » الأفاضل ، والذى كان فى ربع القرن الأخير يوالى عمله بشكل متواصل لتغذية اللغة العربية بدم جديد ، فأنشأ فى خلال هذه المدة من عمله مفردات خاصة ، وسبك تعبيرات ذات أثر فعال فى الناحية العسكرية والفنية والأدبية فى هذا الدور المهم من تاريخ تطور اللغة العربية الحديث ، كما أضاف ثروة لا تفنى إلى المفردات التى تصاغ الآن فى الحياة اليومية ، وجلا عن فن الترجمة وأظهره بأحسن مظهر

مات هذا الرجل فى بغداد ، فكأنه ورقة سقطت فى خريف ! سكتة قلبية ! أو ضنى أورثه طول الكد وقلة الراحة ! أو غير ذلك مما يعتور حياة الأديب فى بلاد الرافدين !

فماذا ترك وراءه ؟

لقد ترك أهله ومعهم لا شىء !

وما أكثر أن يخلف الإنسان لا شىء !

***

ليست حياة الأديب فى العراق ولا فى غيره من البلاد العربية التى لا تفضله كثيراً فى هذا المضمار بمجهولة السيرة . فإن أبخس ما يمكن أن يلقاه رجل الفكر والأدب فى حياته هو ما يكابده رجال الأدب فى بلاد الرافدين

هذه حقيقة واضحة تذكر فى كل مناسبة ، وأخص المناسبات لها بالذكر موت أديب !

والعجب فى حياة العزبة التى يحياها الأديب فى العراق أنها تتكرر فى الأفراد بهذا الشكل من جهة وتؤكدها من الجهة الأخرى معاملة الجمهور لأولئك الأفراد فى حياتهم وبعد موتهم

فقد عاش المرحوم عبد المحسن الكاظمى الذى كان أعجوبة دهره فى السليقة الشعرية فى مصر ، منكور الحق مهملا من العراق والعراقيين ، حتى مات ، فعرف عندئذ حقه المهضوم وأقيمت الحفلات التأبينية على روحه الكريمة ولذكراه التى لم يأبه لها أحد فى حياته !

فهل هو « الموت » الذى يقيم لهؤلاء الأدباء شأنهم ؟ وهل هو « جواز السفر » لتقدير أدبهم ؟

ليس الموت وحده فيما نظن هو الذى يسبغ على الأدباء قدسيته ، بل هو غرض الأحياء من « المنتفعين » فى أن ينتفعوا — بعد — من موت الأموات !

فقد مات « الزهاوى » الشاعر الذى تعدت شهرته حدود العراق والعالم العربى إلى أوربا ونسى بعد موته مباشرة

ومات « محمود أحمد » القصاص الأديب ، فلم يذكره أحد

ومات « خلف شوقى الداوودى » فلم يشعر به أحد !

وسيموت غير هؤلاء كما مات عبد المسيح وزير على حين فجأة ، فلا تقوم فى أنفس الناس عليهم سوى بعض ما يتكرم به المتكرمون ويكون أبعدهم فى الكرم من يقول : رحمة الله عليه !

***

هذا الرصافى : وهو الشاعر الذى كانت البلاد العربية بأجمعها تردد أناشيده وأغاريده فى وقت من الأوقات :

ما هى حياته الآن وما محصولها ؟

إنه يعيش كما يعيش النبات ، ولا يجد من يذكره ، ولعله يعد أيامه عداً !

وهذا « الصافى » أمثولة البؤس الحى ، تنطق أشعاره به ، ولعله هو الآخر يحسب ما بقى من أيام حياته

هل يعجز العراق كله بأن يمد فى حياة هذين الأديبين — مثلاً — وأن يساعدهما على مد اللغة العربية ببعض الروائع ؟

جامع احمد بن طولون

للأستاذ أحمد رمزى بك

قنصل مصر فى سوريا ولبنان

[تتمة]

سبب ذلك الفتنة التى قامت بمصر ، وانتهت بمقتل الملك الأشرف ، خليل بن المنصور قلاوون ، فقد بدأت تلك المؤامرة فى جبال كسروان ، حينما عاد منها الأمير بيدا منصوراً أتابك العساكر المصرية ، والتقى بالسلطان فى دمشق فأكرمه ، ثم تغير عليه فأسمعه القارص من الكلام فعقد النية مع بعض القواد على الفتك به ولم تسنح الفرصة إلا فى إقليم البحيرة ، عند عودة السلطان من الأسكندرية وقت انفراده بالصيد ، وقد ترتب على وفاة الأشرف المناداة بأخيه الناصر محمد فى العاشرة من عمره فقبض على بيدا ، وعلى من يميل إليه . واتجهت الشكوك إلى حسام الدين لاجين ، من أمراء الألوف وقواد الدولة ، فلجأ هذا إلى المنارة الحلزونية ، وأعطى الله عهداً - إن سلم من هذه المحنة ومكنه فى الأرض أن يجدد عمارة الجامع - وقد استجاب الله دعاءه ، فأناب الأمير علم الدين الداودارى ، وجعل إليه شراء الأوقاف التى على الجامع الطولونى ، وصرف إليه كل ما يحتاج إليه فى العمارة وأكد عليه ألا يسخر فاعلاً أو صانعاً ، وألا يقيم مستحثاً للصناع ، ولا يشترى لعمارته شيئاً مما يحتاج إليه من سائر الأصناف ، إلا بالقيمة التامة ، وأن يكون ما ينفق على ذلك من ماله وأشهد عليه بوكالته

وقد أقام عمارة بالجامع وبالمحراب وبالقبة وبلطه وبيضه ، وخلد ذلك فى لوحة مكتوب عليها :

« أمر بتجديد هذا الجامع مولانا السلطان المنصور حسام الدنيا والدين لاجين »

ورتب فيه دروساً للفقه ودرساً للحديث ، ودرساً للطب ، وقرر للخطيب مرتباً وجعل له إماما ، ومؤذنين وفراشين وخدما ، وبلغت النفقة على العمارة عشرين ألف دينار

وفى المقريزى والسيوطى وابن إياس ما يدل على بقاء الأوقاف جارية والدروس وأسماء من تولى النظر عليه حتى نهاية الدولة المصرية ، وفى خطط على باشا مبارك ما يدل على ذلك فى أوائل العهد العثمانى .

ولقد استعمل المسجد آناً كملجأ للمغاربة ، وأخرى كمخزن

كلا ! على التحقيق

ولكنه يفضل أن يموت كلاهما لكي يقول عنه : رحمة الله ! لقد كان أديباً فذاً !

***

لا يملك الأديب أن يكتب فى رثاء « وزير » دون أن يكون فى طبيعة هذا الرثاء شىء من رثاء نفسه ، فالواقع أنه - كان - أمثولة حية للأديب العراقى فى بلاد الرافدين !

فقد كان موظفاً أفنى فى وظيفته ربع قرن بدون أن يحصل على أجازة يوم واحد ، ومات بعد كل ذلك فقيراً !

وحاول أن يقوم بأعظم خدمة يستطيع أن يقوم بها فرد نحو أمته ولغته ، وتجاهل جميع الصعوبات ، وانكب على تهيئة أعظم قاموس إنكليزى - عربى ، ولكن الصعوبات لم تتجاهله . بل انكبت عليه بأجمعها حتى اضطر أن يبيع ملازم الجزء الأول من قاموسه العظيم إلى باعة الجبن !

وكم كان يكسب لو أنه انصرف فى حياته إلى شىء غير الأدب فى هذا البلد ؟ وكم كان يسعد هو وأهله لو أنه وضع نصب عينيه - مثلاً - أن يقتنى سيارة لورى بدلاً من أن يكون الأول فى دراسة نظرية النسبية لأينشتين ؟

لقد كان « وزير » رمزاً حياً - حتى بعد وفاته ، للأديب العراقى فى كل صفاته المثلى

طاب ثراه ، وطابت ذكراه

(بغداد) عبد الوهاب الأمين

لحفظ القمح ، وفى عهد الملك السعيد أقام المأتم بمناسبة مرور السنة الأولى على وفاة والده الشهيد الملك الظاهر ، فكان جامع ابن طولون من المساجد التى اجتمع فيها الناس للعزاء آلافا .

ولو شئنا أن نعود إلى ما ذكرنا من كتب التاريخ رأينا أنه صلى فى هذا المسجد على بعض من مات من خلفاء العباسيين بالقاهرة الذين لا تزال قبورهم محفوظة بجوار السيدة نفيسة ، وكان آخرهم المتوكل على الله يعقوب الذى توفى فى آخر عهد السلطان الغورى .

ثم بدأ عهد تدهور للمسجد حتى وصل إلى درجة خيف من سقوط سقفه ، وجار الناس على أطرافه حتى أصبحت المنازل تطل عليه ، وأخيراً توجهت إرادة المغفور له ملك مصر فؤاد الأول لإقامة الشعائر الدينية فى الجامع ، فصلى فيه صلاة الجماعة يوم الجمعة ٢٢ رجب سنة ١٣٣٦

ثم صدر النطق الكريم بوضع برنامج لإصلاح الجامع وتبليط الأروقة وتجديد البوائك التى اندثرت ، وإصلاح الطاقات ، ثم أعقب ذلك نزع ملكية المبانى التى شغلت جزءاً من الأروقة المحيطة به حتى يصبح المسجد خالياً من جهاته الأربع فى وسط ميدان عرضه من كل جهة عشرون متراً غير الميادين التى ستفتح أمام أبوابه

وفى سنة ١٩٢٦ فتحت الحكومة اعتماداً قدره ٤٥ ألف جنيه مصرى ، ثم أعقبها بأخرى ؛ فكان ما صرف على إعادة المسجد مبلغ ٩٠ ألف جنيه مصرى

والآن وقد تمت هذه الإصلاحات للجامع الطولونى ، فقد ظهر أهم الآثار العربية بالديار المصرية وأقدمها بعماله الحقة وأعيدت إليه الشعائر الدينية ، أدعو كل من قرأ هذه الكلمة إلى زيارته كلما توجه إلى مصر ، فهو أثر خالد لا تشبع العيون من رؤيته ، وفى العام الماضى فى أوائل المحرم ، وقد خرجت من المسجد بعد صلاة الجمعة ، وتقدمت من الخطيب . قلت : ألا تذكر صاحب الصرح العظيم بكلمة . قال : إن شاء الله سأجعل فى كلامى كل يوم جمعة رحمة ، أسأل الله أن تنزل على الأمير العظيم فى مرقده .

وإنى لأختم كلمتى بترديد شعر المعتمد العباسى يرثى صاحب المسجد :

إلى الله أشكو أسى عرانى كوقع الأسل
على رجل أروع يرى فيه فضل الرجل
شهاب خبا وقده وعارض غيث أفل
شكت دولتى فقده وقد كان زين الدول

وذكر ابن خلكان : « وزرت قبره فى تربة عتيقة من الباب المجاور للقلعة على الطريق المتوجه إلى القرافة الصغرى بالقطم » .

***

عسى أن توفق مصر للعثور على قبر أول عاهل استقل بها فى عهدها العربى .

أحمد رمزى

كل شيء قد خبا

للدكتور ابراهيم ناجى

ما ذا انتظارى ! كل شيء قد خبا
لم يبق لى فى الليل ما أتلمس
قدستُ حبك مُسْعَدًا ومعذبا
والآن جرحك فى الجراح مقدس !

حالت معالم حبنا وتنكرت
من ذا الذى يا قلب لم يتغير
نادى الرحيلُ فما استطعت وسمّرتْ
قدمى المقادر فى المكان المقفر . . .

قدمى تشبث بالبقاء وناظرى
فيما كتبتُ على أديم رمال
ما كان يجرى قبل ذا فى خاطرى
أنى خيالٌ عالقٌ بخيال

ذُبح النهار ففى السماء موسدٌ
بسطت عليه الغاشيات ظلالها
طويت يد الراحات وامتدت يدٌ
حمراء تنشر فى الغروب نصالها

سفك الخريف دماءه فمنهم
حُمرٌ وأخرى فى الرياض أراقها
وكأنما الورق الشريد حمائم
هتك الذى صبغ السما أطواقها

يرنو له قلبى فيدمى ليتنى
لما استعان على هداكِ أعنته
الذنب ذنبى لا أمارى إننى
مالت علىّ رحى الهوى فطحنته

تحية ضائعة

للأستاذ صالح جودت

خمسةُ أعوام وقلبي حزينْ ... يحن للوكر الذى تعرفينْ
تخطر بى رُوحُكِ فيه كما ... تخطر رُوحُ الله بالطائفينْ
وكلما أقبلتُ ألفيتُنى ... أعود للماضى فأنسى السنين
كأننا بالأمس كنا هنا ... ما بيننا والأمس غير اليقين
تسلل اليأسُ لخدر المنى ... فخانها الوهم شقى الجنين
فكل شيء ها هنا قائم ... كأنما كنتِ هنا منذ حين
وكل شيء عدمٌ ها هنا ... إن لم تكونى أنتِ فى الحاضرين
يا ليت شيئاً ها هنا لم يكن ... إلاكِ يا فرحة قلبى الحزين

***

فى ذلك الوكر وفى ظله ... يهيج بى الشوق ويصحو الحنين
أشم فيه عطرك المفتدى ... مستلقياً فوق وسادٍ أمين
وتلك مرآةٌ لها قصة ... لو قالها الزئبقُ تستغربين
خلفت فى بلورها صورةً ... من المِثال القُدُسى المبين
تنكرها الأبصار إلا أنا ... تحسبها عيناى فى الخالدين
وهذه زهرية طالما ... نَدَّيتِها أمس بعطف اليمين
ثار لهيب الورد من شوقها ... فاحترقتْ فيه مُنَى الياسمين
وها هنا كأسان نجواهما ... تحيةٌ فى حُلُم الشاربين
كأننى منكِ على موعد ... أناشد الغيبَ متى تحضرين
واسأل الباب أما طارقٌ ... وأنظر الساعة فى كل حين
فترسل الأحلامُ همس المنى ... وترسل اليقظة همس الأنين
كأننى فى قبر أحلامنا ... وكل شيء فيه حى دفين
يمشى إله الحب فى ركنه ... مهدم الروح شقى الجبين

أغنية الرياح الأربع

أخرج شاعر اللذة والجمال الأستاذ على محمود طه روايته المصرية الشعرية « أغنية الرياح الأربع » فى ثلاثة فصول تتسم بسمات الفن الرفيع الذى عرفه القراء فى كل ما صدر عن هـذا الشاعر المبدع . وقعت حوادث هذه الرواية منذ أربعة آلاف عام على شواطىء البحر الأبيض من السواحل الفينيقية إلى السواحل المصرية . ولهذه المسرحية الباسقة الفروع الدانية القطوف نواة من أصل تاريخى عثر عليه الأثرى الكبير الأب « دريتون » عام ١٩٤٢ ، فنقله من اللغة المصرية إلى اللغة الفرنسية ؛ ثم نشره فى كتيب صغير قدم له بكلمة شارحة نقتطف منها ما يأتى :

« أغنية الرياح الأربع تقوم على الحوار ، فبعد أربع مقطوعات تغنى كلاً منها فتاة ، يدخل رجل فيحييهن ويشرع فى خطفهن ليستولى على الرياح الممثلة فيهن ، فيغريهن بإثارة الفضول فى نفوسهن ، وذلك بأن يعرض عليهن زيارة سفينته (وتلك كانت خطة البحارة الفينيقيين فى عهد هذه الأغنية يلجأون إليها عند ما يريدون اقتناص الجوارى من بلاد البحر الأبيض) ، ولما قوبل طلبه بالرفض ، لم يستسلم للهزيمة كما هو واضح من المقطوعة الأخيرة فى الأغنية « إن وسائلى لا تنفد » ، ولـكن لسوء الحظ لم نعثر على تكملة الأغنية والوسائل التى لجأ إليهـا الرجل ، وأكبر الظن أنها ممـا يثير الشراهة (Gourmandise) التى تكشف مواطن الضعف فى النساء .

ويبدو من قراءة هذه الأغنية أنها لم تصـل إلينا كاملة ، بل امتدت إليها يد التغيير ، تشهد بذلك مقطوعتها الثالثة التى تتغنى بريح الشرق فإنها تزيد على المقطوعات الأخرى ، وربمـا تعمد ذلك الذى قام بجمع أجزائها حتى تبدو هينة سهلة .

ومهما يكن من أمر هذا الحذف فإن هذه الأغنية قد وسعت من آفاق معارفنا عن أقدم نصوص الأدب المصرى وأضافت إلى معلوماتنا شيئاً جديداً جديراً بالتقدير .

ولسنا مغالين إذ نقول إنها أثبتت وجود شعر غنائى ملىء بالخيال والعذوبة فى مثل هذا العهد البعيد » .

ونص أغانى الرياح كما عثر عليه الأب دريتون :

تقول الفتيات إنهن أعطين هذه الرياح
فهذه ريح الشمال التى تطوّق بحر إيجه
والتى تمد ذراعيها فتبلغ أطراف مصر
والتى تخلد إلى النوم بعد أن تترك في نفس الصديق البهجة
التى يأنس إليها[1] كل يوم
إنها ريح الحياة أعطيتُها وبها أحيا
تقول الفتيات : « لقد أعطينا هذه الرياح »
وهذه ريح الشرق التى تفتّح طاقات السماء[2]
والتى تهب الشرق أنفاسه
والتى تهب مع الشروق وتصحب الشمس إلى صحوتها[3]
أمسكت الشمس بيدى
وهيأت لى فى ساحتها مكاناً[4]
حيث أقبل على الطعام بشغف كما يقبل أبيس
والتهمه فى نهم كما يفعل « سيت » (٥)
إن ريح الشرق هي ريح الحياة أعطيتها وبها أحيا
تقول الفتيات : « لقد أعطينا هذه الرياح »
وهذه ريح الغرب شقيقة « ها » وسليلة « ياو » (٦)
والتى جعلت من جسد الآلهة موطناً لها تعيش فيه

---

(١) يعنى أن ريح الشمال تهب عند غروب الشمس من كل يوم وتستمر حتى وقت متأخر من الليل فتلطف حدة الحرارة فى أشد أيام الصيف

(٢) هى الطاقات التى تدفقت منها المياه إلى الأرض فى عهد طوفان نوح ولم يأت ذكرها عند قدماء المصريين إلا فى أقدم نصوص الأهرام .

(٣) تقطع الشمس رحلتها فى السماء من الشرق إلى الغرب ، فريح الشرق إذن هى أكثر الرياح ملاءمة لها

(٤) تقول أساطير القدماء إن الشمس Ré تملك فى السماء قصراً وساحة

(٥) المعروف أن « أبيس » كانت له فى الطعام شهية قوية ، وأن « سيت » كان جشعا يأكل بشراهة

(٦) ها Ha آلهة ليبية تسيطر على الصحراء الغربية ، أما Javou ، فآلهة غير معروفة



عبد المسيح وزير

قراء (الرسالة) يذكرون القصة العذرية المنقولة عن اللغة الكردية بقلم الأستاذ عبد المسيح وزير، والذين زاروا بغداد يذكرون أنهم رأوا فى هذا الرجل حلاوة الدعابة، ولطف الذوق وكرم النفس، فمن العزيز علىّ أن أتلقى من أحد أدباء كربلاء خطاباً أعرف به أنه مات، وأن الجرائد العراقية لم توفه حقه من الرثاء، وهو يدعونى إلى نعيه بمجلة الرسالة، رعاية لحقوق الأخوة الأدبية بين مصر والعراق

كنت أتمنى أن أسمع عن الأستاذ عبد المسيح وزير خبراً غير هذا الخبر الأليم، فقد كان من أعزّ أصدقائى، ولعله كان لجميع من عرفوه خير صاحب وأعزّ صديق

كان عبد المسيح وزير تحفة أدبية، وكانت نفسه على جانب من الصفاء، ولهذا اهتمّ اهتماماً عظيماً بآثار طاغور، فأوحى إلى مريديه معنى الإعجاب بشاعر الهند، كما تشهد المجموعة التى نشرها الأستاذ فخرى شهاب السعيدى، وهى أوفى ما نقل من آثار طاغور إلى اللغة العربية

وقد اشترك عبد المسيح وزير فى نقل مصطلحات الجيش فى اللغة التركية إلى اللغة العربية، كما حدثنى يوم شهدنا مباراة الطيران فى بغداد

من العزيز علىّ أن أفجع بموت صاحب لم أجد منه غير الجميل ولم تكن اللحظات التى قضيتها فى صحبته غير أقباس من الصفاء

وأنا بعد هذا أستبعد سكوت الجرائد العراقية عن رثائه، كما جاء فى خطاب الوارد من كربلاء، فمن المؤكد أن محنة الجرائد بغلاء الورق وضيق الصفحات هى المسئولة عن هذا العقوق

أما بعد، فهذه كلمة وجيزة نؤدى بها واجب التوديع لأديب عرفناه فأحببناه، وستلوح فرصة ثانية نتحدث فيها عنه بإسهاب ... وسلامٌ عليه، وعلى روحه اللطيف.

زكى مبارك

حول بيت لعلم الدين الجيوى

فى مقال الأستاذ الكبير الدكتور زكى مبارك عن الشاعر التركى «أيدمر المحيوى»، ورد هذا البيت:

قبل أن تكون فى هذا الوادى مملكتان مختلفتان[1]

إنها ريح الحياة أعطيتها وبها أحيا

تقول الفتيات: «لقد أعطينا هذه الرياح»، وهذه ريح الجنوب، ريح زنجية تسوق الماء الذى يبعث الحياة فى كل شىء

إنها ريح الحياة أعطيتها وبها أحيا

الفنان: تحية لكُنّ يا رياح السماء! ألا تحدثننى عن أسمائكن واسم من وهب هذه الأسماء! هل لى أن أعرف من منحكن هذا السلطان!

إحدى الرياح: لقد وجدنا قبل مولد الناس، بل قبل وجود الآلهة، وقبل أن يقع طير فى شرك، أو يوثق ثور فى حبل، وقبل أن يتعرض جسد «هاتريت» بنت الآلهة للقسم والعناق، وقبل أن تُشبَع رغبة الإله الأزلى سيد السموات والأرض. لقد طلبتها إلى آلهة الريح فأجابتنى ومنحتنى إياها.

الفنان: تعالى معى أُرِكِ سفينتى، هلاّ نزلت

إحدى الرياح: لا، إن لى سفينة أروح بها إلى الثغر؛ وعنده أتزود بسفينة طولها ألف ذراع، فأصعد بها إلى دارة الشمس

الفنان: إن وسائلى لا تنفد

* * *

هذه هى النواة أو جزؤها الذى استنبتته قريحة الفنان على طه، فجاء كما شاء أيكة فينانة باسقة. وقد تخيل الشاعر وسائل القرصان لإغراء الفتيات، فصورها تصويراً نفسياً عجيباً، لم ينجهن منها إلا ذكاء (حروازا) وعناد (باتوزيس). والرواية بأصلها القديم وفروعها الحديثة من مآثر الأدب المصرى ومفاخر على طه.

---

(١) يشير إلى تقسيم مصر بين «هورس» و «سيت»، وبعبارة أخرى يعنى أن الواقعة حدثت وقت بدء الدنيا.

والغصن مياس القوام كأنه نشوان يصبح بالنعيم ويُغبق

وقد نص الدكتور على أن «النعيم» هنا هو الخمر. قال: وهي كلمة قليلة الورود في الخمريات، ولكنها لا تعظم على من ينافس أبا نواس

وأقول إنه يبدو لي أن تصحيفاً طرأ على هذه الكلمة، وصحتها (النسيم) لا النعيم، فيكون البيت:

والغصن مياس القوام كأنه نشوان يُصبح بالنسيم ويُغبق

ومعناه أن الغصن يتمايل كالنشوان، ولكنه لم ينتش من اصطباحه واغتباقه بالخمر، كما يفعل النشاوى من الناس، وإنما هو مصطبح مغتبق بالنسيم الذي يغاديه ويراوحه

فنائب الفاعل ليُصبحَ ويغبق هنا هو (الغصن) لا (نشوان) وتلك زيادة في المعنى لا نحسبها قد فاتت الشاعر. ونحن نرفض كلمة (النعيم) هنا، لأنها تحرمنا من هذا المعنى الذي ذكرناه، ثم لأننا لم نسمع بأن النعيم من أسماء الخمر، وأخوف ما نخافه أن يستطرد شعراؤنا فيلقبوها بالسعادة أيضاً، وبالهناء والسرور ...

وقد رجعت إلى (حلبة الكميت) لشمس الدين النواجي، فوجدته يورد البيت بلفظ النعيم لا النسيم؛ وكذلك فعل البهاء الدمشقي صاحب (مطالع البدور). والتصحيفات — كما قلت مرة — هي آفة الآفات في مطبوعاتنا ومخطوطاتنا. وإنها لكثيرة — وسخيفة أحياناً — إلى الحد الذي تستوجب معه الإهمال وترك التصحيح، ولكني أردت بهذه الكلمة أن أستطلع أستاذنا الجليل زكي مبارك، ولعله يقتنع برأيي فأكون سعيداً.

هذا وقد راقني حديثه الموجز عن الروضة والمقياس ومكانتهما من نفوس الشعراء في أزمانهما. وأنا مثبتٌ هنا تأييداً لرأيه ما قاله بعض الشعراء (المجهولين) في المقياس:

إن مصرا لأطيب الأرض عندي ليس في حسنها البديع قياسُ

ولئن قستها بأرض سواها كان بيني وبينك (المقياس)

(جرجا) محمود عزت عرفة

ختان الأنثى في الإسلام

نفى دكتورنا الفاضل «أسامة» في بحثه «ختان البنات في مصر» بالعدد ٥٤٤ من الرسالة الغراء وجود أصل لختان الأنثى في الإسلام معتمداً في نفيه على: خلو بلاد إسلامية كالحجاز والعراق والشام وغيرها منه، واستئثار مصر وحدها به — لا ينفك عنه مسلموها وأقباطها على السواء — ويرجح لهذا، تقدم الأقباط في العمل به، وانتقاله إلى المسلمين بالوراثة.

أما صلته بالإسلام فقد نص الأئمة في أحكامهم المستنبطة من السنة، على الختان في حق الأنثى: فقال الشافعي وكثير من العلماء إنه واجب، وقال مالك وأبو حنيفة إنه سنة. ومأخذ هذه الأحكام أحاديث كثيرة منها «الختان سنة للرجال مكرمة للنساء». ومنها: «يانساء الأنصار اختضبن غمساً واختفضن — من الخفض وهو ختان المرأة. ولا تنهكن — أي لا تبالغن — وإياكن وكفران النعمة».

دسوقي ابراهيم

تاريخ الأخلاق

[تأليف محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين — الطبعة الثانية ٣١٧ صفحة]

الأستاذ محمد يوسف موسى عالم فاضل جمع بين الثقافتين، ثقافة الأزهر القديمة، وثقافة الغرب الحديثة، ويسرت له معرفته باللغة الفرنسية الاطلاع على المراجع الأجنبية في أصولها. وهو إلى جانب ذلك يبغي الحق لذاته شأن طلاب الحكمة. قلت له: قد لا يروقك ما أكتب، قال: إني لا أخشى النقد. ولعمري هذه هي روح العلماء، من الاعتراف بالخطأ، والسعي إلى الصواب. وإنما الكمال لله وحده

وكتاب «تاريخ الأخلاق» هو الأول من نوعه في اللغة العربية، ويعتبر بذلك سداً لفراغ عظيم في تاريخ الفلسفة على اعتبار أن الأخلاق فرع من فروعها

وفي الكتاب دراستان: إحداهما منقولة، والأخرى أصيلة: أُخذت المنقولة عن المصادر الأجنبية وذلك فيما يختص بالأخلاق عند أمم الشرق القديم وعند اليونان وعند الأوربيين بعد عصر النهضة. والجزء الأصيل هو الخاص بالأخلاق الإسلامية. وهذا فضل للمؤلف غير منكور، وجهد مشكور

ولا أحب أن أعرض للأجزاء المنقولة بشيء، لأن نقدها يعتبر نقداً للمراجع الأولى التي استقى منها المؤلف، ولكني أقول من حيث الشكل إنه عرض للمسائل عرضاً سريعاً لا يشبع

النهم ، وعذره فى هذا هو طول الموضوع وضيق الورق . وما بالك بكتاب يريد أن يحيط بتأريخ الأخلاق من يوم أن ظهرت الحكمة الإنسانية حتى الآن ، فى بضع مئات من الصفحات

ونقف قليلاً عند الجزء الأصيل ، وهو تأريخ الأخلاق عند المسلمين . قال المؤلف فى مستهل الكلام عن الأخلاق فى الإسلام ص ١٥٩ : (إن الضمير ، وإليه المرجع فى بيان الخير والشر ، فطرى فى جرثومته وأصله ...) . وهذه القضية ، وأعنى بها فطرة الضمير ، موضع خلاف بين العلماء والفلاسفة ، ولم يكن ينبغى أن يقطع فيها المؤلف برأى كما يقتضى التحقيق العلمى الصحيح

وتقسيم الأخلاق الإسلامية غير واضح ، فهو يضع فى القسم الأول الذين سادت كتاباتهم النزعة الدينية والأخلاق العملية كما فعل الماوردى فى أدب الدنيا والدين . وفى القسم الثانى الذين سادتهم النزعة الدينية والصوفية مشوبة بالنظر الفلسفى كالغزالى . وفى القسم الثالث الأخلاق الفلسفية كما نجدها عند الكندى والفارابى وغيرهما . والتقسيم على هذا النحو يعتبر غير جامع ولا مانع كما يقول المناطقة

ويرى المؤلف أن القرآن والحديث لا يكونان مذهباً أخلاقياً وفى ذلك يقول : « إلا أنه حذار من المبالغة والقول بأن ما فى القرآن والحديث من أخلاق يكون مذهباً أخلاقياً ، فإن هـذا لا يعدو ، كما نعرف جميعاً ، طائفة لها قيمتها من المواعظ والحكم تدل على الخير ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . أما أنا فأعرف أن فى القرآن فلسفة وأخلاقا وتشريعاً وقصصاً كأغلب الكتب السماوية . والجانب الخلقى فى القرآن عملى يصف ألوان السلوك الواجب اتباعها ، على أن هذا السلوك العملى يستمد كيانه من قواعد نظرية نستطيع استخلاصها . والمجال لا يتسع لبسط هذه النظريات ، وأكتفى بضرب مثل بإحداها وهى نظرية أن الفضيلة وسط بين طرفين ، فهى سائدة فى أغلب السور مثال ذلك : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط »

والأخلاق عند إخوان الصفا كسبية لا فطرية ، لا كما ذكر المؤلف من أن منها « ضرب جبلى وآخر كسبى » ص ١٨٠ .

وفى ذلك يقول إخوان الصفا ج ١ ص ٢٣٦ « والمثال فى ذلك أن كثيراً من الصبيان إذا نشأوا مع الشجعان والفرسان وأصحاب السلاح وتربوا معهم تطبعوا بأخلاقهم وصاروا مثلهم . وعلى هذا القياس يجرى حكم سائر الأخلاق والسجايا التى ينطبع عليها الصبيان منذ الصغر » والسبب فى اعتناق إخوان الصفا مذهب الكسب فى الأخلاق ، لأنه يخدمهم فى نشر عقيدتهم التى يريدون تغليبها فى الأمصار . ولو قالوا بالفطرة ما كانت هناك جدوى من نشر مذهب جديد

والغريب أن المؤلف أخرج الغزالى من زمرة المتصوفة حيث قال ص ١٩٧ : ولسنا فى حاجة لنقول أن الغزالى أصاب الحق بمجانبته للمتصوفة وموافقته للنظار والفلاسفة . ونقول إن الغزالى يقصد بالنظار أولئك الذين يسلكون طريق التصوف عن نظر لا عن تقليد أعمى

هذه النقدات لا تنقص من قيمة مجهود موفق جليل ، نرجو أن يتابعه بمؤلفات أخرى فى القريب .

الدكتور

أحمد فؤاد الأهوانى

حفلة شائقة

تقيم استديوهات لاما حفلة شائقة تدعو إليها الصحافة والفن والأدب ، وذلك لمناسبة مرور العام السابع عشر على إنشائها

وستعرض لهذه المناسبة فيلمها الفنانى الجديد « يسقط الحب » ؛ وقد أخرجه المخرج المعروف الأستاذ إبراهيم لاما وتمثيل إبراهيم حمودة ، ومديحة يسرى ، وليلى فوزى ، وكتب له الأغانى الأستاذ السيد زيادة ، وقام بتلحينها : الأساتذة محمد القصبجى ، ورياض السنباطى ، وفريد غصن .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

11me Année No. 547

Lundi - 27 - 12 - 1943

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٥٤٧ «القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهــــرس

صفحة

١٠٢١ كتب السياحة ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

١٠٢٤ ديوان أيدمر المحيوى ... : الدكتور زكي مبارك ... ...

١٠٢٧ الأدب العربي واللغة العربية في كتاب « زهرة العمر » } الأستاذ دريني خشبة . . ...

١٠٣١ كتب وشخصيات .. . : الأستاذ سيد قطب ... ...

١٠٣٣ حسن حسني الطوبراني .. : الأستاذ محمد عبد الغني حسن

١٠٣٦ بين الدين والعلم في ختان الأنثى . . .. } الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

١٠٣٦ الابهام والغموض في التصوف ... ... } الأستاذ كامل يوسف . .

١٠٣٧ جاعة النهضة العلمية ... : الأديب زكريا إبراهيم ..

١٠٣٨ فهرس الموضوعات لسنة الحادية عشرة من الرسالة } ... ...

كتب السياحة

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب السياحة كانت توفيقاً ونجاحاً يوم كانت السياحة نادرة عسيرة

بل هي كانت يومئذ أكثر من توفيق ونجاح : كانت واجباً إنسانياً أو « فرض كفاية » يقوم به قليل من الناس عن جميع الناس

فقد كان الانتقال من قطر إلى قطر عملاً مقصوراً على التجار أو القاتلين ، وربما ساهم فيه من حين إلى حين شاعر يقصد ممدوحاً وتلميذ يحج في طلب أستاذ . وكل هؤلاء يعنيهم ماطلبوه وتعمدوه، وقلما يعنون بالمشاهدة أو بتسجيل مايشاهدون

إنما كان يعنى بالمشاهدة والتسجيل أفراد معدودون في كل جيل ، يخرجون في مسوح الزهاد أو حباً للرحلة بين أرجاء البلاد ، ويعمد واحد منهم في كل جيلين أو ثلاثة أجيال إلى تسجيل ما رآه ووصف الأقوام التي عاشرها والأقاليم التي عاش فيها ، فيؤدى « فرض الكفاية » الذى أشرنا إليه ، ويدل الأمم على الأمم والمصور على المعمور

وكان هذا العمل لازماً في زمانه ، ولا يزال كذلك لازماً لنا في هذا الزمان

ففي زمانه كان كل قطر غريباً عن كل قطر غيره وإن قاربه مقاربة الجوار ، فالسائح على ثقة من حمل الغرائب التي تشوق وتروق ، وهي كذلك تعلم وتفيد

وفي زماننا هذا نقرأ الرحلات لنعرف بلادنا كما نقرأها لنعرف البلاد الأخرى ، فالقاهرة في القرن الرابع عشر غريبة عن أبناء مصر الحديثة كغرابة الصين في زمانها أو في هذا الزمان ، ونحن نود أن نسمع عنها كما نود أن نسمع عن توكيو وبكين وستالنجراد ، لأنها خبر شائق وعلم مفيد

وقد نحيط بعادات الأمم الحالية فنصحح بعض الغرور الذي يركب أبناء العصر الحاضر فيخيل إليهم أنهم هم السابقون إلى كل طرافة وأن المتقدمين في باب الطرائف هم اللاحقون

نحن اليوم نغرق في العملة الورقية ونعلم ما نعلم عن سبائك الذهب والفضة في المصارف والخزانات الدونية ، فيسبق إلى وهمنا أنها حال طريفة وأنها عرض من أعراض الحروب في الآونة الحاضرة ، ولكننا نفتح ابن بطوطة فنراه يقول عن أهل الصين في القرن الرابع عشر للميلاد : « وأهل الصين لا يتبايعون بدينار ولا بدرهم ، وجميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعاً كما ذكرناه ، وإنما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد : كل قطعة منها قدر الكف مطبوعة بطابع السلطان ، وتسمى الخمس والعشرون قطعة منها بالشت وهو بمعنى الدينار عندنا ، وإذا تمزقت تلك الكواغد في يد إنسان حملها إلى دار كدار السكة عندنا ، فأخذ عوضها جدداً ورفع تلك ، ولا يعطي على ذلك أجرة ولا سواها ، لأن الذين يتولون عملها لهم الأرزاق الجارية من قبل السلطان ، وقد وكل بتلك الدار أمير من كبار الأمراء ... »

فقد كان أهل الصين إذن « عصريين » في ناحية من النواحي يوم كان المصريون في ظلمات القرون الوسطى ، يجهلون أنفسهم كما يجهلون أهل الصين !

ونحن اليوم نحسب أننا قد أحطنا بالقاهرة خبراً ، وذرعنا أحياءها شبراً شبراً ، وجعلناها امتحاناً للربتي الذي يضل فيها ، ويخطئ الطريق إلى معالمها وضواحيها ، فإذا نحن غرباء في القاهرة نسوح بين بقاياها التاريخية كما نسوح بين بقايا المدن التي لم نطأها بأقدامنا ، لأن ابن بطوطة يرينا قاهرة أخرى ، وإن شابهت قاهرتنا هذه بعض المشابهة ، حين يقول في بعض أوصافها : « ... ويقال إن بمصر من السقائين على الجمال اثني عشر ألف سقاء ، وإن فيها ثلاثين ألف مكار ، وأن بنيلها من المراكب ستة وثلاثين ألفاً للسلطان والرعية ، تمر صاعدة إلى الصعيد ، ومنحدرة إلى الأسكندرية ودمياط ، بأنواع الخيرات والمرافق ... وأهل مصر ذوو طرب وسرور ولهو : شاهدت بها مرة فرجة بسبب برء الملك الناصر من كسر أصاب يده ، فزين كل أهل سوق سوقهم وعلقوا بحوانيتهم الحلل والحلي وثياب الحرير ، وبقوا على ذلك أياماً ... وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها ، وأما المارستان الذي بين القصرين – عند تربة الملك المنصور قلاوون – فيعجز الواصف عن محاسنه ، وقد أعد فيه من المرافق والأدوية ما لا يحصر ، ويذكر أن مجباه – أي مورده – ألف دينار كل يوم »

فكتب السياحة التي بهذه المثابة تصيب توفيقاً لا ينقضي بانقضاء زمانه ، لأنها تتلقانا بالغرائب من بلادنا ومن بلاد غيرنا ، ولولاها لاحتجبت هذه الغرائب عنا وجهلنا أموراً لا يخلق بنا أن نجهلها

أما السياحة في زماننا هذا فالتوفيق فيها يقل على قدر سهولتها وتيسر أسبابها ، وكأنما تزداد صعوبة الكتابة عن الرحلات كلما تمهدت الرحلات وقلت صعوباتها.

فالأرض اليوم دار واحدة أو وشك أن تصبح داراً واحدة : لا ينقضي اليوم حتى تعم أخباره جميع أنحائها ، ولا تنقضي الأيام المعدودات حتى يشاهد هذا الخبر رأي العين بشخوصه ومواقعه ومشاهد أرضه وسمائه حيثما طابت رؤيته لساكن من سكان البلاد المعمورة . فلا غنى للسائح عن جهد في تمثيل ما يراه على الصورة التي تستغرب أو تشوق أو تنم على طرافة ، ولا سبيل له إلى الإتيان بالجديد إلا أن تتسنى له الوسائل التي لا تتسنى لغيره ، أو المكانة التي تقترن بكلامه ولا تقترن بكلام الآخرين من السائحين .

ألقيت من يدي كتاب دنيا واحدة لمؤلفه السياسي

المشهور مستر وندل ويلكى فلم أتمالك بعد الفراغ منه أن أستحضر هذه الخواطر فى خلدى جملة واحدة

فالرجل لا شك جم الذكاء جم الحصافة جم الدراية

ولا شك أن وسائله إلى الاطلاع على دخائل الدول أوفر من وسائل السائحين من الصحفيين والمتفرجين ، أو أشباه الصحفيين والمتفرجين

ولا شك أنه قد جاء بالمفيد الشائق فيما أحاط به من طريق هذه الوسائل الخاصة بمقامه ومقام دولته فى السياسة العالمية

ولكنه كلما تجاوز هذا وقف حيث يقف غيره بين مآزق السياحة المصرية ، فهو قد يبحث عن الغرائب حيث لا يجدها ، وهو قد يصادف التوفيق مصادفة أو يعدوه التوفيق كما يعدو كل سائح غيره فى بلاد هو غريب عنها

والخطأ فى هذا خطؤه من جانب ، وخطأ من يلقونه ويلقاهم بالأسئلة والأجوبة من جانب آخر

إليك مثلاً كلامه عنا وعن أحاديثه مع بعضنا حيث يقول :

« إن السحر الذى كان لأفكارنا الغربية فى شئون السياسة قد قوبل بالتحدى فى عقول العرب واليهود والإيرانيين ، وقد راقبونا الآن عن كثب زهاء جيل كامل كنا خلاله نختصم فيما بيننا وفيما بين أبناء الأمة الواحدة منا ، ونتساءل فى قيمة الأسس التى قامت عليها عقائدنا »

فهذا كلام رجل مستعد لأن يتلقى وجهة النظر من غيره لو أجابه الذين سألهم عنها ، ولكنه كان يسأل فلا يجاب ، أو كان يسأل فيجاب بالتحفظ والمراوغة كما قال : « حيثما ذهبت لقيت أناساً مؤدبين ولكنهم شكوكيون أو متوجسون يقابلون أسئلتى عن قضاياهم بأسئلة من عندهم عن قضايانا نحن فيها تهكم لا يخفى ، وكثيراً ما كانت مسألة الأجناس وسوء وضعها ببلادنا تبرز إلى الأمام فى أحاديثنا ، كما كان كل عامل فى حكومة يعجب لموقفنا من حكومة فيشى . ويود العرب واليهود معاً لو يعلمون أهذه التصريحات التى نهتف فيها باسم الحرية إنما تعنى كما عنت فى الماضى توسعاً فى الانتداب والوصاية ؟ » ... إلى آخر ما قال من هذا القبيل

وعندى أن الصراحة المطلقة فى جواب رجل يقابل الأمور هذه المقابلة المفتوحة للنقد والاستطلاع قد كان أنفع وأجدى ، وأن المراوغة أو الشكوكية هنا ليست من أمانة الفهم والوطنية وإن عدت من أدب الخطاب ، بين السائل والمسئول

ويشبه هذا قوله بعد ذلك : « لقيت باشوات فى كل استقبال حضرته ، ومنهم كثيرون متزوجون بأجنبيات ، وهم من الوجهة الاجتماعية جذابون مرحون ، ولهذه الطبقة تماثيل تملأ بها الميادين

« ولقب الباشا تراث متخلف من العصور العثمانية ، وكان يخلع من قبل على القادة العسكريين أو حكام الأقاليم الذين أبلوا فى خدمة الدولة ، فأصبح اليوم عنوان تشريف

« ... ولكننى حين سألت مضيفاً لى - وكان شاباً مصرياً صحفياً - عن هذا اللقب هل يخلع على أحد لأنه ألف كتاباً عظيما ؟ أجابنى : يجوز أن يخلع ... لولا أنه فى مصر قل أن يحفل أحد بتأليف الكتب !

« وسألته : أينال الرجل لقب الباشا لأنه يشتغل بتصوير الصور ؟

« فأجابنى : ولم لا ؟ إلا أن الذين يصنعون الصور فى مصر لا يوجدون

« وسألته أيضاً : هل استطاع مخترع عظيم قط أن ينال لقب الباشوية ؟ فكان جوابه مرة أخرى أن ليس لدينا مخترعون ولا علم لى بأحد منهم منذ عهد الفراعنة »

* * *

فالخطأ هنا من جانبين لا من جانب واحد

لأن المستر وندل ويلكى لا يسأل عن الخطأ فى فهم هذه الأمور كما يسأل عنها ذلك الصحفى « المصرى » الذى جرد مصر من التأليف والتصوير والثقافة تجريداً يحق لمن يسمعه من « مصرى » أن يسبقه فى المضمار ، وهو غير متهم النيات

ويلوح لنا أن الرجل كان حسن النية باحثاً عن الحقيقة غير متعنت فى إنكارها ، ولكنه سأل من لا يحسن أن يجيب فكان فى ذلك عذره ، أو كان مشاركاً فى اللوم إذا اتجه إليه ملام

وقد ننصفه حين نقول إنه جمع فى كتابه الصغير أوفر عدد من الحقائق وأقل عدد من الأخطاء . فقال فى مائة وسبعين صفحة صغيرة ما يقوله غيره فى ألوف الصفحات ، وذلل صعوبة الصناعة - صناعة الكتابة عن الرحلات فى الزمن الحديث - تذليلاً يشهد له ببراعة صحفية وملكة قصصية ليست موفورة الشيوع بين الكبراء من رجال السياسة

مسابقة الأدب العربي

٢ - ديوان أيدمر المحيوى

للدكتور زكى مبارك

حياة الشاعر

فى الأخبار التى جمعها الأستاذ أحمد نسيم - وهى على قلتها كل ما يمكن الوصول إليه فى هذا الوقت - سكوتٌ عن العمل الذى كان يتعيش منه هذا الشاعر المجيد ، فلم يكن كاتب إنشاء كما كان البهاء ، ولا كانَ يتولى إدارة أحد الدواوين ، كما كان يتفق لبعض الشعراء .

والظاهر أنه كان يتكسب بشعره ، كما تدل الأبيات الآتية ، وهى من قصيدة يمدح بها الملك الكامل ، ويذكر ظفره بالفرنج يوم قصدوا دمياط :

أشكو الخمول إلى علاك فإننى ... فيما أقول محسنٌ ومجوِّدُ

أبدى البديع ولا يزايل ظلّهُ ... ظلى ومنه ما يسوء ويكمد

إن القريض وإن تكاثر ساكنو ... أفيائه كالعبدُ فيه الأوحد

لكنه أدناهمُ قدراً إذا ... وردوا وأغلاهم إذا ما أوردوا

ومعنى هذا أن الشعر نفع من ليسوا فى مثل منزلته من الفصاحة والبلاغة ، وأنه برغم براعته ظل من الخاملين

وهنالك أبياتٌ حزينة نصَّ فيها على رضاه بالمقسوم له من دنياه ، مع أنها فى قصيدة مدح ، وهى قوله بعد التشبيب :

لم تعطنى الأيام مطلب همتى ... من رفدها فأخذت ما تعطينى

ورأيتُنى سخطى يدوم إذا أنا ... لم أرض إلا بالذى ترضينى

حالٌ لعمرُكَ دون قدرى إنما ... أرضى بها نظراً إلى من دونى

وهى أبيات فى غاية من النفاسة ، ومنها نعرف أنه كان مقلقل الحياة بين العطاء والحرمان

الغزل والتشبيب

المختارات التى بقيت من ديوان أيدُمر تدل على أمرين : الأول أنه لم يكن يبدأ جميع قصائده بالنسيب ، كما كانَ يصنع اكثر الشعراء ، وهو مذهب حاربه المتنبى حين قال :

إذا كان مدحٌ فالنسيب المقدَّمُ ... أكلُّ فتًى قد قال شعراً متيَّم

والأمر الثانى أن النسيب عنده كان فى الأغلب من فواتح المدائح ، كالذى رأينا فى قصيدته القافية ، وهو يذكر يوم التخليق بالمقياس

ولو ظفرنا بديوان أيدمر كاملاً لعرفنا مذهبه فى التشبيب ، فمن المحتمل أن يكون خصه بقصائد طوال أو قصار ، كما فعل البهاء

أقول هذا لأنى أستبعد أن يكون الغزل نافلة عند من يقول:

ومُضْنَى الخصر لا يدرى يقيناً ... أوردٌ وجنتاه أم حُمَيّا

أتانى زائراً من غير وعدٍ ... وقد مالت لمغربها الثريا

فوفَّى دَيْنَ شوقى حين وافى ... وأحيا مَيْتَ أنسى حين حيَّا

وبتُّ أرى يقين الوصل شكاً ... وقد ملأ الهوى منه يديّا

أفكر فى الجفا أنَّى تقضَّى ... وأعجب للرضا أنى تهيّا

والمعانى هنا مألوفة أو مطروقة ، كما قلت فى مثلها من قبل، ولكنها فى حيوية قوية تشهد لصاحبها بالابتكار والابتداع

وأين من يلاحظ كلمة « يقيناً » فى البيت الأول ، وهى من القوة بمكان ، مع أنها لو وقعت فى غير هذا الموقع لكانت من المبتذلات ، وسرُّ قوتها يرجع إلى حيرة المحبوب فى إدراك سحر وجنتيه الورديتين أو الخمريتين ، وهل يعرف الورد أنه ورد ؟ وهل تعرف الخمر أنها خمر ؟

والبيت الثالث أعجب وأغرب ؛ فالعاشق يرتاب فى اليقين ؛ لأنه فوق ما تسمح به الأوهام والظنون ، وقد أوضح ارتيابه بهذا البيت :

وقد ذكر فى الفصل الأول من كتابه أنه عبر فى سياحته واحداً وثلاثين ألف ميل ولم يقض فى الهواء أكثر من مائة وستين ساعة ، وهذا عنده - وعندنا - دليل صادق على أننا نعيش اليوم فى « دنيا واحدة » كما اختار أن يسمى كتابه ، ولكن الدنيا الواحدة ، بل الدار الواحدة ، بل النفس الواحدة ، تحتاج إلى أكثر من مائة وستين ساعة ، بل مائة وستين يوماً لفهمها على جليتها ، وتصورها فى ظواهر أحوالها وبواطن حقيقتها .

ولعل الرجل الذى يستطيع أن ينظر إلى الدنيا نظرة واحدة مستطيع أن يستدرك من أخطائه ما تتفرق به الأقوال وتتشعب حوله الآراء .

عباس محمود العقاد

أفكر فى الجفا أنى تقضى وأعجب للرضا أنى تهيّا

ولهذا الشاعر لوعة أفصح عنها حين قال :

ذُكِر الحِمَى فأطال رجع أنين
وغــدا يواصل زفرةً بحنين

واعتاده ولهٌ يقسّم لبّه ما بين حالة حيرةٍ وجنون
وجرتْ محاجرُه دماً فكأنما شرقت بذوب فؤاده المحزون
ولها يكفكف دمعه بشماله أسفاً ويمسك قلبه بيمين
يامنزلاً قضت الصبابة لى به ذمم الصبا ومآرب العشرين
أيام ألبس لغواية ثوبهـــا وأجر ذيل خلاعة ومجون
وأجيب داعية التصابى ملقياً رسنى إليه يضل أو يهدينى
ليت الذين ولمت من كَلَفٍ بهم
حفلوا بحرّ تلهفى وحنينى
قدكان يضحكنى الزمان بقربهم فاليوم عاد ببعدهم يبكينى

وأقول من جديد إن المعانى ليست جديدة ، فقد طاف بها كثير من الشعراء ، ولكنها فى نظرى جديدة ومبتكرة ، لأن الشاعر يحسها بأقوى ما يكون الإحساس ، ألبس هو الذى يقول فى مطلع إحدى المدائح :

طاف بنا والليلُ فى ثوب خَلَق
يلمع من خلاله نور الفَلَق

والنجم يخبو تارة ويأتلق مثل عيونٍ كابدت طول الأرق
خيالُ من أسكنَ جنبىَّ القلق
جبينه الشمس وخده الشفق
يبدو فما أرمقه فيمن رمق يأمرنى الوجد وينهانى الفرَق

وهنا أقول إن هذا خيال لم أجده عند غيره من الشعراء ، وهو بهذا الخيال وثب وثبة تطرب الإنس والجان

وعلى المتسابقين أن يتأملوا فى معانى هذه الأبيات ، فقد يكون فيهم من يعرف من أسرارها مالا أعرف ، والشعر كالحسن تتفاوت فى فهمه الأذواق

شاعر مبدع

هو أيدمر الذى أراد أن يأتى فى المدح بالطرب والرقص ، فهو الذى يقول فى ممدوحه بعد ذلك النسيب :

ألذّ من وصف الغزال المنتطقْ ومن مناجاة الخيال إن طرقْ
مدحُ فتىً ذكراه مِسكٌ ينتَشقْ
لكنها فى حلق شانيه شَرَقْ
صدرٌ بهى الخلق مرضىُّ الخُلُق
حَوِّله الله تعالى ورزقْ
من المعالى كل ما جلّ ودقّ سابقَ أرباب المساعى وسبقْ
مشياً وهم بين ذميلٍ وعَنَقْ لو قذف النجم بعزم لاخترق
أو ضرب البحر بكفٍّ لفَرَق أو رجم الطود بجلٍ لصعق

وهذا شعر، بل سحر، وهو فى ديباجة أيدمريه ، لا بحتريه ، لأن الشاعر هنا مفترع لأبكار المعانى وهى مدترة بأفواف الخيال

الموشحات

نترك للمتسابقين مراجعة ما ألممنا إليه بإيجاز ، لأن الغرض هو التوجيه إلى ما سيردُ فى أسئلة الامتحان ، وهى لن تخرج عن العناصر الأساسية ، العناصر التى نشير إليها فى هذه الأحاديث

ونواجه مسألة جديدة هى اهتمامه بالوشحات ، كالذى صنع فى معارضة الموشح الذى مطلعه :

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

ولم يذكر جامع المختارات صاحب هذا الموشح ، ولكن الأستاذ أحمد نسيم نص فى الهامش على أنه من نظم أمير المؤمنين ابن المعتز العباسى

وما قاله الأستاذ أحمد نسيم هو ما كان يقوله جميع مؤرخى الأدب فى العصر الحديث ، وهو أيضاً ما قلته فى الطبعة الأولى من كتاب مدامع العشاق ، ولكنى بعد ذلك ارتبت فى نسبته إلى ابن المعتز فقلت فى الطبعة الثانية إنه لأحد الشعراء

ثم اهتديت إلى صاحبه فيما بعد فكتبت عنه كلمة فى جريدة البلاغ سنة ١٩٣٤ ، وهو محمد بن زهر الأندلسى ، ومثله موشح ابن بقىّ القرطبى وأوله :

غلب الشوق بقلبى فاشتكى ألم الوجد فلبّتْ أدمعى
أيها الناس فؤادى شغِف
وهو من بَغْى الهوى لا ينصف
كم أداريه ودمعى يكف
أيها الشادن من علمكا بسهام اللحظ قتل السَّبُع

ولا أعرف فى هذه اللحظة أى الشاعرين أسبق : ابن زهر أو ابن بقىّ ، لأنى أكتب هذا المقال فى ليلة مطيرة وفى مكان بعيد من المراجع الأدبية ، فليسأل المتسابقون أساتذتهم عن المبتكر والمعارض فى هذين الموشحين[1]

---

(١) يجب أن نسجل أن سعادة الأستاذ طه الراوى نشر فى مجلة الرسالة كلمة عن نسبة الموشح إلى ابن زهر فى أعداد هذه السنة ١٩٤٣

والمهم هو النص على أن أيدمر فاز وهو يعارض ابن زهر، فقد استطاع أن يقول :

عَهِدَ البينُ إلى عيني البكا　　ثم أوصاها بأن لا تهجعي

وسقى قلبيَ من خمرته

فهو لا يعقل من سكرته

فمتى يُنقَذُ من غمرته

في سبيل الحب قلب هلكا　　شيَّع الركبَ ولما يرجع

***

هزّ عِطف الغصن من قامتهِ

مُطلعاً للشمس من طلعته

ثم نادى البدر في ليلتهِ

أيها البدرُ تغيّبْ وبحكا　　ما احتياج الناس للبدر معي

ثم مضى الشاعر فقال في ممدوحه ما شاء، ولكن الفن غلب عليه، فختم الوشحة بهذه الأقباس :

فاقتدحْ بالمزْج نار القَدَحِ

نصطلي إنْ نحن لم نصطبح

وأغنّيك ولم تقترحِ

أيها الساقي إليك المشتكى　　قد دعوناك وإن لم تسمعِ

أفانين طريفة

قد عارض أيدمر بعد ذلك موشحة ثانية، ولا يتسع المجال للكلام عن الموشحات الأندلسية وتأثيرها في الآداب المصرية، ومن السهل أن يرجع المتسابقون إلى كتاب «بلاغة العرب في الأندلس» لأستاذنا الدكتور أحمد بك ضيف، فقد وفى هذا الموضوع حقه من البيان

والفَنَنُ الذي أقصد إليه هو موشحه الذي وصف به الخمر والرياض :

دع الصبا يمرّ في التصابي　　قبل تحلي سكرة الشباب

وانتهز اللذات فالعيش فُرَصْ　　رُبَّ سرور كامنٍ فيه تَنَغّصْ

قم يا غلامُ هاتها وهاكا　　واعص هوى العاذل في هواكا

أما ترى ظل السرور سابغا　　ومشرب العيش هنيئاً سائغاً

في روضة قيد النظر　　تشكر آلاء المطر

ترنو بأحداق الزهر　　تحسبها بعد السَّحَر

قد انتثرْ　　فيها دُرَرْ

أو انتشرْ　　فيها حِبَرْ

***

تجلت الشمسُ عليها سافره　　فقابلتها بنجوم زاهره

ترمقها حين دنا طلوعُها　　بمُقلٍ ترقرقت دموعها

تبكي وفي الأوجه بشر الضحك　　فأعجب لها تضحك وهي تبكي

تمايلت تمايُل السقيم　　لما أحست بسُرى النسيم

فأشفقتْ على حَذَرْ　　وفرقتْ من الخفر

من قبل أن يقضي وطرْ　　نود لو كان استمرْ

ذاك العَطِرْ　　لما خطرْ

على الزَهَرْ　　ساء وسرْ

***

بات الندى يشربها نعيما　　كما يغذّي والدٌ فطيما

فأصبحتْ ودرعها بليل　　تكاد من قطاره تسيل

وأهدت الصَّبا لها كافورا　　فلاثت أردانها عبيرا

كأنما نوّارها المستحسنُ　　ألسنةٌ تنطق فهي أعينُ

تفصح في بث الخبر　　عن الحديث بالنظر

بمقلة فيها صور　　حسناء من غير حور

فمَنْ نظرْ　　فقد خَبَرْ

ما قد ظهرْ　　وما استترْ

قد تقولون إن الغزل والوصف هما اللذان منحا هذه الوشحة هذا اللطف، ولكن المدح فيها لا يقل طرافة عن هذا الغزل

وقد أثنى الشاعر على نفسه في ختام هذه الوشحة، وهو فرح جذلان، لأنه يؤمن بأنه من أكابر أهل البيان

الشعر التاريخي

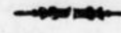
وأريد به الشعر الذي ينظم حوادث التاريخ، وقد نظم أيدمر قصيدة طويلة سماها «الوسيلة الشفّعة، في مناقب الخلفاء الأربعة»، وقد يرد عليها سؤال، لأنها تصور فهم هذا الشاعر للعهود الأولى من التاريخ الإسلامي، فمن واجب المتسابقين أن يلتفتوا إليها كل الالتفات أو بعض الالتفات، وموضوع هذه القصيدة مفصّل في الكتب المؤلفة عن عصر النبوة وعصر الخلفاء.

زكي مبارك

الأدب العربى واللغة العربية

فى كتاب « زهرة العمر »

للأستاذ دريني خشبة



غرق الأستاذ توفيق الحكيم فى الأدب العربى — على حد تعبيره — بعد عودته من فرنسا ليدرس قضيته من أساسها ، محاولاً أن يعيد النظر فى أمر اللغة العربية ، وأن يكشف أسرارها ويضع إصبعه على مواطن ضعفها وقوتها ... وهو قد شرع يفعل هذا بعد أن أخذ من مختلف الآداب العالمية بنصيب ، فهو يقرأ نصوص الأدب العربى فى عصوره المتعاقبة بعين جديدة ، عين عامرة بالصور ، حافلة بالمقارنات ، وبنفس رحيمة عادلة[1] ...

هذه لمحة من المقدمة التى مهد بها الأستاذ الحكيم لفصله أو لفصوله ، التى كتبها عن اللغة العربية ، وتعليم اللغة العربية ، ومعلمى اللغة العربية ، وأساليب الكتابة العربية ، وعن ماهية الشعر ، ثم عن الأدب العربى ، ونقص تكوينه من حيث هو خلق فنى[2] ، وعن العلاقة بين الفنون الكبرى والآداب الكبرى ، وعدم محاولة الأدب العربى أن يزيد فى نثره بالرغم من ازدهار الفنون الإسلامية ، وما ابتلعته المدنية الإسلامية فى جوفها من المدنيات الكثيرة[3] ، وعناية الأدب العربى الإنشائى باللفظ أكثر مما يجب ، وأنه لم يشأ أن ينزل عن تكلفه الذى يعتبره فصاحة وبلاغة ... وما حدث من جراء ذلك من : « أن روح الشعب قد تعطش للون جديد من الأدب غير لون البداوة الأولى . لون من الأدب مستمد من إحساسه هو بالحياة الجديدة المتطورة المتغيرة . . . أدب جديد قائم على فن مشابه ومسايرة للفنون الزاهرة المعاصرة ، التى يراها بعينه ويهيم فى مراميها بخياله ... فلما لم يشأ أدباء الفصحى أن يمدوا الناس بحاجتهم ، لجأ الناس إلى أدباء من بينهم لا يملكون أداة اللغة ولا جمال الشكل ، ولكن يملكون السليقة الفنية وروح الخلق ... وهنا ظهر الأدب الشعبى ... فما ظهور الأدب الشعبى أحياناً إلا علامة قصور أو تقصير من الأدب الرسمى ، أو صرخة احتجاج على جمود الفصحاء ... هكذا ظهر القصص الشعبى فى صورة عنترة ومجنون ليلى وكثير عزة . . . وسارت الحضارة الإسلامية ، فسار معها الأدب الخيالى الاجتماعى الشعبى ، وإذا نحن أمام عمل فنى رائع هو « ألف ليلة وليلة » ، ثم نبت فى كل شعب من شعوب الإسلام قصصه الذى يطبعه بطابع عصره . فكان فى مصر قصة أبى زيد الهلالى ، وسيف بن ذى يزن ، والظاهر بيبرس . . . ومن الغريب أنك إذا تأملت « التصميم » الفنى والبناء الروائى لهذا الأدب الشعبى وجدته من حيث الفن لا اللغة هو السائر فى الطريق الصحيح[1] . . . فلقد كان من المستغرب حقاً للباحث أن يرى حضارة إسلامية عظيمة ذات فنون زاهرة وعلوم راقية ، ولا يجد فى أدبها أثراً إنشائياً مثل « الشاهنامه » أو « الرامايانه » أو « الإلياذة » أو « كليلة ودمنة » حتى كادت تتهم العقلية الإسلامية بعقمها . ولكن الأدب الشعبى الإسلامى صحح الوضع أمام التاريخ العلمى ... »

وبعد ، فما أريد أن ألفق مقالاً من كلمات الأستاذ الحكيم ، وإن كنت أتمنى أن يكون كل متأدب فى مصر ، بل كل أديب فى الشرق العربى ، قد قرأ هذه الفصول القيمة التى دبجها قم فنان ، أديب فنان لا يرى حرجاً فى أن يقول إنه أخذ من مختلف الآداب العالمية بنصيب ، ثم غرق فى الأدب العربى فوجده أدباً فقيراً شاحباً ؛ أدباً يعنى بالزخرف اللفظى ، ولا يمتاز بأثر خالد مما امتازت به اليونانية أو اللاتينية أو الفارسية ، أو لغات أوربا الحية من آثارها الأدبية الخوالد ... أدباً غير مستمد من روح الشعب المتعطش إلى ألوان جديدة غير ألوان البداوة الأولى . . . ألوان مستمدة من إحساسه هو بالحياة الجديدة المتطورة المتغيرة

هذا كلام نوافق الحكيم عليه ، لأننا رددناه ، وسوف نردده ، ولن نسأم من ترديده ، حتى نحيله رجاء إلى أدبائنا بل توسلاً ، إن كان لا بد من الرجاء أو التوسل لكى يخلقوا لنا أدباً جديداً صادراً عن روح الشعب المتعطش إلى ألوان جديدة مستمدة من إحساسه بالحياة الجديدة المتطورة المتغيرة

نحن نوافق على هذا كله لأنه أمنية كل رجل يحب الخير للأدب العربى ، وكل رجل شدا شيئاً — ولو قليلاً — من الآداب

(١) زهرة العمر ٢١٤ (٢) ص ٢٢٣ (٣) ص ٢٢٥

(١) ص ٢٢٧

الأوربية ، واستطاع أن يقارن بينها وبين هذا الأدب العربى الذى لم يعد يصلح بحالته التى هو عليها لشفاء روح العصر الجديد ومجاوبة الحياة الجديدة التى تغمر العالم بأسره . على أننا مع ذلك نريد أن نناقش بعض ما جاء من الآراء فى زهرة العمر عن أساليب الكتابة العربية ، وعن الفنون الكبرى والآداب الكبرى ، وعدم محاولة الأدب العربى أن يزيد فى نثره بالرغم من ازدهار الفنون الإسلامية ، وعن تاريخ القصص العربى ... ثم هذه السخرية التى صبها الأستاذ الحكيم على رؤوس معلمى اللغة العربية أولئك المعلمون الذين نفضهم بتوجيه نقدنا إليهم وهم لا جريرة عليهم ولا ذنب لهم ، فهم يعلمون كما أُعِـدوا لهذه الطريقة من التعليم ، وقد صبوا فى قوالب من صنع الدولة لم يصنعوها بأنفسهم بل صنعت لهم ثم خرجوا على غرارها ، وقد أصبح معلم اللغة العربية كالقاطرة التى لا تستغنى عن شريط السكة الحديدية ، وهى تجر وراءها جميع العربات - أبناءنا التلاميذ - على الشريط نفسه وإلى المحطة نفسها ، والويل للمعلم الذى تحدثه نفسه بالخروج عن هذا الشريط ! الويل للمعلم الذى يخالف عن سنة المنهج ... تلك الشريعة المنزلة التى ترتبط بحسن تنفيذها التقريرات والعلاوات والدرجات ... والفصل من الوظيفة والبقاء فيها أحياناً ... الويل للمعلم الذى لا يجيد أن يعلم تلاميذه أن « نون » العاقلون هى نيابة عن التنوين فى الإسم المفرد ! وما إلى ذلك من اللغو الذى تركنا المدارس ونحن لا نحسن أن نفهمه ، بَـلْه أن نعلله ... لا نحن ولا معلمونا المساكين ... ماذا يصنع المعلم يا أخانا الجليل مؤلف كتاب زهرة العمر بعد أن صبته وزارة المعارف فى هذا القالب الشاذ ؟ هل قرأت ما كتبه عنه صديقك طه حسين وشريكك فى القصر المسحور ؟ لقد كتب طه حسين فصولاً قيمة فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » عن تعليم اللغة العربية ومعلم اللغة العربية والمعاهد التى تعد هذا المعلم فى مصر ... ذلك المعلم الذى تقول عنه إنه كان ، سواء فى المدارس الابتدائية أو المدارس الثانوية يجهل ، لا معنى اللغة العربية وحدها ، بل معنى اللغة على الإطلاق[1] ! ترى من كان معلمك فى المدارس الابتدائية ، ومن كان معلمك فى المدارس الثانوية ليسمعا إلى هذا الكلام الجرىء الذى ترسل به لسانك فيهما الآن بعد أن أصبحت كاتباً نابهاً من كتاب العربية ؟ أكبر الظن أنهما كانا يفهمان معنى اللغة العربية ، بل معنى اللغات جميعاً ، إنما أسطورة القاطرة والعربات وشريط السكة الحديدية هى التى أظهرتهما فى نظرك على هذا النحو من الجهل ... بل من العمى ... أسطورة المنهج ، وشريعة وزارة المعارف المنزلة التى لا يحيد عنها إلا كل مجازف ... وأرجو أن أتحدث إليك حين نلتقى كيف كان صديقك الزيات يجمل من مادة اللغة العربية التى كان يعلمنا إياها أحب مواد التعليم إلى نفوسنا . على أن أستاذاً جليلاً[1] قد نشر فى هذه المجلة فصولاً عظيمة عن تعليم اللغة العربية فأرجو أن تراجعها إن لم تكن قد فعلت

أما أساليب الكتابة العربية وعناية معظم الكتاب المنشئين باللفظ دون المعنى ، فهذا لم يحدث إلا فى عصور انحطاط اللغة العربية . على أن الكتاب الذين عنوا باللفظ أكثر مما عنوا بما وراءه قد خدموا اللغة خدمة جليلة بانتخابهم الألفاظ انتخالاً ، وبتجويدهم استعمالها على النحو الذى قربها إلى أفهامنا وجعلها ذخيرة لنا نرجع إليها كلما أعوزتنا الكلمات أو التعابير ، فكان عمل كتاب المقامات والرسائل مثل عمل أصحاب المعجمات والقواميس من حيث تنظيم تلك الثروة اللفظية الهائلة تنظيماً قصصياً أو تنظيماً استعمالياً أفدنا منه فى استحداث تعبيرات جديدة لا حصر لها ... وأنا ألاحظ أن انصراف الأستاذ الحكيم إلى دراسة الأدب العربى وإكبابه على قراءة نصوصه كما ذكر قد أفاده فائدة كبيرة ، فقد جود أسلوبه وصقل لغته وأسلس له عنان البيان العربى ، آية ذلك هذا الفرق الكبير بين أسلوبه القديم فى أهل الكهف وشهرزاد وعودة الروح وبين أسلوبه الحديث فى بجماليون وسليمان الحكيم وزهرة العمر ... على أننى لا أرى أن العناية بالأسلوب وصقله وتجويده تكون سبباً فى الانصراف عن تجويد الموضوع والسمو بأهدافه ما دامت للكاتب القدرة على أن يجود عبارته عفواً وطبيعة من غير تعمل ولا إعنات . وقد استحدث چون للى أسلوب (اليوفوزم) فى الكتابة الإنجليزية فبهر ألباب القراء الإنجليز بعنايته بتجويد

(١) ص ٢١٥

(١) هو الأستاذ محمد عرفة

عباراته مما كان له صدى كبير فى أساليب الكثيرين من الكتاب الإنجليز وفى روائع شتى من النثر الإنجليزى نفسه

ولست أقصد أن أدافع عن أسلوب الحريرى أو البديع أو عبد الحميد أو أبى العلاء الكتابى، بل لا أطيق أن أرى الناس يكتبون بأسلوب الجاحظ الذى أعجب به الأستاذ الحكيم وأثنى عليه ووضعه فى رأس الثائرين من كتاب العربية على أوضاع الكتابة المتعارفة. وصديق الأستاذ الدكتور زكى مبارك هو المسئول الأول عن رأى الأستاذ الحكيم فى أسلوب الجاحظ العظيم، فلو أنه أهدى نسخة من كتابه الخالد «النثر الفنى» إلى الأستاذ الحكيم لما رأى فى الجاحظ هذا الرأى. ويحسن أن أثبت هنا رأى الدكتور زكى، وإن كنت أنصح الأستاذ الحكيم أن يراجع «النثر الفنى» كله، إن لم يكن قد فعل إلى الآن:

«وقد شاع هذا الأسلوب فى القرن الثانى والثالث (أسلوب الإطناب وبسط المعانى وتأكيدها بتكرير الجمل المتقاربة فى مغزاها ومدلولها لدرجة الأثقال) واتخذه الجاحظ خاصة أسلوباً مختاراً له لا يحيد عنه ... وفى رأيى أن الجاحظ وصل إلى درجة من الغلو والإملال، ولولا أنه كان يخلط فى كتابته بين الهزل والجد والحلو والمر لانصرف الناس عنه»[1]

إنما أريد أن أذكر أن النثر العربى، وخصوصاً النثر القصصى وهو الذى يهمنا هنا، كان نثراً زاهياً مزدهراً، وذلك منذ صدر الإسلام، وكان الفضل فى إيجاده للقرآن أولاً، ثم للأحاديث الطوال ثانياً، ثم للقصاص «الذين كانوا يجلسون إلى الناس فى المساجد، يفصلون ما فى كتاب الله من قصص الأنبياء، ويسرفون فى تهويل هذه الأنباء، ابتغاء للعبرة والتماساً للموعظة. ولما ازداد إقبال الناس على هذا الضرب من القصص، وكثر إفك القصاص فيه، طردهم أمير المؤمنين على من المساجد ما خلا الحسن البصرى»[2] ... وقد كان أشهر القصاص الذين فرغوا لتفصيل قصص القرآن تميم الدارى ووهب ابن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام وغيرهم ... وبغض النظر عن قيمة قصصهم من حيث التحقيق العلمى، فقد كانت أساليبهم شائقة، وعباراتهم سليمة لا تعمل فيها ولا التواء. وفى كتاب (أصول الأدب) أن معاوية عرف للقصص قيمته فى الدعاوة السياسية فولى عليه رجلاً كان إذا صلى الصبح جلس يذكر الله ورسوله، ثم دعا للخليفة وحزبه، ودعا على أهل خصومته وحربه، وكان هو (أى معاوية) إذا انفتل من صلاة الفجر جلس إلى القاص حتى يفرغ من قصصه، وكان ولاته وقواده يقدمون القصاص فى بعض حروبهم ليقصوا على المقاتلة أخبار الشهداء، وما وعدوا به من حسن الجزاء، فعل ذلك الحجاج فى العراق، وجاراه فيه من حاربهم من زعماء الفرق

وفيه أيضاً «أن أول من تولى القصص الرسمى فى مصر سليمان بن عتر التُجيبى سنة ٣٨ هـ تولاه مع القضاء، ثم تعاقبت القصاص من بعده فى مصر.» وقد اشتد الإقبال على القصص فى عهد الفاطميين»، فقد كان يعقوب بن كلس وزير المعز يعتمد على المناظرات فى فقه الشيعة، وعلى القصص فى جذب القلوب لأهل البيت، وكان مقتل الإمام (على) ومأساة الإمام (الحسين) موضوع المنابر والسوامر فى شهر رمضان والمحرم ...»

وقد صدق الأستاذ الحكيم فى استنتاجه من حيث نشأة الأدب الشعبى فى مصر، إذ «حدثت ريبة فى قصر العزيز فتناقلتها الأفواه، ورددتها الأندية، فطلب إلى شيخ القصاص يومئذ يوسف بن اسماعيل أن يلهى الناس عنها بما هو أروع منها، فوضع قصة عنترة ونشرها تباعاً فى اثنين وسبعين جزءاً»

أما فى العراق، فى القرن الرابع الهجرى أيضاً؛ فقد جمع فن القصص بين روعة الأسلوب وجمال الفن ...» فما جمعه ووضعه الجهشيارى وابن دلان وابن العطار من الأقاصيص فى الحب الطروب والترف المسرف، وما وضعه من قبل هؤلاء سهل بن هرون وعلى بن داود وأبان بن عبد الحميد من الأسمار ... وما صنعه من قبل هؤلاء عيسى بن دأب وهشام الكلبى والهيثم ابن عدى من الأخبار فى الهوى العذرى والسخاء العربى فى الإسلام والجاهلية»

وهكذا نرى أن هذا اللون من ألوان الأدب الرسمى، أو أدب العربية الفصحى قد ساير نهضة الفنون الكبرى فى العراق، كما سايرها فى مصر إلى أيام الفاطميين. وإن كنا نعترف أنها مسايرة ليست من نوع ما حدث فى اليونان أو

(١) ص ٦٢ النثر الفنى (٢) فى أصول الأدب للزيات ص ٣٣

الرومان أو أوربا ، وموضع الأسف هنا هو انقطاع القصصيين : العربي الفصيح في العراق ، والشعبي الراقي في مصر ، بعد غزوة التتار والحروب الصليبية ، ونشوء صنف من القصص الوضيع في مصر في عصر المماليك هو أضعف ما نجد من القصص التي تنازل الشهوات في كتاب ألف ليلة وليلة

أما رأى الأستاذ الحكيم في الشعر شكلاً وموضوعاً ، فهو رأينا الذي جاهرنا به ، والذي لا نزال نجاهر به وندعو شعراءنا إليه ... « فما من فن عظيم بغير شعر ، أي بغير تلك المادة السحرية التي تجعل الناس يدركون بالأثر الفني ما لا يدركون بحواسهم وملكاتهم ... »

وأما التمثيل والروايات التمثيلية ، وانعدام ذلك كله في الأدب العربي ، فماذا أقول فيه ؟! وعى كل ما بح صوتي بعد ، ولن أتعب أبداً من مناشدة الأستاذ الحكيم أن يؤلف للمسرح المصري ، لأنه كاتب الحوار الأول في مصر ، بل في الشرق العربي كله

وبعد ... فها هو توفيق الحكيم بفرغ لما خلقه الله له . فماذا هو صانع ؟ وها هو ذا يكتب في زهرة العمر آراءه ، فهل درى أنها تصلح لأن تكون برنامجاً مفصلاً لحركة إنهاض واسعة النطاق ؟

متى يضيء المصباح في شاطئنا ويشع كما يضيء في الشاطئ الآخر ويشع ؟

متى يكون لنا أدب مصري وفن مصري ومسرح مصري وشعر مصري وشخصية مصرية مصرية ؟

متى يعود توفيق الحكيم من فرنسا إلى مصر فلا يقول إني عدت إلى الصحراء ؟!

إن في عنق توفيق الحكيم ديناً للوطن فليؤده كاملاً ...

وإني أختم كلماتي فيه بما قلته عنه من قبل من أنه أحد بناة مصر الحديثة فليرهف قلمه وليتوكل على الله ...

دريني خشبة

كتب وشخصيات

للأستاذ سيد قطب

١ — على هامش السيرة ... ... لطه حسين
٢ — إبراهيم الثانى ... ... للمازنى
٣ — زهرة العمر ... ... لتوفيق الحكيم
٤ — الصديقة بنت الصديق ... للعقاد (*)

مدرسة طه حسين وفنه

للدكتور طه حسين مدرسة — على معنى من المعانى — له فيها تلاميذ كثيرون، كلهم يحاول أن يتأثره ويتشبث بخصائصه وينسج فيها على منواله، ولكن واحداً منهم لم يحقق هذه الخصائص على الوجه المطلوب. ومن بين هؤلاء التلاميذ من يبذل جهداً مضنياً يثير الإشفاق فى أن يصبح نسخة أخرى من طه حسين، فتكون قصاراه أن يخرج نسخة « مشاقطة » كالصورة التى تنطبع على ورق « النشاف » !

وأوضح مثال لهذه المحاولة الأستاذ شوقى ضيف، وبخاصة فى كتابه « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » الذى نال به الدكتوراه أخيراً من كلية الآداب، ونال عليه فوق الدكتوراه شكر الجامعة أيضاً !

ونستطيع أن نطلق على مدرسة الدكتور طه حسين اسم « مدرسة الأسلوب التصويرى » ؛ فالدكتور فى خير حالاته يرسم لوحات متتابعة، أدواته فيها الكلمات والجمل. لوحات للمناظر، وللحوادث، وللمعانى، وللخطرات النفسية، والالتفاتات الذهنية، على السواء. وتلك مزيته الكبرى كصاحب شخصية أدبية

والدكتور طه صاحب موهبة فى هذا وصاحب طريقة، فأما تلاميذ مدرسته فقد أخطأتهم الموهبة واتبعوا الطريقة. أخطأتهم موهبة التصوير واتبعوا طريقة التعبير. ولهذا يجوز أن نعود فنستدرك شيئاً، وهو أن مدرسة الدكتور طه حسين، هى الدكتور طه حسين نفسه؛ ثم محاولات لم تبلغ بعد حد النضوج، ولم يوجد فيها صاحب الطبيعة الموهوبة هذه الهبة الخاصة؛ بل لم يوجد فيها من يدرك سرها الأول وهو طبيعة التصوير، لأنهم جميعاً يفهمون أن هذا السر كامن فى طريقة التعبير !

بقى أن نعرف شيئاً عن نوع هذا التصوير فى مدرسة طه حسين، أو بتعبير أصح فى طبيعته. فهو التصوير الحسى الذى يرد المعانى والخواطر صورا حسية، أو كالحسية — بله المناظر والحوادث — فهذه يعيدها كما بدأت أول مرة توشك أن تكون مجسمة.

وهو يخلع على هذه الصور الحسية لوناً من ألوان الحياة والحركة؛ ولكنها الحياة اللطيفة والحركة الوئيدة التى تدب على هينة، وتخطر فى رفق. فالسرعة النابضة والحيوية الدافقة ليستا من مطالب هذه الصور فى يوم من الأيام.

وقد يكون المثال هنا أوضح من المقال:

« هذه شهرزاد قائمة منه [1] غير بعيد، تنظر إليه نظرات فيها الحنان والمكر؛ وهى مغرقة فى ضحك هادىء عذب يرتفع له صدرها وينخفض، ويغشى وجهها بغشاء من الجمال الرائع ليس إلى تصويره من سبيل. وهذا الملك ينظر إليها مسحوراً مبهوراً وهى تضحك من ذهوله وحيرته، ولكنه ينهض خفيفاً ويسعى سريعاً، إذا بلغها أو كاد جثا أمامها غاضاً بصره إلى الأرض، رافعاً يديه إلى السماء، كأنه المؤمن الذى يتقرب إلى التمثال؛ وهى تضع يدها على رأسه ضاحكة، كأنها تبارك عليه، ولكنها لا تلبث أن تستحيل إلى حنان خالص، وإذا هى تميل إليه مترفقة، فتضع على جبهته قبلة حلوة حارة طويلة. ولو أنها تحدثت فى تلك اللحظة لأحس شهريار فى صوتها تهدج العبرات التى تريد أن تندفع من العيون، ولكنها الإرادة القوية تمسكها فيظهر أثر هذا الصراع فى الصوت المحتبس والألفاظ التى لا تبين. ولكنها لم تقل شيئاً، وإنما استقام قدها المعتدل، وامتدت يدها الرخصة إلى الملك فأنهضته صامتة، واستجاب لها الملك صامتاً طيعاً، فمضت به خطوات إلى نشز من الأرض قريب يكسوه

(*) لهذا الترتيب سبب خاص بى مع هؤلاء الأعلام، فأنا لم أكتب من قبل عن الاثنين الأولين إلا إشارات عارضة؛ فمن حقهما على اليوم أن أبدأ بهما وقد كتبت عن «سليمان الحكيم» لتوفيق الحكيم، ولكنى لم أتناول طريقته العامة. أما العقاد — وبخاصة فى سلسلة العبقريات — فقد قلت عنه معظم ما أريد أن أقول

(١) يعنى الملك «شهريار» فى أحلام «شهرزاد»

المشب ، فأجلسته وجلست بجانبه ، وأحاطت عنقه بيدها ؛ ثم أمالته فى رفق حتى وضعت رأسه على كتفها ، وظلت تنظر إليه وهو ينظر إليها ، وهما مغرقان فى صمت عميق . ثم يسمعها شهريار تتحدث إليه فى صوت هادئ وادع ، وهى تقول له : « ألم يأن لنا بعد أن نهبط من السماء ، وأن ننزل إلى الأرض فنعيش فيها مع الناس ؟ »

« ولكن شهريار لا يجيبها ، وإنما تنحدر من عينيه دمعتان هادئتان تمسحهما شهرزاد فى رفق ، ثم تنعطف إلى الملك فتقبل جبهته مرة أخرى ؛ ثم تقيمه حتى إذا استوى فى مجلسه جعلت تمر أصابعها فى شعره رفيقة به باسمة له مطيلة النظر إليه صامتة مع ذلك لا تقول شيئاً . وكأن هذا العطف الصامت الحار قد بعث الحياة والنشاط فى قلب الملك وجسمه ، وفى عقل الملك وإرادته ، فهو يرفع رأسه إلى شهرزاد ويسألها فى صوت كأنه يأتى من بعيد : ألا تنبئينى آخر الأمر من أنت وماذا تريدين ؟ »

ولقد أطلنا فى هذا المثال لأنه يجمع بسهولة كل ألوان التصوير الحسى فى طبيعة الدكتور : فيه المعانى الذهنية والخواطر النفسية ، وفيه الحركات والحوادث والمناظر وكلها مرتسمة مصورة متحركة هذه الحركة اللطيفة المتتابعة فى يسر وتؤدة

فمن شاء أن يرجع إلى أمثلة خاصة لكل نوع فليرجع إلى كتب « الأيام » و« أديب » و« أحلام شهرزاد » و« هدية الكروان » و« الحب الضائع » . ثم ليرجع إلى هامش السيرة . كتابنا اليوم الذى جرنا إلى هذا الكلام ! واقرأ فى الصفحة الأولى من الجزء الثالث :

« كان الشيخ مهيباً رهيباً ، وكان فخماً ضخماً ، قد ارتفعت قامته فى السماء ، وامتد جسمه فى الفضاء ؛ وكان وجهه جهماً عريضاً ، تضطرب فيه عينان غائرتان بعض الشيء ، ولكنهما على ذلك فى حركة متصلة لا تكادان تستقران ؛ وهما متوقدتان دائماً ينبعث منهما شىء كأنه الضوء المشرق على هذا الوجه الجهم الغليظ ، فإذا لحظتا شيئاً أو أطلتا النظر إليه فكأنما تقذفانه بالشرر ، أو تسلطان عليه شواظاً دقيقاً قوياً من النار . وكان الشيخ فوق هذا كله ذكياً حاد الذكاء نافذ البصيرة ، يتعمق ما يعرض له من الأمر دون أن يحس الناس منه تعمقاً لشىء ، يسأله الناس فيجيبهم لساعته جواب من فكر وقدر وأطال التفكير والتقدير ، فيعجبون منه ويُعجبون به . وكان بعد هذا كله بطيء المشى ، ثقيل الحركة ، وقوراً فى كل ما يصدر عنه ، وكان صوته يلائم هذا كله من أمره ، فكان صوتاً ضخماً عميقاً ، يسمعه السامع فيخيل إليه أنه يخرج من غار بعيد القاع . وكان الناس يهابونه ويرهبونه كما كانوا يجلونه ويكبرونه . فإذا سألتهم عن مصدر ذلك لم يعرفوا كيف يجيبون ، إنما كان هذا الرجل يبهرهم ويسحرهم ويملأ نفوسهم إكباراً وإعظاماً ، فإذا ذكر الوليد بن المغيرة فقد ذكر سيد من أروع سادات قريش ورجل عظيم من رجالات البطحاء » ... الخ

هذه اللوحات المرسومة فى بحبوحة ، وهذه الصور التي تخطر فى وناء وتدب فى رفق ، هى مزية الدكتور الأصيلة ، مزيته التى يتجلى فيها فنه ويؤدى بها رسالته . ولقد يخطئك فى بعض ما يكتب أن تجد الفكرة الكبيرة أو المعنى المبتكر ؛ ولكنك لن تخطئ اللوحة الهادئة والصورة الحية ، هذا اللون من الحياة المريحة المستريحة . نعم قد تبطؤ الحركة في بعض الأحيان إلى حد الجمود فيدركك نوع من الاستبطاء تهم أن تغمز فيه الكاتب ليسرع فى خطواته بعض الشىء ؛ ولكن ذلك قليل على كل حال

ومن هنا كان إعجاب الدكتور بلبيد ثم زهير خاصة من شعراء الجاهلية لأنه يلبى حاجته من هذا التصوير .

***

وبعد فما قيمة كتاب على « هامش السيرة » ؟

قيمته من الوجهة الذاتية أنه — وبخاصة الجزء الأخير — يجمع أفضل خصائص الدكتور طه وأحسن مزاياه ، وينجو من كل عيوبه التى توجد فى بعض الكتب الأخرى

وقيمته من الوجهة الموضوعية أنه الكتاب الأول فى اللغة العربية[1] الذى يجمل من بعض حقائق السيرة وبعض أساطيرها فناً حياً جذاباً ؛ ولكنه لا يقف عند هذا الحد بل يحيل هذا الفن الحى الجذاب ، صورة « علمية » صادقة للجزيرة العربية وأطرافها فى الفترة بين قبيل مولد النبى (صلى الله عليه وسلم)

(١) للأستاذ توفيق الحكيم فى هذا المنحى كتاب « محمد » ظهر بعد ظهور الجزء الأول من الهامش ونحا فيه نحوه الخاص وله قيمته الفنية الكبرى

دراسة نقدية

شــعر الطويرانى

الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

أسلفت القول فى العدد الماضى من « الرسالة » عن ترجمة حسن حسنى الطويرانى باشا الشاعر الصحافى المصرى المولد ، التركي الأصل ، واليوم أ كتب هذه الكلمة — وفاء بالوعد — فى شعره الذى جمع فى ديوانه « ثمرات الحياة »

وديوان الطويرانى ضخم الحجم مملوء بكثير من القصائد الطوال والمقطعات والموشحات والأدوار والزجل ، وقد طبع بمطبعة إدارة الوطن سنة ١٣٠٠هـ ، ثم سافر الشاعر إلى الآستانة فى العام نفسه ، ووكل أمر الإشراف على طبع الديوان إلى نائب له ، فلم يعتن بتصحيح الجزء الثانى ، فحصلت غرائب فى التحريف والتصحيف والسهو ، وفقدت أصول الديوان حين وصل الطبع إلى صفحة ٢١٦ ؛ وهنا علم الشاعر بما حصل فبعث بنسخة أخرى من الأصول لتتميم الأبيات . وبقى فى الآستانة ثمانى سنوات والديوان لم يكمل طبعه . فعاد إلى الأسكندرية فى ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٠٨ ، ووصل إلى القاهرة فى الثانى والعشرين من الشهر نفسه ، ولما استراح من السفر أخذ يصحح الديوان استنجازاً لإخراجه (ولـكنه وجد أن تصحيح الأخطاء يستلزم صرف الأوقات المديدة وتحمل المشاق المديدة ، وأن الاهتمام بتصحيح ما وقع فيه من الخطأ والخطل ، شىء زائد على الأمل والعمل) ، نختمه بمعذرة إلى القراء ، وأنجزه وأخرجه في ٢٠ محرم سنة ١٣٠٩هـ

ويظهر من شعر الديوان والإمعان فى مطالعته أن الشاعر متأثر بالمذهب التقليدى إلى حد كبير ، فهو يحذو حذو شعراء عصره الذين كانوا أصداء بالية للشعر العربى القديم ، فأغراضهم أغراض السابقين ، وأبوابهم ومذاهبهم هى أبواب الأولين ، ومذاهبهم مع اختلاف الأحوال وتباين المقتضيات

ولم لا يكون شعراء عصر الطويرانى كذلك ، وأمامهم محمود سامى البارودى باشا كان مقلداً إلى حد بعيد حتى فى مطالعه ومواقفه وتشبيهاته بل فى عباراته ؟ ولـكن البارودى كان يمتاز عليهم جميعاً بالطبع العربى الأصيل فى قرض الشعر ؛ فهو بارع فى المحاكاة ، حتى ليخيل إليك وأنت تقرؤه أنك تقرأ شعراً قديماً لم تفسده لوثة الأعاجم وفساد الملكات

ويظهر المذهب التقليدى فى شعر الطويرانى واضحاً ، حتى فى طريقة تبويبه للديوان ؛ فقد قسمه إلى أربعة وعشرين باباً : الأول منها فى الإلهيات ، وقدّمه لشرف موضوعه ، وهو الحمد والثناء على الله تعالى مفيض هذا الوجود . ولم يَعْد فى هذا الباب أن يكون « نظاماً » لا شاعراً ؛ فلم يصل إلى أعماق الوجود ولم تتجل عليه فيوض الحكمة وإشراقاتها ، ولم تزد إلاهياته على أن تكون خطوات عابرة نظمها فى قالب من قوالب عصره . وقد حاولت أن أعرض أحسن ما فى هذا الباب ، فلم أجد غير هذه الأبيات :

يامالك الروح يشقيها ويسعدها   وحافظ الجسم إفناء وإبقاء
أوجدت من عدم روحى وكنت لها
أوقات لم أدر فيها الطين والماء
متعتنى فى صفاء النفس منفرداً   مطهراً لم أخف رجساً وبأساء

أما الباب الثانى ففى المدائح النبوية وسماها « النبويات » ، كما سميت قصائد الكميت « بالهاشميات » ، وهى قصائد ليس لها فى الشعر من شرف إلا أنها صنعت للرسول عليه السلام ! فلا نجد فيها قوة حب الكميت ولا متانة البوصيرى وحكمته فى ثنايا المديح

والباب الثالث فى الحماسة والفخر ، وقدم هذا الباب (لعلة وفاء حقوق النفس التى لا تعرف حق غيرها إلا بعد معرفة ناموسها ؛ فإن النفس إذا جهلت حقها جهلت حقوق غيرها

فى الجزء الأول وبين رسالته وانتصار دعوته فى الجزء الثالث . صورة للحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية ، وصورة لما يهجس فى الضمائر والأخلاد ، وما يبدو من الاتجاهات والآراء وصورة للبيئات والأفراد فى تلك الحياة ... وذلك كله حسب كتاب ليكون عملاً يستحق التقدير . وإنه للكتاب الأول فى أعمال الدكتور — حسبما أعتقد — لا يوازيه فى هذا الميزان إلا كتاب « الأيام »

(حلوان)   **سيد قطب**

بالطبع فلم تقم بها) ، وهذا تعليل لطيف لشعر الفخر ، ولكن يشترط ألا يغالى فيه ، وإلا صار إسرافاً وكذباً . ولقد أسرف الطوبرانى فى هذا الباب إسرافاً كثيراً ووضع فيه ما ليس منه ، كالأبيات التالية التى هى أشبه بشعر الحكم منها بشعر الحماسة :

الناس فى الدهر أنباء وأخبار   والكون كونان أعيان وآثار
لا خير فى العيش إن لم يصطحب شرفاً   ولا اقتحام الردى دون العلا عار
اعمل مع الصبر ما يرضى الكمال به   واكتم مصابك إن الدهر دوار
لايرغم الدهر إلامن يطيش له   فاعتز بالنفس إن خانتك أنصار

وقد يكون فى هذا الكلام فخر خفى . فهو يأمر الناس بما كمّل هو به نفسه من اصطحاب الشرف واقتحام الردى والصبر وكتمان المصاب والاعتزاز بالنفس حين يخون النصير

وأكثر ما يفتخر الطوبرانى فى هذا الباب بآبائه الترك ، فهو يتعصب لهم على العرب الذين حفظ لغتهم وآمن بنبيهم ؛ وقد يصل به التعصب إلى إنكار كل فضيلة للعرب وتجريدهم من كل مكرمة . ولا شك أن الأحوال السياسية فى عصره ، والخلاف بين العرب والترك ، ومحاولة الأولين التخلص من حكم الآخرين ، وقيام الشعراء من العرب بمهاجاة الترك ؛ لا شك أن ذلك كله كان حافزاً للطوبرانى على الاجترء ، على العرب وتنقصهم . ووجد فى صحفه ومجلاته التى أنشأها أو اشترك فى تحريرها مجال الكلام واسعاً ؛ فأحفظ ذلك عليه كثيراً من الشعراء العرب كالشيخ إبراهيم اليازجى

ولقد نقل الطوبرانى الخلاف بين العرب والترك إلى خلاف بين الأصل السامى والأصل اليافثى . فهو يقول :

أرى الفخر للأتراك من عهد يافث   ومن عهد افراسياب ليس مرسفاً
فلا شبهم فى الدنيا كجنكيز قاهر   ولا ثأر أغلى من طغا جار إذ طغى

ويقول من قصيدة أخرى :

فإنا بنو عثمان لا الضيم عندنا   يعان ولا يوماً على جارنا يقضى

وهو هنا يرد على ما رماهم به العرب من الظلم ونقض الجوار ، ولما استفزه اليازجى بالشعر المر الموجع فى تعداد مظالم الترك رد بقصيدة ميمية طويلة خانته فيها لباقته ، فرمى العرب بما لا يليق أن ترمى به أمة كريمة عزيزة من دولة كان يرتفع فوقها علم الخلافة الإسلامية ، حيث قال :

ملكناكم حيناً سوائم جهلا   تتيهون فى دوّ الهوان نعائما
فلما اكتسى العارى وأشبع جائع   وأصبح مخدوماً فتى كان خادماً
جهلتم حقوق الترك وهى جلية   ولم تحفظوها، شيمة الحر ، أنعما
وشوهتم الحسنى بما قد بدا لكم ،   وقلتم كذا كنا وكنتم وبئس ما...

وقد طالت هذه القصيدة وجمح القلم من يد صاحبها ، ولكنه عاد فى النهاية فلطف الكلام بقوله : —

وقد أنزل الله المؤاخاة بيننا   فلا تجعلوها أخوة تسفك الدما
وأنا بكم حقاً كما أنتم بنا   كلانا أخ فى الدين يبغى التلازما
ولا فضل إلا بالتقى وهو بيننا   سواء وفضل الله خص وعمما
وكل أبوه فى الحقيقة آدم   فمن شاء تذليلا لأصل فآدما
وأما نبى الله فالكل قومه   وأكرمه من لم يسئه وأكرما
نصحت بنى مصر وحذرت كلهم   وقلت المقال الحق لكن تجرما

ولو سلك الطوبرانى هذا المسلك الرقيق من أول الأمر ما تأججت نار المهاجاة بين شعبين أخوين مسلمين ، يرجى من تآلفهما للإسلام خير كثير

أما قصيدته السينية التى رد بها على سينية الشيخ إبراهيم اليازجى ، ففيها من الفخر كثير ، ولكن فيها على العرب تجنياً صارخاً . ومنها هذه الأبيات :—

والترك نيران اللظى   فاقدم ورم إن كنت قابس
والترك قد تركوا أبا   ك ومثله بالخزى ناكس

***

لولا بنو عثمان ما   نبست لشرق نوابس
مهروا وتم والتقوا   وحشا وأمسيتم أوانس
برزوا لساعرة الوغى   وهممكم كالظبى كانس

ولكن هذه الأيام قد ولت وانتهى زمان الملاحاة ، ونرجو أن يكون المسلمون ، على اختلاف أجناسهم ، قوة يعمل حسابها ويخشى بأسها . ولعلهم فاعلون ذلك إن شاء الله .

أما فخر الطوبرانى بنفسه ، لا بجنسه ، فكثير فى شعره وقد أعانه على ذلك نفس أبية وهمة قوية ، فقد تنقل فى البلاد وطوف فى الآفاق ، ولقى الخير والشر ، وشرب الحلو والمر ، ولكنه ظل عزيز النفس . اسمعه يقول :—

على أننى إن لان قوى ظالم   وإن طالبونى بالتذلل ظالم

وأنى لأستاق الكريهة باسما وأجهل عقباها وأنى لعالم

إلا أنه قد يغرق فى الفخر ويغالى فيه على عادة شعراء عصره .

فترى الإسراف فيه واضحاً ، والكذب فيه ظاهراً كقوله :

خلقت للسيف والقرطاس والقلم فالدهر عبدى وأهل الدهر من خدمى

والشطر الثانى سخيف مرذول وما أشبهه فى السخف بقول ابن سناء الملك

وأنك عبدى يا زمان وأننى على الرغم منى أن أرى لك سيداً

وسبحان من غير نظر شعراء اليوم إلى الفخر ، فلو أن واحداً منهم قال مثل هذا القول لقال الناس : هذا ناظم كذاب !

أما باب المدح فيشهل جزءاً كبيراً من الديوان . فقد مدح السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد والخديو اسماعيل باشا ، والخديو توفيق باشا ، كما كانت له مدائح وصلات أدبية ومكاتبات ومساجلات مع اسماعيل بك عاصم والأديب الشيخ أحمد أبو الفرج الدمنهورى والشاعر الأديب عبد الله فريج

أما غزله فيظهر فيه التصنع والتقليد للقدماء حتى فى الوقوف على الأطلال والبكاء عليها وذكر المرابع والعيس والأماكن العربية كمنعرج اللوى . فيقول :

تعرفت أطلال الحمى بعد مجهل فأوقفت عيسى بعد طول الترحل

ويقول :

سق الله صوب القطر منعرج اللوى وحسبى به دار الشبيبة والهوى

ويقول :

أمن دار سلمى دراسات المعاهد بكيت طلولا بَعْدَ بُعْدِ المعاهد

ويقول :

بانت سعاد فرغد العيش منكود وودعت بجليد القلب مكمود

وشتان بين المحاكاة والطبع ، وبين الصوت والرجع !

وشعر الطورانى لم يسلم من الزحافات والعلل والضرورات الشعرية التى لجأ إليها لجوءاً كثيراً . فهو يمد المقصور ويقصر الممدود ويجزم المرفوع ، ويسكن أواخر الكلمات فلا يعربها ، ويقطع همزة الوصل ، ويصل همزة القطع ، ويأتى بعيوب السناد ويمنع المصروف من الصرف كقوله فى صفحة ٢٤٢

والورق تسجع فى الغصون كأنما هاتيك غيد وتلكم الأوتار

فمنع من الصرف كلمة غيد وحقها التنوين

وقوله فى ص ٩

لأن التلازمْ بين ذات وعارض من السكون لا يخفى لمن يتبصر

بإسكان الميم من كلمة التلازم

وقوله فى ص ١٧

يا نبى الهدى عليك سلام لا ابتداء له ولا انتهاء

بقطع همزة الوصل من كلمة إنتهاء

وقوله ص ٨

يا إله الخلق إرحم عاجزاً مد للألطاف نحو الباب يد

بقطع همزة الوصل من الفعل ارحم

وقوله :

ولا والله لا فى العلم خير ولا فى الجهل شرٌ ولا مخاوف

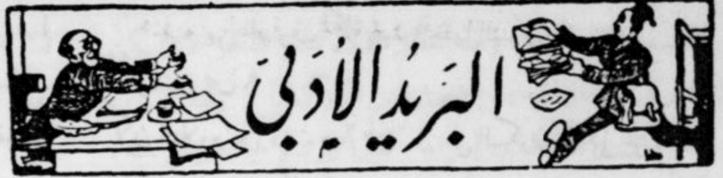
فمنع كلمة شر من التنوين وذلك قبيح ، ولو قال « ولا فى الجهل شرٌ أو مخاوف » لسلم من الضرورة القبيحة

والطورانى نسبة إلى طوران وهى بلد وكان يكاتب ابن عمه على بك عطا الله وهو فيها

وبعد فقد أتاح لى الأديب الفاضل على الشوكانى ببغداد كتابة مقالين عن الشاعر الصحافى التركى المصرى حسن حسنى الطورانى باشا ؛ فله الشكر على ما أتاح ؛ ولصديقى محمود بك نصير نائب المنصورة أجزل الشكر على تفضله بإعارتى ديوان الشاعر . فلولا ذلك ما ظهر هذا المقال .

محمد عبد الغنى حسن

بتاريخ ٢٦ – ١٠ – ٩٤٣ حكم فى الجنحة ٤٢٦ عسكرية الدرب الأحمر سنة ١٩٤٣ بحبس المتهم ٣ شهور شغل وتغريمه مائة جنيه والنشر والتعليق والدلق والمصادرة لأنه فى ١٧ – ١ – ٩٤٣ بدائرة الدرب الأحمر حاز خيوط غزل بدون تصريح



بين الدين والعلم في ختان الأنثى

نشر الدكتور الفاضل أسامة في مجلة الرسالة الغراء مقالا له قيمته الطبية في ختان الأنثى ، وقد ذكر بعد أن أثبت ضرره أنه ليس من الدين في شيء وإنما هو عادة خاصة بأهل مصر مسلميها وأقباطها . وقد رد عليه بعض الفضلاء بأن ختان الأنثى من الدين ، لأن الأئمة نصوا عليه في أحكامهم المستنبطة من السنة ، فقال الشافعي وكثير من العلماء إنه واجب ، وقال مالك وأبو حنيفة إنه سنة ، ومأخذ هذه الأحكام أحاديث كثيرة منها : الختان سنة للرجال مكرمة للنساء . ومنها : يا نساء الأنصار اختضبن غمسا ، واختفضن ولا تنهكن . والخفض في هذا الحديث هو ختان المرأة

وإني أرى أن الدين لا يخدم بهذه الطريقة ، لأنها تخلق بينه وبين العلم من العداء ما تخلق ، وليس من مصلحة الدين معاداة العلم ، وقد قرر سلفنا الصالح في مثل هذا أنه إذا تعارض دليل النقل ودليل العقل وجب تأويل دليل النقل بما يوافق دليل العقل . وهذه قاعدة جليلة توفق دائما بين العلم والدين ، ويجب أن نجعلها دائما نصب أعيننا ، وألا نحيد عنها في كل ما يعرض من خلاف بين الدين والعلم

فلنقل للدكتور « أسامة » دعك الآن من التعرض لختان الأنثى من ناحية الدين ، فالتعرض له الآن من هذه الناحية سابق لأوانه ، لأنه يجب أولا أن نصل إلى قرار إجماعي في هذه المسألة من الأطباء ، وبهذا نكون أمام دليل قاطع من العلم والعقل ، ويمكننا أن نبحث هذه المسألة على ضوئه من ناحية الدين ، والأحاديث التي وردت فيها من أحاديث الآحاد ، وأمرها في ذلك أسهل من غيرها من أدلة النقل

عبد المتعال الصعيدي

الإبهام والغموض في التصوف

قرأت كلمة الأستاذ محمد منصور خضر في عدد الرسالة ٥٤٤ تعليقاً على كلمتي عن الإبهام والغموض في التصوف ، وهو في دفاعه عن التصوف يؤيد فكرة الغموض صونا لأسرار المتصوفين ؛ على أن المنطق السليم يأبى أن يكون معرفة الحق احتكار الفئة مخصوصة تلجأ إلى طرق معوجة لإدراك كنهه ، وقد قامت الديانات الكبرى اليهودية والنصرانية والإسلام برسالة الحق بأسلوب صريح سهل كان عاملا قويا في سرعة قبولها . وإني أعيذ الإنسانية أن تكون وسيلتها في تعرف الحق الإلهي طرق المتصوفين ، إذ لو كان الأمر كذلك لبات الحق مجهولا إلا من أفراد معدودين .

وقد لاحظت أن الغموض طبيعة في المتصوفين ، وأنه غير متعمد ، وإذ يرون أنفسهم قد بعدوا عن الطريق السوى ، يعمدون إلى تعليل هذا الغموض بأنه مقصود لذاته يصون أسرارهم ، وقد وجدت أن كل متصوفى العالم تتخذ للتعبير عن إرادتهم في الحق أسلوب العشاق لا عن مران سابق أو تعمد ، بل عن سجية خاصة بهم ، وهذا يسقط حجة القائلين بأن الإبهام وسيلة مقصودة لحفظ الأسرار .

ويذكر القراء أن المتصوفين لا يتفقون في تأويل لغتهم الملتوية ، وحسبي أن أذكر البيتين اللذين نشرتهما الرسالة منذ أكثر من عام ؛ وكيف اختلف كل شارح في تأويل معناهما وعارض بعضهم ، وكلهم يدعى العلم بالتصوف . وبتنا نحن القراء في حيرة من أمر هذا الشعر الصوفي الذي لم يهتد لمعرفة ما يضمره قائله .

ولنعتبر بكلمة الحق التي تلوكها ألسنة المتصوفين ، والتي أطاحت برأس الحلاج عندما قال كلمته المشهورة « أنا الحق » ؛ فإن من ينشد الحق لا بد له من الصدق والصراحة والوضوح ، ومن يلتمس الحق عن طريق الغموض والإبهام فإنه يناقض نفسه

وقد ذكرت في كلمتي السابقة أمثلة من غموض المتصوفين ، وإن بيتاً من شعر ابن الفارض لا تكشف مخابئه آلاف من الصحف . ولعل قولة الحلاج « أنا الحق » مثل من أمثلة الغموض حمل الناس على اعتباره زنديقاً فقتلوه ، ولو كان يحسن التعبير عما يضمره لنجا من الخاتمة المشئومة التي جره إليها الإغراق في الغموض .

وختاما أسائل الكاتب الفاضل ما ذا يريد المتصوف عندما يذكر الحب والحبيب والدلال والوصال والهجر ، ومن اصطناع لغة العشاق في معرض الكلام عن الحق الإلهي ، أيعد

هذا تنزيهاً لهذا السر الربانى ، أم يعد إفلاسا وفقرا فى الإيضاح والبيان له سيئات كل قصور ؟

أما عن البحث فى نفسية المتصوفين فليس هذا مجاله كما قلت

(أسيوط) **ڤ.ل يوسف**

عضو فى المعهد البريطانى للابحاث الفلسفية بلندن

جماعة النهضة العلمية

أنشأ بعض الجامعيين جماعة صغيرة غرضها نقل الثقافة الأوروبية إلى اللغة العربية ، حتى تكون مادة يمكن استغلالها فى تلقيح الثقافة العربية وتزويدها بالعناصر اللازمة . والكتب التى رأت هذه الجماعة أن تنقلها إلى العربية فى هذا الموسم هى الكتب التالية :

١ — « الإنسان هذا المجهول » L'homme cet inconnu لألكسيس كارل : Dr Alexis Carrel

٢ — « التطور الخالق » (أو المبدع) Évolution créatrice لبرجسون H. Bergson

٣ — « لغز الكون » The Riddle of the Universe لإرنست هيكل E. Haeckel

٤ — « إميل أو التربية » Émile ou l'Education لجان جاك روسو

٥ — « ذكريات الطفولة والشباب » Souvenirs d'enfance et de jeunesse لإرنست رينان Erenest Renan

٦ — « العالم كما أراه » Le monde comme je le vois لأينشتين Albert Einstein

٧ — « الأفكار » Les Pensées لبسكال Blaise Pascal

٨ — « الانتحار » Le Suicide لدوركايم E. Durkheim

٩ — « الضحك » Le Rire لبرجسون H. Bergson

١٠ — « أول الأشياء وآخرها » First and last things لويلز H. G. Wells

ونحن إذا نظرنا إلى هذه القائمة نجد أن الجماعة قد أحسنت الاختيار ، (وإن كان التنويع محدوداً فى دائرة صغيرة) ... وكل ما نرجوه لهذه الجماعة الناهضة أن تمضى فى تحقيق مشروعها دون أن تتخلف ، فإن محك كل شىء هو التنفيذ لا التشريع ، والتحقيق لا التصميم .

زكريا ابراهيم

فهرس الموضوعات للسنة الحادية عشرة من الرسالة

الموضوع	صفحة
(ا)	
آباؤنا وأمهاتنا وأبناؤنا	٧٢١
ابتسم للحياة (قصيدة)	٣٠٦
إبليس يغني	٥٢٠
ابن خلدون مؤرخ الحضارة العربية	١١٢
» » » »	١٢٩
الابهام والغموض في التصوف ٧٩٩، ١٠٣٦	
آثر المرأة في علي محمود طه	٣٣٥
إجابة الاستاذ وحيد ٣٩ ، ٧٩ ، ١٢٠	
الاجاع والنبوت المقيدة	٤٦٤
الأحلام ٤١٦ ، ٤٣٧ ، ٤٧٦ ، ٥١٤ ، ٥٥٣	
أخطاء في كتاب الامتاع والمؤانسة	٦١٩
أخطار الطعام الواحد	٤٠١
الأخوة الأدبية بين البلاد العربية	٨٥٢
الأدب المهموس والأدب الصادق ٣٩٠ ، ٤٥١ ، ٤٨٩	
الأدب الغربي واللغة العربية في كتاب زهرة العمر	١٠٢٧
الأدب والسينما	٦٧٠
أدباء	١٩
أدباؤنا والمسرح ٤٠٩ ، ٤٣٠	
أرواح وأشباح على المسرح	٣٩٩
ازدواج الطبيعة الانسانية	٩٧٩
الأزهر حصن الدين وينبوع الأدب	١٩٧
استقلال القضاء (قصيدة)	٦٥٧
أسد آباد لا أسعد آباد	٢٤٠
أسس الاصلاح	١٨١
الاسلام والفنون الجميلة ٧٥٤ ، ٧٧٤ ، ٧٩٢ ، ٨١٤ ، ٨٣٣ ، ٨٥٤ ، ٨٧٤ ، ٩١٦	
الاسلام ومكافحة الأمية	٦٩٤
اسمعيني (قصيدة)	٩٧٨
أشواق (قصيدة)	٧٧
أصدقاء	٣٩
اصلاح التعليم في مصر	٥٩٨
الاصلاح الذي أنشده للازهر عماده المال	٢٧٠
الاصلاح والحرية	٤١٩
اضطراب التعليم في الأزهر بين القديم والحديث	١٠١١
أظرف يوم	١٧٤

الموضوع	صفحة
أعاصير مغرب للعقاد	٥٥٧
أعداء النساء	٧٣٤
الأعراب ٦٨٩ ، ٧٣٨	
الأعياد اليومية والأعياد الموسمية	٨٠١
أغاني غرام (قصيدة)	٢٩٧
أغرودة الليل	٣٩٦
أغاريد بليتيس	٤٩٦
أغنية الرياح الأربع	١٠١٧
أقوياء الأبدان في العصور الاسلامية	٥٩٢
ألف ليلة	٥٢٦
إلى الأستاذ ابراهيم المازني	٥٨٤
» » البشبيشي ٣١ ، ٤٨	
» » حبيب الزحلاوي	٣٦٠
» » حسن القاياتي	٦٩٨
» » دريني خشبة ٣٩٨ ، ٥٥٩	
» » سيد قطب	٢٧٨
» » عبد المتعال الصعيدي	٣٩
» » الشيخ محمد شلتوت	٣٩٨
» » محمود تيمور	٢٦٠
» » محمود عزت عرفة	٥٩
إلى تاج العراق (قصيدة)	٣١٠
إلى الدكتور بشر فارس	٥٧٩
» » زكي مبارك	٢٧٩
إلى ذات الغدائر الذهبية	٢٧٣
إلى زهرتي اليتيمة	٣٩٧
آلة البلاغة	٨١
أقه ! (قصيدة)	٦٣٨
أمثلة	٣٢٦
أمر عسكري	١٢١
الأميرة دكايف	٩١٤
أمين سامي باشا ناظر ومدرسة	٩٢٩
أمين الرافعي (ذكرى وفاته)	١٧
أمين المعلوف (وفاته)	٩٨
أنا وتوفيق الحكيم وجهاً لوجه	٩٦٦
أنات حائرة	٦٣٦
أنس الوجود (قصيدة)	١٣٧
إنشاء معهد الفنون الموسيقى ضرورة لابد منها	٤٥٤
أنشودة الحرب لأبليس (قصيدة)	١٧٧
أهمية دراسة التاريخ ٦٩ ، ٨٦	
أوراق متساقطة من (قصة الأدب)	٨١٩

الموضوع	صفحة
الأوامر بين الطاعة والعصيان	٩٨
آيتان	٤٢٤
إيضاح أخير	٥٧١
أين أخي (قصيدة)	٩٧٨
أين الرسالة : ٨٥ ، ١١٩	
أين المليط من السالاد	١٢٠
أيها الأدباء أعصابكم	٦٤٨
أيها الأصحاء	٦
أيها المرضى	١٦٥
أيها الليل	٣٤٧
(ب)	
باتوزيس برثي أزمردا (قصيدة)	٩٥٧
بحث لغوي أنف	٤١٢
برناردشو بمناسبة بلوغه السابعة والثمانين	٦١٤
البكاء بعين واحدة	١٠٠
بناة القاهرة الملعون	٣١٣
بنو إسرائيل والطعام الواحد ٤٩٩ ، ٥٢٠	
البهاء زهير ٩٦٣ ، ٩٤٤	
بوق وبوقات	٥٧٩
بولاق	٧١٢
بيفردج والمرأة	٤٢١
بين الأخوة	١٠١
بين التزمت والاباحة في قواعد اللغة	٩٨١
بين الدين والعلم في ختان الأنثى	١٠٣٦
بين الشيخ شاكر والشيخ رشيد	٧٠٠
بين الفكر اليوناني والفكر المصري	٩٥٨
(ت)	
تاريخ الأخلاق	١٠٢٠
تأييد الاسكندر من السماء عند اليهود	٢٩٩
تجديد اللغة	٥٨
تحية خالدة (قصيدة)	١٠١٦
تراث بني إسرائيل ١٩٩ ، ٢١٩ ، ٢٦٠	
تشارلس دكنز	٤٩٤
تصحيح اسم طبيب	٥١٩
تصحيحات واجبة في الأدب والأخلاق	٦٧٦
تصويبات في الذخيرة	٧١٢
تطهير العقائد وتحرير العقول أساس الاصلاح الاجتماعي	٦٣٤
تقرير معالي وزير المعارف عن إصلاح التعليم في مصر	٩٦١

الموضوع	صفحة
تكريم كتاب تركيا	١٣٩
التلباني	٨
التلباني (تجارب عليه)	١٩
التوأمان	٣٨
توضيح شبهة في كتاب عبقرية عمر	٢٣٩
توفيق الحكيم بين الأدب والفن	١٠٠٤
التيجاني بشير (ديوانه)	١٠٠
تينة الجبل (قصيدة)	٥٩٧
(ث)	
الثالوث الجامعي	٤٣
ثورة في الأخلاق ٢٥٠ ، ٢٩٤	
(ج)	
جامع أحمد بن طولون ٨٧٠، ٨٩٧، ٩٣٦، ٩٩١، ١٠١٤	
جامعة الأسكندرية	١١٩
جبرائيل تقلا باشا (وفاته)	٥٥٩
الجريح (قصيدة)	٦٧٧
الجسر العباسي	٧٥٦
جمال الدين الأفغاني (ذكراه) ٢٠٦، ٢٣٩	
جماعة النهضة العلمية	١٠٣٧
جي دي موباسان	٩٠
(ح)	
حافظ ابراهيم (ديوانه) ٢٤ ، ٦٤	
« (قصيدته النونية)	٣٨٠
« (من شعره المنسي)	١٤٠
« « «	٩٥٩
حانة الشعراء (قصيدة)	٣٣١
حديث الجهاد الأصغر والأكبر	٦٠
الحديث ذو شجون ٣٢٣، ٣٤٤، ٣٦٧، ٣٨٧ ، ٤٤٦ ، ٤٦٧ ، ٤٨٣، ٥٠٤ ، ٥٢٣ ، ٥٤٤ ، ٥٦٣ ، ٦٠٣ ، ٦٢٦، ٦٦٧ ، ٦٨٥ ، ٧٠٤ ، ٧٤٤ ، ٧٨٤، ٨٢٣، ٨٦٤	
الحديقة الميتة والقصر البالي	٩٩٨
حركة الاصلاح وحديث عيسى بن هشام	١٤٩
حسن حسني طوبزاني	١٠٠٨
حصاد القمر (قصيدة)	٤٥٨
الحضارات القديمة في القرآن ٥١ ، ٧٣، ٨٨، ١١٠، ١٢٧	
حكاية الوفد اسكندروى ٦٦٥، ٧٢٥، ٧٦٦، ٨٠٦، ٨٤٦، ٨٨٧، ٩٢٨	
الحكم الذاتي في المدرسة ١٠٧، ١٦٦، ١٨٨	

الموضوع	صفحة
حكمة الصين	٥٨١
حلة صقلية	٥٩٥
حول الابهام والغموض في التصوف	٩٨٠
حول أصل الحضارة اليونانية	٩٣٩
حول جامعة الأسكندرية	١٥٧
حول ذبح الفقراء	٧٧٩
حول رسالة الجامعة	١١٩
حول قضية شهر زاد	٢٧٨
حول ما نكتب	٨٦١
حول معركة الآزور ٣١٩، ٣٧٨	
حياة أسيوط	٤٢٧
حياة مي	٩٤٠
(خ)	
ختان البنات في مصر	٩٧٦
ختان الأنثى في الاسلام	١٠١٩
الخطابة بين الحرب والسياسة	٥١٠
خط المصاحف وقواعد الاملاء	٧٨
الخليل بن أحمد ٥٧٣، ٥٥٠	
خواطر على شاطئ النيل	٣٧٧
خواطر ليلة الميلاد	٣
خيال الرافعي	٣٧٤
(د)	
دراسات عن مقدمة ابن خلدون	٦٥١
دفاع عن البلاغة (آلة البلاغة)	٤١
« « (الذوق) ٢٠١، ٢٤١	
« « (الأسلوب) ٣٢١ ، ٣٦١، ٤٤١، ٤٨١، ٥٢١، ٥٦١	
دفنتها بيدي	٣٦
الدقة المنطقية	٨٦٠
دمعة على الماضي (قصيدة)	٢٣٦
دور التحف العربية	٩٩٥
دير الحياة (قصيدة)	٣٠٦
الدين العام المصري ، نشأته وتطوراته	٧٩٤
(ذ)	
ذبح الفقراء لا يحل مشكلة الفقر	٧٠١
ذكرى (قصيدة)	٥٥
ذكريات «	٤١٥
ذكرياتي «	٦٩٧
الذكرى الباسمة (قصيدة)	٢١٤
ذو القرنين غير الاسكندر المقدوني	٣٥٩
ذو القرنين	٣٣٨
ذو القرنين هو الاسكندر المقدوني	٢٣٨

الموضوع	صفحة
ذو القرنين ليس الاسكندر المقدوني	٢٥٩
(ر)	
رابطة العروبة	١٦٠
رجعة إلى المذاهب الصوفية	١٧٨
الرجولة والرجولية ٩٩، ١٥٨	
الرسالة (تحية)	٣٧
رسالة إلى شاب	٨٧٧
رسالة الأديب	١٦١
رسالة الجاحظ في مناقب الترك ١٥١، ١٧١	
رسالة عمر	٧٩
رسالة المساجد والنهوض بها	٧٥٩
الرسالة في عامها الحادي عشر	١
الرسالة والورق (قصيدة)	١٣٨
رسالة وجدانية	٨٣
رفيق الصبا محمد الشحات أيوب	٢٨
الرقص الخليع	٧٨
رواية الأصمعي وحماد لشعر زهير	٢٩٩
روحانية الحياة المدرسية	٣٠٤
روسيا والثقافة العربية	٤٧٨
روسيا والحرب الخاطفة	٢٥٥
الريف المصري (قصيدة)	٩٣٨
(ز)	
زهر وخمر	٣٧٩
الزهرة اليتيمة (قصيدة)	٨٣٨
(س)	
الساعة (قصيدة)	٥٠٤
الساهر الموحش (قصيدة)	٧٠٨
السبيل القويم «	٣٥٦
سرقة شعرية	١٦٠
السعادة بعد الحرب	٣٨١
السعادة في نظر ديكارت	٢٣٩
سكينة بنت الحسين ١٤٧، ١٦٩، ١٩٥، ٢١٢	
سلام على قلبي ! قصيدة)	٧٧٨
سليمان الحكيم (رواية) ٣١١، ٣٣٢، ٣٥٠	
السليط والسلاد	٩٩
السنة وثبوت العقيدة	٤٤٣
السياسة التوجيهية العلمية للأزهر	٣٨٤
السيطرة على الجو ١١٥، ١٣٢	
(ش)	
الشاعر ابن العرش من هو ؟	٦٥٩
الشاعر الرجيم بودلير (كتاب)	٥٨٠

الموضوع	صفحة
شاعر التنزل (كتاب)	٢٩١
شاعر ومنجم	٩٩٣
الشعب هو المسئول عن الاصلاح الاجتماعى	٢٢٤
الشعر الأوربى ٨٩٢، ٩١٠	
الشعر الخطابى	
شعر الطويرانى	١٠٣٣
الشعر العربى ٩٣٤، ٩٥٠	
الشعر العربى فى المهجر	٦٩٨
الشعر المرسل وأبو حديد	٩٠٦
الشعر المرسل والشعر الحر ٨٤٧، ٨٦٧	
الشعر المرسل ومن حوله	٨٨٩
شعراؤنا والناقد العبقرى	٩٣١
شكاة للغيب (قصيدة)	٥٥٥
شوقى واللبنانيون	١٠
(ص)	
الصديق أبو بكر بين هيكل والعقاد	٤٥٦
صديق حمام (قصة)	٩٩٩
صلاة (قصيدة)	٧٧٨
صور من توفيق الحكيم فى كتابه زهرة العمر	٩٧٨
الصيد فى الأدب العربى ٦٢٤، ٦٤٣، ٦٦٤	
(ض)	
ضحك كالبكا	٦١
الضريبة الأدبية على الأدباء الناشئين	٩٧٠
(ط)	
طرائف من الكتب والكتاب	٦٩٢
طه حسين والشعر المرسل	٩٤٧
طيبة تستقبل فرعون مصر ٢١٠، ٢٣٤، ٢٥٢	
الطيران بين أسلحة الحرب ٥٦، ٧٥	
(ظ)	
ظاهرة جديدة فى الأزهر	٢٨٣
ظاهرة لغوية	٧٧٩
(ع)	
عاطفة الأبوة فى ديوان أعاصير مغرب	١١٧
العالم العربى	١٩٨
العام الهجرى (أول احتفال به)	٥٨
عبد الحميد الديب شاعر البؤس	٤٧٣
عبد العزيز البشرى (وفاته)	٢٥٩
عبقرية الامام (كتاب)	٩٥٥
عبد المسيح وزير (وفاته)	١٠١٨
عثرات ٤١٩، ٤٤٠	
العرب فى ميادين الكفاح	٧١

الموضوع	صفحة
العربية والعامية (اقتراح)	٣١٨
عرض واحد	٥٠١
عروس النيل	٦٤٤
العقيدة الدينية وطرق ثبوتها	٤٠٦
علم الدين المحبوى (ديوانه) ٤٩١، ١٠٢٤	٩٨٤
العلم فى روسيا	٩٥٢
علوم اللغة فى المدارس الثانوية ٢٠٣، ٢٦٣	
على الشاطئ (قصيدة)	١١٨
على مكتب رئيس التحرير	٨٢٧
عمر بن الفارض	٧٥٢
عند ما رأيت الله جهرة	٦٨١
عند ما فاض النيل	٥٢
عودة إلى الوكر (قصيدة)	٥٧٨
عودة الرسالة (قصيدة)	٢٣٦
عيد ميلاد	٥٤١
عيد اللغة العربية	١٠٠١
عيد الهجرة (قصيدة)	٣٠
(غ)	
غرفة شاعر	٨٧٦
غروب (قصيدة)	٢١٦
غلطة الآلهة وشتائم مندور	٦٠٩
غاطة تاريخية	٤٠
(ف)	
الفاكهة المحرمة	٩١٢
فتاوى المفتى الأكبر	١٧٩
فتاوى السيد رشيد رضا	٢٣٩
الفرد والدولة	٢٦١
فلسفة الترجمة	٢٢١
الفنانون والمال	١٦٧
الفنون الجميلة	٩٣
فهارس مبوبة لآيات القرآن الكريم	٩١٨
فوق جبل البارود	٧٦٣
في التيه	٩٧٢
فى الشعر العربى	٩٠١
فى الشعر المهموس	١٣
فى المسجد الأقصى ٨٨، ٨٤١، ٩٢١	
فى محكمة الجن	٨٠٣
فى كتاب السلوك للمقريزى	٥٣٩
فى القصة والقامة	٤٢٠
في العلاقات اللفظية بين اللغات	١٣٨
فى ضيافة الهلالى باشا	٢٠٣
(ق)	
قادة الفكر لطه حسين (كتاب)	٩٠٤

الموضوع	صفحة
قاسم أمين	٣٤١
قبر من الأوحال	٦١٦
قبل براح الشباب (قصيدة)	٧١٨
القراءة فى زمن الحرب	٣٠١
القراءات والتصحيف	٧٩
قصة دائرة المعارف الاسلامية	٧٩٠
القصة والتجديد	٦١٩
قضية تخسر	٦٥٩
قضية اليوم ٢٤٧، ٢٦٧، ٢٨٨، ٣٠٧	
قطرة دمع (قصيدة)	٥٣٨
قطرة فى بحر (قصيدة)	٧٠٨
القلب العاصر	٥٤٧
قلمى	٢٢٩
القوة الفردية هى أساس القوة الاجتماعية	١٤٤
القيادة الفكرية بين الفلاسفة والأنبياء	٩٢٣
(ك)	
كيف عرفت الرافعى	٤١٤
كيف بدأ الاصلاح فى الأزهر	٥٩٠
كيف نعلم أبناءنا وما الغرض من التعليم	٢٨٥
كوبير نيكوس	٧٧٦
كلمة تعزية (قصيدة)	٦٩٧
كلمة التاريخ	٧٨
كل شىء قد خبا (قصيدة)	١٠١٦
كزينوقراط الفيلسوف	٢٧
كرنا لاتينية لا فرنسية	٣٢٠
كتب التراجم	٥٧٥
كتب السياحة	١٠٢١
كتب وشخصيات	١٠٣١
كانت لنا أيام (قصيدة)	٥٣٨
الكأس المسمومة (قصيدة)	٦٦٩
(ل)	
لا ، بل النحاة واللغويون ثقات	٢٠٧
» » »	٢٣٢
لا تثوروا على المدنية الحاضرة	١٣
لاموتين ٧١٤، ٧٣٢	
لبشار أم لكثير عزة	٩٥٩
لفظتان : القزامة والتحويش	٦٧٨
اللغة العربية كيف نعلمها ٦٥٥، ٦٧٣، ٦٩٠، ٧١٠، ٧٣٠، ٧٥٠، ٨١٢، ٨٣١، ٨٥٠، ٨٩٤	
لماذا لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين	١٥٤
» » »	١٧٣
ليلة عيد الميلاد (قصيدة)	٧
أيانى للملاح التائه (ديوان)	٢١٧

الموضوع	صفحة
ليلى والمجنون ٣٥٣،٢٩٣،٤٣٣	
(م)	
مؤتمر الأدباء الشبان في البلاد العربية	٧٩٩
المؤلفات العربية القديمة وما نشر منها	٥١٦
متى أراكم (قصيدة)	٧٧٨
المقترحون والمؤلفون	٨٢١
مثل الحقيقة في رأى أفلاطون	١٧٩
مثال من تداعى الأخطاء	٥٧٩
مجلاتنا الممتازة ونصيب المسرح منها	٣٧٠
المذاهب السياسية المعاصرة (كتاب)	٨٠٠
المرأة والفن	٤٦١
مستدركات	٢١
المسرح المصرى ، لغته وماذا يكون	٦٠٦
المسرح المصرى والدرامة المنظومة	٦٢٩
« « وكيف نشيده ٥٦٧،٥٨٧	
المسرح في أوربا بين حربين ٤٧٠ ، ٤٨٦،٥٠٧	
مسرحية أخناتون	٦٩٥
مشكلة النظافة في مصر	٤٧٨
المصباح الأحمر	١٢
مصر والشام	٩٧٤
مصر والوحدة العربية	٢٨١
المصريون المحدثون للأستاذ أمين ٣٤،٩٥، ١٣٤،١٧٥،٢١٥	
معركة الأزور ٢٩٥،٣١٦	
المعارك الكلامية في مصر	٤٢٨
معجزة الحديد	٩
معنى قوله تعالى يخرج الحى من الميت ٤٩٩،٥١٨،٥٥٩	
المفاوضات بين العرب والخلفاء	٤٦
المفضليات (كتاب)	٤٠
مقاومة التدخين	٨٤
مقدمة ابن خلدون	٦٧٥
مكتبات عربية في الشرق والغرب	٧٧٢
من أزهار الشعر ٩٧ ، ١٠٩ ، ٢٥٨، ٣٧٧ ، ٤١٨ ، ٨٧٦	
من الأستاذ محمد كامل سليم إلى الأستاذ توفيق الحكيم	٢٤٣

الموضوع	صفحة
المنارة الحديثة (قصيدة)	٢٧٧
المناقشة بعد المحاضرة نظام إسلامى قديم	٩٥٨
مناهضة أزياء النساء قديما	٥٢٣
من تحت الأنقاض (قصيدة)	٤٣٦
من جنايات المذاهب الصوفية	١٩٨
من رسائل الرافعى ٤٩٨،٥١٩،٥٩٩، ١٣٩	
من شعر الأستاذ مصطفى عبد الرازق	٤٤٠
« « « «	٤٥٩
من شعر الأطفال ٧٣٧،٨٣٨	
من شاعر إلى شاعر	٥٣٩
من طرائف المفارقات في بلد المفارقات	٦٦١
المنطق المنظور والمنطق المستور	٥٤
من عجائب البريد	٦٠
من ليالى الفردوس	٨٨٣
من مؤتة إلى اليرموك	١٦٣
من ميدان الحياة	٥٩٤
من نوادر العرب	١٩٩
منهج البحث الاجتماعي ٨٣٥ ، ٨١٦	
المهرجان الأدبى في السودان	٩٠٠
مهمة تجديد الأدب العربى بين الشبان والشيوخ	٧٨٧
موت الأديب	١٠١٣
موريس ماترلنك ٥١٢ ، ٥٣١،٥٥٢	
موسيقى	٤٤٩
موقف مجلة الأزهر من النبوة والعبقرية	١٥٨
موكب الحسن (قصيدة)	٧٣٧
مواكب الأعراس في عهد بنى العباس	٦٣٢
ميدان تونس	١٩٠
ميلاد زهرة (قصيدة)	٢٧٧
(ن)	
نار ونفس (قصيدة)	٦٩٦
نحن «	٢٣٦
نحو من النحو	١٤١
نداء الخريف (قصيدة)	٨٥٨
نزول عيسى	٣٦٣
النسل وصفاته المتوارثة	٤٣٩

الموضوع	صفحة
نشأة الدرامة الانجليزية ٧٠٧ ، ٧٢٧ ، ٧٤٧ ، ٧٦٩	
نشأة المسرح الانجليزى	٨٠٨
النظام والتربية القومية	٦٢١
نظرات في كتاب	٣٣٩
النماذج البشرية المهموسة	٥٢٩
نهاية أستاذ	٦٤١
نهاية موسولينى « قصيدة »	٦١٨
(هـ)	
هلال شوال	٨١٨
هل أدت الجامعة رسالتها ١٠٣ ، ١٢٣	
هل اسكندر الأكبر هو ذو القرنين	٢١٩
هل ذو القرنين هو كورش الفارسى	٢٧٨
هل قتل ذو القرنين بيد التتر	٣٥٨
هل هو توارد خواطر	١٣٨
هل يتسع القلب لأكثر من حب واحد	١٥٩
(و)	
واجب الكاتب المصرى	٧٤١
واسط مدينة الحجاج	١٩٢
وجهات نظر	٩٤١
وحى القرآن باللفظ	٧٧٩
وحى القرآن ٨٥٦ ، ٨٧٢	
وداع (قصيدة)	١٧٧
وداع المصيف (قصيدة)	٨٥٨
وزارة الأوقاف الجديدة	٦٠١
وزير سورى مؤلف معجما زراعياً	٤٥٩
الوشوشة والهينمة	٥٩٨
الوظيفة (قصيدة)	٩٧
وعصفور من الشرق أيضا	٣٢٨
وفود العرب على كسرى ٥٦٦ ، ٦١٠ ومن أساليبهم	٧٨١
(ى)	
اليابان بإزاء الصين	٢٧٤
يا دموع الفقراء	٧٦١
يا ريح الشتاء (قصيدة)	٣٧
ياقوت (تاريخ وفاته) ٥٨ ، ٣٩	
اليتيم (قصيدة)	٥٧٨

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسن — عابدين)